

شرح كتاب نداءات الرحمن لأهل الإيمان
للشيخ العلامة أبو بكر الجزائري حفظه الله
جمع العبد الفقير احمد موسى
جزى الله موقع اسلام ويب لتقديمه لنا وجزى الله خيرا من فرغه لنا

بسم الله الرحمن الرحيم نداءات الرحمن لأهل الإيمان 1

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو معلم البشرية الأول، ومنبع الأخلاق الكريمة والسجايا الحميدة، ما ترك من خير إلا ودل الأمة عليه، أو شر إلا وحذرها منه، فكان حقاً على كل مسلم أن يتأدب معه صلى الله عليه وسلم غاية الأدب قولاً وفعلًا، سواء كان ممن عاصره من الصحابة، أو كان ممن جاء بعدهم من التابعين وأتباعهم إلى يوم الدين.

ما اشتملت عليه نداءات الرحمن في القرآن الكريم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع كتاب حديث العهد قديم الوعد، هذا الكتاب فتح الله تعالى به علينا جميعاً، وهو نداءات الرحمن لأهل الإيمان، هذا هو عنوان الكتاب، والكتاب يقرأ من عنوانه كما يقول الحكماء، فعنوان الكتاب: نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

فكل مؤمن ومؤمنة منادى من قبل ذي العرش العظيم الله جل جلاله وعظم سلطانه، فيشـرى عبد أو أمة يناديه ربه جل جلاله وعظم سلطانه.

والله تعالى لما ينادي العبد من عبده -وهو المؤمن لا الكافر- يناديه إما ليأمره بما يحقق سعادته وكمالته، ويهيئه لسعادة آخرته، أو يناديه لينهاه عما يضره . عما يفسده . عما يرديه ويشقيه في الدنيا وفي الآخرة، أو يناديه ليبشره، فينشر صدره، وتطيب نفسه، وتعذب حياة الإيمان والطهر في نفسه، أو يناديه ليحذره .. لينذره من عواقب السوء والأضرار المهلكة، ويفعل به هذا لأنه وليه، فالعبد المؤمن ولي الله، وأولياء الله لا يهملهم ولا يتركهم، كما لا يخذلهم ولا يردبهم ولا يشقيهم؛ لأنهم أولياؤه، فكتاب نداءات الرحمن هو كتاب اشتمل على كل نداء لله تعالى في كتابه القرآن الكريم، فقد اشتمل على كل نداء من نداءات الله عز وجل لعباده المؤمنين والمؤمنات في القرآن العظيم.

وهذه النداءات تسعون نداءً، باستثناء النداء التاسع والثمانين فإنه موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن أمته مرادة به، وهو قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ [الطلاق:1].

فقد افتتح النداء بالحضرة المحمدية، ولكن المقصود الأول هذه الأمة، وهذه النداءات غفل عنها العالم الإسلامي منذ مئات القرون، مع أنها اشتملت على الآداب الرفيعة والأخلاق السامية والمعاملات النافعة، دعوة إليها وبياناً لها، والمعاملات الفاسدة الضارة تحذيراً منها وتنبيهاً لها، واشتملت على آداب الحرب والسلام، وعلى المعاهدات، وعلى الأموال والاقتصاد بجميع أنواعه.

وخلاصة القول: إنها ما تركت شيئاً من شأنه أن يسعد هذه الأمة أو يشقيها إلا تضمنته واشتملت عليه. وبعد التأمل رأينا أن واجب كل مؤمن أن يوجد هذا الكتاب عند مخدته التي ينام عليها، وقيل أن يغمض عينيه يسمع نداء من ربه، وبذلك تكمل قطعاً آدابه وأخلاقه، وتحسن معاملاته، ويعظم قدره، ويعلو شأنه في الملكوت الأعلى، فهذا سلم الرقي إلى الملكوت الأعلى.

ومن هنا أردنا أن ندرس بعض هذه النداءات في هذه الأيام الرمضانية؛ لأعلمكم كيف تستفيدون من هذا الكتاب، وسيطبع إن شاء الله ويوزع علينا كما حصل في كتاب المسجد وبيت المسلم، فقد وزعت منه سبعين ألف نسخة، وهذا فتح الله عز وجل، وهذا يجب أن يطبع منه لألف مليون مسلم، ولا حرج أبداً، فأنت منادى يا بني! فإذا ناداك سيدك فقل: سمعت، وقد علمتم ما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه، فقد قال: إذا سمعت الله تعالى يقول: يا أيها الذين آمنوا فأعزها سمعك، أي: أعطها سمعك يا عبد الله! فأنت منادى مادمت مؤمناً بالله ولقائه، فإنه يأمرك أو ينهك، يبشرك أو يحذرك، ولن تجد من يقوم بهذا سوى الله؛ لأنه وليك وأنت مولاه.

إذاً: بسم الله، ندرس هذه الأيام إن شاء الله نداءات الرحمن، ومن الجائز أن نواصل دراستها، فهي كلام الله، وهي حاوية للفقه والأدب والعقيدة، وكل ما نفتقر إليه في الرقي إلى الملكوت الأعلى، ولا بأس أن أسمعكم المقدمة.

مقدمة كتاب نداءات الرحمن لأهل الإيمان

[بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة الكتاب: الحمد لله البر الرحيم، ذي الإنعام والإفضال على عباده المؤمنين به وبلقائه، القانتين له، المستجيبين لندائه، والصلاة والسلام على رسوله الرؤوف بالمؤمنين الرحيم، وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فهذه نداءات الرحمن لعباده المؤمنين البالغة تسعين نداءً، حواها كتابه القرآن الكريم، قد يسر الله تعالى لي جمعها في هذا المؤلف الصغير، كما يسر لي شرحها، وبيان ما تحتويه من علم وهداية لعباده المؤمنين المتقين. هذا وليعلم القارئ الكريم والمستمع المستفيد [وقلنا: المستمع المستفيد؛ لأن واجب المؤمن إذا كان لا يحسن القراءة أن يقول لأخيه المؤمن: اقرأ علي نداءات ربي، فأنا منادى ولم أعرف بم ناداني ربي، وأنت والحمد لله تحسن القراءة فأقرأ علي، وهذا ليس فيه نقص للآدمي، وشرفه لا يمنعه أن يقول: اقرأ علي، وهذا غير ممكن أبداً؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم ولا فخر، وإمام الأنبياء وسيد المرسلين، وقد قال لابن أم عبد : (يا ابن أم عبد ! اقرأ علي شيئاً من القرآن، فقال عبد الله : أعليك أنزل وعليك أقرأ؟ قال: إني أحب أن أسمع من غيري).

وقد ندنا وصحنا وقلنا: أيكم أيها المستمعون الأبرار! شاهد رجلاً لا يحسن القرآن وقال لأخيه: من فضلك تعال اقرأ علي شيئاً من القرآن؟ ما وجدنا أحداً، فنحن نقرأ على الميت؛ لأنه لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ولا يأخذ ولا يعطي، والذي هو في حاجة إلى القرآن لا يقرأ عليه، وهذه علامة هبوط هذه الأمة من قرون، فبعد ما كانت السائدة القائدة الرائدة الهادية الحاكمة هبطت إلى هذا الحضيض، وسبب هبوطها ضعف إيمانها، وبعدها عن مصدري علمها وهدايتها الكتاب والسنة، وهذه حجة، وإلا فدلوني على مؤمن يقول: من فضلك يا سيد! اقرأ علي شيئاً من كلام ربي، سواء في الشارع أو في البيت أو في البستان أو في السيارة، وأسمعي من فضلك كلمات من كلام ربي، والله لو كنا نحب الله وكنا نرغب في جواره والملكوت الأعلى لكان هذا شأننا بيننا، فمولاك أنزل إليك كتاباً، حوى كل نعم العلم والمعرفة، وأنت لا تريد يوماً أن تقول: اقرأ علي شيئاً من القرآن، وتجمع القراء ليقروا على الميت.

فليفهم السامعون ما وصلنا إليه وما زلنا، وليس هناك أبداً محاولة إلى السمو [أن هذه النداءات التسعين قد اشتملت على ما يهم المسلم في أمور دينه ودنياه، وما يجب أن يعلمه ويعمل به؛ ليكمل ويسعد في دنياه، ويفلح ويفوز في آخرته، وذلك بالنجاة من النار، ودخول الجنة دار الأبرار] فليس عندنا فوز إلا هذا، وليس فوز الكرة ولا التمثيل، كما هو الآن [إذ هذه النداءات الرحمانية] منسوبة إلى الرحمن عز وجل [بينت العقيدة السلفية المنجية، و [بينت] العبادات الدينية المزكية] المطهرة [للنفس البشرية، كما بينت الأخلاق الإسلامية الفاضلة، والآداب الشرعية السامية، والمعاملات النافعة للانتفاع بها، والضارة لاجتنابها، كما بينت الأحكام الخاصة والعامة، وذلك في الأموال والدماء والحدود، وفي الجهاد والمعاهدات في الحرب والسلام] وهذه هي الشريعة بكاملها [وقد ابتدأت تلك النداءات الرحمانية الإيمانية بالأدب الرفيع، الذي بدونه يهبط الإنسان إلى مستوى الحيوان، وختمت بالتوبة النصوح المنجية من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وسنعرض تلك النداءات الأولى فالأول كما هي في كتاب الله الحكيم، مصحوبة برقم الآية واسم السورة، وعنوان هدايتها التي أناطها بها منزلها العليم الحكيم، الله جل جلاله وعظم سلطانه.

أهمية الأسس القويمة والقيم الرفيعة في بناء لأمم

وأخيراً: أهيب بكل مؤمن ومؤمنة أن يقرأ هذه النداءات أو يستمع إليها؛ فإنها منقذة بإذن الله تعالى من الجهل، ورافعة إلى أعلى درجات العلم، والله تعالى أسأل لي ولهما [أي: المؤمن والمؤمنة] عافيته ومغفرته ورحمته ورضوانه، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] فكيف أنتم مع هذا الكتاب؟ وهل أنتم في حاجة إليه. أقول لكم: لو وضع هذا عند اليهود ليرفعهم، ولحقق هدفهم في إقامة مملكة إسرائيل من النيل إلى الفرات وفاجأهم أحدهم يمثل هذا لكادوا يطيطرون من الفرح؛ لأن لهم أملاً يسعون في تحقيقه، وأما أمة الإسلام فلا أمل لها، ولا نجد لها أملاً، وكل ما يهتمها هو الأكل والشرب والنكاح واللباس والأغاني.

ولا بأس أن تتعلموا السياسة ما دامت الفرصة متاحة، فأوروبا وعلى سبيل المثال فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وأسبانيا، وحتى بلجيكا وهولندا لما كانوا يعملون على استعمار الشعوب واستغلالها والاستيلاء عليها كانت آدابهم رفيعة، وآمالهم عظيمة، وعدلهم بارزاً سائداً؛ لأنهم يسودون أمماً، ويستحيل أن يهبطوا مثل تلك الأمم ويسودونها، ولما كان العالم الإسلامي ينشر الهدى وهمة متعلقة بهداية البشرية وإنقاذها كانوا على أحسن ما يكونون أدباً وخلقاً، وعدلاً وصدقاً، ووفاء وزهداً، وطهراً وصفاءً، فلما هبطوا لم يكن لهم أمل إلا الأكل والشرب والنكاح، فهذه هي آمالهم، حتى بناتنا نبعث بهن إلى المدارس لهذا الغرض التافه، والله العظيم إنكم لتفعلون هذا، وأما الأولاد الذكور فلا تسأل، فهم في المدارس والكلية والجامعات لا هدف لهم إلا الحياة والوظيفة.

فالدول الاستعمارية لما كانت تعمل على استعباد الشعوب واستغلالها والتحكم فيها كانت سامية في أخلاقها وآدابها وغير ذلك، ولما تخلت وخرجت من المستعمرات أخذوا يهبطون، والآن فيهم الجرائم في الفحش والباطل والخيانة بعشرات الآلاف، وقد طفحت منها أوروبا وأمريكا، وليس هذا كلاماً باطلاً.

وأريد هذه القضية بمثال: كان أحد رجال المباحث أو المخابرات يعمل في الدولة الفرنسية في بلد مستعمر لها، وكان يتزيا بزي العرب البرنس والعمامة والزي الإسلامي واللحية، وكان يركب في القطار في الدرجة الأولى؛ لأنه مسئول، والبطاقة في جيبه، وكان يركب معه بعض النصاري الفرنسيين؛ لأنهم في الدرجة الأولى، وكانوا لا يركبون مع عوام الناس وفقرائهم، وكان هذا لكثرة سهره الليل ينتقل من إقليم إلى آخر يحتاج إلى النوم، فكان إذا أراد أن يطردهم الفرنسيات والفرنسيين من الغرفة الخاصة في القطار يتناوم وكأنما النوم أخذه، وكانت لحيته كثة وطويلة وجميلة، فكان يحكها ويخرج قملة ويرميها - وإن كان القمل في ذلك الوقت عاماً في البشرية كلها- فلما تأتي على الفرنسي أو الفرنسية يفرع ويصرخ، ويبدأ يسب ويشتم، فكان رجل المخابرات الحكيم لما يصل القطار أول محطة ينادي المسؤولين: خذوا هؤلاء حتى أرجع، فيوقفهم.

والشاهد من هذا: في ليلة من الليالي كانوا يظنون أنه عربي لا يحسن الفرنسية، فأخذوا يسبون ويشتمون هذه الأمة، ويقولون: إنها متأخرة هابطة كما تعرفون وهو يسمع، ثم انبرى إليهم وأدبهم، وهو أفصح منهم؛ لأنه قد درسها دراسة، وكان من جملة ما قال ذاك الفرنسي: لو كنتم شيئاً لما حكمناكم ولا سدناكم، فقال المسلم: اسمع، لو كان أجدادنا الذين حكمهم أجدادكم مثلنا والله ما دخلتم بلادنا، ولو كان أجدادك الذين غزوا ودخلوا واستعمروا مثلك والله ما دخلوا ولا حكموا.

وهذا بيت القصيد، فأبأ الفرنسي وأجداده كانوا أدباء، رافعين مقامات الأدب، وكانوا عدلاء رحماء، فلهذا سودهم الله وحكمهم في أمة هبطت، يأكل بعضها بعضاً، والآن لما هبطوا فسوف يخرجون. والمسلمون اليوم لا يتحركون؛ لأنهم ليس لهم أمل أبداً إلا الأكل والشرب والحياة، ولو كان لهم أمل كاليهود لبذلوا كل شيء، فنحن لم نر يهوديين يتقاتلان، بل كلمتهما واحدة، وصوتهما واحد، ورسالة كهذه تقرأ في كل بيت؛ لأنهم يهدفون إلى هدف واحد، ألا وهو إعادة مملكة بني إسرائيل.

وأوروبا لما كانت تغزو كل عام وتفتح من جديد كانت في ذلك المستوى، وقد هبطت الآن وعادت إليها جميع الرذائل، وانتهى منها ذلك الشرف وذلك الكمال، فلما يريد المسلمون أن يعودوا إلى إصلاح الدنيا وإنقاذ البشرية فوالله لن يبقى من يسب أخاه، ولا من يطعن فيه، ولا من ينتقده، ولا من يؤذيه، ولا غير ذلك، والله ليقل الترف والشره، والطمع في الدنيا والتكالب عليها، وترتفع آمالهم إلى السماء، وتتغير حياتهم في أربعين يوماً. فحتى تصبح قادة وسادة ننقد البشرية لا بد وأن نكون مثلاً حياً للكمال البشري، فافهموا هذه، فلو درستهم في كليات السياسة أربعين عاماً لما حصلتم على هذه.

الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

والآن: بسم الله الرحمن الرحيم.

[النداء الأول: في الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم] وهذا النداء بدأ به الله، فأول نداء بيا أيها الذين آمنوا هو هذا النداء؛ لأن الذي لا يتأدب مع رسول الله هو حيوان هابط ممزق متلاش، لا وجود له ولا قيمة، فإذا لم يتأدب المؤمنون مع نبيهم فإنهم لا يطيعونه ولا يضحون بما يدعوهم إليه من حمل الرسالة وإبلاغها، وهذا السر قد أسمعناه السامعين، وقلنا: سر فرض الله تعالى على المؤمنين والمؤمنات حب نبيهم حباً حقيقياً مهما بعدوا عنه، وأن من لم يحب رسول ليس بمؤمن، مع أن الرسول يموت؛ لأن حبه عقيدة، فمن لم يحب رسول الله فهو كافر، وعليه لعنة الله، ولا يدخل دار السلام، ورسول جميل، وهو والله أجمل الخلق، وهو أديب، والله ما وصل أحد إلى مستواه في الأدب، وقل ما شئت، ولكنه يموت، ولكن يبقى هذا الحب، وقد فرض الله تعالى حب رسوله من أجل أن يطاع؛ إذ لو كنا لا نحبه فلن نطيعه، وإلى الآن الذي لا تحبه لا تطيعه، والذي تحبه تطيعه، فعلة فرض الحب هو أن يطاع، وهذه الطاعة هي سلم سعادة الآدمي وكماله، فحب الرسول واجب من أجل الطاعة، فثمره الطاعة وفائدتها هي أن يكمل الآدمي ويسعد في الدنيا والآخرة، وليس وراء ذلك شيء، بل هي فقط من أجل أن تكمل - يا آدمي - في آدابك وأخلاقك وتسعد في حياتك ومماتك.

هذه هي طاعة الله والرسول.

فالأدب الأول من النداءات: الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في [الآية 104 من سورة البقرة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة: 104].]

وهيا نحفظ هذا النداء، فنحن في حاجة إليه، والله لئن تحفظه يا من لم يحفظه قبل وتصلي به نافلتك في الليل والنهار لكأنما كسبت به أعظم كسب في هذه الدنيا، فهيا نتغنى بهذا النداء ونتلذذ به، فهذا كلام الله سيدكم ومولاكم، وربكم ورب العالمين الذي تشتاقون إلى النظر إلى وجهه، هذا كلام رب العالمين، فلنتلذذ به، لا أن نردد غناء العواهر وكلامهن كما هو الواقع، والمغنون يفوزون في ديار العالم الإسلامي بميداليات الذهب، ويسمون فنانين، وهم قتالون لروح الإيمان.

فاحفظوا هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة: 104]. وصلوا بها النوافل والفرائض ولا تخافوا، فهي آية كاملة.

[هذا نداء الله تعالى لعباده المؤمنين] لا الكافرين ولا المشركين، ولا الملاحدة ولا العلمانيين، وإنما هو للمؤمنين به تعالى وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبكتابه القرآن الكريم، وبلقائه حيث الجزاء بالنعيم المقيم أو بالعذاب الأليم، فهو نداء الله تعالى لعباده المؤمنين [ناداهم بعنوان الإيمان] فلم يقل: يا بني هاشم! يا بني عدنان! يا بني قحطان! وإنما ناداهم بعنوان الإيمان، وليس بعنوان الإسلام، فلم يقل: يا أيها الذين أسلموا! لأن الإسلام قد يكون نفاقاً، فلا يكون أهلاً لأن يرتقي إلى أن يناديه الرحمن، وإنما إذا آمن فقد أصبح أهلاً لأن يسمع النداء ويفهم ما يقال له بعده [لأن المؤمن حي بإيمانه، يسمع ويعقل ويقدر على الفعل والترك] والقول [بخلاف الكافر، فإنه لا يسمع ولا يعقل، ولا يفعل إن أمر، ولا يترك إن نهى] لأنه ميت، والمستمعون يسلمون بهذه القضية، فالحي هو الذي إذا ناديته سمع النداء، وإذا أمرته فعل، وإذا نهيته انتهى، فهذا هو الحي الذي يصلح للنداء، وأما الميت إذا ناديته فإنه لا يسمع، وإذا أمرته لا يفعل، وإذا نهيته لا يترك، فلا فائدة لندائه، وقد عرف الأبناء والمؤمنات في هذه الحلقة معرفة يقينية أن المؤمن الحق حي والكافر ميت، فلهذا لا نقلد الكافر، ولا نأتسي به، ولا نعشقه ولا نحبه، ولا ننزىا بزيه، ولا نتكلم بلسانه أبداً؛ لأنه ميت، فلهذا لا نقلده، وفي الإمكان إحياء الكافر، وفي إمكانك أنت أن تحييه إذا نفخت فيه الروح، فقل له: ارفع رأسك يا عبد الله! يا مسيو! وانظر هذه الكواكب من كوكبها؟ وهذه الأفلاك فوقك من أدارها؟ وهذه الشمس والأقمار من أنارها؟ وطأطي رأسك وانظر إلى هذه الأرض من بسطها؟ ومن نصب الجبال عليها؟ ومن أوجد هذه الحيوانات فيها؟ وغير ذلك من الأسئلة، فيقول: ها لا أدري، فقل له: كيف لا تدري وأنت الرجل الفحل العاقل تطير في السماء وتغوص في الماء ولا تدري؟ إن الذي فعل ذلك الله رب العالمين وخالق الأكوان كلها أجمعين، فإذا قال: عرفني به، فأنا لا أعرفه، فقل له: تعال، إن الذي خلق هذا يسمع كلامك هذا الآن والله - وسبحان الله! فهو والله يسمعه - ويراك ويبصرك الآن، ويعرف ما في جيبك، بل ما في قلبك، وهو الذي رزقك منه، وطعامك وشرابك من فضله، وحياتك ومماتك بيده، فسيقول لك: دلني ما أفعل معه، وكيف أحبه وأطيعه؟ فقل له: قم اغتسل، وتطهر بالماء؛ لأنك كنت نجساً، ثم قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وادخل في حظيرة الإسلام،

فتجده بعد ذلك يسمع ويطيع ويفعل؛ لأنه قد حيي، وأما وهو ميت فلن يفعل شيئاً، ولا أحد يقول للميت: قم صل، فهذا ليس معقولاً، ولينقل السامعون والسماعات هذه الحقيقة، ولا يقولوا: إنهم ليسوا في حاجة إليها، فعلموا الناس أن المؤمن بحق حي، مستعد لأن يعطيك ويأخذ منك، ولأن يفهم عنك، والكافر ميت، لا يسمع ولا يعقل ولا يبصر، والله يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: وَلَا تَسْمَعْ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّي عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنَّ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ [النمل: 80-81].

خطورة الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقول أو فعل

وفي هذه الآية الكريمة: [بيان] الله لعباده المؤمنين بـ [وجوب الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرمة الإساءة إليه بقول أو عمل، هذا مع الجهل وعدم العلم] هذا إن كان لا يدري، لأن الصحابة لما قالوا: راعنا ما كانوا يدرون أنها سخرية واستهزاء، فلماذا ما توعدهم، وإنما فقط أمرهم وعلمهم، فلما علموا فلو أعادها واحد منهم لكفر. والآن كل مؤمن ومؤمنة يعرف أن إساءة الأدب مع الرسول كفر، وأن الاستهزاء به أو السخرية منه كفر كتكذيبه، ومع أن هذا كفر فهناك من يسبونهم؛ لأنهم ما عرفوا [وأما مع العلم بأن اللفظة أو الحركة فيها إساءة أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك هو الكفر بعينه، والعياذ بالله تعالى، وكما أن إساءة الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمة، وقد تكون كفراً مع التعمد والقصد، فإن إساءة الأدب مع المربي والمعلم والمرشد والأمير محرمة أيضاً] وأنتم لا تقبلون هذه، مع أن المربي خليفة رسول الله، والرسول لا يوجد في كل بيت وفي كل بلد يربي الناس، بل خلفاؤه من بعده هم الذين يربون، فكما تحرم إساءة الأدب مع رسول الله فإنها والله تحرم مع المربي ومع المعلم ومع المرشد ومع الأمير، وحتى لو كانوا ثلاثة وأمروا أحدهم في الطريق فيجب أن يحترم الأمير؛ لأن الشخص الذي هبط وأصبح يسيء الأدب مع من هو أكمل منه ومن هو في حاجة إليه فقد أصبح حيواناً لا وزن له ولا قيمة عند الله.

ومن التعليم الذي ورثه المسلمون من الغربيين أنهم يعلمون الطلاب في المدارس كيف يستهزئون بالمعلمين؛ تنشيطاً لهم، ويسخرون منهم، وبعيني رأيت وبأذني سمعت، فيقال للمربي الكلام البذيء، وليس بعيداً وأنت على الكرسي أن يسبوك ويشتموك، ويقولون عنك: إنك وهابي، منتن، عميل، ذنب، مادي، طماع، وغير ذلك؛ حتى تقوم الدنيا والله العظيم، وكل هذا لأننا ما عرفنا، ولا ربينا في حجور الصالحين، وإنما عشنا هكذا على الضياع، ونحن نسمع كلام الأحزاب والجماعات في أي بلد إسلامي في بعضهم البعض والعياذ بالله، حتى العامي يقول: هذا عميل. وإليكم قصة أخرى: حملتني الغيرة أيام الفتوة والشبيبة في الديار الجزائرية تحت راية فرنسا الكافرة فأصدرت جريدة سميتها الداعي، ووالله يا أبنائي! كان راتبي ثمانين ريالاً، وكان لي أسرة، وطول حياتي ما مددت يدي لمؤمن ولا سألته، فكان راتبي ثمانين ريالاً، ومنها أطبع هذه الجريدة خمسة آلاف نسخة، وكنت أكتبها بيدي، ولم يشاركني فيها أحد، وكانوا لا يشاركونني؛ لأنهم يتهمونني أنني كذا ومن جماعة كذا، وهذا مرض في الأمة، وما زال إلى الآن ينمو ويزيد؛ لأننا ما ربينا في حجور الصالحين، فكنت أبيع الجريدة بنفسني، واستدعتني الحكومة، فلم أجد من يذهب معي إلى الحاكم، وكانوا كما قلت لكم أدباء؛ لأنهم حاكمون سادة، فلاتفوني وأكرموني، ولو كان الحاكم من هذا النوع الآن لأغمي عليك.

والشاهد من هذا: أنني كنت أركب القطار البلدي من البيت إلى المدرسة، وإذا باثنين في المقعد المقابل أخرج أحدهما جريدة الداعي من جيبه وأخذ يقرأ، فقال له زميله: لا تقرأ هذه، صاحب هذه الجريدة عميل، وهذه جريدة استعمارية، وكان يتكلم وأنا مندهش، وأتساءل من أين جاء بهذا الكلام؟ فهي والله ليست استعمارية ولا غيره، وأنا صاحبها، وأنا أرى هذا ولست بأعمى، فمن أين أتى بهذا الكلام؟ ووالله ما زال العرب والمسلمون على هذا النمط إلى الآن، يتكلمون بما لا يعلمون، فلا تقل يا عبد الله! كلمة حتى تستأذن ربك أيأذن لك أم لا؟ وتتنظر هل فيها خير أم شر؟ فلا تقتر وتكذب وتقول ما لا تعلم وتصرف المؤمنين عن دعوة الحق، وما تأخرت دعوة الإصلاح في العالم الإسلامي إلا لهذه المناوات، فإذا كنت مؤمناً فتكلم بما تعلم، (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت). ونحن مزقنا الجمعيات، ومزقنا الأعراض، ومزقنا الدعوة، وشنتنا المسلمين بالكلام فقط، وأقمنا حرباً كلامية، والعلوم ينفع بعضها بعضاً، ولو غششتكم لمشينا في القراءة، وقرأنا الكلام المكتوب والسلام عليكم.

[كما أن عيب المؤمن أو احتقاره أو الهزاء به أو السخرية منه محرمة] والناس لا يعرفون هذا [وفاعلها فاسق إن لم يتب من ذلك] فقد قال تعالى: بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان [الحجرات: 11].

وإن شاء الله لا يبقى مؤمن يستهزئ بمؤمن، ولا يسخر منه، ولا يحتقره، ولا يعيبه، ولا يكذب عليه من الحاضرين وجميع المسلمين [ولنقرأ قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ [الحجرات: 11]] فبعد ما كان عبد الله المؤمن أصبح الفاسق، وأقبح اسم هو هذا، فالفاسق هو الذي خرج عن طاعة الله ورسوله، ولم يمتثل الأمر ولم يجتنب النهي، بل فسق كما تفسق الحبة من جحرها، وخرج عن النظام [وَمَنْ لَمْ يَنْتَبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الحجرات: 11]] فيا أيها المستمعون والمستمعات! [ألا فلنحذر إساءة الأدب مع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإذا ذكر الله تعالى أو تلى كتابه يجب أن نصغي ونخشى، ولا نرفع أصواتنا أو نضحك، وإذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو حديثه يجب أن نصغي، ويظهر علينا إجلاله واحترامه، وحيه وتقديره، وهذه ثمرة هذا النداء الإلهي الذي أكرمنا الله تعالى بحفظه وفهم معناه، فلنجتنبها ولننتفع بها، ولنحمد الله تعالى عليها ونشكره، وهو أهل الحمد والشكر والثناء.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].
معاشر المستمعين! اعرّفوا وجوب الأدب مع الله ورسوله والمؤمنين، وبخاصة رسول الله والمعلمين والمربين والأمراء السائدين، فلنأخذ بهذا الأدب، ورزقكم الله هذا الأدب وغيره، والسلام عليكم ورحمة الله. وجوب التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم باختيار الألفاظ المناسبة عند مخاطبته

قال: [واعلم أيها القارئ لهذا النداء أن الله تعالى إذا نادى عباده المؤمنين إنما يناديهم ليأمرهم بما فيه سعادتهم وكمالهم، أو لينهاهم عما فيه شقاؤهم ونقصانهم، أو [يناديهم] ليشركهم، أو ينذرهم، أو ليعلمهم ما ينفعهم] وصدقوا هذا الكلام، فهو والله لكما سمعتم، فاقبلوه ولا تردوه؛ لأن الله تنزه عن اللهو واللعب والباطل، فهو أيها المؤمنون! لا ينادي لا لشيء، فهذا مستحيل، فلهذا إذا سمعت القاري يقرأ ولو في الإذاعة أو الراديو وأنت تمشي: (يا أيها الذين آمنوا!) فأعطها أذنك، واسمع، فأنت منادى يا عبد الله! إن كنت مؤمناً، وإذا كان الإيمان صورياً فقط فليست بالمنادى، لأن الله ينادي الأحياء لا الأموات [ولنستمع إلى عبد الله بن مسعود] الهذلي [رضي الله عنه وقد قال له رجل] من عامة الناس: [اعهدي إلي يا عبد الله!] هذا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وممكن بعد وفاة أبي بكر و عمر ، وهذه الكلمة لا نقولها نحن الآن، فمن منا ذهب إلى الشيخ عبد العزيز بن باز وقال: يا سماحة الشيخ! أنا مسافر فاعهدي إلي بشيء؟ فلن يقول هذا إلا عبد لو قال له: أمرك بكذا لفعل ولو تمزق، ولو قال: أنهاك عن كذا لتركه ولو ضاعت حياته، لأنه طالب للهداية، وراغب فيها، لا أننا نصبها صلباً عليه وأذناه لا تسمعان، بل هو مستعد للعمل.

وقوله: اعهدي إلي يا عبد الله ! أي: أوصني بشيء أقوم به يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم! [فقال له: إذا سمعت الله [تعالى] يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فأعربها سمعك [أي: أعطها سمعك، من الإعارة، والإعارة معروفة، ويا ليتني أختبر بعض الأبناء هنا وهو غافل ونحن نقرأ: (يا أيها الذين آمنوا) ونرى هل يسمع أم لا؟ وأنتم تسمعون في الإذاعة .. في الراديو .. في كل جهة القاري يقرأ، فإذا سمعت: (يا أيها الذين آمنوا) فاستمع حتى يكمل؛ لتعرف ما المراد، فإذا قال: اتقوا الله، قل: اللهم أطعنا واثقينا أو وفقنا، وإذا قال: لا تشربوا الخمر فلا تشربها [فإنه خير يؤمر به، أو شر ينهى عنه] فأوجز له العبارة، ونحن زدنا أكثر من هذا، فزدنا: أو علم يعلمك، أو بشارة يبشرك، أو شر ينذرك، وهو أوجز له، فقال: إما خير يأمرك به أو شر ينهاك عنه [وقد نادى الله تعالى عباده المؤمنين في هذه الآية] أي: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة: 104]] لينهاهم عن كلمة راعنا، ويرشدهم إلى كلمة انظرنا] فاعرفوا هذا [وذلك لأن المنافقين من اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: راعنا، وهي في لغتهم العبرية بمعنى الاستهزاء والسخرية] فنهاهم عن كلمة راعنا؛ لأن فيها سوء الأدب مع رسول الله، وأمرنا ببديلها، وهو: انظرنا؛ لأن مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد كان يجلس فيها منافقو اليهود والعرب، والمنافقون يظهرون أنهم مسلمون، وكانوا يصلون وقلوبهم لا تؤمن بالله ولا بلاقائه، ولا برسول الله ولا بكتابه، بل هم كفار كبلايين الكفار، ولكن اضطرتهم الظروف إلى أن ينافقوا حتى تحفظ دماؤهم وأموالهم، هذا هو السر، فهو لاء المنافقون من اليهود يقولون: راعنا يا رسول الله! حتى نفهم، ولا تستعجل، وشوهدها يدخل أحدهم رأسه في ثيابه ويضحك مع زميله؛ لأنها في اللغة العبرية كلمة استهزاء وسخرية، فوجدوا نظيرها في العربية فاستغلوها، وكان العرب المسلمون لا يعرفونها؛ لأن هذه الكلمة واضحة عندهم، فراعنا عندهم بمعنى: أمهلنا حتى نسمع ونفهم، فكانوا يقولونها، ولما يقول أبو بكر أو عمر : راعنا يا رسول

الله! كان اليهودي يدخل رأسه في ثيابه ويضحك، وهذا من مكر اليهود [فكانوا بذلك يستهزئون بالرسول صلى الله عليه وسلم ويسخرون منه، والاستهزاء بالرسول والسخرية منه كفر، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوا للرسول صلى الله عليه وسلم إذا جلسوا إليه يتعلمون الكتاب والحكمة: راعنا، وليقولوا بدلها وهي في العربية بمعناها: انظرنا، بمعنى: أمهلنا ولا تعجل علينا؛ حتى نحفظ أو نفهم ما تقول لنا] ومن هنا أنزل الله تعالى هذه الآية تحمل هذا النداء: لا تقولوا بعد الآن راعنا، وقولوا: انظرنا؛ لأن الله عز وجل لا يحب أن يؤذى رسوله، وقد قدمنا ما سمعتم من أن أذية الرسول كفر ولو بالكلمة، فالمستهزئ برسول الله لا يبقى له إيمان يدخل به الجنة، فهذا مستحيل.

ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاث مرات، حتى إذا سلم يسلم ثلاث مرات، لأنه أمر بالبلاغ، ويمكن أن المرة الأولى ما فهم كلامه أو ما سمع، فكان إذا تكلم تكلم ثلاثاً، وإذا سلم سلم ثلاثاً، صلى الله عليه وسلم [وأمرهم بالإصغاء والسماع عند تلقي العلم والمعرفة والتأدب في ذلك] كما نحن الآن والحمد لله، فأنتم على منهج رسول الله وأصحابه، فليس هناك من يغني الآن بيننا، أو من يقول: دعني أنام [وأعلمهم أن للكافرين وهم المستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم والساخرون منه من اليهود وغيرهم عذاباً أليماً، أي: شديداً موجعاً، وقد ينالهم في الدنيا قبل الآخرة.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 2

إن المؤمن في طريقه إلى ربه تعترضه العقبات، وتواجهه المحن والصعوبات، من أجل ذلك فهو يحتاج إلى ما يقويه في هذا الطريق، وما يشد عضده في هذا السبيل، وقد وجه الله عباده أن يستعينوا بالصبر والصلاة، فهما زاد للسائر إلى ربه، فما أوتي أحد من الخلق خيراً من الصبر، والصلاة تولد نوراً في القلب لا تولده عبادة غيرها. الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن جل جلاله وعظم سلطانه، هذه النداءات الرحمانية والتي بلغت تسعين نداءً، وقد ذكرنا أمس أنها حوت كل متطلبات الحياة، حياة الفرد والجماعة، بل حياة الأدميين والجنين، وعجبنا من أنفسنا أن ينادينا ربنا ونحن عبيده، وأن ينادينا سيدنا ونحن مملوكون له، وأن ينادينا حبيبنا ونحن أحبائه، ولا نصغي ولا نسمع، ولا نعي ولا نفهم ماذا أراد منا، فهذا أمر يثير في النفس العجب، وسل المؤمنين والمؤمنات هل عرفوا نداءات الرحمن لهم؟ واذكروا لنا نداءً واحداً قلنا فيه: سمعاً وطاعة ربنا، فمرنا نطيع، وعلة هذا هي تلك العلة العامة، ألا وهي الجهل، فضعف إيماننا وعملنا، فنحتاج إلى طاقة دافعة وإلى نور هادي، والطريق إلى تحصيل ذلك هو أن نجتمع مثل اجتماعنا هذا في بيوت ربنا من المغرب إلى العشاء كل ليلة في كل قرية ومدينة في ديارنا الإسلامية وطول الحياة، نتعلم الكتاب والسنة، والنساء وراء الستار، ومكبر الصوت بينهن، والأطفال بين الرجال وأمهاتهم، فهذا هو سبيل النجاة، وهو طريق العلم، وهو الذي يبعد عنا ظلمة الجهل التي أسرتنا وكبلتنا وقيدتنا، وتركنا ضائعين كالمجانين، وليس من حق أحد أن يقول: كيف نعطل حياتنا ونقبل على طلب العلم طول أعمارنا؟ لأننا رأينا اليهود والنصارى والمشركين والبلاشفة والكافرين يشغلون إلى غروب الشمس، فإذا غربت الشمس غسلوا أيديهم ولبسوا أحسن ثيابهم وذهبوا إلى الملاهي والمقاهي والمقاصف والمراقص؛ حتى يقضوا ساعاتهم فيها، وهم كالبهائم، ولم يقولوا: لن نترك الدنيا، ونحن الربانيون الذين نريد أن ننزل الملكوت الأعلى يصعب علينا أن نغلق هذه الدكاكين الخربة، وهذه الأعمال الباطلة ما بين المغرب والعشاء؛ لننتعلم ونذهب الجهل عن قلوبنا وأنفسنا؛ حتى نعرف حقيقة المعرفة ديننا، فنكمل ونسعد ونتهيأ للملكوت الأعلى. وها نحن الآن مع النداءات الرحمانية، وأول نداء من نداءات الرحمن جل جلاله وعظم سلطانه كان أمس، وهو قوله تعالى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة:104].

هذا الحديث الإلهي والنداء الرباني علمنا الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيجب أن نتأدب مع نبينا صلى الله عليه وسلم، فقد قال له المؤمنون: راعنا عن حسن قصد وعدم علم، ولما كانت الكلمة تحمل معنى السخرية والهزاء والاستهزاء في لغة اليهود العبرية حرم الله تعالى على المؤمنين قولها، فقال: لَا تَقُولُوا [البقرة:104]. وبعد هذا النهي من قالها خرج من ملة الإسلام، ونحن - والحمد لله - لسنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نتعلم الكتاب والحكمة بين يديه؛ إذ حرماننا هذا، وما كنا أهلاً له، وقد فاز به أولئك الصالحون، ولكن معنا خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يبلغون رسالته، ويعلمون الكتاب والحكمة، فلنتأدب معهم، فلا يجوز أبداً لي أن أقول لمرب: راعني؛ لأن الله قال: لَا تَقُولُوا رَاعِنَا [البقرة:104].

بل قل: انظرني من فضلك حتى أفهم، وأمهلي حتى أعني ما قلت، وأما راعنا أو راعني فلا. ومضى رسول الله ومواكب الكمال معه، ونحن نتأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا ذكرناه فلنذكره بإجلال وإكبار واحترام، وإياك أن تذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، أو يحدثك أحد برسول الله وترفع صوتك وتضحك، أو تلتفت يميناً وشمالاً، بل تأدب كأنك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولنتأدب مع مربينا .. مع

معلمينا .. مع موجهينا .. مع مرشديننا .. مع أمرينا وناهينا، هذه آدابنا السامية الرفيعة التي أكسبناها الله بمثل هذا التوجيه الإلهي.

وقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا [البقرة:104]، أي: أطيعوا واسمعوا ما يقال لكم .. ما يوجه إليكم .. ما تدعون إليه .. ما تؤمرون به، فلا تغفل .. لا تعرض .. لا تدبر، بل إذا نوديت بنداء الحق فأقبل واسمع وأصغ وافهم واعمل؛ لأنك تنتهياً لأن تصبح مع مواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وذكر لك أننا لو نصلي بهذا النداء الذي تعلمناه النوافل طوال اليوم، فإن هذا النداء يرسخ في نفوسنا، ويصبح من الضرورات عندنا ومن المحفوظات، وهذا النداء يكفي أن تصلي به الظهر، بل الصبح، ومن باب أولى النوافل، والذي أشير إليه أننا ما زلنا غافلين، لم نعط هذا النداء ولا الذي بعده قيمتهما، وسواء نحفظهما أو لا نحفظهما غير مهم، وهذا والله ما يليق بنا، ونحن أولياء الله.

وإن شاء الله قد أصبح وأمسى محفوظاً لدى المؤمنين، ومن كان قليل الذهن حسيراً فشأنه وأمره إلى الله، فتراه يسمع حكاية ويعيدها بالحرف الواحد، أو يسمع أغنية فيحفظها ويتغنى بها، وإذا سمع نداء ربه إليه لم يحفظه ولم يبال به، وهذا لا يسوغ.

المقصود بالصبر والصلاة في النداء

والنداء الإلهي الثاني لعباد الله المؤمنين مضمونه وفحواه هو: الحث على الصبر والصلاة؛ إذ بهما العون بإذن الله، فمن أراد أن يعان على أمور دينه ودنياه فالعون يأتي من الله، والله وضع هاتين العظيمتين، فمن أخذ بهما وصل إلى غايته وفاز بمبتغاه.

أما الصبر فهو: أن تحبس نفسك وهي كارهة، ولا تتملل أو تتضجر أو تصرخ، واضغط عليها وواصل عملك حتى تنتهي منه وتفوز به، فالصبر حبس النفس وهي كارهة على فعل ما أمر الله به، وعلى ما يجب أن تقوم به من الأعمال الصالحة، وحبسها عما يشينها، وعما يخبثها، وإبعادها كل البعد عما حرم الله عليها ونهاها عنه من قول أو اعتقاد أو عمل أو سماع أو نطق، ويدخل في هذا كل عمل، فاحبسها وواصل مسيرتك فإنك ناجح بإذن الله، فمثلاً وأنت تخطط ثوبك إذا لم تصبر على خياطته وتحبس نفسك عليه فسوف تمل وتتركه ولا تكمله، وإذا كنت تبني جداراً فإذا لم تصبر وتوالي البناء فسوف تتركه ولن تكمله ولن تنتفع به، وإذا كنت ماشياً في طريقك فقد تضجر وتمل نفسك، فتعود وترجع إلى الوراء، ولن تكمل عملك، وإذا كانت مسحاتك في يدك تقلح الأرض بها فإذا لم تصبر وثبتت فلن تستطيع أن تتم عمليتك في بستانك.

وأما الصلاة: اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ [البقرة:153].

فالمراد من الصلاة معاشر المؤمنين والمؤمنات! هذه العبادة التي شرفنا الله بها، وهي خمس صلوات في اليوم واللييلة، وهي: الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، فهذه الصلاة أكبر عون على تزكية النفس وتطهيرها، وأكبر عون على النهوض بالتكاليف والواجبات، وأكبر عون على التخلي عن المنهيات والمحرمات، وحسبنا أن يجعلها الله تعالى بين أيدينا معينة على أن نواصل مسيرتنا إلى باب رضاه، وإن كان تعالى قال: وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ [البقرة:45].

فإقامة الصلاة كبيرة إلا على الخاشعين، ومعنى هذا: إذا لم تخشع في صلاتك وصبرت على أدائها بدون خشوع أيضاً فإنها لا تنتج الطاقة المطلوبة من النور الذي به تهتدي إلى فلاحك ونجاحك؛ إذ قال تعالى: وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ [البقرة:45].

فلنخشع في صلاتنا.

ومن مقتضيات الخشوع بل من موجباته ومسهلاته: أن تذكر أنك واقف أو جالس بين يدي الله تعالى، وهو والله كذلك، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (المصلي يناجي ربه).

فالمصلي يتكلم بالسر مع سيده ومولاه، فإذا ذكرت هذا فيمكنك أن تخشع.

ثانياً: اذكر لقاءك لربك غداً أو بعده وأنت راحل لا محالة لتقف بين يدي الله، واذكر أن من الأدب أن من جلس مع أحد يتكلم معه ويساره الكلام ويناجيه لا يذهب بعقله ويشرد بقلبه، ولا يلتفت برأسه أو بعينه، فإقامة الصلاة أكبر عامل من عوامل تزكية النفس وتطهيرها.

وقد بكينا وقلنا: لو أقام المؤمنون الصلاة في بيوتهم .. في مساجدهم .. في مدنهم وقراهم لم يبق من نسبة الظلم والشر والخبث والفساد أكثر من خمسة في المائة، وكل ذلك ينتهي، وقلنا وما زلنا نقول: على الحكومات الإسلامية أن تفرض الصلاة على مواطنيها فرضاً إلزامياً على المدنيين والعسكريين، وهذا يخفف عنها عبء السرقات والجرائم والتلصص والعهر والفجور والباطل، وهذه عقدة أرهقت الحكومات الإسلامية.

وأنا أسألكم ولو كنتم عواماً مثلي: لو يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيتك ويجد عاهرة تغني بصوتها الفاتن وتلوح بيديها وترقص، أو يدخل ويجد كافراً ملحداً شيعياً كافراً صليبيّاً في بيتك يتكلم ويتبجح بصوته وصوته وامراتك تنتظر إليه، وبناتك العوانس ينظرن إلى ذلك الفحل، فماذا يقول رسول الله؟ فهل هذا بيت مسلم مؤمن؟ والله ما قال ذلك ذو علم ولا عقل ولا بصيرة.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (من نابه شيء في صلاته) كأن يقرع أحد الباب عليه (فإذا كان رجلاً فليقل: سبحان الله)، حتى يفهم من على الباب أنه مشغول بالله، (وإذا كانت امرأة تصفح)، أي: تصفّق، ولا تسبح الله لأن صوتها عورة، ولأن ذلك حرام عليها، حرمة مولاها وسيدها، وحرمة عليها لأنه لا يقبلها وهي خبيثة منتنة عفنة إلا إذا طابت وطهرت، وصوتها يغرقها في الشهوات والمعاصي ورب الكعبة، وما كان زناً إلا بعد الصوت والكلام، قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ [الأحزاب:59].

وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ [الأحزاب:53].

فافهم هذا، ولا تسمح لبناتك أو لأولادك الشبان أن يشاهدوا عاهرة تغني وترقص بين أيديهم؛ فإنهم تذوب قلوبهم، وتتمزق غرائزهم، ويقعون صرعى في محنة الشهوات التي لن يفلح صاحبها إلا إذا طاب وطهر.

وكوننا ما بلغنا هذا ولا سمعنا به مع أن القرآن لم يرفع وهو محفوظ في الصدور ومكتوب في السطور لأننا هجرنا بيوت الله، ولم نستطع أو نقدر أن نجلس أبداً بين المغرب والعشاء، والذين يجلسون لنا أيضاً نأكل لحومهم ونكسر عظامهم ونصرف الناس عنهم، ونتهمهم بأن هذا وهابي، وهذا مريض، وهذا كذا، فشتتنا جماعتنا، هذه عللنا وأسقامنا وأوجاعنا في الشرق والغرب يا أبناء الإسلام! واعلموا أن كل ما يصيبنا في أي بلد، فهو والله بذنوبنا، ولن ينجو أي مكان من مصائب وويلات تنزل سواء طال الزمان أو قصر؛ لأن الله عليم حكيم، وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ [الشورى:30].

ونحن نعرض عن الله وذكره وطاعته، ونريد أن نسلم من العاهات والأسقام والأوجاع والفتن والتكالب على الدنيا وفقد الحياء والأدب وفقد الكمال الروحي، حتى أصبحنا كالبهائم إلا من رحم الله.

الاستعانة بالصبر والصلاة

الآن مع النداء الثاني: [النداء الثاني: في الاستعانة بالصبر والصلاة الآية (153) من سورة البقرة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة:153]] آية سهلة، أحلى من الحلوى وألذ من العسل في القلوب المؤمنة وعلى الألسنة الطاهرة التي لم تلغ في أوساخ الغيبة والنميمة والكبر والباطل، فليشر الصابرون بأن الله أخبر أنه معهم، والحمد لله، وإذا كان الله معنا فلن يخذلنا، ولن يقدر أحد أن يهزمنا أو يعلونا أو يتسلط علينا، لا إنسي ولا جني؛ لأن الله معنا، ولكننا لم نحقق الصبر، مع أن الله يقول لنا: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة:153].

لا مع الجزعين الفاشلين المنهزمين الهاربين في ميادين الحياة.

الاستعانة بالصبر والصلاة يهذب النفس ويحملها على فعل الطاعات والخيرات

وهنا أيها القارئ المستمع! يجد المؤمن نفسه في حاجة ماسة إلى عون إلهي كبير حتى يحقق التقوى المتوقفة على العلم [أولاً، وعلى [كيفية العمل، وأدائه على الوجه المطلوب المحقق لزكاة النفس وطهارتها.

وهاهو ذا الرب تعالى يرشدنا إلى طريق الحصول على عونه لعباده المؤمنين، فيقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة:153].

فعلى كل مؤمن ومؤمنة أن يستعين بالصبر، وهو حبس النفس على طلب العلم؛ حتى يعلم ما يحب ربه وما يكره، وكيف يؤدي المحبوب على الوجه الذي يرضي الله تعالى، وحبسها [أي: النفس] على فعل الطاعات حتى تؤديها على الوجه الذي يثمر زكاة النفس وطهارتها، وحبسها بعيدة عن المحرمات والمنهيات، وحبسها [أيضاً] على مجاري الأقدار فلا تسخط ولا تجزع، ولكن ترضى وتصبر، بهذا الصبر يستعين المؤمن، والله معه ناصره ومؤيده، وكما يستعين المؤمن بالصبر يستعين بالصلاة، كما أمره الله تعالى، والاستعانة بالصلاة تكون بأدائها في أوقاتها، مستوفاة الأركان والشروط، وبأهم أركانها وهو الخشوع فيها، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم (إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة) [وقد ذكرت لكم حديث ابن عمر على دابته أو راحلته ما بين مكة والمدينة، والطريق والمسافة بينهما عشرة أيام، فقد جاءه ركب وقال: يا عبد الله! أعظم الله أجرك! توفيت امرأتك، فنزل من على دابته وكبر الله أكبر وصلى وهو يبكي، ف قيل له: ماذا يا عبد الله؟! قال: سمعت رسول الله أو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)].

فيا أيها الذين يغضبون فيطلقون نساءهم سبعين مرة في العام - ولعلمهم غير موجودين- أقول لهم: عندما تؤذيك امرأتك وتشتعل نار الغضب فيك ادخل في الصلاة، ولا تسب ولا تشتم ولا تغضب، حتى تفرغ من الصلاة ولا تتكلم كلمة، حتى ولو كانت المرأة شريرة، فإذا أغضبتك فادخل في الصلاة، فلا تخرج من الصلاة إلا وأنت هادئ، وأما أن تسبها ثم تقول: أنت طالق بالثلاث، فهذا لا ينبغي، ونحن نفعل هذا لأننا ما ربينا في حجور الصالحين، ولا يمكن أبداً لشخص يعيش في بيت يسمع الأغاني والأباطيل أن يرشد ويكمل، فهذا لا يمكن، ومعنى هذا: هيا بنا نحول بيوتنا إلى بيوت النبوة، لا تسمع فيها إلا كلمة الله [إذ الصلاة تولد نوراً للقلب ولا تولد عبادة غيرها، وصاحب نور القلب لا يقع في غضب الله تعالى بترك واجب ولا بفعل مكروه، وهذا هو العون المطلوب بالصبر والصلاة، والله مع الصابرين بتأييدهم ونصرتهم بعد وقايتهم، وحمايتهم من كل مكروه.

فاللهم اجعلنا منهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين [.

وصل اللهم على نبيينا محمد وآله وصحبه وسلم.

تشریف الله تعالى للمؤمنين بنداؤه لهم

الآن نشرح هذا النداء بعد أن حفظناه إن شاء الله: [اذكر أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد] وقلنا: والمستمع لأن أمتنا كلها لا يقرأ، فالذي يقرأ على آخر - لا يحسن القراءة- فإن هذا المستمع يستفيد كما تستفيد أنت، كأن تكون في البيت وواحد يقرأ والباقي يستمعون، فاذكر يا هذا! ولا تنسى [قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه] وقد سمعنا هذا القول أمس، وهو قول عبد الله بن مسعود للرجل الذي قال: اعهد إلي وأوصني، فأنت صاحب رسول الله، فأعطني نوراً وهداية، واعهد إلي بشيء، فقال له: [إذا سمعت الله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فأعرها سمعك] أي: أعطها أذنك، ولم يقل: أعطها أذنك لأن هذه في جهة وهذه في جهة، فلا يمكن الجمع بين الأذنين، بل أعطها أذنًا واحدة فقط، واصغ إليها [فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه] فوالله العظيم ما سمعت (يا أيها الذين آمنوا) إلا وبعدها خير يأمر الله به، أو شر ينهى الله عنه؛ لأن الله عليم حكيم، ولأنه رب العالمين، ولأنه هادي الناس أجمعين، فهو لا يناديهم ليلهو ويلعب بهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [أو بشرى يزفها، أو خطر يحذر منه] وهذا مع كل نداء، فيا من يسمع النداء فأعره سمعك، واعلم أنه ما ناداك مولاك وربك وإلهك إلا ليأمرك بخير أو ينهاك عن شر، أو يبشرك بخير فأبشر، أو يحذرك من خطر فأحذر؛ لتسلم وتتجو [فإذا أمرك فافعل، وإذا نهاك فانته، وإذا بشرك فأبشر واحمده، وإذا حذرك فأحذر، وانج بفضلته] تعالى لا بقدرتك.

[واذكر أيها القارئ والمستمع! أن نداء الله تعالى لك بإيمانك شرف لك وأي شرف؟] ولو ينادي أحداً رئيس الجمهورية أو صاحب الجلالة الملك أو السلطان فإنه يطير من الفرح، ولست واهماً، فلو قال لك: تعال عندنا للضيافة فإن المدينة لا تتسع لك من شدة الفرح، ونحن ينادينا ربنا ولا نلقي لندائه بالاً، ولا نشعر أننا أشرف ولا كرام، وأنه لا يوجد على الأرض من هو خير منا.

فيا أيها المؤمنون! ويا أيها المؤمنات! إن الواحد من أهل الأرض من المؤمنين يزن ما على الأرض كلها من الكافرين، فمن أجل مؤمن واحد يقضي الله بأن يقتل إقليم كامل من الكافرين من أجل هذا المؤمن، ولكننا ما عرفنا قيمتنا [وإلا فمن أنت حتى يناديك رب العالمين!] فنحن لم نعرف قيمتنا، وسأبين لكم ذلك، أقوى رجل فيكم لا يساوي بعوضة، و(إن الله ملكاً عنقه ملوي تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة).

وجبريل رسول رب العالمين لرسله وأنبيائه لما تجلى في صورته الحقيقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جباد بعدما نزل من غار حراء سد الأفق بكامله؛ إذ له ستمائة جناح، وهؤلاء الملائكة إذا تكلم الجبار يغمى عليهم، واقرأوا ذلك من سورة سبأ: حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [سبأ:23].
بعدما يفيقوا، وأنت يا بعوضة! من نحن حتى ينادينا رب الأرض والسماء [واذكر أن شرفك كان بالإيمان به تعالى وبلقائه وملائكته وكتبه ورسله، وقضائه وقدره] فهذا سبب الرفة.
أهمية الإيمان في حياة العبد

وافهم يا عبد الله! وافهمي يا أمة الله! [أن الإيمان] بالله ولقائه وكتبه ورسله وقضائه وقدره [بمثابة الروح للإنسان] وأي جسم من هذه الحيوانات إذا فقد الروح لا يتحرك ولا يبقى حياً، فإذا خرجت الروح من الدجاجة فإنها لا تتحرك، وإذا خرجت من العنزة أو من البقرة أو من القملة فإنها تموت، وكذلك الإيمان كالروح للجسد [فالمؤمن بحق حي] فإذا آمن عبد الله أو أمته حيي، وأصبح يعي ويسمع ويفهم ويأخذ ويعطي [والكافر ميت] فإذا كفر ولم يدخل في الإيمان قط فإنه لا ينهض بواجب ولا ينتهي عن حرام، ولا يسمع نداء ولا يقبل صوتاً، بل هو ميت [فاحمد الله تعالى على نعمة الإيمان]، الحمد لله أن جعلنا مؤمنين.
أهمية تقوى الله عز وجل

[واطلب التقوى] وعجل في ذلك [وحققها] فإنك متى اتقيت الله [تظفر بأعظم مطلوب] وتفوز بأعظم فوز [ألا وهو ولاية الله] سبحانه [وتعالى لك، فإن من والاه الله أكرمه وما أهانه، وأسعده وما أشقاه] ونحن لا نشك في هذا والعياذ بالله [واسمع قوله تعالى في أوليائه] في سورة يونس عليه السلام: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62] فلا أحد يحزنهم أو يخيفهم [الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63]] فإذا حصل الإيمان فقد بقي التقوى، أي: نصف الطريق، وكيفية التقوى أن لا ننطق إلا بالكلمة التي سمح لنا أن ننطق بها، ولا نأكل إلا اللقمة التي أذن لنا فيها، ولا نشرب ولا نشم إلا ما سمح لنا به، وينبغي أن نعرف ما الذي سمح لنا به، وهنا لابد من المسجد بيت الرب الذي يعلمنا الكتاب والحكمة، وإلا فلن نتعلم [لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [يونس:64]] والبشرى أخبرنا رسولنا صلى الله عليه وسلم بأنها الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له، فلا تموت حتى ترى مقعدك في الجنة، والذي تباطأت الرؤيا عنه ينتظر، وإذا قال الطبيب: أخوكم انتهى أمره وهو علي سرير الموت، فإن في ذلك الوقت مواكب تنزل من السماء فرحاً بهذه الروح الطاهرة، واقرأوا قول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ [فصلت:30] فأبشروا [أرايت كيف بين الله تعالى من هم أولياؤه بقوله: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63].

فاعمل أيها المؤمن القارئ والمستمع! على تحقيق التقوى، واعلم أن التقوى هي طاعة الله ورسوله بما أوجبا من الأوامر، وما حرما من المناهي، وذلك بعد معرفة العبد المؤمن أوامر الله ورسوله ونواهيهما [وهي كثيرة وشاقة على النفس] وهذه المعرفة تتطلب جهداً كبيراً، كما أن النهوض بفعل الأوامر - وهي كثيرة وشاقة على النفس - يتطلب جهداً أكثر من جهد المعرفة [.

المشقة في ترك المنهيات لا تعادل المشقة في فعل الطاعات

قال: [وأما ترك المنهيات فإنه وإن كان لا جهد فيه ولا مشقة ولا معاناة] مثل لما تركنا التدخين منذ نعومة أظفارنا لم يحصل لنا تعب، وعندما لم نسب مؤمناً ولا مؤمنة طول الحياة لم يحصل لنا إعياء ولا تعب، فترك المعاصي راحة، ليس فيه مشقة، وإنما المشقة أن تسرق أو تسب وتعرض نفسك للدمار، وأما كونك تترك السرقة أو الزنا أو المعاصي فهذا ليس فيه مشقة، وإنما المشقة في كونك تحلق وجهك بالسكين، وإحضار الماء والصابون لذلك، وإذا

تركت لحيتك ليس في ذلك أية مشقة، دلوني عليها، فالمشقة في الحلق لا في الإعفاء، وبعض أصحاب المال لا يخلق بنفسه، وإنما يمشي إلى الحلاق، وهناك حلاق لوجوه الفحول، أعود بالله منه، ويأخذ منه مبلغاً يعيش به فقير ثلاثة أيام أو أربعة.

من هذا نعلم أن النواهي أو المنهيات تروك ليس فيها مشقة، ولا عذر لك يوم القيامة أنت تقول: أنا ما استطعت، فأنت تستطيع أن تترك الكذب [إلا أن النفس الأمارة بالسوء واللومة معاً تضغطان على العبد حتى ترغماه على فعل المنهي إلا أن يجد العبد من الله عوناً] وقد قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة:153].

وهذا عون [فإنه يسلم من التلوث بأوضار فعل المنهي عنه، ويحتفظ بطهارة روحه التي هي مفتاح دار سعادته. عاقبة الصبر إلى خير

وقد صبر أبو عبد الرحمن فروخ -وهو من كبار التابعين- والد ربيعة الرأي شيخ مالك خمساً وعشرين سنة، فقد ترك امرأته عند المسجد حاملاً بربيعة وحمل سلاحه، وركب جواده، وأخذ يتنقل في المعارك التي هي معارك الفتوحات من إقليم إلى إقليم مدة خمس وعشرين سنة، ثم رجع، ففرع الباب بسيفه فأبوا أن يفتحوا، فاجتمع عليه عجائز الحي والأطفال يرون هذا الذي يسيء الأدب ويدخل بيت الناس بدون إذن، فقال: أنا صاحب البيت، فلم يعرفوه، فسمعت امرأته صوته، فقالت: افتحوا، ادخل، فسألها: أين من كان في بطنك؟ قالت: هو في المسجد، وحوله من الأندلس والعالم الآلاف يتلقون السنة وهو يملئها عليهم، وهم يكتبون، فمر أبو عبد الرحمن بالحلقة من بعيد وجلس حتى أكمل الدرس، فمدة خمسة وعشرين سنة لم يفكر في هذه الغرائز الهابطة التي تكالب عليها النساء والرجال، ولا عرف فرجاً حراماً، ولا شاهد عاهرة خبيثة منتنة؛ لأنهم ما كانوا يشاهدون باطلاً ولا يرون منكراً، ولا يسمعون.

ونحن الآن هيجنا شببيتنا وفتياتنا بما نعرض عليهم ونسمعهم، حتى أصبح ينزو بعضهم على بعض، لا إله إلا الله، فقد انتحرننا بأيدينا، ومزقنا مجدنا وكمالنا، ورضينا بالهبوط فهبطنا، وإلى الآن لا نشعر بذلك، وكلامي هذا لو يسمعه يهودي عاقل أو فرنسي يفكر، ولكن الكثيرين من المسلمين لما يسمعون الكلام هذا يضحكون ويسخرون منه، ويقولون: هذا عميل .. هذا ذنب .. هذا كذا، هذا حال الأمة، فكيف نرقى وقد حططنا كل سلم لنا، ورضينا باللصوق بالأرض؟ فلنصبر على شهواتنا، ونبعد أنفسنا عن التهالك، والزنا بنساء الآخرين، وإفساد الآخرين، وكل هذا واقع، وقد امتلأت الدنيا بهذا الخبث.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة:153].

فنستعين بهما على أي شيء، فنستعين بهما على ما نهض به من التكاليف، وعلى ما نقوم به من الواجبات، وهي هامة وعظيمة، فإذا لم يعن الله عليها لما أقمناها ولا قمنا بها، فوضع الجبار لنا هاتين القاعدتين، وبهما نرتفع، فاصبر على الجوع ولا تمد يدك، واصبر على الغريزة ولا تفتح عينيك، واصبر على البرد ولا تسرق ثوب أخيك، واصبر في جميع أمورك، والله معك وسوف تنجح، واصبر على صيامك وعلى قيامك وعلى ذكرك لربك وعلى مناجاتك لمولوك، وعلى التكاليف، وعلى المشاق، وعلى الأحمال، وعلى السفر، وعلى المرض، وعلى كل ما تحتاج فيه إلى عون من الله عز وجل، والله معك، ولن تخيب أبداً، ولهذا حذف هذا الذي نستعين عليه، ولم يحدد ما هو؛ لأنه ليس شيئاً واحداً، فاستعينوا بالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ [البقرة:153] على كل المشاق والأتعاب والتحملات والحياة بكاملها، حتى على صلاتك من افتتاحها حتى السلام منها وأنت مع الله، وإلا فإنك تلعب وتقضي حاجاتك وأنت بين يدي الله، فتخرج من صلاتك وليس لك منها جراماً واحداً، أي: ليس فيها ولا أقل ما يقال من النور، وإنما دخلت في ظلمة وخرجت في أخرى، والدليل أنك تخرج من الباب وأنت تشتم الناس وتسب أو تسرق وتتهب. فاحفظوا هذا النداء الكريم، فمن حفظه فهو خير له من أن يضع في جيبه خمسين ألف ريال، فالخمسين ألف ريال قد تضيع، بل قد تقودك إلى المعاصي والجرائم، وهذا النور يبقى معك إلى يوم القيامة.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 3

إن الإنسان في هذه الحياة بحاجة إلى المأكل والمشرب، الذي يقيم صلبه ويقوي عوده، وقد أنعم الله على عباده في هذه الدنيا بالكثير من المطاعم والمشارب، وأباح لهم جل هذه النعم، وحرم عليهم بعضها لحكمة بالغة منه جل وعلا، فمن امتثل أمره تعالى وأقبل على ما أحل الله له، وترك ما حرم عليه فقد فاز بنعيم الدنيا على ما ينتظره من نعيم أعظم منه في الآخرة، ومن خالف وتكذب وعصى فقد عرض نفسه لسخط الله في الدنيا على ما ينتظره في الآخرة من العقاب.

الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد: فما نحن مع النداء الثالث من تلك النداءات، وقبل الشروع في دراسة هذا النداء والتعرف إلى ما حواه لنا مما أمرنا به أو نهينا عنه، أو بشرنا به أو حذرنا منه أعيد الإخوان عموماً إلى النداءين السابقين: النداء الأول - معاشر المستمعين! - الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب وفريضة متحتمة وعينية على كل مؤمن ومؤمنة. وحكم إساءة الأدب مع رسولنا صلى الله عليه وسلم نقول كلنا: إنها حرام، ومن تعمدتها فقد كفر، وهذا الحكم جاء به النداء الأول، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة: 104].

فالذين يسيئون الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمداً والله لكافرون، ويكفي قوله تعالى: وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا [النساء: 151].

حكم التلطف بلفظ (راعنا) في البيع والشراء

وهيا نتلو ذلك النداء؛ ليستقر في أذهاننا وتتجلى لنا معانيه فنلتزم بها: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة: 104].

وأحد الصالحين قال لي: يا شيخ! أنا أبيع وأشتري، فأقول لمن يبيعي: راعني، فهل يجوز هذا أو لا يجوز؟ فقلت له: ما دام يبيع ويشترى وأنت تبيع وتشترى فهو ليس معلماً ولا مربياً، فإن قلت: راعنا وفهم منها أنها بمعنى: خفض لنا في السعر أو القيمة، فلا تستطيع أن تقول: انظرنا؛ لأن ذلك بمعنى: أمهلنا، حتى نعي ونفهم، ولا تعجل علينا، وأما هذه فمراعاة خاصة، وهي أن يخفض لك في ثمن البضاعة فلا حرج، والحمد لله أن فهم هذا المؤمن وطبق، وجاء يسأل، وهذا شأن المؤمنين الصادقين.

الأدب مع العلماء والمربين والمعلمين والمرشدين والأمراء والقادة والمؤمنين عموماً

والذين يخلفون رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته هم المبلغون رسالة الله، والمعلمون الكتاب والحكمة بين المؤمنين، وهؤلاء يتعين التأدب معهم، ومن أساء إليهم فقد أساء إلى نبيهم صلى الله عليه وسلم، والمربون والمعلمون والمرشدون والأمراء والقادة الموجهون الأدب معهم كالأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن إساءة الأدب معهم فسق وحرام، ولا تعلق وتصبح كفراً، وإنما ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعلمنا أنه لا يحل لنا أن ننسيء الأدب مع أي مؤمن أو مؤمنة، ولم يأذن لنا ربنا أبداً في أن ننسيء الأدب مع بعضنا بعضاً، فلا تعيير ولا تقبيح ولا هزاء ولا سخرية ولا تكبر ولا ترفع عن المؤمنين والمؤمنات، هذا نظام حياتنا أيها المؤمنون!

الاستعانة بالصبر والصلاة

النداء الثاني - نداء أمس- وهو: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة: 153].

فمن يعاني ويقاسي من فتنة النفس والشيطان والهوى والدنيا نرشده إلى ما يعينه على التغلب على هذه الأعداء ونقول له: استعن بالصبر والصلاة، واحبس نفسك وهي كارهة؛ حتى يأتي يوم تطمئن فيه وتسكن، وتصبح ترتاح لكلمة الخير ولفعل الخير، فلا قلق ولا جزع، ولا سخط ولا غضب، فاصبر عليها، وروضها رياضة الحيوانات. واستعن بالصلاة، فإذا خطر ببالك خاطر سوء فقم واطرح بين يدي الله وكبر الله أكبر، وابك بين يديه؛ فإنه يعينك العون الكافي على أن تخرج من فتنك أو محنتك.

فلازم الصلوات في بيوت الرب تعالى في أوقاتها مع جماعات المؤمنين في بيوت الله، فإن هذا أكبر عون لك في هذه الحياة، واعلم إن الله مع الصَّابِرِينَ [البقرة:153].

ومن كان الله معه فلن يستطيع أحد أن يخذله أو يتغلب عليه أو ينتصر عليه، إن الله مع الصَّابِرِينَ [البقرة:153]. وأما الجزعون القلقون خفاف العقول فإنهم يفشلون في أدنى محنة، ويتمزقون ويتركون الصلاة أيضاً وينطقون بالسوء.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة:153]. وإذا كان الله معهم فلا يقوى عليهم أحد.

ويكون الله معنا إن صبرنا، ولم نفشل ولم نتأخر ولم نهرب، بل نثبت في وجه أعدائنا من الإنس والجن، لا من الجن فقط، ومن صبر فانه تعالى معه، ومن كان الله معه فلن يخذل.

أكل الحلال وشكر الله تعالى على ذلك

قال: [النداء الثالث: في أكل الحلال وشكر الله تعالى على ذلك] فهذا النداء مضمونه: وجوب أكل الحلال ووجوب شكر الرحمن على ذلك الأكل الطيب، وإن كان خبزاً بلا مرق.

[الآية (172) من سورة البقرة: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [البقرة:172]] ولنتغنى بهذا النداء الإلهي؛ علنا نحفظه ونفهمه ونعمل بما فيه، فندعى في السماء من عظماء الرجال إذا بلغناه.

معاشر المستمعين والمستمعات من المؤمنين والمؤمنات! إليكم شرح هذا النداء وبيان ما فيه من الخير والهدى، فهنيئاً لمن حفظه، وهنيئاً لمن فهم معناه، وهنيئاً أكثر لمن عمل به وبلغه سواء، وقد عرفتم أن عظماء الرجال في الملكوت الأعلى هم الذين يتعلمون ويعملون ويعلمون ما علموا وعملوا به، فمن تعلم وعمل بما علم وعلمه غيره دعي في السماء عظيماً، وراجع موطأ مالك.

وليس معنى علم أنه أحاط بالعلم، وإنما علم حكماً من أحكام الله، فعمل به وعلمه سواء، فتأهل لهذا الشرف الذي ما فوقه شرف، وهو أن يدعى في السماء في الملكوت الأعلى بين ملائكة الله بالعظيم.

الأسباب المؤدية إلى رفعة الأمة وعزتها

والله لقد هبطنا، فبعد أن كنا في علياء السماء والبشرية تحتنا، نعتبرها بهائم، ونسوسها ونقودها؛ لإكمالها وإسعادها، وذلك هو العلو والسمو، أصبحنا الآن نجري وراء الهابطين؛ لنكون مثلهم، لا إله إلا الله! فنحن اليوم والله العظيم نحاول أن نكون كالأوربيين، وهذا فوق الهبوط، أمنا بالله، فهيا نرتفع، ولا رفعة لنا إلا بالعودة إلى منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأهل القرية إذا اجتمعوا في مسجدهم بين المغرب والعشاء طول العام فإذا قرءوا آية كما قرأناها وفهموا حكماً طبقوه على الفور، سواء كان خلقاً أو أدباً أو سمواً في الروح لا يزالون يصعدون حتى يصلوا إلى مستوى الطهر والكمال، ويومها حينئذ يعرفون منهم، ويعرفهم العدو من هؤلاء، ومن غير هذا الطريق ليس هناك طريق للرفيقي أبداً، فالرسول صلى الله عليه وسلم لما كان يعلم أصحابه لم يعلمهم فلسفة أفلاطون، أو المنطق، وإنما علمهم الكتاب والحكمة فقط، والصناعة تأتي عفواً، فكان الواحد ينظر فقط إلى صانع ويصنع خيراً منه، ولا يحتاج إلى عشرين سنة وإلى أن يكفر حتى يتعلم الصناعة.

فلا نبيكي، والحمد لله أن جمعنا الله في هذا النور والله الحمد، ولكن هذا البكاء نستفيد منه، ونثاب عليه.

أكل الحرام سبب لعدم إجابة الدعاء

قال: [لنستمع إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم يقول محذراً ومعلماً ومنبهاً] في خطبة من خطبه: [يا أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وأن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال] في أمر الرسل: [يا أيها الرسل! كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم] [المؤمنون: 51]. وقال للمؤمنين: يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم [البقرة: 172].

ثم ذكر [النبي صلى الله عليه وسلم] ((الرجل)) وهذا الرجل قد يكون بيننا ((يطيل السفر)) في التجارة [(أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء)] وقد يطيل السفر في الجهاد أيضاً ونشر الإسلام والهدى، يمد يديه إلى السماء، فيضم كفيه ويوجههما إلى الله [(يا رب! يا رب!)] .

وبعض الغافلين سمعوا نهي أهل العلم عن الدعاء بعد الصلوات الخمس جماعة، وقالوا: إنها بدعة، وقد عاشت عليها أمة الإسلام قروناً، فإذا سلم الإمام واستقبل الناس بوجهه وقرأ معهم آية الكرسي وصلوا على النبي دعوا الله جماعة هذه بدعة، فسمع بعض الطلاب أن هذه بدعة، فصاروا إذا مروا بمؤمن رافعاً يديه قالوا: هذه بدعة لا تصح، مع أنه ليس هناك مظهر من مظاهر الذلة والعبودية لله أكثر من هذا، فلو وقفت طول النهار تدعو هكذا فهذا علامة أنك عبد الله المؤمن، وأنت لم تعرف إلا الله، ولو عرفت غيره لمددت يديك إليه، وقد رفع الرسول يديه في أربعة عشر موطناً، وكان أحياناً يرفعهما ليري الناس حتى يبدو بياض إبطيه [(ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟)] وهذا الحديث يجعلنا لا نأكل حبة عنب حرام، وليس كأس خمر، بل ولا ثمرة واحدة بدون إذن صاحبها؛ لأن أكل الحرام مانع من قبول الدعاء؛ لأن النفس تخبث وتتلوث، فأكل الحرام كالعذرة إذا دهنت بها ثوبك أو جسمك يخبث، ولا يقبلك أحد قال: [أرأيت - أيها القاري والمستمع! - كيف يحرم أكل الحرام استجابة الدعاء] فأكل الحرام يمنع من استجابة الدعاء [ومن لم يستجب لله دعاءه هلك ورب الكعبة، فالحذر الحذر أيها المؤمن! من أكل الحرام وشربه ولباسه والاستمتاع به] فالزنا استمتاع بالحرام، ولبس خاتم الذهب والثوب الحريري معصية أيضاً ولبس للحرام، وكذلك أكل الميتة أو المسروق وما إلى ذلك [واكتف بما أحل الله تعالى لك عما حرم عليك، فإنك عبده وتعبده، فكيف يصح إذا أن تأكل ما حرم عليك، وأنت عبده وعابده، وقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ] [البقرة: 172].

أما من لا يعبد الله تعالى فأكله الحرام وتركه سواء؛ إذ ما بعد الكفر ذنب كما قيل، وهو كذلك [فالذي ننهاء عن أكل الحرام المؤمن الصادق في إيمانه؛ خشية أن يتلوث قلبه، وتمنع نفسه من الطهر والصفاء، وأما الكافر عابد الشيطان والصنم والهوى فإنه يأكل الحلال والحرام، ولا ينتفع بالحلال ولا بالحرام] [وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين].

سر نداء الله تعالى لعباده المؤمنين به بوصف الإيمان

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [لا تنس أيها القارئ الكريم!] لهذه النداءات وهي بين يديك [سر نداء الله تعالى لعباده المؤمنين بوصف الإيمان] فهناك سر في هذه النداءات ورب الكعبة، فقد قال: (يا أيها الذين آمنوا)، ولم يقل: يا بني الحارث! أو يا بني فلان [وهو أنهم] أي: المؤمنون الصادقون [بايمانهم الحق أحياء يسمعون] ما يقال لهم [ويعقلون، ويقدرّون على الفعل] إن طلب منهم فعل [و] قادرّون على [الترك] إن طلب منهم الترك؛ لكمال حياتهم، فهذا سر النداء بلفظ وبعنوان الإيمان، وأما غير المؤمنين فلا يكلفهم الله ولا عقلاء عباده أبداً؛ لأنهم أموات وهم لا يشعرون، وإلا فقل لليهودي في بلادك: صم رمضان، فإنه لا يسمع ولا يعقل ولا يفهم. أمر الله عباده المؤمنين بالخير ونهيه لهم عن الشر

قال: [واذكر] أيضاً أيها السامع والقارئ! ولا تنسى [أن الله تعالى ما ناداهم إلا ليأمرهم بما فيه خير لهم، أو ينهاهم عما هو شر لهم] وقد علمنا وتقرر في أذهاننا أمر نحلف عليه بالله، ما أمرنا الله أبداً بما هو شر قط، ولا نهانا عما هو خير قط، فتعالى الله جل جلاله أن يغش أوليائه فيأمرهم بما يذلهم أو يكسر أنوفهم أو يفقرهم ويعذبهم، ولا ينهاهم أبداً عما يسعدهم أو يرفع من شأنهم أو يغنيهم أو يعزهم، وهيئات هيئات، ولن يكون ولن يستطيع تحت السماء ذو عقل أن يثبت أن في أوامر الله أمراً فيه مذلتنا أو إهانتنا أو فقرنا وضياعنا، ومستحيل أن يثبت أحد أن النهي الفلاني عن كذا يذل أو يفقر أو يمرض أو يشقي أو يتعس، والله ما كان هذا ولن يكون، فقد علمنا أن الله رحيم حكيم عليم، وإذا كان المشرع عليماً حكيماً رحيماً فلن والله يشرع لعباده ما يشقيهم أو يردبهم أو يذلهم أو يهينهم، فهذا ينتج عن

تشريع جاهل لا يعلم، أو عليم وأحمق، أو عليم حكيم وقاس لا رحمة عنده ولا يعرفها، هذا الذي تخاف من تشريعه، وليس ممن كان ذا علم عظيم، وقدرة لا يعجزها شيء، ورحمة تغلغل في كل شيء، وقد عدل الناس عن شرع الله إلى شرع فلان وفلان؛ لأنهم مسحورون [إذ بفعل المأمور وترك المنهي تتحقق تقوى الله عز وجل]. الإيمان والتقوى طريق الوصول إلى ولاية الله عز وجل.

قال: [وبالإيمان والتقوى تكون ولاية الله للعبد] وتقوى الله هي الخطوة الثانية في طريق الولاية الربانية، فأمن واتقوا لتكون مؤمناً، ولما آمننا وعلم الله إيماننا نادانا - لأننا أحياء- ليأمرنا أو ينهانا، وبفعل الأمر وترك النهي تتحقق التقوى ونصبح أتقياء، ويومها نكون أولياء الله، لو رفعنا أكفنا إليه نسأله أن يزيل جبالاً والله لأزاله [واسمع ما قاله تعالى في ذلك: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62]] وهذا الإعلان والبيان قد صدر من الله رب السماء والأرض وما بينهما ورب العالمين ورب كل شيء، والذي لولاه لما نطقنا ولا سمعنا، ولا عقلنا ولا فهمنا، بل ولا أكلنا ولا شربنا، إذ لولاه لما وجدنا.

وأولياء الله ليس سيدي عبد القادر ! ولا سيدي البدوي ، ولا الشيخ العيدروس، ولا فلان، ووارحماء! فامة القرآن أصبحت لا ترى الأولياء إلا الذين ماتوا ودفنوا، وضربت عليهم القباب، ووضعت على أضرحتهم التوابيت، فهؤلاء هم الأولياء عندنا، وهذا فعل الثالث الأسود المتعاون من المجوس واليهود والنصارى، ومنذ قرابة خمسمائة أو ستمائة سنة والمسلمون لا يعرفون الله ولياً إلا من مات وبنيت عليه القبة، ووضع له التابوت والشموع، وذبحت له الذبائح، وحلف به، ونذر له، وعكف حول قبره، وزاروه من المدينة إلى بغداد أيضاً مسافة ألفين كيلو، هؤلاء هم الأولياء، وهذا الأمر واضح وضوح الشمس.

وسر هذا الانتكاس في نفي ولاية الله عن الأحياء وحصرها في الموتى حتى يستريح المسلمون الزنا والسرقه والسب والشتم، وسفك الدماء، وقل ما شئت من الفظائع والفضايع فيما بينهم، فأصبح المؤمن ولي الله يزني بامرأة أخيه المؤمن، وأصبح المؤمنون يزنون بنساء بعضهم البعض، ويسرقون بعضهم بعضاً، ويخلفون وعود بعضهم البعض، ويغشون بعضهم البعض، يقتلون بعضهم البعض، ويكذبون على بعضهم البعض، ويضربون بعضهم البعض، ويفعلون العجائب، وهذا والله كما سمعتم، وبقوا على هذا قروناً؛ لأنهم قالوا: هؤلاء ليسوا أولياء الله أبداً، ولو كانوا يعتقدون أن أحدهم ولي الله كعبد القادر لما لمسوه بأيديهم.

والبرهان على هذا: لو تنزل بمطار القاهرة أو دمشق أو بغداد أو مراكش أو كراشي أو اسطنبول فقل لأول من تلتقي به من أهل البلاد: السلام عليكم، أخي أنا غريب الدار، جئت لهذه الديار، فمن فضلك دلني على ولي من أولياء الله فيها، فوالله لن يأخذ بيدك إلا إلى ضريح سيدي فلان، ولا يفهم أبداً أن دمشق أو القاهرة فيها ولي حي، وأما أهل البلاد الأحياء الملايين فكلهم أعداء الله، وليس فيهم ولي أبداً.

وعندي قضية من شواهد الحياة: كنا جالسين في مجلس في قرية فقالوا: فلان إذا زنى وأصبح عليه جنابة من الزنا لم يمر بالطريق الفلاني؛ لأن فيه سيدي فلان الولي.

واضحوا، فهو يفجر بامرأة أخيه المؤمن في قريته ولا يخاف الله ولا يخشاه، ويخاف أن يمر وهو جنب بضريح سيدي فلان! ونحن نعيش على تلك الحال كما هي إلا من رحم الله.

وهذا الخطاب في حاشيته على خليل يقول: من ادعى الولاية وقال: أنا ولي الله يخشى أن يموت على سوء الخاتمة. إذاً فلنقل: كلنا أعداء الله، حتى يأكل بعضنا بعضاً، وهذا ليس علماً.

ولو قال قائل: سم لنا يا شيخ! أولياء الله، وبينهم لنا، وهل نحن منهم؟ فإننا نقرأ عليه فقط كلام ربي، إذ قال تعالى: [الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [يونس:63-64]] وهذه آية من سورة يونس عليه السلام.

فأولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون، أي: يتقون غضب الله وسخطه، فلم يرتكبوا كبائر من كبائر الإثم والذنوب، بل هم أولياء الله [لذا يجب على المؤمنين] والمؤمنات [إذا سمعوا نداء الله لهم أن يصغوا ويسمعوا؛ لأنه ناداهم ليأمرهم أو ينهاهم، فإذا فعلوا المأمور وتركوا المنهي إيماناً واحتساباً تحققت لهم ولاية الله، وفازوا بذهاب الخوف والحزن في الدنيا والآخرة، وهم في الغرفات آمنون] ومنغصات الحياة هي الخوف والحزن، فلا سعادة مع الخوف ولا مع الحزن، فالخائف لا يسعد، بل يأكل اللقمة ويرتعد متى تنزل الصاعقة أو يضرب بالرشاش، والحزين المحطم

القلب إذا مات أولاده وأهله وبقي في حزن وكرب لا يسعد، ووالله لو تسقيه العسل وتكسوه الحلل لا يسعد إذا كان الحزن يمزقه.

فالله جل جلاله وعظم سلطانه نفى عن أوليائه الخوف والحزن في الحياة الدنيا، وفي الثانية في البرزخ، وفي الأخيرة وهي يوم القيامة، ولا نشك في هذا والعياذ بالله، فهو خبر الله تعالى، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس: 62-63].

فاجهر بها، وأعل صوتك ليسمعها الإنس والجن، فهؤلاء هم أولياء الله، ولو لم نعرف قبورهم، ولا بنينا عليها قباباً ولا أضرحة، فأولياء الله مؤمنون متقون.

وقد أصبحوا أولياء الله ويواليهم الله لأنهم طهروا طابوا، وقد زال الخبث عن نفوسهم، وذهب الدرن والرائحة الكريهة من قلوبهم، فطابوا فأحبهم الله لطيبهم، و(إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً).

فقد زكوا أنفسهم بالنقوى، أي: لم يتركوا واجباً يزكي النفس، ولم يرتكبوا محرماً يخبث النفس، وعاشوا هكذا حتى الموت، وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس: 63].

فلما زكت نفوسهم وطابت أرواحهم بهذا الإيمان وصالح الأعمال مع البعد عما يلوثها ويخبثها من الشرك والمعاصي أحبهم الله ووالاهم، فهم لذلك أولياء، سواء كانوا بيبضاً أو سوداً، كباراً أو صغاراً، ذكوراً أو إناثاً، فقراء أو أغنياء، في عهد نوح وادم أو في عهد عيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم.

هذا هو سر شرط وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس: 63] لولاية الله عز وجل، فهم طول حياتهم يتقون ما يسخط الله تعالى ويغضبه عليهم، أي: لا يتركون فرائض فرضها، ولا يغشون محرمات حرّمها؛ لأن الفرائض تزكي نفوسهم، والمحرمات تخبثها، فاعتزلوا ما يخبث النفس، وبقوا على ما يطهرها، فطابت وطهرت وزكت، فأصبحوا بذلك أهلاً لأن يواليهم الله.

فافهموا هذا معاشر المستمعين والمتسمعات!

أنواع المأكّل التي حرّمها الله على عباده

قال: [وأخيراً أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد! إن الأمر بالأكل من الطيبات دال على أن الأكل من المحرمات لا يجوز، والمحرمات قد بينها الله تعالى بقوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ [المائدة: 3]] وَالْمُنْخَفَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ [المائدة: 3]. ومعنى قوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ [المائدة: 3] أي: على أضرحة الأولياء] وبقوله تعالى: وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ [البقرة: 188].

وكالأكل الشرب، فالخمر محرمة بقول الله تعالى: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ [المائدة: 91] أي: من شرب الخمر ومال الميسر والأنصاب والأزلام، ومن ذلك مال الربا قل أو كثر] فهذه الجملة لما سمعها عمر ارتاع وقال: انتهينا يا ربنا! وذلك لأن الخمر حرمت على مراحل، فالخمر في سورة النحل امتن الله تعالى بها على عباده: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا [النحل: 67].

وهذه نزلت في مكة، ثم نزلت آية النساء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ [النساء: 43] في صلاتكم.

بعد ما صلى أظن حمزة بهم فقال ما قال في صلاة المغرب.

فلما نزلت هذه الآية أصبحوا يتحفظون ولا يشربونها في أوقات الصلاة، اللهم إلا بعد صلاة العشاء أو بعد صلاة الصبح، فلما تحركوا نزلت آية البقرة بعد ما ظهرت التساؤلات، يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا [البقرة: 219].

فارتبكت النفوس، فكان عمر يدعو الله في صلاته: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت آية المائدة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة: 90].

ثم علل تعالى الحكيم فقال: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ [المائدة: 91].

فقالوا: انتهينا يا ربنا! ولو كنت حاضراً في المدينة الأولى لرأيت الخمر تجري في الأزقة كما يجري الماء، فقد كان الذي عنده جالون مهما كان أو برميل أو غيرهما يفرغه عند عتبة الباب، ولا يبيعهونه؛ لأن بيعه حرام، فأراقوها

فجرت أزقة المدينة بها؛ لأن الأزقة كانت ضيقة، لا كما تتصور، فقد كان عرضها متراً؛ لأنهم كانوا يحتاجون إلى أن يدفعوا الحر والبرد، فجرت أزقة المدينة بالخمير، ومن ثم كان الصحابة يسمون ويرتفعون؛ لأنهم كانوا كلما نزل حكم يطبقونه، فارتفعوا حتى بلغوا مستوى والله العظيم ما عرفته الدنيا إلا في أولئك المؤمنين في العدل والطمح والكرم والشجاعة والصفاء والطاعة وحسن العبادة؛ لأنهم كانوا يوماً بعد يوم يرتفعون. ولما أخذنا نهبط من القرن الرابع بقينا نهبط حتى لصقنا بالأرض، فحكمتنا بريطانيا وإيطاليا، وسامونا الخسف، وتركنا منهارين، ليس عندنا إلا الجدل والخصومة والكلام فقط. وفي هذا أقص عليكم قصة الجني: كان أحد المؤمنين يرقى أخاه في جدة وأخذ الجني يتكلم معه ويجادله، فقال الجني: أنتم هابطون كما قال الشيخ الفلاني في المدينة، والحق ما شهدت به الأعداء. سبب أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم

قال: [هل تدري أيها القارئ! أن الله تعالى نادى المؤمنين في هذا النداء الثالث من سورة البقرة - ناداهم - ليأمرهم بالأكل من الطيبات مما رزقهم من أنواع المطاعم والمشارب، للحفاظ على حياتهم؛ إذ البنية البشرية [أو البدن أو الجسم الإنساني] استمرار حياتها وصلاحياتها متوقف على الغذاء والماء والهواء]. فالسر في أمر الله بقوله: كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ [البقرة: 57] أي: أن الذي لم نرزقكم إياه لا تسرقوه ولا تأكلوه، وكلوا من الطيبات لا من الخبائث وما حرم الله [فالأمر هنا على هذا دال على الوجوب] فلو قال: أنا لا أكل فإنه يموت، وهو بهذا لم يعبد الله، فهذا دال على الوجوب إذاً [إلا أن قوله: مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ [البقرة: 57] يشير إلى أنه لما حرم المشركون على أنفسهم أنواعاً من اللحوم كلحم السائبة و [لحم [الوصيعة] من الإبل [و] لحم [الحام] من الجمال [والبحيرة وأنكر الله تعالى عليهم ذلك] لأنهم شرعوا لأنفسهم، وحرّموا ما لم يحرمه الله من الطعام، فاعتدوا بذلك على منصب الربوبية والإلهية [وأمر [الله تعالى [المؤمنين بالأكل من الطيبات، وهي كل ما أحله الله تعالى من اللحوم وغيرها] فكل ما أحله الله من سائر أنواع الأطعمة فهو طيب، وليس بخبيث [وأمرهم عز وجل بشكره على نعمه التي أنعم بها عليهم من أنواع الطيبات من الرزق الحلال] فقد أمرنا بالأكل وجوباً حتى لا نموت؛ لأننا إذا متنا لم نعبد الله، وقد خلقنا الله لعبادته، فحرام على أي عبد مؤمن أن يعطل الأكل والشرب أو الهواء حتى يموت؛ لأنه بذلك تتعطل الحياة كلها، وسر الحياة بكاملها أن يعبد الله فيها، فإذا قتل الإنسان نفسه لم يعبد الله. كيفية الشكر لله تعالى على نعمه

قال: [والشكر يكون بالاعتراف بالنعمة] لأننا أمرنا أن نشكر الله تعالى على نعمه، مثل نعمة الهواء والغذاء والماء، فإذا كان بين يديك الخبز أو الرطب أو الفاكهة ونظرت إليها فأعلم قلبك أن هذا من الله، ومن قال: ليس من الله فهو مجنون، وإذا قال: الفلاح هو الذي صنع هذه الفواكه قلنا له: والفلاح من صنعه؟ فعدنا من حيث بدأنا. فاذكر النعمة في قلبك لله، وقل: هذا من نعمة الله .. هذا من فضل الله .. هذا رزق الله في قلبك [وحمد المنعم] وهو الله [عليها] فاحمده بلسانك قائلاً: الحمد لله [وصرفها فيما أذن] الله [أن تصرف فيه] فشكر الله على النعمة - معشر المستمعين! - له ثلاث خطوات: الأولى: أن تعترف بأن الله ولي هذه النعمة، فهو الذي أعطاك هذا الطعام أو هذا الثوب أو هذا الشراب أو هذا المركوب، وهو والله كذلك. الثانية: ثم ترجم ذلك الاعتراف بلسانك وقل: الحمد لله. ثالثاً - الخطوة الأخيرة -: الذي أنعم الله به عليك سواء كان دراهم أو دنائير أو كان ما كان فإياك أن تصرفه ضده، وتغضب المنعم بما أنعم به عليك.

وعلى سبيل المثال: الذين يشتررون المخدرات والمسكرات بنقود دراهم ودنانير، فهذه الدراهم والدنانير من الله، ولا يجوز لعاقل أن يعطيه كريم مالاً ويشتري به ما يغضبه ويحتداه به، فهذا عقلاً والله لا يجوز، وإن قال: يا شيخ! أنا مبتلى فنقول له: اربط نفسك في المسجد، أو في سارية المسجد حتى تتوب من هذا الألم النفسي، وصاحب جماعة من الصالحين والزمهم ولا تقارقمهم، فلا يمر أربعون يوماً إلا وقد نسيت ذلك البلاء، وترفعت عن تلك الدناءة، فاستعن بالصبر والصلاة ولا تنسى، فلهذا لا عذر أبداً لمؤمن أن ينفق مال الله فيما يغضب الله، والذي يغضب الله كل ما حرمه على العبد، فإن فعله غضب عليه، فإذا حرم الله عليك شيئاً أو منعك من هذا الداء أو هذا الخطر أو هذا البلاء فتعمدت وأتيته فإنك لم تؤمن به، وشككت في وجوده.

معاشر المستمعين! احفظوا هذه ولا تنسوها: الشكر لله على النعمة يكون بالآتي: أولاً: الاعتراف بها لله في القلب. ثانياً: ترجمتها باللسان بكلمة الحمد لله، فمن أكل أو شرب أو لبس أو ركب أو شفي من مرض وقال: الحمد لله فقد شكر الله.

فليفهم السامعون والسامعات هذا.

ثالثاً: صرف النعمة فيما يحب المنعم، وأما أن تصرفها فيما يكره فهذا والله إعلان حرب على المنعم وتحد فضيع له، ومن قال: أنا لا أستطيع أن أترك هذه المعصية فنقول له: لقد أرشدك مولاك إلى الصبر والصلاة، فاستعن بالصبر والصلاة تعن، فتقدر على ترك هذه الرذيلة، وتتجو من هذه المشكلة العويصة في نظرك، وأما وأنت لا تستعمل وسائل العون فلن يعينك أحد [وذلك كنعمة العلم والمال والبدن] هذه ثلاث نعم [فشكر نعمة العلم العمل به، وتعليمه للناس، وشكر نعمة المال أن يصرف في طاعة الله لا في معصيته] تعالى [وشكر نعمة البدن أن يسخر في عبادة الله، وفعل الصالحات والمسابقة في الخيرات] فالبدن السليم نعمة، ووالله ما فوقها نعمة في الحقيقة، فهذا البدن وهذه الطاقة البدنية اشكر الله عليها، وسخرها فيما يحبه، وإياك أن تسخرها ضده فيما يكره ويبغض، وإلا فإنك لم تشكره.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 4

فرض الله عز وجل في كتابه الكريم القصاص على عباده، حتى لا يكون أمره خاضعاً لاجتهادات البشر وأهواء الحكام والقضاة، وحتى لا تضيق الحقوق والدماء، وجعل سبحانه وتعالى إقامة القصاص من شأن ولي الأمر ولم يتركه لولي الدم أو غيره، ولكنه أعطى ولي الدم الحق في طلب القصاص، أو الاكتفاء بقبول الدية، أو العفو عن كل ذلك.

ملخص لما جاء في النداءات السابقة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

وقبل الشروع في هذا النداء الرابع من تلك النداءات الرحمانية أعيد إلى ذاكرة المستمعين والمستمعات، أن أول نداء كان في وجوب الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة: 104].

وقلنا: إن العلماء .. إن المربين .. إن الهداة .. إن الدعاة خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيجب الأدب معهم، ويحرم الهزؤ بهم والسخرية منهم، وكأولئك عامة المؤمنين والمؤمنات، فلا يحل لمؤمن أن يسيء الأدب مع أخيه، لا بنظرة شذرة، ولا بصوت رفيع، ولا بهمز ولا لمز، ولا بتعيير ولا بعبس، فكل ذلك حرام وفسق، وهذه أمة الإخاء والمودة، (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله).

ولكن ما عرفنا فلا تلومونا، ومن عرف لم يقف موقفاً يغضب عليه مولاه، والجهل هو الذي ضر بنا. والنداء الثاني يحمل الاستعانة، والاستعانة لا تكون بالأعداء ولا برجال القبيلة ولا بالدينار والدرهم، وإنما تكون الاستعانة بالصبر والصلاة؛ إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ [البقرة: 153].

وبالأمس لامني لائم وقال: لو تعلم الناس كيف يصلون، فإنهم يسيئون في صلاتهم، فقلت: مرحباً، أيها المستمعون! ويا أيها المستمعات! اعلّموا أن الصلاة المولدة للنور .. للطاقة .. للحسنات التي تكون عوناً للعبد على قهر نفسه وإذلالها، وإبعاد الشياطين وطردهم هي الصلاة ذات الخشوع؛ إذ قال تعالى: وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ [البقرة: 45].

فجوابي لهذا الابن واسمعوا جميعاً، لستم في حاجة إلى أن ندرس الصلاة شهراً أو شهرين أو ثلاثة أشهر كما مضى، فقد درسنا ثلاثة أشهر كيف نصلي، وقضينا الشتاء بكامله في كتاب الصلاة، وكلمتي واحدة، فكما نصلي مع الإمام يجب أن نصلي إذا كنا وحدنا، لا أن نصلي مع الإمام ونطمئن في الركوع والسجود وإذا صلينا وحدنا أسرنا الله أكبر .. سمع الله ولمن حمده .. ربنا ولك الحمد كالخائنين، و(أسوأ الناس سرقة من يسرق في صلاته).

ولا نحتاج أبداً إلى أن نتعلم شهرين أو ثلاثة كيف نصلي، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: (صلوا كما رأيتموني أصلي).

فصل إلى جنب عالم ولا تحتاج أن تدرس كيف تصلي، وهذا الإمام يصلي بنا الصلوات الخمس، فإن صليت دون صلاته فصلاتك مدخولة، ولا تنتج لك طاقة، فالقضية قضية إيمان صادق، فاعرفوا أن الصلاة كما نصلي مع الإمام، فمن قدم أو أخر أو زاد أو نقص أو خفف أو استعجل فصلاته باطلة.

ودائماً نقول: معنى باطلة: أنها لا تنتج الطاقة، ولا تولد النور، فهذا صاحب الصلاة الباطلة والله في المسجد يعصي الله، وقبل أن يخرج يقول سوء ويحدث الباطل، ويخرج من المسجد يرتكب الذنوب؛ لأن صلاته ما ولدت له النور

الذي ينبغي أن يظهر على سمعه وبصره ولسانه، فصلى وخرج وكأنه لم يصل، وعند الباب يقول الباطل ويرتكب المنكر.

فلنصل كما يصلي إمامنا، إلا القراءة إذا لم تطيلها فلك ذلك، وأما الركوع والسجود والخشوع والطمأنينة فكما نصلي مع الإمام.

آخر نداء هو نداء أمس وهو: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [البقرة:172].

ووالله أن من لم يشكر الله ما عبده؛ لأن شكر الله بالقلب واللسان والأركان، أي: الجوارح، فحياة المؤمنين موقوفة على الله، فهم لله شاكرون عابدون، ومن لم يشكره ما عبده، وقد عرفتم أننا أمرنا بأن نأكل من الطيبات؛ لأن الخبائث تعوقنا عن الوصول إلى الكمال، وتحول بيننا وبين رضا الرحمن، فلا نأكل إلا ما كان حلالاً طيباً، وإذا أكلنا لا نسرف؛ إذ قال تعالى لنا: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا [الأعراف:31].

والإسراف مجاوزة الحد، فإذا كنت تكتفي بسبع لقمات فلا تزد الثامنة، وإذا كنت تكتفي بعشر فلا تزد الحادية عشرة، وإذا كنت تكتفي بكأس الماء فلا تشرب كأسين، وهكذا، فلا تتجاوز الحد في أكلك ولا شربك، بل ولا نومك ولا قيامك ولا قعودك، بل القصد القصد! والعدل العدل! وقد وصفنا الله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا [البقرة:143].

فالمطلوب هنا الوسطية، فلا إفراط ولا تفريط، ولا إهمال ولا غلو، بل شعار هذه الأمة: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا [البقرة:143].

إذاً: كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [البقرة:172]، أي: واشكروا له إنعامه من الماء والطعام وكل جزئيات الحياة، فهي منه إفضال وإنعام، فلنشكر الله على كل نعمة إن كنا نعبد، ومن قال: لا أعبد لا يشكر.

وأخيراً: أذكركم ونفسي بأن هذا البدن نعمة، تشكر ببذل هذه الطاقة البدنية في طاعة الله، وقد وهبك الله رجلين تمشي بهما، فإياك أن تمشي بهما خطوة واحدة إلى معصية الله، فذلك لا يحل لك، ووهبك لساناً فصيحاً تبين وتفصح به، فإياك أن تقول كلمة تغضب الله عز وجل باللسان الذي خلقه، وإذا أعطاك ديناراً أو درهماً فإياك أن تنفقه فيما يغضبه، وهكذا تجدنا كلنا لله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

القصاص والدية والعفو

قال: [النداء الرابع: في القصاص والدية والعفو] وقد علمنا أن هذه النداءات الإلهية ما تركت جزءاً من نظام الحياة إلا ذكرت له بابه وبيئته، وما من مؤمن يحتوي هذه النداءات حفظاً وفهماً ويعمل بها ويطبقها إلا سادنا ودعي في السماء عظيماً، ونداءات الرحمن تسعون نداء، وهذه التسعون النداء ما تركت جانباً من جوانب حياة البشر إلا تعرضت له بالبيان والإصلاح والهداية، وسبحان الله! فهي مرة في الصبر، ومرة في الطعام، ومرة في القصاص، وأخرى في الصيام، وأخرى في الجهاد؛ حتى لا تمل، وهذا على نهج القرآن الكريم، لم تجمع فيه القصص في سورة واحدة، ولا الأحكام في سورة واحدة، ولا العقيدة في سورة واحدة، وإنما هو نور تنتقل فيه من كوكب إلى كوكب؛ حتى لا تمل أبداً.

وهيا نحفظ هذا النداء كما حفظنا النداءات التي قبله، واعلموا أن الجائزة عظيمة، فلا تستهن بحفظ نداء من هذه النداءات، فحفظ واحد منها والله خير لك من أن تحفظ مليون دولار في صندوقك أو في بنك أو عند جيرانك، فهذه آيات الله عز وجل.

وهذا النداء في القصاص والدية والعفو، والمؤمن العامي والمؤمنة العامية يعرفان القصاص، ويعرفان الدية، ويعرفان العفو، وكأنهما درسا في كلية الحقوق، بل أعظم من ذلك وأسهل، فهما لم يسافرا، ولا دخلا المدرسة، وسبحان الله العظيم! ولهذا كان أصحاب الرسول وذلك الجيل كلهم علماء، وأكثرهم لا يقرأ ولا يكتب، ووالله ما عرفوا مدرسة ولا كلية، وكانوا علماء ربانيين.

[الآية (178) من سورة البقرة: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنَ اعْتَدَى بِكَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة:178]] فلا تملوا، فأنتم تدرسون القانون .. قانون السماء ..

قانون الرحمن الرحيم، فلا تقل: أنا عامي لن أدرس القانون، وإنما فقط احفظ المادة وافهم مراد الله منها، وهي مبينة ومفسرة بالقرآن والسنة.

وكلام الله غذاء روحي، ينسينا آلام المرض وآلام الفقر والتعب، وسبحان الله! فنحن والله عندنا كلام ربنا وخالقنا، وليس هناك نعمة أعظم من هذه النعمة، فهذا كلام الله خالق السماوات والأرض، ومرسل الرسل، ومنزل الأنبياء، والمنعم علينا بوجودنا، وبوجود كل شيء حولنا، وعندنا والله كلامه بالحرف الواحد.

حكم من رضي بالعفو أو الدية ثم قتل القاتل

قال تعالى: فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة:178].

هذا فيمن يعلن عن العفو ويقول: عفونا وبعد ذلك يقتل، أو يأخذ القصاص وبعد ذلك يقتل، فهذا يترك الله يعذبه، فقد خان ونكث، وليس هذا شأن المؤمن، بل من أول يوم يقول: نريد القصاص في ابننا أو أخينا، وأما أن يقول: عفونا وتغتاله، أو يقول: قبلنا الدية فأخذوها ثم يقتل فهذا لا يتلاءم مع وضع هذه الأمة السامية، العارفة بربها، الشاعرة بكمالها.

شريعتكم أيها المسلمون! أسمى وأعلى وأرفع من شرائع ما سبق؛ لهذه الكمالات التي اختص الله بها هذه الأمة، فاليهود إذا قتل أحدهم آخر ليس هناك إلا القتل، والنصارى إذا قتل أحدهم الآخر ليس هناك إلا العفو، ولا دية ولا قصاص، ونحن إن شئنا عفونا، وإن شئنا أخذنا الدية، وإن شئنا قاصصنا، وكل هذا أعطانا الله لأنه أخبرنا بأنه خفف عنا ورحمنا، ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ .

والذي يتلصص وبعدهما يعفو أو يأخذ الدية ينتكس ويقتل فهذا نتركه الله، والله يتولى عذابه، فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . فافهموا هذا.

تخفيف الله عن هذه الأمة في أحكام القتل والجروح

قال تعالى: ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ [البقرة:178].

ووجه التخفيف والرحمة هو: أن نعلم أن شريعة موسى في بني إسرائيل وإلى آخر عهدهم هي أن القاتل يقتل، ولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه، ولكن يقطع رأسه، حتى لو قال أهل المقتول: عفونا، فلا عفو أبداً، ولا يقبل منهم هذا، ولو قال أهل القتيل: خذوا مليارات أو خذوا القرية بكاملها واتركوا أخانا حياً لا يقبل أبداً، وليس هناك إلا القصاص، وهذه شدة؛ لأن الحكيم العليم عرف أن تلك الأمة توغلت في الشر والفساد والظلم والاعتداء، ولا يؤدبها إلا العصا، وأن وضعهم لا يتلاءم معه إلا هذا، فقد قست قلوبهم.

ومن هنا كان إذا قتل قاتل في بني إسرائيل لو جاء أهل الإقليم كلهم يستشفعون فلا شفاعاة، ولو خرجوا من أموالهم كلها له حتى لا يقتل لا يقبل منهم، بل لا بد من القصاص، وخفف الله عنا هذا.

ثانياً: شريعة عيسى عليه السلام كان فيها نسخ بالنسبة إلى بني إسرائيل، وهو منهم عليه السلام، فنسخ الله ما شاء وأبقى ما شاء، ومن جملة ما نسخ أن المسيحي إذا قتل أخاه فيجب أن يقول أهله: عفونا ويطأطئون رءوسهم، فلا دية ولا قصاص، فلا يقول أهل القاتل: خذوا الدية، ولا يقول أهل القتيل: يجب أن نقتل من قتل، فلا دية ولا قصاص، ولكن العفو، ونحن أعطانا الثلاثة، وخيرنا فيها، فإن شئنا القصاص قاصصنا، وإن شئنا العفو عفونا وأثابنا الله، وإن شئنا أخذ الدية أخذناها، وهذا تخفيف من الله ورحمة، وصدق الله العظيم القائل: تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ .

وهذه رحمة لا توجد في الشريعة الموسوية أو العيسوية، وإنما توجد في الشريعة المحمدية، وهذا فضل الله ورحمته. فديننا أوسع، وقد أعرض المسلمون عنه؛ لأن العدو جهلهم وأبعدهم عنها.

بيان نسخ قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ...) الآية

هذه الآية التي تلونها منسوخة، لكن فيها بيان ما كان عليه أهل الجاهلية، فخفف تعالى ذلك الثقل وذلك الحمل، فقال: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ [البقرة:178].

وليس الحر بالعبد، أو العبد بالحر، وَالْأَنْتَى بِالْأَنْتَى [البقرة:178].

فلا تقتل بالمرأة رجلاً، أو إذا قتل رجل امرأة لا يقتل، فالقصاص هو هذا، الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى [البقرة:178].

وهذا اللفظ - معاشر المستمعين والمستمعات!- منسوخ، ومعني منسوخ: أن الحكم رفع، والآيات تتلى، والحسنات تتوالى، والأنوار تتزايد، وقد نسخته آية: وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ [المائدة:45].

والنفس سواء كانت ذكراً أو أنثى، أو حراً أو عبداً، وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ [المائدة:45].

هذا هو الحكم الذي هو ماض إلى يوم القيامة، فمن كسر سنك تكسر سنه، ولست أنت الذي تكسرها، ولكن الطبيب هو الذي يكسرها، ومن قطع أصبعك تقطع أصبعه.

هذا هو القصاص.

والآية الكريمة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى [البقرة:178] هذه خاصة بالقتلى، الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى [البقرة:178].

وهذا القدر منسوخ، رفع حكمه وبقي اللفظ نوراً وهداية للخلق، والحرف بعشر حسنات.

معنى قوله: (فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان)

قوله تعالى: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ [البقرة:178].

فمن عفا عن أخيه في قطع يده أو أذنه أو لسانه أو قتل أبيه أو أخيه ورضي بالدية فليقبل العفو، وقوله: فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ أي: يطالب بالدية أو بالقصاص حتى يحصل عليها بالتالي هي أحسن، وليس بالتكبر والصياح والضجيج والتهديد والتهويل، بل اتبع من لك عليه حق بالتالي هي أحسن، لا بالعنف والشدة والغلظة والسب والشتم كما تعرف طبائع البشر.

والذي عليه أن يؤدي ذلك الحق والمعروف وهو الدية فيجب أن يؤديها أيضاً بإحسان، لا بالعنف والشدة والمماطلة وتجزئة الدية إلى قرون، ونحن ما عندنا أو غير ذلك، أو أن يحوله إلى شمال أفريقيا أو مكان بعيد ليأخذ الدية، أو أن يقول له: بعد كذا أو بعد كذا، بل يجب أن يؤدي ذلك الواجب الذي وجب عليه لأخيه وهو الدية بإحسان، فهذا كله حرمه الله، فمن أراد أن يأخذ حقه فليطلبه بالمعروف، ومن أراد أن يؤدي ذاك الحق فليؤده بإحسان، فليس عندنا غلظة ولا شدة ولا عنصرية ولا سب ولا شتم ولا غير ذلك، فربنا واحد، ومالكننا واحد، وهو الذي شرع لنا هذا، فنطالب بحقنا بحسب ما شرع لنا.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ...) الآية

سبب نزول هذه الآية: أن قبيلتين عظيمتين في الجزيرة كان بينهما صراعات، وفازت إحدهما بالشرف والعلو والقوة، فأصبحت تلك القبيلة المنتصرة إذا قتل منها عبد من عبيدها تقتل حراً من أحرار تلك القبيلة؛ لأنها قوية، وإذا قتلت منهم امرأة يقتلون رجلاً بها، ولا يقتلون امرأة، فأبطل الله هذا ومسحه من ديوان القانون الإسلامي، فأنزل قوله من سورة المائدة: وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ [المائدة:45].

معنى قوله تعالى: (كتب عليكم القصاص)

قبل الدخول في الشرح الواسع أهون عليكم بعض الشيء؛ لتفهموا وتحفظوا! معنى (كتب عليكم القصاص): أي: فرض فرضاً مكتوباً في الكتاب؛ حتى لا يتلاعب به أحد، والقصاص: المقاصة، يداً بيد .. نعمة بنعمة .. كبشاً بكبش .. ثوباً بثوب، والذي كتبه علينا هو الله، ولم يقل: كتبت عليكم القصاص؛ ليبقى حبه يملأ قلوب عباده؛ لأن القصاص فيه آلام وجراحات ودماء، وسبحان الله العظيم! ويكون الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ، جمع قتيل، ولم يقل: في قتلكم أيضاً، ثم بين هذا فقال: الْحُرُّ بِالْحُرِّ.

فمن قتل حراً يقتل به، والعبد إذا قتل عبداً يقتل به، والأنثى إذا قتلت أنثى تقتل بها، وأما أن تقتلوا الحر بالعبد فلا، أو تقتلوا المرأة بالرجل فلا، ولكن الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى [البقرة:178].

الحكمة من مشروعية القصاص

ثانياً: أن القصاص الشرعي يحقق العدل والمساواة

قال: [وهذا الحكم هو فرضه تعالى على المؤمنين القصاص في القتل، فقد كان حيان من العرب يرى أحدهما أنه أشرف من [الحي] الثاني، فيقتل الحر بالعبد، والرجل بالمرأة، فأبطل الله تعالى هذا الحكم الجاهلي، وأعلمهم أن العدل هو أن يقتل الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى] فهذا هو العدل، وهذه هي المساواة، وهذه هي الديمقراطية التي ينطقون بها، ولا يفهمون معناها، فالعدل هو أن يقتل حر بحر، وعبد بعبد، وأنثى بأنثى، فإن قتل عبد بحر أو أنثى برجل لم تتحقق المساواة [فكفوا عن ذلك الحكم الجاهلي، وأصبح الحر يقتل بالحر لا بالعبد، والعبد يقتل بالعبد لا بالحر، والأنثى تقتل بالأنثى لا بالرجل، وبقي الأمر هكذا حتى نزلت آية المائدة].

والمائدة هي السفرة، وأنتم تسمونها سفرة، وسميت هذه السورة بالسفرة لأن جماعة عيسى عليه السلام لم يترهبوا في حجور الصالحين، فلما اتبعوه وأمنوا به قالوا: يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ [المائدة:112]؟ وهذا الكلام لا يقوله مسلم لرسول الله، وإنما هو كلام البربر؛ لأنهم ما تربوا في حجور الصالحين، فقد عاش بنو إسرائيل في ظروف دائماً نشبهها بظروفنا، فقد كان كل شيء عندهم مباحاً لما هبطوا، فبعث الله عيسى لعل وعسى أن يعودوا، فتركوه وقالوا: ساحر وابن زنا ودجال، وأمن به بعض المؤمنين، ولما كان المجتمع هابطاً قالوا: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا [المائدة:112-113].

فهم إلى الآن لم يعلموا أنه صادق، والذي يعرف هذا لا يتألم من مجتمعنا الهابط؛ لأنه إذا هبط المجتمع يقول أكبر من هذا.

سبحان الله العظيم! فهم إلى الآن لم يصدقوا أنه رسول الله، فرفع يديه وقام بين يدي ربه. و ابن كثير رسم الصورة فقال: فضم قدميه - ما فرج رجله - ووقف بين يدي ربه يسأله ويقول: رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ [المائدة:114]. وما زال يدعو حتى قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ [المائدة:115].

فالذين شاهدوا المائدة وأكلوها وكفروا عذابهم فوق كل عذاب؛ لأن هذا أعجب عجيبة! فهم قالوا: نزل علينا مائدة من السماء فنزلت المائدة، فلها سميت سورة المائدة بالمائدة.

وما زال عيد الفصح إلى الآن عند النصارى، يحتفلون فيه بهذه المائدة، وهم كافرون. وتسمى السورة أيضاً بـ(سورة العقود) أيضاً لابتدائها بالأمر بالوفاء بالعقود.

[وهو قوله تعالى: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا [المائدة:45]] أي: في التوراة [أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ [المائدة:45]] فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ [المائدة:45].

وهذه لنا نحن، وأما عندهم فليس هناك تصدق [فأصبح الحكم العادل النافذ] الماضي [هو أن يقتل القاتل سواء قتل رجلاً أو امرأة] قتل [حراً أو عبداً، إلا أن يعفو أهل القتل عن القاتل فلا يطالبوا بقتله، إما لرضاهم بالدية، وإما لاختيارهم أجر الآخرة عن أجر الدنيا، فتركوا القصاص والدية معاً] فهذا شأنهم فقد أذن الله لهم في ذلك. أولاً: أن القصاص عليه مدار حياة الأمن والاستقرار في المجتمع

قال: [هل تدري أيها القارئ الكريم!] لهذه النداءات [والمستمع] لها [المستفيد] منها [لماذا نادى الله تعالى عباده المؤمنين؟ إنه ناداهم ليعلمهم حكماً شرعياً] وهو القصاص والعفو والدية؛ إذ [عليه مدار حياة الأمن والاستقرار في المجتمع الإسلامي المبارك] فهم لم يكونوا يعرفون هذا الحكم الشرعي، بل كانوا إذا قتلت القبيلة المنتصرة عشرين لا تقتل الضعيفة إلا واحداً مثلاً، وإذا قتلت الضعيفة امرأة يقتلون رجلاً، وإذا قتلت عبداً يقتلون حراً، وقد عطل المسلمون هذه الأحكام؛ لأنهم جهلوا، فعطلوها.

بيان أن المطالبة بالدية تكون بالمعروف والأداء يكون بإحسان

[ثم أخبر] الله [تعالى المؤمنين بأن من عفي له من أخيه شيء بأن تنازل الولي عن القتل قصاصاً ورضي بالدية فعلى المطالب بالدية أن يطلبها بالمعروف] لا بالعنترية والسب والشتم [وهو الرفق واللين وعدم الشدة والعنف، وعلى مؤديها] أي: مؤدي الدية [أن يؤديها بإحسان، لا بالمماطلة والتأخير، أو الانتقاص] منها [وعدم الوفاء] وهذا الجاهلون يفعلونه [ثم أخبر تعالى عباده المؤمنين] وأنتم منهم، فنحن مؤمنون، ولا يقول أحد: أنا مؤمن إن شاء الله، بل مؤمن جازماً بذلك [بأنه رحمة بهم خفف عنهم، فخير ولي الدم] أي: الذي قتل له ابنه أو أخوه [بين العفو أو أخذ الدية أو القصاص] كما علمتم، فهم مخبرون، ولم يخبر اليهود ولا النصارى، بل كانت شريعة اليهود القتل، وشريعة النصارى العفو [في حين أن أهل الكتاب قد شدد عليهم، فاليهود لا دية عندهم ولا عفو، بل القصاص فقط، والنصارى لا قصاص ولا دية، ولكن العفو فقط.]

وهذا بناء على ما علم الله تعالى من حالهم، فشرع لهم ما يناسبهم تأديباً وتربية لهم [فاليهود غلاظ فناسبهم القتل، والنصارى لينين، حتى قال عيسى: من صفعك في خدك الأيمن فأدر له الأيسر، فليس هناك قصاص، بل زد أعطه ليضربك] وقوله تعالى في آخر الآية: **فَمَنْ اعْتَدَى بِكَ ذَلِكَ [البقرة:178] أي: بعد أن رضي بالدية وقبلها وقتل القاتل، فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة:178].**

وهو عذاب الآخرة، بحيث لا تقبل منه دية، وإنما يتعين قتله إلا أن يرى الإمام [إمام المسلمين] عدم قتله ودفع دية من قتله [لما يشاهد من حالة القبائل أو الشعب فله ذلك؛ لأن قوله تعالى: **فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة:178]** مجمل، وهو في الآخرة؛ لأنه لا شك أنه قاتل ظلماً وعدواناً، وأما في القضاء فمادام قد قتل بعد ما قبل الدية فإنه يقتل، ولا دية هنا حتى لا يتلاعب بذلك، فيقتل فقط، إلا إذا رأى الإمام عدم قتله، مثل أن يخاف أن يترتب عليه مفسدة أخرى، كأن تتعصب القبائل أو الجماعات أو غير ذلك، فينظر في هذا ويهدئ الموقف، ويقول: خذوا الدية منه واركوه؛ لأن الإمام نائب عن الله عز وجل.

خلاف علماء أهل السنة في جملة من المسائل المتعلقة بالقصاص

قال: [وأخيراً: اعلم أيها القارئ الكريم!] والمستمع المستفيد [أن هناك خلافاً بين فقهاء الإسلام من أهل السنة والجماعة] وأهل السنة والجماعة هم المذاهب الأربعة فقط الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة، فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة، ومن خرج عنهم فهو خارجي، وأولهم أبو حنيفة فقد عاش مع التابعين، ويمكن أنه أدرك صحابياً، و مالك عاش مع ثلاثمائة تابعي من الذين عرفوا الصحابة، و الشافعي تلميذه، و أحمد تلميذ الشافعي، فهؤلاء الأئمة احتوتوا الشريعة الإسلامية، ولم يخرج شيء عنهم أبداً، فأصبحت العبرة بهم، لا بالشذوذ، فمن شذ لا قيمة لشذوذه، والرسول يقول: (يد الله مع الجماعة). قال: [وهي في المسائل الآتية].

المسألة الثالثة: حكم قتل الجماعة بالواحد

[ثالثاً: ذهب الجمهور إلى أن الجماعة إذا اشتركوا في قتل واحد يقتلون به] فلو أن حياً كاملاً تأمروا واشتركوا في قتل واحد، هذا بالسكين وهذا بالمقص وهذا بالعصا، وساهموا في قتله يقتلون كلهم به؛ وذلك [لقول عمر رضي الله عنه] وأرضاه، ذلك الذي أشبه أن يكون نبياً، وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: (لو كان في أمتي محدثون - أي: من تحدثهم الملائكة - لكان منهم عمر)، (وما سلك عمر فجاً - أي: شارباً واسعاً - إلا سلك الشيطان فجاً غير فجّه).

(وما قال عمر في شيء أظنه كذا، إلا كان كما ظن).

وقد عرفتم أنه وصل إلى هذه المرتبة؛ لأنه ترفع عن الأكل والشرب والعبث [في غلام] صغير [قتله سبعة] تأمروا عليه [فقتلهم، وقال: (لو تما لأهل صنعاء)] كلهم [(لقتلتهم)] وليس سبعة أنفار فقط، فهذا ذهب الجمهور إلى أنه إن اشترك عشرة أو عشرون أو قرية كاملة في قتل واحد أنهم يقتلون كلهم.

المسألة الثانية: حكم قتل الرجل بالمرأة

[ثانياً: ذهب البعض كالحسن البصري و عطاء وهما تابعيان إلى أن الرجل لا يقتل بالمرأة، ولكن تدفع الدية، ورد هذا الجمهور، وقالوا بالقصاص؛ لآية المائدة: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ [المائدة:45] الآية. فلا التفات إلى رجلين من التابعين خالفوا الجمهور [ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (المسلمون تتكافأ دماؤهم) واحفظوا هذه الكلمة: (المسلمون تتكافأ دماؤهم)، أي: متكافئة، مهما كان الشخص، أبيض أو أسود، فقير أو غني، عالم أو جاهل، شريف أو ضيع، ذكر أو أنثى، فدماؤهم متكافئة، وليس هناك دم أشرف من دم. بل (المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد واحدة على من سواهم).
المسألة الأولى: حكم قتل الحر بالعبد

قال: [أولاً: في قتل الحر بالعبد] والآن ليس عندنا عبيد، ومن يوم أن تركنا الجهاد وتركنا البشرية تعيش في الكفر والضلال لم يعد يوجد العبيد، فالعبيد يأتون من أسرى الحرب، ورحمة بهم نلطف بهم ونحسن إليهم ونعلمهم فيصبحون أحراراً ربانيين، وإذا لم يوجد الجهاد لم يوجد العبيد. وعلى كل حال قد يقع الجهاد غداً، ونحن نتعلم الحكم، والأمر لله [حيث ذهب الجمهور] مالك و الشافعي و أحمد ووراءهم بلايين التلاميذ والعلماء [أن الحر إذا قتل عبداً لا يقتل به، ولكن يدفع قيمته لمالكة بحجة أن العبد يباع ويقوم بقيمة] فأنت لما تحتاج أن تباع عبدك تباعه بالمال، ومادام فيه عوض موجود فلا تقتل هذا المؤمن، فدعه يذكر الله ويعبده ويجاهد في سبيل الله، وهذا معقول، فالعبد يباع في السوق، وأيما مؤمن عنده عبد واحتاج إليه يبيعه، ويشتره القريب والعبيد، وهذا أمر أجاز به الله.

فمن هنا إذا الحر قتل العبد لم يقتل به؛ لأن العبد مقوم بقيمة مائة ألف أو مائتين، فتعطى لسيد العبد المقتول [فلذا من العدل أن لا يقتل حر به، ولكن يعطى مالكة قيمة مثله، وذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى إلى أنه يقتل به الحر أخذاً بظاهر الآية: النَّفْسَ بِالنَّفْسِ [المائدة:45] وهذه نفس وهذه نفس، والجمهور أرقى، فقالوا: يا أبا حنيفة هذا العبد يباع بقيمة وقد اشتري بها، فلا تقتل المؤمن، بل ندفع قيمة العبد [والذي يظهر] وخذوا هذه من شيخكم [أن الأمر يرجع إلى الإمام، فإن خاف فتنة واضطراباً أخذ بالآية، وهي القصاص، وإن لم يخف ذلك] وسكن الشعب وهذا [أخذ بمذهب الجمهور، وهو دفع قيمته لمالكة لا غير] وبهذا جمعنا بين المذاهب، ولم نصبح مذاهب أربعة، والله إننا لمذهب واحد، وعلى هذا مناجى المسلم، وقد درسه المسلمون أكثر من عشرين سنة، فلم يقل الحنفي: أنا حنفي ما أقرأ هذا الكتاب، ولا قال المالكي: نحن مالكية ما ندرس هذا الكتاب، ولا الشافعي يقول: نحن شافعية، والحمد لله، لأنه جمع بين ما هو الحق بين المذاهب الأربعة، ومدلل بالكتاب والسنة، فهذا ذلك الضغط الذي عاشت فيه الأمة انتهى، ولم يعد يقرأ الكتاب المالكي ويتركه الحنفي، كما كان عندما تقسمنا وتجزأنا وهبطنا بأنفسنا، بل أنا مسلم، قل لي: قال ربي وقال نبيي وأثبت لي ذلك حتى أعمل به، وهذا ليس شرطاً أن يكون قاله أبو حنيفة أو أحمد أبداً، فالحمد لله هناك الآن تخفيف كبير.

وأريدكم بياناً، يجلس الرجل في الحج على كرسي هنا أو في مكة فلا يأتيه الرجل ويقول: أنا شافعي، فهل يصح مني كذا وكذا؟ فيقول: أنت شافعي لا، ولا يأتيه آخر ويقول: أنا مالكي وقد رميت بعد كذا فما الحكم؟ فيقول كذا وكذا، ولا يأتيه حنبلي ويقول: أنا حنبلي وقد فعلت كذا وكذا، ويفتيهم كلهم حسب مذاهبهم، ويرضى بتمزيقهم وقسمتهم؛ إذ لم يؤذن له في هذا، فأنت إذا كان عندك قال الله وقال رسوله، وفهمت عن الله وعن الرسول فلا ترضى بتقسيم الأمة، فنحن لا نقبل كلمة أنا شافعي أو حنفي أو مالكي يفتيني، بل أنت مسلم فنعطيك حكم الله، فأسلم قلبك وارض به الله، وما زالت الغفوة كما هي، لكن هناك نور والحمد لله.
كما يكون القصاص بالنفس يكون بالأعضاء كذلك

قال: [تنبيه: القصاص كما يكون بالنفس يكون بالأعضاء؛ لآية المائدة: وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ [المائدة:45] فلو أن شخصاً ضرب أخاه ففقد عينه ففيها نصف الدية، وإذا طالب بالقصاص فالطبيب والممرضون يفقدون عينه ويعالجونه، وإن قال: الدية تكفيني أخذ الدية، وإن قال: عفونا عن أخينا تم العفو، وهذا لا يوجد في غير شريعة محمد، وإن قطع الأنف قطع أنفه، وإن شاء عفا وعمل أنفاً من ذهب، وكان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مجاهد ضرب في أنفه فقطع في المعارك، فعمل أنفاً من نحاس فتعفن، فأرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الذهب، فالذهب يتلاءم مع جسم الأدمي، ومن ذلك أسنان الذهب، هذا أبو القاسم قبل أن يعرف الناس الذهب، فمن

قطع أنفه له أن يقطع أنف الثاني، وليس هو الذي يباشر القطع كالجاهلية، بل الإمام والقاضي والطبيب هو من يقطع أنف الآخر، أما أيام هذه العصور الهابطة فلا قضاء، فلو وجده يفعل كذا فعل به كذا، ولو قتل أخاه قام فقتله، وهذا ليس من حقه هو، فالقصاص يقيمه إمام المسلمين [والعفو يكون في النفس والأعضاء، والدية كذلك]. مقدار الدية

قال: [ودية الرجل الحر مائة بغير أو ألف مثقال ذهب] والآن عشرين مثقالاً يساوي سبعين جراماً، وهذه كمية كبيرة [أو اثنا عشر ألف درهم فضة] هذه دية الحر الرجل [ودية المرأة على النصف من دية الرجل. ولمزيد البيان اقرأ أيها القارئ الكريم! الفصل العاشر من الجنايات وأحكامها من كتاب منهاج المسلم للمؤلف]. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 5

فرض الله عز وجل على أمة الإسلام الصيام كما فرضه على من سبقها من الأمم، فعلم بذلك أن مشقة الصيام ليست أمراً اختصت به هذه الأمة وحدها، إلا أن الله عز وجل اختص هذه الأمة بصيام رمضان، وأنزل عليها فيه خير كتبه، وجعل في لياليه ليلة تعدل في الفضل ألف شهر ليس فيها هذه الليلة، وهذا من عظيم فضل الله تعالى ومنته على هذه الأمة.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

وبالأمس كان النداء بعد أعود بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة: 178].

وعلمنا مما علمنا ربنا في هذا النداء أنه لا بد من المساواة، فلا يقتل الحر بالعبد، ولا الأنثى بالرجل، ولكن الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى.

وعلمنا أن هذا سببه: أنه كان هناك حيان من أحياء العرب، حي قاهر للآخر ومتعال عليه ومتسلط، فإذا قتل من الحي الغالب امرأة أبى إلا أن يقتل بدلها رجلاً، وإذا قتل عبد من ذلك الحي الغالب يأبى أن يقتل عبداً بل يقتل حراً، واستمر هذا زمناً، ثم جاءت أنوار الله وهداية الرحمن في هذا الدين الإسلامي، فأبطل الله تلك العادة الجاهلية، وأصبح الحر بالحر والأنثى بالأنثى والرجل بالرجل.

ثم علمنا من هذه الآية الكريمة أن من قتل له قتيل أنه مخير بين ثلاثة: إن شاء عفا وأجره على الله، وقد أحيا نفسه تعبد ربه، فله أجرها ما عبدت الله ولو ألف سنة، وإن شاء أخذ دية قتلها وبينها الرسول صلى الله عليه وسلم كما علمنا، وإن شاء اقتصر، فيقدم القاتل بين يدي الإمام ويقتل، فهذا فيه تخفيف من الله عنا ورحمة منه بنا.

ويدلك على ذلك أن اليهود كان لا عفو عندهم ولا دية، بل القتل؛ وذلك لغلظ أكبادهم، وشدة إيغالهم في الشر والفساد، والنصارى دونهم، فلا قصاص ولا دية، وإنما هو العفو، فمن مات أبوه أو أخوه أو ولده ليس له إلا أن يقول: عفونا لله تعالى، فجاءت هذه الملة القيمة ففتحت باب الرحمة على مصراعيه، فمن شاء أن يأخذ الدية فليتفضل، ومن شاء أن يعفو فليتفضل، ومن أراد أن يقتصر فليقتصر، إلا أن الإمام هو الذي يجري هذه الأحكام. وفي هذا يقول تعالى: ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ.

ثم تنبيه إلهي: إذا رضي أخونا بالدية فيجب أن نسلّمها وافية كاملة بلا مباطلة ولا مناقصة، ولا نحيل على فلان ولا إلى البلد الفلاني، بل يجب أن نؤديها وافية بكل أدب واحترام، وعلى من يتسلم الدية أيضاً ويأخذها كذلك عليه أن يتسلمها بأدب واحترام، لا بعنف وشدة وغضب، ومن أخذ الدية ثم قتل فهذا أمره إلى الله وعذابه في الآخرة، والجمهور على أنه يقتل ولا دية فيه أيضاً، هذا ما علمناه، زادنا الله علماً من هذا النداء الرابع من نداءات الرحمن جل جلاله وعظم سلطانه.

وإليكم النداء وتأمّلوا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى .

وهذا الجزء نسخ بآية المائدة: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ .

وقوله تعالى: فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ بِأَنْ رَضِيَ بِالْديةِ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ .

فالذي يطالب بالدية يجب أن يطالب بالمعروف، ولا يقول: نريد ملء الأرض ذهباً، أو لا أقبل مائة ألف، ومن أراد أن يؤدي الدية فليؤديها أيضاً بإحسان، فهذا واجب الله علينا، وبذلك رقينا وسمونا، وأصبحنا والله خير أمة أخرجت للناس. ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ .

ووجه الرحمة أنه لو فرض علينا القصاص دون الدية للزم القتل، وكذلك من التخفيف: أنه لم يلزمنا بالدية بل وشرع العفو.

فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ بَأْنَ أَخَذَ الدِّيةَ ثُمَّ قَتَلَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَقَدْ نَقَضَ الْعَهْدَ وَنَكَثَهُ، وَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْدِمَ عَلَى مِثْلِ هَذَا بَأْنَ يُعْطِيَ عَهْدًا وَعَفْوًا ثُمَّ يَقْتُلَ، أَوْ يَأْخُذَ الدِّيةَ ثُمَّ يَقْتُلَ، حَتَّى لَا تَبْقَى نَافِذَةٌ مِنْ نَوَافِذِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ فِي أُمَّةٍ الْإِسْلَامِ. فريضة الصيام وآثاره على نفس الصائم

والآن مع النداء الخامس من نداءات الرحمن: [النداء الخامس: في فريضة الصيام وآثاره على نفس الصائم الآية (183) من سورة البقرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة: 183]].

حكم من أفطر متعمداً في نهار رمضان

أما من أكل أو شرب أو جامع متعمداً فعليه قضاء ذلك اليوم أولاً والكفارة، والكفارة: وهي صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً أو عتق رقبة إن وجدت وقدّر على ذلك، فقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم عند الدكة وهو يرتعد فزاعاً فقال: (هلكت يا رسول الله؟ قال: ما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي. قال: اعتق رقبة.

قال: من أين لنا؟ قال: فصم شهرين متتابعين. قال: أنا ما استطعت أن أصوم يوماً واحداً وأتيت أهلي، فكيف شهرين؟ قال: أطعم ستين مسكيناً؟ قال: ومن أين لنا؟ فخرج الرسول من بيته وجاء بكمية تمر ستين صاعاً - ستين مداً- فقال: تصدق بهذا على الفقراء، قال: والله ما بين لابتيتها أفقر منا)، أي: لمن أعطيها وما بين جبلي المدينة أحد وعير أفقر منا. فقال: (أطعمه أهلك).

هذا هو الكمال المحمدي والرحمة المحمدية. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. حكم من أكل أو شرب ناسياً

اعلم أن من أكل أو شرب ناسياً لا كفارة عليه، وإنما سقاه الله وأطعمه، وإن كان فرضاً فالإمام مالك يستحب أن يقضيه؛ ليكمل العدة، والله قال: وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ [البقرة: 185].

فالإمام مالك يستحب القضاء، وغيره لا يراه، والاستحباب أفضل؛ لتكمل العدة ثلاثين يوماً أو تسعة وعشرين يوماً، فهذا أفضل من أن تصوم سبعاً وعشرين يوماً أو ثمان وعشرين يوماً، وهذا كلام معقول.

وأما في النفل فلا خلاف أبداً، فمن أكل أو شرب حتى شبع وتذكر أنه صائم فيواصل صومه ولا حرج، وأكثر ما يصيبنا هذا في الشاي والقهوة، فقد يكون صائماً متطوعاً ويأتي صاحب القهوة يصب فيشرب أخونا ولا يدري، ثم يتذكر أنه صائم، فلا شيء عليه، ويواصل صيامه إلى الليل، ولا كفارة عليه.

من فوائد الصوم الروحية والصحية والاجتماعية

قال: [واعلم أن للصوم فوائد روحية واجتماعية وصحية] وبدنية أيضاً، وإليك بيانها: [ومن الفوائد الروحية: أن الصيام يعود على الصبر ويقوي عليه] فالذي يستطيع في الأيام الطويلة أن يمتنع عن الأكل والشرب صبراً واحتساباً يستطيع أن يصبر في أي موطن، ويقوى على الصبر في أي مكان؛ لأنه تمرن عليه [ويعلم ضبط النفس، ويساعد عليه] فلا تنهوى وتسقط في كل ما تريد، ويكبح جماحها [ويوجد في النفس ملكة التقوى.

ومن الفوائد الاجتماعية: أنه يربي الأمة على النظام والاتحاد وحب العدل والمساواة، ويكون في الصائم عاطفة الرحمة وخلق الإحسان، كما يصون المجتمع من الشرور والمفاسد.

ومن الفوائد الصحية: أنه يظهر الأمعاء، ويصلح المعدة، وينظف البدن من الفضلات [أي: فضلات الطعام] والرواسب [المترسبة في أمعائه، فهذا الجوع ينفيها ويسقطها ويبعدها] ويخفف من وطأة السمن، وثقل البطن بالشحم [والآن يخففون السمن بما يسمونه بالريجيم، وهي كلمة إنجليزية، وكانوا من قبل يخففون السمن بالحمية، فكان أهل السمن يحتمون أشهراً معدودة بتخفيف الأكل والشرب، فيرتاحون وتعود حالهم كأحسن ما تكون بالصيام] وفي الحديث الحسن: [(سافروا تغنموا) و [(صوموا تصحوا)] والواقع يشهد لهذا.

حكم النية في الصوم وصفقتها

قال: [وأخيراً أيها القارئ والمستمع! لا تنس النية؛ فإنها شرط في صحة الصوم] حتى صوم التطوع والنافلة [لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا صيام) أي: يقبل ويثاب عليه صاحبه] (لمن لم يبيت الصيام بالليل).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات) [والصيام عمل تقوم به الجوارح كاملة.

وجاء في السنة: أن الإنسان إذا لم ينو الصوم في الليل واستيقظ على عادته بعد الصلاة يتناول الإفطار، فسأل فقالت ربة البيت: والله ليس عندنا شيء، يجوز أن ينوي الصيام ويصبح ويظل صائماً ويعطى أجر الصائم، لأنه ما أكل شيئاً ولم يفطر وإن كانت النية حدثت الآن؛ لأن هذا الصيام تطوع، وليس صيام فرض.

والأصل فيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل على أهل بيته في الصباح ويسأل: (هل عندكم شيء؟ فإن قالوا: نعم، أكل وحمد الله، وإن قالوا: ما عندنا، قال: إذا أنا صائم).

فبدل أن يظل جائعاً لا لشيء يصوم.

ونحن الآن السُّفر في كل جانب، فيا ليتنا فقط نحمد الله، فحتى لفظ الحمد لله شحنا به، والمفروض أننا طول النهار نردد: الحمد لله، فنحن نظير كالملائكة في السماء، ومسافة الشهرين والثلاثة نقطعها في ساعة أو ساعتين ولا نحمد الله، وعندنا ألوان الطعام والشراب، ويتفجر الماء في الحيطان كأننا في الجنة، وعندنا فواكه الصيف في الشتاء، وفواكه الشتاء في الصيف، والله لكأنها الجنة، ولكن قل من يقول: الحمد لله، وقد لقيت منذ سنوات مؤمناً تغدينا معه، ما إن وضعت السفرة إلا وهو يقول: الحمد لله ويردها حتى فرغنا من الأكل، هذا في بريدة، ولقيت الأسبوع الماضي آخر في الرياض وهو عالم ليس أمياً كذاك، كان والله من ساعة ما بدأنا في الطعام وهو يردد الحمد لله حتى فرغنا، ونحن لا نعطي لكلمة الحمد لله قيمتها، فلو تعطي الدنيا بما فيها وتقول: الحمد لله، فقولك: الحمد لله أفضل مما أعطيت من الدنيا، وحسبك أن الله حمد نفسه بنفسه فقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الفاحة:2].

فإن شاء الله نحمد الله دائماً، وإياكم أن تنسوا.

[واعلم أن صيام رمضان تكفي فيه النية من أول ليلة منه] ولا يحتاج إلى تجديد النية في كل ليلة، ولك أن تجدها، ولكنها ليست لازمة ولا واجبة، بل النية أول ليلة أن تصوم رمضان وتعزم هكذا [إلا أن يفطر لعدة مرض أو سفر فإنه يعيد النية ليلة بدئه الصيام] واستئنافه له.

فإذا مرضت فأفطرت يومين أو أسبوعاً وعدت للصيام فجدد النية؛ لأنها قد انقطعت، وكذلك إذا سافرت أياماً فأفطرت ثم عدت للصيام فلا بد من النية، وكذلك الحائض أيضاً إذا حاضت أسبوعاً فتفطر، ثم تستأنف الصوم وتتوي، فلا بد من النية، وكذلك النفساء إذا طهرت تتوي الصيام وتصوم، وأما إذا لم ينقطع الصيام فتكفيك النية في أول ليلة من ليالي رمضان على أنك صائم رمضان.

ما يبطل به الصيام

قال: [واعلم أيها القارئ الكريم أن من أكل] في رمضان [أو شرب أو جامع] امرأته متعمداً وتلطخت نفسه بلطخة لا يزيلها ماء النيل بكامله إلا ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم: إما صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً أو عتق رقبة [وهو صائم فسد صومه] لأنها ذنب عظيم، فالمؤمنون صائمون، وهو يستهويه الشيطان ويدفعه إلى أن يتعدى حد الله ويفطر في رمضان.

ويقصد بالأكل والشرب كل ما يصل إلى الحلق أو المعدة، ولو من طريق الأذن أو الأنف أو الفم، فهذه منافذ تصل إلى الحلق، فلماذا يحسن بمن يستعمل القطرة أن يستعملها في الليل، وعلى المؤمنات أن لا يكتحلن في أول النهار؛

لأن الكحل يتحلل شيئاً فشيئاً ويصل إلى الحلق، فالمؤمنة تكتحل بعد العصر، فلا يتحلل ويصل حتى يؤذن المغرب، أو تكتحل بعد صلاة المغرب أو مع العشاء، وأما الاكتحال في أول النهار فيفسد صومها، وكذلك غير الاكتحال كالقطرة في الأنف أو العين أو الأذن، وأصحاب الإبر الأولى أن يستعملوها بالليل، فإن كان مريضاً ولا بد فلا بأس، فإن استعمل إبر للتغذية بطل الصيام، فتجوز إبر التغذية للعلاج فقط، وأما للغذاء فلا يصح، ويستعملها بالليل. وأما البخاخ فقد أفتى العلماء بجوازه؛ لأنه ليس أكلاً ولا شرباً، وإنما هو هواء وصاحبه مضطر إليه؛ لما فيه من ضيق النفس، فلنقبل ما آتانا الله من طريق علمائنا.

[وأن من اغتاب] أي: تكلم في مؤمن وهو غائب، أو قال في مؤمن كلمة لو سمعها ذاك المؤمن لغضب وتأثر بها، هذا هو الاغتياب، فلا تتحدث عن أخيك وهو غائب عن المجلس وتذمه أو تشتمه أو تعيره أو تذكره بسوء حتى ولو كان ذلك فيه، فقد قال أحد الصحابة رضي الله عنهم: (رأيت يا رسول الله! إذا كان في أخي ما قلت؟) كأن أقول: أعمش وهو أعمش حقيقة؟ (قال: نعم، إن كان فيه ما قلت فقد اغتبتبه، وإن لم يكن فيه ما قلت فقد بهته). والبهتان أعظم، ولهذا فلنحرص في مجالسنا أيها المؤمنون! ويا أيها المؤمنات! ألا نذكر فيها مؤمناً ولا مؤمنة إلا بخير فقط، ومن أراد أن ينصح أو يوجه يذهب إلى صاحبه ويقول له، ولا يتحدث به في مجالس الناس، هذه هي الغيبة [أو نم أو سب مؤمناً بطل أجره] فيخرج صفر اليدين ولا حسنة، فحسانته قد تبخرت وتلاشت. ومعنى نم أي: نقل الحديث من أجل الأذية، كأن يقول: فلان سبك .. فلان شتمك .. فلان كذا؛ حتى يثير العداوة والبغضاء بين المؤمنين. هذا النمام.

ومما يؤثر عن السلف: أنه كان عبداً يباع في سوق العبيد وكان صاحبه مؤمناً، فإذا جاء أحد يسأله في ثمنه قال: بكذا على شرط أنه نمام، فكان الناس يهربون من شرائه؛ لأنه نمام، فجاء شخص شحيح مثلي فسأل عن ثمنه فقال: بألف ريال، والعبيد يساوون مائة ألف، فقال: دعه ينم، أنا محتاج إليه، فاشتراه بأرخص قيمة، ومضت الأيام، فجاء لامرأة سيده وقال لها: يا ست! - وهذه لغة مصرية، أي: يا سيدة!- تريدين أن يحبك زوجك؟ قالت: نعم. قال: خذي من لحيتي شعيرات وبخري بها كالبخور، فيصبح يحبك أكثر النساء، فسألته كيف تصنع؟ فقال: في الليل عندما ينام ائت بمقص وقصي، أو بسكين واحلقي، وقال لسيدة: أنا أرى ربة البيت ليست راضية عنك، فاحذرها يا سيدي! فأنا خائف منها، فتناوم الفحل في الظلام والليل وإذا بالسيدة بسكينها تقترب منه، فما إن رفع رأسه ووجد بيدها السكين ضربها بعصاه وقتلها؛ لأنها تريد قتله، فجاء أهل المرأة ووجدوا أن ابنتهم مقتولة، فصارت مقتلة بين الجانبين بسبب النميمة، فقد نم إليه ونم إليها الحديث الباطل. فضل الصيام وما يترتب على أدائه من الأجر

قال: [واعلم أيها القارئ والمستمع! أن الصيام من أفضل العبادات، وأعظمها أجراً؛ فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك). والخلوف رائحة الفم المتغيرة بطول الصيام] وبقلة الطعام والشراب، فيصاب ذاك النفس برائحة كريهة، لأنه ما نظفه كل ساعتين أو ثلاث بالأكل والشرب، فهذا الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك، حتى إن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله كان يكره الاستياك بعد الزوال، ويقول: لا تستاك بعد الزوال، ودع الرائحة ما دام يحبها الله، فمن فعل كما فعل فله ذلك، ومن استاك فله ذلك، والمسك ليس القطران، وإنما هو ذو الرائحة الطيبة، وأصله من دم غزال يوجد في جبال التبت بالهند، وهو عبارة عن دملة تكون في الغزالة أو الغزال، وتؤثر عليه وتؤلمه حتى تنضج، فيتحكك هكذا على الصخرة فيخرج القيق، وذلك هو المسك، فالقيق هو المسك، فيأتي طلاب الرزق يجمعونه من الصخور، وفي هذا يقول القائل: وإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال أي: ليس في ذلك عجب. هذا المسك، وهو أذكى رائحة من جميع العطور، ولا يساويه البخور ولا غيره [وقال صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)] وهذه الجائزة لا بد من التوبة الصادقة معها، فإذا دخل رمضان ونويت أن تصومه فانو التوبة من كل ذنب مضى، ولا تعد إليه أبداً، فإن حققت هذه التوبة فالجائزة والله كما أخبر الرسول: أن يغفر لك ما تقدم من ذنبك مهما كان ذلك الذنب، وأما وأنت مصر فلا. الأيام التي يستحب صيامها

قال: [ورغب صلى الله عليه وسلم في صيام ستة أيام من شوال، وصيام التاسع والعاشر من شهر المحرم، ويوم التاسع من شهر ذي الحجة، وهو يوم عرفة، فقال صلى الله عليه وسلم: (صيام عاشوراء)] أي: اليوم العاشر من محرم [يكفر ذنوب سنة، وصيام يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين الماضية والآتية] أيضاً، ولا تعجب من الجوائز؛ فإن الله غني ذو فضل عظيم [ورغب في صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وهي الأيام البيض: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وقال صلى الله عليه وسلم: (إنها كصيام الدهر)] لأن الحسنه بعشر أمثالها، فالיום بعشرة، والثلاثة الأيام من الشهر بشهر، فتكون كصيام الدهر، و أبو هريرة يقول: (أوصاني حبيبي .. خليلي أن أصلي أربع ركعات في الضحى، وأن أصلي الوتر قبل أن أنام، وأن أصوم ثلاثة أيام من كل شهر). فقد عرف عجزه وضعفه فأعطاه هذه العطية، فلا يقوم الليل، بل يصلي ما شاء الله قبل أن ينام، وفي الضحى ركعتين أو أربع، ويصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وما زال الصالحون على هذا المنهج إلى يوم القيامة] كما كان صلى الله عليه وسلم يصوم الإثنين والخميس [ولم يأمر بصيامهما ولا رغب فيهما، ولكن كان يصومهما، فمن كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأتسي به فليصم الإثنين والخميس، وعلل صيامه الإثنين بقوله: (لأنه يوم ولدت فيه وبعثت فيه). ويوم الخميس بقوله: (تعرض الأعمال على الله، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم). من يباح لهم الفطر في رمضان

قال: [ومن] مظاهر [رحمة الله تعالى] الإلهية [بعباده المؤمنين] من أمثالكم [أن للمريض والمسافر أن يفطرا] فالمسافر الذي يركب الجمل أو البغل أو الحمار ويجتاز الجبال والصحارى لا يستطيع أن يصوم؛ لأنه يعطش ويجوع، فيفطر [ويقضيا ما أفطراه بعد الشفاء، والعودة إلى البلد] فالمسافر إذا عاد إلى بلده واستراح يقض ما أفطره، والمريض الذي لا يقوى على أن يصوم لا يمتنع من الأكل والشرب، بل يفطر، وإذا شفاه الله يقض، وهذا من مظاهر الرحمة الإلهية [كما أن الحائض والنفساء تفتران وتقضيان بعد الطهارة من الحيض ودم النفاس] بل حتى المرضع إذا خافت على ولدها أو على نفسها تفتّر أيضاً وتقضي، وكذلك الحامل إذا كان بطنها ممتلئاً بالجنين أو بجنينين إذا كانت لا تستطيع الصيام فتفتّر أيضاً وتقضي، وكذلك الشيخ الكبير أيضاً يفطر كما سيأتي [إذ قال تعالى: وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ [البقرة:185]] أي: فعليه قضاء عدة من أيام غير التي سبقت من الشهر الآتي [وأما المريض الذي لا يرجى برؤه] كان يقول الأطباء: هذا مرض مزمن لا يفارقه [والشيخ الكبير الهرم فإنهما لا يصومان] بالمرّة [و] لكن [يطعمان عن كل يوم مداً من طعام] من دقيق أو بر أو رز أو تمر، والمد الحفنة [للفقراء والمساكين]. شهر الصيام عند أمة الإسلام هو شهر رمضان

قال: [وقد بين تعالى شهر الصيام] فلما قال: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ [البقرة:183] بينه تعالى [بقوله: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ [البقرة:185]] فعرفنا أن الصيام الواجب المطلوب على المؤمنين والمؤمنات هو صيام شهر رمضان، فنزول القرآن كان فيه، وأول آية نزلت في غار حراء بجبال مكة الطاهرة كانت: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق:1-5].

وقد كانت والله في رمضان؛ لأن الوحي ابتداء في ربيع الأول والثاني وجماد الأول والثاني ورجب وشعبان، وكان الوحي في هذه الستة الأشهر مناماً؛ حتى يألف ويعتاد ويقوى على المفاجأة، إذ سيفاجئه ملك، وفي رمضان وهو الشهر السابع فاجأه في غار حراء سيد الملائكة جبريل عليه السلام [وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم] فالرسول يبين للناس، ولكن الله بين الشهر بنفسه، وشهر رمضان الذي بين شوال وشعبان، وسمي رمضان لأنه مأخوذ من الرمضاء، وهي الحرارة؛ لأنه شرع أو فرض في أيام الحر [بقوله: (بني الإسلام)] أي: الدين الإسلامي [(على خمس)] قواعد كقواعد البناء التي يبنى عليها البناء، ثم بينها فقال: [(شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)] وهذه القاعدة الأولى [(وإقام الصلاة)] وهي القاعدة الثانية [(وإيتاء الزكاة)] وهي القاعدة الثالثة [(وحج البيت)] وهي القاعدة الرابعة [(وصوم رمضان)] وهي القاعدة الخامسة. وهذا حديث مسلم، فأخر الصيام عن الحج.

ما يلزم الصائم الإمساك عنه حال صيامه

قال: [والصيام] الذي كتبه الله علينا [معناه: الإمساك] أي: الامتناع، فأمسك عن الشيء امتنع [عن الأكل] ولو حبة عنب، وليس معناه الغداء في صحفة [والشرب] ولو قطرة ماء، فكل ما هو أكل وشرب سواء قل أو كثر ممنوع؛ لأنه صيام وامتحان [والجماع] أي: مخالطة الزوجة [وذلك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس] لقول الله تعالى: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَّامَ إِلَى اللَّيْلِ [البقرة:187].

والليل مبدؤه غروب الشمس، فإن سقط قرصها في الأفق دخل الليل، والفجر فجران، فجر كاذب وفجر صادق، فالفجر الكاذب إذا كنت جالساً تحت النخلة أو في الحوش أو في السطح أيام الصيف ترى بياضاً يأتي هكذا فتقول: طلع الفجر، وبعد أربع دقائق أو خمس فجأة يأتي ظلام كامل، ثم بعدها بخمس دقائق ينبلع الفجر هكذا أفقاً. معنى النية

قال: [بنية الصيام].

النية: هي قصد الفعل وعزم القلب على فعله، وهذه النية لا تكون باللفظ كأن تقول: نويت أن أصوم رمضان أو نويت أن أصوم غداً، ولا أن تقول: نويت أن أصلي العصر أو نويت أن أعتكف، بل دع هذا الله علام الغيوب، وأضمر ذلك في نفسك بأنك تريد أن تصوم، ولست في حاجة إلى أن تجهز وتقول: أريد أن أصوم. فالنية: عزم القلب والتصميم على الفعل، وهي شرط في صحة الصلاة، بل شرط في صحة أية عبادة حتى الوضوء، ولو دخلت الحمام سبعين مرة أو انغمست في البحر ولم تنوي رفع الجنازة فوالله ما ترتفع، وأنت جنب، ولا ينفك ولو غطست في الماء سبعين مرة، فلا بد من النية، وفي الحديث الصحيح: (إنما الأعمال بالنيات). وهذا حصر كامل، إنما الأعمال بالنيات.

فهذه النية لا بد منها، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

معنى قوله تعالى: (الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)

قوله تعالى في سورة البقرة: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ [البقرة:187] فهم أحد كرام الصحابة ورجالهم وأبطالهم أنها خيوط حقيقية، فوضع عند رأسه في فراشه خيطان أسود وأبيض، وصار كلما ينم قليلاً يقوم ينظر الخيطين، فلما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنك يا فلان! لعريض القفا)، أي: قفاك عريض كما بين السماء والأرض؛ لأن الذي يضع الفجر تحت قفاه عريض. الإخبار بما كتب على الأمم السابقة من الصيام فيه تخفيف ومواساة لأفراد هذه الأمة

قال: [هذا النداء الموجه للمؤمنين والمؤمنات يحمل فرضية صيام رمضان] على كل مؤمن ومؤمنة [ولما كان في الصوم مشقة] قطعاً [لأن ترك المعتاد من الأكل والشرب شاق على النفس] ومن شك فليُنظر إلى الذين يدخنون فإنهم يحاولون أن يتركوا الدخان ويقولون: ما استطعنا، وتدفعه النفس وتحركه، والأكل والشرب من باب أولى، وقد اعتاد العام كاملاً أن يأكل ويشرب، ثم فجأة يؤمر بأن لا يأكل ولا يشرب.

وهذا شاق [لذا هونه الله تعالى على عباده المؤمنين بقوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ [البقرة:183]] وليس عليكم وحدكم، فالأمة التي سبقتكم فرض الله عليها الصيام أيضاً [أي: المؤمنين الأولين أتباع الرسل عليهم السلام].

وهذا على حد قول العامة [من الناس:] المصيبة إذا عمت خفت [أو هانت ونحتج بكلام العوام؛ لأنه مأخوذ من أهل العلم وصاغوه صياغات، فالمصيبة إذا عمت خفت أو هانت، وقلنا هذا لأنه قال: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ [البقرة:183]، أي: فصوموا، ثم قال: كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ [البقرة:183] ليهون علينا، أننا لسنا أول من صام وترك الطعام والشراب لله، فقد سبقتنا أم صامت.

تشریف الله للمؤمنين بنداؤه لهم

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ!] الذي يقرأ النداءات التي جمعت في كتاب [والمستمع] الذي يصغي ويستمع إلى القارئ وهو يقرأ، وكلاهما مخاطب منادى، أحبا أم كرها، فعلى هذا أن يحسن القراءة وعلى هذا أيضاً أن يحسن الاستماع، حتى يؤدي كل منهما واجباً أوجبته الله تعالى عليه [أنك بإيمانك منادى بهذا النداء الإلهي] ولولا أنك مؤمن لما ناداك الله، ولما دخلت في قول الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [وأنه لشرف لك وأي شرف] فهو سمو وكمال، فمن نحن وما قيمتنا حتى ينادينا الجبار جل جلاله وعظم سلطانه ليعلمنا وليرشدنا، وليأمرنا بما فيه سعادتنا، ولينهانا عما فيه شقاؤنا؟ فجبriel له ستمائة جناح، وقد سد الأفق، وأن مدن سدوم وعمورة رفعها من الأرض إلى السماء وقلبها، ونحن لا قيمة لنا لولا أن الله تعالى رفع من شأننا، وأعلى من قيمتنا، وأنزل كتابه إلينا، وبعث رسوله فينا؛ من أجل أن نكمل ونسعد، فالحمد لله أن أصبحنا أهلاً لأن ينادينا الله، فلا تستخف بالنداء، فهو أمر عظيم، وقد مثلنا: لو أن حاكماً من حكام الناس يناديك بين الناس: يا فلان! تشعر بارتقاع وعزة؛ وهذا أمر فطري من طبائعنا، فقد ناداه الملك، فكيف بالذي يناديه ملك الملوك، رب السماوات والأرض، الذي يكور الليل على النهار، والنهار على الليل، والذي سخر الشمس والقمر يجريان إلى نهاية الحياة؟ فالشمس أكبر من الأرض بمليون ونصف المليون مرة، وهي كوكب ناري لا تنطفئ أبداً، فلا إله إلا الله! رغم أنف الشياطين [فأصغ بأذنك تسمع، وأحضر جميع أحاسيسك وأفهم، ووطن النفس على أن تعمل بما تعلم] وليس مجرد سماع فقط [فإن في ذلك] الإصرار والفهم والعمل [لحاقتك] أي: ما يلحقك [بعظماء العباد] وليس مجاناً وبلا شيء [فقد روى مالك في الموطأ] وهو أول كتاب ألف في هذه الأمة بعد القرآن العظيم [أن من علم وعمل بما علم وعلمه غيره دعي في السماء عظيماً] وإذا كتبت الجريدة وقالت: فلان فنان المملكة فإنه يفرح بذلك، والذي ينادى في الملكوت الأعلى وفي عالم القدس والظهر: عظم شأن فلان؛ لأنه علم وعمل ما نهتز له ولا نظرب، ونحن نتسابق في المسابقات لنبرز فيها، حتى في اللعب، ولا نلام في هذا، فنحن قد هبطنا، فبعد أن كنا في علياء السماء نزلنا إلى الأرض، واقرأوا قول الله تعالى في سورة الأعراف: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا [الأعراف: 175-176].

فالذي يرفعنا هو الآيات القرآنية، وهذه النداءات هي التي رفعت البشرية إلى هذا المستوى، وقد سمعنا أن كبيراً من العلماء الصناعيين قال: لو تقدم الإسلام بكذا قرن لكننا الآن فوق هذا المستوى، وهذه الكهرباء نتيجة هذه الأمة بإيمانها وإسلامها وطهارتها، وقبل نزول هذا القرآن كانت البشرية لاصقة بالأرض، وكانت كالبهائم يأكل بعضها بعضاً، وما إن لاحت في أفق السماء هذه الآيات حتى أخذت البشرية ترتقي وترتفع، وفي خمسة وعشرين سنة فقط عم الإسلام شبه المعمورة.

والمفروض أن من حفظ نداءً في هذا المجلس وفهمه ينبغي أن يبلغه غيره، فإن كان له أسرة ففي البيت يجلس معهم ويعلمهم، وإن كان له زميل أو رفيق في الشارع يعلمه، وإن كان له صحبة مع جماعة في عمل يقول: سمعنا نداء حفظناه البارحة هو كذا وكذا، فاحفظوه وتعلموه، وبذلك ينتشر النور، ولكننا لم نعط هذه الأنوار قيمتها ولم نبال بحفظها والعمل بها أو لا، والحياة ماشية، وهذا هو الطابع الذي طبعونا به، ونحن نقول هذا فقط للتأسف.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 6

إن الله عز وجل حين شرع الإسلام لعباده ورضيه لهم ديناً؛ ألزمهم بأخذه كاملاً بكل ما فيه من أوامر ونواه وتشريعات وحدود، فمن أخذه كما أمره الله عز وجل فقد أفلح وأنجح، ومن رفضه أو رد شيئاً منه فقد خاب وخسر، وآل عمله إلى تباب، وكان من حزب الشيطان الذي لعنه الله، وتوعده وأتباعه بالعذاب الأليم. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، وكان النداء السالف يوم أمس هو قول ربنا تبارك وتعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ [البقرة: 183-184]. ففهمنا من هذا النداء الإلهي: أن الله تعالى فرض علينا بوصفنا مؤمنين وكوننا مؤمنين، فرض علينا الصيام، إذ قال: كُتِبَ [البقرة: 183]، أي: فرض. عَلَيْنَا الصِّيَامُ [البقرة: 183].

وقد بين تعالى لنا شهر الصيام بنفسه، إذ قال في هذا السياق: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ [البقرة: 185].

علمنا أن الصيام هو الإمساك والامتناع وترك الأكل والشرب والجماع، وأن الظرف الذي نصوم فيه هو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فقبل طلوع الفجر الأكل كالشرب كوقاع النساء مما أذن الله فيه وأباحه وأحلّه، إذ قال تعالى: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ [البقرة: 187].

بين لنا رسولنا صلى الله عليه وسلم ما ينبغي أن نكون عليه حال صيامنا بصورة خاصة، وهو أننا لا نتكلم بسوء، ولا ننطق بأذى، وبخاصة السب والشتم والتعيير للمؤمن، والغيبة التي هي: أكل لحم المؤمن وهو غائب، والنميمة التي هي: إيقاد نار الفتن حتى تراق الدماء وتتنتهك الحرمات، فالذي لا يمسك عن الغيبة والنميمة ليس لله حاجة في أن يترك طعامه وشرابه؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه).

ومن ثم نغض أبصارنا عن النظر إلى ما حرم علينا من نساء المؤمنين، ونكف ألسنتنا فلا ننطق إلا بمعروف، وهذا في الحقيقة نظام حياتنا سواء كنا صائمين أو مفطرين، فالغيبة حرام، والنميمة حرام، ونهش عرض المسلم حرام، ولكن بصورة خاصة ونحن متلبسون بالعبادة، فالمؤمن إذا أحرم وقال: لبيك اللهم لبيك حجاً أو عمرة أصبحت حاله كحال من دخل في الصلاة، فالذي يقول: الله أكبر يصلي الظهر أو العصر لا يضحك، ولا يتكلم، ولا يمس شيئاً، ولا يمشي ولا يتأخر؛ لأنه في داخل الصلاة، وكذلك من أحرم وقال: لبيك اللهم لبيك امتنع عن كل ما هو ذنب وإثم، أو اختل عمله ولم ينتج له الطاقة المطلوبة، وهي الحسنات المطهرة للنفس البشرية والمزكية لها، وكذلك الحال إذا صمنا، وقد كان بعض الصالحين إذا دخل رمضان طوى فراشه، وكان بعضهم لا يدخل على أهله في النهار أبداً، بل من بستانه أو دكانه إلى المسجد، وهكذا كان الصيام معداً لنا لنقواه تعالى.

التقوى هي الخطوة الثانية في تحقيق الولاية الربانية، فالخطوة الأولى هي: الإيمان فأمناً، والخطوة الثانية: تقوى الله عز وجل بفعله وترك ما حرم أو ما أوجب تركه، فهذه التقوى يعين عليها الصيام سواء في رمضان أو في غير رمضان؛ إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة: 183].

قال بعض أهل العلم: (لعل) هنا نسميها الإعدائية، أي: لتعدنا لتقوى الله عز وجل، فمن فاز بتقواه تحققت له هداية مولاه، وأصبح ولياً لله، فإذا سأله أن يزيل جبلاً لزال. ونعيد تلاوة هذا النداء تذكيراً للناسين: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ [البقرة: 183-184].

هذا الموقف تطلب بيان أشياء ذكرناها أمس، أولاًها: النية، وهي شرط في صحة العبادة، ولو أن أحداً دخل البحر ثلاث ساعات يعوم ويغطس ويخرج بدون أن ينوي رفع الحدث الأكبر فما زال جنباً، فلا بد من النية، فكونه يمتنع عن الأكل والشرب والنكاح ولو أربعاً وعشرين ساعة، ولو أربعين يوماً بدون أن ينوي الصيام فلا صيام له. وقد علمتم أن صيام رمضان يكفي فيه النية أول ليلة على أننا نصوم رمضان، ولا حاجة إلى تجديدها على سبيل الوجوب، وأما على سبيل الندب فنعم، فكل لحظة من اللحظات جدد فيها عهدك بربك، وعلمنا أن الحائض والنفساء والمسافر إذا أفطروا لهذا العذر وعادوا يصومون لا بد من إعادة النية وتأكيدها؛ لأن الصيام انقطع بالسفر أو بالمرض، فلا بد من تجديد النية، والنية: هي عزم القلب وتصميم النفس على الفعل أو الترك، وليست قول: أنني نويت كذا، فهذا من عمل العوام، وأما أهل العلم من أمثال السامعين والسماعات فلا يقولون: نويت، وإنما يصممون على أن يفعلوا ويفعلون.

وجوب قبول شرائع الإسلام كلها وحرمة اتباع الشيطان

[النداء السادس] من نداءات الرحمن لأهل الإيمان، وهو [في وجوب قبول شرائع الإسلام كلها وحرمة اتباع الشيطان].

حكم من رفض شيئاً من أحكام الشريعة

مضمون هذا النداء ومطلوبه ومفروضه: هو أن نلتزم بكل شرائع الإسلام، وليس لنا حق في التخير بالقيام والترك، بل يجب قبول كل ما في الشريعة حتى في قلم الأظفار، فلو أن شخصاً قال: أنا لا أقلم أظفاري فقد كفر؛ لأنه رد شريعة الله، فقد كان الرسول يقلم أظفاره ويعلم أصحابه ذلك، وهو يقول: أنا لا أقلم أظفاري، فهذا ما بقي له إسلام، وسيأتي بيان هذا.

ولو أن شخصاً قال: أنا أقبل الإسلام وأدخله واغتسل وصام وصلى، إلا أنه قال: أنا لا أعترف أبداً بأن الإسلام أباح أكثر من امرأة، فإنه لا يبقى مسلماً، ويكفر؛ لأن عظمى حكم الله، وهذا هو الكفر. ولو قال: أنا أو من بالإسلام وبكل شرائعه إلا أنني لا أعترف بقطع يد السارق، فإنه لا يبقى مسلماً، ويكفر بذلك. ولو قال: أنا أعترف بالصيام وأصوم ثلاثة أشهر في الشتاء، وأما في منتصف الصيف فلا، فإنه لا يبقى مسلماً. ولو قال: أنا أتوضأ ولكني لا أغسل وجهي أو قال: لا أمسح رأسي فإنه لم يدخل في الإسلام، وإن كان قد دخله فقد خرج منه.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)

سبب نزول هذه الآية: أن عبد الله بن سلام - وكان حبراً عظيماً من أحبار اليهود في المدينة، والحبر عندهم العالم النحرير، وكان أول من أسلم في المدينة من بني إسرائيل، وهو مبشر بالجنة أيضاً، فقد بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة لرؤيا رآها- لما اشتاق أو حن فقط إلى ترك العمل يوم السبت وكان مفروضاً في الكتاب الأول وأراد أن يستريح يوم السبت مضافاً إلى يوم الجمعة نزلت فيه هذه الآية.

[الآية (208) من سورة البقرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [البقرة: 208].

كتاب الله تعالى دليل على وجوده سبحانه

هذا مصدره من الله رب العالمين .. من رب موسى وهارون .. من العلي القدير .. من ذي الجلال والإكرام، هذا هو القرآن العظيم والكريم، كتاب الله رغم أنف كل الشياطين، ولا يتصور وجود كتاب بدون كاتب، ولا وجود كلام

بدون متكلم، وكيف يوجد كلام الإله العظيم والله غير موجود؟ فهذا سقم وسؤ فهم، وكيفينا دلالة على وجود ربنا كتابه، وزيدوا نبيه ورسوله، وزيدوا بيته، وزيدوا أنفسنا؛ إذ لولاه ما كنا، فهو الذي أوجدنا وعلمنا، ولن تجد أحداً يفعل ذلك سوى الله، فلهذا قولوا: لا إله إلا الله، فالله ربنا وحبيبنا وولينا وسيدنا ومولانا يشرفنا بندائه فيقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [البقرة: 208]، أي: يا من آمنتم به رباً وإلهاً! وآمنتم بنبيه ورسوله وبالإسلام دينه تفضلوا، خذوا هذا العلم، فالحمد لله أن أهلنا الله لأن ينادينا، ونحن لسنا شيئاً، وهو جل جلاله وعظم سلطانه.

معنى قوله تعالى: (ادخلوا في السلم كافة)

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً [البقرة: 208].

والمراد من السلم: الإسلام، فالإسلام سلم، فمن أسلم لا يحارب ولا يحارب، فمعنى أسلم يسلم إسلاماً: إذا اطرحت وأعطى قلبه ووجهه وكل حياته لله، فمن دخل في الإسلام سلم ونجا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، فالإسلام سلم وسلام.

ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً [البقرة: 208].

فلا يبقى جزء منك لا يدخل، بل ادخله بكلك وبقلبك وحواسك ومشاعرك.

الإسلام دين كامل لا يقبل الزيادة ولا النقصان

قال: [الشرح: إن الإسلام دين كامل ومتكامل] أي: يكمل بعضه بعضاً، فالصلاة لا تقبل حتى تسبقها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وشهادة أن محمداً رسول الله لا تنفع إذا لم تشهد قبلها أن لا إله إلا الله، والصيام لا يجزئ إن لم تتقدمه الزكاة، فهو دين كامل ومتكامل [لذا هو لا يقبل الزيادة فيه، ولا يسمح بالنقص منه] ولو اجتمع علماء الأمة كلهم على أن يزيدوا كلمة واحدة نعبد الله بها فوالله لن يستطيعوا ولن يقدروا ولن يقبل منهم، ولو اجتمعوا كلهم على أن ينقصوا فريضة واحدة فوالله لن يستطيعوا، ومن فعل هذا فليس بمسلم، فلننتبه، فدين الله لا يقبل الزيادة أبداً ولا النقص؛ لأنه كامل ومتكامل [إذ الزيادة فيه تبطله] لأننا ادعينا أننا أعلم من الله، وأعرف بخلقه وعبيده حتى شرعنا معه، وهذا ظلم واضح [والنقص منه يفسده] فلا ينتج الطاقة المطلوبة، ولا يكون أهلاً لأن يسعد البشرية، وينجيها من الشقاء والردى في الدنيا والآخرة، فلا يبقى هادياً ولا مصلحاً ولا مكماً ولا مسعداً [وأقرب مثال يوضح هذه الحقيقة صلاة المغرب ثلاث ركعات، فلو زيد فيها ركعة] واحدة وأصبحت أربعاً [أو سجدة] فقط [بطلت] تماماً ولا تصح، ولو أن أهل المدينة قالوا: نحن في خير وعافية وأمن فهي نصلّي المغرب أربع ركعات فوالله لا تصح صلاتهم، بل تبطل، وهذه زيادة باختيار العبد، وبدعوى أنه مشتاق إلى الله، ولا يريد أن يقطع صلته به، بل يزيد ركعة، وصلاته باطلة [كما أنه لو نقصت منها ركعة أو سجدة بطلت كذلك، بإجماع علماء الأمة] بلا خلاف.

هذا مثال على أن الشريعة متكاملة، فمن أراد أن يزيد فيها شيئاً بطلت، ومن أراد أن يقصر وينقص منها شيئاً فسدت، فلا نقص ولا زيادة.

النهى عن اتباع خطوات الشيطان

قال: [وبعد أن أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالانقياد الكامل والطاعة التامة لله ورسوله] صلى الله عليه وسلم [في كل ما حواه] واشتمل عليه [الإسلام من الشرائع والأحكام العامة والخاصة] وقد قدمنا أنه لو أن شخصاً قال: أنا لا أعترف بقلم الأظافر أو لا أعترف بإعفاء اللحية فإنه يكفر بذلك، ولو قال: أنا معترف ومؤمن، ولكني ضعيف أو عجزت أو غير ذلك فهذا لا يقال فيه كافر أبداً، وإنما مذنّب أو مخالف لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما أن يقول: لا أقبل، وهذا ليس بدين، فقد خرج من الإسلام [نهى] تعالى [المؤمنين عن اتباع خطوات الشيطان] لأن عبد الله بن سلام الذي زين له أولاً أن يحترم السبب هو الشيطان، ولم ير في هذا مانعاً، فهذا اليوم محترم في شريعة موسى وواجب الاحترام فلنحترمه، وزين له أيضاً القراءة بآيات من التوراة، وهي كلام الله.

وهي نعم كلام الله، ولكن نسخت، فلا يتعبد بها أبداً، فيجب أن تقبر وتدفن، فقد جاء الشرع العام وجاء الكتاب الهادي، ولم يبق هناك حاجة إلى التوراة، وإنما هو من تزيين الشيطان [وهي ما يزينه ويحسنه للمرء بنوع من التحسين والتزيين حتى يقع فيه فيهلك كما هلك الشيطان بكبره وعجبه بنفسه] وهذه الحقيقة معلومة لدى المؤمنين

والمؤمنات، وهي: أن ما يغوي به الشيطان البشرية ويفسدها هو تزيين القبيح من المعتقد أو القول أو العمل، فيلقي عليه مسحة من الجمال والحسن، فيراها العبد من أحسن ما يكون ويفعلها، واقرءوا في ذلك قول الله تعالى عنه: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ [الحجر:39].

فإذا كان المؤمن بصيراً واعياً عارفاً فبمجرد أن يرى الحرام أو الممنوع أصبح لذيذاً أو جذاباً أو ملائماً يعرف أنه من نزغة الشيطان، فيتبرأ منه ويلعنه، ولا يملك أكثر من هذا [فقال تعالى: وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ [البقرة:168].

وعلى لتحريم عدم اتباع خطواته بقوله: إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [البقرة:168] فهو لكم أيها المؤمنون! عدو مبين [أي: بين العداوة ظاهراً] ولا يشك عاقل في عداوة الشيطان، وعداوته بدأت يوم أن فتن آدم وحواء وأخرجهما من دار السلام، والذي حمله على هذه العداوة الكبر والعجب بالنفس، فقد امتنع من السجود لآدم، ولما أبلسه الله أي: أيأسه من رحمته وطرده منها قال: لأفعلن وأفعلن.

أي: هذا الذي كان سبب إبلاسه وشقائه وطرده من رحمة ربه ليعملن على إفساده وإضلاله، وهكذا كل معصية، هو الذي يدعو إليها ويدفع إليها، وعداوته [لا تخفى على أحد من ذوي العقول الراجحة والفهم السليمة. وكيف لا وهو يزين اللواط والزنا؟] ولم تعرف البشرية فاحشة أفحش من اللواط أبداً، حتى أن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي خطب الناس على منبر دمشق وحلف: لولا أن الله تعالى أخبرنا بقوم لوط قال: ما كان يخطر ببالنا أن الذكر ينزو على الذكر لا من الحيوان ولا من الإنسان.

وهذه الفاحشة لها أندية في أوروبا، ولا يعقل أن آدمياً يفعل هذا، فهذا من تزيين الشيطان إبليس، فهو الذي يزين اللواط والزنا، وأكثر السامعين يغفلون عن قبحه، وإذا أردت أن تعرف قبح الزنا فأخبرني لو وجدت فحلاً مع امرأتك كيف تكون حياتك ووجودك؟ إنك تذوب وتتمزق.

كيف تفعله مع امرأة مؤمن آخر؟ فهذا والله ما يتم أبداً لولا تزيين الشيطان ولا يعقل، لكن هو الذي يلقي تلك المسحة والزينة على الخبيث المنتن الموجل في الحرام، فيصبح في نظر طالبه زيناً وحسناً وجميلاً [والربا] وأكثر السامعين لا يعرفون شيئاً عن الربا، فالربا معناه: أن المسلم لا يقرض ولا يسلف المسلم أبداً، ولا يرحم أخاه المسلم، ولا يدفع عنه مكروهاً أبداً، ولا يثق في مسلم أبداً، ولا يشاركه لا في تجارة، ولا في صناعة، ولا في أي عمل. هذا هو الربا، والله لا يريد هذا للمسلمين، فالربا معناه: أنه لا ثقة في مسلم، وقبل الربا كان المسلم إذا كان عنده ألف أو عشرة آلاف يبحث عن مسلم ويقول له: اعمل بها والربح بيننا، ولا يتركها في جيبه أو في صندوقه، فقد كان المسلمون يبحثون عن مستقرض منهم، ويقولون: ماذا نصنع بوضع الفلوس في البيت؟ فكان أحدهم يقرضها لأخيه المؤمن لينتفع بها ويردها، فلما احتالوا علينا وهبطونا أصبحنا لا نعرف لا قرض ولا سلفة ولا تجارة ولا تعاون، فتعطي الرجل مليوناً يشغل به وبعد عام يقول: خسرنا كل شيء مع الأسف، أو تقرضه ولا ترى وجهه عاماً أو عامين، وهكذا الربا، فهو أعظم مصيبة أصابت المسلمين، ومسحت الرحمة والإخاء والمودة والتعاون منهم، وجعلتنا كل واحد يعيش لنفسه.

والذي وضع الربا في هذه الصورة وعرضه علينا بنو عمنا اليهود، فهم الذين أسسوا الربا على أسسه، وأشاعوا البنوك في العالم في الشرق والغرب على حد سواء؛ لعلمهم بأن هذا يقطع شيء اسمه تعاون أو تلاقي أو مودة أو إخاء وخاصة بين المؤمنين، الذين يريدون تمزيق شملهم وتفرقة كلمتهم وبلادهم، ونحن سائحون في الأرض ما عرفنا شيئاً [وقتل النفس والحسد والكبر والعجب وعقوق الوالدين وأذية المسلمين، إلى غير هذا من كبائر الذنوب والفواحش] والذي يزين هذا هو الشيطان، فترى المؤمن جالساً مع أخيه ثم فجأة وإذا به يتضارب معه والدم يسيل، والذي دفعه إلى هذا هو الشيطان.

إذاً: فعداوته لنا بيينة معروفة، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [البقرة:168].

وقال في آية النور: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [النور:21].

وبمجرد ما يجري العبد وراء العدو ويتبعه فجأة وإذا به شيطان رقم اثنين، فيأمر بالزنا، ويأمر بالجرائم، ويأمر بكل المفسد؛ لأنه تلبس به الشيطان، فلهذا الحذر الحذر يا عبد الله! ويا أمة الله!

جاء الإسلام ناسخاً لكل ما سبقه من الشرائع ومهيماً عليها

هذا النداء قرر أن الزيادة في الدين كالنقص منه محرمان وصاحبهما هالك [إذ هذه الآية الكريمة نزلت في عبد الله بن سلام رضي الله عنه] وأرضاه [وكان حبراً من أحبار اليهود في المدينة] النبوية هذه [ودخل في الإسلام عن علم وقناعة، وبشر على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالجنة لرؤيا رآها.

هذا العالم النحرير رأى في بداية إسلامه [في الأيام الأولى من إسلامه أو الأشهر الأولى] أن يبقى على تعظيم السبت [لأن الله كتب عليهم السبت، وشرع هذا على لسان موسى، فلا مانع أن يبقى معظماً للسبت في نظره] وأن يقرأ بشيء من التوراة [مع القرآن] بحجة أن السبت فرضه الله تعالى تعظيماً على اليهود، وأن التوراة كلام الله تعالى [فقد قال: التوراة كتاب الله، وأنا أحفظ ما أحفظ منها، فلنقرأ بشيء من التوراة في الصلاة أيضاً، فهي كلام الله كالقرآن، فليس هناك مانع أن أقرأ بشيء في صلاتي من التوراة، وأراد أن يفعل بهذا الرأي الذي لاح له] وقبل أن يفعل [رضي الله عنه] استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك [لما خطر هذا على باله وهم به، ورأى أنه لا مانع من أن يحيي ديانة الله التي هي من طريق موسى، فيعظم السبت ويقرأ بشيء من التوراة في النوافل اجتهداً منه] وقبل أن يفعل استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فنزلت هذه الآية تأمر المؤمن أن يدخل في الإسلام بكله، ولا يبقى شيئاً خارجاً عنه، حتى ولو كان تعظيم يوم السبت الذي كان تعظيمه شرعاً وعبادة [يتقرب بها إلى الله عز وجل] قبل الإسلام، أو تحريم لحوم الإبل وألبانها إذ كانت محرمة على اليهود [ولا يحل لهم ذلك، فلو رضي يهودي بالإسلام وقال: أي مانع أن نترك أكل لحم الإبل وأن أترك شرب ألبانها وقد حرمها الله على المؤمنين السابقين فإنه يكفر ولا يدخل في الإسلام بهذا] فرأى بعضهم [أي: بعض اليهود] ممن أسلموا أن يقولوا على ما كانوا عليه من تحريمها، فكانت هذه الآية الكريمة مانعة من كل ذلك، ولا يسع المؤمن الحق إلا الدخول في الاستسلام الكامل لله تعالى، وذلك بقبول ما شرع، وعدم التخير فيه بقبول بعض ورفض بعض [كما علمتم .

تعطيل الحدود وإنكار شيء منها يخرج بصاحبه من الإسلام

قال: [لذا فلو أن فرداً من الناس قال: أنا أقبل الإسلام وأدخل فيه إلا أن ما حرمة من المطاعم والمشارب لا أحرمه] كأن يقول بريتاني: الإسلام حسن، وأريد أن أدخل فيه على شرط أن أكل الخنزير وأشرب الخمر لا يقبل إسلامه [أو قال آخر: أنا أدخل في الإسلام إلا أن الصيام لا أعترف به؛ لأنه يضعف من قوتي البدنية] ويعطل أعماله، فسأدخل في دينكم الإسلام ولكن قضية الصيام لا أقول بها لم يقبل إسلامه، ولو اعترف بعشرات ومئات الشرائع والقوانين والقواعد في الإسلام إلا هذه أراد إسقاطها سقط إسلامه بكامله [أو قال آخر: أقبله] أي: الإسلام [إلا أنني لا أعترف بما قرره الإسلام من أن المرأة لها نصف ما للذكر في الميراث] لأنه لم يساو بينهما، فهذه مخلوقة وهذا مخلوق، وهذه لها أعمال وواجبات، وهذا له أعمال وواجبات، فلا نفرق بين المرأة والرجل، بل لكل منهما ما للثاني، فإنه والله لا يبقى مسلماً، ولا دخل في الإسلام؛ لأنه يعيب الله تعالى في تشريعه، ويطعن في شرع الله، وهذا معناه: أنه ينسب الله إلى العجز أو الضعف أو الجهل أو حماقة أو عدم العلم والمعرفة، والذي يقول كلمة من هذه يريد أن يمزق تمزيقاً كاملاً، ولا يبق له حظ في الإسلام [أو قال آخر: أنا أقر بالإسلام] وأعترف به [وأدخل فيه إلا أنني لا أعترف بحكم قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن] وإلى الآن تتغنى بهذا أوروبا وأمريكا وخاصة الصليبيين منهم ويتبجحون، وقلنا لهم: إن الأيدي التي تقطع في اليوم الواحد في الأحداث آلاف الأيدي، ويد سارق تقطع في العشرين سنة مرة، ويحفظ بها الله الأمن والمال مائة سنة، وهم لا يقبلون؛ لأنهم بهائم وحيوانات، وأعداء الله ورسوله والمؤمنين، ولا يريدون شيئاً اسمه إسلام أبداً، فهم يبحثون عما يعيبون به الإسلام، مثل لم يتزوج المسلم ثلاث أو أربع؟ والواحد منهم يتزوج خمسين، ويعيش كل ليلة مع زانية، ولا يذكرون هذا، وكلما لاحت له عاهرة تبعها وجرى وراءها، فهم مخدوعون ومغرر بهم ومفتونون، والشيطان هو الذي يضحك على أذقائهم، ويسخر منهم، فنقول لمن يقول هذا منهم: هذا ليس شأني ولا شأنك، بل نسألك أنت: أتؤمن بالله أم لا؟ فإن قال: أؤمن، قلنا له: الله هو الذي شرع قطع يد السارق، ورجم الزاني، وحرّم التعدد بأكثر من أربع، فأنت تعيب عليه وليس علينا، فيسكت كأنما ألقم حجراً، فلنأخذ نحن الذين شرعنا حتى تعييننا أنت، فنحن لا نشرع، بل شرع لنا مالكننا وخالقنا، وأكثر الناس لا يجيبون بهذا الجواب، وإنما يهرفون معهم، فأنت تعيب علينا التعدد ولسنا نحن الذين شرعنا هذا، فنحن لم ندع العلم والمعرفة ورأينا أن نشرع هذا، بل هذا شرع الله، فإما أن تؤمن به وإلا فأنت كافر، مع علمنا اليقيني النوراني أنه ما فرض الله فريضة إلا وهي في خدمة هذا الأدمي لإسعاده وإكماله، ولا حرم شيئاً منطوقاً أو مأكولاً أو أي شيء إلا وهو كالسم القاتل للأدمي، ويهبط به إلى الحضيض، ويفسد حياته؛ لأن الله عليم حكيم، وهو خالق العلم

والحكمة وواهبهما [فهل يقبل الإسلام من هؤلاء؟ والجواب: لا يقبل أبداً، وهم كافرون مخلدون في النار إن ماتوا على هذا الكفر.

ومثال آخر: لو أن مسلماً أباً أو جداً [لك] قال: أنا لا أعترف بأن المسلم إذا دعا الأولياء [وناداهم وطلب حاجته منهم] أو استغاث بهم أو تقرب إليهم بذبح أو نذر [وأصر على ذلك] فهو مشرك [كافر] لا يقبل منه إيمان ولا إسلام، ولو صلى وصام وحج واعتمر وجاهد وربط [بلا خلاف.

[وهذا النداء الإلهي الكريم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [البقرة:208] هذا النداء هو الذي قرر حرمة النقص في الدين أو الزيادة فيه].

بيان الله لعباده طريق النجاة وطريق الهلاك

قال: [اعلم أيها القارئ والمستمع! أن هذا النداء اشتمل على بيان طريق النجاة] من النار ودخول الجنة [وطريق الهلاك] أيضاً [فطريق النجاة هو الإسلام الكامل لله تعالى] وذلك [باعتقاد ما أمر باعتقاده، وقول ما أمر بقوله، وفعل ما أمر بفعله، واجتناب ما أمر باجتنابه، من ذلك كله اعتقاداً أو قولاً أو عملاً] إذ الإسلام انقياد لله تعالى، والرسول فيما أمرا به من اعتقاد صحيح، وقول صالح، وعمل نافع، ونهيا عنه من اعتقاد باطل وقول فاسد وعمل سيء، والسر عندنا معلوم، وهو أن فعل المأمور هو أدوات تركية للنفس وتطهير لها، واجتناب المنهيات هو الإبقاء على ذلك النور، وذلك الصبر، فإن هو صلى وزنى أو سرق وتصدق بطل ذلك ومسح؛ لأن أعمالنا هي التي تنتج لنا الدخان والعفن في النفوس، أو تنتج لنا الطهر والصفاء [وطريق الهلاك] للإنسان والجان [هو اتباع خطوات الشيطان بتحسين القبيح وتقبيح الحسن] فهو يقبح الشيء الحسن حتى تراه قبيحاً، ويحسن القبيح، وإلا فليس هناك أقبح من شرب الحشيشة، فترى الرجل يفقد عقله ويصبح كالحيوان، وليس هناك أقبح من هذا القبح، فهو يحسن القبيح ويقبح الحسن من أجل إيقاع ابن آدم في الفتنة حتى يصبح أخاً له، ويدخل جهنم معه.

قال: [فإذا أصبح العبد يحب ما يحب الشيطان، ويكره ما يكره فقد التحق به، وأصبح من أوليائه، وخسر نفسه وأهله] والشيطان لا يحب سماع القرآن، والله العظيم عندما يأخذ المؤذن يؤذن فإن الشيطان يهرب من هذا المسجد وله ضراط إلى أبار علي، أخبر بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو لا يطيق سماع الله أكبر، ولا حي على الصلاة، وحتى لا يسمع يهرب بصوت ضراطه حتى لا يسمع.

والذين يلذ لهم سماع أغاني العواهر والمخنثين ويكرهون سماع القرآن الكريم من المؤمنين فوالله لقد كسبهم الشيطان ونالهم، والذي يغضب من كلمة الحق ويسخطها وما يطيقها وإذا سمع كلمة الباطل ينشط ويتحرك فوالله إن الشيطان هو دافعه.

وللشيطان أولياء، فالناس صنفان: أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولا ثالث لهما، فإما أن تكون ولياً لله، أو تكون ولياً لعدو الله الشيطان [كما قال تعالى: قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ [الزمر:15]] بحق، واسمعوا هذا البيان [الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ [الزمر:15]] فليس الخسران خسران الشاة والبعير، ولا الدينار والدرهم، ولا الوظيفة ولا المرأة ولا الولد، بل الخسران الحق هو يوم القيامة، وذلك بأن يجد العبد نفسه في عالم لا يجد أباً ولا أما ولا ابناً ولا أخاً ولا من يعرف، وإلى الأبد، هذا هو الخسران الذي قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم: بلغه [واذكر ما يحمله قول الله تعالى: فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [البقرة:209] من الوعيد الشديد لكل من زلت قدمه، فزاد في الإسلام، أو نقص منه، أو بدل فيه، وما أصاب المسلمين من خراب ودمار، ذل وصغار لما تركوا واجبات أوجبها الله، وارتكبوا محرمات حرّمها الله، كاف في الدلالة على ما تحمله الآية من وعيد شديد.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المفلحين، وأن ينجينا من كل خسران في الدنيا والآخرة.

إنه ولينا ورب العالمين! معاشر المستمعين! غداً إن شاء الله نخرج إلى عمرة، وسيكون الدرس بعد غد إن شاء الله يوم الجمعة، ومن أراد أن يعتمر فليعتمر.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 7

جبل الإنسان في هذه الحياة على حب المال، ولما علم الله عز وجل منه ذلك حثه في مواطن كثيرة من كتابه على الإنفاق، وقدم له من الإغراءات -إن هو فعل ذلك- الشيء الكثير، وجعل ذلك من باب الترغيب، وحذره من البخل والشح من قبيل الترهيب، وبين له المواطن التي يكون فيها الإنفاق في سبيل الرحمن، والمواطن التي يكون فيها في سبيل الشيطان.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا والحمد لله ربنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

وآخر نداء سمعناه وأجبنا من نادانا به والحمد له لا لسواه هو هذا النداء السادس، وهو في وجوب قبول شرائع الإسلام كلها، وحرمة اتباع الشيطان عليه لعائن الرحمن.

وهذا النداء هو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلُظُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [البقرة: 208-209].

وهذه الجملة سقطت من النداء عفواً، والآن نضيفها إليه، وليكمل النداء بما أراد الله تعالى أن يخبرنا به. معاشر المستمعين والمستمعات من المؤمنين والمؤمنات! نادانا الرحمن جل جلاله وعظم سلطانه بعنوان الإيمان لأننا مؤمنون، وقد نادانا ليأمرنا بأعظم أمر وأجله وأقدس، وهو أن ندخل في الإسلام بكاملنا؛ لأن السلم المراد به هنا: الإسلام، وسمي الإسلام سلباً لأن صاحبه يسلم من غضب الله وعقابه في الدنيا وفي الآخرة.

وأنه لا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يتخير من هذا الدين، ويقول: الشيء الفلاني لا آخذ به، أو الفريضة الفلانية لا أراها، أو القول الفلاني لا أقوله، فالذي يتخير في الإسلام بأن يقبل شرعاً ويرفض آخر ليس بالمؤمن.

إمهال الله عز وجل للظالمين

الله عز وجل قال في التعليل: فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأفال: 49].

وهذا أسلوب تهديد ليس بعده تهديد، فإن أبيتم إلا ما حصل فاعلموا أن الله عزيز قوي قدير، لا يمانع في شيء يريده، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا تقولوا: نحن أمة عظيمة، نطير في السماء، ونملك كل شيء، ولا تخافون الله؛ فإن الله لا يعجزه شيء.

وهو حكيم: يضع كل شيء في موضعه، ومن حكمة الله عز وجل أنه يمهل الظالم، ولكنه إذا أخذه لم يفلته، ووالله ما هي إلا إمهالات الرحمن، وعلى ذلك المنبر قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم)، أي: يزيده في أيامه أيام الراحة والسعادة، (حتى إذا أخذه لم يفلته).

ثم قرأ قول الله تعالى بعد هذا الحديث: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [هود: 102].

فيحول النعم نقماً، ويحول العافية إلى بلاء، ويحول الصحة مرضاً، وهذا فعل العزيز الحكيم.

والمراد بالقرى: الحواضر والعواصم والمدن الكبرى، لا قرى الفقراء والبادية.

وهذا شأن الله.

ومعنى هذا: إياكم والأمن! فبعض الناس إذا استقامت حالهم في معاشهم وصحتهم وحياتهم وحصل أمن ورخاء ظنوا أنهم آمنون، والله يقول: فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ [الأعراف: 99].

ومعنى هذا - معاشر المؤمنين والمؤمنات!- إذا ظهر بيننا أو رأينا ظملاً أو شراً أو فساداً أو خبثاً فيجب أن ترتعد فرائصنا، وأن توجل قلوبنا، وأن نسأل الله العفو والعافية قبل أن يعاقب. عاقبة التخلي عن دين الله عز وجل

لنتأمل هذا الكلام الإلهي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً [البقرة:208].

فلا يبقى بيننا من يبيح الحرام، ولا من يتخلى عن الواجبات ونسكت عنه ونرضى، إذ معنى هذا: أننا نقاد إلى الهاوية، فهذا واحد فقط، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عالماً تحريراً، ولما خطر بباله أن يعظم السبت بتعظيم الله السابق قبل أن ينسخ، أو يتلو آيات في صلاته من التوراة وهي كتاب الله هدهم الله بهذا التهديد: فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلُظُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [البقرة:209].

وقد أَرانا الله عز وجل ذلك، وما زلنا لم نع ولم نبصر ولم نستبيق، وقد أضعنا الأندلس جنة الإسلام الخضراء، وادرسوا التاريخ واقرأوا صفحاته، وانظروا ما فعل الصليبيون بالمؤمنين، وكيف مزقوهم وشتتوهم وأحرقوهم، وانظروا كيف خربوا منازلهم، وكيف رموا بهم في البحار، وغير ذلك، وسبب ذلك لأن الله تخلى عنهم بعد أن تخلوا عنه، وغرتهم الحياة الدنيا بعد أن ارتفعت أسماؤهم عالياً، وارتفعت أقدارهم، وعلا مكانهم في العالم، وأصبحوا أهل علم ومعرفة، وتمتعوا بالدنيا وزخارفها، فغررتهم، فأقبلوا على الشهوات والمعاصي، فأدخلوا الأغاني في المستشفيات، كما هم بعض الجاهلين عندنا، وطالبوا الحكومة بهذا، فأصبحنا نروح على المرضى بالأغاني في المستشفيات، فلما حصل هذا زلوا وسقطوا، فأنزل الله بهم نقمته، وشردهم تشريداً لا نظير له. وإخواننا في شرق أوروبا انظروا ما يحصل لهم هذه الأيام، وما نزل بهم، ولو أن ذا قلب حي شاهد تلك المناظر فقد يغمى عليه ويموت.

وسبب هذا: أنهم زلت أقدامهم، وآثروا الشيوعية والاشتراكية والبلشفية الحمراء، واندمجوا في روسيا، ورضوا بالحياة الهابطة، فهذا بعض الجزاء، وغداً سينزل بنا، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون. وقد سادتنا بريطانيا في الشرق الأوسط، واستعمرت ممالك الهند الإسلامية، وجزر جاوة الإسلامية داستها بنعالها هولندا، وشمال إفريقيا ديار العرب والإيمان والإسلام والنخوة والعزة أدلتهم إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وأهانتهم دهرًا من الزمن.

والله ليس بغافل، فالمسلمين اليوم تحت النظارة، فإما أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً، والفرصة والله متاحة، والزمان موالٍ، والبلاد كلها متحررة، والصوت يرفع في المدينة يسمعه كل مسلم ومسلمة، وليس هناك مانع أن يجتمعوا في روضة محمد صلى الله عليه وسلم ويبايعون إماماً لهم، ويقدم لهم شرع الله في صورة دستور أجمع عليه علماء المسلمين، ويطبقونه في بلادهم، فتنتهي مظاهر الفسق والفجور والظلم والشر، بعد مظاهر الشرك والخرافات والضلالات التي هدمت أساس الإسلام، بدلاً من أن نرضى بتقسيمنا واستقلالنا، وليس هناك ما يمنع أهل الإقليم المسلم أن يقيموا الصلاة، وأن يجبوا الزكاة كما جباها رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يحرموا ما حرم الله كالخمر وما إلى ذلك، لا أن ينمو الكفر، والفساد ينتشر، والقلوب تتمزق، وهكذا حتى تدق الساعة.

وحينئذ: وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا [الفرقان:27].

وهذا في الدنيا، وأما عذاب الآخرة فلا تسأل، فذو النفس الخبيثة العفنة بأوزار الشرك والمعاصي لن يفلح قط، وإن انتسب إلى محمد مليون مرة.

وعجب هذه الآية يا أبناء الإسلام، فقد قال: فإن زللتُم ثم قال: فاعلموا، فارفعوا رءوسكم واعلموا أن الله عزيز قادر على أن ينتقم ويضرب، وهو حكيم يضع كل شيء في موضعه، فهو لا يغدق الخيرات والأمن والبركات على أمة وهي تغني وتفجر وترقص، وتبيح كشف وجوه النساء، واختلاط النساء بالرجال، والربا، وبيع الخمر، وتسمع من يسب الله ورسوله وهي تضحك، وغير ذلك، وهذه عظام، فلا تظن أن الله غافل، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون. فإن زللتُم ومعنى زللتُم: وقعنا فيما حرم علينا، واستبحنا المحرمات، وأعرضنا عن الواجبات، وأهملناها وما بالينا بها، وظننا أننا مسلمون وسعداء.

وقل اليوم من لا يفهم ما حرم الله وما أوجب الله، فهذه الوسائل الإعلامية علمت الناس، فأصبح كل واحد يعرف الحرام من الحلال إلا من شاء الله.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)

علمنا أن سبب نزول هذه الآية: أن الحبر الرباني المبشر بالجنة عبد الله بن سلام رضي الله عنه وأرضاه رأى في نفسه لو يقرأ بالتوراة في الصلاة، والتوراة كتاب الله وكلام الله، فقد رأى أن يقرأ في النافلة أو الفريضة إذا صلى وراء الإمام بآيات من التوراة، فنزل هذا التحذير من أجله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ [البقرة:208].

فالشيطان هو الذي يزين الباطل ويحسن القبيح، حتى يحمل عبد الله أو أمة الله على الفسق والفجور عن دين الله؛ فيهلك كما هلك الشيطان.

وقد تمنى أيضاً أو خطر بباله أن لو يعظم السبت؛ إذ كان معظماً، وكان مفروضاً تعظيمه على بني إسرائيل، والله هو الذي شرعه، وهو الذي كتب عليهم السبت، ولما خانوا وخالفوا مسخ منهم أمة قردة وخنازير، فلما هم بهذا وقبل أن يفعل أنقذه الله بهذه الآية الكريمة، وهي باقية بقاء هذه الأمة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [البقرة:208].

حكم الاحتفال بأعياد النصارى

مما ينبغي أن نعلمه وقد غفلنا عنه ونسيناه أن بعض الغافلين من ذوي الجهل من المسلمين في العالم الإسلامي يحتفلون بأعياد وبذكرات النصارى، ومن ذلك عيد الفصح الذي يأتي في الربيع، ومن ذلك عيد الميلاد أو شهر السنة الميلادية، والله لا يصح لمؤمن ولا مؤمنة أن يظهر احتفالاً بغير ما شرع الله تعالى لأمة الإسلام، ولا مجاملة ولا مصانعة ولا مداينة، فهذا عيدهم، وهو عيد باطل، بل العيد الحق هو الذي شرعه الله الإله الحق، وليس عندنا في الحقيقة أعياد، ولكن حسبنا عيد الفطر وعيد الأضحى. معنى قوله تعالى: (فإن زللتكم ...)

قوله: فَإِنْ زَلَلْتُمْ [البقرة:209] وهو مع الآية مع نداء الرحمن فإن الفاء هذه مبنية على ما سبق، ومعنى زللتكم: زل فلان في مشيه: ارتبكت رجله واضطربت ووقع، وزل فلان يزل زلاً: إذا وقع في معصية الله بأن ترك واجباً، أو فعل محرماً، أو اعتقد باطلاً، أو أنكر حقاً، فَإِنْ زَلَلْتُمْ [البقرة:209] أيها المؤمنون! بأن اعتقدتم ما حرم الله اعتقاده، أو قتلتم ما لم يأذن الله في قوله، أو عملتم ما لم يشرع الله في شرعه، أو رفضتم ما شرع بأن رفضتم ما أوجب أو أبحتم ما حرم، هذا هو الزلل الذي يدعو إليه الشيطان، وهو الذي يوقع فيه، فالشيطان عدوكم فلا تستجيبوا له، فإن زلنا وشاهدنا الزلل وشاهدنا السقوط، هذا يقع في الربا، وهذا في الزنا، وهذا في الكذب، وهذا في البدعة، وهذا في الشراكيات، وهذا في الضلالات، وشاهدنا هذا الباطل، واستراحت نفوسنا واطمأنت؛ لأننا في أمن ورغد عيش، مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ [البقرة:209] يحملها كتاب الله ويبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفتكم ما أحل الله وما حرم من الاعتقاد والقول والعمل، وعرفتكم ما فرض الله وأوجب، وعرفتكم ما كره الله وغضب من أجله، فبعد الآن من وقع في زلة فهو الذي يخسر نفسه بكامله.

الإنفاق في سبيل الله قبل الفوات بالموت

الآن مع النداء السابع جعلنا الله تعالى من أهله [النداء السابع] من نداءات الرحمن لأهل الإيمان عنوانه: [في الإنفاق في سبيل الله قبل الفوات بالموت] ومعنى الفوات بالموت: أنه إذا مات أحدنا فاتته الإنفاق، ولم يعد يوجد له ما ينفقه وقد وضع في قبره، فالإنفاق في سبيل الله يكون قبل الفوات بالموت.

[الآية (254) من سورة البقرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة:254].

ومن يتعذر عليه حفظه الآن فبعد أن ينتهي الدرس يأخذ المصحف ويحفظ، والذي ما يحسن القراءة يجلس إلى جنب أخيه ممن حضروا الدرس ويقول له: من فضلك أعد النداء حتى أحفظه، فإذا أعاده عليه أربع مرات أو خمس أو عشر فقد حفظه، وهؤلاء هم أهل العزم.

والله لأن نحفظ هذا النداء خير لنا من ملء الأرض ذهباً، ولا يوجد تشويق أكثر من هذا.

وقد شرفت بأن ناداك رب العالمين، ورزقك الإيمان، وبه أصبحت أهلاً لأن يناديك الله.

ثم يأتيك نداء الله ليس في برقية ولا خطاب، وأنت تسمعه في أذنيك ولا تلتفت إليه، ولا تهتم به، ولا تحاول حفظه، ولا تعمل على فهمه، وفهم المطلوب، والواجب أن تقول: سمعاً وطاعة يا إلهي! وتفهم مراد الله منه، وتمسي قرير العين؛ لأنك تلقيت عن الله رب السماوات ورب الأرض ورب العالمين نداء موجهاً إليك، فحفظته وفهمت معناه، فاعمل بمقتضاه، فلا يوجد كمال أعظم من هذا الكمال.

من رحمة الله بعباده أن دعاهم إلى إنفاق بعض ما عندهم من المال

قال: [وذكرهم رافة بهم] يا رسولنا! [أن الإنفاق الذي أمرهم به هو من ماله تعالى الذي رزقهم إياه] كما قال تعالى: أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ [يس:47].

فهو ماله، وليس مالنا حتى نقول: لا نعطي، فهو قال: أنفقوا من مالي، فنحن ليس لنا فضل، إلا أن الله عز وجل لكرمه ورأفته ورحمته بعباده المؤمنين يعطيهم المال، ويأخذ منهم المال الحسنة بسبعمائة، والريال بعشرة إلى سبعمائة، وهو الذي أعطاهم، وهذا كمال الله وجوده وكرمه [وأنه بعضه لا كله] فهو لم يقل: أنفقوا ما رزقناكم، أو أخرج كل ما في بيتك، أو أعط كل ما في جيبك، بل قال: مما رزقناكم، ومن هذه للتبعيض، فالذي عنده مليار ينفق مليوناً، والذي عنده مليون ينفق عشرة آلاف، والذي عنده عشرة ريال ينفق ريالاً [إذ قال لهم: أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ [البقرة:254]، أي: من بعض المال الذي رزقناكموه؛ فضلاً منا وإحساناً إليكم].

ميادين الإنفاق في سبيل الشيطان

قال: [وإن قلت أيها القارئ الكريم! وهل للشيطان سبيل ينفق فيها المال؟] وهذا السؤال يطرحه المؤمن على نفسه [أجبك قائلاً] لك: [إي ورب الكعبة! إنها كل ما ينفق في معصية الله تعالى] من قليل أو كثير [هو] والله [إنفاق في سبيل الشيطان، وذلك كالإنفاق في القمار واللغو والباطل، وكالإنفاق في أكل وشرب ولبس الحرام، وكالإسراف في الأكل والشرب وغيرهما، كل هذا الإنفاق هو في سبيل مرضاة الشيطان] أي: ليرضى، والذي يلقي سيجارة أو شمة في أنفه مما حرم الله فقد أنفق على الشيطان، وكل معصية ينفق فيها ريال أو ألف هو في سبيل الشيطان لا في سبيل الرحمن [ولذا فهو يأمر به ويزينه لفاعله] وكل ريال أو دينار أو درهم ينفق في غير طاعة الله ورسوله فهو إنفاق في سبيل الشيطان.

استعجال الله عباده في الإنفاق في سبيل الله قبل فوات الآوان

قال: [وهل تدري أيها القارئ الكريم! والمستمع الرحيم!] ما يدل عليه قوله تعالى في هذا النداء، وهو قوله تعالى: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة:254]؟ إنه دل على أن الله تعالى رحمة بعباده المؤمنين وشفقة عليهم استعجلهم في الإنفاق في حياتهم قبل موتهم [أي: طلب العجلة قبل فوات الوقت؛ رحمة ورافة بهم؛ [إذ المرء] الإنسان [إذا مات انقطع عمله، وتلقى الجزاء عن عمله الذي عمله قبل موته، إن كان خيراً فهو خير، وإن كان شراً فهو شر] والعياذ بالله [والعبد إذا مات دخل في الحياة الآخرة] فبمجرد ما تطير روحه دخل في الحياة الآخرة [حيث لا ينفع المرء يومئذ بيع؛ إذ لا يملك شيئاً حتى يبيعه، ولا يوجد من يشتري] أيضاً [كما لا تنفعه خلّة] أي: صحبة [أو صداقة أحد] أو مودته أو أخوته، وذلك لا ينفعه [ولا شفاعة إن وجد من يشفع له] أيضاً، ولا وجود لمن يخالته في القبر، فهو وحده فقط. شرطاً للشفاعة يوم القيامة

قال: [إذ لا شفاعة إلا بعد إذن الله تعالى للشافع، ورضاه عن المشفوع له] وهذه حقيقة ينساها الكثيرون، فالشفاعة موجودة يوم القيامة، ولكن أولاً: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [البقرة:255]؟ فلا ننسى هذه الجملة، فلا وجود أبداً لشافع في عرصات القيامة يشفع بدون أن يأذن الله له، فهذا والله لا يوجد، وقد علمنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم موعود بوعده الله الصادق أن يشفع يوم القيامة، ومع هذا لما تأتته البشرية تطلب ذلك يأتي تحت العرش ويخر ساجداً، ويلهمه الله تعالى ألفاظ حمد ما كان يعرفها، ولا يزال يحمده بها ويثني عليه فترة، لا تعلم مدتها حتى يقول له: (محمد! ارفع رأسك، واسأل تعط، واشفع تشفع).

مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم مضمون له هذه، وقد قال تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا [الإسراء:79].

وقد أوتي خمساً ما أوتيها غيره من الأنبياء، ومنها الشفاعة، ومع هذا لا يعطاها حتى يذل ويخضع وينكسر بين يدي الجبار، فلا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه.

ولا يستطيع نوح أو إبراهيم أو محمد صلى الله عليه وسلم أن يشفع لكافر مشرك وتقبل شفاعته، فهذا والله ما كان، وإبراهيم أبو الأنبياء عليه ألف سلام وسلام أخبرنا رسولنا صلى الله عليه وسلم عن حاله في عرصات القيامة أنه ينادي ربه: رب! لقد وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، وها هم قد بعثوا، وأي خزي أخزى من أن يكون أبي في النار! ولا يزال في هذه الحيرة حتى يقال له: انظر تحت قدميك، فينظر فإذا أبوه أزر في صورة ذكر ضباع ملطخ بالدماء والقيح، وأبشع مخلوق هو ذكر الضباع في صورته، فأزر يمسح هذه المسخة، ويلقى بين يدي إبراهيم في صورة ضبع ملطخ بالدماء والقيح، وما إن يشاهده إبراهيم حتى يعلو صوته: سحقاً سحقاً، أبعده، فيؤخذ بقوائمه الأربع ويلقى في جهنم.

فلا أحد يشفع في كافر أو مشرك، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [البقرة:255].

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ [النجم:26] لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى [النجم:26] عمن يشفع له.

وهذه الآية فاصلة، ولكن أمة الإسلام وآباءنا وأجدادنا عاشوا على الشرك والخرافات، فقد انطمس نور العلم، وانتهت الهداية، ومن القرن التاسع وأمتنا تتخبط في الضلالات، فافرقوا هذه الآية، وهم يبيعون الشفاعة ببستان، فيجئ المسئول على الزاوية وعلى الطريقة أو المقدم كما يسمونه ويقول: إذا أردت أن تشتري الجنة فأعط هذا البستان للإخوان وسنكتب لك صكاً بأن الشيخ سيدي أحمد البدوي أو سيدي عبد القادر يشفع لك، ونمد أعناقنا ونفرح، وجعلنا القرآن في المقبرة، يقرأ ليلة الموت.

وهذه الآية من سورة النجم، فالملك الذي في السماوات الذي يستطيع أن يقلب هذه المدينة لا تغني شفاعته شيئاً، إلا من بعد أن يأذن الله للشافع، ويرضى للمشفوع له بأن يدخل دار السلام مع أوليائه.

وأما أن يقوم شخص يقول: رب! أشفع في عمي الذي مات كافراً، فوالله لا تقبل له شفاعة، ولا يمكن لأحد أن يشفع، وهذا ليس إلا موقف الخليل فقط، وعنده وعد، فقد قال: وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون، وأي خزي أعظم من أن يكون أبي في جهنم.

وإذا لم يأذن للشافع فوالله لا يشفع أحد، وإذا لم يرض للمشفوع له فوالله لن يدخل الجنة إلا بعد رضا الله، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [البقرة:255].

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى [النجم:26].

وقد يشفع الله الأنبياء، ويشفع العلماء، ويشفع الآباء، ويشفع الأبناء في آباءهم، لكن بعد ما علم أن هذا يستحق الجنة، فيكرم الأب بأن يشفع في ابنه؛ إكراماً للشافع وأيضاً للمشفوع له أن يدخل دار السلام؛ لأنه كان ذا إيمان وعمل صالح وتقوى.

الفرق بين كفر الملة وكفر النعمة

قال: [والكفر نوعان: كفر ملة، وكفر نعمة، كل منهما صاحبه ظالم] فالذي لا يشاهد نعمة الله عليه فلا يقول يوماً: الحمد لله، ولا يخر ساجداً بين يديه شكراً له على هذه النعمة فهو كافر بها.

وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة:254].

سواء كان كفر الملة أو كفر النعمة، فكل كافر بإحدى النعمتين فصاحبه ظالم [والظالمون أعد الله لهم عذاباً أليماً، كما قال تعالى في سورة الإنسان: يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً [الإنسان:31].

[وإن سألت أيها القارئ!] أو المستمع! [عن الفرق بين كفر الملة وكفر النعمة] ولك الحق أن تسأل [فاعلم أن كفر الملة هو جحود العبد لبعض شرائع الله تعالى، أو جحودها كاملة بالألا يعترف بالدين الإسلامي] وذلك [كاليهود أو النصاري والمجوس والمشركيين؛ إذ كلهم كفار لعدم دخولهم في الإسلام، وجحودهم له، وعدم اعترافهم به.

وأما كفر النعمة فهو عدم الاعتراف لله تعالى بها، وعدم شكره عليها، وصرفها في غير مرضاته، وبذلك يدخل في عداد الظالمين [فقد أعطي المال فأنفقه ضد الله، وهذا هو الظلم، فبدلاً من أن ينفقه في مرضاة الله أنفقه في سخط الله، وهذا هو الظلم بعينه. ملازمة صفة الظلم للكافرين

قال: [وختم تعالى هذا النداء الرحيم بقوله: وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة:254]. يحذر عباده المؤمنين من الكفر] قال بعض التابعين: الحمد لله ما قال: والظالمون هم الكافرون، وإلا والله ما نجا أحد؛ إذ ما منا أحد إلا ويظلم، هذا يظلم امرأته، وهذا يظلم جاره، وهذا يظلم حتى الحيوان، فإذا كان الظالم هو الكافر فوالله ما بقي أحد، لكن الله قال: وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة:254]. فكل كافر ظالم، ولا تشك في هذا؛ إذ لا ظلم أظلم من أن يتكرر لخالفه ولا يؤمن به، ويترك شرع الله ومنهجه، ويسلك شرع الشيطان وسبيله؛ إذ الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فمن وضع شيئاً في غير المكان اللائق به فقد ظلم، وهو ظالم، لكن هنا يبدو والله أعلم أن الكافرين هم الظالمون في معنى: أن كفار النعم وجاحديها، وهم الذين يبخلون ولا ينفقون، ويناديهم منادي الإنفاق في سبيل الله فيعرضون أو يتكبرون أو يمنعون ويبخلون يدخلون في كافي النعمة. معنى الظلم

قال: [إذ الظلم حقيقته هو: وضع الشيء في غير محله] فلو قام أحدكم الآن وأخذ يؤذن في الحلقة بأعلى صوته فقد ظلم مع أنه لم يزد على أن ذكر الله وكبر وهلل، ولكن هذا الموطن ليس موطن أذان، وهذا ظلم، أو الذي يزحزح الجالسين ويقول: دعوني أستريح وأنام، فهذا ليس مكان نوم، فاذهب إلى فراشك أو تحت الجدار، لا أن تنام في الحلقة. وهذا مثال.

والذي لا يعرف الظلم يقع فيه، فأكثر من يظلمون لا يعرفون الظلم، فالسيدة لما تتبخر وتتعطر وتتطيب وتحسن ملابسها وتخرج تتعنج في الشارع هذا ظلم؛ إذ أن هذا التطيب والتعطر والتعنج والتكسر لا يكون إلا في بيتها؛ لترغب فحلها فيها؛ من أجل أن تنجب البنين والبنات؛ ليعبد الله جل جلاله وعظم سلطانه، لا أن تخرج في الشوارع متعنجة متكسرة في اللباس؛ من أجل أن تساعد الشيطان على الجريمة، وهذا ظلم [والذي رزقه الله تعالى مالاً فبخل به وشح فمنع الزكاة] أولاً [وتجاهل الواجبات] كالنفقة على الأولاد والزوجة، والنفقة على الضيف، وعلى الجار الفقير، والواجبات كثيرة [ف] إذا [لم ينفق فيها فهو قطعاً ظالم؛ إذ وضع المال في غير موضعه] فكان بذلك ظالماً [وبذلك هو من أهل العذاب الأليم الذي توعد الله به الظالمين في قوله: وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمُ [الإنسان:31]] أي: هياً وأحضر [عَذَابًا أَلِيمًا [الإنسان:31]] أي: مؤلماً شديداً بالإيلام، وسمى العذاب عذاباً لأنه يزيل عذوبة الحياة، وقد يكون العذب بالضرب أو السجن أو العطش؛ ليذهب عنه طعم الحياة وعذوبتها. التحذير من البخل والشح

قال: [ألا فلنحذر أيها القارئ والمستمع! البخل والشح ومنع الزكاة، ومنع الواجبات المالية، كنفقة الجهاد، ونفقة الآباء والأزواج والأولاد والمسكين وابن السبيل، وإعلم أن مما يساعدك على الإنفاق قراءة هذه الآية التي شرحناها] فافقرها دائماً ولا تنساها، وهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة:254]. فهذه تساعد على الإنفاق [واجعلها دائماً نصب عينيك؛ إذ فيها أمر الله بالإنفاق، والتذكير بالدار الآخرة، وجزاء الظالمين، والعياذ بالله تعالى رب العالمين. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين]. سبب نداء الله للمؤمنين دون غيرهم

قال الشارح غفر الله لنا وله، ورحمنا وإياه: [إن معنى هذا النداء أيها القارئ الكريم!] والمستمع المستفيد العظيم! [هو أن الله تبارك وتعالى نادى عباده المؤمنين به [رباً وإلهاً] وبلقائه [يوم نقف بين يديه ويسألنا عن أفعالنا، ماذا فعلنا، وماذا تركنا؟] وكتبه] ومنها القرآن العظيم [ورسله] ومنهم محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم [وملائكته] ومن بينهم جبريل الذي كان يتردد على بيوت رسول الله، وكان يجلس مع رسول الله وأصحابه [وقضائه وقدره] النافذين فينا، ووالله ما وقع شيء في الأرض إلا وقد سبق به قضاء الله وحكمه وتقديره [ناداهم بعنوان الإيمان] يا أيها الذين آمنوا! [لأن المؤمن حي يسمع النداء، يجيب الداعي لما دعاه من أجله] فلا ننسى هذه الحقائق العلمية التي جهلها أكثر البشرية، فالمؤمن حي يسمع ويعي ويفهم، ويقدر على أن يعمل ويترك، ولهذا ناداه الله، ولم يناد الكفار والمشركين والضالين؛ لأنهم لا يسمعون ولا يبصرون، ولا يقدرّون على النهوض بالتكاليف، حتى يرزقهم الإيمان فيؤمنوا، فإذا آمنوا حيوا، فيصبحون أهلاً للنداء مثلنا والحمد لله.

من ميادين إنفاق المال في سبيل الله

قال: [وهنا ناداهم ليأمرهم بالإنفاق، أي: إنفاق المال] وقد أقسمنا مرات على أن الله لا يأمرنا بأمر إلا لصالحنا، ولا يمكن أن يكون لخسارنا أبداً، ولا نهانا عن شيء لنتركه إلا لأنه ضار أكثر من النار وأكثر من السم، ومع هذا ما نحفظ نداءاته، ولا نعرف ما نادانا من أجله، ولا نحتمل به؛ لأنهم موتونا [حيث تعين] ووجب [الإنفاق، وذلك كالجهاد في سبيل الله] لا في سبيل الطين والتراب والوطنية الكاذبة الخادعة، بل في سبيل أن يعبد الله في الأرض، فإذا ارتفعت راية لا إله إلا الله، وقال إمام المسلمين: نريد المال لإعداد العدة من سلاح وغيره فهذا يجب أن ننفق المال؛ لأنه تعين، ومن ذلك أن يدفع غزو العدو الكافر عن المؤمنين؛ إذ أنه إذا غلبهم عطل عبادة الله منهم، وحولهم إلى عبدة للشياطين [وسد حاجة الفقراء والمساكين] وما أكثرهم، وهم منتشرون في العالم، وجميعات الإغاثة تعمل لهذا السبيل، فلنساهم معها ولو بريال واحد.

وقد مررت في الظهر بصناديق منصوبة في الطريق وضعت من أجل أن يضع فيها المؤمنون المعونات، وشاهدت مؤمناً في يده إما قرشاً وإما ريالاً فتألمت وقلت: أن الألوان أن أساهم، فأثيت بالفلوس في جيبي فلم أجد الصناديق [وكإعداد العدة للجهاد لحماية الملة] أي: الدين [والعباد] الذين يعبدون الله عز وجل.

وقد أرشدنا الله إلى السلم المسلح، فهناك آية فيها معنى السلم المسلح، وهي قوله تعالى من سورة الأنفال: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ [الأنفال:60].

فإذا شاهدت أوروبا العالم الإسلامي يملك الذرة والهيدروجين، ويملك السلاح بانوعه سالمته، وأعلنت عن السلم، وإذا شاهدنا مخلصين مزعزين ضعفاء مهزومين انتصروا وطمعوا أيضاً أن يعودوا إلى مستعمراتهم.

فلنسمع هذا النداء، ولنعي هذا الكلام الإلهي، وأعدوا لهم ما استطعتم [الأنفال:60]، أي: ابدلوا كل ما في قدرتكم حتى تعجزوا.

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة [الأنفال:60] على اختلاف أنواعها وتلون أحوالها، والقوة ليست دائماً في المال ولا في السلاح، بل هي قوى متنوعة في العلم والمعرفة.

[وكالإنفاق لتحرير الرقيق] والآن لا يوجد رقيق، بل نحن الآن أرقاء للكافرين، فحتى الإبرة لا نصنعها، ونحتاج إليهم أن يعطونا إبرة.

فينفق المال في تحرير الرقيق عندما يوجد الأرقاء، وسيوجدون عند ما يعلن عن لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فيسقط المشركون أسرى بين أيدينا، فيدخلون في رحمة الله، فنعتقهم بأموالنا [ومداواة المريض] أيضاً الذي يئن من الألم ويحتاج إلى دواء، فمداواته باب من أبواب الإنفاق في سبيل الله [وما إلى ذلك من مواطن الإنفاق في سبيل الله لا في سبيل الشيطان].

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 8

إن الإنفاق في سبيل الله باب عظيم من أبواب الخير، فما من درهم ينفقه العبد إلا وتضاعف له الأجر بمقابلته، على ما يجعل له في الدنيا جراء ذلك من تركية ماله وتكثيره، وما يلحقه من الثناء العاطر من عباد الله الصالحين، ومع ذلك فهذا الباب من أبواب الخير تلحقه آفات، وتفسده ممارسات، ومن ذلك أن يصاحبه المن أو الأذى أو الرياء. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

وبالأمس كان النداء هو قوله تبارك وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة: 254].

فحفظنا وعلمنا، والله نسأل أن يوفقنا لأن نعمل.

هذا النداء أمرنا الله تعالى فيه بأن ننفق من بعض ما رزقنا في مجالات الإنفاق وطرقه وسبله، وقد عرفتكم أكثرها، ومنها: الجهاد ومتطلباته، ثم الفقراء والمساكين والمحتاجين.

وهذا الإنفاق عائداته تعود على المنفقين، وهم المستفيدون، وفرصة الحياة ضيقة، فإنه إذا دقت ساعته وحضر أجله عض أصابع الندم وقال: يا ليتني أنفقت! ثم هذا الإنفاق قد يكون واجباً كالزكاة، وكالإنفاق على الأب والأم، والإنفاق على الزوجة والأولاد، وهذا واجب وجوباً عينياً، ويتحتم على كل من قدر على أن ينفق أن ينفق.

و يكون واجباً أيضاً في الجهاد، لا سيما إذا دعا إمام المسلمين إلى الجهاد، وطالب بالمال لإعداد العدة ولتجهيز المجاهدين، فيتعين أيضاً تعيناً كاملاً.

وقد يكون واجباً إذا شاهدت فقيراً يقتله الجوع أو يمزقه وعندك المال في جيبك أو في يدك فيجب أيضاً؛ لأنه تعين.

وما عدا ذلك فهو من أفضل الأعمال وأطيبها وأعظمها أجراً، ولا يحرمه إلا محروم.

قوله تعالى: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ [البقرة: 254] هذا هو يوم القيامة، ليس فيه بيع أو شراء، ولا صداقة أو أخوة أو محبة تجدي وتنفع، ولا شفاعة تنفع صاحبها، والفرصة ضيقة.

وهذا إرشاد الله وتعليمه، وإنعام الله على المؤمنين حيث رزقهم المال وأعطاهم ورزقهم، وطلب منهم أن ينفقوا ماله، فهو الذي وهبه، وهو الذي يشتريه منهم ويثيبهم عليه، وهذا لا يقدر عليه إلا الله.

وقد حدث مرة أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان له بغير فأصابه العي في طريقه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشتراه منه الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يصل به إلى المدينة، فلما وصل إلى المدينة جاء جابر بالمال والجمل، فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الجمل والمال.

وهذا موقف نبوي شريف، لا يقفه سواه، وفوق ذلك الله جل جلاله وعظم سلطانه، يعطينا المال ويشتريه منا وبمضاعفة، الحسنة بعشرة إلى سبعمائة.

فقوله: أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ [البقرة: 254] الذي رزقنا هو الله، فهو الذي خلق المادة بكاملها ووزعها وقسمها.

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ [البقرة: 254].

وهذا يأتي بالموت، فما إن يموت المرء حتى ينقطع، فلا تنفعه شفاعة، ولا ينفعه خلة ولا صداقة ولا صحبة، ولا بيع ولا شراء.

ثم أعلمنا أن الكافرين هم الظالمون، وقد عرفنا أن الكفر كفران ونوعان: كفر نعمة، وكفر ملة.

فكفر الملة - وهو كفر الدين- خروج من ساحة الإيمان والإسلام، وصاحبه مخلد في النار، ولكن كفر النعمة هو جحودها وعدم حمد الله وشكره عليها، وإمساكها وعدم إنفاقها، وهذا أيضاً كفر، وصاحبه ظالم، ولو لم ينفق على أسرته فإنكم تقولون فيه: ظالم، فإذا تعين الإنفاق عليه ولم ينفق فقد ظلم؛ لأنه وضع المال في غير موضعه، وقد علمنا أن الظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه، فكفار النعم ظلمة؛ لأنهم وضعوا النعمة في غير موضعها، فبدلاً أن ينفقوها حيث يرضى الله ويحب، وحيث أمر تعالى وأذن، أنفقوها في معاصي الله، أي: ضد الله عز وجل، فكانوا بذلك ظالمين.

بيان مبطلات الصدقة كالمن والأذى والرياء

قال: [النداء الثامن: في بيان مبطلات ثواب الصدقة] كالمن والأذى والرياء، وقد سبق النداء السابع في الإنفاق في سبيل الله كما علمنا، وهذا في بيان مبطلات تلك الصدقات، فقد ينفق العبد أو تنفق الأمة ولا أجر له ولا لها، وسبب ذلك أنه قد بطل، كالذي يبني بناء وقبل أن يسكن فيه سقط وبطل، أو أن يصنع طعاماً ويضعه على المائدة فتتكفى ويحرمه، فينفق العبد ويتصدق وتبطل صدقته والله العظيم.

إذاً: فمن الواجب العيني الحتمي أن نعرف مبطلات الصدقة؛ حتى لا ننفق أموالنا ثم نرجع خائبين بلا أجر ولا مثوبة؛ إذ لا أحد يرضى بهذا.

فلا بد من معرفة ما يبطل الصدقة، أي: يحرم صاحبها أجرها وثوابها، وبالمعنى السري الذي علمتم أنها لا تزكي نفسه، فينفق الألف والمليون ولا تنتج له حسنة واحدة، وتبقى نفسه منتنة خبيثة مظلمة! وقد بين هذا الله خالق الأشياء، ومدبر الحياة العليم الحكيم.

فالنداء الثامن من نداءات الرحمن لأهل الإيمان في بيان مبطلات ثواب الصدقة، والثواب: الجزاء وما يعطاه العبد، وذلك كالمن، من يمن عليه: أعطاه وأخذ يقول: أعطيتك كذا .. ألبستك كذا، فيؤذي المؤمن حتى يكاد أن يسقط على الأرض؛ إذ لا يوجد من يتحمل المن من البشر إلا من فطر طبعه وهبطت نفسه.

والأذى هو أن يعطيه ويشتمه، فيعطيه الريال ثم يسبه ويقول: ألا تستحي؟ وأنت كذا وكذا فيمزق قلبه.

والرياء هو أن ينفق ليراه الناس لا لوجه الله عز وجل.

هذه ثلاث مبطلات للصدقة.

وهيا بنا إلى النداء.

حقيقة الأولياء

يبقى معنا الزائرون ممن لا يعرفون من هم أولياء الله، فهم يظنون الأولياء سيدي عبد القادر .. مولاي إدريس .. سيدي مبروك .. العيدروس .. سيدي البدوي ، الأولياء أنتم أيها السامعون! لأن الولي مؤمن متق، لا يحل ما حرم الله، ولا يحرم ما أحله، ينهض بالواجبات في حدود طاقته، هذا ولي الله، لكن مكر بنا اليهود، فحولوا الولاية إلى الموتى، وحرموها الأحياء لعله عجيبة، وهي: حتى يؤذي بعضنا بعضاً، وينتشر السب والشتم والزنا والسرقة والكذب والخيانة في بلاد المسلمين، إذ لو كان المسلم يعتقد أنك ولي الله فوالله لا يستطيع أن يرفع صوته عليك، فضلاً أن يؤذيك في امرأتك أو ابنتك أو مالك، ولكن مكروا بنا بعدما ذبحونا، وجعلوا الأولياء فقط الذين ماتوا، وضربت عليهم القباب البيضاء والخضراء، ووضعت التوابيت، وعليها الأزرار الحريرية؛ حتى تعبد، وتذبح لها الذبائح، وينذر لها، ويعكف عليها، وتشد الرحال لزيارتها، وأما هؤلاء فكلهم أعداء الله.

فاسرق أو اضرب أو افعل ما شئت بهم؛ لأنهم ليسوا أولياء الله، وهذه عظيمة، ولا أحسب الكثيرين سمعوها، ووالله إنها لحق يقيني، وإلى الآن لو تدخل عاصمة من عواصم العالم من كراتشي إلى اسطنبول، ومن القاهرة إلى المغرب وتقول لأول من تلقاه في الشارع: يا سيد! أنا غريب جئت من بلاد بعيدة فمن فضلك دلني على ولي من أولياء الله في هذه المدينة، فوالله ما يأخذ بيدك إلا إلى قبر، ولا يفهم أن القاهرة فيها ولي حي.

وهذا حتى يأكل بعضنا بعضاً، وإذا ذكر الولي لا يستطيع أن يحلف بالولي، ويحلف بالله ولا يخاف، وقد حدثني أحدهم وأنا أسمع فقال: إذا زنيت وكنت جنباً لا أمر بيسيدي فلان، فيزني بامرأة ولي من أولياء الله الأحياء، ويحطم كرامته ويفسد حياته، ولا يخاف الله، ويخاف إذا مر بالولي الفلاني وهو جنب.

هذا هو مستوانا، ولذلك علتنا جماعات الكفر والباطل وساسونا بعدما هبطنا.
فهؤلاء الثلاثة ذنبهم فقط أنهم آذوا المؤمنين، فإذا قال لك فقير محتاج: من فضلك فأعطيته ريالاً وشتمته وآذيته لم يرض الله بهذا، فإذا أعطيته لقمة العيش ومننت عليه حتى حطمته فقد آذيت ولي الله، والله لا يرضى بهذا.
والثاني: كونك تتكبر على المؤمنين وتتعالى في ثيابك وتتبختر لتذلهم وتهينهم؛ وترى نفسك أنك أكرم منهم وأعلى، وتؤذي المؤمنين أولياء الله بهذا، وهذا لا يرضى الله به.
والثالث: الذي يغش المؤمنين باسم الله، كأن يشتري بضاعة بعشرة ويقول: والله لقد اشتريتها بعشرين ليصدقوه، فحلف بالله من أجل أن يأكل أموال المؤمنين بالباطل، فلا ننسى أبداً قول الله عز وجل: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).
وهذا لا يفهمه المؤمنون إلا مع الأولياء الذين ماتوا، ومن عداهم فكلهم ليسوا بأولياء، ولذلك اسرقهم أو اكذب عليهم أو افجر بهم أو افعل بهم ما شئت، ولا تخاف منهم، فليسوا بأولياء الله.
حقيقة المن

قال: [وحقيقة المن أنه ذكر الصدقة وتعدادها على من تصدق بها عليه من المؤمنين على وجه التفضل عليه.
والمنان من الناس هو الذي لا يعطي شيئاً إلا منة على من أعطاه إياه، فاحذر المن أيها المؤمن!؛ فإنه مبطل لأجر الصدقة، وموجب لغضب الله تعالى].
من أسباب بطلان الصدقة: الأذى

قال: [ثانياً: الأذى، لغة] أي: في لسان العرب: [هو كل ما يؤذي الإنسان في دينه أو عرضه أو بدنه أو ماله، وهو هنا أي] في هذا التعليم الإلهي [الأذى المبطل للصدقات هو التطاول على المتصدق] عليه والترفع عليه [وإذلاله بالكلمة النابية، أو التي تمس كرامته، وتحط من شرفه وقدره، وهو المؤمن ولي الله تعالى].
والله يقول في الحديث الذي رواه البخاري : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).
والمعاداة هي مولدة الأذى وأشدّه وأقبحه].
من أسباب بطلان الصدقة: الرياء

قال: [ثالثاً: الرياء، وهو أن يري العبد عمله للناس؛ رجاء أن يحمده عليه، أو يدفع به مذمتهم؛ إذا خاف ذلك منهم]
فلما أن ينفق من أجل أن يحمده ويثنى عليه ويشكر، ويقال: فلان ينفق ويتصدق، أو غير ذلك، وقد يكتبون حتى في الجرائد، فلهذا لا يتصدق في الخفاء أبداً، فإذا لم يكن هناك جماهير من الأمة تسمع فلا ينفق أبداً، وأحياناً ليس من أجل أن يمدح ويشكر، وإنما من أجل أن لا يذموه أو يبخسوه، أو ينتقصوا شرفه وكرامته، لأن عادة الناس هذه، فإذا لم ينفق قالوا: بخيل شحيح، فهو عنده مال ويخاف إذا لم ينفق أن يقولون: شحيح بخيل، ويكرهونه ويبغضونه، وهو لا يطيق هذا لشرفه، فيدفع عن نفسه، فيتصدق من أجل دفع المذمة، لا من أجل الله وطلب رضاه [إذا خاف ذلك منهم، وهو في هذه الحال مرء، والرياء مبطل للعمل مفسدة له، فلا تزكو به النفس البشرية كالمن والأذى سواء بسواء في إبطال الصدقات؛ لقوله تعالى: لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ [البقرة: 264].

فالرياء في الصدقات مبطل لها كالمن والأذى، إلا أن الرياء عامة يكون في الصدقات و [في] غيرها من سائر العبادات كالصلاة والذكر وقراءة القرآن والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [أيضاً، فيكون حتى في الجهاد، فيدخل المعركة ويقتل وغير ذلك من أجل أن يقال: بطل، ويكون في الصلاة، فيحسنها ويكثر من الصلاة أمام الناس؛ ليمدحوه عليها، فالرياء ليس خاصاً بالصدقة، بل هو عام في كل العبادات، فهو يأمر بالمعروف ليقال: فلان يأمر بالمعروف، وهو لا يريد وجه الله، وإنما فقط ليمدح، فلهذا - معاشر المستمعين! - الطريق إلى الله شائك، فلا بد من الجهاد، وإلا يقع الإنسان في الطريق، وهناك عوامل كثيرة تبطل العمل وتفنده [لذا فهو] أي: الرياء [أخطر من المن والأذى، وغالباً ما يكون الرياء ممن ضعف إيمانه بالله] ولقائه [واليوم الآخر؛ لقوله تعالى في الآية: وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [البقرة: 264]] فهو لم يؤمن إيماناً حقيقياً بالله وبلقائه، ولو آمن

حق الإيمان ما رأى أبداً، وإنما يفعل لوجه الله [إذ المؤمن بالله واليوم الآخر لا يعتمد بطلان عمله بالمراعاة ولا بغيرها.

وقوله تعالى في الآية: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ [البقرة:264].

والصفوان هو الحجر الأملس، عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ [البقرة:264] من المطر، وهو المطر الشديد، فَتَرَكَهُ صَلْدًا [البقرة:264]، أي: ليس عليه شيء، لأن المطر أزال التراب وبقي الصفوان الأملس كما كان.

وقوله تعالى: لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ [البقرة:264]، أي: ينتفعون به؛ وذلك لعجزهم عن الانتفاع بصدقاتهم بعد أن أبطلها المن والأذى والرياء [فلا ينتفعون بشيء؛ لأن ما ينتفعون به قد أبطلوه بهذه الطوام الثلاثة: الرياء والمن والأذى] وقوله تعالى: وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [البقرة:264] أي: إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة. وفي هذا إشارة على أن المنان والمؤذي للمؤمنين والمرائي هم قرييون من الكفر إن لم يكونوا كفاراً [أي: لنعم الله] تعالى، وذلك بترك شكرها وصرفها فيما يحب المنعم عز وجل.

ألا فلنحذر أيها المؤمنون! كل ما يبطل صدقاتنا [من الرياء والمن والأذى] بأن تصبح لا تزكي أنفسنا ولا تطهرها [فنحذره ولا نقدم عليه] ونحن نعلم حكم الله تعالى في الناس أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، وهو فوز أصحاب النفوس الزكية، وخيبة وخسران أصحاب النفوس المدساة الخبيثة التي لم تطهر بالإيمان وصالح الأعمال؛ إذ قال [الله] تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10] [وإن شاء الله أنتم أولياء الله، فمن أذاكم بأي أذى تعرض لغضب الله وسخطه، ولا تفهموا أن أولياء الله الذين ماتوا، فهذه والله حيلة ومكرة يهودية، فقد حصروا الولاية فيمن مات فقط، وجعلوا الأحياء كلهم أعداء الله، ولهذا الزنا والربا والغش والخداع والسرقة والكذب شائع بين المسلمين؛ لأنهم لا يعرفون أن هؤلاء أولياء الله من آذاهم أعلن الله الحرب عليه، فهذه نتيجة الجهل فهيا نتعلم، والتعلم يكون هكذا في بيت الله بين أولياء الله بقال الله وقال رسول الله، ولا سبيل إلا هذا.

ثبتنا الله وإياكم على الحق، ورزقنا وإياكم رضاه [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحابه أجمعين.

من أسباب بطلان الصدقة المن

قال: [ومن الموانع للصدقة من تزكية نفس المؤمن المتصدق ما ذكر الله تعالى] في هذه الآية [وهي: أولاً: المن] مَنْ يَمْنُ مَنَّا بَعِطَانَهُ إِذَا تَحَدَّثَ بِهِ وَرَدَّهِ أَمَامَ مَنْ أَنْفَقَ عَلَيْهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ أَذَى الْمُؤْمِنِ [وهو من كبائر الذنوب] أي: كالزنا والربا وقتل النفس والغيبة والنميمة [لأن المنان] وهو كثير المن، وليس من يمن في العام مرة، أو يتصدق مائة مرة ويمن مرة، بل هو من لا يفارقه المن [أحد ثلاثة] أشقياء، حالهم [لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكّيهم] أي: لا يظهرهم حتى يدخلهم الجنة [ولهم عذاب أليم] موجه.

وسيائي الخبر، وذلك [لحديث مسلم] في صحيحه.

قال صلى الله عليه وسلم: [(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة)] والذي لا يكلمه الله فمعناه أنه غاضب عليه غير راض، وهذا معروف بالبداهة، فالشخص الذي أنت غاضب عليه لا تكلمه [(ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم)] ولو يسمع مؤمن هذا الحديث يحمل هذا الوعيد والله ما بات على واحدة من هذه الثلاث أبداً، ولرضي أن يموت ولا يبقى على هذا الباطل، ولكنهم ما عرفوا ولم يبلغوا ولا علموا، ولا وثقوا فيمن سمعوا.

الأول: [(المسبل إزاره)] خيلاء وكبراً وتعالى على المؤمنين لإذلالهم وإهانتهم والتعالي والتفوق عليهم، والآن ليس عندنا إزار نتزر به إلا في الحج والعمرة، ولكن كل ما يلبسه المؤمن من قميص أو سروال أو مشلح أو برنس أو عباءة أو غيرها إذا أسبله وراءه تحت كعبيه بحيث يمس الأرض ويتبختر خيلاء وفخراً فهذا الله غاضب عليه إذا مات كذلك، والسر في هذا لأنه يؤذي أولياء الله بالتكبر والافتخار عليهم، ويضر نفوسهم، ويؤلم أرواحهم، وهم أولياء الله، والله يقول: (من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

فإنه عز وجل لا يرضى أبداً أن تتكبر على أوليائه أو تهينهم أو تذللهم، فإله يدافع عن أوليائه ويحميهم، ومع أن هذا بذر المال وأنفق فيما لا يعني، وزاد شبراً في الأرض أو أصبع ليس فيه الفائدة، لكن السر لأنه قال: خيلاء وتكبراً.

ولو أن مؤمناً طول ثوبه وقلبه نظيف نقي لا يريد كبراً ولا فخراً ولا أذية المؤمن فوالله لن يكون مع الثلاثة، ولكن هذا مرض نفسي يؤذي المؤمنين بالتكبر عليهم والتعالي والافتخار والمباهاة.

وبعض المؤمنين عندنا من الجيش ومن الشرطة يلبسون السروال، ويحاولون أن يرفعوه فوق الكعبين وهو مطلوب، لكن قد يعاب عليهم أو غير ذلك، فنقول لهم: اكرهوا هذا في نفوسكم ولا تحبوه، وما دام قد جرت عاداتكم بهذا ولم يرضوا بنقصه فلا شيء عليكم، بشرط ألا يكون في قلوبكم كبر ولا خيلاء، ولا فخر ولا مباهاة.

وهذا تعلمناه لأننا تلمذنا على الغرب وقلدناهم؛ لأنهم تفوقوا علينا، وبعدما سممونا وحطمونا رفعنا أبصارنا فإذا هم سادة، ونحن عبيد، فقلدناهم وتسايقنا في أن نكون مثلهم، وحتى نساؤنا أيضاً، فالرجل يلبس السروال إلى الكعبين، والسيدة تلبس ثوبها إلى فخذها، فانتكسنا حتى أصبحنا كالبهائم، فالبريطاني والإيطالي والأسباني سرواله إلى الأرض، وامراته فخذها مكشوفان، مع أن الفحل هو الذي يكشف عن ساقيه؛ لأنه يضرب ويحمل ويحفر الأرض، والسيدة تجر ثوبها في الأرض؛ لأنها لا عمل لها، فعكسوا القضية، وهذا والله لمن وضع بني عمنا اليهود، فهم الذين مسخوا العالم، وهم الذين يحسنون التدبير لإفساد البشرية، وإلا فلا يعقل أن الفحل ثوبه في الأرض والمرأة ثوبها إلى ركبتيها، والسر في هذا هي أنها مكررة يهودية لتحطيم الفحول، وتحطيم النساء والرجال، ونجحوا في ذلك لأن القرآن غاب في المقابر، والرسول مات وأصبحت سنته في البركة.

الثاني: [() والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منه] وهو في الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ [البقرة: 264].

والمنان كثير المن، الذي لا يعطي صدقة إلا منّا على من أعطاه، فهناك فرق بين من ومنان، فالمنان هذا طبعه، ما أعطى إلا من، وأما من من يوماً في عمره أو في عام أو في كذا فلا يقال فيه منان؛ إذ نفسه قد تخدعه يوماً ويمن، لكن سرعان ما يعود ويرجع إلى الصواب.

والثالث والأخير: [() والمنفق] بضاعته وسلعته [() بالحلف الكاذب] كتاجر من التجار يروج بضاعته بالحلف الكاذب، كأن يقول: بالله لقد أعطينا كذا .. والله لقد اشتريناها بكذا .. والله إنه لأنفع شيء أو أركى طعام، وهكذا يروجها على الناس بالآيمان الكاذبة، فهذا لا ينظر الله إليه ولا يزكيه، وذنبه أنه آذى المؤمنين وأكل أموالهم بالباطل وغرر بهم وغشهم وخدعهم، فمثلاً قد يكون الثوب يساوي عشرة فيقول: والله ليساوي عشرين، أو يشتريه بريال ويقول: اشتريناه بخمسة ويحلف له، والمؤمن يصدق أخاه إذا حلف له، ويرضى بما قال.

فالمؤمن يجب أن يكون شعاره الصدق، فلا يقول: خمسة إلا لأنها تساوي خمسة، وأما أن يقول: والله لقد اشتريتها بكذا فيغش ويخدع صاحبه المؤمن فهذا يغضب الله عليه؛ لأنه آذى أوليائه، فاعرفوا هذا السر؛ لأن الله يقول: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

وأعيزكم بالله أن تكونوا من هؤلاء الثلاثة.

وهؤلاء الثلاثة ليسوا أبيض أو أحمر، ولا عربي أو عجمي، بل هؤلاء مؤمنون في الجملة، واستوجبوا عذاب الله ومقته؛ لارتكابهم هذه العظائم.

التحذير من إبطال العبد صدقة نفسه

قال: [اذكر هذا أيها القارئ أو المستمع!] ولا تنسى [لتعي عن الله تعالى ما خاطبك به] وتفهم ذلك [وهو نهيهم لك عن إبطال صدقاتك] فهذا النداء فيه نهي الله تعالى للعبد المؤمن عن إبطال صدقته، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ [البقرة: 264].

وهذا فيه نهي لك أيها المؤمن! عن إبطال صدقاتك [وهو تعطيلها عن تزكية نفسك وتطهيرها] وهذا سر الصدقات والعبادات.

وكلمة (بطلت الصدقة) فسرناها للعامة يعني: لا ثواب عليها، ولكن السر أنها إذا بطلت لم تنتج الحسنات، ولا تولد النور للقلب، فلا تزكو النفس ولا تطهر، وحكم الله قد علمتموه، وهو قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: 9-10] [لأن الصدقة عبادة تزكي النفس إذا خلت من الموانع المبطلة لها].

سبب نداء الله تعالى لعباده المؤمنين دون غيرهم

[اذكر أيها القارئ الكريم!] أو المستمع أيضاً المستفيد! [ما سبق أن عرفته في سر نداء الله تعالى عباده المؤمنين بعنوان الإيمان] ولا تنساه [ألا وهو أن المؤمن حي] فلهذا يناديه؛ لأنه [يسمع ويبصر، ويقدر على الفعل و] على [الترك] وإذا أمره فإنه يطيعه، وإذا نهاه فإنه يطيعه ويترك ما نهاه عنه [لأن الإيمان الصحيح] وليس كل من قال:

إنه مؤمن فهو مؤمن، قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا [الحجرات:14] [وهو تصديق الله ورسوله في كل ما أخبر به من شأن الغيب] كالجنة والنار والميزان والصراط والحشر وإعادة الناس أحياء، فقد آمن به وهو غيب [والشهادة] ما نشاهده ونعيش فيه [هو بمثابة الروح للجسم] فلو خرجت من الجسم لأصبح جثة هامدة، فلا الأذن تسمع، ولا العين تبصر، ولا اللسان ينطق، ولا اليد تتحرك، مع أن الجسم كما هو، لم يتكسر ولم يتحطم ولم يتمزق، بل خرجت الروح.

ولم يناد الكافر لأنه ميت، ولذلك لا يناديه ليأمره أبداً ولا لينهاه [فالجسم يتحرك ويقبل ما يراد به ما دامت الروح فيه، فإذا فارقت مات].

من المعاني الجليلة المأخوذة من قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى ...)

قال: [الآية (264) من سورة البقرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [البقرة:264]] هذا النداء عالٍ، رفيع سامٍ، فلا بد وأن نرفع أعناقنا حتى تصل إليه.

لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ [البقرة:264] أيها المتصدقون! والمتصدقون هم المؤمنون، وبالأمر ناداهم وحثهم، وقال: أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن تفوت الفرصة فاستجابوا، والآن من رحمته بعباده المؤمنين وإحسانه إليهم ولطفه بهم بين لهم ما يبطل صدقاتهم التي أنفقوها بالأمر؛ حتى لا يحرّموا الأجر والثوبة عندما ينفقون، وهذه المبطلات توجد مغروزة مع الإنسان، فإذا لم يجاهد نفسه يقع فيها.

مبطلات الصدقة ثلاثة: الأول: المن، كأن يقول: ما شاء الله، هذه النظارة جيدة، وهي ملائمة لك، ثم يقول: أنا اشتريتها له.

أو كأن يقول: ما شاء الله، هذا نعل ممتاز، هذا اشتريناه لراضي، هذا المن.

والأذى كأن يعطي من يسأله ويقول له: امش، ألا تستحي؟ فأنت لا خير فيك، وأنت كذا، وهذا قد سمعناه من الإخوان، فيعطيه ويصب عليه الأذى، وكأن يقول: مثلك لا يشبع، وأنتم لا تستحون، فيذوب المؤمن.

والرياء: أن ينفق فقط ليظهر في المجتمع أنه من أهل المال والإنفاق، أو ليمدح ولا يذم، حتى لا يقال: بخيل، فينفق المال حتى ما يقال: فلان بخيل، وليدفع المذمة عن نفسه، وهو لا يريد ثواب الله وما عنده لأوليائه.

والرابطة الحالقة وهي: الكفر، فالكافر لا يثاب ولو ينفق ما على الأرض.

هذا النداء ذكر الله فيه مثلاً، فالصفوان: صخرة صلباء صماء، مثل جبل الصفا في مكة كله صخور، وهذا الصفوان عليه تراب، وهذا التراب وضع فوقه وليس لاصقاً مع الصخرة، بل هو خارج منها موضوع فوقها، وإذا بوابل من المطر ينزل، فلا يبقى من ذلك التراب شيئاً، وإنما والله يمسحها مسحاً، ويصقلها كالزجاجة، فالذي ينفق ماله رياء الناس كالذي يضع ذلك التراب من أجل أن يحرث أو يزرع ويأتي مطر غزير فيمسحه كاملاً، فيخسر جهده وطاقته وأمله، وكل ما كان يفكر به.

وهذا مثل عجب.

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ [البقرة:264]، أي: مطر غزير.

فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا [البقرة:264]، أي: فات كل شيء، فما أنفقوه رياء وسمعة أو أنفقوه للباطل ونصرة له كل ذلك يضيع.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [البقرة:264].

إلى كل ما يكملهم ويسعدهم.

فقد عادوه وحاربوه وفسقوا عن أمره وخرجوا عن طاعته، والله لن يهديهم لما فيه كمالهم وسعادتهم، وحاشا لله أن يفعل ذلك.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [البقرة:264] إلى كل ما يسعدهم وينجيهم من عذابه، ولكن يهدي أوليائه المؤمنين.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 9

إن الله عز وجل حين يحث عباده على الإنفاق لا يكلفهم ما يشق عليهم، وإنما يطلب منهم ما هو داخل في استطاعتهم وقدرتهم، ومع ذلك فهو يحذرهم من أن يفسدوا هذه النفقات بشيء من المفسدات كالمن والأذى والرياء، أو يختاروا من أموالهم ما ترغب عنه نفوسهم وتزهد فيه فيخرجوه ابتغاء وجه الله، فאלله غني عن خلقه، وهو طيب لا يقبل إلا طيباً.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، واستذكارات لما سبق أن درسناه وعلّمناه - نذكر معاشر المستمعين والمستمعات! - بعدما أمرنا الله بالإنفاق وذلك لصالحنا في دنيانا وفي آخرنا، إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة: 254].

أمرنا في النداء الذي بعده بأن نتحرز من مبطلات نفقاتنا؛ إذ ليس كل من أنفق فاز، فقد ينفق ويكون إنفاقه وبالاً عليه، ولذلك حذرنا في هذا النداء الثامن، فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [البقرة: 264].

فحذرنا من المن، فالذي يتصدق ويمن على من تصدق عليهم والله إن صدقته باطلة، ومعنى باطلة أي: لا تركي نفسه ولا تطهرها، بل يبقى الخبث كما هو.

ثانياً: الأذى، فالذي يتصدق على مؤمن ثم يؤذيه بنظرة شذرة .. بكلمة سيئة .. بدفعة .. بعنف، فهذا كذلك يمسح أجره مسحاً.

ثالثاً: المرائي، فهذا ما من على من تصدق عليه ولا آذاه ولكن لا ينفق ابتغاء مرضاة الله وطلباً لرضاه، ولكن من أجل أن يحمد بين المواطنين؛ ليثنى عليه بالخير والشرف، هذا قصده من النفقة، فهذا صدقته باطلة، وقد ينفق لا ليحمد، ولكن ليدفع عن نفسه المذمة واللوم والعتاب، حتى لا يقال: فلان لا يتصدق، ولم نره ينفق، فهو من أجل هذا يتصدق؛ ليدفع عن نفسه المذمة.

وقد عرفتم المثل الذي ضرب الله تعالى، فقد ضرب المثل بصخور من شأنها ألا يعلوها تراب ولا ينبت فيها زرع، ولكن صخرة عظيمة أو صخور ساقت الرياح إليها الأتربة وحملتها إليها، وظن الغافلون أنها الآن صالحة للزرع، وإذا بوابل من المطر - أي: غزير منه - يأتي على ذلك التراب فيترك تلك الصخور صلداً ملساء، ليس فوقها شيء.

فهذا الذي ينفق ويمن، أو ينفق ويؤذي، أو ينفق ويرائي هذه حاله، لا ينتفع بصدقته، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا [البقرة: 264].

وأخيراً والله لا يهدي القوم الكافرين [البقرة: 264].

وقد علم المستمعون والمستمعات أن الكفر نوعان: كفر مخرج من الملة، مخلد صاحبه في النار، وكفر نعمة منقوص صاحبه مبعوض، ذاك الذي يراني بعمله، ويريد مدح الناس والثناء منهم عليه.

فالنداء الأول كان للإنفاق، والثاني في متطلبات التحرز مما يبطل الإنفاق.

وجوب إخراج الصدقة من طيب المال وحرمة إخراجها من خبيثه

والآن مع النداء الثالث، وهو [النداء التاسع: في وجوب إخراج الصدقة من طيب المال وحرمة إخراجها من خبيثه] ورديته.

وإليك النداء الكريم الذي أكرمنا الله به وشرفنا، ففرنا به نحن أيها المؤمنون! دون سائر الناس أبيضهم وأصفرهم. [الآية (267) من سورة البقرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [البقرة:267]] لا تقولوا: الله يطلب منا، فهو غني عنكم وعن إنفاقكم، وهو محمود في السموات والأرض بدونكم، وبعض الغافلين يقول: الله في حاجة إلى أن يمدح فلماذا يأمر بالصدقة، فأبطل الله هذه الظنون، فهو غني غناً مطلقاً عن سائر خلقه، حميد في الأرض والسماء بدون ما تحمدونه أيها المنفقون! نصاب الزكاة

قال المؤلف رحمه الله وإياكم: [هل تدري ما نصاب هذه المزكيات أيها القارئ الكريم؟! إنها في الإبل خمس من الإبل] فإذا ملكت خمسة أبعرة ففيها الزكاة، ولو كان بينها حواراً صغيراً [وفي البقر ثلاثون بقرة] فتجب فيها الزكاة، ولا يهم إن كان فيها عجلاً أو ثوراً، بل المهم أن تبلغ العدد، فلو كانت مثلاً عشرين وولدت كلها وأصبحت ثلاثين فلا تقول: هذه ولدت هذه الليلة فقط فلا نزكيه، بل تعد مع المزكيات ثلاثين [وفي الغنم ضأناً] كانت [أو ماعزاً] فليس هناك فرق بين الضأن والماعز [أربعون شاة] ولو كان فيها جدي صغير، فإذا بلغت الأربعين وجبت فيها الزكاة، وأما دون الأربعين فلا زكاة فيها، لكن لا بأس من الصدقة منها، فالناس يتصدقون بأموالهم ولا حرج، كما قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (إلا أن يشاء ربها).

فهذا شأنه [وفي الحبوب والتمر خمسة أوسق، والوسق ستون صاعاً] أي: كيلو [والصاع أربعة أمداد أي: حفنات] والحفنة مد الرجل، وهذا معروف.

وصدقة الفطر صاع، أي: أربعة أمداد.

إذاً: نصاب الحبوب والثمار خمسة أوسق، فمن ملك من بستانه أو من أرضه خمسة أوسق وجبت عليه الزكاة، والوسق ستون صاعاً، والصاع أربعة أمداد، فالوسق مائتان وأربعون حفنة، والخمسة الأوسق ألف ومائتان، والحفنة تزن كيلو أحياناً، وخاصة من التمر؛ لأنه ثقيل.

نصاب زكاة النقود

[وفي العمل] جمع عملة، واسألوا الصيارفة عنها والمصارف [قيمة سبعين جراماً من الذهب] والآن تسمعون من علمائنا من يقول: النصاب خمسة وثمانون، ومنهم من يقول: ثمانون، وأنا والحمد لله أقول: سبعون جراماً، فالعلماء قالوا هذا تقليداً فقط لبعضهم بعض، وأما أنا فأتيت بحب الشعير ونظفته ووزنته في ميزان الصيارفة الدقيقة وضبطت المتقال بالضبط بحبات الشعير، فوجدت النصاب سبعين جراماً، وهذا أرحم بالفقراء والمساكين من خمسة وثمانين.

وشيء آخر لو نزكي بحسب الفضة لكان النصاب أقل من خمسين جراماً، ويجوز أن نزكي بحسب الذهب أو الفضة سواء بسواء، وأربعمائة وستين جراماً من الفضة لا تساوي ألف وخمسمائة ريال أو ألف ومائتين، ونظراً لهذا المرتفع وهذا المنخفض وفقنا الرحمن الرحيم وهو ولينا وولي المؤمنين إلى أن قلنا: النصاب سبعين جراماً، فصاحب العملة سواء كانت ليرة .. جنيه .. درهم أو أي عملة في العالم يذهب إلى بائع الذهب ويسأله كم يساوي سبعين جراماً من الذهب بالدينار الجزائري أو الدرهم المغربي أو الريال اليمني أو الجنيه المصري أو الروبية، فالقيمة التي يقول لك: هي النصاب، فإذا قال لك بائع الذهب: ألفاً فالنصاب ألف، وإذا قال: عشرة آلاف فالنصاب عشرة آلاف، ولا تتردد.

فالسوري الذي يتعامل بالليرة يذهب إلى بائع الذهب ويسأله: سبعين جراماً من الذهب كم تساوي من الليرة؟ فإذا قال: خمسة آلاف ليرة فهذا النصاب، وكذلك السعودي صاحب الريال في المدينة النبوية يذهب إلى بائع الذهب ويسأله: سبعين جراماً من الذهب كم تساوي؟ فإذا قال له: ألفين وثمانمائة أو ألفين وتسعمائة فالذي يقوله والله لهو النصاب، فزكي مالك إن بلغ هذا المقدار، وإن كان ما عنده أقل من هذا فلا زكاة.

ووالله لأن تذهب من المدينة إلى باكستان لتتعلم هذه المسألة بالذات لم يكن هذا كثيراً أبداً، والأمة تتخبط الآن تخبطاً عجباً، وكل واحد يدلي برأيه في الزكاة.

فالنصاب في العمل سبعون جراماً من الذهب، فإذا كان عندك ريبالات فاذهب إلى بائع الذهب واسأله كم يساوي سبعين جراماً من الذهب، فالمبلغ الذي يقول هو النصاب، فإن ملكته زكيت، وإن كان ما عندك دونه فلا زكاة عليه، فإن كان مالك أكثر من سبعين فقد وجبت الزكاة.

مقدار زكاة الأنعام

[أريت أيها القارئ! إن قيل لك: عرفنا النصاب في الأنعام لكننا ما عرفنا كم الخارج منه؟ فعلمه أن من ملك خمساً من الإبل زكاه بشاة من الغنم، ومن ملك عشرأ زكاه بشاتين، ومن ملك خمسة عشرة زكاه بثلاث] شياه [ومن ملك عشرين زكاه بأربع شياه، ومن ملك خمساً وعشرين زكاه ببنت مخاض أوفت سنة ودخلت في الثانية] من الإبل.

فانظر رحمة الشارع، فالإبل نزيها بالغنم بالماعز، حتى تبلغ خمسة وعشرين بغيراً وحينئذ تزكى ببنت مخاض [وأن من ملك ثلاثين بقرة وجب عليه فيها عجل] تتبع [يتبع أمه] ما استقل بعد عنها [أوفى سنة] أي: أكمل سنة [ومن ملك أربعين من الغنم وجب فيها شاة فقط، وما زاد على ما ذكر يطلب من كتب الفقه المطولة، وهذا جدول مختصر لها: العدد الإبل العدد البقر العدد الغنم 25 فيها بنت مخاض 30 فيها عجل 40 فيها شاة 36 بنت لبون 40 فيها مسنة 121 فيها شاتان 46 حقة أوفت 3 سنوات فوق 40 في كل 40 مسنة وفي كل 30 عجل إذا بلغت 201 ففيها 3 شياه 61 جذعة أوفت 4 سنوات وفوق ذلك في كل مائة شاة واحدة 76 بنتا لبون 91 حقتان 120 ففي كل 40 بنت لبون وفي كل 50 حقة] فالإبل في خمسة وعشرون بنت مخاض، وستة وثلاثون فيها بنت لبون أكبر سنأ من بنت مخاض، وستة وأربعون فيها حقة أوفت ثلاث سنوات، وواحد وستون بغيراً فيها جذعة أوفت أربع سنوات، وستة وسبعون من الإبل فيها بنتا لبون، واحد وتسعون حقتان، ومائة وعشرون في كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة.

وأما البقر: ففي الثلاثين عجل، وفي الأربعين مسنة، أكبر من العجل سنأ، وفوق الأربعين في كل أربعين مسنة، وفي كل ثلاثين عجل، وهكذا دائماً ولو بلغت الآلاف، في كل أربعين وفي كل ثلاثين.

وأما الغنم: ففي أربعين شاة، وفي مائة واحد وعشرون شاتان، ولو ملك مائة وعشرين فقط ففيها شاة واحدة. وقد رخص الله في الغنم وهين؛ لأن الغنم يملكها أكثر الناس، ولكن البقر والغنم شيء قليل، فلهذا المائة فيها شاة واحدة، والمائة والعشرون فيها شاة، والمائة واحد وعشرون فيها شاتان، وإذا بلغت مائتين وواحد ففيها ثلاث شياه، ثم في كل مائة شاة ولو بلغت عشر مائة ففيها عشر شياه.

حكم ما بين الفريضتين في الزكاة

وأخيراً: [واعلم أيها القارئ] والمستمع! [أن ما بين الفريضتين يسمى وقصاً] وهذه اللفظة جديدة، فالوقص هو: ما بين الفريضتين [وأنه لا زكاة فيه، مثاله في الخمس من الإبل شاة] وكذلك إذا كانت ستاً وسبعاً وثمانياً وتسعاً، ففيها شاة واحدة [حتى تبلغ عشرأ] وهذا يسمى وقصاً [فالعدد ما بين الخمس والعشر لا زكاة فيه] وإذا بلغت خمسة وعشرين فيها بنت مخاض حتى ستة وثلاثين، والعدد ما بين الستة والثلاثين والخمسة والعشرين عشرة، وهذا لا زكاة فيه؛ لأنه وقص [وهكذا.

فالغنم في الأربعين شاة] وكذلك الخمسين فيها شاة، والستين فيه شاة، والمائة فيها شاة.

وهذه الأعداد تسمى وقصاً، والوقص لا زكاة فيه [وفي المائة وواحدة وعشرين شاتان، فالعدد ما بين الأربعين إلى مائة وعشرين وقص لا زكاة فيه، أي: معفو عنه.

فاذكرها ولا تنسها، فإنه لا بد منها].

معنى قوله تعالى: (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون إلا أن تغمضوا فيه)

[هذا وهل فهمت من النداء قول الله تعالى: وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ [البقرة: 267] أن معناه: حرمة إخراج الزكاة أو الصدقة من رديء المال وفاسده، ذاك الذي لو أعطيته أنت ما قبلته ورددته على صاحبه، اللهم إلا أن

تغض عينيكَ وتقبله حتى لا تُغضب عليك من أعطاكه، وهو معنى قوله تعالى: إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ [البقرة: 267] [أعينكم عنه، ولا تنظرون إليه؛ لأنه رديء فاسد] وأخيراً اذكر ما ذكرنا الله تعالى به في هذا النداء الكريم؛ إذ قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [البقرة: 267].

حتى لا تسول لك نفسك أن الله في حاجة إلى صدقة متصدق، فتمن ذلك عليه ، أو أن الله فرض الصدقة لأجل أن يحمد من المتصدق عليهم، فإنه تعالى غني حميد بإفضاله وإنعامه على خلقه، حميد بصفات الجلال والكمال فيه، إذ له الحمد في السموات والأرض وله الحمد في الآخرة، وهو العزيز الحكيم. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [. صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. الأحكام التي اشتمل عليها قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ...)

[وهي: أولاً: وجوب إخراج الصدقة من طيب المال] والطيب ضده الخبيث والردىء والفاقد، وهذا يوجد في التمر، فالتمر ليس نوعاً واحداً، بل فيه الطيب الجيد، وفيه الردىء الفاسد السيئ، وكذلك في الكلام طيب وخبيث، وفي الأجسام طيب وخبيث، ولكن في باب الإنفاق أولاً وجوب إخراج الصدقة من طيب المال، وقد عرفنا الوجوب لأن النداء يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا [البقرة: 267]. فهذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب، ونحن عبيد وهو الأمر الرب الإلهي، فأنفق فهذا واجب، مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ [البقرة: 267].

وما أكثرها، لا من خبيثها ورتيئها. [ثانياً: حرمة إخراجها من خبيثه] وقد عرفنا الحرمة والمنع من قوله: وَلَا تَيَمَّمُوا [البقرة: 267]. ولا ناهية، فإذا قلت لولدك: لا تفعل فقد نهيتك، وما معنى تيمموا يعني: تمسحوا وجوهكم وأيديكم بالتراب، وهذا التيمم للصلاة، وسمي التيمم تيمماً لأنك تقصد التراب أو الحجر وتمسح وجهك وكفيك، فيقال: فلان تيمم. وتيمم دار فلان قصدها، وتيمم المال الخبيث قصده؛ لأنه موجود في زنبيل أو في مكان خاص، وليس هو دائماً في جيبه، فلا تقصد ذاك الخبيث وتنفق منه، بل اقصد المال الطيب ومنه أنفق، وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ [البقرة: 267].

[ثالثاً: بيان وجوب الزكاة مما كسبه المؤمن] والمؤمنة، سواء كسبه بعرق جبينه كما يقولون أو بالوراثة أو شيء آخر، وإنما لم نذكر المؤمنة لأننا فحول ما نريد أن تذكر نساؤنا بين الرجال، وقد نسينا هذا الآن؛ لأننا تحضرنا وتمدنا وترقينا، وقد بقي بقايا من الفحول يتلاءم معهم كتاب الله إلى يوم القيامة، فلهذا لا يذكر النساء لأنهن كالحور العين مقصورات في الخيام، فلا يبتذلن ويهن حتى يصبحن في المجتمعات غاديات رائحات كالصعاليك من الرجال] من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم [وقد فهمنا وجوب الزكاة في هذا النداء الكريم من قوله تعالى: أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ [البقرة: 267].

والإنفاق يكون واجباً كما قدمنا، أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ [البقرة: 254]. فيكون الإنفاق واجباً في الجهاد، وكالإنفاق على الأسرة، وكالإنفاق على فقير لم يجد من ينفق عليه، فيكون واجباً. فهذه الآية الكريمة تضمنت وجوب الزكاة في المال بنوعيه، ما يكسبه المرء بعرقه كأن يكسب مالا [من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم] والذئاب والأسود والأرانب والضباع ليست من الأنعام، قال تعالى: ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ [الأنعام: 143]، وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ [الأنعام: 144].

فالأنعام هي الإبل والبقر والغنم، فتزكى، إذ أعطاك إياها مالكها ثم فرض عليك قدرها منها فلا تقل: لا، فقد يسلبك إياها بالمرة، بشرط [إن بلغت النصاب] فإن ملكت إبلاً أو بقراً أو غنماً فلا تجب الزكاة عليك فيها إن كانت قليلة، فإن كثرت وبلغت حداً عينه الرسول صلى الله عليه وسلم بإذن الله وجبت الزكاة؛ إذ النصاب هو علامة منصوبة إذا وصل العدد إليها وجبت الزكاة، وهو مأخوذ من نصب الشيء حتى يتنبه له ويعرف، فإذا بلغت الإبل خمساً وجبت الزكاة، وإن بلغت أربعاً فلا زكاة، وإن بلغت الغنم أربعين وجبت الزكاة، وإن بلغت ثلاثين فلا زكاة عليها [وحال عليها الحول] أي: العام، فإن طلعت الشمس في الشتاء وعادت إلى مكانها التي طلعت منه فقد حال الحول، وحالت الأحوال تبدلت وتغيرت، ودارت السنة.

فلا تجب الزكاة إلا إن بلغت النصاب أولاً وحال عليها الحول ثانياً، وسيأتي هذا مبيناً بإذن الله [ومما كسبه من الدنانير والدرهم أو ما يقوم مقامها من العمل المتداولة اليوم بين الناس] سواء بعرق الجبين أو بعتاء أو بارت، المهم أنه أصبح مالاً له [إن بلغت النصاب وحال عليها الحول] فقد وجبت الزكاة. وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ [البقرة: 267].

والذي أخرجه الله تعالى لنا من الأرض البر والشعير والذرة والزيتون، وغير ذلك، والله هو الذي أخرج ذلك وليس الفلاح؛ لأن الفلاح الله، فهو الذي من خلقه وأقدره على ذلك، والأرض الذي شقها هو الله، والماء الذي أنزله هو الله، وتفاعل الماء مع التربة الذي فعله هو الله.

[رابعاً: بيان وجوب الزكاة من الخارج من الأرض، وهو الحبوب كالبر والشعير والذرة والزيتون والزبيب والتمر إن بلغ نصاباً] فهنا لا حول في الخارج من الأرض، ولا ينتظر به سنة؛ لأنه يفسد ويأكله السوس، وإنما إذا حصد وتهيا للحصاد أخرجت الزكاة؛ لقوله تعالى: وَأَنْتُمْ حَقُّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ [الأنعام: 141].

فهذا الخارج من الأرض أخرجه الله.

وعندنا حكاية قديمة في الدرس أسلي بها على الأبناء: قدمنا طبق من الرطب لصقلي جاء من شمال الكرة الأرضية من بلاد الروس، فأكل وأعجبه ذلك، وقال: إن مصانعكم عظيمة التي تنتج هذا، فقلنا له: هذا صنعه وخلق الله. قال: آمنت به، هذا رب عظيم، ثم خرجنا في تمشية مسائية إلى البستان فرأى التمر في العراجين والأقنية يتدلى، والفلاح بمسحاته.

فقال: ماذا يفعل هذا الفلاح؟ فقلنا: هو الذي غرس الفسيلة وسقاها ونماها حتى أنتجت هذا التمر.

قال: إذا غششتموني، من أول وأنا أقول: خلقها الفلاح، هذا هو السطحي المعرفة والقليل البصيرة.

فقلنا له: تعال ندرس معك هذا الفلاح، هل هذا الفلاح مصنوع أو صانع؟ مخلوق أو خالق؟ إنه مخلوق، والذي خلقه هو الذي أعطاه القوة البدنية، وهو الذي أعطاه سمعه وبصره، وهو الذي وهبه عقله وفهمه، فقال: الله، فقلنا له: هذا الفلاح لما جاء بالبذرة ودفنها في التربة هذه التربة لم يخلقها الفلاح ولا أمه، وإنما خلقها الله، والماء الذي لا بد منه ليسقي التربة لم ينزله الفلاح ولا أبوه، وإنما أنزله الله.

وتفاعل التربة مع البذرة حتى ظهرت وبرزت فسيلاً فعل هذا الله.

إذاً: كل يا صقلي! وقل: الحمد لله، ولا تغتر بالمظاهر، فالله هو الذي خلق كل شيء.

والغافلون والمعمرى على قلوبهم لا يعرفون الله ولا يسألون عنه، وهم مخلوقون له، ولا يسألون عنه.

وعندما قلنا: قوائنا الضاربة ودستورنا ورجالنا وفحولنا، وأن الله لا يوجد أذاقهم الله مر العذاب من الخزي إلى أسوئه، فلا فاعل إلا الله، فالله خالق كل شيء، لا إله إلا غيره ولا رب سواه.

وما قال رسول الله في شيء أفعل كذا إلا قال: إن شاء الله، وهؤلاء المرضى إذا قلت له: إن شاء الله يقول: لا تقل إن شاء الله قل: آتي أو أفعل، ويشعرون بأنهم كمل، وهم والله لشر الخليقة، واسمعوا الله تعالى يقول: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ [البينة: 6].

والبرية هي الخليقة، من برأ النسمة يبرؤها فهو بارئ، ومن أسماء الله تعالى البارئ.

فشر الخلق الكفار بالعزير الجبار [وكان مقتاتاً مدخراً] وهذه لابد وأن نحفظها، فقد عرفنا النصاب والحول في الإبل والبقر والغنم، وعرفنا نصاب الدرهم والدنانير والحول، وأما الخارج من الأرض فشرطه: أولاً: أن يبلغ نصاباً، والثاني: أن يكون مأكولاً ومدخراً مقتاتاً، أي: يقتات، أي: يتم به قوت الإنسان، ومدخراً يدخر لا يفسد، فلهذا لا تزكون البطيخ، مع أن البطيخ مقتات، فلو وجد الإنسان بطيخاً فإنه يتغذى ويتعشى به، ولكنه ليس مدخراً، وكذلك الرمان والبرتقال والخربز؛ لأنها ليست مدخرة، والبصل والثوم ليسا مقتاتين ولا مدخريين؛ إذ لا أحد يأكل البصل أو الثوم، فلا بد من هذا الشرط يا عباد الله! ويا إماء الله! وهو الاقتيات والادخار في الخارج من الأرض، فلا بد وأن يكون مقتاتاً صالحاً لأن يكون قوتاً يقتات به الأدمي ويعيش عليه.

ثانياً: أن يصلح للادخار السنة والسنين، وأما الذي يفسد في أيامه الأولى فلا تجب فيه زكاة رسمية.

[أما ما لم يكن مقتاتاً كالفلفل والبصل والثوم فلا زكاة فيه، وكذلك ما لا يدخر وإن كان مقتاتاً كالبطيخ والقثاء والرمان والتين والتفاح والبرتقال؛ إلا أنه يستحب التصديق من كل خارج من الأرض مما لا تجب فيه الزكاة؛ لعدم توفر شرطي الزكاة فيه، وهو الاقتيات والادخار] منه، وهذا يفعله العوام عندنا بدون سؤال، فلا يمكن أن يجني

التين كل يوم .. شهر .. شهرين لأهله ولا يعطي جيرانه، ولا يمكن أن يقتلع البصل والثوم من بستانه والفقراء حوله لا يعطيهم، بل كانوا يقولون لهم: انزعوا بأيديكم.

فالذي يملك بصلاً أو ثوماً أو بطيخاً أو خربز أو غير ذلك مما لا تجب فيه الزكاة لأنه غير مقتات ولا مدخر أو مقتات غير مدخر فيستحسن ويستحب ومن الكرم ومن شكر الله ومن المروءة أن يعطي شيئاً مما أعطاه الله، ولا يليق به أن جيرانه وأقاربه وأهل الحي ليس عندهم وهو يدخل كل يوم إلى بيته من بستانه ولا يعطيهم شيئاً، فهذا ليس من المروءة، ولا من الكرم، ولا من الإخوة الإسلامية.

وإن لم يوجب الله تعالى هذا رافة ورحمة بعباده ولكن فتح لهم باب الفضل والإحسان، فقال: وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [البقرة:195].

وصاحب التين والرمان والخربز والتفاح الذي لا زكاة عليه فيه إذا تجمع عنده مال، كأن يبيع حصيلة التفاح بخمسين ألف ريال، فهذه الخمسين ألف ريال إذا وافقت إخراج زكاته من صندوقه فيجب أن يعدها معها ويزكيها، وإن تأخر الحول شهرين ثلاثة فهذا المال يبقى عنده ويزكيه وهكذا.

وهذا مثل شخص عنده عمارة أجراها للسكان، فلا نقول: كلما تستلم أجرة من ساكن زكها، فهذا تشريع لا يقول به أهل المعرفة إلا من لا يدري، لكن هذا المال لما يجمعه من السكان لا يشرب به الحشيشة والخمر، وإنما ينفقه على نفسه أولاً، فإذا فاض أو زاد وحال عليه الحول يزكيه فيجب أن يزكيه.

وصاحب البر والشعير يزكيه ثم يبقى عنده ويبيعه ويتحول إلى مال فيزكيه مع ماله.

سبب نداء الله لعباده في القرآن الكريم

[الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم!] الذي في بيته هذا الكتاب ووضع عند رأسه فإذا جاء إلى النوم يسمع نداء الله، ويستعد لأن يمثل أمره أو يجتنب نهيه، ويستعد لأن يقبل البشري إذا بشره، ويستعد لأن يفزع للإنداز إذا أنذره، وهو مستعد لأن يتعلم ما أراد أن يعلمه، إذ ما ناداك ربك يا عبده! إلا لهذه الأغراض: إما ليأمرك بما فيه سعادتك أو ينهاك عما فيه شقاؤك، أو يبيشرك بما يشرح صدرك، أو ينبئك ويحذرك من الشر ويحملك على البعد عنه، أو يعلمك علماً تفوز به وتأمين، فهنيئاً لك أيها المؤمن الحق والصدق! وهو الذي قال: أمنت بالله. الرحمة والتزكية في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ...)

اعلم! أن هذا النداء الإلهي الرحيم [ورحمته تتجلى في أن يأمر أوليائه أن ينفقوا على أوليائه الفقراء من طيبات أموالهم، ولا ينفقون عليهم الرديء والفاقد الذي لا ينفع، فهو رحيم بأوليائه المنفقين والمنفق عليهم، فالكل مرحوم برحمة الله] يحتوي على ما يلي من التعاليم الإلهية المسعدة للإنسان المؤمن، المزكية له [أي: المطهرة لروحه، كما قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس:9]، أي: الروح لا الجسم، ومن الضرورة الجسم، فقد خلق الله لنا الماء والسر والصابون لنظهره، وفرض علينا الغسل من الجنابة، وسنه يوم الجمعة ويوم الإحرام وعرفة، ولكن التزكية النفسية هي التي بها السعادة أو الشقاء، كما قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس:9]، أي: النفس، وَقَدْ خَابَ [الشمس:10]، أي: خسر مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:10]، أي: النفس، فدساها بأن أفرغ عليها سيارات الزبل فغطاها ولم يصبح لها وجود، وكل معصية يعصيها العبد عامداً من كبائر الذنوب فهي أكثر من زنبيل وسخ صبه على إنسان، فإذا لم يغسل غسلاً كاملاً لا ينهض منه.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 10

أعلن الله حربه على من تعامل بالربا، ومن حاربه الله فلن يجني إلا الخسران المبين، وقد نادى الله عباده المؤمنين بترك الربا، وأبدلهم عوضاً عنه البيع الحلال، وأوصاهم في المداينات بالاكْتفاء باسترداد رأس المال دون زيادة عليه، وحثهم على إنظار المعسر من المدينين أو التصدق عليه، والله يحب المتصدقين. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، وكان النداء السالف في يومنا الماضي أمس هو قول ربنا جل ذكره: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [البقرة: 267].

فأفادنا هذا النداء ما أراد الله تعالى أن نعلمه، وما أراد الله تعالى أن نفعله، وهو: أولاً: أمرنا بالإنفاق مما رزقنا، وهذا الإنفاق قد يكون واجباً وجوباً عينياً، وهو الإنفاق على النفس والزوجة والولد والأب والأم؛ إذ هذه النفقة عينية. ثانياً: إذا فتح الله باب الجهاد وأعلن إمام المسلمين عن التبرع والإسهام لإعداد العدد وتزويد المجاهدين تعين الإنفاق أيضاً مما رزقنا الله.

ثالثاً: الإنفاق هنا بمعنى: وجوب الزكاة، بدليل ما بعده، إذ قال: مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ [البقرة: 267]، وعرفنا أن ما نكسبه هو الإبل والبقر والغنم.

وعرفنا أن هذه الزكاة الواجبة العينية يشترط لها شرطان: الأول: النصاب، والثاني: الحول.

وعرفنا النصاب وعرفنا الحول.

وأما الخارج من الأرض فيشترط فيه لتجب الزكاة: أن يكون مقتاتاً ومدخراً في نفس الوقت، فما لم يكن مقتاتاً لا زكاة فيه، وما لم يكن مدخراً كالبطيخ وأنواع الخضر والفواكه لا زكاة فيه.

ثم علمنا أنه من الأدب الرفيع ألا نتصدق ولا ننفق من رديء المال وخبثه، سواء كان من الحبوب والثمار أو كان من غيرها، فقال: وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ [البقرة: 267].

في حين لو أعطيتموه أنتم ما قبلتموه إلا في حال الإغضاء وتغميض العين.

وهذا النداء الكريم هو النداء التاسع من نداءات الرحمن، وبه عرفنا وجوب الإنفاق في تلك الميادين التي علمنا، وعلى رأسها هنا الزكاة؛ لقوله: مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ [البقرة: 267].. والكسب يكون بأي نوع من أنواع العمل، فيصبح لدى المؤمن قطيع من الغنم .. عدد من الإبل .. من البقر .. يملك دراهم ودنانير أو عملة تقوم مقامهما، وهذا الذي كسبه عبد الله يجب أن يزكيه، وأن ينفق منه، وأما ما خرج من الأرض - والله مخرجه - من أنواع الحبوب والثمار إذا حصد ونضج وجبت الزكاة إن بلغ نصاباً.

ونصاب الحبوب أيها الذاكرون! خمسة أوسق، والوسق ستون صاعاً، والصاع أربعة حفنات أو أمداد، فمن حصد وجنى خمسة أوسق وجبت عليه الزكاة، ودون الخمسة الأوسق لا زكاة واجبة فيها إلا أن يتطوع، والله عز وجل يثيب المحسنين.

الأمر بالتقوى وترك ما بقي من الربا

قال: [النداء العاشر: في الأمر بالتقوى وترك ما بقي من الربا الآيات (278 - 279 - 280) من سورة البقرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا

بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ * وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: 278-280].

معاشر المستمعين والمستمعات من المؤمنين والمؤمنات! قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا) هذا النداء مصدره الله، فاذكر يا عبد الله! واذكري يا أمة الله! أن الذي نادانا هو الله مولانا، وقد وصلنا هذا النداء بطريق الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالقرآن الكريم أوحى إلى رسولنا صلى الله عليه وسلم وتم إيقاؤه في خلال ثلاثة وعشرين سنة، وقد عرفنا أول آية نزلت فيه: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ [العلق: 1].

وآخر آية نزلت به: وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [البقرة: 281]. وقد عرفنا أن هذا النداء شرف لنا، وإلا من نحن وما نحن حتى ينادينا رب الجلال والكمال .. رب السموات والأرض وما بينهما .. رب كل شيء ومليكه؟ ولولا إيماننا ما تأهلنا لهذا النداء، ولا شرفنا به أبداً، فاحمدوا الله على نعمة الإيمان، وملايين البشر بل بلايين البشر ليسوا بأهل لأن يناديهم الله أبداً؛ لأنهم كالأموات، لا يسمعون ولا يبصرون، ولكن من آمن حيي، فإذا أصبح حياً فهو قادر على أن يعي ويفهم .. قادر على أن يعطي ويأخذ، ويفعل ويترك.

سبب تحريم الربا

قال: [وأخيراً اعلم أيها القارئ! أن سر علة تحريم الربا هي أنه يقطع التراحم بين المؤمنين، وكل ما يؤدي إلى القطيعة بين المؤمنين فهو حرام؛ لأن المؤمنين يجب أن يعيشوا إخواناً متعاونين متحابين، يقرض بعضهم بعضاً القروض طويلة الأجل، ولا يرجو من ذلك سوى الأجر والثوبة من الله تعالى؛ لأن القرض في الأجر كالصدقة بل أعظم منها، كما أن المضاربة - وهي أن يعطي المؤمن أخاه مالاً يتجر فيه والربح بينهما - فيها فائدتان: الأولى: نماء المال، والثانية: عون الفقير على الكسب والربح، ومثل المضاربة المشاركة في الزراعة والصناعة في تنمية المال، وإفاضته بين المؤمنين؛ لذا حرم الله تعالى الربا وأحل البيع. فله الحمد وله المنة].

معاشر المستمعين! الآن ندخل في الموضوع، لم يعد الناس يتعاونون، فالمضاربة والمشاركة انتهتا، فالواحد يقول: يترك ماله في البنك أفضل؛ لأنه يقول: أعطيه لفلان سنة يشتغل ثم يقول: مع الأسف ما اكتسبنا شيئاً، وأحياناً يقول: مع الأسف والله خسرننا، فأنا لن أعطيه مالي، أو نتعاون في شركة أو في بناء أو أي شيء ثم بعد عام أو عامين أو ثلاثة لا يوجد عندنا ربح، والذي يديرها يأكل ويشرب، وقد يأتي شخص ويقول: من فضلك أقرضنا ألف ريال لوجه الله، وإن شاء الله بعد شهرين أو ثلاثة آتي بها، فيعطيه الألف، ثم لا يرى وجهه عاماً كاملاً. هذه هي أسباب الربا.

ووالله العظيم لو نرجع إلى ربنا رجوعاً حقيقياً صادقاً لأغلقت البنوك التي في ديار المسلمين أبوابها، وأما التي في ديار الكفر فشأنها.

وأنا أقول: يا عبد الله! لا يراك الله أمام هذا البنك، فلا تبع آخرتك من أجل دنياك، وإذا سألت أحدهم: ماذا تبتغي من هذا البنك؟ قال: من أجل أن نفتح تجارة، فنقول: التجارة يربحك منها الله، فلا تعصه وتطلب ربحه، وإن هو عرف ضميرك وقلبك وأنت معرض عنه فقد يمدك ويزيدك؛ حتى تتمزق مرة واحدة، والحل يا معاشر المؤمنين! هو أن نعود إلى المسجد، ولجنة المسجد في الحي أو القرية في مسجدهم الذي يجتمعون فيه كل ليلة بنسائهم وأطفالهم يفتحون صندوقاً حديدياً في المسجد ويقولون: أيها الإخوان! من زاد عن قوته فيضعه في هذا الصندوق حتى يمتلئ الصندوق فننميهِ في مزرعة أو في متجر أو في مصنع، والعوائد تعود على أهل القرية أو أهل الحي، ومن ثم لا يوجد سلف ولا قرض ولا سرقة ولا كذب ولا خيانة.

وهذا لن يكون إلا لما نؤمن، ويتحقق الإيمان فينا، ونصبح نراقب الله في حركاتنا وسكناتنا، ولن نصل إلى هذا إلا عندما نعود إلى ما كان عليه رسول الله وأصحابه، ونتعلم الكتاب والحكمة ونزكي أنفسنا ونطهرها، وأما والجهل مخيم والظلمات عاتمة وحب الدنيا والتكالب عليها، ولا صدق ولا وفاء ولا عهد ولا ضمير ولا غير ذلك فلن نكمل ونسعد.

فهيا نتوب إلى الله، وآخر ما نقول: انج بنفسك، فالنجاة النجاة! وإذا كنت ما تستطيع أن تهدي الناس فاهد نفسك، وعش صابراً متحملاً تأكل العيش فقط بدون مرق ولا زيت حتى يتوفك الله، وعلى الله عز وجل قصد السبيل. [وصلى الله وسلم على نبيه وآله وسلم تسليماً كثيراً].
أنواع الربا

قال: [إنه نوعان: الأول: ربا الفضل] أي: الزيادة، فالفضل هو الزيادة [وهو بيع ربوي بآخر مع فضل زيادة. والربويات هي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح، ويقاس على البر الذرة، وكل مقتات مدخر، فإذا باع أحد ذهباً بذهب أو فضة بفضة وجب أن يكون المقدار متساوياً، وأن يكون في مجلس واحد، أي: يداً بيد، وكذا إن باع قمحاً بقمح] فكذلك [وإن اختلف الجنس كأن يباع ذهب بفضة أو قمح بشعير مثلاً فيجوز التفاضل] الصاع بصاعين ولا حرج، فيجوز بيع صاع قمح بصاعين شعير، أو كيلو ذهب بعشرين فضة ولا حرج؛ وذلك لاختلاف الجنس [ولكن بشرط: أن يكون] في المجلس [يبدأ بيد] لما يترتب على ذلك من المفاسد. والذي شرع هذا هو خالق العقول، وواهب البشر عقولهم، وهو خالق الحكم والعليم بها، وإن شئت بينت لك، فالمسلمون المؤمنون أمة واحدة، والإنس والجن من غيرهم أعداء لهم، فإذا لم يكونوا على قلب رجل واحد مزقوهم وشتتوهم وأذلّوهم وأحرقوهم، فكل ما من شأنه أن يوجد عداوة بين المؤمنين أو بغضاء أو يوجد أدنى خلاف فهو حرام بالإجماع، وكل ما يسبب الفرقة بين المسلمين فهو حرام، وكل ما يوجد غضاضة في النفوس حرام. وبالأمر عرفنا كيف حرم الله تعالى المن؛ لأنك تؤذي المؤمن بذلك، فلا تؤذيه عندما تعطيه؛ لأنه عبد الله ووليه وأنت أخوه فلا تؤذيه بالصدقة.

وكذلك تحريم الربا؛ لأنه يوجد العداوة بين المؤمنين، وبيان ذلك: كأن أعطيك ذهباً لتعطيني ذهباً آخر فلا تقل: اعطني زيادة، فليس لك حق في أخذ زيادة، ولو بعثك تمراً فلا تقل: اعطني زيادة على ما أعطيتك، إذ ليس لك حق في هذا، فلو أعطيتك أصبح في قلبك ألم منه، وهو كذلك.

وكل عوامل الفرقة والأذى والخلاف والعداوة والبغضاء في الإسلام حرام.

[الثاني: ربا النسينة، أي: التأخير] فأنساً ينسئ إذا أخر [وهو أن يعطي المرء لآخر مالاً يسدده بعد عام مثلاً على أن يزيد فيه، فإذا أعطاه ألفاً يردّها بعد العام ألفاً ومائة مثلاً، وكلما تأخر السداد زاد في رأس المال، حتى يصبح أضعافاً مضاعفة، كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] [آل عمران: 130] [وقد قلنا غير ما مرة: إن ربا الجاهلية أفضل من ربا العالمين اليوم، فربا الجاهلية كان أحدهم مثلاً يأتي إلى أبي جهل عمرو بن هشام فيقول له: أعطني مائة ألف درهم أتجر بها في اليمن أو الشام وأسدها لك في الحج فيعطيه المائة ألف، فإذا جاء الحج ولم يسدد يقول له: تسدد أو أزيد؟ فإن قال: ما عندي زاد، وأما لو سددها لم يزد.

أو أن تأتي لأبي سفيان رضي الله عنه وتقول: من فضلك أعطنا خمسين ألف درهم نشترى بها بضاعة من الشام ونردها في الحج، أي: مدة سنة، فإذا رددتها في الموعد لا يقول شيئاً أبداً، لكن إذا قلت: ما استطعت فيقول: إذا: نؤخرها ونزيد برضاك فيزيد.
هذا هو الربا في الجاهلية.

وأما الآن فربا المعاصرين يأخذ الزيادة قبل أن يعطيه، فربا الجاهلية أفضل من ربا العلماء.

فأنت الآن لما تأخذ من البنك مائة ألف يعطيك تسعين ألفاً فقط، وإذا لم تسدد زاد أيضاً، حتى يصبح أضعافاً مضاعفة، فربا العرب الجهال أفضل من ربا أوروبا الكافرة.
عظم ذنب المراهبي

قال: [هل عرفت أيها المؤمن القارئ أو المستمع! عظم ذنب المراهبي وأكل الربا؟ وأزيدك معرفة] إذا ما اكتملت الأولي [يقول الله تعالى: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ] [البقرة: 275] أي: من قبورهم، يوم القيامة، إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ [البقرة: 275] كلما وقف صرعه، وكلما مشى خطوة صرعه على الأرض، هكذا يقفون في عرصات القيامة، فيقفون يمشون ويصرعون [أي: يضربه الشيطان ضرباً غير منتظم.

والمس: اللبس، ومن لمسه الشيطان يصرع فوراً، فالمرابي يقوم يوم القيامة من قبره كالمجنون الذي كلما قام صرعه الجان.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لعن الله أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه) [وهذه اللعنة على لسان رسول الله [ويقول: (اجتنبوا السبع الموبقات). ويذكر منها أكل الربا.

فإذا عرفت أيها القارئ! عظم ذنب أكل الربا فاعرف ما هو الربا؛ حتى تجتنبه وتدعو المؤمنين إلى اجتنابه [أهمية العلم في تحقيق التقوى وما يترتب على ذلك من صلاح للمجتمع

وعدنا من حيث بدأنا، إِنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة:280].

وأما الذي لا يعلم فيمشي في الظلام، ويعيش في الجهالات فلا يفقه هذا أو يفهم، والعلة هي الجهل، فهيا نتعلم، وهناك من يقول: لا نستطيع أن نتعلم، فنحن مشغولون بدنيانا، ويريدون أن يسودوا ويسعدوا وينزلوا منازل الأبرار في السماء، وعلى من أراد هذا نقول له: إذا مالت الشمس إلى الغروب وبقي على غروبها ربع ساعة في الساعة السادسة فأوقفوا العمل، وأغلقوا الدكاكين، وأوقفوا المصانع، وارموا بالمساحي، واحملوا زوجاتكم وأولادكم إلى بيت الإله المسجد، فما إن تغرب الشمس إلا وأهل الحي كلهم في بيت ربهم بنسائهم وأطفالهم ورجالهم، وكذلك الحال في القرية ما إن تغرب الشمس إلا وقد وقف دولا ب العمل، وإذا بالنساء والأطفال والرجال في بيت الرب، ويجلس لهم معلم مرب خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يعملهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، يوماً آية ويوماً حديثاً عاماً وعامين وثلاثة، فلا يبقى جاهل ولا جاهلة والله أبداً، ولم يتركوا العمل ولا الشغل أبداً إلا وقت الراحة العادية، واليهود والنصارى يتركون العمل مع غروب الشمس، ويذهبون إلى المقاهي والملاهي والمراقص، ونحن ما نترك العمل، وقد ردنا هذا الكلام من قبل أكثر من سنة ونصف، والله لا سبيل لإزالة هذه الظلمات ظلمات الفسق والفجور والشرك والباطل وظلمات الجاهل الحامل عليها إلا بالعودة إلى بيوت الله فقط، فأت بامرأتك وأطفالك، فتجلس النساء وراء الستار ومكبرات الصوت بين أيديهن، والفحول أمام المربي، وليلة آية وليلة حديث فلا يمر عام فقط إلا وأهل القرية كلهم علماء النساء والرجال، وإذا علموا من طريق الكتاب والحكمة فلا يبقى بينهم من يزني بنساء بعضهم البعض، أو يخونهم، أو يفجر معهم، أو يأكل أموالهم، والله ما يبقى، فقد تدفق النور على القرية، فلم يبق من يسرق ولا من يفجر ولا من يكذب ولا غير ذلك.

و سأبرهن لكم على هذا حتى لا تشكوا: نحن في مجلسنا هذا ألف واحد، والله لأعلمنا أنقانا لربنا، ولا تشكوا، وأي مجموعة من المؤمنين والمؤمنات أعلمهم بالله أنقاهم له، وأجهلهم أفسقهم، والرسول عرض هذا على أصحابه فقال: (أي إيمان يعجب به؟ قالوا: إيمان الملائكة.

قال: كيف وهم مع الله؟ قالوا: إيمان الأنبياء، فقال: كيف يعجب من إيمانهم وهم الله يكلمهم؟ قالوا: إذا نحن؟ قال: وما لكم والرسول بين أيديكم).

ففهمنا أن العلم هو الذي يزيل الظلمات، والمسلمون لا يريدون هذا، بل يريدون أن يبقى على هبوطنا حتى تنزل الصواريخ علينا، والمسلمون ظنوا أنهم استقلوا وتحرروا، والله إن ربك لبالمرصاد.

فلما عبث أجدادنا بدين الله وفسقوا عن أمر الله، وأخذ القرآن يقرأ على الموتى، وأخذ وأخذ وأخذ، سلط عليهم بريطانيا وهولندا وإيطاليا وأسبانيا وفرنسا، فأذلهم وسادوهم، وفي الأندلس جنة الدنيا الخضراء سلط عليهم الصليبيون فشتتهم ومزقوهم ودمروهم، وحولوا مساجدهم إلى كنائس، وأحرقوهم بالنار وأغرقوهم في البحر، وقد كانت أمة أسعد الأمم، وسبب ذلك هو الجهل الذي أنتج الفسق والفجور والتمزق وغير ذلك، فمضت سنة الله فيهم، وإننا تحت النظارة، وها أنتم تشاهدون الأحداث في العالم من بلد إلى بلد. محاربة الله للمتعاملين بالربا

قال: [وفي الآيتين بعد هذه حذرهم مهدداً لهم بسوء عاقبة الاستمرار في هذه المعصية الكبيرة فقال: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا [البقرة:279] أي: ما أمرتكم به من التقوى وترك ما بقي لكم من الربا فأذنوا [البقرة:279]] أي: اعلّموا [بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [البقرة:279].

وهل من حارب الله ورسوله يفوز وينتصر؟ لا والله، بل يخسر وينكسر].

حكم من له دين ربوي على غيره إذا تاب

قال: [ثم أرشدكم] تعالى [إلى حل مشكلة تحدث لهم بعد توبتهم، وهي أن رعوس أموالهم مع أرباحهم تبقى عند المدينين لهم فكيف] إذا [يصنعون بها؟] فرأس المال والربح كلاهما عند المدين [فأرشدكم إلى أخذ رعوس أموالهم التي هي تحت يد المدينين وترك الأرباح التي كانت لهم بحكم التعامل الربوي المحرم، وأن من كان معسراً من المدينين لهم] ولا يملك ما يسدد به الدين لا رأس المال ولا الربح [فلينظروه حتى ييسر الله عليه ويدفع لهم رأس مالهم، وإن هم تكرموا بترك ذلك المال صدقة منهم على المعسر فذاك خير] لهم [إن كانوا يعلمون ثمرة الإحسان بعد الإساءة] لأنهم أساءوا إلى أهلهم وأخذوا المال بدون حقه، فالآن إذا تنازلوا عن رأس المال فقد أحسنوا بعد الإساءة [والتوبة بعد الذنب، فقال] تعالى [وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] [البقرة:280].

الحث على مسامحة المعسر

وشيء آخر: وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ [البقرة:280].

فلو كان أخوك معسراً ما عنده فطيب نفسه وخاطره وقل له: تنازلنا وتركناه لله يا عبد الله! وبييت منشرح الصدر مطمئن النفس، ولا يبق مكروباً حزيناً، واستجاب أولئك الأبطال [ولخطورة هذا الموقف وصعوبته على النفس البشرية ذكرهم بإيمانهم؛ إذ الإيمان الصحيح هو بمثابة الطاقة الدافعة، فقال لهم: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] [البقرة:278] فيصعب على العبد أن يتنازل على الألف والعشرة والمائة ويتركها لهذا العبد بعدما كان يأمل في الحصول عليها والظفر بها، ثم إذا به يتركها، ولولا إيمانه ما ترك، فلهذا ذكرنا بالإيمان؛ لأن الإيمان كما علمتم كالطاقة الدافعة، فالسيارة يدفعها والطائرة يطيرها قوة وطاقة، والإيمان نور كالطاقة الكهربائية، فإذا كان قوياً دفع صاحبه إلى أن يخرج من ماله، وهناك من خرج من ماله مثل أبي بكر، و عمر خرج بنصف ماله، و عثمان جهز جيشاً كاملاً، حتى قال الرسول: (ما ضرك يا عثمان ! بعد هذا شيئاً).

فجهز جيش العسرة بكامله، وهذه القوة الدافعة من الإيمان بالله ولقائه، والذي يضعف إيمانه لا يتنازل عن شيء، وليس عنده استعداد للتنازل [فإن إيمانكم قدرة قوية تحملك على تقوى الله وترك ما بقي من الربا عند المدينين لكم]. الأمر بترك الربا بعد تحريره

قال: [والثاني] أي: الأمر الثاني الذي تضمنه هذا النداء الكريم هو: [ترك ما بقي من الربا بعد تحريره] له تعالى [بقوله: وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا] [البقرة:275] [ومن ثم أمرنا الله تعالى أن نتخلى عما بقي من الربا، فلو أنني أقرضتك يا عدنان ! خمسين ألفاً على أن تردها ستين، أي: بزيادة عشرة، ثم تبنا فأخذ الخمسين فقط وأتنازل عن العشرة وأتركها، و ذرُوا] [البقرة:278] بمعنى: اتركوا، مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا] [البقرة:278].

ولو أن فلاناً كان لنا عليه مثلاً سبعون ألفاً عشرة منها مقابل السلفة لسنة مقابل القرض، فليعطينا الستين ونتنازل عن العشرة؛ لأن الله أمرنا بهذا، ونادانا لأن نفعله، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا] [البقرة:278]، أي: اتركوا، مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا] [البقرة:278] [فمن بقي له شيء من فوائد الربا فليتركها لمن هي في ذمته] فدعوه لأصحابه؛ لأنكم إن أخذتموه ظلمتم، فقد أعطيته خمسين وأخذت ستين بدون حق، وقد أقرضته من أجل الله، فلا تطلب الزيادة، وكن مؤمناً بالله، محباً له، معترفاً بأخوة الإيمان.

وأصحاب الرسول تنازلوا عن كل ما كان فوائد ربوية، وما طالبوا إلا برأس أموالهم، وقد انتدبهم الله لأن يتخلوا حتى عن رأس المال؛ إذ قال تعالى: وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ] [البقرة:280].

لا إله إلا الله! وقد فعل هذا أولئك المؤمنون ورب الكعبة؛ ولهذا فازوا وسادوا وسموا وارتفعوا، وفي خمسة وعشرين سنة بلغوا بالإسلام أقصى الشرق وأقصى الغرب بتلك الأنوار التي في قلوبهم، وهذا أعظم برهان، ونحن الآن ما استطعنا أن نخلص حتى إخواننا المضطهدين في فلسطين وفي البوسنة والهرسك كما يقولون، ونحن ألف مليون؛ لأننا لسنا كأولئك، ولا حتى شيئاً يذكر، فيمجرد أن نزلت الآية وضعوا، فإذا كان لك على أخيك دين، والمال متوفراً معك وهو ما عنده فانتظره، وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ] [البقرة:280].

الأمر بتقوى الله عز وجل

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ أو المستمع! لهذا النداء العزيز أن هذا النداء وجه للمؤمنين] قطعاً والمؤمنات مع المؤمنين [ليأمرهم بأمرين عظيمين] جليلين كبيرين: [الأول: تقوى الله عز وجل، وذلك بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم] ولن تستطيع يا عبد الله! أن تتقي عذاب الله وأن تتقي سخط الله بشيء سوى طاعته وطاعة رسوله، ولن يقبك منه جحافل الجيوش، ولا الحصون الرفيعة، ولا الأسوار العالية، ولا الرجال والكثرة، ووالله لن يقبك يا عبد الله! منه إلا طاعته وطاعة رسوله.

والتقوى هي: اتقاء العذاب، فإذا كنت بينك وبين الناس فتنتقيهم بالدخول في كهف أو الصعود على جبل، ولكن الله عز وجل معك حيث كنت، وأنت بين يديه ولن تقدر أن تتقيه إلا بشيء واحد، ألا وهو: طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبهذه الطاعة تتحقق التقوى للمؤمن [إذ الله تعالى لا يتقي غضبه وعقابه إلا بالاستسلام والانقياد له] فاستسلم لله واطرح بين يديه واقبل أمره ونهيه، وافعل الأمر وتجنب النهي، وبذلك تكون قد وجدت لنفسك وقاية، فلا تخف عذاباً لا في الدنيا ولا في الآخرة.

والاستسلام بمعنى الإسلام، واستسلم فلان أي: أسلم قلبه ووجهه لله، وأصبح قلبه لا يتقلب إلا في طلب رضا الله، وجوارحه لا تتحرك إلا في رضا الله، وقد شرحنا هذه القضية، فالمسلم الحق طول حياته في طاعة الله، وأنت تمر به والمسحاة في يده يحفر في الأرض وتظنه يشتغل له، وهو يشتغل لله، وتمر به وقد عرض بضاعته في السوق يبيعها وتظن أنه يعمل لنفسه، وهو يعمل لله؛ لأن هذا العامل يريد أن يوفر غذاءه؛ لتبقى بنيتة صالحة ليعبد الله عز وجل، ويتزوج لله، ويطلق لأجل الله، ويبني لله، ويهدم لله، فكل حياتنا لله إن عرفنا الله، وقرأنا لذلك آية الوقف من سورة الأنعام، وهذه السورة ما تقرأ على الموتى؛ لأنها عالية وكبيرة، ولا يعرفها القراء، قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام: 162-163].

فلم يبق بعد الحياة والموت شيء، فحياتنا لله ومماتنا لله، فنحن نحيا من أجل الله، ونموت من أجل الله، وهذا وقف، فإذا قلت: أنا مسلم ولم تسلم شيئاً لله فأنت كاذب، وإذا قلت: أنا متصدق ولم تتصدق بشيء فأنت كاذب إذاً، وإذا أسلم قلبه ووجهه لله فهو مسلم [وذلك بحب ما يحب، وكره ما يكره] وإذا كان الله يحب ذكره وأنت تكرهه فوالله ما أنت بمؤمن ولا بمسلم، وإذا كان الله يكره أصوات المغنيات والنائحات وأنت تحب ذلك فما أنت بعبد الله ولا بوليّه [وفعل ما يأمر به، وترك ما ينهى عنه] هذا عبد الله المؤمن المسلم.

فالأمر الأول الذي تضمنه هذا النداء هو تقوى الله، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ [البقرة: 278].

وهذا أمر، وقد عرفنا تقوى الله طاعته وطاعة رسوله، وذلك بحب ما يحب، وكره ما يكره، والانقياد والامتثال. وبذلك تتم التقوى.

وإن شاء الله نحقق هذا الأمر، فالحق لا يحب الأغاني، وأنت تحبها وتتحرك أمام المغنية، وهذا ليس من الإسلام، فيجب أن نروض أنفسنا حتى نصبح نحب ما يحب الله ونكره ما يكره الله، ويجب علينا أن نعرف محاب الله ومكارهه، فالذي يعيش في دكانه .. في عمله .. في بستانه ولا يجلس جلسة طول عمره كهذه لا يعرف ما يحب الله، ولا ما يكره الله، والذي لا يعرف ما يحب الله ولا ما يكره الله فمن المستحيل أن يتقي الله؛ لأنه لا يعرف.

وعدنا من حيث بدأنا، يا معاشر المستمعين! علة هبوطنا هي الجهل، فقد خدعنا العدو، وعرف كيف يعمل، وأبعدونا عن المساجد، وحولونا إلى المقاهي والملاهي والملاعب، وانتهينا وأصبحنا جهلة، والجاهل لا يعرف كيف يتقي الله.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 11

شرع الله عز وجل لعباده التداين، وجعله من عقود الإرفاق، لما فيه من سد حاجة المحتاجين، والتسهيل عليهم لتجاوز ما يعترضهم من صعوبات مالية أو غيرها، ومن باب حفظ الحقوق أمر الله بكتابة الدين والإشهاد عليه، حتى يأمن صاحب المال على ماله، فلا يمتنع عن إعانة أخيه بماله، ولا ينقطع العباد عن إسداء المعروف لذوي الحاجة منهم.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان. والنداء السالف الذي درسناه بالأمس أذكر المستمعين والمستمعات بنصه أولاً، وهو قول ربنا جل ذكره بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [البقرة: 278-279].

عرفنا أن الله تعالى شرفنا وله الحمد بأن نادانا، وإلا من نحن حتى ينادينا رب السموات والأرض وما بينهما، ونادانا بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمن حي، يسمع ويعقل، ويقدر على أن ينهض فيفعل أو يترك، وأما غير المؤمن فهو في عداد الأموات، ومن شك فليذكر أن الذمي من أهل الكتاب في ديارنا لا يؤمر بصلاة ولا بزكاة، ولا يؤمر بالصيام ولا بالجهاد؛ لأنه ميت، فإذا نفخ الله تعالى فيه روح الإيمان وأمن تمت حياته، ويصبح متهيئاً لأن يتكلف بكل ما يكلفه الله به، هذا هو سر الإيمان.

ثم أمرنا بتقواه، وقد عرفتم زادكم الله علماً أن تقوى الله عز وجل هي أن تطيعه ونطيع رسوله صلى الله عليه وسلم في أي شيء يأمران به وينهيان عنه.

واعرفوا أوامر الله ونواهيه كما تعرفون لحياتكم الطعام والشراب والهواء، واسألوا العلماء، وانتوا بهم إلى حيكم .

إلى قريبتكم، ولازموهم حتى تعلموا، وأما عدم معرفتنا فمن أخطائنا.

ولا يمكن تحقيق ولاية الله إذا لم نطعه ونطع رسوله، فولاية الله شرطها بعد الإيمان التقوى، وقد حفظتم هذا وتكرر، ألا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس: 62].

وهم الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس: 63].

فلا يمكن أن تتحقق ولاية الله لأي عبد أو أمة بدون هذين الشرطين، فهذا والله ما كان، ومن لم يحققهما فهو عدو لله، وليس أبداً بولي لله، فلا بد من الإيمان والتقوى.

وقد علم السامعون والدارسون سر هذه القضية، وهو: أن المؤمن المتقي يعمل بتلك الطاعات؛ فتزكو نفسه، أي: تطيب وتطهر، فيصبح من الطاهرين، والله يحب الطاهرين، وأما أهل خبث الأرواح، فهم بعداء عن الله بعداً لا حد له، والرسول يقول: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً).

والله يقول: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة: 222].

فهو يحب التوابين لأنهم تنجسوا وتخبثوا وتلوثوا، فكرهم ولم يحبهم، ولما عملوا على تطهير أرواحهم برجعهم إلى التكليف المزكية للنفس فحينئذ أحبهم.

بعد الأمر بالتقوى قال لنا تعالى في هذا النداء: وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة: 278].

فمن عنده شيء من الربا معاشر المستمعين فليخرجه من صندوقه ومن جيبه، ومن كان عنده شيء من الربا في بنك من البنوك فليتنازل عنه ولا يأخذه أبداً.

وقد صدرت فتيا من كبار العلماء أو من مجلس الفقه بأن هذه الأموال إذا كانت في بنوك بلاد كافترة كأوروبا وأمريكا واليابان والصين فهذه الأموال الربوية تعطى للجمعيات المجاهدة هناك التي تبني المساجد وتعلم الناس الإسلام، وهي فتيا سليمة وصحيحة؛ لأن الجاليات الموجودة في العالم الكافر لو نظم أمرها وعلمت طريق ربها والله لكانوا مرابطين في سبيل الله، وفتح الله البلاد على أيديهم، ولكن مع الأسف لا تنظيم ولا توجيه، ولا تعليم ولا عون، وهم يكافحون بأنفسهم.

ومن هنا بلغوهم: أن الذي يقيم بين ظهراني الكافرين تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليعودوا إلى بلادهم وإن جاعوا وعروا، وإن ضربوا وسجنوا، فلا تحل إقامتهم في دار الكفر وترك دار الإسلام، اللهم إلا أن يفعلوا ما يلي: أولاً: يطهروا قلوبهم؛ وذلك بأن يعتقدوا المعتقد السليم الصحيح الذي يقوم بنشره من يسمون بالسلفيين، فلا بد من سلامة المعتقد، وأما مع الاعتقاد الفاسد فالعبد ليس ضامناً رضا الله حتى يكون مجاهداً في سبيله. ثانياً: أن يهذبوا أخلاقهم حتى تشبه أخلاق نبيهم صلى الله عليه وسلم في الصدق والوفاء، والعفة والطهر والصفاء، والمروءة والكمال والرحمة.

ثالثاً: أن ينووا بإقامتهم في تلك البلاد الرباط في سبيل الله؛ لأن بقاءهم بين الكفار يشاهدون أنوار إيمانهم وصلاحتهم يجعل الكفار يسألونهم: من أنتم؟ وما أنتم؟ وما دينكم؟ فيكونون بالفعل في سبيل الله، فإذا تمت هذه فهم مرابطون أفضل منتنا مليون مرة.

فليصححوا عقيدتهم، ويهذبوا أخلاقهم، ويعبدوا ربهم عبادة شرعية لا بالخرافات أو الضلالات، وينووا الرباط في سبيل الله، ويدعو بلسان الحال ولسان المقال إن أمكن، وليس كل أحد يستطيع أن يقول للفرنسي: يا مسيو! أعرض عليك الإسلام فاقبله، فمن استطاع أن يدعو بلسانه فذاك، ومن لم يستطع باللسان فبسلوكه الحسن المتفوق. هذا بالنسبة إليهم، وأما بالنسبة إلى العالم الإسلامي فقد سبق أن بكينا، وليس هناك من يسمع بكاءنا، فضلاً عن أن يمسح دموعنا، وقلنا: يا أمة الإسلام! إنكم خلفاء محمد صلى الله عليه وسلم في إبلاغ رسالته، ونشر رحمة الله في العالمين، فأنتم خلفاء محمد صلى الله عليه وسلم، فبلغوا هذه الدعوة ليسعد بها الإنس والجن، ولا تتركوا البشرية يئول أمرها إلى مصير مظلم، وتخلد في عالم الشقاء، لا تخرج منه أبداً، فإنكم مسئولون، ولا تقولون: نحن ضعفاء عجز، والغرب الكافر قوي ويملك ما لا نملك، فهذا ليس بعذر، فالشرق والغرب لا يمنعون وجودكم بينهم، ولا يمنعون أبداً دعوة الله في بلادهم، فنحن لسنا بحاجة إلى بواخر حربية ولا سلاح ولا قوة حتى نرسو بسفننا على ميناء إيطاليا أو بريطانيا ونحارب حتى ندخل، فهذا الأمر قد كفاكم الله، فالآن فرنسا فيها ألف مسجد، وبريطانيا مثل ذلك، وألمانيا كذلك، والعالم بكامله، وكذلك أمريكا، فلستم بحاجة إلى أن تغزو أبداً، فالبلاد مفتوحة، والغزو يكون عندما تكون البلاد مغلقة، ولا يقبلون دين الله ولا من يقول به، فحينئذ يضطر المسلمون إلى الغزو؛ من أجل نشر رحمة الله وهداية بني عباده، وهذا الموضوع قد كفاكم الله إياه، فلم يبق عذر، فبلغوا، ولا تقولوا: لسنا أهلاً للبلاغ، وكونوا لجنة عليا على غرار رابطة العالم الإسلامي، والمفروض أن الرابطة هي التي تقوم بهذا، وهذه اللجنة أولاً تبعت لجنة من ثلاثة أنفار يطوفون في العالم الغربي والشرقي، ويحصون الجمعيات في تلك البلاد الإسلامية، ويعرفون أعدادها وطاقتها وما عندها وما تقوم به، وتوضع خارطة بذلك من اليابان إلى أمريكا، وحينئذ يجب على كل مسلم أن يساهم بدينار أو درهم في العام في فريضة الجهاد، فتوضع ميزانية ضخمة عظيمة لا نظير لها، تتكون من ألف مليون مشترك، ويتم هذا في سرية كاملة، بلا تبجح ولا صياح ولا ضجيج؛ حتى ما نهول الدنيا ونرهب العالم بلا شيء، وحينئذ تتولى هذه اللجنة إدارة تلك الجمعيات في الجاليات كلها، وتكون هي التي تبعت الإمام والمربي والمعلم، وتدفع الإيجار، وتبني المسجد، وتعلم الأطفال على حسابها، وأهل البلاد فقط يجتمعون في بيت ربهم، ويمتثلون أوامر الله ورسوله، التي يسمعونها من هؤلاء الموجهين المربين المرشدين، والله لو يتم هذا بهذا النظام فلن تمر خمسة وعشرين سنة حتى ترون تلك الديار تدخل في الإسلام، ولا يكلف هذا إلا النية الصادقة، والرغبة فيما عند الله والدار الآخرة، هذا هو الطريق، وكتبنا في هذا كتابات، ولكنها كأنما توزع على الأموات، فأحدهم يقول: هذا الشيخ خيالي، وآخر يقول كذا، وآخر يقول: هذا عميل .

هذا ذنب، ما شاء الله! ضاعت أمة القرآن، وعلى كل حال هذا البكاء ينفعنا الله به إن شاء الله. قال تعالى: وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا [البقرة: 278-279] ولو يتم رءوسكم، فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [البقرة: 279].

والرسول قد مات، وسيفه انتهى، ولكن الله حي لا يموت. وحرب الله أنواع، ومنها فتنة فقط تقع في البلد، فيقتل الأب ابنه، وما أعظم الفتن التي تقع في العالم! وهامهم يخوضون فيها، وهي تنتقل من بلد إلى بلد. إذاً: فمن كان عنده شيء من الربا فليتركه لأصحاب البنوك إذا كان مسلماً يخاف الله، ولا يستلمه، ومن كان لا يخاف على فلوسه ونقوده في بيته أو في جيبه فيتركها في جيبه أو في بيته ولا يضعها عندهم، ومن قال: أخاف فيجوز إيداعها عند اليهودي، فالرسول أودع عند يهودي. ومن أراد أن يسلم فلا يراه الله أمام بنك ربوي أبداً، ولو جاع أو عطش أو ظمأ أو مات أو التصق بالأرض، ولا يستلف من بنك أبداً، والله يغنيه أيضاً ولا يتركه، ولكن أهل الغفلة يفتحون التجارات بالمال الربوي، ويشترون السيارات بالمال الربوي؛ لأنهم ما عرفوا، ووالله أنهم لم يعرفوا. فلنحفظ هذا النداء ونعمل به إن شاء الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة:278].

مشروعية كتابة الديون والإشهاد عليها

قال: [النداء الحادي عشر: في مشروعية كتابة الديون والإشهاد عليها]. وسبحان الله! فنحن في المسجد وإذا بنا في البنك والآن في التجارة، وهذا دين الله، فنعود إلى البنك، وبعض الغافلين الآن يقولون: لم الحكومة تفتح البنوك؟ لم كذا ولم كذا؟ والجواب: إن الله يمتحنكم ويختبركم؛ ليميز الخبيث من الطيب، وليمحصنا، وإذا الحكومة رفضت ومنعت خبيثنا وطيبنا مع بعضنا البعض فهنا المحنة. وقد قلت لكم مرات: لن تغلق البنوك، ولو أغلقت فسوف تفتحون في بيوتكم، وقبل وجودها كانوا يتعاطون بالربا والله في القرى وليس في المدن. إذاً: الطريق السليم أن نؤمن الإيمان الحق الذي يكون من أهل القرية ومن أهل الحي في المدينة جسماً وقلباً واحداً، وهذا ليس صعباً ولا مستحيلاً؛ لأن طاقة الإيمان تفعل أعجب من هذا. فأهل القرية في قريتهم سواء كانوا ألفين وخمسمائة أو ألفاً وأربعمائة أو ثلاثمائة شخص يوسعون جامعهم إن كان صغيراً؛ لأنهم ما يصلون إلا نادراً، فإن قالوا: ليس عندنا ما نوسعه به قلنا: وسعوه بالخشب أو بالحجارة فقط، أو بأكياس الرمل، كما قال عمر: تقيهم من الحر والبرد، ولا أقل ولا أكثر، حتى يتسع المسجد لأهل القرية أو لأهل الحي، وإذا كان بينكم يهود أو نصارى فدعوهم، فهم أموات، ولا تلتفتوا إليهم، واجتمعوا أنتم ونساؤكم وأطفالكم في بيت ربكم من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء في بيت الله، وابكوا بين يديه واستمطروا رحماته، وتعلموا الكتاب والحكمة كما تعلم أصحاب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وفي أربعين يوماً تتغير نفسياتكم، وتتعلمون الكتاب والحكمة، ووالله لتتغيرن الكثير من طباعكم، ولن تمضي سنة إلا وهم كأسرة واحدة، وحينئذ يضعون في المحراب صندوقاً من حديد ويقول الإمام أو الواعظ أو المؤذن أو لجنة المسجد: معشر الإخوان المؤمنين والمؤمنات! من زاد عن قوته درهماً أو ديناراً فليضعه في هذا الصندوق، ولا يستغرب وضع الفلوس في المسجد فالبنوك لا يحرسها إلا عسكري في يده عصا أو رشاش، لا أكثر، ثم هذا المسجد يصبح بعد سنة عبارة عن خلية نحل، لا يفرغ ساعة من رাকع وساجد، فقد عرفوا ربهم، وأصبح عزابهم وشبيبتهم في بيت مولاهم، كما كان ابن عمر و ابن عباس وأصحاب رسول الله.

وفي سنة يمتلئ الصندوق، فيقول المسئول عنه: معاشر المؤمنين من أراد أن يبقى على ماله فهو محفوظ، ونحن الضامنون ولكن سنستخدمه، وعائدته تعود على فقرائكم وإخوانكم في هذا الحي، ومن قال: أريد أن نستفيد فباسم الله، فإن شاءوا فتحو مصنعاً على قدر حالهم ينتجون ولو الإبر، أو يفتحون متجرأ، أو ينشئون مزرعة، وقلوبهم كلها طيبة؛ لأنهم في غنى بربهم، وقلوبهم ما هي مع تلك الدنيا؛ لأن هذا المال هو الفاضل والزائد عن قوتهم، وتدور رحا المال، ويصبحون كأنهم أسرة واحدة، ووالله ما يبقى من يزني بنسائهم، ولا من يسلب أموالهم، ولا من يغتابهم ويأكل لحومهم، ولا من يتكبر أو يترفع عنهم، ولا من يسب أو يشتم، ولا من يسرف ويبذخ، ولا غير ذلك، فيصبحون ككتلة من نور، ويتحقق كل هذا، ومن شك فيه شك في كلام الله، وكلام الله نور به الحياة، فإذا استعملت هذه المادة حيي أصحابها، وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ [الإسراء:82]. ووعدهم الله لا يتخلف.

ومن أراد أن يستلف يسلف؛ لأنه وفي مؤمن صادق، لو قال: شهر كذا أتاكم بالمبلغ فوالله ليأتين به، وإن عجز يأتي ويقول: أنا بين أيديكم، لم آت بالمال بسبب كذا، فیرحم ويعفی عنه.

وأحلف بالله أنه لن يستقيم أمرنا ولن نكون كما نود أن نكون إلا على هذا المنهج، وإلا عندنا كلمة أخيرة: النجاة النجاة! فلا تعول على أمة هبطت، فالنجاة! أي: اطلب نجاة نفسك وبيتك، فما دمت لا تملك نجاة أمة فاطلب نجاة نفسك، فكف لسانك، ولا تقل كلمة يا عبد الله! حتى تعلم أنها من رضا الله، فكف عنك هذا، وغض بصرك، واقتنع بما أعطاك الله، واصبر على الابتلاء، فما هي إلا ساعات في قضاء الله وأنت في الملكوت الأعلى، وهذا ليس صعباً، بل شيء سهل، وأهل القرية يستطيعون أن يجتمعوا في بيت الله، يدرسون كتاب الله وسنة رسوله ساعة ونصف كل يوم ينفسون عن أرواحهم الضيق، فنحن نستطيع النجاة، ولا نظن أننا هكذا بلا حساب ولا رقابة، والله إننا لتحت النظارة، ومحصى علينا كل شيء، فحتى خطرات قلوبنا معروفة لله.

وهذا النداء الحادي العشر نداء جليل يتعلق بالمال، فالمال قوام الأعمال، وهذه يحفظها أهل الدنيا كلهم. وهذا النداء في مشروعية كتابة الديون والإشهاد عليها، فمن دان أو استدان فليكتب دينه وليشهد على الكتابة، والله هو الذي أمر بهذا؛ لأنه لا يريد أن يؤدي أوليائه بعضهم بعضاً، ولا يحب أن يرى وليه مضطهداً معذباً، ولا مهاناً مزدري به.

[الآية: (282) من سورة البقرة] وهو آخر نداء في سورة البقرة، وهو نداء طويل لا أطول منه، وسوف ندرسه ونفهمه، واحفظوه من المصحف، والذين يحفظونه في المصحف هم الذين التزموا بحفظ نداءات الرحمن لأهل الإيمان: [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بَخْسَ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَ أَفْسَسُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تُرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَبُعِّلْكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة: 282]] هذا كلام الله، والله لن تستطيع البشرية أن تضع نظيره أبداً، ولا تقوى عليه، فهو فوق مستويات العقول البشرية، فهذا كلام الله الذي كفره الناس وجحدوه، وتكروا له ولم يعرفوه؛ انهزاماً للشيطان، وجرياً وراء الأهواء والشهوات، ولا تستطيع أية جامعة أو كلية في الدنيا أن تقنن هذا التقنين، وتضع هذه الكمالات بين أيدي المؤمنين، ومع هذا فهذا النور القرآن منذ خمسمائة سنة من القرن التاسع وهو يقرأ على الموتى فقط، ولا يقرأ على الأحياء، فليس هناك من إذا جلس في المسجد يقول لمن يقرأ القرآن: تعال اقرأ عليّ شيئاً من القرآن، ويضم ركبتيه ويصغي بأذنيه يسمع، ولا من العمال الذين يجتمعون يستريحون ساعة يشربون الشاي من يقول لصاحبه: اقرأ عليّ شيئاً من القرآن، ويعطي أذنه ويسمع، بل في بيوتكم لا أحد يقول: تعال يا أبي! اسمعنا شيئاً من القرآن، أو اقرأ علينا يا فلان! أو يا فلانة!، بل يسألون: من يقرأ القرآن على الميت ليلة الموت فقط؟ وبهذا لن نكمل ونسعد، ولن نسمو ونرتقي وقد فقدنا الطاقة الدافعة الموجهة الكتاب والحكمة المحمدية، ولو أتينا بحديث صحيح في البخاري أو الموطأ وأجمع علماء الدنيا أن ينقضوه فوالله لن ينقضوه، ولن يخطئ أبداً ما أراد رسول الله؛ لأنها الحكمة، والله معلمه إياها، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا [البقرة: 269].

وأما نظريات العلماء والقانون والفلاسفة والدجالين فلا يمضي خمسون عاماً حتى تنقض النظرية .

أو مائة سنة إلا وقد بطلت، ولم تعد تنفع، والحكمة المحمدية لا تنسى، ولا ننسى إن نسينا أن الخليل عليه السلام وهو يبني البيت مع إسماعيل وهما يتفاولان قال: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة: 129].

ونحن لم نجلس بين يدي مرب يرَبِّينا على الكتاب والسنة ويزكينا، ولهذا لا ننهض بالتكاليف، ولا نقوى على حرب الشيطان وأعوانه، وقد قال إبراهيم: يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة: 129] في أخلاقهم وأدابهم ونفوسهم.

فالذي يعيش كما يعيش الآن العالم في الغابات والحدائق والبساتين والمقاهي والملاهي والمراقص وملاعب الكرة وغير ذلك لن يعي ويفهم كلام الله، ولن ينهض بالتكاليف، بل لو تزل قدمه أو يجوع فمن الممكن أن يكفر، ولو من أجل خبز. ولا تقولوا: الشيخ يسبنا ويشتمنا، فأنا منكم ومثلكم، ولكننا نبكي فقط.

الأمر بالمحافظة على المال والمنع من إعطائه لغير الراشدين

قال الشارح غفر الله لنا وله وإياكم: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم! أن المال قوام الأعمال، واسمع قول الله تعالى فيه] أي: في المال لتعرف أنه قوام الأعمال، فقد قال في سورة النساء: [وَلَا تُؤْتُوا [النساء:5]] أي: ولا تعطوا [السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا [النساء:5]] وفي قراءة أخرى (قِيَمًا)؛ لأن حياتكم تقوم على المال، لأن بالمال يوجد الطعام والشراب والكساء، ومن فقد الطعام والشراب والكساء مات [إذ حرم] تعالى [إعطاء المال لغير الراشدين كالنساء] فهن لسن براشدات، ولا يعرفن بيعاً ولا شراء ولا تجارة، ولا غير ذلك، بل هن مغمورات في نور بيوتهن، لا يعرفن المال ولا قيمة المال، فلا تعطاه المرأة أبداً، أي: لا تجعل رئيسة عليه، وإخوانكم يأتون إليهن بالراتب، وهن التي ينفقن عليهم، ويحولنه إلى مساحيق، وإذا بكوا قلن لهم: اشتغلوا [والأطفال وقاصري العقول وعادمي البصيرة في التصرف المالي] والليله تغضب السامعة، فلا تغضبي، فأنت في بيتك مديرة لهذا المصنع لتخريج البنين والبنات، وهذا كلام معقول، فربة البيت مديرة لمصنع إنتاج البنين والبنات، وهي مشغولة طول ليلها ونهارها، مرة مع زوجها، وأخرى مع ربها، وثالثة مع أطفالها وشئون بيتها، فإذا خرجت ينهدم هذا البيت ويحطم، أو يحترق وتأكله النار، وهذا صوت الرجعيين كما يقول زعماء الماسونية.

فالمرأة المؤمنة تنتج البنين والبنات، وتسعد زوجها بإصلاح فراشه وطعامه، وليس لها مجال أن تخرج إلى السينما ودور اللهو والباطل، ولا أن تشتغل في الفندق والمصنع، ولا أن تذهب إلى الأسواق تتجول فتفتن المؤمنين وتفتن هي بهم، فهذا مسلك الذين لا يؤمنون بالله أبداً ولا بلاقئه.

والمساواة هذه كلمة الماسونية يضحكون بها على عيون وقلوب البشرية، وقد نجحوا. [فإذا عرفت هذا] أيها السامع! [فهيا بنا نشرح آية الدين، ونبين ما احتوت عليه من أحكام تتعلق بالديون، الأخذ بها بعد معرفتها يحفظ على المسلم ماله ويصون كرامته] وهذا هو المطلوب أن تحفظ أموالنا، وأن تصان كراماتنا أيها الفحول!

أحكام الديون

ثامناً: حرمة رفض الشهود الشهادة إذا دعوا إليها

قال: [وثامن الأحكام: حرمة رفض الشهود الشهادة إذا دعوا إليها] فإذا شهدت في العقد الفلاني ثم استدعيناك لتشهد فلا تقل: لا، أنا لا أعرف، أو كنت مشغولاً في ذلك الوقت، فهذا لا يجوز، بل يجب أن تشهد [وتوقف حق المرء المسلم على شهادتهما] وأما إذا لم يتوقف فليس هناك حاجة، وإذا توقف هذا الحق ولا يناله صاحبه إلا بشهادتك؛ لأنك أنت الشاهد في العقد فيجب أن تشهد، ولا يحل أن ترفض أبداً [إذ قال تعالى: وَلَا يَأْبَ [البقرة:282]] أي: ولا يرفض [الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا [البقرة:282]] أي: لأداء الشهادة. [تاسعاً: الحث على كتابة الدين قليلاً كان أو كثيراً]

قال: [وتاسع الأحكام: الحث على كتابة الدين قليلاً كان أو كثيراً؛ إذ قال تعالى: وَلَا تَسْأَلُوا [البقرة:282]] أي: لا تملوا [أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ [البقرة:282]] والصغر والكبر يتفاوتان، فلا أكتب معك على ريال أو خمسة، وإنما الصغير مثلاً أن لا تقول: هذه مائة ريال ما لها قيمة.

وهذا في كتابة البيوع والديون.

عاشراً: العفو عن عدم الكتابة في التجارة الحاضرة

قال: [وعاشر الأحكام: العفو عن عدم الكتابة في التجارة الحاضرة] فالذي عنده دكان لبيع الزيت والسكر والحلويات لا يكتب مع كل من يشتري معه، والحمد لله، هذه رحمة الله، فقد عفا الله عن التجارة التي تدور، فلا تكتب [كأن يشتري المرء قنطاراً تمرّاً أو سكرّاً على أن يسدد الثمن بعد يوم أو أيام مثلاً فإنه لا تتعين كتابة هذا الدين] أي: لا يحتاج إلى الكتابة.

الحادي عشر: وجوب الإشهاد على البيع

قال: [وحادي عشر الأحكام] التي تضمنها هذا النداء: [وجوب الإشهاد على البيع، فمن باع داراً أو بستاناً أو سيارة فليكتب ويشهد على الكتابة؛ إذ قال تعالى: وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ [البقرة:282]].
الثاني عشر: أن لا يضار كاتب ولا شهيد

قال: [وثاني عشر الأحكام: أن لا يضار كاتب ولا شهيد] ولا نوقعهما في أذى وضرر [كأن يدعى الكاتب أو الشاهد إلى مكان بعيد، أو إلى وقت يعطل فيه عمله] كأن ندعوه إلى بلاد بعيدة، بل يمشي معك إلى المكتبة .. إلى المحكمة .. إلى البيت، وأما أن تقول: تعال اشهد معنا في بلاد كذا فهذا ظلم [أو يضيع فيه حقوقه] فلا بد من مراعاة هذا بين المسلمين، فلا تأخذه ست ساعات وتدعه ينتظر، وتعطل حياته [إذ قال تعالى: وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ [البقرة:282].

ومن الإضرار بالكاتب والشهيد أن يطلب إليهم أن يكتبوا باطلاً أيضاً، أو يشهدوا زوراً [فهذا إضرار بهم، يدخله النار، فالشهادة على باطل أو التوقيع وكتابة الزور هذا أيضاً مما حرم الله عز وجل، وهو من الإضرار بالشاهد والكاتب.

الثالث عشر: الأمر بتقوى الله ووعده بتعليم عباده المتقين

قال: [وثالث عشر الأحكام] من هذا النداء: [الأمر بتقوى الله ووعده الله تعالى للمتقين بأن يعلمهم ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم] وذلك [بما يؤتيهم من نور في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل، والرابح والخاسر؛ إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا [الأنفال:29]] ونتق الله بأن نعرف أوامره ونواهيه، وننهض بالأوامر ونتخلى عن النواهي، هذه هي التقوى التي صاحبها يعطى نوراً في قلبه، فلا يقف أمامه شخص حتى يعرفه، وقد كان عمر فقط ينظر ويقول: كذا، وهذا النور يحصل من صفاء الروح وزكاة النفس وذلك بتقوى الله عز وجل، [إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا [الأنفال:29].
أولاً: كتابة الدين المؤجل

قال: [وأول أحكام الديون هو: كتابة الدين إذا كان مؤجلاً لثلاثة أيام فأكثر] فإذا كان هذا الدين بينك وبين أخيك لا يرده إلا بعد أسبوع .. شهر فلا بد من كتابته، وإذا كان يوماً أو يومين ثلاثة فلا حرج؛ لأن أقل الجمع ثلاثة [ودل على هذا الحكم قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ [البقرة:282]] فلا تقل: لا نكتب، فمولاك يقول: اكتبوه، وهو أعلم بك وبمصالحك، فَاكْتُبُوهُ [البقرة:282].
ثانياً: مشروعية بيع السلم

قال: [وثاني أحكامها: مشروعية بيع السلم، إذ قوله تعالى: إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى [البقرة:282] دال عليه، وبيع السلم هو: أن يبيع العبد أخاه تمرّاً أو قمحاً إلى أجل، فيأخذ البائع الثمن ويدفع السلعة عند حلول الأجل] مثل أن يكون الآن النخل بدأ يؤبر فيأتيك صاحب النخل ويقول: أبيعك خمسة قناطير رطب بألف ريال للقنطار، ويدفع لك الثمن، وينتظرك حتى يحين الحين ويأخذ الرطب ينتشر فتأتيه بالسلعة، وهذه الرحمة والله ما توجد بين غير المسلمين، والآن لا توجد حتى بيننا؛ لأننا ترقينا [على شرط أن يكون المسلم معلوم الكيل والوزن؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم)] أي: إلى شهر كذا والكمية كذا؛ حتى لا يقع خلاف بين أهل القرية أو أهل البلد فيتناحرون، وهم مأمورون أن يكونوا على قلب واحد.

قال: [وثالث الأحكام: أن يكتب الدين، وأن على الكاتب أن يعدل فيما يكتب، فلا يزيد ولا ينقص، ولا يبدل] لفظة يترتب عليها فساد [ولا يغير؛ لقوله تعالى: فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ [البقرة:282]].
رابعاً: وجوب الكتابة على من يحسنها إذا احتيج إليه

قال: [ورابع الأحكام: أن من يحسن الكتابة] أي: يعرف يكتب [إذا احتيج إليه ليكتب بين متدائنين وجب عليه أن يكتب] ولا يقل: أنا مشغول، اذهبوا إلى فلان، أو هات عشرة ريال نكتب بينكما [لقوله تعالى: وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ [البقرة:282]، أي: شكراً لله على نعمة تعليمه الكتابة] فأنت علمك الله، وهذا عبده يريد أن تكتب له، فلا تقل: أنا لن أكتب، وهذا أدب رفيع.
وأما ما كانت تعرف تكتب ولا أبوك، وأنت أصبحت تكتب، فاشكر هذه النعمة بالكتابة لإخوانك.
خامساً: وجوب الإملاء بالحق على الكاتب

قال: [وخامس أحكام هذه الآية] أو هذا النداء: [أن الذي يملي على الكاتب هو الذي عليه الحق؛ ليكون إملاؤه اعترافاً بالحق وتقريراً له] فإذا كنت أنا أكتب بينكما يا راضي ! و عدنان ! فأسأل: من الذين استدان؟ فإذا كان راضي هو الذي استدان فهو الذي يملي علي؛ لأنه تقرير واعتراف منه بأنه أخذ هذا؛ وذلك [لقوله تعالى: وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ [البقرة:282]].
كما نهاه أن ينقص من الدين شيئاً؛ إذ قال تعالى: وَلَا يَخْسُ مِنْهُ شَيْئًا [البقرة:282]] أي: لا ينقص ولا ريالاً واحداً.
سادساً: جواز إملاء الولي نيابة عن القاصر

قال: [وسادس أحكامها] أي: أحكام هذا النداء: [أنه إن كان الذي عليه الحق قاصراً لسفه أو خوف فليملل وليه] أبوه أو من يتولى أمره، فهو الذي يتولى الإملاء؛ لأن صاحب الدين عاجز لقصر عقله أو لضعفه [بالعدل؛ أي: بالقسط بلا زيادة في الدين ولا نقص].
سابعاً: الإشهاد على كتابة الدين المؤجل

قال: [وسابع الأحكام: الإشهاد على صك الكتابة، ويشهد رجلان، فإن تعذر وجود رجلين] كأن لم نجد إلا عجوزاً فقط وباقي النساء محجبات في البيوت [فرجل وامرأتان] تشهدان [إذ قال تعالى: وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ [البقرة:282]] وامرأتان فاعل، والشاهد عندنا على المساواة أن المرأة تشهد، فالمرأتان تقومان مقام شهادة رجل، فلما يسألك اليهودي أو الماسوني أو البلشيقي الأحمر أو غيرهم ويقول: هذا انحطاط لقيمة المرأة وكذا، فقل له: يا مستر! أو يا ميسيو! أو يا سانور! الإيطالي خالفها وليس أنا قال: شهادتها على النصف من شهادة الرجل، فإذا أردت أن تعلن الحرب على الإله فاطلع إلى السماوات، فتسكتة وتفحمه، فهذا ليس قصور منا في الفهم والإدراك، فخالقنا ومالك أمرنا وخالق غرائزنا وطابع طبائعنا وواهب عقولنا هو الذي قال، ومع العلم والله لو يجتمع كل الملاحدة في صعيد واحد ما استطاعوا بعد التحليل أن يبتطلوا شهادة الله عز وجل للمرأة.

فقد علم الله أن طاقة المرأة العقلية أضعف وأقل من طاقة الرجل، وإن وضعتموها ملكة ووزيرة.
ومع الأسف ليس عندنا من يواجه هؤلاء المجانين، ونحن نعتبرهم كالبهائم، فالكافر كالبهيمة، لا يعي عن الله ولا يفهم، وكذلك لا تنظر إلى هؤلاء المؤمنين؛ فهم هابطون؛ لأنهم لم يحققوا الإيمان، والإيمان إذا حل في قلب آدمي أبيض أو أسود كمل أو شرف، كما أصبح أهلاً لأن يعي ويفهم، وإذا سلب أو داخله شيء أو غش فيه واختلط عليه فهو ميت أيضاً، ما ينفع.
والشهداء الذين نرضاهم أهل العدل.

والعدل هو الذي يجتنب الكبائر مرة واحدة، والصغائر يجتنب أكثرها، هذا العدل، وأما المعروف بالكبيرة فلا يشهد، ولا تقبل شهادته، وليس أهلاً لأن ينوب عن الله؛ لأن الشاهد نائب عن الله.

تنبيهات مهمة

قال: [بعد هذه الأحكام التي اشتملت عليها آية الدين العظيمة فإليك بعض البيانات الهامة:]
التنبيه الأول: أن الإشهاد في الأموال لا يقل عن اثنين

[أولاً: شهود المال لا يقلون عن اثنين، وأما شهود الزنا فهم أربعة لا يقلون عنها] فلا بد من أربعة، والله هو الذي وضع هذا، فالشهادة على المال يكفي فيها اثنان، وأما الزنا فلا بد من أربعة؛ لأن الله يستر عباده المؤمنين، ولا يفضحهم، ولا يريد قتلهم ولا رجمهم بالحجارة.
أما بالله.

التنبيه الثاني: لا يشهد الصغير ولا العبد المملوك

[ثانياً: لا يشهد الصغير ولا العبد المملوك] فالصغير لا يشهد أبداً، ولا تطلب منه الشهادة، والمملوك لا يشهد؛ لأنه في يد صاحبه، فيوم أن تطلبه يقول له صاحبه: أنت مشغول، فتتعطل حاجاتكم، فالمملوك لا يشهد، وسبب عدم شهادته أنك إذا طلبته يوم الشهادة يقول مالكة: عبدنا في شغل، فهو ليس أهلاً لأن يشهد.
التنبيه الثالث: اليمين المتممة مع وجود شاهد واحد

[ثالثاً: إن وجد شاهد فقط تتم الشهادة باليمين].
التنبيه الرابع: أن خير الشهود من يأتي بشهادته قبل أن يسألها

[رابعاً: خير الشهود] وأفضلهم [الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها] وقبل أن يقال: تعال اشهد يشهد [للحديث]
الصحيح [في ذلك].
التنبيه الخامس: أول من جدد آدم عليه السلام فجدد بنوه

[خامساً: أول من جدد] من الناس في الدنيا [آدم] أبونا عليه السلام [فجدد بنوه؛ لذا شرع الله الكتابة في البيوع والديون لحديث أبي داود] وقد جدد لما رأى صورة لداود عليه السلام فأعجبته، فقد أراه الله صورته قبل أن يوجد التلفاز بأكثر من عشرين ألف سنة، وقال: هذا أحد أبنائك يا آدم! قال: كم عمره؟ قال: عمره ستون سنة قال: أزيده من عمري أربعين سنة، فلما حضرته الوفاة قال له ملك الموت: لقد حانت ساعة وفاتك، قال: ما زال باق من عمري، فعمري ألف سنة، فقال له: أنت أعطيت لابنك فلان من عمرك، قال: ما أعطيت، فجدد، فمن ثم جدد بنوه، وأصبح لابد من الكتابة، والإشهاد عليها [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 12

إن الكافرين من أهل الكتاب لا يدخرون جهداً في الإضرار بالمسلمين، للحسد الذي يملأ قلوبهم، والغیظ الذي تطفح به صدورهم، لذلك فقد حذر الله عباده المؤمنين من طاعتهم، لما في طاعتهم من الضرر المحقق الذي يلحق بالمسلم وبدينه، لكثرة ما يزينون له الباطل والكفر الخفي، وما يقبحون في نظره من أحكام الإسلام وعباداته وأدابه. التحذير من طاعة بعض أهل الكتاب حتى لا يفسدوا على المؤمن دينه

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، وما نحن مع [النداء الثاني عشر] من التسعين نداء، وهذا النداء مضمونه: [التحذير من طاعة بعض أهل الكتاب حتى لا يفسدوا على المؤمن دينه.

الآية (100 ، 101) من سورة آل عمران: أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران: 100-101].

هذا النداء لو يحفظه المؤمن ويفهمه ويبقى دائماً على ذاكرته فهو والله خير له من مليون دولار، وأشوقكم: فهو والله خير من مليار دولار، وأزيدكم: والله لخير من الدنيا وما فيها. فهيما نحفظ، ونفهم، ونوطن النفس على أن نعمل بمقتضى ما علمنا من طريق كتاب ربنا، فهيما بنا ندرس هذا النداء، والعزم أكيد على حفظه وفهم معناه والعمل بما فيه.

طلب العلم والتفقه في الدين هو طريق النجاة

قال: [ومعنى هذا: أن المناعة كل المناعة للمؤمن من الزيغ والكفر في العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فعلى المؤمنين أن يحيوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك بأن يتعاهدوا في مدنهم وقراهم على الاجتماع كل ليلة في بيوت ربهم من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء] وأقول: أيها المؤمنون! أيها المؤمنات! إذا كنتم تريدون العروج إلى السماء فهذا صعب، فلا يمكنك أن تخترق السبع الطباقي وأنت وحدك؛ إذ هي مسيرة سبعة آلاف وخمسمائة عام، وهذا صعب، ولكن هذا سهل على من آمن واتقى، فأمن بالله ولقائه واثق بالله عز وجل ولا تعصه، وبذلك تزكو نفسك وتطيب وتطهر، وتصبح أهلاً للملكوت الأعلى؛ لأنها تتلاءم مع الطهارة وقد طهرت، وطريق الوصول إلى ذلك والحصول عليه ونحن كما ترانا بأن نقلب صفحة التاريخ، ونعرض حياة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم وأصحابه في هذه المدينة، ونرى كيف ارتقوا، وكيف سموا، وكيف علوا، وكيف ارتفعوا، ومن ثم نسلك سبيلهم.

وإذا قلت: ليس عندنا ذرة ولا هيدروجين ولا مصانع حتى نرتقي فأقول: على المسلمين أن يجتمعون بنسائهم وأطفالهم كل ليلة طول عمرهم من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء في بيوت ربهم [يتعلمون الكتاب والحكمة] كما تعلمها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [ويعملون بما يعلمون بجد وصراحة وصدق] ويزكيهم المربي ويظهر قلوبهم بما يلقي عليهم من أنوار [وذلك طول الحياة] وفي طول العالم الإسلامي [فلا يتخلف رجل ولا امرأة ولا طفل إلا معذور بمرض أو تمرىض] فالمسلمون في مدنهم وقراهم إذا فرغوا من عمل دنياهم وهو عمل لربهم وآخرتهم يجتمعون في بيت الله، وليلة آية وأخرى حديث، وهكذا طول الدهر، فأهل القرية لن تمضي عليهم سنة .. سنتان .. خمس سنوات إلا وكلهم أولياء الله، ويختفي كل منظر من مناظر الباطل والشر والخبث والفساد،

ويصبحون كتلة من النور، لو رفعوا أكفهم إلى الله على أن يزيل الجبال لأزالها، وإذا سمع بهم شياطين الإنس والجن سماعاً فقط ينهارون، ولا تسأل عما يفتح الله عليهم به من القوى المادية؛ لأنهم أصبحوا حقاً أولياء الله، ولكننا قد هدمنا هذا الحصن، ورفضنا هذا السور، واطرحنا بين يدي أعداء الله، ونريد أن نبقي أطهاراً أصفياء، مؤمنين صالحين، ولن يتم هذا، والله يقول: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ [آل عمران:101]؟! وآيات الله لا تتلى على العالم الإسلامي، وهم لا يجتمعون في قريتهم .. في مدينتهم بنسائهم ورجالهم .. بعظمائهم وأرادلهم مثلي كل ليلة يتلقون الكتاب والحكمة، وهذا لم يقع، بل يجتمعون في المقاهي .. في الملاهي .. في الملاعب .. في مجالس الباطل والتهكم والسخرية، ولو كنا أحياء واضطربنا إلى أن نبعث أولادنا يتعلمون في روسيا أو في الصين أو في أمريكا أو أوروبا فنحصى عدد الطلاب، فإذا كانوا مثلاً ألفاً، مائة في الكهرباء، ومائة في الفيزياء، وهكذا، فنبعث معهم من يقرأ كتاب الله عليهم، ويبين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم، ويجتمعون في منزلهم الخاص، فيخرجون إلى المدارس والكلليات ويعودون إليه، وتم تقام الصلاة بهم، ويؤذن مؤذنين، وتم يسمعون كلام الله وكلام رسوله.

وإن لم يحولوا أولئك الذين يخالطونهم إلى مسلمين فعلى الأقل يعودون أصفياء ربانيين، لا ظلم في نفوسهم ولا خبث، ونحن نبعثهم كالغنم، يسرحون ويعودون، ولا تقولوا: يا شيخ! لا تكثر من هذا الكلام، فليس هناك فائدة، بل قولوا: قل يا لسان الحال! لعل المسلمين يفيقون بعد، فهم ما زالوا في سكرتهم، ولا يمكننا أن نخرج إلى السماء إذا كنا لا نستطيع أن نضحي بأدنى شيء.

وما زلت أصر حتى الموت أنه لا سبيل إلى إنقاذ المسلمين ونجاتهم في مدنهم وقراهم في شرق الأرض وغربها إلا أن ينهجوا نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينظرون كيف رفع الله تلك الأمة، ونحن نسمع برفعها، والله ما وجد على سطح الأرض أمة أقدس ولا أطهر ولا أصفى ولا أعدل ولا أرحم ولا أكمل من تلك الزمرة في القرون الثلاثة، أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأولادهم وأحفادهم، ولم تعرف الدنيا مثلهم، والبرهان على ذلك قلناه ألف مرة: ففي خمسة وعشرين سنة فقط وصلوا بالإسلام إلى ما وراء نهر السند، ووصلوا به إلى الأندلس، وبعد هذا لا يطالب بالدليل، ولولا تلك الزمرة الطاهرة التي رفعت قيمة البشرية والله ما رأيتهم كهرياء، ولا جلستم تحتها، فهم الذين أناروا البلاد في الشرق والغرب.

[وأما المسافر فإنه يأتي مسجد أهل البلد الذي سافر إليه، ويشهد معهم الصلاتين، ويسمع معهم الكتاب والحكمة، ويعمل بهما ويعلمهما، وبذلك يعظم] شأنه [ويفوز.

وأخيراً يخبر تعالى عباده المؤمنين مبشراً لهم بأن من يعتصم بالله أي: بكتابه وسنة رسوله [صلى الله عليه وسلم] فقد هدي إلى صراط مستقيم [وهو صراط السلامة والنجاة] فلا يضل ولا يشقى [. معاشر المستمعين! هذا النداء الكريم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرْثُوكُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ [آل عمران:100] قد حصل في العيان، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ [آل عمران:101] ويا للعجب! وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ [آل عمران:101].

فالحصن أن نستمر على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم نقرأ كتاب الله ويقرأ علينا، والرسول لا يفارقنا دينه وتعاليمه وهده، وحكمته على نورها وعلى ضوءها نعيش، وحينئذ لن نستطيع أحد أن يزلزل أقدامنا، فضلاً على أن يضلنا ويدخلنا في بؤرة الكفر والشرك والعياذ بالله [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الكتاب والسنة يعصمان المؤمن ويمنعانه من كيد الأعداء

قال: [واعلموا أن في الآية الكريمة بعد هذه مباشرة أكبر حصن لكم، وأعظم سور لمناعتكم من أعدائكم الكائدين لكم من هذا الفريق] الخاص [الذي تقدمت صفاته، وهم أهل الحق والتغيظ على الإسلام وأهله؛ لشعورهم أن الإسلام هو سبيل النجاة، وأن ما هم عليه من اليهودية أو النصرانية هو طريق الخسران في الدنيا والآخرة، وإنما منعهم من الإسلام حب الرئاسة، والمصالح المادية التي يعيشون عليها بين أتباعهم، والشهوات المسيطرة على نفوسهم؛ لأن الإسلام يحرم منها ويبعد من ساحتها؛ لذا هم مصرون على الكفر وتكفير المؤمنين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

ومثل هؤلاء بعض رجال الرافضة في كونهم يبغضون أهل السنة والجماعة، ويبذلون الغالي والرخيص في صرف أهل السنة والجماعة عن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك بالتشيع القائم على تكفير خيرة الأصحاب أبي بكر و

عمر و عثمان وغيرهم، وتحريف معاني آيات الله، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تصحيحاً لمذهبهم الباطل؛ لحمل الأجيال على اعتناقه؛ ليهلكوا معهم ويحرموا الجنة دار السلام مثلهم؛ لأن الذي يكفر مؤمناً فهو كافر، فما بالك بالذي يكفر من رضي الله عنهم، وأنزل ذلك في كتابه في قوله: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ [الفتح:18].

وهم ألف وأربعمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى رأسهم العشرة المبشرون بالجنة، فكيف يرضى عنهم اليوم ويخبر برضاه عنهم ويكفرون بعد موت نبيهم؟! إن هذا اتهام لله (عز وجل) بأنه لا يعلم الغيب، وأنه كالإنسان يرضى اليوم ويغضب غداً، وهذا هو الكفر بعينه كما يقال. فتنبه أيها المؤمن القارئ المستمع! لهذا النداء].

قال: [أما الحصن] أي: السور العالي الذي متى دخلناه منعنا ونجونا فقد بينه الله تعالى هنا، فإن أردنا أن نتمزق ونتلاشى ونخسر لم نبال بهذا الحصن، وجلسنا هنا نحترق، ولا نصعد هذا الحصن ونبعد؛ لأن الكسل تحكم فينا وسادنا، وهذا هو لسان الحال، وهذا الحصن إذا تحصنا به والله ما يقدر يهودي ولا نصراني ولا مجوسي ولا مشرك أبداً عن إنزالنا وإدانتنا وإذلالنا والتحكم فينا أبداً، وهذا الحصن [المانع من الوقوع في الكفر الذي يدعو إليه الحاقدون عن الإسلام من يهود ونصارى ورافضة فهو في قوله تعالى: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ [آل عمران:101]؟!] أي: من أين يأتيكم الكفر؟ [وَأَنْتُمْ تَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ [آل عمران:101]] وتأملوا هذا الحصن.

ومن يوم أن تخلينا عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن هابطون، ومن ثم مزقونا وشردونا وغير ذلك، حتى تركونا أذلاء ضعفاء نستجديهم ونسترحمهم، ونجري وراءهم، وهذا من يوم أن قرأنا القرآن على الموتى وما قرأناه على الأحياء، ومن يوم أن أصبحنا نقرأ السنة للبركة، والله يقول: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ [آل عمران:101] صباح مساء، وتسمعونها، وفِيكُمْ رَسُولُهُ [آل عمران:101]، يفسر الآيات ويبين معناها، فكيف يأتي الكفر؟ وقد عرف هذا الثالث ولم يعرفه العالم الإسلامي، وأقسم بالله لقد عرفوا أن هدايتنا وكماننا واستقامتنا وصلاحتنا ووحدتنا في تمسكنا بكتاب الله وسنة رسوله، فأبعدوا العالم الإسلامي عنهما، فمضت قرون والقرآن لا يجتمع عليه أبداً، وبالأمس قلت لكم: لم نر رجلاً قال: من فضلك يا بني! اقرأ عليّ شيئاً من القرآن، بل يعطيك ألف ريال لتقرأ على أبيه الذي مات، وأما أن يسمعه هو فلا أبداً، فقد متنا، ومن هنا أوتينا؛ لأننا رفضنا دخول هذا الحصن، وقد رفضناه لأنهم بغضوه إلينا وصرفونا عنه، ووضعوا لنا شطحات وضلالات نعيش عليها، وأبعدونا عن قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، وإلى الآن ما زالوا ولم ينتهوا عن إبعادنا عن هذا الحصن والمخير يا أبنائي! خالق الخلق.. رازق العقل.. واهب العقل [ومعنى هذه الآية: أنه من العجيب أن يكفر مؤمن تتلى عليه آيات الله، وبين يديه رسوله بوجهه ويرشده، ويحميه من مضلات الفتن].

نداء الله تعالى لعباده المؤمنين وبيان ولايته لهم

قال الشارح غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [اذكر أيها القارئ الكريم!] والمستمع المستفيد مثلكم، اذكر ما سبق أن عرفناه وعلمناه وهو [أن الله تعالى ما ينادي المؤمنين] ونحن منهم [إلا ليأمرهم بما فيه سعادتهم في دنياهم وأخرهم، أو لينهاهم عما فيه خسرانهم وشقاؤهم في دنياهم وأخرهم] وهذا والله لحق، فانه لا يلعب، ولا ينادي بدون أمر أو نهى أو بشارة أو نذارة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فإذا سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فأعرها سمعك، فإنك منادى ومأمور، أو منهي مبشر أو منذر، فلا تغفل يا عبد الله! قال: [أو ليبشرهم بما يزيد حبهم في الله وطاعة له وحباً فيه] فإذا بشر الله المؤمنين والمؤمنات فتلك البشرى تزيد في حبهم فيه، وفيما يحب، ورغبة فيما لديه [أو ليحذرهم وينذرهم بما فيه خطر أو شر] أو يؤذيههم أو يشقيهم أو يرديههم ولا بد [وذلك] واسمع التعليل [لأنهم إن اتقوه كانوا أولياءه].

وأوليؤه تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا هو الفوز العظيم. وليك لا يريد لك الشر، ولا يتركك للشياطين، بل يحميك ويحفظك، ويرعاك ويكلؤك، فهو وليك، والمؤمنون متى اتقوه تحققت لهم ولاية الله تعالى.

والذين جلسوا في هذه الحلقة عرفوا من هم أولياء الله، وأصبحوا والله عالمين عارفين، والذين هم لأول يوم يجلسون لا يعرفون من هم أولياء الله، أو يقولون: سيدي عبد القادر فقط، فأولياء الله نحن ورب الكعبة إذا أمانا به واثقيناه، ولم نجاهره بالمعاصي، ولا أعلننا فسقنا عن حدوده وشرائعه، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، ورددها وإياك أن تخاف

أو تجبن، وارفع بها صوتك إلى عنان السماء، وقل: المؤمنون المتقون هم أولياء الله، والكافرون الفجرة هم أعداء الله.

والذي علمنا هذا هو سبحانه وتعالى، فقد قال في سورة يونس عليه السلام: أَلَا [يونس:62] أَي: انتبه وأنت تسمع، وكن حاضر الأحاسيس، إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62].
وهم: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [يونس:63-64].

والبشرى فسرناها نبي الله المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال: (الرؤية الصالحة يراها العبد أو ترى له).
فقبل أن تموت تبشر برؤيا أو ببشرى يزفها الله تعالى إلى أوليائه عند الاحتضار، فعندما يودع أحداً من أقاربه وأهله، وعندما يقول الطبيب: انتهى شأن أخيكم أو أبيكم فهناك تأتي البشرى من السماء، كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ [فصلت:30].

فأولياء الله نحن ولا تقولوا: لا، فإذا قلتم: لا فمعناه: أنكم تسبوننا وتشتموننا وتفعلون الباطل معنا وتؤذوننا؛ لأننا لسنا بأولياء الله، بل أعداء الله، ولو عرف المؤمنون هذا لما سب مؤمن آخر، ولا مد يده إليه بأذى، ولا حاول أن يبيغضه؛ لأن أولياء الله محبوبون معظومون مكرمون، أمواتاً وأحياء.

والشاهد عندنا - كما قلت غير ما مرة -: لو كنا حقاً معترفين بأننا أولياء الله لما قدر أحداً أن يؤذي ولي الله، والله يقول: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

والأمر واضح، فليس هناك من يسب سيدي عبد القادر أو سيدي البدوي، أو سيدي فلان وفلان من الأولياء، بل يحلفون بهم إجلالاً وإكباراً وتعظيماً، وينذرون لهم النذور، ويعكفون على قبورهم، ويتمرغون عليها، طلباً للرحمة والخير، والأولياء الأحياء يذبحون ويسبون ويشتمون، وتؤكل لحومهم ودماءهم، وهذا كلام واقع، والذي فعل بنا هذا هو الثالث الأسود المجوس واليهود والنصارى، فقد تعاونوا علينا من القرن الرابع، فجعلونا نعبد أولياء خياليين، ونبني عليهم القباب ونعبدهم، وقد يكونون أعداء وليسوا أولياء، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم لبعض أعداء، فنسمع بفاحشة الزنا، وأن مؤمناً زنا بمؤمنة، وهذا يحدث آلاف المرات، فالمؤمن ينتهك حرمة ولي الله ويزني بامرأته أو ابنته، والسرقات بين المؤمنين والمؤمنات، فالمؤمن يسرق ولي الله ولا يخاف، ووالله لو عرف أنه ولي الله ما سرقه، وهكذا مظاهر الشر والخبث والفساد طفحت بها بلاد المؤمنين والمؤمنات؛ لأنهم ما عرفوا أنهم أولياء الله. وعلّة هذا الجهل، فنحن ما تعلمنا، ولا جلسنا في حجور الصالحين حتى نتربى على الكتاب والحكمة، ونصبح ربانيين صالحين.

تحذير الله تعالى لعباده المؤمنين من طاعة أهل الكتاب

قال: [وها هو ذا تبارك وتعالى ناداهم] أي: نادى عباده المؤمنين تشريفاً لهم وتكريماً بعنوان الإيمان الغالي الذي لا يساوى بشيء [ليخبرهم] من جهة و [محذراً لهم] من جهة أخرى وهو يحمل التحذير [من طاعة بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى] فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ [آل عمران:100].

وهذا خبر وتحذير [فإنهم إن أطاعوهم كفروهم بردتهم عن الإسلام، فقال عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [آل عمران:100] أي: بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً] ونقول: لبيك اللهم لبيك، فقد نادانا، فمر نطع، وانه ننتهى، وبشر نستبشر، وحذر نخاف ونحذر، وهذا استعداد المؤمن الحي [إِنَّ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ [آل عمران:100].

وهم الحاقدون على الإسلام والمسلمين، المغتاظون لظهور الإسلام وانتشار نوره في المشرق والمغرب] وهؤلاء خواص أهل الكتاب وليس العوام [إن تطيعوهم فيما يزينون لكم ويحسنون من الباطل والكفر الخفي، وفيما يقبحون لكم من أحكام الإسلام وعباداته وآدابه وأخلاقه] وأنا لا أقول: عوام اليهود والنصارى هم الذين يفعلون هذا؛ لأن ربي عليم حكيم، فقد قال: فَرِيقًا [آل عمران:100].

وهم الذين يحملون العداة للإسلام، وأفزعه انتشاره، وانتشار ظله في الشرق والغرب، وبالطبع هم الذين يكونون علماء يعلمون ويربون، وهؤلاء هم الذين حذر الرحمن منهم [بدعوى أنها منافية للديمقراطية و] منافية [للحرية

الشخصية، أو أنها تعوق عن التقدم الحضاري، أو أنها كانت فيما مضى صالحة، أما اليوم] لا [فنحن في عصر الذرة وغزو الفضاء] وهذا كلامهم بالحرف الواحد، ولعل من السامعين من عرف هذا وألقي عليه] فإنه تخلف أصحابها وتقعد بهم دون الحضارة والتقدم] وهذا الكلام والله يلقونه بالحرف الواحد على تلاميذهم ومن يجلسون بين أيديهم يتثقفون ويتعلمون، وهذا كلام عجب، فقد أذابوا طاقات الإيمان، وأصبح تلامذتهم لا يتمدحون إلا بهم، ولا يتمجدون إلا بأمجادهم، ولا هم لهم إلا أن يكونوا مثلهم، وهذا واضح كالشمس في السماء، والله يعلم ذلك، فقد قال: إن تطيعوهم فعلوا بكم كذا، ونحن نتلمذنا لهم سبعين سنة، ونبعث بأبنائنا ورجالنا للدراسة من روسيا إلى أمريكا، ويأتون قلوبهم فارغة، وإذا كانوا في بلد قرآني كهذا رايتهم لا إله إلا الله فإنهم يكتمون؛ لأنهم لو ظهرنا قتلوا، وفي بلادنا الأخرى التي ليس فيها قرآن ولا سنة فإنهم يعلنون عن كفرهم كما يشاءون ويتبجحون به؛ لأنهم أطاعوا اليهود والنصارى، وجلسوا بين أيديهم عشر سنين أو أكثر يتعلمون، وعندما يطيعونهم يردونهم عن الإسلام، وإن نجا بعض الأفراد هنا وهناك فبغاية الله لا أقل ولا أكثر، وإلا فالله يقول: **إِنْ تُطِيعُوا** [آل عمران:100]. والمتعلم يطيع المعلم ولا يرد عليه، وإلا لم يتعلم، فالمعلم يقول: الشمس واقفة والأرض تدور، فيقول المتعلم: نعم، الشمس واقفة والأرض تدور، ويكذبون الله، والله يقول: **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا** [يس:38]. وهو يقول: لا، الشمس واقفة، والأرض هي التي تدور! طاعة لأستاذي الدكتور، فهو متخصص في علم الكونيات، فلا يكذب، وهذا هو الكفر بعينه. هذا مثال.

وبمثل هذا تعطلت شرائع الله، وأبعدت أحكامها من بلاد العالم الإسلامي، وهذا ليس بأمر العوام وإذنه، وإنما هو بأمر الخواص وإذنه الذين علمناهم وتعلموا عن بعض أهل الكتاب [هؤلاء وهم طائفة اليهود والنصارى ممن يدعون العلم والمعرفة، وهم يحملون العداء للإسلام وأهله، هؤلاء إن تطيعوهم فتعتقدوا صحة ما يزينون لكم، وتأخذون بما يقدمون لكم من توجيهات وإرشادات ظاهرها أنها في صالحكم، وباطنها فيه خزيكم وذلكم، هؤلاء إن تطيعوهم يردوكم بعد إيمانكم كافرين. إذاً: فالحذر الحذر أيها المؤمنون! وخذوا بهذه النصائح القرآنية الغالية، فإنكم تتجون من كيد أعدائكم الماكرين بكم، الطالبين بعدكم عن مصدر عزكم وقوتكم وسيادتكم وقيادتكم].

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 13

أمر الله عباده بأن يتقوه حق التقوى، ونهاهم عن أن يموتوا على غير ملة الإسلام كاليهودية والنصرانية أو غيرهما من الأديان الباطلة، والموت على الإسلام هو مطلب كل عاقل، ومبتغى كل لبيب، وهو متحقق لكل من أسلم قلبه ووجهه لله سبحانه وتعالى، فلا يتقلب قلبه إلا في طاعة الله ومرضاته، ولا يتوجه وجهه إلا إلى حيث يأمره ربه جل وعلا.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا على ما نحن عليه بحمد ربنا تعالى وشكره وحسن الثناء عليه، مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله تعالى وإياكم منهم، وحشرنا في زميرهم، ورضي عنا كما رضي عنهم، اللهم آمين.

معاشر المستمعين والمستمعات! نتذكر نداء الأُمس من الله لنا ولا ننساه، والنسيان من طبعنا، إنه قوله جل ذكره بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران: 100-101].

وهذا النداء ذو شأن عظيم، فقد علمنا من طريق تعليم ربنا لنا أن طاعة بعض أهل الكتاب تؤدي بالمطيع إلى الكفر، وبعض أهل الكتاب هؤلاء هم المتغيظون على الإسلام، الحانقون عليه، الذين يودون إطفاء نوره، الذين يسمونهم في لغة العصر (الانتفاعيون)، أي: الذين ينتفعون بالديانة الباطلة، فهم يخافون من نور الإسلام أن يضيء تلك البلاد، ويحرمون سلطتهم وسيادتهم، وما كانوا يحصلون عليه؛ لأن الله ما قال: (إن تطيعوا الذين أوتوا الكتاب)، وإنما قال: إِنَّ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ [آل عمران: 100].

وقد حذرنا الله تعالى بهذا الإعلام حتى لا نطيع يهودياً ولا نصرانياً، ولا غير اليهودي والنصراني كالمجوسي؛ لأن طاعتهم معناها: أن يأمرونا بفعل كذا، أو بترك كذا فنطيعهم، وهم لا يأمرنا إلا بما يكره الله، ولا ينهاه إلا عما يحب الله؛ وبذلك يصبح المطيع كافراً.

وقوله تعالى: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ [آل عمران: 101] هذا تعجب عن كيفية حصول الكفر، وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ [آل عمران: 101].

ففهمنا فهماً سليماً أيها السامعون والسامعات! أن من لازم كتاب الله وسنة رسول الله هداه الله إلى صراط مستقيم، ولن يستطيع يهودي ولا نصراني ولا غيرهما أن يحمله على الكفر بعد الإيمان، وعلى الضلالة بعد الهداية.

فالمناعة كل المناعة في الكتاب والسنة، والله الذي لا إله غيره، ولنستمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي).

والرسول صلى الله عليه وسلم يقتبس كلامه من كلام ربه، وهو معنى قوله تعالى: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ [آل عمران: 101].

ومن هنا إذا لم يصبح المسلمون في بلادهم .. في قريتهم .. في سهلهم .. في جبالهم يجتمعون على كتاب الله ولا على سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولو كان ذلك بدون تدخل من اليهود أو النصارى أو المجوس أو البوذيين أو غيرهم فلا عجب أن يرتدوا، وأن ينسوا الله والدار الآخرة، ويصبحوا ماديين كالبلاشة والملاحدة ولا خيار، فالمسلمون إن أعرضوا عن كتاب الله ولم يجتمعوا عليه ويتدارسوه ويعملوا بما فيه، وأعرضوا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يعودوا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم، ولا يعرفوا له هدياً ولا طريقة ولا

منهجاً فسيعودون قطعاً إلى الجاهلية الأولى، ومن عنده غير هذا فليتفضل، ولينصح به المسلمين، والله يقول: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ [آل عمران:101]؟ فمن أين يأتيكم الكفر، وكيف يصل إلى قلوبكم، والنور يغمركم، وكلام الله يتلى عليكم صباح مساء، وأنتم تتلون وتسمعون، والرسول يقول: كلوا من كذا، وأطعموا كذا، واتركوا كذا، ومن سنتي كذا، فمن أين يأتي الكفر؟ فهو لا يأتي إلا عند فقد القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم.

نستفيد من هذا أن أوضاعنا هابطة، وأننا في أردأ الأحوال وأسوئها، بعدما كنا في علياء السماء نهدي البشرية، وننير حياتها بعلم الكتاب والسنة، فقد هبطنا، والحيلة لنعود إلى ما كنا عليه بسهولة فقط أن نصدق الله في إيماننا، وأن نعلم الآن بيننا أنه لا سبيل لإنقاذنا .. لوحدة كلمتنا .. لتطهير قلوبنا .. لإبعاد الخبث من ديارنا .. لإقامة العدل وإشاعة الرحمة بيننا إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذا منهج نهج رسول الله وأصحابه وأبنائهم وأحفادهم، فنجحوا وسادوا وفازوا وكملوا، فلننهج ذلك المنهج، ولا نجلس مسحورين، ولنمش وراء رسول الله كما مشى أسلافنا ففازوا وكملوا.

فعلى أهل كل قرية من قرى المسلمين في بلاد العجم أو في بلاد العرب أن يجتمعوا في بيت ربهم، وإن لم يكن عندهم مسجد فليبنوا مسجداً، ولا يعقل أن توجد قرية أهلها مسلمون ليس فيها مسجد، وهذا ليس معقولاً، وإن وجد نادراً فالنادر لا حكم له، فأهل القرية يجتمعون في صدق .. في ربانية .. في إخلاص بنسائهم وأطفالهم ورجالهم في بيت ربهم، ولن يلومهم أو يكرههم على الخروج أو يتعرض لهم أحد، فيجتمعون في بيت ربهم من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، ويوقف دولا ب العمل، فلا تبقى تجارة ولا صناعة ولا زراعة، فهم يشتغلون من صلاة الصبح أكثر من عشر ساعات، وحسبهم ذلك العمل، وهذا وقت الراحة، والكفار يستريحون من العمل الساعة السادسة، ويذهبون إلى المقاهي .. إلى الملاهي .. إلى المراقص .. إلى الملاعب؛ لأنهم أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ [النحل:21].

وأنتم أيها الأحياء الشعاعون الواعون البصراء العارفون العالمون! تذهبون بعد نهاية عمل الدنيا الساعة السادسة إلى بيوت الله، فإن الله بيوتاً في الأرض، وليست الكعبة وحدها، فكل بيت يبني باسمه من أجل أن يذكر فيه ويعبد هو بيت الله، ونحمل نساءنا وأطفالنا ونذهب إلى بيت ربنا، وكلمة نحمل ليست ضرورية، بل تمشي أنت وزوجتك وأولادك، فالمسجد أمامكم في القرية، وليس بينك وبينه مدن شاسعة، وكذلك أهل المدن أيضاً أهل كل حي أو منطقة في مسجدهم، ولا يحتاجون إلى أن يركبوا البعير أو السيارة، فالمساجد أمام الناس، فيجتمعون في بيت الله بعد صلاة المغرب مباشرة، ويجلس لهم المربي أو المعلم الذي يجب طاعته واحترامه، وإجلاله وإكباره، كما قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا [البقرة:104].

وهذا شأن المربي، وسواء كان رسول الله أو خليفته في أمته ممن يعلمون الكتاب والسنة، ونجلس بين يديه، والنساء وراء والأطفال دونهن والفحول أمام الكل، والمربي بين أيديهم، وآية فقط يتغنون بها، ويتلذذون بكلماتها، ويستتبرون بأنوار هدايتها ربع ساعة، وإذا بهم قد حفظوها نساء وأطفالاً ورجالاً، وهي عبارة عن طاقة من النور تدخل قلوبهم، فتشرح صدورهم وتنير بصائرهم، فقد اتصلوا بالملكوت الأعلى، فكلام الله في صدورهم ينطقون به، وهذا إنعام الله وإفضاله على المؤمنين، فكلام الله في صدورهم وعلى ألسنتهم، ولما تحفظ الآية يقول المربي: هذه الآية تضمنت كذا، والمطلوب منا هو أن نعتقد كذا إن كانت تحمل معتقداً، أو المطلوب منا أن نلتزم بكذا إذا كانت تأمر بالتزام عبادة من العبادات أو خلق من الأخلاق أو أدب من الآداب، والآية تحمل تحريم كذا علينا، فهذا القول باطل فمن الآن لا نقوله، أو هذا العمل لا نعمله، أو هذا الطعام لا نأكله، أو هذا الشراب لا نشربه؛ لأننا من أولياء الله، وفي الليلة الثانية حديث نبوي شريف، كلمات نطق بها أبو القاسم، وخرجت من فيه صلى الله عليه وآله وسلم، تحمل الهدى .. تحمل النور .. تشرح الكلام الإلهي .. تفسر كلام الله .. تبين مغازيه ومعانيه وهدايته، ويتغنون أيضاً بالحديث حتى يحفظ عن ظهر قلب، ويشرح لهم المربي مخاطباً لهم بلفظ أبناي! إن كان كبير السن .. إخواني! إن كان نظيرهم .. أبائي وأمهاتي! إن كان دونهم، أمرنا نبينا بكذا، فهي من الآن، وهكذا يوماً آية ويوماً حديثاً، والأنوار تتلألأ، والإيمان ينمو، والطهارة والصفاء، فلا تمضي سنة واحدة إلا وأهل القرية كأنهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله العظيم في الوفاء والصدق والطهر والصفاء والكرم والكمال بمعناه؛ لأن الله لا تتخلف أبداً سننه، فالكتاب يحيي الأموات، والنور ينير الحياة، وهذا الأمر ليس صعباً إذا كنت تريد أن تنزل السماء السابعة في الجنة في الفردوس، فتترك العمل بين المغرب والعشاء والاجتماع في بيت الله نتعلم الهدى ليس صعباً ما يطاق، وإلا فلن ننزل عند سدرة المنتهى، وسنتترك العلو، ولن نخلص من هذا الغناء والزنا والربا واللواط والجرائم والخيانة، وخلف العهد والسب

والشتم والغيبة والنميمة والكبر والتعالي التي تعفنت منها ديار المسلمين، وإذا كنا نريد أن نتخلص من التكاليف، فلا إسلام ولا إيمان ولا جنة ولا نار، فهذا نوع آخر، وهذا هو الكفر والإلحاد والبلى والشيوعة والدهرية، والبرانيط والصلبان والأسواق والمقاهي والملاهي، فلا نخادع أنفسنا، ويبقى لنا فقط عذر واحد، وهو أن نقول: ما وجدنا يا شيخ! من يدعونا لهذا، ولم نجد من يجمعنا في بيت ربنا، وهذا حقيقة، ما وجد المؤمنون من يذكرهم ومن يجمعهم ومن يطهر قلوبهم، وكل ما في الأمر أننا وجدنا جماعات تتناحر، وأحزاب تتطاحن بالكلام والحياة واقفة، وعندنا كلمة غالية وسهلة: النجاة النجاة! فيا عبد الله! اطلب النجاة لنفسك، ويا أمة الله! اطلب النجاة لنفسك، فأمسك عنك لسانك ولا تنتمي ولا تدعي، وقل: أنا مسلم، والزم بيتك وبيت ربك، وامش إلى عملك وعد منه، ولا تتكلم ولا تهرف ولا تقول ولا تتكلم، واصبر على ذلك وإن أوديت، فإنك تتجو بإذن الله، ومن قرع باب الله ولج، والله لا يرد أبداً من قرع بابه، ويكفينا هذا البكاء، والحمد لله.

الأمر بتقوى الله والموت على الإسلام

قال: [النداء الثالث عشر] من نداءات الرحمن لأهل الإيمان من أمثالكم، مضمونه ومحتواه [في الأمر بتقوى الله والموت على الإسلام] وتقوى الله هي السلم الذي يرقى به صاحبه إلى الملكوت الأعلى وإلى دار السلام؛ لأن تقوى الله هي خوف منه يحمل الخائف على أن لا يعصي الله ورسوله، فإذا أطاع الله ورسوله زكت نفسه وطابت وطهرت، وأصبح لا يحجبها عن الملكوت الأعلى إلا الموت فقط، ويوم أن يأتي الموت يكون أخونا أو ابننا في الملكوت الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

فلا بد من تقوى الله والموت على الإسلام؛ إذ قد يتقي العبد الله دهرًا وأخيراً ينتكس بحيلة محتال أو بوسواس شيطان، فيرجع إلى الوراء، ويموت على غير الإسلام، فهذا النداء الكريم يحوي هذين الأمرين العظيمين: تقوى الله والموت على الإسلام، ولو أعطينا الدنيا بما فيها على أن نرجع إلى الوراء وأن نرتد عن ديننا فوالله ما نقبل، وليس ملكاً أو سيادة، بل الدنيا بكاملها، بل ونرضى أن نقطع ونصلب ونحرق ولا نرجع عن ديننا أبداً، ولا بد من وجود هذا في قلبك والعيش عليه؛ حتى تستطيع بإذن الله أن تكمل أيامك وتموت على الإسلام.

قال: [الآية (102) من سورة آل عمران: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: 102]].

وهذه الآية تصلي بها النافلة، بل تصلي بها الفريضة وتصح، فلنحفظها ونصلي بها نوافلنا وفرائضنا، ومنعنا من ذلك أن العدو الماكر لا يسمح لك أن تفتح فاك أبداً، ولا أن تردد هذه الآية، ولا أن تختزنها في مخزن العلم ألا وهو القلب والصدر، فعلى العامي أن يحفظها ويتغنّى بها في الشارع وهو راكب على دابته، فهي أغلى من الجواهر واللآلئ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: 102].

أي: نعزم ونصمم على أن لا نموت إلا مسلمين، كيفما كانت الأحوال والظروف، فيكون هذا قصدنا وعزمنا حتى نلقى ربنا، هذا المطلوب، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: 102].

قال: [اعلم أيها القارئ الكريم] لنداءات الرحمن! لأن هذه النداءات ستصبح إن شاء الله في بيوتنا، لا يخلو منها بيت مؤمن إن شاء الله [أن هذا النداء الإلهي يحمل أمرين عظيمين من التكليف] الإلهي لنا، وقد عرفنا هذين الأمرين العظيمين، وهما التقوى والموت على الإسلام، فقد قال: أَسْلَمُوا [آل عمران: 20]، وقال: ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ [البقرة: 208]، وقال: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ [آل عمران: 102] [ولولا الله تعالى ما قدر مؤمن على النهوض بهما] والآن ننسب إلى أنفسنا القدرة المطلقة بعد أن حرمانا الله هدايته وعونه، وبلايين البشر طاروا في السماء وغاصوا في الماء وحلّلوا الذرة وفعلوا غير ذلك وما عرفوا الله بعد، ولا آمنوا به؛ لأن الله ما أراد هدايتهم؛ لأنهم أعرضوا عنه وتكبروا عن نبيه ودينه فحرمهم، ولو قرعوا الباب وطالبوا الله لفتح الباب لهم [إلا أن العبد إذا صدق ربه وأخلص النية والعمل له ولجأ في صدق إليه سبحانه وتعالى فإن الله عز وجل لا يخيبه، بل يسدده ويعينه حتى يأتي بهذين المطلبين العظيمين اللذين هما تقوى الله حق تقاته والموت على الإسلام] وقد بلغني أن بعض الضائعين وهو يموت في حادث سيارة كانوا يلقونه لا إله إلا الله وهو يغني، فمات يغني، فهذا لم يمت على الإسلام، وإنما مات على عبادة الشيطان؛ لأنه في حياته ما ذكر الله، وما تغنى بكلام الله، وإنما تغنى بأغاني الشيطان المثيرة للغرائز والدافعة إلى الخبث والعياذ بالله تعالى [إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: 102]].

النهي عن الموت على غير الإسلام

قال: [وأما بيان قوله تعالى: وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:102] فإن الله تعالى لما أمرنا بتقواه حق التقوى نهانا أن نموت على غير الإسلام كاليهودية أو النصرانية أو غيرهما من الأديان الباطلة [كالمجوسية [وهل يملك المرء أن يموت على الإسلام أو غير الإسلام؟ والجواب: أن على العبد أن يسلم قلبه ووجهه لله تعالى، فلا يتقلب قلبه إلا في طاعة الله وطلب مرضاته، ولا يوجه وجهه راغباً أو راهباً إلا إلى الله عز وجل، ويستمر على ذلك، فإنه لا يموت إلا على تلك الحال، وهي الإسلام] فإذا كنت تريد أن تموت على الإسلام فأعط قلبك الله، ولا تدعه يتقلب دائماً إلا في طلب رضا الله، فإذا أردت أن تشتري الخبز للعائلة أو للأسرة، فأنت مأمور بالإنفاق عليهم كما أمرك الله، إذاً: فإتيانك بالخبز إليهم هذا الله، وهنا تقلب قلبك لله، ولطلب لرضاته، وخوفاً من معصيته، فاجعل قلبك لا يتقلب إلا في الله، ووجهك لا يتجه إلا حيث رضا الله، ولازم هذا فلن تموت إلا مسلماً [ومعنى هذا: أن الاستمرار على طاعة الله ورسوله مع العزم على الموت على الإسلام سيؤدي قطعاً بالعبد إلى أن يموت مسلماً، وكيف وهو يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار؛ وذلك لما يوجده الإيمان الصحيح الذي يرضى صاحبه أن يقتل ويصلب ويحرق ويمزق ولا يرضى أن يكفر بعد إيمانه وطاعته لربه وحصوله على رضاه.

فأذكر هذا أيها المؤمن! وواصل طريق تقوى الله؛ فإنك ضامن أن لا تموت إلا على الإسلام بمشيئة الرحمن جل جلاله.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

ثمرة التقوى

قال: [وبهذه التقوى تتحقق للعبد ولاية الرب عز وجل] فيصبح فلان ولي الله، وأنتم أولياء الله، ولكن تتفاوتون في المراتب، كما تعرفون مراتب الجيش تتفاوت من عسكري إلى لواء إلى فوق اللواء، وهذه رتب كثيرة، فنحن أولياء لإيماننا وتقوانا، ولكن إيماننا فيه ضعف فيتفاوت، وتقوانا تتفاوت، فلن يكون أحد كأبي بكر الصديق أبداً؛ إذ ليس فوق الصديق شيء، وقد قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (لو وضع إيمان أبي بكر في كفة ميزان، ووضع إيمان الأمة كلها في كفة لرجح إيمان أبي بكر).

ومن العجيب أنه يوجد بيننا من يكفره! فيا للعمى! ويا للضلال! ويا للحيرة والتهيان! في سوء الباطل والشر والخداع، وقد بلغنا أنه يوجد من المسلمين من يكفر أبا بكر ويكرهه، وإذا سمع كلمة أبو بكر يغضب، فلا إله إلا الله! [ومتى ظفر العبد بهذا المطلب السامي وهو ولاية الله تعالى فقد فاز بالسعادة في الدارين، وتلك أمنية العاملين، وهدف الساعين من المؤمنين] والحمد لله [كان هذا بيان تقوى الله حق تقاته].

بيان ما تتحقق به التقوى

قال: [واذكر أيها المؤمن!] وقلنا له: اذكر لأنه سبق أن عرف في النداءات السابقة [أن تقوى الله عز وجل هي طاعته وطاعة رسوله] صلى الله عليه وسلم [بفعل الأوامر واجتناب] وترك [النواهي في حدود الطاقة البشرية] فقد قال تعالى: فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن:16].

فلو كان هناك مريض لم يستطع أن يصوم فيفطر [إلا أن هذه الطاعة] طاعة الله والرسول بفعل الأمر وترك المنهي [متوقعة] على عمود وقاعدة عرفناها ونسيناها، ولا تتم إلا بها، فلن تستطيع يا عبد الله! ويا أمة الله! أن تتقي الله في الأمر والنهي إذ هذه التقوى متوقعة [على معرفة الأوامر] الإلهية والنبوية [وكيف تفعل، ومعرفة النواهي وبم تترك] أي: إلا بطلب العلم، وقد عدنا من حيث بدأنا، فيا عدنان! اتق الله، فلا تشرب الخمر، ولا تقل الباطل، ولا تترك الصلاة، وأما الجاهل الذي ما عرف الله، ولا عرف ما أمر الله به ولا ما نهى، فلا يستطيع أن يتقيه، ومستحيل أن يتقيه، وعندنا سر وراء ذلك أيضاً وعرفناه [وهنا يتعين] ويجب [طلب العلم، وهو معرفة الله تعالى

بأسمائه وصفاته معرفة تثمر حبه تعالى في القلب، وخشيته في النفس، ومعرفة أوامره ونواهيه، ومعرفة محابه ومكارهه؛ ليحب العبد ما يحب ربه، ويكره ما يكره [مولاه].
الأمر بتقوى الله عز وجل

قال: [واعلم أيها المؤمن! أن الأمر بالتقوى أمر الله به تعالى عباده المؤمنين في عشرات الآيات] في أكثر من سبعين مرة [وإنما قوله هنا: حَقَّ ثَقَاتِهِ [آل عمران:102] هذا الذي حير عقول العلماء؛ إذ ليس في قدرة العبد ذلك] أي: أن يتقي الله حق ثقاته، فهو لا يستطيع ولا قدرة له على ذلك [إذ لو ذاب العبد] والذوبان هو التحول إلى ماء كصخرة الثلج عندما تذوب [وتحلل وتبخر من خشية الله تعالى] والخوف منه [ما كان ذلك وافيًا بتقوى الجبار الذي يقول للشيء: كن فيكون، والذي الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، والذي يحيي ويميت، ويعز ويذل، وهو على كل شيء قدير] فلن ننقيه حق ثقاته ولو ذبنا كل يوم سبعين مرة.

[وقد ذكر أهل العلم من السلف الصالح أن تقوى الله حق ثقاته هي: أن يذكر [الله] تعالى فلا ينسى، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر] فتقوى الله حق ثقاته ليست الذوبان، فنحن لا نستطيع أن نذوب، وإنما نذكر الله ولا ننساه أبداً، ونطيعه ولا نعصيه أبداً، ونشكره ولا نكفره، فمن كان هكذا فقد اتقى الله حق ثقاته، فذكره ولا تنساه، واشكره ولا تكفره، وأطعه ولا تعصيه؛ حتى تكون ممن اتقاه حق تقواه [والذي يخفف على المؤمن همه في تقوى الله حق ثقاته] ويمده بالقدرة والاستطاعة على ذلك قبل أن يخسر ويهلك، فالذي يحمل هذا الهم هناك ما يخففه عنه، والذي لا هم له من أصحاب المقاهي والملاهي لا شأن له بهذا، حتي يلقي مصيره أحب أم كره [هو قول الله تعالى في سورة التغابن] وهي بين المنافقون والطلاق، وأولها: يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ [التغابن:1] [فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن:16]] فهذا الذي خفف الحمل، اتقوا الله ما استطعتم، فإن عجزتم فلا شيء عليكم، فاتقوا الله عباد الله! ما استطعتم، فالذي تستطيع حمله احملة، والذي تستطيع أن تعطيه أعطه، والذي تستطيع أن تقوله قلّه، وما عجزت عنه فلا شيء عليك، ولم تخرج عن دائرة تقوى الله حق ثقاته [فهذه الآية كالمخصصة لعموم قوله تعالى في هذه الآية] آية آل عمران: [حَقَّ ثَقَاتِهِ [آل عمران:102]] فهذه عامة خصصتها الآية الكريمة من سورة التغابن [والحمد لله.

ولنعلم أيها المؤمن! أن العبد إذا حمل هم تقوى الله حق ثقاته فأصبح يذكر ولا ينسى، ويشكر ولا يكفر، ويطيع ولا يعصى، وذلك في أغلب أوقاته وأكثر أحواله، فإنه بحمد الله تعالى يحقق المطلوب منه، وهو أن يتقي الله حق ثقاته في حدود طاقته البشرية وخوفه الإنساني.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 14

إن الحاكم مهما بلغ من الحكمة والحنكة والقوة في إدارة شئون بلاده إلا أنه يحتاج إلى من يعينه على ذلك، ويشير عليه إذا طلب المشورة، ويكون عينه التي يراقب بها أحوال الناس، واليد التي تمسك بزمام الأمور، وهؤلاء هم من يسمون بالبطانة والخاصة، ولشدة أهمية هذا المقام فقد حذر الله عباده المؤمنين من اتخاذ بطانة من أهل الكفر، لأنهم لا يتورعون عن غش المؤمنين، ولا يقصرون في استغلال الفرص لإفساد أحوالهم، والنيل من دينهم. حرمة اتخاذ البطانة من غير المؤمنين، وبيان أثرها السيئ

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

ونداء الأمس تضمن أمرين عظيمين: الأول: تقوى الله عز وجل، إذ هي سبيل النجاة، وسلم تحقيق الولاية بعد الإيمان، وسلم الوصول إلى رضا الله عز وجل.

والأمر الثاني: الوفاة والموت على الإسلام، ولنذكر النداء من جديد، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران: 102].

فقد أمرنا عز وجل بأن نتقيه بإسلام قلوبنا ووجوهنا له، فأسلم تسلم، وأمن تأمن، فنتقي الله عز وجل بطاعته وطاعة رسوله فيما يأمران به وينهيان عنه، هذه هي التقوى، وبها نتقي غضب الله وعذابه، والوفاء على الموت تتطلب منا مواصلة التقوى بلا انقطاع؛ حتى يوافينا الأجل ونحن لله مطيعون، وبذلك نموت على الإسلام.

أما نداء اليوم فهو [النداء الرابع عشر: في حرمة اتخاذ البطانة من غير المؤمنين، وبيان أثرها السيئ.

الآية (118) من سورة آل عمران] فهي تتغنى بهذا النداء حتى تتمكن من حفظه وفهمه إن شاء الله [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [آل عمران: 118]].

معاشر المستمعين والمستمعات! هذا النداء نادانا به الله، فهو الذي قال لنا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .

والحمد لله أن الله نادانا فشرفنا وأكرمنا ورفع من قيمتنا، وإلا فنحن لسنا شيئاً حتى ينادينا رب السماوات والأرض، ورب كل شيء ومليكه، فقد حصل لنا هذا الشرف بالإيمان، ولو لم نكن مؤمنين لما كنا أهلاً لأن ينادينا رب العالمين، فلنحمد الله على نعمة الإيمان، وليس هناك نعمة أجل ولا أعظم من نعمة الإيمان؛ لأنها الخطوة الأولى في تحقيق ولاية الرحمن.

والخطوة الثانية: هي تقوى الله عز وجل، فإذا كان مؤمناً متقياً فهو لله ولي.

فلنفهم هذا النداء وما تضمنه علنا نرتفع بعد أن هبطنا لمخالفتنا لتوجيهات ربنا، فهذا النداء موجه لنا، فينبغي أن يسمعه كل مسئول وكل ذي مسئولية في العالم الإسلامي، وأن يحفظه عن ظهر قلب، وأن يعيش على نوره؛ ليسلم من أعداء الإسلام الخادعين الماكرين، ولكن القرآن اليوم يقرأ على الموتى لا على الأحياء! فوا أسفاه! أهمية اتخاذ الحاكم للبطانة الصالحة

قال: [ولنورد] من أورد الشيء يورده ليشاهد [أخيراً ما يثبت به ما بيناه من هداية هذه الآية الكريمة الحاملة للنصيحة والتوجيه الرباني لأمة الإسلام، فهذا البخاري يروي في صحيحه تعليقاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة) [أي: دون النبي سواء كان حاكماً ملكاً أو سلطاناً، والذي بغض إلى العالم كلمة ملك أو سلطان وأحل محلها رئيس الجمهورية والله العظيم لبنوا عمكم اليهود، فقد قالوا في مجالسهم

الخاصة وتوجيهاتهم: رجل الدين - سواء مسلم أو صليبي- أبقر بطنه واستخرج وأمعاه واخنق بها ملكهم؛ لأن الملك بشره يستحي أن يعربد، ويحافظ على مكانته، فهو ليس كرئيس ينتخب من الغوغاء والأباطيل، ولا كرامة له ولا شرف، ولا يهمله شيء.

ورجال الدين هم الذين وقفوا في طريق بني إسرائيل حتى لا يجددوا عهد مملكتهم، سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين، وثلاثة أرباع أوروبا لا يؤمنون بالله ولا بعبسى، والعهر والحرام هناك نشرهما هذا النوع من البشر، فقد قالوا: نحول البشرية إلى بهائم ويومئذ نركبها، وحتى نستطيع ذلك لا بد أن ننزع منها كلمة تدين بالمرّة، فقالوا: لا إله والحياة مادة، وهم الذين أوجدوا البلشفية والشيوعية وصفقوا لهما، ودعنا من هذا، ولنمشي مع الهداية الإلهية، وهذا من باب البيان فقط.

ومرة احتج علي طالب علم وقال: الله عز وجل يقول: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً [النمل:34].

فقلت له: هذه كلمة بلقيس اليمنية، وهي تعني: بالملك الحاكم، فالحكام إذا لم تصطالح معهم ودخلوا البلاد عنوة يفعلون بها ما يفعلون، فقالت: هيا نتفق مع نبي الله سليمان أحسن من أن يدخل بجيوشه ويعززون الذليل ويذلون العزيز، ولو يجتمع حكام العالم اليوم ما كانوا بلقيس اليمنية.

وعندها موقف تصرف فيه والله تصرف الحكماء، وهو: لما أحضر عرش بلقيس أمام الملك سليمان عليه السلام سأله: أهكذا عرشك، وكان عرشها في اليمن، وهو يخاطبها في القدس فقالت: كأنه هو؛ لأنها لو قالت: هو لقالوا: هذه مجنونة؛ إذ كيف يأتي وينقل ويصل، فهذه سفينة، ولو قالت: لا، هذا مستحيل لقالوا: هذه مجنونة، فهي تنكر عرشها بين يديها، لكن قالت: كأنه هو، وهذا يذكرنا ونحن نعيش هبوطنا أيام أن أعلنوا عن وصول القمر الروسي الأول والأمريكاني، وكنا خائفين من أن نهبط من جديد، فنقول للمسلمين: ممكن يجوز، وإياك أن تقول: طلعوا وأنت لم تحضر ولم تشاهد، فلا تكن ممن يريدون الهبوط بالمسلمين لينتهي كمالهم وشرفهم، وتفرض في قلوبهم الخوف والفرع، بل قل كما قالت ملكة سبأ: ممكن يجوز، وإذا عاثوا في العالم الإسلامي فلا تتمدح بأمجاد أعدائك وغيرك يندب، فاستح، وتعلن أنهم طلعوا القمر ووصلوا، وكذا الإذاعات والصحف، وشاء الله أن نعثر على مجلة صينية، والصين ضد القوتين العظميين روسيا وأمريكا، فهي القوة الثالثة، والله أنني قرأت بلساني وعيني أن هذه دعوى طلوع القمر ما هي إلا تمثيلات، ولا يمكن أن يطلعوا القمر ولا طلعوا، وإنما هي تمثيلات في الجبال فقط؛ من أجل أن يهيموا على قلوب البشر، فرفعت بذلك معنويات الصين بكامله، والمسلمون منهارون يصفقون بأمجاد عدوهم، فادفع هذا عن المؤمنين ولا تتكلم فيه، وتمضي الأيام والأعوام وتتضح اللعبة، ومنذ سنتين أو ثلاث بطل أمريكا قال: هذا كله ألعيب وتمثيلات، فنحن ما طلعنا ولا عرفنا.

وأقول هذا لتعرفوا مستوانا؛ لأننا هبطنا عن نور القرآن وسلم الهداية، فالقرآن يقرأ على الموتى فقط، وقالوا: القرآن صوابه خطأ، وخطؤه كفر.

قال: [(إلا كان له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله)] وحكامكم أيها المسلمون! لم يتخذوا بطانة من العلماء الصالحين يستشيرونهم في مهام دولتهم إلا نادراً، والنادر لا حكم له، فافهموا هذا [من هنا وجب على كل من ولي أمر المسلمين] وليس شرطاً أن يكون ملكاً فقط أو سلطاناً، فقد يكون شيخ قرية أو عمدة أو أمير منطقة، فعلى كل من ولي أمر المسلمين [أن يعرف هذا، ويحذر من بطانة السوء، فلا يقبل اقتراحاتها ولا توجيهاتها، ويقبل ما تقدمه البطانة الصالحة، ويشكرها عليه، ويقربها منه، وينبئها إليه] والله ما عرف حكام المسلمون هذا، فهم لم يتعلموا في حجور الصالحين، بل هم مثلنا، فهم أبناؤنا وإخواننا، حتى ما نكرب كثيراً ونحزن، فهذا هو حال أمة محمد بعد أن صرفوها عن الكتاب والسنة، ورموها في أودية الشرك والضلال والبدع والخرافات أكثر من سبعمائة سنة.

[وهذا عمر رضي الله عنه] ولو يجتمع أهل الأرض اليوم والله ما كانوا عمر في إيمانه وصلاحه وفهمه وبصيرته وهده، فعمر كان إذا نظر نظرة وقال كذا كان كذا قال، وولده عبد الله هو الذي قال: ما قال أبي في شيء أظنه كذا إلا كان كما ظن، وهذا النور موجود في الصبليات الإسلامية، وأنتم ما اشتريتموه ولا قبلتموه، واسمع قول الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا [الأأنفال:29].

والفرقان هو الذي تفرق به بين كل متلابسات ومشتهات، وتميز به بين الحق والباطل، والنافع والضار، والصالح والفساد طول حياتك، وهذا النور لا يجعله أحد سوى الله، وهذا يحصل فقط بتقوى الله، فالتقوى قلبه كله كتلة من

نور، وهذا النور يسري على سمعه وبصره ومنطقه، فتتجلى فيه حقائق النور بكاملها، والتقوى تورث هذا؛ لأن التقوى هي عمل عبادات وطاعات تنتج هذا النور، ومع تجنبه للمعاصي يبقى النور دائماً حتى يغلب على حياته.

فعمر [قال له أحد رجاله: إن هاهنا رجلاً من نصارى الحيرة] والحيرة بلد ما بين حضرموت والعراق، وهي صحراء، [لا أحد أكتب ولا أخط بالقلم منه] يعني: يحسن الكتابة والخط بالقلم [أفلا يكتب عنك] يا عمر ؟ [فقال: لا آخذ بطانة من دون المؤمنين] وهذا الكلام والله عرفه اليهود والنصارى أكثر مما عرفه المسلمون مائة مرة، ونحن هذا أول يوم نسمع فيه هذا الكلام، وكل ما من شأنه أن يبقي كمال الأمة ويزيد فيه عرفوه وحطموه [وجاء أيضاً أبو موسى الأشعري] رضي الله عنه وأرضاه وكان خيراً لبناً طيباً طاهراً [بحساب نصراني] والحساب هو من يحسن الحساب، أو من يحسب الشيء ويعدّه [لعمر رضي الله عنه فانتهره] عمر بصوت عالٍ [وقال: لا تدنهم وقد أقصاهم الله] وأبعدهم [ولا تكرمهم الله وقد أهانهم الله] وأذلهم [ولا تأمنهم وقد خونهم الله] وهذه يحفظها دعاة اليهودية والنصرانية أكثر منا، وينظرون إلى ماضيها، ويضحكون على مستقبلنا وما نحن فيه.

[قل لي أيها المؤمن! أبعد هذا يجوز اتخاذ بطائن من غير أهل الإسلام، يطلعون على بواطن أمور الدولة والأمة؟ والجواب: لا، لا، وليس معنى هذا أن لا نستخدم غير المؤمنين إذا دعت الحاجة إلى استخدامهم] بل نستخدمهم [وإنما لا نطلعهم على بواطن أمورنا] وأسرار دولتنا [ولا نضعهم في مقاعد التكريم والإكبار والإجلال] والإعزاز، ونهين المسلمين [ونترك أهل العلم والإيمان] وهذا هو المطلوب [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

أهمية هذا النداء في حفظ دولة الإسلام

قال: [ألا] وقد ألفنا كلمة ألو؛ لأنها في التلفونات، وقد ألفها النساء والرجال، وأما ألا في القرآن فلا نفهم معناها؛ لأننا ما سمعنا بها أبداً، فنحن لا نسمع من يقول: ألا تسمعون [فليعلم هذا] النداء الرابع عشر من نداءات الرحمن بما فيه [كل مسئول في دولة الإسلام] وبلغوهم إن استطعتم، ولو كان كل الحكام في العالم الإسلامي يشتركون هذه النداءات ويبحثون اثتونا بهذه النداءات الربانية؛ لأن فيها هداية الله لإكمالنا وإسعادنا وانتشار ظل دولة الإسلام في العالم، وهم لن يفعلوا إلا إذا فعلنا نحن المحكومون، فلو فعلنا هذا لهم فهم سيفعلون، ونحن لا نقرأ ولا نكتب ولا نتعلم، وهم أبناؤنا وأباؤنا، فكلنا من بيت واحد [وليعمل به] لا مجرد أن يعلم فقط [ولا يعرض عنه ولا يتنكر له؛ فإنه المناعة التامة للحفاظ على دولة الإسلام وقوتها وامتداد ظلها في العالمين] ولن يستطيع اليهود أن يبولوا علينا، ولن يستطيع أبيض ولا أسود أن يعتدي على شرفنا ودولتنا وإيماننا وطهارة أرواحنا، ولما أخذ بهذا أصحاب رسول الله وأحفادهم وأبناؤهم وصل ظل الإسلام إلى وراء نهر السند شرقاً وإلى الأندلس غرباً في خمسة وعشرين سنة فقط، وليس في سبعين عاماً؛ لأنهم أخذوا بهذه النداءات، وحفظوها وفهموها، وسيتبين لكم مواقفهم.

الحكمة من منع الله لنا من اتخاذنا بطانة من غيرنا

[فلننظر] بأبصارنا وبقلوبنا وبصائرنا [فتتجلى لنا نعمة الرحمن الرحيم بعباده المؤمنين، إنها منته تعالى علينا حيث منعنا من اتخاذ البطانة من غيرنا؛ صرفاً للشر والأذى عنا، وإبقاء على نورنا وهدايتنا وكرامتنا.

إنه يعقب على نعمة البيان والهداية بقوله: قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ [آل عمران: 118] الكاشفة لنا عن مخبئات أعدائنا لنا من الحسد والكره والغيب والبغض، إن كنا نعقل عنه سبحانه وتعالى ما ينزله علينا ويخاطبنا به؛ إكراماً منه لنا، فله الحمد والمنة [وأين العالم الإسلامي؟ فهذه نداءات الرحمن المفروض أن توجد عند كل مؤمن والله العظيم، فسيذك ومولاك ومربيك ناداك تسعين نداء لإكمالك وإسعادك وأنت لم تحفظ نداء واحداً، ولم تصغ أو تسمع إلى نداء، فأنت عاق وهارب وأبق، ولو كنا أحياء لطبع هذا الكتاب بعشرة آلاف مليون؛ حتى يوضع عند رأس كل مؤمن؛ ليعرف ما ناداه ربه من أجله، والذي ما يقرأ لا بد وأن يقول: من فضلك تعال أسمعني ما ناداني ربي به، وعلمني ماذا يريد مني، فأنا عبده وهو سيدي.

سر نداء الله لأهل الإيمان

قال: [الشرح] يقول الشارح وفقنا الله وإياكم لمرضاته: [اذكر أيها القارئ والمستمع الكريم!] لأن هذه النداءات الذي يحسن القراءة يجب أن يقرأها، والذي لا يحسن القراءة يجب أن يقول لمؤمن: اقرأ علي نداءات ربي، وأسمعي

ما ناداني ربي من أجله، وعلمني حتى أقوم بالواجب إن كان واجباً، وهذا ممكن، فلا يعقل أن يناديك سيدك وتلوي رأسك وتعرض عن ندائه، وأنت تعلم أنه ما ناداك إلا لإسعادك وإكمالك .. إلا لنجاتك مما تخاف وترهب .. إلا ليكملك في آدابك وأخلاقك ومعارفك، فاسمع نداءاته، وقد جمعت وهي تسعون نداءً إلهياً، ويجب على كل مؤمن أن يسمع هذه النداءات ويقرأها، وإلا فهو عاص لربه، فهو يناديه ولا يسمع، ويعلمه ويهديه ولا يقبل، ولن يسعد هذا العبد [ما سبق] في النداءات الثلاثة عشر الأولى التي تقدمت [من أسرار نداءات الرحمن في كتابه] أي: القرآن [للمؤمنين به وبلقائه] وكلها أسرار وحكم، والله لا ينادينا لا لشيء، وهذا مستحيل، فالله تعالى منزّه عن اللهو واللعب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل يناديهم لسر، ومن جملة الأسرار [إن منها إنذارهم وتحذيرهم من كل ما يرددهم أو يشقيهم] فهو ينادينا ليأمرنا بشيء إن فعلناه كملنا وسعدنا، أو لينهانا عن شيء إن ابتعدنا عنه وتركناه نجونا وسلمنا، أو ليبشرنا حتى نتشرح صدورنا وتطمئن نفوسنا ونقبل على طاعة ربنا، أو لينذرنا من مخاوف ومصاعب ومتاعب، إذا لم نتقطن وننتبه لها وقعنا في الفتنة والهلاك والدمار، هذه هي أسرار نداءاته. تحذير الله لعباده المؤمنين من اتخاذ بطانة من غيرهم

قال: [وهاهو] ذا [تعالى هنا في هذا النداء يناديهم] أي: عباده المؤمنين ويحذرهم [ليمنعهم ويحرم عليهم اتخاذ بطانة من غير المؤمنين كاليهود والنصارى والمشركين] ومعنى اتخاذهم بطانة: [يطلعونهم على بواطن أمورهم وأسرار دولتهم، وبخاصة الأسرار الحربية والمالية؛ فإن في هذا خطراً عظيماً على الدولة المسلمة، قد يؤدي بها إلى التلاشي بعد الفرقة والهزيمة، والعياذ بالله] تعالى [من كل شر وسوء يصيب الإسلام وأهله ودولته. إذا: [فلنتأمل] يا معشر المؤمنين! [قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ] [آل عمران:118]] فهذا نهى، ولو قال أحد: لا، سأخذ بطانة، فقد كفر، ولم يبق مسلماً؛ لأنه يرد على الله، ويتمرد عليه ويعصيه، وأما إذا لم يرد على الله، ولكنه لم يسمع نداه، ولم يقبل توجيهاته لأحوال وظروف فهو خاسر هالك، ولا نقول بكفره [فالبطانة من يطلع على بواطن الأمور وخفاياها] أي: خفايا أمورك السرية [ومن دوننا هم قطعاً الكفار] فقد قال: لا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ [آل عمران:118]، أي: من غير المؤمنين من إخوانكم، والذين دوننا الكفار [وسواء كانوا أهل كتاب] وهم اليهود والنصارى [أو مشركين] أو مجوساً، ولا فرق بين الكفار، فالكفر ملة واحدة، فلا يؤمن كافر، ولا نطلعه على بواطن أمورنا وخفايا أسرارنا، هذا توجيه الله، وليس توجيه عالم أو سياسي. حرص الكافرين على إفساد أمور المؤمنين

قال: [ولنتأمل قوله] تعالى: [لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا] [آل عمران:118]، أي: لا يقصرون في إفساد أموركم عنكم بشتى الوسائل [والله لا يكذب، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فقد يفسدونها] تحت شعار العلم والمعرفة، أو النصح والتوجيه [الآن، وقد انهار البناء الإسلامي وسقط بهذه المعاول والنفوس الهدامة؛ لأننا اتخذناهم خبراء ومستشارين وموجهين، وغير ذلك، وكأن هذا القرآن ما يقرأ على البشر، وهذا صحيح، فهو لا يقرأ إلا على الموتى. حب الكافرين المشقة للمؤمنين

قال: [ولنتأمل قوله تعالى: وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ] [آل عمران:118] أي: أحبوا، فود الشيء يوده إذا أحبه [أي: أحبوا حباً عظيماً كل ما يوقعكم في العنت والمشقة] والعنت والمشقة بمعنى واحد [حتى تحرموا سعادة الدنيا وهناءها] وقد حرمانها [وتصبحوا عالة عليهم] أي: فقراء يعولونكم [ومحتاجين إليهم؛ لتذلكم الحاجة، وتهينكم بين أيديهم] وهذا والله قد وقع، وإياك أن تقول: إنهم لا يريدون هذا، فإنك تكفر بذلك؛ لأن الذي قال هذا هو غارز غرائزهم وطابع طبائعهم، ويستحيل أن يكون غير هذا، ومعنى هذا: ألا نثق في يهودي ولا نصراني ولا مجوسي ولا مشرك أبداً، وإن وثقنا بهم وقد وثقنا واتجهنا نحوهم وساسونا هبطوا بنا، وقد هبطنا، وقد بلغنا الآن أن يهودياً في هذا الصباح في صلاة الصبح فعل في القدس عجباً، فالضحايا أكثر من خمسين، والجرحى ثلاثمائة وزيادة، ولم يتحرك العالم الإسلامي، ولم تطر طائرة الليلة في الساعة الثالثة ليلاً لتحوم على سماء تل أبيب وتدمر اليهود نهائياً، والله لن نتحرك؛ لأننا أموات، وقد أخذ أرواحنا اليهود والنصارى، ومن زمان ونحن عبيد وذبول نمشي وراءهم، وقد حصل هذا لأننا أعرضنا عن كتاب الله، ولم نجتمع عليه ولا تدارسناه، ولا عرفنا ما يحمله، ففترقت الكلمة وساءت الحال، وأصبحنا في حال يرثى لنا.

قال: [ولنتأمل قوله تعالى: قَدْ بَدَتْ [آل عمران:118]] أي: ظهرت [الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ [آل عمران:118]، أي: قد ظهرت البغضاء وهي شدة بغضهم لكم؛ لأنكم مسلمون وهم كافرون] فإذا كنت بصيراً ذا نور وسمعت كلامه وهو يدعي النصيح والإرشاد فتتصور أنها بغضاء وعداوة، وأما الذي تخفيه صدورهم فلن تقدره، ولن تقوى على إحصائه ومعرفته، بل هي أكبر مما تفهم من لسانهم، وهذا لأنكم أيها المؤمنون! تريدون أن تسودوا وتقودوا، وتكملوا وتسعدوا، وتنزلوا الفرديس العلى، وهم محرمون من كل ذلك، ومصيرهم عذاب أليم أبدي لا ينتهي، فهذا يحملهم على عداوتكم وبغضكم، وهذه هي العلة الأولى؛ لأنكم مسلمون قلوبكم وجوهكم لله، فوالاكم وأحبكم ورفع شأنكم، وهم كفروا به فأهانهم وأذلهم ومسخهم، ولذلك يبغضونكم [وقال] تعالى: [بأفواههم ولم يقل: بالسنتهم إشارة إلى أنهم إذا تكلموا لكم ناصحين ومعلمين يتشدقون بالكلام، فتمتلئ أفواههم به؛ إظهاراً للرغبة في نفعكم وخيركم] فعدل عن هذا إلى هذا؛ لأن القرآن سما فوق كل فصاحة وبيان؛ لأنه كلام الرحمن خالق اللغات وأهلها [والمتأمل الواعي البصير تبدو له البغضاء واضحة من كلامهم، وما تخفي صدورهم من التغيظ عليكم والبغض لكم أكبر مما يظهر من كلامهم] والله العظيم.

معاشر المستمعين والمستمعات! هذا درس سياسي، وهذا كلام الله ونداء الرحمن للمؤمنين، فيجب أن يعرفه كل مؤمن ومؤمنة، ولا يجوز الكلام في الدرس، وهو حرام، وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا [الأعراف:204]. ولا نلوم أحد تكلم لأننا ما علمناه [ولنتأمل قوله تعالى: قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ [آل عمران:118]] الواضحات البينات؛ لتأخذوا بسبيل النجاة وطريق الخلاص من أعدائكم [إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [آل عمران:118]] والمسلمون اليوم لا يعقلون، وأنا لا أزعم أنهم يعقلون أبداً، إلا إذا قالوا: الله أكبر ورددها العالم الإسلامي، وأما ماداموا دويلات وأحزاباً وجماعات وطرقاً مختلفة، بل وقبائل وعناصر ووطنيات فهم لا يعقلون، ولو أسلموا قلوبهم لله لما عرفت غير الله، ولو أسلموا وجوههم لله لما اتجهت صوب شيء إلا صوب الله، وبذلك يصبحون جسماً واحداً، ولكن القلوب تفرقت، فهذا إلى الشهوة، وهذا إلى الدنيا، وهذا إلى ليلى، وهذا إلى كذا، والوجه كل له جهة، ولن نجتمع ونحن هكذا، والعلة هي الجهل، فنحن ما عرفنا الله معرفة حقة حتى نعطيهِ قلوبنا ووجوهنا، وإنما عرفنا الدنيا والطعام والشراب والنكاح كالبهائم.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 15

كان الرجل في الجاهلية يستدين من آخر إلى أجل، فإذا جاء الأجل ولم يتمكن من السداد يقول له الدائن: آخر وزد، فيزيد عليه الفائدة كلما تأخر عن وقته المحدد للسداد، وقد حرم الله هذا العمل لما فيه من أكل أموال الناس بالباطل، وفتح لباب عظيم من أبواب العداوة والبغضاء والكراهية، وإبعاد الناس عن احتساب الأجر والعمل ابتغاء مرضاة الله، والرضا بعرض الدنيا الزائل.

النهي عن أكل الربا والأمر بتقوى الله عز وجل

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله تعالى وإياكم منهم، وجمعنا وإياهم في دار الكرامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

اللهم آمين.

وها نحن مع [النداء الخامس عشر] وقد سبقه أربعة عشر نداءً، نادى الجبار عز وجل فيها عباده المؤمنين والمؤمنات، وهذا النداء الخامس عشر هو [في النهي عن أكل الربا والأمر بتقوى الله عز وجل] فمضمون هذا النداء ومحتواه هو نهى الله عز وجل عباده المؤمنين عن أكل الربا، وأمرهم تعالى بتقواه جل جلاله وعظم سلطانه. قال: [الآية (130) من سورة آل عمران أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [آل عمران:130]] وهيا نتغنى بهذا النداء لنحفظه عن ظهر قلب، وتكون هذه الآية نوراً في قلوبنا، ونصلي بها النوافل حتى لا ننساها.

سبب الأمر بالتقوى بعد النهي عن أكل الربا

قال: [وأخيراً: هل عرفت [أيها القارئ والمستمع!] لم جاء الأمر بتقوى الله تعالى بعد النهي عن أكل الربا في هذا النداء؛ إذ قال تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [آل عمران:130]؟ إنه من أجل إرهاب النفوس وإخافتها من عاقبة الإصرار على أكل الربا؛ لأن الله تعالى لرحمته بعباده لم يأذن لأحد منهم أن يأكل مال أخيه بغير حق، وتقوى الله تكون بامتنال أمره واجتناب نهيه [وهنا نهينا عن أكل الربا، وأمرنا بالتقوى، فهو أمر ونهي] ومن امتثل أمر الله فاتقاه وأطاعه فلم يأكل الربا، فقد تهيأ للفلاح، وهو كما عرفت الفوز بدخول الجنة بعد النجاة من النار.

ألا [لا ألو، فهذه جديدة، تسمعونها في البيوت مع التلفون، وأما ألا فقد جاءت من القرآن، ولكن أخذوها وقالوا: لا تقولوا: إن هذه من العرب، وقد سألناهم: من أين جاءت ألو هذه؟ قالوا: هكذا وجدت مع التلفون، ولا ندري من أين.

فقلنا: لقد عرفنا هذا من قبل ألف وأربعمائة سنة، ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62]] فلنطع الله فلا نأكل الربا، ونتق الله فلا نعصيه في أمر، أو في نهْي؛ لنظفر بأعظم ربح، ونغنم أفضل غنم، ألا وهو الفلاح] والفلاح هو أن تبعد عن النار وتدخل الجنة.

هذا هو الفوز العظيم، فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران:185]] جعلنا الله من أهله الفائزين به، الناجين من النار، الساكنين الجنة دار الأبرار.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [.

علة تحريم الربا

قال: [وهل تدري] أخيراً أيها السامع [ما علة تحريم الربا؟] وهذا بيت القصيد [إنها ما يلي: أولاً: المحافظة على مال المسلم-ولي الله - حتى لا يؤكل بالباطل.

ثانياً: توجيه المسلم إلى استثمار ماله في أوجه المكاسب الشريفة الخالية من الاحتيال والخديعة والغش] وذلك [كالفلاحة والصناعة والتجارة] ولن نحيا حتى نعود إلى القرية كما قدمنا، فأهل القرية يجمعون نقودهم الفاضلة في صندوق في المسجد والله لينمونه في قريتهم، ويأخذون فوائد، وتحفظ أموالهم بكل سهولة، ولكن ما دمنا بعيدين عن الله فهيهات أن نتقي هذه الفتنة، ولقد نجا منا من تباعد عنها، وإلا فأغلبنا هالك مع الهالكين.

[ثالثاً: سد الطرق المفضية بالمسلم إلى عداوة أخيه المسلم وبغضه وكرهه] فالذي يأخذ من البنك مليون ريال ثم يسدده مليون ومائة ألف ويصبح صاحب البنك رابحاً، فوالله ما يحبه وإنما يبغضه.

فالمحافظة على الإخوة بين المسلمين حرم الله الربا؛ لما ينتج هذا الربا من بغض المسلم للمسلم، وعدائه له.

[رابعاً: فتح أبواب البر في وجه المسلم ليتزود لأخوته، فيقرض أخاه المسلم بلا فائدة، وينتظر ميسرته بلا فائدة، ويبسر عليه أمره، ويرحمه ابتغاء مرضات الله] ولو لم توجد بنوك ربا وكان عندي مليون ريال لا أصنع به شيئاً وإنما دائماً مخزون فإذا أتى مؤمن فسأقرضه، والمؤمن إذا أقرضته يرضى أن يموت ولا يخونني ولا يجحدني] وفي هذا ما يشيع المودة بين المسلمين، ويقوي روح الإخاء والحب والتصافي بينهم.

فاذكر هذا أيها المؤمن وعلمه غيرك من إخوانك المؤمنين].

التحذير من السبع الموبقات

قال: [ألا فليجتنب المؤمن الربا، وليبتعد عنه، وليذكر ما يساعده على ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم:) اجتنبوا السبع الموبقات.

فيسأل عنها فيقول: (الشرك بالله) [كمن يقول: يا سيدي عبد القادر ! أنا في حماك، أو: يا رسول الله! المدد المدد، أو كمن ينذر هذه الشاة لسيدي عبد القادر ، فهذا هو الشرك، وهو أن تعطي حق الله لمخلوق من مخلوقاته، وأن تشرك عبداً من عبيده فيما هو له، واستحققه بخلقه ورزقه وتدبيره.

والرسول عندما قال هذا لأصحابه لم يكن يخاف عليهم الشرك، وإنما قال هذا لأن الله أعلمه الله الأمة ستفتن في حياتها، ويصبح الشرك عندها عادياً كبقية العادات، والله لقد كنا ندخل قرى قبل خمسين سنة لا نجد فيها موحداً أبداً، وتجد الواحد منهم يهمل: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، والمسبحة في يده، وإذا سقطت المسبحة قال: يا رسول الله! أو يا سيدي فلان! ونسي ذكره لا إله إلا الله.

ولكن هذه الفترة والحمد لله وجد فيها توحيد، ووجد موحدون، وجزى الله ألف مرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فهو الذي نفخ هذه الروح في العالم، وقد كفره وسبوه وحاربوه وقتلوه، إلى أن تغمدته الله برحمته، ثم جاء عبد العزيز فأعاد ذلك النور من جديد، وهذه والله بركاتهم، وإلا ما كان يصل التوحيد إلى بلاد المغرب ولا يعرف، فجزاهم الله خيراً، وقد مضت أربعمئة سنة لم يكن يوجد من يوحد الله في القرية، بل كنت تجد الواحد يعبد ويصلي وقلبه مع فلان وفلان، وقد رأيناهم جماعات يبركون على القبور، ويتمرغون عليها، وينزلون بنسائهم وأطفالهم لزيارة سيدي فلان وفلان، ويجلسون أياماً وليالٍ عاكفون كالعكوف على الكعبة، وفيهم من يقرأ القرآن؛ بل ويقرءون هم القرآن ولا يفهمون له معنى.

والحمد لله أن علمنا الله وهدانا، وأصبحنا من أهل لا إله إلا الله بحق.

[(والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)] وكل واحدة منها توبق صاحبها في جهنم.

وهي سبع موبقات، وهي: أولاً: الشرك بالله.

هذه الأولى.

ثانياً: السحر.

وقد اتصل بي اليوم بعد الظهر مؤمن بالتلفون، وقال: يا شيخ! سحرني رجل واعترفت له بمبالغ مالية كثيرة، فكيف أصنع؟ فقلت له: إذا كنت في المملكة فالحل أن تذهب إلى الهيئة وتقول: وجد ساحر وسحرني وخذ بيده فسوف يعدم.

فالساحر يقتل حيث بان سحره.

فقال: مع الأسف أنا في مصر.

فقلت له: ليس لك حيلة إلا أن تشتكي إلى المحكمة، والمحكمة عندها وسائل؛ فإن تبين أنه ساحر لم يعطونه لا درهماً ولا جنيهاً.

فالسحر شاع، وكأننا تخلينا عن أسلامنا، فقد أصبح السحر عاماً عندنا، والساحر يقتل حيث بان سحره، وهو شر من الكافر، ولا يجوز أن يوجد في قرية مسلمة ساحر، ولا أن تقول: نذهب إلى الساحر أو لا نذهب؟ فلا تذهب إلى الساحر، وإنما اذهب إليه رجال الحكومة؛ حتى يقتلوه؛ لأن الساحر لا يتوب، فبمجرد أن يظهر السحر يقتل؛ لأن السحر خفي، أخفى ما تتصور، فلا يعرف إذا قال: أنا تبت، فلهذا إذا شهد اثنان على أنه ساحر يعدم. ثالثاً: قتل النفس التي حرم الله، وأما النفس التي أباح الله قتلها فلا بأس، والنفس التي أباح الله قتلها نفس المحارب الكافر، فإذا اشتعلت نار الحرب بيننا وبين اليهود والكفار فاقتل ولو سبعين واحداً في اليوم، فهذا جائز. وكذلك الزاني يقتل إذا كان محصناً، والقاتل عمداً وعدواناً يقتل، هذا هو الحق، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق.

والكافر لا يقتل، وحرام أن تقتله، إلا إذا كنا في حرب معهم.

رابعاً: أكل الربا، واسألوا البنوك عن الربا.

خامساً: أكل مال اليتيم، وأكثر من يأكله وليه الذي يتولى عليه.

سادساً: التولي يوم الزحف، فإذا زحفت قوات الإيمان والتوحيد على قوات الشرك والكفر فالذي يتأخر وينهزم فهذا جزاؤه، فقد فعل موبقة لا ينجو معه؛ لأن الله قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحْفاً فَلَا تُولَوْهُمْ الْأَذْبَارَ [الأنفال:15].

سابعاً: وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات، كعائشة الصديقة رضي الله عنها، وما زال المخدوعون المغررون بهم المتهاكون إلى الآن يقولون: عائشة فجرت وزنت، وقد نزلت الآية وفيها: وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ [النور:26].

وهم يقولون: الرسول طيب و عائشة خبيثة.

والعياذ بالله.

وأي كفر أعظم من هذا! وعلة هذا هو الجهل، فنحن ما تربينا وما علمنا وما عرفنا. الربا محرم مطلقاً

قال: [لعلك أيها القارئ الكريم!] أو المستمع المستفيد! ترى أن الربا إذا كان غير مضاعف لا بأس به؛ لما قد يفهم من هذه الآية: لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً [آل عمران:130] فقد يقول الجاهل أو الغافل: إذا: ما دام شيئاً قليلاً لا بأس؛ لأن الله قال: أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً [آل عمران:130].

فانتبه، و[إياك أن يعلق بذهنك هذا المعنى فإنه غير وارد أبداً.

وإنما الآية ذكرت حال المرابين في عصر الجاهلية، فعاتبهم على ذلك.

أما بعد أن حرم الله الربا فإنه حرمه تحريماً مطلقاً، لا فرق بين كثيره وقليله، واسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرر هذه الحقيقة فيقول: (درهم) [واحد] (ربا يأكله الرجل) أو المرأة، ولم يذكر الرسول المرأة احتراماً لكم أيها الفحول! فالفحل لا يرضى أبداً أن تذكر امرأته بين الناس، ولا أن تشاهد أو يسمع صوتها، ولا أن تذكر في مجالس الرجال؛ لأن المرأة لبوة، والفحل أسد يموت دونها، ولا يرضى أن تبتذل وتمتحن وتوضع في كل مكان، هذا من عمل اليهود، فهم الذين هبطوا بالبشرية إلى هذا المستوى [وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية]، أي: في الإثم، مع أن الزنية الواحدة يجرم صاحبها بالحجارة.

وهناك لطيفة أخرى: المرأة تحت الرجل، والرجل يجب أن ينفق عليها، فإذا كان الرجل يراي فهي تأكل من الربا، وهي ليست أئمة؛ لأنه يجب أن ينفق عليها، فهي زوجته، يطعمها حيث شاء ومما شاء، وهي ليست بمسئولة. فالمرأة لا تأكل الربا.

والآن يوجد نساء ربويات، وهن موجودات، لهن قروض في البنوك، والرسول يتكلم مع فحول المؤمنين وقت الرفعة والعزة والكمال [ويقول صلى الله عليه وسلم: (الربا ثلاثة وسبعون باباً)] فقد يدخل فيه الإنسان من هنا، أو من هنا، فهو ليس محصوراً في ربا البنوك فقط، بل هو ثلاثة وسبعون باباً [(أيسرها)] أي: أخفها [(أن ينكح الرجل

أمه)) ولا يوجد ذنب أعظم من هذا ((وإن أربى الربا)) وأعظمه [(عرض الرجل المسلم)] بأن تنهش عرضه وهو غائب، فهذا أعظم من ذلك.

وهذا نتلذذ به، فمجالسنا إذا جلسنا ليس فيها إلا الطعن بفلان وفلان، وخاصة العلماء والحكام والدعاة، وأما التجار وغيرهم فلا يلتفتون إليهم، وأما العلماء والدعاة والحكام فيذبحونهم ذبحاً، ولا يخلو مجلس من هذا أبداً إلا ما شاء الله، وسبب هذا أننا ما عرفنا، ولا وجدنا من يعلمنا، والرسول صلى الله عليه وسلم قال هذا؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أرسل هادياً ومعلماً وبشيراً ونذيراً، وليكون المجتمع الطاهر النقي الذي يعبد الجبار في الأرض، وينزل بجواره في السماء.

فالربا يقطع العلاقات، ويمزق الصلات، ويبعد الإخاء، وينهي الرحمة، ويجعلنا كالحيوانات كما هو الواقع، وكذلك من يمزق عرض المؤمن ولي الله، ويقطعه، ويتهمة بالفجور، أو يقول فيه كذا وكذا، فلا يبقى هذا المجتمع الرباني الإسلامي.

ونحن أكلنا الربا، وأكلنا لحوم بعضنا بعضاً، فتسمعهم يتحدثون عن هذا الشيخ ويقولون العجب، فبعضهم يقول: هذا وهابي، وآخر يقول: هذا متخلف، وثالث يقول: رجعي، ورابع يقول: هذا عميل للحكومة، وخامس يقول كذا، والله العظيم، ولا لوم ولا عتاب؛ لأننا ما ربينا في حجور الصالحين، ولذلك لن نكمل في آدابنا وعقولنا، ونحن نعيش كما تعيش البهائم، ولا هم لنا إلا الأكل والشرب والنكاح، والسعي وراء ذلك بالليل والنهار، وذكرنا الله قليل، والمعرفة تنعدم عند أكثرنا، فلن نستطيع أن نكمل في آدابنا وأخلاقنا، والحل هو في العودة، ولا تقولوا: المسافة بعيدة، فهي مدة ألف وأربعمائة سنة، ونحن الآن نطير في السماء ونغوص في الماء، وعندنا غير ذلك، فالرجوع إلى ذلك العهد ليس معقولاً، فوالله لرجوعنا إلى ذلك العهد أيسر من أن نغرس فسيلة حتى تثمر، وأسهل من أن نستورد تجارة ونربح منها.

والطريق إلى ذلك معاشر المستمعين! وبلغوا هو أن أهل القرية - والقرية في لغة المعاصرين الجغرافيين والأوربيين هي البلد الصغير الذي سكانها معدودين كآلف أو ألفين، وأما في عرف القرآن: فالقرى جمع قرية، وهي العاصمة .

الحاضرة، وقرأ إن شئت قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أمرت بقرية تأكل القرى). فالرسول يقول: أمرني ربي بقرية أسكنها تأكل القرى، وهذه القرية التي أكلت القرى هي المدينة، فقد أكلت عواصم الفرس والروم على عهد عمر و عثمان و علي ، ولم تبق قرية لم تخضع للمدينة في أيامها، لا عواصم كسرى ولا عواصم الروم، بل الكل أذعن وتحت المدينة.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أكلت القرى- المسلمون يعودون إلى ما كان عليه رسولنا صلى الله عليه وسلم؛ ليكملوا ويسعدوا، ويصفوا ويطهروا، ويتأهلوا للسماء، وينزلوا في الملكوت الأعلى، فيعلنون ويقولون: اسمعوا إخواننا! .. أبناءنا! .. أمهاتنا! .. نساءنا! .. أبناء بناتنا! من غدٍ إذا غابت الشمس وأذن المغرب فلا يبق رجل ولا امرأة ولا ولد في بيته أو في مكانه، بل الكل في المسجد، وإذا كان المسجد ضيقاً فيوسعونه، ويعلنون: أيها الفحول! غداً ما من أحد إلا ويأتي بلحاف أو بغطاء أو بغير ذلك، ونوسعه حتى بغلاف قبل أن نبنيه، فإذا مالت الشمس للغروب رأيتهم زرافات ووحداناً مقبلون على الله في بيته، فيصلون المغرب، ثم يجلسون جلوسنا هذا، ويجلس لهم مربٍ خليفة لرسول الله في تعليم أمتهم، فلا يعلمهم بقال الشيخ الفلاني، وقال سيدي فلان، وإنما يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، أي: يطهر أرواحهم وأخلاقهم ونفوسهم، ومصدر ذلك قول الله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة:2].

وكل ليلة وهم مع الله يتعلمون الكتاب والحكمة، فلا تمر سنة واحدة على أهل القرية إلا ولم يبق بينهم جاهل أو جاهلة، لا يعقل أن يبقى أحد، وإذا انتفى الجهل بينهم فلن تسمع أن هناك من فكر في الزنا بنساء إخوانه في قريته، ولن تسمع أن فلاناً ضرب فلاناً أو شتمه، ولن تجد مجلس غيبية أو نميمة، فهذا والله ما يكون؛ فقد علموا وعرفوا وزكت نفوسهم.

وإذا انتفى منهم الجهل والظلم والفسق والفجور وكل النقائص فقد كملوا، فلو رفعوا أيديهم إلى الله على أن يزيل دولة كاملة لأزالتها؛ لأنهم أولياؤه، لا ترد لهم دعوة.

وهذا لا يكلفنا شيئاً لو فعلناه، وبعضهم يقول: أنت تريد أن تتعطل الحياة، وأقول: لا، فأنت من صلاة الصبح والمعول في يدك، أو المطرقة في يمينك، أو المسحاة على كتفك وأنت تعمل إلى العصر، وهذا يكفي، أو أن دكانك مفتوح من

صلاة الصبح إلى غروب الشمس، وقد استقدت في هذا الوقت، فالحياة لم تتعطل، وهذه الكلمة يقولها الهابطون، فهم يقولون: هذا يريد أن تتعطل حياتنا، وأقول: تعال نمشي معك إلى أوروبا، وسنجد أهلها إذا مالت الشمس إلى الغروب أغلقت الدكاكين والمصانع، ويذهب العمال للراحة، فيذهبون يروحون على أنفسهم في الملاهي والمقاهي والملاعب والمراقص والمقاصف؛ لأنهم موصولون بعالم الشقاء، فلا نكن نحن مثلهم، نروح عن أنفسنا في المقاهي والملاهي، بل في بيوت الرب مع ذكر الله وتعلم الهدى.

فليفهم السامعون هذا والسماعات، فوالله لن تكملوا ولن تسودوا ولن تعزوا ولن يرفع هذا الضعف والذل والفقر والهوان والدون إلا بالعودة إلى الكتاب والسنة، أحببتكم أم كرهتم.

ربا البنوك أعظم من ربا الجاهلية

قال: [واعلم أيها المؤمن!] والمؤمن هو الحي الذي يسمع ويبصر ويعي؛ لأنه حيي بإيمانه، وغير المؤمن والله ما يناديه الله ولا يكلمه ولا يأمره بهذا ولا ينهاه؛ لأنه ميت [أن ربا البنوك اليوم أكثر ظلماً وأعظم ذنباً من ربا الجاهلية الذي حرمه الله تعالى في هذه الآية وفي غيرها من آيات البقرة التي تقدمت] فربا الجاهلية أفضل من ربا البنوك اليهودية، فقد عرفنا أن ربا الجاهلية إذا احتجت إلى ألف دينار أو درهم تأتي إلى أخيك الغني وتقول: أقرضنيها ستة أشهر .. سنة، فيقرضك، فإذا حل الأجل ولم تعطه وأنت مضطر تقول له: أخرني وزد علي شيئاً قليلاً، وربا البنوك ليس إذا أعطاك مليوناً ولم تستطع أن تسدد إذا حل الأجل يقول لك: إذاً: نزيد، بل من أول مرة الزيادة حاصلة [لأن ربا البنوك من وضع اليهود] عبدة العجل الذهبي [واليهود لا رحمة عندهم] فاليهود لا يرحمون غير اليهود أبداً، وبودهم أن كل البشرية تمسخ وتصبح كالحيوانات من أجل إقامة مملكة بني إسرائيل، والبشر كلهم عدو لليهود، فلا يوجد مسيحي ولا مسلم ولا بوذي إلا وهو عدوهم، فكل البشرية ضد اليهود، وحتى يقيم اليهود دولة فلا بد وأن يمسخوا البشرية أولاً، وقد فعلوا ونجحوا، فقد أقاموا دولة صغيرة في قلب الإسلام، ولو أقاموها في إسبانيا أو في إيطاليا فلا بأس، ولكنهم أقاموا دولتهم في قلب الإسلام، وهذا نجاح كبير.

وكذلك أموال العالم يتصرفون فيها إلى الآن أيضاً، وقد نجحوا، ومسخوا ما شاء الله، والصليبية والمسيحية تحولت إلى بلاشفة علمانية ملاحدة، لا يؤمنون بالله ولا بلاقائه، وضاعت الرحمة المسيحية والحياء والآداب، وأصبحت نسأؤهم كاسيات عاريات، فالرجل بنطلونه إلى كعبيه، وامراته ثوبها إلى فخذيه أو إلى ركبتيها! والذي فعل هذا اليهود، وهم يفعلون هذا لأنهم يريدون أن يعيدوا مملكة بني إسرائيل، وغيرهم حجر في الطريق، واليهود لا يستطيعون أن يقتلونهم، ولا يقدرون أن يحاربوا العالم، ولكن بالحيل اليهودية والمكر [ولا شفقة في نفوسهم على غير بني جلدتهم] وأما بنو جلدتهم فهم جسم واحد، وأما مع غيرهم فلا؛ لأن الله لعنهم، وليس بعد لعنة الله شيء، وقرأ قوله تعالى: **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ [الفتحة:7]**.

وما دام الله قد لعنهم كإبليس فلن يستفيدوا من حياتهم، ولن يعيشوا إلا في الشر والفساد [فإن البنك إذا أقرض امرأ ألفاً إلى أجل يكتبها عليه ألفاً ومائة، وإذا تأخر سدادها رفع قيمتها حتى تكون أضعافاً مضاعفة، أما ربا الجاهلية من العرب فإنه لا يزيد عليه شيئاً إذا سلم الدين في وقته الذي حل فيه، وإنما يزيد عليه إذا حل الأجل ولم يسدد فقط] فربا العرب الجاهليين أفضل من ربا اليهود الشياطين.

أهمية العمل بالعلم

[الشرح] لهذا النداء الكريم [اعلم أيها المؤمن! زادك الله علماً، ووفقتي وإياك للعمل بما نعلم؛ فإن العلم بلا عمل كشجر بلا ثمر] فليس هناك فائدة من النخلة إذا لم يكن فيها رطب ولا تمر، ولا فائدة من شجرة التين أو الزيتون إذا لم يكن فيها تين ولا زيتون، والذي يعلم ولا يعمل ما استفاد ولا أفاد، وحاله كحال شجرة ما أثمرت [ورضي الله عن علي بن أبي طالب] صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج الزهراء، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [إذ قال] واحفظوا هذه الكلمة حتى تكونوا قد تلقيتكم العلم عن علي بن أبي طالب، وسبحان الله! فبيننا وبينه ألف وأربعمائة سنة ومع هذا كأننا في مجلسه وتلقينا عنه علماً وحكمة، فهو يقول رضي الله عنه: [العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل] واحفظ هذا يا راضي! فالعلم ينادي العمل: يا عمل! فإن أجابه فذاك، وإلا ارتحل.

ومعنى هذا: أن العلم إذا لم يعمل به صاحبه فسوف ينساه ولا يبقى عنده، حتى يصبح كصعاليك الناس، فما من سيئة إلا ويقترفها؛ لأن العلم رحل عنه.
فهذه حكمة غالية من علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه.
عظم ذنب أكل الربا

قال: [وإن قلت لي] أيها المستمع الكريم! : [ماذا أعلم؟ قلت لك: اعلم عظم ذنب أكل الربا واحذر] فمن أجل هذا ناداك الله.

وهذا هو المطلوب منا الليلة، أن نعلم عظم ذنب أكل الربا، فهو ذنب عظيم، ولنحذر أكل الربا.
هذا سؤالك أيها المستمع! وهذا جوابك [فإن الله تعالى ما توعد أهل الإيمان بعذاب النار كما توعد أكل الربا؛ إذ قال تعالى: وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ [البقرة:275] كهذه] فَاَنْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة:275]] فما جاء هذا الكلام مع أهل الإيمان أبداً إلا مع أكل الربا.
بيان كيفية أكل الربا أضعافاً مضاعفة

قال: [وما هو ذا] الله تبارك و [تعالى في هذا النداء الخامس عشر من نداءات الله تعالى لعباده المؤمنين ينهاهم عن أكل الربا، ويأمرهم بالقوى، ويطمعهم في الفلاح، الذي هو النجاة من النار ودخول الجنة] دار الأبرار [فيقول لهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [آل عمران:130]] لبيك اللهم لبيك، مرنا [لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً [آل عمران:130]] وأكلها أضعافاً مضاعفة كأن يكون للمرابي على من استدان منه ألف درهم فيتأخر سنة فيرفعها إلى ألف ومائة، وسنتين إلى مائتين، حتى تصبح أضعافاً مضاعفة بمرور الزمان وعجز المستدين عن السداد [إذ كان الرجل] في الجاهلية [يستقرض من آخر مالاً إلى أجل معين] كأن يستقرض من الموسم إلى الموسم، أو من الحج إلى الحج [فإذا حل الأجل ولم يجد سداداً] يسدد به [يقول لمن أقرضه: آخر وزد] إذ ليس عندي السداد، وهذا ربا النسئنة، ربا النسئنة أي: أنسئه إلى أجل ثان وزد قدرأ معيناً [فيؤخر ويزيد فيه، فإذا حل الأجل ولم يجد سداداً فيقول له] أيضاً: [آخر وزد أيضاً، وهكذا حتى يصبح القرض الذي كان مائة درهم مئات الدراهم] والآن البنوك لا تقول لهم: أنت، بل هم الذين يقولون، فإذا حل الأجل وما جئت أخروك وزادوا، ولكن في الجاهلية كان يقول له: آخر وزد إذا حل الأجل وما استطاع السداد، فيقول: أخرني فترة أخرى وزد، وأما لو جاء بالسداد فلا زيادة، فكان يأتي الرجل لأبي سفيان ويقول: أريد خمسمائة درهم إلى الحج، فيعطيه، فإذا جاء الحج وما وجد يقول: آخر وزد، وأما إذا جاء الحج وأتى بالمال فلا زيادة ولا فلساً واحداً، فلهذا ربا الجاهلية أفضل والله من ربا البنوك اليهودية.
والدليل على ذلك: أن الربا في الجاهلية كما قلت لكم كان يأتي الرجل إلى أخيه أو إلى جاره أو إلى أي أحد ويقول له: أقرضني ألف درهم أو ألف دينار إلى الموسم الفلاني، فإذا جاء الوقت وجاء بالثمن لا يأخذ ولا فلساً واحداً زائداً أبداً، ولكن إذا لم يستطع يقول له: أخرني سنة أخرى وزد قدرأ معيناً، فلا يزال يزيد حتى يتضاعف، ويصبح الدينار دنانير والدرهم دراهم، هذا معنى أضعافاً مضاعفة [وهذا هو ربا النسئنة] أي: الزيادة والتأخير [الذي يتضاعف] المعروف عند أهل العلم، أي: ربا التأخير، من أنساه إذا أخره [أما ربا الفضل] أي: الزيادة، فالفضل بمعنى: الزيادة، فكل ما فضل عنك فهو زيادة.

والربا ربوان: ربا نسئنة وربا فضل ولا ثالث لهما [فإنه تحصل فيه الزيادة فور البيع] أي: وقت البيع، فعند البيع يبيعه بزيادة [بأن يبيعه قنطار بر بقنطار ونصف براً] مثلاً أو قنطار وربع في المجلس، فهذا لا يجوز، وهذا هو ربا الفضل؛ إذ ليس له حق أن يأخذ زيادة والقمح هو القمح، والشعير هو الشعير، والذهب هو الذهب، والفضة هي الفضة [ويبيعه ألف درهم بألف وعشرة مثلاً، وهكذا في كل الربويات، وهي: الذهب والفضة والبر] أي: القمح [والشعير والتمر والملح] فيبيعه في المجلس بزيادة، فيبيع قنطار رطب بقنطارين أو قنطار ونصف بتمر أجود منه [وما يلحق بها من كل مقتات] فكل طعام يصلح للقوت وعيشاً للناس [مدخر] أي: يدخر السنة والسنتين ولا يفسد، حتى يخرج الفواكه والخضار [إذ هذه الربويات لا تباع إلا كيلاً بكيل، أو وزناً بوزن بلا زيادة، إلا أن تختلف أجناسها كبيع فضة بذهب، أو بر بشعير، أو تمر بملح مثلاً فلا بأس بالزيادة] فإذا اختلفت الأجناس فبيعوا كيف شئتم، فهذه القاعدة وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيجوز أن تباع كيلو ذهب بخمسين كيلو فضة، أو قنطار

شعير بنصف قنطار بر، وهذا شأنك، فأنت محتاج إلى هذا، فالشعير غير القمح، والذرة غير الرز، والملح غير التمر، فهي أجناس مختلفة، وأما الجنس الواحد تمرأ بتمر .. شعيراً بشعير .. قمحاً بقمح .. ذرة بذرة .. زبيباً بزبيب فلا بد من التساوي بلا زيادة [على شرط أن يتم البيع في مجلس واحد] أيضاً، حتى لو قلت: اسمح لي أن أتوضأ وأتي أو أصلي وأعود إليك لم يجز هذا، فإذا بعتك تمرأ بشعير أو شعيراً برز فيجوز التفاضل، كأن أبيع قنطاراً بقنطارين حسب الحاجة، ولا بد من المجلس الواحد، ويجوز أن أبيعك كيلو ذهب باثنين أو ثلاثة فضة لا بأس، ولكن لا بد من المجلس، ولا تتفارقا حتى تنجزا البيع؛ وذلك [لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا اختلفت الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد ها وها)] و(ها) بمعنى: هاك، أي: خذ، وهات أي: أعطني.

أما إذا الجنس واحداً فلا تفاضل ولا جراماً واحداً زائداً، فالذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والقمح بالقمح، والشعير بالشعير، فلا بد أن يكون الوزن واحداً، والكيل واحداً.

وإذا ذهبت الآن إلى الصيرفي وأنت تحمل دراهم كويتية وتريد ريات سعودية فلا يلزم أن يعطيك درهماً بريال؛ لأنه قد اختلف الجنس، فالممنوع هنا فقط هو أنه لا يمكن أن تقول: أعطني عشرة وأتيك بعشرة بعد ساعة، بل لا بد من مجلس واحد، وأن يكون يداً بيد.

وكذلك لا يصح المفاضلة في بيع الذهب القديم بالجديد، بل بع الذهب القديم أولاً بالريات أو بالدراهم، ولما تمسكها بيدك اشتر منه ذهباً أغلى أو أفضل.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 16

يحذر الله عز وجل عباده المؤمنين من الوقوع في فتنة الكفر بعد الإيمان، والضلال بعد الهداية، والموت بعد الحياة، إذ الإيمان حياة وفوز وفلاح، والكفر موت وخسارة وتباب، والكفار لا يألون وسعاً، ولا يدخرون جهداً في الإضرار بالمسلمين في شتى المواطن، فنهى الله من أجل ذلك عن طاعتهم والسير في ركابهم، والاكتفاء بولاية الله، وأنعم بها من ولاية.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان. وبما أننا مؤمنون والحمد لله على نعمة الإسلام فنحن منادون من قبل مولانا عز وجل، وقد كان نداء الأُمس هو قول الله عز وجل بعد أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [آل عمران:130].

فعرفنا أنه نادانا بوصفنا مؤمنين، ونحن أولياؤه وهو ولينا، وقد نادانا لينهانا عن أكل الربا؛ لما فيه من المفساد والمضار التي تعود على الفرد والجماعة على حدٍ سواء، وأمرنا بتقواه، أي: بالخوف منه، حتى نطيعه ولا نعصيه، فنتم ولايتنا لله عز وجل، وحينئذ نفلح في الفوز بالجنة بعد النجاة من النار، ومن باب التذكير لمن نسي أذكركم أن ربا الجاهلية أرحم وأخف من ربا البنوك اليهودية، فقد كان ربا الجاهلية إذا احتاج أحدهم إلى دراهم أو دنائير يأتي إلى أحد الأغنياء فيقول: أقرضني كذا إلى شهر أو إلى موسم كذا فيقرضه مجاناً بلا مقابل، فإذا حل الأجل وعجز المستدين عن السداد قال لصاحبه: أخر وزد زيادة معقولة.

وأما ربا البنوك اليوم فسواء أتيت به بالنقد في أجله أو لم تأت فالزيادة حتمية، وقد بلغنا أنك إذا استدنت ألفاً يعطيك تسعمائة وخمسين ويسجل عليك ألفاً، وهذا معناه: أنه استعجل الربح قبل السداد. ومعنى هذا: أننا من الآن نبغض ربا المعاصرين كرها الجاهلين.

واذكروا أن الذي وضع هذا الربا البنكي ليس المسلمون ولا المسيحيون ولا الصليبيون، وإنما هم اليهود عبدة العجل المغضوب عليهم، فهم الذين وضعوا هذه الشبكة؛ ليقعوا البشرية في صيدهم؛ لأنهم يعملون بجد على إعادة مملكة بني إسرائيل، لا من النيل إلى الفرات فقط، بل على العالم كما كانت على عهد الملك سليمان عليه ألف سلام. وهم لا يساوون واحد إلى ألف في العالم، بل إلى مليون، فالطريق إلى ذلك إذاً إفساد البشرية، وتحطيم أخلاقها، والقضاء على آدابها وعقائدها وسلوكها الصالح؛ لتبقى كالبهائم، وحينئذ الرجل منا يسوق ألف بقرة وألف بعير، هؤلاء هم بني عمكم اليهود.

إذاً: فلنتبرأ إلى الله من هذه البنوك، وذلك بأن نتعهد أن لا يرانا الله جل جلاله أمام بنك، فلا نودع ولا نستقرض ونثبت على ذلك، فلو أن أهل بلد أخذوا بهذه النظرية الإسلامية فأصحاب البنوك إخواننا يرحلون، وبعد أربعة أشهر لن تجد بنكاً مفتوحاً أبداً، ثم هم بالخيار إما أن يحولوها إلى مصارف ربانية إسلامية نورانية، فيبارك الله فيها الكثير والقليل، وينتشر الإخاء والمودة والحب بين المسلمين، وإن رفضوا هذا لأنهم لا يريدون الله والدار الآخرة فليذهبوا في الأرض حيث شاءوا، وأما نحن فلن ندخل النار من أجل إرضائهم، وليس في الإمكان أن يفعل عبد الله هذا، بل نترك هذا الله.

أنواع الربا

الربا صنفان: أحدهما يقال له: ربا النسيئة، والثاني: ربا الفضل. والمفروض أن كل السامعين أو السامعات أمس يكونون قد حفظوا هذا، مثل أمور الدنيا التي يحفظونها حفظاً جيداً، ومثل ما تحدث أحدهم عن السوق فيفصل لك ما رأى في السوق، وهذتان الكلمتان لا يريد أن يحفظهما، ويعجز عنها.

سبحان الله! وربا النسيئة: هو ربا التأخير، كأن أقول: أخر وزدني، أو يقول المقرض: أخرك وأزيد في الربح. هذا ربا النسيئة.

وربا الفضل: هو أن يبيع ربوياً بأخر بالتفاضل، والنبى صلى الله عليه وسلم ذكر الربويات في حديث وعدها ستة أنواع: الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح.

وأمة الله تعجز عن حفظ هذه، ولو كانت أغنية فإنها تغني بها ولا تتساها. فإذا بعت ربوياً بربوي وجب أن يكون الوزن والكيل متساويين، كأن يكون صاعاً بصاع .. حفة بحفة .. قنطاراً بقنطار .. كيلو بكيلو .. رطلاً برطل، ولا يصح الزيادة أبداً، فتبيع الذهب بالذهب بدون زيادة، والتمر بالتمر بدون زيادة، وإن كان هذا برنياً وذاك عجوة، فكلاهما يسد حاجة الإنسان، فلا يجوز التفاضل، وكذلك الملح بالملح، والشعير بالشعير، والبر بالبر.

والشارع الحكيم يقول: مجتمعنا الرباني لا يوجد فيه التفاضل بين هذه الربويات لما في ذلك من الضرر، وهذا الضرر هو أنك إذا أعطته قنطار شعير وأعطاك ربع قنطار قمح فلن تبقى نفسك مطمئنة راضية عنه، والله تنتظرن إليه بنظرة شجرة، وكأنه احتقرك وأخذ مالك، مع أنك أنت المحتاج إلى هذا. هذه نفسيات البشر.

وإذا اشتريت منه مائة جرام ذهب بمائة وخمسين فلن تحبه، وكذلك إذا زاد خمسة وعشرين جراماً فإنك لن ترضى عنه، والإسلام يريد من المسلمين أن يكونوا على قلب رجل واحد.

وأن يكون المسلم أخو المسلم، والمؤمن أخو المؤمن، وشأنهم واحد، وأن يكون المسلمون متساوين كأسنان المشط، فأیما عمل من شأنه أن يوغر الصدور بالعداء أو باليغض والحسد فهو ممنوع. إذاً: ربا الفضل في هذه الستة وما قيس عليها من كل مقتات مدخر.

والمقتات: الذي يصلح قوتاً للإنسان لا للحيوان.

والمدخر أي: أن يكون قابلاً لأن يدخر السنة والسنتين فلا يفسد.

ومن هنا لو بعت بطيخاً ببصل جاز التفاضل، ولو بعت ثوماً ببصل لجاز التفاضل؛ لأنه ليس بمدخر ولا مقتات، ولو بعت مثلاً تفاحاً بتمر لجاز التفاضل فيه؛ لأن التفاح ليس بمدخر، وهو مقتات نعم، ولكن لا يدخر.

وقد عرفنا هذا أمس وأعدناه الآن، وسواء كنا عاميين أو كنا طلبة علم، فالربا نوعان: ربا فضل، وربا نسيئة.

ربا النسيئة وهو: أخر وزد، كأن تقول: أعطني ألفاً إلى ست أشهر وأعيدها ألفاً ومائة.

وهذا هو ربا الجاهلية.

وربا الفضل في هذه الأنواع الستة وما لحق بها من كل مقتات مدخر، فلا نبيعهها متفاضلة أبداً، ونبيعهها أيضاً يداً بيد، ها وها.

والذي أمر بهذا وشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليحافظ على الإخاء والمودة، وعلى التراحم والتعاون، وعلى القلوب الطاهرة التي تشرق بذكر الله، فمجتمعنا ليس مجتمعاً هابطاً مادياً لاصقاً بالأرض، بل هو مجتمع يتطلع إلى أن ينزل في يوم ما في الملكوت الأعلى، بخلاف مجتمعات الكفر فهي هابطة إلى أسفل الكون. وهذا هو الفرق.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الربا: (الربا ثلاثة وسبعون باباً، أيسرها أن يزني الرجل بأمة).

ولن يقدم أحد على هذا، ولن يقوى على فتح بنك في بلد إسلامي ويدخل النار في بيوت الناس، وإنما الجهل هو السبب، فهيا نعلم ونستريح، وبدون علم يقيني لن يستقيم أمر المجتمع الإسلامي.

وهناك تفاضل في الربا، فأعظم و (أربى الربا عرض المسلم).

فالذي يفسد على المسلم امرأته ويفجر بها في بلاد المسلمين، والذي يفسد على أخيه ابنته ويفسد عقلها ويعيث بها قد فعل أربى الربا، ولا أربى من هذا.

والذي يمزق أعراض إخوانه ويتهمهم بأنواع الباطل والخبث والشر والفساد وهو يضحك قد أتى أعظم أنواع الربا؛ لأن الربا الأول ما حرم إلا من أجل هؤلاء المؤمنين. وهذا يذبح المؤمنين ويمزق أعراضهم، فهو أعظم شراً. فعلة تحريم الربا هي أذية المؤمنين، التي توجد بينهم العداوة والبغضاء والتقاطع والتدابير وعدم الرحمة، وتمزيق أعراهم وانتهاكها، هذا هو الذي حرم الربا من أجله، وهذا قد فعل أعظم منه، فلو عرف المسلمون هذا لما قدم أحدهم على أن يفجر بامرأة أخيه المؤمن وإفسادها عليه، أو إفساد ابنته عليه. وإنما وقعنا في هذا لأننا ما عرفنا، ولا جلسنا في حجر رسول الله وتعلمنا عليه، ولا جالسنا أولياء الله، ولا تربينا بين أيديهم، ولذلك انظر إلى العالم الإسلامي كيف يعيشون. الرجوع إلى الله وتحكيم الكتاب والسنة سبيل نجاة المسلمين

ليس هناك طريق للنجاة من هذا أبداً إلا طريقة ربانية سليمة، وقد تحدثنا عنها، وصحنا بها، ورفعنا أصواتنا بها سنين، وهي أن أهل القرية المسلمة يجتمعون في مسجدهم الجامع من المغرب إلى العشاء بنسائهم وأطفالهم، ويجلس لهم عالم بالكتاب والسنة، يعلمهم ليلة آية وأخرى سنة طول العام، والله لن يبقى في هذه القرية جاهل أو جاهلة. وطول العام وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا يقول: قال الله كذا، وقال رسوله كذا، ونحن نسمع ونحفظ ونعلم ونعمل، فوالله ما يبقى خبث ولا شر ولا فساد، ولا بغضاء ولا عدا، ولا كبر ولا حسد ولا عناد؛ لأن سنن الله لا تتبدل، فالسم يقتل والعسل بإذن الله يشفي. فإذا اجتمعنا يومياً طول حياتنا على الكتاب والسنة فلن يبقى الفساد أو الشر والخبث، ومستحيل أن يبقى. هذا هو الطريق، وبدون هذا لا تفكر، وأحياناً نقول: والله لو حكمنا عمر بن الخطاب ونحن على ما نحن عليه لما استطاع أن يهدينا أو يصلحنا، ولو قتل نصفنا، والدليل: أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة والوحي ينزل، وجبريل يتردد عليه، ولم يستطع أن يفعل شيئاً في مكة، ولا أن يهذب الأرواح ويؤدب الناس؛ لأنهم جهلة كافرون، ولما دخلوا في دين الله وقالوا: آمنا بالله واستقاموا بين لهم رسول الله، وألقى عليهم التكليف؛ لأنهم قادرون على النهوض بها، وما هي إلا عشر سنوات وهذه الديار تزدهر بالنور. حرمة طاعة الكفار وما يترتب عليها من هلاك وخسران

قال: [النداء السادس عشر: في حرمة] والحرمة والتحريم والمنع واحد [طاعة الكفار] سواء كانوا آباء أو أمهات أو إخواناً وأخوات [وما يترتب عليها من هلاك وخسران. الآية (149، 150) من سورة آل عمران : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْثُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ [آل عمران: 149-150]]. هذا النداء موجه إلى المؤمنين، والمؤمنون هم الذين يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، هؤلاء هم المؤمنون، ومنهم الأبيض والأصفر والأحمر والأسود، وعرب وعجم في الأرض، والذي ناداهم هو الله، والحمد لله أن الله لم ينادنا بعنوان: يا أيها الأكلون! أو يا أيها المصطافون! أو يا أيها الأغنياء! أو يا معاشر السود! أو البيض! بل نادانا بقوله: يا أيها الذين آمنوا! فلنقل: لبيك اللهم لبيك! مر نطعك، ونقولها بالقلب واللسان.

قال: [الشرح] يقول المؤلف لهذه النداءات: [اذكر أيها القارئ الكريم!] وهذا القارئ الذي يصبح هذا الكتاب عند رأسه، وعندما يريد أن ينام في الليل يسمع نداء من نداءات ربه، ويقول: لبيك اللهم لبيك! فإن كان فيه أمر تهيأ لتنفيذه، وإن كان فيه نهى استعد لترك المنهي، وإذا كان فيه بشرى حمد الله وشكره عليها، وإن كان فيه تحذير أو نذارة حذر وخاف وانتبه؛ إذ لا ينادينا ربنا ليلعب بنا أو يعبت! حاشاه! وتنزه الله عن اللهو واللعب، فهو لا ينادي عباده وأوليائه المؤمنين إلا ليأمرهم بما فيه سعادتهم، أو ينهاهم عما فيه شقاؤهم، أو يبشرهم بما يزيد في إيمانهم وصالح أعمالهم، أو ينذرهم مما يخاف عليهم منه من الشرك والشر والبلاء، أو يعلمهم علماً يسمون به ويرتفعون. ولا يناديهم لغير هذا أبداً، وقد تتبنا نداءاته التسعين في كتابه، فوجدنا أنه لا ينادينا إلا ليأمرنا بما يكملنا ويسعدنا، أو لينهانا عما يشقينا ويردنا، أو ليبشرنا أو ينذرنا أو يعلمنا. والله الحمد والمنة.

فالمؤمن- وخاصة الآن وقد عمت الثقافة وتمت الصحوة كما قالوا، وأصبح الرجل كالمراة يحسن القراءة والكتابة- يضع هذا الكتاب عند رأسه، فيضع له لوحة ويضعه عندها، كما وضع النصراني الإنجيل في الفنادق، فالمسيحيون دعاة النصرانية يتبرعون لأهل الفنادق العالية بنسخ من الإنجيل، وهذا الإنجيل والله إنه لمجموعة من الخرافات والضلالات، وكلام الله فيها أقل من (10%)، والباقي كله أضاليل، ويضعونه عند رأس النزيل - وجمعه نزلاء- ليقرا آية من الإنجيل، وأما نحن فبأيدينا نور الله، وعندنا كلام الله، والله ما زاد فيه أحد حرفاً، ولا قدر على أن ينقص منه كلمة، ولو تجتمع البشرية كلها على زيادة أو نقص في كتاب الله فوالله لن يقدرُوا، ومن يستغرب هذا نقول له: لقد مضى على نزول القرآن ألف وأربعمائة وأربع عشرة سنة، لم يستطع المستعمرون الذين داسونا وحكمونا في الشرق والغرب أن يبدلوا منه كلمة واحدة؛ لأن الله تعالى تعهد بحفظه، فقال عز من قائل رب العزة: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر:9].

والذكر هو القرآن، وقد سمي القرآن ذكراً لأنك لا تستطيع أن تقرأ القرآن دون أن تذكر الله في قلبك، ولا تستطيع أن تسمع من يقرأ القرآن ولا يخطر ببالك ربك، فهذا مستحيل، فالقرآن هو الذكر، قال تعالى: ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ [ص:1].

فلها صرفونا عن القرآن حتى ننسى الله ولا نذكره، ووضعوا لنا الأغاني. إذاً: فعلى كل مؤمن أو مؤمنة يحسن القراءة أن يفهم هذا الكتاب الذهبي النوراني، ونداءاته تسعون نداء، منها تسعة وثمانون نداء بـ: يا أيها الذين آمنوا! وواحد بـ: يا أيها النبي! وقدم الله الرسول صلى الله عليه وسلم هنا تشريفاً، والمأمورون به نحن، يا أيها النبي إذا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلُّوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ [الطلاق:1]. وهذا النداء وإن ابتدئ بالرسول صلى الله عليه وسلم فالمقصود به أمته، وما عدا ذلك فكل النداءات تبدأ بيا أيها الذين آمنوا! فيا من أنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً! اصغوا واستمعوا، وأحد المؤمنين من التابعين إما خارج الحجاز أو داخله قال لابن مسعود - وهو عبد الله بن مسعود الهذلي، كان دائماً وراء الرسول صلى الله عليه وسلم كالظل-: اعهدي إلي بشيء يا صاحب رسول الله! وأوصني بشيء، فقال له: إذا سمعت يا أيها الذين آمنوا! فأعزها سمعك، أي: إذا سمعت قارئاً يقرأ: يا أيها الذين آمنوا! أعطاها أدنك واسمع؛ فإنه خير تؤمر به، أو شر تحذر منه، وأنت لا تريد شيئاً غير أن تحذر الشر وتأخذ الخير، وليس هناك أكثر من هذا. وليعلم الجاهل وليذكر الناسي أن عبد الله بن مسعود هذا جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: (يا ابن أم عبد! اقرأ علي شيئاً من القرآن، فعجب عبد الله وقال: سبحان الله! عليك أنزل وعليك أقرأ؟! فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: إني أحب أن أسمع من غيري).

فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا [النساء:1]، الآيات، حتى انتهى إلى قول الله تعالى: فَكَيفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا [النساء:41-42]. قال: (وإذا بعيني رسول الله تذر فإن الدموع، وهو يقول: حسبك! حسبك! يا عبد الله!).

وأكشف الغطاء عنا، فما أنتم أيها المستمعون من الشرق والغرب! ليس منكم من قال لأخيه يوماً: أي فلان! اقرأ علي شيئاً من القرآن، وأنتم صفوة المسلمين وخلصتهم، فليس بيننا من قال لأخيه مرة: أي فلان! اقرأ علي شيئاً من القرآن، وقد حصل هذا، لنعرف مستوانا، ولن نستطيع أن نخترق السبع الطباق ونتجاوز مسافة سبعة آلاف وخمسمائة سنة حتى نصل إلى الفردوس الأعلى ونحن هكذا.

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ [النساء:69] أخبر الله عنهم أنهم قَالُوا لَكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا [النساء:69].

وقد تقولون: يا شيخ! طاعة الله وطاعة الرسول ليست بهينة ولا بسهولة، بل أمامها العقبات. والجواب: أيها الأبناء! لا عقبة سوى الجهل فقط، فمتى علم عبد الله أو علمت أمة الله وأصبح العلم يقينياً في قلوبهم ذابوا في طاعة الله عز وجل، ولا يبقى شيء صعباً أبداً.

والعلم الذي في المدارس التي عندنا والجامعات والكليات لا يكفي، فأقل بلد إسلامي أو دويلة صغيرة فيها الجامعة وفيها الكليات، وفيها المدارس والتعليم الرسمي، وهو واجب حتى للبنات أيضاً، ولكنه ليس له آثار، وليس هناك أنوار للعلم في سلوكنا؛ إذ لا يوجد بيننا من هو مطمئن النفس ساكن البال هادئ راض بحالنا، والسبب أننا ما طلبنا

العلم لله، وهذه ليست مبالغة، ومن ثم ما زلنا جهلاء، وما عرفنا الله معرفة إذا ذكر بيننا وجلت قلوبنا، وذرفت العيون الدموع؛ لأننا ما عرفناه.

وإذا كنتم تريدون أن تعرفوه فهذا الكتاب المسمى بنداوات الرحمن لأهل الإيمان اطبعوه ولا تبيعوه، ووزعوه على المسلمين، وترجموه إلى لغات المسلمين المختلفة، فهذا يسد مسداً لا يسده غيره، فنداوات الرحمن تسعون نداء احتوت على كل المعارف في الحرب والسلم، وفي المال والاقتصاد، وفي الآداب والأخلاق، وفي العبادات والتاريخ، وفي الشرائع، ولا إله إلا الله! فهذه موجودة في القرآن، فقد جمعت وقدمت لنا في ورقات، فلنحب ربنا وهو ينادينا.

بعض الدلالات والمعاني في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم ...)

قال: [فدلّت] هذه الآية [أولاً على أن الذين نادوا بالعودة إلى دين الآباء والاستكانة إلى قائد المشركين] وهو أبو سفيان في ذلك اليوم، وقد أسلم بعدها وحسن إسلامه [وطلب الأمن منه هم كفار في الباطن، مؤمنون في الظاهر، وهم المنافقون ورؤساؤهم، كابن أبي وإخوانه] فهؤلاء هم الذين طالبوا بالعودة إلى الكفر، وهم كفار في الباطن، لكن مؤمنون في الظاهر.

[وثانياً: أن طاعة الكافر والأخذ برأيه أو توجيهه وإرشاده تؤدي بمن أطاعه إلى الكفر حتماً] وليس في هذا شك، فوالله أن من أطاع الكافر فيما يقوله وبوجهه فقد كفر، فالكافر لا يأمر بالإيمان والإسلام وطاعة الرحمن، ولا بالاستقامة على منهج الحق والخير والنور، بل لا يأمر إلا بالفجور والباطل والكفر، فطاعتهم قطعاً يكفر صاحبها، وقد تقدم النداء الخطير: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ [آل عمران:100] [ومن كفر بعد إيمانه فقد خسر خسراناً مبيناً، وليس هذا خاصاً بزمان دون زمان، أو مكان دون مكان، بل طاعة الكفر تؤدي المطيع حتماً إلى الكفر] والله العظيم [إذ الكافر لا يأمر ولا يدعو ولا يهدي إلا إلى ما هو فيه وعليه من الضلال والكفر والخبث والشر والفساد] فالكافر لا يدعو إلى أن تقام الصلاة.

[وثالثاً: أن الطاعة الواجبة - وهي المنجية من الخسران في الدنيا والآخرة - هي طاعة الله ورسوله وأولي الأمر من المؤمنين، لا طاعة الكافرين والمنافقين؛ لأن من طلب النصر على العدو فليطلبه من الله مولاه القوي القدير العزيز الحكيم العليم الخبير، لا من عدوه وعدو مولاه، وهو الكافر الضال الحائر الهالك المتهالك، فهل مثل هذا يطلب منه النصر؟ ولنعد تلاوة الآية الكريمة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُم عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَقَّلُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ [آل عمران:149-150]] فهو الذي يطاع [أي: أطيعوه واطلبوا النصر منه؛ فإنه ينصركم وهو خير الناصرين.

ألا فليعلم هذا عباد الله اليوم، وليؤمنوا بالله، وليتقوه؛ فيصبحوا حقاً عبيده، وهو مولاهم الحق الذي لا مولى لهم سواه، ويومئذ إن أصابهم خوف، أو حلت بهم هزيمة لمخالفتهم هدي ربهم ونبيه صلى الله عليه وسلم فليطلبوا النصر منه سبحانه وتعالى؛ فإنه ينصرهم ولا يذلهم ولا يخزيهم، وكيف لا وهو مولاهم، وهم لا مولى لهم سواه؟ ألا فليعلم هذا كل مؤمن ومؤمنة، وليطيعوا ربهم ونبيهم وولي أمرهم منهم [إذ أنه مؤمن مثلهم لا كافر، وهنا يقول إخواننا: أولو الأمر عندنا ليسوا بشيء، فلا نطيعهم، وانتبهوا! فلو أطعنا الله عز وجل ورسوله وأطعنا أولي الأمر منا فوالله ما هبطنا هذا الهبوط، ولا أكلتنا هذه الفتن، ولا شوّهت قلوبنا وأبصارنا وعقولنا، ولكننا ما أطعنا، ونرجع باللائمة فقط على الحكام، ونحن في وضع يرثى له.

وما زلت أقول: إياكم أن تفهموا أن هذا الجهل والهبوط من الحكام، وانزعوا من أذهانكم هذا، بل هو والله لمنا نحن؛ إذ ما حدث في العالم العربي بالذات حاكم أجبر الناس على الكفر أو على الفسق والفجور قط، إلا ما كان فترة معينة من شيوعي عدن لما حكمت الشيوعية، فقد كفر الناس بالقوة، وما عدا ذلك المسلمون من أندونيسيا إلى موريتانيا هم الذين تحلّوا، وذهبوا وأعرضوا عن الله وكتابه ورسوله، فلا عذر أبداً.

[ولا يقبلوا طاعة غيرهم من أهل الكفر والنفاق والشرك والجهل من العرب أو العجم علي حد سواء، وليطلبوا نصر الله على من عاداهم أو حاربهم أو سألهم؛ فإن الله لا يخلف وعده في قوله: إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ [محمد:7-9].

ألا فلنقبل على الله في صدق، ولنثق في وعده؛ فإن الله لا يخلف وعده.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] .

قال: [وهنا في هذه الحالة المحزنة المخيفة قال من قال من المنافقين: ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم؛ فلو كان محمد نبياً ما قتل عمه وكثير من أصحابه، وجرح هو وكسرت رباعيته] وهذا ما يسمى بالطابور الخامس، فقد قالوا: لقد انتهينا وانهزمنا، ولو كان رسولاً ما انهزم [ومنهم من قال: استكينوا لأبي سفيان وأصحابه واستأمنوهم، أي: اطلبوا أمانكم منهم؛ لأنهم] هم [الغالبون، إلى غير هذا مما هو رغبة في العودة إلى الكفر بعد الإيمان، والعياذ بالله الرحمن!] والذين قالوا هذا هم المنافقون الذين يتشدقون بالإسلام والإيمان، وقلوبهم خالية فارغة، ليس فيها ولا قطرة من الإيمان، فقد أتاحت لهم الفرصة أن يظهروا، فقالوا: هيا عودوا إلى دينكم! [وفي هذا] الحادث [نزلت هذه الآية الكريمة وما بعدها] وهي قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُثُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَفَلُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ] [آل عمران: 149-150] هذا سبب نزول الآية فتأملوه. وقوله تعالى بَلِ اللَّهُ [آل عمران: 150] بالرفع، وحتى النصب لا بأس، أي: أطيعوا الله مولاكم، بل أطيعوا الله مولاكم. التحذير من الكفر بعد الإيمان

يقول الشارح: [اذكر أيها القارئ الكريم! أن هذا النداء الإلهي لعباده المؤمنين يحمل تحذيراً لهم وإنذاراً من الوقوع في فتنة الكفر بعد الإيمان، والضلال بعد الهداية، بل والموت بعد الحياة؛ إذ الكافر ضال بكفره ميت] فالكافر ميت، ومن يكفر منا فقد مات وانتهى أمره، فلا يطلب منه شيء، لا صلاة ولا صيام ولا جهاد، ولا بر ولا غير ذلك؛ لأنه ميت، والكفر موت [والعياذ بالله من الكفر بعد الإيمان، والموت بعد الحياة]. هزيمة المؤمنين في أحد

قال: [إنه لما تمت تلك الهزيمة للمؤمنين] وهذا عودة بنا إلى تاريخ رسولنا صلى الله عليه وسلم [في معركة أحد الخالدة] وأحد هذا جبل وراءنا، وتمت فيه أعظم معركة تاريخية، وانهزم فيها المؤمنون، وكانوا أظهر منا وأصفي، وأعلى وأكرم، وأصابتهم هزيمة [بسبب معصية بعضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم] فقط والله، فقد قال لهم: اجلسوا هنا لا تقوموا، فنزلوا وهبطوا [وما من حقهم أن يعصوه] فكانت هزيمة مرة [وما عصوه كفرة به] أبداً [ولا استخفافاً بطاعته، ولكن زين لهم الشيطان، وحسنت لهم نفوسهم ترك المراكز الدفاعية التي أنزلهم الرسول] القائد الحكيم [بها، وحذرهم من تركها ومغادرتها مهما كانت الظروف والأحوال، إلا أنهم لما شاهدوا العدو فاراً منهزماً، وإخوانهم في صفوف القتال يجمعون الغنائم هبطوا من جبل الرماة] وهو موجود الآن، فالمقبرة هنا، وجبل الرماة فوقها [وجروا وراء العدو يجمعون الغنائم كإخوانهم] فهم ما هبطوا من المراكز كفرة أو عدم رغبة في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما وسوس لهم الشيطان بأن العدو انهزم، والأموال مبعثرة، وإخوانكم يجمعون الغنائم، فانزلوا، فأنتم جلستم هنا من أجل الدفاع، فقد انتهى الدفاع، وانهزم المشركون، فاهبطوا، ولو لم يزين لهم الشيطان ذلك لقالوا: لا، فقد قال لنا القائد: لا تبرحوا أماكنكم ولا تنزلوا، فلن ننزل، ولكن ليمضي قضاء الله وقدره، ولتتم إرادة الله في تربية هذه الأمة، فهذه الهزيمة كانت سبباً في نصر بل في انتصارات لا حد لها، ولو جربوا العصيان ومعه النصر لانتهى أمرهم.

قال: [وما إن أخلوا مراكزهم الدفاعية حتى مال إليها العدو واحتلها، وسلط عليهم وابل السهام والنبال، فهزمهم، وفروا هاربين تاركين رسولهم تسيل دماؤه، وهو يدعوهم: (إلى عباد الله! إلى عباد الله!)]. كما قال تعالى: [إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ] [آل عمران: 153] ومعنى تصعدون أي: تصعدون الجبال، فأصعد في الأرض إذا سار فيها ومشى، والغم [الأول] هو: [غم فوات النصر والغنيمة] وهذا غم أصابهم بعدما ظنوا أنهم انتصروا ففات هذا، فأصابهم الله بهذا الغم [و] الغم [الثاني] القتل [إذ استشهد منهم سبعون بطلاً، وعلى رأسهم عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبه حمزة أسد الله في الأرض، وضاع كل شيء] وجراحات نبيهم صلى الله عليه وسلم، إذ جرح في وجهه، وكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم [وقد حدث هذا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نريد أن نسود ونعلو وترتفع راية لا إله إلا الله، ونحن لسنا بشيء مع أولئك المؤمنين في طاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 17

الكافرون هم أعداء الله، يظهرون عداؤهم لدينه ونقمتهم على أوليائه، أما المنافقون فهم شر منهم، إذ يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والإلحاد، ولا يدعون مناسبة يسعهم فيها التثبيط من عزيمة المؤمنين، ويوهنون من قوتهم إلا اهتبلوها، لذلك فقد حذر الله سبحانه وتعالى من الركون إليهم، ومشابهتم في سلوكهم وأخلاقهم، وأقوالهم، وتوعد فاعله بالعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة.

صفات المؤمنين الواردة في سورة الأنفال

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان. وهذه النداءات هي نداءات الله عز وجل الواردة في كتابه القرآن العظيم، وقد بلغت تسعين نداء، وهي تحمل الهدى والخير والفلاح للمؤمنين.

وقد نادى تعالى المؤمنين لأنهم أوليائه، وهو وليهم؛ لأن المؤمن التقى هو ولي الله عز وجل بحق، واقرأوا لذلك قول الله عز وجل من سورة يونس عليه السلام: **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** [يونس:62].

فلا خوف عليهم في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة، ولا حزن كذلك ينتابهم ويمزق قلوبهم، ويسيطر على أحاسيسهم ومشاعرهم، فأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثم قال تعالى في بيان هذا: **الَّذِينَ آمَنُوا** [يونس:63]، أي: صدقوا التصديق الجازم بكل ما أمر الله تعالى ورسوله أن تؤمن به ونصدق، وسواء كان من عالم الغيب أو عالم الشهادة، فلا نرد على الله ولا على رسوله صلى الله عليه وسلم غيباً ولا شهادة، وَكَانُوا يُتَّقُونَ [يونس:63].

لا بأس معاشر المستمعين والمستمعات! أن نستعرض لوحيتين من لوحات القرآن الكريم ليشاهد المستمعين والمستمعات أنفسهم على تلك اللوحيتين الأولى والثانية؛ لتأكد هل نحن مؤمنون؟ اللوحة الأولى: من سورة الأنفال، إذ قال تعالى وقوله الحق: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ** [الأنفال:2]، أي: بحق وصدق لا بالادعاء والنطق، **الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** [الأنفال:2-4].

فلننظر معاشر المستمعين! هل نرى أنفسنا بينهم؟ وهل نحن معهم؟ ولنعد إلى اللوحة وننظر.

أولاً: الخوف من الله تعالى إذا ذكر وزيادة الإيمان عند سماع آياته والتوكل عليه

قال تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** [الأنفال:2]، أي: خافت قلوبهم، فالذي يغشى كبيرة وتقول له: يا أخي! خف الله، فلا يتعظ ولا يتحرك قلبه فليس بمؤمن، وليعلم أنه ما آمن، والذي يتوكل على زوجته أو ولده .. على وظيفته .. على عمله وسعيه ولا يتوكل على الله الذي بيده كل شيء فليس بمؤمن.

وعلى سبيل المثال: من يزعم أنه مؤمن وهو يبيع المحرمات في متجره وإذا ذكر بالله يرفض أن يتخلى عن بيع الحرام، ويخاف أن يفقر أو أن يجوع أو يعرى، ويصر على بيع ذلك المحرم للمؤمنين؛ ليفسد عليهم نفوسهم وقلوبهم فهذا لم يتوكل على الله، ولم يعرف التوكل على الله.

والذي يعجز عن أداء فريضة مع المؤمنين لأوهام ومخاوف في نفسه هذا لم يتوكل على الله.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ [الأنفال:2] أي: بصدق وحق الذين إذا ذكر الله وجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ [الأنفال:2].

لا على الوظيفة ولا المرأة ولا الولد ولا المزرعة ولا المتجر يتوكلون، ولكن على ربهم فقط يعتمدون، ويفوضون أمورهم إليه، ولا يخرجون عن طاعته، أو يفسقون عن أمره من أجل وهم يتوهمونه في طعامهم أو شرابهم أو لباسهم.
ثانياً: إقامة الصلاة

ثم قال: الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ [الأنفال:3].

وإقام الصلاة معاشر المستمعين! له شأنه وله كفيته، وإقام الصلاة لا يتم للعبد إلا إذا شهد بيوت الله ليصلي فيها مع المؤمنين أولياء الله، ولا يقال: أقام الصلاة لمن يؤخرها عن أوقاتها، أو لمن يؤديها وقلبه بعيد عن الله لا يخشاه، ولا ترتعد له فرائضه، ولا تذرف عيناه الدموع، ولا يشعر بأنه بين يدي الله، وإذا فقدت الصلاة الخشوع فقدت روحها وماتت، ولا الذي لا يطمئن في ركوعه ولا في سجوده ولا يعتدل، وينقرها كنقر الديك للحب، فهذا ما صلى، وقد ورد في هذا قول الله تعالى: قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ [الماعون:4-5].
ثالثاً: الإنفاق مما رزقهم الله

ثم قال: وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [الأنفال:3].

أي: مما أعطاه الله من القليل والكثير ينفق، ولا يضمن ولا يبخل في حدود قدرته واستطاعته.
هذه آيات الإيمان وبراهينه.
فلننظر هل نحن مؤمنون؟

صفات المؤمنين الواردة في سورة التوبة

اللوحه الثانية: من سورة التوبة: يقول تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ [التوبة:71].

رابعاً: طاعة الله ورسوله

وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [التوبة:71] في كل أمر أمرا به، أو نهى نهياً عنه، إذا كان الأمر للوجوب، وكان النهي للتحريم، وما كان للندب والكرهية التنزيهية فهما ميدان المسابقة والتنافس بين أولياء الله.
معشر المؤمنين والمؤمنات! إن شاء الله ونرجوه أن تكون ظهرت لنا صورة في هذه الشاشة، ومن ظهر هنا واختفى هناك فليعمل على أن يظهر هناك.
من صفات المؤمنين صوم رمضان

من صفات المؤمنين: صوم رمضان، ولنعلم أنه ليس علينا أبداً ضغط ولا إكراه ولا معاناة أبداً، قال تعالى: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ [الحج:78].

أبداً، بل فقط نطارذ شياطين الكسل والأوهام والوساوس من النفوس، والله عز وجل لم يكلفنا بأمر يشق علينا ولا نقوى عليه أبداً، فقال: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ [الحج:78]، وهذا الصيام يقول تعالى فيه: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ [البقرة:184].
يقضيها ويصومها.

والآن مع النداءات الرحمانية، وهذه النداءات رغبناكم أمس فيها، وما زلنا نرغب حتى قلت: المفروض أن توجد هذه عند وسادة كل مؤمن، فهي كتيب صغير يضعه عند رأسه، وقبل أن ينام يسمع نداء من تلك النداءات من ربه، وينظر هل استجاب الله؟ فإن استجاب حمد الله وشكره، وإن وجد نفسه قد قصر فليعزم على التوبة والرجوع إلى الله، والقيام بما أوجب عليه، أو بما نهاه وحرم عليه.

وبهذا نوجد مربين لنا، فقد فقدنا المربين، وهذا قضاء الله وقدره، لكن مثل هذا الكتاب كالمربي، فتضعه عند رأسك، والحمد لله مصابيح الضوء موجودة، وقبل أن تنام اسمع نداء وتأمله، وقل: لبيك اللهم ولبيك! فإن كان أمراً قممت به،

وإن كان نهياً تخليت عنه وابتعدت وتركته، ولا تزال هكذا حتى تكمل في آدابك .. في أخلاقك .. في عقائدك .. في عبادتك، ووالله لتكملن الكمال المطلوب؛ لأن العلم نور، وصاحبه لا يقع في المهاوي والحفر والمهلك، وهو يعيش على نور من ربه.

والقرآن نور، فقد قال تعالى: فَأَمُّوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا [التغابن:8].

وهو روح، وعوا هذا معاشر المؤمنين والمؤمنات! فالقرآن روح، ولا حياة بدون روح، ولا توجد حياة بدون روح والله، لا في الإنس ولا الجن ولا الحيوان، بل إذا فقد الكائن روحه مات، والقرآن روح، واقرءوا لذلك قول الله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا [الشورى:52].

وهو القرآن والله، وقد كانت أمة العرب في هذه الديار ميتة قروناً عديدة، ثم حييت وكان سبب حياتها القرآن. فمن هنا أنصح للمؤمنين أن يتعاونوا على نشر هذا الكتاب، وبما أنهم فقدوا المربين من قرون فهذا كلام الله يربينا إن صدقنا، فيضعه أحدنا عند رأسه، وكل ليلة يسمع نداء ويتفهمه، ويعاهد الله عز وجل على العمل بما أمره به، وعلى ترك ما نهاه عنه، وعلى الأخذ بما أرشده إليه، ولا يزال كذلك حتى يكمل! وقد سبق هنا أن قلت للمؤمنين والمؤمنات: بما أننا فقدنا المربين من قبل أكثر من خمسمائة سنة، أي: خمسة قرون، وليس هناك مربون نجلس في حجورهم، ونخرج بين أيديهم ربانيين، بل قد عمت الجهالات واضطربت الحياة فعلى الأقل يأخذ أحدنا أخاً له من أهل القرية .. من أهل العمل .. من أهل المسجد ويتأخى معه، ويقول: أي أخي! أسألك بالله ألا ترى في نقصاً إلا وضعت يدي عليه، وألا ترى في عيباً إلا نبهتني إليه، وأمرتني أن أفعل أو أترك، ويقول الثاني: وأنا كذلك، أسألك بالله ألا ترى في نقصاً إلا بينته لي، وأعنتني على إكماله وتكميله.

ولو أخذنا بهذا فقط لتربينا، ولكن لا هذا ولا ذاك، وما زلنا كما تعلمون ونعلم. فإذا: هذا الكتاب اجعله شيخك وأستاذك ومربيك ومعلمك، فضعه عند رأسك كل ليلة، وقبل أن تنام اقرأ نداء، وافهم ما فيه، والتزم بما دعاك إليه، ولا تزال تكمل وتكمل حتى تبلغ مستوى الكمال المطلوب للمؤمن ولي الله. أرجو أن يكون السامعون قد وعوا هذا وفهموه.

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثانياً: يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ [التوبة:71].

فلا يرى أحدهم معروفاً ترك أو أهمل أو ضيع في بيته أو بين إخوانه أو في شارع وطريقه إلا أمر به بالرفق واللين والابتسام على الوجه، فيقول: أي بني! أو أخي! افعل كذا فإنك مؤمن، ولا يرى منكراً ويشاهده مرتكباً معمولاً به إلا قال لفاعله: أي أخي! أو بني! هذا لا ينبغي لمثلك؛ فأنت مؤمن! وهذا القول وهذا السلوك لا يصح منك وأنت ولي الله، فاترك هذا.

فمن صفات المؤمنين أنهم يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ [التوبة:71]. ولا فرق بين الذكر والأنثى .. بين الرجل والمرأة؛ إذ الكل مخاطب بهذا الخطاب.

ثالثاً: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ [التوبة:71].

وإقام الصلاة يا أبناء الإسلام! حقيقة: إذا قال المؤذن: حي على الصلاة وقف دولا ب العمل، ورأيت أهل القرية .. أهل الحي .. أهل المدينة .. أهل السوق .. أهل المصنع أوقفوا العمل وأقبلوا على ربهم، وما إن تنتهي تلك المقابلة مع ذي الجلال والإكرام حتى يعودوا إلى أعمالهم يديرونها بصورة أقوى من الأولى؛ لأنهم استمدوا طاقة أخرى على أعمالهم.

وهذا هو إقام الصلاة.

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ [التوبة:71].

فإذا حل حولها ووجبت لم يترددوا في إخراجها.

أولاً: موالاة المؤمنين

المؤمن ولي المؤمن والمؤمنة، والمؤمنة ولية المؤمن والمؤمنة، والولاية هنا تتحقق بالحب والنصرة، فالولاية تتحقق بأمرين: الأول: حبك لأخيك المؤمن.

والثاني: نصرتك له، لا هزيمتك له، ولا إعلان الحرب عليه، وبدون الحب والنصرة لا تتحقق ولاية المؤمنين، ويكذب من يدعي أنه يوالي المؤمنين وهو يكرههم، ويقف ضدهم ولا ينصرهم.

وتأملوا هذه الآية: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [التوبة: 71].

ومرة ثانية انظر يا عبد الله! إلى شاشة هذه الآية النورانية، فهل ترانا أو لا؟ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض [التوبة: 71].

والولاء ضد البراء، فالولاء حب ونصرة، فمن كان يبغض المؤمنين فوالله ما هو بالمؤمن! والذي يهزم المؤمنين بل يحاربهم وينتهك حرمتهم ويمزق أعراضهم ويقف إلى جنب عدوهم ينصره عليهم والله ما هو بالمؤمن، بل المؤمن كما قال تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ [التوبة: 71] بحق بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [التوبة: 71].

حرمة التشبه بالكافرين والمنافقين في عقائدهم وسلوكهم

قال: [النداء السابع عشر: في حرمة التشبه بالكافرين والمنافقين في عقائدهم وفي سلوكهم] هذا النداء نادانا فيه ربنا جل جلاله ليمنعنا ويحرم علينا التشبه بالكافرين والمنافقين في القول وفي الحركة وفي الأخذ وفي العطاء، فلا تشابه أبداً بين ميت وحي .. بين نجس وطاهر .. بين كامل وناقص .. بين من يتأهل لأن ينزل الدرجات العلى وبين من يتأهل لأن ينزل الدرجات السفلى.

فقد حرم علينا مولانا وسيدنا وربنا جل جلاله التشبه بالكافرين والمنافقين في عقائدهم وسلوكهم؛ لأنهم أموات، والذي يتشبه بالميت ليس عاقلاً، فإذا أردت أن تكون كالميت فأغمض عينيك كما أغمضهما ومد رجلك، ولا يفعل هذا عاقل.

والدليل على أن الكافر ميت: أن اليهود الذين في بلاد المسلمين والنصارى الذين هم من جملة المواطنين إذا هل هلال رمضان لم يأمرهم الحاكم المسلم بالصيام ويقول لهم: صوموا؛ لأنهم أموات، والميت لا يكلف، ولا يأمرهم بأن يحجوا، ولا بأن يدخلوا المسجد ليصلوا، والله ما يأمرهم؛ لأنهم أموات غير أحياء، ولأن الروح الحق هو روح الإيمان، فإذا دخل هذا الروح في الجسم فالعين تبصر، والأذن تسمع، واللسان ينطق ويعرب، وإذا خرجت الروح لم يبق شيء.

إذاً: عباد الله! أولياء الله! اسمعوا نداء الله إليكم: [الآية (156) من سورة آل عمران : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [آل عمران: 156]].

وهذا كلام عال لا نصل إليه إلا بالتدرج.

واسمع ما يقول الله فيه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا [آل عمران: 156].

أي: كفروا بالله رباً وإلهاً، وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالأخرة وما فيها من جزاء، وبالكتاب وما فيه من شرائع، فهم أموات.

ف لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا [آل عمران: 156] في سلوكهم .. في اعتقادهم .. في منطقهم .. في نظرهم .. في تفكيرهم .. في أعمالهم، فلا نتشبه بميت، فنموت كما مات، ونخسر كما خسر، بل نتشبه بالأحياء؛ لنكتسب الحياة وكمالها، ولا نتشبه بالأموات، وآثار هذا تجلت كالشمس في الضحى لما أخذ المؤمنون بهذا المنهج، ففي خمس وعشرين سنة فقط أصبحت المدينة النبوية هذه عاصمة العالم، فهذه طيبة هي القرية التي أكلت القرى، ولم تمض خمس وعشرون سنة إلا وقد انتشر نور الله في الأرض، بلا هيدروجين ولا ذرة، ولا صواريخ ولا نفاثات، وإنما بسبب فقط أنه حيى القوم، ومن دونهم كانوا أمواتاً، فساقوا الأحياء والأموات إلى مطاهر الحياة، فطهروا البشرية، وأصلحوها وهيئوها للكمال، فسعد من سعد، وخرج بلايين المؤمنين من تلك الدعوة التي هي دعوة القرآن الكريم، فأتت نتائجها، وأظهرت براهينها، وأعطيك صورة من ذلك: سلمان الفارسي - الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: (سلمان منا أهل البيت)- كان أعجبياً، ووالده كان قيماً على إله المجوس النار، وتنقل من إقليم إلى إقليم، وبيع مرتين عبداً رقيقاً، حتى وصل إلى هذه المدينة؛ لأن بعض العالمين من المسيحيين نصحوا له أن نبي آخر الزمان قد أطل زمانه،

وأنه يوجد في كذا، وأنه يخرج من جبال فاران، أي: جبال مكة، وينزل مهاجراً بيثرب، وهي قرية من القرى ذات نخيل وسبخة، فجاء إلى المدينة، وما إن طلعت الشمس المحمدية ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، بل كان ما زال في ديار بني عوف في قباء حتى جاء بهدية من التمر يقدمها للرسول صلى الله عليه وسلم، وقال: خذ هذه صدقة، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنا لا نأكل الصدقة). فذهب فلما كان من الغد جاء بهدية أخرى وقال: خذ هذه هدية.

فقال: نعم. نأخذ الهدية، فقال: أشهد بالله أنك رسول الله! لأن هذه النعوت والصفات في الإنجيل والتوراة. وقد عاش سلمان أكثر من مائة وستين عاماً، ولما ولي عمر الخلافة أو أبو بكر عين والياً وحاكماً في البصرة من أرض العراق، فكان يمشي في الشارع وحده، والعصا في يده، ويلبس السروال القصير تحت ركبتيه قليلاً. فجاءت قافلة تجارية من الشام، فأناخوا إبلهم، أو أوقفوا حميرهم أو بغالهم؛ لأنه لم يكن يوجد يومئذ في العالم إلا البغال والإبل والحمير، وطلبوا فندقاً أو نزلاً فدلوا عليه وعرفوا مكانه، فمر سلمان والعصا في يده يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فقالوا: حمال تعال احمل إلى الفندق الفلاني، وظنوه حمالاً، وهو أمير البصرة، فوالله لقد أخذ حقبة على رأسه وأخذ أخرى بيده ومشى، فمر بهم رجل من أهل المدينة فقال لهم: ويلكم! هذا إمام المسلمين، هذا حاكم المدينة، فاطرحوا بين يديه يعتذرون وبطالبونه السماح، فقال: والله لأصلن بها إلى الفندق، ووصل بالحقيتين إلى الفندق.

والذي كمل هذا البشر ورفع ووصل به إلى هذا المستوى الذي لم تحلم الدنيا به هو القرآن والسنة .. النور الإلهي والروح الرباني.

وهذه أمكم الصديقة رضي الله عنها - ومن قال: ليست أُمي فهو كافر، ولعنة الله عليه إلى يوم الدين- لما ولي معاوية رضي الله عنه أمر المؤمنين بعد وفاة الخلفاء الراشدين بعث إليها بمال -لأنها أمه، فهي عائشة بنت الصديق ، وهي أم المؤمنين، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم- فبعث لها بمال من بيت المال، فوزعت المال على كل أهل البلاد، وكانت يومئذ صائمة لله متطوعة، وجاء الإفطار وأذن المؤذن، فقدمت لها خادماتها خبزاً جافاً بلا مرق، فقالت لها: أي فلانة! لو أنك اشتريت لنا بدرهم زيتاً حتى نأكل به الخبز، وكانت خادماتها قد ظلت طول النهار توزع ذلك المال على بيوت المؤمنين والمؤمنات ولم تبق درهم، وأفطرت وتعتت بالخبز الحاف الجاف، والذي فعل بهم هذا وحولهم هكذا نور الله الكتاب والسنة، لا الاشتراكية ولا العلمانية ولا الديمقراطية ولا الصليبية، فلا تطمع عبد الله! في أن مجتمعاً ما سيظهر ويسمو ويرتفع وتتجلى به حقائق الإيمان إلا إذا اجتمعوا في صدق على كتاب الله وسنة رسوله، يعلمون ويعملون بجد وصدق، وما وراء ذلك إلا الهبوط والتمزق والتلاشي والشفاء.

وفي هذا النداء الكريم يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا [آل عمران:156]. والذين كفروا هم اليهود والنصارى والبولذيون والمجوس وغيرهم، فكلهم كفروا بالله ولقائه ورسوله وكتابه، وجحدوا ذلك وتكفروا له، وأولئك أموات غير أحياء، فلا نكن مثلهم.

وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ [آل عمران:156]، أي: سافروا للتجارة، والآن ما يضرب في الأرض، بل يطير كالجني، وأما قبل ذلك فلا بد من ضرب الأرض، فقد كان يمشي ألف كيلو أو مائة برجليه يضرب الأرض. أو كانوا غزى [آل عمران:156]، أي: غزاة يغزون في سبيل الله بلاد الكفر؛ لتحويلها إلى ديار الإيمان. فإذا أصابهم الأجل وماتوا يقولون: لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا [آل عمران:156].

فهذا الخلق الهابط إياك يا عبد الله! أن تتخلق به، وسبحان الله! فאלله يربي الله هذه الأمة حتى في هذا الخلق، فلا تكونوا كالذين كفروا الذين يقولون في إخوانهم إذا ضربوا في الأرض مسافرين عليها للتجارة والكسب أو كانوا غزاة مجاهدين فمات من مات: لو كانوا عندنا ولم يخرجوا ما ماتوا وما قتلوا. واسمع ما يقول الله تعالى: لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ [آل عمران:156].

فالله هو الذي يجعل ذلك القول الذي قالوه حسرة في قلوبهم، وصحيح أنهم كانوا مختلطين، فاليبيت الواحد فيه مشرك وفيه موحد، وفيه منافق وفيه مؤمن صادق، فإذا اجتمعوا يقولون: فلان مات مع الأسف! ولو لم يخرج ما كان يموت، ويتحطمون بهذا الحزن، أو يقولون: فلان قتل في المعركة الفلانية .. في السرية الفلانية، ولو ما خرج لما مات ولما قتل، فيحدث ذلك الحسرة التي لا نتصورها في قلوبهم، وهذا من الله؛ لأنهم أعداؤه، قال تعالى: لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ [آل عمران:156].

فالمسافر ليس السفر هو الذي يقتله، والمقيم ليست الإقامة هي التي تحييه، بل الحياة والموت بيد خالق الموت والحياة، وهو الله، والسفر أو الجهاد لا ينقصان من العمر، والإقامة والجبن والملازمة للبيت والله لا تزيد في العمر لحظة، فضلاً عن دقيقة، فانظر كيف يربي الله أوليائه.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [آل عمران:156]، أي: خبير عليم يبصر كل حركاتكم وسكناتكم، وانظر كيف يربي الله ملكة المراقبة في نفوس أوليائه؛ حتى يصبح المؤمن والمؤمنة دائماً مع الله، ودائماً يراقب الله، فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة فقبل أن يتكلم ينظر هل الله يسمح بها أو لا يسمح؟ وهل فيها رضا الله أو فيها سخط الله؟ إذاً: هيا نتغنى بهذا النداء؛ ليصدق حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فينا: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده). اللهم اجعلنا منهم.

والآن وقد فهمنا معنى هذا النداء نقرأ الشرح؛ لما فيه من زيادة بيان وتوضيح.

معنى حديث: (من تشبه بقوم فهو منهم)

قال: [هذا ولنذكر قول الرسول] الكريم [صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم)] وهذا الحديث يصلح لمحاضرة في ساعتين، وهو نور، فاحفظه فقط يهديك الله لمعناه، (من تشبه بقوم فهو منهم). وأنا أضرب المثل وأقول: انتني بشخص يريد أن يتشبه بأخر عن عزم وقصد فوالله لا يلبث أن يصبح كأنه هو في مشيته .. في تفكيره .. في منطقه .. وفي غير ذلك.

وقد مررنا مرة - والعياذ بالله- بمطار وجدنا فيه شباناً عاشوا أياماً في العهر والزنا والفجور في ذلك البلد، واجتمعنا في المطار، وكانوا والله ليتحدثون بحديث العواهر، ويمشون مشيتهن، فقد أحبوهن فاكتسبوا صفاتهن. فافهموا هذا.

ومن عزم على أن يتشبه بعلي بن أبي طالب فلن يكون إلا مثله، فهذه سنة الله، فالرسول أستاذ الحكمة ومعلمها، فلما أطلق هذه القاعدة فوالله لن تتخرم، ولو اجتمع علماء الدنيا كلهم على إبطالها فوالله لن يبطلوها.

(من تشبه) بمعنى: أراد وعزم فمن أراد وعزم وأخذ يتحرك حركة العاهرة فوالله ليصبحن في زيتها وسلوكها، ومن تشبه بمغن راقص من المغنين الفنانين وأخذ قلبه يحبه فوالله ليصبحن كأنه هو، فافهموا هذا.

إذاً: احذر يا عبد الله! أن تتشبه بالفساق والفجار والمجرمين والمتكبرين، فإنك لا تلبث أن تأخذ صفاتهم، وتشبه بالصالحين فلن تلبث أن تكون مثلهم في أخلاقك وسلوكك وحركاتك وسكناتك.

وسبحان الله العظيم! [فمن تشبه بالصالحين فهو صالح، ومن تشبه بالفاسدين فهو فاسد؛ لأن سنة الله تعالى في أن من رغب في شيء وطلبه بجد ورغبة حصل عليه وفاز به، وما تشبه أحد بأخر إلا لرغبة في نفسه أن يكون مثله، فهو كائن إذاً لا محالة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: (من تشبه بقوم فهو منهم).

وأخيراً: أيها القارئ أو المستمع لهذا النداء! وما حواه من النهي عن التشبه بالكافرين في الاعتقاد والقول والعمل والفهم وحتى الذوق [أيضاً، مثل الذين يأكلون بشمائلهم وهم مؤمنون، أو الذين يركبون السيارات ويضعون السيارة في أيديهم، ويضعون أيديهم على جانب السيارة وينفخون، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يفعل هذا، وإنما هذا تشبه باليهودي أو النصراني] فاحذر أن يراك الله تعالى تتعمد [وتقصد] التشبه بالكافرين؛ فإن عذاب الله شديد، واذكر قوله: وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [آل عمران:156].

ولا تغفل عنه ولا تنسه.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

منهج الكفار والمنافقين في تثبيط المؤمنين

قال: [الشرح: من مظاهر رحمة الله بالمؤمنين وإكرامه لهم؛ لأنهم أولياؤه بإيمانهم به وبلقائه، وتقواهم له بفعل أوامره واجتناب نواهيه - من مظاهر إكرامه لهم- أنه لم يرض لهم أن يتشبهوا بأعدائه وأعدائهم، وهم الكفرة المشركون والمنافقون] والله أعداء، وهم كل الكفار، فكل كافر ومنافق عدو الله، وقد أصبح عدو الله لأنه يحاربه، ويحارب أوليائه، ويعطل شرائعه، ويبعد الناس عن طاعته، وليس هناك عدو أعظم من هذا.

وأنت تقول: عدوي فلان لأنه سرق دابتي، أو لأنه وضع حجراً في الطريق لأعثر فيها، وعدو الله هو الذي يعذب أوليائه ويحاربهم [إذ ناداهم بعنوان الإيمان قائلاً: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ [آل عمران:156].
ونهاهم عن التشبه بالكافرين والمنافقين بقوله: لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا [آل عمران:156].

والكفر أقبح ذنب وأسوأ، أي: لا تكونوا مثلهم في الكفر والنفاق، وفيما يتولد عنه من الظلم والخبث والشر والفساد وسوء الأخلاق [فالكفر حيوان، بلد الحيات والثعابين والمفاسد والشرور] ومن ذلك: قولهم لإخوانهم في الكفر والنفاق إذا ضربوا في الأرض -أي خرجوا مسافرين- في تجارة وغيرها وأصابهم حادث من خوف أو جوع أو مرض فماتوا أو خرجوا غزاة مقاتلين فقتلوا في المعارك الجهادية [لو كانوا معنا لم يصبهم ما أصابهم.

قال: [وهم من المنافقين بوصفهم مؤمنين في الظاهر وهم كافرون في الباطن؛ إذ النفاق هو إظهار الإيمان وإخفاء الكفر في النفس، فقالوا لإخوانهم المنافقين في مجالسهم الخاصة: لو كان فلان وفلان وفلان عندنا ما خرجوا مسافرين غزاة مقاتلين، وما ماتوا وما قتلوا، فينتج لهم هذا القول حسب سنة الله تعالى الحسرة والندم والحزن والألم في نفوسهم، كما قال تعالى: لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ [آل عمران:156]، أي: حسب سنته حسرة في قلوبهم [آل عمران:156].

فهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين الصادقين عن التشبه بحال الكافرين والمنافقين، الظاهرة والباطنة حتى في السلوك النفسي الخفي، كهذا الذي هو قولهم لإخوانهم: لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا [آل عمران:156]؛ لما ينتج ذلك من الحسرة التي هي ألم يأخذ بخناق النفس بسبب فوت مرغوب، أو فقد محبوب، والله تعالى لا يحب لأوليائه وصالحى عباده المؤمنين به وبلقائه والمطيعين له ولرسوله، لا يحب لهم ما يؤذيهم من حزن أو حسرة أو ندم، فلذا نهاهم عن التشبه بالكافرين، بقوله: لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا [آل عمران:156].

ثم ذكرهم بقوله: وَاللَّهُ يُخَيِّ وَيُمِيتُ [آل عمران:156].

ليعلمهم أن الله تعالى هو الذي بيده الحياة والموت؛ فقد يحيى المسافر والغازي، ويميت المقيم في داره وبين أهله، والقاعد عن القتال دون غيره؛ إذ الأمر له، وهو على كل شيء قدير، فلا معنى إذا لما يردده أولئك الكافرون من قولهم: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، إلا أن يجعل الله تعالى ذلك حسرة في قلوبهم.

ألا فليحذر المؤمنون مثل هذا القول؛ فإنه قول باطل، ويجلب الألم والحسرة والعياذ بالله تعالى، كما يحذرون كل تشبه بالكافرين في الزي والسلوك، وحتى [في التفكير والهمم بالأمر] والعزم عليها [للفوارق] الكثيرة [بين المؤمنين والكافرين] الفوارق [في الاعتقادات والقول والعمل والصفات الظاهرة والباطنة] فهناك فوارق كبيرة بين المؤمن والكافر، ويكفي أن المؤمن حي والكافر ميت، لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل ولا يعطي ولا يأخذ.

[وختم تعالى توجيهه لعباده المؤمنين بقوله: وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [آل عمران:156].

تأكيداً لنهيته لعباده المؤمنين عن التشبه بالكافرين في الظاهر والباطن؛ لما فيه من الضرر وسوء الحال والمآل، فأعلمهم أنه بصير بأعمالهم الظاهرة والباطنة.

ألا فليعلموا ذلك وليحذروا التشبه بأعدائهم، وإلا فستحل العقوبة بهم كما حلت بغيرهم؛ لأن الله تعالى سنناً لا تتبدل ولا تتحول [ولا تتخلف، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا [الفتح:23].

والواقع شاهد، وحال المسلمين واضحة.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 18

إن الله عز وجل حينما يأمر عباده بأمر فإنما يأمرهم بما فيه صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، وهو هنا يحثهم على الصبر على طاعته تعالى، والصبر عن مناهيه، والصبر على بلائه، ويدعوهم إلى المصابرة عند لقاء العدو والتحام الصفوف للقتال، ويحضهم على الرباط في سبيله حفظاً لبيضة الدين، ودفاعاً عن حياض المسلمين، وأن يتقوه سبحانه وتعالى، ووعدهم لقاء ذلك بالفوز العظيم.

الأمر بالصبر والمصابرة والرباط والتقوى رجاء الفلاح

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله وإياكم منهم.

أمين.

وهذه النداءات الإلهية حواها كتابه الكريم القرآن العظيم، وهي تسعون نداءً، وقد حوت كل ما يحتاج إليه المسلم في هذه الحياة، وما تركت مطلباً من مطالب حياة الكمال والطهر والصفاء إلا وقد اشتملت عليه، وواجب كل مؤمن ومؤمنة أيضاً، أن يستمع إلى هذه النداءات أو يقرأها، فإن كان في الإمكان أن يقرأ فليقرأ، وإن كان لا يقرأ فليستمع إليها، وحسبك يا عبد الله! أن تعلم أن الله ناداك بعنوان إيمانك؛ لأن المؤمن حي، يعي ويفهم، ويسمع ويبصر، ويقوى على أن ينهض بالتكاليف، فما كان فعلاً فعله، وما كان تركاً تركه.

وقد انتهينا في هذه النداءات إلى النداء الثامن عشر منها.

وإليك هذا النداء الكريم: [النداء الثامن عشر] وهو [في الأمر بالصبر والمصابرة والرباط والتقوى رجاء الفلاح] والفلاح هو الفوز، ويكون الفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة، فقد قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: 9-10].

وفسر لنا الفلاح بالفوز، وفسر الله تعالى لنا الفوز بقوله في هذه السورة: فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران: 185].

فهيا نتغنى بهذا النداء حتى نحفظه باذن ربنا، ثم نتعرف إلى محتوياته من العلوم والمعارف الإلهية.

قال: [الآية (200) من سورة آل عمران: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] [آل عمران: 200].

معاشر أبنائي وإخواني العوام! إذا حفظتم هذا النداء فصلوا به النوافل، فإنكم تغنموا وتكسبوا، حتى يستقر في أذهانكم، ويبقى نوراً في قلوبكم، وليس هناك مانع من أن تحفظوه وتفهموا معناه، وتحدثوا به في بيوتكم مع زوجاتكم وأولادكم، أو مع آبائكم وإخوانكم، ولا تروه شيئاً تافهاً، فهو والله خير مما على الأرض، والله لئن تحفظوه وتفهموا مراد الله منه وتعيشوا عليه لخير لكم مما طلعت عليه الشمس وغربت، فهو كلام ربي، وقلوب المؤمنين تتحرق شوقاً لرؤية ربها، وها أنتم تتلقون كلام ربكم، وهو كلام لا يشك فيه إنسي ولا جني، وقد تحدى الله الإنس والجن على أن يأتوا بمثله فعجزوا، فثبت أنه كلام الله.

وعبدة الهوى والدنيا والشيطان يسمعون الكلام الباطل الرخيص لا الغالي ولا النفيس فيرددونه ويفتنون به قلوب الناس، وأنتم تسمعون كلام الله العليم الحكيم وتتلقونه في بيته وكلكم يقين بأن هذا كلام الله، فاحفظوا منه هذه الجملة، فهي آية من ستة آلاف ومائتين وأربعين آية.

يقول الشارح شرح الله صدره وصدوركم للإيمان وحب الله والمؤمنين: [اذكر أيها القارئ الكريم!] هذا إذا كنت في بيتك، والكتاب عند مكدتك، فقبل أن تنام اسمع نداء من نداءات الرحمن؛ حتى تبيت على نور وتستيقظ على نور، ولا تزال كل ليلة تنام على نداء فتحفظه، فإن استوفيت هذه النداءات التسعين وفهمتها فإنك والله تصبح من أعلم أهل الأرض، ولا تدخل كلية ولا جامعة، واجلس في دكانك، فهذه التسعين النداء عبارة عن تسعين كوكباً من كواكب النور الإلهي، ويفهم معناها، ويتنقل بينها، وقد عمل بما علم، ولم يبق إلا خطوة أخيرة، وهي أن ينقل هذا العلم الذي علمه وعمل به إلى أفراد أسرته .. إلى زملائه في العمل .. إلى رفقاءه في السفر، فيصبح من أهل العظمة في السماء لا في الأرض، وقد علمتم ما رويناه عن مالك في موطنه حيث يقول: من علم وعمل بما علم وعلم غيره دعي في السماء عظيماً.

وتذكرون أولئك الذين يسمونهم عظماء الرجال أفلاطون و نابليون وزادوا ماركس أولئك شر الخلق، ولا أبالغ، فأننا سمعت الله تعالى يقول: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ [البينة:6].

فهم شر الخليقة، ولا تقل: شر الخليقة القردة والخنازير، ولا الكلاب والحيات والثعابين، ولكن قل: الكفار والمشركون، فالثعابين والقردة والخنازير ما عصت ربها، بل تسبحه الليل والنهار، وهؤلاء يكفرون بالجبار، ويحاربون أوليائه، فهم شر الخليقة.

وعظماء الرجال هم الذين يتعلمون الهدى ويعملون به ويعلمونه غيرهم، فهم يدعون عند الله في الملكوت الأعلى بين الملائكة بعظماء الرجال.

وليس هناك مانع أن نكون مثلهم، فهيا نبداً، من هذا النداء الذي حفظناه، والآن نعرف معناه، فلا نغادر مجالسنا إلا وقد صممنا على أن نعمل بما علمنا، وننقله بعد ساعة إلى من يجلس إلينا، وإذا بنا قد أخذنا في الطريق، وإنا واصلون إن شاء الله.

تقوى الله عز وجل

قال: [رابعاً: التقوى] وقد كان الأول: الصبر، والثاني: المصابرة، والثالث: المrapطة، والرابع: التقوى [وهي تقوى الله عز وجل بالخوف منه والخشية من عقابه وأليم عذابه، الحاملة للعبد على طاعة الله وطاعة رسوله بفعل الأوامر واجتناب النواهي في السراء والضراء] أي: في الخير والشر [والمنشط والمكره، والعسر واليسر، هذه التقوى هي التي بها وبالإيمان يتحقق للعبد ولاية الرحمن، وما بعد ولاية الرحمن من مطلب أسمى ومقام أعلى] ووالله لا مطلب أعظم في الدنيا من أن تكون ولي الله، وتكون ولي الله بأن تؤمن وتتق الله. أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:62-63].

فكل مؤمن تقي فهو والله ولي، وقد سمعنا هذه الأيام من يقول: الولي خفي، أي: أنه لا يعرف، وأقول: أنتم أولياء الله، فلا يجوز سبكم ولا شتمكم ولا أذيتكم؛ لأنكم أولياء الله.

لكن العدو الماكر في كتاب (فقه في المذهب المالكي) يقول المؤلف فيه: من قال: أنا ولي يخشى أن يموت على سوء الخاتمة، إذا قل: أنا عدو الله، وحينئذ أفجر كما تشاء، بل كل مؤمن تقي فهو لله ولي، وقد فعلوا هذا لأنهم قالوا: الأولياء هم السادة الذين ماتوا وبنيت الأضرحة والقباب على قبورهم، والذين تذبج لهم الذبائح ويعكف حولهم، وأما هؤلاء فليسوا بأولياء، فاسرقهم وأفجر بهم واكذب عليهم والعنهم؛ لأنهم ليسوا بأولياء.

وهذه النكتة وهي حصر الولاية في سيدي عبد القادر وفلان وفلان لم يفهمها العالم الإسلامي، وكما قلت ألف مرة: لو تدخل كراتشي أو إندونيسيا وتقول لمن تلقاه في الشارع: أنا قدمت من بلاد بعيدة، فمن فضلك دلني على ولي من أولياء هذه البلاد أريد أن أزوره، فوالله ما يأخذ بيدك إلا إلى ضريح، ولا يفهم أن كراتشي فيها ولي حي، وكذلك لو دخلت القاهرة والتقيت بأول رجل وقلت له: يا سيد! أنا غريب، أريد زيارة ولي، فدلني على ولي، فوالله ما يأخذك إلا إلى ضريح فقط، ولا يعلم أن هناك ولي حي.

ومن هنا أصبحنا نزني بنساء بعضنا البعض، ونسرق أموال بعضنا البعض، ونغش بعضنا البعض في البيع والشراء، ونخلف الوعد، ويحسد بعضنا بعضاً، ويلعن بعضنا بعضاً؛ لأننا لسنا بأولياء، ولو عرفنا أن هؤلاء أولياء الله لاحترمانهم ووجلناهم وأكرمناهم ومشينا وراءهم، ولم نتكبر عليهم أو نسيء إليهم؛ لأنهم أولياء، ولكن هذا من

وضع اليهود والنصارى والمجوس، ونحن ما زلنا في سكرتنا، وما أفقنا بعد [إذ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا يوم القيامة] في الآخرة [ولهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وبعد: اذكر أيها القارئ الكريم! هذه الأوامر الأربعة التي تضمنها هذا النداء الكريم، اذكر وعد الله تعالى لأهلها، وهو الفلاح، وما هو الفلاح؟ إنه الفوز العظيم المتمثل في دخول الجنة بعد النجاة من النار. واذكر أن هذه الأوامر الأربعة سرها: أن تزكي النفس وتظهرها من أضرار الذنوب والآثام، وإذا زكت النفس وطهرت استحققت الفلاح، واقرأ لذلك قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10]. واذكر للفوز قوله تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [آل عمران:185] اللهم اجعلنا من الفائزين [ألا فلنذكر هذا أيها القارئ والمستمع! ولا ننساه، والله ولي من تولاها. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

المصابرة عند لقاء العدو

قال: [ثانياً] أي: الأمر الثاني في هذا النداء أيها المؤمنون! [المصابرة: وهي الصبر في وجه العدو الصابر] على حربك وقتالك وتمزيقك أو إفقارك وإذلالك وإهانتك، فاصبر في وجهه، ولا تلين ولا تنكسر ولا تطأطي رأسك، بل صابره حتى ينهزم [لذا كانت المصابرة أشد من الصبر؛ لأنها صبر في وجه عدو صابر، فأيهما لم يثبت على صبره سقط وهلك، ولذا كان النجاح والغلبة لأيهما أطول صبراً. يؤكد هذا زفر بن الحارث في اعتذاره عن الانهزام] الذي حصل له [إذ قال شعراً: سقيناهم كأساً سقونا بمنثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبراً] ويروى أن عنترة بن شداد وهو بطل معروف في التاريخ قال: أنتم تنوهمون أني أفضل من فلان وفلان، وعيناني كعينيه ويداي كيديه، وجسمي أصغر، وكل ما في الأمر أني أصابر، وكلما أضعف أثبتت حتى يسقط عدوي بين يدي، لا أقل ولا أكثر.

هذه هي المصابرة في وجه العدو، والآن ما عندنا عدو يحاربنا بالسلاح، وإنما عدونا الشيطان كما سيأتي، فهو يريدنا أن نصبح لاهين لا عيين عابئين ماديين، فنصابر ونثبت على إيماننا واستقامتنا ومنهجنا، فهذا العدو يريد أن يهبط بنا إلى أسفل، وأن تتبرج نساؤنا، ويتبخرن في الشوارع، وينتهي الحياء، وتزول الكرامة، ونصبح كالأوروبيين، فلنصير على حجاب نساؤنا، ولنصبر على قوتنا القليل، ولنصبر على علمنا والكدح في الليل والنهار، ولا تلين ولا ننكسر أمام العدو، ونظهر أننا أهل لا إله إلا الله، وأنه لا يؤثر فينا فقر ولا بلاء، ولا تجري وراءهم حتى يهبطوا بنا، ونصبح أسوأ منهم حالاً، كما في بعض الديار.

المرابطة في الثغور

قال: [ثالثاً] أي: الأمر الثالث في هذا النداء: [المrabطة: وهي لغة: مصدر رابط يربط رباطاً ومرابطة. وهي في الشرع: ربط النفس والخيول والعتاد الحربي في الثغور الإسلامية، وهي الأماكن التي يخشى أن يتسرب منها العدو إلى بلاد المسلمين، وهي غالباً تكون على السواحل البحرية، والأماكن الخالية من المدن، كما تكون] أيضاً [في حدود بلاد العدو المتصلة بالبلاد الإسلامية، والرباط فرض كفائي إذا قام به من يؤمن حدود بلاد المسلمين ويرهب عدوهم سقط الواجب عن الباقيين؛ إذ هو كالجهاد] والجهاد فرض كفائي إلا إذا عين الإمام أشخاصاً أو جماعة تعين، أو إذا هاجم العدو بلداً فقبل أن يأتي المدد أهل البلد يقاومون، كما سيأتي [ويتعين على من عينه الإمام عليه، وفيه يقول الله تعالى في سورة الأنفال: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ [الأنفال:60]] والآن ليس هناك خيل تربط، بل هناك النفاثات والميراج كما يقولون وإف (16) والصواريخ على الحدود، وهذه هي الخيول.

قال: [وللرباط فضل عظيم، فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قوله: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها). وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم: (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه). وإن (من مات مرابطاً جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان)، أي: في قبره].

قال: [واعلم] يا من يسمع! [أن الجيوش الإسلامية اليوم إن هم أقاموا الصلاة في ثكناتهم، وانتقوا الله فلم يعصوه بترك واجب أو فعل مكروه، ثم نوا الرباط في سبيل الله لحماية بلاد المسلمين فإنهم مرابطون، ويجري لهم كل ما ورد في فضل الرباط والمراطين] في سبيل الله.

وباستثناء هذه المملكة وهذه الديار - وسيقول الشيطان: هو يمدح السعودية، أو هذا عميل، وهذا مرض هذا- فهي الوحيدة التي تقام فيها الصلاة إجبارياً بين العسكريين والمدنيين، وليس هناك مانع أن تقام الصلاة في بلادنا الأخرى إجبارياً، والمانع أن دعاة الفسق والفجور يعرفون أن إقام الصلاة يخفف من نسبة الزنى والفجور بنسبة أكثر من (75%)، ولذلك لا تقام الصلاة، وإلا فإن إقامة الصلاة لا يكلف الأمة أو الحكومة أي شيء.

فلهذا أقول دائماً للجيوش عندنا: إنكم مرابطون تجرى لكم أجوركم بعد موتكم، فاستقيموا على منهج الله، وأغلقوا أذانكم عن سماع الباطل والشر، فإنكم بذلك تصبحون سادة الدنيا وخير العالمين؛ لأنكم تحمون راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتحمون الحرميين الشريفين، فالزموا تقوى الله عز وجل فقط، وصونوا ألسنتكم وأسماعكم، ولا تقولوا الهراء والباطل، ولا تسمعوا الباطل، واخشعوا في صلاتكم وانوا الرباط في سبيل الله، وهكذا في كل بلد إسلامي لو أن جيوشه أقاموا الصلاة وتركوا الباطل والفجور وعبدوا الله، فهم والله مرابطون، ويأتيهم بعضهم ويقولون لي: كيف ندخل في هذا الجيش والدولة كافرة والحكومة كافرة؟ فنقول لهم: لا، هذا لا يضركم أنتم، فهذا البلد بلد إسلام، يجب حمايته من اليهود والنصارى والمجوس، فأنتم انوا الرباط في سبيل الله، فادخلوا الثكنة وأقيموا الصلاة، وعلموا إخوانكم الصلاة، ودعوهم يصلون، وعلموهم ما تستطيعون، وبذلك تكونون مرابطين، ولا شأن للحاكم ولا للحكومة، فتعلموا كيف تقاتلوا في سبيل الله، ولا تكونوا من الذين لا يريدون أن يدخلوا، بحجة أن هذه الحكومة كافرة، فلن ندخل في جيشها، فهذه هزيمة مرة، يعبث الشياطين بأصحابها، بل ما دمت بهذا الوعي والبصيرة فادخلوا الجيش، وانفخوا في أذن هذا، وكلموا هذا كلمة طيبة، هيا نصلي، لم تأخرت عن الصلاة؟ هيا كذا، أنت مؤمن لا تقل الباطل ولا ننطق بهذا، قم أحي ليلى، واصبروا وتعلموا بجد حمل السلاح وتوجيهه إلى العدو، وبذلك تكونون في عبادة.

وهذا الكلام كله لا يدخل في آذاننا؛ لأننا نعيش في ظلمات الجهل والعياذ بالله.
مواطن الصبر

قال: [واذكر] أيها المؤمن الحي المنادى من قبل الله! [ما ناداهم لأجله في هذا النداء] الذي حفظناه [وهو] أن يأمرهم بـ [الصبر] أولاً [والمصابرة] ثانياً [والرباط] ثالثاً [والتقوى] رابعاً، فهو ما ناداهم لهواً وباطلاً أو عبثاً، تعالى الله وتنزه عن اللهو والباطل، وهذا النور لنبصر به، فقد نادانا ليأمرنا بما يكملنا ويسعدنا، ولينهانا عما يشقينا ويخسرنا ويمزقنا، ولم ينادنا لا لغرض ولا للاشيء، تعالى الله عن اللهو واللعب.
فنادانا بأربع أمور عظام، وهي: الأمر بالصبر أولاً، والمصابرة ثانياً، والرباط ثالثاً، والتقوى رابعاً، وهي ملاك الأمر كله.

قال: [وإليك بيانها] أي: بيان هذه الأربع مفسرة مشروحة مبينة.
قال: [أولاً: الصبر.

وهو: حبس النفس على ما تكره [وفلان قتل صبراً أي: أوقفوه وربطوه على خشبة أو عمود وقتلوه، أي: محبوساً. فالصبر إذاً معاشر المتسمعين والمستمعات! هو حبس النفس على ما تكره، وأما على ما تحب فهي تغني وتفرح، ولا تحتاج إلى أن تربطها أو تحبسها، فهي تجري وراءه، لكن إذا كنت تريد أن توقفها على شيء لا تحبه فتحتاج إلى تثبيتها بالحبال والسلاسل.

فإن استطعت أن تحبس نفسك عما تكره فقد فزت ونجحت.

قال: [وله ثلاثة مواطن] أي: ثلاث ساحات لا رابع لها، وهذه المواطن الثلاثة نحن حابسون أنفسنا فيها ورب الكعبة، وهي: [الأول: الصبر على طاعة الله ورسوله وأولي الأمر من المؤمنين] وأولو الأمر الحكام والعلماء، وليس هناك غيرهم، فالعالم إذا أمر أو نهى فهو: باسم الله يأمر وينهى، والإمام الحاكم الذي بايعناه وأعطيناه القيادة تجب طاعته؛ لأن الله فرضها، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء:59].

لا من اليهود والنصارى، بل منكم أيها المؤمنون! والآن يتفنن أبناء الإيمان في أنواع الكفر، فالرجل الذي وقف إلى جانبي الآن طويلاً، هذا طبيب ماهر، قال: يا شيخ! أنا وصديقك الطبيب الفلاني صدر علينا حكم بالإعدام. وزارني أمس طبيب ثالث وقال: قالوا لي: إما أن تلحق بنا إلى الجبل معنا تدأوي جراحانا وإلا تقتل، وهؤلاء يسمون أنفسهم مجاهدين، فهم لم يربوا في حجور الصالحين، وما عرفوا الله جل جلاله وعظم سلطانه، ولا غشيت أنواره قلوبهم، فهم يهرفون بما لا يعرفون، ويصدرون أحكاماً جائرة باطلة؛ ظناً منهم أنهم ناصرون الحق وواقفون إلى جنب الإسلام يؤيدونهم، وهم في ضلالة.

وأنا أعرف أن بين السامعين والسماعات من يتألم، وأعطوني واحداً وقولوا: انطق بما سمعت وبما تؤمر به، وهاتوا واحداً أمر بأن يكفر في بلاد المسلمين، أو بأن يسب الله ورسوله، أو بأن قيل له: اسجد على هذا الصنم، أو علق هذا الصليب، أو من قالوا له: لو تصلّ لمزقناك قطعاً قطعاً، أو لو لم تشرب الخمر وتتنجها وتبيعها حرقناك وصلبناك، لا يوجد أحد، وأنا أتكلم على علم، فنحن الذين حاربنا ديننا بأيدينا، وأعرضنا عن ذكر ربنا وكتابه ورسوله، واستبحنا المحرمات وغرقنا فيها، وبعد هذا نقول: الحكام هم الذين يجب قتالهم والخروج عنهم، وهامهم يوقدون نار الفتنة هنا وهناك، لا شيء وإنما فقط لأنهم ما علموا وما عرفوا، ولا يحل لمؤمن أن يقول بدون علم عن الله ورسوله.

إذاً: الصبر على طاعة الله ورسوله والحاكمين من المؤمنين، وحتى لو حكمتنا إيطاليا وقهرتنا نطيع، ولا نتبجح بالكلام والصياح والضجيج، حتى نعد العدة ونقاتل أعداء الإسلام ونتحرر منهم، ومن باب أولى الحكام الذين ينتسبون إليكم، ويؤمنون إيمانكم، وأنتم فيكم من يصلي ومنكم من لا يصلي، ومن أمه تصلي وامراته لا تصلي والله العظيم، وهم يريدون القتل بأي صورة، ويريدون فقط أن يحترقوا، وإذا أرادوا إقامة الإسلام فالإسلام ما يقام بالسر والسعوى، ولا بالهيدروجين والذرة، وإنما يقوم بالإيمان وعلى الإيمان.

فهيا نؤمن، فنصل إلى أهل القرية ونعلمهم أنهم لا بد وأن يجتمعوا في مسجدهم الجامع لهم كل ليلة بنسائهم وأطفالهم ورجالهم، يتعلمون الكتاب والحكمة، هذه المرحلة الأولى التي لا بد منها، ولا تقل: لا أستطيع كل ليلة، فكيف لا تستطيع ولا تقدر على أن تفرغ إلى ساحة ربك، أنت وأطفالك وامراتك؛ لتتلقوا الكتاب والحكمة، وليقوى نوركم، ويزداد إيمانكم ويقينكم؟ وأنتم تصبرون على الجوع إن أصابكم، وعلى الحر والبرد إن لم تجدوا مبردات ولا مدفئات.

فلو أقبل أهل المدن والقرى في بلاد المسلمين على الله في صدق، واجتمعوا في بيوته ليكون بين يديه لغير أوضاعهم وبذل أحوالهم، ورفعهم إلى قمم من الكمال لم يكونوا يحملون بها، ولكننا ما نريد الله! وإنما نريد الحكم.

وهؤلاء يكفرون غيرهم، فقد كفروا الشيخ الجزائري مليون مرة، وما هكذا يا سعد تورد الإبل، وليست دعوة الله هكذا، فالسجون قد امتلأت وتعفنت في العالم الإسلامي، والآلام والأتعاب كلها نتيجة فهم باطل، لا ينتج شيئاً.

وقد قلت بالأمس: لو أن عمر رضي الله عنه يخرج الآن - وهذا مستحيل - لم يستطع أن يقود هذه الأمة إلا بعودة جديدة إلى الإيمان ومعرفته، فإذا كنت مؤمناً تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فاستقم في منهجك .. في كلامك .. في شرابك .. في مشيتك .. في منطقتك .. في أسرتك، ولما يوجد المسلمون ترتفع راية الحق عالية، فنحن نحطم الإسلام بأيدينا ثم نريد أن نوجد الإسلام بالقوة.

وإذا كان الحاكم يقول لك: اسجد للصليب، أو انكح أمك، أو لا تعترف بالإسلام، أو اشرب الخمر وكل ما شئت من الخنازير فهذا ليس مؤمناً، بل هو كافر، فانظر إن استطعت أن تحاربه وتجاهده تفضل، وإن لم تستطع فاصبر كما صبر رسول صلى الله عليه وسلم، فقد صبر ثلاثة عشرة سنة، وكان الوحي ينزل وجبريل يتردد، وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يعذبون، وينكل بهم، ويسحبون على الرمضاء، وتوضع الصخور على صدورهم، ومع ذلك ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لواحد من رجالاته البررة: امش اغتال فلان أو اقتله، والله ما قالها مدة ثلاثة عشرة سنة، وإنما بعث المؤمنين إلى الحبشة وهجرهم حتى يسلموا، وبعث بهم إلى طيبة إلى المدينة، وما قال سوف نفعل ونعمل ونقيم الدولة الإسلامية، والله ما قال ذلك، ونحن ما نعرف إلا الهيجان والثوران، والأمة تأكلها النيران، فهذا مشرك، وهذا قلبه مريض، وهذا تارك صلاة، وهذا عاق لأبويه، وهذا يسب الله أمام الناس، وهذا كذا.

فهيا أولاً نصلح هؤلاء، وهم يقولون: ما نستطيع نصلحهم إلا بالدولة، بالعصا والحديد والنار، وأنا أقول: والله ما يصلحون بذلك، ولا يصلحون إلا بأن يدخل هذا النور الإلهي في قلوبهم، ويتجلى على أسماعهم وأبصارهم، ويعرفون كيف يسلكون الحياة، وقد غضبت لأن هذا مؤمن قال: حكموا عليّ بالإعدام، وقالوا: اطلع إلى الجبل وإلا تموت، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتل أحداً من أصحابه، ولا قال لأحد: تأتني وإلا نقتلك.

وأمس جاءني واحد إلى البيت وقال لي: فتحت عيادة منذ ثمانية أشهر، وقد بعثوا لي: إما أن تلتحق بنا بالجبل وإلا تقتل، وبأي حق يقتل؟ وحتى لو لم يقتلوه فقد نغصوا عليه حياته، وهو الآن يعيش في كرب، ولا ندري ما هو غرضهم، وهم يقولون: لإقامة الدولة الإسلامية، ولا يوجد الذين تقام عليهم الدولة، فلا يوجد المؤمنون والمؤمنات الذين ظهرت أنوارهم في الأرض، ولا صدق ولا وفاء، ولا حب ولا ولاء، ولا مودة ولا إخاء، ونريد أن نقيم الدولة الإسلامية، ونتلذذ بكلمة الدولة، وإقامة الدولة من أجل أن يعبد الله، فاعيدوه، فلم يصرفكم أحد عن عبادة الله، ولم يقل لكم أحد من قال: الله أقطع لسانه، وإنما تحللنا وتبحرنا وذبنا في تيار الشهوات والأهواء، وظلمات الجهل، ولما أفقنا بعض الشيء أردنا أن نفسد هذا النور ونطفئه، ولا تقولوا: ما شأن السياسة هنا، فهذا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلك راية: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

[و] المواطن [الثاني] من المواطن الثلاثة التي يجب أن يصبر المؤمن فيها: [الصبر عن ترك ما حرم الله ورسوله من الأقوال والأفعال والصفات] فاحبس نفسك بعيدة عن الزنا والربا والخمر والكذب والخيانة وخلف الوعد والتهاون بالصلاة وعقوق الوالدين وأذية المؤمنين والنظر الحرام.

وهذا المواطن أصعب من الأول، فاحبسها بعيدة عن معاص الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهي كارهة.

[و] المواطن [الثالث] من مواطن الصبر الثلاثة: [الصبر على البلاء الذي يبئلي به الله تعالى عباده المؤمنين] كالمرض والفقر والخوف؛ لأن الله ابتلاك ليظهر ما في باطنك، أتصبر أم تؤمن أم تضجر وتصرخ وترتد عن إيمانك؟ وبيئتك بما تكره نفسك وتنزعج، فاحبسها على البلاء، وقل: أمنت بالله، والحمد لله، فإذا لم تطعم ثلاثة أيام فقل: الحمد لله، وإذا مزق المرض باطنك فقل: أنا، والحمد لله في خير.

وهذا هو المواطن العظيم [تكفيراً لذنوبهم أو رفعاً لدرجاتهم.

والصبر على البلاء معناه: الرضا به والتسليم لله تعالى فيما ابتلاه به، وآية ذلك عدم الجزع والسخط، والإكثار من حمد الله تعالى على قضائه وابتلائه].

هذه مواطن الصبر، فكونوا مستعدين للصبر، هذا هو أول أمر وأول واجب في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا [آل عمران:200].

فهيأ نصبر على طاعة الله ورسوله وأولي الأمر منّا، فلا نخرج عنهم، ولا نرفع السلاح، ولا نكفر ونسب ونشتم ونلعن، ونحن أسوأ منهم حالاً، فنصبر بالنفس بعيداً عن كل ما يغضب الله من الغيبة والنميمة والكبر والحسد والتلصص والجريمة والسرقعة والفجور بنساء المؤمنين وبنات المؤمنات، وإفسادهن على آبائهن وأزواجهن، وثم ندعي الإيمان والإسلام؛ لأن النفوس خبيثة طائشة، لم تثبت ولم تكبل بأغلال الصبر والثبات، وصبر على البلاء، فإذا لم تطعم ثلاثة أيام فقل: الحمد لله، وإذا كانت الحمى تهزك هزاً فقل: الحمد لله على قضاء الله. هذا هو الصبر المأمور به، فلا جزع ولا سخط، ولا إظهار للغضب أبداً.

ونحصل على هذا من طريق العلم، ولو كنا طول حياتنا نجلس هذا المجلس لأصبحنا ربانيين، ولكننا في المقاهي والملاهي والملاعب، وفي مجالس الضحك والباطل والسوء.

سبب نداء الله تعالى لأهل الإيمان دون غيرهم

قال: [اذكر أيها القارئ الكريم: أن الله تعالى ينادي المؤمنين] والنداء هو قوله: (يا أيها الذين آمنوا) [لأنهم أحياء] وواحد هم حي، والذي يعي ويسمع ويعقل ويقوم ويجلس هو الحي، فهو يناديهم لأنهم أحياء بإيمانهم، ولو لم يوجد إيمان لما كانوا أحياء، ولا استحقوا أن يناديهم رب الأرض والسماء، فهو لا ينادي ميتاً؛ لأنه لا يعي ولا يفعل، فهم أحياء [بإيمانهم بالله رباً] وإلهاً، فلا رب غيره، ولا إله سواه، وهذه ليست مبالغة، فوالله لا يوجد في الأكوان العلوية والسفلية رب إلا الله، ولا يوجد إله حق إلا الله، ولو اجتمع علماء الكون كلهم وفلاسفة الحياة لم ينقضوا هذا، وادخل إلى بهو جامعة الكفر في موسكو، وانظر أمامك إلى أولئك الفلاسفة والمناطق والعلماء، علماء الذرة والكون والحياة وقل لهم: اسمعوا هذه الحقيقة، لا إله إلا الله، وانقضوها، فوالله ما ينقضونها.

واذهب إلى بهو جامعة إيطاليا حيث القسس، وقل: اسمعوا يا علماء الكنيسة! لا إله إلا الله، انقضوها! فوالله ما ينقضونها ولو أخذوا في التفكير والحل والتقدير والأقلام، فنقضها لا يكون إلا بوجود إله حق مع الله، وهذا لا يوجد؛ إذ الإله الحق - أي المعبود بحق - هو الذي خلق من لا شيء، ورزق المخلوقات ودبر حياتها، ونحن ما نرى إلا مخلوقين، وعيسى و البتول وجبريل وميكائيل كلهم مخلوقون، فلا تتخذ من المخلوقات خالقاً بالكذب وبالتزوير، هل

مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ [فاطر:3]؟ فليشيروا إلى من شاءوا فيفتضحوا، فالذي يشيرون إليه مخلوق، والمخلوق لا يكون خالقاً، وألرب هو الخالق من لا شيء، فهذه العوالم علويها وسفليها لم تكن موجودة من قبل، وقد مضى عليها والله زمن لم تكن موجودة فيه، إذ كان الله ولا شيء غيره، إذًا: فالذي خلق الأرض والسموات وخلق ما فيهما وما بينهما واحد، ومن قال: اثنين أو ثلاثة فهو يهرف بما لا يعرف، فهو واحد اسمه الله، ونحن نتعرف إليه بهذه الآيات في الأكوان، فحيث تلقى نظرك تشاهد كائناً، فتعلم أن هذا الكائن كونه الله، فهو ربه وخالقه، وإذا أردت أن تعرف عن قدرته التي لا يعجزها شيء فانظر إلى السبع الطباق، والسبع الطباق ما رحلنا إليها، فانظر فقط إلى هذا الكوكب النهاري الشمس المحرقة، فهذه الشمس أكبر من الأرض بآلاف المرات، فهي أكبر منها بمليون ونصف مليون مرة، فهذا الكوكب الناري الله هو الذي جمع ناره، ومادة الاشتعال فيه ليست من البنزين أو الفحم أو الحطب، والله هو الذي يديره كعقرب الساعة الدهر كله، وليس آبائنا ولا أجدادنا ولا سحرة الكون، بل الله وحده.

وعندنا ما لم يكن عند الآخرين، فعندنا كتابه الذي أملاه على جبريل ونطق به وأنزله على مصطفىاه ومجتباه محمد صلى الله عليه وسلم، وأنت لا يأتيك ساعي البريد بكتاب من أحد الخلق وتقول له: أنا لا أؤمن بأن هذا الكتاب كتبه إنسان أو قاله إنسان، فهذا لا يقوله عاقل، فإذا وصل الكتاب قطعاً أن هناك كاتب له، وناطق به، وممل له أملاه؛ إذ لا يوجد كتاب بدون موجد، فهذا مستحيل، وليس الكتاب فقط يا شيخ؟! بل والله حتى فنجان قهوة أو شاي أو حليب تجده على الطاولة لا تستطيع أبداً أن تتصور أن هذا وجد بلا موجد، ولا يمكن أن تفهم أن هذا ممكن جاء بدون أن يأتي به أحد، ولا يمكن أن تقول هذا الكلام.

هذا كأس شاي فقط، فكيف ببقرة كاملة لها خوارها، وتحمل لبنها؟ وكيف بما هو أكبر من ذلك؟ فواجباً للإنسان كيف يكفر لا كيف يؤمن! فلا إله إلا الله لا يستطيع أحد أن ينقضها، ولا ينقضها قولهم: لا إله والحياة مادة، فهذه زبالة أفكار الملاحدة، والذين صنعوا هذا هم بنو عمنا اليهود لا غفر الله لهم، فهم الذين صنعوا هذه الآلة الساحرة، ورموها في أوروبا، ففتتوها ومزقوها وحولها إلى بلاشفة حمر وملاحدة وعلمانيين، يقولون: لا إله ولا خالق، فأصبحوا مجانين، وإذا سألت أحدهم: وأنت من خلقك؟ انفضحوا، وقبل أن ينجح اليهود في هذا كان الصليبيون في أوروبا بينهم رحمة وعدل وغير ذلك، فحولهم إلى بلاشفة وحيوانات بهذا الباطل، وهو قولهم: لا إله، وقبلت عقولهم هذا، وأنه لا إله، ولا خالق ولا رازق، ولم يسألوا أنفسهم من خلقهم وخلق أمهاتهم؟ ومن رزقهم بالماء العذب الفرات؟ ومن خلق لهم هذه الفواكه والخضروات؟ وهذا النعيم الذي يعيشونه؟ مع أنه لا يستطيع أي كائن أن ينقض لا إله إلا الله.

وهم يحاولون نقضها بأحد شيئين: بقولهم: بأن (لا إله) بالمرة، وأن هذه خرافة وزبالة أفكار هبطت وانتهت، أو بقولهم: بتعدد الآلهة، وأنها ثلاثة كما هي خرافة الصليبيين، فهم عندهم جبريل ويسمونه روح القدس وعيسى وأمه، والله إنهم لفي حيرة إلى الآن، فقد صنع لهم الشيطان هذا التمثال، وما دروا كيف يكون الإله ثلاثة؟ والقرآن وضح السبيل وأنار الطريق، وقال: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ [المائدة:73].

وهم قالوا: عيسى إله، وعلقوا له صليبا في أعناقكم لتحبوه، ويستجاب دعاءكم، واسمع عيسى يخطب في بني إسرائيل: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [الصف:6].

هذا عيسى ابن مريم عليه ألف سلام. يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [المائدة:72].

ويصنع الشيطان صورة لصليب، ويقول: هذا هو ثالث ثلاثة، ودخل الملايين من النصاري في الإسلام لما وجدوا من يبين لهم الطريق، ثم فتر المسلمون وهبط نورهم، فبقيت الصليبية كل يوم تنمو، وكيف يعتقد عاقل: أن الله ثلاثة؟! ولا بأس إذا تجولنا خارج الدرس؛ لأن العبرة بالعلم والمعرفة، وليس بالكتاب.

إذًا: الله تعالى ينادي المؤمنين لأنهم أحياء بإيمانهم - لا بأرواحهم، وإلا فالبهائم حية بأرواحها- بإيمانهم بالله رباً [وبمحمد رسولا، وبالإسلام ديناً، والحي] حسب سنة الله وعادتنا في الخلق [إذا نودي سمع] فإذا ناديته يا عثمان! سمع؛ لأنه حي، ولو كان ميتاً لم يسمع، فلو ناديت أبا بكر الصديق فوالله ما يسمع، فقد مات، ولكن ناد أحد الجالسين باسمه فإنه يسمع؛ لأنه حي ما مات.

والآدمي إذا آمن بأن لا إله إلا الله، وآمن أن محمداً رسول الله، وأن الإسلام هو دين الله الذي لا يقبل سواه حيي، ونفخت فيه الحياة، وانتشرت فيه [وإذا أمر أطاع، وإذا نهى انتهى، وإذا أنعم عليه] بنعمة [شكر، وإذا أؤذي في الله صبر، والكافر لا نصيب له من هذه المظاهر الحيوية؛ وذلك لكفره بالله ورسوله ودينه] فالكافر ليس له نصيب من هذا؛ لأنه ميت، وأما المؤمن فهو الذي إذا أمر فعل، وإذا نهى ترك، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا أؤذي في الله صبر، والكافر لا نصيب له من هذه المظاهر الحيوية؛ وذلك لكفره بالله ورسوله، وهذا كلام معقول.

كانت المرأة في الجاهلية فاقدة للحقوق، فلا حق لها في إرث ولا مهر ولا غيره، فلما جاء الإسلام أعاد لها كرامتها المهددة وحقوقها المسلوقة، فقرر لها أن تراث النصف مما يرث الرجل، بعد أن كانت هي نفسها تُورث، وأعطاه الحق في المهر، وجعله ملكاً خالصاً لها، وحرم عضلها والتضييق عليها، وأعطاه الحق في الخلع إن كانت متضررة من زوجها.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله تعالى منهم ورضي عنا كما رضي عنهم.

وكان النداء الكريم الذي سمعناه أمس وفهمنا مراد الله تعالى منه هو قول الله عز وجل: بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [آل عمران: 200].

فتضمن النداء الكريم لعباد الله المؤمنين أربعة أوامر: الأمر الأول: الأمر بالصبر، فقال: اصْبِرُوا [آل عمران: 200]، أي: احبسوا أنفسكم وهي كارهة على طاعة الله ورسوله، وعلى فعل الأمر وترك النهي، هذا هو الصبر، فهو حبس النفس على طاعة الله حتى لا تخرج عن طاعته، وعلى طاعة رسول الله حتى لا تهرب أو تشرذم من طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: المصابرة، وهذا للمجاهدين، ولكن لنا النفس عدواً، ولنا الهوى والدنيا و أبو مرة إبليس عليه لعائن الله، فنحن في جهاد، وهم يصابرون ونحن نصابر، والغلبة للصابرين.

ثالثاً: الرباط، وهذا أيضاً للمجاهدين الذين يرابطون في الثغور الإسلامية، وفي حدود البلاد الإسلامية، وهذا الرباط أجره عظيم، (رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه).

وهناك رباط آخر سهل وميسر لمن يسره الله عليه، وهو: أن يدخل أحدنا بيت الله ليصلي صلاة العصر، ويحبس نفسه إلى أن يصلي صلاة المغرب، فهذا رباط، أو يدخل ليصلي المغرب، ويحبس نفسه إلى أن يصلي العشاء، وهذا رباط، وبين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (ألا أدلكم على ما يمحو الله تعالى به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: دلنا يا رسول الله! قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة إلى الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط).

وحقاً إنه رباط؛ لأنه في وجه العدو إبليس عليه لعائن الله، الذي لا تسكن نفسه ولا يهدأ باله ما دام عبد الله في بيت الله، ولا يستريح إلا إذا أخرجه من بيت الله ليسخره إن قدر عليه فيما هو معصية لله، فهذا النداء الكريم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا [آل عمران: 200].

ولعلكم تذكرون مواطن الصبر، فهي ثلاثة: المواطن الأول: حبسها على الطاعة وعدم مفارقتها.

الموطن الثاني: حبسها بعيدة عن معصية الله ورسوله، فلا تغش كبيرة من كبائر الذنوب.

والموطن الثالث: الصبر على ما يبئلى به العبد من مرض أو فقر أو غربة أو أي ألم يريد الله أن يطهره به، ويرفع درجته، فيصبر عبد الله وتصبر أمة الله، فلا جزع ولا سخط، ودائماً كلمة الحمد لله على لسانه.

هذه مواطن الصبر.

تحريم إرث النساء ومنعهن حتى يُسَلَّم ما أخذن من المهور

قال: [النداء التاسع عشر: في تحريم إرث النساء ومنعهن حتى يُسلمن ما أخذن من المهور] وهذا أمر غريب؛ لأنهم كانوا قبل نزول هذه الآية إذا مات الرجل عن امرأته ورثها أولاده، وهي قطعاً ليست أهمهم، وإنما امرأة أبيهم، فقد كان إذا مات الزوج الولد يرثها حتى ترد المهر الذي مهرها أبوه، أو هو يزوجها على رجل آخر، ويتسلم المهر. وقد كان هذا شائعاً في الجاهلية إلى عهد الإسلام، فأبطل الله هذا الإرث وحرمه.

فهذا النداء في تحريم إرث الولد امرأة أبيه إذا مات أبوه، وتحريم منعها من أن تتزوج بزيد أو عمرو أو تذهب إلى ذويها وأهلها حتى تعطيه المهر الذي دفعه أبوها كما كانت عادة جاهلية، فقد جاء الإسلام لتنقية وتصفية المجتمع الجاهلي؛ وذلك بهذه الأنوار الإلهية من الكتاب والسنة.

قال: [الآية (19) من سورة النساء أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا [النساء:19].

الشرح] ونشرح هذا النداء بتأن عسى الله أن يفتح قلوبنا لفهمه ووعيه، وأن يهيئنا للعمل بما فيه.

الصبر على الزوجة سبب للخير

مسألة ثالثة في قوله تعالى: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [النساء:19].

فإذا كان الرجل قد كره حقيقة من امرأته شيئاً، إما سلاطة اللسان أو الرغبة في الدنيا والمال، أو غير ذلك، فالخطوة التي أرشد إليها الله وبينها الرسول أن يصبر عليها الشهر والشهرين والعام والعامين، عسى الله أن يزيل ذلك البغض منه ومن نفسه، أو يزول بغضها هي أيضاً، فلتصبر الزوجة عن خلق زوجها عسى الله أن يطهره، ويصبر الزوج عن خلق زوجته، وليس لمجرد إساءة يأخذ في مضايقتها حتى يطلقها، بل يصبر وتصبر؛ عسى الله أن يلقي في قلوبهم الحب لبعضهم البعض، ثم إن صبر عليها فقد يرزقه الله أولاداً منها خير من الدنيا وما فيها، لا يستطيع أن يحصل عليهم من امرأة أخرى أو ما يجدهم، وهذا عسى من الله تفيد التحقيق، فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا [النساء:19].

فإذا كره المرأة لسوء خلقها وصبر عليها ولم يؤذها ولم يضطرها إلى المخالعة فقد يأتي يوم من الأيام يحبها وتحبه، وقد لا يحبها ولكن تتجب له أولاداً وتربيهم حتى يكبروا وينتفع بأولاده، وحسبنا أن يوجهنا الله مولانا، وهذا ليس توجيه واعظ أو مؤمن من المؤمنين يرشدنا، بل هذا توجيه الله عز وجل، واقرءوا: فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا [النساء:19].

وهذا قد يكون في السفر وفي الحضر وفي التجارة وفي أشياء كثيرة، فقد يكره الإنسان الشيء، والله عز وجل لما يصبر يعطيه الخير الكثير، والرسول صلى الله عليه وسلم وضع هذه فقال: (لا يفرك رجل امرأته، فعسى إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر).

وليس من الرشد أنه كلما كره الرجل المرأة طلقها، ويتزوج في العام مرتين، بل يصبر، وهي كذلك فليس لمجرد سوء خلق زوجها تطالب بالطلاق، بل تصبر، فإذا تبادلا الصبر عوضهما الله بدل ذلك الكره حباً ورضاً، وهذا وعد الله، فعسى من الله تفيد التحقيق.

تعريف الخلع وبيان حكمه

الخلع هو أن المرأة هي التي تكره الرجل ولا تحبه وتتسلط عليه، وهي راغبة في هذه الحال في أن تتطلق، وراغبة في الفراق، وتريد أن تتزوج غيره، ففي هذه الحال أذن الله تعالى لعبده المؤمن أن لا يطلقها إلا بعد أن تدفع ما أخذته من مهر لها.

فهذه صورة، والأخرى التي بين أيدينا صورة ثانية، وهي أن الرجل لا تعجبه المرأة إما في سلوكها وإما في خلقها وإما في جمالها وقد دفع مهرها وأنفق عليها، فالشيطان يغويه ويزين له أذيتها، فيأخذ في المضايقة والتشديد عليها حتى تمل الحياة وتقول: أعطيك كذا وطلقتي، فهذا حرام ولا يحل لمؤمن أن يفعله، وأما هي إذا لم يعجبها هذا الفحل لدمامة وجهه أو لسوء خلقه أو لعدم ارتياحها عنده أو معه فهو ليس عليه ذنب، فيقول لها: إذا أردت أن تفارقيني وأن تتطلقي فادفعي كذا ومع السلامة، فيخلعها وتخلعه من نفسها مقابل ثمن.

وهذا شرعه الله عز وجل.

إذا: الخلع شيء، وقضيتنا هذه شيء آخر، فهذه التي جاءت في هذا النداء، هي: أنه لا يحل لمؤمن أن يضايق امرأة مؤمنة ويشدد الخناق عليها حتى تقتدي هي منه بمال، فهذا لا يحل أبداً، وأما قضية الخلع فهي التي ما استراحت لهذا الرجل وتطلعت لآخر ومالت إلى سواه، وهو ما ظلمها ولا آذاها بأي أذى، وهي تريد الطلاق، فيجوز أن يطلقها بإذن الله، ولكن يأخذ عوضاً عن طلاقها، سواء مهرها أو زيادة على المهر، فليفهم السامعون والسامعات هذه التفارقة بين القضيتين، ففرق كبير بين أن يكون الرجل هو الذي كره المرأة، فيأخذ في مضايقتها وتشديد الخناق عليها حتى تصرخ وتقول: طلقني وأعطيك كذا، فهذا لا يجوز، وهذا هو الذي جاء في هذه الآية: وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ [النساء:19].

وأما قضية الخلع فهي أن المرأة تكره الرجل، وتريد آخر أجمل منه، أو أغنى منه أو أشرف، وهو ليس له ذنب، فيقول: فلانة! إذا أردت غيري وأردت الطلاق فادفعي كذا وأطلقك، حتى ولو كان زيادة عن المهر يجوز. حكم إيذاء ومضايقة الزوج زوجته الزانية أو الناشز لتخالعه

قال: [هذا إن لم ترتكب الزوجة فاحشة الزنا] فإذا زنت وعرف ذلك منها فله الحق أن يطلقها ويأخذ منها المال، فيضايقها حتى تقتدي نفسها؛ لأنها لا تصلح [أو تترفع عن الزوج وتتكبر عليه وتبخسه حقه في الطاعة والمعاشرة بالمعروف، أما إن ارتكبت فاحشة واضحة بينة لا شك فيها ونشزت نشوزاً أو أعرضت عن الزوج إعراضاً فإن للزوج أن يضايقها حتى تقادي نفسها منه بمثل المهر] أو زيادة، فإذا تطاولت عليه وآذته، وارتكبت فواحش بينة وليس مجرد اتهامات فله الحق أن يضايقها حتى تقدي نفسها منه أمر الزوجين بالمعاشرة بالمعروف

قال: [ثم وجه تعالى عباده المؤمنين إلى ما فيه خير الزوجين، فقال: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [النساء:19]. أي: على كل مؤمن أن يعاشر زوجته [ويعيش معها [بالمعروف] وكذلك يعاشر النساء أزواجهن بالمعروف] وهو الإحسان إليها وعدم الإساءة إليها بقول أو فعل] و [إن كره المؤمن زوجته فليصبر عليها ولا يطلقها، ففعل الله تعالى يجعل في بقائها خيراً، كأن تتجب له ولداً ينفعه الله تعالى به، أو تذهب تلك الكراهة التي كانت في نفسه، ويصبح يحبها وتحبه، ويودها وتوده، وهذا المراد من قوله تعالى] في هذا النداء: [وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا [النساء:19]] وهذه تربية ربانية [وصدق الله العظيم، وله الحمد والمنة على إرشاده وتوجيهه لعباده المؤمنين إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، ويزيد هذا الإرشاد الرباني وضوحاً قول الرسول صلى الله عليه وسلم في رواية مسلم، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر) .

ومعنى يفرك: يبغض، أي: لا يجوز للمؤمن أن يبغض امرأته؛ فإنه إن كره منها خلقاً من أخلاقها فسيرضى منها خلقاً آخر] .

ونعيد تلاوة النداء، ونقف على ما فهمنا من هذا العلم الإلهي، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [النساء:19].

ونقول: لبيك اللهم لبيك مر أو انه.

لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا [النساء:19].

وقد كانوا يرثون النساء كرهاً، فقد كان الرجل إذا مات وترك زوجة يرثها أو لاده، فمن شاء منهم أن يتزوجها تزوجها، وإن لم يتزوجها زوجها غيره وأخذ المهر، وإلا حبسها حتى تعطيه مالا أخذته من والده، ثم يسرحها، فهذا النداء نسخ وأبطل هذه العادة الجاهلية، والله تعالى هو الذي نسخ هذا وأبطله، ولم يبق بين المؤمنين أبداً. وقوله: وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ [النساء:19].

هذه قضية أخرى، وهي: أن الرجل قد يكره امرأته لدمامتها أو لسوء خلقها أو لمعنى آخر من المعاني التي من شأنها أن يكره الرجل المرأة، فإن كرهها بالفعل وهي ما آذته ولا ظلمته ولا قصرت في حقه وإنما هو فقط كرهها وما أصبح يحبها، فالمفروض أن يطلقها ويمتعها ويعطيها حقوقها وتلتحق بأهلها، فإن سول له الشيطان أن يضايقها ويشدد الخناق عليها حتى تقدي نفسها منه فهذا لا يحل.

فليفهم المستمعون والمستمعات هذا، فإذا كره الرجل من امرأته خلقها فليصبر لعل الله أن يستبدل هذه الكراهة بالحب، وإن قال: أنا لا أريدها؛ فهي دميمة وسيئة فليطلقها، فإن قال: أنا أنفقت عليها المال فسأضيق عليها وأخفقها وأضربها وأسبها حتى تصرخ وتقول: طلقني وخذ مليون ريال مثلاً فهذا لا يجوز، قال تعالى: وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ [النساء:19].

ثم جاءت قضية أخرى وهي قوله: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ [النساء:19]. فإذا هي آذته أو ظلمته أو ارتكبت ما لا يجوز أن يرتكب ففي هذه الحال له الحق أن يضايقها حتى تقدي نفسها، كما قال تعالى: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ [النساء:19]، كأن تتطلع إلى الرجال، أو تتصل بفلان وفلان، ففي هذه الحال يضايقها وله الحق؛ لأنها مذنبه وأثمة، وقد ارتكبت أعظم ذنب؛ إذ التفقت عن زوجها، ففي هذه الحال له أن يضايقها حتى يتسلم منها ما دفع من مهر. حكم إيداء ومضايقة الزوج زوجته لتخالعه

قال: [وكما حرم تعالى إرث الزوجة] بقوله: لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ [النساء:19] [حرم عضلها، أي: منعها أيضاً، وهو أن يكره الرجل امرأته لدمامتها أو لسوء خلقها فيضايقها ويؤذيها حتى تفقدي منه بمال، ثم يطلقها، فقال تعالى: وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ [النساء:19]، أي: من مال، وهو المهر] وهذا عندنا موجود، وهو أن الرجل يكره امرأته لأسباب، منها: دمامة وجهها، وعدم جمالها، ومن ذلك سوء خلقها، كأن تكون سليطة اللسان، أو بذينة القول، أو أن خلقها سيئاً، أو أنها تعاكسه، فإذا قال لها: ضعي ترفع، وإذا قال: ارفعي تضع، وهذا يقع، فيأخذ يضايقها ويؤذيها حتى تفقدي منه بمال، ثم يطلقها، وهذا لا يحل أبداً. تكريم الإسلام للمرأة في الإرث

هنا نادى الله تعالى [عباده المؤمنون بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [النساء:19]] ناداهم [لينهاهم عما كانوا متعارفين عليه في الجاهلية، وهو أن الرجل إذا مات وترك زوجة ورثها أكبر أولاده، وهي كارهة لذلك قطعاً، ثم هو إن شاء تزوجها، أو زوجها غيره وأخذ المهر له، وإن شاء أبقاها حتى تعطيه ما أخذت من مهر من والده. فحرم] الله [تعالى هذا الإرث الجاهلي الجائر] الظالم [فقال عز وجل: لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا [النساء:19]] [وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ [النساء:19]] [فأصبحت المرأة] بعد نزول هذا الحكم الإلهي [إذا مات زوجها ترث منه ما أعطاه الله، وهو الثمن إن كان له ولد، وإلا فترث الربع] إن لم يكن له ولد، فانظر عدالة الله عز وجل وانظر ظلم الجهل والجاهلية، فقد كانت إذا مات زوجها تورث كالشاة، فإن شاء الولد يزوجه أو يتزوجها، وإن شاء منعها من الخروج من المنزل حتى تقدي نفسها وتدفع ما دفع أبوه من مهر، فجاء الإسلام رحمة الله للخلق فأصبحت المرأة إذا مات زوجها ترث بدلاً من أن تورث، فإن كان لزوجها المتوفى ولد ورثت الثمن من تركة هذا الرجل، وإن لم يكن له ولد ولا بنت ورثت الربع من ماله والباقي لإخوانه أو لأعمامه، وتجلت حقيقة الرحمة الإلهية، وما زال العميان الضلال يلوكون كلمات منتنة عفنة، وهي أن الإسلام اضطهد المرأة، وأنه خنقها ومنعها حقوقها، وأنه كذا، ويرددون كلمات الملاحدة والمسيحيين الناقمين من الإسلام الساخطين عليه كالبيغوات، ووالله ما وجدت على الأرض شريعة أعدل من هذه الشريعة قط، فقد كانت المرأة تورث وليس هذا عند العرب في الجاهلية، بل كانت عند النصارى أسوأ من هذا. والله تعالى نادى عباده المؤمنين بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [النساء:19].

والسر في هذا النداء أن المؤمنين أحياء، يسمعون ويعون ويقدررون على النهوض، فيعطون أو يأخذون لكمال حياتهم، وسر حياتهم هو إيمانهم بالله ورسوله ودينه، فاستحقوا النداء لكمال حياتهم.

وسمي المنع عضلاً لأن المنع يكون بالعضلات، فقال: وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ [النساء:19]، أي: لا تمنعهن بالقوة. قال: [ثم تبقى في بيته حتى تكمل عدتها أربعة أشهر وعشراً] فترث الثمن أو الربع ولها الحق أن تبقى في المنزل أربعة أشهر وعشرة أيام، ولا حق لولده ولا لآخر أن يخرجها من المنزل ولو كان الإيجار أغلى ما يكون حتى تكمل عدتها أربعة أشهر وعشر ليالٍ [ثم تذهب حيث شاءت] فلا سلطان للورثة عليها أبداً، والذي حرر المرأة هو سيدها الله مولاها وربها.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ...)

قال الشارح لهذا النداء الكريم: [اعلم أيها القارئ الكريم!] أو المستمع المستفيد! [أن لهذه الآية سبباً اقتضى نزولها، وما رواه البخاري رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كانوا إذا مات الرجل عن زوجته، كان أولياؤه] من أخ أو ابن أو أب أو ما إلى ذلك من الأقارب الوارثين [أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاء زوجها] غيره [وإن لم يشاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها] بحكم أن الذي تزوجها ملكها، ولما دفع المهر كأنما دفع قيمة هذه المرأة، فإذا مات فأولياؤه من ابن وأخ وعم وقريب هم أولى بها كتركة تركها وليهم يرثونها.

فإذا شاء الولي تزوجها حتى الابن كان يتزوج امرأة أبيه، كما قال تعالى: وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ [النساء:22].

أو يزوجها رجلاً آخر، أو يمنعها حتى تسلم المهر الذي دفعه وليه [فنزلت هذه الآية] الكريمة: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ [النساء:19] إِنْ لَمْ يَنْكِحُوا] وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ [النساء:19]، أي: تمنعهن من الذهاب إلى ذويهن لتستردوا ما أنفقوه والدكم [فنادى الله تعالى] أي: بعد أن عرفنا سبب هذا النداء، وهو أنه كان عادة أهل الجاهلية: أن الرجل إذا مات عن امرأته كان أولياؤه أحق بها من أولياء المرأة، فإن شاء أحدهم تزوجها بلا مهر؛ إذ المهر قد دفعه أبوه أو أخوه، وإن شاء زوجها ليأخذ المهر هو؛ عوضاً عن المهر الذي دفعه أبوه، وإن شاء حبسها ولا تذهب حتى تدفع ما دفع أبوه من مهر، ولا عجب من هذا؛ لأن الشيطان هو الذي يشرع لهم، ولم يكن هناك كتاب ولا حكمة، والقرآن الكريم كتاب الرحمن الرحيم نزل لهداية الخلق وإصلاحهم، وأخذ يطهر المجتمع المظلم حتى أصبح أمثل مجتمع في الأرض بهذه الأنوار الإلهية، وكان كل عام .. كل شهر ينزل حكم يبطل حكماً جاهلياً، ويحل حكماً رحمانياً ربانياً.

الهدايات الإلهية في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ...)

قال: [هذا واذكر أيها القارئ الكريم! أو المستمع المستفيد! ما حملته هذه الآية من هدايات إلهية، وهي:]
الثالثة: الإذن للمؤمن بأن يأخذ فدية من امرأته إذا كرهته وأساءت إليه

قال: [الثالثة: الإذن للمؤمن] من سيده ومولاه [بأن يأخذ فدية من امرأته إذا] هي [كرهته وأساءت إليه] وأذنته [ولم تعاشره بالمعروف، فمتى أتت بفاحشة أو أساءت العشرة مع زوجها وأظهرت كراهيتها له] كان [للزوج الحق في أن يطلقها بفداء، وهو ما يسمى بالخلع، فيطلقها مقابل مبلغ مالي، قد يزيد على المهر الذي تسلمته منه يوم عقد نكاحها].

الرابعة: أن لفظ عسى إذا كان صادراً عن الله فإنه يفيد وقوع المرجو وعدم تأخره

قال: [الرابعة:] أي: مما جاء في هذا النداء النوراني الإلهي: [لفظ عسى في اللغة] العربية لغة القرآن [معناه الترجي، وقد يقع المرجو وقد لا يقع] فقولنا: عسى أن يجيء فلان فقد يجيء أو لا يجيء [إلا إذا كان القائل عسى هو الله سبحانه وتعالى، فإن عسى تفيد وقوع المرجو وعدم تأخره؛ وذلك لعلم الله تعالى وقدرته وحكمته ورحمته].
لذا قوله [تعالى]: [فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا] [النساء:19] هذه الكلمة لو فهمها المؤمنون ما طلق رجل امرأته بمجرد كرهها، بل يصبر عليها، ويجعل الله في ذلك الصبر الخير الكثير، ولكننا لم نعرف هذا، ولهذا فهذا [يجعل المؤمن يأخذ بما يوجبه عليه ربه تعالى، ويصبر على المرأة التي كرهها، ولا يلبث أن يزول ذلك الكره] بإذن الله [ويحل محله الرضا والحب والخير الكثير] ويكفيها قول الرسول إذ قال: (لا يفرك رجل امرأته إن كره منها خلقاً فسيرضى بخلق آخر).

فنأخذ بهداية الله وهداية رسوله لنسعد ونكمل.

اللهم حقق لنا ذلك إنك ولينا! [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصل اللهم وسلم على نبينا وآله وصحبه أجمعين.

الأولى: إبطال قانون الجاهلية في ورث الولد زوجة أبيه والتزوج بها

قال: [الأولى: إبطال قانون الجاهلية، الذي كان يسمح لولد الزوج إذا مات والده أن يرث امرأة أبيه فيتزوجها، أو يزوجه ويأخذ مهرها، أو يسترد منها ما مهرها أبوه ويطلقها، وما أقبح هذه العادة الجاهلية! والحمد لله على نعمة الإسلام الذي دفع هذا الظلم، وأبطل هذا القانون الجاهلي الجائر الفاسد] [الباطل] وأبدله بقانون الرحمة الإلهية لعباد الله المؤمنين [وقد دل على هذا قوله تعالى في أول النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا [النساء:19]].

الثانية: حرمة عضل الزوجة والتضييق عليها

قال: [الثانية: حرمة عضل الزوجة والتضييق عليها] واسمعوا فهذا واقع بيننا في عصر الإيمان الآن، ونحن نعاش هذا ونعاصره [حتى تفدي نفسها بما أخذته من المهر أو أكثر؛ إذ هذا الصنيع مظهر من مظاهر الظلم والاعتداء وفساد القلوب والأخلاق] وهذه محنة واردة. اللهم طهرنا من هذه الرذيلة.

وهذا موجود بين المؤمنين، فإذا كره الرجل المرأة لا يصبر ولا يتحمل ولا يحسن، بل على الفور يأخذ في المضايقة والتشديد، حتى تصرخ المسكينة وتفارقه بمال، فهذا المال حرام ولا يحل أبداً، فلا يقدم مؤمن على هذا، وإذا كرهت في مؤمنة خلقاً فاصبر حتى يفرج الله عنك أو عنها، فيمكن أن تكون هي التي تطالب في يوم من الأيام بالطلاق، وأما لمجرد أنك كرهت منها خلقاً تأخذ في تضييق الخناق عليها والتشديد والأذى بالضرب أحياناً حتى تصرخ وتقول: طلقني وخذ كذا وكذا، فقد قال تعالى: وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ [النساء:19]. والواجب أن تعاشرهن بالمعروف، فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا [النساء:19].

بالمال والرجال تقوم الأمم، وقد جاء الإسلام بحفظ المال وحفظ النفس، فلا يصح أكل مال المؤمن بغير حق، ومن صور أكل مال المؤمن بالباطل السرقة والربا والغش والقمار وغيرها، كما لا يصح إهدار حياة المؤمن وسفك دمه، ولا حتى قطرة دم واحدة، ولكن هناك مواطن يقتل فيها المسلم كالزاني المحصن، وكالقاتل ظلماً وعدواناً، والمرتد عن دين الله، والساحر يقتل حيث بان سحره. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

وهذه النداءات بلغت تسعين نداء، إلا أن النداء الذي قبل التسعين مفتتحاً بنداء الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم والمقصود أمته، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ [الطلاق:1].

وهو التاسع والثمانون.

وما عداه فكله نداء موجه إلى أهل الإيمان من المؤمنين والمؤمنات، وهذه النداءات صدقوني أنها احتوت على كل متطلبات الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات في الحرب والسلام والمال والاقتصاد والآداب والأخلاق والحلال والحرام والعبادات، فكل ما تتطلبه حياة المسلم قد حوتها هذه النداءات الإلهية؛ لأن منزلها عليم حكيم، وبالمؤمنين رءوف رحيم [التوبة:128].

فلهذا أرغب كل من يسمع أن يجعل هذا الكتاب عند مخدته وعند رأسه، ولا ينام حتى يسمع نداء من نداءات مولاه، ويفهم مراد مولاه منه، ويعهد على نفسه ولها أن يعمل، وبذلك لا يبقى بيننا جاهل ولا جاهلة لا بالسياسة ولا بغيرها، وهذا لا يكلفنا شيئاً، فأهل البلاد يتعاونون على طبعه ويوزعون مجاناً، ولأغنياء أرباب المال فرصة ذهبية لتطهير تلك الأموال وتنميتها، فيطبعون منه مئات الآلاف، ويوضع أيضاً في الفنادق، ويوضع في الغرفة التي ينزل فيها النزول كتاب: نداءات الرحمن، ويترجم إلى لغات العالم، واتركهم يفهموا عن الله ويعرفوا الإسلام في كماله. هذه المقدمة.

وأذكركم بما حواه النداء الماضي يوم أمس، وهو قول ربنا جل ذكره: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا [النساء:19].

وسببه كما علمتم زادكم الله علماً: أن عادة سادت في الجاهلية قبل الإسلام، وهي أن الرجل إذا مات أبوه وخلف زوجة أو زوجات يرى وارثه أنه له الحق في تلك الزوجة، فإن شاء تزوجها هو؛ لأنها امرأة أبيه وليست أمه؛ وإن شاء تزوجها غيره وأخذ المهر، وإن شاء قال: أنت محبوسة عندنا معضولة حتى تفدي نفسك، وأبوك أو أخوك يدفع المهر الذي دفعه والدي ويأخذك، فأبطل الله هذه العادة الجاهلية بهذا النداء، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَّهَا [النساء:19].

فأبطل هذه العادة، وتضمن النداء أنه لا يحل لمؤمن يؤمن بالله ولقائه أن يضايق امرأته ويسيء إليها حتى يضطرها إلى أن تطالب بالطلاق؛ ليأخذ فدية، وهذا يرتكبه أهل الجهل وعدم الأدب والبصيرة، فإذا كره من امرأته خلقاً من أخلاقها يأخذ في مضايقتها وحصارها والتشدد في ذلك، وحتى في الأكل والشرب، حتى تصرخ طلقني وخذ كذا وكذا، فهذا المال حرام أشد حرمة، وصاحبه فاسق أعظم فسق؛ فقد آذى مؤمنة وأخذ حقها بالباطل، ولا يصح والله

لمؤمن أن يؤذي مؤمنة ولو بالصوت العالي المزعج، ولو بالنظرة الشذرة، وإن دماءنا وأموالنا وأعراضنا علينا حرام، فلا يعيث بك الشيطان يا عبد الرحمن! وتكره من امرأتك دمامة وجهها أو بعض سوء أخلاقها فتأخذ في مضايقتها والتشديد عليها حتى تقدي نفسها منك، فهذا لا يحل عندنا ولا يجوز، ولا يوجد في الإسلام أبداً، وإنما يفعله الجهال الذين ما عرفوا الله ولا عرفوا لقاءه.

وما يسمى بالمخالعة أذن الله فيه، وهو أن المؤمنة تكره من زوجها خلقاً أو سلوكاً أو ترى أن بقاءها معه يؤذيها ويضرها، أو يؤذيها هو ويضره، والزوج لا يريد أبداً فراقها، وهي تخشى أن تسيء إليه أو تتضرر معه، فليس هناك بأس في أن تدفع هذا الضرر، فتعطيه ما أعطاها من مهر أو أكثر ويتركها، وتفعل المؤمنة هذا خشية أن تؤذي نفسها، وأن لا تطبق الضرر الذي يلحقها، وتخاف أن يتضرر أيضاً زوجها المؤمن وهي كارهة له، فتقول: خذ ما دفعت في مهري واتركني أذهب إلى أهلي.

هذا هو شرع الله وقانونه العادل الرحيم، الذي لا يتنافى مع الفطر السليمة والأخلاق الرفيعة والآداب السامية، وهذا التشريع لا يقوى عليه بشر كائن من كان، بل هذا تنزيل العزيز الحميد.
حرمة أكل أموال المؤمنين بالباطل وحرمة قتل النفس بغير حق

النداء اليوم هو [النداء العشرون: في حرمة أكل أموال المؤمنين بالباطل، وحرمة قتل النفس بغير حق] والمال والرجال بهما تقوم الدولة، فلماذا لا يصح أبداً أكل مال المؤمن بغير حق، كما لا يصح سفك دمه، بل إراقة قطرة من دمه بدون حق، ومما يخيف أن أحدنا يجتاز الصراط مع الناجين، ولما يقرب من باب الجنة يقال له: ارجع ولا تدخل، فيسأل: لم؟ فيقال: من أجل ملء كفه دماً أراقها ظلماً وعدواناً، وقد خلص من الصراط ونجا واجتازه وقارب باب الجنة، فيستدعي: ارجع فلان؛ لأنك أرقنت دم مؤمن، وإن قل كما في كف الإنسان.

وهيا نتغنى بهذا النداء ونتلذذ بكلمات الرحمن عسى أن نحفظ هذا النداء؛ ليبقى نوراً في قلوبنا.
[الآية (29) من سورة النساء: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا [النساء: 29]].
قرأنا الآيات والآن ندرسها، والجائزة هي ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وقد حرّمها ملايين المسلمين قروناً عديدة بكيد أعدائهم، فقد قال: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده).

فليجتمع المسلمون أولياء الله في بيوت ربهم الطاهرة النقية بنسائهم وأطفالهم في وقت الفراغ، ما بين المغرب والعشاء وطول العام وعلى مدى الحياة، وليس هناك شيء يخيفهم أو يفقدونه أو يصيبهم، بل يصبحون علماء ربانيين، ولا يبق خيانة ولا فجور ولا باطل ولا منكر ولا شر ولا شيء؛ إذ هذه كلها ترحل مع الجهل، فإذا حل العلم محل الجهل انتفى كل شر وخبث وباطل، وانتفى أيضاً الفقر والذل والمهانة وكل أنواع الضعف والله العظيم، وإني لعل علم بما أقول، ولما جلس أبو القاسم مع رجاله يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم أصبحت هذه الديار كأنها كواكب زهر في الملكوت الأعلى نساء ورجالاً، فسادوا وعزوا واستغنوا، وكمّلوا كمالاً والله ما اكتحلت عين الوجود بمثله، فتحول الصحابة وأولادهم وأحفادهم إلى أسمى الأمم وأشرفها وأكملها فقط بتعلم الكتاب والحكمة، وتركية النفوس وتطهيرها، وليس هناك مانع من العودة إليهما، فالمسلمون لم يفقدوا الكتاب، ولم يسط عليهم العدو ويأخذ كتابهم حتى لا يتعلمون، بل الكتاب محفوظ في الصدور، ومكتوب في السطور، وقد تولى الله تعالى حفظه، والرسول مات حقيقة، ولكن سننه وآدابه وتعاليمه وأقضيته موجودة محفوظة كما يحفظ القرآن، وقد منعهم من ذلك الثالوث، المكون من ثلاث حيات وثعابين، وهم المجوس واليهود والنصارى، فهؤلاء ما إن طلعت أنوار الإسلام حتى تعانقوا، بعد أن أطفأ الإسلام نار المجوسية وأسقط عرش كسرى، وبخر أحلام اليهود، فقد نزلوا بهذه الديار ينتظرون النبوة الخاتمة لترتفع راياتهم معها، ويعيدوا مجد بني إسرائيل، وإذا بالإسلام يقول لهم: أسلموا وذوبوا في المسلمين، فإعادة مملكة ومجد بني إسرائيل انتهى، فادخلوا في رحمة الله، فقالوا: لن ندخل في الإسلام ولن ندوب أبداً، وسنضرب الإسلام، وكذلك النصارى وخاصة القسس لما رأوا أنوار الإسلام تتلألأ وتلوح في الشرق والغرب قالوا: يا ويلكم! هذا الإسلام لن يبق لكم شرفاً ولا مجد ولا رزقاً، وتعاونوا، فتكون الثالوث، وحارب المسلمين وانهزم والله في كل المعارك والميادين، فلما أيس من الانتصار بالحسام والسيف قال: إذا: نخطط لهم ونستطيع أن نصفي حسابهم بدون

سلاح، وسأل عن سبب عز هؤلاء وكمالهم وسيادتهم فعرف أن سببها القرآن والسنة، لأن الله يقول في الكتاب: إنه روح، وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا [الشورى:52].

وهذه الأمة العربية كانت لاصقة بالأرض ميتة فحييت والله بروح القرآن، والكتاب نور، فمن أخذه وجعله أمامه كان كالذي أخذ شعلة من نور ومشى في الظلام؛ إذ قال تعالى: فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا [التغابن:8]. والنور الذي أنزل القرآن، وقال تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا [الشورى:52].

فلما عرف العدو هذا أبعدنا عن القرآن والسنة، ووضع قاعدة للقرآن تسمعونها، وهي: أن القرآن تفسيره خطأ، وخطؤه كفر، فألجموا علماء الإسلام، فلا تقل: قال الله فإنك تكفر بذلك، فالقرآن تفسيره خطأ وإثم، وخطؤه كفر، ولن يقدم على الكفر أحد، والسنة تتلى للبركة، فقد عشنا في ديار كان يجتمع فيها بعض العلماء في محراب المسجد في رمضان ويقراءون صحيح البخاري للبركة، وإياك أن تقول: قال رسول الله، فهذا الحديث فيه الناسخ وفيه المنسوخ، وفيه الخاص وفيه العام كالقرآن، فاتركوا هذا فبأيديكم مؤلفات ومصنفات في الفقه المالكي والحنبلي والزيدي وغير ذلك، واتركوا الكتاب والسنة تسلموا، ومن ثم مزقونا وفرقونا وشتتونا، ووضعوا في المسجد أربعة محاريب، فكان الحنفي لا يصلي وراء غير الحنفي، فالمالكي غضبان عليه، والحنبلي ساخط والعياذ بالله! فضيعوا الإسلام والأخوة والإيمان، ومن ثم لما هبطنا من علياننا مزقوا دولتنا وشتتوا شملنا، وأصبح المسلمون أعداء لبعضهم والله العظيم إلى الآن، ولو لم يكونوا أعداء لقالوا: الله أكبر بايعنا فلان ليقود العالم الإسلامي، لكننا لا نرضى بأن يحكمنا فلان، والسر هو أن القرآن ممنوع، فممنوع أن تقول: قال الله، أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل اقرأ الحديث للبركة فقط، وأما أن تتعلم الحلال والحرام والآداب والأخلاق والسياسة وغير ذلك فلا، فعندك الكتاب الفلاني، فهبطنا وآية هبوطنا لأولي الأبصار أن سادتنا بريطانيا وغيرها، واحتلوا ممالك الهند بكاملها والشرق الأوسط منبع النور، وأسود المغرب أبطل شمال إفريقيا أذلهم وأهانهم، ولم يبق إلا هذه البقعة حفظها الله فقط، والعالم الإسلامي خضع لسلطان الكفر، فمنهم من حكم مائة وثلاثين سنة، ومنهم مائة سنة، ومنهم سبعين عاماً، وتولى فيها الكافر على المؤمن، والله يقول: وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا [النساء:141].

وهذا لأن كلمة المؤمنين أي: الصادقين في إيمانهم، و(أل) هنا للوصف الكامل التام وعراقته، فهو لم يقل: ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، بل على المؤمنين بحق وصدق.

فأصبحت السنة للبركة، ولا تقل: قال الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحول التاريخ النبوي مولد، يجتمع فيه النساء والرجال يقرءون صفات ونعوت الرسول صلى الله عليه وسلم ويأكلون اللحم والبقلالة وغير ذلك، هذا هو تاريخ محمد عليه الصلاة والسلام، والحمد لله أننا عرفنا الطريق بعد الضلال والتيهان، ومن أراد أن ينقذ أمته .. إخوانه .. أهله .. أسرته، فعليه أن يجمعهم في بيت ربهم، أو في بيته هو، ويدرس معهم قال الله وقال رسوله. هذا هو الطريق.

ونداءات الرحمن كافية في هذا.

تحريم النبي لأكل أموال المؤمنين وقتلهم في حجة الوداع

قال: [وقد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم تحريم أكل أموال المؤمنين وقتلهم في أعظم مشهد، إنه يوم عرفة، إذ جاء في خطبته الطويلة الشاملة قوله صلى الله عليه وسلم: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا)] ولا أحد يبيع دم المؤمن، وأموال الناس أخذوها بالاشتراكية، فإذا كان للإنسان بستاناً أخرجوه منه وأموه، فذاق العرب من الاشتراكية الآلام، ومع هذا فهم إلى الآن لا يلعنونها، بل وطردوهم من بيوتهم ومتاجرهم وأموالهم بحجة أن هذا مال الشعب، ثم ماتت الاشتراكية، كما انتهت جدتها الشيوعية، ولم يبق إلا الحق فقط، وكل الباطل زال، وكيف يصادر مال المؤمن؟ وبأي حق يؤخذ بستانه أو مصنعه أو بيته؟ والعلماء سكتوا، وما تكلم أحد، ونحن تكلمنا فأبغضونا وحاربونا ومنعونا من دخول ديارهم، والحمد لله انتصر الحق، فكانت الشيوعية والاشتراكية باطل ذهب وتبخر، فلا يجوز أن يؤخذ مال المؤمن بدون رضاه، ولو كان فلساً واحداً [ثم قال] صلى الله عليه وسلم: [(اللهم اشهد، فقد بلغت)] فشهد الله، وبلغ رسول الله صلى الله

عليه وسلم، فدمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام أيها المؤمنون! فكيف يزني الرجل بامرأة أخيه؟ أو يأخذ مال أخيه؟ أو يسب ويشتم أخاه؟
عظم جريمة قتل النفس

قال: [ولنعلم أيها المؤمنون! أن جريمة قتل النفس لا تفوقها جريمة سوى الكفر والشرك، ودونهما جريمة الزنا، والعياذ بالله تعالى] وهذا هو قوله تعالى: وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ [الفرقان:68].

فهذه الثلاث بهذا الترتيب: الشرك، قتل النفس، الزنا، أو تبدأ من أسفل: الزنا، وفوقه قتل النفس، وفوقه الشرك، فهو أعظم الذنوب.
حكم الانتحار

قال: [وأخيراً: إن جريمة الانتحار الشائعة في ديار الكفار قد ظهرت أيضاً في بلاد المسلمين] ونحن نسمع بهذا، فنسمع أن فلانة انتحرت؛ لأنهم ما زوجها، وفلان كذا [فلنذكر وعيداً لأصحابها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح، إذ قال فداه أبي وأمي ونفسي والعالم أجمع قال: (من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة)] فمن قتل نفسه بسكين أو سم أو تفجير قنبلة أو رمى نفسه من أعلى المنزل أو من الجبل أو أي شيء عذب به يوم القيامة [وقال صلى الله عليه وسلم: (من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)].

وقال صلى الله عليه وسلم: (ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً أبداً) [والسم مأخوذ من الأفعى أو العقرب، يجمعونه ويأكلونه، أو يحولونه إلى مادة سائلة ويشربونه] وقال صلى الله عليه وسلم: (ومن تردى من جبل) [أي: من علو، والآن هناك المباني، فيرمي نفسه من العماراة أو من الشرفة] (فقتل نفسه فهو مترد في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً) [وعذابه هكذا دائماً، فهو يهوي من أعلى إلى أسفل فيتمزق] ألا فلنستعذ بالله [أي: نتحصن به جل وعز] من أكل أموال المؤمنين، ومن قتل أنفسهم [وإراقة دمائهم] فإن الله كان بنا رحيماً، لذا حرم ما حرم علينا [والآن دماء المسلمين مباحة، فتتكون عصابة تطالب بالحكم الإسلامي، ويأخذون في القتل والتشريد، ووصولهم إلى الحكم بهذا الطريق من أبعد البعيد، وأمل المحال، فالحكم الإسلامي يتحقق بأن ترفع الأمة يديها: الله أكبر! بايعنا فلاناً، وأقلنا فلاناً، هذا هو الطريق.

وإذا كانت أمة تعبد الأهواء والشياطين والدنيا، وقد غمرها الجهل، وضلت الحياة بكاملها، وأنت تقوم بينهم وتقول: الآن نقاتل حتى نقيم الدولة الإسلامية فهذه أحلام.

وأولاً: أوجد المؤمنين والمؤمنات، فلو أن أهل الإقليم قالوا: الله أكبر! لا نريد إلا الله، فلن يقاومهم أحد [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

حكم قتل النفس

قال: [وقوله تعالى في هذا النداء: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [النساء:29] فإنه نص قطعي في تحريم قتل المؤمن أخاه صغيراً [كان [أو كبيراً، سليماً أو مريضاً] بلا جدال] وكذا قتل المؤمن نفسه بأي وسيلة [أو واسطة] ولو بأن يمتنع من الماء أو الطعام حتى يموت [كالإضراب الذي يعرفه المستغربون، وهذا يحتج به السياسيون، فيقال: فلان أضرب عن الطعام في السجن، ونقول: صم أفضل وأفطر مع المغرب، وتوصل إلى الله بالصيام.

فالإضراب بدعة منكرة أخذناها عن الكافرين وجعلناها شعارنا، فأنت تبكي أمك وليس الحاكم، فأقول: صوموا وتقرّبوا إلى الله بالصيام، وقولوا لهم: إننا صائمون، فنتوصل إلى الله بصيامنا لينتقم لنا منكم، أو ليخلصنا من أيديكم فترفع كلمة الحق.

فليس هناك فرق بين أن يقتل العبد المؤمن نفسه أو يقتله غيره [فضلاً عن أن يشرب سمّاً أو يلقي بنفسه في بئر أو من رأس جبل أو بناء عال] فكل ذلك قتل للنفس بأمرها صاحبها [كذلك قتل النفس التي حرم الله قتلها في هذه الآية وفي غيرها من الآيات القرآنية بقوله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ [الأنعام:151]] والحق الذي يبيح قتل النفس الزنا، فالمحصن إذا زنا أو المحصنة يرجمان، وهذا قتل بحق، والقاتل ظمناً وعدواناً يقتل، وهذا

حق، والمرتد عن الإسلام يقتل؛ لأنه ارتد وهدم الإسلام، وكذلك الذمي إذا نقض عهودنا فإنه يقتل، والمحارب سواء كان يهودياً أو نصرانياً يقتل؛ لأنه حمل السلاح ضدنا، وأما إذا كان غير محارب فلا يحل قتله أبداً. والساحر يقتل حيث بان سحره، ولكن ليس معنى هذا: أن القاتل يقتله أي أحد، وأنت تقتل الساحر، وإنما يرفع أمره إلى الحاكم المسلم، وهو الذي يحكم بقتله وينفذ، والزاني يقتل، ولو وجد أحدنا رجلاً مع امرأته لم يجز له قتله أبداً. وإنما يفارق امرأته أو يلاعنها ويبعدها عن ساحته، وأما أن يقتل فلا حق له، والذي يقيم هذا الحد هو إمام المسلمين، وإلا فكل من قتل إنساناً لقال: وجدته مع زوجتي، وهذه هي الفوضى بعينها، فالقتل والقصاص لا بد فيهما من القضاء الشرعي، وإن لم يوجد حاكم يقيم الحدود، فحينئذ نرجع إلى الله عز وجل حتى يفتح علينا بحاكم يقيم الحدود. وإذا وجد رجلاً مع زوجته فلا يتركه، ولا يكن ديوثاً، فإذا عرف أنه سطا واعتدى فيضربه ويؤدبه ولا يقتله، وإذا كانت هي التي خالته وصاحبتها فيبعدها من بيته ويطردها إلى يوم القيامة، ويبقى بيته طاهراً. وأقول ما قاله أهل هذه الملة: إن الحدود يقيمها إمام المسلمين؛ حتى لا تسود الخيانة وينتشر الباطل والفوضى في أمة الإسلام، فيصبح كل واحد يكيد، ويقول: وجدته.

وقد قال الصحابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن قتله قتلتموه). وبكى كما بكى إخوانه، والرسول صلى الله عليه وسلم ما أقره، ولا قال له: لا بأس اقتل. وقد قدمنا في الأسبوع الماضي أن شخصاً قال: ساحر أخذ مني مبالغ من المال، ورضيت وسجلت على نفسي ذلك، فقلت له: إذا كنت عندنا في المملكة تحت راية لا إله إلا الله فتعال للقضاء، فسوف يأتون به، وترى ما يصدر ضده، وإن لم تكن هنا في المملكة فقدم للقاضي، فإن أعطاك حقك فيها، وإلا اصبر، فقد سحره وأملى عليه: أن لفلان علي مبالغ كذا وكذا، وقد انتشر السحر بين المسلمين، مع أن السحر حرام، والساحر يقتل حيث بان سحره، لأننا بعدنا من ساحة الله، وملأنا المقاهي والملاهي والملاعب، فعمنا الجهل وأصبحنا لا نعرف الإسلام، فلا نلومكم، فعودوا إلى بيوت الله، واطلبوا العلم تكملوا. من صور أكل أموال المؤمنين بينهم بالباطل

قال: [ولنعلم أن أكل أموال المؤمنين بالباطل له صور، منها: أولاً: السرقة: إذ حرم الله السرقة وحكم بقطع يد السارق] فإن بلغت القيمة ربع دينار ذهباً فقد سرق المؤمن أخاه وأكل الحرام [ثانياً: الربا: فمن أعطى أخاه قرضاً فلا يحل له أن يأخذ منه زائداً عن قرضه ولو كان درهماً واحداً] فلو أقرضته مليوناً لم يحل له أن يرد إليك مليون وريال، فهذا ممنوع [ثالثاً: الغش: كأن يبيعه سلعة فاسدة وهو لا يدري فسادها؛ لأنه مستور] أو مغطى [أو خفي، وقد حدث مرة] هنا [في المدينة أن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق المدينة] المبارك [فوجد صبرة- كيساً- فيها طعام] قمح أو دقيق أو شعير [فأدخل يده في وسطها، فوجد فيها بللاً] من الماء [فعاب على البائع، وقال له: (لم لا تجعل المبتل منها ظاهراً حتى يعلمه المشتري يا فلان!)] ثم قال له: [(إن من غشنا فليس منا)] أبداً، فلا نقبله ولا ينتسب إلينا، ثم قال ما هو أعظم من هذا، فقال: [(المكر والخداع في النار)] أي: أصحابهما. والمكر هو أن تريبه الخبير وأنت تريد له الشر، أو أن تريبه ما هو في صالحه، وأنت تعمل ما هو ضده، وفي إفساده، والخداع ليس بعيداً من المكر [رابعاً: القمار: فكل مال من القمار حرام؛ لأنه بغير حق] والقمار أنواع، ومنها الشطرنج والكيرم، وكل أنواع القمار حرام، وأندية القمار في أوروبا موجودة [خامساً: أكل العربون: وهو أن يعطي المشتري لصاحب السلعة بعضاً] من النقود [ويقول له: إن أتممت الثمن أخذت البضاعة، وإن لم آتك فالبضاعة لك، وما دفعته أيضاً هو لك] هذا هو بيع العربون، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع العربون.

وهذه الصورة واضحة، مثل أن تشتري منه بضاعة، وتقول: اسمح لي، خذ ألف ريال حتى آتيك بالباقي، فإن أتيتك بالباقي أخذت البضاعة، وإذا لم آت وعجزت فلك العربون. فهذا لا يجوز، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع العربون، وهو أن يدفع بعض الثمن ويقول: إذا أكملت أخذت السلعة وإلا فالمال لك [فأكل هذا العربون حرام؛ لأنه بغير حق]. سبب نداء الله في كتابه لعباده المؤمنين

هيا مع [الشرح] لهذا النداء، يقول الشارح غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم والمؤمنين: [هل تذكر أيها القارئ] لهذا الكتاب وهذه النداءات! إنها نداءات ربك إليك إن كنت تؤمن بالله رباً وإلهاً، وقد تقدم هذا المعنى [أن المراد بالمؤمنين الذين نادهم الله عز وجل هم الذين آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً].

وأنهم بإيمانهم أهل لأن يكلفوا وينهضوا بالتكاليف [وأما بدون إيمان فلا يستطيعون، والشخص عندما يضعف إيمانه لا يستطيع فقط أن يقول كلمة خير، ولا يستطيع أن يغير منكر في بيته بين امرأته وأولاده، وإذا انعدم الإيمان تنعدم الحياة، فهو ناداهم لكمال إيمانهم؛ ولأجل أن يكلفهم فينهضون بالتكاليف؛ لأنهم أحياء عقاء يعون ويفهمون، فهو لا يناديهم ليلعب معهم، تعالى الله عن اللهو واللعب.

ولو كان الآن شخص مقطوع اليدين عند السارية فلن تقل له: قم أصلح المسجد، أو لف الوسادة؛ لأنه ليس عنده يدين، ولو كان ميتاً على سرير الموت فلن تقول له: قم توضأ يا عبد الله! وصل، والله عز وجل لما يحيي العبد بروح الإيمان يكلفه، وأما وهو ميت فلا يكلفه، ودائماً نقول: برهنة هذه أهل الذمة في دولة الإسلام ما يكلفون والله لا بصلاة ولا صيام ولا جهاد ولا زكاة؛ لأنهم أموات، والميت لا يكلف.

إذاً: فالحياة بالإيمان، فمن آمن حيي، فكلفه ينهض، وها أنتم مكلفون فنهضتم، فلم يأكل اليوم أو يشرب أحد منكم؛ لأنكم مؤمنون بالله وقد أمركم، ولو كنتم فسقة والله ما صمتم.

وهذه أمور واضحة كالشمس.

قال: [فيفعلون منها ما يفعل، ويتركون منها ما يترك؛ وذلك لكمال حياتهم].

نهى المؤمنين عن أكل أموالهم بينهم بالباطل

قال: [فهاهو ذا تعالى قد ناداهم بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [النساء:29]] ونحن نقول: لبيك اللهم لبيك، وقد ناداهم لينهاهم عن أكل أموالهم بينهم بالباطل أي: بدون حق [فننادانا لهذا الغرض السامي، ألا يأكل أحدنا مال أخيه بالباطل أبداً، ولو أذن لنا في أكل أموالنا لتحاربنا وتقاتلنا، ولم تبق أمة ولا جماعة؛ لأن كل من قدر على أن يأخذ أخذ، ولن تبقى أمة.

وهذا الحق [كالإرث] فالإنسان إذا مات أخوه ولا وارث له يرث ماله ويأخذه كله، وإذا ماتت زوجته ولا ولد لها يأخذ نصف ماله، وإذا مات الزوج ولم يترك ولداً تأخذ المرأة ربع ماله، والذي أحق هذا الحق الله جل جلاله [أو التجارة] كأن تشتري العبادة بألف وتبيعه بخمسين ألفاً، ولا يقول أحد: أكلت مال أخيك الأول [أو العمل] كأن يشتغل عنده ويأخذ أجره عمله بحق [أو الصدقة على مستحقها؛ لفقره أو مسكنته] فإذا تصدق عليك مؤمن وأنت محتاج من أهل الصدقة، فقد أخذتها بحق لا بباطل [أو لوجوبها كالنفقة على الزوجة والولد والوالدين] فالزوجة تأكل وتحمد الله، فقد أكلت مال زوجها، ولكن بإذن الله، فأكلته بحق وليس بالباطل، وأولادك يأكلون ويشربون مالك بحق وليس بباطل، فقد أعطاهم الله عز وجل [وهو معنى قوله تعالى: لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ [النساء:29]، أي: بدون حق يقتضي الأكل؛ وعبر بالاكل لأن الغالب في الأموال يؤكل بها] والدينار والدرهم لا يؤكلان في ذاتهما، ولكن بهما تؤكل البقلاوة والحلوى [وإلا فكل مال أخذ بغير حق حرام، سواء أكل به وشرب، أو بني به وسكن، أو ركب به ولبس أو فرش] فكله مال، ويعتبر أكلاً [واستثنى الله تعالى مال التجارة فقال: إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ [النساء:29]] فاستثناهما بقوله: إِلَّا فهذه أداة استثناء، مثل قولنا: كل كذا إلا كذا لا تأكل، وهذه أداة الاستثناء، وحتى العامي يفهم الاستثناء، وحلف فلان واستثنى، أي قال: إلا أن يشاء الله [فإن التاجر قد يشتري الشاة من صاحبه بعشرة برضاه، ويبيعه بعشرين] ولا يقول: أكل مني عشرة دنائير أو دراهم أبداً [أو يشتري الدار بمائة ألف، وقد يبيعه بمائة وخمسين ألفاً] له مرة ثانية، ولا يقال: أخذ ماله بدون حق [فلا يقول قائل: قد أكل مال فلان أخيه؛ لأنه باعه الشاة بعشرة فكيف يبيعه بعشرين وقد أخذ عشرة بغير حق؟ والجواب: أن الله تعالى قد أباح ربح التجارة بقوله: إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ [النساء:29].

نعم، لو اشتري منه ما اشتري بدون رضاه، فلا يحل له ذلك الربح ولو قل [أبداً، ولو كانت كربع دينار، فلو اشتري منه شاة وباعها بدون رضاه فلا يحل أبداً؛ لأن الله قال: عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ [النساء:29].

[والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا)] فلو قلت لي: بعني السيارة، فبعته لك بعشرين ألفاً، ثم وأنا وأنت ما زلنا واقفين ندمت ورجعت فلا حق لك في أخذها؛ لأننا ما زلنا في المجلس [بأن يرد

أحدهما البضاعة لمن ابتاعها منه، أو يتفرقا من المجلس فيذهب كل [منهما] إلى سبيله، فحينئذ قد تم البيع، وأصبح للمشتري أن يبيع بما شاء، وما ضر البائع إن اشتراها بعشرة وباعها بعشرين؛ لهذه الآية الكريمة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ [النساء: 29]. ولنعلم أن إباحة ربح التجارة مشروط بشرط التراضي بين البائع والمشتري؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما البيع) [الحق الناجز] (عن تراض) [بين البائع والمشتري، فإذا كان أحدهما غير راض بطل البيع] فإن لم يحصل تراض بينهما فالبيع باطل، ومن أخذ تجارة بغير رضا صاحبه فربحه باطل وحرام، وعليه أن يرده إلى صاحب البضاعة التي أخذها بدون رضا بائعها. فلنذكر هذا أيها المؤمنون]!

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 21

الصلاة هي عمود الدين الإسلامي، ولا بد لكل من أراد الدخول فيها أن يلتزم بشروط الطهارة النفسية والجسدية، فلا يجوز لفاقد العقل أن يدخل في الصلاة، ومن ذلك السكران الذي لا يعي ما حوله، كما لا تصح صلاة الجنب والحائض والنفساء حتى يتطهروا، ومن لم يجد ماء أو وجده وعجز عن استعماله فطهارته تكون بالتيمم، فإذا تطهر جاز له أن يصلي كما أمره الله.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله منهم وحشراً في زمريهم.

وبالأمس كان النداء يتضمن النهي أو التحريم لأمرين: الأول: تحريم أموال المؤمنين وأكلها بغير حق، إلا أن تكون تجارة، وعن تراض بين البائع والمشتري.

والثاني: حرمة دماء المسلمين، فلا يحل لمؤمن أن يزهق روح مؤمن، ولو كانت روحه هو، والنداء نصه إن كنتم تذكرون: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا [النساء: 29].

فعرف المؤمنون هذا، وعاشوا عليه قروناً، لا يأخذ مؤمن من مال أخيه إلا برضاه، أما السرقة .. أما الاغتصاب .. أما الغش .. أما الخداع .. أما ما يؤخذ من طريق الحيل فهذه الأموال لا يحل للمؤمن أن يأكلها، أو أن ينتفع بها أبداً، ودماء المؤمنين كأموالهم، واذكروا خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في عرفات عام حجه، إذ قال: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا).

الحديث. وقد عرفتم أن الانتحار شائع اليوم، وقد امتلأت به بلاد العالم مع وجود الرخاء، ووجود الراحة، فالناس يطيطرون في السماء، ويفجرون المياه في الجدران، ومع هذا ينتحرون، والمنتحر أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يعذب بما قتل به نفسه في النار خالداً مخلداً، سواء احتسى سماً أو طعن نفسه برمح أو أفرغ عليها رصاصاً، فهو يعذب بنفس ذلك العذاب إلى يوم القيامة، ويوم القيامة أبداً ولا يخرج منه. حرمة الصلاة حال السكر والجناية ومشروعية التيمم للعذر

قال: [النداء الحادي والعشرون] ومضمونه أنه [في حرمة الصلاة حال السكر، وحرمة الصلاة والمكث في المسجد حال الجناية، ومشروعية التيمم للعذر] فهذا النداء الكريم قد حوى هذه الأحكام الشرعية، وهي أحكام ضرورية، يجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يعلمها ويعمل بها.

فهذا النداء مضمونه: حرمة الصلاة حال السكر، فمن كان سكران فلا يحل له أن يدخل في الصلاة؛ حتى يفيق ويذهب ما غشى قلبه وغطاه من السكر، وهذا كان قبل تحريم الخمر، وأما بعد تحريمها فلا سكر ولا من يسكر، وإن فسق فاسق وشرب الخمر وسكر فحرام أن يدخل في الصلاة في حال سكره.

وحرمة الصلاة والمكث في المسجد وهو جنب، فلا يصلي الجنب ولا يدخل المسجد الجنب، حتى يغتسل من جنبته، أو يتيمم إن كان معذوراً.

ومشروعية التيمم للعذر.

وكل هذا تضمنته الآية الثالثة والأربعون من سورة النساء، فها هنا نحفظ هذا النداء وبجد؛ لأنه حوى هذه الأحكام.

قال: [الآية (43) من سورة النساء: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا [النساء:43]].

وهذا النداء إن شاء الله نعيده غداً رجاء أن نحفظه حفظاً جيداً.
ونعيد الآية ونتأمل، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ [النساء:43]، أي: حتى تفيقوا من سكرتكم، وهذا كان قبل تحريم الخمر، ومع هذا حكم الله باق، فإذا فسق فاسق وفجر فاجر وعصى الرحمن وزين له الشيطان فشرب الخمر وثل وسكر فلا يحل له أن يصلي وهو سكران، لأنه قد يقول الكفر.
وَلَا جُنُبًا [النساء:43].

فالجنب لا يصلي وهو جنب، اللهم إلا يمر بالمسجد، وقد كان الأصحاب رضوان الله عليهم لهم أبواب من بيوتهم داخل المسجد، فيضطر إلى الخروج من بيته على المسجد، فعفا الله عنهم، وأما أن تجلس وأنت جنب فلا، وأما المار فلا بأس للحاجة والضرورة.
إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا [النساء:43]، أي: من الجنابة.
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا [النساء:43].

[الشرح] قال الشيخ غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم في شرح هذا النداء الإلهي الحاوي لحكم الجنب، وحكم الذي انتقض وضوؤه، وحكم من لم يجد ماء، وحكم التيمم وبيان، وهكذا يجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يحفظ هذا النداء، قال: [اعلم أيها القارئ الكريم! أن هذا النداء يحوي أحكاماً عدة] أي: عدة أحكام [ومعرفتها واجبة] ولازمة ضرورية [وها أنا ذا أفصلها لك تفصيلاً.

فاحفظ النداء أولاً، ثم أقل على معرفة ما فيه من أحكام فقهية ضرورية] أي: لا بد منها كالطعام والشراب، فإذا لم تأكل ولم تشرب فإنك تموت، فأكلك ضروري، ومعرفة هذه الأحكام ضرورية حتى تعرف كيف تعبد الله وتزكي نفسك [واعمل بها وعلمها غيرك، تظفر بشرف العظمة في السماء] فاحفظها واعلمها واعمل بها، وعلمها غيرك لتظفر وتقوز بشرف ولقب أنك عظيم في السماء [لما رواه مالك] صاحب هذا المسجد، وكان إماماً به في القرن الأول [من علم وعمل بما علم وعلمه غيره دعي في السماء عظيماً] وهذا مرفوع إلى الحضرة النبوية، أو إلى يحيى بن زكريا عليهما السلام.

فاعرفوا عظماء الرجال، فهم ليسوا نابليون ولا سقراط ولا بقراط، ولا أنجاس البشر الذين عظمناهم، ورفعنا رءوسهم وهم أموات، ونسينا أن عظماء الرجال هم أطهار النفوس أذكاء الأرواح، الذين ما غشوا إثماً طول حياتهم، وليسوا الأنجاس الذين عظمناهم في التاريخ، وندرس أيضاً عنهم.

الحكمة من التيمم

التيمم يا عقلاء! سره الفقهي هو أننا مأمورون بأن نعيش على الطهر ظاهراً وباطناً، والطهر يكون بالماء العذب الصافي النقي، فلا بد وأن نغسل أبدنا وأعضاءنا به إذا أردنا أن نناجي ربنا، فإن انعدم هذا الماء ولم يوجد أو وجد وعجزت عن استعماله وأنا أريد أن أناجي ربي فقد سمح لنا بالتيمم هكذا، ومعناه: اعتراف بأنه لا بد من الطهارة؛ لتبقى مألوفة في النفس، إيماناً بأنه لا بد من الطهارة، وإلا فوضع اليد لا يزيل شيئاً من وجهك أو كفيك، ونظير هذا قول علي رضي الله عنه أستاذ الحكمة: لو كان الدين بالرأي لكان مسح باطن الخف أولى من ظاهره؛ لأن الباطن تمشي عليه، ولكن هذا ليبقى في ذهنك أنه لا بد من غسل رجليك في الوضوء.
فانتبهوا لهذا السر.

والمتعصبون يقولون: لو تيممت ولم تمسح ذراعيك فصلاتك باطلة، وآخرون يقولون: امسح باطن رجليك وإلا صلاتك باطلة؛ لأنه قرأ هكذا في كتاب فقهي، ولم يقرأ قال الله ولا قال رسوله، ولا جلس بين يدي مرب متحرر من القيود الأوهامية والوطنية.

قال: [وقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا [النساء:43]] هذا القول [فيه إظهار لرحمة الله بالمؤمنين، وعفوه عن مسيئهم؛ إذ الآية نزلت فيمن صلوا وهم سكارى قبل تحريم الخمر رحمة بهم] فنداء اليوم له سبب نزل فيه، فقد صلى بهم حمزة رضي الله عنه وهو سكران، وهم كذلك، فقد استدعاهم أحد الأنصار، والعادة عند الكفار أنهم إذا وضعوا الطعام يضعون الخمر، والمؤمنون كانوا ما زالوا لم يكملوا، فلما جاء الغداء أحضروا أيضاً الخمر، فشربوا، فلما جاءت الصلاة صلوا، فأخذ يقرأ ويسب فلاناً وفلاناً [فلم ينزل بهم عقوبة، وغفر لهم ذلك الذنب الذي ارتكبوه بغير قصد] وهذا دل عليه قوله: إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا [النساء:43].
ولو ما عفا لكان يمسحهم، أو لأدخلهم النار.
كيفية الغسل

قال: [وإن سألت عن كيفية الاغتسال] بعد أن عرفنا التيمم والوضوء [فاعلم أن الجنب] والحائض والنفساء، فحكمهم واحد [يصب الماء على كفيه قائلاً: بسم الله] والتسمية سنة، والبعض الآخر يقول: واجبة، ومن لم يسم فغسله باطل، الإمام مالك سئل عن التسمية في الوضوء: يا إمام! فلان قال: إذا لم يسم الله عند الوضوء وضوءه باطل، فقال مالك: أو يذبحه هو؟ يعني: لا تجب التسمية إلا عند ذبح الشاة والبقرة والبعير، لقوله تعالى: وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ [الأنعام:121].
وما عدا ذلك فالتسمية سنة من سنن الإسلام عند الأكل وعند الشرب وعند الوضوء وعند الغسل وعند الركوب وعند الهبوط؛ لأنك مع الله، لكن لو لم تفعل لم يبطل وضوءك أو غسلك.
فافهموا هذه.

والإمام مالك أراد أن يشدد على السائل [ناوياً] في قلبه [رفع الحدث الأكبر، أي: الغسل من الجنابة] التي أصابته؛ ليزيله، ولا بد أن تتوي الغسل؛ لأن الله أمرك، وكفي أن تقول في قلبك: هذا الحدث الأكبر أزيله وأرفعه، ولو قلت فقط: أمرني ربي أن أغتسل فأنا أغتسل، فهذه هي النية بدون ما تتلفظ، والحدث الأصغر فيه الوضوء، والحدث الأكبر الغسل [ثم يغسل فرجيه القبل والدبر وما حولهما] حتى لا يمسهما مرة ثانية [ثم يتوضأ] بعد ذلك [وضوءه للصلاة] وكأنه بين الناس [وهو أن يغسل كفيه ثلاثاً، ثم يتمضمض ثلاثاً، ثم يستنشق ويستنثر] الماء [ثلاثاً، ثم يغسل وجهه ثلاثاً، ثم يغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم اليسرى ثلاثاً، ثم يمسح رأسه] ذهباً وإياباً [وأذنيه مرة واحدة، ثم يغسل رجله اليمنى، ثم اليسرى إلى الكعبين].
وهذا هو الوضوء [الذي يرفع به الحدث الأصغر] فاعرفه، ثم يخلل شعر رأسه بكفيه [فالذي عنده شعر يغمس يديه في الماء أو يصب عليهما الماء ويخلل الشعر؛ حتى تستأنس البشرة ولا تصطدم بالبرودة، فيصاب بالزكام، وقد علمنا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووالله ما عرفت الدنيا أطيب من رسول الله، فقد كان يتلقى المعارف من خالق الكون [ثم يغسل رأسه كله ثلاث مرات] فيأخذ الحفنة الأولى ويعمم الرأس والأذنين، ثم حفنة ثانية، ثم ثالثة [ويغسل أذنيه ظاهراً وباطناً، ثم يغسل شقه الأيمن من رأسه إلى قدمه، ثم الشق الأيسر كذلك] بعد ذلك من أعلى رأسه إلى قدمه.

هذا هو غسل الجمعة، وغسل العيدين، وغسل الإحرام، وغسل الجنابة، إلا أن بعض أهل العلم ونحن إن شاء الله منهم إذا اغتسلنا بدون جنابة فقط للعيد أو الإحرام نعيد الوضوء، لأن هذا الغسل ليس واجباً، فنعيد الوضوء، فنغتسل أولاً، ثم نتوضأ مرة ثانية، وبعض أهل العلم لا يبالون بهذا.
فافهموا هذا.

والغسل الواجب أنت فعلته طاعة لله أو تدخل النار، وهذا الغسل المستحب لو ما فعلته صلاتك صحيحة وثوابك صحيح، فهناك فرق بين الواجب والمستحب، فلهذا تعيد الوضوء؛ لأن الوضوء واجب والأول كان مستحباً وسنة، هذه قضية فقهية، فلا تجادلوا فيها، ومن قال: أنا يكفيني فقد قالها من قبلك علماء.
وهذا النداء يحتاج إلى يومين.
فكتفي بهذا على أن نعود إليه غداً إن شاء الله.
وصل اللهم على نبيينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اللهم اقض عن هذا العبد دينه يا رب العالمين! اللهم اقض دين كل ذي دين.
اللهم سدد دين كل من عليه دين من إخواننا المؤمنين الحاضرين والغائبين.
اللهم اقض ديونهم، وسددها عليهم، وارفق بهم، والطف بهم يا رحمان! يا رحيم! وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.
بيان كيفية التيمم

قال: [رابعاً: بيان كيفية التيمم، وهي أن يضع المتييم كفيه [اليمنى واليسرى] قائلاً: بسم الله على التراب الطاهر] وإن كان قذراً أو فيه نجاسة فلا يحل أبداً [فإن لم يكن] أي: التراب الطاهر [فعلى حجر فطري] أي: باق على أصل خلقته، و [ليس مصنوعاً] فالمصنوع لا يجوز التيمم عليه؛ لأن الله قال: فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا [النساء:43]، أي: طاهراً صعد على الأرض، ولسنا نحن الذين صنعناه [ويمسح وجهه، ثم يضع يديه أيضاً] مرة أخرى [على التراب أو الحجر ويمسح كفيه] هكذا، والضربة الثانية سنة فقط، ولو اكتفى بواحدة أجزأته، فمرة واحدة تكفيه، والثانية يؤجر عليها.

وفيه حكم آخر فتنهوا، وهو [وكان ابن عمر] رضي الله عنهما [يمسح مع كفيه ذراعيه، وهو جائز] وهذا مذهب مالك، فقد كان يحتاط ويأخذ بهذا، ففي الضربة الأولى: كان يمسح وجهه، وفي الثانية: كان يمسح كفيه مع ذراعيه كالوضوء، هذا عبد الله بن عمر تلميذ رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم ينكر الشافعي ولا أحمد هذه الطريقة، وإنما يقولان: يجزئه أن يكتفي بوجهه وكفيه؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم علم عماراً وقال: (إنما يكفيك يا عمار ! أن تقول هكذا، وضرب الأرض بيديه، فمسح وجهه وكفيه). وذلك لما تمرغ كالبهيمة، ثم أبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كذا وكذا، فقال: (يا عمار ! إنما يكفيك أن تقول كذا وكذا).

و عمار بن ياسر هذا أبواه شهيدان، وهما سمية وياسر، وهو شهيد، و (عمار تقتله الفئة الباغية). فقد كان مسافراً فلم يدر ما يفعل، فقام فتمرغ في التراب كالبهيمة جسمه كاملاً، فلما عادوا من السفر أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل عمار؛ لأن الذين كانوا معه ما استساغوا هذا، ومنهم عمر بن الخطاب، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ماذا فعلت؟ قال: كذا وكذا، قال: (إنما يكفيك يا عمار ! أن تقول هكذا، وضرب الأرض بكفيه، ومسح وجهه وكفيه). فهذا والله يكفي.

وهذه الدروس ما تلتزم بمذهب معين يشتت المسلمين ويمزقهم، بل الوارد عن الله والرسول نتعلمه، ولا نتعصب للمذاهب، بل نتأدب، فنذكر الحديث أولاً ثم ننظر، والمهم ألا نخرج عما كان عليه رسول الله وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

فهذه هي السلفية الحققة، والمرأة سلفية، والرجل سلفي، والسلفية طريقة، فكل من لم يكن سلفياً لن يدخل الجنة دار السلام، أحببتم أم كرهتم، وكل من يرغب عن السلفية المحمدية ويريد أن لا يكون من أهلها فالجنة محرمة عليه، وإذا عجبتم من هذا الخبر فاسمعوا، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم - ونحن في مسجده على مقربة من حجراته الطاهرة - كان يعلم الكتاب والحكمة ويزكي، فيقول: (لقد افترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة). وهذا صحيح، والآن أسأل اليهود يخبرونك، (وافترق النصارى على اثنتين وسبعين فرقة).

وسلمهم، فالإنجيل حولوه إلى خمسة وثلاثين إنجيلاً، ولما صاح الناس وانفضحوا اجتمعوا وحولوه إلى خمسة أناجيل، فكتاب الله أصبح خمسة! يعني: ما هو من الله خمس، والباقي كفر وضلال. (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة).

وهذه الأمة التي تفترق كانت ما زالت جماعة بين يديه عندما أخبر بهذا بالغيب الإلهي الذي يعلمه الله، وها نحن قد افترقنا، ومن أراد أن يقف على هذه الفرق الضالة فعليه بتفسير القرطبي جامع البيان في تفسير آية آل عمران: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا [آل عمران:102-103].

فقد ذكر جداول وقوائم بهذه الثلاث والسبعين فرقة، فقولوا: صلى الله عليه وسلم، وليس بعد هذا شك في نبوته، فقد أخبر عن هذه الأمة قبل أن توجد أنه ستفترق، والله لقد افترقت إلى ثلاث وسبعين فرقة.

ثم قال في بيانها: (كلها في النار إلا واحدة ففي الجنة).
فكل هذه الثلاث والسبعين في النار إلا واحدة ففي الجنة، وهذه الواحدة ليسوا بنو هاشم، ولا آل النبي، ولا البيض ولا السود، ولا العرب ولا العجم، بل (هم الذين يكونون على ما أنا عليه اليوم وأصحابي).
فالفرقة الناجية هم الذين يكونون على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في عقائدهم .. في عباداتهم .. في أقضيته وأحكامهم .. في آدابهم وأخلاقهم.
وأرسم لك صورة واضحة لعقيدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكيفية عباداتهم وطاعاتهم لربهم، فعش عليها لتكون من الناجين ومن الفرقة الناجية، وإذا اختلفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عقيدته .. في عبادته .. في أحكامه فلست من الفرقة الناجية.
فالإخوان المسلمون حرام عليهم أن يكونوا من الفرقة الناجية ألا أن يكونوا سلفيين، وأنصار السنة يجب أن يكونوا سلفيين، والدعاة والمبلغون يجب أن يكونوا سلفيين، والذي يقول: أنا لن أكون سلفياً فمعناه: أنه كافر، لا يريد الإسلام، ولا يريد أن يدخل الجنة.

وكلمة سلفية هذه محدثة، وليس عندنا كلمة سلفي أو سلفية إلا إذا أردنا أن نبين، والصحيح أننا يجب أن نعيش على ما كان عليه نبينا وأصحابه .. في العقيدة .. في العبادة .. في المعاملة .. في الآداب .. في الأخلاق، فنكون صورة طبق الأصل، ولا بد من هذا العزم والتصميم، فنعتقد كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقد، فهو صلى الله عليه وسلم لم يقل: اللهم إني أسألك بحق إبراهيم، فلا تقل أنت: اللهم إني أسألك بحق فاطمة، وهذا مثال، وكذلك لم يقل: اللهم إني أسألك بحق عبد القادر، ولم يكن يحلف هكذا، بل كان يحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: والذي نفسي بيده، أو بالله الذي لا إله غيره، هذه هي أيمانه، وأنت تقول: وحق سيدي فلان، أو ورأس فلان. فلست على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل: هذا الكبش على روح سيدي إبراهيم أو على جدي إسماعيل، ولم يفعل هذا والله، فلا تقل: هذا الكبش على روح سيدي البدوي، أو سيدي عمار، فمن أراد أن يكون من الفرقة الناجية فلينهج منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلا مذهب نتعصب له، ولا طريقة ننشدها، وإنما فقط: بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فنصلي كما يصلون، ونقيم كما يقيمون، ونجاهد كما يجاهدون، ونعامل كما يتعاملون، ولا تقل: أنا كذا، فلا وطنية ولا قبلية ولا مذهبية.

ونحن الآن في ديار الحرية، وقد مضى وقت لو يقول هذا قائل فمصيره السجن مباشرة.
[ودل على كيفية التيمم هذه قوله تعالى: فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ [النساء:43]] وكل مؤمن يقرأ هذه الآية يعرف التيمم.
حرمة الصلاة حال السكر

قال: [وإليك بيان الأحكام: أولاً: حرمة] ومنع [الصلاة حال السكر] بالإجماع، فتحرم الصلاة إذا كان المصلي سكران فاقد العقل بهذي ويقول الباطل، وقد يسيء وهو يقرأ، وقد فهمنا هذا من قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى [النساء:43] [وهذا الحكم نسخ] والنسخ معروف [بأية تحريم شرب الخمر من سورة المائدة] وهي نداء كريم، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ [المائدة:90-91].

انتهينا يا ربنا! وهذه قالها عمر، فقد كان يقول: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً.
لأنها حرمت بالتدريج، فقد انتقلت من حال إلى حال؛ لأنهم كانوا يعيشون عليها في مكة والمدينة، يعتقدون الخمر أربع سنين، فكأسها يساوي مليار، فلا يمكن أن تبطل بسرعة، وإنما حرمت على مراحل، فكان عمر يتململ ويقول: يا رب! بين لنا في الخمر بياناً شافياً؛ حتى نزلت هذه الآية فقال: انتهينا يا ربنا! هذا عمر، والله لو تأتي برجالات أوروبا والأمريكان واليابان والصناع والطيارين والصحة والفنانين ما كانوا رجل عمر، فلنتغنى بعمر، لا بلينين واستالين الذين تمجدنا بهما ومدحناهما؛ حتى رفعناهما إلى عنان السماء، وهذا هو شأن أي أمة تهبط من عليائها إلى الأرض.

و عمر يقول فيه أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: (ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجه).

والفج: الشارع الواسع، وليس أزقة ضيقة كما يقولون، فمع سعة الشارع ما يقدر الشيطان أن يمشي فيه إذا كان عمر يمشي فيه، وقد حصل على هذا باليقين والاستقامة على منهج الله رب العالمين.

فعمر هذا كان يقول: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت آية المائدة، فلو رأيتهم وهم يريقونها ويصبونها من الأنية والدنان، فكانت تجري في أزقة المدينة، والأزقة ضيقة، والبنائات القديمة في العالم معروفة، فكانت التي عندها جرة أو قلة أو برميل كانت تريقها من العتبة بعد أن حرمت، فجرت أزقة المدينة بالخمير.

وهذا هو الامتثال، وهذه هي الطاعة [فلم يجز شرب الخمر بحال من الأحوال، وعلى فرض أن من شربها فاسقاً فلا يدخل في الصلاة وهو سكران؛ إذ وضوءه باطل] وفاسد، ومن أغمي عليه بطل وضوءه، وكل من فقد شعوره انتقض وضوءه، وقد يكون خرج منه فساء أو ضراط وهو لا يدري، وزوال العقل ناقض للوضوء بالإجماع [فلا تصح صلاته].

حرمة الصلاة ودخول المسجد على الجنب والحائض والنفساء إلا بعد الغسل أو التيمم

قال: [ثانياً: حرمة الصلاة على الجنب والحائض والنفساء إلا بعد الغسل أو التيمم، وكذلك دخول المسجد] أيضاً حرام عليهم [ولا بأس] ولا حرج [بالمرور فيه بدون جلوس] أي: للحائض والنفساء والجنب [وهذان الحكمان دل عليهما قوله تعالى: لا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى [النساء: 43]] فالسكران لا يصلي حتى يذهب سكره؛ لأن الله قال: [حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ [النساء: 43]] أي: حتى يفريق ويصبح يميز [وَلَا جُنْبًا إِلَّا غَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا [النساء: 43]]، أي: غسل الجنابة [والجنب كالحائض وكالنفساء لا يحل لهم الصلاة، فالصلاة محرمة عليهم، وكذلك الجلوس في المسجد، اللهم إلا دخول المسجد للعبور والمرور فقط، وأما البقاء فلا، ولو أن مؤمناً احتلم فيه - والآن المعتكفون قد يحتلم أحدهم - فبمجرد ما يفريق من نومه ويجد نفسه قد احتلم فيشمر عليه ثيابه ويخرج على الفور، ولا يجلس أبداً، بل يخرج كعابر سبيل، وخروجه من المسجد يمشيه دقيقة، ولا حرج عليه؛ لأن الله قال: إِلَّا غَابِرِي سَبِيلٍ [النساء: 43].

وعبر يعبر الطريق: اجتازه، والسبيل: الطريق.

إباحة التيمم للمريض والمسافر ومن انتقض وضوءه إذا لم يجدوا الماء أو عجزوا عن استعماله

قال: [ثالثاً: المريض] الذي إذا توضأ ازداد مرضه، أو الذي به جراحات فإذا توضأ ازدادت الآلام، أو لا يقوى على المشي لإحضار الماء للوضوء [والمسافر] فهو في الغالب ليس عنده ماء أيام كان السفر من مكة إلى المدينة عشرة أيام على الإبل، فكان السفر مظنة انعدام الماء، وإذا وجد معه ماء فيحتاجه للشرب والطبخ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا [النساء: 43].

فالسفر مظنة انعدام الماء، ولهذا نص عليه، فقال: أَوْ عَلَى سَفَرٍ [النساء: 43].

والذي وجد الماء متوفراً، وهو ليس في حاجة إليه وهو مسافر فيجب أن يتوضأ أو يغتسل، ولكن إذا الماء قليلاً والمسافة طويلة ويخشى أن يحتاج إليه فيتيمم وإن كان الماء في قربه أو في سيارته [والذي انتقض وضوءه] أي: بطل [ببول] ولو قطرة، فما دام قد بال قل البول أو كثر فقد بطل الوضوء [أو غائط] كما قال تعالى: أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمُ مِنَ الْغَائِطِ [النساء: 43].

وما قال: أو تغوط أو خراء، فهذا ليس كلام بشر، ومعنى جاء من الغائط بمعنى: قضى حاجته في الغوط من الأرض، أو الحمام وجاء.

هذا معنى جاء من الغائط، أي: وضوءه انتقض [أو ضراط] والضراط: صوت الفساء، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أذن المؤذن وقال: حي على الصلاة فر الشيطان وله ضراط إلى آبار علي، ويدخل إصبعيه).

فهو لا يريد أن يسمع: حي على الصلاة، ويكثر من الضراط حتى ما يسمع حي على الصلاة، وقد جاءني الآن مؤمن وقال: دخلوا على بيتي وسرقوا مالي وأنا في الصلاة، والذي فعل هذا وأمر به ودعا إليه الشيطان؛ لأن الغافلين والهالكين قد أضلهم الشيطان، فهذه الجرائم والموبقات والعظائم التي ترتكب ليست من فطرة الأدمي لولا إبليس عليه لعائن الله، والذي يأخذ أباه بالعصا يضربه ليست الفطرة البشرية هي التي أمرته بهذا، بل الذي دعا إلى هذا الشيطان، وقد بلغنا أن بعض العجم يتضارطون، يعني: يتبجحون بالضراط، يرفع رجله ويضطرط أمام جماعته، أما الهالكون فنعم، وقوم لوط المؤتفكات أصحاب سدوم وعمورة وكانوا في مكان البحر الميت قبل أن تغلب بلادهم كانوا

يتضارطون في أنديةهم، ويفعلون الفاحشة أمام بعضهم البعض، والآن توجد أندية اللواط في أوروبا، أفحش من تلك، ولكن الله مسخهم، وحول تلك المدن إلى بحيرة منتنة، وإلى الآن الحوت لا يوجد فيها ولا أي حيوان آخر [أو فساء] وفسا يفسو فساء: إذا خرج نسمة من دبره، فإذا خرج انتقض الوضوء، وهو رائحة كريهة، وأنت تريد أن تتاجي ملك الملوك رب السماوات والأرض، فإذا لم تكن على طهارة كاملة فحرام عليك أن تقف بين يدي الله وأنت قادر على الطهارة، فإن عجزت فالله غفور رحيم.

وأكثر الناس لا يفهمون سبب انتقاض الوضوء، ويقولون: ماذا يحدث إذا فسأ؟ وقد قال المولى الرب سيدنا على لسان رسولنا: لا تتاج الله ولا تقف بين يديه تتكلم معه إلا وأنت طاهر، فإذا لم تكن طاهراً فلا تكلمه ولا تقف بين يديه [والجنب] وهو يطلق على المفرد والجمع، فلو كانوا ألفاً يقال لهم: جنب، ويطلق على الرجل والمرأة [بجماع أو احتلام] ولا يوجد غير هذا، إما أن يحتلم أو يجماع زوجته، فالشباب المؤمن الفحل إذا نام فوجد في ثوبه منياً أفرزه للرويا التي رآها فعليه الغسل، وكذلك المرأة أيضاً، فقد جاءت امرأة تسأل الرسول صلى الله عليه وسلم: (هل على المرأة يا رسول الله! غسل إذا رأت مثلما يرى الرجل؟ قال: نعم، إذا رأت الماء).

فصاحت الصديقة وقالت: يا فلانة! كيف تقولين هذا، فقال لها: (اسكتي، إن الله لا يستحيي من الحق). وكذلك الذي جامع امرأته وأولج ذكره في فرجها وإن لم يمن أو يفرز ماء، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل).

ولم يقل كما يقول الصعلوك: إذا دخل رأس الذكر في فرج المرأة وجب الوضوء، فالرسول صلى الله عليه وسلم ما يقول هذا، فمستواه عال.

والختان الأول: ختان الرجل، فهو يقطع القلفة من رأس ذكره، والمرأة أيضاً تختن، فالخفاف للنساء مكرمة، وهي قطعة كذلك تؤخذ من فرجها، وهذا يطيب جماعها لبعلمها، لكن على شرط: أن تكون الطيبة طيبة ماهرة؛ لأن أم عطية الأنصارية قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أم عطية ! اخفضي ولا تنهكي).

سبحان الله! [هؤلاء إذا لم يجدوا ماء للوضوء أو الغسل عليهم أن يتيمموا ويصلوا أو يدخلوا المسجد] أو وجدوه وهم عاجزون عن استعماله؛ لأنه يزيد في مرضهم أو يؤخر برأهم والطبيب قال: لا تبلى هذا الجرح، فحكمهم حكم من لم يجد الماء [دل على هذا الحكمين قوله تعالى] في هذا النداء: [وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ [النساء:43]] والمقصود من الغائط المكان الذي يتغوط فيه، وهو المكان المنخفض، وهو الآن المرحاض أو الحمام [أَوْ لَمْ يَسْتُمْ النِّسَاءَ [النساء:43]] فإن لمسها انتقض وضوءه، والمراد من قوله: أَوْ لَمْ يَسْتُمْ النِّسَاءَ [النساء:43]، أي: جامعتموهن، فالمراد من الملامسة هنا: الجماع، وعبر عن الجماع باللامسة لأن القرآن مستواه عال، فالبنات البكر الحبيبة تستطيع أن تقرأ القرآن على والدها، ولا تأتي آية تجعلها تمرض من الألم ومن الحياء، فقال: أَوْ لَمْ يَسْتُمْ النِّسَاءَ [النساء:43]، ولم يقل: أَوْ نَكَحْتُمُ النِّسَاءَ، ولا: أَوْ جَامَعْتُمُ النِّسَاءَ، فهذا القرآن يقرؤه الرجل والمرأة والكبير والصغير، فلا يستحي أحد، ولا يخجل ولا يتألم، فكل عباراته سامية عالية كاملة. وفي آية الاعتكاف قال: وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ [البقرة:187].

والبشرة: الجلدة، فقال: وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ [البقرة:187]، ولم يقل: ولا تجمعهن، أو: ولا تتكوهن وأنتم معتكفون، والمعتكف حرام عليه أن يجماع زوجته وهو معتكف، وهذا ليس معناه: أنها معه في المسجد وحرام عليه أن يجماعها في المسجد، وإنما لا يذهب إلى بيته ليجامع، فإن فعل ذلك فقد فسق وعصى الرحمن عز وجل، فعبر عن النكاح بالمباشرة، وهنا الملامسة، وقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يسأله الطالب الصغير مثلي: عن المراد: بـ أَوْ لَمْ يَسْتُمْ النِّسَاءَ [النساء:43]، هل يمسه بيده .. برجله .. بكفه .. بكفه؟ فكان يدخل إصبعيه في أذنيه ويقول: ناكها، ولا يريد أن يسمع حتى هذه الكلمة، فكان يفتي ولا يستطيع أن ينطق بكلمة بذاءة؛ حتى أدخل أصبعيه في أذنيه حتى ما يسمع، وهذا هو الكمال البشري [فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا [النساء:43]] أي: اقصدوا، وتيمم بمعنى: قصد [صَعِيدًا طَيِّبًا [النساء:43]] والصعيد هو كل ما صعد على وجه الأرض، سواء كان تراباً أو رملاً أو سبخة أو حجارة أو صخوراً، إلا أن التيمم بالتراب أفضل، فإن لم يجد تراباً تيمم بما صعد على وجه الأرض ولا حرج.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 22

الطهارة شرط لصحة الصلاة، والطهارة إما عن حدث أصغر يكفي له الوضوء، أو حدث أكبر يحتاج إلى الغسل، كأن يكون المرء جنباً، أو المرأة حائضاً أو نفساء، ومن وجب في حقه الغسل فلم يجد ماء، أو وجده لكنه عجز عن استعماله فله أن يتيمم عوضاً عن الغسل، ويرتفع بذلك حدثه الأكبر، وتصح به صلاته. تابع حرمة الصلاة حال السكر والجنابة ومشروعية التيمم للعذر

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

وكنا بالأمس مع النداء الحادي والعشرين، وقد كان مضمونه ومحتواه: حرمة الصلاة حال السكر، فإذا كان العبد سكران لم يحل له أن يدخل في الصلاة أبداً؛ إذ قد يقول ما لا ينبغي أن يقوله، فقد يقول الهجر والكفر وهو بين يدي الله، مع فسقه وخروجه عن طاعة الله.

وقد علمتم أن هذا الآية نزلت قبل تحريم الخمر، إذ كانت الخمر مباحة، ثم حرمها الله تدريجياً، فلما كانت مباحة، تقدم أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بجماعة، فإذا به يقول الباطل، وينطق بما لا يحل، فندموا وبكوا، وإذا بهذه الآية النورانية تنزل كوكب من السماء، ونصها: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ [النساء: 43].

وإن فسق مؤمن وشرب الخمر، أو تعاطى مسكراً من المسكرات فلا يحل له اليوم وبعد اليوم وقبله أن يدخل في الصلاة وهو ثملان سكران.

وقوله: إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ [النساء: 43] يدل على أن عابر السبيل إذا كان جنباً يجوز أن يمر بالمسجد، لكن لا يجلس فيه، وأما المرور فجائز إذ كان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم أبواب إلى المسجد، فيمرون إلى بيوتهم من المسجد، وقد كان الصديق له باب يدخل منه المسجد، ومع هذا فقد أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بإغلاق وسد تلك الأبواب، فقال: (أغلقوا كل باب إلا خوخة أبي بكر).

ففيه إشارة أفصح من عبارة بأن الصديق سيخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته، قفيل وفاته أمر بإغلاق كل خوخة إلا خوخة أبي بكر، وحسبه أنه لما ثقل صلى الله عليه وسلم قال: (ادعوا أبا بكر يصلي بالناس).

وتعلموا، ومع هذا جاء أبو بكر وصلى وراء رسول الله، ثم قدمه رسول الله فأتى الصلاة بالناس، ولا يشك بعد هذا في خلافة الصديق لولا الزندقة والمجوسية واليهودية والصليبية الماكرة لتمزيق شمل المسلمين. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى [النساء: 43].

ولا تقربوا المساجد؛ لأن الصلاة أساساً في المسجد، فإذا كان لا يقربها السكران فالمسجد كذلك.

فمن هنا: استثنى الله تعالى المار العابر في المسجد، وكثيراً ما كنا نحتلم في المسجد، فأيام أن كنا أحداثاً كنا ننام في المسجد، فإذا احتلم أحدنا خرج على الفور، وإذا استيقظ ووجد نفسه محتتماً يخرج يغتسل ويعود، ولا يجلس يقول: أتم نومتي.

طريق نجاة المسلمين وعزتهم

الطريق العلم، فهيا نتعلم، ولا تقولوا: يا شيخ! لا نستطيع أن نتعلم، فنحن عمال وتجار، والدنيا فوضى، فلا نستطيع أن نتعلم، وأقول: والله إنكم تستطيعون، ولا يكلفكم ذلك شيئاً، وانظروا إلى اليهود والنصارى إذا مالت الشمس إلى

الغروب ودقت الساعة السادسة، يوقفون دولاب العمل، ويوقفون كل شيء ويذهبون إلى الراحة، ويستريحون على المزامير والطبول والمراقص واللهو والباطل والعبث؛ لأنهم أموات، فهم حيوانات، وهذا مصيرهم. وأما أنتم أيها المسلمون الربانيون! فكتابكم من السماء نزل، وهو بين أيديكم، والجنة والنار أمامكم، وقد بين هذا الكتاب، فعندما ينتهي العمل نذهب إلى بيوت الرب بنسائنا وأطفالنا، ونجد العالم الربّي يجلس لنا هكذا ونحن بين يديه، يعلمنا الكتاب والحكمة ويزكينا، كما كان رسولنا يفعل، والله يقول له: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة:2].

وأتحدى من يقول: لا يعقل أن أهل القرية يجتمعون كلهم بنسائهم وأطفالهم ورجالهم كل ليلة من المغرب إلى العشاء وطول العمر ولا يبقى بينهم جاهل أو جاهلة، فهذا مستحيل، وإذا انتفى الجهل فمن المستحيل أن يبقى بينهم زان أو زانية، أو أن يبقى بينهم لص كاذب خادع، فهذا والله ما يكون، وقد جرت السنة أن الطعام يشبع، والماء يروي، والنار تحرق، والحديد يقطع، ولم تتبدل هذه السنة، فهذه السنن لا تتبدل.

وكذلك العلم الإلهي إذا حل بالقلب وأناره، فصاحبه لا يفجر ولا يكذب ولا يسرق ولا يرتكب كبيرة، وهذه سنة لا تتبدل أبداً، وأنا أقول لهم: تعالوا، ودعونا كالعوام، ففي هذا المجلس الموجود والله لأعلمنا بالله أتقانا له من الآخرين، ولو تجري عملية نفسية لوجدت أن أعلمنا بالله أقلنا فساداً وشرّاً، وأجهلنا أفسقنا.

وأزيد بياناً آخر: الملائكة لا يعصون الله لأنهم مع الله، والأنبياء ما يعصون لأن الوحي ينزل، والله يكملهم، وأصحاب رسول الله كملوا وقلت فيهم الخيانة ونذر فيهم الفسق لأنهم مع رسول الله يعلمهم الكتاب والحكمة، وأهل كل بلد أو بيت يجتمعون على الكتاب والسنة تقرأ فيهم الجريمة، ويقل الفساد وينذر، والآن نقول: ما نستطيع، ونريد أن نخترق مسافة سبعة آلاف وخمسمائة عام للطائر، وننزل دار الأبرار مع النبيين والصديقين، فلنفكر في هذا، ولا نعجز عن أن نجلس في بيت ربنا حيث لا شرطة ولا بوليس ولا سحر ولا شياطين ولا ظلم، ونسأؤنا وأطفالنا وراءنا، ونلتقى الكتاب والحكمة، وفي كل يوم ينمو طهرنا، ويزداد صفاؤنا، وتتغير نظراتنا، ونصبح ربانيين، نعرف حقائق الحياة وأسرار الكون بكامله؛ لأنه كتاب الله.

وإذا قلنا: لا نستطيع فلنبق على ما نحن عليه، وأما العروج إلى الملكوت الأعلى فيفتقر إلى روح شفافة، نقية طاهرة أكثر من بياض هذه الورقة، وأكثر من هذا النور؛ حتى تفتح لها أبواب السماء، وتدخل دار السلام، وأما وهي ملوثة منتنة عفنة خبيثة فليس لها ذلك، وهذا الكلام ذكره الله في قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ [الأعراف:40].

ومستحيل أن يدخل البعير في عين الإبرة، إذًا: فالروح الخبيثة بأضرار الشرك والكفر والمعاصي لا تدخل دار السلام.

فلا تقل: إنك لا تستطيع أن تجلس في بيت ربك، فلن يصيبك شيء.

ووالله لو أن أهل قرية التزموا بهذا المبدأ الإلهي وأصبحوا في بيت ربهم يتعلمون الكتاب والحكمة لتوفر لديهم المال، وأقسم بالله، ووجه توفره هو أن الشره والترف والحب للأكل يخف ويقل والله، وقد عرفنا هذا وجربناه، والتكاليف على الدنيا يقل، فيتوفر المال، ولا يبقى في القرية من يجوع أبداً أو يعرى.

حكم الصلاة على وسائل المواصلات

أيضاً: لا يصح أن نصلي فريضة على غير الأرض، فراكب الطائرة أو القطار أو السيارة ينزل ويصلي الفريضة، وأما النافلة فصلها كما شئت، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته النوافل، وأما الباخرة إذا ركبها وكنت في وسطها فما تظن أنك في باخرة، بل في غرفة هادئة، فيصلّي في الباخرة؛ لأنه قد يبقى شهراً كاملاً في البحر، فالباخرة هذه كالقرية ماشية، فيصلّي فيها جماعة ويؤذن المؤذن، وقد فعلنا هذا، وأما في الطائرة والسيارة والقطار فصل النافلة كما شئت، لا الفريضة، إلا إذا كنت موقفاً أن رحلة الطائرة لا تنتهي ولا تنزل على الأرض إلا بعد غروب الشمس، وأنت ما صليت الظهر والعصر، فهنا صل على الطائرة الظهر والعصر بالإيماء أو بالإشارة أو بما أمكنك، وإياك أن تتركهما حتى تغيب الشمس، وإذا كان وقت الصبح وأنت في الطائرة أو القطار أو السيارة وعلمت أن الرحلة تنتهي قبل طلوع الشمس فلا تصلي، والطائرة هي التي تطير، ولا يمكن أن تقف في غير مطارها، فإذا أدركتك الصلاة فاسأل الربان هل تنزل الطائرة قبل غروب الشمس أو لا؟ فإن قالوا: نعم، تنزل قبل غروب الشمس بساعة، فلا تصلي الفريضة في الطائرة، وآخر العصر والظهر، وصل عندما تنزل مباشرة، وإن

قالوا: لا، لن نصل إلا بعد ساعة أو ساعتين من الليل فصل على الطائرة والقطار، فإن علمت أن الرحلة لا تنتهي ولا تقف الطائرة أو القطار إلا بعد طلوع الشمس فصل الصبح على سيارتك أو طيارتك كما أمكنك. فاعرف هذا.

والسيارة تقف للصلاة، إلا إذا كانت سيارة يهودي أو صليبي أو شيوعي وقال: أنا لا أعرف الصلاة، ومع هذا لو كنا فحولاً لقلنا: والله لتقفن حتى نصلي، فهم لا يخافون من انقلابها إذا توقفت، وهنا البطولات، فيقف وينزلون يصلون ثم يركبون، فالسائق إذا أراد أن يبول يوقفها ويبول، ولا يتوقف للصلاة، وهذا من هبوطنا. والقطار ممكن أنه لا يستطيع أن يقف إلا في محطات؛ لأنه يمشي على الحديد، فقد ينقلب القطار لو وقف، ففي هذه الحال اسكتوا حتى يصل إلى البر وصلوا. والقصر شيء ثان، فإذا كانت المسافة مسافة قصر يقصر.

والآن عندنا في المملكة إذا دخلت الصلاة تقف السيارة رغم أنف السائق والمعاونين له على الباطل، فيصلون ويركبون، ولكن في ديار أخرى لا يوجد هذا النوع من الحياء، ولا يلتفت أحد إلى الصلاة، بل يقولون لك: صلي في بيتكم، والسبب في هذا الجهل، فهم ما عرفوا الله، ولا عرفوا ما يحب ولا ما يكره، ولا عرفوا ما عنده لأوليائه، ولا ما لديه لأعدائه، فلن يستطيعون الاستقامة على طريق أدق من السيف وهم ما عرفوا. حكم صلاة عدة صلوات بتيمم واحد

قال: [واعلم أن من تيمم لعدم وجود الماء، أو لمرض يمنعه من مس الماء أو الحصول عليه فإنه يتيمم لكل صلاة، وإن تيمم للفرض صلى به النوافل القبليّة والبعدية معاً] وما شاء الله، فإذا تيمم للعشاء صلى معها التراويح كلها، فأولاً يتيمم للفرض، فإذا تيمم فله أن يصلي النافلة قبل الصلاة أو يصليها بعدها، فكله جائز بتيمم واحد، وإن حصل أنك تيممت وما انتقص تيممك حتى جاءت الفريضة الثانية فلا بأس، فتيممك معك، ولكن الأحوط لأن الزمان بعيد من الظهر إلى العصر أو من الصبح إلى الظهر - فقد تجد الماء إذا كان المانع هو عدم وجود الماء - فإذا دخل الوقت تيمم وصلي، فهذا أحوط لديك [فاعرف هذا زادك الله علماً. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

هذا النداء الواحد والعشرون، فاسمعه مرة ثانية حتى تكونوا من أهله إن شاء الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا [النساء:43].

فالحمد لله على عفوه ومغفرته، وأنا أنصح المستمعين والمستمعات أن يوجد هذا الكتاب في بيوتهم، وعنده رءوسهم، والآن عندنا الضوء فقرأ، وحتى الفانوس لا بأس لمن ينام في غرفة مظلمة بلا فانوس، فقبل أن ينام يسمع نداء من نداءات الرحمن، فهو منادى، وإذا قال: أنا غير منادى فليجعل البرنيطة على رأسه والصليب وليخرج، وأما ما دمت تقول: أنا مسلم فأنت منادى، فيجب أن تسمع نداء الله، وتعرف ماذا يريد منك. وهذا الكتاب باكورة جديدة، وهو لم يطبع بعد، ولكن من باب التفاؤل، ونرجو أنه ما تمضي سنة إلا وهو في بيوتكم، وأهل الخير موجودون.

ولقد درسنا الحياة وعرفناها، وعرفنا علة هبوطنا وسقوطنا وضلالنا وفرقتنا، وهو والله ما هو إلا الجهل، وهذا عامل قوي من عوامل العلم، فإذا كنت تحسن القراءة والكتابة وتقرأ الجريدة وتفهم ما فيها من الباطل فافهم نداء الرحمن، فضع عند رأسك هذه النسخة ولو كنت في الفندق، وقبل أن تنام اقرأ نداء فقط، وكرره حتى تحفظ كلماته، ثم تبحث عن الشرح فتفهم مراد الله وتعمل، ولا تزال تعلم وتعمل حتى لا تمضي عليك سنة إلا وأنت من علماء المسلمين. معنى الجنب والغائط والملامسة

قال: [وأخيراً: أيها القارئ الكريم!] لنداءات الرحمن [هل تعرف معنى الجنب؟ إنه الرجل أو المرأة إذا جامع أو احتلم فخرج المني منه أصبح جنباً، أي: به جنابة، وهل عرفت معنى الغائط] في الآية: أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ [النساء:43]؟ [66 إنه مكان التغوط أي: التبول والخرء، وهل عرفت معنى: أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ [النساء:43]؟ إنه الجماع].

قال: [وهل عرفت موجبات الوضوء أو نواقضه؟ إن الوضوء يجب من الخارج من السبيلين] أي: [القبل والدبر، وهو البول والخرء، والريح والضراط] وذكر هذا ليس عيباً، فهذه قالها الحبيب عليه الصلاة والسلام، فقد قال: (إذا نودي للصلاة ولى الشيطان وله ضراط) .

حتى ما يسمع، فيهرب وله ضراط قوي كصوت المدفع حتى ما يسمع، فإذا انتهى الأذان رجع، ولما نأخذ في الإقامة يشرد، وإذا انتهت الإقامة يأتي حتى يدخل في قلوب الناس يوسوس، عليه لعائن الله؛ فإنه عدو.

قال: [ومن مس المرأة] سواء بيده أو برجله أو برأسه أو بكتفه [بشهوة] أي: أنه يريد أن يتلذذ بمماسستها، فهذا يجب الوضوء، وإن كان متوضئاً انتقض وضوءه، كأنه بال.

وأتباع الإمام الشافعي أو تلامذته، ولا نقول: أتباعه، فليس عندنا انقسامات، يفهمون أن من مس المرأة انتقض وضوءه؛ أخذاً بظاهر الآية: **أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ** [النساء: 43].

فالذي تتلمذ للإمام الشافعي يرى أنه إذا وضع يده على امرأته ومسها انتقض وضوءه؛ لأنه المفهوم من قوله تعالى: **أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ** [النساء: 43].

وقال غيره من أئمة الهدى والعلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم: المراد هنا الجماع؛ لأن السياق في بيان وجوب الغسل، فإن أنت حقاً أردت الشهوة ومسست فقد انتقض وضوءك بلا خلاف أبداً، أو ما قصدت شهوة لكن ما إن وضعت يدك على امرأتك وجدت لذة انتقض الوضوء بلا خلاف، وأما كونك ما تريد لذة ولا وجدت وإنما مسستها فقط فإن الوضوء لا ينتقض.

فليفهم السامعون والسامعات هذه، فهذه يدرسها الفقهاء فصل الشتاء بكامله، وهي كما علمتم.

وحبر الأمة الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتأويل فأصبح أكبر مفسر لكتاب الله كان يدخل إصبعيه في أذنيه ويفسر الملامسة في قوله تعالى: **أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ** [النساء: 43] بالجماع، وليس مجرد المس.

ويبقى إذا هممت أن تتلذذ بامرأتك ووضعت يدك عليها فقد انتقض وضوءك، وإذا أنت ما قصدت ولكن ما إن مسستها حتى تأجبت نار الشهوة فقد انتقض الوضوء ويجب الوضوء، وأما إذا لم تقصد ولم تجد فوالله ما انتقض الوضوء.

وقال أحد الطلبة الصلحاء: إذا طاف الحاج شوطاً واحتك بامرأة أو هي احتكت به قال بعضهم: انتقض وضوءه، فيخرج من الطواف يتوضأ، وعلى هذا لن يكمل ولن يتم طوافه، إلا إذا عملنا سياجاً من حديد وأصبحت النساء على جهة والرجال على جهة فهكذا ممكن، وأنت بين يدي الله تطوف ببيته كالملائكة تطوف ببيت الله في السماء، وليس لك أبداً قصد ولا إرادة ولا غريزة ولا شهوة، فإن دفعتك امرأة أو دفعك من دفعك فلا شيء عليك أبداً، ولا ينتقض هذا الوضوء.

[وكذا مس الذكر، والنوم الثقيل.

فهذه موجبات الوضوء، وهي نواقضه أيضاً، فاعرف هذا].

عفو الله ومغفرته للمؤمنين

قال: [وقوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا** [النساء: 43].

فيه إظهار لرحمة الله بالمؤمنين وعفوه عن مسيئهم؛ إذ الآية نزلت فيمن صلوا وهم سكارى قبل تحريم الخمر رحمة بهم، فلم ينزل بهم عقوبة [بل] وغفر لهم ذلك الذنب الذي ارتكبه بغير قصد [هذه مظاهر عفو الله ورحمته بالمؤمنين.

غسل الجنابة

قال: [وإن سألت عن كيفية الاغتسال فاعلم أن الجنب يصب الماء على كفيه قائلاً: باسم الله، ناوياً رفع الحدث الأكبر، أي: الغسل من الجنابة، ثم يغسل فرجيه القبل والدبر وما حولهما، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، وهو أن يغسل كفيه ثلاثاً، ثم يتمضمض ثلاثاً، ثم يستنشق ويستنثر ثلاثاً، ثم يغسل وجهه ثلاثاً، ثم يغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم اليسرى ثلاثاً، ثم يمسح رأسه وأذنيه مرة واحدة، ثم يغسل رجله اليمنى، ثم اليسرى إلى الكعبين.

وهذا هو الوضوء فاعرفه [يا عبد الله! ولكن أدرج في الغسل] ثم يخلل شعر رأسه بكفيه، ثم يغسل رأسه كله ثلاث مرات، ويغسل أذنيه ظاهراً وباطناً، ثم يغسل شقه الأيمن من رأسه إلى قدمه، ثم الأيسر كذلك، بحيث يعمم الماء على كل جسده، فلا يترك لمعة أبداً.
بهذا عرفت [أيها القارئ والمستمع!] كيفية الغسل والوضوء معاً [.
تنبيهات حول الغسل من الجنابة

تنبيهات: الأول: انتبه! فإن الإبط قد لا يصل إليه الماء، فارفع يدك واغسله من الجهة اليمنى واليسرى.
ثانياً: سرتك، فإن بعض الناس تكون سرتهم غليظة وطويلة، فعليه أن يغسلها ويتعاهدها بالماء.
ثالثاً: إذا كنت جالساً فمد رجليك واغسل تحت ركبتيك.
مع أن علياً يقول: تحت كل شعرة جنابة.
واسألوا الأطباء فسيقولون: هذا الإفراز الذي يفرزه ينفعل له الجسم بكامله، فكل خلايا الجسم تتفعل.
هذا هو الغسل.

فإذا اغتسلت فصل .. اقرأ القرآن .. ادخل بيت الرحمن، وإن قلت: أنا مريض، أو ما وجدت الماء فكيف اغتسل؟ فقد أفتاك الرحمن: وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا [النساء:43].
والصعيد الطيب أي: تراب طيب، بمعنى: طاهر، وإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.
و (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً) .
فالمراد من الطيب الطاهر.
وبهذا نكون قد عرفنا الغسل، وقد عرفنا الوضوء قبل الغسل، فأولاً يتوضأ ثم يغتسل.
كيفية التيمم

التيمم قال فيه تعالى: فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ [النساء:43].
وكيفيته أن تقول: بسم الله، ثم تضرب بيدك على التراب إن وجد، أو على صخرة أو على حجارة أو على سبحة، المهم على الصاعد على وجه الأرض، وقم صلّ، وابن عمر رضي الله عنهما كان يمسح ذراعيه كالوضوء، ولم ينكر عليه أحد والله؛ لأن الآية عامة، فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ [النساء:43].
ومن أخذ برخصة عمار بن ياسر فنعم الرخصة، وأنا أنصح بها للذين يلبسون المعاطف الذين بلادهم باردة، فينزح كل شيء حتى يمسح ذراعيه، فلا تتعب نفسك ولا ترهقها، وأما التي ثيابه هكذا فهذا سهل.
وفقه هذه القضية حتى لا تتشدد: أنك لما تضع يديك على التراب لم يزل الوسخ من وجهك أو يديك، وإنما سر هذا لتعرف قيمة الطهارة في الإسلام، وأنك عندما عجزت عن استعمالها لانعدام الماء أو لعجزك عن استعماله فأشّر إشارة عملية إلى أنك لو قدرت لغسلت وجهك ويديك؛ لتبقى هذه العبادة مرتبطة بك طول حياتك.
فليفهم الأبناء هذا، ولنبقى دائماً ملتزمين بالطهر، فلما عدنا الماء المطهر لعجزنا عن استعماله أو عدم وجوده فإننا لا نقوم نصلي فقط، بل نعمل هكذا إذعائاً منا وقبولاً لأمر ربنا ثم نصلي.
هذا درسناه أمس، ودرسنا من الشرح ما شاء الله، وبقيت هذه الوريقة، نسمعكم إياها، ثم ننتقل إلى النداء الثاني والعشرون إن شاء الله.
وجوب الغسل من الجماع

قال تعالى: وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا [النساء:43].
في هذه الآية بيان إثبات موجبات الغسل، فالذي يوجب الغسل الجماع، أي: ملامسة النساء، وقد كنى عن الجماع بالملامسة؛ لأن القرآن كتاب الله العليم الحكيم يقرأ بين أفراد العائلة، فالأم تقرؤه على بناتها، والابن يقرؤه على أمه وأخته، فلم توجد فيه عبارة تثير الغريزة أو تحرك شهوة، أو تجعل القارئ يستحي ويخجل ويسكت عن القراءة.
هذا كلام الرحمن الرحيم.

فإذا جامع الرجل امرأته وجب الغسل، وحرم أن يدخل المسجد إلا عابر سبيل، والجماع هو الاختلاط، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فيه ولنحفظ هذا الحديث: (إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل). فإذا سمعت أيها المؤمن! حكمة نبوية فحاول أن تنطق بها، ولا تظن أنها رخيصة، فهي والله لخير من ملء الأرض ذهباً.

وقوله: (إذا التقى الختانان) الختان الأول: ختان الرجل، والثاني: ختان المرأة، أي: موضع الختان، وسواء كان أمني أو لم يمن، أفرز الماء أو لم يفرز.
وقوله: (فقد وجب الغسل) هذا الغسل بيناه أمس.
كيفية الغسل من الجنابة

صورة غسل الجنابة: اجلس في مكان ماء، وقل: بسم الله، ولا ترفع صوتك بها، واغسل كفيك ثلاث مرات، وأنت ناي أي: في قلبك وفي نفسك أنك تريد أن تغتسل -إذ الله أوجب عليك الغسل للجنابة- وترفع المانع الذي يمنعك من أن تصلي أو تقرأ القرآن أو تدخل المسجد، وهذا المانع هو الجنابة، فلا بد وأن تحدث نفسك بهذا، (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى).

ثم اغسل فرجيك قبلك ودبرك غسلاً كاملاً وما حولهما حتى لا تحتاج إلى إعادة الغسل مرة ثانية، وقد تمس فرجك بكفك فينتقض وضوءك، فمن الحيطه والأحوط: أن تغسل فرجيك وما حولهما، وبعد ذلك إن كانت هناك ترباً في جدار فادلك يدك بالتراب؛ لأن أبا القاسم فداه أبي وأمي والعالم أجمع كان يفعل ذلك؛ إذ لم يكن عندهم صابون، فلكي تطهر اليد وقد باشرت القدر والوسخ - إذ أنه لما غسل الدبر كان به عذرة- فادلك يدك بالتراب، والآن الصابون إلى جنبك، فإن استنجيت وفرغت فاغسل كفيك بالصابون، فإذا فرغت فتوضأ وأنت جالس وضوءك للصلاة، فاغسل كفيك ثلاثاً، ثم تمضمض ثلاثاً، واستنشق واستنثر ثلاثاً، واغسل وجهك ثلاثاً، وحد الوجه طويلاً من منبت الشعر في الجبهة إلى منتهى الذقن، وعرضاً من وتد الأذن هذا العظم إلى هذا، ثلاث مرات، ثم اغسل يديك إلى المرفقين ثلاثاً ثلاثاً، ثم امسح رأسك هكذا بيديك وامسح أذنيك مرة واحدة، ثم اغسل رجلك إلى الكعبين، وبهذا تكون قد توضأت، وهذا هو الوضوء الذي تتوضأ للصلاة.

ثم من الحكمة الطبية - وأبو القاسم سيد الأطباء هو الذي شرع هذا- اغمس يديك في الماء، وخلل أصول شعر رأسك حتى تستأنس البشرة والجلد بالماء، حتى إذا صب عليها ماء ساخن أو بارد لا تتأذى، وتخليل شعر الرأس بأن تغرف غرفة بكفيك، وتضعها على يمين رأسك، ثم تمررها على رأسك بكامله حتى أذنيك ظاهراً وباطناً.

هذه واحدة.
ثم أيضاً اغرف غرفة بكفيك وضعها على شقك الأيسر، واغسل بها كافة رأسك تماماً مع الأذنين في الظاهر والباطن، ثم الغرفة الثالثة ضعها فوق الرأس، ثم اغسل بها رأسك جميعه، والمرأة في هذا كالفضل، فلا بد من غسل الرأس بهذه الطريقة، فإذا غسلت رأسك فقد بقي الجسم، فخذ الماء وصب من عنقك إلى كتفك، واهبط إلى ذراعك قطعاً إلى المرفق، وانزل بالغسل إلى كعبيك، وابدأ باليمنى وارجع إلى الجهة اليسرى.
وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ورد المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله

الآن مع [النداء الثاني والعشرون] وهذا النداء سياسي، فالقرآن فيه سياسة، والله ما ترك الله تعالى شيئاً يقعد بالآدمي أو يرفعه إلا ذكره، عرف هذا من عرفه، وجهله من جهله، حتى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يحلف أبو هريرة يقول: ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا بينه، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، لكن بعدنا عن الكتاب والسنة وأصبحنا جهالاً ما نعرف شيئاً.

وهذا النداء موضوعه وفحواه [في وجوب طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر] أي: الحكام والعلماء [من المؤمنين، ورد المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم]
الآية (59) من سورة النساء: أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء:59].

هذا كلام الله تكلم به وأوحاه إلى رسوله، والمنادون بهذا النداء كل مؤمن ومؤمنة، سواء كان أبيض أو أسود أو أصفر، عربي أو عجمي، في الأولين أو في الآخرين إلى يوم القيامة، فكل مؤمن منادى، والمنادي هو الله سيدنا ومولانا ومربينا، فهو رحيم بنا.

فلنسمع ندائه هنا، فهو يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء:59]. ومن قال: أنا لا أطيع الله كفر، ومن قال: أنا لا أطيع الرسول كفر أيضاً، ولو اعترف بالوهمية الله وربوبيته عليه ما قال هذه الكلمة، ولو اعترف برسالة المصطفى ونبوته ما قال: لا أطيعه ولو احترق. وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء:59].

وأصحاب الأمر فينا الأمراء والعلماء والمربين والآباء والأمهات، ولو لم يكن للأب أمر لم يترب الولد. وفي قوله: وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء:59] لطيفة علمية دقيقة، فهو لم يقل: (وأطيعوا أولي الأمر منكم)، كما قال: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [النساء:59]؛ لأن طاعة الله استقلالاً، وطاعة الرسول استقلالاً، وطاعة ولي الأمر ليست استقلالية، بل تابعة لطاعة الله والرسول.

ومعنى هذا: أنه لو أن الإمام أو الحاكم قال: يشرب الخمر لم يطع، ولو قال الإمام أو الحاكم: لا تصل، ولا نريد هذه الصلاة، فلا تطعه.

لكن لا بأس إذا قال: أيها العمال! أخرجوا صلاة الظهر، واجمعوها مع العصر في أول الوقت؛ لأن الظرف يقتضي كذا وكذا، وأجمعنا فلا بأس؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أذن في هذا، فهذا ليس من عنده هو. فطاعة أولي الأمر تابعة لطاعة الله والرسول.

ومن هنا لو أمرك أبوك بمعصية الله علانية فلا تطعه؛ إذ لا حق له أن يأمر بذلك، ولو أن والدتك قالت: يا ولدي! احلق لحيتك، لا أريد أن أرى هذا الشعر في وجهك، وإلا أبغضتك فلا طاعة لها، وأطع رسول الله.

ولو قالت لك: يا ولدي! لا تأكل البقلاوة؛ فقد أفسدت علينا فلوسنا ونقودنا، فأطعها؛ لأن هذا مباح، فإذا أمرتك فامتنل. وهذا النداء [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] [النساء:59] نشرحه إن شاء الله غداً.

والتنازع كأن يقول هذا حلال، وهذا يقول: حرام، أو هذا يقول: واجب، وهذا يقول: لا، فنرد هذه القضية إلى الكتاب والسنة، فالرد إلى الله أي: إلى كتابه، والرد إلى رسول الله أي: إلى سنته؛ لأن الرسول مات، وأيام كان حياً لم يكن أهل مكة إذا تنازعوا يأتون إلى المدينة من أجل هذه القضية؛ لأن سنته بينهم، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [النساء:59].

فإن هذا الموقف لا يقفه إلا مؤمن صادق الإيمان.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 23

إن العبد المؤمن إذا أراد سعادة الدنيا والآخرة فعليه بالتزام طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وطاعتها تتحقق بفعل الأمر وترك النهي، ثم طاعة ولاة الأمر من الأمراء والعلماء، ويدخل في ذلك الوالدان والمربون الصالحون، فكل هؤلاء لهم حق الطاعة، ولكنها ليست طاعة مطلقة كطاعة الله ورسوله، وإنما تكون طاعة مقيدة، إذ لا بد أن تكون طاعة في المعروف.

تابع وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ورد المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون، ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، وها نحن مع هذا النداء الثاني والعشرون، وقد علمنا بالأمس أنه في وجوب طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وطاعة أولي الأمر من المؤمنين، وفي رد المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. معاشر المستمعين والمستمعات! الغافلون منا ترهبهم كلمة الطاعة، فهي تفزع الغافلين؛ لأنهم ما عرفوا ما تثمر الطاعة، فقد صرفهم العدو إلى جانب آخر، وهو أن العمل إرهاب وإتعاث وتنغيص للسعادة وتكدير لصفاء الحياة، ففهموا هذا الفهم، وأنا أقسم لكم بالله، الذي لا إله غيره، ما طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر منا إلا سلم للكمالات، ويستحيل أن تتم سعادة على غير هذا السلم، وقد جربت البشرية نظريات لا حد لها، وجربت قوانين وضعتها، وجربت أباطيل صاغتها، وغررت بالناس وحفزتهم، ووالله ما أسعدت أحداً.

فالسعادة سلمها هو طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وطاعة أولي الأمر منا معشر المؤمنين! فلا تفزع لكلمة الطاعة، فهي بمثابة تعاليم لإسعادك وإكمالك والسمو بك، ورفعك إلى الملكوت الأعلى، فهي والله لا تخرج عن هذا، وشقي وخسر وتمزق من حرم طاعة الله، وطاعة رسوله وأولي الأمر من المؤمنين، والحياة كلها شاهد. ففي قريتنا ذات الألف ساكن المطيعون لله والرسول أحسننا وأفضلنا وأكملنا وأطهرنا هو أسعدنا، بلا جدال، وأكثرنا عصيانياً وتمرداً على الله والرسول أشقانا وأخبثنا وأهبطنا، وليس في هذا شك.

إذاً: هذه مقدمة حتى لا يفزع النائمون من كلمة: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [النساء: 59].

وهذا كالطبيب يقول لك: اشرب كذا لشفائك، أو تناول كذا لدوائك، أو اترك كذا ولا تستعمله حتى لا يضررك، أو اترك كذا حتى لا يرهقك، فهذه الأوامر لا يكرها العقلاء؛ لأنها تحافظ على حياتك، فكيف بولي المؤمنين ومتولي الصالحين؟ فهو لا يأمرهم أو ينهاهم بما يرددهم أو يشقيهم، وحاشا لله وكلا، فهذا من المستحيل.

والآن مع النداء، نتغنى به مرتين أو ثلاثاً، ثم نأخذ في شرحه كما اتفقنا أمس [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء: 59]].

أي: الرد للقضية التي اختلفنا فيها سواء مالية أو سياسية، أو شرائع وتقنين، فرد هذه القضية إلى الله والرسول والله خير لنا، وأحسن عاقبة منها.

فلو اختلف المسلمون في قضية من قضايا الحياة، هذا يجذب وهذا يجذب، فنردها إلى الله والرسول، أي: إلى كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم خير حالاً ومالاً، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء: 59].

والتأويل ما يؤول إليه الأمر، حتى وإن تراءى لنا أننا ما استفدنا من هذه القضية وأننا أخذنا جانباً غير ملائم إلا أن العاقبة خير، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء: 59].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء: 59].

وأزيج الستار عن عورة شائنة من عوراتنا، وهي أنه إذا اختلف إقليم مع إقليم في بلاد المسلمين، أو زعيم مع زعيم فينقلون القضية إلى الأمم المتحدة، لا إلى الله والرسول، والله تعالى يقول: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ [النساء:59]. (شيء) مطلق.

فيا أيها المؤمنون! إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه إلى قال الله وقال رسوله، والمسلمون لما هبطوا ردوا عوراتهم إلى الأمم المتحدة، والجامعة العربية يمكن أن ينظروا في الكتاب والسنة، وأما جامعات اليهود فلا يجوز إذا اختلف المسلمون في قضية أن ينقلوها إلى الأمم المتحدة، وإنما إلى الله جل جلاله وعظم سلطانه، وإلى الرسول أستاذ الحكمة ومعلمها على الإطلاق.

والله حكيم، فقد قال: إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [النساء:59].

وإذا كنتم لا تؤمنون فلا تردوها إلى الله والرسول، فلا يردها إلى الله والرسول إلا مؤمن بالله ولقائه.

[الشرح: اذكر أيها القارئ!] الذي يقرأ كتاب نداءات الرحمن لأهل الإيمان، فهو كتاب قيم حوى تسعين نداءً من نداءات الله جل جلاله إلى أوليائه من عباده، فعلى كل مؤمن أن يسمع هذه النداءات، وأن يتهيأ للعمل بما يدعوه الله تعالى إليه، فإن كان أمراً نهض به في حدود طاقته، وإن كان نهياً تخلى عنه واجتنبه وتجنبه، وإن كان علماً علمه، وإن كان بشرى سر بها وفرح، وإن كان إنذاراً وتخويفاً حذر وخاف ليسلم وينجو، وإما أن يناديك سيدك يا عبدي! تسعين مرة وأنت لا تسمع فالعياذ بالله، فلا نطرد من رحمته، فهو ينادينا لإكمالنا وإسعادنا، وتعليمنا وتربيتنا، ولرفعتنا وسمونا، ونحن لا نقرأ له نداء ولا نسمع، فالآن إذا طبع هذا الكتاب ووزع ينبغي أن يوجد في بيت كل مؤمن، ولا تقولوا إن هذا ليس ممكناً، فقد وجدنا في بيوتكم التلفاز والفيديو هات وهي بألف ريال أو بخمسة آلاف، وأما هذا فمجاناً، فضعه عند رأسك، فهل أنت لاصق بالأرض ولا تريد السماء أبداً؟ ولو أراد الله بنا أن نرقى إلى الملكوت الأعلى لوجد هذا الكتاب حتى في الفنادق الإسلامية، بل ويترجم إلى لغات العالم، ويوضع في كل الفنادق على الأسرة، فإذا جاء الزبون - كما تقولون - أو النزول يقرأ نداء ويفكر كلام من هذا ويسأل: فنقول له: هذا كلام الرب، فيسأل: من هو الرب؟ فنقول له: خالق الكون كله، ومبدع هذه الكائنات، وهو رب إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد والأنبياء والمرسلين.

وهذا الرجل ما كان يسمع بهذا أبداً، ففتحنا أذنيه فيقرأ النداء، ويسمع ماذا يقول، فقلنا: اذكر أيها القارئ! أي: لهذا النداء، أو المستمع! إذا كان أحدنا يقرأ والثاني ما يحسن القراءة، والذي ما يحسن يقول لمن يحسن: من فضلك أسمعني نداء من نداءات ربي، فأنا عبده ووليه، فمن فضلك اقرأ عليّ نداء من نداءاته، وهذه ليست صعبة، ولا يتكبر ويقول: أنا دكتور في الفلسفة فلن أقول هذا الكلام، أو أنا تاجر ملياري فلن أطلب من أحد أن يسمعني هذا النداء، فهذا أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم - الذي لم تطلع الشمس على مثله قط، الذي كان يتردد جبريل على بيته صباح مساء، والذي أسري به من مكة إلى بيت المقدس، ومنها إلى سدره المنتهى وإلى جنة المأوى، ومنها إلى فوقها، إلى مكان تأخر عنه جبريل وقال: وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ [الصافات:164].

وها هو ذا في حجرته الطاهرة، وكأنه مات الآن، فهو محفوظ البنية والجسد، وهو في دار السلام- يقول لعبد الله بن مسعود: (يا ابن أم عبد! اقرأ عليّ شيئاً من القرآن، فيعجب عبد الله ويقول: أعليك أنزل وعليك أقرأ؟ قال: إني أحب أن أسمع من غيري).

ونحن يتأفف أحدنا أن يسمع، فإذا لم تكن تحسن القراءة فاسمع، وقل: يا بني! اقرأ عليّ، أو يا أخي! أسمعني نداء من نداءات ربي، فأنا ما أحسن القراءة، وهذه ليست دعاية، فوالله لو نجحت هذه الطريقة لما بقي بيننا جاهل ولا جاهلة، ولكن العوائق كبيرة وطويلة وعريضة، وأيما مؤمن في بيته يقبل على هذه النداءات فوالله ليتخرجن فيها من علماء الإسلام الصادقين؛ لأنه عرف مراد الله في هذه الحياة بكاملها، وعرف ماذا يريد منه.

وجوب رد المختلف فيه إلى الكتاب والسنة

قال: [كان ذلك الأمر الأول، وهو طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر، وأما الأمر الثاني فهو: رد المختلف فيه إلى الكتاب والسنة، وهو رد واجب، من رفضه] أي: لم يقبله [على علم فقد فسق وظلم وتعرض للكفر والعياذ بالله] تعالى.

فلا تقل: لا إذا دعيت إلى كتاب الله وإلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم [إذ قال تعالى: فإن تنازعتم في شئ [النساء:59]] فالتنازع أن يقول هذا: حقي وهذا يقول: بل حقي، أو أنا أقول: هذا بيتي، وهذا يقول: هذا بيتي، أو هذه سيارتي، هذا التنازع، فإن تنازعتم في شئ [أيها المؤمنون! حكماً أو محكومين، علماء أو جاهلين، أي: في حليته أو] في [حرمة، في وجوبه أو عدم وجوبه، في جوازه وإباحته أو عدم ذلك، فردوه إلى القرآن والسنة النبوية الصحيحة] وأما سنة ضعيفة أو موضوعة فلا التفات إليها، بل السنة الثابتة الصحيحة.

[والذي يقوم بالتحقيق بيننا والمعرفة هم العلماء، علماء الشرع الفقهاء، والعارفون بالكتاب والسنة، لا الجهال والذين لا علم لهم، حتى ولو كانوا الحاكمين] أو القضاة.

فرد إلى الكتاب والسنة، والذين نرفع إليهم ذلك هم الفقهاء العلماء، العارفون بالكتاب والسنة، وأما شخص لا يعلم فلا ننقل إليه قضية كهذه، ولو كان الحاكم جاهلاً فارجع للقاضي [وقوله تعالى: إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر [النساء:59]] فيه إشارة أفصح من عبارة، وهي أن الذين يرفضون الرد إلى الكتاب والسنة فيما اختلف في حكمه ما هم بالمؤمنين بالله واليوم الآخر، ومن لم يؤمن بالله واليوم الآخر فهو كافر.

وأخيراً وإتماماً للنصح والتوجيه يقول تعالى: ذلك خير وأحسن تأويلاً [النساء:59] [أي: الطاعة لله والرسول وأولي الأمر ورد المتنازع فيه إلى الكتاب والسنة خير لكم أيها المؤمنون!] [أي: أحسن عاقبة] ولو بعد خمسين سنة [فهو خير حالاً ومالاً.

والحمد لله والشكر له على هدايته وتعليمه وإنعامه، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

طاعة أولي الأمر من المؤمنين

قال: [ثالثاً: طاعة أولي الأمر من المؤمنين؛ إذ أمر تعالى بها في هذا النداء بقوله: وأولي الأمر منكم [النساء:59]. وقيد (منكم) يخرج به طاعة الكافر، إذ لا طاعة لحاكم كافر إلا في حالة الإكراه الشديد المقتضي للقتل أو أشد العذاب؛ لقوله تعالى: إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان [النحل:106]] وأساساً ما يحكم المسلمون الكافرون، ولكنهم حكمونا لما هبطنا، وأصبحوا فوقنا في آدابهم وأخلاقهم وعدلهم، فإذا أمر الميسيو فأطعته، وقد عاشرناهم وما أمرونا بمعصية الله، وأتحداكم أن تروني مستعمرأ كان يعيش مع بريطانيا وقالوا له: يجب أن تحلق وجهك، أو يجب أن تكشف وجه امرأتك، فهذا والله ما كان، أو قالوا له: يجب أن تسرق جارك، والله ما أمرنا بهذا؛ لتقوم الحجة لله علينا. ولو أمرنا كما فعلوا بسمية و عمار عندما أمرهم بالكفر بالحديد والنار، أو كما فعلته الشيوعية أيضاً التي حكمت البلاد الإسلامية فقد حملت أهلها بالحديد والنار على الكفر، وأما النصارى واليهود فلا.

[وأولو الأمر يتناول الأمراء والعلماء والوالدين والمربين الصالحين] فهم أصحاب الأمر، وهم الأمير والمعلم والمربي والأب [إلا أن طاعتهم ليست مطلقة، بل مقيدة بالمعروف] فالأب إذا قال: افعل كذا افعل، وإذا قال: لا تفعل كذا لا تفعل، ولكن في حدود المعروف؛ إذ: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).

و (إنما الطاعة في المعروف) [فمن أمر منهم بالمعروف، وهو ما عرفه الشارع صالحاً نافعاً] وأمر به وشرعه [أو عرفه ضاراً فاسداً، فهذا الذي إذا أمر به الأمير أو العالم أو الوالد أو المربي الصالح تجب فيه الطاعة فعلاً أو تركاً] فإذا كان مما يفعل فعل، وإذا كان مما يترك تركه، فعلاً أو تركاً [إذ قال تعالى وهو يخاطب رسوله] صلى الله عليه وسلم: [وَلَا يَعْصِيَنَّكَ] [المتحنة:12] [يا رسولنا!] [في معروف] [المتحنة:12] [وهؤلاء اللائي لا يعصينك هن المؤمنات، وإذا أمر الرسول مؤمنة بغير المعروف فلا طاعة له، وحاشاه أن يأمر بغير المعروف، ولكن هذا من باب: (إياك أعني واسمعي يا جارة!) [أي: على المؤمنات طاعتك في المعروف، وأما غير المعروف لو أمرتهن به فلا طاعة لك فيه.

وهذا من باب الهداية القرآنية، وإلا حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر بغير المعروف، ومن هنا فطاعة أولي الأمر لا تجب إلا فيما كان معروفاً في الشرع، مأموراً به أو منهياً عنه [أو مباحاً] وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرر هذا الحكم فيقول: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني) [والفوضى الحادثة الآن في العالم الإسلامي سببها أنهم ما أطاعوا حكامهم والله العظيم! لأنه ما بلغني أبداً ما عدا فترة مضت في عدن لما بدأت الشيوعية جاءوا وعلموهم كيف يكفرون، وما عدا ذلك فليس في العالم الإسلامي من أمر بترك الصلاة ولا بالزنا، ولا بشرب الخمر، ولا ببيعها، ولا

بإتيان الربا، ولا ضرب المؤمن ولا سبه أبداً، وأتحدى من يقول: الحاكم الفلاني قال: لا تصلوا، أو قال: امسحوا كذا، ومع هذا عصيائهم؛ حتى نجد مجالاً للهو والباطل.

[وفي الوالدين يقول تعالى: وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ [لقمان:15]] أي: اصحب والديك بالمعروف، فلو قال: اجلس اجلس، ولو قال: قم قم، ولو قال: لا تصل فلا تطعه، ولو قال: اربط الدابة أو احلب العنزة افعل، فهذا مأمور به شرعاً، وأما إذا قال: لا تصل فلا تطعه، وصاحبهما في الدنيا بالمعروف لا بالمنكر. طاعة الرسول كطاعة الله تعالى لا تتحقق إلا بامتثال أوامره وترك نواهيه

قال: [ثانياً: طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي طاعة الله تعالى لا تتحقق إلا بمعرفة أوامره ونواهيه صلى الله عليه وسلم، ولا فرق بين ما كان للوجوب والندب، وما كان للتحريم والكراهة، وإن كانت أوامره ونواهيه صلى الله عليه وسلم مستوحاة] ومأخوذة [من الكتاب الكريم] فكل أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم أخذها من القرآن [إلا أن الله تعالى أمر بطاعته طاعة استقلالية؛ إذ قال تعالى: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [المائدة:92]] فحتى ولو ما أمر الله بهذا الشيء والرسول أمر يجب أن يطاع، ومع هذا لو أمر الرسول بمعصية يطاع فوالله ما يطاع، واسمع آية البيعة للنساء: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [المتحنة:12].

وأما في المنكر فلهن الحق أن يعصينك، وهذا لنعرف مستوى العالم الإسلامي، فرسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمر مؤمنة بغير المعروف لا حق له في الطاعة، ونحن نطيع المغنين، وهذا القرآن العظيم عجب، ولا يعصينك في معروف [المتحنة:12].

وأما غير المعروف والمشروع فلا حق لك في الطاعة، لا أنت ولا أبوك ولا أميرك.

[فكرر الأمر بالطاعة؛ لعلمه تعالى أن الأمة قد تعجز عن إدراك الأحكام الشرعية، والهدايات القرآنية ما لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم مبيناً لها، أمراً بها، ناهياً، وكيف وقد قال عز من قائل: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ [النحل:44]] فهذه هي مهمة أبي القاسم، ليبين للناس ما نزل إليهم مما يحمل من المعاني والشرائع] وهو صلى الله عليه وسلم قد قال: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله) وهو كذلك، فمن أطاع رسول الله فقد أطاع الله، ومن عصى رسول الله فقد عصى الله؛ لأن الله أمر بطاعة الرسول، وهو لم يطعه، أي: أنه عصى الله عز وجل.

[ومن هنا وجبت طاعته صلى الله عليه وسلم على كل مؤمن ومؤمنة في الأمر والنهي على حد سواء، ولا سيما ما كان منها للوجوب والتحريم، ووجب معرفة أوامره ونواهيه لأمتة، وإلا فطاعته متعذرة على المؤمن الجاهل بها] فالمؤمن الجاهل لا يعرف لا أمراً ولا نهياً، حتى يطيع الرسول.

طاعة الله عز وجل بفعل الأمر وترك النهي

قال: [أولاً: طاعة الله عز وجل، وطاعته تعالى تتحقق] للعبد [بفعل الأمر وترك النهي] فإن قال: أقم الصلاة فأقمها، وإذا قال: لا تشرب الخمر فلا تشربها، فطاعة الله ليست إلا أمراً ونهياً، أمر بما يزيد في كمالك وسعادتك، ونهي عما يشقيك ويرديك إن أنت فعلته [ولا فرق بين ما كان من الأمر للوجوب، وما كان للندب والإرشاد، وكذلك النهي، لا فرق بين ما كان منه للتحريم، وما كان للكراهة؛ وذلك أن الله تعالى لا يأمر ولا ينهى إلا من أجل إكمال عبادته وإسعادهم وإبعاد الشقاوة عنهم والخسران في الحياتين؛ لأنه ربههم ووليهم، وليس في حاجة إليهم. ومن هنا: فإنه لا يأمرهم إلا بما يحقق سعادتهم وكمالهم، ولا ينهاهم إلا عما يسبب شقاءهم وخسرانهم في الدارين] ومن شك في هذا يراجع إسلامه.

فهو الذي حرم الربا، فإذا تعاطيناه أصابتنا الشقاوة، وإن خفيت عنك اليوم فسوف تنكشف أمامك غداً، فلو كان الربا يرفع أو يسمن أو يغلي أو يعز فوالله ما حرمه الله، ولكن علم أنه يمزق الأوصال، ويشتت القلوب، ويمنع التآلف والتحاب والتوadd، ويثير الغرائز والشهوات والأباطيل.

والمسلمون يسمعون هذا في الشرق والغرب، ولكنهم لم يستجيبوا؛ لأنهم أموات لم يحيوا بعد، وإيمانهم تقليدي فقط، فيسمون أنفسهم مسلمين ومؤمنين، ولكن لا نور في قلوبهم يفيض على سمعهم وأبصارهم وألسنتهم، ويحرك ويدفع كل أجسادهم إلى طاعة ربهم.

وحكاية قديمة عن صحفية -المرأة المسلمة لا يصح أن تكون صحفية؛ لأن الصحفية تجلس مع البعيد والقريب، وتخلو بمن هب ودب لصالح العمل- لقيها صحفي في جدة، فقال لها: ما دينك؟ وظنها بريطانية، فقالت له بلهجتها: أظنه الإسلام! فانظر إلى هبوطنا، وانتظر ما سيحيق بنا وينزل بساحتنا، فإن الله بالمرصاد، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ [الفجر:14].

وانتقامه مخيف، فهو الذي سلب النصارى على جنة العالم الإسلامي الأندلس فحولها إلى صلبان، ومسحوا تلك الأمم الإسلامية في شرق أوروبا وحولها إلى بهائم، وهو الذي سلب علينا بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وبلجيكا فسادونا وحكمونا من أندونيسيا شرقاً إلى موريتانيا غرباً، فلا نتكبر الآن على الله، ولا تصيبنا عدم المبالاة بتحريره أو تحليله، فما نحن فيه والله ما هو إلا إمهال، فإما أن يتوب العالم الإسلامي، وإما أن تنزل الكوارث والمحن، إن ربك لبالمرصاد [الفجر:14].

[ومن هنا أيها القارئ الكريم!] أو المستمع المستفيد! [وجب أن تعلم أن معرفة أوامر الله تعالى ومعرفة نواهيته من أوجب الواجبات وألزماً] ومعنى هذا: ألا يبق جاهل في العالم الإسلامي، فهذا لا يجوز [وأن من لم يعرف ذلك لا يمكنه أن يطيع الله بحال من الأحوال] لأنك لا تستطيع أن تطيع الله في أوامر ما عرفت، ولا أن تطيعه في ترك منهيات وأنت لا تعرفها؛ ولهذا كان طلب العلم فريضة، فيجب أن نطلب العلم، ولا نحتاج في الحقيقة إلى جمعيات وجامعات وكليات وطلوع وهبوط، وإنما فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون [النحل:43].

فتعال أعلمك كيف تغتسل، فأغتسل أمامك وعلي إزار، فإذا عرفت ذلك فبلغ امرأتك وبناتك وأولادك، عرف، وإذا أردت أن تحج فتعال أعلمك كيف تحج، وسأريك كيف تحج، ثم امش به وبلغه جماعتك وأهلك، وبهذا انتشر العلم الإلهي في أصحاب رسول الله وأحفادهم وأبنائهم، يوم أن لم يكن هناك جامعة ولا كلية ولا مدرسة؛ لأنهم صادقون، وأرادوا أن يتعلموا، فإذا سأل وعلم نقل ذلك العلم في صدق وكمال، وفي أقصر مدة وأخصرها تتفوق الأمة بالعلم. والله عز وجل هو القائل: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون [النحل:43].

فيجب على من لا يعلم أن يسأل حتى يعلم، وإلا فهو عاص فاسق متمرّد؛ لأنه لا يستطيع أن يطيع الله ورسوله وهو لا يعرف أمراً ولا نهياً، أو يعرف مجموعة من الأوامر ولا يعرف آلاًفاً منها، أو يعرف منهيات محدودة ولا يعرف آلاف المنهيات، فلا يمكنه تحقيق طاعته لله وللرسول [فهو إذاً خاسر لا محالة في الدنيا والآخرة، فلنذكر هذا، ولنعلم المؤمنين به] فلا يجوز للمؤمن أن يعيش عاماً أو عامين أو عشرة وهو لا يعرف ما أحل الله ولا ما حرم، ولا ما يحب ولا ما يكره، ولا تقولوا: أوقعنا في حرج يا شيخ! فنحن لا نستطيع أن نتعلم، فوالله لتعلمنا لا شيء أيسر منه أبداً، فأهل القرية يجتمعون في مسجدهم بنسائهم وأطفالهم، والنساء وراء الستارة، ومكبر الصوت بينهن، والأطفال دونهن، والفحول أمام الكل، والمربي يعلمهم قال الله وقال رسوله على كرسيه بينهم، وليلة آية وليلة حديث وليلة حكمة وليلة معرفة، وهكذا يعلمون ويعملون وينمون ويرتفعون، فلا يمر عام إلا وكلهم أولياء الله.

فلنجرب هذا ونفعله، ولا نقل: لا نستطيع، ولكنهم وضعوا لنا العراقيل والسلاسل والأغلال، وكتبونا وقيّدونا، حتى لم نعد نستطيع، فأهل الحي في المدينة، والمدن الكبرى فيها أحياء إلى عشرين حي، فأهل كل حي يوسعون جامعهم؛ حتى يتسع لكل أفراد الحي، ويأتون من بعد المغرب إلى العشاء فقط، وطول النهار يجلسون في المصنع والمتجر والمزرعة، ومع غروب الشمس يأتون إلى بيت الرب يستمطرون رحماته، ويطلبون إفضاله وإنعامه، ويطلبون حمايته وحراسته من شياطين الإنس والجن، ويتعلمون الهدى، وإذا بهم كأنهم أسرة واحدة! وليس من أسرنا هذه الهابطة، بل كأنها أسرة من أسر الأولين، فيكون أهل القرية قلب واحد، فإذا قال الواعظ: غداً كذا، فعلوا، لا يتخلف أحد، وهذا لا يكلف إلا الراحة، فنستريح بين يدي الله.

وبهذا نتعلم ما يأمر الله به وينهى عنه، وما يأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم وينهى عنه.

سر نداء الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين

قال: [اذكر أيها القارئ أنك أهل لنداء الله تعالى لك، ولسائر المؤمنين والمؤمنات] وهذا حق، فالمؤمن بإيمانه قد أصبح أهلاً لأن يسمع نداء الله، ولأن يناديه ربه، ولولا الإيمان لما نادانا؛ إذ أننا بإيماننا أصبحنا أهلاً لأن نسمع

ونعي، ونفقه ونفهم وننهض أيضاً، وننتهي عندما ينهانا، ومن فقد الإيمان بالله ولقائه مات وهو ميت [وأن سبب هذا التأهيل] لأن ينادينا رب العالمين [هو الإيمان بالله رباً وإلهاً، وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالإسلام شرعاً وديناً، مع ضرورة الإيمان بباقي الأركان، وهي: الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره] فهذا كله داخل في كلمة مؤمن، ولو قال: أنا مؤمن بهذه الأصول إلا أصلاً واحد لا مؤمن به، كأن يقول: أنا لا مؤمن بالقضاء والقدر فقد كفر، وخرج من ملة الإسلام، ولو قال: أنا مؤمن بكل هذا إلا الملائكة لا مؤمن بهم؛ لأنني ما رأيتهم لم يبق مؤمناً، بل قد ارتد وكفر.

هذه هي أصول الإيمان.

لكن إذا قلنا: فلان آمن بالله ولقائه فقد دخل فيه كل ما سمعتموه.

[وهل تدري] أيها المؤمن أو أيتها المؤمنة! [لم ناد الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين في هذا النداء؟ إنه ناداهم ليأمرهم بأمرين عظيمين] والله العظيم [أنيطت] أي: علقت [بهما سعادة الدنيا والآخرة معاً] وقد قدمت لكم هذا، فليس هناك من يسعد بدون الإيمان ودون العمل، ولا يمكن هذا، وإن تبدل الناس وظنناه سعيداً لأنه كالبهائم تأكل وتشرب وتتكح فسيتمزق عما قريب ويتلاشى، وهذه ليست سعادة.

[فالأول] أي: الأمر الأول من الأمرين العظيمين هو: [طاعة الله وطاعة رسوله] صلى الله عليه وسلم [وطاعة أولي الأمر من المؤمنين، وهم الأمراء والعلماء] وإن شئتم أضيفوا الوالدين، والذي لا يطيع العلماء ما أطاع الله ورسوله، ولا أطاع أولي الأمر، وقد تمزق وضاع وتلاشى، ولو أننا أطعنا العلماء فقد صدرت فتياً من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -حفظه الله وأخذ من عمري فزاد في عمره قولوا: آمين- بأن هذا الصحن الهوائي لا يليق بمؤمن أن يدخله في بيته؛ لما ينتجه من فساد طويل عريض، يقضي على الخلق وعلى الكرامة والحياء والمروءة، ويحول المتفرجين والمتفرجات بطول الزمان إلى بهائم، ينزرو بعضهم على بعض، ووزعت الفتيا، وسمعاها القريب والبعيد، لكننا لم نستمع لها، وأدخلنا الصحن إلى بيوتنا، وأخرج انظر وستراها على السطوح، حتى نعرف واقعنا، فقد أصبحنا أمة هابطة.

وصدرت أمس فتياً من عالم رباني كبير - وهؤلاء العلماء أفذاذ لا يوجد لهم نظير في دنياكم اليوم- بأنه لا ينبغي التفرج على الألعاب من الكرة إلى الملاكمة، ولا يحل لمؤمن أبداً أن يذهب إلى ملعب أو إلى ملاكمة ويبقى الساعة والساعتين يتفرج، أو يمشي إلى أوروبا إلى بلد فيه الملاكمة أو فيه الكرة وينفق ماله ووقته ليتفرج، فهذا ليس إنساناً حياً، بل ميت.

فالمؤمن لا يقول الكلمة حتى يستأذن سيده، ولا ينفق الفلس حتى يستأذن مالكة، ولا يجلس جلسة ولا ينظر نظرة حتى يعرف أسيده أذن له أم لم يأذن، ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يستيقظ إلا تحت تلك التعاليم الإلهية، وكونك تترك الصلاة وتجلس تتفرج على اللعب لست محمدياً، بل ممسوخاً.

وهذه الفتيا وصلتنا أمس، وإن شاء الله تأخذون بها.

ونستغرب أن يسافر إنسان من المدينة ليشاهد مباراة في أمريكا أو في إيطاليا أو في مصر أو في المغرب، ويشاهد حركة الأرجل والأيدي كالبهائم! وهل بهذا ترتفع الأمة إلى القمة.

وا حر قلباه ممن قلبه شبح فقد هبطنا يا عباد الله! ويعجز أحدهم أن يجلس جلسة كهذه، بل يتململ ويتصجر ولا يقوى، ويجلس جلسات الباطل يضحك، ويقول: إنه مؤمن.

[والثاني] من الأمرين: [ورد] وإرجاع [المختلف فيه والمتنازع عليه إلى كتاب الله وهو القرآن الكريم، وإلى سنة رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً.

قال: [وإليك بيان وجه السعادة فيما أمر الله بطاعته، والرد إليه:]

المسلم مأمور بطاعة الله عز وجل واجتناب ما يقربه إلى غضبه وسخطه، وهو في هذا الطريق عرضة للفتنة من أعدائه؛ شياطين الجن والإنس، الذين يزينون له المعصية ويغضون إليه الطاعة، ويرجون له الانزلاق في مهاوي الردى، فعلى المسلم بذل الأسباب التي تقيه خطر هؤلاء الأعداء، بالاعتصام بالله والاستعانة به على عدو الشياطين، وكذا أخذ الحذر من عدو الإنس وعدم الاغترار به، ويدخل في ذلك أعداء المسلم من أهل الحرب والقتال الذين يلزمه الإعداد لهم، والصبر على مجادلتهم.

وجوب أخذ الحذر من العدو والتصرف بحكمة حال الحرب واشتداد القتال

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، فإذا أردنا أن نرتفع ونعود إلى مقاماتنا السامية قبل هبوطنا ينبغي لكل مؤمن ومؤمنة أيضاً أن يقرأ هذه النداءات أو يستمع إليها، فإنه يحصل على العلم الكافي، فيصبح ذا علم بربه وبمحابه ومكارهه، وكيف يتقرب إليه ويتوسل؛ ليرضى عنه ويحبه، وينزله في جواره يوم نهاية حياته.

وهذه النداءات قد حوت كل ما عبد الله أو أمة الله هو في حاجة إليه، وها نحن مع [النداء الثالث والعشرون] وفحواه أو عنوانه أو ما يحتويه [في وجوب أخذ الحذر من العدو، والتصرف بحكمة حال الحرب واشتداد القتال] واليوم المسلم هابط، لا شأن له بهذا، لكن لما كان هذا النور الإلهي ينزل ويتلقاه المؤمنون كان هذا هو التوجيه الرباني، وبمقتضاه خاضوا معارك في الشرق والغرب، وانتصروا على الشرك والكفر والله العظيم.

لكن لا يأس ولا قنوط: إِنَّهُ لَا يَنْتَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ [يوسف: 87].

وما يدريك فقد يأتي يوم ما وإذا أمة الإسلام من الشرق والغرب أمرها واحد، وخليفتها واحد، وقاعدتها التي تركز عليها واحدة، وهي أن ننشر الهدى في العالمين.

[الآية (71) من سورة النساء: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا [النساء: 71]].

وهذا النداء قصير، ولو درست في الكليات الحربية سبعين سنة فلن تأتي بما يتفوق على هذا النداء.

[الشرح] الآن مع شرح هذا النداء الكريم، هذا نداء الله لأوليائه، وأولياء الله هم المؤمنون، فكل مؤمن تقي هو الله ولي، وافرءوا: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس: 62-63].

وقد عرف العدو هذا، ونحن تركنا الحذر المطلوب منا، فإذا بالعدو يحصر الولاية فيمن مات وبني على قبره أو ضريحه قبة أو تابوت من خشب غال، ووضع على التابوت ستائر حريرية وإستبرق، فذلك هو الولي فقط، وما عداه فكلهم أعداء الله، فافجر بنسائهم، وكل أموالهم، ومزق أعراضهم، واحتل عليهم، وافعل بهم ما شئت، فليسوا بأولياء، وأما سيدي فلان صاحب الضريح والقبة فانتبه! فاحلف بالله سبعين مرة ولا تخف، ولكن لا تحلف بسيدي فلان، فإنك تحترق، حتى إن أحدهم لو دخل عاصمة من عواصم العالم من كراتشي إلى اسطنبول، وعندما يلاقي أول مواطن يقول له: يا سيد! أنا غريب الدار جئت إلى هذه البلاد، فدلي على ولي من أوليائها أزره، فوالله ما يأخذ بيدك إلا إلى ضريح، ولا يفهم أن في اسطنبول ولي حي، وهذا هو الواقع، وادخل دمشق أو القاهرة المعزية وأول من تلقاه اسأله: من فضلك! أنا غريب وجئت أزر ولياً من أولياء هذه البلاد فدلي عليه فلن يأخذك إلا إلى السيد البدوي أو الحسين ، ولا يوجد عندهم ولي حي يمشي؛ لأن الأولياء مبعولون معظمون محترمون؛ لأن الله يقول: (من أدى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

فلا أحد يقوى على أذية ولي، ومن هنا فإن أعداء لا إله إلا الله الثالث الأسود بعد دراسة وعلم قالوا: هيا نحتال عليهم، ونحصر الولاية في الأموات، ونترك الأحياء أعداء؛ ليأكلوا بعضهم بعضاً، وقد صدقوا، فأصبح الرجال يزنون بنساء إخوانهم المؤمنين، والرجل يسرق مال أخيه ويمزق عرضه، ويعتدي عليه ويتكبر عليه، وأصبحت أنواع الباطل كلها في ديار المسلمين، ولو عرفوا أن الأحياء هم أولياء الله فلن يقدر أحد على أن يؤذي ولي الله ولو بنظرة شذرة أو بكلمة نابية، ولكن الأولياء عندهم سيدي فلان وفلان الذين عليهم القباب والأضرحة والسدنة والزيارات، والذين ينذر لهم.

فقد هبطنا حتى بلغ في بعض ديارنا أن القاضي الشرعي الذي يطبق شرع الله ويصدر حكمه على فلان يحلف الخصم بسيدي فلان! ففي الحديث: (البينة على المدعي واليمين على من أنكر).

فإذا كان صاحب الدعوة ليس عنده بينة والذي أنكر عليه اليمين، وقلنا له: يا سيد! لا يجوز أن تحلفه بفلان قال: إنه مستعد أن يحلف بالله سبعين مرة ولا يخاف، لكن إذا قلنا: تمشي إلى ضريح فلان وتحلف يخاف، فأولياء الله هم الذين لا يحل عرضهم ولا مالهم ولا دمهم، وهم الذين يبجلون ويعظمون ويؤثرون على النفس ويقدمون، وقد قال تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62] لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا في البرزخ، وهم الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ [يونس:63-64].

فهؤلاء هم الذين يناديهم الرحمن جل جلاله، لأنهم أحياء يسمعون، ويعون ويفهمون، ويقدرّون على العمل والترك على حد سواء؛ لكمال حياتهم، وهؤلاء هم المؤمنون، فالنداء موجه إليهم، ونحن إن شاء الله منهم.

وانتبه! فقد سادت فكرة أيضاً راجت، فقد قالوا: من قال: أنا ولي يخشى عليه أن يموت على سوء الخاتمة. وراجع الخطاب في حاشيته على خليل، فهل يريدون أن نقول: إننا أعداء، والعياذ بالله؛ إذ ليس هناك واسطة، بل إما ولي وإما عدو، ولا يوجد من ليس ولياً ولا عدواً.

وإلى الآن يوجد من يعتقد أن الولي خفي ما يرى أبداً، وأن هؤلاء كلهم أعداء الله، فإذا: اذبحهم وكل أموالهم، فما داموا ليسوا بأولياء فيكونون أعداء.

والقرآن كتاب الهداية حولوه إلى الموتى، وأكثر من سبعمائة سنة والقرآن يقرأ على الموتى لا على الأحياء أبداً. وأزيدكم برهاناً لم يجلس أحد يوماً تحت ظل شجرة في قريته، أو ظل جدار من جدران منزله وقال: أي فلان! تعال اقرأ علي شيئاً من القرآن، فهذا لم يحصل أبداً، لكن إذا مات أبو أحد أو أخوه قالوا: تعال، اقرأ القرآن الليلة عندنا وفاة، فيقرأ القرآن على الموتى، وأما الأحياء فلا.

وما نحن نصرخ بأعلى الأصوات: ليت الأمة تتحرك، وتصبح هذه النداءات في يد كل مؤمن؛ ليصبح عليمًا بصيراً بالسياسة والمال والحرب والسلم والآداب والأخلاق والعقيدة والسلوك، ولا أحد يسمع.

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي ونداءات الرحمن تسعون نداء، احتوت على كل متطلبات الحياة، فاسمع نداءات ربك إليك، ولا تعرض عنها إلا إذا قلت: لا يا رب! أنا لست بمؤمن، فحينئذ لا يقرأ عليك، لا تنادي بها، وإنما ينادي الحي الذي يسمع ويعي.

وإذا حفظتم الآن النداء فصلوا به النافلة حتى لا تنسوه، فهذه الآية تكفيك في الركعة.

أولياء الله ومناداة الله لهم

قال: [الشرح: تعلم أيها المؤمن! أنه ما نادى الله تعالى عباده المؤمنين إلا ليبين لهم طريق سعادتهم وكمالهم، وعزهم وسيادتهم وقيادتهم؛ لأنهم أولياؤه، وهو وليهم] وأسلافنا الصحابة وأبنائهم وأحفادهم طيلة ثلاثة قرون لم تكتحل عين الوجود بأمة أعدل ولا أرحم ولا أعلم ولا أقوى ولا أقدر منهم.

وهم لم يحصلوا على هذا بأساطيل موسكو، أو بجامعات أمريكا وأوروبا، وإنما حصلوا عليه من هذا النور الإلهي كلام الله، وبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له وشرحه وتفسيره.

واليوم الرجال هنا خريجو الجامعات، وتجد الحاكم في العالم الإسلامي حوله جهلة ممتازون، وأهل القرآن مطرودون من الساحة، إلا من رحم الله.

وأهل القرآن يقرءون على الموتى، وهذا الواقع، فأهل القرآن في غير بلادنا هذه لا وظيفة لهم أبداً، ويعيشون على القراءة على الموتى لا أقل ولا أكثر.

وهناك نقابات خاصة في بعض البلاد يتصلون عليها بالتلفون: يا سيد! مات والدي نريد عشرة من الطلبة، فيقول له بالتلفون: من فئة مائة ريال، أو عشرين ريالاً، فإذا كان الميت غنياً طلب من فئة مائة ليرة أو جنيه، وإذا كان فقيراً من فئة عشرين والله العظيم.

فيعيش الرجل فاسقاً فاجراً ضالاً مشركاً يتخبط، ويريدون أن يدخلوه الجنة بألف ليرة يقرءون عليه، ولن يدخل الجنة، ولن يشم رائحتها ولو قرءوا عليه سبعين مرة القرآن بكامله.

فقراءة القرآن على الميت لا تزكي نفسه ولا تطيبها وتطهرها، بل القرآن تقرأه أنت المؤمن الحي، وكل كلمة تعمل عجبها في إضاءة قلبك وإشراقه نورك، وأما أن نضعه عليك فقط فلو وضعنا ألف مصحف فلن يعمل لك شيئاً، وكل ما في الأمر أن العبد إذا قرأ كلام الله يتوسل به، ويقول: رب! اغفر لفلان وارحمه، وأما أن تزكي القراءة نفسه فقد انتهى أمره ومات.

[وأن ما يأتي بعد النداء لا يكون إلا أمراً منجياً ومسعداً، أو نهياً مبعداً عن الشقاوة والخسران في الدارين، أو نذارة تخيف وترهب، فتحمل المؤمن على مواصلة فعل الخيرات، واجتناب المنكرات، ولا غرابة ولا عجب في هذا؛ لأن الولي لا يريد لأوليائه إلا نجاتهم وسعادتهم] وكلما تسمع الله يقول: يا أيها الذين آمنوا! فأعرها سمعك، فإنك مأمور، فإما أن تعلم، وإما أن تحذر وتبشر [والمؤمنون المتقون أولياء الله] ولا يمكن للشخص أن يكون ولياً لله إذا لم يعرف أوامره ونواهيه [والله وليهم؛ إذ قال تعالى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ [البقرة: 257] هذا وعد صادق، وهو وعد إخبار، اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ [البقرة: 257].

وهذه الظلمات هي ظلمات الشرك والكفر والفسق والفجور والخبث والتلصص والإجرام وغيرها، والنور واحد، وسبحان الله! فالظلمات متعددة، فهي آلاف من الظلمات، والنور واحد.

والنور هو نور الإيمان وما يضيء وما تشرق له الحياة.

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ [البقرة: 257]، أي: من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ولا يوجد نور أعظم من نور العلم، بدليل أن العالم ما يتقذر ولا يتوسخ بأدران الجرائم والموبقات؛ لأنه ذو نور، بخلاف الذي ليس نور، فقد يجلس على القتر، أو يضع رجله على حية؛ لأنه ليس عنده نور.

فهو [يخرجهم من ظلمات الشرك والكفر والنفاق، وكبائر الذنوب، وفواحش القول والعمل؛ لتبقى أنفسهم زكية طاهرة يرضاها تعالى، ويعطيها منها] و (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً).

فلا مجال للخبيث عند الله أبداً، وتعالى الله أن يقبل الخبيث من الناس أو الجن، وإنما يقبل الطيب والطاهر فقط [وقد أخبر بذلك في قوله: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس: 62].

وبينهم بقوله: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس: 63] وهذه جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأنها واقعة في جواب سؤال محذوف، لأن العبد العليم البصير بلغة القرآن إذا سمع من يقول: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس: 62] سوف يضطر إلى أن يسأل: من هم؟ وهل أنا منهم، فيسمع الجواب: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس: 63] [وبين تحقيق مناهم لهم فقال: لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ [يونس: 64] وأما البشرية في الحياة الدنيا فهي بأمرين: الأمر الأول: أن يرى رؤيا منامية صادقة غير كاذبة، فيعلم بواسطتها أنه ولي الله، وأنه من أهل رضوان الله، وإن لم يرها هو يراها غيره من الصالحين، ويبشره بها ويبلغه إياها، واقرأوا لذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: (الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له).

والبشرى الأخرى: عندما يكون أحداً على سرير الموت، وعما قريب سنجلس عليه، فيا عبد الله! لا تغرك حياتك ولا صحتك، بل لا بد من ساعة وأنت وأنا على سرير الموت، ويقول الطبيب: انتهى أمر أخيك، فقد برزت علامات الموت وظهرت ولاحت، والبصراء يعرفونها بالطب أو بدون طب، و (إن للموت لسكرات) كما يقول أبو القاسم صلى الله عليه وسلم.

وهنا عندما يكون عبد الله قد انقطع عن العالم الدنيوي، وأقبل على العالم الآخر فثم تنزل وفود الملائكة، مواكب محتلة بهذه الروح الطاهرة، لتخرج بها إلى رب العزة والجلال، واقرأوا لذلك آيتين في كتاب الله تعالى، الأولى: في فصلت، والثانية: في الأحقاف، ففي فصلت قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزِّلَ [فصلت: 30-32]، أي: ضيافة، مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ [فصلت: 32].

فهذه تكون وعبد الله على سرير الموت، فقبل أن يغمض عينيه يبشر بهذه البشرى، وهذا هو ولي الله، ليس سيدي عبد القادر ولا العيدروس، وإنما هو المؤمن التقي، ومعنى التقي: أنه كالذي يمشي على أرض فيها أشواك وعقارب وحيات، فيرفع رجله ولا يضعها إلا في المكان اللائق، حتى يصل إلى بيته. وهو ذاك الذي لا ينطق بالكلمة حتى يرى أنه مأذون له بها، ولا ينظر نظرة حتى يعلم أن الله سمح له بذلك، ولا يأكل لقمة حتى يستأذن ويعلم أنه أذن له، وهكذا في كل حياته، يتقي كل ما يخبت نفسه من أنواع الشرك والكفر والظلم والشر والخبت والفساد.

هذا هو المتقي.
وأما الذي يأكل ما أحب ويتكلم بما يشتهي ويجلس حيث أراد ويلبس ما يعجبه فهو لم يتق شيئاً [لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ [يونس:64]، أي] هذه كلمة الله التي لا تتبدل هي [الحاملة للبشارات. ذلك هو الفوز العظيم [يونس:64]].

قال: [والآن هل تدري] يا عبد الله! ويا أمة الله! [لم نادى الله تعالى عباده المؤمنين في هذا النداء الثالث والعشرين من نداءاته لهم في كتابه العزيز الحكيم؟ إنه ناداهم ليأمرهم] فلا تقل: ما نطيق الأمر؛ لأنك لا تستطيع أن تكمل ولا تسمو إلا على الأمر، فأشرح صدرك وألق بسمعك وانهض بما تؤمر به؛ فإنه في صالحك [بأخذ الحذر من عدوهم] انتهى الكلام [وعدو المؤمنين هو كل كافر من الإنس والجن] والحرب بيننا وبين الجن أعظم من الحرب بيننا وبين بني آدم، فالشيطان وأعدائه ورجاله مزقونا، والكفار قد نسالهمم ويسالموننا، ولكن الشيطان لا يسالم [وعدوهم هو من يريد هلاكهم وخسرانهم وذلكهم وضعفهم وحقارتهم] والله العظيم [ولا يكون هذا العدو إلا كافراً ظالماً].
الأسباب الممكنة لتوقي العدو من الشياطين

قال: [والحذر يكون بتوقي المكروه بالأسباب المشروعة الممكنة] التي يقدر عليها عبد الله.

خامساً: تطهير المنزل

قال: [وخامساً: تطهير المنزل] الذي نزلته، وكذلك البيت والشقة والغرفة [من الصور، وخاصة ما يعرض في الآلات كالفديو والتلفاز من صور العواهر والكفار، وأصوات المزامير المختلفة] فلا يبقى الليلة في بيت مؤمن سمع بهذا الدرس ولا مؤمنة تلفاز في البيت ولا فيديو ولا صور معلقة أبداً، حتى ولو كان صورة أمه أو أبيه، فقد كنا جاهلين فعلمنا، وكنا غافلين فنتبهنا، فلا تطرد ملائكة الرب من بيتك، فأنت عبده ووليه، فلا تحاد ربك هذه المحادة وأنت عبده فقير إليه، ولا تفرح الشيطان.

ودعونا الآن نسأل أرباب السياسة والمال والعلم حتى لا يقولوا: إن الشيخ رجعي من جماعة قديمة، فأقول: عندما يوجد تلفاز أو فيديو في بيتك وتشاهد أنت وأهلك وبناتك وزوجتك راقصة تغني وترقص وتلوح، أو كافر يمثل، أو تشاهدون التمثيليات والضجيج والمزامير، فكم تكسب في الليلة من دولار من أجل معاشك؟ ثانياً: أنت تريد أن يصبح عرضك مصوناً محترماً مبعلاً، وتلك الصور الخليعة والرقص والضحك في بيتك لا ترفع مستواك إلى مستوى أرباب الحصانة والمناعة والشرف والله، وليس فيها إلا الهبوط.

ثالثاً: أنت تريد أن تخفف الآلام عن نفسك ونفس أسرتك من هموم الآخرة والدنيا، وهذا والله ما يزيدك إلا هموماً، وإذا أردت إزالة هذا الهم فقم وتوضاً في ليلتك الباردة واستقبل بيت ربك وقل: الله أكبر! وصل ركعتين ربع ساعة والعينان تسيل دموعها، فإنك تغسل غسلاً، والله ما تقوى أمريكا على غسلك أبداً، وتطهر طهارة كاملة، وتعزف عن أوساخ الدنيا وأوضارها الهابطة، وتجدر الراحة والطمأنينة.

وأما أن تظن أن الأغاني والرقص يفسان، فإنهما لا يفسان إلا دقائق، ثم بعد ذلك يصاب صاحبهما بالهم والكرب والحزن.

والبعض يقول: ستتعطل مصانع الفيديو والتلفاز، فلتتعتل، فقد مضى آلاف السنين وليس هناك فيديو ولا تلفاز، أو ليغضب التجار [وبهذا يتقى الشيطان وإخوانه].

فنتقي شيطان الجن بخمسة أشياء، نعيدها، وهي: الأولى: الاستعاذة.

الثانية: عدم الاستجابة لوسواسه.

الثالثة: لزوم الطهارة ما أمكن.

الرابعة: قراءة القرآن في المنزل وصلاة النوافل.

الخامسة: تطهير المنزل من الصور، وخاصة صور الفيديو والتلفاز التي تعرض صور العواهر والكفار، وأصوات المزامير أيضاً المختلفة.

وبهذا نكون قد استجبنا لربنا عندما قال لنا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [النساء: 71] لِيُكَفِّرَ عَنْكَ اللَّهُمَّ لِيُكَفِّرَ عَنْكَ اللَّهُمَّ لِيُكَفِّرَ عَنْكَ اللَّهُمَّ! خُذُوا حِذْرَكُمْ [النساء: 71].

والعدو عدوان، ظاهر وباطن، فالشيطان هو العدو الباطن، والظاهر: اليهود والمجوس والنصارى، فخذوا حذرهم. وقد عرفنا كيف نأخذ حذرنا من الشيطان، وإذا كان عندك فيديو فعد الليلة إلى البيت وأخرجوا عنك هذا الوسخ، وصل ركعتين شكراً لله تعالى، ودع الملائكة تعمّر البيت.

وأقسم بالله لو كان هذا الذي ندد به يفيد المؤمنين في صحتهم .. في عقولهم .. في أموالهم .. في أعراضهم .. في منازلهم عند الله فوالله لتأولت حتى النصوص، ولحملتكم عليها، ولكن يقيناً أنه خسارة كاملة بلا نتيجة إلا الدمار، ويعلم الله أننا عندما نجد لمؤمن رخصة فإننا لا نحمله على عزيمة أبداً منذ كذا سنة، لضعف المؤمنين، لكن هذا ما فيه أبداً شيء اسمه فائدة، وإنما فيه الخسارة الكاملة، فيتعلم الأبناء كيف يقبلون النساء من الفيديو، فقد انتهى الحياء، وإذا رحل الحياء رحل الإيمان وانتهى.

ثانياً: عدم الاستجابة لما يزينه الشيطان للعبد وتركه والإعراض عنه

قال: [وثانياً: عدم الاستجابة لما يزينه للعبد، وتركه والإعراض عنه] فتستعيز أولاً تطرده وتقوم، فيبقى يرأسلك بالجهاز الذي في قلبك، كما راسل آدم في الجنة، والأولون احتاروا: كيف دخل بعدما طرد، ولا يحتاج إلى الدخول، فكل واحد عنده جهاز قابل للإرسال والتلقي، هذه فطرة الله، فاتصل به وهو في الصين، والأولون تساءلوا: كيف إبليس وسوس لآدم وقد طرد من الجنة؟ وحكايات بني إسرائيل قالت: دخل في صورة حية؛ لأن الحيات بشعة، وهو ما دخل أبداً، بل راسله؛ لأننا عندنا أجهزة للتلقي والإرسال، فيتصل به وهو في قمة الجبل، أو من وراء الباب، وقد يخرج واحداً منا الآن إلى الباطل.

والاستعاذة بالله تطرده، فلو قدم لك كأس من خمر، وأنت غافل، فاذكر الله وقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقم واخرج واترك ذلك الذي زينه.

ثالثاً: لزوم الطهارة ما أمكن ذلك

قال: [وثالثاً: لزوم الطهارة ما أمكن ذلك] فيا عبد الله المقاتل المحارب للعدو! الزم الطهارة ما استطعت، وكن في غالب وقتك متوضئاً؛ لأنه يجد مجالاً مع النجاسة وعدم الطهارة، وهذه المسالك التي يسلكها، فإذا كنت متوضئاً دائماً أغلب أوقاتك فهو بعيد عنك، وهذا عامل قوي، أي: لزوم الطهارة ما أمكن ذلك.

رابعاً: قراءة القرآن في المنزل

قال: [رابعاً: قراءة القرآن في المنزل] على الأحياء لا على الموتى، لا أن يطلب كل أحد عشرة طلبة يقرءون في بيته على خمسين ريالاً لليلة، فلن يعود هذا في هذه الديار إن شاء الله.

وسبب قراءة القرآن في المنزل لأن الشياطين لا تطيقه وخاصة البقرة وآل عمران، ولا يبقى شيطان في بيت قرئت فيه البقرة [وصلاة النافلة فيه] أيضاً، فإذا صليت النوافل في بيتك لم تقربه الشياطين ولا تجلس فيه، فهم يريدون أن يأكلوك، وأنت تغيظهم، فبدلاً من أن تطيعهم وتغني إذا بك تصلي، وتصبح عدوهم، فيرحلون؛ ولهذا أرشدنا أبو القاسم فداه أبي وأمي ونفسي والعالم أجمع فقال: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، صلوا في بيوتكم، صلوا في بيوتكم).

والغافلون بيوتهم كالمقبرة، لا صلاة فيها أبداً، فالبقعة التي لا يصلى فيها هي المقبرة.

إذاً: فالمؤمن يعمر بيته بذكر الله، ومن ذلك تلاوة كتاب الله، والصلاة، وصلاتك النافلة في بيتك أفضل من الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا بالنسبة للذي يسكن في المدينة، بمعنى ألف صلاة وكسر، فهي أفضل، فتكون ألفاً وزيادة، وفي المسجد ألف فقط، فلنحول بيوتنا إلى مساجد، فهي بيوت المؤمنين والمؤمنات، فلتكن مواطن للسجود لرب العالمين، ونحن قد حولناها إلى مجالس للضحك والرقص والأغاني والتمثيليات بالفيديو، وهذه ليست

بيوت المؤمنين والله العظيم، بل هذه بيوت الشياطين والكافرين، ولا تقولوا: ضيقت علينا الحياة يا شيخ! فأنتم تريدون أن تطلعوا إلى السماء وليس لكم عمل، وتريدون أن تخرقوا السبع الطباق، وليس لكم طاقة، ولو بقيت مليون سنة تتقوى فوالله لن تخرقها، ولن تستطيع إلا بتركك هذا العفن وهذه الأدران والأوساخ والقاذورات، ونظافة نفسك وتطهيرها وتطيبها، حتى تصبح كأنفس الملائكة في الأرض والسماء، وحينئذ تفتح لك أبواب السماء؛ لطهرتك وصفائك، لا لمالك ولا لسلطانك، ولا لعلمك ولا لقدراتك، وقد صدر حكم الله وجهله الجاهلون، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس:9]، أي: من زكى نفسه، وخاب وخسر من دسى نفسه والله العظيم، والله إذا أصدر حكماً لا يعقب عليه، قال تعالى: وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ [الرعد:41].

والقاضي قد يخطئ، فيعقب على حكمه، والله لا يخطئ، فهو خالق كل شيء، وهو خالق الطباع والأنفس والطهارة وغيرها، فلا يخطئ، ولا يعقب، وإذا صدر حكم الله فرغ من الأمر. فقد أفلح من زكى نفسه، سواء كان أبيض أو أسود أو أصفر، أو عربياً أو أعجمياً، أو في الأولين أو في الآخرين، أو غنياً أو فقيراً.

ومواد التزكية والتطهير ليس الماء والصابون، فالماء والصابون للأبدان والثياب، وأما الروح فتزكو بذكر الله وعبادته.

أولاً: الاستعاذة بالله السميع العليم

قال: [فمن الأسباب المشروعة الممكنة لتوقي عدو الشياطين: الاستعاذة بالله السميع العليم] هذا العدو الأول، وهو أول من أخرجنا من ديارنا، وتركنا سبائاً تائهين في الحياة، فالشيطان هو الذي أخرج أبويننا من دار السلام، وهو إبليس عليه لعائن الله، فاستعذ بالله منه [إذ قال تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الأعراف:200].

هذا أولاً [فأیما مؤمن أو مؤمنة يشعر بدافع باطني لأن يقول كلمة سوء، أو ينظر نظرة سوء، أو يتحرك حركة سوء فليذكر أن هذا هو الشيطان، ويرمي قذيفة في وجهه فيطرده طرداً بائناً، ولا يبق في ساحته مرة، فيقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فهذه الكلمة لها مفعولها.

ولا بد وأن يكون جهاز الرادار صالحاً، فإذا حومت طائرة العدو شعرت بها أجهزة الرادار وعلمت، فيأخذ أهل البلاد بالحيطة والحذر، واقرأوا لهذه القضية من سورة الأعراف: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الأعراف:200].

فهو سميع لقولك، عليم بحالك، قادر على إنقاذك وإنجائك، لو كان لا يسمع ولا يعلم بحالك فلن يسمعك.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ [الأعراف:201].

فقد عرفنا الرادار قبل أن تعرفه أوروبا بألف سنة ومائتين، فتفطنوا لهذا، وهذه الآية نزلت في مكة قبل المدينة والدولة، فقد قال: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الأعراف:200].

ثم بين الذين يشعرون بنزغ الشيطان بقوله: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ [الأعراف:201]، أي: حوم حول قلوبهم، تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ [الأعراف:201].

وهذا الرادار لا يصنع في اليابان، بل يصنع بذكر الله وعبادته.

ثم قال تعالى: وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ [الأعراف:202].

فإخوان الشيطان يمدونهم في الغي، والغى وسخ، سواء كان قولاً أو عملاً أو اعتقاداً، فهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون، أو لا يقصرون أبداً.

فمن كأس إلى كأس، ومن سهرة إلى سهرة طول العام، والذي يمد بهذا الإمداد هو الشيطان؛ لأنه ليس متقياً للرحمن.

الأسباب الممكنة لتوقي شر العدو من الإنس

قال: [ومن الأسباب الممكنة لتوقي شر العدو من الإنس] أي: العدو الكافر ما يلي:

أولاً: عدم حسن الظن بالعدو الكافر دائماً وأبداً

قال: [أولاً: عدم حسن الظن به، أي: بالعدو الكافر دائماً وأبداً] فإذ تعاملت معه وأعطاك وأعطيته ومشيت فلا تحسن به الظن أبداً، وإياك من ذلك! ولا تقل: أنا سيئ الظن فيك، فليس هناك حاجة إلى ذلك، بل ابتسم له، وتعامل معه، ولكن لا تظمنن إليه، بل اعلم أنه لو احتاج إلى دمك لشربه، فهو كافر ميت، فلا عدم إحسان الظن به دائماً وأبداً.

ثانياً: إعداد العدة الحربية بحسب القدرة على ذلك

قال: [ثانياً: إعداد العدة الحربية بحسب القدرة على ذلك؛ لقوله تعالى: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ [الأنفال:60]] ولو نبيع حتى حلي نساننا، ولو أردنا أن نبني مصنعاً لصنع القنابل أو الصواريخ وليس عندنا مال فكل النساء يساهمن بالحلي الذي في أعناقنا وأيديهن؛ لأنهن مأمورات. فخذوا أيها المؤمنون! حذرکم.

ثالثاً: إسناد أمر القيادات الحربية إلى ذوي الكفاءات

قال [ثالثاً: إسناد أمر القيادات الحربية إلى ذوي الكفاءات من القدرة البدنية] أولاً، فالمريض أو من به صداع دائم أو المشلول لا يمكنه أن يقود معركة، بل لا بد أن يكون قوياً في بدنه [والعلمية الحربية] فلا بد أن يكون عليمًا بالحياة، بمعنى: أنه قرأ هذه النداءات كلها وحفظها وفهمها، فهذا ليس فوقه عالم، وأن يكون عنده قدرة حربية، ويعرف كيف يحمل السلاح وكيف يستعمله [والإيمانية الروحية] فالمؤمن الذي روحه هافقة خافتة مريضة لا ينفع، بل لا بد أن يكون مؤمناً قوي الروح، يحسن التكلم على الله، والاعتصام بجنابه، ولا ينهزم، وذلك كخالد بن الوليد .

رابعاً: وجود الخبرة العسكرية

قال: [رابعاً: وجود خبرة عسكرية كاملة، وقيادة رشيدة] وليست سفيهة [مؤمنة حكيمة عليمه]. خامساً: وجوب أخذ الأهبة والاستعداد التام في أيام السلم وأيام الحرب على حد سواء

قال: [خامساً: وجوب أخذ الأهبة والاستعداد التام في أيام السلم وأيام الحرب على حد سواء؛ لآية الأنفال: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ [الأنفال:60]] والآن النفاثات والصواريخ موجودة مهياة، ولا تقل: ليس هناك حرب، فقد أمرنا بأن نعددها، وكل يوم ننظفها ونمسحها كما يقولون، وإن لم يكن هناك حرب [وهذا يعرف بالسلم المسلح] ولو يسمع العدو أن لك مليون صاروخاً موجه للنديا فإنه يبول في فراشه من الخوف، ولو لم تطلق عليه صاروخاً.

سادساً: وحدة الكلمة والصف

قال: [سادساً: وحدة الكلمة] فتكون كلمتنا واحدة، فلا خلاف أبداً [ووحدة الصف] ليس فيه تقديم ولا تأخير [إذ الفرقة محرمة بقول الله تعالى: وَلَا تَنَازَعُوا فَعَفَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ [الأنفال:46]] ولو كان المسلمون اليوم كلمتهم واحدة فوالله ما تبقى إسرائيل، وسترحل من أول يوم، ولكن كلمة المسلمين- والعرب خاصة- ليست متفقة، بل هذا مشرق وهذا مغرب، والذي أمر بهذا: وَلَا تَنَازَعُوا فَعَفَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ [الأنفال:46] الله عز وجل، وكان العرب ما قرءوا هذه الآيات، ولا سمعوا بهذا النداء، إلا النادر القليل، والنادر لا حكم له. سابعاً: طاعة الله ورسوله

قال: [سابعاً: طاعة الله ورسوله بصورة عامة، وذلك بفعل الأوامر واجتناب المناهي في الحرب والسلم معاً؛ إذ الذنوب موجبة للعقوبة من الله تعالى، وقد تكون [العقوبة] هزيمة بالعدو] يصبها الله علينا [والعياذ بالله] ومهما

أخذنا من السلاح والعدة والخبرة الحربية ونحن تاركون للصلاة فسقة نلعب بالقمار ونأتي الجرائم فوالله ما يغني عنا هذا شيئاً، بل لا بد أن نكون أولياء الله، أتقياء له.
ثامناً: الثبات وعدم التقهقر في حال الهجوم وذكر الله بالقلب واللسان

قال: [ثامناً: في حال الهجوم] إذا هجمنا على العدو قال: [في حال الهجوم يجب القيام بما يلي: أولاً: الثبات وعدم التقهقر] وقد ذكرت لكم عن رواية سليمة أيام كانت الدولة العثمانية في بداية أمرها تغزو وتفتح العالم، فقد كانوا يقولون: الجندي المسلم التركي يربط نفسه مع المدفع، فيضرب ويضرب حتى يصل العدو إليه وهو مربوط، ويستشهد على المدفع، ولا يعرف الهزيمة أبداً؛ لأن الله حرم الهزيمة، فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ [الأنفال:15].

فلا تعطيه دبرك أبداً، بل مت أمامه، هذه تعاليم الله هذه، فلا نشقى معها.
[ثانياً: ذكر الله بالقلب واللسان] فلا يكون المدفع بيدك وأنت تغني، وتفكر في سلمي وليلى [وهذا لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ] [الأنفال:45-46].

ولنراجع معاني هذه الآية الكريمة في النداء (45) من سورة الأنفال [إن أحيانا الله] فإن بيانها واف ومفيد.
وصلى الله وسلم على نبينا وآله وصحبه وسلم، وعلى المرسلين، والحمد لله رب العالمين [.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 25

من الآداب التي أدب الإسلام بها أتباعه أن يتبينوا حال من يلقونه في طريق جهادهم، فمن ألقى إليهم السلام سالموه، ومن أظهر لهم العداوة قاتلوه، حتى لا يكون الطمع بمتاع الدنيا وغنيمة الحرب هي ما يحركهم، ويحملهم على قتال أعدائهم، والتثبت والتبين كما هو مطلوب عند القتال، هو مطلوب أيضاً في السلم وفي سائر الأحوال. وجوب التثبت والتبين في الأمور التي يترتب على الخطأ فيها ضرر بالغ وعظيم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله تعالى منهم، وحشرنا في زمرتهم، ورضي عنا كما رضي عنهم. اللهم آمين.

وهذا النداء هو الرابع والعشرون من النداءات الإلهية التي حواها كتابه القرآن العظيم [النداء الرابع والعشرون: في وجوب التثبت والتبين في الأمور التي يترتب على الخطأ فيها ضرر بالغ وعظيم] وفيه ينادي الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين - إذ هم أوليائه - فيوجب عليهم التثبت والتبين قبل إصدار الحكم، وهذا وإن كان يتناول رجال المباحث ورجال الأمن، والقضاء والحكام، فإنه يتناول الرجل في بيته، والمرأة في بيتها، ويتناول كل مؤمن ومؤمنة، فلا يصدر أحد حكماً بالنفي أو الإثبات إلا بعد التروي والتأكد والتثبت، ولا يلقي المرء خبراً ويشيعه بين الناس إلا بعد أن يتأكد من صحة هذا الخبر، وكم من آثار سيئة وفاسدة وآلام متعبة لا سبب لها إلا الاستعجال في إصدار الأحكام، وكم من شريف وضعوه، وكم من موضوع رفعوه بالأقوال والأباطيل، وحسبنا ما عرفناه الآن من عالم الإعلام والصحافة، وغير المؤمنين شأنهم، فيقولون ما بدا لهم، ويتصرفون كما يرون، فليس لهم قيمة عند الله ولا وزن، وأقوالهم وجودها كعدمها، والمؤمنون يسألون عن كل دقيقة وجلييلة، فهم يسألون عن أقولهم وأحكامهم إذا لم يعلموا ويسمعوا ويتبينوا، وسبحان الله العظيم! فهذا القرآن الكريم يجعل من أمة الإسلام أمة ممتازة.

واسمعوا هذا النداء، فهو نداء الله إليكم، ولا تستعجلوا في إصدار الأحكام وتحقيقها، وإعلان البيانات والقضايا بدون تريب وتأمل وتعقل، حتى يثبت لديكم يقيناً أن فلاناً قال كذا، أو أن فلانة فعلت كذا، أو أن فلاناً يريد كذا، وليس بمجرد ما يلوح لكم في الأفق شيء تحكموا وتصدروا حكمكم، وقد يكون حكماً بالدم والقتل، أو بسلب المال.

[الآية (94) من سورة النساء أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَتَّبِعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَازِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [النساء: 94]] معاشر المؤمنين! هذا كلام الله لنا جميعاً، ولا تقل: هذا خاص برسول الله وخاص بالإمام، أو خاص بفلان، فبحكم أننا مؤمنون فالنداء يشملنا كلنا، إلا من قال هو غير مؤمن، فلهذا يجب أن نعنى بحفظه وفهمه وتطبيقه.

والآن مع [الشرح] والتأمل والتروي وإعادة القول؛ حتى نستوعب مضمون هذا النداء الإلهي؛ لنكون على علم وبصيرة.

وجوب التثبت في كل الأحوال

[وأخيراً إن هداية هذه الآية عظيمة] يأيها المستمعون والمستمعات! [حيث أوجبت على كل مؤمن التثبت والتبين في كل قول يقوله أو يسمعه، وفي كل عمل يقول به، أو يراه ويشاهده؛ حتى لا يقول غير الحق، ولا يخبر بغير الحق، ولا يعمل غير ما هو صالح، ولا يشهد بغير ما هو متأكد بصحة ما رآه وعلمه] فالآن إذا سمعنا خبراً في

جريدة .. في كذا فلا نشيع .. لا ننقل .. لا نستعجل حتى نتثبت، وكم من مفسد ما أثارها ولا أوجدها إلا النقل بدون بيان ولا تثبت، وأعراض تمزقت .. إيمان سلب .. طهارة خبثت بالكلام، بأن فلاناً كذا. والآية أوجبت على المؤمن هذا [مخافة أن يرتكب خطأ يهوي به في النار] سبعين خريفاً [أو يقعد به عن مواكب الصالحين] وإذا ما دخل النار فإنه يتأخر عن مواكب الصالحين.

وللصالحين مواكب لا تحجز لها تذاكر، ومن يريدهم ويرغب فيهم فعليه الرحلة إلى الملكوت الأعلى، واقرأوا قول الله عز وجل: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ [النساء:69].

فهي موكب أربعة في الملكوت الأعلى، والتذكرة هي طاعة الله وطاعة الرسول فقط والله، فلا مال ولا دينار ولا درهم؛ لأن طاعة الله وطاعة الرسول تزكي النفس وتطهرها، ولو لم نقل لك: الطاعة فنقول لك: زك نفسك فقط، وتركيتها ليست بالصابون والماء، ولكن لا بد ما هو مزك، ألا وهو هذه العبادات.

قال: [ولا سيما فيما فيه هدر دم وإزهاق روح، أو إشاعة فاحشة، فالتثبت التثبت أيها المؤمن! والله يحفظ من يحفظه، وينصر من ينصره. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين].

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتيبنوا ...)

قال: [هذا] أي: الذي سمعناه وفيه الخير الكثير [واذكر أيها القارئ!] أو المستمع! [أن هذه الآية نزلت في حادثة معينة] أيام نزول القرآن [وإليك قصتها - كما هي - فانظرها، واعتبر بها كما اعتبر بها الأولون، فنتثبت في كل خبر تسمعه، وفي كل عمل تشاهده، فلا تسارع في الحكم على الأشياء بدون ترو ولا بصيرة، فإنك تسلم من الأخطاء الضارة والمهلكة] والقصة: [روى البخاري مختصراً، وروى البزار مطولاً عن ابن عباس رضي الله عنهما] فابن عباس الحبر هو الذي يروي القصة [قال: (بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية)] والسرية: مجموعة من الفحول ثلاثين .. أربعين .. خمسين، يبعثهم في الليل؛ لأن السري والسراة بالليل في الظلام، ولا تطلع الشمس إلا وقد طوقوا العدو، أو أناخوا إبلهم عنده، وهذا العدو هو المشرك الكافر الذي رفض دعوة الله، وأبى إلا أن يدخل جهنم، فلا بد من حصاره ومضايقته حتى يدخل في رحمة الله؛ لأنهم إخواننا، فلا يصح أن تأكلهم النار ونحن نفرح، بل لا بد وأن نبذل أقصى ما يمكن بذله لإنقاذ إخواننا من النار، وهي ليست نار فرن من الأفران، ولا عذاب عام أو ألف سنة، بل هذا خلود في عالم شقاء لا نهاية له.

قال: [(فيها)] أي: في تلك السرية [(المقداد بن الأسود)] وهذا من جماعة كان الواحد فيهم يعد بألف، فقد كان يوجد من الصحابة مجموعة كل واحد منهم مقوم بألف مقاتل، فإذا استتجد قائد حملة أو سرية وطلب ألفاً يعيشون له الزبير أو المقداد أو خالد بن الوليد، فقد كانوا معروفين بجماعة ألف، أي: أن الواحد منهم يسد مسد ألف مقاتل، وإن ارتبتم - ولا أخالكم ترتابون؛ لأن المكان ليس مكان هراء أو كلام باطل، ونحن نقاوم الباطل - فإن جيش الروم كان مائتي ألف مقاتل، أي: مائة ألف مضافاً إليها أخرى، وقد واجههم وقاتلهم ثلاثة آلاف، ونسبة ثلاثة آلاف إلى مائتي ألف نسبة ضئيلة، واحتمل العبد خالد، وتولى القيادة لما استشهد الأبطال: زيد بن حارثة مولى رسول الله، و جعفر ابن عم رسول الله، و عبد الله بن رواحة، فتولى القيادة واستطاع أن يخلص الثلاثة آلاف من بين مائتي ألف مقاتل، وهذا ليس بألف، وإنما بعشرين ألفاً، فالمقداد هذا من هذا النوع [(فلما أتوا القوم وجدهم قد تفرقوا)] أي: بعد أن وصلوا إلى أرضهم أو عرستهم وجدهم قد ذهبوا وخافوا، فقد بلغهم أن سرية محمد آتية إليهم فتفرقوا [(وبقي)] منهم [(رجل له مال كثير)] أي: غنم ملء الوادي [(لم يبرح)] أي: ما استطاع أن يهرب ويترك ماله، وبقي في قومه أو ساحتهم، فلما وصل إليه خيل الله [(فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأهوى إليه المقداد)] برمحه [(فقتله)] وإنا لله وإنا إليه راجعون، فاستعجل وما تثبت؛ لأن هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا [النساء:94] لم تكن قد نزلت، وهذا النور ما دخل قلب المقداد بعد فقتله [(فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله؟!)] أي: أقتلت رجلاً قال: أشهد أن لا إله إلا الله [(والله لأذكرن ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم)] وأقول: المقداد فعل كذا، فقد غضب وما استطاع أن يكتم هذا، وله الحق؛ لأن الوحي ينزل، والقرآن ينزل، والرسول عنده هذه لمعارف، فلا بد من إطلاعه لنعرف حكم الله عز وجل [(فلما قدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله! إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد، فقال: ادعوا لي

المقداد ، فدعوه) [وأتوا به ، وليسوا شرطة ، ولم يكن عندهم شرطة ، فقد كانوا كلهم شرطة ، وهذه لا يعرفها الناس ، فدولة النبي صلى الله عليه وسلم و أبي بكر و عمر والخلفاء ما كان عندهم بوليس ولا رجال أمن ولا شرطة ، بل كانوا كلهم شرط وبوليس ، فإذا رأى أحدهم منكراً غيره ، وإذا رأى معروفاً قام به وأقامه ، سواء كان رجلاً أو امرأة ، ولم يكونوا يحتاجون للشرطة ، وإنما احتجنا إليها لما هبطت الأمة ولصقت بالأرض كال كفار ، فنحن أخذنا هذا عن أوروبا ، بعد أن انتشرت السرقة والفجور والكذب والخيانة والسطو ، ولو أتينا بمليون شرطي فإنهم لا ينفعون كثير نفع أبداً .

وأنا أتحدى على علم ، وأقول : هيا بنا إلى دائرة الشرطة أو مكتب المحافظة ونقول : أعطنا قائمة بالمجرمين في هذا الشهر ، فإذا أعطانا قائمة فيها مائة واحد أو مائتان ، فوالله ما نجد بين أولئك المجرمين نسبة أكثر من 5% من المقيمين للصلاة ، و 95% تاركون للصلاة أو مصلون عن صلاتهم ساهون ، والذي يشك في هذا يكفر ، فقد قال الله وقوله الحق وهو العلم الحكيم : وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [العنكبوت:45] .

والعرب والمسلمون ما عرفوا هذا ، وعرفه عبد العزيز تغمده الله برحمته ، وإلا دلوني على إقليم استقل من إندونيسيا إلى موريتانيا وفرض الصلاة بفرض الله على المواطنين مدنيين وعسكريين .

رجالاً ونساءً ، وأشيروا إلى إقليم في بلاد العجم والعرب ، ولهذا انتشر الخبث والجرائم والفساد والشر ، وقل ما شئت ، والأطهار دائماً أقلية ، والسبب هو أننا ما أقمنا الصلاة ، فالذي يناجي ربه على علم ويتكلم معه ، ويجلس بين يديه ويرفع كفيه إليه لا يخرج من باب المسجد يعصيه ، ولا يكون هذا ، وقد رددنا هذه الكلمة أربعين سنة ، ولم يتحرك إقليم وقال : نفرض الصلاة على المؤمنين والمؤمنات ؛ لأن اليد العابثة أجنبية ، لا يريدون أن تطهر البلاد فيستجيب الله دعاء الصالحين والصالحات ، ولا يريدون إلا الخبث ، وهم يعملون على نشر الخبث بصورة عجيبة ؛ حتى يفصلوا المؤمنين عن ربهم ، وبذلك يركبونهم كما تركب البهائم .

[(فجاء)] رضي الله عنه [(فقال له : يا مقداد ! أقتلت رجلاً يقول : لا إله إلا الله ؟ فكيف لك بلا إله إلا الله غداً)] فذاب المقداد وهو معذور ، فهذه الآية ما نزلت بعد [(فقال : فأنزل الله)] تبارك وتعالى هذا النداء : [(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ... [النساء:94] إلى آخر الآية)] وهي قوله تعالى : وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [النساء:94] .

فلم يبق بعد هذا النور صحابي يقدم على أن يفعل هذا ، والله ما كان هذا ولن يكون ، فإذا قال : لا إله إلا الله ولو قالها بلغته البربرية وليس بالعربية الفصيحة فاتركه ، ولا يجوز أن تقتله ؛ لأن معناها : لا إله إلا الله [وقال الرسول صلى الله عليه وسلم للمقداد : (كان)] ذلك [(رجل مؤمناً يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته)] فهنيئاً لهذا القاتل ، فقد أعلم الله رسوله أنه كان مؤمناً حقاً ، وأنه كان يخفي إيمانه فقط في جماعة الكافرين ، فلما هربوا واتضح الحال أعلن عن الشهادتين ، والمعنى : أنه من أهل الجنة .

ولهذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم : (أن الله يضحك -أو يعجب- لرجلين يقتل أحدهما الآخر ويدخلان الجنة) . وأمر عجيب هذا ، وهي هذه ، لأن قتل المقداد ما كان على عمد أبداً ، وفهم أنه فقط قالها لأجل أن يهرب بالمال ، وليس هناك أمر بالثبوت ، ولا أمر به ، ولا غير ذلك ، فالمقداد في الجنة ، وهذا الرجل في الجنة ، ولو لم يخبر الرسول بذلك فمن الممكن أنه كان قالها تقية ، ويكون في النار وإن قتل سبعين مرة ، لكن الله أخبر الرسول أنه كان مؤمناً . والحمد لله [(وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل)] يا مقداد ! فقد كانوا يخفون إيمانهم ، ومن يقول : لا إله إلا الله يمزقونه .

الأمر بالتبين في حال من سلم علينا عند ملاقاته في الجهاد

قال : [إذا عرفت هذا] أي : قوله تعالى : قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10] [سهل عليك أن تفهم قوله تعالى في هذا النداء : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [النساء:94]] وسواء ضربنا حيواناً أو إنساناً في سبيل الله ، أو جنياً أو آدمياً ، أو ضربنا الأرض بأرجلنا أو بدبابتنا وسياراتنا ؛ لأن العامي يضرب الأرض في سبيل الله بأن يمشي عليها ، وأنت عندما ترفع رجلك تضرب ، فكما تضرب بكفك تضرب برجلك .

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [النساء: 94] [أي]: خَرَجْتُمْ مُجَاهِدِينَ [غَزَاةً] دَاعِينَ فَاتِحِينَ [مَاشِينَ لَطْلِبِ الْعَدُوَّ الْكَافِرَ الْمُحَارِبَ] فَعَلَيْكُمْ - وَهَذَا إِرْشَادٌ وَتَعْلِيمٌ - [فَتَبَيَّنُوا] [النساء: 94]، أَي: تَتَّبِعُوا [هَلْ هَذَا عَدُوٌّ أَوْ لَا؟ مُحَارِبٌ أَوْ مُسَالِمٌ؟] وَلَا تَتَّعَجَلُوا.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ [النساء: 94]، أَي: سَلِّمَ عَلَيْكُمْ] لَا، هَذَا يَرِيدُ أَنْ يَحْفَظَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ، اقْتُلُوهُ. بَلْ مَا إِنْ يَقُولُ: السَّلَامَ عَلَيْكُمْ فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْهُ، وَلَا تَقُولُوا: يُمْكِنُ يَرِيدُ أَنْ يَتَّقِيَ بِالسَّلَامِ حَتَّى يَذْهَبَ بِمَالِهِ، وَيَعُودَ إِلَى أَهْلِهِ بِحَيَاتِهِ، وَلَا تَقُولُوا: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، أَوْ قَالَهَا لِأَجْلِ النِّقِيَّةِ فَقَطْ، فَأَنْتُمْ لَمْ تَشْفَوْا عَلَى قَلْبِهِ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُمُوهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَأْخُذُوا الْغَنِيمَةَ. وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ [النساء: 94].

وَفِي قِرَاءَةِ: (السَّلَامُ) [أَوْ أَسْلَمَ بِأَنْ نَطُقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ] فَقَدْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَذَا مَعْنَاهُ: أَنَّهُ أَسْلَمَ، أَوْ قَدْ يَقُولُ: السَّلَامَ عَلَيْكُمْ؛ لِأَنَّ السَّلَامَ هَذَا خَاصٌّ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِفُهُ أَبَدًا، بَلْ كَانَ عَنْدهُمْ صَبَاحُ الْخَيْرِ وَمَسَاءُ الْخَيْرِ، وَعَمَتِ صَبَاحًا، وَمَا زَالَ إِخْوَانُكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَدَدُهُمْ مَلَائِينَ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا صَبَاحَ الْخَيْرِ وَمَسَاءَ الْخَيْرِ، وَلَا يَوْجَدُ عَنْدهُمْ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ، وَمُمْكِنٌ يَقُولُونَهَا بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ وَالْفَرَنْسِيَّةِ، وَلَا عَجَبَ فَهْمٌ مَا قَرَأُوا الْقُرْآنَ عَلَى الْأَحْيَاءِ؛ فَمَاتُوا.

إِذَا: فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ [لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] [النساء: 94] [أي: الْمَالِ، فَالْغَنِيمَةُ تَسْمَى عَرَضًا؛ لِأَنَّهَا تَعْرُضُ وَتَذْهَبُ، وَلَا دَوَامَ لَهَا وَلَا بَقَاءَ كَعَرَضِ الْبِضَائِعِ فِي السُّوقِ، وَلَوْ مَشِيَتْ إِلَى السُّوقِ لَمْ تَجِدْ بَصْلَةً وَاحِدَةً، فَالْعَرَضُ كَانَ فِي الصَّبَاحِ إِلَى الظُّهْرِ وَزَالَ كُلُّ شَيْءٍ، هَذَا الْعَرَضُ، وَالْدُنْيَا كُلُّهَا عَرَضٌ، فَلَا تَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] وَتَقْتُلُوهُ رَغْبَةً فِي الْمَالِ الَّذِي عَنْدهُ مِنْ غَنَمٍ يَسُوقُهَا أَوْ غَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَالِ، فَلَا تَفْعَلُوا مَرَّةً أُخْرَى مِثْلَ هَذَا، وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ رَغْبَةٌ فِي الْغَنِيمَةِ فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ [النساء: 94] [وَمَا هِيَ إِلَّا سَنِيهَاتٌ وَأَمْوَالُ فَارِسٍ وَالرُّومِ كُلِّهَا فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّسُولُ يُوْزَعُ بِالْحَفْنَةِ، حَتَّى الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ يَحْتَوِ، وَمَلَأَ طَرَفَ ثَوْبِهِ وَمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَقُومَ، فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ! احْمِلْ عَلَيَّ). قَالَ: لَا.)

فَحَاوَلَ أَنْ يَقُومَ وَهُوَ حَامِلُ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ فَمَا اسْتَطَاعَ، فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَعْنِي). قَالَ: لَا.)

فَأَخَذَ يَفْرُقُ وَيَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا فَشَيْئًا؛ حَتَّى قَدَرَ عَلَى أَنْ يَقُومَ. وَهَكَذَا كَانَ يُوزَعُ رَسُولُ اللَّهِ الْمَالُ، وَالْآنَ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُهُمُ الْفَقْرُ، وَالْيَابَانُ الْكَافِرَةُ تَحْكُمُ الْعَالَمَ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ نَامُوا، وَلَا يَرِيدُونَ الْعَمَلَ وَلَا الْكَدَّ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ، وَيَقُولُونَ: لَيْسَ هُنَاكَ عَمَلٌ، وَأَنَا أَقُولُ لَهُمْ: جَاهِدُوا، وَدَعُوا الْبَشَرِيَّةَ الَّتِي تَشْتَغَلُ، وَلَيْكِنْ أَنْتُمْ هُمْكُمُ الدَّعْوَةُ وَنَشْرُ الْإِسْلَامِ، وَإِذَا لَمْ تَجِدُوا الْمَالَ فَمَاذَا سَتَفْعَلُونَ بِهِ؟ فَالْمَغَانِمُ عِنْدَ اللَّهِ [لَا غَنِيمَةٌ وَاحِدَةٌ، فَاطْلُبُوهَا بِرِضَاهُ لَا بِسَخَطِهِ، وَادْكُرُوا حَالَكُمْ قَبْلَ إِسْلَامِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ مِثْلَ هَذَا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ، لَا تَمْلِكُونَ إِلَّا النُّطْقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ] وَنَعَمْ فَالَّذِينَ أَسْلَمُوا فِي مَكَّةَ لَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ غَيْرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ! فَهُوَ يَذْكُرُهُمُ بِالْمَاضِي، فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ لَا تَتَكَلَّمُونَ إِلَّا السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أَوْ الشَّهَادَتَيْنِ وَهَذَا مِثْلُكُمْ، ثُمَّ مِنْ اللَّهِ عَلِيمٌ وَأَسْلَمْتُمْ وَعَرَفْتُمْ وَعَلِمْتُمْ، وَهُوَ كَذَلِكَ، سَيَمُنُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَعْرِفُ مَا عَرَفْتُمْ، وَيَعْلَمُ مَا تَعْلَمُونَ، فَلَا تَسْتَعْجَلُوا فِي قَتْلِهِ [كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ] [النساء: 94] [وَقَدْ مِنْ عَلَيْهِمُ بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالطَّهَرِ وَالصَّلَاحِ، وَإِلَّا كَانُوا كَهَذَا الْأَعْرَابِيِّ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ، وَهَذِهِ مِنْ دَعَائِمِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، يَلْفَتُ اللَّهُ النَّظَرَ إِلَيْهَا، فَلَا تَحْتَقِرْ فَقِيرًا، فَقَدْ كُنْتَ أَنْتَ أَفْقَرُ مِنْهُ، أَوْ أَبْوَكُ كَانَ فَقِيرًا، وَلَا تَزْدِرِي ذَا ثِيَابٍ رَخِيصَةٍ، فَأَنْتَ أَوْ أَبْوَكُ كَانَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ بَلْ يَذْهَبُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَرْبِيَةِ عِبَادَةٍ لِأَبْعَدَ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُ: إِذَا قَالَ لَكَ أَحَدُ الْإِخْوَانِ: اكْتُبْ لِي صَكًّا أَوْ شَهَادَةً أَوْ رِسَالَةً فَلَا تَقُلْ: لَا، وَادْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ لَا تَعْرِفُ الْكِتَابَةَ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَّمَكَ، فَادْكُرْ اللَّهَ وَاشْكُرْهُ وَاكْتُبْ لِأَخِيكَ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي آيَةِ الدِّينِ: وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ [البقرة: 282].

وَهَذِهِ أَيْضًا وَاضِحَةٌ، فَهُوَ يَقُولُ: كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ جَهْلَةً، لَا تَحْسَنُونَ شَيْئًا وَلَا تَعْرِفُونَ، فَعَلِمَكُمْ اللَّهُ، وَهَذَا - إِذَا - أَخَوَكُمْ الْآنَ كَانَ مِثْلُكُمْ، وَسَوْفَ يَدْخُلُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ، وَيَصْبِحُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ [أي: بِنِعْمَةِ الْهُدَايَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَمَعْرِفَةِ قَوَاعِدِهِ وَشُرَائِعِهِ] وَأَدَابِهِ [إِذَا: فَتَبَيَّنُوا] [النساء: 94] إِنْ حَصَلَ لَكُمْ مِثْلُ هَذَا الْمَوْقِفِ، وَرَاقِبُوا اللَّهَ تَعَالَى فِي أَقْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، فَلَا تَخْرُجُوا عَنْ طَاعَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [النساء: 94] وَهَذِهِ إِذَا

استقرت في ذهن العبد فإنه لا يستطيع أن يعص الله أبداً، وإن حصل مرة فإن الشيطان قد أفرغ عليه سحائب وظلمات حتى ما رأى شيئاً، أما وهو يذكر فوالله لا يستطيع أبداً.
صفة أهل النعيم وصفة أهل الجحيم

قال: [وقوله] تعالى: [إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الانفطار: 13-14]] فالأبرار في النعيم لبرهم، والفجار في الجحيم لفجورهم، والفجور معصية الله ورسوله [فالأبرار وهم المطيعون لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في نعيم الجنة؛ وذلك لبرورهم؛ إذا البرور هو الطاعة، والفجار في جحيم النار؛ لفجورهم، وهو معصية الله ورسوله المنتجة لخبث النفس وتدسيتها وعنفها، الأمر الذي يسخط الله تعالى عليها، ومن سخط الله عليه حرم عليه دخول الجنة دار الأبرار، وأدخل النار دار العذاب والبور] هذا حكمه ولا ينازع فيه [أعاذنا الله تعالى منها] وأعاذ كل مؤمن ومؤمنة من النار وعذابها.
الأسباب التي من أجلها ينادي الله تعالى عباده المؤمنين

[اذكر أيها القارئ الكريم!] لهذه النداءات [ما قد سبق أن علمته] فهذا النداء هو الرابع والعشرون، وقد علمنا أشياء تتعلق بالنداءات السابقة [وهو أن الله تعالى لا ينادي عباده المؤمنين إلا ليأمرهم بما فيه سعادتهم وكمالهم، وينهاهم عما فيه شقاؤهم وخسرانهم] أو يبشرهم أو ينذرهم أو يعلمهم، فالحق لا ينادي عباده المؤمنين للهو واللعب أو لا شيء، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
وأولياء الله لا يلهون ولا يلعبون، ولا يطلقون كلمة من أفواههم يعلمون أنها لا تثمر شيئاً، بل إما أن ينهوا عن باطل، وإما أن يقولوا خيراً ومعروفاً، فكيف بالخالق عز وجل ينادي لا شيء؟ وقد سبق أن علمنا من أول نداء أن الله تعالى لما ينادي عباده المؤمنين يناديهم إما ليأمرهم بشيء يكملهم ويسعدهم، أو ينهاهم عن شيء يبعد شقاؤهم وخسرانهم، أو يبشرهم بما يزيد في إيمانهم وخيراتهم وصالح أعمالهم، أو لينذرهم من خطر عظيم قد يفسد حياتهم، أو يعلمهم ما ينبغي أن يعلموه، وأما أن ينادي عباده لا شيء فتعالى الله عن هذا علواً كبيراً، وإن شككت فلن تجد عاقلاً يناديك: يا إبراهيم! ثم يضحك، إلا إذا كان لا يعقل، بل يناديك: يا إبراهيم! أغلق الباب، أو يا إبراهيم! ادع فلاناً، أو يا إبراهيم! قم صل، ولا ينادي ليلعب، وهذا لا يفعله إلا من كان غير عاقل، فكيف بالخالق عز وجل؟ ولهذا أذكركم بذلك المؤمن الذي قال لعبد الله بن مسعود: يا عبد الله! اعهدي إلي بشيء، فأنت صاحب رسول الله، وقد عشت في الحضرة النبوية، وأصبحت ذا علم، فاعهدي إلي بشيء أخذ به في حياتي، فقال له: إذا سمعت الله تعالى يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَأَعْرِضُوا عَنْ شَرِّ مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ، فأعطيها أذنك بكاملها؛ وذلك لأنه خير يأمرك به أو شر ينهيك عنه، وأنت تريد في حياتك الحصول على الخير والبعد عن الشر، فإذا سمعت القارئ يقرأ في إذاعة أو في أي مكان فأعطه أذنك، واسمع ما تؤمر.

والله تعالى ينادي المؤمنين [وذلك لولايتهم له] فقد أصبحوا أوليائه، فلا يتركهم ويهملمهم ويضيعهم، بل لا بد وأن يأمر وينهى ويبشر ويحذر؛ حتى يكمل أوليائه.
حرص أعداء الله على سلب صفة الولاية عن المؤمنين الأحياء ومنحها للأموات

أراد العدو أن يسلط بعضنا على بعض، وينشر الزنا والسرقة وسفك الدماء والغيبة والنميمة وغير ذلك، فسلبونا صفة الولاية، ووضعوها على قبور الموتى، وتركونا نحن أعداء، يأكل بعضنا بعضاً، وقد روى البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً إلى الحضرة النبوية وهو أن الله تعالى يقول: (من أذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).
وليس هناك من يعي هذه ويقوم الآن يسب مؤمناً أو يشتمه، أو يأخذ نعله ويهرب، فضلاً عن أن يفجر بامراته أو ابنته، ولكن الذي ما بلغه هذا ولا فهمه ولا وعاه متى احتاج إلى المؤمنين أكل لحومهم؛ لأنهم ليسوا أولياء في نظره، وإذا آذاهم فلن يغضب لهم ربهم ويسقطه أو يمزقه.

ونحن الآن في خير، والله لقد مضى زمن لو تدخل بلدًا وتقول لأحد أصحاب البلد: دلني على ولي من أوليائكم والله ما يأخذ بيدك إلا إلى قبر ميت، وأما ولي حي فلا، والذي فعل هذا بنا هم الثالوث، العدو المكون من ثلاثة حيات: المجوس واليهود والنصارى.
الصفات المحققة لولاية الله عز وجل

المؤمنون أولياء الله [حيث آمنوا به وبلقائه، وبكل ما أمرهم أن يؤمنوا به، واتقوه بفعل أوامره واجتنبوا نواهيه] وهذه هي عوامل تحقيق الولاية، فأمن واثق حتى تكون ولياً، وسواء كنت أبيض أو أسود، أو فقيراً أو غنياً، أو في القرن الأول أو في القرن العشرين فكل هذا لا قيمة له، بل آمن بالله ولقائه، وبكل ما أمرك الله أن تؤمن به من شأن الغيب والشهادة، واثق بالله ولا تخرج عن طاعته، ولا عن العلم والعمل؛ حتى تكون ولي الله، ومن أذاك فقد أعلن الله الحرب عليه، ففي الحديث: (من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) [إذ بذلك تطهر أرواحهم وتركوا نفوسهم، والله يحب التوابين إليه والمتطهرين من أجله] لأنهم بإيمانهم وتقواهم تتطهر أرواحهم وتركوا نفوسهم، فيحبهم الله، والله يحب التوابين إليه والمتطهرين من أجله، فإذا آمن العبد واثقاً فقد أصبح ولياً؛ لأن نفسه طابت وطهرت وزكت بسبب الإيمان والعمل الصالح، وبسبب ترك الكفر والشرك والمعاصي، فلما زكت نفسه، أي: طابت، أي: طهرت، وأصبح ريحها طيباً أحبه الله؛ لأنه تعالى يحب الله التوابين ويحب المتطهرين. فالولاية من شأنها أن تحقق زكاة النفس وتطهيرها، فإذا زكت نفس العبد أو الأمة أحبه الله؛ لأن الإيمان والعمل الصالح عملية تطهير، كغسل الثوب بالماء والصابون، فمن زكت نفسه وطابت وطهرت تحققت له ولاية الله عز وجل.

سبب تشريع الله للعبادات وتحريمه للمحرمات

قال: [ولك أن تعلم أيها القارئ الكريم! والمستمع المستفيد! أن ما شرعه الله تعالى من عباداته] التي قننها وشرعها وحدد أوقاتها وأزمنتها وكيفياتها [إنما شرعه لتزكية نفوس عباده وتطهيرها؛ ليقبلها ويرضى عنها] وسر ذلك من أجل أن يزكي نفوسنا، وأن يطهر أرواحنا، وعلّة هذه التزكية والتطهير حتى يقبلنا في جواره، وترفع أرواحنا إليه، وتنزل في عليين، فأرواح الكافرين والمجرمين والأخبث والله ما ترفع إلى السماء، وإن رفعت ترد من الطريق، والدليل على هذا قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ [الأعراف:40]. وليس هناك بيان أعظم من هذا البيان، فالعجمي الذي يتعلم العربية يفهم هذا، فالروح الخبيثة والنفس المنتنة لا ترقى إلى السماء ولا تفتح لها، وقال تعالى في القرآن: إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ [المطففين:7]. وقال: إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيِّينَ [المطففين:18].

وليس عندنا من ليس فاجراً ولا باراً، فهذا النوع ليس عندنا، ومستحيل أن يوجد، بل إما ولي أو عدو، وإما في عليين وإما في سجين، وسجين الدركات السفلى التي لا تخطر في بالك في الكون، وإن أردت أن تتأمل فاعض عينيكَ، واجعل رأسك بين ركبتيك، وانظر تحتك، ودلنا متى ينتهي الهبوط، فإنك تعجز ولم تتخيل موقع سجين. فلندرس كلام الله، ولنستنتج النتائج التي تعود علينا بالخير.

قال: [وأن ما حرّمه على عباده ونهاهم عنه سواء كان اعتقاداً أو قولاً أو عملاً إنما حرّمه عليهم ونهاهم عنه من أجل أن لا تخبث أرواحهم و] ألا [تندسى نفوسهم؛ فيكرهها ويبغضها، ولا يأذن لها بدخول الجنة حتى لا تنعم برضاه والنظر إلى وجهه الكريم فيها]. مسئولية كل إنسان عن عمله يوم القيامة

قال: [وأقرأ لهذه الحقيقة العلمية] قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10] ولا يقدر أحد أن يراجع الله في هذا الحكم، فقد أفلح عبد زكى نفسه، وقد خاب عبد دسا نفسه، ولم يبق شيء، لا عمك ولا أخوك ولا جنسك ولا غير ذلك، والله لو كنت ابن نبي من الأنبياء ونفسك خبيثة فلن تدخل الجنة، ولو كنت ابن خريشوف ونفسك زكية فوالله ما يمنعك ذلك أن تدخل الجنة، ونحن نستغرب هذا؛ لأن سحائب الخرافات غشتتنا، ونقول: هذا والد إبراهيم -إبراهيم الأب الرحيم، أبو الأنبياء .

أبو الضيفان- في النار، وهو لا يشفع لوالده، والله يترك والده وأباه في النار. وقال الضلال والخرافيون والطاعنون: ليس أبوه، بل هذا عمه! والله يقول: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَرَ [الأنعام:74]. وهم يقولون: لا، هذا عمه وليس أباه.

وهؤلاء علماء يحفظون قناطر الكتب.

وهذه من مظاهر الهبوط، ظهرت عندما بدأ الثالث يهبط بنا.

ونحن نصدق الله لا هم، فالله يقول: أبوه، وهم يقولون: عمه؛ حتى لا يقال: عبد الله والد الرسول في النار أبداً، بل في الجنة؛ لأنهم ما فهموا .. ما عرفوا .. ما درسوا .. ما قرءوا القرآن ليرقوا به إلى سماء الكمالات البشرية، وإنما قرءوه ليأكلوا الحلوى والرز واللمح ليلة موت الميت، وهذا صحيح، وأمي رحمة الله عليها وأنا يتيمها كانت تدعو الله: اللهم اجعل ابني قارئ قرآن أو جزاراً؛ لأن الجزار يأتيها بالكبد والرئة كل يوم، وإن كان طالب قرآن فإنه يقرأ على الموتى ويحضر لها اللحمة ملفوفة أيضاً في منديل، رحمة الله عليها، وهذا وسط العالم الإسلامي، فلا يحفظ القرآن إلا ليقرأ على الموتى، وإذا قال شخص قال الله اسكتوه وطردوه؛ حتى لا يقول: قال الله، وساد بينهم مقولة: تفسير القرآن صوابه خطأ، وخطؤه كفر.

والشاهد عندنا: أنهم ما علموا أن إبراهيم عليه السلام في عرصات القيامة في ساحة فصل القضاء ينادي بأعلى صوته: رب! لقد وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، وهذا أبي الأبعد في النار، فأبي خزي أعظم من هذا الخزي يا رب؟! فيقول له: انظر تحت قدميك إبراهيم! فينظر وإذا بوالده في صورة ذكر الضباع، ملطخ بالدماء والقيوح في صورة بشعة، وما إن يراه حتى يقول: سحقاً سحقاً سحقاً، فيؤخذ من قوائمه الأربع ويرمى في عالم الشقاء.

وهذا الخبر أخبر به أبو القاسم، وهذا من صحاح أحاديثه، وليس من الخرافات.

والسيدة امرأة نبي الله نوح حليلته وفراشه وأم أولاده في النار، ولا يمكنه أن يشفع لزوجته، وهذا لا ينفع، فقد صدر حكم الله، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: 9-10].

واقرءوا: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ [التحریم: 10].

فلا تنتظر شفاعة عمك.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: 9-10].

وأنت الذي تقرر مصيرك بيدك يا ابن آدم! وقد وضع الله لك المطهرات، فطهر نفسك، وحذرك من المخبثات والملوثات، فابتعد عنها، وجاهد نفسك وديناك وشياطينك حتى تنجح، وإذا أردت أن تلعب وتلهو فالعب واله واتكل على فلان، وربّي لا ينقض حكمه، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: 9-10].

ووالله لو عرف هذا الكلام المؤمنون المسلمون لاختفت الجرائم بين الناس، وانتهى الباطل والشر، لو علموا فقط علم كهذا، ولكن كادوا لنا.

وأبو نبينا صلى الله عليه وسلم شاء الله أن يسأله سائل ويقول: (أين أبي يا رسول الله؟! قال: في النار).

فكشر ذاك وعيس وقطب وتململ، فقال: (أبي وأبوك في النار).

وليس أباك فقط، بل أبي وأبوك.

وعلماء العصور لا يقولون هذا الكلام، ويقولون: ممكن إنه يعني بقوله: (وأبي) يعني: حلف، ويؤولونها هكذا؛ لأنهم ما قرءوا: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الانفطار: 13-14].

وهذا حكم أصدره الله.

فعلة دخول الجنة الطاعة، وعلة دخول النار الفجور؛ لأن الطاعة تزكي النفس وتطهرها، والفجور يخبث النفس ويلوثها.

وسيدنا نوح عليه السلام أبو البشرية الثاني ولده كنعان رفع شكواه إلى الله: رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ [هود: 45].

(قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) على قراءة، وسكت نوح، وقال: رب! أعوذ بك أن أكون من الجاهلين، فأسألك ما ليس بي علم.

وبعد هذا يعول الرجل على أبيه؛ لأن أباه عبد صالح، ويريد أن يدخل الجنة معه.

ولا تقولوا: ضيقها يا شيخ! فقد والله وسعها الله والحمد لله، فقد بعث الرسول وأنزل الكتاب وأوجد العلماء، فتعلم ما يحبه الله وافعله، وتعلم ما يكرهه الله واتركه، وجاهد الدنيا والهوى والشهوة والشيطان، وإذا انتصرت نجوت.

الكون كله قام على العدل، وأمة الإسلام هي أمة العدل، فقد أمرها الله عز وجل بالعدل في أداء الشهادات ومراعاة حق الله عز وجل فيها، دون النظر إلى حال المستفيد من الشهادة، إن كان فقيراً أو غنياً، قريباً أو بعيداً، وقد وصف الله كاتم الشهادة بأنه آثم قلبه، وكفى بهذا زجراً.

وجوب العدل في الشهادة وحرمة اتباع الهوى المانع من العدل فيها

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا والحمد لله ربنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله منهم، وحشرنا في زمرة من رضي عنا كما رضي عنهم.

اللهم آمين.

وهذا هو [النداء الخامس والعشرون] ومحتوى هذا النداء هو [في وجوب العدل في الشهادة] فإذا شهد عبد الله أو شهدت أمة الله على شيء أو في شيء يجب أن تكون الشهادة عادلة مستقيمة، لا مائلة يميناً ولا شمالاً، حتى ولو كانت على الشاهد نفسه [وحرمة اتباع الهوى المانع من العدل فيها] والهوى وهو ميل النفس إلى ما تشتهي، وما يزينه الشيطان لها، فهذا الميل واتباعه حرمة الله على أوليائه.

وإليك هذا النداء الكريم، وهيا بنا نتغنى به ساعة: [الآية (135) من سورة النساء أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] [النساء:135] وانظروا إلى الجملة الأخيرة، وهي خاتم النداء: وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [النساء:135].

وسوف يذيق المعرضين مر العذاب وأليمه، فالقضية ليست سائبة، من شاء أن يعدل عدل، ومن شاء أن يجور جار، فإن الله كان وما زال بما تعملون من خير وشر .

من عدل أو جور عليم خبير.

وعجب هذا القرآن، فهو كلام الله، رب السماوات والأرض وما بينهما، أي: خالق السموات والأرض وخالق ما فيهما ومدبر حياتهما، والله له مائة اسم إلا اسماً واحداً، ودلنا على ذلك كتابه، ولا يكتب كتاب بدون كاتب، ولا يكون كلام بدوم متكلم، ولا يكون مخلوق بدون خالق، ولو كان كأساً من الشاي، فيستحيل أن يوجد بلا موجد.

خير الشهود وشر الشهود

قال: [ويقول صلى الله عليه وسلم مخبراً أمته ومعلمها؛ لتكمل وتسعد: (خير الشهود الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها)] فخير الشهود أيها المؤمنون! الذي يأتي بالشهادة قبل أن يطالب بها، فإذا عرف أن حق فلان يضيع، وهو يملك عدم إضاعته بالشهادة التي عنده يأتي إلى المحكمة ويقول: أشهد بالله إن فلان كذا أو كذا، هذا هو خير الشهود، وليسوا الذين يشهدون للقبيلة والمواطنة والمزاملة، ويقولون: هذا زميلنا نشهد معه، بل خير الشهود من يأتي بشهادته قبل أن يقال: تعال اشهد؛ لأنك حضرت الحادثة، بل هو يأتي قبل أن يسألها من المحكمة أو من صاحبها [وبناء على هذا فشر الشهود من يكتم شهادته، فيضيع حق أخيه المسلم] كأن يكون عنده شهادة ويعرف أنه لو شهد لنال فلان حقه، ويكتمها مراعاة لكذا أو كذا، فيضيع حق أخيه المؤمن بهذا الكتم، هذا والله شر الشهود.

فإذا عرفنا خير الشهود عرفنا شر الشهود بالملازمة.

قال: [وأخيراً إليك القارئ الكريم والمستمع المستفيد! هذه الصورة الجليّة في بيان العدل والشهادة بالقسط] واسمعوا [يقول عبد الله بن رواحة شهيد مؤتة رضي الله عنه وأرضاه] فهو أحد الثلاثة الذين استشهدوا لما خرجوا يقاتلون الروم في مائتي ألف، وهؤلاء بهاليل، فهم ثلاثة آلاف ويقفون أمام مائتي ألف؛ لأن الله معهم، ومن كان الله معه لا أحد يهزمه، واسمعه يروي لك الحادثة: [وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم] والخرص: التقدير والتحزير، فينظر إلى النخلة ويقول: فيها قنطار أو نصف، ويصدق بالخبرة. وكانت خيبر في السنة السادسة قد وقعت تحت الدولة الإسلامية، والرسول صالحيهم - أي: الرجال - لأن المؤمنين لم يكونوا مشغولين بالفلاحة والزراعة، فقد كانوا رجال تبليغ وجهاد ودعوة، فقال يا معشر يهود! نبقيكم في مدينتكم .. في مزارعكم .. في حقولكم، وأعطونا النصف ولكم النصف.

والذي فعل هذا رسول الله، ولم يوزع على أصحابه حتى لا يعطاهم عن الجهاد، وقد أخبر فقال: (تصابون يوم تأخذون بأذناب البقر)، أي: تحرثون وتزرعون، وهو كذلك، فالآن المسلمون لا يفكرون في إنقاذ العالم أبداً، وإنما يفكرون كيف يأكلون ويشربون ويزغردون فقط، والذين يريدون أن يسودوا ويحكموا بنوا عمنا اليهود، فهم عازمون على سيادة العالم، فيبذلون الرخيص والنفيس والغالي في سبيل هدفهم، وأيما دولة تريد أن تسود وتحكم لابد وأن تضحي بالشهوات والأهواء والدنيا والأموال، والمسلمون اليوم يكفي أن يعيشوا فقط، وهذا هو مهمهم، ولا يوجد دولة اليوم تنتمي إلى الإسلام تبذل أقصى ما تبذله؛ لأنها حريصة على أن تسود، وهذا مشاهد، بل اليهود هم الذين يفعلون هذا.

[فأرادوا أن يرشوه؛ ليرفق بهم] وكان عبد الله بن رواحة فقيراً مثلي ومثلك، وجاء إلى خيبر بلاد المال نيابة عن رسول الله، فأرادوا أن يضعوا في جيبه نقوداً؛ حتى يرفق بهم، ويقول في النخلة التي فيها قنطاراً: فيها قنطار إلا ربعاً بالتخمين، وإذا كانت المزرعة هذه ممكن تحصد عشرة طن يقول: فيها تسعة طن مثلاً، فلا يظلم الحاكم ولا يظلم المواطنين، كما نفعل نحن الهابطون [فقال لهم: والله لقد جئتم من عند أحب الخلق إلي] الله أكبر! وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم [ولأنتم] يا معشر يهود! [أبغض إلي من إخوانكم من القردة والخنازير] ولن أجمع بين هذا وهذا، فبينهما بعد كبير أبعد مما بين السماء والأرض [وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم] وعجب هذا الرجل! فأولاً قال: جئتم من أحب الخلق إلي، وحب رسول الله لن يحملني على أن أؤذيكم بالباطل، وهذا والله ما كان، وأنتم أبغض إلي من إخوانكم من القردة والخنازير، ولن يحملني بغضكم على أن أجور عليكم، وأقول: القنطار فيه قنطاراً ونصف، والله ما كان.

و عبد الله بن رواحة هذا لم يتخرج من أية جامعة، وإنما تخرج من مجالس رسول الله كهذه. فاحفظوا هذه الكلمة الخالدة لتكون نوراً لنا [فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض] فكان اليهود أفعه منا اليوم، وقلها في أي مدينة من مدن العالم الإسلام، فلا يوجد من يقول: بهذا قامت السماوات والأرض، والله ما يقولوها ولا يعرفوها، واليهود عرفوها، وقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض، أي: بالعدل، لأنهم يقرءون ويجتمعون على شيوخهم، ونحن ما نجتمع، وإنما نمر بالحلقة ونضحك.

وقد حدثنا أحد الصالحين وقد توفي، قال: منذ عشرين سنة وأنا أمر بالحلقة وأسخر وأهرب منها، قال: لأن الوهابية يفسدون عقيدتي، لا إله إلا الله! وهو لا يسمع إلا قال الله وقال رسوله، والله لقد شاهدنا الرجل يجلس عندنا في الحلقة فيجيء آخر من وراءه ويقومه، ويقول له: لا تجلس هنا، فهؤلاء يفسدون عقيدتك، هذا في مسجد النبوة في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذه مظاهر أمتنا، ولن نننصر على اليهود ونسود ونحن هكذا، ولن تجتمع كلمتنا، ولن نتحد راياتنا. قال: [لنأمل جميعاً هذا الموقف الذي وقفه عبد الله بن رواحة صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو موقف يجب أن يقفه كل مؤمن، فلا تغرنه الحياة الدنيا، فيحيف أو يجور أو يأخذ رشوة مالية مهما كانت الظروف والأحوال.

اللهم أحينا على ما أحبيته عليه، وأمتنا على ما أمته عليه، إنك رب العالمين، وولي المتقين. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. الأمر بالعدل في القضاء والحكم

قال: [واعلم أيها القارئ الكريم! أن الله تعالى أمر بالعدل في القضاء والحكم في غير هذه الآية أيضاً، فاسمع قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ [النساء:58]. وقوله: وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ [المائدة:49] وهذه في الأحكام، أي: وأن احكم يا رسولنا! بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم. عاقبة كتمان الشهادة وعدم العدل في أدائها

قال: [كما نهى تعالى عن كتمان الشهادة في قوله: وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ [البقرة:283]] فالقلب يصبح كله أذى وقذر، ويصبح عفناً منتناً من ظلمة كتمان الشهادة والجور فيها، فمن يكتُم الشهادة أو يجحدها ويغطيها دفاعاً عن قبيلته أو عن موطنه أو عن أبيه أو أمه فقد أسود قلبه وتعفن وتنتن، وإذا فسد القلب لم يبق شيء صالحاً، (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهو القلب).
فلهذا قال تعالى: وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ [البقرة:283].

ولم يقل: فإنه آثم، وإنما قال: قلبه آثم، وإذا فسد القلب فسد كل شيء.
[ومما يؤكد أمر حرمة الظلم والجور في الحكم والشهادة قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب أصحابه: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله!) [نبئنا بها وعلما إياها] قال: (الشرك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكناً فجلس)] اهتماماً بهذه القضية (فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، حتى قال الحاضرون من أصحابه: ليته سكت، أي: تمنوا سكوته؛ خشية أن ينزل أمر عظيم لا يطاق)].
وخافوا أن ينزل بلاء أو نقمة من السماء؛ لأنه كان منفعلاً قد يغضب الله لغضبه فينزل بلاء.
وجماعتنا يقولون: هذا الشيخ منذ سنين يتكلم عن الشرك، ونقول: يا بلهاء! يا أغبياء! رسول الله بين أصحابه أولئك البدور يبدأ: الشرك بالله، فالرسول يخاف أن يشركوا، وهم ليسوا مشركين.
وإذا سمعك أحد تتكلم عن الشرك أبغضك، وقال: نحن مؤمنون، وهذا الشرك كان في أيام الجاهلية، ويغطون، حتى أصبح ثلاثة أرباع الأمة المحمدية مشركون في عقائدهم.
فانتبهوا لهذه اللطيفة.

فالرسول بين أبي بكر و عمر و عثمان و علي و طلحة يقول: (الشرك بالله).
فهو يخاف أن يشركوا، وإلا لما قال: الشرك بالله، ولتكلم عن أشياء أخرى؛ لأن الرسول حكيم، وهو أستاذ الحكمة ومعلمها، فهو عندما يخاطب أصحابه الأطهار بهذا الكلام فهو يخاطب به من يأتي بعدهم إلى يوم القيامة.
النهى عن اتباع الهوى

قال: [بعد هذا الإرشاد والتوجيه إلى إقامة العدل في القضاء والشهادة نهى تعالى المؤمنين] وهم أولياؤه [عن اتباع الهوى] والهوى كما يقول الحبيب: (حبك الشيء يعمي ويصم).
فإذا زين الشيطان شمطاء فأحببتها فإنك تصبح والله ما تسمع ولا تبصر، (ف) حبك الشيء يعمي ويصم).
والذي يحبب هذا إلينا هو إبليس عدو أبينا وأمناء، الذي أجلانا من دار السلام، وتركنا هكذا سائحين في الأرض تائهين، فإذا زين لك الشيء وحببه إليك وأحبته أعماك وأصمك، وتصبح لا تسمع موعظة ولا أمراً، ولا تشاهد آية من آيات الله [فقال تعالى: فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا [النساء:135]] فمن اتبع هوى نفسه عدل عن الحق، وجار في الشهادة وظلم فيها [والهوى هو: ميل النفس إلى ما تحبه] من الأشياء [وما يزينه الشيطان لها، فترغب فيه وتطلبه، كحب السمعة والمال والجاه واللذات، فنهى تعالى عباده المؤمنين عن اتباع الهوى؛ حتى لا يجوروا في قضائهم وشهاداتهم].
التحذير من لي اللسان بالشهادة أو كتمانها

قال: [ثم حذرهم من لي اللسان بالشهادة حتى لا تأتي عادلة] وأهلها يعرفونها، فنحن لا نعرفها حتى نمثل، وإنما نقول: هو عدم النطق بالعبارة واضحة صريحة، واللي عندنا حبل نلويه، فلي الشهادة: لي اللسان وعدم النطق

بالعبارة واضحة، فيقول القاضي: مع الأسف هذه الشهادة ما تكفي، وليست قائمة على أساسها، فاطلبوا شاهداً آخر، ويخرج أخونا وقد لوى لسانه؛ ليتعطل الحكم الذي سيصدر عليه أو على أبيه أو أخيه. هذا هو اللي [ومن الإعراض عنها بأن يكتموها فلا يؤدوها] بالمرة. فإما أن يلويها فلا تخرج صالحة، ولا يستطيع القاضي أن يطبقها على حكم أبداً؛ لأنها ليست واضحة؛ لأنه لوى لسانه فيها وحرفها، أو يعرض ويقول: ما سمعت أبداً ولا رأيت ولا شهدت ويكتمها [أو يعرضوا عن بعضها، فلا تكون] إذاً [كافية في إحقاق الحق وإبطال الباطل]. استحضر مراقبة الله لعباده بمنعهم من الوقوع فيما يغضبه

قال: [فقال تعالى: وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا [النساء: 135]]. ولم يذكر الجزاء في هذه اللفظة، فقد سكت عنه، ولم يذكر جزاءه بالهراوة أو العصا، وإنما أشار إليه بالدليل: [فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [النساء: 135]] ولم يقل: أفقركم .. أسلط العدو عليكم .. أمزقكم .. أصيبكم بالجنون؛ لأن هذا لا يكفي، فلماذا ذكر العلة، فقال: فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [النساء: 135]. وسيجزي عباده بحسب مواقفهم وسلوكهم، فإن الله كان وما زال بما تعملون خبيراً، فهو عليم، فلا يخفى عليه من أمرنا شيء، ووالله لئن تلوى لسانك بلفظة فقط تريد أن تخرج من الشهادة يعلمها الله [أي: لا يخفى عليه أمركم، عدلتكم أو جرتم، أتممتكم أو نقصتم، فاحذروا رقابته تعالى لكم، وجزاءه إن عدلتكم بالخير أو جرتم بالعذاب، فما أحسن هذا التدليل في الآية الكريمة: فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [النساء: 135]] هذا الختم الأخير في الآية [فاذكروا هذا ولا تنسوه؛ فإنه يعينكم على تقوى الله عز وجل بامتنال أمره واجتناب نهيه، فتكملوا وتسعدوا]. الأمر باداء الشهادة ولو على الأقربين

قال: [إذا: فاعدلوا ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو الوالدين والأقربين] من الأخ والعم وغير ذلك، فيشهد الرجل على أمه، ويقول: أُمِّي سَرَقَتْ هَذِهِ الدَّجَاجَةَ، وهذه دجاجة جارتنا، وأُمِّي أَخَذَتْهَا، ولا حرج، ودعها تقطع يدها؛ لأنها سرقت، وكذلك [فليشهد أحدكم على نفسه بأنه فعل أو ترك، وعلى أبيه و [على] أمه وأقربائه أنهم فعلوا أو قالوا أو أخذوا أو تركوا، فلا تحمله طاعة والديه وواجب الإحسان إلى أقربائه] لا يحمله ذلك [أن يكتم الشهادة عليهم، أو يبدلها حائفاً فيها] مائلاً [جائراً] حتى لا تقيد.

ومما يروى ويذكر: أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه - وهو بعث وخرج إن صح التعبير في أمة لاصقة بالأرض في أيام الهبوط، وقد كان العالم الإسلامي كله رازحاً تحت نار الجهل والعياذ بالله، وكانت الجاهلية والله أقبح من جاهلية ما قبل الإسلام في مواطن كثيرة- أن امرأة جاءت وقالت: يا شيخ! إنني زنيته فطهرني، فكاد يذوب، فقال: يا أمة الله! اذهبي واستري عن نفسك، فجاءت مرة ثانية وقالت: يا شيخ! طهرني، وأقم الحد علي، وجاءته أربع مرات في أربعة أيام، فأقام عليها الحد مع تلامذته، وكان أول حد يقام بعد قرون، فطهرت تلك المؤمنة، فيذكر الشيخ أنه ما شرح صدره شيء ولا حصل له من نعمة أكبر من ذلك اليوم، فقد عرفت ربها، فجاءت تريد تطهر نفسها، في الوقت الذي ما تستطيع أن تعرف إلى أي بعد وصلنا في الهبوط في القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر، فقد وصل هبوطنا إلى أبعد حد، وسبب هذا الجهل والبعد عن كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم.

[ولا تراعوا في أداء الشهادة فقراً ولا غنى، كما لم تراعوا قرباً أو بعداً] فلا تراعوا فقراً أو غنى [فإن الله أولى بالفقير بالإحسان إليه، وأولى بالغني أن يأخذ منه غناه، فلا يميل أحدكم مع الفقير رحمة به، ولا مع الغني طمعاً فيه] وفيما عنده [وليؤكد ذلك الله تعالى، فهو أولى به] واسمعوا النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا [النساء: 135]. فليصبح هذا الكلام مفهوماً عندنا كالأكل والشرب. الأمر بأن تكون الشهادة لله

قال: [وها هو ذا الرب تبارك وتعالى ينادي المؤمنين ويأمرهم قائلاً: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ [النساء: 135]]، أي: بالعدل.

هذا في الحكم بين الناس: شَهَدَاءُ اللَّهِ [النساء:135]، أي: أدوا الشهادة لله؛ لأن الشهادة على عبده كالشهادة له عز وجل [فأنا عبد الله، فالشهادة لي كالشهادة له؛ لأنني أنا عبده، والشهادة علي بالباطل شهادة على الله بالباطل؛ لأنني عبده، فهذا الذي يشهد شهادة في المحكمة وبها تنقل العماراة أو السيارة فهذا قد أمضى ووقع باسم الله تعالى، وهذه جريمة. فإذا تنازع على العماراة الفلانية فلان وفلان وتوقف الأمر على الشهادة، فجاء الشاهدان يشهدان، فهذا الشاهد لما يشهد تنقل العماراة إلى الشخص الثاني، وقد أخذت باسم بالله، لأن هذا يشهد نيابة عن الله، فيا من يشهد إنك تتوب عن الله فلا تكذب على الله، وهذه جريمة ما لها حد، وقد رأينا بعض الإخوان يتبادلون الشهادة بالباطل، أشهد معنا ونشهد معكم، ويقولون: هذا من بلادنا .. هذا من قبيلتنا، ونحن لا نلومهم؛ لأننا فقدنا هذا النور من قرون، ولا نجتمع على القرآن ولا ندرسه ولا نعرف ما فيه.

قال: [إذا أدوها عادلة لا حيف فيها ولا جور، ولو كانت الشهادة على أنفسكم؛ لأنكم عبيد الله، فلا تظلموا أنفسكم؛ لأن ذلك لا يرضاه سيديكم لكم] بل أشهد على نفسك، وقل: نعم قلت .. ضربت .. أخذت، فأشهد على نفسك؛ لأنك عبد الله [وظلم النفس يكون باقتراف الذنب بالحيف في الشهادة، وعدم العدل فيها].
العدل مأمور به في كل شيء

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم!] الذي يقرأ هذه النداءات الإلهية، ويضع نسخة عند وسادته، ولما يأتي إلى فراشه يقرأ نداء، ويسمع الله يناديه فيه، ويتقبل مراد الله منه، وينام مؤمناً طاهراً، ولا يمضي عليه زمان إلا وقد استوعبها وحفظها، وعمل بما فيها، وأصبح ربانياً، وأنت لو درست في جامعات العالم مليون سنة لم تتخرج كما تتخرج على القرآن.

فاعلم [أن هذا النداء الإلهي له شأن عظيم؛ إذ هو يوجب العدل في القضاء والشهادة والقول والعمل والاعتقاد] ولا يجوز لقائل أن لا يعدل في قوله، وإلا فهو يكذب، ولا يجوز لعامل أن لا يعدل في عمله، وإلا فإنه يفسد، فهذا النداء ذو شأن عظيم؛ إذ هو يوجب ويحكم العدل في القضاء، فإذا قضيت وحكمت بين اثنين أو أدبت الشهادة أو قلت قولاً أو عملت عملاً أو اعتقدت اعتقاداً فيجب أن يكون اعتقادك عادلاً، ولا إله إلا الله! فمن اعتقد أن الآلهة ثلاثة لم يعدل [فعلى من قضى بين اثنين أن يعدل في حكمه، وأن من شهد أن يعدل في شهادته] فإذا كانت الدابة لفلان يقول: لفلان، ولا يخاف غناه، ولا يرحمه لفقره، ويشهد أن السيارة لفلان صاحبها، وليست لأبي ولا لأخي، بل يشهد على أبيه أو على أخيه، ويشهد على نفسه فضلاً عن أبيه وأخيه [وأن من قال متكلماً مخبراً أو أمراً أن يعدل في قوله أو أمره؛ إذ على العدل قامت السماوات والأرض] ووالله لو لا العدل لخرب العالم كله، وتبخر وتلاشى، وعاد سديماً كما كان، ولكنه قائم على أساس العدل.
قيام الكون كله بالعدل

العدل قام عليه أمر السماء والأرض، والعدل ضد الجور .. ضد الحيف .. ضد الميل، وهذا العدل أقام الله عليه السماء والأرض، ونضرب على ذلك مثلاً: والله لو لا العدل لكانت الشمس قد خرجت من مدارها منذ مئات السنين، واحترق الكون كله، لكنها تسير في عدل كامل لا تحيد عنه مليمتراً واحداً، ولو خرجت كثيراً أو نقصت لخرب العالم، فلما أن يحترق بالنار، وإما أن يتجمد بالجليد.
وأنت عندما تبني جداراً لو أملتة فقط والله ليسقطن، وإذا لم تقومه معتدلاً فسوف يسقط عليك، ولن تسكنه.
وهذا العدل أعرضنا عنه، ففي بعض الجهات وبعض الأماكن يوجد شبه لصوص حول المحكمة، فإذا احتاج شخص شهادة طلبوا ديناراً أو دينارين ويشهدون لك في المحكمة، ويحومون حول المحكمة، وهذه فقط مهمتهم.
هيا مع هذا النداء؛ لترتفع مستوياتنا فوق مستويات البشر، وإن كنا لا نقرأ ولا نكتب؛ لأن هذه أنوار الله للهداية البشرية، ولن تحتاج إلى القلم والقرطاس أبداً، بل فقط آمن وأقبل على الله.
الأمر بالشهادة بالحق

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا [النساء:135] فليس لك شأن أنت، فالله أولى بهما [النساء:135].

ولا تقل: هذا غني نشهد عليه، أو هذا فقير نشهد له، فهذا ليس من شأنك، بل الله هو الذي أغنى هذا وأفقر هذا، فإن يكن غنياً أو فقيراً فأولى بهما الله، لا أنت يا عبد الله! فلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا [النساء:135] عن جادة الحق والصواب.

وَإِنْ تَلَّوْا [النساء:135] أَلَسْتُمْ بِالْعَبَّارَةِ، ولم تفصحوا بالنطق حتى يضيع حق هذا المؤمن، أو تعرضوا وتقولوا: لا نشهد.

ولا إله إلا الله! فهذه الأمة سمت وارتفعت وعلت، والله لم يعرف التاريخ البشري أمة كملت كهذه الأمة، أيام أن كانت تعيش على هذا القرآن، ثم كاد لها العدو فجرت وراءه فصرفها عن القرآن، وأصبحوا يقرءونه على موتاهم، وأما في المحكمة فليس هناك قرآن، بل القرآن يقرأ على الموتى والله العظيم، وهذا أمر عجيب، فالميت عندما تقرأ عليه القرآن فإنك توبخه فقط، فإذا كان ما تقرأ عليه عقيدة فإنك توبخه، وإذا كان صلاة فهو لم يصل، وإذا كان صياماً فهو لم يصم، وأنت توبخه فقط، وهو لا يستفيد من قراءة القرآن.

فالقرآن يقرأ على الأحياء أولي البصائر والنهي، فتكمل معارفهم، وتسمو آدابهم وأخلاقهم، وهذا ليس بكلامي، واسمعوا الله يقول في سورة يس التي وضعتها للموتى، يقول تعالى: إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا [يس:69-70].

فالذي تسمعون الرسول يردده وينزل عليه إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا [يس:69-70]. وفي قراءة سبعية: (لتنذر) يا رسولنا! به (من كان حياً) وليس ميتاً، ففرق الله بين الميت والحي، ولم يطلق العبارة على كليهما، بل قال: لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا [يس:70].

يعي ويفهم .. يسمع ويتلقى وينطق، وأما الميت فلا فائدة من إنذاره، وإلى الآن يوجد من إخوانكم وآبائكم من يكاد يتمزق عندما يسمع هذا الكلام، ويسب ويشتم ويقول ما شاء الله أن يقول.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

التدبر في آيات الله سبب للوقاية من الكفر

المناعة .. الحصانة .. الوقاية أن يجتمع المؤمنون على كتاب ربهم وسنة نبيهم وطول حياتهم، وبذلك يكونوا آمنين، وإن أعرضوا .. أدبروا .. اشتغلوا بالأغاني والمزامير والباطل والأضاحيك والتمثيليات والرقص والله ليسلبن إيمانهم، ويموتون على سوء الخاتمة.

فاعرفوا هذا النداء الكريم، إِنَّ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ [آل عمران:100-101].

ونحن ما نتلى علينا، وإنما نتلى على موتانا فقط، وإلى الآن سنة ونصف ونحن نصرخ: يا مسلمون! يا مسلمون! عجلوا قبل فوات الفرصة، فإنكم تحت النظارة الإلهية، فعجلوا، واجتمعوا بنسائكم وأطفالكم في مساجد قراكم ومدنكم من المغرب إلى العشاء كل ليلة، ولا يتخلف رجل ولا امرأة، إلا ذو عذر معذور شرعاً، وليلة آية وليلة حديث، فتحفظون وتفهمون وتعملون، فإذا بكم كالكواكب الزهر في سماء الدنيا طهراً وصفاء وكمالاً، فيبئس الشيطان منكم والكافرون، وهم يقولون: لا نستطيع أن نغلق أبواب دكاكيننا ومقاهينا ومطاعمنا ومجالسنا التي نروح فيها عن أنفسنا، وأنت تريد سجننا وحبسنا.

هذا لسان الحال، وهو أفصح من لسان القال والمقال.

فنقول لهم: إذاً: ابقوا على الجهل، وأما كون هذا البقاء يضمن لكم الحياة السعيدة والأمن والرخاء فوالله ما يضمن، وما هي إلا إهمالة فقط، والله عز وجل يملي للظالم، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، فالذي يضع الشيء في غير موضعه والله لينقلبن ويتمزقن ويسقطن.

وقد ردنا قول هادينا صلى الله عليه وسلم على المنير: (إن الله ليملي للظالم)، بمعنى: يزيد ويطول له الأيام (حتى إذا أخذه لم يفلقته، وقرأ صلى الله عليه وسلم آية سورة هود: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [هود:102]).

وقد أخذ أجدادنا وآباءنا، فضاعت دولة الأندلس الخضراء، والجمهورية الإسلامية في روسيا، وغير ذلك، وأخيراً هذه البقعة استولت عليها فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وبلجيكا وغيرها، وهذا حق وليس باطلاً، فقد استعمرتنا هذه الدول الكافرة، فحكمتنا وساستنا وسادتنا وقتنت لنا وشرعت؛ لأننا أعرضنا فأعرض الله عنا، ولم نستطيع أن نجتمع في

ببوت ربنا بنسائنا وأطفالنا كل ليلة وطول العام، حتى لا يبقى بيننا خلاف ولا جهل ولا ظلام ولا ضلال ولا فسق ولا فجور ولا باطل ولا شر ولا كفر ولا فساد؛ إذ كل ذلك يمحي؛ لأنها سنة الله، فالطعام يشبع، والماء يروي، ولم تتعطل هذه السنة، والحديد يقطع، والكتاب والسنة يهديان، ولا تكون هداية بدونهما، والله ما كان هذا ولن يكون، وإذا أردت أن تكمل في آدابك ومعارفك وأخلاقك وحياتك بدون عوامل ذلك فهذا مستحيل.

وقد ضربنا المثل - أبنائي - في كيفية هداية الكتاب والسنة، وقلنا: نجلس سنة كاملة نتعلم يوماً آية ويوماً حديثاً، لعل المسلمين اليوم يتأثرون، ولكنهم ما استطاعوا، وهم يشاهدون قصة في التلفاز ويطبقونها عملياً، وهذه مظاهر الهبوط، لا تقولوا: الشيخ يشنع، فوالله ما سمعتم إلا الحق والهدى، وليس خرافة ولا ضلالة ولا غير ذلك، وهذا هو الطريق، وهذه النداءات الإلهية تسعون نداء، والمفروض والواجب الحتمي أن يكون كل مؤمن قد ألم بها، وعرف ما فيها، وطبق ما قدر على تطبيقه منها، وما عجز عنه فقد أعذر إلى الله، ولن تكون مؤمناً بالله إذا كان قد ناداك تسعين نداء وأنت لا تعرف نداء واحداً منها.

وشيء آخر: أنه يناديك ليعلمك .. ليهذبك .. لينقذك، وكيف تنقذ نفسك وتتعلم وتتهذب، وأنت معرض. وفي الأمس كنا مع نداء الحرب، فالمسلم لا يجوز أن يكون جاهلاً بما في الحياة كلها. تحدي الله للإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة منه

كتاب الله القرآن العظيم تحدى الله به الإنس والجن - وهي قدرات لا حد لها - على أن يأتوا بمثله، فطأطأوا رءوسهم، وانحنوا للجبار عز وجل، وأنتم تقرأون فيه سورة تسمى سورة بني إسرائيل أو الإسراء، وقد جاء فيها: قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ [الإسراء: 88]، أي: قل يا رسولنا! وأفصح بهذا الكلام، وقل أنت أيها المؤمن! في الشرق والغرب، على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً [الإسراء: 88].

وهذا التحدي مضى عليه ألف وأربعمائة وأربع عشرة سنة، ولم تستطع البشرية أن تتكفل وتتعاون مع الشياطين على أن يخرجوا للناس كتاباً يبطلون به كتاب الله، وهذا والله ما كان ولن يكون.

وأشد من هذا سورة فقط، فهذا الكتاب فيه مائة وأربع عشرة سورة، منها الطوال والصغار والكبار، وتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة، واسمعوا التحدي الواضح البين، يقول تعالى من سورة البقرة المدنية حيث علماء اليهود وأحبارهم هنا وهناك يقول لهم: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ [البقرة: 23-24].

قبل أن تأكل وجوهكم.

فليفهم السامعون قوله: وَلَنْ تَفْعَلُوا [البقرة: 24].

قالت العلماء البصراء: هذه الجملة لا يقولها إلا الله، ومستحيل أن يقولها إنسي أو جني، فمن يملك الغيب والدهور الطويلة هو الذي يقول: وَلَنْ تَفْعَلُوا [البقرة: 24].

ولا يقول هذا إلا من بيده غيب السماء والأرض، وقد مضت ألف وأربعمائة وأربع عشرة سنة وما فعلوا ولن يفعلوا.

حرمان أهل الكفر من الانتفاع بكتاب الله من أسباب بقائهم على الكفر

ما دام هذا الكتاب في صدورنا فلا نستطيع أن نكفر، وما دام هذا الكتاب يتلى بيننا ويتدارس وتستخرج حلاله وغرره فلا نستطيع أن نكفر، والذين كفروا سبب كفرهم أنهم حرّموا من هذا الكتاب، وما اجتمعوا عليه ولا تلوّه ولا تدارسوه، ولا أخذوا بهداه ولا بأنواره، وهؤلاء من الجائز أن يكفروا، وأما أسرة وأهل قرية وأهل إقليم يجتمعون على كتاب الله كل ليلة نساءً ورجالاً يتلوّنه ويتدارسونّه بينهم فمستحيل أن يكفروا، ولا يمكن أن يأتيهم الكفر، والذين يعرضون عنه ويباعدون ويصدون ويشغلون غيره أقرب ما يكون إليهم الكفر، وقد كفروا.

والدليل على ما نقول في هذه القضية العظيمة لا يملكه سوى الله، فقد قال في سورة آل عمران في ذاك النداء الذي حفظناه واستنارت قلوبنا به وعشنا عليه، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ [آل عمران: 100-101].

وهذا ليس كلام أفلاطون ولا نابليون ولا أبو قراط وسقراط، فهو لا دجاجة، بل هذا كلام الله.

فهو يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ [آل عمران: 100] المستشارين والعلماء والخبراء يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ [آل عمران: 100].

وصدق الله رب العالمين، فكم من رجل ارتد كافراً؛ لأنه أخذ بتوجيهات علماء ممتازين عند اليهود والنصارى. سبحان الله العظيم! وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ [آل عمران: 101]، أي: من أين يأتي الكفر؟ وكيف يدخل قلوبكم؟ وكيف يذهب النور ويطرده من نفوسكم؟ فهذا عجب، وهذه الصيغة صيغة تعجب، أي: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ [آل عمران: 101] والحال أنكم يتلى عليكم كتاب الله وفيكم رسوله؟!

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 27

أوجب الله على عباده الإيمان، وأمرهم بالثبات عليه وعدم النكوص، فهو بمثابة الروح للعباد، ولا حياة بدون روح، والعبد إذا فقد إيمانه وانطفأ نوره في قلبه فلا يعدو أن يكون بهيمة من البهائم تدب على الأرض، بل إن البهائم أعز شأنًا وأعلى قدرًا ممن لا إيمان له.

وجوب الثبات على الإيمان وتقويته، والتحذير من ضده وهو الكفر

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم، إنك ولينا ووليهم.

هذا هو [النداء السادس والعشرون] من نداءات الرحمن لأهل الإيمان، وهي تسعون نداء، وهذا النداء هو [في وجوب الثبات على الإيمان وتقويته، والتحذير من ضده] أي: من ضد الإيمان ألا [وهو الكفر] والعياذ بالله تعالى.

هذا هو النداء الذي انتهينا إليه بفضل الله ومنته، وفحواه ومضمونه هو وجوب الثبات على الإيمان، وعدم التقهقر أو التراجع عنه، فهو بمثابة الروح، فالحياة بدون روح لا وجود لها، والعبد إذا عدم الإيمان فهو أيضاً موجود وغير موجود، فلا بد من الثبات على الإيمان وتقويته؛ لأن الإيمان كهذه الطاقة الكهربائية تضعف فتقوى، فإذا قوي إيمان العبد استطاع أن يفعل ما لا يخطر بالبال، وإذا ضعف فإما أن يقف أو يتراجع، ولا ينتج خيراً، فهذا دعائنا ربنا وله الحمد والمنة إلى أن تثبت ثبوت الجبال الراسية على إيماننا، ولا نسمح أبداً بأن يحصل فيه أي خلل، فتضعف طاقاتنا ونعجز عن مواصلة السير إلى دار السلام.

والإيمان يضعف ويقوى والله بلا جدال في هذا.

وهيا نتغنى بهذا وقتاً ما.

خطاب الله في هذا النداء لمؤمني أهل الكتاب

قال: [كما يشمل هذا النداء مؤمني اليهود] أي: أهل الكتاب، وقد ناداهم الله لأنهم عبيده، فهو يريد كمالهم وسعادتهم [الذين يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض] ويتخيرون، فيؤمنون بكذا ولا يؤمنون بكذا، فهذا عبث ولعب وباطل.

فقد كفروا بعبسى ابن عمتهم، أو أختهم، فعيسى عليه السلام هو بعث لبني إسرائيل، لا للروم ولا للصين ولا للهند، بل عيسى رسالته محدودة إلى بني إسرائيل، واعتنقها الروم خطأ وضلالاً، وكفروا بالوحي الإلهي والرسالة البشرية العامة.

والشاهد من هذا: أن عيسى عليه السلام كفر به اليهود وحاربوه، وتآمروا على قتلته، وقتلوا من شبه لهم به، وقالوا فيه: ابن زنا، وقالوا في أمه: عاهرة، وقالوا غير ذلك، وهما أسرة من أسرهم، لكن لما جاء عيسى يصرفهم عن الباطل والخبث والتمرد والعدوان وقتل الأنبياء ضجوا وأعلنوا عن كفره وقالوا فيه ما قالوا، وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وليس لهم أي حق في الكفر بنبي والإيمان بآخر، بل إما أن يؤمنوا بكل أنبياء الله أو يكفروا بالكل، وليس لهم أن يتخيروا، فهذا معناه: أنهم يتبعون شهواتهم وأهواءهم ومنافعهم الدنيوية.

قال: [فقد روي أن عبد الله بن سلام] و عبد الله بن سلام هذا من بني إسرائيل، وهو حبر من أحبار اليهود، وعالم من كبار علمائهم، وقد كان يعيش هنا في المدينة، سبحان الله! ولا يوجد هذا الاسم إلا له، فهو وحده عبد الله بن سلام

، وما عداه فهو ابن سلام، ولا يوجد عبد الله بن سلام إلا هذا، وأما ابن سلام فهذا كثير، وهذا الخبر تاريخه عجب [وأسدأ و أسيدأ ابني كعب، و ثعلبة بن قيس ، و سلام ابن أخت عبد الله بن سلام و سلمة بن أخيه، و يامين بن يامين [هؤلاء السبعة كلهم] أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم] وهؤلاء من اليهود في المدينة، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة اجتمع هؤلاء وقالوا: نذهب إليه حتى نتأكد من صحة دعوته، والذي يروي لنا هذا عبد الله بن سلام المبشر بالجنة على لسان رسولنا صلى الله عليه وسلم [وقالوا: يا رسول الله! إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن، وبكل كتاب كان قبله، فقالوا: لا نفعل، فنزلت هذه الآية، فأمنوا كلهم).

فهنيئاً لهم، ولمن قبل دعوة الحق مثلهم.

والآن وقد عرفت أيها القارئ! أن هذا النداء الإلهي قد شمل ثلاث طوائف: الأولى: المؤمنون بحق، وهم أهل الإيمان والإسلام والإحسان من أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

والثانية: المؤمنون في الظاهر، الكافرون في الباطن، وهم المنافقون، وقد انقضوا، فلم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمدينة منافق؛ إذ جلهم آمنوا ودخلوا في رحمة الله، ومات منهم عدد على نفاقه، فهو في نار جهنم.

والثالثة: هم من اليهود الذين كانوا بالمدينة، وقد آمن منهم من نزلت الآية فيهم، وقد تقدم ذكرهم وأسماءهم، فانظر إلى إعجاز القرآن وبلاغته، إذ لفظ آمنوا تناول ثلاث طوائف، لذا قيل: القرآن حمال الوجوه.

أما قوله تعالى: وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ [النساء:136] فالمراد به القرآن، والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم.

وسر تضعيف الزاي هو: أن القرآن نزل جملة واحدة، ولكنه نزل منجماً نجماً بعد نجم في ظرف ثلاث وعشرين سنة تقريباً، بحسب ما تدعو إليه حاجة الدعوة وأهلها.

وسر عدم تضعيف الزاي في قوله تعالى: وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ [النساء:136] أن المراد بالكتاب: الكتب التي نزلت قبل القرآن، وهي: التوراة والزبور والإنجيل، إذ (أل) في الكتاب للجنس، أي: دلالة على متعدد، كلفظ الإنسان، فإنه دال على عدد لا يحصىه إلا الله سبحانه وتعالى.

فسر عدم تضعيف الزاي والعدول عن نزل إلى أنزل هو: أن الكتب السابقة نزلت دفعة واحدة، بخلاف القرآن العظيم، فإنه نزل منجماً في خلال نيف وعشرين سنة [.

خطاب الله في هذا النداء للمنافقين

قال: [ويشمل] هذا النداء أيضاً [المنافقين، وهم مؤمنون في الظاهر كافرون في الباطن] لأنهم يتظاهرون بالإيمان ويخفونه، ويبطنون الكفر في قلوبهم [وما أكثرهم في المدينة أيام نزول هذه السورة القرآنية الكريمة سورة النساء] وقد كانوا ينتظرون الفرصة التي تتاح لهم؛ حتى يعودوا إلى الشرك كما كانوا، وكان المنافقون أيضاً من العرب ومن اليهود ينتظرون متى تنكسر هذه الدعوة وتتطفئ، وقد مر بنا كيف صفقوا في غزوة أحد، وقالوا: هيا نعلن ولاءنا لأبي سفيان ، فهم يتربصون بهم الدوائر، فلماذا هم مصررون على الكفر، ويظهرون الإيمان للحفاظ على وجودهم، ولو أعلنوا كفرهم لقاتلهم الرسول، ولن يتركهم كفاراً في المدينة، لكنهم كانوا يستترون بستارة زائفة فيها خير، وجلهم دخل في الإيمان نفاقاً يوم أن كانت آيات القرآن وهذا المطر والغيث الإلهي ينزل، فكلهم دخلوا في الإيمان إلا عدداً بسيطاً مات على الكفر، ثم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم وليس في المدينة منافق، فقد انتهوا.

قال: [أمرهم بأن يؤمنوا الإيمان الحق، وهو الإيمان بالله وبرسوله ولقائه] ويمكن أن نلتقي بالله ربنا في لقاء يومي عندما نتطهر ونستقبل بيته ونقول: الله أكبر، سواء في نافلة أو فريضة، فنحن والله مع الله وبين يديه، وإن لم نره فهو يرانا، واذكروا قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (المصلي يناجي ربه)، أي: يتكلم معه سرّاً، فالمناجاة حديث السر.

ويقول في الحديث الآخر: (إن الله ينصب وجهه لعبده في الصلاة).

فيقبل الله عليك وأنت بين يديه تصلي، ولقاء الله الأمور به هنا هو اللقاء يوم القيامة، حيث تتطير الصحف، ودواوين الأعمال، وينصب الصراط، ويقام الميزان، ويؤمر بنا إما إلى الجنة وإما إلى النار، كما قال تعالى: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ [الشورى:7].

ولا وسطية، بل إما هبوط وإما طلوع .

إما سعادة وإما شقاء [وبالملائكة والكتب والرسل] عامة [واليوم الآخر والقضاء والقدر] وأعطيتكم مثلاً حياً ناطقاً على القضاء والقدر لا تسألوا بعده عن كيفية الإيمان بالقضاء والقدر: لو مررت بمهندس معماري وهو جالس على كرسيه، وأمامه طاولته التي يضع عليها أدواته، فقلت: السلام عليكم، فقال: وعليكم السلام، والقلم في يده والورقة بين يديه، وهو يرسم، فسألته فقال: أنا الآن أرسم صورة لفيلا من أندر الفلل في العالم، أو لقصر من القصور، أو لعمارة من ناطحات السحاب، وأخذ يرسم عدد الغرف .. عدد الأبواب .. ألوان المفاتيح، وكل شيء على الورقة، ثم أعطاها لصاحب القوة على التنفيذ، فيطبق ما كتبه حرفياً، حتى نوع المفتاح .. وأنواع الشبائيك، وغير ذلك، وهذا موجود فعلاً، ولا يقول: لا، أنا لا أؤمن بهذا، وإذا قال هذا الكلام يضحك الناس عليه، فإذا كان هذا الأدمي عبد الله يرسم هذه الرسومات وتطبق وتنفذ وتتم، فما بالك بمن يقول للشيء: كن فيكون؟ وفي الحديث الصحيح: (كان الله ولم يكن شيء معه).

لاجنة ولا نار، ولا إنس ولا جن ولا ملائكة، ثم خلق كل ما أراد أن يخلق، وقبل أن يخلق كتب ذلك في كتاب، ورسم ذلك في اللوح المحفوظ، فلا يمكن أن يحدث في الكون حدث لم يسبق أن رسم في ذلك اللوح، فهذا -والله- لا وجود له، بل كل أحداث العالم منذ أن كانت إلى نهايتها موجودة في ذلك السجل الذي يسمى باللوح المحفوظ، أو كتاب المقادير، ويسمى الإمام المبين، كما قال تعالى: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ [يس:12]. فلا تتضايق الآن وتقول: ما فهمت القضاء والقدر، فالقضاء: هو الحكم، بأن حكم الله بأن يوجد كذا، والتقدير في الهيئة والزمان والمكان كما قدر الله، فلهذا قولك القضاء والقدر متلازمان، فهو أولاً: قضى بأن يكون الشيء الفلاني، ثم وضع الترتيبات لوجوده. هذا القضاء والقدر.

فأمنوا معاشر المستمعين! بالقضاء والقدر، فالذي لا يؤمن بهما فهو كافر، كاليهودي والنصراني والمجوسي؛ لأنه كذب الله عز وجل وكذب رسوله، فلا يبقى مؤمناً، والله يقول: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ [القمر:49]. فلا عبث في الحياة أبداً، فهذا الصوت الذي تسمعونوه والله لمكتوب حرفياً، وإشارة يدي هذه والله إنها مكتوبة كما هي، ولا يمكن أن يكون شيء لم يسبق أن الله كتبه في ذلك الكتاب أبداً.

ومن هنا كان الإيمان بالقضاء والقدر قوة دافعة للمؤمن، تعجب منها الأبيض والأسود، والشجاعة العظمى التي فاز بها أصحاب رسول الله لم تأتهم من أكل لحم البعير، وإنما والله من إيمانهم بالقضاء والقدر، في حين أن أعداء الإسلام شوهوا هذه العقيدة، وكذبوا الناس فيها، وحملوا تلامذتهم على أن لا إيمان بالقضاء والقدر؛ لينهاروا، وإلا الذي عرف أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه لا يجبن، ولا يأتي الجبن والخور والضعف إلا من عدم الإيمان بهذا، وقد عرف هذا أعداؤنا، وفعلوا العجب في إفساد هذا المعتقد، ونددوا به؛ لأنهم عرفوا أنه القوة الدافعة، وأن صاحبه هو الذي يصمد في وجه الخيول والرجال.

وقد عرف الخصوم أن القرآن روح ونور، فأبعدهما عن المسلمين، فحولوا القرآن إلى الموتى، ونجحوا في ذلك، وعرفوا أن الشجاعة الخارقة منشأها ومنبتها الإيمان بالقضاء والقدر، فشوهوهما للناس تشويهاً كاملاً، حتى انهار بناؤهم وسقطوا، وما أصبح أحدنا يجرؤ أن يقول كلمة حق، في حين أن الرسول يقول لابن عباس ابن عمه الغلام: (يا ابن عباس ! اعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك). فلا تخف ولا تجبن إذاً، فمستحيل أن تنجو من القضاء والقدر، إذاً: فقابلهما وأقبل عليهما بروح شجاعة لا مهزومة، والبلاء نازل لا بد.

ومن المعلوم لدى المؤمنين والمؤمنات أن أركان الإيمان ودعائمه وأعمدته التي يقوم البناء عليها ستة بلا خلاف، ولو سقط ركن انهار البناء وكفر صاحبه.

وقد جاءت هذه الأركان في القرآن موزعة في البقرة وفي هذه السورة وسور غيرها، لكن حسبنا من ذلك حديث جبريل عليه السلام، وجبريل هذا هو رسول الله إلى رسول الله، فهو رسول ربنا إلى رسولنا، والحمد لله، فالأول لنا والثاني لنا، ولو لم تكن مؤمنين لما قلنا هذه الكلمة، فقد جاء جبريل عليه السلام كما في حديث الصحيحين فجاء والأصحاب جالسون جلوسنا هذا، إلا أنهم أظهر وأصفى وأقدس، وفي هذا المسجد، وقد أتى في صورة رجل، وشبهوه بدحية بن خليفة الكلبي الأنصاري، وقد أوتي هذا حسن صورة واستقامة وكمال عجب، ومن هنا رشح بأن يكون سفيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعثه سفيراً إلى بلاد الروم، فجاء جبريل في صورته، وشق الطريق

بين الصفوف حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوضع ركبتيه إلى ركبتيه، أي: أسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه، وهذه صورة عجيبة لمن يتلقى العلم، والسر في هذه المفاجأة الغريبة أن القرآن نزل وحذر من أذية الرسول صلى الله عليه وسلم بكثرة الأسئلة والتعنت، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ [المائدة: 101].

فأصبح الأصحاب لا يسألون، ويستحون ويخجلون، فإذا جاء أعرابي فرحوا؛ لأن الأعرابي ما تأدب بعد، فيسأل ويستفيدون.

والشاهد عندنا في حديث جبريل - والمفروض أن يكون مكتوباً على باب كل مؤمن في لوحة؛ حتى يحفظه الكبير والصغير -: أنه لما جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلمهم كيف يتلقى العلم بكل طاقته البدنية والروحية قال: أخبرني يا محمد! عن الإسلام؟ ولم يقل: يا رسول الله! لأنه في صورة من لم يعرف بعد، ولو قال: أخبرني يا رسول الله! لقالوا: هذا مؤمن، فلذلك قال: أخبرني يا محمد! عن الإسلام؟ فقال: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

وهذه قاعدة أولى، (وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت).

فقال الأصحاب: (عجبنا له يسأله ويصدقه)! وما شاهدنا مثل هذا الموقف، فهو يسأله سؤال جاهل ليتعلم، ثم يوقع ويقول: صدقت، مما يدل أنه أعلم، فاندعشوا.

ثم قال: (أخبرني عن الإيمان يا محمد!) وهذا محل الشاهد، فقال: (الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه).

وهذا هو جواب الرسول عن الإيمان، وهو (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره).

فذكر ستة أركان، ولا يمكن أن يقوم البناء على خمسة أركان.

قال: [فمن رحمة الله بالعباد ناداهم بعنوان الإيمان] وهم مؤمنون [وأمرهم بالإيمان الحق؛ لينجوا ويسعدوا] ومعنى هذا: اثبتوا وزيدوا في طاقات إيمانكم حتى تبلغوا مستوى اليقينيات؛ لأن الإيمان إيمان بالغيب. الحث على التعجيل بالتوبة

معاشر المستمعين والمستمعات! التوبة التوبة والعجل بها! وإياك أن تقول: سأتوب؛ لأن الله قال: ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ [النساء: 17].

والقرب نسبي، وليكن حالنا كحال من يمشي، فإنه إذا سقط ينهض بسرعة، ولا يبقى على الأرض أياماً وليال، وإنما ينهض مباشرة، وهذا يمكنه أن يواصل مسيرته إلى دار السلام، ولكن إذا برك كالبعير وثبت على تلك الجريمة فإنه لا يخلص منها.

سبب التعبير بـ(نَزَلَ) في قوله تعالى: (والكتاب الذي نزل على رسوله)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ [النساء: 136]. وهو هذا القرآن.

وقال: نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ [النساء: 136] لأن الكتب السابقة نزلت جملة واحدة، إلا هذا القرآن العظيم نزل في خلال ثلاث وعشرين سنة، وهو ينزل اليوم بعد اليوم، بل والساعة بعد الأخرى، وما إن اكتمل وتم حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وباقي الكتب كالنوراة والإنجيل والزبور نزلت دفعة واحدة جملة واحدة، وأما قوله: وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ [النساء: 136] فقد نزل منجماً مفزاً وليس دفعة واحدة.

واسمع: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ [النساء: 136].

النوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى.

وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا [النساء: 136].

خطاب الله في هذا النداء للمؤمنين حق الإيمان

الآن مع [الشرح] حتى نزداد معرفة بإذن الله [اعلم أيها القارئ الكريم!] وهو الذي وضع كتاب النداءات على سريرته بجانب رأسه، وقبل أن ينام يسمع نداء الله، ويسمع الله يكلمه، فيأمره أو ينهيه، ويبشّره أو يحذره، ويعلمه ويزيده، فإذا سمع نداء الله وفهمه نام على رحمة الله.

فهذا الكتاب ينبغي أن يوجد في بيت كل مؤمن ومؤمنة، وهذا إيجاب أدبي فقط، وإذا كان لك سيد أمرك له وبيديه يناديك تسعين مرة وأنت واضع القطن في أذنيك فإنك لا تستطيع أن تعتذر وتقول: مع الأسف أنا ما سمعت أو ما بلغني؛ لأنه سيقول لك: أين كنت يا عبدنا؟! ولم لم تكن مع أوليانا وعبيدنا، فهم قد سمعوا وأنت ما سمعت؟ وهذه النداءات التسعون قد حوت واشتملت على كل ما يكمل الأدمي ويسعده في الحياتين، فلا يعرض عنها إلا هالك، ولا يجهلها إلا جاهل متوغل في الجهل، وها نحن نسمع هذا النداء، وهو أعذب من السكر وأحلى من الحلوى، لو كنا كافرين أو مشركين والعياذ بالله لم نجد فيه حلاوة، ولا رغبة لنا لأن نسمع؛ لأن ظلمة الكفر تحول بيننا وبين ذلك، ولكن مع الإيمان نجد هذه اللذة.

[أن هذا النداء الإلهي يشمل المؤمنين] الصادقين [حق الإيمان، وهم ممن آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً] بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ [النساء:136]، أي: اثبتوا [فناداهم ربهم تعالى بعنوان الإيمان الذي هو صفتهم] فصفتنا ليست البياض والسود، وإنما صفتنا الإيمان، وليس هناك أعز وأعلى من هذه الصفة، وهناك في الشرق والغرب يومياً يموت عشرات الآلاف على الكفر، وما استطاعوا أن يؤمنوا، فالإيمان هبة إلهية، وعطية ربانية لا تطلب أبداً، وإنما هي منحة الله لعبده، وكم ممن هو أعقل منا وأفهم وأعلم ما آمن ولا عرف الطريق إلى الله، فالإيمان أكبر نعمة أنعم الله بها على عباده المؤمنين، قال تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي [المائدة:3].

فالإيمان صفة ثابتة لازمة كبياض الأبيض وسواد الأسود لا تتحلل، وقد [ناداهم] بصفة الإيمان وعنوانه [ليأمرهم بالثبات على إيمانهم، وبتقويته وزيادته؛ حتى يبلغوا أعلى مستوى فيه] أي: في الإيمان [وهو اليقين] فاليقين أعلى مستوى في الإيمان، ومن آمن ولم يوقن فهو لا يزال يخطو بإيمانه ويقويه في طريق الكمال حتى يبلغ مستوى اليقين. وهناك علم اليقين وعين اليقين أيضاً، وقد بينهما الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأساليب، منها قوله في الصديق أبي بكر رضي الله عنه يقول: (لو وضع إيمان الأمة في كفة ميزان ووضع إيمان أبي بكر في كفة) مقابلة (لرجح إيمان أبي بكر عن إيمان العالم).

وكانت الآيات تنزل وفيها يقول تعالى: زَادْنَاهُمْ إِيْمَانًا [الأنفال:2].

وكل آية تنزل تزيد المؤمن إيماناً، وتزيده طاقة أخرى من النور؛ حتى يبلغ المستوى اللائق، وهو اليقين. وهو هنا تعالى يأمر المؤمنين بحق ليزدادوا إيماناً فوق إيمانهم؛ ليرتفعوا به حتى يبلغوا درجة اليقين، واليقين أعظم من العلم.

الأصناف الذين يشملهم هذا النداء

هذا النداء الكريم يشمل المؤمنين بحق، وهو يدعوهم إلى التثبيت، ويدعوهم إلى الثبات؛ لأن الفتن تعرض، والمحن تتوالى، فإذا لم يثبت المؤمن فسوف يفقد هذا النور، ويدخل الظلام مع أهله.

ثانياً: يشمل المنافقين الذين آمنوا في الظاهر وكفروا في الباطن، محافظة على سمعة أو على مركز أو على تجارة أو على الحياة والأولاد، فيضطر إلى أن يعلن عن الإيمان الصوري، فيصلي ويخرج للجهاد مع الرسول وليس في قلبه إيمان، فهذه الآية تتناول المنافقين، وتتناول اليهود الذين كانوا مع رسولنا صلى الله عليه وسلم في هذه الديار، وهم ثلاث قبائل: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، فالآية تدعوهم إلى الإيمان الصحيح، وألا يؤمنوا بما أنزل الله على موسى وداود ويكفرون بما أنزل على عيسى ومحمد.

والقرآن حمال وجوه، فهذه الآية اشتملت على دعوة الله للمؤمنين الصادقين .. للمؤمنين الكاذبين .. للمؤمنين المنحرفين، الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وقد شملتهم لأن الرب ربهم جميعاً، ولأن السيد سيد الجميع، ولأن المولى مولى الكل، وهؤلاء كلهم عبيده، وإن اختلفوا في بواطنهم فالأصل أنهم عبيد الله، فيجب أن يستقيموا على منهجه؛ ليكملوا ويسعدوا.

فهذا النداء وجه إلى ثلاث طوائف: إلى المؤمنين بحق، فدعاهم إلى الثبات؛ حتى لا يتزعزعوا في أوقات الزعزعة، واشتمل أيضاً على توجيه أهل الكتاب إلى الإيمان الصحيح، ولا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، وكذلك توجيه المنافقين ليعودوا إلى الحق، ويظهروا الإيمان في قلوبهم كما أظهره بلسانهم. ومنة الله على الجميع؛ إذ هو مولاهم ووليهم، ولا يريد لهم إلا كمالهم وسعادتهم. قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا [النساء: 136]. وصاحب الضلال البعيد لا يمكن أن يرجع، وهذا ليس معقولاً، فعمره قد انتهى، وزاده قد انتهى، فلا يمكن أن يرجع، ففي هذا إذا: التحذير من الضلال البعيد، فعجل بالتوبة قبل أن يحال بينك وبينها. الفرق بين الضلال القريب والضلال البعيد

قال: [الآية (136) من سورة النساء أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا [النساء: 136]].

الضلال القريب يرجى لصاحبه العودة، ولكن إذا بعد ضلاله لا تتأتى له العودة، فأنت إذا أردت الشام فإنك لا تمشي جنوباً، فإن مشيت مائة كيلو .. مائتين .. ثلاثمائة فيمكن أن ترجع، ولكن إذا مشيت عادلاً عن مرادك ألف كيلو أو ألفين فلا يمكنك الرجوع.

فهذا الضلال يكون بعيداً ويكون قريباً، فالضلال القريب صاحبه إذا نبه وعلم وقيل له: انتبه، الطريق وراءك، ففي الإمكان أن يعود ويرجع، وما زالت صحته وافرّة وزاده معه، ولكن إذا ضرب في الأرض مسافات فلن يقدر على الرجوع، ولو هم بالرجوع فإنه يموت في الطريق، وتنقطع حاله.

وعلى سبيل المثال: لو أن شخصاً تسلط عليه شيطان فأوقعه في معصية من معاصي الرحمن فإن نبه وذكر ووعظ وخوف في الأسبوع الأول والثاني والثالث في العام الأول ففي الإمكان الرجوع، ولكن إذا استمر على تلك المعصية عشرات السنين فأنى له أن يتوب؟ ولن يستطيع، وأقرب مثال: الدخان، فالذي تعاطاه من أيام ففي الإمكان من الليلة يرجع إذا عرف قبحه وأذاه وضرره فيرجع، والذي دخن خمسين سنة أو أربعين عاماً فإنه قلما يرجع.

ومن الأمثلة على هذا أيضاً: لو أن امرأة وسوس لها شيطان إنسي وقال لها: تركي هذا الحجاب وهذا التزمت، واكشفي عن وجهك، واخرجي شاهدي الحياة كخيرك، ثم فجأة خرجت في الحي كاشفة، وما إن لقيها رجل أو امرأة حتى قال لها: اتق الله يا أمة الله! عودي إلى بيتك، وغط محاسنك، فإنها ترجع، وبسهولة تعود إلى حجابها وطهرها، ولكن التي قضت أربعين سنة كاشفة حتى عن فخذيتها، فإنها لن ترجع، وليست مستعدة أبداً للتوبة؛ لأنها قد توغلت ومشّت بعيداً في الضلال، ولو كان ضلالها قريباً فإنها ترجع.

وأريدكم بياناً: أن الله تبارك وتعالى فرض علينا التوبة الفورية من كل ذنب، وهي الرجوع إلى الله بعد الخروج عن طاعته، فإذا حصل هذا الخروج فقد أمرنا الله تعالى أن نعجل التوبة، وأن نستمر عليها، وإلا انقطعنا، ولم نستطع أن نعود إلى جادة الصواب وطريق الحق، واقرءوا لذلك قوله تعالى من سورة النساء أيضاً: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ [النساء: 17]، أي: إنما التوبة حق على الله يعطيها من طلبها ورغب فيها، وهم الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ [النساء: 17].

فالتوبة المتأكدة الواقعة هي لعبد لم يكن متعمداً لما ارتكب الجريمة، متحدياً لله وشرعه ورسوله وعباده، وليس في قلبه هذا التعمد.

ثانياً: يتوب من قريب، ولا يتوغل في هذا الذنب عشرات السنين، فإنه بعد ذلك لا يتوب. قال تعالى: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا [النساء: 17].

فيجب العود إلى التوبة بعد الذنب على الفور، ولا تقل: السنة المقبلة، أو حتى أحج، أو حتى يتزوج فلان، فهذا كله قد يعوق التائب من التوبة.

والتوبة بإجماع أهل العلم من الصحابة والتابعين إلى اليوم أنها تجب على الفور، فمن زلت قدمه وسقط فعلى الفور يرفع رأسه ويعود إلى الطريق مستغفراً باكياً نادماً، وأما أن يواصل الذنب يوماً بعد يوم وعماماً بعد عام فهذا قد يحال بينه وبين التوبة، حسب سنن الله في الخلق، وحسبنا أن يقول تعالى: فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا [النساء: 136]. فلا يمكنه الرجوع.

وهذه الآية من عجائب القرآن، والقرآن عجب، فلو سمعته أو قرأته وكنت ذا رأي وبصيرة لرفعت صوتك وقلت: إن هذا القرآن عجب، ويدلك على ذلك: أن إخواناً لنا من الجن رضي الله عنهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرض نصيبين بالعراق، فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس الصبح في بطن نخلة، وهي مكان بين مكة والطائف، فسمعوا القراءة فأسلموا، وعادوا دعاة هداة مبشرين، وهؤلاء النفر من الجن لما رجعوا قالوا لقومهم: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ [الجن: 1-2].

وهذه كلماتهم مسجلة في هذا الكتاب الكريم، يقول تعالى: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى [الأحقاف: 29-30].

فهؤلاء كانوا متهيين للإيمان؛ لأنهم آمنوا بالشرائع السابقة. وقالوا عن هذا الكتاب: مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ [الأحقاف: 30]، إلى أن قالوا: يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [الأحقاف: 31].

وهؤلاء الزمرة من الجن وفدوا لما بلغهم ظهور النبوة التي يتطلع إليها العالم بأسره في تلك الأثناء، وما إن حضروا مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض: أنصتوا [الأحقاف: 29].

ولم يسمحوا لإخوانهم أن يتكلموا؛ حتى لا يعطلوا السماع، فسمعوه وعادوا دعاة مبشرين، وهم الذين نزل فيهم قول الله ربنا: قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا [الجن: 1-2].

ونزل فيهم عدة آيات من هذه السورة، والتي سماها الله سورة الجن.

الوعيد الشديد لمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

قال: [أما قوله تعالى في هذا النداء: وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [النساء: 136] فقد اشتمل على أركان الإيمان الستة، الوارد بعضها في آية البقرة، إلا ركن القضاء والقدر المذكور في سورة القمر، فلم يذكر في هذه الآية الكريمة، ولنعلم أن الكفر يلزم ولو بعدم الإيمان بركن واحد، بل ولو بجزء من ركن، كمن آمن بالرسول ولم يؤمن بواحد منهم، أو آمن بالكتب ولم يؤمن بواحد منهم، بل لو لم يؤمن بآية واحدة يكفر بها.

وقوله تعالى: فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا [النساء: 136] أي: عن طريق الهدى الموصول بسالكه إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وفي هذه الجملة من النداء وعيد شديد، وتهديد عظيم؛ إذ من ضل ضلالاً بعيداً لا يعود إلى الهدى، بخلاف الضلال القريب، فإن صاحبه يرجى له أن يعود إلى الحق، فينجو ويسعد، ويدخل الجنة دار الأبرار [فهذا قريب جداً، والذي عرف وآمن وارتد فهذا لا يرجع، فهذه صورة للضلال البعيد، وقد بينت لكم هذا في الدخان، لذا نحن مأمورون إذا زلت القدم أن نتوب إلى الله، فلا تأجيل للتوبة ولا تأخير أبداً] والضلال البعيد سببه: الكفر بعد الإيمان، وأما الكفر المتوارث [أباً عن جد] الذي لم يسبقه إيمان فضلال صاحبه قريب، ولذا متى بلغته الدعوة ووجهت إليه آمن وأسلم ونجا من عذاب الله.

فلنذكر هذا ولنتأمل.

والله ولي التوفيق.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.]

إن الله عز وجل ولي المؤمنين، ومن تمام هذه الولاية أن يكون ولاء المؤمنين لبعضهم البعض، فينصر المؤمن أخاه المؤمن، ويحفظه في نفسه وعرضه وماله، ويدفع عنه كل من يريده بضر أو ضيم، ولا يعرف شيئاً من هذه الولاية لأعداء الله من المنافقين والكافرين، إلا إذا دعت الحاجة لمثل ذلك، على ألا يخرج به ذلك إلى الولاية الكامل، وإنما هو ولاء من قبيل التقية والمداراة بالكلمة اللينة والفعل الحسن دفعاً لشرهم، واتقاء حقدهم وعداوتهم. حرمة اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين والتحذير من ذلك

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله منهم، وحشرنا في زمرتهم، ورضي عنا وعنهم، آمين.

وقد انتهى بنا دراسة هذه النداءات إلى النداء السابع والعشرين، والنداءات تسعون نداء، ولا يسع المؤمن الحق إلا أن يستمع إليها أو يقرأها، ويعلم ما فيها، ويطيع ربه تعالى فيما أمره به، أو نهاه عنه.

ولولا الغفلة الضاربة أطنابها على المسلمين ما ترك هذه النداءات مسلم، بل لوقف عليها، وعرف ما فيها؛ إذ إن الذي ناداه هو مولاه ومالك أمره، والذي بيده سعادته وشقاؤه، وهو يناديه ليأمره بما من شأنه أن يكمله ويسعده، أو ينهيه عن شيء من شأنه أن يرديه ويشقيه، أو ليبشره بشريات الإيمان وصالح الأعمال، فينشرح الصدر وتطمئن النفس وبطيب خاطر.

أو يناديه ليحذره من عواقب السوء، ومضلات الفتن؛ حتى ينجو من المحن ويخرج من الفتن، وحاشا لله تعالى أن ينادي عبده لا شيء، فهو لا يناديه إلا لما فيه كماله وسعادته، فلا يحسن بمؤمن يعرف أن الله ناداه تسعين نداء، ثم لا يعرف عنه في ذلك شيئاً.

وعلى كل هكذا جرت مقادير الله في الناس، وما علينا إلا أن نحمد الله عز وجل الذي جمعنا على هذه النداءات، وفتح علينا فيها، ففهمنا منها ما أراد الله أن نفهم، وعملنا بما يسع قدرتنا وطاقتنا؛ إذ لا تكلف نفس إلا وسعها.

وهذه النداءات ما تركت شاردة ولا واردة تتعلق بحياة المسلم إلا واشتملت عليها.

وهذا هو [النداء السابع والعشرون] وفحواه وخلاصته والمراد منه هو [في حرمة اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، والتحذير من ذلك] أي: والتحذير من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، لما فيه من أسوأ العواقب وأقبحها وأشدّها.

وهيا نتغنّى بهذا النداء.

[الآية (144) من سورة النساء أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا [النساء: 144]، أي: إن أنتم يا عباد الله المؤمنين! استمررتم وداومتكم وواصلتم موالاة الكافرين دون إخوانكم المؤمنين فقد أذنتم لربكم في أن يضربكم. هذا المعنى.

لقوله: أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا [النساء: 144]؟ ولا أحد يرغب في أن يسلط الله تعالى على نفسه؛ ليؤدبه ويضربه.

وسبحان الله! أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا [النساء: 144]؟ أي: حجة قاطعة بأنكم أهل للعذاب والانتقام. والآن مع [الشرح] لهذا النداء، يقول الشارح غفر الله له ولكم، ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [أذكر أيها القارئ الكريم! والمستمع المستفيد!] لأن هذه النداءات من كان يحسن القراءة والفهم قرأ، ومن كان لا يحسن القراءة ينبغي

أن يقول لأخيه المؤمن: يا أخي! أسمعني نداءات ربي، وليس في هذا نقص أو عيب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الله بن مسعود: (أسمعني شيئاً من القرآن يا عبد الله !).
 فيعجب عبد الله ويقول: (أعليك أنزل وعليك أقرأ؟! قال: إني أحب أن أسمع من غيري).
 وقرأ أكثر من ثلاثين آية والرسول منصت ومصغ يسمع، ولما بلغ آية هزته ذرفت عيناه الدموع وبكى وقال: (حسبك حسبك).

والآية التي أبكتها ما تبكىنا نحن؛ لأن قلوبنا متحجرة، وأما هو فقد أبكته والله العظيم، وهي قوله تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [النساء: 41].
 فهذه أبكت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه سيشهد على أمته، ونحن كما علمتم قلوبنا حجرية، لا لين فيها ولا رقة؛ لأن أقدار الدنيا وأوساخها غطت هذه القلوب.

تحذير الله لعباده من الخروج عن طاعته

قال: [أما الوعيد والتحذير في الآية الثانية- آية آل عمران- فقد قال تعالى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ [آل عمران: 28]] ولا يوجد تحذير أعظم من هذا.

فإن أنتم خرجتم عن طاعتنا، فواليتم أعداءنا وأحببتموهم، وتركتم أوليائنا وكرهتموهم، وأبيتم أن تستعملوا تلك الرخصة وهي التقية، وجاهرتم بالمعصية فما هو تعالى يحذركم نفسه، فإنه إذا غضب فغضب الله لا يطاق أبداً، فيحيل النعم نقماً [ومعنى يحذركم نفسه أي: يخوفكم عقابه وعذابه إن أنتم لم تمتثلوا أمره، ولم تجتنبوا نهيه، وذلك بموالتكم الكافرين بعدم بغضهم، وبمناصرتكم لهم على إخوانكم المؤمنين في أي مجال من مجالات الحياة؛ إذ الذي يوالي أعداء الله قد عادى الله، وقطع حبل ولايته به، فكيف يكون حال هذا العبد الذي كان الله وليه فأصبح الله عدوه والعياذ بالله، إن حاله لا تكون إلا الذل والهوان والضعف والصغار؛ إذ مصيره كمصير غيره إلى الله عز وجل، ومن صار أمره إلى الله وقد عصاة وفسق عن أمره وخرج عن طاعته فأحب ما كرهه وكره ما أحب، ووالى من عادى، وعادى من والى فكيف يكون مصيره؟ إنه خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

ألا فلنتق الله أيها المؤمنون بامتنال أمره واجتناب نهيه، وقد نهانا عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وحذرننا بقوله: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا [النساء: 144]؟ فهل بقي لنا من عذر؟ والجواب: لا.
 والأكبر من ذلك: فقد أَرَانَا نَقْمَتَهُ وَعَذَابَهُ الَّذِي حَذَرْنَا مِنْهُ فِي شَتَّى بِلَادِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ شَرْقاً وَغَرْباً، أَمَا سَلَطَ عَلَيْنَا الْكَفَارَ فَاسْتَعْمَرُونَا وَاسْتَغْلَوْنَا وَأَذَاقُونَا مَرَّ الْعَذَابِ؟ أَلَا فَلْنَتَّقِ اللَّهَ قَبْلَ أَنْ يَعُودَ الْخِزْيُ وَالْعَذَابُ مَرَّةً أُخْرَى بِأَشَدِّ مِنَ الْأُولَى.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [.

عاقبة موالات الكافرين

قال: [ولنذكر الوعيد والتهديد في الآيتين، إذ في الأولى قال تعالى: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا [النساء: 144]، أي: حجة واضحة على تعذيبكم بما شاء] أن يعذبكم به [من أنواع العذاب، وأنتم أولياؤه؟ فكيف لو كان النداء للمؤمنين في الظاهر وهم المنافقون؟] فقلوه: (يا أيها الذين آمنوا) - كما تقدم أمس- نادى به المؤمنين والكافرين والمنافقين، والقرآن حمال الوجوه [فإن الله تعالى إن لم يكفوا من موالات الكافرين فإنه سينزل فيهم قرآناً، ويسلط رسوله والمؤمنين عليهم، فيعذبونهم ويخزونهم ويقتلونهم] فإذا كان هذا النداء موجهاً إلى المنافقين وبحكم أنهم مؤمنون في الظاهر فقد أنزل هذا ليحذرهم من عاقبة موالات الكافرين ضد المؤمنين، ويجعل هكذا له سلطان عليهم، بأن ينزل قرآناً يفضحهم، أو يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بقتالهم، وطردهم من المدينة [أما إذا كان هذا النداء موجهاً إلى أولياء الله المؤمنين ظاهراً وباطناً فإنه] تعالى [يحذرهم من موالات الكافرين دائماً وأبداً، وفي كل الأزمنة والظروف، فإن هم لم يحذروا تحذيره، ولم يرهبوا وعيده عذبهم بما شاء، ولقد عذب المؤمنين في ديار الأندلس بتعذيبهم بأبشع أنواع العذاب، إذ قتلوا وشردوا] وأحرقوا بالنار [وأبعدوا من ديارهم، وذلك بسبب موالاتهم للكافرين وطلب نصرتهم على إخوانهم] فبلاد الأندلس كانت جنة الإسلام، والسبب الذي سلب

عليهم النصارى فأخذوهم وقتلوهم وشردوهم وحولوا مساجدهم إلى كنائس، وفعلوا بهم ما لم يخطر بالبال، ورموا بهم في البحار لأن المؤمنين فسقوا عن أمر الله، فشربوا الخمر، وتعاطوا الزنا، واستعملوا الرشوة في الأحكام والقضاء، وأضاعوا الصلاة، وتعرضوا للشهوات، وغرتهم الحياة، فانقسموا وأصبحوا كتلاً وجماعات، أو مناطق كل منطقة مستقلة عن أختها، وهذا الذي يستقل لا بد وأن يستعين بالنصارى، فاستعانوا بأعداء الله عليهم وعلى إخوانهم المؤمنين، لا على الكافرين، فحصل الذي حصل.

وهذا ليس خيالاً، بل والله لهو الواقع، فبدل من أن تبقى تلك البلاد دولة واحدة وأمة واحدة وكلمة واحدة وتابعة للخلافة الإسلامية في الشرق أخذوا يستقلون مناطق وأقاليم، والاستقلال في حاجة إلى مؤيد، فاتخذوا المؤيد من النصارى، وحل بهم ما توعد الله، فجعلوا الله عليهم سلطاناً مبيناً، وكان الأولياء يرمون بعشرات الألف في البحر، ويقلون بالزيت، وسبب هذا الخروج عن طاعة الله، كما قال تعالى: **أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا [النساء:144]؟** وهذا لا يريده إلا العميان والضائعون [ولقد عذب المؤمنون في شتى ديارهم؛ لعدم طاعتهم لله تعالى في معاداة الكافرين، إذ تشبهوا بهم وأحبوهم وناصروهم، وأخذوا بإرشادهم ونصائحهم؛ حتى أدلوهم وأهانوهم، وإلى اليوم والمسلمون أدلاء مهانون للكافرين؛ لعدة فسقهم عن طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم] إذ أخذوا بقوانين الكافرين، وحكموا بها المؤمنين؛ حباً في الكافرين وموالة لهم] ولا تظنوا أن ما حل بالأندلس قد انتهى، فالمسلمون الآن يتهيئون لضربة إلهية والله العظيم، وإن لم يتوبوا ويعلموا عن توبتهم الله فإن آيات الله ستنزل بهم، كما قال تعالى: **أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا [النساء:144]**.

وإن أردت أن تعرف مظاهر الهبوط فاعلم أننا نعيش على ثلاثة وأربعين دولة، وهذا حرام ولا يجوز، وهو ظلم وفساد، فأمة الإسلام كالأسرة الواحدة، كما قال تعالى: **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً [المؤمنون:52]**. لا أن يكون لها ثلاثة وأربعين دولة.

وسبب هذا الهروب من شريعة الله؛ حتى لا يطبق شرع الله، وهذه المعصية وحدها تستلزم ضربة إلهية يحار فيها اللبيب، ولكن فقط إن الله يملي ويمهل حتى إذا أخذ لم يفلت.

وكذلك تحكيمهم لقوانين الشرق والغرب، وسخريتهم من قوانين السعودية أيضاً واستهزاؤهم منها، وهذا لا يرضي الله عز وجل، فالله هو الذي يضع شرعه وقوانينه لعباده، ونستغني نحن عنه، ونتخذ شرائع وقوانين من أنفسنا، أو نأخذها من أعدائنا، وهذه الزلة وحدها لا يمكن تقديرها، لولا لطف الله وحلمه ورحمته.

فقد ضاعت الأندلس وجمهوريات الإسلام في شرق أوروبا، وانتهت عزة الإسلام وسلطانه، والعرب أهل هذه العزة مزقون أدلة في كل مكان.

وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى أراه على المنبر يخطب الناس، فقال: (إن الله ليملي للظالم). والظالم هو نحن، وكل الذي يعتاض عن كتاب الله وهدي رسوله قانوناً آخر فهو ظالم؛ إذ الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

(إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وقرأ قول الله تعالى: **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [هود:102]**).

وإن قلت: أولئك عجم وكذا، أقول لك: والعرب تحكمت فيهم بريطانيا، وحكمتهم إيطاليا، وأذلتهم فرنسا، وفعلت بهم إسبانيا، وحتى بلجيكا، وحصل ما حصل.

فلا نشك في كلام الله عندما قال: **أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا [النساء:144]؟** وكأنهم يقولون: نعم نريد، فانتظروا، وإن لم يستق المؤمنين - كما قلنا الآف المرات - ويأتون الروضة المحمدية ويتعانقون ويبايعون إمامهم ويصبح كل العالم الإسلامي تحت راية لا إله إلا الله، ويكون المسلم أخو المسلم، والمؤمن أخو المؤمن، وفي ظروف كهذه إذا كبروا اهتزت الدنيا، ولا تمر أربعة وعشرون ساعة والعالم في تيهان إلا ودخل في الإسلام، ولكن منهم من ذلك الهوى والدنيا، والجهل قبل كل ذلك.

والله عز وجل الحليم، لا يترك أوليائه يفسقون ولا يؤدبهم، بل لا بد من التأديب.

معنى النقاة

قال: [كما قال ابن عباس رضي الله عنه] في النقاة: [النقاة هي: أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان] هذه هي النقاة، وفي الحقيقة يقال: هي النقيّة، وليس النقيّة، فالتقاة: أن تتكلم بلسانك؛ لتهدئ من غضب الكافر أو سخطه، أو

تحمسه على المؤمنين بكلمة طيبة، وقلبك في نفس الوقت ساكن بإيمانك بالله ولقائه، وإنما فقط أعطيته طرف لسانك [ولا يقتل، ولا يأتي مائماً] وهذا من كلام الحبر ابن عباس ، أي: ولا يأتي مائماً من المائم، كالزنا والخمر، وما إلى ذلك.

عدم دلالة قوله تعالى: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) على جواز موالة الكافرين

قال: [ولنعلم] أيها المستمعون والمستمعات! [أن هذا الاستثناء] أي: في الآية: إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً [آل عمران:28] [لا يبيح أبداً موالة الكافرين] لأنه استثناء خاص بالكلمة اللينة [إذ هو مؤقت بحال الضعف والخوف] فلما يكون المؤمن ضعيفاً بين الكفار خائفاً بينهم يستعمل هذه الآلة المسماة بالثقية؛ حتى يدفع عن نفسه الأذى منهم، لكن لا بد وأن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، وألا يحبهم بقلبه، وألا يعمل ضد ربه ونبيه والمؤمنين أي عمل، فلا بد من هذه المراعاة [ولم يتجاوز مداراتهم بالكلمة اللينة المبعدة لغيظهم وبغضهم، أما حبهم ونصرتهم فلا استثناء فيهما أبداً، إلا أن يؤمنوا بالله، ويدخلوا في الإسلام] فحبهم ونصرتهم لا يمكن أن يوجد هذا في المؤمنين، وأما المداراة فنعم هي الرخصة الإلهية، كما قال تعالى: إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً [آل عمران:28].
ما داموا أقوياء ونحن ضعفاء، وأما أن نتنازل عن ولاية الله فنواليهم والله عدوهم فهذا لا يصلح أبداً.
الفرق بين التقية والمداراة وبين المداينة

قال: [إلا أن هذا التحريم معه استثناء، وهو أن يكون المؤمن في دار الكفر، قائماً بينهم] فهنا [أذن] الله [له أن يداريهم بلسانه بالكلمة] اللينة [المليئة للجانب، المبعدة للبغضاء، بشرط: أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان] لا يتزعزع.

فدارهم ما دمت في دارهم، وهذا مثل عامي، والمداراة خلاف المداينة وضدها، فالمداراة كما علمنا الآن: أن تلين كلمتك، وتظهر عطفك ورحمتك؛ من أجل أن تحفظ دينك وعبادتك، فالمداراة أذن لنا فيها، وهي أنك تتنازل عن شيء من مالك؛ من أجل أن تحفظ شيئاً من دينك، فأنت لما تداري هذا الكافر فلا تسب ولا تشتم ولا تعير ولا تقبح، وتقول الكلمة اللينة الطيبة التي لا تزعج فإنك تفعل هذا من أجل أن تحفظ حياتك وعبادتك لربك عز وجل.
فهذه مداراة.

وأما أن تتنازل عن شيء من دينك لتحفظ دنياك فهذا الذي لا يجوز ولا يصح.
فالمداراة غير المداينة وخلافها.

قال تعالى في المداينة: وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيَذْهَبُونَ [القلم:9].

وهيا معاشر المستمعين! نحفظ هذه الحكمة، وإن كنا ننسى فالله يذكرنا: هناك فرق بين المداينة والمداراة، فدار ولا تداين، وداره ولا تداينه؛ إذ المداراة التنازل عن شيء من دنياك؛ لتحفظ شيئاً من دينك، فأنت إذا تنازلت لهذا الكافر، فقلت له كلمة طيبة، أو أصلحت له حذائه، أو أوقفت له فرسه فإنك تفعل هذا من أجل ألا يضربك ويأخذك في دينك، وأنت تستعمل هذا لحماية عقيدتك وعبادتك لربك.

وهذه المداراة جاءت في هذه الآية: إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً [آل عمران:28].

وأما المداينة الممقوتة فهي التي قال تعالى فيها: وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيَذْهَبُونَ [القلم:9].

والمداينة كما قالت العلماء هي: أن تتنازل عن شيء من دينك لتحفظ شيئاً من دنياك.

ولو بقينا هذه الأمسية في هذه الحكمة لما كنا مشيناً كثيراً، فهناك مداينة ومداراة، والمداراة مأذون فيها من الله، والمداينة محرمة تحريماً كاملاً، فدار ولا تداين.

واحفظ الفرق بين المداراة والمداينة، فالمداراة: أن تتنازل عن شيء من دنياك لتحفظ شيئاً من دينك، والمداينة: أن تتنازل عن شيء من دينك لتحفظ شيئاً من دنياك.

فالخمر حرام بالإجماع، وليس فيها خلافاً، فإذا جلس التاجر في مجلس تجار وبين أيديهم الوسكي يشربون بعد أن بحث عنهم، فقالوا: إنهم موجودون في المحل الفلاني، وهو يريد أن يأخذ منهم تجارة، وليس عنده رأس مال، فأعطوه تجارة بربح معين، وخاف إذا لم يشرب معهم الخمر أن يغضبوا عليه، ولا يثقوا به ولا يعطوه، فيتصور هذا التصور، ويقول: صبوا أشرب معكم، فيشرب معهم الخمر من أجل أن يداينهم، هذا الداهان.

وهذا الموقف مخز، ومبغض من الله، ولا يرضاه الله أبداً؛ لأنه مداينة.

وأما المداراة فكما قدمنا، كأن تجيء تريد منهم تجارة أو عمل، فمن المداراة أنك تفتح لهم الباب، وأن ترحب بقولك: تفضلوا، أو أن تفتح باب السيارة؛ ليركب، أو كأن يطلب منك أن تأتيه بحاجة فتأخذ وتشتري له. فهذه مداراة من أجل أن تبقي أو تحفظ شيئاً من دينك؛ لأنك إذا تشددت وغضبت يضربونك، أو يمنعونك من الصلاة. فلهذا المداينة حرام، والمداراة جائزة، والفرق بينهما: أن المداراة: أن تتنازل عن شيء من دنياك حتى من بدنك؛ من أجل أن تحفظ شيئاً من دينك، والمداينة بالعكس، أنك تتنازل عن شيء من دينك لتحفظ شيئاً من دنياك، ولن يكون هذا الموقف من مؤمن واع بصير، عرف هذا النداء وغيره. **إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً [آل عمران:28].** النهي عن موالاة الكافرين دون المؤمنين

قال: [ناداهم تعالى في هذا النداء الكريم لينهاهم عن اتخاذ الكافرين أولياء لهم دون إخوانهم المؤمنين] فلا تترك إخوانك المؤمنين ولا تحبهم ولا تنصرهم، وتوالي كافراً تحبه وتنصره على إخوانك أيضاً المؤمنين، فهذا لا يعقل ولا يقبل، ولكن لولا أنه وقع ما أخبر تعالى عنه، ولو يعلم الله أنه لا يقع لما أخبر عنه. فهذا التحذير عظيم [فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ [النساء:144]] فلا تتركوا المؤمنين وتوالوا الكافرين، فهذا جنون، وبذلك تعادون الأحياء وتبغضونهم، وتحبون الأموات وتنصرونهم، وهذه مهزلة عظيمة [ومعنى اتخاذهم أولياء] لأنه قال: لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ [النساء:144]. وهيا نحبس أنفسنا دقيقة هنا؛ لنعرف معنى اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين، فمعنى هذا: [أن يحبوهم ويقربوهم] فلا يجوز أن تحب من يكره الله، وإذا أحب سيدك فلاناً وكرهته أو كره سيدك فلاناً وأحبيته فهذا والله هو التناقض بالمرة، والمؤمنون الصادقون يحبون ما أحب ربهم، ويكرهون ما يكره ربهم، ولو كره ربهم أباهم فوالله إنهم يكرهونه، ولو كره زوجاتهم والله لكرهوهن، وإذا أحب الله عبداً فقيراً ممزقاً أو أمة فوالله إنهم يحبونه؛ لأنه عبد الله، وقد أحبه سيدهم فيحبونه [ويأخذوا بنصحتهم وإرشادهم وتوجيههم، مع نصرتهم ومد يد العون لهم دون إخوانهم المؤمنين] وهذا قد حدث من المنافقين في المدينة، وسيحدث؛ لأن هذا الكتاب كتاب الله؛ لإنقاذ البشرية وهدايتها في جميع عصورها وديارها، حتى يرفعه، فيصبح المسلمون وليس بينهم من يحفظ آية، بعد أن ينتهي أمرهم، فيرفعه الله إليه [ومثل هذا التحريم لموالاة الكافرين دون المؤمنين ما جاء في قوله تعالى من سورة آل عمران، وهو قوله عز وجل: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ [آل عمران:28]] أيها المؤمنون! أي: يوالي الكافرين ويكره المؤمنين [فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ [آل عمران:28]] والآية معناها: أنه أطلق من عنان السماء إلى الأرض ليمزق، فقد انتهت كفالة الله وولايته حمايته له، وألقي به ليمزق. ما يتقي به المؤمن الكافرين

قال تعالى: [إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً [آل عمران:28]] أي: إلا أن تتقوا من الكافرين تقية خاصة، كأن يكون الرجل في بلاد الكفر، وليس له أولياء من المؤمنين، فينتقيهم بالكلمة اللينة التي لا تثير حقدهم ولا حنقهم على المسلمين. وهذه رخصة رخص الله تعالى فيها للمؤمن، إذا وجد نفسه بين كفار وهو وحده، فله أن يلين كلمته، وأن يخفف عبارته، وأن يستعمل آداب خاصة؛ ليتقي بها سخطهم ونقمتهم وعذابهم للمؤمنين. وهذه الرخصة أفتى بها الله عز وجل، فقال: إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً [آل عمران:28] [وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ [آل عمران:28]] فإياك يا عبد الله! أن تتمرد على الله، وتفسق عن أمره، وتخرج عن طاعته، وتجاهره بكبائر الذنوب، وتوالي أعداءه ضد أوليائه، فإن الله لا يرضى بهذا، وإن لله أولياء، وله أعداء وأنت تنتسب إلى الولاية، فلا توالي أعداءه؛ لأنك تناقضه، فهو لا يحب الكافرين وأنت تحبهم، وبهذا تتمزق ولايتك مع الله، ولا تبقى لك ولاية.

وقد يوجد يهود ونصارى كفاراً في قريتنا أو مدينتنا، وليس الواجب والله أن نذبح أطفالهم، أو نمنعهم من الطعام والشراب حتى يموتوا، أو نسلط عليهم البعوض حتى يأكلهم، أو نمنعهم من العمل ونشردهم، بل كل ما في الأمر أن الواجب ألا نحبههم ولا ننصرهم، لا أن نؤذيهم؛ لأنهم عبيد لربنا عصوه وفسقوا عن أمره، فنحن نتهياً لأن نهديهم، وأن نرجع بهم إلى عمل تحت راية سيدهم، ومن هنا نحسن إليهم بالكلمة، وأما أن نحبههم بقلوبنا أو أن نؤيدهم على الكفر ليزدادوا كفراً فهذا محال، وإذا فعلنا هذا تناقضنا.

فاذكر [أن نداء الله تعالى] الإلهي [الموجه إلى عباده المؤمنين بسببه ولايته تعالى للمؤمنين] فما دام وليهم فلا بد أن ينصح لهم، وأن يرفع من شأنهم، ولا بد وأن يعلمهم، وأن يبعد عنهم كل المخاطر والمخاوف؛ لأنه وليهم. وأما نحن فنأكل أولياءنا، فالمؤمنون يأكل بعضهم بعضاً، وهم مؤمنون وإخوان، والله لا يرضى أن تؤذي وليه، وأنت ترضى أن تؤذي! فهذا يغتاب، وهذا ينم، وهذا يسرق، وهذا يفجر، وهذا يكذب، وهذا يقتل، والله الغني الحميد، لا يرضى أن يؤذي وليه، واقرءوا إن شئتم، أو اسمعوا قول الله تعالى في الحديث القدسي: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

والذي يعلن الله الحرب عليه لا ينجح، ولا ينتصر، ولا يكون هذا، بل لا يكون إلا الخسران والتمزق اللانهائي، ونحن نوذي أولياء الله.

قال: [لأنهم آمنوا به وبلقائه، وبكل ما أمرهم بالإيمان به، من ملائكته وكتبه ورسله وقضائه وقدره] وزادوا بعد الإيمان التقوى [واتقوه فيما أمرهم به ففعلوه، وفيما نهاهم عنه فتركوه، فهو يناديهم بعنوان الإيمان المنبئ] والمخبر [بحياتهم وكمالهم] والأحياء في الناس هم المؤمنون المتقون، وإياك أن تفهم أنني أخطأت، فوالله ما أخطأت، فالأحياء هم المؤمنون المتقون، والكافرون أموات، لا قيمة لهم ولا وزن لهم.

والبرهنة النبوية على ذلك: ما سبق أن فقيراً من فقراء المدينة رث الهيئة رزي الصورة مر بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلما مضى قال لهم: (ما تقولون: في هذا؟ فقالوا: هذا حري - أو حقير - إذا أمر ما يطاع، وإذا قال لا يسمع له، وإذا خطب لا يزوج، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء آخر جميل الطلعة بهي الهيئة، مر بين أيديهم ومضى، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: وما تقولون في هذا؟ قالوا: - العكس - هذا حري إذا خطب أن يزوج، وإذا أمر أن يطاع، وإذا قال أن يسمع له، فقال لهم: والله لملء الأرض من هذا لا تساوي ذلك الذي قتلتم فيه كذا وكذا).

وأزيدكم برهاناً: لو اجتمع أهل الأرض الكافرون على قتل مؤمن لقتلوا عن آخرهم وإن كانوا ملايين؛ لأن هذا حي، يسمع ويبصر .. يعي ويفهم ويعمل، ويعبد ربه، وأولئك أموات، فإذا قتلت المقتول لم يحصل شيء؛ لأنه ميت، وكل من يكفر بربه ولقائه، ويعبد شيطانه وهواه، أو يعبد غير الله فهو ميت، وليس بحي، وحياته كالعدم، لا قيمة لها. وما نحن يحذرنا مولانا، بل يحرم علينا أن نوالي الكافرين؛ لأنهم أموات، فتعاونوا مع الأحياء، وأما أن توالوا أمواتاً فأنتم مجانين، فالميت لا يستفاد منه، فإذا استعنت به لم يغتاك، وإذا استنصرته لم ينصرك؛ لأنه ميت، وليس لصحبك له فائدة.

وعجب هذا القرآن، وقد قالت الجن: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا [الجن:1] .

قال: [ليأمرهم أو ينهاهم، أو يرشدهم، أو يحذرهم أو يبشرهم بما يزيد في طاقة إيمانهم وصالح أعمالهم، ويحذرهم مما يقعد بهم عما خلقوا له من تركية أنفسهم بذكر الله تعالى وشكره؛ ليتأهلوا للنزول في منازل الأبرار بدار السلام] وذلك [بعد نهاية عملهم] وحياتهم [بموتهم، ومفارقة أرواحهم أبدانهم] ونحن إذا سمعنا الله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا) لا نتحرك ولا نهتز، وهو يناديك بعنوان الإيمان، وهو يريد ولا بد أن ينفعنا ولا يضرنا، فهو ما أمر إلا بما فيه خيرنا، ولا نهى إلا عما فيه شرنا، واحلف بالله ولا تحنث أنه ما أمرك إلا ليبشرك؛ لتزيد طاقة إيمانك ورضاك، وحبك لله، أو لينذكرك من مخاوف ومخاطر أنت عاجز عن أن تواجهها، أو تعيش فيها ساعة.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 29

أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بالوفاء بالعهود والمواثيق، وأول عهد يسأل عنه العباد هو عهدهم مع الله عز وجل الذي أخذه عليهم قبل إيجاد العوالم، ثم أمر الله عباده المؤمنين بالوفاء بعهودهم مع غيرهم من البشر، لا فرق في ذلك بين مسلم وغير مسلم، لا سيما ما كان موثقاً من هذه العهود بالإيمان، وبه حفظ الحقوق. وجوب الوفاء بالعهود وفي المنة بحلية بهيمة الأنعام إلا ما استثنى منها

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

وهذا هو [النداء الثامن والعشرون: في وجوب الوفاء بالعهود، وفي المنة بحلية بهيمة الأنعام إلا ما استثنى منها الآية (1) من سورة المائدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ [المائدة: 1]] معنى قوله تعالى: (إن الله يحكم ما يريد)

قال: [وقوله تعالى في هذا النداء العظيم: إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ [المائدة: 1]، أي: يبيح ويمنع، ويحل ويحرم، يبيح ما يريد إباحته، ويمنع ما يريد منعه، ويحل ما يريد حله، ويحرم ما يريد تحريره، وكل ذلك تابع لعلمه وحكمته ورحمته وقدرته، فلذا الحلال ما أحل الله ورسوله، والحرام ما حرم الله ورسوله.

فلنذكر هذا أيها القارئ والمستمع! حتى نقدر على طاعة الله ورسوله بالوفاء بالعقود، ومنها: أن نشكر الله تعالى على نعمه، ولا نحرم ما أحل الله لعباده، ولا نحل ما حرم الله عليهم، ولنفوض ذلك لله الذي يحكم ما يريد؛ لعلمه الذي أحاط بكل شيء، وحكمته التي لا يخلو منها شيء، ورحمته التي وسعت كل شيء، وقدرته التي لا يعجزها شيء. ولنقل: آمنا بالله.

والحمد لله [في كل ما يشرع ويقنن.

ولنعم هذا التعقيب على هذا النداء في قوله: والله يحكم.

فالحلال ما أحله، والحرام ما حرمه، ولا تتدخل أبداً في شئون كهذه، واتركها للعليم الحكيم، وأنت فقط إذا بلغك أن الصيد حرام فهو حرام، وإذا بلغك أن كل ذي ناب من السباع حرام فقل: حرام، ولا تأكل.

واعلم أن الله الذي حرم وأحل ذو علم وحكمة، لا يخلو منها التشريع قط، ولا تجد تشريعاً يقوم به المؤمنون بلا علة، ولا حكمة؛ وذلك لكونه تعالى العليم الحكيم.

اللهم ارزقنا العلم والعمل به.

الأمير بطلب العلم وسؤال العلماء

فرض الله طلب العلم، فقال تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل: 43].

فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، واحفظوا هذه الحكمة، وهي: لا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله تعالى فيه بالمنع أو الجواز، وأما أن يعمل الشيء وهو لا يدري أفیه رضى الله أو سخطه فهذا بالنسبة إلى المؤمنين لا يوجد عندهم، ولهذا قال تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل: 43].

فقبل أن تعقد وقبل أن تقول وقبل أن تأكل وقبل أن تلبس اسأل أهل القرآن عن حكمه، فإن قالوا: نعم يجوز فافعل، وإن قالوا: ممنوع وهو حرام، فهو حرام، ولا تزال تسأل وتعلم ولا تمضي عليك سنة إلا وأنت عالم بمحاب الله ومكارهه.
حكم الصيد للمحرم

قال: [وقوله تعالى في هذا النداء: غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ [المائدة:1]] هذا مما استثنى الله تعالى: أنه لم يأذن للمحرم إذا قال: لبيك اللهم لبيك عمرة - لا رياء فيها ولا سمعة- أو حجاً أن يصيد، فمن تلبس بهذه العبادة فلو مرت غزاة بين يديه لا يمسه، ولو نام في الطريق وجاءت غزاة ونامت عنده وتوسدته فلا يمسه، فلا يحل له أبداً أن يحل الصيد وهو محرم، وكانت تمر بين أيديهم الغزلان والأرانب وتتساقط عليهم أيام أن شرع هذا الله عز وجل؛ امتحاناً لهم، فما كانوا ينالونها بسوء.
وقد قال تعالى مبيناً هذا الحكم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ [المائدة:95].

والشاهد عندنا قوله تعالى: غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ [المائدة:1]، أي: لا تحلوا الصيد وأنتم محرمون.
فالذي يصيد وهو محرم ويأكله فهو كالذي يأكل الخنزير أو لحم الكلب أو اللحم الحرام، وهذا لا يحل.
وإن قلت: الآن ما في صيد فاذا ذكر: أن المسافرين من المدينة للعمرة كانوا يحتاجون عشرة أيام وهم على إبلهم أو على أرجلهم حتى يصلوا إلى مكة، وأما الذي يأتي من الشام والعراق فيحتاج إلى شهرين أو ثلاثة وهو يمشي في الصحراء، فيعرض له غزال أو أرنب وهو محتاج، فمن هنا امتحنهم الله بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ [المائدة:94].
ونجحوا.

وكانوا يذكرون رضوان الله عليهم أنه كان الغزال يأتي بين أرجلهم، ونجحوا في الامتحان، وأما الآن فنحن نطير كالملائكة من دمشق إلى المدينة بالطائرة، ولا نصيد، ولكن في الإمكان أن أهل المملكة من ينبع .. من المدينة .. من كذا يمشون على البر، ويجدون أيضاً غزالاً أو أرنباً، فيبقى الحكم، وسيأتي يوم تنتهي فيه هذه الطاقة الكهربائية، ونعود كما بدأنا، نركب الخيول ونقاتل عليها والله العظيم، فالطاقة ستنتهي، وقد قالوا: إنها في طريقها إلى نهايتها.
قال: [هو إضافة إلى تحريم ما حرم على عباده المؤمنين من اللحوم الفاسدة المخبثة للنفس، الملوثة لها؛ إذ حرم على المحرم بحج أو عمرة أن يصيد؛ لما في الصيد من اللهو والغفلة عن [ذكر الله] وهذه علة كون الصيد حراماً على المحرم، لأنه في عبادة، متلبس بها، فإذا خرج منها يصيد فهذا معناه: أنه يلهو ويلعب، والذي يقول: الله أكبر ويصلي لا يضحك، ولا يقول: يا فلان! أغلق الباب، ولا يتكلم؛ لأنه متلبس بالعبادة.

فالذي تلبس بعبادة العمرة والحج فهو كالمصلي لا يقول ولا يفعل إلا ما أذن له الشارع، فكل ما من شأنه لهو ولعب وغفلة فهو ممنوع [وعليه فلا يحل للمحرم أن يصيد، ولا أن يأكل ما صاده وهو محرم، أو صاده له غيره بأمره له، أو برضاه عنه] ولا يحل له أن يقول: فلان! عليك بالأرنب، فيصيدها له، وهي لا تحل له، وكذلك إذا ما أذن ولكن رضي، فعرف أن فلاناً يصيد ورضي بذلك وسكت، فإذا جاءه بالأرنب فلا يحل له أكلها [فما صاده المحرم وما صيد له هو محرم] أيضاً [كسائر المحرمات الأكل مما أنزل الله تعالى في كتابه، أو على لسان رسوله] صلى الله عليه وسلم [إذا (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور)] فكل ذي ناب من السباع حرام، الذئب والفهد والنمر، وكل ذات الناب، وكذلك القط، فالقط له ناب، وذي المخلب من السباع كالغربان وأنواع السباع من الطيور مما له مخالب، فذو المخلب لا يصح أكله؛ لأنه يعيش على الجيفة الممتنة.

امتنان الله على عباده بحليمة بهيمة الأنعام

قال: [وأما قوله تعالى في هذا النداء: أَجَلْتُ لَكُمْ بِهِيْمَةَ الْأَنْعَامِ [المائدة:1]] فالنداء اشتمل أولاً: على الوفاء بالعقود، واشتمل ثانياً: على بيان حلية لحوم الأنعام التي خلقها الله لنا، فقوله تعالى: أَجَلْتُ لَكُمْ بِهِيْمَةَ الْأَنْعَامِ [المائدة:1].
فالذي أحلها هو الله [فإنه تذكير بالنعمة لتشكر ولا تكفر] ومن أجل أن نذكره ونشكره، ولو حرم علينا لحوم البهائم لما عرفنا اللحم أبداً ولما أكلناه، كما حرم علينا لحوم الخنازير ولحوم البشر، فالأدمي لا يأكل لحم أخيه، فلما أحل لنا

لحوم بهيمة الأنعام ذكرنا بذلك لنقول: الحمد لله، والشكر لله [والمراد من بهيمة الأنعام: هي الأزواج الثمانية: الإبل، والبقر، والغنم، وهي: ضأن وماعز، والكل ذكر وأنثى] فأصبحت ثمانية أزواج، كما قال تعالى: ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ [الأنعام:143].
وقال: وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ [الأنعام:144].
فالبعير والناقة زوج، والثور والبقر زوج.
ما حرم أكله من بهيمة الأنعام

قال: [وقوله تعالى: إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ [المائدة:1]، أي: تحريمه منها] أي: إلا ما يقرأ عليكم عما قريب مما حرم الله من بهيمة الأنعام؛ إذ جاء بعده آية: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ [المائدة:3].
فهذا مستثنى، فقد قال: أَهْلَتْ لَكُمْ بِهِيْمَةُ الْأَنْعَامِ [المائدة:1].

وليس كلها، فبعضها ليس حلالاً، وقد بين ذلك في نفس هذه الآيات [وهو الميتة والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع] كلها، وكذلك ما ذبح لغير الله [إذ جاء هذا في هذه السورة وبعد آيات محدودة، إذ قال تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ [المائدة:3]] ومعنى قوله: إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ [المائدة:3] [أي: أدركتم فيه الروح] والحياة مستقرة فذبحتموه.

ومعنى النطيحة كأن ينطحها كبش فتقع على الأرض ميتة، فهذه نطيحة على وزن فعيلة، بمعنى: منطوحة على وزن مفعولة.

ومعنى الموقوذة أي: ضربها بحجر - أي: وقذها بحجر - فطاحت على الأرض تصرخ، فإن أدركها حية ذبحها وأكلها، وإن تركها حتى خرجت روحها فلا تحل، والمتردية هي: كأن تكون في الجبل وترمي نفسها، أو تكون طالعة مع الجبل فتعجز، فتقلب وتتردى إلى الأرض، فإن أدركها صاحبها حية والروح كاملة فيها فيذكيها ويأكلها، وإن فارقت الحياة لا تحل.

والنطيحة هي التي ينطحها أخوها أو أختها برأسه فيقتلها.

والمنخقة هي: التي تكون مربوطة في حبل فتحاول أن تتخلص منه فتتنشق، أو كأن تدخل بين شجرتين فتتنشق، فهذه مخنوقة أو المنخقة.

وقوله: وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ [المائدة:3] هذا كأن يقول: هذا كبشك يا سيدي عبد القادر ! فهذا لا يحل أكله أبداً، أو يقول: هذا باسمك يا رسول الله ! فلا يؤكل والله، ولا يؤكل بإذن الله إلا ما أذن الله في أكله، وما لم يأذن فهو حرام؛ لأن المال ماله، فإن أذن في شيء تفضل، وإن لم يأذن لا يحل لك.

وقوله: وَمَا أُهْلَ [المائدة:3] أي: رفع الصوت بالإهلال؛ لأن العرب كان من عاداتهم إذا شاهدوا الهلال طلع يرفعون أصواتهم: الهلال .. الهلال، فأصبح كل من يرفع صوته كأنه يهل، فإذا أهل هذه شاة سيدي عبد القادر لم تؤكل، وإذا قال: هذه شاتك يا سيدي مبروك ! لم تؤكل، وإذا قال: هذه شاتك يا رسول الله ! يا أبا فاطمة ! والله ما تؤكل، وأحلف لأن الذي وهبنا هذه الشاة وأذن لنا في أكلها حرمها علينا إذا كانت لغيره، أو كانت ميتة، فهو الذي منع [وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ [المائدة:3].

وهو ما ذبح لغير الله تعالى، كالذبح للأصنام والأضرحة والقبور أو الجان [أيضاً] وما إلى ذلك [والذبيحة للجان تكون لما يصاب المرء بجني خبيث أو عفريت يأتي إلى الشيخ يرقيه، فيقول له: ولدك هذا ضربه ابن الأحمر، وجن بني الأحمر هؤلاء لا يطاقون، وليس أمامك إلا أن تبحث عن ديك ريشه أزرق أو أبيض أو أسود؛ حتى يتركه يعيش أسبوعاً يبحث، ولا يجده، حتى يموت الولد، فيقول له: أنا قلت لك ما تفعل، وأنت ما فعلت.
أو يقول له: ادبح تيساً أسود، فيذبح التيس الأسود خوفاً من الجن.

وأقص قصة شاهدها في ديار النبوة في دار الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا عجب، فالجهل يقع معه كل ظلام وكل باطل: بنى أحد الإخوان منزلاً بجوارنا باباً باباً، وكان يبينه العمال، فلما كمل البناء جئت فوجدت كبشاً ظننته ثوراً بسبب ظلام البيت مع المساء، فتعجبت من هذا وسألته عنه، فقال: هذا المعلم في جدة وهو رائد قال لنا: إذا تم البناء ادبحوا هذا الكبش للجن؛ حتى ما يؤذوا الساكنين، فذبح الكبش على العتبة.

وبعضهم يلطخ أعتاب الباب كاملاً بالدم؛ إرضاءً للجن؛ حتى ما يؤذيهم، وبعد ذلك يوزعون اللحم، وقلت له: هذا لا يحل أكله أبداً؛ لأنه ذبح لغير الله، هذا كالجيفة، ولم يستمع؛ لأنه يقول: هذا ممكن وهابي أو كذا. فوزع اللحم ووجدته في بيتنا فأخرجته له، وقلت له: خذ نجاستك؛ فهذا ما يؤكل. هذا في مدينة الرسول! فكيف بمداين أخرى ما عرفت رسول الله! وحرم ما أهل لغير الله به [المائدة:3] لأن الله لا يريد أن يسمع صوت كائن من الكائنات مع صوته، بل لا بد أن يكون لله فقط، وأما هذا لك والله فلا، ولا يجوز، وهذا هو الشرك بعينه، ولا تخف من الجن وخف الله رب الجن، فاطرح بين يديه تبكي طول ليلك وتذرف الدموع، وهم لا يخافون الله، ويخافون من الجن، فزادهم ذلك الخوف خوفاً، والعياذ بالله. ولا لوم؛ لأنهم ما عرفوا، فهم لم يجلسوا هذا المجلس كما جلستم، ولا درسوا هذه الآية كما درستموها، والله ما كان هذا، فلم يتعلموا، وظنوا أنهم فقط بدخلهم في الإسلام علموا كل شيء، وهذا مستحيل. حكم من عجز عن الوفاء بالنذر

قال: [وإن عجز كفر كفارة يمين] فمن نذر أن يصوم شهراً فعليه أن يصوم، وكذلك من نذر أن يخرج من ماله، ومن نذر أن يمشي إلى مكة حافياً على رجله يجب أن يف، ثم إن حصل له العجز الكامل ولم يستطع ولم يقدر فمن باب الرحمة الإلهية لعباده المؤمنين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أن من عجز عن النذر يكفر كفارة يمين، وهي إطعام عشرة مساكين إن وجد، أو صيام ثلاثة أيام إن لم يجد، ويخرج من تلك العقدة أو العهدة التي عقدها وعجز عن الوفاء بها [واستغفر الله وتاب إليه]. حكم النذر لغير الله عز وجل

هنا بالمناسبة: نسمع أن عوام المسلمين من النساء والرجال ينذرون لغير الله. والبلاد التي فيها قباب وأضرحة وتوابيت وسدنة لها هؤلاء يوجد بينهم الآلاف ممن ينذرون لغير الله، والنذر لغير الله لا يجوز؛ إذ النذر عبادة، قال تعالى: وَالْمُؤَفُّونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا [البقرة:177]. وقال: يُؤَفُّونَ بِالْأَنْذَرِ [الإنسان:7]. فالنذر لغير الله شرك - والعياذ بالله - في عبادة الله.

وبعضهم ينذر نذراً لطيفاً، فيقول: يا سيدي فلان! أو يا سيدي عبد القادر! أو يا عبد الرحمن! أو يا مولاي فلان! إذا كان الله نجح ابنتي في عملها أصوم شهراً، وهو هنا خلط بين اثنين، أو تقول المرأة: يا سيدي فلان! إذا رجع ولدي من البلاد التي سافر إليها أذبح شاة لسيدي عبد القادر. وهذا النذر إن شئتم أن تهولوا القضية فقولوا: هذا كفر بالله، وإعراض عن الله، وعدم إيمان برسول الله، فانه عز وجل شرح ألوان النذور، وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم، والحمد لله قد استقننا بعد تلك الغفلة الطويلة، أو النوم، فقل من ينذر لغير الله، وسواء تقول: يا سيدي فلان! إذا كان كذا حصل كذا، أو تقول: إذا كان الله فعل بي كذا أفعل لك كذا فكلا اللونين محرم، ورد لشرع الله وكفر به. أمر المسلم بالوفاء بعقوده مع العباد

قال: [ومثل عهود الله تعالى في وجوب الوفاء بها: عهود الناس فيما بينهم؛ إذ الكل أمر تعالى بالوفاء به، لاسيما العهود الموثقة بالأيمان، وما كان متعلقاً بحقوق الناس؛ كحقوق النكاح] فلا يجوز لك أن تعقد الليلة على سلمى وغداً تطلقها وتلعب بالعقد، وأن تعطيها عهداً وميثاقاً على أن تعيش معها، وأنت تريد أن تقضي معها أسبوعاً واحداً وتمزق عهدها، وتنقض عقدها، فهذا لا يحل أبداً، فمن أراد أن يتزوج فليتزوج الله، إما لأن ينجب عبداً يعبدون الله، أو من أجل أن يحصن نفسه حتى لا يقع في معصيته الله، ومن هنا: إذا عقد العقد بينه وبين المرأة يجب الوفاء به منهما معاً الزوج والزوجة، ولا يحل هذا ولا يمزق إلا للضرورة الداعية إلى ذلك، ولا يجوز بأن تعقد وتنقض رغبة في الهوى والشهوة، فهذا والله ما يجوز، وحرام هذا، وصاحبه قد خالف ما جاء به الشارع.

بل اعقد على المرأة على أساس أن تعيش معها، وأن تعبد الله وإياها، فاعقد بهذه النية، أو إما لتنجب أولاداً يعبدون الله، وتريد أن تخلد ذكرك، وإما لتحصن نفسك وتحصنها هي أيضاً، أو من أجل أن تؤيها حيث لا مأوى لها، وتطعمها وتسقيها شكراً لله على نعمة الإنعام، فإذا عقدت فلا نقض إلا لرفع الضرر، كأن تخاف أن لا تستطيع أن

تعبد الله معها، أو تخاف هي أيضاً أن لا تستطيع أن تعيش معك، أو خافت على نفسها وعلى نفسك، ففي هذه الحال يأتي الطلاق، فتأتي بائنتين من الصالحين وتقول: أشهدكما أنني طلقت فلانة، وانتظرها في بيتها حتى تحيض ثلاث حيض أو أطهار، فإذا طهرت، فقل لها: أم فلان! مع السلامة، وابعث بها إلى أهلها، هذا هو النكاح والطلاق. وأما ما عليه عامة الناس فليس من الطلاق الشرعي في شيء، بل هذه إملاءات تملئها الشياطين، ففجأة يقول: إنك طالق بالثلاث، أو إنك طالق طالق طالق، فهذا عبث وباطل في دين الله، وهذا عقد عقده بإذن الله وباسم الله، فلا يحل بهذه الصورة.

فهذا العقد بموجبه استحللت فرجاً كان محرماً عليك، ولو أتيتك فإني تقتل، ثم أصبح حلالاً لك تتناول له متى شئت بهذا العقد الإلهي، فيجب على المتزوج أن يفي لامرأته، فلا يطالب بحل العقد، ولا يطلق، وهي لا تطالب بالطلاق أبداً، اللهم إلا في حال العجز، إلا إذا عجز فيشهد عليها اثنين، وتبقى في عهده إلى أن تنقضي العدة ومع السلامة، أما حلف العوام بالطلاق وأنت طالق وعليّ الطلاق وطلقتك فهذا كله هراء، ينطق به الشيطان على السنة الغافلين. والمؤمن ينظر إلى تلك المؤمنة ويحاول إصلاحها وهدايتها وتربيتها، وهي تنظر إليه بتلك العين يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام، فإذا رأى أن بقاء هذه المؤمنة فيه أذى عليها فلا نرضى لها أن تعيش شقية، أو هي ترى الزوج أيضاً إذا بقيت معه ما يسعد ولا يكمل فمع هذا العجز يكون الطلاق، فيأتي بائنتين من الصالحين يشهدان، فيجلسون في الغرفة أو في الحجرة عند الباب، ويقول: يا أم فلان! لقد طلقتك، واشهد يا فلان وفلان! وتبقى في بيتها حتى تنقضي عدتها بثلاثة أقراء، حيضاً كانت أو أطهار، وإن كانت لا تحيض فتنتظر ثلاثة أشهر، وإن كانت حبلى فحتى تضع ولدها. هذا العقد الثاني.

قال: [والبيع والشراء] فإذا بعثك الدار وقلت أنت: قبلت ورضيت أنا وانصرفنا فلا يجوز لك أن ترجع بعد ساعة وتقول: لا، من فضلك أنا أبطل البيع، وإذا بعثك السيارة بعشرة آلاف فأخذتها، وأخذت أنا العشرة آلاف فلا يجوز أن ترجعها من الغد وتأخذ مالك، فهذا لا يجوز؛ إذ هذا خلف للوعد وخون ونكث له، فلا يصح أبداً، وفي الحديث: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا).

فإذا بعته كل ما تملك وقال: قبلت ورضيت وأخذت الثمن فلا يجوز أن تنقض هذا بعد يوم أو أسبوع، ولا أن تأتي برجال قبيلتك وتعود في بيعك، فهذا لا يجوز أبداً؛ لأننا أولياء الله، مؤمنين به متقين له، وقد فرض علينا وأوجب الوفاء بالعقود في هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة: 1] [والإيجار] فإذا استأجرت منه بغلة أو سيارة أو داراً وتم العقد وأخذت مقابل الإيجار فلا يجوز أن تنقض هذا، وترجع إليه وتقول: رد عليّ، وإلا نفعل ونفعل، ولا يصح أبداً [وكالأمانات مطلقاً، فمن أوثمن أمانة وجب عليه أداؤها، وحرم عليه إضاعته أو خيانتها؛ لأمر الله تعالى بذلك، كما في قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا [النساء: 58]. وفي قوله [تعالى:] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال: 27]] فنحن مأمورون بالوفاء بالعقود، وإن نقض العقود الكفار والفجار فأهل الإيمان والتقوى ليس هذا من شأنهم أبداً، ولو يخرج من داره كاملة ما يتردد، وما نشاهده اليوم من ضعف فهو للجهل وعدم العلم والمعرفة. قال: [ولنذكر أيها القارئ! في هذا الأمر الإلهي بالوفاء بالعقود ما قاله الحسن البصري - أحد سادات التابعين فقد قال: يعني: عقود الدين.

وهي ما عقده المرء على نفسه من بيع وشراء، وإجارة وكراء [واستئجار] ومناكحة وطلاق، ومزارعة ومصالحة [فإذا تصالح اثنان على شيء، وأصبح هذا عقداً بينهم، فلا يصلح أن يرجع بعد يوم أو يومين وينقض [وتمليك وتخيير، وعتق وتدبير.

فقد شمل هذا القول [الإلهي:] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة: 1] [سائر أنواع العقود والعهود] فيا مؤمن! ويا مؤمنة! يجب الوفاء بالعقود والعهود، ولا يحل لمؤمن أن ينقض عقده أو يتمرد ويهرب فلا يف به؛ لأننا المؤمنون أولياء الله، وأما الكفار ممكن، لأنهم أموات غير أحياء [ألا فلنذكر هذا ولا ننسه] غداً. أمر المسلم بالوفاء بعقده مع الله

قال: [فما الذي كلفهم به هنا يا تربي؟ والجواب أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد: إنه كلفهم بأمر عظيم، ألا وهو الوفاء بالعقود والعهود] كما قال: أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة: 1]. ونقول: أوفينا ربنا، والحمد لله على إنعامك لنا، وعلى إقدارك لنا حتى وفينا بالعهود، هذا جوابنا.

والعقود والعهود كثيرة، فأنت إذا عقدت عقداً مع أحد فيجب أن تفي به، ولا يحل نقضه ولا إهماله والبعد عنه. قال: [وأولها: الوفاء بالعهود التي بينهم وبينه سبحانه وتعالى] ونبدأ بالعقد الأول، وهو الذي بيننا وبينه تعالى، وقد تم هذا العقد قبل أن توجد هذه العوالم كلها، حين (مسح الله ظهر آدم واستخرج من صلبه ذريته وأشهدهم على أنفسهم، ألسن بربكم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين [الأعراف: 172]). فكل من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقد أعطى الله عهداً وميثاقاً بأن لا يعبد إلا من طريق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

هذا أول عقد من العقود. وهذا تم بيننا وبين ربنا ونحن وفي عالم الذر، فلما أخرجنا إلى الحياة وأصبحنا مكلفين بالعقول والبلوغ قلنا: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فيجب أن نعبد الله وحده، ولا نشرك بعبادة غيره أبداً، ونعبد من طريق محمد صلى الله عليه وسلم، لا من طريق موسى ولا عيسى ولا إبراهيم؛ لأن العقد الذي تم نصه: أشهد أن لا إله إلا الله، أي: أقر وأعترف أنه لا يعبد إلا الله، وأنا عابده، وأشهد أن محمداً رسول الله، أي: حتى نعبد الله من طريقه، ومن بياناته وتفصيلاته وشرائعه التي استقاهها من كتاب الله، ولا تصح العبادة من غير طريق محمد صلى الله عليه وسلم.

وقبل أن ينبئ الله ويرسله كان الناس يعبدون الله بما شرع لهم على أيدي أنبيائهم ورسولهم.

هذا هو أقدم عقد، فهنيئ نفسك لأن تعبد الله عز وجل.

فعلينا أولاً: أن لا نلتفت إلى أي كائن إلا الله، ولا يرضى الله أن ننظر يميناً أو شمالاً، بل إليه عز وجل. وهذا هو الإسلام، إي: إسلام القلب والوجه لله.

وثانياً: أن لا نعبد إلا بما بين لنا رسوله، وحدد لنا وشرع وقتن؛ إذ بعثه لهذه المهمة، فمن أنكر رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم فوالله لن يستطيع أن يعبد الله، ولا يتهيأ له ذلك أبداً، بل لابد من رسول يبين له كيف يركع ويسجد، وكيف يصوم ويفطر.

فأوفوا بهذا العقد لربكم يا عباد! ولو قتلتم وصلبتم وحرقتم، فلا تعبدوا إلا الله، ولا تتخلوا عن عبادته أبداً ما بقيت الحياة فيكم، ولا تعبدوه لا بأهوائكم ومقالات شيوخكم، بل اعبدوه بما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليس هناك فرق بين العقد والعهد.

قال: [إذ قال تعالى من سورة النحل: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ [النحل: 91].

وقال من هذه السورة المائدة: [وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [المائدة: 7]] وهذا الذي قلناه، فمن قال: لا إله إلا الله محمداً رسول الله يجب أن يفي الله بعهده، وليعبد الله ولا يعبد معه غيره [فنعمة الله تعالى هي الإيمان به والإسلام والإحسان، وميثاقه تعالى الذي أخذه عليهم هو: أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، فكل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد قطع الله تعالى على نفسه عهداً وميثاقاً بأن يعبد الله تعالى وحده، وبما جاء به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الشرائع والأحكام.

وهكذا كل من نذر لله نذراً، فقد قطع على نفسه عهداً، فليوف به، إن كان صياماً صام، وإن كان قياماً قام، وإن كان رباطاً رابط، وإن كان صدقة تصدق [فمن نذر لله نذراً كأن يقول: لك عليّ أن أصوم الإثنين والخميس، أو قال: لله عليّ أن أتصدق اليوم بألف، أو قال: لله عليّ أن لا أفارق بيته ما حييت، فهذه عهود، والنذر عهد، فعلى عبد الله الناذر أن يفي؛ لأن الله فرض هذا الوفاء، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة: 1] والعهود، والعقود جمع عقد.

سبب مناداة الله عز وجل لعباده المؤمنين دون غيرهم

معاشر المستمعين من المؤمنين والمؤمنات! هذا هو [الشرح] لهذا النداء العظيم.

قال الشارح غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم ولسائر المؤمنين: [ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين به وبلقائه [والوقوف بين يديه للحساب، ثم الجزاء إما في الملكوت الأعلى أو في الملكوت الأسفل [ورسوله] محمد الخاتم، رسول الله إلى الناس أجمعين [وبوعده لأوليائه] المؤمنين به عز وجل رباً وإلهاً، لا رب غيره، ولا إله سواه.

ولله وعد، كما قال تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ [النور:55] [و] أوليائه [هم أهل طاعته] الذين أهلهم لأن يطيعوه عز وجل فأطاعوه، فيما أمر وفيما نهى. فهؤلاء المؤمنون هم الذين يناديهم الله، ومن لم يكن من هؤلاء فلا نداء له، ولا يوجه إليه شيء؛ لأنه في حكم الموتى؛ لأن الحي من الناس المؤمن الصادق الإيمان، المتقي لمساخط الرحمن، والميت هو كل كافر، فلا قيمة لحياته البهيمية القائمة على أساس الأكل والشرب والكفر [وبوعيده لأعدائه] بالنار والعذاب الأليم [وهم أهل الكفر به والفسق عن أمره] فهؤلاء هم أعداء الله؛ لأنهم كفارون به، فاسقون عن أمره، أي: لا يمثلون الأمر، فإذا قيل لهم: قوموا ناموا، أو تكلّموا سكتوا، أو امشوا هروّلوا، ولا يطيعون [يناديهم بعنوان الإيمان] ولم يناديهم: يا بني فلان! وإنما ناداهم بالإيمان لأنه هو القوة الدافعة والطاقة الموجهة للعبد، فصاحب الإيمان قادر على أن يصوم السنة كلها، وعلى أن يقدم نفسه ضحية لله؛ لكمال حياته، وسر النداء بالإيمان [لأنه يريد أن يكلفهم بما لا يقدر عليه إلا المؤمنون] وذلك [لكمال حياتهم بإيمانهم وولاية ربهم] حيث يشاء الله عز وجل. والمؤمنون المتقون هم أولياء الله، ومن كان الله وليه لا يهزم ولا ينكسر، ولا يذل ولا يحطم؛ لولاية الله عز وجل، ألا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62].

كلمة حول زكاة الفطر

زكاة الفطر وجبت الآن بغروب الشمس، ويجوز إخراجها - كما سمعتم - من أئمة المسجد قبل العيد بيوم أو يومين، وزكاة الفطر فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتنها بصاع، والصاع أربع حفنات بحفنة الرجل الفحل، لا الطويل الفاره الطول ولا القزم، فتكون أربع حفنات، هذه الفطرة، فضع أمامك البر، وخذ أربع حفنات، هذه فطرة، وضع أمامك الأرز، وخذ أربع حفنات، هذه فطرة، لا بالكيلو ولا بالجرام، ولا تكلف نفسك، فدين الله يسر، فهي صاع من تمر .. صاع من شعير .. صاع من بر .. صاع من أرز .. من إقط، وهو اللبن الجاف، و الصاع أربع حفنات، ليس بحفنة الطفل الصغير، بل لا بد من شخص متوسط، فيحثو أربع حفنات. وقد علمتم أنها تخرج الليلة، وقبل صلاة العيد، ومن أخرها إلى ما بعد صلاة العيد تقبل على أنها صدقة تصدق بها، لا على أنها زكاة الفطر. والزيادة على أربع حفنات قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: (إلا أن يشاء ربها). فإذا وجب عليه بغير وأعطى خمسة جاز. وإذا أخرجها يوم سبعة وعشرين وبقي من الشهر ثلاثة أيام فليس من حقه أن يزيد على يومين، والذي مضى فقد فات، وفي المستقبل لا يفعل. فأخراج الزكاة قبل العيد بيوم أو يومين لا بأس بها، وإخراجها بعد صلاة العيد صدقة من الصدقات، ويفوت أجر الزكاة. [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إن شعائر الله عز وجل أمرها عظيم، وشأنها جسيم؛ لذا فقد خاطب الله عباده المؤمنين بالمدائمة على حفظها، وبين أن حفظها علامة على حياة قلب العبد، وبمقابل ذلك نسخ الله تعالى بعض الشعائر التي كانت قائمة مثل تحريم القتال في الأشهر الحرم، وهدى المشركين وقتلهم، وأمر عباده المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان.

تحريم استحلال شعائر الله إلا ما نسخ منها وفي إباحة الصيد بعد التحلل وفي وجوب التعاون على البر والتقوى

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، وهي تسعون نداءً، حواها كتاب الله واشتمل عليها القرآن العظيم، وهذه النداءات المنادي فيها هو الله رب العالمين، وولي المؤمنين، ومتولي الصالحين، والمنادي بها هم المؤمنون المتقون.

وثمار هذه النداءات الاستقامة على منهج الحق إلى دار السلام.

وقد كررنا القول: أنه ينبغي للمؤمن أن يسمعها، فاسمع مولايك وهو يناديك ويوجه إليك نداءه، وقد علمتم ما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقد قال له أحد التابعين من أبناء الصحابة: اعهدي إلي يا عبد الله! ووصني بشيء، فأنت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: إذا سمعت (يا أيها الذين آمنوا) فأعرها سمعك؛ فإنه خير تؤمر به، أو شر تنه عنه.

وهذا منهج الكمال والإسعاد، وهو فعل الخير وترك الشر، ولغفلتنا وإعراضنا وإبعادنا ما منا أحد قصد أن يسمع هذه النداءات الإلهية، مع أنها احتوت على كل ما تتطلبه حياة المؤمن من العقائد .. العبادات .. بيان الحلال والحرام .. المال .. الاقتصاد .. السياسة الحربية السلمية، وما تركت شيئاً تتوقف عليه حياة المؤمن إلا وحوته.

وقد شاء الله أن تكتب في كتاب وتجمع وتشرح وتبين وفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، عليها تنتشر وتبلغ بين المسلمين، وتترجم إلى لغات المسلمين.

وهذه الخطوة الأولى قد تمت، وما بعدها إلى الله، فإن أراد الله أن يجمع المؤمنين على الهدى وعلى الخير والتقوى ليتألفوا ويتحابوا ويتعاونوا ساقهم لهذا الكمال، وإن لم يرد - عقوبة لنا - فيها نحن كما نحن، ما سمعنا ولا قرأنا.

وهذا [النداء] هو [التاسع والعشرون] وقد سبقه ثمانية وعشرون نداء، وفحواه وما احتوى عليه هو: [في تحريم استحلال شعائر الله] وشعائر الدين: أعلامه كالصلاة والزكاة [إلا ما نسخ منها] إذ بعض الشرائع - والقرآن ينزل - نسخها الله عز وجل، وأوقف العمل بها وأبطله، والله ينسخ ما يشاء ويبقي ما يشاء، ولكنه يبقي ما فيه كمال المؤمنين وسعادتهم، وينسخ ما ليس فيه طائل ولا فوائد؛ لأنه عليم حكيم، وبالمؤمنين رحيم [وفي إباحة الصيد بعد التحلل] وقد تقدم لنا في نداء قبل هذا: أن المحرم بالحج أو العمرة لو عرضت له غزاة بين يديه لا يمسه، ولو وجدها نائمة في فراشه يتركها ما دام محرماً، فلا يصيد طيراً ولا غزاة ولا شيء، وأما بعد التحلل من الإحرام فله أن يصيد، ولكن لا يصيد في الحرم، ولا في حرم المدينة، وحرم المدينة من جبل أحد إلى جبل عير، فهذا لا يحل الصيد فيه أبداً، وقد كان أحدهم يجد الضبي في ظل شجرة فلا يبعده ليستظل بظلها أبداً، وحرم مكة معروف أيضاً، وحدوده معلومة، فلا يحل للمحل ولا المحرم أن يصيد في الحرمين.

وخارج الحرمين من أحرم بعمرة وقال: لبيك اللهم لبيك عمرة فكأنما دخل في الصلاة، فكل لهو أو لعب أو باطل يفسد عليه حجة وعمرته، والصيد في الغالب مما يتلهى به، وإلى الآن يأتونه للهو، فإذا اشتغل بحيوان يصيده ويذبحه ويأكله فإنه ينقطع عن ذكر الله، وعن العبادة التي دخل فيها، والله أكبر! فالمصلي لا يأكل طعاماً، ولا يشرب ماء،

ولا يصح هذا، وكذلك من أحرم بالحج أو العمرة لا يصيد [ووجوب التعاون] فهو فريضة بين المؤمنين أولياء الله، فيتعاونون [على البر والتقوى] وجوباً، فإن لم يتعاونوا كما هم اليوم فقد تركوا واجباً، وسيؤاخذون به [وحرمة التعاون على الإثم والعدوان] فإن تعاون اثنان أو ثلاثة أو أهل قرية على إثم يفعلونه أو اعتداء يقومون به فذلك تعاون على إثم ومحرم.

فهذا النداء اشتمل على هذه كلها، وإليكم النداء، فلنتغنى به؛ علنا نحفظه أولاً.
قال: [الآية (2) من سورة المائدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا سَعَايَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَايِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [المائدة:2]] فإذا عاقب وأخذ بالعقاب فإن عقابه شديد، فلنتقه.

حرمة التعاون على الإثم والعدوان

قال: [سابعاً: حرمة التعاون على الإثم والعدوان، أما الإثم فهو كل كبيرة من كبائر الذنوب] كأن يتفق جماعة على فتح ماخور للدعارة فهذا تعاون على الإثم، ولو اتفق جماعة على فتح بنك ربوي في قرية أو مدينة فهذا تعاون على الإثم، ولو تكونت جماعة للصوصية والسرقة فذلك، وكذلك لو تعاونوا على الغيبة، أو [كالزنا والسرقة والغيبة والنميمة] والسب والشتيم [وترك الواجبات وارتكاب المحرمات في المناكح والمطاعم والمشارب والملابس وغيرها] وكذلك لو اتفقوا على أن يوردوا الخمر، أو يوردوا آلات التصوير، أو يفتحوا استديوهات للتصوير، فكل هذا تعاون على الإثم، أو يوردوا الكعب العالي واللباس الهزيل الذي يكشف سوء المرأة، كما يفعل هؤلاء السادة التجار في بلاد المسلمين، أو يصنعونه هم، كالذين يصنعون الدش الآن.
وقد ضرب الله على أيديهم والحمد لله.

قال: [تلك هي الإثم الذي يحرم التعاون على إيجاده أو بقاءه بين المؤمنين، أما العدوان فهو الظلم، وهو الاعتداء على أرواح الناس أو أعراضهم أو أموالهم، فلا يحل إعانة ظالم بحال من الأحوال، بل ولا الركون إليه؛ لقول الله تعالى: وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمَسَّكُمُ النَّارُ [هود:113].
والركون يكون بالميل إليه، والرضا بظلمه، وعدم نهيه عنه].
الأمر بتقوى الله عز وجل

قال: [ثامناً] وأخيراً: [الأمر بتقوى الله عز وجل، إذ قال تعالى في آخر نداء: وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [المائدة:2].

والأمر بالتقوى معناه: الأمر بطاعة الله و [طاعة] رسوله، وأولي الأمر من المؤمنين، وتتحقق التقوى بفعل ما يأمر الله به، ويأمر به رسوله من الواجبات والمندوبات، وبترك ما نهى الله عنه ونهى عنه رسوله من الاعتقادات الباطلة والأقوال السيئة والأفعال الضارة الفاسدة.

وختم تعالى مضمون هذا النداء العظيم بقوله: إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [المائدة:2]] إذا عاقبك.

وأخذ العقاب من وراء العقب، ولما يهرب أمامك الشخص فإنك تمسكه من وراءه.

وحاشا الله أن يبدأك بالظلم، بل لما تظلم وتمشي فإنه يأخذك من وراءك.

هذا العقاب [ليحذر المؤمن من عدم النهوض بما تضمنه هذا النداء من الأوامر والنواهي، فإنهم إن أهملوا ما كلفوا به ستنزل بهم عقوبة الله، فيندمون ولا ينفعهم ندم.

ألا فلنحذر عذاب الله يا عباد الله! وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [الرعد:41]] والآيات واضحة، ومفسرة في الواقع.

وهذا نداء من تسعين نداء، فلم يبق شيء من العلم غير موجود في هذه النداءات، فلتطبع وتوضع عند كل رأس كل مؤمن ومؤمنة، ولكن ما زالت الشمس لم تطلع علينا.

[وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصلى الله على نبينا محمد وآله.

وجوب التعاون بين المؤمنين على البر والتقوى

قال: [سادساً: وجوب التعاون بين المؤمنين على البر والتقوى] ففريضة الله على المؤمنين في قرية .. في مقهى .. في أي مكان إذا كانوا مجموعة أنه يجب أن يتعاونوا على البر والتقوى [أي: على فعل الخيرات] وعلى ما تتحقق به تقوى الله من فعل الواجبات وترك المحرمات [كالصدقات والمعونات المختلفة كالقرض والسلفة والإحسان والمعروف؛ إذ كل هذا من البر، وأما التعاون على التقوى -وهو طاعة الله ورسوله في الأمر والنهي- فهو تعاون على إقامة الدين بكامله، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ترك واجب أو حق من الحقوق وجب على المؤمنين أن يتعاونوا على إقامة الواجب الذي ترك، على إحقاق الحق الذي هدر بينهم؛ لأنهم أمة واحدة] ويتحقق هذا عندما تتبين لنا الطريق، وليس هناك أمل لتحقيق هذا إلا بالعودة إلى منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، والطريق إلى هذا -نحن ممزقون ومشتتون ومجهلون وغير ذلك-: أن أهل القرية الإسلامية في أي إقليم عرباً أو عجماً يجتمعون بنسائهم وأطفالهم في بيت ربهم كل ليلة طول العام من المغرب إلى العشاء كاجتماعنا هذا، ويتعلمون ليلة آية وأخرى حديثاً على نهج كتاب المسجد الذي درسناه سنة وزيادة، وأهل القرية لما يعلمون ويعملون يكملون، ويصبحوا ربانيين، ويومها لن يوجد بغض ولا عدا ولا كبير ولا حسد ولا ترفع، بل أمرهم واحد، وكلمتهم واحدة، وصندوق برهم في محراب مسجدهم، يجمعون فيه الزائد عن قوتهم، وينمون في تجارة أو صناعة بينهم، وهم والله كأسرة مؤمنة واحدة، وحينئذ إذا ترك معروف فكلهم يقومون ويقيمونه، وإذا ظهر منكر قاموا كلهم ووضعوه وأسكتوه، وهذا ليس فيه مشقة، فنحن لن ننفق شيئاً على هذا الاجتماع، ولن نتعلم ونحن جهال رجالاً ونساءً، وكباراً وصغاراً إلا بهذا الطريق، ولا تقولوا: سنتعلم في المدارس، والرسول لم يكن له مدارس، ومع ذلك كانوا يتعلمون بجد وقصد، ويعلمون ويعملون ويعلمون.

فعلى أهل الحي في المدينة -إن كانت ذات أحياء فعلى أهل كل حي- أن يجتمعوا اجتماعنا هذا، والنساء وراءنا والرجال أمامنا، ويتعلمون ليلة آية وأخرى حديثاً، فيحفظون ويفهمون ويطبّقون بجد وصدق، وفي أربعين يوماً فقط تتجلى أنوار ذلك الإيمان، ويصبحون أهلاً لأن يتعاونوا على البر والتقوى. وأما مع الجهل والفرقة والخلافات والصراعات فنحن هابطون يومياً، ولا ارتفاع أبداً، والسلم الرافعة هي: قال الله وقال رسوله.

واسمعوا الدليل من القرآن الكريم من سورة الأعراف: **وَإِذْ أَخْبَرْنَا نَبَأَ الَّذِينَ اتَّيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا [الأعراف: 175-176].** فالرافعة هي آيات الله، كما قال تعالى: **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ [الأعراف: 176]** أيضاً.

ولو اتبع عقله لأنقذه عقله عن المهادي المهالك، فَمَثَلُهُ [الأعراف: 176] ليس كمثله الأسد، وإنما كمثله الكلب إن تحمّل عليه يلهث أو تتركه يلهث [الأعراف: 176].

وهذا والله لينطبق على هذه الأمة في عصور هبوطها، فلا رفعة لنا بغير الكتاب والسنة، ومن شك أضرب له مثلاً - وإن كنتم لا ترضون عنه لضعفكم-: هذه البلاد قبل عبد العزيز كان الحاج بيتع ما يسمى بالوجدة الذهبية حتى لا تؤخذ منه، وكانت الأشجار والقبور تعبد في كل مكان، ولا إسلام بالمرّة، ثم ظهرت فيها آية من آيات الله لتكون عنواناً بارزاً لمن أراد الهداية، فجاء هذا الرجل، وكان لاجئاً بعيداً عن الجزيرة، وأقام دولة، وهو عامي مثلي، وحوله عوام أيضاً، وأخذ من ستة آلاف ومائتين وأربعين آية من القرآن آية واحدة، وضعها الله لتقوم عليها الدولة، فيتحقق الأمن والطهر والصفاء، وهي: **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ [الحج: 41].**

وما إن ظهرت حتى أصبح الرجل يمشي من جدة إلى الرياض لا يخاف إلا الله، في الوقت الذي كانوا يأكلون بعضهم بعضاً، أكثر والله من الجاهلية الأولى قبل الإسلام، وساد طهر وصفاء لم يوجد في أي مكان من العالم، ولم تكتحل عين الدنيا بمثله إلا في القرون الذهبية الثلاثة.

وتحقق مراد الله، وأقيمت فيه حدود الله وشرع الله، ووجدت هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقيمت الصلاة، وجببت الصلاة، وكانت الزكاة يومها صاع الشعير والضأن، ولم يكن عندهم شيء، ولكنهم أطاعوا أمر الله. ولما استقل لنا نفياً وأربعين إقليماً إسلامياً فيهم مئات ملايين ما استطاعوا فقط أن يجبروا الناس على الصلاة، وما وجدت هيئة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر من طلبة العلم في الشوارع أبداً، وليس هناك مانع أن يصدر قرار

في الجمهورية الفلانية بوجوب الصلاة على كل مواطن عسكري أو مدني، ومن يتخلف يعدم إذا أصر على ترك الصلاة، كما هو شرع الله، ولو أقيمت الصلاة فقط فوالله إن نصف الباطل يموت تلقائياً، ولكننا لا نتحرك؛ لأننا أموات غير أحياء، وصدق الله العظيم: **وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا [الأعراف:175]**.

كالذي ينسلخ من ثوبه، وكالثعبان ينسلخ من ثوبه، ويترك ثوبه أبيض لماعاً، ويمشي أسود بسمه، وكذلك هؤلاء أبعدوا القرآن الكريم عن المحاكم، ووضعوه وراءهم، ووضعوه على القبور والموتى، وليس هناك انسلاخ أفضع من هذا الانسلاخ، فقد آتيناها فضلاً منا ورحمة آياتنا فانسلخ منها، ولما انسلخ منها زالت المناعة والحصانة فأتبعه الشيطان، وأيام كان القرآن في يده لم يستطيع له الشيطان، ولما تخلص عنه القرآن أتبعه الشيطان، فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ [الأعراف:175].

والغواية: الخبث والسفول والهبوط وكل نتن، هذه هي الغواية. ثم يقول رب العزة: **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا [الأعراف:176]**، أي: بالآيات، لا بالاشتراكية ولا بالماركسية ولا بالديمقراطية ولا بالعلمانية، ولا يمكن لأمة أو إقليم أو فرد أن يرتفع بدون القرآن، ووالله ما كان هذا ولن يكون، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا [الأعراف:176].

ولكن لم يشاء الله لأنه انسلخ منها وأعرض عنها، ومن أعرض أعرض الله عنه، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ [الأعراف:176].

والخلود إلى الأرض هو التفكير في المال والطعام والشراب واللباس والنكاح، وعدم النظر إلى السماء أبداً، ولا الاندفاع إليها، ولا الادخار لها. **وَاتَّبَعَ هَوَاهُ [الأعراف:176]**.

وهذه محنة، ولو اتبع عقله لفكر في هبوطه وسقوطه، ولعاد ككواكب السماء في طهره وصفائه، ولكنه فَمَثَلَهُ كَمِثْلِ الْكَلْبِ [الأعراف:176].

وهذا القرآن يقول هذا، وشبهه بالكلب؛ لأن الكلب **إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ [الأعراف:176]**. ووالله ما ينتهي لهات المسلمين حتى يعودوا إلى القرآن، وحيرتهم وتبعيتهم لازمة لهم حتى يعودوا إلى القرآن، والكلب إذا وضعته تحت شجرة وعنده الماء البارد والظل فهو يلهث، ولو جريت وراءه تطارده فلسانه يلهث، ولا يستريح من اللهات، ووالله لن يستريح المسلمون إلا إذا عادوا إلى كتاب الله وسنة رسوله، ولن ينتهي لهتهم وتبعيتهم وذلكهم إلا بهذا، وهذا الكلام الذي نقوله ليس جديداً، فنحن والله نرده من قبل أربعين سنة، والحجاج يسمعون، والساسة يسمعون، والمخابرات يسمعون، ولكن الأمة ميتة، ولا إله إلا الله، آمنا بالله.

بيان إباحة الصيد لمن تحلل من إحرامه من المؤمنين

قال: [رابعاً: إباحة الصيد لمن تحلل من إحرامه من المؤمنين؛ لأن المحرم لا يحل له الصيد حال إحرامه، كما لا يحل له أن يأكل ما صيد له] أي: من أجله [وهو محرم] فإذا كان معك زميل ليس محرماً وقلت له: أمامك غزالة فصادها وقدم لك اللحم فلا يجوز لك أن تأكله؛ لأنك راض بذلك، وأما إذا صاده لغيرك وأنت لا تدري ثم قدمه لك فلا بأس.

وهذا يفهم من قوله: **وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا [المائدة:2]**، أي: وإذا حللتكم من إحرامكم فاصطادوا [وهذا الحكم] أي: حرمة الصيد [باق] إلى الآن وإلى يوم القيامة [لم يطرأ عليه نسخ] وما نسخ بشيء. حرمة الاعتداء على العدو

قال: [خامساً] وهذا مما احتواه هذا النداء العظيم: [حرمة الاعتداء على العدو، فمن كان له عدو لا يجوز له أن تحمله عداوته على ظلمه والاعتداء عليه] فلو كان لك عدو كافر أو مؤمن لم يعتد عليك فلا تحملك عداوتك وبغضك له أن تأخذه، أو تضربه وتأخذ ماله، بل حتى ولا تسبه أو تعيره؛ لأن الإسلام دين الله للبشرية جمعاء، والكل عبيده، فإن أعلن عداؤه لنا فنعداه، ولكن لا نعتدي عليه [إلا أن يظلم العدو] ويجوز [فحينئذ يرد ظلمه واعتداؤه ولا حرج] فإن شهر السلاح وقاتل فلنا أن نبيده، ولا نرحمه [وهذا معنى قوله تعالى في] هذا [النداء] **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ [المائدة:2]** [أي: ولا يحملنكم] **شَنَّانُ قَوْمٍ [المائدة:2]** [أي: بغضهم وعداوتهم] **أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [المائدة:2]** [كقضية الحديبية] **أَنْ تَعْتَدُوا [المائدة:2]** [عليهم.

لا أن يجد الإنسان رجلاً من مكة .. في ينبع ويقول: هذا ممن يصد عن المسجد الحرام، ويأخذ في ضربه وقتله بعد الاتفاقية.

وهذا ما فعله أصحاب الرسول لما أن زلت قریش بقدماها، وساقها الله إلى الملحمة، بعد أن خانت المعاهدة ونقضتها، وأيدت جماعة على جماعة، فغزاهم بعد سنة فقط في السنة الثامنة، ففتح الله عليه مكة.

قال: [وهذا تم في الحديبية] ضد المشركين [إذ صد المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين صدوهم عن العمرة، وتم صلح بينهم] وهو [المعروف اليوم بصلح الحديبية، فحذر الله تعالى المؤمنين من أن يحملهم بغضهم وعداؤهم للمشركين الذين منعوهم من المسجد الحرام أن يعتدوا عليهم بعد أن تم الصلح بينهم].
بيان حرمة التعرض لقاصد البيت للعبادة والتقرب إلى الله للحصول على رضوانه

قال: [ثالثاً: حرمة التعرض لقاصد البيت للعبادة والتقرب إلى الله للحصول على رضوانه، إلا أن يكون هذا القاصد كافراً أو مشركاً فإنه لا يؤذن له بدخول الحرم] كما قال تعالى في الآية: وَلَا آمِينَ [المائدة:2]، أي: قاصدين البُيُوتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوانًا [المائدة:2].

فلا تصدونهم عن الحرم، إلا من كان كافراً أو مشركاً، فقد نسخ الله دخول المشركين والكافرين.
نسخ القتال في الأشهر الحرم وهدى المشركين وقلائدهم

قال: [ثانياً: إن ما نسخ من شعائر الدين] أي: كان من شعائر الدين وأعلامه ونسخه الله [هو الشهر الحرم، وهو رجب] فقد [كان] في الجاهلية وفي شطر الإسلام قبل نزول هذه الآية [محظوراً القتال فيه] ولا يصح، وكان العرب يسمونه: رجب الأصب، أي: يصب فيه الخير صباً، ويقال فيه: رجب الأصم، أي: لا تسمع فيه قعقة السلاح، وهم في الجاهلية، والحاجة إلى هذا أنهم كانوا قبائل فقراء رحل ويتقاتلون، ويعيشون على التجارة في الشمال والجنوب، فأعطاهم الله بتدبيره وألهمهم قبل وجود حكومة إسلامية تقيم الحدود تحريم القتال في هذا الشهر، فإذا أهل هلال رجب امش إلى اليمن أو إلى الشام، وشرق أو غرب بمالك، ولا يعترضك أحد، وهذا تدبير الله.
فلما جاء الإسلام وقامت دولته أباح القتال فيه، فإن وجب القتال قتالنا، ولا نقول: لا نقاتل [ثم نسخه الله تعالى بقوله: الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ [البقرة:194]] فإن احترمه المشركون لم نقاتلهم، فإن قاتلونا فيه قاتلناهم، ولا نقول: ممنوع [وكذا سائر الأشهر الحرم] وكذلك القعدة والحجة ومحرم، هذه ثلاثة أشهر محرمة متتالية، ورجب بعدها، فهو الشهر السابع.

وكان القتال في هذه الأشهر ممنوعاً، ومع هذا كان المشركون يحتالون كاحتيال إخواننا اليوم، فكان يعلن رئيسهم أننا أجلبنا وأخرنا محرم إلى صفر فاغزوا، وفي هذا يقول القرآن: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا [التوبة:37].

فكانوا إذا احتاجوا إلى غزو أعلنوا: يا قومنا! -ولا يقولون: المواطنون، فهذه عصرية بريطانية- المحرم هذا العام أخرناه، فقط لمصلحة اقتضت هذا، فجاء الإسلام فأبطل هذا، وقال: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطُّوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [التوبة:36-37].

وبقي الأمر على الإباحة، فاحترم الأشهر الحرم، ونكث فيها من الصالحات، ونقل فيها من السيئات، والأجر فيها عظيم [وقد نسخ القتال فيها إذا قاتلنا العدو فيها] فإذا دنا منا أو داهمنا عدو فنقاتله، وليس علينا شيء، وهذا مما نسخه الله تعالى بقوله: الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ [البقرة:194] ولو كنا نعظم رجب ولا نقاتل فيه لقال اليهود: القوم ما يقاتلونكم أبداً فادخلوا، ونحن لا نحمل السلاح، وهذا معناه: أن نعطيهم أعناقنا، فرفعه الله، ولو أراد الله هذا لاستسلمنا، وتركناهم يقتلوننا، ونموت شهداء، ولكن الله ما أراد هذا، وقد وقع هذا، فقد فرض الله على اليهود على عهد موسى أن يقتل بعضهم بعضاً، ومات منهم سبعون ألفاً، ومن قال: لا كفر، قال تعالى: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [البقرة:54].

فلما اتفقوا على عبادة العجل في غيبة موسى عليه السلام ورجع ووجدهم يعبدون عجلاً من ذهب أوحى الله إليهم كفارة ما فعلوا: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ [البقرة:54]. وكيفية التوبة فاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [البقرة:54].

فحملوا السلاح واستقبل بعضهم بعضاً، فكان الرجل يقتل ابنه، والابن يقتل أباه، والأخ يقتل أخاه حتى سقط منهم سبعون ألفاً، ورفع موسى وهارون أيديهما إلى الله فكف الله القتال.

ولو أن الله لم ينسخ الشهر الحرام أو الأشهر الحرم وهاجمنا عدو لوجب ألا نبسط أيدينا ونسكت، لكن من رحمة الله وتدبيره - وهو العليم الحكيم- أن أذن لنا في الأشهر الحرم أن نقاتل من يقاتلنا، فقال تعالى: الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ [البقرة:194].

وكذا سائر الأشهر الحرم، فقد نسخ القتال فيها إذا قاتلنا العدو فيها.

قال: [ومن المنسوخ هدي المشركين وقلاندهم] وقد كان المشركون يهدون إلى الله الإبل والغنم من شرق الجزيرة وغربها؛ تقرباً إلى الله وتزلفاً، وقد يأخذ الرجل عشرين بغيراً هدياً، وإذا خاف أن تتهبها منه القبائل من الطريق قلدها بقلادة خاصة، فإذا رآها العربي مقلدة يقول: هذه لله، ولا يعترضها، سواء يأتي من تبوك .. يأتي من نجد .. يأتي من أي جهة، فما دام أنها مقلدة فهي للحرم، وقد كانوا يعرفون الله، ولكنهم يشركون به.

والهدي هو: إذا أهدى الثور أو البقرة أو البعير يجرحه بسكين حادة حتى يسيل الدم ويلطخ ذروته وظهره بالدم ويمشي، فإذا شاهده عربي بسلاحه مر بقبيلته، وراه مهدياً يتركه؛ لأنه لله، والآن لا نستطيع نحن أن نفعل هذا، بل نأكله في الطريق.

ونحن الآن ما نهدي بهذه الطريقة ولا نقلد، بل من أراد أن يهدي فليهدي بدون أن يجعل فيه دماً ولا علامة، ولا قلادة في العنق [والمشركون أنفسهم حرم عليهم دخول المسجد الحرام، فكيف يبقى لهم قلاندهم التي كانوا يقلدون بها الإبل؛ ليهدها إلى الحرم؟ والهدي] هو [ما يهدونه إلى الحرم، والقلاند: جمع قلادة، ما يعلقونه على البعير أو الشاة؛ إيذاناً] أي: إعلاماً [بأنه مهدي إلى الحرم، فلا يتعرض له، وقد يعلق أحدهم لحاء من شجر الحرم فيحترق لذلك، ولا يتعرض له] بسوء.

فأنت إذا كنت ماشياً إلى الطائف وخائفاً أن يستقبلك جماعة ويأخذوك فخذ لحاء أو قشرة من شجر الحرم وعلقها في ذراعك أو في رأسك ومر بهم، فيقولون: هذا كان في الحرم، ولا يمسونك بسوء.

وهذا تدبير الله عز وجل؛ لأنهم يعيشون في فوضى، ولا رسول ولا نبوة ولا كتاب ولا شرع ولا قانون، فهياً لهم مولاهم وخالقهم وسيدهم العليم الحكيم فرصاً كهذه ليعيشوا [كان هذا قبل الإسلام] أي: قبل الدين الإسلامي [ثم نسخ في الإسلام] وهذا عرف من قوله تعالى في الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً [المائدة:2]. سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ...)

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقُومَ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا [المائدة:2] هذه بالذات نزلت لما تم الصلح بين رسول الله والمؤمنين من جهة وبين عمرو بن سهيل ممثل قريش وقريش من جهة، وكانت الحديبية سنة ست.

فنبه الله عباده المؤمنين على أنهم لا يحملنهم بغض الآخرين أن يعتدوا عليهم، بل يجب أن يوفوا بالصلح إلى نهاية عشر سنوات، ولا أحد يف بالعهود سوى المؤمنين؛ لأن الله عز وجل يرببهم، وقد قال لهم: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقُومَ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا [المائدة:2].

وكان قد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم بألف وأربعمائة مؤمن يلبون بالعمرة، وفي حدود الحرم قالت لهم قريش: لن تدخلوا، وشهروا السلاح، وتمت مصالحة، ورجعوا بلا عمرة على أن يقضوها في العام المقبل، ونحروا إبلهم وأنعامهم وعادوا، وكان مدة الصلح عشر سنوات، ولكن نقضها المشركون، فهزمهم الله وسلط عليهم رسوله، وفي السنة الثانية دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة.

وفي الشرح بيان وتفصيل كثير.

نسأل الله أن يرزقنا حفظه وفهمه والعمل به.

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم!] وهو الذي لما يطبع الكتاب ويصبح عند رأسه كل ليلة يسمع نداء، وليس أحد من الناس أسعد من مؤمن يسمع كل ليلة نداء الله من السماء، فهو يناديه بعنوان إيمانه؛ ليحثه على خير يفعله، أو ينهيه عن شر يجتنبه، وليس هناك إسعاد أكبر من هذا الإسعاد.

ويا أصحاب الفنادق في العالم الإسلامي! اجعلوا هذا الكتاب في الفنادق، وترجموه إلى اللغات الحية، فلا ينام النزيل حتى يفتح الكتاب، وهذا ليس جديداً، فالمسيحيون يضعون الإنجيل عند رؤوس النائميين في الفنادق، فلنضع نحن هذا، فنحن أولى بالدعوة إلى الحق منهم، وهم يدعون إلى الكفر والباطل، ولا نضع القرآن يمسكه كافر نجس، ولكن النداءات هذه مسموح بها، فهي ليست القرآن الكريم، وإنما هي تسعون آية أو ما يقاربها.

ولا بد أن نضعها نحن في بيوتنا، ونسمع ما ينادينا ربنا من أجله؛ من أجل أن نكمل ونسعد لا أقل ولا أكثر، ومن أجل أن نتهياً للسمع والنزول في الملكوت الأعلى مع مواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

ولكنهم غفلونا .. غيبونا .. أماتونا .. طردونا .. وأرادوا أن نخلد في جنهم، وهذه أيدي الصليبية الكافرة والمجوسية الملعونة واليهودية الخبيثة، فلنفق مما نحن فيه.

واعلم أيها القارئ الكريم! [أن هذا النداء الإلهي، قد تضمن أموراً] أي: احتوى على أمور عظيمة [ذات خطر وشأن عظيم، وإليك بيانها بالتفصيل] فخذ بيان تلك الأمور الخطيرة بالتفصيل حتى ما يخفى عليك شيء إن كنت تريد السناء.

[أولاً: تحريم استحلال شعائر الله تعالى] فقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ [المائدة:2] [و شعائر الله] [هي أعلام دينه] ومظاهره [من سائر ما فرض وأوجب ونهى وحرم، فلا يستحل ترك صلاة] [إذا أصدر ملك أو أمير أمراً بإيقاف الصلاة؛ لأنه بذلك تعطل الحياة] [ولا صيام] كما أصدر أحد الحكام أمراً بإيقاف الصيام في بلد إسلامي حتى لا تعطل الحياة والإنتاج، أو كأن يصدر قراراً بحلق اللحى ومنع هذه الشعيرة وتحريمها، أو بلبس البرانيط وخلع العمام [ولا حج ولا عتار ولا زكاة ولا جهاد، ولا بر الوالدين ولا صلة أرحام ولا يستحل ما حرم الله من ربا وزنى وكذب وغش وسرقة وخيانة وسب وهتك عرض، إلى غير هذا مما هو واجب في الإسلام أو حرام؛ إذ كل ذلك من أعلام الدين وشرائعه] فشعائر الله وأعلام دينه لا يحل لأحد أن يستحلها، ولا أن يمنعها بحال من الأحوال.

وقد سمعتم نداءه للمؤمنين، وأما الكافر فلا يسأل.

والاستحلال أن يقول: ليس هذا حراماً، فافعله، وأما كون المذنب يذنب ويفعل جريمة فهو لم يستحلها؛ لأن الاستحلال كفر.

فإذا صدر قرار على المؤمنات بكشف وجوههن ورءوسهن والمشى سافرات عاريات في الشوارع فهذا والله استحلال لشعائر الله، وقد عطل بهذا أكثر من ثلاثين آية، ولا يوجد استحلال أعظم من هذا، وإذا فعلت المرأة ذلك من رأسها فإنها تأثم فقط؛ لأنها لم تستحلها، ولا تقول: استحلتها، وإنما فعلته، لكن من استحل ما حرم الله فقد كفر وخرج من الإسلام وارتد.

هذا هو ما تضمنه اللفظ الأول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ [المائدة:2].

فشعائر الدين هي أعلامه، كالصلاة والزكاة من سائر الواجبات، وكالزنى والربا والغيبة والخمر من المحرمات، فالذي يستبيح الغيبة قد استحل ما حرم الله، والذي يستبيح سب المؤمن وطعنه وضربه والبصاق على وجهه قد أحل شعائر الله.

وجميع الواجبات كجميع المحرمات لا يستحل منها شيء، فما هو واجب يبقى واجباً، وما هو حرام يبقى حراماً، وليس لأحد أن يستحل أو يعقب على الله عز وجل، ويحلل ما حرم الله، فهو ليس له علم ولا حكمة ولا يملك حياته حتى يفعل هذا، بل هو مخلوق مربوب، وهذا من خصائص الرب الذي إذا شرع فإنه يشرع ما يكمل الأدمي ويسعده.

دين الإسلام هو دين الطهارة والنظافة والنظام، فبالإضافة إلى النظافة العامة التي ينادي بها الدين الإسلامي ويحث عليها، فقد أوجب الطهارة لأداء العبادات؛ فشرع الوضوء لأداء بعض العبادات كالصلاة والطواف، وشرع الغسل لرفع الحدث الأكبر، وللدخول في نسك الحج والعمرة وغيره، ومن تيسيره على العباد أن أباح لهم التيمم عند تعذر استعمال الماء أو فقده.

وجوب الوضوء وبيان كيفية وجوب الغسل من الجنابة وبيان نواقض الوضوء وكيفية التيمم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله منهم وحشراً في زمريتهم، ورضي عنا كما رضي عنهم، اللهم آمين.

وهذا هو [النداء الثلاثون] إذ قد مضى تسعة وعشرون نداء، وقد افتتحنا الدراسة أول رمضان، وغبنا يوماً [في وجوب الوضوء وبيان كيفية، وجوب الغسل من الجنابة، وبيان نواقض الوضوء وكيفية التيمم] وهذا نداء واحد اشتمل على شطر الإيمان؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الطهور شطر الإيمان)، أي: نصفه.

قال: [الآية (6) من سورة المائدة] وهيا نتغنى ساعة بهذا النداء.

[أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [المائدة:6]] وهذا النداء طويل، ونحن أطول أعماراً منه إن شاء الله.

وأهل القرية وأهل المسجد يستطيعون أن يواصلوا القراءة نصف ساعة أو ساعة حتى يحفظوه، ولكن بحكم أننا مع زوار غير ثابتين فيها نحن نعلمهم الكيفية فقط، وإلا ما ينبغي أن ننقل إلى نداء آخر حتى نحفظ النداء السابق، ونعلمه ونعمل به، والجائزة المعدة لمن تعلم وعمل وعلم أنه من علم وعمل بما علم وعلمه دعي في السماء عظيماً. فعظماء الناس في السماء هم الذين تعلموا كيف يعبدون الله وعبدوه وعلموا عبادته لغيره، فهؤلاء يدعون في السماء بعظماء الرجال.

والآن مع [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم!] لهذه النداءات [والمستمع] لهذه النداءات [المستفيد] وقراءتها والاستماع إليها واجبة، وعي ما أقول: لا يعقل أن يناديك مولاك وسيدك ومن مصيرك بيديه، والذي يحيي ويميت، ويبيده كل شيء وأنت لا تسمع نداءه، وقد تقول: ما سمعت النداء، ونقول: إنه مكتوب ومسجل ومدون وموضوع بين يديك.

ثم إذا سمعت النداء فيجب أن تعرف الذي يريد منك، فتفهم المراد من هذا النداء، وتعلم وتعرف إن كان أمراً أو نهياً.

ثم بعد ذلك تعمل بما أمرك، وتنته عما نهاك، وإلا فأنت لست عبده، وأنت ضده، فكن عبد الله، ولن تطفر بحبه ورضاه إلا بطاعته الصادقة؛ لأن هذه الطاعة كل أمرها أنها تترك نفسك وتطهرها، فإذا زكت النفس وطابت وطهرت رضيها الله وقبلها.

وقلنا: المستمع المستفيد لأن المسلمين ليسوا كلهم يقرأ ويكتب، فالذي يقرأ ينبغي أن يقرأ هذه النداءات، قراءة جد؛ ليعرف ما أراد الله منه وما طلب إليه، والذي لا يحسن القراءة يجلس إلى من يقرأ ويقول: اقرأ علي نداء من نداءات ربي، حتى يحتويها كلها، وهي تسعون نداء، فيعرف شرع الله بكامله، ويخرج من ظلمة الجهل والعياذ بالله.

بيان كيفية التيمم

قال: [سادساً: كيفية التيمم: وهي أن يضرب كفيه قائلاً: بسم الله، على التراب، فإن لم يجد [التراب وليس كل أرض فيها تراب [فعلى الأرض أو الحجارة] أو السبخة، ونقدم أولاً التراب فقط، فإن لم يوجد فسطح الأرض كله صالح للتيمم حتى الحجارة] ثم [بعد ضربه الأرض [يمسح وجهه مرة واحدة، ثم يضرب كفيه أيضاً مرة أخرى ويمسح يديه إلى المرفقين] وهذا مذهب مالك، وهو عمل ابن عمر، وهو مذهب الشافعي والجمهور [وإن اكتفى] عبد الله أو أمة الله [بكفيه أجزاء ذلك؛ لحديث عمار بن ياسر] رضي الله عنهما [إذ قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما يكفيك أن تفعل هكذا، ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة، ثم مسح الشمال على اليمين، وظاهر كفيه ووجهه)] هذه هي الرخصة التي أعطاها النبي صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر .
والقصة في البخاري، وهي: أنهم (كانوا في سفر جهاد فاحتلم عمار، فلما احتلم تجرد من ثيابه وتمرغ في التراب بكامله، فنقلوا القضية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال: يا عمار! إنما كان يكفيك أن تفعل هكذا، وعلمه كيف يتيمم).

وما عاب عليه ولا شنع كما نشنع.

صلى الله عليه وسلم، بل قال: (إنما يكفيك يا عمار! أن تقول هكذا، وضرب الأرض ومسح وجهه وكفيه).
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهي والله كافية مجزئة كاملة، ولا تتحير.

وأنا أرجح مسح الذراعين لمن عندهم ثياب واسعة، وأما الذي يلبس ملابس ثقيلة في بلاد باردة ويحتاج إلى ينزع ثيابه حتى يمسح ذراعيه فلا يكلف نفسه هذا، فعنده الرخصة، فليكتف بوجهه وكفيه، ولا بأس بعدم نزع الثياب عندنا، وإن لم يكن هناك كلفة فيأخذ بالأحوط، ولكن لا ينزع الثياب اللاصقة بجسده كأنه يتوضأ؛ فهذا فيه تعب ومشقة، فلا نترك الرخصة ونحن في حاجة إليها، ونحن لا نتركها، ولكن قد يجيء فقيه ما عرف الطريق بعد ويقول: باطل تيممك، فقد غشوك.
وهكذا.

وقد عرفنا التيمم بالكيفيتين؛ حتى ما تلوم الآخر وتعيبه، فمن اكتفى بوجهه وكفيه فقد أصاب، ومن مسح ذراعيه فلا تلمه، ولا تشذ عن جماعة المسلمين، فكل هذا وارد عن الصحابة.
رفع الحرج عن الأمة

[سابعاً: من لطفه تعالى ورحمته وإحسانه إلى عباده المؤمنين أنه لما أمرهم بالوضوء والغسل والتيمم عند انعدام الماء أو عدم القدرة على استعماله لاطفهم] أي: كلمهم وعلمهم بلطف [بقوله سبحانه وتعالى: مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ [المائدة:6]، أي: عنت ومشقة] وتعب وإرهاق [وإنما يريد طهارتكم ظاهراً وباطناً]، فالذي يتطهر ويتوضأ ويغتسل فقد تطهر في الظاهر وفي الباطن والله، وما إن أطاع الله فتوضأ واغتسل وتيمم إلا انعكس ذلك على باطنه فطهر باطنه، ولا شك في هذا، وقد تقرر أن كل عبادة تقوم بها فحقيقتها أن تزكو نفسك بها وتطيب وتطهر، وليس البدن، فأما أمر الله تعالى به فقام به عبد الله انعكس أثره على نفسه بالزكاة والطهر والصفاء، وأما أمر وأما شيء نهى الله عنه وخالفه عبد الله فإنه ينتكس بذلك، ويعود على نفسه بالخبث والنتن والعفونة، وحكم الله واضح، فقد قال: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10] [وليتم نعمته عليكم بهدايتكم إلى الإسلام وبيان شرائعه ودعوتكم إلى القيام بها؛ إذ هي مصدر سعادتك وكمالكم في الدارين، وليعذك بذلك إلى شكره؛ إذ سر الحياة بكاملها هو ذكر الله تعالى وشكره] وإنما خلق الله الجنة والنار، وخلق الإنس والجن والملائكة لأنه أراد أن يذكر ويشكر، فخلق هذه المخلوقات، فعلة الحياة كلها أن يذكر الله فيها ويشكر، واقرءوا: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات:56].

وعباد الله والله ما يخرج منها شيء عن الذكر والشكر، فالمصلي ذاك، والصائم شاكر، وهكذا، فكل العبادات دائرة على ذكر الله وشكره، وكل من يعبد الله بعبادة لا يذكر الله فيها فإنها والله ما تصح أبداً، ولا يتأثر بها [وذكره يكون بالقلب واللسان، وشكره يكون بالجوارح والأبدان، فالوضوء والغسل والتيمم من مظاهر الشكر لله تعالى على نعمة

الإيجاد والإمداد] فهو الذي أوجدنا وأمدنا بأسباب الحياة من الهواء والغذاء والماء [فاللهم اجعلنا لك من الذاكرين الشاكرين، وأعنا عليهما، وعلى حسن عبادتك يا رب العالمين!] أمين.
بيان فضل الوضوء

قال: [وأخيراً أيها القارئ الكريم! أو المستمع المستفيد! إليك هذه الجائزة العظيمة] إذا كنت ترغب في الجوائز، وهي ليست جائزة نوبل [وهي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من توضأ فأحسن الوضوء) أي: توضأ كما تعلمتم، هذا معنى أحسنه، فما زاد ولا نقص ولا قدم ولا أخر] (ثم رفع طرفه إلى السماء) [وإن كان تحت السقف، والطرف العين] (وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) [فالجائزة] (فتحت له أبواب الجنة الثمانية) [يدخل من أيها شاء] (ولو مات في تلك اللحظة دخل الجنة، وهي تفتح آلياً أوتوماتيكياً، فإذا رفع رأسه وشهد الشهادة تفتتح، والآبواب المطارات تفتتح لك قبل ما تشم رائحتك، فلم يبق شك في هذا، ومن قبل كنا نؤمن فقط، وأما الآن فنعرف أن هذا الصوت يتصل آلياً بالملكوت الأعلى وتفتتح أبواب الجنة.

وهذه جائزة غالية، وإن شاء الله تأخذون بها، ولا تقولوا: ليس لنا حاجة، فهي ليست ريالاً ولا ديناراً، فكل من توضأ فأحسن الوضوء كما سمعتم، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين إلا وفتحت له أبواب الجنة [فاذكر هذا واعمله ولا تتركه؛ فإنه كنز ثمين، وخير كثير.

والسلام عليك ما وازبت وواصلت].
والنوم الذي لا يشعر فيه العبد بخروج فساء أو ضراط ناقض للوضوء، ولا بد من الوضوء، إلا النوم الخفيف وهو جالس فلا بأس.

[وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصل اللهم على نبيينا محمد وآله وصحبه أجمعين.
وجوب التيمم لمن لم يجد الماء أو وجده واحتاج إليه أو منعه مانع من استعماله

قال: [خامساً: وجوب التيمم لمن لم يجد الماء للغسل أو الوضوء] أي: إن لم يجد ماء يغتسل به وهو جنب، أو يتوضأ به وهو منتقض الوضوء [أو وجده] أي: الماء [ولكن حاجته إليه ماسة] شديدة [كالشرب أو الطبخ، لاسيما في حال السفر] ولهذا ذكر تعالى السفر فقال: وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ [المائدة:6].
إذا الغالب في انعدام الماء يكون في السفر، ولا يكون في المدينة أو في القرية؛ إذ الأبار موجودة والعيون، وإنما ينعدم الماء في الغالب في السفر، ولهذا قال: وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً [المائدة:6].

فانتبهوا لهذه النكته، وهي: أنه نص على السفر؛ لأن الغالب في السفر لا يوجد ماء، وإنما صحار وبرار وقفار، ولكن داخل المدينة إن لم تجد ماء في بيتك فإنك تجده عند جارك، وإن لم تجده في بئرك أنت أو في بئر بستانك فتجده في بئر أخيك، وأما انعدام الماء فأغلب ما يكون في الأسفار [أو وجده ولكن يمنع من استعماله خوف المرض أو زيادته] أي: المرض [أو عدم البرء منه] أو تأخر الشفاء؛ لأن الجراحات هذا شأنها، فإذا كان في جو بارد فلو استعمل الماء البارد فإنه يهلك، فيتيمم، وإن لم يكن الجو بارداً ولكن فيه جراحات ثخينة ودماء لو يتوضأ عليها فإنها تنتفخ تنورم من جديد فيتيمم، وكذلك لو تأخر برؤه لو توضأ أو تضرر من استعماله فربه أرحم به منه، ففي هذه الحال يتيمم.

بيان نواقض الوضوء

قال: [رابعاً: نواقض الوضوء أو موجباته] والفقهاء يقولون: نواقض الوضوء، أو موجبات الوضوء، والكل صحيح، أي: ما ينقض الوضوء ينتقض الوضوء به، وما يوجب كذلك، وسمه موجبات الوضوء أو نواقض الوضوء، فإذا أصبح العبد غير متوضئ فهناك ما يوجب عليه الوضوء إذا أراد أن يناجي ربه، أو أراد أن يطوف ببית مولاه، أو أراد أن يقرأ كتابه، ففي هذه الحال لابد وأن يتوضأ، وقد وجب الوضوء عليه، وإذا توضأ فهناك ما ينقض الوضوء، كما إذا بال أو تغوط، فهنا ينقض ويبطل بسبب، وهذا السبب إن شئت سمه ناقضاً أو موجباً، إذا حدث

وجب الوضوء [الدال عليها قوله تعالى: أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ [المائدة:6]] فهذا الجزء من الآية دال على نواقض الوضوء.

فقوله: أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ [المائدة:6] أي: تغوط وجاء، ومعنى تغوط: ذهب إلى الغوط، والغوط هو المكان المنخفض من الأرض، فلا يطلع الإنسان على الجبل ويرى الناس عروته، بل لا بد أن يبحث عن مكان منخفض مستور ويتغوط [إذ المجيء من الغائط معناه: أنه تبول وتغوط] ويدخل في هذا الفسء والضراط، كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن فيهما رائحة كريهة كالتغوط، وهما الخارج من السبيلين، فسبيل البول والمذي والمني الذكر، وسبيل الدبر هو الخرز والفساء والضراط.

قال: أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ [المائدة:6].

وهذا التعبير الإلهي تعبير عال سام فوق ما تتصور في البيان والفصاحة والبلاغة، فلم يقل: أو خرأ أحدكم أو بال، بل قال: أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ [المائدة:6].

وإن لم تعرف المعنى فاسأل الرسول أو العالمين.

فهذا القرآن الكريم عجب.

فهو يعلمنا أرفع الآداب وأسماءها، وهذا القرآن تقرأه البنت أمام أبيها ولا تستحي، فالبنت الحبيبة التي لا مثال لها في الحياء تستطيع أن تقرأ القرآن على أبيها، فليس فيه كلام بذيء أبداً، أو تنقبض منه النفس أو تشمئز؛ لأنه كلام الله.

قال: [فمن بال أو أخرج فضلة الطعام وهي الخرز، أو فسء أو ضراط، أو مس امرأته بشهوة] وسواء وجد لذة أو ما وجدها فقد انتقض وضوؤه؛ لأنه تعمد، وإن مسها بدون قصد أو احتك بها بدون قصد ووجد لذة بطل الوضوء، وأما إذا مسها أو احتك بها ولا قصد ولا وجد فلا وضوء عليه، لا واجباً ولا مستحباً [فإن كان متوضئاً فقد انتقض وضوؤه] وانحل وبطل [وإن كان غير متوضئ وجب عليه الوضوء للصلاة أو الطواف أو مس المصحف] وأما ذكر الله أو تلاوة كتاب الله فنتلوه بدون وضوء، وأما مس المصحف الكامل الخالي من كلام الناس الجامع لكتاب الله فلا تمسه إلا وأنت متوضئ؛ لقوله تعالى: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [الواقعة:79].

فإن كان فيه من كلام الناس تفسير فلا بأس، وإن كان مجزأً أنصافاً .. أرباعاً .. أثماناً فلا بأس؛ لأنه ليس كاملاً، والآية تقول: فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [الواقعة:78-79]. ولا تلتفت إلى خلافات الناس.

[ومن نواقض الوضوء: النوم الثقيل الذي لا يشعر صاحبه بخروج فسء منه أو ضراط، وأكل لحم الجوزور، ومس الذكر بباطن الكف].

الأمر بالغسل من الجنابة

قال: [ثالثاً: الأمر بالغسل من الجنابة؛ لقوله تعالى: وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا [المائدة:6]، أي: اغتسلوا] ومن قال: لا فقد كفر؛ لأنه يرد على الله [والجنب هو من جامع امرأته فأدخل ذكره في فرجها] وغاب رأس الذكر في فرجها والتقى الختانان، أي: موضع الختان من الرجل والمرأة [ولو لم ينزل منه ماء] فقد وجب الغسل، وأصبح جنباً، وهي جنب [ومثله من احتلم في منامه] فرأى نفسه يأتي امرأة [فخرج منه المني] وجب الغسل؛ لأنه جنب [فهذا هو الجنب] فإن رأى نفسه يجمع ولم يخرج ماء فلا غسل عليه؛ لأنه ليس بجنب [رجلاً كان أو امرأة] فالمرأة تحتلم كما يحتلم الرجل؛ لأنه منام، فإذا احتلمت وأفرزت الماء ووجدته في ثيابها وجب الغسل، وإن لم تر الماء لا غسل عليها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الماء من الماء).

هذا في الاحتلام.

[والاحتلام هو أن يغسل [المؤمن أو المؤمنة] كفيه ثلاثاً] أي: ثلاث مرات، فيغسل كفيه بأن يصب عليهما الماء، ولا يغمسها في الماء رأساً، وبالأدب تعرف هذا [ناوياً الغسل الواجب عليه] وهذه النية لا بد منها، فأنما أريد أن أغتسل لأن الله أمرني، ولأنني جنب لا يحل لي أن أناجي ربي أو أمس مصحف حتى أغتسل، فينوي هذه النية ويبدأ بسم الله؛ ليرفع ذلك الحدث الأكبر [ثم يغسل قبله ودبره] أي: مخرج البول ومخرج الغائط [وما حولهما] حتى لا يعود يمس الذكر فينتقض وضوؤه، فيغسل فرجه وما حولهما من جسمه [ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما تقدم بيانه أنفاً] وقد بدأنا بالوضوء [ثم يخلل أصول شعره بالماء؛ حتى لا يضره الماء البارد فيزكم] وخاصة في البلاد الباردة وأيام الشتاء، فقبل أن يغسل رأسه يغمس يديه في الماء، ويصب عليهما ماء، ثم يخلل أصول الشعر، وإن كان

الشعر ليس قوياً فلا بد أن يمس البشرة الماء؛ حتى تستأنس، ولا تتضرر من صب الماء عليها، فيصاب بالزكام، وهذا لم يعلمنا إياه الدكتور فلان، بل هذا تعليم رسول الله، ولو يجتمع أطباء العالم كلهم على أن ينقضوا هذه التي علمناها رسول الله والله ما نجحوا، ولا استطاعوا أن يردوها، فرسول الله علمه الله العليم الحكيم، وعلم الدكاترة أمثالهم، وقد يصيبون وقد يخطئون، وأما إذا قال الله أو أمر رسول الله فقد انتهى الكلام، فكلام الله ورسوله يقينيات، وقد مضى 1400 سنة ونيف ولم يستطع علماء الدنيا أن ينقضوا قاعدة من قواعد الإسلام، وأن يقولوا: إنها لا تنفع في أي مجال من مجالات الحياة، وإن كانوا يغطون ويلفون ويدورون وينتقدون، ولكن عملياً والله ما كان ولن يكون، وما تكالبوا عليه وأبطلوه ورموه إلا لأنه واجههم بالحقائق التي لا يستطيعون ردها، فقالوا: اقتلوه واستريحوا، فقتلوا الإسلام.

قال: [ثم يغسل رأسه مع أذنيه ثلاثاً] أي: ثلاث مرات، وظاهر الأذن وباطنها سواء، وإن شاء غسل رأسه ثم غسل بعد ذلك أذنيه، فالأمر واسع، فيفعل حسب طاقته [ثم يغسل شقه الأيمن من رأسه] وأذنيه داخلية في الرأس، فيغسل هذا الشق [إلى قدمه] الظاهر والباطن [ثم] الشق الآخر [الأيسر كذلك] فيبدأ من أذنه إلى قدمه [وعليه] وجوباً [أن يتتبع الأماكن التي ينبو عنها الماء، كتحته الإبطين] ولكل منا إبطان [وتحت الركبتين] لأنك إذا جلست لم ينغسل ما تحت الركبتين، إلا إذا رفعت رجلك وغسلت [وكذا السرة] أيضاً؛ وبعض الناس لهم سرر كبيرة، أو فيها تجاعيد، فيحاول أن يوصل الماء إليها، لا أن يدخل الماء في السرة، ويجري عملية. فالأماكن التي لا يصل إليها الماء تتبعها أثناء الغسل؛ لأن تحت كل شعرة جنابة، وهذا قاله علي بن أبي طالب وأسألوا الأطباء، فإنهم يقولون: إن الإفرازات التي يفرزها المحتلم أو المجامع تخرج من كل جزئيات جسمه، وليس من ذكره فقط، فذاك الانفعال من جسمه كله، فتحت كل شعرة جنابة [كما يخلل أصابع يديه ورجليه حال الوضوء] فلما يأخذ في الوضوء يخلل أصابع اليدين والرجلين لا بد؛ لأن هذا غسل من جنابة، بخلاف الوضوء، فممكن أن لا يخلل أصابع رجليه، لكن الغسل لا بد منه.

وقد عرفنا الوضوء والغسل من قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ [المائدة:6]. هذا الوضوء.

ثم قال: وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا [المائدة:6].

والرسول بين لنا.

فإنه قال: وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا [المائدة:6].

وكيفية التطهير بينها الرسول؛، لأن القرآن لو كان يفسر كل شيء لما حفظ وحمل، ولكن تولى بيانه رسول الله بإذن الله عز وجل، فلماذا قلت لكم: الذين يرفضون السنة كفروا، ولا حظ لهم في الإسلام، ولن يسلموا أبداً حتى يؤمنوا برسول الله، ويتابعوه فيما جاء به؛ ومن عول على القرآن وحده أصيب في عقله، ولو أخذ بالقرآن وحده والله ما اهتدى، وقد بينت لكم: أنه لو أنزل الله القرآن جملة واحدة في كتاب ولم يوجد رسول لما عرف الناس كيف يعبدون الله، وهناك الآن كتب كتبها العلماء واختلف العلماء فيها، وكل واحد يؤولها تأويلاً، فكيف إذا بالقرآن إذا لم يكن قد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم؟

وجوب الوضوء على من أراد مناجاة الرب تبارك وتعالى بالوقوف بين يديه وذكره وتلاوة آياته

اعلم [أن هذا النداء الإلهي العظيم قد اشتمل على علوم ومعارف ضرورية] أي: لا بد منها [للمؤمنين] فقد احتوى على الطهارة بكاملها، الوضوء والغسل والتيمم، وبين فوائد ذلك [فاحفظه وافهمه واعمل بما فيه؛ فإنه ما وجهه الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين إلا ليظهرهم به، فإذا طهروا رضي] الله [عنهم وأرضاهم، وجعل الجنة مأواهم] وليس هناك لهو ولا لعب ولا عبث، فهو لا ينادي لا شيء.

[وإليك بيان ما تضمنه هذا النداء من علوم معرفتها ضرورية] لازمة [لكل مؤمن ومؤمنة.

أولاً: وجوب الوضوء على من أراد مناجاة الرب تبارك وتعالى بالوقوف بين يديه وذكره وتلاوة آياته، والركوع والسجود له سبحانه وتعالى [فمن أراد أن يتكلم مع الله كلاماً خاصاً سرياً يناجيه فيه فيجب أن يتوضأ، وإلا لم تصح له المناجاة، وإذا أردت أن تتصل بذوي العرش وتتكلم معه وينصب وجهه لك وينظر إليك ويسمعك فلا بد وأن تكون طاهراً.

قال: [ثانياً: بيان كيفية الوضوء وهي: غسل الكفين] وإذا ضرب أحدكم أخاه بكفه فإنه يفهم الكف، وأما في الوضوء فلا يفهم الكف، والواحد كف، والاثنان كفان [ثلاثاً] أي: ثلاث مرات [ثم المضمضة] فيمضمض الماء ويمصه في فمه [ثلاثاً] ويصق به في كل مرة [ثم الاستنشاق] وهو جذب الماء بهواء الأنف حتى يطلع إلى خيشومه [والاستنثار] حتى يسقط كله [ثلاثاً، ثم غسل الوجه ثلاثاً] قبل اليدين [وحده طويلاً من منبت الشعر المعتاد في الجبهة] أي: فوق الجبهة [إلى منتهى الذقن] وإن طال [وعرضاً من وتد الأذن اليمنى إلى وتد الإذن اليسرى] هذا هو الوجه، فيغسله ثلاث مرات، فيأخذ الماء ويغسل الوجه مرة وثانية وثالثة [ثم غسل اليدين] الكفين مع الذراعين [إلى المرفقين] والمرفق هذا الذي ترتفع عليه وتكئ عليه، ويدخل العظم هذا الذي تجلس عليه وترتفع عليه؛ لأن إلى بمعنى مع هنا، فغسلهما مع المرفقين أحوط لدين الله [ثلاثاً، يبدأ باليمنى] ثم اليسرى [ثم يسمح الرأس مع الأذنين مرة واحدة] فيبل يديه ويكفي ويمسح رأسه مع أذنيه مرة واحدة، وإن شاء جدد الماء لأذنيه ومسح، وكان ابن عمر يفعل ذلك؛ رغبة في الأجر واحتياطاً، وإلا يمسح رأسه مع أذنيه ويجزئه ذلك [ثم يغسل الرجلين إلى الكعبين] أي: مع الكعبين، وإلى هنا بمعنى مع [يبدأ باليمنى؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم] (كان يحب التيامن في كل شيء) [في الأكل .. في الشرب .. في المشي .. في القول .. في كل شيء، فضلاً عن الوضوء وغيره] [إلا في الدخول إلى المرحاض فإنه يقدم رجله اليسرى] فلينتبه الداخل للكيف وللمرحاض ولبيت القدر، ولا يقدم رجله اليمنى، بل يؤخرها، ويبدأ أولاً باليسرى؛ لعزة اليمنى وطهارتها ومكانتها، فلا يرمي بها في المكان السيئ أولاً؛ تشريفاً لها، وعند الخروج يعكس ويعجل، فيقدم اليمنى ويؤخر اليسرى، وقد عرف هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومضت عليه القرون، ثم جاء اليمينيون واليساريون في العالم، وسمعا باليساريين، وهم دائماً في المؤخرة. عليهم لعائن الله.

فلنفهم هذا ولنعمل به، وقد عشنا قروناً نعلم ولا نعمل، ولا يهمننا هذا، وإنما نفهم فقط. [هذا مضمون] ومفاد [قوله تعالى: فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ [المائدة:6]] أي: واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين [أما غسل الكفين ثلاثاً والمضمضة والاستنشاق والاستنثار فقد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم] ففي الآية: إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ [المائدة:6]، أي: قمتم لتصلوا أو تطوفوا أو تقرأوا القرآن، فإن كنتم محدثين فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ [المائدة:6].

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم غسل الفم والأنف ومسح الأذنين، ونحن مأمورون بطاعة الله وطاعة رسوله، فقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [النساء:59]. والرسول مبين للمجمل للقرآن، كما قال تعالى: وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ [النحل:44]. فمن رفض السنة كفر وخرج من الإسلام، ولا حظ له فيه وإن صام الدهر وصلى الحياة كلها، ولا بد من الإيمان برسول الله واتباع سنته، فبيان الشريعة والله متوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو أنزل الله القرآن كالتوراة كتاباً واحداً وتركه بين العالم فوالله لما عرفوا كيف يعبدون الله، بل لا بد من رسول يبين، ولهذا ثلاثة وعشرين سنة والقرآن ينزل، والأحكام تتوالى، والرسول يطبق ويعلم، ولما تمت اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ [المائدة:3] رحل الرسول صلى الله عليه وسلم، وقبضه الله إليه. فلو قائل: من أين لكم أن تغسلوا أفواهكم وأنوفكم والقرآن صريح، وليس فيه غسل أنف ولا أذن ولا فم؟ فلا نقل: صح، عندك حق.

وقد جاءني شيعي في الحلقة أيام كنا داخل المسجد، وقال: أنتم تحرفون كلام الله، وتعطفون المنسوب على المجرور في قوله تعالى: وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ [المائدة:6]. ولا تقولوا: (وأرجلكم)، فتعطفون على المجرور؛ لأنهم لا يغسلون أرجلهم أبداً، فقلت له: عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة عشر سنين، وكان صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة، وكان يغسل رجله لكل صلاة، فما بالكم؟ أنتم أعلم أم رسول الله؟ فإن قال: نحن أعلم كفر، وإذا قال: رسول الله أعلم فيجب أن يغسل رجله.

ثم هناك القراءة السبعية المشهورة وهي بالنصب، وَأَرْجُلُكُمْ ، وهي معطوفة على الوجه، فالغسل يكون لليدين والرجلين والوجه، وليس للرأس، والأحق بالغسل الرجلين وليس الرأس؛ لأن الرأس مغطى دائماً، والرجل يمشي بها في المزابل والطرق، فهي أولى بالغسل.

فسكت، ولو كانوا يسألون لعلموا، ولكن الإصرار على الباطل يهلك صاحبه، وهو لا يدري. ومع هذه القراءة الضعيفة بالجر فقد بين الرسول أنها تكون عندما يكون على رجلبك ساتراً من الغبار والتراب والأذى، وسواء كان من الخشب أو كان جلداً، فإذا كان على رجلبك ساتراً يقيك التراب والوسخ وجئت تتوضأ فيجوز أن تمسح على رجلبك بدون أن تكشف عنهما؛ لأنها نظيفة ومغسولة، وقد لبست عليها الجورب أو الشراب كما يقولون أو الخف.

ويكفي بيان رسول الله عشر سنين، فلا نخالف أمة الإسلام كاملة انتصاراً لمذهبنا، فليس بهذا يدخل الإنسان الجنة. وقراءة الجر هذه استعملت في المسح على الخفين، وقد كان عليه الصلاة والسلام يتوضأ في عرفات، فلما وصل إلى رجله أراد من يصب الماء عليه أن ينزع خفيه، فقال: (لا، دعهما؛ فإني أدخلتهما طاهرتين). ومسح هكذا، فإذا توضأ المؤمن ولبس شرايه أو خفه فإذا انتقض وضوؤه لم يحتج إلى أن يعيد غسل رجله؛ لأنهما مغسولتان محفوظتان، ولا تراب ولا وسخ فيهما، ومن تسهيل الله وتيسيره أن يمسح فقط عليهما.

العدل أمره عظيم، وشأنه جسيم، وبالعدل يقوم أمر الأرض والسماء، ودين الإسلام هو دين العدل، فلما أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالعدل في الأحكام وفي كل ما يقومون به من طاعات لله، أوجب عليهم العدل في أداء الشهادة؛ لأنه بالشهادة تؤدى الحقوق لأصحابها، ولا فرق في كون الشهادة لمسلم أو كافر، أو صديق أو عدو، أو موافق أو مخالف.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

جعلنا الله وإياكم منهم، وحشرنا في زمريتهم، ورضي عنا كما رضي عنهم. اللهم آمين.

والرحمن صاحب النداءات هو الله رب العالمين، والأولين والآخرين، فهو أنزل القرآن الكريم، وبعث النبي الخاتم سيد الأنبياء والمرسلين، محمداً صلى الله عليه وسلم.

وهذا الرحمن هو الذي لولاه ما كنا ولا اجتمعنا ولا سمعنا، ولا أبصرنا ولا فهمنا، فهو الله الذي خلق كل شيء، وبيده كل شيء، وهذه النداءات موجهة إلى المؤمنين خاصة، وهم المنادون بها، وهي تسعون نداء، وقد خص المؤمنين مع كثرة عبادته من الإنس والجن لأنهم بإيمانهم أحياء يسمعون ويعون، ويقدرّون على أن يمتثلوا الفعل والترك، وأما غيرهم من الكافرين فهم أموات، وصاحب العلم لا ينادي ميتاً، وإنما أهل الجهل ينادون: يا سيدي فلان! يا عبد القادر! يا رجال البلاد! وهم لم يجيبوهم يوماً، ووالله لو وقفوا ألف سنة ينادونهم ما أجابوهم.

وقد ناداهم بعنوان الإيمان؛ لأن الإيمان طاقة نورانية دافعة، بها يسمع عبد الله ويعي ويفهم، وبها ينهض بالتكاليف، ويفعل ويترك، وأما الكفار فهم أموات، فإن ناداهم فهو يناديهم ليأمرهم بالإيمان؛ حتى يحيوا ويصبحوا أحياء، ولا يناديهم ليقول: جاهدوا فينا، أو أطعموا مساكينا، أو قوموا بين يدينا؛ لأنهم أموات لا يستجيبون.

وهذه النداءات تسعة وثمانون نداء، كلها بدأت بـ (يا أيها الذين آمنوا)، إلا نداء واحداً بـ (يا أيها النبي)؛ لأنه لتشريفه بدئ باسمه، والمؤمنون هم المقصودون، فقال تعالى: يا أيها النبي إذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ [الطلاق:1]، الآيات.

نواقض الوضوء

عرفنا موجبات الوضوء، وهي: الخارج من السبيلين، والبول والغائط والفساء والضرط، وذكرنا أيضاً أن لمس المرأة بشهوة إذا قصد الفحل أن يتلذذ بزوجته، فوضع يده على كتفها أو خدها أو يدها فقد انتقض وضوؤه، وهو الذي نقضه؛ لأنه أراد اللذة وإن لم يجدها، فإن لم يقصد ولكن وجد وانفعل بطل وضوؤه، وكذلك النائم إذا نام نوماً ثقیلاً بحث لا يشعر لو فسا أو ضطرب فقد انتقض الوضوء ووجب؛ لأنه لا يدري، ومن الجائز أنه انتقض وضوؤه، وأما إذا كان نومه خفيفاً بحيث لو قيل: فلان! لقال: نعم فهذا يشعر لو فسا أو ضطرب، أو كان جالساً والنوم يزعه فهذا لو فسا أو ضطرب يفهم، فالنوم الثقيل موجب للوضوء؛ لأنه من الجائز أن يكون قد فسا أو ضطرب.

وهذا المعنى واضح وإن لم يكن مكتوباً في الكتاب، فالنوم الثقيل ليس ناقضاً للوضوء، ولكن من الجائز أن ينتقض وضوء النائم، لأنه لا يعي ولا يشعر، ولنتترك الكمال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان ينام وقال: (عيناى تنامان، وقلبي لا ينام).

وهذه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم.

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرون صلاة العشاء أحياناً لمهام يقوم بها الرسول صلى الله عليه وسلم ويتأخر عنهم حتى تخفق رؤوسهم من النعاس، ويقومون فيصلون.

ثم أكل لحم الجزور، أي: البعير، وقد اختلف العلماء في وجوب الوضوء منه، فمن قائل بنسخ الحديث، وأنه لا يتوضأ لذلك، ومن قائل بعدم النسخ، وأنه باق على أصله، فيتوضأ، ومن هنا الأحوط لديننا: أن نتوضأ، إذ لا كلفة في الوضوء، فلا مال يسقط، ولا وقت يضيع، وما دام قال إمام أهل السنة أحمد بالوضوء فتتوضأ، ولحم الجزور لا نأكله يومياً أو كل ساعة، فمن أكله تعشى أو تغدى فيتوضأ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة.

وأما لحم الغنم والعصافير والطيور فلا خلاف فيها في عدم الوضوء، وإنما الخلاف فقط في البعير، وعلة البعير كما قال العلماء: إن فيه مادة دهنية أو زهومة قوية لا توجد في لحم الغنم والماعز، وهذه المادة قد تقتل الحساسية الجسمية، وخلايا الجسم تقتل بذلك الدهن، فلا يؤدي العبد العبادة بنشاط، وهذا معقول أيضاً، والحكيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما أمر بالوضوء إلا لعلم وحكمة.

وكذلك الحيض والنفاس، فهما من موجبات الغسل، وهما ليس من الجنابة، فالجنابة فقط أن يدخل الفحل رأس ذكره في امرأته، وسواء أمني أو لم يمن فقد وجب الغسل.

وفي الحيض والنفاس يقول تعالى من سورة البقرة: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ [البقرة: 222]، أي: يا رسولنا! قل هو أذى [البقرة: 222]، أي: فيه ضرر.

فَاعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ [البقرة: 222]، أي: في جماعهن، فاعتزلوهن في الجماع، وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ [البقرة: 222].

ومعنى يطهرن: ينقطع الدم بالمرة، وتأتي القصة البيضاء بعده إيداناً بأنه لا يأتي بعد ذلك دم، أو جفاف كامل بحيث تدخل قطنه وتخرجها جافة.

فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ [البقرة: 222].

وقيلها قال: حَتَّى يَطْهُرْنَ [البقرة: 222]، أي: يطهرن بانقطاع الدم، ومعنى يتطهرن: يستعملن الماء الطهور للغسل، فإذا اغتسلت للبل فله أن يأتيها، ولها أن تصلي.

والشاهد عندنا: أن انقطاع دم الحيض والنفاس موجب للغسل كالنكاح، والمؤمنون والمؤمنات في البوادي عاشوا قروناً ما يعرفون هذا، ولم يقف لهم عالم يعلمهم، فلم يدروا.

وكذلك إذا أفرز المني بشهوة وهو نائم أو يقظان فقد وجب الغسل؛ لأن الجسم تعطل.

حكم الوضوء والغسل من الجنابة

في النداء الماضي تعلمنا منه كيف نتوضأ وكيف نغتسل، وعرفنا موجبات الوضوء أو نواقض الوضوء، وموجبات الغسل المطلوبة للغسل، ونعيد النداء مرة ثانية.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ [المائدة: 6].

هذا الوضوء.

وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [المائدة: 6]، أي: ليعدكم لأعظم مهمة، وهي شكر الله عز وجل.

وعرفنا أن السنة النبوية بينت لنا المضمضة والاستنشاق والاستنثار ومسح الأذنين؛ لأن الرسول مسئول عن البيان، فالآية مجملة والرسول يبين، وعرفنا السر في ذلك، وهو: لو أن القرآن كله مفصلاً لما حمل وحفظ، ولما قوي عليه، فأسند الله بيانه إلى رسوله بقوله: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ [النحل: 44].

أهمية نداءات الرحمن في تنظيم حياة المسلمين

هذه النداءات احتوت على الشريعة الإسلامية بكاملها، من العقيدة والعبادات، وبيان الحلال والحرام، والمعاهدات الحربية والسلمية، والمال والاقتصاد، وكل متطلبات المؤمنين الصادقين أولياء الله اشتملت عليها هذه النداءات التسعون.

ولو أن أهل بيت أو مسجد اجتمعوا عليها فقط يرددونها سنة، ويختمونها في كل ثلاثة أشهر فإنهم يصبحون علماء ربانيين، وإن لم يكونوا يقرءون ويكتبون، فإذا علموها وعملوا بها وعلموها غيرهم فإنهم يصبحون علماء سادات الدنيا، وليس هناك مانع أن نفعل هذا، ولكن لعل الله كتب علينا البقاء على هبوطنا، ولن يرفعنا أحد، ولا حيلة إلا أن نفرز إلى الله عز وجل، وعلينا بكتاب المسجد وبيت المسلم، وقد صرخنا وبكينا وتألما سنة وربع السنة، فندرس ليلة آية وليلة حديثاً، قال الله وقال رسوله، ولا فرقة ولا خلاف، ولا مذهبية ولا حزبية ولا طائفية، ولا أنا كذا ولا أنت كذا، بل قال الله وقال رسوله، وقلنا: على أهل المساجد أن يجتمعوا عليه، وعلى أهل القرية أن يجمعوا نساءهم وأطفالهم ويتنسمون نسيم الرحمة الإلهية، ويخرجون من دخان الأكل والشرب والعمل الدنيوي في المصانع والمزارع والمطاعم والأسواق ساعة ونصف فقط في بيت ربهم العزيز، والنساء وراء الستارة، والأطفال دونهن، والفحول أمامهن، ويجلس لهم مرب مؤمن يحسن القراءة والكتابة والفهم فقط، فيقرءون آية من كتاب الله، ويتغنون بها، ويتلذذون بألفاظها، ويحفظونها، ثم يبين لهم مراد الله منها، فإن كان معتقداً اعتقدوه، وإن كان أمراً نهضوا به، وإن كان نهياً تركوه، وفي الترك راحة، ولن تمضي سنة فقط إلا وقلوبهم قلب رجل واحد، فلا حسد ولا بغضاء، ولا كبر ولا رياء، ولا ظلم ولا فسق، ولا فجور، ولا يبقى في القرية من يفكر بأن يفجر بامرأة أو بنت أخيه، ولا من يمد يده سالباً أو ناهباً مال أخيه، ولا من يموت جوعاً أو يتألم عرياً وهم مكسوون شباعاً حوله، ولن يكون هذا أبداً في جماعة الإيمان والإسلام، ولكن أعرض عنه المسلمون، وكان شيئاً ما كان، فعودوا إلى بيوتكم، وطهروها من الشياطين، وأبعدوا عنها الشياطين من الجن، فقد فتحتموها للأبالسة والشياطين، فوضعت فيها التلفاز على اختلافه، والفديو وما إلى ذلك، فجلسون والمرأة تغني أمامكم، فاستحووا من الله، وخافوا منه، وابكوا بين يدي الله، فليس مؤمناً من يشاهد عاهرة ترقص أمامه، وأمه وبناته يشاهدنها، فتحولت بيوت المسلمين إلا ما رحم الله إلى مباءات للشياطين، فانتشر الفجور والباطل والفساد، فحولوا هذه البيوت إلى بيوت ربانية بهذا الكتاب فقط، فإذا صليتم المغرب أو العشاء وتعشيتم فليجلس الرجل وإلى جنبه أم أولاده وأولاده بين يديه، ويديه آية يتغنى بها، ويسمعون كلام الله الطيب، ومن لم يقل: طيباً فقد كفر، فهو أطيّب كلام في الكون، وليس هناك ما هو ألد من كلام الله، فيتغنون بالآية حتى تحفظ، ويقول: المطلوب أبنائي! هو أن نفعل كذا وكذا، فهيا من الآن، وإذا كان المكروه كذا فمن الآن لن نقله، ولن نتكلم به، ولن نلبسه ونعمله، وهكذا كل عام وطول الحياة، ففتحول بيوتنا إلى بيوت ربانية تغشاها الملائكة وتعمرها، ولا تسأل يا طالب الدنيا والمال عن توفر المال، فستعزف عنه النفوس هكذا، وتهرب منه ولا تبالي به، وينتهي هذه الشره والطمع والتكالب على الدنيا وأوساخها، فالنفوس لا تعالج إلا بهذا النور الإلهي، وقد عالجتموها بالمنظمات والآراء والفلسفة الاشتراكية ولم تحصلوا على العلاج، بل زدتهم هبوطاً وسقوطاً، وإلى الآن ما وصلنا إلى شيء، وكنت أردد: لو أعرف أن أهل قرية اجتمعوا عليه في الشرق أو الغرب والله لحججتهم، وزرتهم لأدخل مسجدهم، ولكن لم يفعل ذلك أحد.

وقد وردني اليوم أو أمس كتاب من الهند بلاد الهنادك وفيه: أن سيداً قال: لقد قمت بترجمة كتابك، وكان ترجم لنا رسالة صغيرة، قال: وانصحنى، فكتبت له: إن أنت ترجمته ووزعته على خمسين مسجداً وخمسين بيتاً وجئتني بشهادة موثوقة أن أهل المسجد يجتمعون على هذا الكتاب كل ليلة، ويقرءون يوماً آية ويوماً حديثاً، وأن أهل البيت كذلك بشهادة عدول أعطيك كل سنة ثلاثين ألف روبية ما حييت، ووقعت.

وليس هناك تشجيع أكثر من هذا، ولن يفعل ذلك أحد.

وا حر قلباه ممن قلبه شبح لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي والفتن تلتهم العالم الإسلامي التهاماً، وهم معرضون.

وجوب العدل في الحكم والشهادة وحرمة ترك العدل من أجل البغض والعداء

النداء الذي بين أيدينا الآن هو [النداء الحادي والثلاثون] ومضمونه وفحواه ومحتواه [في وجوب العدل في الحكم] إذا حكمت [و] في [الشهادة] إذا شهدت [وحرمة ترك العدل من أجل البغض والعداء] فلا يشهد على أخيه بالباطل إذا أبغضه، ولا يحكم عليه بالباطل إذا كرهه، وهذا الجو ليس في دار الإسلام، فالإسلام أقامه الله على

العدالة التي قام أمر السماء والأرض عليها، فإذا اختلت العدالة هبط الكون بكامله [و] أخيراً احتوى أيضاً على [الأمر بتقوى الله عز وجل] .

وهو [الآية (8) من سورة المائدة] والنص بعد [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المائدة:8]] وتلاوة هذه الآية ليس فيه ألم ولا صدام ولا جوع ولا خوف، فلو تليت ربع ساعة لحفظها والله الذكي والبليد مثلي.

ولو يحفظ المؤمن أو المؤمنة .. الطفل والطفلة آية كهذه فهي والله لخير من ملء كفه ذهباً، فلنحفظها ونستريح في بيوت ربنا هكذا، ونترك الدنيا وراءنا ساعة أو ساعات؛ إذ ليس لها قيمة، وكلها أوساخ، ومآلها الفناء والدمار. الطرق المحققة للخوف من الله عز وجل

قال: [ولنعلم أن الخوف من الله الحامل للعبد على النهوض بالواجبات وأداء الحقوق والأمانات هذا الخوف يكتسب ويطلب] فلا يأتي عفواً تلقائياً، ولا تجد نفسك إلا وأنت تخاف الله [وطريق طلبه واكتسابه للحصول عليه هو] ما يلي، فلنستعد للإتيان بها: [أولاً: ذكر قدرة الله تعالى التي لا يعجزها شيء] فاذا في قلبك أن الله قادر على أن يأخذ منك ويعطيك، وأنه على كل شيء قدير؛ فتخافه، وأنت إذا شاهدتم عفريتاً في يده عصا تخاف أن تسبه أو تستتمه؛ لأنه سيضربك، والهزيل الضعيف الأعرج اللاصق بالأرض ما تبالي به، وهذا واقع. فإذا أنت ذكرت قدرة الله وعلمه وإحاطته بكل شيء وأنت لا تملك معه شيئاً خفت منه، وإذا نسيت هذا وما التفت إليه تسبه.

وهم يسبونهم. وهذا المثال واضح.

[ثانياً: ذكر ضعف الإنسان وحاجته إلى ربه، حتى في أنفاسه التي يرددها] فالذي يذكر هذا بقلبه ما يجرو على معصية العظيم.

[ثالثاً: ذكر ما توعد الله تعالى به الفاسقين عن أمره، الكافرين بطاعته] من أنواع البلاء والشقاء والعذاب في الدنيا والأخرى، فلا ينسى هذا المؤمن؛ لأنه يحمله على تقوى الله.

[رابعاً: ذكر ما أحل الله بأعدائه من خراب ودمار وهلاك وخسران] فاذا ذكر فقط ما أحل الله بالمسلمين من الهوان والدون لما عصوه وفسقوا عن أمره.

[خامساً: ذكر ما فاز به أولياء الله تعالى من كمال وعز وسيادة في الدنيا، وما هو مأمول لهم في الآخرة من نعيم مقيم في دار السلام] لأولئك الصالحين الأولين.

[بهذا الذكر بالقلب واللسان يوجد الخوف من الله تعالى في القلب، وإذا وجد الخوف كانت التقوى التي هي طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم باعتقاد وقول وفعل ما أمر الله به، وأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم، وبترك ما نهى الله عنه و [نهى عنه] رسوله صلى الله عليه وسلم من اعتقاد باطل وقول سيء وعمل فاسد، وهو كل ما حرمه الله ورسوله من الاعتقادات الباطلة، والأقوال الفاسدة الضارة، والأعمال كذلك.

وحسب العبد ألا يغفل عن قوله تعالى في ختام هذا النداء، وهو: إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المائدة:8]] أي: والله بما تعملونه من كل عمل مطلع وخبير، فارهبوه وخافوه [فإنه يوجد ملكة مراقبة الله تعالى] في قلب العبد [ومن أصبح يراقب الله تعالى في كل ما يأتي وما يذر فقد حقق التقوى والولاية الإلهية، وأصبح من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا والآخرة.

اللهم اجعلنا منهم] وارض عنا كما رضيت عنهم [وتولنا كما توليتهم.

آمين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه. العدل طريق إلى تقوى الله عز وجل

قال: [أمر تعالى بالعدل مكرراً الأمر الأول] فقال [مؤكداً له بأمر آخر، إذ قال عز من قائل: كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا [المائدة:8]] أي: لا يحملنكم بغض قوم أن تشهدوا عليهم

بالباطل، ثم قال: [اَعْدِلُوا [المائدة:8]] وهذا أمر ثالث، ومن قال: لا، مسح اسمه من ديوان المؤمنين، فهو ليس بمؤمن [هُوَ [المائدة:8]] أي: العدل [أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى [المائدة:8]] فمن أراد أن يصل بسرعة إلى تقوى الله عز وجل فليعدل في شأنه كله، فالطريق المفضي بالعبد والموصل إلى التقوى هي أن يعدل في قوله وعمله وحكمه [أي: العدل في الحكم والشهادة، وفي كل ما يقوم به العبد لله من طاعات هو أقرب لتقوى الله عز وجل، التي هي شطر ولاية الله] تعالى [للعبد] فقد قال: هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى [المائدة:8]؛ لعلنا نريد التقوى؛ حتى نصبح أولياءه، إذا سألناه أعطانا، وإذا استعذناه أعاننا وإذا استنصرناه نصرنا بحكم الولاية.

وهذه الولاية تكون بشيئين: أولاً: الإيمان الحق، وثانياً: التقوى. وكل ما يقربك للتقوى فمعناه: أنه يحقق لك الولاية التي تطلبها وتجري وراءها طول حياتك. وليس هناك هدف أسمى من أن يكون الله وليك وأنت وليه قال: [لما علمنا من أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون، وأعداؤه هم الكافرون الفاجرون.

وبناء على هذا فكل ما يقرب من تقوى الله عز وجل أو يحققها فالقيام به واجب أكيد، لا يصح التفريط فيه بحال من الأحوال.

ويؤكد صحة هذا ويقرره أن ختم الله تعالى هذا النداء العظيم بالأمر بتقواه؛ إذ قال: وَاتَّقُوا اللَّهَ [المائدة:8]] وهذا أمر بتقواه [أي: خافوه خوفاً يحملكم على القيام التام بما أوجب عليكم القيام به من سائر التكالييف التي أنزل الكتاب بها، وبعث الرسول] صلى الله عليه وسلم [من أجلها، وبخاصة القيام بالعدل في الأحكام والشهادات]. الفرق بين القائم والقوام

قال: [وأن يكونوا قوامين لا قائمين فحسب] يعني: فقط. فهو ما قال: يا أيها الذين آمنوا! كونوا قائمين؛ لأن القائم يقعد، ولكن قال: قوام؛ لأن القوام لا يفارق القيام أبداً، فلا إهمال ولا تفريط في حال من الأحوال [إذ القوام كثير القيام بالحقوق والواجبات، بخلاف القائم فإنه أقل قياماً من القوام] فلذا اختار الله كلمة قوامين ولم يقل: قائمين. أهمية الإخلاص في قبول الأعمال

قال: [وقوله: يَلَهُ [المائدة:8]] فبدأ باسمه، أي: كونوا قوامين لله، لا لزيد ولا لعمر، ولا لوطن، ولا لأُم ولا لأب، ولا لسمعة ولا لشرف، ولا لغير ذلك، بل لله.

وفي تقديم هذا الجار والمجرور حصر كامل، فلا يصح العمل لغير الله بحال من الأحوال [نفي للشرك في كل ما يقوم به عبد الله المؤمن من عبادات وحقوق وواجبات أمر الله بها، وأوجبها على عباده المؤمنين] فعلى كل من قام بعبادة من المؤمنين والمؤمنات يجب أن يقيمها على أسس الشرع، ولا يلتفت إلا إلى الله، ولا يحسنها لفلان، أو يعدلها لأجل فلان، أو ليرضى فلان، أو يسخط فلان، بل ينقطع كلية عن الخلق.

وهذا هو إسلام الوجه إلى الرب.

وأما إذا التفت بقلبه فلا ينفعه قيامه.

وجوب العدل في أداء الشهادة

قال: [وكما أوجب تعالى العدل في الأحكام وفي كل ما يقوم به المؤمنون من طاعات الله أوجب العدل في أداء الشهادة؛ لأنه بالشهادة تؤدي الحقوق لأصحابها المشهود لهم، فإن جار الشاهد ولم يقم شهادته على العدل ضاع حق المشهود له، مؤمناً كان أو كافراً، غنياً كان أو فقيراً] فاد الشهادة على يهودي كما تؤديها على مسلم، وعلى الصديق أو أبيك أو أمك كما تؤديها على عدوك وعدو أبيك وأمك؛ لأنهم عبيد الله، وأنت نائب عن الله عندما تؤدي هذه الشهادة.

والآن يشهدون بالوطنية، فلأن هذا من بلادنا أشهد له، أو أشهد لهذا لأنه من قبيلتنا، أو لأن هذا معنا في العمل؛ لأنهم لم يعرفوا؛ لأنهم ما ربوا في حجور الصالحين، ولا عاشوا في بيوت الله مع أوليائه حتى شبوا وبلغوا وكبروا، فلا ترجهم.

قال: [وبما أن الكل عباد الله فلا يأذن الله تعالى بظلم عبد من عباده بإضاعة حقه، وهذا هو سر وجوب الشهادة بالقسط، أي: العدل في قوله عز وجل: كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ [المائدة:8].]
اذكر هذا أيها القارئ والمستمع! وتأمل قوله تعالى في هذا النداء: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ [المائدة:8]، أي: ولا يحملنكم بغض الكافرين وعداوتهم أو بغض كل من تبغضونه وعداوة كل من تعادونه لأمر اقتضى بغضه أو عداوته من المؤمنين والكافرين، أو الموحدين والمشركين، لا يحملنكم ذلك البغض على أن تجوروا في الحكم إذا حكمتهم، أو في الشهادة إذا شهدتم [ولا يوجد من يشهد اليوم مع يهودي أو نصراني بالعدل، بل يشهد عليه حتى يأكل ماله، ولست واهماً في هذا، بل الشاهد يبغض فقط، فيقول: هذا عدو .. هذا خرافي.. هذا صوفي .. هذا وهابي .. هذا من الجماعة الفلانية، فيشهد عليهم بالباطل والله العظيم، إلا من رحم الله، ولا لوم؛ لأننا ما ربينا في حجور الصالحين، ولم نجلس بين يدي الربانيين، ولا تخرجنا عليهم.]
قال: [ولأهمية العدل في الأحكام والشهادات لها إذ القاضي يصدر حكمه باعتراف الجاني] إذا اعترف [أو شهادة اثنين من المؤمنين] كما قال الحبيب واضع هذه القاعدة، وقد انتفعت بها أوربا، وقد أخذتها من عندنا، ونحن أهملناها، ومهما كان القاضي فعنده هذا الحكم، وهو (البينة على المدعي واليمين على من أنكر).
ويجلس على الكرسي.

والذي وضع هذا القاعدة هو أبو القاسم، ولا تستطيع محكمة الدنيا تدعي العدل أن تخرج عن هذه القاعدة، فهذا مستحيل.

فالبينة على المدعي، فإن ادعيت أن البغلة لك فهات البينة، فإن لم يكن عندك فعلى الثاني أن يحلف بالله، وانتهينا. إذاً: ومن البينة الشهود، فالشهود أنابهم الله عنه؛ لأنه في عالم العلو، فأنا عبدين، فإن جارا وقالوا الباطل فيا ويلهما! لأنهما وقعا باسم الله بالكذب والخيانة، ولهذا شهادة الزور صاحبها في أسفل الكون؛ لأن الله أنابه عنه؛ لأن هؤلاء عبيده وهو فوقهم، وأنت النائب، وتشهد باسم الله تعالى، وينتقل المال أو السيارة أو الدار لفلان بظلمك وشهادتك. وليس هناك جريمة أعظم من هذه.

وقد حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، وبدأهم بالسؤال عن أكبر الكبائر يعلمهم، فقال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس وقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، وما زال يكررها (منفعلاً) حتى قالوا: ليت سكت!). وخافوا.

وقد قلت لكم: بلغنا أن حول المحاكم جماعات يطوفون، فإذا كنت تريد شهادة شهدوا لك، ولا لوم؛ لأنهم ما عرفوا الله ولا رسوله، ولا حب الله ولا رسوله، ولا ما هي العبادة ولا الطاعة، وإنما هم مسلمون بالاسم، وهذا لا ينفع، فإذا كتبنا على كل ثوب مسلم لم يكن صاحبه مسلماً إذا لم يسلم لله شيئاً، لا لسانه ولا وجهه، والسبب في هذا الضياع إعراضنا عن الكتاب والسنة، وهروبنا من بيوت الله. أهمية العدل في كل شأن من الشئون.

الآن مع [الشرح] لهذا النداء لعباد الرحمن، فاسمع يا عبد الله! واسمعي يا أمة الله!: [اذكر أيها القارئ الكريم!] ولا تنسى [ما تقدم من أمر الله تعالى لعباده المؤمنين به وبلقائه] من أمره إياهم [بالعدل] في نداء سبق في أول السورة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة:1] [وهذا أمر آخر] وتقدم أمر أيضاً في النساء، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنَّ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا [النساء:135].

فهذا النداء هو الثالث إذاً [وذلك لعظم شأن العدل وأهميته وضرورته في كل شيء، حتى أن أمر السماء قام على العدل] ولولا العدل في وضع السماء والأرض لانهارت السماوات، وانكفأت الأرض، ولكن لما وجد كل شيء بنظام بقي على مكانه.

وتذكرون عبد الله بن رواحة لما بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم في خيبر ليحرز ويخرص الغلة، نصفها للرسول ونصفها لليهود، فحاولوا أن يرشوه حتى يخفف عنهم فقال لهم: جئتم من عند أحب الخلق إلي، وأنتم أبغض الخلق إلي، ولن يحملني حب رسول الله ولا بغضي لكم على أن أجور أو أحيف، فقالوا: صدقت يا عبد الله! على العدل قام أمر السماء والأرض.

واليوم لا يوجد عدل في ديارنا، ووا حر قلباه! ولا تلومونا أبداً، فنحن ما علمنا وما جلسنا في حجور الصالحين، ولا تربينا، وبهذا لن نكون كملاً أطهاراً أصفياء، ونحن بعيدون عن ساحة الطهر والصفاء منذ نعومة أظفارنا، وإنما نحن في الملاهي وأماكن الغناء والملاعب، ولا تقولوا: هذا مستحيل، وأنت يا شيخ! تبالغ، وأقول: اسمعوا الله يقول: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة:2].

ويوم أن انقطع من يتلو علينا الكتاب والحكمة ويزكينا يومها هبطنا. وأصبح القرآن تقرأونه على الموتى، لا أقل ولا أكثر، ولم يقل أحد لأخيه: من فضلك أسمعني نداء أمس؛ فأنا ما سمعته، هذا لا يحدث أبداً، أو يقول: أنا لا أحسن القراءة، فمن فضلك اقرأ علي نداء من نداءات ربي؛ فأنا أريد أن يعظم حب مولاي في نفسي، وأريد أن أتعلم منه ما ينفعني عنده، فاقرأ علي. لا أحد يقول هذا.

قال: [فاذكر هذا وأصغ تسمع ما في هذا النداء من الأمر بالقيام لله تعالى بكل ما أوجب على عباده القيام به من العبادات والآداب والأخلاق والأحكام] فالوضوء إن لم تعدل فيه بطل وضوءك، وصلاتك إن لم تعدل فيها بطلت، وكذلك صيامك، فالعدل قام عليه أمر السماء والأرض، حتى في خياطة ثوبك إن لم تعدل في خياطته تمزق ولم تنتفع به، وكذلك طعامك الذي تطبخه إن لم تقمه على العدل فسد وبطل، ولم تنتفع به. ولا تظن أن العدل في الحكم فقط؛ إذ هذه كلها أحكام أنت تصدرها.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 33

الله عز وجل هو ولي المؤمنين؛ يدافع عنهم، ويكبت عدوهم، وقد امتن الله على عباده المؤمنين بنصره لهم في مواطن كثيرة، سواء فيما يتعلق بعموم المسلمين أو ما يخص نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، فجعل سبحانه وتعالى حمايته له صلى الله عليه وسلم بمثابة حماية الدين، ودفاعه عنه صلى الله عليه وسلم بمنزلة الدفاع عن كل أفراد المؤمنين.

الأمر بذكر النعم لشكرها وتقوى الله عز وجل والتوكل عليه سبحانه وتعالى

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

جعلنا الله منهم وحشراً في زمريتهم، ورضي عنا كما رضي عنهم.

أمين! وهذه النداءات الإلهية البالغة تسعين نداء قد علمتم وتكرر علمكم أنها احتوت على كل ما تتطلبه حياة المؤمن، وما تركت شيئاً تتوقف عليه سعادتك أيها المؤمن! إلا وقد بينته، بحيث لو أن مؤمناً أو مؤمنة يحفظها عن ظهر قلب، ويعلم ما دلت عليه وهدت إليه ويطبقه لأصبح من أهل ولاية الله وكرامته، وأصبح قبل ذلك من أهل العلم والبصيرة في دين الله، وسما وارتفع، فكان سيداً لمن دونه.

وهذه سنة الله التي لا تتبدل، فمن علم وعمل دعي في السماء عظيماً، ولن تدعى في السماء من عظماء الرجال وأنت في الأرض من دونهم، فهذا ما كان ولن يكون، ولن تكون فوقهم وسيدهم وأشرفهم.

وهذه سنن الله، فالطعام يشبع، والماء يروي، والنار تحرق، والحديد يقطع، وهذه سنن لا تتبدل، وكذلك بالعلم والعمل والإيمان والتقوى تتحقق ولاية الله، ولن تتخلف.

وهذا هو [النداء الثاني والثلاثون] وقد درسنا واحداً وثلاثين من تلك النداءات من أول رمضان إلى اليوم، وفحوى هذا النداء ومضمونه ومحتواه وما يتحمله هو [في الأمر] أي: أمر الله عبده المؤمن أو أمته المؤمنة [بذكر النعم] حتى لا ينساها، والمراد من ذكر النعمة [لشكرها] أي: شكر المنعم، ويكون شكره بحبه وطاعته، وبذلك تفتح أبواب السماء لأوليائه.

[و] كما تضمن أيضاً [تقوى الله عز وجل] لأنها الخطوة الثانية في تحقيق ولاية الرحمن، ونحن موقنون بهذا ومؤمنون، فلا ولاية إلا بتقوى الله عز وجل؛ لأن الله عز وجل قال: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62].

ثم بين أولياء الرب فقال: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63].

فبالإيمان الحق والتقوى الصادقة تتحقق ولاية الله للعبد، ومن والاه الله والله لا يخاف ولا يحزن لا في الدنيا ولا في البرزخ بعد الموت ولا في الحياة الآخرة.

فقد قال تعالى: لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ [يونس:64].

وليس هناك من يعقب على هذا الحكم، فقد قال تعالى: لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [يونس:64].

[و] تضمن أيضاً هذا النداء وجوب [التوكل عليه سبحانه وتعالى] لأن السالك لطريق النجاة تعترضه العقبات الكأداء، والمخاوف والتهاويل، فلا بد وأن يطرح بين يديه، ويفوض أمره إليه، ويسارع إلى طريقه حتى النجاة، فإن تملل أو خاف أو رجع انقطع.

فلا بد من التوكل على الله.

وآية هذا النداء هي [الآية (11) من سورة المائدة] المباركة، وقد احتوت على ما سمعتم، الأمر بذكر النعمة لشكرها، وتقوى الله عز وجل، والتوكل عليه سبحانه وتعالى.

وهيا بنا نتغنى بهذا النداء، وممكن أن نجد لذادة في ذلك إذا كانت النفوس طاهرة، وأما إذا كانت خبيثة فإنها لا تطيق، وتريد أن تسمع صوت ليلي وسلمي؛ لأنها تطرب وتذوب، وقد كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم؛ لأنهم ما يطبقون سماعه؛ إذ في آذانهم وقر، أي: ثقل، وهو عليهم عمى، وهؤلاء هم الكافرون المشركون المكذبون، أو بعبارة: الأموات غير الأحياء؛ لأن الكافر ميت لا حياة له.

[أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المائدة: 11]] ومن حفظها يصلي بها ركعتين قبل صلاة العشاء؛ فإنها تستقر في ذهنه.

ومع [الشرح] لهذا النداء الكريم، الذي هو نداء الله رب العالمين لأوليائه المؤمنين. جعلنا الله منهم.

وها أنتم منهم والحمد لله، وملايين البشر كلهم غضب الله عليهم، وسخط ولعنهم، وأعد لهم مصيراً مظلماً، لا يطاق أبداً، ووالله لو ينكشف منه شيء على العبد لأغمي عليه، ولفقد حياته. وأنتم رزقكم الإيمان بفضله، وما جاهدتم ولا تعبتم، فالحمد لله، فحققوا التقوى يكمل لكم الكمال.

الأمر بالتوكل على الله عز وجل

قال: [وأمرنا] تعالى [بالتوكل عليه لا على غيره] في قوله: وَعَلَى اللَّهِ [المائدة: 11] لا على سواه، فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المائدة: 11].

فليعتمدوا على الله، وليظهروا للدنيا أنهم أداة الإسعاد والإكمال في الحياة [إذ التوكل عليه يحقق المطلوب بدفع الأذى وتحقيق الخير الكثير، وأما التوكل على غيره فإنه يجلب الخيبة والمذلة والضياع. ألا أيها المؤمن القارئ والمستمع! اذكر هذا ولا تغفل عنه؛ فإنه سلم سعادتك، ومفتاح كل نعيم يحصل لكم. وفقنا الله تعالى لذلك، وزادنا رضاه. آمين].

معاشر المستمعين! خلاصة هذا: ما منا إلا وقد كف الله عنه يوماً الأذى، إما مرض وإما جوع، وإما خوف وإما غير ذلك، ونحن لا نذكر ذلك ولا نشكره. وقد أقول: بالتجربة ما من مرة يغمض أحدنا عينيه ويذكر ما أصابه إلا بكى. فاذكروا نعم الله عليكم؛ فإنها تحملكم على الشكر [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصلى الله على نبينا محمد.

الأمر بتقوى الله عز وجل

[وأخيراً] تأمل [أمره تعالى للمؤمنين بتقواه بقوله: وَاتَّقُوا اللَّهَ [المائدة: 11].

وذلك لما في تقواه عز وجل من رضاه وولايته الموجبة للسعادة والكمال في الحياتين. ألا فلنتق الله تعالى [واتقاء الله ليس بالجيش الجرارة، ولا بالحصون المتينة، ولا بالأسوار، ولا بالسلاح، وإنما بالإسلام له، فأعطه قلبك ووجهك، ولا تلتفت إلى غيره، وليكن هو همك، ولا هم لك سواه، فافعل ما يأمرك، واترك ما ينهاك، وتكون بذلك قد اتقيت غضبه وعذابه وسخطه، ولا يتقى بغير هذا.

ولكن الذي لا يعرف الله لا يتقيه، والذي لا يعرف ما يحب الله وما يكره لا يتقيه.

وعدنا من حيث بدأنا، ألا فلنعلم أنه لا إله إلا الله، فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل: 43].

ووالله ما يستطيع آدمي أن يعبد الله عبادة حقة إلا إذا عرف الله، وعرف ما يحب وما يكره، ولا يمكنه أن يعرف هذا دون أن يقرأ كتابه، وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم، ونحن لا نقرأ؛ لأننا مشغولون، فالدنيا قد أكلتنا، فنحن نجري وراء الطعام والشراب واللباس، وهذه مشكلة لا بد لهما من حل.

والحل هو: يا أهل القرية! ويا سكان الحي! اعملوا من بعد صلاة الصبح، فصلوا الصبح في جماعة ثم انطلقوا إلى ميادين العمل في جد وصدق، فهذا يبني وهذا يهدم، وهذا يحصد وهذا يبذر، وهذا يصنع وهذا يروج إلى أن تغيب الشمس أو تكاد، فتغتسلون أو تتوضئون وتأتون إلى بيت ربكم، وهو المسجد، وتجتمعون نساء وأطفالاً ورجالاً، وتتعلمون ليلة آية وأخرى حديثاً، فتتعلمون الكتاب والحكمة، فإذا النفوس تزدهر، والمعارف تنمو، والإخاء يتوثق، وإذا بكم لا تخافون الموت أبداً، ولا تخافون الفقر أبداً، والقليل من طعامكم والله يصبح كافياً، والقليل من لباسكم والله يفيض عنكم، و تسعدون رغم أنف الدنيا كلها؛ لأنها سنة الله عز وجل، وبدون العلم بالله لا يتقى الله، وبدون معرفة كيف نتقيه لا نتقيه، فلا بد من العلم.

ولا تقولوا: المدارس امتلأت بها الدنيا في كل العالم الإسلامي، وكذلك الكليات والجامعات؛ لأنه لا آثار لتلك المدارس والعلوم والمعارف، فهي ما ظهرت بالمودة والإخاء والحب والولاء، ولا ظهرت بالتعاون على البر والتقوى، وترك التعاون على الإثم والعدوان، ولا تجلت آثارها في قراءة الصحف والكتب، ولم تنفع، وأنا لا أقول: عطلوها أبداً.

وإنما فقط هيا نعود إلى الله عز وجل في صدق، فإذا غابت الشمس لم يبق رجل ولا امرأة في غير بيت الرب أبداً، فلا دكان ولا مقهى ولا باطل ولا غير ذلك، بل أهل البيت في بيت ربهم يتعلمون الكتاب والحكمة كل ليلة، ولا يمضي زمن إلا وهم ربانيون، أفضل من سيدي عبد القادر مليون مرة.

فإن رفعوا أكفهم إلى الله لم يردّها خائبة أبداً، ولرهبهم الإنس والجن، ولا تقل: هذا رجعي، والناس يملكون الهيدروجين والذرة والصواريخ؛ إذ هذا يأتي عفواً، وسيأتيك ذلك؛ إذ الله يدفعك إليها، فتصنعها وتنتجها قبلهم، وهو لن يهلك وقد عرفته وعرفك.

ولذلك عليك أولاً: أن توجد ولاية الله في نفسك، والذي أعطاهم سيعطيك أضعاف ما أعطاهم. والغافل يقول: الشيخ يريد أن نرجع إلى المسجد! وأقول: الرجوع إلى المسجد معناه: أن نرجع للطاقة النورانية؛ لنصل إلى السماء، والذين هربوا من المسجد لم يصلوا إلى شيء، بل وصلوا الحمامات والخانات، وإلى المنكر والباطل والخبث والشر في أوروبا وأمريكا في العالم الكافر الذي خمت الدنيا منه وتعفنت، فهي أوساخ لا قيمة لها. من مظاهر ولاية الله لنبيه وللمؤمنين إنجاؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم من محاولة قتله بالسّم في خيبر

قال: [وثالثة] أيضاً: [تأمر يهود عليهم لعائن الله على قتله صلى الله عليه وسلم] وذلك [بإطعامه سمّاً] في غداء، فذبحوا له شاة، وجعلوا فيها السم، وهي مصلية ومشوية، وذلك في خيبر [فنجاه الله تعالى.

فهذه النعمة نعمة نجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من القتل حتى يتم الله شرعه ويكمل دينه، ولما نزلت آية: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة: 3] توفاه الله [إذ تمت الرسالة، وتم دين الله وكمل، فلو كان قتل في المرة الأولى أو الثانية أو الثالثة لما كمل الدين، ولما عرفنا كيف نعبد الله، ولا كيف نعرفه. فهذه النعمة تشمل كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة؛ ولهذا نادى الله المؤمنين وهو يعلم أنهم باقون إلى يوم القيامة، فهذا النداء لا ينتهي بعهد نزول القرآن.

وقد توفاه الله تعالى [في حجرته المشرفة التي دفن فيها] فقد مات فيها ودفن فيها، ولم يوجد نبي على سطح الأرض يعرف قبره وداره وحجرته إلا هو صلى الله عليه وسلم.

وأزيد كلمة: اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والجن والشياطين وكل عدو لله ولرسوله وللمؤمنين والله ما استطاعوا ولن يستطيعوا أن ينالوا تلك الحجرة بسوء، أو ينبشوا ذلك القبر، فقد حماه الله ألفاً وأربعمائة سنة، فقولوا: آمنا بالله، وهناك مجوس يحاولون إلى الآن، ويريدون أن يدخلوا الحجرة ويعبثوا بها، ويخرجوا الشيخين رضي الله عنهما، ولكن الله مخزيهم ومذلهم إلى يوم القيامة؛ لأنه ولي محمد والمؤمنين.

قال: [ودفن معه صاحبا الشيخان أبو بكر و عمر رضي الله عنهما وأرضاها]. امتنان الله على المؤمنين بإنجائه لرسوله صلى الله عليه وسلم من محاولات القتل المتعددة

قال: [لهذا نادى الله تعالى عباده المؤمنين بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ [المائدة: 11]، أي: بإنجاء نبيكم من القتل المدبر له صلى الله عليه وسلم من قبل أعداء التوحيد وأعداء الإسلام اليهود.

وبين ذلك بقوله: إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ [المائدة: 11] وبسط اليد معروف، فقد بسطها ليضرب [أي: يقتل نبيكم. فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ [المائدة: 11].

المساس بشخص النبي صلى الله عليه وسلم هو اعتداء على كل مؤمن، وحمايته حماية لمستقبل الدعوة وكيان الأمة

قال: [تأمل أيها القارئ!] والمستمع! [كيف نسب الله تعالى القتل إلى المؤمنين، والمتآمر على قتله هو نبيهم صلى الله عليه وسلم، فتفهم أن على كل مؤمن ومؤمنة أن يفدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله وولده ووالديه والناس أجمعين. وهو كذلك.

وتأمل قول الله تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ [الأحزاب: 6] فهو أولى بالحياة، وأولى بمقتضيات الحياة، وأولى بالأكل والشرب واللباس وفي كل شيء، فهو مقدم علينا، ونموت كلنا ويحيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونجوع كلنا ويشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونخاف كلنا ويأمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وقد عرف هذا أصحابه فأحبوه وأطاعوه، وقد انتهى بهم ذلك إلى السيادة والكمال والعز والطهر والصفاء.

وإذا تأملت قول الله تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ [الأحزاب: 6] فإنه [يتبين لك سر أمر الله تعالى عباده المؤمنين بذكر نعمة الله عليهم بنجاة نبيهم من مكر أعدائه به ليقتلوه، فكف أيديهم وصرفهم خائبين خاسرين] في ثلاث مرات.

من مظاهر ولاية الله لنبيه وللمؤمنين إنجاءه لنبيه صلى الله عليه وسلم من محاولة بني النضير قتله

قال: [ومرة أخرى] أيضاً [وهي أن يهود بني النضير] وقبيلة بني النضير شرق المدينة [تأمروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلقوا عليه رحي من سطح المنزل الجالس تحته؛ إذ ذهب إليهم مع بعض أصحابه لمهمة تطلبت الذهاب إليهم بمقتضى المعاهدة السلمية التي كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم] وكانت الاتفاقية أو المعاهدة السلمية بينه صلى الله عليه وسلم وبين بني النضير أنهم إذا كانت هناك دماء أو أموال يتعاونون على سدادها بمقتضى الاتفاقية، وإذا أصيبوا بحادثة فالرسول يساهم معهم في تخفيفها، وإذا أصيب الرسول أيضاً بحادثة فيساهمون أيضاً في التخفيف عنه، فحدث قتل بين صحابيين وديتين، فذهب ليطلب المساعدة منهم بموجب الاتفاقية، وليس صدقة، فلما جلس مع بعض أصحابه، قالوا: الفرصة متاحة، واليوم ننهي حسابه معنا، وهو تحت ظل الجدار، وكان البناء قديماً طابقاً واحداً كما تعرف الدنيا في ذلك الوقت، فقالوا: نأخذ رحي-مطحنة- ونطلقها عليه، وبالفعل أعدوا العدة وأرادوا أن يفعلوا ذلك [لكن الله تعالى خبيهم حيث أوحى إليه صلى الله عليه وسلم بالمؤامرة] وأوحى الله إليه أن قم، فالقوم قد مكروا [فقام سريعاً مع أصحابه] فأخذ ثيابه ومشى مع أصحابه [وندم اليهود لما فضحوا، وأمر الله رسوله بإجلائهم بحكم المعاهدة التي نقضوها، فحاصرهم صلى الله عليه وسلم برجاله، وأجلاهم عن المدينة، فالتحقوا بالشام] ومن ثم نقض المعاهدة، وأعلن الحرب عليهم، وطوقهم وأجلاهم بإذن الله، كما قال تعالى: وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الحشر: 3-4].

هؤلاء بنو النضير.

والرسول صلى الله عليه وسلم كان سياسياً، والله ما اكتحلت عين الوجود بأعظم سياسة رشيدة من سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله الذي لا إله غيره لا توجد سياسة رشيدة سليمة محيية معطية نافعة غير ضارة إلا في الإسلام، أي: في القرآن والسنة، ومن أعرض عن الكتاب والسنة فوالله أنه لا يبرح يتخبط في الضلالات حتى يتمزق، وأحلف هذا الحلف لأن عالمكم الإسلامي يتخبط اليوم بعد أن أعرض عن الكتاب والسنة.

من مظاهر ولاية الله لنبيه وللمؤمنين أن أنجاه من محاولة غورث بن الحارث لقتله

قال: [وقد تكررت محاولة قتل نبيهم صلى الله عليه وسلم عدة مرات، وفي كل مرة يكف الرب تبارك وتعالى أيدي الخادعين الماكرين، فلم يصلوا بالأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالضرب أو القتل] والحمد لله.

[ومن تلك المرات محاولة غورث بن الحارث الواردة في الصحيح] أي: صحيح الأحاديث [وهي أن (غورث الأعرابي رأى النبي صلى الله عليه وسلم قد نزل منزلاً، وتفرق أصحابه عنه) هنا وهناك] (يستظلون بالأشجار للاستراحة) [وهم في غزاة (من عناء الغزو والتعب والسير في سبيل الله، وقد علق النبي صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة واستراح كما استراح أصحابه، وإذا غورث الأعرابي يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ سيفه من الشجرة)] إذا علق النبي صلى الله عليه وسلم سيفه على الشجرة ودلاه [(وسله)] غورث [(من غمده، أقبل على الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: من يمنعك مني؟)] والسيف مصلت، وهو سيف أبي القاسم، فلم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: علي بن أبي طالب، وإنما [(فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: الله عز وجل)] وإي والله، فالله هو الذي يمنع، وإذا لم يمنعه الله فلو اجتمع أهل الأرض ما منعه [(قال الأعرابي مقالته ثلاث مرات، والرسول صلى الله عليه وسلم يرد عليه بقوله: الله عز وجل، فسقط السيف من يد غورث)] وانهار [(وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم ساكناً)] خامداً لا حراك له، وكأنما خدر، وانهار تماماً [(لا يتكلم)] أبداً [(والرسول صلى الله عليه وسلم معرض عنه)] لا ينظر إليه، ولا يلتفت إليه، وتركه [(ودعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي وهو جالس)] أنه أتاني وسيفي معلق، وانتزعته وسله من غمده، وأراد أن يقتلني [(ولم يعاقبه)] ولو كنت أنت أو أنا لقننا: يا مجنون! يا أحمق! يا مسحور! ولكن: فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ [الشورى:40].

وإذا عفوت فقد سموت ونجوت [ولعل الأعرابي كان مبعوثاً من قوم مشركين؛ ليقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم] وهو كذلك [فهذه نعمة، وهي نعمة نجاة نبيهم من القتل على أيدي أعدائه وأعدائهم] وهذه واحدة، ولو مات الرسول صلى الله عليه وسلم لما اجتمعتم الليلة، ولا عرفتم الله ورسوله، ولانتهى كل شيء [وهي أكبر نعمة شملت المؤمنين من عهده صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة. سبب مناداة الله تعالى لعباده المؤمنين]

اعلم أيها القارئ الكريم! [أن الله تعالى لا ينادي عباده المؤمنين به] أي: بوجوده وربوبيته وألوهيته وولايته [وبلقائه] يوم القيامة [إلا ليأمرهم بفعل ما يكملهم أدباً وأخلاقاً، ودولة وسلطاناً، ويسعدهم في دنياهم وأخراهم] والله تعالى لا ينادي عباده لا لشيء، فقد تنزه الله عن اللهو والباطل والعبث، فهو لا يناديهم إلا ليأمرهم أو ينهائهم، أو يبشرهم أو يحذرهم؛ من أجل أن يكملوا ويسعدوا، ويعزوا ويسودوا، وقد فعل، ومضت ثلاثمائة سنة ما عرفت الدنيا أمة أظهر ولا أرحم ولا أعدل من هذه الأمة، وهذا ليس خيالات، وإلى الآن أعرفنا بالله أتقانا له، وأتقانا الله هو أفلنا شراً وخبثاً وفساداً وهبوطاً.

ولا نحتاج إلى براهين أخرى، ففي قرينك .. في مدينتك .. في حيك أعلمنا هو أتقانا وأفضلنا، ولست واهماً في هذا، ولا أحد يرد هذا، وأجهلنا بالله وأبعدنا عن طريقه هو أفسقنا وأظلمنا وأشرنا.

قال: [لأنه ربهم ووليهم] وخالفهم ومالكهم [والرب لا يريد لعبده ومملوكه إلا كماله وسعادته] فإذا ملك شخص عبداً فإنه يريد له الأذى والضرر، بل يريد له السعادة والكمال [والولي لا يريد لوليه إلا ما فيه كماله وسعادته، والولي لا يريد لوليه إلا ما فيه خيره وكمالته وسعادته] وهذا واقع لا يردده ذر عاقل أبداً [وها هو ذا الله تبارك وتعالى ينادي عباده المؤمنين بهذا النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المائدة:11]] اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اُنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المائدة:11].

وهذا نداؤه، فقد ناداهم وأعطاهم هذا [ليأمرهم بذكر نعمة عظيمة أنعم بها عليهم، هي أنه ما من مؤمن ولا مؤمنة من يوم تلك النعمة إلى يوم القيامة إلا وهو مأمور بشكر الله تعالى على تلك النعمة] لأن عوائدها عادت عليه، وسنعرف هذه النعمة، [والشكر متوقف على ذكر النعمة بعد معرفتها] وفي القرآن الكريم في عدة آيات: يا بني إسرائيل! اذكروا نعمة الله عليكم إذ فعل بكم كذا وكذا وكذا، والمراد: اشكروها، ومن ذكر النعمة وتفكر بها شكرها، ومن نسيها وغفل عنها ولم يذكرها فوالله ما شكر الله عليها.

فالأمر بذكر النعمة معناه: الأمر بشكرها، فاذكر نعمة الله عليكم إذ كنتم كذا وكذا؛ لتشكروه على تلك النعمة، وما شكر الله إلا طاعته، وتلك الطاعة هي سلم الرقي إلى السماء والملكوت الأعلى، وتلك الطاعة هي أدوات حفظ الإيمان والإسلام والطهارة والصفاء والعز والكمال [فلذا قال لهم: اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ [المائدة:11].

وبين موقعها، وجلّى لهم حقيقتها، فقال عز من قائل: إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ [المائدة: 11] [بالضرب والقتل] فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ [المائدة: 11] [وهذه هي النعمة.]
الحث على العودة إلى الله والرجوع إلى الكتاب والسنة وأثر ذلك في عزة المسلمين وسيادتهم

قال الشارح غفر الله له ولكم، ورحمه وإياكم: [اعلم أيها القارئ الكريم!] وهذا القارئ هو الذي يقرأ هذا النداء، فهو نداء الله، ولا يجوز للؤمن ألا يقرأه، ولا أن يناديه سيده ويقول: لا، ما أسمع والعياذ بالله، فينبغي على المؤمن القارئ أن يقرأه، والذي لا يحسن القراءة يقول: لأخيه أو أمه أو من يقرأ: اقرأ علي نداءات ربي.
وعلى أهل المساجد أن يقرءونه طول العام، وأهل البيوت كذلك، وعندئذ سنعود إلى الله تلقائياً بلا عصا ولا حديد و لا رشاش، وإذا عاد المسلمون إلى الله وتعارفوا على الله سادوا وسموا، وما ذلك على الله بعزيز، وليس هناك طريق آخر للسيادة والسمو والله، إلا أن نعود إلى بيوت ربنا بنسائنا وأطفالنا، ونتلقى الكتاب والحكمة ونزكي أنفسنا، وكل ليلة وطول العمر، وعلى امتداد الحياة.

وقد سبقنا لهذا الصحابة ورب الكعبة، وقد سادت أمة الإسلام في عهدهم في ظرف خمس وعشرين سنة، فنشرت العلم والهدى، والعدل والرحمة والإخاء في العالم؛ لأنه كان يجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، فيخرجون في أربعين يوماً أهل علم وبصيرة وهدى ومعرفة، ولم تكتحل عين الدنيا بمثلهم، وهم لم يتعلموا الفلسفة ولا العلم الكاذب، وإنما قال الله وقال رسوله فقط.

وليجرب أي أهل إقليم في العالم الإسلامي، ويجتمعون كاجتماعنا هذا كل ليلة، ونسائهم وراء الحجاب والستارة، ومكبر صوت بينهن، والأطفال صفوف دونهن، والفحول هكذا، والمربي يعلمهم ليلة آية كهذه، وليلة حديثاً، وهم يتعلمون ويعملون ويسمون، والله لن تمضي السنة إلا وأهل القرية قد أصبحوا كوكب في السماء بالنسبة إلى باقي القرى، فلا خيانة ولا غش، ولا كذب ولا فقر، ولا جوع ولا ألم، ولا حسد ولا بغضاء، ولا شره ولا طمع.

لا إله إلا الله! وهذا ممكن وقوعه، فأنت إذا شربت ارتويت، وإذا طعمت شبع، وكذلك إذا تعلمت الكتاب والحكمة فإنك تسمو وتعقل، ومستحيل ألا يقع هذا، فلنتحلى بالصدق إذا أردنا الله واللاحق بمواكب الصالحين، وإن كانت الحكومة كافرة والله - ولو كانت إسرائيل - واجتمع المؤمنون في صدق في بيت ربهم والتزموا بالكتاب والحكمة، وما فيهما من الآداب والأخلاق، والتعاليم والعدالة، والسياسة والرحمة لرهبهم أهل الأرض وخافوهم.
وبدون هذا لا يوجد أبداً نجاة، بل قل لهم: ينتظرون البلاء بعد البلاء.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 34

كثيرة هي المواطن التي ينادي الله فيها عباده المؤمنين، فيدعوهم لما يصلح شأنهم، وما يقربهم من خالقهم، وهو هنا يدعوهم إلى تقواه سبحانه وتعالى، مخبراً إياهم أن التقوى تنجيهم من عذاب الله يوم القيامة، ثم يأمرهم تعالى بما فيه رفعة درجاتهم، وعلو منازلهم، وهو التقرب إليه سبحانه، والتزلف إلى جنبه عز وجل، فبقدر ما يتحجب العبد إلى خالقه يحبه سبحانه، وبقدر ما يتضرع إليه سبحانه يمنحه الله قبوله ورضوانه.

ملخص لما جاء في نداءات سابقة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

جعلنا الله منهم، وحشرنا في زمريتهم، ورضي عنا كما رضي عنهم.

اللهم آمين.

كيفية الوصول إلى الشكر

أخيراً: كيفية الوصول إلى الشكر - وعدنا من حيث بدأنا: وقد قلت لكم: لم يسمع هذا النداء ولا واحد في المليون، وأمة الإسلام لن تشكر ربها وهي ما عرفته، ولا عرفت كيف تشكره، والمسئولية مسئولية العلماء إن وجدوا، فالعلماء يجب أن يجمعوا المسلمين في بيوت ربهم، لا أقول: لتتقيهم، وإنما لتزكية نفوسهم وتطهير أرواحهم، وتعليمهم ما أراد الله أن يتعلموه، فيربونهم على أن يستقيموا على منهج الحق، ويزكون أنفسهم ويطهرونها من أدران العجب والكبر والغش والحسد والشرك والباطل، ومستحيل أن تجتمع أمة بل أهل قرية اجتماعاً ربانياً إذا لم يعودوا في صدق إلى الإسلام وإلى بيت الله؛ إذ بهذا تنتهي الفوارق، وتنتهي النزعات، وتنتهي العصبية، وتنتهي المذاهب والحزبيات والقبليات، وصفتنا نحن عباد الله في بيته أن نعبد بما شرع، ومعنا كتابه، ومعنا رسول الله كأنه لم يمت بعد، فهذه أحاديثه وبيانه وهداياته ماثلة بين أيدينا، فلنقبل على الله، ولا نرضى بهذا التمزق وهذا الهبوط حتى تأتي علينا سنة الله، ونندم حيث لا ينفع الندم.

فلنعرض عن شراء هذه المجالات وعن بيعها، ولا نعرضها على مؤمن أو مؤمنة، فليس فيها إلا السم والخبث وطمس البصيرة وإعماء القلب وإنهاء الروح الإيماني، ولكن كل هذا وقع من حب الريال، وقد مات أسلافك جوعاً وعطشاً ولم يعرضوا دينهم على الباطل ولا ارتدوا عن الإسلام.

ولكن علة المسلمين اليوم هي: أنه لم يبلغهم درس أمس، وليس عندهم علم، فتأتي أحدهم المجالات فيبيعها ويستفيد ريالاً أو ريالين، وهذا الذي يأتي بها ويدخلها كذلك ميت القلب والضمير، ولم يعرف ما هي المدينة أبداً، ولا نور له ولا بصيرة، بل يأكل ويشرب كالبهيمة، ولا يعرف شيئاً، وهو لم يجلس بين الصالحين يتعلم، فنقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولنصبر على قضاء الله وحكمه، ونصرخ ونسمع أولوا البصائر والنهي: لابد من العودة إلى الله في صدق، لا باستهزاء واستخفاف وباطل، بل عودة صادقة، فنعرف أن الحلال ما أحل الله، والحرام ما حرم الله، ولا بد من إنابة صادقة، ومودة وإخاء، وولاء وطهر وصفاء، وذكر الله، وأما أن نحلم بدار السلام بمجرد ركعتين أو بانتسابنا إلى الإسلام فهذه أوهام.

والطريق هو كتاب المسجد وبيت المسلم فقط، ولا مدفع ولا رشاش ولا سحر، فإذا كنت مؤمناً فالزم بيت الله تتعلم الهدى، وطبق ونفذ، وطهر بيتك وقلبك ومشاعرك وأحاسيسك، وليكن همك السماء والملكوت الأعلى، وليس أوساخ الدنيا وأباطيلها، وهي ذاهبة يومياً. واسمحوا لي إن بكيت عليكم ومعكم. وهذا هو الواجب.

الأمر بذكر النعم لشكرها وتقوى الله عز وجل والتوكل عليه سبحانه

درس أمس ونداء أمس نداء حار، ونسبة المؤمنين والمؤمنات الذين بلغهم واحد إلى مليون أو إلى خمسة ملايين. وهم لن يشكروا الله إذا لم يبلغهم.

والنداء الكريم بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المائدة: 11]. وقد قررنا وعلمنا على علم أن هذه النعمة يجب أن يشكرها كل مؤمن ومؤمنة طوال الحياة؛ لأن الله تعالى دفع عن نبينا كيد الكائدين ومكر الماكرين واغتيال المغتالين، ولو قتلوه لما اجتمعنا في هذه الليلة، ولا بلغتنا دعوة الله ولا رسالته.

فحفظ الله لنبيه نعمة من أجل النعم، وليس الرسول وحده هو الذي يشكر الله عليها، بل كل مؤمن ومؤمنة يجب أن يذكر هذه النعمة ليشكرها، وقد علمتم يقيناً أن التذكير بالنعمة المراد والمقصود منه: أن يشكر المنعم، فلا يكفي أن تقول: رزقني الله، بل قل: الحمد لله، ولا تقل: عافاني الله، بل قل: الحمد لله.

ذكرت لكم آيات الكتاب في بني إسرائيل: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ [البقرة: 40].

وهو لا يريدكم أن يقولوها فقط، وليس هذا المطلوب، بل المطلوب أن يقولوها ليشكروا الله عز وجل، والله لا يشكر بالتصفيق والشطح والرقص، وإنما يشكر الله بطاعته والذوبان فيه؛ لأن طاعته تعالى معراج وسلم الرقي إلى الملكوت الأعلى؛ لما علمنا يقيناً أن تلك الطاعة - وهي فعل الأمر المزكي للنفس وترك النهي المخيب للنفس، وهذه هي التزكية والبعد عن التخبث - تتم الطهارة، ويصبح العبد أهلاً للملكوت الأعلى. وأما شكر النعمة بغير الطاعة فهو خيالات وضلالات؛ إذ الشكر: صرف النعمة فيما خلقت لها، وفيما من أجله وهبتها.

وهذا يتمثل في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

نعمة الله بإفشال مؤامرات الماسونية وجمعيات التنصير في بلاد الحرمين

عرضت لي نعمة أخرى، وضاق الوقت، وما هدأت النفس، ولا بد من التذكير بها، وخاصة أننا نحن أهل هذه النعمة، وبعض الساسة وبعض العقلاء وبعض العلماء وغيرهم لا يريدون هذا، وأما أنا فأقولها، إلا إذا منعت من أن أقول، وسدوا فمي وأغلقوه، أو أشهروا العصا؛ لأنني مبين مذكر، فאלله يذكرنا بنعمة مضى عليها 1400 سنة، ونحن عندنا نعمة لها أربع سنوات ما نذكرها، وهي فشل تلك المؤامرة التي نسجت خيوطها محافل الماسونية وجمعيات التنصير لإطفاء نور الله، والقضاء على هذه البقية الباقية في هذا البلاد، ووالله لولا أن الله أوقفهم حيارى مشدوهين في الشمال والجنوب والشرق والغرب لما اجتمعنا هذه الليلة في هذا الدرس، ولمزقت راية لا إله إلا الله وبألوا عليها، ولبالوا على القرآن والمصاحف وانتهى الإسلام.

فهذه نعمة يجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يذكرها ويشكر الله تعالى عليها، وبخاصة إخواننا وأبنائنا في هذه الديار، فلنشكر الله على هذه النعمة، فهي نعمة من أجل النعم، نعمة حياة وموت. شكر النعمة لا يكون بالمعصية

جاءني الآن طالب بمجلة، وهي أخبث مجلة تصدر في لبنان، وتباع بعشرة ريالات، وفيها أخبث أنواع الباطل والكذب والنفاق والخداع والضلال، وتباع في مدينة الرسول بعشرة ريالات، فنحن لم نشكرنا الله بهذا، بل مجلات الخلاعة والدعارة والعري نبيعها من أجل الفلوس ومن أجل الريالات، وكأننا ما آمنّا بالله ولا عرفنا الله.

فمن أنعم الله عليه بنعمة فيجب أن يشكر الله المنعم عليها بالانكسار بين يديه والاطراح، والبعد عن معاصيه، والخروج عن طاعته، وطاعة رسوله، لا أن ننجو من الفتنة الليلة وغداً نغني ونرقص، فهذه المجالات لا يجوز أن تباع في المدينة، ولكن المفلسون يهربونها، والعجب أن تشتهى، ويقرأها أبناء فاطمة وأبناء أبي بكر الصديق، فيقرونها الخبث الباطل في مدينة الرسول.

فلنعرف هذا الواقع والمر، وقد قال تعالى: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ [الفجر:14].
ووالله إن لم نعد عودة صادقة ربانية لما أخطأنا سنة الله، ونحن نشاهد هذا في كل أصقاع وبقاع الأرض، وإن الله سنناً لن تتخلف، فلما أن نشكر الله بالانقياد والطاعة له، والحب فيه والبغض فيه، وموالاة أوليائه، وإما أن نتعرض لغيظه، وإذا غضب الجبار فالعالم كله يشاهد المحنة ويعيش فيها.
بعض ما ينتقض به الموضوع

سبق في النداء الذي قبل السابق أن ذكرنا موجبات الوضوء، أو نواقض الوضوء، وعقبنا في الدرس بعده على ناقض نسيانه، ألا وهو أكل لحم الجوز، وقد نبهنا عليه وبيننا، وقلنا: بغض الطرف عن الخلاف فالأحوط لدين العبد أن يتوضأ؛ لثبوت الحديث النبوي الشريف، ومن قال بنسخه وثبت النسخ عنده فشأنه، ونحن نأخذ بالحيطه لديننا، فمن أكل لحم بعير فليتوضأ.

وقد ذكرنا العلة المستلزمة لذلك، وهي: كثرة الزهومة في لحمه، وخلايا الجسم تتأثر بالدهن، والمصلي يناجي ربه، فينبغي أن يكون أخف ما يكون، وأسرع ما يكون؛ فلهذا يكره الشيع والتخمة.
جاءني أحد الصالحين في اليوم الثاني وقال لي: ومس الذكر ناقض للوضوء، فقلت: بلى، ولكننا نسينا؛ إذ الكتاب لم يحو ذلك، وإنما فسرنا الآية بما ظهر لنا منها، وما أحطنا بالعلم كله، فعليه فمن أفضى بكفه إلى ذكره بدون حائل من ثياب أو سروال وجب عليه الوضوء؛ للحديث الصحيح: (من أفضى منكم بيده إلى فرجه فليتوضأ).
فمس الذكر ناقض للوضوء؛ لأن الذكر محط الشهوة والغريزة، فمن مس ذكره فعلاً ما ينتعش باطنه، وللحيطه قال الرسول الكريم: (من أفضى منكم بيده إلى فرجه فليتوضأ).
فلنتوضأ.

وهذا التعقيب ضروري؛ لأننا نخطئ وننسى ونجهل.

الأمر بتقوى الله عز وجل وطلب الوسيلة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله عز وجل

هذا هو [النداء الثالث والثلاثون] وهو يرحمكم الله نداء الله، وسبحان الله! فربنا ينادينا، فالله أكبر! ما أعزنا وما أشرفنا وما أكرمنا! فرب السماوات والأرض وما بينهما الذي يحيي ويميت ينادينا والحمد لله، فهو لا يريد منا مالأً، ولا ينادينا لنغني ونرقص، بل ينادينا ليأمرنا بأوامر ضرورية لسمونا وطهرنا وعزنا وكمالنا، ولينهانا عن الموبقات والمهلكات والمدمرات، والممزقات للأعراض والدنيا والدين؛ حتى نتجنبها ونبتعد عنها، وهو كذلك ينادينا ليشرح صدورنا، ويطيب خواطر نفوسنا ببشريات يزفها إلينا بوصفنا أوليائه، كما قال تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:62-63] كل مغاضب الله ومساخطه.
لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ [يونس:64].

وهو ينادينا لينذرنا عواقب السلوك المنحرف، وعواقب التصور الباطل، وعواقب العقيدة الهابطة، وعواقب الجهل المظلم، فكل هذه طوام تأكلنا وتأتي على وجودنا، وهو ينادينا هكذا لأننا أوليائه، آمنا به وبلقائه، فحيينا بعد الموت، فأصبحنا أهلاً لأن يعزنا ويكرمنا، وهذا النداء هو [في الأمر بتقوى الله عز وجل، وطلب الوسيلة إلى الله تعالى، والجهاد في سبيله عز وجل].

وآية هذا النداء هي [الآية (35) من سورة المائدة] وقصة المائدة هي: أن جماعة من المسيحيين أنصار عيسى الحواريين، قالوا: يا عيسى! ادع الله لنا لينزل علينا مائدة من السماء وأكلة نأكلها، وهؤلاء بهاليل.
ولهذا كثيراً ما نقول: يوجد عند اليهود مواقف دراويش وبهاليل، ومواقف شياطين وإلى الآن.
وسبحان الله العظيم! وأول موقف أساء فيه هؤلاء أنهم قالوا: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ [المائدة:112].

فهم يشكون في قدرة الله، وهذا عدم البصيرة والهبوط الإيماني والجهل، والشاهد عندنا: فسأل الله فأنزل المائدة، فأكلوا، ثم توعدهم الله عز وجل أن من كفر بعدها أن يعذبه عذاباً لا يعذبه أحدٌ من الخلق أبداً، فقال: أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ [المائدة: 115].

ولهذا سميت السورة بسورة المائدة التي سأل الله عيسى ربه، وأنزلها وأكلوا الخبز واللحم، والآن النصارى يحتفلون بها، ونحن قلدناهم أيضاً، فهم يخرجون في الربيع، ويسمونها كذا، وسورة المائدة فيها نداءات ربانية لنا، ومن بين هذه النداءات هذا النداء، وإليكوه.

[أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة: 35]] وهذا النداء سمعه أصحاب رسول الله وأبنائهم وأحفادهم، وقد فعلوا ما طلب منهم فجازوا، وسمعه المسلمون من قرون ولم يتحرك ولا واحد في المليون للعمل به.

كيفية التوسل إلى الله عز وجل

[فاذكر هذا] يا عبد الله القارئ! [واحذره، واعلم أن التوسل إلى الله عز وجل يكون بفعل الخيرات، والإكثار من الطاعات؛ من أجل رفع الدرجات، والظفر بالرغائب والمحوبات] عنده تعالى. ولكنهم احتالوا علينا وصرفونا عن كل وسيلة نافعة، وتركوا لنا: بحق سيدي فلان، وجاه فلان، وقد تجد قرية كاملة لا يوجد فيها من يقوم في الليل يتوضأ ويبكي بين يدي الله، ويسأله قضاء حاجته أبداً، ولا يعرفون إلا أسألك بحق فلان، وأسألك بجاه فلان، ويجادلون على ما في ذلك. بعض المظاهر الشركية التي أطلق عليها لفظ الوسيلة

قال: [ومن الأمور الشركية التي أطلقوا عليها اسم الوسيلة ووقع فيها الجهال وغيرهم] ما يلي: [أولاً: دعاء الأموات والاستغاثة بهم، كأن يقول: يا سيدي فلان! أنا بك وبالله] وهذه اللهجة مصرية، أو أنا دخيلك، وهذه يقولونها في المغرب [ادع الله لي، سل الله لي قضاء حاجتي ... إلخ] وينسى الله الحي القيوم السميع البصير، ويقبل على قبر قد يناديه، وهذا مجنون، وليس عاقل، فهذا قد مات، وقد دفنوه من قبل ألف سنة، ولا إله إلا الله! ففي أقصى المغرب يدعون: يا سيدي عبد القادر! يا راعي الحمراء! يا مولى بغداد! فقلت لهم: أنتم قرأتم على الشيخ عبد القادر؟! فقالوا: لا، فقلت: إن بينكم وبينه ألف سنة، وهو الآن هو في بغداد، فكيف تتادونه؟ وكيف يسمعكم؟ فقالوا: ما نعرف، وإنما هكذا قالوا، ولا تلومهم؛ لأننا ما علمناهم، ولا جمعناهم في بيوت ربهم، ولا ذكرناهم، ولا زكيناهم، وإنما أهملناهم من قرون، فيها نعود، فالكتب متوفرة، والطائرات موجودة، والعالم كأنه بيت واحد، فيجتمع المؤمنون في بيوت ربهم نساء وأطفالاً ورجالاً من المغرب إلى العشاء طول الحياة، ويتعلمون قال الله وقال رسوله، وهذه ليست مستحيلة ولا صعبة ولا كأداء مهلكة، وليس فيها شيء، ولكننا ما عرفنا، ونحن نريد أن ينتهي الخلاف والفرقة والصراع والتكفير والدماء والباطل والشح والبخل والإسراف وغير ذلك، والله لن ينتهي هذا إلا بالعودة إلى الله، ولست واهماً في هذا، فما هو العالم كله بين أيديكم يتخبط، ولو جاء عمر الآن فلن يستطيع إنقاذهم، بل لا بد وأن يسلموا إسلاماً حقيقاً.

[ثانياً: الذبح للأولياء، كأن يذبح الشاة على الضريح] أي: [القبر، ويقول: هذه على روح سيدي فلان] وسيدك فلان مادمت تؤمن وتعتقد أنه ولي الله وفي الجنة فهو ليس في حاجة إلى صدقتك حتى تتقرب إليه وتذبح له، بل أنت الذي في حاجة إلى الصدقة، أو أبوك أو أمك، فلا تقل: هذه على روح سيدي البدوي، فالبدوي ليس في حاجة إلى صدقتك، وهو ليس عمك أو أبوك، وإذا كنت تعتقد أنه من أهل الجنة فلا تتصدق عليه، وليس هناك جنون أعظم من هذا، وتصدق على والدك الذي مات أو على أمك، وقل: هذه على روح والدي، فتقبلها اللهم مني، فاغفر له وارحمه، لا على سيدي البدوي ولا العيدروس ولا عبد القادر، وهناك ملايين القبور والأولياء في العالم الإسلامي بلا حساب، وفي بعض البلاد كل جبل عليه قبة، وكل تل عليه قبة، وولي بالأوهام.

[ثالثاً: النذر للأولياء، كأن يقول: يا سيدي فلان! إذا قضى الله حاجتي ذبحت لك شاة، أو أنرت ضريحك بشمع ونحوه، أو وضعت ستائر حريرية أو توابيت خشبية] ويتملقون الأولياء بهذا، وهذا التوسل فيه بعض الشيء، فهم يقولون: يا سيدي عبد القادر! إذا حصل لي كذا وكذا فعلت كذا، ولا يذكرون الله، وهذا فيه توقف، ولا إله إلا الله!

ولولا هذا ما سلط الجبار علينا بريطانيا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا فأهانونا وأذلونا، ومسخونا وكفرونا، وإنما وقع هذا بعدما هبطنا وانقطعت صلتنا برينا، وأصبحنا مشركين وثنيين، وإلا فالله لا يسلط على أوليائه من يؤذيهم ويهينهم، وحاشا لله، وقد قال تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62]. ولكن لما عبدوا الأصنام والأهواء وانتهت صلتهم بالرحمة الإلهية أذلهم الله تربية وتأديباً.

[رابعاً: الحلف بالأولياء، نحو: وحق سيدي فلان، أو رأس سيدي فلان] وقد حلفوا حتى بالطعام والملح الذي بيننا، ولم يتركوا شيئاً إلا ألوهه، إلا الله لا يحلفون به، وأما الملح والطعام وسيدي فلان وغير ذلك فيحلفون بهم، هذه أمة القرآن، وعلة هذا الجهل، فهم لم يعرفوا، ونحن ما علمناهم، وهم لم يجلسوا بين أيدينا قروناً عديدة.

[خامساً: نقل المرضى إلى أضرحتهم للتبرك بهم، والتمرغ على تربتهم، ودعائهم، وطلب الشفاء منهم] ولو ذهبت إلى ضريح سيدي فلان لوجدت مجموعات المرضى والمشلولين يتمسحون ويستغيثون بسيدي فلان، والله إن اليهود والنصارى يضحكون علينا عندما ننقل مرضانا إلى الموتى لا إلى المستشفى، والله العظيم لولا حماية الله لكانت هذه الحجرة كلها نساء مرضى ورجال، إلا أن الله حماها بهذه الدولة أطل الله بقاءها، ورغم أف أعدائها ولعنهم إلى يوم الدين؛ إذ ليس هناك فرق بين الجهل هنا وهناك، فكله واحد، والجهل هو الجهل وكفى.

قال: [كل هذا الشرك يسمونه توسلاً إلى الله تعالى بعباده الصالحين] ويؤلفون التآليف والكتب، والآن في مكة كتبوا يردون هذه الدعوة، ويدعون إلى التبرك بالصالحين. الوسيلة .. بين المعنى الحقيقي والمعنى الشائع

قال: [واذكر أيها القارئ الكريم! والمستمع] للنداءات [المستفيد] ونقول: المستمع لأن هذه النداءات من كان يحسن القراءة فيجب أن يقرأها، ويسمع ما يقول فيها الرب، ويعمل في حدود طاقته، والذي لا يحسن القراءة فينبغي أن يستمع إليها، وأن يقول لابنه أو أخيه أو حتى امرأته إن كانت تقرأ: أسمعيني نداء ربي؛ لأننا نريد أن نجتاز هذا العالم إلى الملكوت الأعلى، فلا تلمنا فنحن نريد أن نجتاز مسافة سبعة آلاف وخمسمائة سنة في الطيران عندما نلفظ أنفاسنا، حتى تكون الروح تحت العرش ساجدة للرب، ولن يتم هذا إذا لم تكن الروح طيبة طاهرة كأرواح ملائكة السماء، وهذا الكلام سمعناه في قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ [الأعراف:40-41]. ولا أحد يرد على الله.

فالذي لن يزكي نفسه بهذه العبادات المقننة تقنين الكيمياويات فلن يعرج إلى السماء، ولن يدخل أبوابها، وهذا الكلام ليس أحلاماً ولا أوهاماً ولا منامات [أنه شاع بين المسلمين أنواع من الشرك سموها] وأطلقوا عليها لفظة [وسيلة] وهي والله شرك، لكنهم لم يعرفوا، ولم يعلمهم أحد، ومن لم يعرف السم يحتسيه، ومن لم يعرف العسل يصبه في المزبلة [وذلك لغلبة الجهل في الأمة الإسلامية؛ إذ العدو الكافر] المعروف عندنا بالثالوث الأسود؛ المجوس واليهود والنصارى [أبعدهم عن مصدر العلم والمعرفة، وهو الكتاب والسنة، فأصبح القرآن يقرأ على الموتى فقط] من إندونيسيا إلى موريتانيا مدة سبعمائة سنة [والسنة تقرأ للبركة لا غير] وقد قرءوها في رمضان هذه السنة، وهم يتغيظون على هذا الشيخ المنتن، ولن نسكت حتى يصدر أمر بالسكوت، فالسنة تقرأ عندهم للبركة، و [لا] تقرأ [لا] لاستنباط الأحكام الشرعية والآداب والأخلاق الإسلامية [واستخراج الهدايات النبوية؛ من أجل الطهر والحياة السعيدة، وهم يريدون قراءتها للبركة؛ حتى تبقى المذهبية هي الضاربة أطنابها، هذا مالكي وهذا حنبلي وهذا زيدي، وغير ذلك، ويمزقون المسلمين، وإلا فأنا مسلم قل لي قال الله وقال رسوله، وإلى الآن ما أفاقوا بعد، فالسنة لا تقرأ للبركة، وأما القرآن فلا بأس أن يقرأ للبركة الحرف بعشر حسنات، وأما السنة فتعاليم شرائع، فلا تقرأ للبركة، وقد ورثنا هذا عن مشايخنا سامحهم الله، وهذا ليس عذراً، وقد بلغكم أن هذا لا ينبغي، فاجتمعوا على السنة، وعلموا الناس الهدى.

وأعود فأقول: دلوني على واحد في الشرق .. في الغرب .. في المدينة .. في مكة .. في أي مكان يجلس في بيته ويقول: يا فلان! تعال اقرأ علي شيئاً من القرآن، ولم يبلغنا أن أحداً فعل ذلك، وأنا لا أعرف إلا واحداً فقط، وقد مات رحمة الله عليه، فقد كان يأتيني ويقول لي: أسمعني يا أبا بكر! شيئاً من القرآن، وكان قد سمع شيخاً يقول هذا من قبل خمسين أو ستين سنة، فعرف فطبّقها، وأنت طول العام وطول عمرك لا تقول: دعنا نسمع ما يريد الله منا، اللهم إلا

ما كان من بعض المشايخ كسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله وأطال في عمره، فقد كان إذا جلس في مجلس يقول: من يقرأ علينا شيئاً من القرآن، وأنا أريدك أنت في بيتك أن تقول: يا ولدي! اقرأ علي، وأنت تتأمل وتتدبر وتتفكر، فإذا علق بذهنك شيء سألت عنه وعن المراد منه، وماذا يريد الله منك؟ وهذه النداءات الآن تمضي هكذا كالسحب، ولا يجتمع عليها اثنان إلا أن يشاء الله؛ لأننا مكتوب علينا الهبوط، ولن يرفعنا أحد. سبب نداء الله عز وجل لعباده المؤمنين دون غيرهم

قال: [وهل تذكر] أيها القارئ أو المستمع! [أن الله تعالى لا ينادي المؤمنين إلا ليأمرهم أو ينهاهم أو يبشرهم أو ينذرهم] وهذا هو الذي نكرره، وحاشا لله أن ينادي عباده لا شيء، وتعالى الله عن اللهو والعبث واللعب، والعقلاء منا لا يتكلمون بهذا، فالعقل لا يقول ما لا معنى له ولا فائدة منه، والتعاليم ماضية فينا، وفي الحديث: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت).

و (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).
وأما هراؤنا وصياحنا وضجيجنا فهو ناجم عن جهلنا وبعدنا عن الصراط المستقيم، ولم يأذن فيه الإسلام.
قال: [إذ في الأمر فعل ما يزكي نفوسهم، وفي النهي ما يبعدهم عما يديسها ويخبثها، وفي البشارة ما يرغبهم في الصالحات، وفي النذارة ما يبعدهم عن مقارفة الذنوب المدسية للنفس].
الأمر بتقوى الله عز وجل وفائدة ذلك

قال: [وها هو ذا] سبحانه و [تعالى في هذا النداء يأمرهم بتقواه؛ إذ قال عز] وجل [من قائل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ [المائدة:35]] ومن قال: لا أتقيه كفر واحترق، فما على عبد الله المؤمن أو أمته إلا أن يقول: سمعاً وطاعة، ويتحرك في حدود طاقته وقدرته، وإذا رفض رُفض، وهذا أمر جازم، وليس فيه تردد [أي: خافوه خوفاً يحملكم على طاعته؛ إذ بطاعته تكون الوقاية من غضبه تعالى، وعقابه في الدنيا وفي الآخرة].
الأمر بالتقرب إلى الله تعالى والتوسل إليه بصالح الأعمال

قال: [وكما أمرهم بتقواه لينجوا من عذابه أمرهم بما يرفع درجاتهم ويعلي منازلهم ومقاماتهم في الدنيا والآخرة، ألا وهو التقرب إليه] تعالى والتوسل؛ لأن الأمر بالتقوى هو فعل الواجبات وترك المحرمات، وطريقة أخرى لتصبح وليه ومحوباً عنده، وإذا سأله أعطاك، وإذا استعذت به أعذك، وهو التملق إليه والتزلف المعبر عنه بالتوسل، ونحن لسنا في مستوى واحد في هذا، وبقدر ما تتملقه يرفعك ويدنيك، وقد عرفنا أن أصحاب رسول الله كانوا متفاوتين كالكوكب الزهر في السماء، وكان هذا أفضل من هذا، فلهذا أمر بالتقوى لنحفظ الولاية، وأما الأمر بالتوسل إليه فهو تملق، فمننا من يواصل صوم الدهر، ولا تعقب وتقول: (لا صام من صام الدهر).
فإن الذي يكثر الصيام كأنما صام الدهر، بل الذي يصوم ثلاثة أيام في كل شهر فهو في عداد من صام الدهر، ومننا من يقوم العمر كله في طاعته، والتقرب إلى الله يكون [بنوافل العبادات، كنوافل الصلاة والصيام والصدقات والحج والعمرة والذكر والدعاء، وما إلى ذلك من نوافل العبادات، فقال تعالى: وَابْتَغُوا [المائدة:35]] أي: اطلبوا [إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ [المائدة:35]]، أي: اطلبوا العمل الصالح متوسلين به إليه تعالى، وهو سائر القرب] التي تصل بكم إلى حبه ورضاه ورضوانه، وابتغوا عما يحب وافعلوه، وقد بلغنا أن الله عز وجل يحب كلمتين، فلنتملقه بهما، وهما: سبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم، ولنغن بهما في الشوارع.

فلنتقرب إلى الله بسائر القرب حتى كناسة المسجد وكناسة الشوارع التي يمر بها المؤمنون والمؤمنات، وابتحث عما يحب الله عز وجل فقله إن كان قولاً، واعمله إن كان عملاً، واسكت إن كان سكوتاً، ونم إن كان نوماً، وابتحث دائماً عن ذلك، فإنك لا تزال تتقرب وتتوسل حتى تحظى بأعظم منزلة، وقد تكون دون أبي بكر الصديق، وأفضل من عبد القادر، وليس منا اليوم ولا واحد في المليون الذين يتملقون الله ويتقربون إليه، والسبب أنهم ما عرفوا، وما تربوا في حجور الصالحين، ولم يعلمهم أحد، والعلماء هائجون من قرون، ولا يعرفون إلا الأكل والشرب والباطل في كل مكان.

سر نداء الله لعباده المؤمنين بعنوان الإيمان

إليكم [الشرح] لهذا النداء الكريم: [هل تذكر أيها القارئ الكريم! سر نداء الله للمؤمنين بعنوان الإيمان؟ وهو أن المؤمن حيي بإيمانه، يسمع [ويبصر] ويفهم [ويعقل] ويقدر على الفعل والترك بخلاف الكافر فإنه في حكم الميت [والبرهنة على أنه ميت: أنك إذا قلت له: قم اغتسل من الجنابة لا يقوم، وإذا سمع الأذان لا يتوضأ ويذهب إلى بيت الرب، ولا يمشي ولا يسمع؛ لأنه ميت [إذ هو لا يسمع نداء الله عز وجل، ولا يجيب ولا يعقل ولا يفهم] عن الله، ودائماً نقول: إن أهل الذمة عندنا لا نكلفهم بصلاة ولا صيام، ولا زكاة ولا جهاد، ولا حج ولا عمرة، ولا وضوء ولا غسل؛ لأنه أموات، فإذا حييوا ونفخنا فيهم روح الإيمان فسرت في أجسامهم فقالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله فيومها لا كلفة، فإذا شهد فهو قادر على أن يحمل الأعباء، وقادر على أن يموت في سبيل الله، وأما وهو ميت فلن يقوم بالتكليف.

وهذا الكلام معقول، وليس هراءً، فإذا وجد يهودي أو نصراني معنا في البلاد الإسلامية فإننا لا نقول له: توضأ وصل، فهذا عبث؛ لأنه ميت، فأحيه أولاً، وهو لا يحيا بالماء والصابون، بل يحيا بالإيمان، فعرفه أنه محبوب، وأنه عبد مخلوق، وهو سيسأل عن خالقه، ويقرأ كتبه حتى يؤمن به، فإذا آمن فكلفه فلن يعجز، وإن ضعف الإيمان فانفخ فيه طاقة جديدة حتى يقوى وينهض على التكليف.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 35

أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بتقواه لينجوا من عذابه، وأمرهم بطلب الوسيلة إليه سبحانه ليتقربوا من جنابه، ثم دعاهم إلى الجهاد في سبيله؛ بقتال الكافرين المارقين، أو تأديب الفاسقين المنحرفين، أو لعن الشياطين، أو تربية النفس وتزكيتها، وذلك بالتعرف على محاب الله وإتيانها، والتعرف على مكاره الله واجتنابها.

تابع الأمر بتقوى الله عز وجل وطلب الوسيلة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله عز وجل

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله منهم، وحشرنا في زمريتهم، ورضي عنا كما رضي عنهم.

اللهم آمين.

وبالأمس كنا مع النداء الثالث والثلاثون، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة: 35].

جزاء المجاهدين

قال: [والجزاء على هذا الجهاد هو ما واعد به الرحمن يقول: لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة: 35]] وهذا هو الختم الأخير، فقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ [المائدة: 35].

والجزاء: لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة: 35]، أي: من أجل أن تفلحوا، فعمل إعدادية، أي: ليعدكم لذلك إلى الفلاح [و] هذا [الفلاح] ليس فلة ولا وظيفة ولا إنناً بفتح محل للخمر من الحكومة، وإنما هو الفوز، و [هو النجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار.

جعلنا الله تعالى من أهلها.

آمين [ولا تفهم فلاحاً ولا فوزاً في الدنيا سوى هذا الفلاح.

وأما أفلح في تجارته أو نجاح في بنيته فكل ذلك هراء، وهذا لا يسمى فوزاً ولا نجاحاً، وإنما الفوز والفلاح أن ترحز عن عالم الشقاء، وتجد نفسك في عالم السعادة، واطرعو لذلك قول ربنا: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران: 185].

حتى الرؤساء يموتون، ولا يستطيعون أن ينقضوا حكم الله، ولو تجتمع البشرية كلها على نقض حكم من أحكام الله فوالله لن يمكنها نقضه، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [آل عمران: 185].

فيا أيها العمال! اعملوا الليل والنهار، ولا تطالبوا بالأجور اليوم، فأنتم في دار العمل، وإذا انتهيتم من عملكم فتسلموا أجوركم يوم القيامة، وصوموا الدهر كله، ولا تقولن أحد: أنا فقير لن أصوم، فهو يريد الجزاء، والجزاء هو: وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [آل عمران: 185].

وهذه الأجور قال الله في بيانها: فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران: 185].

وليس بعد هذا البيان بيان، ولو كنا نقرأ القرآن ونجتمع عليه فليس بعده بيان.

ولا تقوموا إلا من كان مضطراً للقيام لبول أو غائط؛ فإن الجائزة العظيمة، وهي: أن الملائكة تصلي عليكم الآن، وتقول: اللهم اغفر لهم، اللهم ارحمهم، ما دمت جالسين تدرسون كتاب الله بينكم، ثم إذا أذن المؤذن فلا نشرد، وقد قاومنا هذا مرات؛ لأننا هابطون، فنقاوم أسبوعاً أو أسبوعين ثم ننهار، فينبغي أن نبقي جالسين ونحكي ما يقول

المؤذن، ونختم الأذان بتلك الصلاة الإبراهيمية، ندعو للرسول بالدعوة التي طلب منا في هدوء وسكون، ونضع الجائزة في جيوبنا ونقوم بهدوء.

ووالله لا أحب أن أقوم كما تقومون، لا لمصافحة ولا لسلام، وهذا ورتناه لأننا ما ربينا في حجب الصالحين، فينبغي أن نحمل الهم في نفوسنا، ونستمع ونأخذ ما سمعنا، ونبلوره نوراً في قلوبنا، وتتجلى حقائق ذلك في مجلسنا. ولو ذهبنا إلى الجالسين هناك وقلنا لهم: قوموا صلوا ركعتين لقالوا: ليسوا في حاجة إليها، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم سن هذا، وقال: (ما بين كل أذان وإقامة صلاة).

في الصلوات الخمس، والركعتان خير من الدنيا وما فيهما. والنداء الذي بعد هذا هو النداء الرابع والثلاثون من نداءات الرحمن، وهذا النداء موضوعه وفحواه وما يدعو إليه هو في حرمة اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وبيان علة ذلك والتحذير من موالاتهم. لا شفاعاة يوم القيامة بدون إذن الله عز وجل

لا يوجد أحد يشفع بدون إذن الله والله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أي كائن. وإلا فنحن لم نعرف الله.

فانه إذا تكلم الجبار بالكلمة ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لله، ثم يفيقون بعد فترة ويقولون: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [سبأ:23].

فلا أحد يقوى على أن يتكلم، وجبريل فقط رسول رسولنا رآه رسول الله في مكة في جباد قد سد الأفق كله، وله ستمائة جناح، ومدن قوم لوط سدوم وعمورة رفعها من تحت الأرض وقلبها. ثم اقرءوا كلام الله من سورة النجم: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى [النجم:26].

وهنا جماعات يأتون يقولون لعبد القادر : كن شفيعنا، واشفع لنا، وغير هذا، وهؤلاء مساكين ما عرفوا. الشفاعاة العظمى

الشفاعة العظمى والمعبر عنها بالمقام المحمود الذي يحمد عليه أهل الموقف أجمعون هذه الشفاعاة سبق وعد الله لرسوله، ومع هذا يطلب منا أن نسألها الله له طول حياتنا، وهذه الشفاعاة تكون لما تفشل البشرية وتعجز، ولا تجد من يكلم الجبار يومئذ، فيأتون إليه صلى الله عليه وسلم وهم في ساحة فصل القضاء، فيأتي فلا يستطيع أن يتكلم مع الله، ولا أن يقول: وعدتني رب! بل يخسر ساجداً تحت العرش، ويلهمه الله عز وجل محامد، أي: ألفاظ حمد وثناء على الله، ولا يزال يحمد الله ويثني عليه بها، حتى يقول له الجبار: (محمد! ارفع رأسك، واسأل تعطى، واشفع تشفع).

والمسلمون لم يعرفوا هذا؛ فهم يقرءون البخاري للبركة، وليس للعلم والمعرفة. أجر من سأل الوسيلة للنبي صلى الله عليه وسلم

قال: [إذ قال صلى الله عليه وسلم] بالحرف الواحد: [(إذا أذن المؤذن فقولوا مثل ما يقول)] أي: أذنوا معه، ولكن بدون رفع صوت، إلا إذا قال: حي على الصلاة، فقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولنعترف بالواقع، فكم ممن يسمع: أقبل على الصلاة ولا يقبل، وليس عنده قدرة ولا يأتي، وكم من هو على معصية لا يقوى على تركها؛ إذ لا تحول ولا قدرة على العمل إلا بالله، فافزعوا إليه وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله [(ثم صلوا علي)] وهي الصلاة الإبراهيمية، ونقول: الإبراهيمية نسبة إلى إبراهيم؛ لأن فيها: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد).

فاكشفوا الغطاء، فهذه الصلاة سمعها من المؤمنين والمؤمنات ملايين ولا يحفظونها، ففسروا هذه الظاهرة يا علماء النفس! والسبب لأنها ليس فيها ريالاً ولا ديناراً ولا درهماً، ولا أكلة لذيدة ولا بقلادة، وأما لو انفتح لنا باب السماء وبلغنا هذا فوالله لنسافرن إلى اليابان ولا نبالي، ولو بلغ المؤمنون أن في اليابان من يقول كذا عن رسول الله، وأن القضية كذا، ولم يمكنهم الحصول عليها إلا بالذهاب إليها فوالله ليذهبن إليها المؤمنون، ففسروا هذا يا علماء النفس! و

جابر بن عبد الله كان هنا، جار منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأيام أن صحابياً بمدينة حمص بالشام يحدث عن رسول الله حديث هو كذا وكذا، وأبى جابر إلا أن يرحل على راحلته أكثر من ثلاثة أشهر ذهاباً وإياباً؛ ليسمع ذاك الحديث بأذنه من فم سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ليس ببعيد، فأنتم تذهبون إلى الشرق والغرب لتشهدوا الكرة، وتشاهدوا الباطل، وتنفقون الآلاف، ولا عجب؛ لأننا نسينا الله والدار الآخرة، وقد صرفونا عن هذا فحصل الذي حصل.

وهذه الصلاة تصلي بها على النبي في كل صلاة، نافلة أو فريضة، ولا تسلم إلا بعدها، فتقول: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد).

فاحفظها الآن، وإن لم تستطع الآن فاحفظها بعد العشاء، وإن لم تحفظها بعد العشاء فامش إلى أي مؤمن واجلس عند الباب وقل له: من فضلك حفظني هذه الصلاة؛ لأنك تسمع ولا تبالي، وهذا حال الملايين، وليس مؤمن ولا عشرة ولا ألف؛ لأنه ليس هناك رغبة ولا اهتمام ولا بصيرة ولا شيء من هذا، فقد خدرونا وأضلونا وأبعدونا، وأصبحنا شبه مسلمين بالاسم.

والدليل على هذا: دلوني على أهل قرية في العالم الإسلامي أهلها متأخين متحابين كلمتهم واحدة وأمرهم واحد، والله لا يوجد؛ لأنهم ما عرفوا الله، وما علموا، وما أسلموا قلوبهم ولا وجوههم لله، ولا عرفوا الله.

ولا نبكي. قال: [(ثم قولوا: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته)] والوسيلة درجة عرفناها، والمقام المحمود هو موقف ومقام ومكان يقوم فيه، يحمده أهل الموقف كلهم.

وهذا المقام هو مقام الشفاعة العظمى؛ إذ البشرية كلها تنظر إليه وهو يتقدم إلى الله ويخر ساجداً، ويلهمه الله محامداً فيحمده، ويقول: (ارفع رأسك، واسأل تعط).

فيسأل الشفاعة للبشرية، أي: القضاء فيها بأن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار؛ لأن الزمان خمسين ألف عام، والناس في عرصه واحدة ينتظرون، وهذا وعد الله له في سورة بني إسرائيل: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ [الإسراء:79].

وليس هناك من يتهدج من المسلمين، فهم لا يعلمون التهجد، وإنما يعلمون الأغاني، وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا [الإسراء:79].

وهذا وعد، ولكنه ناله بالعرق والسهرة والدموع والدماء، وما ناله عفواً وطلباً، وهذا ربه يرشده: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ [الإسراء:79]، أي: فأزل الهجود ومزق حجابيه، وقف سهران بين أيدينا تبكي طول حياتك.

ونحن نغني وننام، ونريد أن ندخل الجنة بسلام، وترى الواحد يغني طول الليل ويرقص مع العواهر وينام، وهذه ليست صفة مسلم من أهل الجنة، ولو فتشت عن واقعه لوجدته لا أدب ولا خلق ولا مروءة ولا كرامة ولا حياء، ولا غير ذلك، إلا ما ندر، وهو لن يكتسب تلك الآداب والأخلاق وقد هجر كتاب الله وأقبل على كتاب الباطل والشر والفساد، وقد رأيت مجلة أمس المظلمة تلك التي يلتفون حولها ويقرءونها، وأما نداءات الرحمن فدعها، وهذه محنة جديدة، فهيما نرجع إلى بيت الرب، فالله غفور رحيم، وإنما والله كلمة إبليس يقرقرها في نفوسهم، فينطقون بها وهم لا يشعرون.

قال: [(فإن من قال ذلك وجبت له شفاعتي)] أي: وجبت له شفاعتنا رسولنا، ولا غنى لأحد منا عنها؛ لأنها ليست فقط في الخروج من النار.

أبواب الجهاد في سبيل الله

قال: [وقوله تعالى في آخر النداء] وهو الأمر الثالث: [وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] [المائدة:35] هذا الأمر الثالث في هذا النداء [فهو من جاهد يجاهد، فيا عبد الله! جاهد، ويا جماعة! جاهدوا أي: ابذلوا جهدكم وطاقتكم في طاعة الله عز وجل، إما بقتال الكافرين، وإما بتأديب الفاسقين، وإما بلعن الشيطان، وإما بتأديب النفس وتزكيتها. فمراتب الجهاد عندنا أربعة، فإن انتصرت في ميدان فانتقل إلى الميدان الآخر كما سيأتي.

قال: [وهو الأمر بجهد الكفار لإدخالهم في الإسلام؛ رحمة بهم؛ حتى ينجو من الخلود في عذاب النار] وسواء كانوا أشراً قرشين أو كانوا تميميين أو كانوا صعلاليك أوروبا وإفريقيا، فالكافر كافر، وإن كان ابن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا لا تطيقونه، وتقولون: هذا ضلال، فابن الرسول لن يكون في النار، وإذا قلت: أبو الرسول في النار غضبوا، وهؤلاء حمقى عندما يغضبون، ويمكن أنه ما عرفوا حكم الله، وهذا ابن نوح في جهنم، وامرأته وضجيعته وأم أولاده والله في جهنم، وهذا والد إبراهيم في جهنم، وهم لا يفهمون هذا، حتى قالوا: عبد المطلب في الجنة، ويقولون: إياك أن تقول: إنه في النار! مع أنه كافر، وقد مات مشركاً.

وكذلك أبو طالب عرض عليه الرسول الإسلام، وقال له: (قل كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال له الشيوخ - شيوخ الشيطان - أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ - وهو يلفظ في أنفاسه - فقال: هو على ملة عبد المطلب).

و عبد المطلب في جهنم.

وقد أرى الرسول صورة أبي طالب ، (وأنه في ضحضاح من النار، في قدميه جمرتان من النار يغلي منها - والله - دماغه).

وواعده الرسول أن يستغفر له ما لم ينه عن ذلك؛ لما قدم من أعمال جليلة للإسلام وأهله، وما هي إلا أيام ونزل القرآن: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ [التوبة:113].

والمؤمنون اليوم لا يقرءون هذه الآية، وإنما يقرءونها على الموتى، وأما الحي فلا يقرأها ولا تقرأ عليه، وإلى الآن ما زلنا من إندونيسيا إلى موريتانيا في العالم بأسره نعيش في جاهليات، ونحن في ظل الإسلام، ولم نعرف الطريق بعد إلى الله، بل نتخبط في حيرتنا، ولن ينفذنا إلا الله، ولكن لهذا أسباب ووسائل، وهي أن يسلموا حقيقة الإسلام فقط، فأسلم تسلم، وأمن تأمن، وأما بالفوضى والتعالي والتكبر وادعاء الفهم والطعن والنقد والكبرياء فلن يهتدوا، فلا بد من الإسلام، و(قل آمنتم بالله).

وقتل الكفار جهاد، وهذا ليس لنأكل أموالهم أو لنستحل محارمهم والعياذ بالله، بل إننا نبذل أرواحنا في سبيلهم، ومن أجل أن ننقذهم من الخلود في عالم الشقاء.

ونحن لم نعلم هذا المعنى؛ لأننا ما علمناهم، ولا عرفناه نحن، والآن لو يعرف الكفار ما تعرفون الليلة لأسلم كل يوم منهم مائة ألف، ولكن لم يعلمهم أحد، وحتى الذين معهم ما مثلوا الإسلام ولا طبقوه حتى يكونوا هداة، أو قدوة يقتدى بهم، وفوق ذلك فهم يشاهدون العالم الإسلامي في ذلة وحيرة واضطراب وفقر وبلاء وفسق، فيقولون: هذا هو الإسلام، فلن ندخل فيه.

وهذا الكلام والله لكما تسمعون، وهو ليس كلام هوى أو جهل، فهم من قديم ينظرون إلينا، وينظرون إلى الإسلام من خلال سلوكنا، وهم الذين هبطوا بنا، وهذا جزاؤهم.

فهم الذين صرفونا عن الله، وأبعدونا عن هدايته، فهبطنا، ثم تفرزوا منا ومن إسلامنا، وهذا جزاؤهم وإلى جهنم، كما قال تعالى: مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ [النساء:123].

وهذه القاعدة وضعها رب السماوات والأرض، فهم الذين حرّموا أجيالهم وأممهم من الجنة دار السلام، وأفسدوا الإسلام وأهله، ثم فروا منه وهربوا منه؛ ليلبغوا منتهى ما أَرَادَ الله لهم.

فنحن نجاهد الكفار من أجل أن ننقذهم من الخلود في النار.

قال: [وهناك جهاد آخر] ثان [يدخل تحت هذا الأمر] لأن كلمة: وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ [المائدة:35] عامة، ولا بد لها من فهم متعددة [ألا وهو جهاد الفساق بأمرهم ونهيهم] والفساق يوجدون عندنا في القرية، ففلان يشرب الخمر، وفلان حالق وجهه، وفلان يعق أباه، وقد سمعناه يسب أباه، وفلان لا يحضر الصلاة إلا مرة أو مرتين في اليوم، فإذا فسقوا فعلياً أن نجاهدهم.

فعلى أهل القرية وخاصة في مسجد الحي الإمام والمرشد .. اثنين .. ثلاثة من الحي يمشون إلى فلان في بيته أو يستدعونه إلى مقصورة المسجد، ويأخذون يعلمونه ويهذبونه؛ حتى يلين ويتوب من معصيته، فإن كان عقوقاً تركه، وإن كان تركاً للصلاة صلى، وإن كان يشرب محرماً تركه، وهكذا.

فالمسئول عن هدايته نحن، فالمؤمن أخو المؤمن، والمسلم أخو المسلم.

هذا جهاد الفساق.

فنحن نجاهدهم لأنهم خرجوا عن الطريق، فرددناهم إلى الطريق؛ ليسعدوا ويكملوا، ولا نتركهم يخرجون من الطريق ويقتلون ويحترقون، فهم إخواننا.

وإذا جربنا هذا الآن فلا نستطيع ولن نستطيعوا، فهو أمر لا يطاق، ولكنه يطاق عندما نسلم قلوبنا ووجوهنا لله، ويجتمع أهل القرية وأهل الحي في مسجدهم ويتعارفون، فإذا عرف بعضهم بعضاً وتآخوا وتعانقوا وتعاونوا، وتعلموا يوماً بعد آخر وشهراً بعد آخر فإنهم يصبحون كتلة من نور رباني، فإذا فسق أحدهم فبسهولة يأتون به ويهدبونه، وتغمره أنوار الحق والرحمة، وأما اليوم فكل ينظر بعينه نظرة شذرة إلى ما في جيبك أو مركوبك أو امرأتك، ولا إله إلا الله! ونجاهد الفساق فقط بتكوين هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحكومة الإسلامية هي التي تقوم بهذا الواجب إن وجدت، ونحن والحمد لله دولة لا إله إلا الله، وبيننا هيئة الأمر بالمعروف، وهي التي تتعرف على الفسقة والفجار وتؤدبهم وتصلحهم، وأما العالم الإسلامي فلا يوجد فيه شيء اسمه هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكأنهم لا يؤمنون بالقرآن، ولعلمهم ما سمعوا بهذا الكلام، ومنذ أربعين سنة في هذا المسجد وخبرائهم ومستشاروهم وعلماؤهم وصحفهم يسمعون، ولم يبلغنا أن دولة كانت هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأحياء والأسواق، مهمتها إذا رأت منكراً أن تبطله، وإذا شاهدت معروفاً متروكاً أن تأمر بفعله، وهذا ما حصل؛ لأننا ما عرفنا الله، ولا أماناً به، وقد قال ربك: الَّذِينَ إِنَّ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [الحج: 41].

وإن قلت: هذا من النظريات فقط، فقد جاء الله بدولة عبد العزيز، وأصبحت النظرية حقيقة واقعة، يشهدها الإنس والجن، ولو لم يجرى الله بهذه الدولة وبقيت أمة الإسلام هابطة في الشرق والغرب فممكناً أن يقولوا: هذه نظريات، ولا يمكن تحقيقها، وقد تكونت هيئات الأمر بالمعروف قبل أن تلتهم هذه البلاد هذه الجاهليات، ثم تكالبنا على الدنيا، وانتشر فينا الطمع، وقد كنا والله ما تجد فينا مدبراً عن المسجد لا في قرية ولا في جبل ولا في أي مكان أبداً، ومستحيل أن يدبر المؤمن، بل يمشي ولا بد، ويصلي ولو بدون وضوء، ونحن ما ننتظر من الله عز وجل إلا البلايا والرزايا يوماً بعد يوم، وهذه العنتریات والشعارات من الجهاد والثورة والحكم والشرعية والحاكمية هراء، فعلياً أولاً أن نسلم ونظهر لله قلوبنا وأجسامنا، ونطرح بين يديه، ونمتثل أمره، ومن ثم يأتي الحكم الإسلامي، وأما أن نطالب بتحكيم الشريعة وإخواننا زناة فسقة فجرة يأكلون الربا يقولون الباطل يفعلون المنكرات، والقرية ملتتهبة فهذا ليس كلام عقلاء، فهيا نسلم أولاً، ولا تقولوا: يا شيخ! ما نستطيع، فهذا ممنوع، فالذي يدخل المسجد يضرب بالرصاص، والذي يقول: لا إله إلا الله يقتل، والذي يغطي وجه امرأته يسجن خمسين سنة، فنقول: إذاً هاجروا، فلا يحل لكم المقام هنا في هذا البلد، ولكن هذا لا وجود له، لا في تركيا ولا في غيرها، فمن أراد أن يسلم فليسلم في حرية كاملة، بل صل ولا يقول لك أحد: لا، وهذا هو الواقع، ولا ننتظر حتى الحكم الإسلامي، ونضحك على الله، فإذا عرفت أن هذا حرام فاجتنبه، ولا تقل: الحكومة لم تغيره، فأنت مطالب من الله وليس من الحكومة.

قال: [وجهاد الشيطان] ويكون [بلعنه وعدم الاستجابة له فيما يزين من القبائح، ويحسن من المنكرات، وجهاده يكون بعدم الاستجابة له] وعدم قبول كلامه [والتعود بالله منه].

وأخيراً [جهاد النفس: وهو أشدها] وهو أعظم جهاد؛ لأن جهاد الكفار ليس طول العام، بل قد يكون غزوة في العام أو مرة أو مرتين، وقد تمضي عشرين سنة بدون غزو، وقد تكون الأمة ضعيفة، فتعقد معاهدات مع العدو وتنتظر حتى ينقضها، ولكن جهاد الشيطان وجهاد الفساق وجهاد النفس يومياً، وهو دائم مستمر، وخصوصاً جهاد النفس.

[وحقيقته: أن يحمل العبد نفسه على أن تتعلم أن تعرف محاب الله عز وجل، وتعمل بها] فارحل إلى الهند أو إلى السند أو إلى أوروبا أو إلى حيث شئت، فيجب أن تعرف ما يحب الله من أجل أن تتملكه بذلك، فارحل وأقرع أبواب العلماء وزاحمهم حتى تعرف ما يحب الله من اعتقاد وقول وعمل وسلوك وهيئة [وتتعلم مكاره الله وتجنبها] وتحفظها بالحرف والواحد لتجنبه.

وهذه خطوة أولى في جهادك، أن تعمل بما تعلمت، فإذا عرفت أن المخدرات محرمة فلا تدخلها بيتك ولا جيبك، ولا ترضى أن يبيعهها مؤمن أمامك، وإذا عرفت أن الغيبة ييغضها الله فلا تتكلم في غيبة مؤمن أبداً، وإذا عرفت أن الله يحب أن تؤتى الصلاة في بيوته فلا تصلي إلا في بيته، إلا مضطراً في الشهر أو العام مرة، هذا هو الجد، وهذا هو الجهاد، فاعمل بما عملت [وتعلم غيرها ذلك من المؤمنين والمؤمنات] فالخطوة الأخيرة: أن تعلم ذلك امرأتك وبناتك وأولادك وإخوانك وجيرانك وزملاءك ورفقاءك ومن معك، فإذا تعلموا كلهم فامش إلى البادية وابحث عن

جهال وعلمهم، أو ارحل إلى بلاد أخرى ليس فيها علم ولا علماء وعلمهم ما علمت، وبذلك تكملوا وتسعدوا، وتصبحوا أهلاً للجائزة العظمى، وهي: (من علم وعمل بما علم وعلمه دعي في السماء عظيماً). وبذلك تكون في عداد المجاهدين والشهداء. الأمر بالجهاد في سبيل الله

الأمر الثالث هو - فقد نادانا تعالى ليأمرنا بثلاثة أوامر: الأول: تقوى الله، والثاني: ابتغاء الوسيلة إليه، والثالث: الجهاد في سبيله.

وهذا هو النداء: قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ [المائدة:35]. ففي هذا النداء ثلاثة أوامر، وهذه الأوامر ليست مستحيلة، بل ممكنة، وحاشى الله أن يأمرنا بما لا نقدر عليه، فهذا لن يكون أبداً؛ لأنه الرحمن الرحيم، وقد قال: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ [الحج:78]. فالصلاة والزكاة والصيام والرباط هذه كلها ميسورة وسهلة، والعبد قادر على القيام بها، فإن مرض أو انكسر أو عجز أو كذا رفع عنه التكليف، كما قال تعالى: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ [النور:61].

إذاً: الجهاد، الآن تسمعونه من الكتاب من نداءات الرحمن. منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة

قال: [هذا واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر] وهذا الخبر في الموطأ وفي البخاري و مسلم وفي أحاديثه المحفوظة كالقرآن [أن له درجة في الجنة] وأنتم تعرفون درجات السلم، فهي درجة فوق درجة، وأما درجات السماء ومنازل أهل السماء فإن أهل الجنة يتراءون منازلهم كما تتراءى الكوكب الغابر في السماء في البعد، ومساحة أقل منزل أكبر من الدنيا مرتين، فهذا الكويكب المنتن لا قيمة له، فالشمس أكبر منه مليون مرة، ولا تعجب، وهذه العوالم كلها تتبخر وتعود سديماً، وعالم السعادة وعالم الشقاء وراء ذلك، فقولوا: آمنا بالله [تسمى الوسيلة] والذي أخبر رسول الله بهذا هو الله، فهو الذي أخبره بكل شيء، وهو الذي أعلمه بأن هذه الدرجة تسمى الوسيلة [وهي أقرب منزل إلى عرش الرحمن] جل جلاله وعظم سلطانه، وليس فوقها منزل، وكل المنازل دونها [وأن من سألها من الله تعالى له] أي: للنبي صلى الله عليه وسلم [نالته شفاعته] أي: الذي يسأل الله تعالى أن يعطي رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم هذه المنزلة نالته الشفاعة، وأصبح ممن سجلوا في ديوان المشفوع لهم، فلا يستغنين امرؤ عن شفاعته الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنها أنواع: فمنها: أن يخرج من النار بشفاعته. ومنها: أن يدخل الجنة قبل غيره.

ومنها: أن يرتفع مقامات ومنازل ما كان ليصل إليها بدون هذه الشفاعة. فلهذا لا غنى لأحدنا عن شفاعته الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكل هذا جحدوه وعلمونا أن نقول: يا رسول الله! اشفع لنا، والرسول لا يملك هذا، وليس بيده هذا، فقد قال ربنا جل جلاله: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [البقرة:255]. فلنفهم هذا الكلام.

الأمر بتقوى الله عز وجل

نادانا مولانا ليأمرنا -وقد أمرنا- أولاً: بأن نتقيه، ولا نتعرض لغضبه وعذابه، ولا نتقيه بالجيوش، ولا بالحصون، ولا بالأسوار، وإنما نتق عذاب الله بطاعته، وبالإسلام إليه، والاستسلام له، فإن قال: اسكت سكنتنا، وإن قال: انطق نطقنا.

وبهذا نتقي الله.

الأمر بابتغاء الوسيلة إلى الله عز وجل

الأمر الثاني: وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ [المائدة:35]، أي: تملقوه وتزلفوا إليه وتقربوا إليه، فأنتم في حاجة إليه وفقراء إليه، وتنملقه تعالى بما يوحى إلينا، فإذا علمنا أنه يحب المشية الفلانية مشيناها، وإذا بلغنا أنه يحب الكلمة الفلانية

قلناها، وننزلف إليه لأن حاجتنا وحياتنا بين يديه، ولا غنى لنا أبداً عنه بحال من الأحوال، فهو بيده كل شيء، لا أن نتملك الأغنياء وأرباب الدنيا حتى يرضوا عنا، بل نتملك الجبار الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، فقد قال تعالى: **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ [المائدة:35]**.

وقد عكسها أعداء الإسلام، وجعلوا التملك إليه الإعراض عنه والإقبال إلى سواه، تحت شعار الوسيلة الكاذبة. وقد عرفتم أنهم دعوا غير الله واستغاثوا بغير الله، وتوسلوا إلى غير الله، فذبخوا الذبائح ونذروا النذور، وحلفوا بالأولياء وعظموهم؛ بحجة أن الله قال: **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ [المائدة:35]**.

وفسروا الوسيلة بأنها: أعطني بحق سيدي فلان، واعمل لي بجاه فلان، مع أن هذه لم تجئ في أي آية ولا في أية سنة، وإنما وضعها اليهود والنصارى والمجوس، وقبلناها منهم؛ لأنهم حرمونا من الكتاب، وأبعدونا عن رسول الله، فأصبحت الوسيلة المشهورة من إندونيسيا حتى موريتانيا وحتى بالمدينة النبوية هي: أعطني بحق فلان، وهذا استهزاء بالله وتهديد له وتخويف، مع أنه ليس لأحد حق على الله، بل الوسيلة هي أن تتملك له، وأن تقول: أعطني من فضلك، كما قال تعالى: **وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ [النساء:32]**.

واطرح بين يديه، وتمرغ في التراب وأنت تبكي. وقد دافع عن هذا الباطل علماء، وظلت أمة الإسلام في متاهات قرابة ثمانمائة سنة، وإلى الآن هذا الدرس لم تسمعون، ولم تعلموا به إلى الآن، وملايين المسلمين لم يعرفوه، ولا عرفوا كيف نتوسل إلى الله ليرضى عنا، لا ليقتضي حوائجنا فقط، وليكن همنا أن يرضى عنا ولا يسخط، وأن يحبنا ولا يكرهنا.

وعرفنا أنك إذا مشيت في شارع أو زقاق من أزقة المؤمنين ووجدت حصاة أو شوكة أو عقرب أو أي أذى وقلت: هذا يمشي عليه عباد الله المؤمنين، وهذه الحصاة تضرهم أو هذا الأذى يؤذيهم ثم أبعدته تملقاً إلى سيدهم لا إليهم هم فإنك تنزلف إلى مولاهم، فيسجل لك في ديوانك، وإذا قلت: اللهم إن كنت رفعت هذا الحجر من أجلك لأن عبادك يمرون فافعل بي كذا والله لأعطاك لو توسلت إليه.

وهذا كله أنسون إياه، وأبعدوه عنا وعن آبائنا وأجدادنا منذ قرون، ولم نعد نعرف إلا أعطني بحق فلان، ولا نستحي أن تقول هذا الكلام أمام الله، مع أنه ليس لأحد حق على الله؛ لأن هذا باللغة الفصيحة معناه: إن لم تعطني أنت من فضلك فأعطني بحق فلان عليك! وهذه لو تقولها لغني لصفحك ولما التفت إليك، وأنت تقولها للعزيز الجبار. وكل عمل صالح شرعه تعالى لعباده ليزكي به أنفسهم يفعلوه المؤمن ابتغاء مرضاة الله، وطلباً لرضاه، وتملقاً إليه يسمى الوسيلة، ويقبله الله عز وجل.

حذر الله عز وجل عباده المؤمنين من موالاة اليهود والنصارى، إذ اليهودي أخو اليهودي، يحبه وينصره، والنصراني أخو النصراني، يؤازره ويقدمه، وأما المؤمن فهو أخو المؤمن، وولاية المؤمنين لبعضهم هي ولاية الله عز وجل، ومتى ما كان العبد المؤمن ولياً لله فإنه يحب أوليائه وينصرهم، ويبغض أعداءه ويقاثلهم. حرمة اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وعلة ذلك والتحذير من موالاتهم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله وإياكم منهم، وحشرنا في زمرة، ورضي عنا كما رضي عنهم. اللهم آمين.

وهذا هو [النداء الرابع والثلاثون] وهو [في حرمة اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، و [في [علة ذلك] أي: علة تحريم اتخاذ اليهود والنصارى أولياء [والتحذير من موالاتهم] لما يفضي به إلى الخسران في الدنيا والآخرة.

وهذا النداء مصدره والمنادي به الله رب العالمين، وولي المؤمنين، ومتولي الصالحين.

وهذا النداء وصلنا بواسطة كتابه القرآن العظيم، والكتاب وصلنا بواسطة نبيه ورسوله النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فنحن على يقين أن هذا النداء من ربنا، وقد وصل إلينا من طريق كتابه الذي أوحاه وأنزله على مصطفىه، والواسطة بيننا وبين الله وكتابه هو رسوله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، وهو من ذرية عدنان بن إسماعيل بن إبراهيم.

وهيا نتغنى بكلمات هذا النداء الطيبة؛ علنا نحفظه، وتصيح أنوار القرآن في صدورنا، ولكل من حفظه الآن أن يصلّي به النافلة؛ فإنه مجزئ كافٍ.

وإذا صلى به النافلة مرتين .. ثلاثاً استقر في نفسه، وأصبح من محفوظاته، وبذلك يكون قد كتب له خير عظيم، والله لا نستطيع تقديره بما في الأرض.

وتأمل من أنت وما أنت حتى يصلك نداء رب الأرض والسماء، فتحفظه وتقهمه وتعمل بما فيه، وإذا فعلت ذلك فلا أحد أسعد ولا أظهر ولا أكمل منك، وفي لمح البصر وأنت في الملكوت الأعلى عندما تلفظ أنفاسك، وفي دار السلام في جوار رب الأرض والسماء، ومع مواكب الطهر والصفاء من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

اللهم أزل الغفلة عن قلوبنا.

[الآية (51) من سورة المائدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة: 51]] هذا النداء والله إنه لخطير، وله آثاره العكسية إن تركناه، وهي الخراب والدمار والخسران، وله آثار إيجابية إن طبقناه، وهي تحقيق ولاية الله عز وجل، فولاية الله ليس فوقها ولاية، وفيها العز والكرامة والسيادة والهداية والسعادة. وهذا النداء ذو شأن، فلنحفل به.

سبب تحريم الله لموالاة الكافرين

قال: [ومن جهة أخرى: إن اليهودي ولي أخيه اليهودي] وقد أشرنا إلى هذا [والنصراني ولي أخيه النصراني] وقد قال تعالى: بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [المائدة: 51] [فكيف تصح ولاية نصراني على نصراني؟ وولاية يهودي على يهودي؟ إن هذا غير ممكن، ولا سائغ بحال من الأحوال] فلا تتخذ يهودياً أمريكياً صديقاً؛ لأنه لا تصح ولايته، فهو

يقتل إخواننا في فلسطين، ولا يمكن أبداً أن توالي يهودي على يهودي، أو نصراني على نصراني؛ لأن بعضهم أولياء بعض، فلا مجال أبداً لموالاتهم، وإن طلبت ذلك فأنت واهم، ولن يتحقق لك ذلك، أي: لن ينصرك اليهودي على أخيه اليهودي كيف ما كان، ولن يمكنك منه، ولن ينصرك النصراني على أخيه النصراني مهما كنت، وأنتم شاهدتم أحداث البوسنا والهرسك، وأنه لم يستطع النصارى أن يقفوا إلى جنب المسلمين، وهم يعلمون أنهم مظلومون منهزمون؛ إذ الرابطة بينهم قوية، فهم لن يوالوا على إخوانهم، ولا يعقل هذا، ونحن طامعون، فمن المستحيل أن يحبك النصراني وتحبه، وأن ينصرك على أخيه النصراني. عاقبة اتحاد الكافرين أولياء

قال: [ألا فاحذروا هذا أيها المؤمنون!] لأن الله هو الذي ناداهم بهذا [ولا تتخذوا أعداءكم وأعداء ربكم ودينكم ونبىكم أولياء لكم] أي: [تحبونهم وتتصرونهم؛ فإن ذلك يفضي بكم] وينتهي بكم [إلى الكفر - والعياذ بالله -] وهذا صحيح [ويقرر هذه الحقيقة قوله تعالى في هذا النداء: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ] [المائدة: 51] [ولا أحد يقول: لا؛ لأن الله هو الذي أخبر [ومن كان منهم فهو مثلهم] فمن كان من اليهود والنصارى فهو مثلهم [في كفر ومعاداة الله ورسوله والمؤمنين؛ وبذلك يحرم هداية الله؛ إذ الله تعالى لا يهدي القوم الظالمين. وكيف قد ختم نداءه هذا للمؤمنين ليرشدهم إلى ما يكملهم ويسعدهم] في الدارين [ختمه بقوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] [المائدة: 51] [وقد عرفنا أن الظالمين هم الذين توغلوا في الظلم، فأصبح وصفاً لهم لكثرة ما ظلموا] [ومن وإلى أعداء الله عز وجل فقد عاداه، ومن عادى الله فقد ظلم نفسه؛ إذ الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومن ظلم وكفر لم تصح موالاته أيها المؤمنون! ألا فلننق الله عز وجل أيها المؤمنون! ولنوال من وإلى الله، ولنعاد من عادى الله، فإن هذا الأمر هو الذي نادانا الله من أجله] بقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ] [المائدة: 51] [أهمية العلم والمعرفة لتحقيق التقوى

شيء آخر أيضاً: وهو أنه لا يمكن لآدمي آمن بالله أن يتقيه وهو لا يعرف فيما يتقيه، فهذا مستحيل، بل لا بد وأن يعرف أوامره وهي ماثت، ونواهيها وهي مثلها، ولن يعلم حتى يسأل، ولن يحتاج في هذا إلى أن يأخذ قرطاساً ولا قلماً، بل فقط يلقي العالم ويسأله أن يدلّه على شيء يحبه ربه؛ حتى يتملق به إليه، ويأخذ يعمل به، ثم في يوم آخر يسأله عن شيء يكرهه ربه؛ حتى يكرهه ويتركه؛ لأنه يخاف منه ومن عقابه وعذابه، فهو لا يريد أن يسخطه عليه، فيقول له: إن ربك يكره الكلمة الفلانية، فوالله ما يقولها حتى الموت، ويوماً بعد يوم - وهو فلاح أو تاجر - وفي أيام لا أعوام يعرف محاب الله ومكارهه، ولكن الذي لا يسأل ولا يبحث ليس مستعداً ليعمل خمسة أرباع الأمة اليوم، فهم يدرسون ويعرفون وينسون؛ لأنهم ما يعملون أبداً، بل يأخذون الشهادة ويطلبون بها الوظيفة حتى حراساً للمقابر، وينسون كل شيء، فهم لم يطلبوا العلم ليتقربوا به إلى الله. حرمة موالاته أعداء الله على من وإلى الله

قال: [وأن من وإلى الله عز وجل يحرم عليه موالاته أعدائه] فلن تكون ولياً لله وأنت تعرف أعداءه وتواليهم، فهذا لا يجوز منطقاً وسياسة، وهذا السلوك لا يقبل والله، وهو خيانة، وصاحبه لم يوال الله، بل من وإلى الله فإنه يوالي من يوالي الله، ويعادي من يعادي الله، ومن عادى الله يوالي من عادى الله، ويعادي من عادى الله [وأن من أعداء الله سبحانه وتعالى اليهود والنصارى] وليسوا كلهم العدو، فهناك المجوس والهندوس والبوذيين والمشركون، وأمم غير هؤلاء، ولكن هؤلاء بارزون، وهم أهل كتاب [فاليهود قتلوا أنبياءه] [وذبحوهم] [وفسقوا عن أمره] [وكفروا برسله، واستباحوا ما حرم عليهم، وفعلوا الأعاجيب] [والنصارى] يكفهم [أن ألوهوا غيره وعبدوا سواه] [وجعلوا الله ثلاثاً، ونسبوا إليه الابن والزوجة، وفعلوا العجب فضلاً أن ناصبوا الإسلام العداء، وما شنوا عليه من الحروب والفتن. فهم أعداء الله.

قال: [فلذا نادى الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين به وبرسوله وبلقائه قائلاً: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] [المائدة: 51]، أي: يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء [المائدة: 51] لكم [أي:

[تحبونهم وتنصرونهم؛ فإنهم أعداء ربكم وأعداؤكم، فكيف توالونهم؟ أتوالون من يعاديكم، وتحبون من يبغضكم، وتنصرون من يود هزيمتكم؟ هذا من جهة].
معنى الولاء والبراء

اليوم يتخبط علماء أهل الدين والدعوة في الولاء والبراء، ولمن يرغب في معرفتهما: الولاء هو: الحب والنصرة، فمن أحب مؤمناً ونصره عند الحاجة إلى نصرته فهو وليه، ومن أبغض مؤمناً وهزمه في ساعة طلب نصرته فهو والله عدو، والحق عز وجل يقول: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [التوبة: 71].
ومعنى (بعضهم أولياء بعض): أي: يحبون بعضهم بعضاً، وينصرون بعضهم بعضاً، فمن أحب غيرهم فليس بولي لهم ولا منهم، ومن نصر غيرهم فليس منهم.
فالولاء القرآني: الحب والنصرة، فيجب على كل مؤمن ومؤمنة بحب الله تعالى ونصرته أن يحب كل مؤمن ومؤمنة وينصره، ولا يراه عز وجل يخذله، ولو في مجلس جماعة يتكلمون فيه ويسبونه ويشتمونه.
والمسلمون لم يحققوا هذا الولاء ولا عرفوه، بل يجلسون يأكلون البقل ويتحدثون عن فلان، وينقدون فلاناً، ويسبون فلاناً، ويتعرضون لفلان، ويأكلون أعرض المسلمين ولحومهم.
فاعرفوا الولاء، فهو أن نحب الله تعالى وما يحب، وأن نكره من يكره الله وما يكره، فمن أحب مشركين كافرين أعداء الله ووقف إلى جنبهم ينصرهم فقد عادى الله، وأعلن الحرب عليه تعالى، وهذا ليس بالمؤمن أبداً، وسنزيد بياناً بإذن الله، وإنما استعجلنا هنا لأن كثيراً من المؤمنين لا يفهمون معنى الولاء والبراء، فالمؤمن أخو المؤمن، والمؤمنة أخت المؤمنة، ويجب أن يحب أحدهما الآخر، ولا يحب له ما يضره، ولا ما يؤذيه أبداً، ولا يحسده ويتمنى زوال النعمة عنه، ولا يبغضه، ولا ينظر إليه بنظرة شرراء، فمن فعل هذا فليس ولياً لله، ولا مؤمناً.
تحذير المسلمين من نزول العقاب الإلهي بهم

اعلموا أننا تحت النظارة، وقد قال تعالى: إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمُرْصَادِ [الفجر: 14].
فأيا إقليم من أقاليمنا الإسلامية يظهر فيه الفسق، ويقل فيه الطهر فانظر ساعته، ولن تتخلف سنة الله، وإذا كان الصلاح فيه أكثر فهو في مهلة، فإن زاد الصلاح وقل الفساد فأمن واطمئن، وإن تساوى عدد الفساق وعدد الطاهرين فأيا جانب ترجح فالحكم له، فإن كثر الفسق انتهى الأمر.
وهذه أم المؤمنين زينب بنت جحش دخل عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وخرج في يوم عاصف صعب وهو يقول: (ويل للعرب من شر قد اقترب، فقالت رضي الله عنها: أنهلك وفيما الصالحون يا رسول الله؟! قال: نعم)، أي: نهلك (إذا كثر الخبيث).

وهذه الحكمة التي تزن الدنيا درسها اليهود والنصارى والمجوس، وعرفوها وتغنوا بها، فهم يقولون: الطريق للقضاء على العدو سهل، فقط زينوا لهم الفسق، وساعدوهم على الفسق والفجور، وقد أخذوا يعملون لهذا من قرون.
ولو اتصلت بخواص اليهودية العالمية أو الصليبية لوجدت هذا محفوظاً عندهم، فلهذا علمونا الفسق والفجور وترك الصلاة، حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك، وهكذا تنزل بنا البلايا والرزايا بلداً بعد بلد، ولن تخطئ سنة الله البلد، فإذا كان البلد الفلاني الطهر فيه أكثر فلا بأس، فما زال في الحال خير، وإذا كان البلد الفلاني الفسق فيه أكثر فليتنبهوا، وإلا فلا بد وأن تحل نقمة الله.

فاعلموا هذا زادكم الله علماً، والحكومات والجمعيات والأحزاب والمنظمات لا يفهمون فهمنا هذا؛ لأنهم ما جلسوا هذا المجلس، ولا سمعوا هذا الكلام ولا عرفوه، والذي لا يجلس في حجور الصالحين لا يعرف هذا، والذي يجلس من صباه ونعومة أظفاره حتى سن التكليف لا يسمع إلا الطيب، ولا يشاهد إلا الطيب، ولا يتعاطى إلا الطيب يصبح مفعماً بتلك الأنوار، ويرحمه الله بالإسلام، ويكون ربانياً، لا خوف عليه ولا حزن لا في الحياة ولا في الممات ولا يوم القيامة، والذي ما أراد الله له ذلك يجلس يغني، ويجلس يشاهد عاهرة ترقص أمامه في التلفاز، وينفس على نفسه كما يقولون، وهو ميت.

الأسباب التي تحصل بها ولاية الله للعبد

[الشرح: اذكر أيها القارئ الكريم! أن ولاية الله تعالى تتم] وتحصل [للعبد بالإيمان الصادق والتقوى الكاملة] وهذه حقيقة مسلمة يا عبد الله! ويا أمة الله! فولاية الله تحصل للعبد بالإيمان الصادق، فليس كل من قال هو مؤمن كان صادقاً.
وهذا أولاً.

ثانياً: تقوى الله عز وجل، وقد أخبر تعالى بهذا فقال: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْفُونَ [يونس: 62-63].

ووالله لن تتم ولاية العبد لله إلا على هذين الدعامين، الإيمان الحق، والتقوى الصادقة.
اللهم اجعلنا منهم.

وهذه التقوى ليست قبة أو جسراً، وإنما هي فعل أمر أمر الله به، وترك نهى نهى الله عنه، إذ لا يتقى الله بالجيش ولا بالوسائط ولا بالأموال، ولا بالجن ولا بالملائكة ولا بالسماء، ولا غير ذلك، فالعالم كله في قبضته، وإنما يتقى الله بطاعته، فقل: أمنت، ثم إن قال: قف وقفت، وإن قال: نم فتم.
فاعرفوا التقوى.

فإذا قيل: يا فلان! اتق الله، فهذا يعني: ألا تعصيه، بل أطعه، وبدون طاعته لن تنقيه، ولو دخلت في جحر في أسفل الكون فإنه يعلمك ويقدر عليك.

والله لا يتقى إلا بإسلام القلب له، والاطراح بين يديه، فافعل ما يأمرك واترك ما ينهيك في حدود ما تستطيع؛ حتى تكون من المتقين.

الجهل بالله وما يجره على الأمة من الويلات

بلغنا اليوم أنهم اكتشفوا مؤمنين محرمين لأداء العمرة في مطار جدة، وقد ابتلعوا أكياساً من الأفيون في صدورهم وفي بطونهم، ولا إله إلا الله! وقد جدت هذا في العشر الأواخر، وغير مهم اليوم أو أمس، وهم ما جاءوا لصوصاً أو مجرمين بالبرانيط، وإنما جاؤا يلبن بالعمرة، وهذه ظاهرة عجيبة، فهم يحملون هذا السم القاتل لتدمير المؤمنين والقضاء عليهم، وقد جاءوا للعمرة، فحللوا لنا أيها المستمعون! ويا أيتها المستمعات! هذه الظاهرة تحليلاً علمياً، وقد علمتم وعرفتم ودرستم.

فهم والله ما عرفوا الله، ولا أحبوه، ولا خافوه، ولا عرفوا موجبات حبه، ولا مقتضيات الخوف منه، فالعلة هي الجهل.

وهكذا كل الأسقام والأوجاع والأمراض التي تنتج الفتن والبلاء والفقر والمحن عائدة إلى شيء واحد، وإن شئت فقل: ما عرفوا الله ولا عرفوا محابه ولا مساخطه، أي: الجهل بالله عز وجل، وبمحابه ومكارهه، وليس وراء هذا والله شيء.

وهذا لم يعرفه المسلمون بحكوماتهم ورجالاتهم ودواوينهم وعلمائهم، سوى هذه الزمرة الموجودة هنا، ولو عرفوا لطالبوا بالعلم الفوري، ولحملوا الأمة على أن تتعلم وتعرف ربها، ولكنهم لم يعرفوا الطريق، مع أن المدارس موجودة، وكذلك الجامعات والكليات، فليقم أحد هؤلاء المؤمنين ببيان لهم الطريق.

يصدر قرار من وزير الداخلية: لا يتخلفن رجل ولا امرأة ولا طفل من أهل الحي أو القرية عن صلاتي المغرب والعشاء في بيت الله كل ليلة وطول العمر إلا ذو عذر شرعي، ويتعلمون ما نتعلم الآن، وهو قال الله جل جلاله، وما بينه رسوله صلى الله عليه وآله من الكتاب والحكمة، ثم يعملون ويطبقون وينفذون، فهم ما جلسوا إلا ليعملوا بعد أن يعلموا، وحينئذ لا فقر ولا خوف ولا خبث ولا شر ولا فساد ولا بغضاء ولا عناد ولا سب ولا تكفير ولا هيجان، ويصبحون كواكب في السماء في الطهر والصفاء، ولست واهماً في هذا، ولن يعقب علي أحد ويقول: قد جربنا هذا يا شيخ! وأنا أقول: لقد نما وسما أصحاب رسول الله وأبناءهم وأحفادهم، وبلغوا منتهى الكمال البشري في السيادة والقيادة، والعزة والكمال، والعلم والبرهان والطهر والصفاء، وطأطأ لهم العالم رأسه مدة ثلاثة قرون، وهم لم يكن عندهم سوى علم الكتاب والحكمة، كما قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة: 2].

ومن هنا: لن ينتهي الفقر ولا الظلم، ولا الخبث ولا الشر، ولا الفساد ولا الانتفاضات، ولا الانقلابات ولا الدمار إلا بالعودة إلى منهج الله، ولو ملكنا الهيدروجين والذرة وطرنا في السماء، ولو كنا أفضل من روسيا وأمريكا، فأمريكا وروسيا واليابان والصين وأوروبا غرقوا في الخبث والشر والفساد.

ونحن لا نريد حياتهم، فهم قد خسروا دنياهم وأخراهم، وانتهى بينهم طعم الحياة، فهم يعملون كادحين الليل والنهار، ولا يعرفون أمأ ولا أبأ، ولا أخأ ولا أختأ، ولا دار الآخرة ولا غير ذلك، فإذا جاشت نفوسهم ذهبوا إلى المخامر والمزامير والحانات والباطل، يروحون على أنفسهم، وهؤلاء ليسوا بشراً، وهذا ليس لسان آدمي.

ولا تقولوا معاشر المستمعين! لعل الشيخ بهلول، فوالله إنني لعلی علم بما أقول، ولن يستطيع ابن امرأة أن ينقض هذه القواعد القرآنية الكريمة، والحياة أماناً، وقد جرب بعض أهل البلدان الاشتراكية وتغنوا بها، وقالوا: فزنا الآن، وإذا بهم يهبطون إلى الحضيض، ثم لفظوا الاشتراكية من أفواههم وقلوبهم، وعادوا كما كانوا، وجربوا الديمقراطية واليمين، وأباحوا أندية اللواط ودور البغاء والظلم والفساد.

ونحن نقول: لا تتركوا مزار عكم ولا مصانعكم ولا متاجركم، ولا ترموا بمساحيكم ولا أدواتكم، بل واشتغلوا من صلاة الصبح وليس من الساعة الثامنة، وانطلقوا أيها المؤمنون! من بعد صلاة الصبح إلى أعمالكم، وانتجوا قبل أن تستيقظ أوروباً، فستنتجون أكثر مما تنتج، فإذا مالت الشمس إلى الغروب في الساعة السادسة فوقفوا العمل، واغتسلوا أو توضئوا، والبسوا ثيابكم، واحملوا زوجاتكم وأولادكم على دوابكم أو سيارتكم إلى بيوت الرب، ويجتمع أهل القرية كأهل الحي، بلا خوف ولا فزع ولا ألم، فيصلون المغرب ثم النافلة، ثم يجلس لهم الرباني المعلم ويعلمهم قال الله وقال رسوله، وهم بين يديه، ويعلمهم يوماً آية ويوماً حديثاً، فيتعلمون الكتاب والحكمة، ويحفظون ويفهمون ويرتفعون، ويستمررون على ذلك، وسيتبع ذلك حسب سنة الله أنه والله لن يبقى شره ولا ترف ولا حب للدنيا والتكالب عليها، هذا التكالب الذي لو شرحنا آثاره لما استطعنا أن نكملها، ولزهدنا في هذه الأوساخ والقاذورات، فيتوفر المال، ولا يبقى بيننا من يتألم من الجوع أو العطش أو العري، ولا يبقى من يفعل جريمة في قريته، ولا من يزني بامرأة أخيه أو ابنه، ولا من ينظر نظرة شزراء إلى مؤمن أو يلغنه أو يشتمه؛ لأنهم علموا وعرفوا، واتصلوا بالملكوت الأعلى، وأصبحوا كالملائكة لليقين الذي في نفوسهم، ويكون أعرفاً بالله أتقانا له وأصلحنا وأكملنا وأطهرنا وأعدنا وأرحمنا، وفي الحلقة فقط أعلمنا بالله أتقانا له، وأحسننا سلوكاً حتى في معاملته مع امرأته وأولاده، وأجهلنا أفسقنا وأضرنا؛ لأن هذا سنة الله، وقد قال: **فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا** [فاطر: 43].

فالطعام يشبع، والماء يروي، والنار تحرق، والحديد يقطع، وهذه سنن لا تتبدل، وكذلك معرفة الله وحبه وخشيته تكسب المرء طمأنينة وهدوءاً، وطهراً وصفاء، وتقوى ورضا الله عز وجل، وقل ما شئت، فلن تتخلف تلك السنن. والمسلمون ما سمعوا هذا، وخاصة المنظمات والأحزاب والجمعيات فهي لم تأتي إلا بالفتن. بيان أن هداية الله متاحة لأصناف من الخلق، محروم منها أصناف أخرى

على سبيل التعليم: قال تعالى: **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** [المائدة: 108].

وقال: **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** [البقرة: 264].

وكذلك فإن الله لا يهدي القوم الكاذبين، ولا يهدي القوم المجرمين، والمعنى: أي: الذي توغل في الفسق، وأصبح الفسق طبعاً من طباعه، وغريزة من غرائزه، فهذا قد انتهى أمره، وهو لا يصلح للهداية؛ لأنه لو سقيها ماء لما قبلها، فهذا لا يهديه الله حسب سنته، ومن كفر وتوغل في الكفر حتى أصبح الكفر من خصائصه ومن سماته ومن علاماته فقد بلغ حداً لا يقبل الهداية، والله لا يهديه.

فانتبهوا.

وكذلك من ظلم وتوغل في الظلم وتعمق فيه حتى أصبح لا يقبل إلا الظلم، ولا يتلذذ إلا بالظلم.

وكذلك الذي توغل في أية جريمة ولو كانت الأفيون، فإنه لا يسعد ولا يرتاح ولا ينشرح صدره ولا يطيب أكله إلا إذا فعلها.

وهذا واقع.

والذي تمرن على الكذب طول عمره، وإذا لم يكذب لا يرتاح كذلك.

فهذه سنن الله التي لا تتبدل، وهذا هو الضلال البعيد التي يحرم صاحبه الهداية.

وهذه خذوها من كلمة الظالمين .. الفاسقين .. المجرمين؛ لأنهم توغلوا في هذا، وأصبح هذا الظلم أو الفسق أو الكفر أو الفساد وصفاً لهم لازم، فهم لا يعالجون منهم، ولا يهديهم الله.

ومن الأمثلة على ذلك: لو أن مريضاً استشرى الداء في جسمه وعرف الأطباء بالتجارب في الحياة أن فلاناً لا ينفعه دواء فإنهم يقولون: انقلوه إلى بيتكم، والأطباء يقولون هذا لأنهم عرفوا أن هذا المريض قد انتشر، ولم يعد قابلاً أبداً للشفاء.

وهذا معروف.

ومن هنا لا تأتي الهداية الإلهية يا عبد الله! ويا أمة الله! إلا إذا زلت القدم ووقعت في الإثم وعجلت بالتوبة قبل فوات الأوان.

فليفهم السامعون هذه الكلمة، وهي أنه إذا ارتكبت إثماً فعجل بالتوبة منه، والبعد عنه والاستغفار والندم والبكاء، والعزم على أن لا تعود إليه بحال من الأحوال، فإنك إذا لم تسارع وتعاود فلا تأمن أن يصبح ذاك الإثم من خصائصك، فلا ترتاح إلا له، وحينئذ ينتهي أمرك، كما قال الله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة: 51].

فليفهم السامعون والسماعات هذا، وليعرفوا أن التوبة تجب على الفور، وهذا قاله العلماء، وقاله الله قبلهم، وهم أخذوه من كلام الله، واسمع آية النساء: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ [النساء: 17].

وهذه الصيغة معروفة، فالتوبة على الله حقاً يمنحها ويعطيها ويهبها ولا يحرمها عبده لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ [النساء: 17].

ولم يقل: ثُمَّ يَتُوبُونَ [النساء: 17] وسكت، وإنما قال: ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ [النساء: 17]؛ لأن سنة الله في الكون والكائنات والإنس والجن والحيوانات أنه إذا تعود المرء على شيء وألفه وأصبح في خلائاه وفي أنسجة حياته يصعب عليه أن يتركه.

وهذا يسمونه: المدمن.

بيان بعض ما اشتمل عليه هذا النداء

لاحظوا كل جملة من هذا النداء على حدة: أولاً: حرم علينا سيدنا ومولانا؛ لأن هذه اللام لام النهي، والنهي يقتضي التحريم، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المائدة: 51].

ولنقل: لبيك اللهم لبيك، مُر وانه، ثم قال: لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ [المائدة: 51].

ومن قال: لا مسح من ديوان المؤمنين؛ لأنه رد على الله ورفض دعوته.

ثانياً: وشيء آخر، وهي قوله: بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [المائدة: 51].

ومن غير المعقول والمنطقي والمفهوم أن تتخذ يهودياً ولياً لك على يهودي آخر، أو تتخذ نصرانياً ولياً لك على نصراني آخر؛ لأن بعضهم أولياء بعض.

إذاً: فلا تحبهم ولا تنصرهم وإن أحبوك ونصروك، فهم فيما بينهم أولياء لبعضهم، إذاً: فلا توال نصراني على نصراني، ولا على أخيه أو ابن أخيه أو ابن عمه أو ابن عقيدته؛ لأنهم بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [المائدة: 51].

ثالثاً: والمصيبة هنا هي: أَنْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ [المائدة: 51].

ولا أحد ينكر هذا، أو يقول: لا، ليس منهم؛ لأن القائل هو الله.

وهذا حكم، فقد حكم فَإِنَّهُ مِنْهُمْ [المائدة: 51].

فإن سعدوا سعد، وإن خسروا خسروا، والله إنهم لخاسرون.

رابعاً: وشيء آخر: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة: 51].

فالذي يضع الحب في غير موضعه ويضع النصرة في غير موضعها فهو ظالم، وإذا كان ظالماً فإن الله قد أعلن أنه لا يهديه إلى ما يكمله ويسعده.

وهذا هو التوقيع الأخير في الآية: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة: 51]، أي: كل من ظلم وأصبح الظلم وصفاً له لازماً، أي: المتضلعين في الظلم، فانتبهوا لهذا.

وليس كل من ظلم حرم الهداية؛ إذ ما منا أحد إلا ويظلم، ولكن إذا أصبح الظلم وصفاً لك فهنا يقال: هذا ظالم.

وهذه القضية أهل الحلقة عرفوها ونسوها.

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

وهذه قاعدة عامة.
ولو رحلنا إليها إلى قارات بعيدة عنا لما كانت رخيصة.
فإذا أمرك الله أن تحب أولياءه وتتصرهم فأبغضتهم وخذلتهم فهذا ظلم، وليس عدلاً؛ لأنك وضعت الشيء في غير موضعه، وإذا أمرك الله أن تبغض أعداءه كما أبغضهم وأن تخذلهم كما خذلهم فعكست ذلك فأحبيبتهم ونصرتهم فهذا ظلم، وليس عدلاً.

لقد أنعم الله عز وجل على عباده المؤمنين بهذا الدين القويم، وجعله سبباً لسعادتهم وسيادتهم في الدنيا، وسبيلاً موصلاً إلى رضاه وجنته في الآخرة، فهي نعمة عظيمة لا يزهدها فيها إلا سفيه، ولا يردّها إلا مغبون، والله عز وجل غني عن خلقه، فمتى ما ظهر منهم التمرد على الدين، والإعراض عن سبيل المؤمنين استبدل الله غيرهم بهم، ممن يقوم بأمر دينه، ويرفع راية الجهاد في سبيله.

حرمة اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وعلة ذلك والتحذير من موالاتهم

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا والحمد لله لرَبنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، وبالأمر كنا مع النداء الرابع والثلاثين، وبقي من شرحه فقرات عديدة لا بأس أن نمر بها؛ تذكيراً للناسين، وتعليماً لغير العالمين.

قال: [فكيف لا نحذر] ولا نحتاط لأنفسنا خشية [أن نكون يهوداً أو نصارى] وذلك [إذا نحن واليناهم] أي: أحببناهم ونصرناهم [والعياذ بالله من الكفر بعد الإيمان، ومن الضلال بعد الهداية] وإياك أن تفهم أن الولاء غير الحب والنصرة، فتقع في مهاو بعيدة، وقد قال تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [التوبة: 71]، أي: يحب بعضهم بعضاً، وينصر بعضهم بعضاً، فمن أخل بالحب أخل بالولاية، ومن أخل بالنصرة أخل بالولاية، ولا تكمل الولاية للعبد المؤمن إلا بحبه ونصرته، وأنواع النصره كثيرة، ومنها: أن تنصره على الشيطان إذا استزله وأغواه، ورماه في مزال الذنوب والآثام، وأن تنصره على أعدائه، الذين قد يكيّدون له ويمكرون به.

قال: [ولتعلم أيها القارئ والمستمع! أن الموالات التي حرمها الله تعالى علينا هي أن نحب اليهودي بقلوبنا] كما نحب الابن والأب والأخ والأخت [ونعرب له عن ذلك] ونفصح [بالسنتنا] كأن تقول: إني أحبك [وأن نقف إلى جنبه ننصره على أعدائه، وهم إخواننا] فنهزم إخواننا نصره لعدو الله [هذا الحب والولاء هما للمؤمنين لا للكافرين، فالمؤمن يحب المؤمن، ويعرب له عن حبه بلسانه وعمله، ويقف إلى جنبه ينصره ويموت معه أو قبله؛ لأنه أخوه في الإيمان والإسلام والإحسان وولاية الرحمن.]

أما الكافر من يهودي أو نصراني أو مجوسي أو بوذي أو مشرك فإنهم كفروا برَبنا ونبينا وديننا، وحاربونا وحلموا الحقد والبغض والعداء لنا ولربنا عز وجل، فكيف تسوغ موالاتهم مع هذه الفواصل المختلفة والصوارف المتعددة؟ اللهم لا، لا.

وأخيراً لنجتنب أي مظهر من مظاهر اليهود والنصارى وأهل الكفر قاطبة، حتى في الزي واللباس والشعار، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

والله ولي من والاه، وعدو من عاداه، ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [كان هذا بقية نداء أمس، ونص النداء هو بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة: 51].]

التحذير من الردة عن الإسلام وبيان صفات المؤمنين الصادقين

نداء الله لنا في هذه الليلة المباركة هو [النداء الخامس والثلاثون] ومضمونه وفحواه والمطلوب منه هو [في التحذير من الردة عن الإسلام، وبيان صفات المؤمنين الصادقين] بحيث تنظر إلى هؤلاء المؤمنين وتراهم، وهذا أمر عظيم؛ لأنه أولاً: يعلمك تمام الحذر من أن تنزلق فترتد عن دين الله بكلمة، فتخسر خسراناً أبدياً.

وثانياً: لأن الاتصاف بصفات هؤلاء المؤمنين كله نور، فيصبح المؤمن موصوفاً بصفات يعرفها القريب والبعيد. اللهم اكسنا كل تلك الصفات، وحلنا بها، وأظهرها علينا يا رب العالمين! قال: [الآية (54) من سورة المائدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] المائدة: 54].

الشرح: اذكر أيها القارئ الكريم! أن نداءات الرحمن [السبعين] لعباده وأوليائه المؤمنين تدور حول زيادة هدايتهم، وطلب كمالهم وسعادتهم في الدارين [أي: في الدنيا والآخرة، وليس هناك نداء يخرج عن هذا؛ لأن الله وليهم ومولاهم، وهم عبيده وأوليأؤه، وهو لا يريد أبداً منهم إلا أن يكملوا ويسعدوا في الدنيا والآخرة. فإذا أمرك بأمر فافرح؛ لأنه لإكمالك، وإذا نهاك عن شيء فافرح؛ لأنه لإبعادك عن المخاطر والمهلك والنقصان والخسران، ولن يكون سوى هذا؛ فلهذا صدور المؤمنين والمؤمنات منسجمة إذا ناداهم الله. وقد أتى مؤمن إلى عبد الله بن مسعود وقال: يا عبد الله! اعهده إلي بشيء؛ فأنت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصني وكلفني بشيء طول حياتي أقوم به، فقال له: إذا سمعت الله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فاعرها سمعك؛ فإنه إما خير تدعى إليه، وإما شر تنبه وتحذر منه. فلا ننسى هذه، ونحن لم بلغ هذه لإخواننا في البيت ولا في السوق ولا في الشارع ولا في المسجد؛ لأن الجفاء موجود.

فإذا جلست تتحدث مع بعض المؤمنين فقل لهم: اسمعوا، عندنا حكمة عظيمة، وهي أنه بلغنا من طريق صحيح: أن أحد المؤمنين من التابعين قال لعبد الله بن مسعود الهذلي الصحابي الجليل: يا عبد الله! اعهده إلي بشيء، ووصني، فأنت عشت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلمت منه الهدى، فاعده إلي بشيء، فقال له: إذا سمعت الله القارئ يقرأ أو قرأت أنت: (يا أيها الذين آمنوا) فأعطها سمعك؛ لأنه خير تؤمر به، أو شر تنبه عنه، وأنت لا تريد إلا أن تكون سعيداً في الدنيا والآخرة.

ونحن ما بلغنا هذه؛ لأننا ما فارقنا الأرض ولا بشبر، ولكن عما قريب إن شاء الله، ومن علم وعمل بما علم وعلمه دعي في السماء عظيماً، فلتنق أنفسنا؛ حتى نكون من عظماء الرجال في الملكوت الأعلى، لا أن نكون في أوروبا الهابطة أو في أمريكا الساقطة، بل في الملكوت الأعلى، فإذا تعلمت مسألة فاعمل بها في ليلتك، وانقلها إلى غيرك في غدك وأنت ماش؛ فإنك تكمل بهذا، وهذا لا يعجز عنه المرء، ولكن سمة الهبوط ما زالت فينا، فلنصح منها، نسأل الله تعالى أن يغيرها.

الطريق الموصل إلى اكتساب صفات المؤمنين

قال: [إن هذه الصفات الست التي لا يقدر على إعطائها إلا الله، ولا يستحقها إلا أولياء الله هي من فضل الله تعالى، وفضل الله لا يعطى إلا لمن طلبه ورغب فيه وصدق في طلبه، وسلك السبيل المحقق له والموصل إليه] قطعاً، وأما من أعرض فيعرض الله عنه [وقل لي: بم يطلب هذا الفضل العظيم؟ فإني أعلمك بأنه يطلب بالإيمان بالله، والكفر بالطاغوت؛ إذ قال تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] البقرة: 256-257].

وإن قلت: ما كيفية الإيمان بالله والكفر بالطاغوت؟ قلت: إنها حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هو: أن يؤمن بالله رباً لا رب سواه، وإلهاً لا إله غيره، ويعلم ذلك بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويعبد الله بما شرعه من عبادة بين كفيته رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يعبد مع الله غيره بأية عبادة، ويسخط ولا يرضى بعبادة غير الله أبداً [فأهل لا إله إلا الله يسخطون على عبادة غير الله.

[وأخيراً أيها القارئ! - وأحسبك قد فهمت نداء الله وما تضمنه من هداية وهدى- فإليك وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه أبي ذر [الغفاري] فافهمها واعمل بها تكمل وتسعد.

أخرج ابن كثير في تفسيره رواية أحمد في مسنده رحمه الله إذ قال: عن أبي ذر قال: (أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم) [وخليته هو الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن حبه تخلل قلبه] (بسبع) [أي: خصال] (أمرني بحب المساكين) [فخذوا هذه اجلسوا مع المساكين، وكلوا معهم الخبز، وقد مر الحسن بن علي على فرس في بلاد وإذا بفقراء جالسين في ظل يأكلون شيئاً من الخبز والتمر، فقالوا: يا ابن بنت رسول الله! تفضل باسم الله، فنزل من على فرسه وجلس معهم يأكل التمر والخبز ويداعبهم.

وصلى الله على محمد.
صفات المؤمنين الصادقين

قال: [أما صفات المؤمنين الصادقين فقد بينها الله بقوله: فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ [المائدة:54]] أي: يلومهم. فالآية اشتملت على التحذير وعلى صفات المؤمنين [فأولى هذه الصفات: حب الرحمن] عز وجل [لهم، ولنعم هذه الصفة] وهذه الصفة لا توهب، بل إنها تطلب من الله. وهذه أعظم صفة.

[وثانيها: حبهم لله تعالى، وأعظم بها] وأنعم بها من [نعمة] أيضاً، فكونك تحب الله وقبل ذلك قد أحبك الله ليس بعد هذا من مطلب.

والله لا يحب فلاناً إلا لأنه طيب طاهر، والله يحب الطيبين ويحب الطاهرين، ولو كان خبيثاً منتناً فحاشا لله أن يقبله؛ لأن نور الإيمان والاستقامة على منهج الحق تجعل القلب كله كتلة من نور، والنفس كلها طهارة وزكاة. [وثالثها: كونهم أدلة على المؤمنين أي: هينين لينين] وليس هناك عنجهية وغطرسة وتعال، ولا ضرب ولا ركل، وخاصة مع الضعفة والمساكين، وهذه ليست صفة المؤمنين، بل صفة المؤمنين: أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ [المائدة:54].

فكن مع الكافر كالجبل، لا لين ولا انكسار ولا غير ذلك، ومع المؤمنين متواضعاً، تسألهم عن حالهم، وتطلب منهم المسامحة، وتتكلم مع الفقير، وتجلس إليه، ولا تحاول أن تترفع فوقه. هذه صفات المؤمنين أولياء الرحمن.

[ورابعها: أعزة على الكافرين؛ أي: أقوياء أشداء.

وهاتان الصفتان الرابعة والثالثة جاءتا في نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه] رضي الله عنهم [إذ قال تعالى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ] تَرَاهُمْ رُكُوعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ [الفتح:29].

ونحن ليس عندنا سيما؛ لأننا نصلي على الفرش والزرابي والحرير الناعم، وهم كانوا يصلون على الحجارة والتراب، ونحن نصلي على الزرابي المبتوثة والسجاجيد الحريرية، وكأننا في الجنة، وهم والله كانوا يصلون على التراب وعلى الحصباء، والذي يصلي يوماً .. يومين .. شهراً .. عاماً على الأرض لا بد أن يظهر ذلك على جبهته، وكانوا يتلذذون بذلك.

وهنا لطيفة خدوها أيضاً قبل الفوات: روى أحد العلماء المعاصرين في الحديث: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجن الأرض لما يقوم من السجود إلى القيام)، أي: يضع يديه هكذا على التراب، وهذا الحديث وإن صح سنداً فقد لا يصح واقعاً، والآن تشجعنا لتلك النظرية، فإذا مالك روى تسعمائة ألف رددناها وأخذنا ثلاثة آلاف، وهو من أبناء الصحابة، فقلت لأحد الأبناء: هذا الحديث لا يصح أبداً، ولو كان من السنن لما أغفله مالك ولا أحمد ولا الشافعي ولا الإمام أبو حنيفة ولا غيرهم، ولا تركوه، فقلت له: اسمع، هيا صل أنت على الأرض كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي واعجن هكذا، فإن أصابعك تصبح كأنها حوافر بغل أو حيوان.

فالحديث وإن صح لا يصح، لكن الآن إذا عجنت لم يضررك شيء؛ لأنك تسجد على الزرابي المبتوثة، لكن لو كنت تصلي طول حياتك على الأرض لضررتك.

فاعرفوا هذه وخذوها.

وقد عرفتم العلة في أن هذه السيمة ليست عندنا، وهي ليست صفة خاصة بهم، وللمؤمن نور، وهذه السيمة في الوجوه من السجود، فالذي يسجد وإن قل على الأرض يحدث له هذا، وهي علامة بارزة، وتشهد لأهلها يوم القيامة، وأهلها من الغر المحجلين من آثار السجود.

ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ [الفتح:29] أَيْضاً، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ [الفتح:29] شَيْءٌ آخَرُ.

[وخامسة الصفات: يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [المائدة:54]، أي: كلما دعا داعي الجهاد حملوا سلاحهم وخرجوا، لا هدف لهم ولا غاية سوى رضا الله ونصرة دينه وأوليائه.

وسادسة الصفات: أنهم لا يخافون في اعتقاد الحق وقوله والعمل به وإظهاره والدعوة إليه لومة لائم، بل ولا عداة معاد، ولا حرب محارب؛ وذلك لكمال علمهم [أولاً [وصحة إيمانهم، وعظيم يقينهم] هذا هو السبب.

[وقل لي أيها القارئ الكريم! بم ختم الله توجيهه لأوليائه في هذا النداء العظيم؟ إنه ختمه بقوله: ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة:54]] أي: واسع الفضل، عليم بمن هو أهل لهذا الفضل، لا يعطيه لكل من هب ودب، بل يعرف أين يضع فضله.

ولطيفة أخرى: وهي أننا كنا شبيهة نقرأ كتب قديمة الطبع، مثل الطبعة الحلبية الاسطنبولية وغيرها، وكان يقول الطابع: أتحدى من يثبت عندنا خطأ أو خطأين في هذا التأليف، ويكون المؤلف مجلدات، ويقول: لا يمكن أن يوجد خطأ، واليوم أصبح لا يسلم كتاب من الخطأ، والسبب: أولاً: كان العلماء علماء كبار، ولا يوجد علماء صغار، بل إما عالم وإما جاهل، ومن عكف على العلم ورحل إليه وفاز به واحد، وعامة الناس جهال، فالذي يتولى تصحيح الكتاب علماء.

والثانية: كان خريج الأزهر أو الكليات الإسلامية هنا وهناك لا يجدون وظيفة، فيقبلون أن يوظفوا في مطبعة يصححون، ويعكفون على التصحيح مقابل الحصول على قوتهم، وأما الآن فقد انتشر العلم حتى بين النساء.

وقد فتحت أبواب الوظائف ليطالب العلم لغير الله، فأصبح العلماء موظفين، ولم يوجد من يصحح هذه الكتب، فكبار العلماء مشغولون، ولم يعودوا محتاجين لأن يصححوا، فأسند هذا إلى الطلبة الصغار، وهم لا يفرقون بين قام زيد وقعد عمرو، فيخطبون ويخطبون، ومن هنا انتشرت الأخطاء في الكتب، اللهم إلا القرآن فإنه محفوظ بإذن الله، وإلا لكانوا قد بدلوه.

هذا هو السر، وهذه هي الحقيقة.

التحذير من الردة عن الإسلام والعودة إلى الشرك

قال: [وها هو ذا تعالى يحذرهم] أي: أولياء الله المؤمنين [من الردة عن الإسلام، والعودة إلى الشرك، وهذا نادر، وإنما المتوقع هو التهود والتنصر والعياذ بالله] وهناك فئام خلق كثير تنصروا وتهودوا في العالم بعدما كانوا مسلمين، وأما الرجوع إلى الشرك فنادر، وإن كنا نتعاطى الشرك عن جهل، ولكن هذا ليس بردة، وإنما الردة هي رفضنا الإسلام والعودة إلى عبادة الأصنام، ولكن الجهل غلب الناس فعبدوا مع الله الأولياء والقباب والقبور بدون علم، ولكنهم لم يرفضوا التوحيد، ويقبلوا على الشرك قال: [ويدل لذلك] أي: أن العودة إلى التهود والتنصر أقرب منها إلى الشرك [تحذيره في النداء الرابع والثلاثين] الذي مضى أمس [قبل هذا؛ إذ حرّم موالاة اليهود والنصارى، فقال: لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ [المائدة:51].

إذ هذا سبيل التهود والتنصر] ونحن قد اتخذناهم أولياء، وتلاقينا معهم وتحاببنا وتعانقنا، وهذا هو طريق التنصر والتهود.

عاقبة تولي الكافرين

قال: [ثم اعلم أن من تولاهم أصبح منهم، وبذلك يكون قد ارتد عن الإسلام، ودخل في اليهودية أو النصرانية - والعياذ بالله تعالى- من السلب بعد العطاء، ومن الضلال بعد الهدى] لأن الله قال: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ [المائدة:51]، أي: قد ارتد [وها هو ذا سبحانه وتعالى يناديهم فيقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ] وفي قرآنية سبعية: (من يرتد) [أي: يرجع منكم أيها المسلمون! عَنْ دِينِهِ الذي هو الإسلام].

بيان ما تقع به الردة

قال: [وقل لي: بِمَ تكون الردة؟] وقد حرم الله تعالى علينا الردة وأخبر أن من يرتد يلقَ جزاءه [إنها تكون باعتقاد اليهودية] وأنها دين حق [أو النصرانية] وأنها دين الله [وحبهم وموالاتهم، وشهود معابدهم وعباداتهم] والغافلون في غير ديارنا هذه يحضرون معهم الاحتفالات الدينية، ويشهدونها في معابدهم [والتزيي بزيتهم] ودافع هذا الرغبة الأكيدة في أن يكون مثل المسيحي أو اليهودي في كل شيء، حتى في رباطة العنق كما يسمونها، وأنت مطالب بأن لا تحبهم، فإذا أصبحت تقلدهم في أزيائهم وسلوكهم ومنطقهم فسوف تساق قطعاً إلى أن تحبهم، وفي الحديث: (من تشبه بقوم فهو منهم).

وهذه القاعدة قلنا: لو يجتمع علماء الفلسفة والكون والحياة والاجتماع والسياسية والآداب على أن يبطلوها بالبراهين لم يستطيعوا، ولا يستطيع شخص أن يتشبه بعاهرة دون يكون مثله، ولا يستطيع أن يتشبه بعفريت من اللصوص ولا يكون مثله.

وقوله: (من تشبه) معنى تشبه: أراد وعمل وعزم، وأخذ يعمل على أن يكون مثلهم. وهذه صيغة التشبه، على وزن تفعل، أي: أراد أن يكون، فإذا أراد الشخص أن يتشبه بمغني فإنه يصبح مثله، وإذا أراد أن يتشبه بممثل أصبح ممثلاً، وإذا أراد أن يتشبه بعلي بن أبي طالب في بطولته فإنه يصبح بطلاً، وإذا أراد أن يشبهه بغني سخي أصبح مثله، المهم: لن يستطيع ذو عقل أن يرد على من يتعلم علومه من خالق العلوم وواهبها. ولما نكون في أزياء اليهود والنصارى لا يمكننا أن ندعوهم إلى الإسلام، وليس لنا سمة مميزة لنا، وهم لن يعرفونا. ولهذا من عشرات السنين وأنا أقول: عندما يجلس حكام المسلمين وممثلوهم في مجالس الأمم المتحدة والأمن يجب أن يجلسوا بلباسهم الإسلامي؛ حتى يتساءل العالم عن هذا الزي، فيقال: هؤلاء مسلمون، فيتساءلون عن الإسلام، ويتعرفون عليه، وأنا أعرف أن أغلب السامعين لا يستطيعون هذا الكلام، فهذا يحتاج إلى وعي وبصيرة. وأستاذكم رسول الله عمل جهده أن يستقل المسلمون في زي خاص بهم، وحتى في الأيام باعد بيننا، فقال: (لا تصوموا يوم السبت).

حتى لا تتشبهوا باليهود، وهذا ليحفظ استقلال المسلم، فيصبح آية يدعو إلى الله باستقلال، وأما إذا أصبحنا مثلهم فلن ندعوهم؛ إذ لا فارق بيننا وبينهم.

وأزيدكم: قبل خمسين سنة تبجح فرنسي في جريدة وقال: نحن سدا العالم العربي وحكمناهم، وهم في قبضتنا، ومع هذا فنحن لا نتميز عنهم، بل نسمح لهم أن يلبسوا لباسنا، ويتزويوا بزينا نساءً ورجالاً، ويفرح بذلك، وعمرهم هذا الذي دوخ الدنيا، كان يمنع منعاً كاملاً أهل الذمة في بلاد الشام وبلاد الإسلام أن يتزويوا بزي المسلمين، ويضرب على أيديهم.

فقد كان عمر لا يسمح لليهودي أو نصراني يعيش معنا أن يصبح كالمسلم في زي، وهو كافر، بل كان يمنعهم، ويأمرهم بشد الزنار.

فألهم الله مؤمناً فرد عليه، وهذا الرد يساوي قنطار ذهباً، وإن كنتم لا تحفظونه؛ لأنكم لستم في حاجة إليه. **وَبَلَّغْ حُجَّتَنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ [الأنعام: 83].**

وما حاج كافر مؤمناً إلا هزم الله الكافر، وإن كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وعندنا لهذا مثالين: الأول: هذا، وهو أن عمر كان يعتبر المسلمين كلهم جيشاً حاملاً للسلح، يغزو ويجاهد، فلذلك لم يسمح للمدنيين الذين لا يجاهدون ولا يطلب منهم جهاد وهم أهل الذمة أن يلبسوا لباس الجندي، وأنتم في فرنسا لا تسمحون للمواطنين أن يلبسوا بدلة الجيش، فهذا ممنوع؛ لأن هؤلاء جيش، فكذاك عمر، وهذا الحق، فالمسلمون كلهم في سلك الجهاد، وأهل الذمة ممنوعون وغير مسموح لهم في الجهاد، وحرام أن ندخلهم في المعارك، فأسكت.

ونستفيد من هذا أن على المسلمين أن يكون لهم زي إسلامي واحد؛ لأنهم جيش الله، ولو عرف المسلمون هذا لما تبرموا ولا تمللوا.

والمثال الآخر في لبنان: وهو لمسيحي عامي مع مؤمن جاهل من إخواننا، قال له: أنتم المسلمون تقولون: أهل الجنة يأكلون ويشربون ألوان الطعام والشراب وكذا، ولا يبولون ولا يتغوطون، فإذا: بطونهم تصبح مراحيض، لأن معتقد النصارى أن نعيم الجنة روحاني فقط، وليس فيها أجسام، ولا طعام ولا شراب، فقد عبث بهم اليهود ومسوخهم، فقال له هذا المؤمن الجاهل: اسمع، الآن أمك في بطنها جنين، وهو في الشهر الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع يشرب، إذاً: فقد أصبح بطن أمه مرحاضاً، فالجنين يشرب ويتغذى بالإجماع، ولا يبول ولا يتغوط؛ لأن الله ما أراد له ذلك، وأهل الجنة يأكلون ويشربون ويتحول إلى عرق وإلى جشاء، والله لا بول ولا غائط ولا مخاض، فغلبه.

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ [الأنعام:83].

وأبشروا فأمامكم العلم.

وأيضاً مما تحصل به الردة: [والسير في ركاibهم، بفعل ما يفعلون، وترك ما يتركون تعبدأ وتدينأ] وإليكم لطيفة: فعلي بن أبي طالب لم يكن يدخن، ولا الإمام أحمد إمام أهل السنة، ولا الشافعي ، وإنما والله جاء هذا التدخين من السير في ركاibهم بعد أن حكمونا، فقد ابتلوا بالتدخين، وقضيته معروفة في العالم، فلما دخنا دخنا، ولم نسال إن كان فيه نجاسة أو مرض، وعما إذا كان يحبه الله أو يكرهه، بل كان همنأ أن نتملق إليهم، وندخن كما يدخنون، وإلى الآن ما زلنا لم نستيقظ، ولم يفكر أي عاقل يدخن عن سبب تدخينه، فهو لا يسمن، ولا يكثر المال، ولا يزيد في الذكاء، بل السبب هو أننا هكذا تعلمنا فقط، وهذا هو التقليد الأعمى، والسير في الركاib.

وأما السفور وكشف الوجوه في العالم الإسلامي فوالله إنها لآية ظاهرة، وهذا تقليد لليهوديات والنصرانيات، وإلا ففاطمة لم تكشف وجهها ولا عائشة ، ولا امرأة الشافعي ولا أمه أبداً، وإنما فقط أحببنا أن نمشي معهم، فلما أسفرت نسأؤهم عن وجوههن أسفرت نسأؤنا.

وهذا هو السير في ركاibهم.

فافهموا وعوا [فلندكر هذا ولا ننسه] ويوجد اليوم جهلة مغموسون في الجهل - وهم علماء في الطب والحكمة والفلسفة- يقولون: ليس هناك فرق بين اليهودية والنصرانية والإسلام، فكلها أديان الله، ونحن نعرف أن اليهودية بدعة، ما نزل بها كتاب، ولا بعث الله بها رسوله، كما ابتدعنا نحن سيدي فلان وفلان، والنصرانية بدعة أيضاً، فقد لفقوها وحسنوها، ودعوا الناس إليها، ودخلوا فيها، كبدعة المولد، وبدعة زيارة القبور، والذبائح عليها، والاحتفال بها.

والآن في العالم العربي هناك كثير يحتفلون بأعياد النصارى، وهذا موجود، ولا يبالون، ويعدون هذا خروجاً من التزمت، وأنت إذا شهدت عبادتهم وسكت فقد رضيت بها، فإذا دخلوا النار فأنت السبب؛ لأنك لم تقل لهم: هذا لا يصح، وهو باطل، وأنه يؤدي بكم إلى خسران أبدي، وهذا ليس بدين الله، بل هو بدعة، وكونك تحضر معهم وتصفق معهم فهذا دليل على أنك راض بهذا، وهم سيقولون: ديننا صحيح، فهاهم المسلمون معنا يشهدون ويحضررون، فأنت لم تغير المنكر، بل غششتهم.

قال: [ونحذر كل مسلم ومسلمة من الوقوع فيه؛ فإنه الردة الموجبة لغضب الله وعقابه.

كان هذا في التحذير من الردة].

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 38

ما فتئ أعداء الله من الكافرين يهزءون بدين الله، ويسخرون من عباده المؤمنين، وما ذاك إلا لغيظ في صدورهم، وحقق على هذا الدين في قلوبهم، ومن علامة صدق إيمان المؤمن عدم موالاته هؤلاء، فلا يمكن لمؤمن صادق الإيمان أن يوالي من يسخر من دين الإسلام، ويستهزئ به، ويحاربه؛ لأن المؤمن هو من أولياء الله، والمستهزئ إنما يحارب الله؛ فشتان بينهما.

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر الغفاري

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله منهم، وحشرنا في زمرتهم، ورضي عنا كما رضي عنهم.

اللهم آمين.

معاشر المستمعين! كان قد انتهى بنا نداء أمس عند تلك الوصية التي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه، ويسرنا أن نكون من أهل تلك الوصية، ولا مانع فباب الله مفتوح، وما قرعه أحد إلا دخل.

وهذه الوصايا هي: [

رابعاً: عدم السؤال من أحد شيئاً

الرابعة: [(وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً)] وهذه بيضاء كالشمس.

وقد كان أبو بكر الصديق إذا ركب على جواده أو فرسه فسقطت العصا أو السوط من يده يتحاشى أن يقول: أي فلان! ناولني السوط، وإنما ينزل من على الفرس وينزع رجله من الركاب، وينزل إلى الأرض؛ ليتناول سوطه.

ومن هنا أنصحك: أن لا تسأل عبد الله! غير الله شيئاً أي من أمور الدنيا، إلا إذا حشرجت في الصدر وغرغرت، وكان لا بد من ذلك، فحينئذ هناك إذن، وأما لأنك تريد أن توسع طعامك وشرابك فقط، وتجعل لك نعلين وثوبين وتسأل الناس أموالهم لذلك فهذا والله ما يليق أبداً، إلا إذا وقف العبد ولم يستطع أن يمشي، وهذا لن يتركه الله، وسيسخر له من يأتيه، ومع الأسف هذا السائد الآن عندنا في العالم الإسلامي، ولا أدري الكفار يطلبون أم لا؟ واسألوا الذين زاروا بريطانيا وفرنسا هل النصارى يفعلون فعلنا؟ ويمكن، فهم هابطون أهبط منا.

وأعود فأقول: إذا اضطر المؤمن اضطراراً كلياً حقيقياً فلا بأس أن يقول لأخيه كذا، وأما لأنه يريد أن يوفر فقط فلا، وكثير من الشحاتين المتسولين في العالم الإسلامي عندما يموتون يجدون عندهم أموالاً في بيوتهم، فقد ألفوا واعتادوا، وما عُلِّم ولا بُصِّر، فيسأل.

خامساً: قول الحق وإن كان مرأً

الخامسة: [(وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرأً)] لا يستساغ، ولا يقوى عليه إلا الربانيون؛ لأن قول الحق يظهر الباطل ويطرده، ويحق الحق ويثبت لأهله، بخلاف إذا سكتنا عنه.

سادساً: ألا يخاف في الله لومة لائم

السادسة: [(وأمرني أن لا أخاف في الله)] أي: في دعوة الله، وفي أمر الله، وفي شرع الله، وفيما يريد الله [(لومة لائم)] فلا أخاف أن يلومني فلان لأنني اطمئن في الصلاة، أو يلومني فلان لأنني قصرت ثوبي، أو يلومني فلان لأنني أقبل يدي أمني ورجليها.

فالرسول أوصاه أن لا تأخذه في الله لومة لائم، بمعنى: أن يعبد الله بكل ما أمره أن يعبد به، ولا يبالي بعمه ولا جاره ولا أخيه ولا أميره ولا غيرهم؛ لأن الله قال فيهم: وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ [المائدة:54]، أي: في شأن الله، وهي عبادته وطاعته وشرعه ودعوته.

سابعاً: الإكثار من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله

السابعة: [(وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإنهن)] أي: هذه الكلمات الثلاث [(من كنز تحت العرش)] وهناك آيتان كانتا تحت العرش، وهما قوله تعالى: آمَنَ الرَّسُولُ [البقرة:285] من آخر البقرة، فقد نزلتا من كنز تحت العرش، فلهذا إذا قرأهما المؤمن عند نومه فكانما قام ليله.

وإن شاء الله نطبق هذه الخصال السبع بإذن الله.

ثالثاً: صلة الرحم وإن قطعها أصحابها

الثالثة: [(وأمرني أن أصل رحمي وإن أدبرت (قطعت))] وهذه الثالثة.

فإن أعطوني ظهورهم أتيت من أمامهم، وأسأل عن حالهم، وأسلم عليهم، ولا أقطعهم وإن قطعوني؛ لأن الرحم اشتق الله تعالى اسمها من اسمه، فاسمه الرحمن وهي الرحم، وتعهد لها أن يصل من يصلها ويقطع من قطعها، وقال تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ [النساء:1].

لأن صلة الرحم تجعل الأسرة مترابطة، فتقوى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا ترابطت الأسرة أمكنها أن تقف في وجه الباطل والشر والفساد، وإذا تقسمت وتقطعت وتحللت لم تستطع أن تقيم واجباً، وهذا هو السر في التكتل والتجمع، أي: من أجل إقامة دين الله.

ثانياً: النظر في أمر الدنيا إلى من هو تحته لا من هو فوقه

الثانية: [(وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي)] ولا أفتح عيني على من هو فوقي وأعلى مني، لا في جمال الوجه والطلعة، ولا في المال والدينار، ولا في الشرف والكمال، ولا غير ذلك، بل أنظر دائماً إلى من هم دوني؛ حتى لا أحسد مؤمناً، ولا أبتلى بالنظر إلى أموال الناس وأحوالهم، وأنسى ذكر الله وأشتغل بالناس.

وهذه عبارة واضحة، فإذا كان عبد الله يسكن في كوخ وإلى جنبه عمارة ذات عشرين طابقاً فيجاهد نفسه حتى لا ينظر إليها، ولا يلتفت إليها أبداً، بل ينظر إلى من أكوأخهم أزرى وأحق وأعطى، وإن لم يكن هناك كوخ فهذه المباني القديمة موجودة، فيحمد المؤمن الله، ويبيت راکعاً ساجداً، ولا يلتفت إلى العمارات وناطحات السحاب، ولا ينظر إليها أبداً.

وكذلك إذا ملك سيارة بقيمة الألفين ريال، وقد دفعها يوماً وركبها فإذا مرت جنبه سيارة مرسيدس بقيمة المائة ألف أو المائتين ألف ريال فلا يلتفت إليها، ولا يتمناها أبداً، وينظر إلى إخوانه الذين يمشون على أرجلهم، ولا يجدون ما يركبون، فكونوا مستعدين إن شاء الله لهذا، وأما أنا فوالله إذا رأيت عمارة أسأل الله أن لا يعطيني مثلاً، وأقول بصراحة: يا رب! لا أريد هذا.

وهذه الثانية تحتاج إلى جهاد، أي: أن لا تنظر إلى من هو فوقك، فإذا كان راتبك ألف ريال فلا تنظر إلى صاحب العشرة الآلاف والعشرين ألفاً أبداً، ولا تفكر فيه، فهذه قسمة الله، فقد أعطاه الله لبيئته، ويظهر طيبه وخبئه، ولا تظنوا أن عطاء الله عبثاً، وإنما هو ليلوكم، أي: يمتحنكم بالفقر المدقع فترة من الزمان؛ ليرى هل أنت ولي الله أم عدوه؟ وبيئتك بالمال ويصبه عليك صباً، ويأتيك به من كل حدب وصوب، ليس لجمالك، تعالى الله عن مثل هذا، وإنما ليمتحنك أتشكر أم تكف؟ وليس منا أحد إلا وهو مبتلى وتحت النظارة، وقد فاز الصابرون.

وقوله: (أمرني أن لا أنظر إلى من هو فوق) بينت أنها في أمور الدنيا، وضربنا المثل في العمارات والأكواخ، وأما أمور الآخرة والدين فكل يود أن يكون من سادات المسلمين، ويريد أن يكون أبر من الإمام أحمد ، وأصلح من الحسن البصري ، فهذا يتنافس فيه، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون [المطففين:26]. فإذا صام شخص يوماً فصم عشرة، وإذا أعطى ريالاً فاعط عشرين، فهذا باب مفتوح، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. أولاً: حب المساكين والدنو منهم

قال: [أخرج ابن كثير في تفسيره رواية أحمد في مسنده رحمه الله إذ قال: عن أبي ذر : قال: (أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع: أمرني بحب المساكين والدنو منهم)] وهذه ليس فيها صعوبة، وهي ليست شاقة على النفس، فنحن نحب كل مؤمن ومؤمنة، والله لا نرضى بأذية لمؤمن ولا مؤمنة، سواء كانوا فقراء أو كانوا أغنياء، ولكن النفوس تشرد وتنفر من الضعفاء لحاجتهم، ولحالهم الرثة والزرية، فإذا قاومها العبد وجاهدها أصبحت تحن حنيناً إلى الفقراء، فلا بد من بذل الجهد، وقد قال تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [العنكبوت:69]. إذاً: فالخصلة الأولى هي: (أمرني بحب المساكين والدنو منهم). والدنو ضد البعد والتناحي بعيداً، بل يجلس إليهم ومعهم، ويصلي إلى جنبهم. مجمل ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر

أول خصلة هي: حب المساكين والدنو والقرب منهم، لا البعد والنفور والهروب. وأذكر لكم لطيفة، وهي: السر في أن من صلى وراء الصف وحده صلاته باطلة حتى لا يتأفف غني ذو ثياب بيضاء نظيفة من أن يصلي إلى جنب عامل فقير ثيابه وسخة، وإلا لأخره عنه والله العظيم، ولكن أغلق الرسول الباب، فبدلاً أن تبعده صل إلى جنبه أحسن وادن منه. وهذه إن شاء الله سهلة علينا.

الثانية: أن أنظر إلى من هو دوني، فإذا كان ثوبك ممزقاً فانظر إلى الثوب الذي نصفه مشقوقاً، وإذا كان نعلك كذا فانظر إلى النعل الذي هو دونه، ولا تنظر إلى الثوب الآخر أو الحذاء الآخر فتصاب ببليّة في نفسك، وتؤدي إخوانك، وتتعرض لفتن الشيطان، بل انظر إلى من هو دونك، واحمد الله عز وجل، فإذا مشيت بحذاء قديم فانظر إلى آخر يمشي حافياً، وليس عنده شيء، ولا تنظر إلى من في رجليه حذاء بخمسين ريالاً؛ فهذه النظرة تسيء إليك. وهكذا في المركوب وفي الملبوس وفي كل شيء، وإذا أردت أن تتزوج ثالثة ولم تجد فانظر إلى من هو دونك، ففلان ما وجد واحدة.

فانظر إلى من هو دونك حتى لا تزدرى نعمة الله أبداً، بل تشكر الله وتحمده على ما أعطاك. وهذه علة حياتك كلها.

والثالثة: أن تصل رحمك، وهذه سهلة، وإن قاطعوك وأدبروا عنك فهش وبش في وجوههم، وانزل إليهم، وسلم عليهم، وهكذا؛ حتى تصلهم ولا تقطعهم وإن قطعوك. وهذه سهلة.

والرابعة: أن لا تسأل أحداً غير الله، وهو لم يقل: غير الله أو إلا الله؛ لأنه معروف بالفطرة، فهو يتكلم مع صاحب جليل.

فلا تسأل أحداً شيئاً حتى ولو كان سوطاً في يدك، ولكن إذا عجز ولم يستطع أن يرفع السطل أو الزنبيل فطلب من غيره مساعدته فلا بأس إذا عجز، وأما وهو قادر فلا، فلا تذلل لغير الله، ولا تسأل غير الله عز وجل. خامساً: قل الحق ولو كان مرأ لا يستساغ ولا يقبل، ولا يضرك أن الناس لم يرضوه ولم يقبلوه، بل قلّه حتى لا يبقى المنكر شائعاً، ولا المعروف ضائعاً خافياً، فإذا سكنتا مات الحق، قلّه وإن كان مرأ.

سادساً: أن لا تخاف في الله لومة لائم، فأعبد الله، وأدع إليه، والتزم بدينه، ولا تخف أن يلومك فلان وفلان، ويقولان: تعنت، وفعلت كذا، فهذا غير مهم، ولا تبالي بلومة أباك ولا أمك ولا جارك ولا غيرهم مادمت في طاعة الله عز وجل، وأنت على علم بما تقول أو تعتقد أو تعمل.

سابعاً وأخيراً: أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وحد الكثرة أهل العلم يقولون: ثلاثمائة.

وفي مثل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا [الأحزاب:41] تشعر أنك أدبت ذكر الله كثيراً إذا كان ثلاثمائة.

فإذا أردت أن تكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله فقلها على الأقل ثلاثمائة مرة في الصباح .. في المساء .. في الليل .. عند النوم وغير ذلك، وهذا ليس واجباً، فلا تقل: هذه شريعة جديدة، بل هذه هدية نبوية. وقد أحصينا لكم ذكركم اليومي فوصل ألفاً، فهذه خمسمائة مرة في الصلوات الخمس، فقط تسبيح وتحميد وتكبير، ثم إذا أصبحت تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فهذا شيء عظيم أن تذكر الله. أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل هذه الصفات السبع. فلنجاهد أنفسنا حتى نكون إن شاء الله من أهلها. بيان ما يبلغ به العبد ذروة الكمال ويحوز به أفضل الخصال

قال: [فاعلم أيها القارئ الكريم! أنك إذا حققت هذه الصفات الست التي تضمنتها آية هذا النداء وأضفت إليها هذه الصفات السبع فقد بلغت ذروة الكمال، وحزت أفضل الخصال، ونلت ما لا ينال إلا بتوفيق وإفضال وإنعام ذي الجلال والإكرام. وسلام عليك في الفائزين.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين].
والصفات الست المذكورة في الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ [المائدة:54] هي: أولاً: يحبهم الله عز وجل.
ثانياً: يحبونه.

والقول الفصل في كيفية حصولنا وظفرنا بحب الله لنا وحبنا له: أننا إذا أحببنا الله أحببنا، فإذا أحببت الله فاطلبه، ومن طلب وجد، وبعبارة يستأنس بها: إذا بلغك وعلمت أن ربك يحب كذا فأحبه، ولا تزال تحب ما يحب حتى تحبه، وفي الصحيح: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، الأولى: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما). فإذا علمت أن الله يحب كذا فافعله حتى يحبك، وإن علمت أن رسول الله يحب كذا فأحبه ما يحبه. وبصورة واضحة إذا سألك اثنان أحدهما تحبه والثاني لا تحبه فإنك تعطي الذي تحبه، فإذا طلب الله تعالى منك شيئاً فعلامة حبك له أن تقضي حاجته.

وهذا واضح.
فإذا قلت: إنك تحب الله وإن الله أحب منك كذا وأعطيته فهذا يدل على حبك له، وإن منعت فدعوى حبك ليست صحيحة؛ لأننا شاهدناك تعطي لمن تحب، ولا تعطي من لا تحب. وهذا الأمر يتوقف على مجاهدة النفس ورياضتها ومواصلة ذلك؛ حتى تصبح النفس محبوبة، لا تحب إلا ما يحب الله، ولا تكره إلا ما يكرهه الله.

حرمة ولاية من يتخذ دين الله هزواً ولعباً من أهل الكتاب وغيرهم

الآن هذا [النداء السادس والثلاثون] وهو [في حرمة ولاية من يتخذ دين الله هزواً ولعباً من أهل الكتاب وغيرهم] وقلنا: إن الولاء هو: الحب والنصرة، فحرام أن تحب من يسخر بدينك ويستهزئ به، وحرام أن تتصره وتقف إلى جنبه وهو يسخر من دينك ويستهزئ به، كاليهود والنصارى والمشركين والمجوس. وهذا النداء هو من سورة المائدة.

قال: [الآيتان (57-58) من سورة المائدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافَرِ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنُتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا [المائدة:57-58]] ولو كانوا يعقلون ما سخروا من حي على الصلاة [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ [المائدة:58]] هذا كلام الله ونداؤه، وهو موجه إلى المؤمنين بالله ولقائه.

صيغة الإقامة

قال: [الإقامة: الله أكبر، الله أكبر.

أشهد أن لا إله إلا الله.

أشهد أن محمداً رسول الله.

حي على الصلاة.

حي على الفلاح.

قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة.

الله أكبر، الله أكبر.

لا إله إلا الله.

هذا واذكر أن معنى قوله تعالى في الآية: وَإِذَا نَادَيْتُمُ إِلَى الصَّلَاةِ [المائدة:58] إنه الأذان للصلوات الخمس.

فتح الله عليك في العلم والعمل، وعلى كل مؤمن ومؤمنة.

فقل: آمين، آمين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [وصلى الله على نبينا محمد.

حكم الإقامة

قال: [أما الإقامة فإنها سنة مؤكدة لكل صلاة] فالإقامة غير الأذان، فالأذان مكرر ومضاعف، والإقامة ليست

مكررة إلا قد قامت الصلاة فقط، فالإقامة في كل فريضة، وسواء صليت وحدك أو مع جماعة فيكفي أن يقيم المؤذن

أو من ينوب منابه، وإذا كنت وحدك فتقيم ولا تؤذن، وإن أذنت فمستحب، لكن إن لم تؤذن أقم، فالإقامة سنة مؤكدة

لكل صلاة، أي: فريضة لا النافلة [ومن أذن أقام، ولو أقام غيره] أي: غير المؤذن [لا بأس] ولا حرج.

صيغة الأذان

قال: [وإليك صيغة الأذان والإقامة: الأذان: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله.

أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله.

حي الصلاة، حي الصلاة.

حي على الفلاح، حي على الفلاح.

الله أكبر، الله أكبر.

لا إله إلا الله [إلا في أذان الصبح زيادة: الصلاة خير من النوم، وقد دارت الفتنة على هذه من عهد جهيمان إلى

اليوم، وبعض البلاد العربية ورثت هذه السنة، ويطالب أهلها أن تكون هذه الجملة في الأذان الأول، وثار فتنة

وحرّب لا معنى لها، وقلنا لهم: يا هؤلاء! قد قامت الصلاة هذا ليس كلام الله، ولا كلام الرسول، بل هذه قالها بلال،

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (اجعلها يا بلال! في أذانك).

فهذه الكلمة لتفرق بين أذان يصح فيه الأكل والشرب والجماع، وهو أذان الصبح، وأذان لا يصح فيه ذلك، فإذا أذن

المؤذن حرم الأكل والشرب ووجب الصلاة، فهي علامة فارقة، فإن وضعناها في الأول واتفقنا على هذا مشت،

وإن وضعناها في الأخير واتفقنا عليها مشت، وحرام أن تفتننا، وقد حصلت فتنة كبيرة عندنا.

فإذا كانت المرأة تريد أن تصوم وسمعت المؤذن في الحارة يقول: الصلاة خير من النوم تقول: إناً: بطل الأكل

والشرب، فتتوضأ وتصلّي، وصلاتها باطلة، وقد ثبت في السنة أنها في الأذان الأول.

وقد قلنا هذا وبكينا وندبنا وصرخنا، وعلته الجهل عدم البصيرة، فلا فقه ولا فهم ولا معنى.

حكم الأذان

قال: [وأخيراً: أيها القارئ الكريم! إليك بيان حكم الأذان في الإسلام] واحفظوا هذه الفقيهات [إن الأذان فرض كفاية

في المدن والقرى] ومعنى فرض كفاية: أنه إذا أذن واحد والقرية فيها مليون واحد كفى، وإذا أذن مؤذن في المدينة

وبلغ صوته أهلها فهذا كاف، ويسقط الواجب عن كل المؤمنين، فإن لم يؤذن أحد فكلهم آثمون إلا من كان غير أهل

لذلك كالمرأة والعاجز [وسنة] ليس بفرض [لجماعة تطلب غيرها] فلو كان جماعة في بستان أو في مصنع أو في غير ذلك يطلبون غيرهم ليصلي معهم فمن السنة لهم أن يؤذنوا؛ حتى يسمع من معهم ويأتي إلى الصلاة، فهذا سنة، إذا فعلوه أجروا وأثبوا عليه، وإن تركوه فخرجوا الله أن لا يؤخذوا، ولكن لا يفوتون على أنفسهم هذا الأجر، ولو تركوه لا نعلن الحرب عليهم ونقاتلهم، وأهل المدينة لو منعوا الأذان يقاتلون، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية تغزو يقول لهم: (انتظروا حتى يطلع الفجر، فإن سمعتم النداء اتركوهم، وإن لم تسمعوا الأذان اغزوا). فلو أن أهل مدينة أو قرية قالوا: لا نؤذن فهذه ردة، فيقاتلهم المسلمون حتى يخضعوهم للإسلام، وأما جماعة في مصنع أو في مسجد أو غير ذلك إذا لم يؤذنوا فلا يعلن الحرب عليهم وقتالهم؛ لأنهم تركوا سنة، ولكن عليهم أن لا تقوتهم.

قال: [ومستحب] وهذا دون السنة [لمن لا يطلب غيره في السفر أو الحضر] كأن يكون في بيته مريضاً يريد أن يصلي، فيؤذن وحده، فهذا مستحب، وليس واجباً ولا سنة، وكأن يكون في بستانه أو في مزرعته أو في الصحراء وليس معه أحد، أو لا يطلب أحداً، فيستحب له أن يؤذن، فيطرد الشيطان ويغيبه ويصلي، وله في كل كلمة حسنة، إلا أنه في البادية أعظم أجراً [إلا أنه في السفر أعظم أجراً؛ لحديث الموطأ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة)] فإذا كان مسافراً في الصحراء فيستحب، ولكن أجره عظيم، والجائزة كبيرة.

إذا: الأذان فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقي في المدن والقرى، ويسن لمن يطلب غيره من الناس، ويستحب لمن كان وحده في برية أن يؤذن، ويثاب على أذانه، إلا أنه في الصحراء له أجر عظيم؛ لأنه يشهد له كل ما حوله من الكون، والإنس والجن والشجر والحجر.
موالة الكافرين منافية للإيمان

قال: [لذا قال تعالى في ختام الآية: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [المائدة:57]] فهذا يتنافى مع الإيمان، فلا يمكن لمؤمن حق الإيمان أن يوالي من يسخر بدين الإسلام ويستهزئ به ويحاربه [وفعلاً هم مؤمنون؛ لذا فلا يصح منهم أبداً موالة أعداء الإسلام المحاربين له الساخرين منه.

وفي هذه الجملة المذيل بها الكلام إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [المائدة:57] ما يجعل حرمة موالة هؤلاء الكافرين أعظم حرمة وأشدها؛ إذ موالة الكافرين محرمة بآية قبل هذه كآية آل عمران: لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ [آل عمران:28].

وآية المائدة السابقة [قبل ذي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [المائدة:51].

وفي هذه الآية بعد ذي، وهي قوله تعالى: وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ [المائدة:58].

ففي هذه الآية بيان استهزائهم ولعبهم بالدين، إذ الأذان دين وشرع، بل هو أظهر الشرائع وأعلى مقامات الدين؛ إذ به ترتفع كلمة التوحيد والنبوة، ويدعى إلى أشرف عبادة وأزكاها وأكثرها تعبداً لله تعالى، وهي الصلاة وإقامتها. وفي قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ تقرير أن المستهزئ بالأذان الضاحك منه واللاعب به يعتبر لا عقل له كالبهائم، أو أضر وأضل من البهائم؛ إذ النداء إلى الصلاة بتلك الكلمات السامية الرفيعة الداعية إلى الفلاح بإقامة الصلاة لا يجهل معناها، ولا يكرهها إلا من لا عقل له، وصدق الله العظيم إذ قال ذلك، أي: كان ذلك الاستهزاء والسخرية واللعب بالأذان بسبب أنهم قوم لا يعقلون، وحقاً إنهم لا يعقلون.

وصدق الله العظيم [لأن كلمة الله أكبر لا يفهم منها سوى أن الله أعظم من كل شيء، وشهادة أن لا إله إلا الله لا يفهم منها إلا أنه لا إله مع الله، ولو بحثت في الكون كله فلن تجد إلهاً مع الله، وشهادة أن محمداً رسول الله تدل على أنه رسول الله، وكتاب الله في يده وفي صدره، وحي على الصلاة لتطهير النفس وتركيتها، وحي على الفلاح أي: الفوز والنجاح من معاطب ومهالك الدنيا والآخرة، ولا شيء أعظم من هذا، فلا يستهزأ بهذا اللفظ ويسخر منه.
سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً ...)

قال: [ولا شك أن نزول هذه الآية كان لسبب] وهو [سخرية واستهزاء بعض الكفار - من يهود ونصارى ومشركين- بالدين الإسلامي] ولولا أنهم سخرُوا واستهزَءُوا لما نزلت هذه الآية، فهذه الآية لها سبب [إذ ورد] وصح [أن المنافقين واليهود كانوا] في المدينة [إذا سمعوا الأذان يضحكون ويلعبون بصوت المؤذن، فمنهم من يقول: هذا نهيق حمار، ومنهم من يرفع صوته بالأذان ساخراً لاعباً مستهزئاً] وفي مكة يوم الفتح لما سمعوا الأذان سخر الكفار منه وضحكوا [فأنزل الله تعالى هذا النداء، ينهى المؤمنين عن موالاة هؤلاء المستهزئين بشعائر الدين الإسلامي، الضاحكين اللاعبين، كلما أتاحت لهم الفرصة، حيث لم يكن معهم من يخافونه من المسلمين] في جماعاتهم ومجالسهم الخاصة، ولو كان بينهم مؤمن لهابوه، ولما استطاعوا أن يتكلموا، وهذا أيام أن كان المنافقون واليهود هنا أكثر [فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المائدة:57]، أي: يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً، وبالإسلام ديناً وشرعاً، وبمحمد نبياً ورسولاً، لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ [المائدة:57]، أي: الإسلام وشرائعه وأحكامه، هُزُؤاً [المائدة:57] يستهزئون به، وَلَعِباً [المائدة:57] يلعبون به.

وبين تعالى المستهزئين اللاعبين فقال: مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ [المائدة:57].

وهم اليهود والنصارى.

وَالْكَفَّارَ [المائدة:57]، يعني: المشركين [لا تتخذوهم [أولياء [المائدة:57]، أي: توالونهم بالحب والنصرة.

ثم أمر تعالى عباده المؤمنين بتقواه، وهي طاعته فيما أمر ونهى، فيفعلون المأمور بحزم وجد، وينتھون عن المنهي كذلك.

ومن جملة ما نهاهم عنه موالاة أهل الكتاب والمشركين، وبخاصة الذين يستهزئون بالإسلام ويسخرون منه، ويضحكون ويلعبون؛ إذ موالاة هؤلاء الساخرين المستهزئين لا يسيغها عقل ولا دين.

فكيف تصح إذ موالاتهم من أهل الإيمان؟ [وقد كان عندنا شاب في الجامعة قديماً، وكان شديداً قوياً، فلما ذهب إلى بلاده جندوه مع العسكر، وفي المعسكر قام يصلي، فلما ركع فتحوا سرواله وأسقطوه وكشفوا عورته، وجلسوا يضحكون ويسخرون منه، فقام تغمده الله برحمته برشاشه وقتل أربعة أو خمسة وإلى الجنة.

هذا في بلاد الإسلام.

فهذه السخرية شاهدها وعرفناها، وهنا يقولون: ذا الذن لصاحب الذن، سخرية واستهزاء، وهذا شأنه شأن من فرغ قلبه من طاقة النور، فهو في الظلام يتخبط، فيسمي الحسن قبيحاً، والقبيح حسناً، والمستهزئ كافر، وإن لم يتداركه الله بالتوبة قبل أن يموت فهو في نار جهنم، والذي يستهزئ بدين الله وأولياء الله قال الله فيه: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

وأنت تعلن الحرب على أولياء الله.

والذي يستهزئ بشعائر الإسلام لحية .. صلاة .. سجوداً .. قرآناً .. حجاباً .. ذكر الله .. إيماناً فهو كافر في تلك الحال، فإذا أنقذه الله فباب الله مفتوح، وإذا استمر على سخريته فمات على ذلك فهو من المخلدين في النار، وإن صام وصلى.

وقد سمعت أحد الزعماء أيام الزعامات العربية في الإذاعة يسخر من إمام المسلمين ويقول: ذا الذن، لا إله إلا الله! والله العظيم، ولا تعجبوا، فهو لم يترب في حجور الصالحين منذ نعومة أظفاره إلى أن يحتلم ويبلغ أشده، بل جالس المبطلين ودرس مع الكافرين، فهيا نعلمهم أولاً، ونربيهم من جديد، وهيا نربي الأحداث؛ حتى يخرج جيل جديد يعبد الله ويخافه.

حرمة موالاة الكافرين

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم! أن هذا النداء الإلهي العظيم يحرم على المؤمنين ولاية الكافرين، وسواء كانوا أهل كتاب كاليهود والنصارى، أو كانوا لا كتاب لهم كالمجوس، أو كانوا مشركين أميين] فالكل عدو الله [وعلّة هذا التحريم هي اتخاذهم دين الإسلام الحق الذي لا دين يقبله الله تعالى سواه، كما قال تعالى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [آل عمران:85]] فكون الإسلام ديناً لا يقبل ديناً غيره شاهده في قوله تعالى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا يَتَدِينْ بِهِ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ أَبَدًا، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَي: في الحياة الثانية مِنَ الْخَاسِرِينَ الكافرين.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 39

أحل الله عز وجل لعباده الطيبات من الرزق، والمراد بالطيبات كل ما كان غير مستقذر ولا مستخبث مما أحل الله لعباده المؤمنين لمصالح عامة وخاصة، فمن امتنع عن شيء مما أحل الله لعباده مدعياً أن ترك هذا الحلال أولى من تعاطيه فقد اعتدى وظلم، فإن الله عز وجل لا يحل إلا لحكمة يعلمها، ولا يحرم إلا لحكمة، وهو أعلم بما يصلح عباده جل وعلا.

حرمة تحريم ما أحل الله من الطيبات وحرمة الاعتداء في الدين

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا والحمد لله ربنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله تعالى منهم، وحشرنا في زمرتهم، ورضي عنا كما رضي عنهم. اللهم آمين.

وهذا هو [النداء السابع والثلاثون] وهكذا مضى ثلث النداءات، وهكذا تنتهي الحياة، وهذا النداء [في حرمة تحريم ما أحل الله من الطيبات، وحرمة الاعتداء في الدين].

الأمر بتقوى الله عز وجل

قال: [وأخيراً: أمرهم تعالى - وهو أمر لكل مؤمن ومؤمنة ممن نزلت فيهم الآية ومن غيرهم إلى يوم القيامة، أمرهم- بتقوى الله عز وجل، وذلك بطاعته فيما حرم وأحل، وفيما أمر ونهى من سائر ما حواه شرعه وبينه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم] وفي [قوله: الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ] [المائدة: 88] تذكير لهم بإيمانهم به سبحانه وتعالى؛ فإن من آمن بالله وعرف صفات جلاله وكماله من قدرة وعلم وحكمة ورحمة لا يخطر بباله معصيته، فضلاً عن أن يعصيه [فيها] فكيف تجرعون على تحريم ما أحل [الله] ولم يوبخهم سبحانه وتعالى في هذا التوجيه؛ لأنهم ما حرموا ما حرموا على أنفسهم لا على غيرهم إلا طلباً لمرضاته، وسعيّاً [وجرياً] وراء حبه سبحانه وتعالى].

مخالفة الصوفية لهذا النداء

[هذا واعلم أيها القارئ الكريم! أن هذه الآية ترد على غلاة المترهبين وأهل البطالة من بعض المتصوفين الذين يلبسون الصوف لا غير، ويمتنعون عن لذيذ الطعام والشراب] والآن خفت الضغطة، فالتصوف الآن كاد ينقرض؛ لأنهم طولوا بتصوف حقيقي فلم يستطيعوا، فالتصوف الأول فيه دجل وتضليل وأكل أموال الناس والاعتداء على حرمتهم، فقد كان الشيخ تجلس الحرمة في حجره؛ ليباركها! ولما فطن المسلمون انتهى التصوف وانقرض، وكان بعض المتصوفة لا يلبس إلا الصوف، والقطن موجود، والجسم يحرقه، ولا يأكل إلا أكلاً معيناً، ونحن نأكل ونشرب في غير مخيلة ولا إسراف في حدود ما أذن الشرع فيه.

حكم من حرم على نفسه ما أحل الله له

قال: [واعلم أيضاً أن من حرم ما أحل الله لا يحرم عليه ما حرمه] فلو قلت: حرام عليّ اللبن أو البطيخ أو البرتقال فإنه والله لا يحرم، فتنب إلى الله واستغفره؛ لأنك اعتديت على الله، فإله أحل وأنت حرمت، اللهم [إلا الزوجة، فإنها إذا حرمها تحرم، فمن قال لزوجته: أنت علي حرام وأراد طلاقها تطلقت] وأما إذا قال: ثوبي أو طعامي أو لباسي أو بيتي أو سيارتي حرام فلا يحرم شيء، وإنما هو آثم؛ لأنه اعتدى على جناب الله تعالى، فإله هو الذي يحل

ويحرم، وقد أعطاك ذلك فقط في المرأة، فإذا قلت: هي حرام وأردت طلاقها فهي حرام [وإن لم يرد طلاقها كفر كفارة يمين وعادت إليه ولا تحرم عليه] فإذا قلت: هي حرام، وأنت لا تريد طلاقها وإنما فقط تريد أن تمنعها من الدخول أو الخروج فكفر عن يمينك، وهي زوجتك [فاذكر هذا، والله ولي المتقين.]
وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [.
إباحة الأكل من الحلال الطيب

قال: [وقوله تعالى في الآية] الثانية [رقم (88): وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ] [المائدة:88] إنه بعد أن نهاهم عما حرموا على أنفسهم من النساء والطعام واللباس أيضاً أمرهم أمر إباحة ورحمة وإرشاد، فقال: وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ [المائدة:88]، أي: من الحلال لا من الحرام؛ فالحرام لا يكون رزقاً [أبداً] إلا في ضرورة الخوف من الموت، كأكل الميتة و [شرب] الدم ولحم الخنزير.
وقوله: حَلَالًا [المائدة:88] يفيد أن الحرام لا يكون رزقاً، والطيب هو ما لم يكن مستقذراً ولا مستخبئاً ولا محرماً [هذا الطيب.

حرمة تحريم الطيبات التي أحلها الله سبحانه وتعالى

قال: [لا تُحَرِّمُوا] [المائدة:87]، أي: بامتناعكم عن طيبات ما أحل الله لكم من الطعام والشراب والنوم والنكاح، والمراد بالطيبات [هنا] ما كان غير مستقذر ولا مستخبث مما أحل الله عز وجل لعباده المؤمنين لمصالح عامة وخاصة [فقد لا يكون الشيء محرماً ولكن فيه الديدان والجراثيم والأوساخ، أو قد يكون طعاماً قديماً، أو شراباً متعفنًا، فلا يقال فيه: طيب، بل هو مستقذر] وفوائد ظاهرة وباطنة؛ إذ الله تعالى حكيم، فلا يبيح [ويحل الشيء] ولا يمنع [إلا لحكمة عالية] ومن أجل مصلحة [تدور] وتعود [على مصالح عبادة المؤمنين] أفراداً أو جماعات، ولا يحرم كذلك إلا لمصلحة؛ لأنه حكيم عليم، ولو كان حكيماً بدون علم فإنه سيخطئ، ولو كان عليمًا بدون حكمة لخلط، ولكنه عليم بظواهر الأمور وبواطنها بمرور القرون وملايين السنين عليها، وعلمه تغلغل في كل شيء، وأحاط بكل شيء، وهو حكيم يضع الشيء في موضعه، فإذا أحل الله أكل العنب فاحمدوه؛ فإنه لحكمة، وإذا حرم العصير المسكر فلحكمة يعلمها، فلا نرجع إلى الأطباء ولا إلى العلماء، وإنما نرجع إلى الله، فإذا أحل الله حلالاً فتمتع به، وإذا حرم حراماً فاتركه؛ فإنه هلاك ودمار.
حرمة الاعتداء والإسراف

قال: [وبعد هذا النهي عما أحل الله تعالى لعباده المؤمنين، وهم منهم وبينهم، فقد ورد أنهم عبد الله بن مسعود و عثمان بن مظعون و علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين] وهؤلاء الثلاثة أبطال، والله لو يجتمع أبطال الدنيا كلهم ما كانوا كعلي بن أبي طالب، وهذا الجنرال كان صهر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يريد أن لا يتزوج أبداً؛ رغبة في الملكوت الأعلى، فقد عرفوا أن هذه زائلة وسريعة الزوال، وأنها لا قيمة لها، وأنها أوساخ وقاذورات، فهم يريدون الطهر والصفاء في الملكوت الأعلى [خاطبهم الحق تبارك وتعالى ناهياً لهم عن الاعتداء، وهو مجاوزة الحد المحدود، كتحريم الحلال، أو تحليل الحرام.

ومن الاعتداء: الإسراف في الأكل والشرب والجماع، وفي اللباس، وفي غيرها؛ لقوله تعالى: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [الأعراف:31].

والإسراف هو: مجاوزة النافع إلى الضار، والحق إلى الباطل، والمسعد إلى المشقي، فقال تعالى: وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [البقرة:190].

فكيف ترضون لأنفسكم بغض الله لكم، وعدم محبته إياكم، وأنتم ما حرمتكم على أنفسكم ما حرمتكم إلا طلباً لحب الله تعالى ورضاه، وهروباً من بغضه وعدائه؟ واعلم أيها القارئ الكريم! والمستمع المستفيد! أن الرسول صلى الله عليه وسلم أبان [وأظهر] وأفاد في هذا الباب، فلنستمع إلى ما قال في هذا الشأن [من التحريم والتحليل:] [أولاً:] قال: [(كلوا وتصدقوا والبسوا)] والأمر هنا هو الرسول صلى الله عليه وسلم، والمأمور المؤمنون [(في غير إسراف)] والإسراف: مجاوزة الحد [(ولا مخيلة)] وهي [المخيلة من الخيلاء] والتبخر [وهو الكبر والعجب] فكل واشرب والبس مما أعطاك الله، مما هو غير مستقذر ولا مستخبث، ولكن في غير إسراف.

فإذا يكفيك كوباً من اللبن فلا تشرب ثلاثة ولا اثنين، واكتف بما يكفي.

[ثانياً: وقال ابن عباس في رواية البخاري : كل ما شئت، والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة [والإسراف: مجاوزة الحد، والمخيلة: الخيلاء والكبر والعجب.

[ثالثاً:] قال: [(كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا إسراف؛ فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده)] لكن مع التحفظ الكامل، فلا إسراف ولا خيلاء.

[رابعاً: (عليكم بثياب البياض فالبسوها؛ فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم)] وهذه ما فاز بها إلا السعدونيون فقط، ومع هذا داخلوكم أيضاً، وأخذوا يعبثون بأولادكم، ويلبسونهم البرانيط، ويأتون بها من اليابان والصين، ويبيعونها بريالين.

ونحن نشاهد الأطفال في هذا اللباس الأبيض كالملائكة، وبعضهم يخرج وعليه بنطلون أسود وفيه حيات والعياذ بالله، وهذا مما غزوكم به؛ لأنكم غير متنبهين.

وهذه تعاليم أبي القاسم.

والمسلمون أخذ صورتهم القسس، فهم يلبسون البياض، وقد جاءهم هذا ولا شك من حوارى عيسى عليه السلام، ونحن تركنا هذا، وتفرنسنا وتبرطنا كالأوروبيين، وتركنا زينا الذي أحبه الله ورسوله بدافع التقليد الأعمى فقط، وعدم المبالاة، أو حب الريال؛ لأن الثوب الأبيض غال، وذلك الأسود بلاش.

واسمعوا أبا القاسم - فداء أبي وأمي والعالم أجمع - يقول: (عليكم بثياب البياض فالبسوها؛ فإنها أطهر وأطيب).

فهو أطهر لأن الثوب الأبيض أدنى نجاسة تقع فيه تظهر، والأسود لو وقع عليه لتر من البول لم يعرف، وأما البياض فقطرة بول تظهر فيه.

وقد أمرنا بلبس الثوب الأبيض لأننا أشباه الملائكة، ونحن والله أشبههم في الطهر والصفاء، وأما الآخرون فيخرون ويبولون ويخرجون، وليس عندهم حتى الاستجمار أو الاستنجاء بالماء، فهم أنجاس.

وأما أولياء الله فيلبسون البياض فالبسوها؛ لأنها أطهر وأطيب، ويكفون فيها موتاهم.

وهذه أظن ما زالت موجودة، فهم لم يأتوا بكفن أسود، ويمكن يأتي تجار ويعرضونه رخيصاً، ولا يصلح أن يكفن الميت في الأسود.

[خامساً: قال بعض السلف: جمع الله الطب كله في نصف آية، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا [الأعراف:31]] لما قال طبيب كان عند هارون الرشيد : كتابكم ليس فيه طب، فقال أحد وزراء هارون الرشيد : يا بهلول! عندنا نصف آية فقط جمع الله فيها الطب كله، فاندesh ذلك النصراني واحترق، وسأل عن هذه النصف الآية، فقال له: قوله تعالى: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا [الأعراف:31].

وأرني إنساناً آدمياً يلتزم بهذا المبدأ من صباه، يأكل ويشرب ويتغذى ولا يسرف، فإنه لا يأتيه المرض، وهذا أمر مسلم؛ لأنه من خالق الطب والأطباء الله.

فقد قال تعالى: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا [الأعراف:31] فقط.

فمن أكل بمقدار معين وشرب بمقدار معين لم يمرض، لا بالتخمة ولا بالكبد ولا بالمعدة.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)

اعلم أيها القارئ الكريم! [أن لهاتين الآيتين سبباً في نزولهما] فقد نزلتا بسبب [فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه] خادم النبي صلى الله عليه وسلم [قال: (جاء ثلاثة رهط)] أي: ثلاثة أنفار [(إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم)] وبيوت وأزواج النبي ليست في صنعاء ولا في نجد، وإنما هنا في المدينة، ولو كنا في الصين أو الشرق أو الغرب وحدثنا شخص عن بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لاشتاقت إليها نفوسنا، وهي الآن إلى جنبنا والله العظيم، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهاتنا، وهن لسن بعيدات عنا [(يسألون عن عبادته)] وقد يكون هذا قبل الحجاب، وقد يكونوا سألوا من وراء الستار، فسألوا عن صلاته في الليل، وعن صيامه؛ لأنهم يريدون أن يفعلوا أكثر مما يفعلوا، وتاقت نفوسهم إلى ذلك [(فلما أخبروا كأنما تقالوها)] أي: كأنهم وجدوها شيئاً قليلاً يستطيعون أن يفعلوا أكثر منها [(فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر)] أي: فينبغي أن نفعل أكثر مما يفعل وأضعافه، فهو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ونحن ليس عندنا علم، فلنعمل أكثر وأضعاف ما يعمل [(فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً)] ولا

أنام طول الدهر، وإن نمت فسانام في النهار، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يقوم نصف الليل أو ثلثه، وهذا قال: سيحيي الليل كله، ولن ينام أبداً [(وقال آخر: فأصوم الدهر ولا أفطر)] لا خميس ولا جمعة ولا أحد ولا غير ذلك [(وقال آخر: أما أنا فأعترل النساء ولا أتزوج أبداً)] فقد أرادوا الانقطاع إلى الله، وهذه رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله عليهم، ولكن الله لطف بهم ورحمهم [(فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا)] فقد دخل على أهله فأخبروه، ثم خرج فوجدهم في الروضة [(أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له)] وهذا حق. فهو أشدهم خشية لله، وأعظمهم تقوى لله عز وجل.

وهذا حق لا جدال فيه [(لكني أصوم وأفطر)] فقد كان يصوم الإثنين والخميس، ويفطر بقية الأسبوع، أو يصوم سبعة أيام أو ثمانية ثم يقف [(وأصلي وأرقد)] فيصلي ما شاء الله ثم ينام، حتى يأتي بلال يوقظه لصلاة الصبح [(وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)] فمن فكر بعد الآن طرد من النبي صلى الله عليه وسلم [(ونزلت هاتان الآيتان: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المائدة:87]] لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا [المائدة:87].

فقد أرادوا أن يحرموا بعض الطيبات، وهي النكاح والنوم والطعام والشراب. وتحريم الشيء الامتناع منه [أي: يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً وشرعاً، لا يقبل دين غيره، ولا يطبق شرع سواه، و [آمنتم] بمحمد نبياً ورسولاً لا يقتدى بغيره، ولا يتبع سواه]. صفة من يطلب حب الله سبحانه وتعالى

لو أن مؤمناً يطلب حب الله مثلكم وبحث عنه الليل والنهار وبلغه أن من قال كذا أو فعل كذا لا يحبه الله فوالله أنه لن يفعل ذلك أبداً، بل يرضى أن يموت أو يحرق ولا يفعل ذلك؛ لأنه يفوت عليه أعظم أمل يريد الحصول عليه، وهو أن يحبه الله.

والمؤمنون الأولون كانوا إذا علموا أن الله لا يحب الأعمال الفلانية يرضون بالموت دون أن يتخلوا عن حب الله؛ لأن من أحبه الله أكرمه وأنعم عليه، ومن أبغضه الله مزقه وخسره أعظم تخسير. فلاحظوا هذا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [البقرة:190].

فيا ولينا إذا اعتدنا! والله لا يحب المعتدين، فلا نعدي في أكل ولا شرب ولا لباس، ولا غير ذلك أبداً، بل نلزم الحد المحدود لنا بلا اعتداء.

وهذه الآية عجيبة، وهي تصلح لأن تكون دستور الحياة كلها، وهي واحدة من ستة آلاف ومائتين وأربعين آية، والمؤمنون محرومون من هذا من قرون، فالقرآن لا يقرأ إلا على الموتى فقط، فإذا سمعت في بيت القرآن فثم ميت، وإلى الآن ما أفقتا.

الطريق إلى نجاة المسلمين وعزتهم

كتاب المسجد وبيت المسلم لا يطبق الآن في المساجد والبيوت؛ لأنه آية أو حديث، قال الله وقال رسوله، ومعنى هذا: إنه التزكية للروح البشرية، والشیطان لا يرضى بتزكية النفوس، وهو الذي يحلف: وَلَا غُورِيَّتُهُمْ أَجْمَعِينَ [الحجر:39]. فلهذا ذاك الكتاب وإن وجد في أيدي بعض المؤمنين لم يبلغنا أن أهل المسجد الفلاني اجتمعوا عليه بنسائهم وأطفالهم كل ليلة، يقرءون ليلة آية وليلة حديثاً، أو أن أهل القرية الفلانية الذين ليس عندهم شطحات المدن قد اجتمعوا على هذا الكتاب، ولا أهل البيت الفلاني، وكأنما وزع على القبور، وهذا مظهر من مظاهر هبوطنا، ما زلنا كذلك، مع العلم أن لا تزكية تصح ولا تثبت إلا من طريق الكتاب والحكمة، ومن لم يصدق نقول له: لا توجد مظاهر الطهر والصفاء في عالمك اليوم إلا على من أخذوا بهذا الكتاب وهذه السنة، وقد قال الله تعالى على لسان إبراهيم وإسماعيل: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة:129].

وإبراهيم آتاه الله رشده وهو في صباه، قال تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ [الأنبياء:51].

وقد سأل الله تعالى مع إسماعيل أن يرزق إسماعيل ولداً، تكون منه أمة، واستجاب الله لهما، وكان النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم استجابة دعوة إبراهيم، والله لقد كان يجمعهم ويتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، وقد تعلموا وفضلوا وشرفوا وكملوا وسادوا وأصبحوا أمثلة الكمال البشري، ولم تكتحل عين الوجود بمثلهم قط على عهد أي نبي أو رسول.

وهم لم يصلوا إلى هذا بالفلسفة، ولا بعلم الاجتماع والسياسة والمنطق، ولا بالكونيات وعلم الحياة، ولا بالذرة والهيدروجين، فأهل الإيدروجين وغير ذلك هابطون إلى الحضيض، فلا شرف لهم ولا كرامة ولا مروءة ولا غير ذلك، وهم كالبهائم ينكحون ويأكلون ويشربون، وأولئك ما بلغوا هذا الكمال وأصبحوا يمثلون أطيوب البشرية وأطهرها وأكملها في العدل والإخاء والمودة والشجاعة والرحمة وفي كل ما شئت إلا بما تعلموه بالكتاب والسنة فقط، واقرءوا قول الله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [الجمعة:2].

وما زلت أقول والأيام محدودة والساعات معدودة جربوا، فالتجربة أكبر برهان. فخذوا قرية من قرى العالم الإسلامي في أي بلد، واجمعوها على الكتاب والسنة، وعلى قال الله وقال رسوله في بيت ربها كل ليلة سنة واحدة، ثم أوتوا بالخبراء والعلماء والعارفين ينظرون، لن يجدوا أي مظهر من مظاهر الشر والفساد، وإن بقي شيء فهو من الشاذ الذي لا قيمة له، فلا سرقة ولا كذب ولا خيانة ولا غش ولا خداع ولا زور ولا باطل ولا سرف ولا ترف أبداً، بل ينمحي، ولا يظهر إلا الإخاء والحب والولاء، والصدق والوفاء والتضامن واللين، والنشاط والعزم، فإذا كانوا فلاحين يصبحون ينتجون أضعاف ما كانوا ينتجونهم أمس، وإذا قلنا: جربوا ستقولون: لا نستطيع، وأنا أقول: اغلقوا المقاهي فقط، وأنتم تقولون: لا نقدر؛ لأننا مربوطين بحبال الشيطان، والشيطان أمره سهل، فالعنه، وقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ فإنه يهرب.

معاشر المستمعين والمستمعات! هذا البكاء في صالحنا، ونحن نؤجر عليه كلنا، ولا تقولوا: لا ينفع، لأننا أمام أنوار إلهية، فهذه الأمة قد هبطت هذا الهبوط، مع أنها عندها هذا الكتاب وهذا النداء، وانتشر فيها السب والشتم والتكفير واللعن والحسد وغير ذلك، لا إله إلا الله! وانعدم الإخاء والمودة والولاء، والآن علماء يتلاعنون، ويلعن بعضهم بعضاً. آمنت بالله.

ولا تقولوا: لعل الشيخ واهم.

ونحن الآن نعالج أمراضنا، ونحن عندنا نور الله ننظر به، فلا نقول ما لا نعلم، ولنلزم ما ألزمننا الله به من العدل والحق والوقوف عندهما، وما مزق الجماعات والأمم والدول إلا القول بالباطل، وفي الحديث: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت).

ونحن لا نستطيع أن نقول الخير، ولا نستطيع أن نسكت، مع أننا لسنا مربوطين، ولا مشدودو الوثاق، ولو التزمنا فقط الصمت لما صارت هذه الفتن والعداوات بين المسلمين، بل كل من يقول كلمة يوقد نارها ويزيد في أوارها. فلا نعتد.

والآن مع [الشرح] وهو موجز، ولكن أنوار القرآن تتلأأ في كل كلمة.

قال: [اعلم أيها القارئ الكريم!] الذي يجب أن يكون هذا الكتاب عند رأسه، وقبل أن ينام - والآن أنوار الكهرباء موجودة، فلا نحتاج إلى فانوس - يسمع نداء واحداً من نداءات ربه إليه، ويفهم مراد الله، ويعده أن يفعل ما أمره به، أو يترك ما نهاه عنه؛ لأنه منادى، ومن قال: لا فليس بمؤمن، وهذا لا يصلح إلا للمؤمنين، وأما الكافر المكذب فلا، وتعالى الله أن ينادي أمثاله، فهو لا ينادي إلا أوليائه.

وأنا ألقت النظر بقولي: أيها القارئ الكريم! لأنني أدعو كل مؤمن ومؤمنة أن يقرأ هذه النداءات، وإذا كان لا يحسن القراءة فيقول لأخيه: يا عبد الله! من فضلك: اقرأ عليّ نداءً من هذه النداءات وأنا أسمع، وسواء تحت شجرة أو في الظل أو على مقاعد السيارة، وليس شرطاً في المسجد فقط، فيأتي العلم ويعلم المؤمنون والمؤمنات بدون عناء، ولا تعب ولا إنفاق أنفقوه، ولا تتصورون أن عبداً يسمع هذه النداءات ويحفظها ويفهم معناها يبقى جاهلاً، والله ما كان، وحتى لو كان لا يعرف الكاف من الدال، أو الذال من الراء، فيصبح عالماً كجل الصحابة، فقد كانوا لا يقرءون ولا يكتبون، ومع ذلك لم يكن في الأرض من هو أعلم منهم، وبذلك نقاوم الجهل والفسق والفجور والظلم والشر كله مقاومة حقيقية، ولكن لو يسمع الثالث بنا فيا ويلنا! فسيضع ألف حجر في الطريق، ولكن الآن أظن ما بلغهم شيء، وإلا لتحفروا من الآن.

بيان ما تضمنه هذا النداء

مضمون هذا النداء شيئان: الأول: تحريم ما أحل الله من الطيبات، أي: لا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يحرم ما أحل الله من الطيبات التي هي الأكل والشرب واللباس والنكاح والركوب وما إلى ذلك؛ إذ ليس من حق العبد أن يحرم، وإنما يحرم المالك، والعبد مملوك، فلا يحرم ما أحل سيده.

وفي حرمة الاعتداء في الدين، والاعتداء مطلقاً حرام، ولكن كونه يعتدي في الدين ويتجاوز حده ويأخذ يشرع أو يقنن هذه جريمة لا حد لها؛ إذ معناها أنه يقول للرب: ابتعد، فأنا الذي أقنن وأشرع.

وهذه الكلمة المحزنة ترددت في هذه الدروس قرابة أربعين سنة، وما بلغت أحداً، لا حاكماً ولا محكوماً، ولا نقلت لغيرهم، ولا إله إلا الله! فنحن نقول للذين يحكمون المسلمين بغير شرع ربهم: هؤلاء مسلمون، فسوسوهم بدينهم، واحكموهم بشرع ربهم، فإن نجحوا فلكم ولهم، وإن خابوا وخسروا فعليهم، ولستم بمسؤولين.

فيا سيادة الحاكم! لو كنت يهودياً أو نصرانياً وحكمت أمة من المسلمين فمن العقل والمنطق والذوق أن تحكمهم بشرعهم؛ لأن حكمهم بشرعهم معناه: حفظ أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ودينهم، فسسهم بشرعهم، فإن نجحوا فلهم ذلك، وإن خابوا فأنت بريء غير مسئول؛ لأن هذا دينهم، وإن أصررت إلا أن تنفذ أحكامك التي أملاها الشيطان عليك وأعرضت عن شرع الله فهناك حل بسيط: اخلق مليونين .. ثلاثة .. أربعين مليون نسمة - كما طمعت روسيا- من البلاستيك رجالاً ونساء، وانفخ فيهم الروح، واجلس على أريكة الحكم وطبق، فمن لامك اقتله، وقل: أنا خلقت هؤلاء، وأنا المسئول عن إسلامهم وهدايتهم، ولن يتدخل في هذا إلا أحمق ومجنون.

وأما أن يخلق الله ويرزق وينزل شرعه وحكمه وتقول: أبعدوه، وتنفذ أنت شرعك وحكمك فهذا الموقف لا يرضى الله به.

ومعنى هذا حقيقية أنك تقول: أبعد يا رب! ودع هؤلاء نحكمهم بما نريد. وهذا الكلام لا يقوله عاقل، ولكنه لسان الحال، لا المقال، ولكن معنى هذا في الواقع: أن نترك شريعة الله المنزلة من عند الله الحكيم الحميد، الذي يعلم الغيب والشهادة، ويعلم الحال والماضي والمستقبل، ونقبل نفايات أفكار أوروبيين ملاحدة أو زنادقة، ونطبقها في أمة الإسلام.

وهذا ليس من العقل.

ووالله لو يعي الحاكم بهذه القوانين ما أقول وله إيمان لأغمي عليه، ولما استمر يوماً واحداً، ولترك هذا الكرسي وهرب، ولكن هذا لم يبلغهم، ولا عرفوا ولا سمعوا أبداً، فهم لا يسمعون إلا تكفيرهم ولعنهم، فظلت الفتنة قائمة إلى أن يشاء الله، فافهموا هذا، فإن الله قال: وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [البقرة: 190].

وليس هناك اعتداء أعظم من أن تقول: رب! أنت لم تفهم هذا، ولم تعرفه، وأنا أعرف منك بهذا، فأنا الذي سأقنن وأشرع.

وهذا أمر عظيم جداً.

ولو أن عبداً في قلبه إيمان سمع هذا الكلام لأغمي عليه، ولما رضي أن يبقى على هذا الوضع دقيقة واحدة، ولكن ما بلغهم أحد، ولا عرفوا، ونحن لم نعلمهم، ولم نزرهم، فبقوا تائهين كما نحن تائهين، ومصيرنا معروف، من محنة إلى أخرى، ومن عذاب إلى عذاب.

وهذا النداء احتوى على أمرين: الأول: حرمة تحريم ما أحل الله من الطيبات.

والثاني: الاعتداء وتجاوز الحد.

وهذا أيضاً ممنوع، فالزم حدك يا عبد الله! ولا تتعده، لا في قول ولا عمل ولا غير ذلك.

هذا نظام حياة المسلمين.

فهيا بنا نتغنى بهذا النداء إن كنتم تتلذذون بكلام الله، ولا أخالكم إلا كذلك.

[الآيتان (87-88) من سورة المائدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ [المائدة: 87-88].]

إن الله عز وجل مولى المؤمنين، فهو لا يرضى بتعاطي ما يفسد قلوبهم، ويدمر أرواحهم، ويهوي بهم إلى أسفل سافلين، ولذلك فهو يناديهم ويرشدهم إلى ما يصلح أحوالهم، ويحميهم من الخسران والضياع، ومن ذلك إرشادهم إلى خطورة تعاطي الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، فبين سبحانه أنها رجس من عمل الشيطان، يتخذها أداة لغواية العباد وصدّهم عن سبيل الله، والعاقل من ترك الشيطان وحزبه، وأقبل على الرحمن وكان من حزبه. حكم الأحداث في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله وإياكم منهم، وحشرنا في زمريهم، ورضي عنا كما رضي عنهم. اللهم آمين.

هذه النداءات احتوت على علوم ومعارف لا توجد إلا في كتاب الله، وما من مؤمن ولا مؤمنة يحفظها ويفهمها ويعمل بما فيها وفي حدود طاقته إلا أصبح من أهل العلم أولياء الله تعالى، وهي لا تكلف عناء ولا مشقة، ففي ثلاثة أشهر تلم بها كاملة؛ إذ هي تسعون نداء، فلا تمضي ثلاثة أشهر إلا وقد ختمتها حفظاً وفهماً وعملاً، وتصبح سيد أهل هذه الدنيا اليوم، وتظهر كامل الطهر، وتتجو مما وقع فيه إخوانك من المزالق والمهالك والفتن والمحن والأباطيل، التي نسأل الله السلامة والعافية منها.

وهناك مجلات وجرائد يشتكي طلاب العلم من بائعيها ومورديها، وهم يبيعونها في دكاكين المدينة، ومنها دكان تحت المسجد، وهم بهذا يتحدثون رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان حياً، وقد كان رسول الله يغضب للصورة والخلاعة، ونحن نبيعها في مدينته، هذا لسان حالهم، وأما أن يقولوا هكذا فحاشا فهم لا يستطيعون، ولكن لسان الحال أبلغ من لسان القال.

والرسول صلى الله عليه وسلم قال في مدينته: (المدينة حرام من غير إلى ثور، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً)، أي: نصره وأيده وحماه وهو محدث (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً)، أي: لا فرضاً ولا نفلاً.

ولا أحد يقوى على أن يقدم على مثل هذا إلا عبداً لم يعرف هذا، ولا بلغه ولا سمع به، وأما إذا علم المؤمن هذا فإنه لا يحدث في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حدثاً تقشعر له الجلود.

وإن نشر صور الخلاعة معناه: الدعوة إلى الدعارة وإلى الخبث، وإلى فساد الأمة وهبوطها؛ إذ ليس هناك أية فوائد يستفيدونها من هذا، وليس أكثر من أن يأكلوا ويشربوا، ويخروا ويبولوا، ولا يوجد أرباح تتعدى هذا.

ولا شك أنهم ما سمعوا كلامنا هذا، ولا بلغهم ولا عرفوا، وإلا لرضي العيد أن يرحل من المدينة ويسكن في أي بلد آخر، ولا يدخل على مدينة الرسول شيئاً يغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحزنه ويؤلمه.

وهذا نتيجة الجهل، فهيا بنا نتعلم، ولا سبيل إلى نجاة أمة الإسلام إلا بالكتاب والحكمة، وقد جربنا هذا ولمسناه وعرفناه، وعرفنا أن أعلما ألقانا، وألقانا أبرنا وأصدقنا، وقل ما شئت فيه من الصفات؛ لأن النفس البشرية إذا زكت طابت وطهرت، وأصبحت جوارحها كلها مستنيرة، السمع كالבصر كاللسان كاليد كالرجل كالבطن كالفرج؛ إذ الكل يديرها القلب، (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، ألا وهي القلب).

فهو محط التلقي والإرسال، فهذا الجهاز الدقيق إذا صفا وطاب وطهر فقل لصاحبه: أبشر، وقل لأمة الله: أسعدي.

ومما يذكر هنا: أن إحدى المؤمنات بعثت لنا بحوالي خمسة آلاف ريال، وقالت: إنها تريد أن تسهم في طبع هذا الكتاب، وأخرى اليوم بعثت أيضاً بثلاثة آلاف إلا خمسين، وقالت لي: أعلن حتى تفهم المؤمنات أن الأمانة وصلت، ولقد وصلت، وهي محفوظة، وستسهم في طباعة هذا الكتاب.

تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام

ها نحن مع [النداء الثامن والثلاثون: في تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام] فهذا النداء مهمته تحريم أربعة أشياء، أي: منعها على المؤمنين والمؤمنات؛ لأنها تفسد قلوبهم، وتدمر أرواحهم، وتهوي بهم إلى أسفل سافلين.

وبما أن الله مولاهم ووليهم لا يرضى لهم الخسران، ولا يريد لهم أبداً الضياع والشقاء الأبدي فما هو يناديهم ليعلمهم وليرشدهم؛ ليهذبهم وليأمرهم، ولينهاهم وليبشرهم، والحمد لله على أن كنا منهم، فاللهم لك الحمد على أن جعلتنا عبادك المؤمنين، تنادينا وتعلمنا وتبشرنا فتسعدنا، ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض.

هيا بنا نتغنى بهذا النداء.

[الآيتان (90،91) من سورة المائدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُوْنَ [المائدة: 90-91]] انتهينا ربنا! ونحن ما شربنا ولا لعبنا، والحمد لله لك يا ربنا! والذين شربوا ولعبوا الليل لا يقولون: انتهينا ربنا! والحمد لله الذي حمانا، والحمد لله الذي وقانا، والحمد لله الذي حفظنا، والحمد لله الذي هدانا، فاحمدوه الليل والنهار على ما أولاكم، وأنعم به عليكم، وهو أهل الحمد والثناء.

حكم من يروج بضاعته بالجوائز

أقول: الذي يروج بضاعته بالجوائز هذا حسود، يريد أن يأخذ كل شيء، وهذا فاقد الروح الإيمانية الحققة.

وقبل أربعين أو خمسين سنة في المدينة كان الرجل يفتح دكانه فيأتي الزبون ويشترى شيئاً زيتاً أو سكرًا أو بناءً، والدكان الثاني لا يقف عليه أحد، فإذا أتى واحد آخر يقول له: امش إلى الدكان الآخر؛ فأنا ليس عندي.

والآن يريدون أن يستولوا على كل شيء، ولو يعلم أنه لم يبق أحد يشتري من عند آخر إلا هو والله لرضي، والعلة هي أننا هبطنا، وما عرفنا الطريق إلى ربنا، فلا لوم ولا عتاب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

علة تزيين الشيطان للخمر والميسر والأنصاب والأزلام

[أما الآية الثانية وهي قوله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُوْنَ [المائدة: 91] فقد أخبرنا تعالى عن علة تزيين الشيطان للرجس الذي هو مجموع المحرمات الأربع، وأنها إيقاع العداوة والبغضاء بيننا] وكم نرى من جماعة يلعبون وفجأة يتضاربون والله العظيم، وأما السبب والشتم والتقبيح فلا تسأل [وصدنا عن ذكر الله وعن الصلاة.

فهذه العظائم الأربع هي علة تزيين الشيطان لتلك الخبائث الأربع، التي هي: الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام.

ألا فلنعرف هذا أيها القارئ الكريم! ولنلعن الشيطان ونخبه في دعوته باجتنابنا التام للخمر، فلا نشربها، ولا ننتجها، ولا نبيعها، ولا للميسر، فلا نلعبه وأياً كانت آلاته نرداً أو شطرنجاً، أو كعباً أو غيرها كالكيرم والدمينو وغيرها؛ إذ الكل مما حرم الله جل جلاله وعظم سلطانه، وبذلك ننجو من فتنة الشيطان، فتدوم محبتنا لبعضنا وولائنا، ولا نفتقر ذاكرين لله، مقيمين للصلاة التي هي عمود ديننا، ومركز قوتنا، ومنارة هدايتنا، وسلم رقينا ونجاتنا من الوقوع في الفحشاء والمنكر، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [العنكبوت: 45].

ولنذكر ما ختم الله تعالى به هذا التوجيه الإلهي لنا، وهو قوله: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُوْنَ [المائدة: 91]، لنقول: انتهينا ربنا! كما قال عمر رضي الله عنه، لما كان يقول: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، حتى نزلت هذه الآية فقال: انتهينا ربنا! ونحن نقول: لا نقارف هذه الخبائث، ولا نرضى بها، فثبتنا ربنا! فإنك ولينا، ولا ولي لنا سواك، ولك الحمد على ما أوليت، ولك الشكر على ما أعطيت.

وسلام على عبادك الصالحين، والحمد لله رب العالمين [.
معنى الأزلام

قال: [والأزلام جمع زلم، وهي سهام] وعيدان [يستقسمون بها في الجاهلية، وهي عبارة عن ثلاثة سهام، كُتب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الثاني: نهاني ربي، والثالث مهمل لم يكتب عليه شيء، فإذا أراد الرجل أن يسافر أو يتزوج أو ...] كأن بيني، ولا يعرف الخير أين [يأتي إلى صاحب الأزلام] فهي مهمته التي يعيش عليها، ويجلس عند الكعبة [فيطلب منه بيان قسمته وحظه، فيدخل العيدان] الثلاثة [في خريطة - كيس- ويميلها فيها، ثم يخرج واحداً من الثلاثة، فإذا خرج أمرني] ربي [مضى في عمله] وطريقه، سواء زواج أو بناء أو زرع [وإن خرج نهاني ترك العمل] ولو إلى أعوام [وإن خرج] الثالث [المهمل] الذي ليس فيه شيء [أعاد الاستقسام] مرة ثانية، فيدخل الأزلام ويخلطها ويخرج [حتى يخرج أمرني أو نهاني] والعجيب أنهم كانوا يكتبون عليها: أمرني ربي، ونهاني ربي، وهم جهال كفار.

حكم الاستقسام بالأزلام والمسبحة وحكم خط الرمل وقرعة الأنبياء

قال: [فجاء الإسلام فحرم هذا الاستقسام، كما حرم ما يعرف بخط الرمل] ولو ذهبت إلى باريس لوجدت شارعاً خاصاً فيه أناس واضعين رملاً بين أيديهم من المسلمين ويُدجّلون بالفلوس، ويخرج شيئاً أو يتجلى له شيء، مثل تزوج وإلا طلق [وقرعة الأنبياء] هذه معروفة يبيعونها [والاستقسام بالمسبحة] فيأخذ حبات المسبحة فإذا جاءت بالافراد فهذا لا ينفع، وإذا جاءت بالأزواج تزوج أو طلق [والشوافات من النساء] وهذه موجودة في عدن، وقد مررنا بهن من سبعين سنة في عدن، والشوافة امرأة تجلس وتقول: إنها تشوف الغيب وتطلع عليه [إلى غير ذلك من أنواع الضلالات التي جاء الإسلام بتحريمها، وقال الله تبارك وتعالى فيها: رَجَسَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ] [المائدة:90].

والرجس: النجس المستقذر حساً أو معنى، والمحرمات كلها خبيثة وإن لم تكن مستقذرة، وكونها من عمل الشيطان هي أشد رجساً وقذاراً؛ لأن الشيطان لا يزين إلا ما كان خبيثاً نجساً حساً أو معنى؛ لذا أمر تعالى باجتنابه بقوله: فَاجْتَنِبُوهُ [المائدة:90].

ورجّانا تعالى وطمعنا بالفلاح إذا نحن اجتنبنا هذه القاذورات من الخمر والميسر، والأنصاب، والأزلام فقال: لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [المائدة:90].

والفلاح: الفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة.
كانت تلك هداية الآية الأولى [.

معنى الميسر

قال: [والميسر أصله باللعب بالقداح للقمار] والقداح جمع قدح، وهو آلة الجاهلية، والآن الميسر أنواع [وأصبح يطلق الميسر على القمار، فكل لعب يقامر به هو ميسر] وهو مأخوذ من اليسر، لأنه يربح على الطاولة بدون تعب، ومنه الكيرم، والشطرنج، وغير ذلك من المسميات، ويجدون علماء يفتونهم بذلك، وهذا ليس فيه فائدة، فوالله لا يحل استعمالها ولا لمسها، ولا شراؤها ولا صنعها.
معنى الأنصاب

قال: [والأنصاب جمع نصب، وهو ما ينصب من الأحجار والتمائيل والصور للعبادة بأي صورة من صور العبادة كالتعظيم والتمسح والعكوف حولها، والحلف بها، والنذر لها] فكل ما ينصب من التماثيل والصور للتبرك أو لغيره فهو من الأنصاب، لا يحل شراؤها ولا صنعها ولا توريدها ولا استعمالها.
والغافلون يضعون النصب في سياراتهم، وأما في داخل البيت فلا تسأل.

وقد دخلت قبل يومين أو ثلاثة مكاناً، فوجدت بعض الأشياء، فقلت: انظر إلى الغفلة، فأهل هذه في أوروبا وفي أمريكا وفي بلاد الكفار يضعونها عندهم، ولا يفكرون في هذا ولا يذكرون، ويتمتعون بالنظر إلى هذه الصور وهذه الأشياء التافهة.

وأما أهل لا إله إلا الله الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ [آل عمران:191]، والذين لا يفترون عن ذكر الله فليس في قلوبهم كرب ولا حزن حتى يشاهدوا صوراً تهدى لهم أنفسهم، فهؤلاء يعيشون مع الله، فلا يوضع لهم هذا في بيوتهم ودكاكينهم للنظر إليها؛ لأن مشاهدتها تؤدي إلى الغفلة عن ذكر الله، ووالله إنها لصارفة عن ذكر الله، وليست داعية لذكر الله أبداً.

وممكن أن تكتب آية فيها ذكر الله في الجدار، وتنتظر إليها وتذكر، وأما هذه الصور والتماثيل الباطلة فإنها تلهي عن ذكر الله وتنسي.

وأهل الكفر لا نلومهم؛ فقلوبهم ميتة، ولذلك يشاهدون هذه، وإنما نلوم الذين هم مع الله، كما قال الله: (أنا عند عبيدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه).

وقال: وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ [الأحزاب:35].

معنى الخمر

شرح الكلمات: [فالخمر] ليست عجوزاً ولا شاباً، وإنما [هي كل ما خامر العقل] وغطاه [أي: ستره] فهو مشتق من الخمار الذي تتخمر به المرأة وتغطي به وجهها، فيقال: تخمرت، وكذلك كل شيء يغطي العقل حتى يصبح لا يعي ولا يفهم هو خمر [فأصبح صاحبه يهذر في كلامه ولا يعي ما يقول، حتى إنه قد ينطق بالسوء، أو يأتي منكراً من الفعل] فكل ما خامر العقل وغطاه وغشاه حتى أصبح لا يعي فهو الخمر، سواء من عنب أو من تمر أو من الهيدروجين.

وقد اشتكت مؤمنة وقالت: بعها يأتي سكران، فقلت لها: اهربي منه، ولا تمكنيه من نفسك وهو سكران، فقد يفعل الباطل والشر، وقد يخنقك، واطرده حتى يصحو، وأدبيه وعلميه وذكره ولا تنسيه أبداً؛ لعل الله أن يتوب عليه.

اللهم تب عليه.

حكم البيرة

الخمر ليس الويسكي، ولا هذا الذي يشتريه الأطفال، والذي ندنا به وقالوا: حلال، بل هو البيرة، وهو خمر عالمي، وقد عرفنا هذا منذ الصبا، وقد جاء الشيطان لإخواننا بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ودولة القرآن فأصدروا فتاوى وقالوا: هذه لا تسكر، وليس فيها مسكر، وأنها مصنوعة من الشعير.

وقد صرخنا منذ أربعين سنة وقلنا: والله إن هذه لحيلة، وما دامت جاهزة فالمورد يورد سيارة كاملة من الشام أو من الأردن ويجعل فيها عشرين قارورة من الويسكي؛ حتى يهرب الويسكي.

هذا هو السر فاعرفوه.

وقد انتصرت الهيئة، وضربت من يشربها ومنعتها، ولكن إذا كان الشعب هابطاً فلا ينفع لا الحكومة ولا الهيئة، وسيهربوه حتى في بطونهم، فقلنا لهم: اسمعوا، أولاً: هذه البلاد الطاهرة تظللها راية لا إله إلا الله محمداً رسول الله، وتساس بشرع الله، وممنوع فيها صنع الخمر، وممنوع فيها توريد الخمر رسمياً، وبلادنا الأخرى يصنع فيها، وتورد إليها، وفي بلادنا ممنوع شربها، ويجلد شاربها ثمانين جلدة أمام المسجد.

فإذا جاء الزائر أو الحاج ورأى بيرة يقول: هؤلاء يبيعون الخمر ويشربونه، وهم دولة قرآنية، فتصبح تهمة وعاراً على الدولة والأمة لا ينمحي أبداً.

والذي جر هذه الفتنة هؤلاء الماديون الهابطون، الذين لا يجلسون في حلق العلم ولا يتبصرون، بل من أجل ريال وسخ يحطمون دولة كاملة، ولو كانوا ذي مروءة وشرف فالكلام الذي يأتي بعار أو بسب لدولة القرآن لم يقبلوه أبداً، بل يموتون دونه.

ثانياً: علمناهم في الفقه وأصوله: أن الذي يتناول كأس اللبن أو العسل على هيئة شرب المحرمات ويتلذذ بكيفية تناوله يكون في حقه حراماً، كأن يضع أمامه الطاولة ويشرب ولكن بهيئة خاصة، كأن يدخل السجارة، ويضع يده على السيارة كأنها يد يهودي أو نصراني، كما حفظها وشاهدها في التلفاز أو في غيره.

يقول علماء الأصول: الذي يتناول الكأس على هيئة يتناول عليها أهل الشرب يصبح ذلك الشراب الحلال في حقه حراماً، وينقلب في حقه حراماً.

وهذه ليست فتياً، وإنما هي أصول.

وهنا شبيبة ضائعون في المدينة وفي غيرها، يتلذذون بكلمة بيرة، ولو تلذذوا بالعسل بلفظ البيرة فهو حرام كالخمر. وهم يوردون البيرة مع الباخرة فقط.

فهذه أربعة عيوب تجعل هذه البيرة محرمة، وإن كانت عسلاً، لكن الذين ما عرفوا الله ولا خافوه ولا رهبوه يقولون: هذا الكلام هراء، وليس هناك شيء في بيع البيرة، ويصدرونها ويبيعونها، وقد قاومتهم الهيئة، ولا أدري ما تفعل الآن.

معنى قوله تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس)

قال: [واعلم أن هذا النداء الإلهي الثامن والثلاثين من نداءات الرحمن لأوليائه المؤمنين المتقين يحمل لهم تحريمه تعالى عنهم أربعة أشياء، وهي: الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام] وستشرح لنا بإذن ربنا عما قريب [إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ [المائدة:90] أي: وسخ ونجس، وكلمة رجس هذه يتقزز منها ذو الفطرة السليمة [مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ [المائدة:90] أيضاً.

وبول الحمار أو البقرة هين، ولكن بول الشيطان ليس هيناً [فَاجْتَنِبُوهُ [المائدة:90]] أي: اتركوه جانباً ولا تلتفتوا إليه [لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ [المائدة:90]] ولعل هذه هي الإعدادية، أي: ليعدكم للفلاح.

وهذا الفلاح ليس هو جائزة نوبل، وليس مزرعة ولا مصنع ولا وظيفة سامية، وإنما هذا الفلاح - وكذلك كل فلاح يقول تعالى دائماً عنه: لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ [المائدة:90]- معناه: الفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة، كما قال تعالى: فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران:185].

هذا حكم الله.

وإليك الآية بكاملها: قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [آل عمران:185].

ونوع الأجر: فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران:185].

وقال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

هذا حكم العلي الكبير، وهذا الحكم صارم في أنه قد أفلح يقيناً عبد زكى نفسه، وخاب آخر دساها وخبثها ولوثها بأوضار الذنوب والآثام.

الإيمان بمثابة الروح للإنسان

هيا بنا ندخل هذه الروضة في هذا النداء [الشرح]: قال: [لا تنسَ أيها القارئ الكريم! أن الإيمان بمثابة الروح للإنسان] أي: كالروح، فالروح بها الحياة، والإيمان به الحياة أيضاً سواء بسواء [فمن آمن وصح إيمانه فقد حيا، وأصبح أهلاً لأن يؤمر فيمتثل ويفعل، وينهى فيمتثل وينتهي؛ وذلك لكمال حياته] فهو حي حياة كاملة [وإن الكافر كالميت لا يسمع ولا يبصر، ولا يفهم ولا يعقل، ولذا لا يكلف] لا بصيام ولا صلاة ولا جهاد ولا غير ذلك؛ لأن الميت لا يكلف [إلا بعد حياته بالإيمان بالله ولقائه وكتابه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فاذكر هذا ولا تنسه [فاذكر أن الكافر ميت، فلا تقل له: صل ولا صم، وإذا قلت له ذلك فإنك تعبث؛ لأنك تأمر ميتاً بالصلاة، وأنت لا تقول للميت الذي على النعش: قم واذكر الله؛ لأن هذا ليس معقولاً.

والآن تجلت لكم هذه الحقيقة، وهي: أن الإيمان روح ولا حياة بدونه، ومن فقد الإيمان فقد مات، ولهذا أهل الذمة الذين تحت راية المسلمين لا يأمرهم المسلمون بصلاة ولا بصيام، ولا بزكاة ولا بحج، ولا بجهاد، ولا يقبلون في الجيوش الإسلامية؛ لأنهم أموات، والميت لا ينفع، ومن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقد حيي، وأصبح يسمع ويبصر، ويعي ويفهم، ويقدر على أن يفعل أو يترك.

فليفهم المسلمون هذا الكلام، و(95%) منهم ما سمعوا هذا ولا بلغهم؛ لأنهم لا يجتمعون على كتاب الله، فهم لن يعلموا، بل يضحكون من هذا الكلام إذا سمعوه، وهؤلاء مساكين.

فاذكر هذا ولا تنسه.

طريق المسلمين للنجاة

عدنا من حيث بدأنا، فبلغوا أن لا نجاة إلا بالعودة إلى الكتاب والحكمة، وحتى نعود لسنا في حاجة إلى أن تبنى المدارس ويعلى بناؤها، فبيوت الرب موجودة، وإن كانت من خشب أو من طين أو من حديد، فيجتمع فيها المؤمنون

بالله والمؤمنات بنسائهم وأولادهم من المغرب إلى العشاء كل ليلة وطول العمر والحياة يتعلمون، فيتعلمون قال الله وقال رسوله، لا مذهبية ولا حزبية، ولا وطنية ولا عنصرية، ولا إقليمية ولا غير ذلك.

فأهل القرية المسلمون يجتمعون في بيت ربهم، ويدرسون كتاب الله وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم، فيعرفون الله وما يحب، ويقبلون على طاعته، فيعليهم ويرفعهم، ويبلغ بهم الكمال الذي لم يبلغه أحد سواهم، وهم في دنياهم - كما تعرفون- يحرثون ويحصدون، وينون ويهدمون، وينشئون ويصنعون، ولا شأن للمسجد بهذا، ومع هذا تعود عوائد هذا للمسجد، وينتهي الغش والخداع والكذب والإسراف والعدوان، فكل مظاهر الباطل والشر تتمحي باجتماع الأمة على كتاب الله وحكمة رسوله، ومن شك فليجرب، وأنا أقول دائماً: في كل قرية وكل مدينة أعلمهم بالله أتقاهم، وابحث حتى لا تشك في هذا، فأعرفنا بالله أتقانا له، كما قال تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر: 28]. وأنتم جهلتم الأمة ولم تعلموها، ثم تريدون أن تعلو وتسمو وترتفع، وينتهي الخبث والتلصص والإجرام، والله لا ينتهي ولو أكثرتم من الشرط والبوليس وحتى السحر على كل فرد، فلو كانت القلوب مريضة والنفوس ميتة فوالله ما ينفع، وأقسم بالله.

فهيا للعودة يا مسلمين! ومن الليلة لا يتخلف رجل ولا امرأة في قريتنا عن شهود صلاة المغرب والعشاء، وإذا تمرد واحد أو اثنان ولم يحضرا يؤدبونهما، أو يخرجونهما من قريتهم، ويقولون لهم: لستما منا، ولا تجلسا معنا، وارحلا من قريتنا.

هذا إن فرضنا وقوع هذا.

وحينئذ لا تسمع في القرية حتى صوت عالٍ، ولا تشاهد منكراً ولا باطلاً لا في سوق ولا في دكان ولا في شارع أبداً، وتصبح الأمة كأنها الملائكة في السماء.

وهذا يتحقق؛ لأنها سنة الله عز وجل، فالطعام يشبع، والماء يروي، والحديد يقطع، والكتاب والسنة يطهران، فهذه السنة والله لا تتعطل، وسنن الله لا تتبدل ولا تتخلف، ولكننا نحن رضىنا بالجهل والضلال، وبحثنا عنهما، ولم نجد إلا البلاء في الصور والخلاعة والمجلات، والإسراف والتكاليف على الدنيا. وأعوذ بالله من حالنا.

ونحن نبكي هذا البكاء منذ سنة ونصف، ولم يبلغنا إلى الآن أن عالماً قام بهذا الواجب أبداً، ولا أن أهل الحي الفلاني اجتمعوا بنسائهم وأطفالهم ورجالهم كل ليلة.

فهيا نمشي ندعوهم.

وقلت: لو كان هناك شيء خارج المملكة في اليابان فإننا نسافر إن شاء الله، ونزورهم ونهنئهم، وهذا حال الأموات، والله لا سبيل إلى النجاة بهذا، ويصفون الإسلاميين بالمتنطعين، وغير ذلك من الهراء، وليس هناك طريق إلا هذا الطريق الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن لا نريده، إذاً: فلنهيض إلى الحضيض. سرعة استجابة المؤمنين لأمر الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بتحريم الخمر وغيره.

ما إن نزلت هذه الآية حتى أريقت دنان الخمر وبراميله في أزقة المدينة حتى جرت كما تجري السيول؛ لأنهم كانوا يحتفظون بالقديم منها المعتق للضيوف والمناسبات، فلما حرمت كانوا يريقونها من عند عتبة الباب، وإذا بالأزقة تمشي بالخمر.

وهذا هو الإيمان، واليوم كم من مؤمن يقول لي: يا شيخ! ما إن سمعت تحريم السجائر حتى دسست العلبه عند باب المسجد برجلي.

وهذا ليس بعيداً.

وقد نظر الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى صحابي وفي إصبعه خاتم من ذهب - كخواتم الضائعين من أبنائكم وإخوانكم- وقال: (أيعد أحدكم إلى جمرة من النار فيضعها في إصبعه؟ ثم نزع الرسول صلى الله عليه وسلم الخاتم من إصبع الرجل ورماه في الأرض).

فقيل لصاحبه بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ خاتمك، انتفع به).

وأعطه لزوجتك .. لأمك، أو بعه.

(فقال: والله ما كنت لأخذه وقد رماه رسول الله صلى الله عليه وسلم).

فهذه مظاهر الإيمان تتجلى في مواقف عجيبة، وهذا كله عائد إلى الإيمان الحق الذي صاحبه يناديه الرحمن عز وجل، وأما الإيمان المهلهل المريض كإيمان المنافقين فإنه لا يتحرك، فلهذا نحتاج إلى تجديد الطاقة دائماً، فجددوا طاقة إيمانكم وقووه.

ولا يعقل يا أبنائي! أن مؤمناً يحفظ هذا النداء على ظهر قلب ويفهم مراد الله منه ثم يقدم على أن يفعل واحدة من هذه الأربع، والله ما يستطيع، ولا يقدم على هذا إلا من لم يعرف هذا ولا سمعه ولا آمن به، أو من سمعه ولم يثق فيمن قاله له، أو من إيمانه إيمان صوري لا حقيقة له، أو من ورث كلمة مؤمن أو مسلم فقط، ولم يعرف الله بجلاله وجماله وكماله، ولا عرف ما عند الله، وما لديه الله، ولا عرف محبته، ولا عرف منازل أهل السماء في جنات عدن. هذا هو الذي يتخبط.

التدرج في تحريم الخمر

عمر كما سيأتي كان متحيراً؛ لأنه نزلت أربع آيات، آية في سورة النحل تمن على المؤمنين بعصير العنب، وهي قوله تعالى: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا [النحل: 67]. ثم جاءت آية البقرة، وهي قوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا [البقرة: 219].

وكثرت التساؤلات، واضطربت نفوس المؤمنين والمؤمنات.

ثم جاءت آية النساء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ [النساء: 43]. وكانت النفوس الطاهرة تتطلع حتى نزلت هذه الآية.

وما إن سمعها عمر حتى رفع صوته: انتهينا يا ربنا! انتهينا يا ربنا!

حرم الله عز وجل على حجاج بيته الحرام ومعتزميه الصيد أثناء إحرامهم، ورغم هذا التحريم فقد جعله في متناول أيديهم؛ امتحاناً منه سبحانه وتعالى لهم، واختباراً لصبرهم عن مناهيه، وجعل هذا الحكم متعلقاً بالحجاج والعمار سواء كان الصيد في الحل أو في الحرم، ويشترك معهم غيرهم في حرمة صيد الحرم. تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله وإياكم منهم، وحشرنا في زمرة، ورضي عنا كما رضي عنهم. آمين.

نداء أمس قد احتوى على أربع محرمات، وهذه المحرمات هي: الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام. وقد وصفها الرحمن بأنها رجس، ومن عمل الشيطان.

معنى الميسر وحكمه

الميسر مأخوذ من اليسر والسهولة، وكل لعب قمار يطلق عليه ميسر. وهذا القرآن حمال الوجوه، فهو لم يذكر الكيرم والديمينو وغيرها، وإلا لما حفظ هذا القرآن، ولذلك أطلق الميسر على لفظ القمار، سواء كان بالكعب أو بالرمح أو بالعصي أو بالتراب أو بالحجارة أو بالآلات، فكل قمار فهو ميسر.

وكلمة الديمينو هذه موجودة في المغرب، وهنا يسمونها الدومنة، تحريف فقط، وقد جاءني إلى المنزل شاب وقال: نسيت البارحة أخرى، وهي الشائعة عندنا البلوت، أي: البلاء ولوط، قال: وهذا أبشع ما يكون. فكل ما يجلس عليه اثنان وثلاثة يلعبون سواء لحصول فائدة أو لا فهو قمار وحرام، والذين أفتوا بجوازه مقهورون أدلاء، وإلا فالعالم لا يفتي بجواز هذا بحجة أنه ليس بقمار، وإنما لمجرد التسلية والترويح عن النفس. والله عز وجل لما علل للتحريم، لم يعلله بالمال؛ لأنه لا قيمة للمال، وإنما قال: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ [المائدة: 91].

لأن العداوة والبغضاء بين المسلمين حرام، فالمسلمون جماعة واحدة وحزب واحد والله، ومن عمل على تمزيقهم وتشتيتهم وتفرقتهم فعليه لعائن الله، فإنهم لا يستطيعون أن يحتفظوا براية لا إله إلا الله ويمشون في العالم إلا إذا كانوا على قلب رجل واحد، فأياً شيء يثير العداوة أو البغضاء أو الفرقة أو الانقسام أو التحيز فهو حرام من أشد المحرمات، ونحن ليس عندنا وعي وبصيرة، والله يقول: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ [المائدة: 91] يا أمة الإسلام! الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ فِي الْخُمْرِ وَالْمَيْسَرِ [المائدة: 91].

ومعنى هذا: لا مذهبية ولا حزبية ولا قبلية والله العظيم، وإلا فلسنا مسلمين، فأنت مسلم، ولا تقل: عربي ولا عجمي، ولا أبيض ولا أسود، ولا مالكي ولا حنبلي، ولا شافعي ولا حنفي، ولا زيدي ولا غير ذلك، بل قل: أنا مسلم، أمنت بالله ورسوله، فعلموني ما يحب ربي حتى أفعله، وعلموني ما يكره ربي حتى أكرهه وأتركه، وهذا هو الطريق إلى باب دار السلام.

وكل ما من شأنه أن يمزق وحدة المسلمين أو يفرق كلمتهم أو يباعد بين ديارهم أو يوجد عداوة وحزاة في نفوسهم فحرام.

افهموا هذه، فهي غالية والله.
ومن طلب البرهنة والأدلة الساطعة سطوع الشمس على ذلك فالقرون الذهبية الثلاثة كانوا أمة واحدة، وقد نشروا الإسلام وبلغوا به أقصى الشرق والغرب، وطأطأ العالم لهم رأسه، وارتفعت راية التوحيد في كل مكان، وعرف العدو الثالث سر وحدتهم وبقائهم، ألا وهو الكتاب والحكمة، فجاء فعمل جهده حتى أبعدهم عن القرآن وعن السنة، وأوجد لهم فقهاً وأئمة، وهذا حنفي وهذا كذا، ثم مزقهم دويلات، ثم جثم على صدورهم، ولم يتركهم إلا كما هم عليه الآن، فالدماء تسيل الآن في الديار الجزائرية، وما وجد مسلمون يجمعون كلمتهم، أو ينهون خلافهم وصراعهم، وغداً يحدث في البلد الفلاني مثل هذا، ولا يوجد من يجمعهم، وقد حدث في الصومال وحدث في الأفغان؛ لأنهم مزقوهم وشتتوهم وفرقوهم، بعد أن أبعدوهم عن القرآن الكريم.
وحجة من أفتى بجواز الكيرم والبلوت وأنها ليس فيهما شيء: لأنه ليس فيها فلس، وهذه فتوى باطلة؛ لأن الله لم يذكر المال في تعليل التحريم، وإنما قال: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ [المائدة: 91].

وأعظم من هذا وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ [المائدة: 91].
وهذا قد تحقق، فالصلاة تقام وهم يلعبون على الطاولة إلى أن تنتهي ويخرج وقتها، ولا لشيء إلا للتسلية فقط، ونضيع الوقت، والدقيقة منه لا يمكن أن نشترىها بمليار، ونحن خلقنا لذكر الله، لا للهو واللعب، ويكذب من يقول: إننا خلقنا للهو ونلعب، فنحن خلقنا فقط لندكر الله بقلوبنا وألسنتنا ضمن تلك العبادات التي نقوم بها.
هذه علة حياتنا وسر وجودنا.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: 56].
فلا تسمحوا الآن بالكيرم في بيوتكم، ولا تسمحوا لأولادكم أن يلعبوا به جماعات عند أبوابكم.
ولا إله إلا الله! نريد أن نرى أطفالكم يتجمعون في بيوت الله من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، ويشهدون الصلاتين، ويتعلمون الكتاب والحكمة، ويعودون راغبين في النوم، وينامون من صلاة العشاء، ثم يشهدون صلاة الصبح، وبعد صلاة الصبح يذهبون إلى المدارس، وإلى بعد الظهر وهم في طلب العلم، ولا تقولوا: تريد أن ترهقهم، دعهم يتنفسون، فهم من صلاة العصر وهم يسرحون ويقولون الباطل وينطقون بالسوء، ويلعبون الألاعيب الباطلة إلى أن يناموا، ولم يستفيدوا من المدرسة شيئاً.
فافهموا هذا.

فنحن مستدرجون درجة بعد أخرى في الهبوط.
ثم قال تعالى: وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ [المائدة: 91].
فلنقل: انتهينا ربنا! وأي ما مؤمن تتلى عليه الآية ويفهمها ولا ينتهي فقد عصى الله رب العالمين، وأعلن عن حربه لله بعدم مبالاته، فكأنه يقول لله بعد أن قال له: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ [المائدة: 91] لا تنتهي وافعل ما تشاء.
هذا لسان الحال.

ويبقى على اللعب والباطل بدلاً من أن يجلس يذكر الله مائة مرة، ويقرأ آية من كتاب الله، أو يومي ويشير إلى مؤمن يعلمه آية وحديثاً ويجلس للهو ويلعب.
وهذا هو صنيع الجهل والعياذ بالله وظلمته.
ذكرتكم بهذا فاذكروه.
معنى الأصنام وحكمها

الأصنام لفظ يطلق ابتداءً على تماثيل تعبد من دون الله، ولما كانت البشرية كلها متورطة في الشرك والجاهلية حرم الله تعالى علينا صنع تلك التماثيل وبيعها وشراءها واقتناءها، فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يشتري تماثلاً وإن كان لهر، أو عصفور، فضلاً عن أن يكون غزاً أو إنساناً.
فنحن أولياء الله لا بد أن تكون بيوتنا طاهرة كبيوت ربنا، فلا نسمع فيها صوت عاهرة من النساء، ولا نشاهد فيها صوراً لكافر، ولا نسمع فيها إلا ذكر الله وما والاها.
وقد تورط إخوان لكم لجهلهم وظلمة نفوسهم فأصبحوا يتخذون هذه الأنصاب، وينصبونها حتى وراء السيارات، فاستعيزوا بالله من الجهل وظلمته.

الأزلام هي عبارة عن ثلاثة عידان، أو سهام يكتب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الثاني: نهاني ربي، والثالث: لا يكتب عليه شيء، بل يتركونه مهملًا.

وقد كانوا يأتون إلى هذا المختص بهذه البدعة الشيطانية ويقدمون له المال، فيدير تلك العידان في كيسه أو في خريطته ويستخرج عوداً منها، فإن كان مكتوب فيه: أمرني ربي فيقول له: تزوج، فزواجك صالح، وإن كان يريد أن يطلق قال له: طلق، فقد أمرك الله أن تطلق، وإن كان يريد أن يبني قال له: ابن ولا تخف، وهكذا، فيقدم على العمل الذي أراد أن يقوم به وأراد أن يعرف قسمة الله له، فإن خرج العود الذي فيه: نهاني ربي ترك، فإن أراد أن يتزوج ترك، وإن أراد أن يبني ترك، وإن أراد أن يسافر قعد.

ومن العجيب أننا أبطلنا الأزلام وجعلنا أزلماً أخرى أسوأ منها، ومما ذكرت لكم من ذلك: ما يعرف بخط الرمل، وهذا أكثر ما يكون في ديار المغرب، ومن الجائر أن يكون في المشرق.

ومن ذلك: قرعة الأنبياء، وهي تباع وتشتري.

ومن ذلك: المسبحة، فقد كانوا يقبضون الحبات، فإن جاءت أزواجاً قال له: امض في أمرك؛ فأنت رابح، وإن كانت وترأ قعد.

ومن ذلك: الشوافات، وهذه موجودة في المشرق أكثر، وتسمى بالجزانات في الديار المغربية، وهذه تدعي علم الغيب، وتقول: افعل ولا تفعل مقابل دريهمات، ويأتي إليها الفحل من الرجال.

وقال أحد الأبناء تسمى: قارئة الفنجان، وهذه متنبئة صغيرة، فهي تقرأ الغيب في الفنجان، ويأتيها الرجال والنساء ليكتشفوا أسرار الله التي أخفاها، ولو تتصورون جريمة من يريد أن يطلع على الغيب، وقد ضربنا لها مثلاً غير ما مرة، فإذا كان أخوك .. أبوك .. صديقك .. أميرك يخفي شيئاً عن أعين الناس لأهميته فلا يليق بك ولا يحسن بك ولا يصلح لك أن تأتي وتكشف عما يستره، فافهموا هذا.

فلو علمت أن أخاك أو إنساناً آخر يستر شيئاً لما في معرفته من الأذى والضرر فلا تأتي أنت وتكشفه، وإلا لكان موقفك أسوأ موقف، ولو صفحك لما كان ظالماً لك.

والله عز وجل يخفي الغيب لينتظم سير الحياة ولا تتعطل وتمشي إلى نهايتها، وأنت تريد أن تطلع على ذلك، وهذا لا يجوز أدباً وعقلاً وشرعاً، فهذا الذي يدعي علم الغيب كافر وعدو الله وطاغوت، والله يقول: إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ [يونس:20]، أي: ما الغيب إلا لله.

ابتلاء الله تعالى عباده المؤمنين المحرمين بالحج والعمرة بظهور الصيد وسهولة صيده

هذا هو [النداء التاسع والثلاثون: في ابتلاء الله تعالى عباده المؤمنين] فالله يبتلينا ليظهر طيبنا أو يظهر خبثنا إن كنا أخبثاً، فلا بد من الابتلاء والامتحان، وهنا يبتلي الله عباده [المحرمين بالحج والعمرة بظهور الصيد وسهولة صيده] وهيا بنا نتغنى بالنداء تلذذاً وتبركاً، وطمعاً في أن نحفظه، ثم نعم ونعمل وندعى عظاماً.

[الآية (94) من سورة المائدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُبْلُوَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيِّدِ تَتَّالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ [المائدة:94]] والله هو الذي يعذبه، وجنايته أنه صاد، كأن يكون وجد أرنباً تحت شجرة فصاده، فهذا له عذاب أليم موجه، وجماعتنا يستبيحون الخمر والزنا والربا والكذب والخيانة، ويقولون: إنهم مؤمنون، وسيدخلون الجنة، وأنهم لا خوف عليهم ولا حزن ولا كرب ولا هم ولا غشيان عذاب.

وتفسير هذه الظاهرة: أنهم لم يعرفوا، ولم يعلموا، ولم يجلسوا في حجور الصالحين يتربون بين أيديهم عشرين سنة، وإنما كما علمتم يدرسون في المدرسة للريالات.

أستغفر الله! (99%) منهم يدرسون من أجل الوظيفة، وأما أن يقرأ ليصبح يعرف الله ويبكي بين يديه ويحبه حتى يحبه الله، فهذه والله ما قالها إلا من ندر؛ ولذلك لم نر نتائج هذا العلم، ولو جلسوا في حجور الصالحين أو كان لهم آباء صالحون وأمهات ينقلونهم إلى بيوت الرب التي فيها أولياؤه يتعلمون الكتاب والحكمة لما كانت هذه حالهم.

والآن مع [الشرح] وإن كان المعنى ظاهراً للأبناء والإخوان، ولكن نشرح ليشرح الله صدورنا.

اللهم اشرح صدورنا، وطيب وطر قلوبنا.

قال الشارح غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [اعلم أيها القارئ الكريم!] وهذا القارئ هو الذي بيده أو عند رأسه هذا الكتاب، فينبغي أن يقرأ هذا الكتاب كل مؤمن ومؤمنة، فهي نداءات ربك، فسأل عنها، ولو عدت الآن إلى البيت وقالت لك أمك: يا فلان! شخص ناداك بالتلفون يريدك فإنك تجيبه، ويناديك رب الأرض والسماء بعنوان الولاية والإيمان ولا تبالي ناداك أو لم ينادك! ولا تسأل ماذا يريد من ندائه، ولو يشرح الصدر وتطمئن النفس لأغمي علينا من موقفنا هذا، ولهذا يضحكون إذا قلنا: ينبغي أن يقرءوا هذا النداء، وخاصة طلبة العلم، فينبغي أن يوجد عند كل سرير في فنادق العالم الإسلامي، والنزيل قبل أن ينام يقرأ نداءات الرحمن، وينبغي أن يوجد في كل بيت فيها مؤمن ومؤمنة؛ حتى يسمعون نداءات ربهم، ولا تقولوا بعد ذلك: هم أحرار يجيبون أو لا يجيبون، فهم ليسوا أحراراً، بل هم عبيد الله يجب أن يطيعوه إذا أمر أو نهى.

الحكمة من الابتلاء وفائدة الصبر عليه

قال: [وأخيراً أيها القارئ الكريم! والمستمع المستفيد! اذكروا ما علمتما من أن الله تعالى يبتلي عباده المؤمنين بالفعل والترك، وبالخير والغير؛ تربية لهم، وإعداداً لتحمل أعباء الشريعة وتكاليف الدين؛ ليفوزوا بولايته ومحبته ورضاه ورضوانه] وأنت قد تبتلى بالحمى أو بألم ضررس أو بالجوع أو بغير ذلك؛ امتحاناً لك؛ ليظهر كمالك، فافرح بالابتلاء يا عبد الله! ولا تنزعج [فاذكروا هذا واصبروا على الابتلاء، وقد يكون جوعاً، وقد يكون خوفاً، وقد يكون صحة، وقد يكون مرضاً، وقد يكون ولاية، وقد يكون إهانة. فلنصبر على كل ابتلاء بالرضا به، والتسليم لله فيه، ولا نفارق ذكر الله بعبادته، وبحمده وشكره، فهذا سبيل الفائزين، جعلنا الله منهم، وحشرنا في زمريهم. آمين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].
ما يجوز قتله في الحل والحرم

قال: [كما ينبغي أن نعلم أن خمساً من الحيوانات أذن في قتلهن في الحل والحرم، و [يجوز قتلها] للمحرم والمحل على حد سواء] وهي التي جاءت في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح: (خمس فواسق) [جمع فاسقة] (يقتلن في الحل والحرم: الحية، والغراب الأبقع) [أي: فيه بياض وسواد، وهذا يأكل النجاسات والجيف، وليس مطلق غراب، فالغرابان فيها الشريفة وفيها الوضيعة، والأبقع هذا هو الذي فيه بياض، هذا الذي يقتل] (والفأرة، والكلب العقور) [الذي يأكل] (والحدأة) [التي تأكل اللحم. فهذه اقتلوا في الحل والحرم؛ لأنها تؤذي، وسواء كنتم محلين أو محرمين] وما قيس عليها [والذين قاسوا عليها هم الصحابة والأئمة] من كل ما يؤذي [كالعقرب فإنه يقتل، والثعبان يقتل، وكل ما يؤذي حقاً مقيس على هذه] كالأسد والنمر والذئب والفهد [فهذه كلها تنهش وتأكل] إذ على هذا فقهاء الإسلام رحمهم الله تعالى [فقد قاسوا على هذه على الخمس الفواسق.

احتيال بني إسرائيل على الصيد يوم السبت

قال: [ولم يكونوا كبني إسرائيل ابتلاهم ربهم بتحريم الصيد - أي: صيد السمك يوم السبت - فكان الصيد يأتيهم، أي: يظهر لهم شرعاً ظاهراً بارزاً؛ إغراء لهم وفتنة يوم سبتهم، ويوم لا يسبئون لا تأتيهم] [الأعراف:163] [وكان لا حوت في البحر] فاحتالوا على الصيد، ووضعوا الشباك ليلة السبت أو يوم الجمعة، فتمتلئ بالحياتان يوم السبت، فيأخذونها ملأى يوم الأحد فيأكلونها [ونحن عندنا أشياء من هذه الحيل، واسألوا أرباب البنوك، فعندهم مبادئ هامة في الاحتيال على أكل الربا.

ونحن لا نريد البنوك هذه، وإنما نريد أن أهل القرية في قريتهم مع سمو أرواحهم وتفتح عقولهم وما آتاهم الله من كمال لم يعرفه سواهم يفتحون صندوقاً حديدياً في مسجدهم أو في بيت إمامهم أو شيخ القرية، ويقول خطيبهم ومربيهم: أيها الأبناء! أيها الإخوان! أيتها المؤمنات! من زاد عن قوته ريال فليضعه في هذا الصندوق الآمن المأمون، ووالله لن يمضي ستة أشهر أو عام إلا والصندوق قد امتلأ، فيمنونه، فإن كانوا أصحاب أرض زراعية أنشأوا

مزرعة تنبت الحبوب، وينتجون العسل والزبدة واللبن، ويبيعون ويصدرون، والمال ينمو، وإذا أراد أحدهم أن يستلف استلف؛ لأن المؤمن إذا قال: أقرضني ألفاً أو عشرة إلى كذا فلا بد وأن يأتي بها في الموعد المحدد، والله معه.

وإذا أراد أن يسافر أعطيناه ورقة إلى القرية الفلانية أو إلى المدينة الفلانية؛ ليستلم منها، وحينئذ يكون الرخاء والطمأنينة، وتتوفر الأموال ويعزف عن الدنيا، ولا إله إلا الله! وأصحاب الربا وأهله واليهود وشياطينهم يحزنون ويكربون ويتمزقون، ويأكلون التراب من الألم وهم ينظرون إلى الديار الإسلامية، فبنوك الرحمن خير من بنوك اليهود، ولكنهم حرمونا ومزقونا وشتتونا حتى نسينا أنفسنا، وطننا أنه لا بد من البنوك، وأنه لا حياة بدون البنوك، ويضحكون علينا، والذين يعلمونهم في أوروبا وأمريكا وروسيا ويقولون لهم هكذا، ويقيسون هذا على بلادهم، ونحن مسلمون، وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [التوبة: 71].

و (المسلم أخو المسلم)، و (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً). يعيش أحدنا سبعين سنة لا يسرق سرقة، ولا يزني زنية، ولا يكذب كذبة. ولكن لا أحد يعي أو يفهم، فقد صدقنا أنه لا يمكن حياة بدون بنوك، وإلا لوضعنا في كل قرية وفي كل حي من أحياء المدينة بنكاً، وهذا البنك صندوق مالي طاهر نقي، ينمو ويزيد وينفع الله به أهل القرية أو الحي، وتتجلى فيه الربانية الصادقة، وهو أن يكون مؤمناً مسلماً.

فافهموا هذا يا أبناء الإسلام! ولهذا أفسدوا عقائدنا وقلوبنا، وأخلاقنا وآدابنا، وآمالنا وأرواحنا منذ ألف سنة تقريباً، حتى هبطنا نهائياً، وأصبحوا يملون علينا كل شيء، ونحن نستحسن هذا منهم، ولا بأس.

قال: [فمسخهم الله عز وجل] حقيقة [قردة وخنازير] أي: هذه الفرقة التي أصرت على الباطل بعد أن صاح الموحدون وأهل الإيمان والأمرون بالمعروف: إن هذا منكر، فأبوا أن يسمعوهم، فأصبحوا والمدينة كلها على ساحل البحر الأبيض قردة وخنازير، وكأنني برسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث رسوله إلى بني قريظة يناداهم: يا إخوان القردة والخنازير! فتمزقت قلوبهم؛ لأنهم لأول مرة يسمعون هذا، فقد كانوا جاحدين هذا، ففضحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: [كما جاء ذلك في سورة الأعراف في قوله تعالى: وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ [الأعراف: 163]... إلخ] الآيات [أما المؤمنون الصادقون] في إيمانهم [من تلك الزمرة المباركة الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد امتحنوا ونجحوا وفازوا، وجاء أناس غلب عليهم الجهل فأحلوا محارم الله بالحيل، كالربا بأنواع من الحيل].

العذاب الأليم لمن اعتدى على محارم الله عز وجل

قال: [وقوله تعالى في ختام النداء: فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ] [المائدة: 94]، أي: من اعتدى بعد هذا النهي عن قتل الصيد حال الإحرام فله عذاب أليم، أي: موجع، وقد يكون في الدنيا، وقد يكون في الآخرة، أو فيهما معاً، بحسب حال المعتدي في اعتدائه وقد يعفو الرحمن ويغفر، وهو العفو الرحيم [وهذا الحكم بالنسبة إلى المحرم إلى الآن، فلا يجوز للمحرم أن يصيد أبداً].

حكم الصيد في الحرم

قال: [هذا ولنعلم أن الصيد في الحرم محرم على المحرم وغيره، وهو المحل] ولكن خارج الحرم حرام على المحرم فقط بحج أو عمرة [والحرم حرمان: حرم مكة المكرمة، وحرم المدينة النبوية] هذه التي نحن فيها، والحمد لله.

فهذه المدينة النبوية منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فتسمى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم. واليوم يقولون: المدينة المنورة، ويجحدون النبي، وهذه لعبة، فقل: المدينة النبوية؛ لأنها مدينة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فلا تجدها منه، فهي مدينته [أما حرم مكة فقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن إبراهيم قد حرم مكة، فهي حرام إلى يوم القيامة، لا يخلى خلاها -أي: عشبها- ولا ينفر صيدها، ولا يصاد)] فلو وجدت غزالة جاثمة تحت شجرة وأنت تريد أن تستظل فإياك أن تبعدها وتجلس مكانها، فهذا حرام عليك إذا كانت جالسة في الظل [وحدود الحرم المكي قد حددها إبراهيم عليه السلام مع جبريل عليه السلام] فقد كان جبريل المهندس وإبراهيم معه

يشغل [وأما حدود حرم المدينة فقد حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (المدينة حرام من عائر إلى ثور) [وثور جبيل وراء أحد مستدير، أو أرض وراء الجبل، فأحد من الحرم بكامله، وثور رابض وراءه. وقوله: (وعائر) العير في اللغة العربية: الحمار، فجبيل عير كأنه حمار أسود رابض هناك] فلا يصاد صيده، ولا يختلئ خلاله كالحرم المكي سواء بسواء. ابتلاء الله لحجاج بيته وعماره بتحريم الصيد عليهم

على هذا القارئ الكريم أن يعلم [أن الله تعالى إذ يبتلي] ويختبر [عباده المؤمنين اختباراً لهم وامتحاناً ليعلم الذين يخافونه بالغيب] ممن لا يخافونه بالغيب، والغيب حاصل، وما دمنا لا نرى الله فهو غيب، فالغيب ما علمته بقلبك وخفي عن بصرك، والله يعلم ما سنعمل، فهو قد علم كل شيء، ولكن ليظهر ذلك علم ظهور؛ لتقوم الحجة على الإنسان [كما قال عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ [الملك:12]] ألا وهو الجنة، ويخشون بمعنى: يخافون [فيرفع درجاتهم، ويعلي مقاماتهم، ويظهر في الدنيا كراماتهم] فهو يبتليهم لهذا الغرض، وقد حرم عليهم الصيد وهم جباع، فكانت الأرنب تمشي بين أرجلهم ولا يمسونها، أو تعرض لهم الغزال تريد أن تنطحهم وهم نائمون فلا يمسونها؛ خوفاً من الله عز وجل، فقد امتحنهم، والله لقد نجحوا أعظم نجاح رضوان الله عليهم أجمعين، كما سيأتي.

قال: [وما هو ذا سبحانه وتعالى ينادي عباده المؤمنين ليخبرهم بأنه سيبتليهم بشيء من الصيد] فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ [المائدة:94].

وهذا إخبار [والصيد هو] كل [ما يصاد] فيسمى صيداً [من حمار الوحش إلى الغزال وما دون ذلك كالطير والأرانب] فهذا كله صيد [أطلق المصدر وأريد به اسم المفعول، وهو المصيد] فالصيد مصدر [إذ الفعل صاد يصيد صيداً، كباع يبيع بيعاً] فأطلق المصدر وأريد به اسم المفعول، مثل البيع اسم والمبيع اسم مفعول [فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المائدة:94].

يا من أنتم بالله ولقائه وكتابه ورسوله، لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ [المائدة:94]، أي: ليختبرنكم الله ربكم ووليكم، بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ [المائدة:94]، أي: مما يصاد كالظباء والأرانب وغيرهما، وقد فعل ذلك بالمؤمنين أيام عمرة الحديبية [سنة ست من الهجرة النبوية] فكانت الوحوش والطيور تغشاهم في رحالهم بصورة لم ير مثلاً قط [وهم ألف وأربعمائة شخص، وإذا بالأرانب والغزلان والطير يأتي عليهم ويقع فوقهم، وهم والله في حاجة إلى اللحم، وهذا امتحان عظيم.

وأنتم قد امتحنتم بتطهير بيوتكم فلم تصبروا، وما زالت الدشوش مكانها، تتحدون الله والرسول وإمام المسلمين، ولا تزالون تستخدمونها، فهؤلاء أموات، والغافلون يجيبون ليس في الدش هذا شيء، فنحن مسلمون. وهذا هو جوابهم.

وهل إذا رأيت رجلاً يعلو رجلاً أمامك في بيتك تبقى لك حياة أو روح؟ وهل إذا رأيت عاهرة يفعلوا فيها الفاحشة وأنت تنظر وتنظر أمك وامراتك إليها تبقى لك كرامة أو وجود؟ سبحان الله! وهذا ليس في أمريكا، ولا في أوروبا، وإنما في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ذاك الذي يغضب من وجود صورة في الكتان، أو في خرقة من قماش، وأعوذ بالله من هذا المسخ. فهذا يتحداه لأنه ميت.

ودعونا من البكاء، وهيا بنا نواصل هذا النداء.

قال: [فنهاهم الله تبارك وتعالى عن صيده وقتله وهم محرمون بالعمرة قبل التحلل منها. وقوله تعالى: تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ [المائدة:94]، أي: لكثرة وكثرة ما يغشاهم في رحالهم، فصغاره كبيضه، وفراخه تناله أيديهم، لو أرادوا أن يأخذوه، وكباره تناله رماحهم] ونبالهم [لو أرادوا صيده. ثم ذكر تعالى الحكمة من هذا الابتلاء العجيب، فقال عز وجل: لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ [المائدة:94]] ممن لا يخافه [وفعلوا قد خافوا ربهم، وما صادوا لا بأيديهم ولا برماحهم؛ فأصبحوا بذلك أهلاً للقيام بمهام الأمور وعظائمها؛ لأنهم عما قريب سيصبحون هداة البشرية وقادتها وقضاتها، فسيوسوسون بالعقل والرشد، ويحكمون بالشرع، ويعاملون بالعرف] ففازوا، والله لم تر الدنيا أفضل من الصحابة والتابعين.

صيد الحرم محرم على الحاج والمعتمر وغيرهما، أما صيد الحل فهو محرم على الحاج والمعتمر حال إحرامهما، وقد جعل الله لهما مخرجاً إن هما صاددا شيئاً من ذلك بأن أوجب عليهما الفداء، وذلك بأن يقوم حكمان عدلان من المسلمين ما يماثل الصيد من النعم، فيؤخذ هذا الهدى ويذبح عند الحرم، ويفرق على الفقراء والمساكين عنده. حرمة الصيد حال الإحرام وبيان جزاء من قتل الصيد عامداً وهو محرم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا على ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.

امتحن الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في النداء السابق، وقد نجحوا بتفوق، وهم في تلك الأزمة الحادة الشديدة، وكانوا قد حيل بينهم وبين دخول مكة وهم محرمون ملبون بالعمرة، وهذا قضاء الله وقدره، وابتلاههم الله بكثرة الصيد، فكانت الأرانب والغزلان والظباء والطيور تغشاهم في مخيماتهم، وهم صابرون، وقد تحك الغزالة جسمها بجسم أحدهم ولا يلمسها؛ لأن الله أعلمهم أنه سيبتليهم؛ ليظهر طبيعتهم، وليعلي درجاتهم، ويرفع مكانتهم، وفي نفس الوقت يؤهلهم لأن يصبحوا أعدل الخلق وأرحمهم، وأوفاهم بالعدل وأسبقهم.

وهذا الابتلاء ذكره تعالى في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُتْلَوْكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَتَّالِيهِمْ وَيُخَافُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ [المائدة: 94] وهم لم يعتدوا.

والآن [النداء الأربعون] وهذا لنا نحن، فلنستمع إلى هذا النداء الموجه إلينا، وهو [في حرمة الصيد حال الإحرام] وفي الحرم [وبيان جزاء من قتل الصيد عامداً وهو محرم والعياذ بالله] وهيا نتغنى بالنداء أولاً؛ لنزكي به أنفسنا، ونطيب به ألسنتنا، وبعد ذلك نشرح ونعرف مراد الله منه، ونلتزم.

[الآية (95) من سورة المائدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالْغُلَبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ [المائدة: 95] وهذا الذي نتلوه قرآن كلام الله ربنا والله، والحمد لله فلا أحد يعادلنا أو يساوينا أو يكون مثلنا من أولئك الذين ما عرفوا الله ولا آمنوا به ولا برسوله ولا بكتابه، بل هم الآن في المقاهي والمراقص والمقاصف، يأكلون كما تأكل البهائم، ويعودون سكارى، وينامون إلى الساعة الثامنة، ثم يقومون إلى العمل يجرون ويهرولون، حتى لا يفصلوا من العمل، ويشغلون إلى قبل المغرب، ويعودون إلى الأكل والشرب والضحك والباطل والعبث، وما هي إلا سنوات معدودة ويموتون، فيجعلونهم في توابيت ويرمونهم في الأرض، فتنتقل أرواحهم إلى عالم الشقاء، فتبقى فيه أبداً مليارات السنين.

إذاً: فاحمدوا الله، وقولوا: الحمد لله.

وها نحن مع كلام ربنا، فهذا نداؤه، ينادينا به ليعلمنا علوماً ومعارف نستقيم عليها؛ لنرتفع ونسمو في سماء الكمالات.

[الشرح: اذكر أيها القارئ والمستمع! ما جاء في النداء [السابق] التاسع والثلاثين قبل هذا [النداء] فإن فيه اختبار الله تعالى للمؤمنين بشيء من الصيد [بقوله: لِيُتْلَوْكُمْ] [المائدة: 94]، أي: ليختبرنكم [واختبار أهل عمرة الحديبية، وقد نجحوا أجمعين، فلم يصيدوا مع ما كان يغشاهم في رحالهم من أنواع الصيد.

فرضي الله عنهم وأرضاهم [أجمعين].

فقد امتحنوا ونجحوا.

فقد كان الغزال يأتي إلى أحدهم وهو في خيمته، أو كان يرى الأرناب أمامه، بل تعلق وهو نائم على ظهره ولا يمد يده، وهذا هو الإيمان؛ لأن الله هياهم لأن يصبحوا بعد أعوام أئمة الدنيا وهداة العالم، لا يعرفون إلا الحق والعدل والرحمة، فكان لهم هذا الامتحان، فنجحوا بأكبر جائزة، لأن الذي أجرى الامتحان عليهم الله مولاهم.

قال: [وبما أن الإسلام هو الدين الباقي ببقاء هذه الحياة فلا ينسخ ولا يزداد فيه ولا ينقص] منه [علم الله أنه يأتي يوم يجهل فيه المؤمنون كرامتهم ومقامهم فيصيد منهم من يصيد وهو محرم، فسقاً عن أمر الله تعالى] وذلك [لغلبة الغفلة والجهل، ولرقة الإسلام وخفة الإيمان في نفسه] وهذا قد حصل بعد القرون الثلاثة، واستمر ألف ومائة سنة، والآن ليس هناك من يصيد؛ لأننا نركب الطائرات والسيارات، ولكن قبل ستين أو سبعين سنة كان كل الحجاج يقطعون المسافات للحج، فكانوا يقطعون من الشام أربعين يوماً، ومن نجد شهراً كاملاً، وكل ليلة يبيتون في الطريق، سواء كانوا من صنعاء أو من أي جهة، ولا بد وأن يغشاهم الصيد ويمرون به، وأما الآن فقد سلمتم من هذا، وليس إلا ساعتين وأنتم في مكة، وقد يأتي يوم نعود فيه كما بدأنا، إذا انتهت الطاقة ووقفت دواليب الحياة، وعندها ستركبون الخبول من جديد والبهائم والرواحل.

وهذا الكلام أخبر به الرسول، وقاله علماء الذرة والكون، فقد قالوا: إن المادة الآن تنتهي شيئاً فشيئاً، ولا بد وأن تنتهي.

وهذا الشرع باقٍ.

التحذير من معصية الله عز وجل

قال: [وقوله تعالى: وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ [المائدة:95]] العزيز الذي لا يمانع في شيء أراده أبداً، والغالب القاهر الذي لا يعجزه شيء، ولهذا تقول العرب: من عز بـ، أي: من عز غلب وأخذ [أي: يعاقب على معصيته، ولا يحول دون مراده حائل] من الحوائل أبداً [ألا] أيها المستمعون والمستمعات! [فلننق الله تعالى، ولنحذر معصيته] ولا نجاهر بها، ولا نتهاون بها، أو لا نعدّها شيئاً [سواء كانت صيداً محرماً أو غير ذلك من سائر المعاصي والذنوب] فالله يهدد أصحابها بهذا التهديد: وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ [المائدة:95].

فكيف إذا بالذي يرتكب كبائر الذنوب ويغشى الآثام، ولا ترتعد فرائصه، ولا يوجل قلبه [اللهم احفظنا وقنا شر نفوسنا حتى لا نعصيك] فأنت ربنا ونحن عبيدك [وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين].

معاشر المستمعين هذا النداء الأربعون مضمونه ومحتواه والحكم التي يحملها لنا حرمة الصيد على المحرم، أي: أنه لا يجوز الصيد للمحرم.

والمحرم هو الذي دخل في الإحرام بكلمة: لبيك اللهم لبيك، فيحرم عليه الصيد في الحرم وفي الحل، فلو أحرم من أبيار علي أو على مسافة عشرة أيام من مكة فبمجرد أن يقول: لبيك اللهم لبيك ويدخل في الإحرام لا يحل له أن يصيد، لا خارج الحرم ولا داخله، فالله يقول في الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ [المائدة:95]. فلنحفظ هذه.

ومن ركب رأسه وغطاه الشيطان وغمسه في هذا الوباء وصاد فهذا عليه جزاء، وهذا الجزاء مثل ما قتل من النعم [المائدة:95].

النعم هي الإبل والبقر والغنم، وتسمى الأنعام.

فإن صاد نعامة أيام كان النعم متوفراً ثم قال: أنا صدت نعامة وأريد أن أتصدق ببقرة أو كبش لم يجز، بل لا بد من محكمة تنصب هناك، والذي يقوم على المحكمة نوا عدل، أي: رجلان بالغان عدلان، أنت منهم.

ومن جاء بسيارته فصد بغيراً فهذا ليس صيداً، ونقول له: ادفع قيمة البعير لصاحبه.

وصلى الله على نبينا محمد.

حكم من صاد قبل نزول هذا النداء

قال: [وقوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ [المائدة:95]] أي: الذي مضى قبل نزول هذه الآية عفا الله عنه، ونحن الذين ما بلغنا هذا الخبر فمن الآن فقد علمنا، وعفا الله عما سلف [فهو تفضل من الله تعالى بعفوه على من سبق أن صاد وقتل قبل نزول هذا الحكم] لأن القرآن لم ينزل في يوم واحد، وهذه السورة مدنية، ويمكن أن تكون نزلت في السنة

السابعة أو الثامنة أو قبلها من السنين، فالذين صادوا قبل نزول الآية طمأنهم الله وطيب خواطرهم بقوله: عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ [المائدة:95].

والحمد لله.

حكم من تكرر منه قتل الصيد وهو محرم

قال: [وقوله تعالى: وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ [المائدة:95] أي: ومن عاد فصاد مرة أخرى فينتقم الله منه، وانتقام الناس من بعضهم البعض معروف، ويكون بشر ما يكون، فكيف بانتقام الله إذا انتقم؟ ولا أحسب أن مؤمناً يبلغه هذا ويصيد أبداً؛ لهذه الجملة فقط: وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ [المائدة:95].
وهنا بعض أهل العلم قالوا: هذا يترك لله، فلا نطالبه بكفارة أبداً؛ لأنه لا تكفيه، ومنهم من قال: نحن نجري الحكم عليه، ونترك هذا لله.

قال: [ففيه] أي في قوله تعالى: وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ [المائدة:95] [تهديد ووعد شديد، حتى رأى بعض أهل العلم من السلف أنه لا يجزئه الفداء] ولو ذبح ألف بقرة ما يكفيه، ولا يجزئه الفداء مهما فدى نفسه؛ لأن هذا التهديد والوعيد عظيم، ويترك لله، ولا نطالبه بفدية أبداً؛ لأنه لا تنفعه [والذي عليه الجمهور] الثلاثة الأئمة وجل الصحابة وأكثر التابعين [أنه كلما صاد وجبت عليه الفدية، ويترك أمره إلى الله تعالى] إن شاء عفا وإن شاء أخذ.
فنحن مسئولون عن الواقع، فكلما صاد نلزمه بالفدية، ونترك الجزاء لله عز وجل، ونحمي حرمان الشريعة.
فإذا صاد مؤمن نصدر الحكم عليه ويدفع، والجزاء يترك إلى الله، هذا الذي علينا، ولا نعلمه أنه نجا الآن وبرئت ذمته لأنه كفر.

علة لزوم الكفارة على من قتل الصيد وهو محرم

قال: [وقوله تعالى: لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ [المائدة:95] الذوق يكون في الحلوى] أي: عقوبة مخالفته لشرعنا وما أمرنا به ونهينا عنه [والقاتل: لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ [المائدة:95] الله، وكلمة الذوق هذه فيها معنى التأديب، والذوق يكون في الطيب كالحلوى والمرق الجيد، وليس في العصا، ولكن هذا من باب التأديب المعنوي.
والذين يسبون المؤمنون ويشتمونهم جزاءهم وحسابهم ليس معروفاً عندنا، بل هذا لله، وإذا كان من صاد صيداً وهو محرم يقول تعالى فيه: لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ [المائدة:95] فكيف بمن يرتكب كبائر الذنوب والآثام؟
تخفيف الله على من لم يجد كفارة قتل الصيد أو قيمتها

قال: [وقوله تعالى: أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ [المائدة:95]] هذه قراءة حفص [فهذا تخفيف ورحمة من الله بعباده المؤمنين] وهذه الرحمة هي أن من عجز عن شراء البعير أو البقرة أو التيس فهناك حل [وذلك بأن يشتري بثمن] وقيمة [ما وجب عليه من بدنة أو بقرة أو تيس يشتري به طعاماً] أو قمحاً أو شعيراً ويوزعه [ويتصدق به حيث أمكنه ذلك] فإذا حكم عليك العدلان بشراء عنز ولم تجد العنز فتسأل عن قيمة العنز فإن قالوا: بمائتين ريال فاشتر بها براً أو تمرأً ووزعه على المساكين؛ حتى يمحي عتك ذلك الإثم الذي علق بنفسك؛ إذ اسمه كفارة، والكفارة ما يكفر به الذنب ويغطي، أو يمسح ويزال.

قال: [وقوله تعالى: أَوْ عَذْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا [المائدة:95] وهذا تخفيف آخر ورحمة بالمؤمنين؛ فإن من قتل الصيد مأذون له أيضاً أن يصوم عن كل نصف صاع، أي: حفتين] لأن الصاع أربع حففات [براً أو تمرأً أو شعيراً يوماً حتى يكمل الصيام بعدد ما وجب عليه من إطعام] فالتخفيف الأول: إذا لم تجد البقرة لتذبحها فتصدق بقيمتها، والتخفيف الثاني: هو الصيام إن لم يكن عنده، مثل أن يجب عليه بعير وليس عنده بعير ولا قيمة البعير فيقوم ثمن البعير، فإذا كان يساوي ألف ريال ننظر كم تساوي الألف الريال من القمح أو الشعير، فيصوم عن كل نصف صاع - أي: مدين - يوماً.

فلو صاد جاهل منا أو ظالم غزلاً فقد وقع في الفخ، ثم بحثنا له عن عدلين يحكمان على جنايته في قتل الغزال، فحكما بعنز فنقول له: هيا اشتر العنز واذهب به إلى مكة، أو ابعث به مع من يصل به إلى الحرم؛ ليذبح هناك، فإن قال: لا أستطيع، فليس عندي عنزاً، أو لا أجد من يوصله إلى الحرم فالرخصة والتخفيف هي: أن يقوم ثمنه، فإذا قوم بمائتين ريال مثلاً يشتري بها طعاماً ويتصدق بالطعام، سواء تمرأً أو براً أو شعيراً.

هذا التخفيف.

وتخفيف آخر: إذا لم يكن عنده عنزاً ولا قيمته: فينظر ما قوم العنز به، ثم ينظر ما يساوي هذه القيمة من الطعام، فإن قوم بقنطار بر أو بوسق فيصوم عن كل حفتين - أي: نصف صاع- يوماً، فإما أن يصوم شهراً أو شهرين أو غير ذلك بحسب كمية القمح أو الدقيق، فيصوم يوماً عن كل نصف صاع عن كل يوم. والذي قنن هذا القانون ليس أبو حنيفة ولا أبو بكر الصديق، بل هذا تقنين الله تعالى وشرعه، ولا دخل للإنسان في هذا.

سبحان الله العظيم! وهناك من يقول: الشريعة الإسلامية ترجع بأصحابها إلى الوراء؛ لقصر مداها ولقلة قوانينها، وما ترك الله شيئاً في الحياة إلا بينه، حتى الصيد.

لا إله إلا الله! ومع هذا خصوم الإسلام إلى الآن ينقدون ويطعنون، ويغسلون أدمغة التلاميذ الذين عندهم، ويقولون لهم: إنها شريعة جافة.. قاسية.. يابسة.. متخلفة، وأهلها كذا وكذا؛ حتى ينفرونهم من الإسلام.

وهذه قضية من أبسط القضايا، وهي: أنه إذا كان المؤمن محرماً يذكر الله ويكبر ويصلي على النبي لا يجوز له أن يصيد ويلهو ويلعب، فهذا عبث بدين الله، فإذا غره الشيطان وصاد فلا يبقى في المحنة، بل يكفر ذنبه ويمحو أثره على نفسه، ويفزع إلى الله عز وجل، وليطلب اثنين من الصالحين يحكمان عليه، فإن حكما ببيعير فاشتر بغيراً وابعثه إلى مكة، وإن لم تستطع أن تبعث به فاذبحه حيث أمكنك، فإن لم تقدر ولم تستطع أن تشتري البعير أو لم تجده فاشتر ب قيمته طعاماً وتصدق به، فإن لم تجد الطعام أو لم تقدر على شرائه فصم عن كل حفتين يوماً، والعدلان يقومان كمية البر أو التمر ويقولان: عليك الصيام خمسين يوماً، أو أربعين، أو ثلاثين.

والإطعام يكون حيث شاء، وأما الهدى ففي مكة؛ لقوله تعالى: **بَالِغُ الْكَعْبَةِ** [المائدة: 95].

ويجوز عدم التتابع في الصيام، فالترتيب ما ذكر هنا، وإذا أطلق أطلق، فيجوز الصيام متقطعاً ومتتابعاً.

والحمد لله فقد وضح هذا المعنى.

مكان ذبح كفارة الصيد

قال: [وقوله تعالى: **هَذَا بَالِغُ الْكَعْبَةِ** [المائدة: 95]] الهدى ما يهدى إلى الحرم من بغير أو بقرة أو غنم، والحرم لا يأكل الهدى، وإنما أهل الحرم وسكانه وحماته يأكلونه؛ لأن أرض ليس فيها زرع ولا تمر ولا عنب، وليس فيها إلا الماء واللحم فقط.

فإذا قوم العدلان عليك هذا الذي قتلته ببقرة فيجب أن تسوق هذه البقرة إلى الحرم، أو تبعث بها إلى الحرم، ولا تذبح ولا تؤكل إلا هناك، وتكون حينئذ قد امتثلت قول الله تعالى: **هَذَا بَالِغُ الْكَعْبَةِ** [المائدة: 95] [أي ما حكم به العدلان من مثل ما قتل المحرم، ينبغي أن يرسل إلى الحرم؛ ليذبح هناك، ويفرق لحمه على الفقراء والمساكين في الحرم لا خارجه] وحدود الحرم المكي قد عرفتموها، والذي حددها هو جبريل عليه السلام وإبراهيم، فلا يبقى فيها مجالاً للكذب.

قال: [إذ المراد من قوله تعالى **بَالِغُ الْكَعْبَةِ** [المائدة: 95]] أي: وأصل الكعبة [أنه الحرم المحيط بالكعبة من جهاته الأربع المعروفة لدى المؤمنين] لا أنه يصل إلى باب الكعبة، ويدخل البعير هناك أو البقرة، فالكلمة شيء وما تدل عليه شيء آخر.

فقوله: **بَالِغُ الْكَعْبَةِ** [المائدة: 95] أي: وأصلاً إلى الحرم الذي الكعبة فيه، فالكعبة في الحرم في وسطه، أي: بالغ الحرم الذي فيه الكعبة، وليس أنه يصل بالبعير ولا بالغنم إلى الكعبة [ولا يجوز مع القدرة أن يذبح خارج الحرم؛ لقوله عز وجل: **هَذَا بَالِغُ الْكَعْبَةِ** [المائدة: 95]] لكن إذا عجز ولم يستطع فعند العجز يذبح حيث أمكن، لكن مع القدرة على أن يصل به أو يقوم أحد بإيصاله فلا بد من إيصاله.

جزاء قتل الصيد يحكم به اثنان من المؤمنين العدول

قال: [غير أن هذا الحكم يجب أن يحكم به ذوا عدل من المؤمنين، فلا يترك للقائل وحده؛ إذ قد تحمله نفسه على عدم المماثلة وعلى نقص القيمة] فإذا غرك الشيطان وصدقته ووقعت في فخه وصدت غزاً أو أرنباً فأياك أن تقوم أنت بنفسك بتقويمها ودفع الجزاء، بل لا بد وأن تحكم اثنان عدلين من المؤمنين، ولو ترك الأمر للناس لقال كل واحد: هذا يماثلته عز، وليس هناك حاجة إلى بغير مثلاً، فقطع الله عز وجل هذا الطريق بالمرة، فإذا صاد مؤمن

صيداً وقتله ووجب عليه الفداء أو الكفارة فلا بد وأن يحضر اثنين من المسلمين من أهل العدل؛ ليحكمما [إذ قال تعالى: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ] [المائدة:95] [أي: صاحباً عدل من المؤمنين. وأما الذي يعرف بالظلم أو ليس عدلاً فلا يحكم، ولا يحكم إلا ذو عدل [والعدل] عندنا [هو المؤمن المجتنب] والمتقي [للكبائر] الذي لم يعرف بكبيرة أبداً بين الناس [والمتقي] والمجتنب [في الغالب الصغار] فذلك العدل بين المؤمنين. فاحفظوا هذا.

فالعدل - يرحمكم الله- الذي يقبل القاضي شهادته: الذي لم يعرف بكبيرة، لا ربا ولا زنا، ولا قتل ولا كذب، ولا خداع ولا غش، ولا عقوق الوالدين، ويتقي في الغالب الصغار ويتجنبها. فهذا إذا شهد تقبل شهادته، وإذا حكم يقبل حكمه.

وأما الذي تلعب به الشياطين وتستعزئ به نفسه، ومرة يقول الباطل ومرة يفعل الحق فهذا لا ينفع، فلا يحكم. والذي فرض هذا الله.

وهذا ما زال معمولاً به إلى الآن في المحكمة، فليس كل من يقول: أشهد يقبله القاضي، حتى يزكى أنه عدل، وأنه ما علم عليه كبيرة من كبائر الذنوب. حكم المحرم الذي قتل الصيد مخطئاً أو ناسياً

قال: [ولنذكر أن المخطئ هنا كالناسي، كلاهما تجب عليه الكفارة في قتل الصيد] فالمخطئ الذي أراد أن يرمي مثلاً شيئاً غير الصيد فأصاب الصيد خطأً عليه كفارة، والناسي كذلك [وعلى هذا الصحابة والأئمة الثلاثة] أي: على أن الناسي هنا كالمتعمد؛ إذ ليس معقول هنا النسيان؛ إذ هو محرم يردد لييك اللهم لييك عشرين يوماً، فكيف ينسى ويصيد غزاً؟! فرحم الله أئمة الإسلام.

فالناسي هنا كالم تذكر، ودعوى النسيان لا تصح [وخالفهم أبو حنيفة] رحمه الله، وقال: إنه معفو عنه بالنصوص العامة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه). وقال الآخرون: لا، هذا لا ينسى، ولا يتصور منه النسيان، فرأسه مكشوف وهو محرم يلبي من كذا يوم في الصحراء، فمن غير الممكن أن ينسى ويأخذ رمحه أو بندقه ويصيد غزاً، فهذا ليس بناس، فإن قال: نسيت قلنا: لا نسيان هنا، فعليك الكفارة [ولا التفاتة إلى ما رآه بعد أن قال بخلاف ما قال جل الصحابة والتابعين والأئمة الثلاثة مالك و الشافعي وأحمد رحمة الله عليهم أجمعين] ولم تبق ثغرة لنقول: أنا حنفي نسيت فصدت، فلا بد هنا من الكفارة.

حرمة الصيد على المحرم وعلته

قال: [فنأى الله تبارك وتعالى المؤمنين في هذا النداء الأربعين من نداءاته لعباده المؤمنين، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ] [المائدة:95] [وقوله: وَأَنْتُمْ حُرْمٌ] [المائدة:95] جملة حالية، أي: والحال أنكم محرمون بحج أو عمرة، والحج مرة في العام، ولكن العمرة طول العام [فحرم] الله [تعالى بهذا الصيد على المحرم بحج أو عمرة في الحرم وفي الحل على حد سواء] ومعنى في الحل أي: قبل أن يدخل أرض الحرم، ومعنى وفي الحرم أي: أرض الحرم، فالصيد على المحرم حرام، ولو يحرم من دمشق حرم الصيد عليه إذا مر به، وليس شرطاً من الميقات فقط، بل لو يحرم من العراق ومشى في الصحراء فما دام محرم لا يحل أن يصيد أبداً، وإلا فالعذاب كما تسمعون [ومعنى (حرم): محرمون].

قال: [وعلة التحريم هنا ليست الامتحان والاختبار] كما حصل لأصحاب الرسول، فقد كان لهم ذلك امتحاناً وتربية، وإعداداً لهم للكمالات، وقد نجحوا، وأما بالنسبة إلينا فليس هو امتحان ولا اختبار، بل تشريع؛ لنطيع أو نعصي. قال: [وإنما هي أن الصيد فيه لهو ولعب] وإلى الآن الناس يخرجون للصيد للهو، وليس للحاجة إلى اللحم، ولكن ليلهووا أياماً في الصحراء.

فالعلة ليست هي الامتحان، وإنما هي لأن المحرم لا يحق له أن يلهو ولا يلعب بحال من الأحوال [والمحرم متلبس بعبادة الحج أو العمرة، فلا يصح منه لهو ولا لعب بحال من الأحوال؛ إذ هو كالمصلي في صلاته، فلا يتكلم ولا يضحك ولا يأكل ولا يشرب إلى غير ذلك مما هو مبطل للصلاة] لأنه في عبادة [فالمحرم شبيه بالمصلي، فبمجرد

ما يقول: لبيك اللهم [لبيك] بعمره أو حج فقد دخل في أعظم نسك، وأكمل شعيرة من شعائر الله، فلا ينبغي له أن يغفل عنها أو ينساها [فقد أصبح كالمصلي، ولكنه مأذون له أن يتكلم لكن بغير الباطل، ومأذون له أن يأكل إذا جاع، ومأذون له أن يشرب إذا عطش، وأما أن يغني ويلهو ويلعب فهذا والله لا يصلح، وكذلك ظفره لا يقلمه، ولا يقص شعرة من رأسه؛ لأنه متلبس بالعبادة، فلا يصيد ويجري وراء الصيد [فحرم لذلك تعالى الصيد، وخص الصيد، وإلا فكل لهو ولعب باطل محرم على المحرم، وإنما خص الصيد بالذكر لأن المحرم قد يكون في حاجة إلى طعام، فيمر به الصيد من ظبي أو أرنب أو غيرهما، فتدفعه نفسه لصيده فيصيده [للحاجة.

وقد كان هذا قبل السيارات كما قلت لكم، فالذي يأتي من الشرقية أو يأتي من اليمن أو يأتي من الشام يسافر على راحلته، وقد يبيت في الطريق عشرين .. ثلاثين .. أربعين يوماً، وهو في هذه الحالة يجوع، وقد يحتاج إلى الأكل، فيبحث بنفسه عن أرنب أو عن غزال، فهذا حرم الله تعالى عليه الصيد، فلا يصيد؛ لأنه يلهو بذلك ويلعب. وأما اليوم فمعنا سيارات تحمل الطعام.

فلو أذن الله تعالى لمن جاع مثلاً أو لمن احتاج لقال كل واحد: أنا جائع ومحتاج أيضاً، ولن تقوم هذه الشعيرة أبداً، ولكن منعنا منعاً كلياً، فإذا أحرمت ودخلت في العبادة فلا يحل لك أن تصيد، سواء جوعت أو شبع.

قال: [وعلى كل حال فقد حرم الصيد على المحرم في الحل] كان [أو] في [الحرم فلا يحل لمؤمن محرم أو مؤمنة محرمة أن يصيد بأي أداة من أدوات الصيد، سواء كانت رمحاً أو شركاً] أو نبلاً [أو غير ذلك] أو رصاصاً الآن [لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ [المائدة:95]] أي: والحال أنكم محرمون، وسواء كنتم في الحل من الأرض أو الحرم.

جزاء من قتل الصيد

قال: [ثم بين تعالى جزاء من قتل الصيد] أو رماه [فمات بقتله] وأما إذا لم يمت وهرب فلا شيء عليه، ولكن إذا وقع ميتاً؛ لأن الغالب أنه صاده ليأكله، فبين جزاء من قتل الصيد [فقال: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً [المائدة:95]، أي: قتلته بصيده] قاصداً يريد [فَجَزَاءُ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ [المائدة:95]، أي: فجزاؤه يتصدق بحيوان يماثل ما قتله إن كان له مثل من الحيوان الإنسي] وقد يوجد حيوان ليس له مثل [فمن صاد نعامة كفر ببذنة من الإبل] لأن النعامة كبيرة، فيكفر عن ذنبه بأن يتصدق ببعير .. بجمل .. بناقة .. ببذنة [ومن صاد بقرة من الوحش كفر ببقرة] من بقر الإنس [ومن صاد غزالاً تصدق بعنز] أي: شاة [وهكذا، وما كان لا مثل له من الحيوان الإنسي فليصدق بقيمته] فمن صاد حيواناً وكان هذا الحيوان ليس له نظير عندنا لا في الغنم ولا في البقر ولا في الإبل فيتصدق بقيمته، فيقوم بألف ريال أو بمائة أو بعشرة، ويتصدق بقيمته.

النتطع في السؤال في أمور الدين خطره عظيم، وقد نهى الله عباده عن السؤال عما لم ينزل فيه قرآن ولم تأت فيه سنة، لما في السؤال من إحقاق النبي صلى الله عليه وسلم وأذيتة، وما قد يترتب عليه من نزول القرآن بما لا يطيقه العباد، وما وقع فيه أقوام من الأمم السابقة نتيجة تنطعهم في السؤال مسرود في مواطن كثيرة من كتاب الله. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا والحمد لله ربنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

وهيا بنا نستذكر ما يمكن أن نذكره من النداء الأربعين الذي سمعناه بالأمس، ودرسناه وعلّمنا ما أمرنا الله تعالى فيه. وأحد الأبناء من طلبة العلم انزعج وتأثر لما قلنا: لا التفات إلى ما رآه الإمام أبو حنيفة، وليعلم هذا الابن أننا نحب أبا حنيفة كحبنا بل أشد لأبائنا وأمهاتنا، وأننا لا نفضل مالكاً ولا أبا حنيفة ولا أحمد ولا الشافعي على بعضهم البعض، كما لا نفضل الصحابة إلا من فضلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أبو بكر، فعمرو، فعثمان، فعلي، وما عدا ذلك فكلهم نحبهم حباً كاملاً، ونجلهم إجلالاً وإكباراً، فإذا قلنا: لا التفات إلى ما رآه ليس معناه: أنه ليس ثقة، أو أننا لا نعترف له بجلال وكمال أبدأ، وإنما فقط على ما عرفتموه منا وتعودناه عشرات السنين، وهو أننا نعمل ما استطعنا على جمع كلمة المسلمين، ولا نريد التفرقة أبدأ، وقد كان في الزمان الذي قبل هذا يجيء السائل يقول: أنا شافعي، فهل يجوز لي كذا أم لا؟ ويأتي الآخر ويقول: اسمع يا شيخ! أنا حنفي، فهل يصح مني كذا أو كذا؟ ويأتي آخر يقول: أنا مالكي، فهل يجوز أن أفعل كذا أو لا يجوز؟ ورابع يقول: أنا حنبلي. وهذا باطل، فلا نتفرق هذه التفرقة، فرسولنا واحد، فهو المبين لهدى الله في كتابه، وكتاب الله معنا، فلا ننتمي إذاً ونقول: نحن كذا.

وقد بينا وقلنا: لا بأس أن يدرس شخص فقه إمام من الأئمة الأربعة، وأن يتمسك به، ويعمل به، ويفتي به؛ لأنه على حق، بشرط إذا قال أخوه: قد ثبتت السنة بكذا، وعمل بها من الأئمة فلان وفلان فلا يحمله التعصب أن يقول: لا، أنا كذا.

ونحن في اليوم الواحد نخطئ سبعين مرة، وكلما صحح خطؤنا نحمد الله ونشكره.

فما كان عليه جمهور الصحابة والتابعين والأئمة أولى بالاتباع، فافهموا هذا.

وأعطيك مثلاً دنيوياً: لو أخبرك خمسة وسبعون تاجراً على أن كيس الدقيق أصبح بمائتي ريال وأخبرك خمسة وعشرون بغير ذلك فإنك تأخذ بالأغلب؛ لأنه دقيقكم، ولو أخبرك تسعون رجلاً أن الطريق كذا، وجاء عشرة وقالوا: لا، الطريق وراءك فإنك تأخذ بقول الأغلب.

وهذا هو السر في أننا نأخذ بما عليه أكثر الأمة، اللهم إلا في حالات ضعف، وبحث عن مخرج، إذا وقع أخونا في مأزق ضيق، فهنا يمكن أن نبحث له عن رأي حتى نخرجه من فتنته؛ حتى يشعر أنه فعل بدين الله ولم يخرج عنه. وهذا خاص بأولي البصائر والنهي وأولي العلم، وليس بأمثالنا أشباه العوام. فافهموا هذا.

ومع هذا فليبشر الابن بأننا محونا كلمة: لا التفات.

اللهم اجمع قلوبنا على تقواك، واجمع كلمتنا على توحيدك، واجمع أيدينا وقوانا على حمل راية لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نداء أمس بعد أعود بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ [المائدة:95].
وفهمنا من هذا أن الله ينهانا، ومن قال: نقتله كفر؛ لأنه يرد على الله، فلا يبقى مسلماً.

والصيد: ما يصاد من الحيوانات والطيور، فقد حرم الصيد وأنتم حرم، فإذا تحللتهم فصيدوا الأرانب والغزلان، ولكن إذا كنتم محرمين ودخلتم في العبادة فأنتم كالذي يحرم في الصلاة، إذا قال: الله أكبر وكبر تكبيرة الإحرام فإنه لا يضحك ولا يشرب ولا يأكل؛ لأنه دخل في عبادة مع الله، والمحرم يشبه هذا، فإذا قال: لبيك اللهم لبيك عمرة لم يبق ضحك ولا لهو ولا صيد، ولم يبق إلا ذكر الله والعبادة، وإن تكلم فللحاجة، أو عمل عملاً فللحاجة الضرورية.
ثم يقول تعالى: وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ [المائدة:95].

ومعنى هذا: ومن قتلته منكم أيها المؤمنون المحرمون! متعمداً، وهنا الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة على أن التعمد والنسيان والخطأ سواء، وذكرنا اللطيفة في ذلك، وهي: أن المحرم لا يتوقع منه أن يصيد وهو ناس؛ لأنه محرم، فمن غير المعقول أن يأخذ النبل أو الرمح ويبحث عن الحيوان ويقتله وهو ناس، فهذا بعيد.
ومثال ذلك: لا يوجد أحد سواء من أمهاتكم أو آبائكم أو إخوانكم من قام يصلي ثم ينسى ويشرب اللبن، فهذا لم يحصل، أو أن ينسى المصلي بعد أن صلى ركعة أو ركعتين فلم يشعر إلا وهو يأكل البقل.
فهذا النسيان ليس معقولاً.

فكذلك المتلبس بهذه العبادة لا يعقل أن ينسى ويبحث عن الصيد ويصيد، فلا يقتله إلا متعمداً، ولا يصيد إلا متعمداً.
وقال العلماء: الخطأ والنسيان يرفع عنه الإثم، ويسقط عنه التهديد الإلهي، فقد قال الله: وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ [المائدة:95].

وأما قضية الكفارة فنظيرها لو صدم شخص بعيراً خطأ فإنه يغرم، وإن صدم إنساناً بسيارته أو قتلته بقوسه فعليه كفارة صيام شهرين ويعطي الفدية، فمن هنا إذا أخطأ في رميه فأصاب صيداً أو نسي فهذا يرفع عنه الإثم فقط، أي: المؤخذة والعقوبة، ولكن الفدية لا بد منها، ولا بد من جزاء؛ لأن هذا حق لله، وقد أكله كحق فلان، والذي يقتل إنساناً خطأ يدفع دية، ولا بد منها.

وقوله: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ [المائدة:95] معنى ذوا عدل أي: صاحباً عدالة.
والعدل فينا هو: الذي يجتنب الكبائر، ولا يغمس في واحدة منها، ويجتنب في أغلب الأوقات الصغائر، فلا يقارفها، وأما المعروف بشرب الحشيشة .. بالزنا .. بالربا .. بالكذب .. بالغش .. بالخيانة .. بالمكر فوالله ما تقبل شهادته، ولا يقبل حكمه، ولا نحكمه في قضية كهذه.

وقال: مِنْكُمْ [المائدة:95]، أي: منكم أيها المؤمنون! أولياء الله، وليس من النصارى واليهود.

وقوله: أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا [المائدة:95].

هذه فسحة إلهية، ففيه رحمة أولى ورحمة ثانية، فمن صاد غزاً وجب عليه تيس، فإن لم يكن عنده فيقوم ثمن هذا التيس ويتصدق بثمنه، فإن لم يكن عنده قوم الثمن كم يساوي من الشعير أو البر، ثم يصوم عن كل حفتين يوماً حتى يكمل.

وفهمنا من قوله: هَذِيَا بِالْعُكْبَةِ [المائدة:95] أنه لا يوصل إلى باب الكعبة، وإنما إلى الحرم، والكعبة في الحرم كالكوكب في السماء، فكل نواحيها وأطرافها كعبة في الاحترام والتبجيل والتعظيم والتقدير.

فمن صاد نعامة حكماً عليه ببيعير، جمل أو ناقة، ومن صاد بقرة وحش فعليه بقرة من بقر الإنس، ومن صاد غزالاً فعليه تيس أو ماعز، ومن صاد أرنباً قوم ثمنه لأنه ليس له نظير، وكذلك من صاد حمامة، فالطير كله يقوم، سواء كان عصفوراً أو غراباً أو غيرهما، إلا الحمام فقد قومه السلف الصالح بنعجة، فانتبهوا، لأن الحمام مرغوب في صيده، فالذي يصيد حمامة في المدينة يغرم شاة، واحفظوا هذه، الذي يصيد في المدينة من عائر إلى ثور حمامة ويأكلها غرموه شاة بثلاثمائة ريال أربعمائة.

والآن أعيد النداء فاسمعوه، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذِيَا بِالْعُكْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ [المائدة:95].

ومن عاد إلى الصيد فالجمهور قالوا: لا نتركه، بل نأخذ الفدية، ثم نتركه لله، وبعضهم يقول: لا نأخذ منه فدية، وندعه لله عز وجل.

النهى عن السؤال عما لا فائدة فيه ولا حاجة تدعو إليه والتحذير من عواقبه

هذا هو [النداء الحادي والأربعون] وهو [في النهي عن السؤال عما لا فائدة فيه، ولا حاجة تدعو إليه، والتحذير من عواقبه] فقد نهانا ربنا سبحانه وتعالى أن نسأل عن أشياء لا فائدة منها؛ لأن ذلك إضاعة للوقت العزيز، فبدل أن تذكر الله عشر مرات تتكلم ساعة كاملة فيما لا ينفك؛ لأننا أمة كما تعرفون لباسنا واحد، فلا بد أن نكون متهيين للعروج إلى السماوات والملكوت الأعلى، ولسنا كاليهود والنصارى والبوذيين والمشركين، فأمرنا واحد، واتجاهنا واحد، وقلوبنا واحدة، وأعمالنا في السماء واحدة، فليس عندنا لهو ولا فراغ ولا باطل، والبعض يسأل هل يجوز كذا أو لا يجوز؟ وهو عازم على ألا يفعل. وإليكم النداء هيا نتغنى به ساعة.

[الآيتان (101 ، 102) من سورة المائدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ [المائدة:101-102]] وهذا النداء خطير الشأن، فقد سألوا أسئلة لا تنبغي، ثم فرضت عليهم فكفروا، والعياذ بالله.

ومعنى تسؤمكم أي: تحدث لكم المساءة في نفوسكم، وتوجد لكم سوءاً أنتم لستم بأهل له. ومعنى تبد: تظهر لكم، فينزل بها القرآن، أو ينطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد سأل قوم صالح الناقة، فقالوا: يا صالح! إن كنت كما تزعم فاسأل ربك أن يخرج لنا ناقة من هذا الجبل، وهذه عنترية، فوقف يصلي ويبكي، فانشق الجبل شقين، وخرجت ناقة لم تر الدنيا مثلاً، ثم تأمروا عليها وذبحوها، فكان الجزاء الدمار.

وقد سأل اليهود السبعون الذين كانوا عند الله في جبل الطور فقالوا: أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ [النساء:153]. وهم ينظرون.

وسأل الحواريون المائدة فكان جواب الله: قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ [المائدة:115].

وأما إذا نزلت آية فاسألوا الرسول يبين لكم، ويظهر لكم معناها، وأما قبل أن ينزل الحكم فلا تسألون تعنتاً. وقد بدأنا اليوم، فدفعنا تسعة آلاف لطابع على أن يطبع لنا ثلاثة آلاف نسخة، وسننظر جودة الطباعة والتأليف والغلاف، وقال: في خلال خمسة وأربعين يوماً - أي: شهر ونصف- يكون الكتاب عندكم، وسواصل القراءة في هذا الكتاب حتى يأتينا الكتاب إن شاء الله.

وثلاثة آلاف نسخة فقط بثلاثين ألف ريال؛ لأن الآن في المملكة تغليف هذا الكتاب بسبعة ريال أو ستة، ويبقى طبعه وغلافه الذهبي، وقد قبلنا فقدينا ثلاثة آلاف ريال، وبعدها يفتح الله.

النهي عن كثرة الأسئلة والغلو فيها

قال: [ولذا فلنعلم أن الغلو والتنطع وكثرة السؤال مما لا ينبغي للمسلم أن يأتيه ويقول أو يفعله] فهذا نظام حياة أهل الجنة [وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه] أي: في هذا الشأن: [(إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم عن المسلمين فحرم من أجل مسألته)].

ويقول صلى الله عليه وسلم وفداه أبي وأمي والعالم أجمع: (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات) [ووأد البنت يئدها: إذا دفنها حية، فقد كان يكره الأنتى خوف العار، أو خوف الفقر كذلك] (ومنعاً وهات) [أي: دائماً تطلب ولا تعطي.]

فهذا ليس من الأدب، وهو لا يجوز، فهو طول حياته يسأل الناس، وإذا سئل لا يعطي، بل يمنع ويطلب، ولو أنه يعطي ويطلب فلا بأس، أو إذا احتاج طلب، وإذا وجد عنده أعطى، وأما فقط يطلب ولا يعطي فهذه الصفة لا يقبلها الله لأوليائه.

وقد نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (ومنعاً وهات) .

فإن كان يعطي ويمنع فلا بأس، ولكن كونه طول عمره يطلب فقط ولا يعطي فلا أحد يحب هذا الشخص [(وكره لكم ثلاثاً)] [أي: خصال] (قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال) [.]

يا أيها المدخنون! إنكم تضيعون المال، فأنتم آثمون، فتوبوا إلى الله من الليلة، ومن في جيبه علبة سيجارة يدوسها برجله عند الباب، وأقول هذا لأنك لما تشتري علبة السيجارة بأربعة ريالات أو بثلاثة وتحرقها سيجارة بعد أخرى وتطرد الملائكة من حولك، وتغضب زوجتك وأهلك، وتصاب بالسل ومرض الرئة، كل هذا ليس من أجل أن تسمن، أو من أجل أن يزداد ذكاؤك وفطنتك وتقوى شجاعتك ويكثر مالك، وإنما لا لشيء، فهو إذاً: إضاعة للمال، وقد حرم الله علينا إضاعة المال.

ولو أن رجلاً أخرج خمسمائة ريال وأحرقها لقلنا فيه: إنه مجنون.

وكذلك هذا المدخن.

ومصيبة أخرى - وإن كانت بعيدة عنا- الذين يعصون الله ورسوله وولي الأمر والمؤمنين وهم منتشرون عندنا يبلغني هذا من طريق أزواجهم، أنهم يشتررون الهروين والكيكاوين، ويسمون قلوبهم وعقولهم، والكمية بمائة ريال أو أكثر، وليس هناك إضاعة للمال أعظم من هذا.

وسبب هذا أنهم والله ما عرفوا، ولا تربوا في حجور الصالحين، ولا جلسوا مجالس الهدى والكتاب والحكمة، بل عاشوا كالحيوانات، لا هم لهم إلا دنياهم، وهكذا أصبحوا أرباب وظائف وغيرها، وهم منغمسون في هذا الباطل. ولا إله إلا الله! ولا يغشون بيوت الله، ولا يسألون عن دينهم.

وصلى على نبينا محمد.

النهي عن التنطع في الأسئلة

قال: [وقوله تعالى في الآية الثانية: قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ [المائدة: 102] أي: قد سأل مثل أسئلتكم التنطعية المخرجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم] والتنطع هو أن يطلب ما هو له بأهل، ولا يفعله [قوم من قبلكم كاليهود وغيرهم، فأصبحوا بها كافرين؛ لأنهم كفوا] العمل [ما لم يطيقوه، فشق عليهم؛ جزاء تعنتهم في أسئلتهم المخرجة لأنبيائهم، فتركوا العمل بها، فكفروا وهلكوا، والعياذ بالله.

ومن أمثلة الأسئلة المخرجة التي هلك فيها من هلك: سؤال اليهود إذ قالوا: أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً [النساء: 153] فهم أولاً: قالوا: أسمعنا كلام ربنا، فلما سمعوا كلام ربهم قالوا: أَرِنَا اللَّهَ، وهذا تنطع وعناد ومكابرة، فما دمت قد سمعت الله يكلم موسى وأنتم تسمعون فهذا يكفي، ولكنهم قالوا: نريد أن نرى الله جهرة بلا حجاب [فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّاعِقَةَ بَطْلَمِهِمْ [النساء: 153] أي: صيحة واحدة، فسقطوا كلهم بعضهم على بعض، ثم أحياهم الله بعد موتهم، ولم يتأدبوا، بل سوف يعودون؛ لأن التربية كانت في حجور الكافرين، وليست في حجور الصالحين.

وهذا شاهد نكرره دائماً، فهم ما تربوا في حجور الصالحين، وإنما كانوا يعيشون مع الأقباط الكافرين الملحدين، وكانوا يعيشون فقراء ومشتمين، فلم يعلمهم ويربيهم أحد، فتربوا على الهراء والباطل والعناد والجهل، فلما جاء موسى لم يقدر يصنع لهم شيئاً.

والصاعقة: صوت ودوي قوي يصعق له الإنسان ويقع على الأرض.

قال: [وسؤال قوم صالح الناقة، فأعطوها، ثم عقروها فهلكوا] عن آخرهم، وقد علمنا أنهم قالوا: إن كنت كما تقول رسول الله إلينا فهذا الجبل أمامك، فادع ربك أن يخرج لنا منه ناقة عشراء، فإن فعلت آمناً، فقام يصلي ويدعو، ويصلي ويدعو حتى تصدع الجبل وخرجت منه ناقة عشراء، أي: الجنين في بطنها ابن عشرة أشهر، والنظر إليها مفزع؛ لأنها آية من آيات الله، وقال لهم: هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ [الأعراف: 73].

فَعَقَرُوهَا [هود: 65] وقالوا: نجرب؛ وذلك بسبب المال والترف والعنجهية والقصور في الجبال والمزارع، فقام هذا قدار بن سالف على وزن غراب، وكان أحيمر الوجه أزرق العينين كعقبة بن أبي معيط سواء بسواء، والرسول صلى الله عليه وسلم شبهه به، فأخذ يسألهم عن موافقتهم على قتل الناقة، فوافقوا كلهم على قتل ناقة صالح، وكانوا يذهبون إلى الناس في الدكاكين وفي المزارع وفي غير ذلك، فكانت الموافقة كاملة، فجاء وعقرها، فضربها على رجلها، فسقطت وذبحوها، فلم يبقوا بعدها إلا ثلاثة أيام، وفي اليوم الأول اصفرت وجوههم، وجثموا على الأرض انهاروا، ولم يستطع أحد أن يقوم ليأكل ولا ليتغوط، وفي اليوم الثاني احمرت وجوههم، وفي اليوم الثالث اسودت

وجوهم، وهذه الثلاثة الأيام هي الأربعاء والخميس والجمعة، وفي صباح السبت قبل الفجر أو بعد الفجر أخذتهم الصيحة، فمروا بهم وهم جاثمون على الركب، فكيف أسي على قوم كافرين [الأعراف:93]. وكما قال تعالى عن صالح: نَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ [الأعراف:79]. فتركهم صالح وذهب ومعه مجموعة قليلة من المؤمنين، ومداينهم إلى الآن شاخصة، وقد زرناها، ورأينا كيف كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً. وإذا أخذوا بناقة فالذين يعذبون المؤمنين وينكلون بهم، ويطفنون أطراف السجائر على لحومهم هؤلاء ستأتيهم ساعتهم، فلا تستعجل، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ [الفجر:14]. وهذا يكفي.

قال: [وسؤال الحواريين عيسى المائدة] فقد سأله المائدة، وقالوا: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ [المائدة:112]؟ وقد كان عندهم الطعام والشراب في الشام والعسل والزبدة، فقالوا: نريد أكلة من السماء، وهؤلاء مجانين؛ لأنهم من بني إسرائيل بهاليل، فقد رضي الله عنهم، ولكنهم قالوا: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ [المائدة:112]؟ والله لا يعجز حتى يقولون: هل يستطيع؟! ولكنه الجهل المركب [وقال الله تعالى: إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ [المائدة:115]] أي: لا يعذب إنسياً ولا جنياً كما يعذب هذا الذي طلب المائدة وأكلها وكفر والعياذ بالله. معنى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ...)

قال: [وقوله تعالى: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم] أي: تظهر لكم تسؤكم [المائدة:101]، أي: يحصل لكم بها ما يسوءكم ويؤلمكم، منها على سبيل المثال: أن من سأل عن أبيه فأجابه به الرسول صلى الله عليه وسلم بأن أباه فلان أرأيت لو سمى له أباً غير أبيه [المعروف به] فإنه [يعيش في] عار ومذلة له ولأمه ولأسرته، لا ينمحي حتى لم يبق منهم أحد [فلا داعي للسؤال عن أبيك، فقد عرفت بين الناس أن أباك فلان] ومثل هذا سؤال الذين لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس! إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا، فقالوا: أعاماً واحداً أم كل عام يا رسول الله؟!) [وليس لهم حق في أن يسألوه هذا السؤال] (فقال: لا، بل عاماً واحداً، ولو قلت: كل عام لوجب، ولو وجبت لكفرتم)) ولو بقينا الآن خمس ساعات ولم يسأل واحد لتأدينا وعلمنا، إلا من ضرورة حقيقة يريد أن يعمل أو يفهم.

وقوله: (ولو وجبت لكفرتم) لأنكم لا تستطيعون، وستخرجون من الإسلام الذي يكلفكم كل عام أن تسافروا شهرين أو ثلاثة.

قال: [فهذا معنى قوله تعالى: إِنَّ تَبَدُّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ] [المائدة:101] أي: أشياء تسألون عنها لو تظهر تسوءكم [وقوله: وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ تَبَدُّ لَكُمْ] [المائدة:101] أي: بينها رسولنا [صلى الله عليه وسلم] لكم [فإذا نزلت الآية فاسأل عن معناها والرسول سيبين] أما أن تسألوا عنها قبل نزول القرآن بها فذلك لا ينبغي لكم فعله؛ لأنه من باب إحفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذيته، وهما محرمان تحريماً شديداً [أيضاً، وحتى لا ينزل القرآن بمحنة لا تطاق] وقوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْهَا [المائدة:101] أي: لم يؤاخذكم بما سألتكم.

وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ [المائدة:101] ولهذا لم يؤاخذكم بما سألتكم، وترككم؛ لأنه غفور لعباده، وحليم بهم [فتوبوا إليه يتب عليكم، واستغفروه يغفر لكم؛ فإنه غفور حلیم] ومن ثم لم يبق إلحاف ولا إكثار من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم، حتى كانوا إذا جاء بدوي يفرحون؛ لأنه بدل ما يسمع يبدأ يسأل، فيفرحون ويستفيدون، وحببيه جبريل جاء في صورة إنسان حتى يستفيدوا.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ...)

هيا إلى [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم!] وقد عرفتم أن القارئ هو الذي يضع الكتاب عند رأسه، ولا ينام حتى يسمع نداء ربه، ويفهمه ويعزم على أن يعمل ويعلم؛ لأن الجائزة في السماء وليس في الأرض. فعلى هذا القارئ أن يعلم [أن لهذا النداء سبباً من أجله نادى الله تعالى عباده المؤمنين؛ ليؤدبهم ويكملهم؛ رحمة بهم وإحساناً إليهم، فله الحمد وله المنة.

وإليك بيان سبب هذا النداء: قال البخاري : حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي حدثنا أبي حدثنا شعبة عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلاً قط) [وليس هناك أفصح من رسول الله] (وقال فيها: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قال: فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين) [أي: يبكون، ويسمع صوت مناخرهم، وهو الخنين، وأولئك المؤمنون.

اللهم اجعلنا منهم.

أمين] (فقال رجل: من أبي؟) [والرسول صلى الله عليه وسلم يخطب] (قال:) [أبوك] (فلان) [حذافة] (فنزلت هذه الآية) [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ] [المائدة:101] فلو كان أبوه زانياً والذي يدعوه أباه ليس هو أباه ولو أن أمه فجرت وقال: أبوك فلان، وهو معروف أنه ابن فلان، فكيف سيكون حاله وحال أمه وأسرتها؟ لكان عاراً لا يمسح في ذاك الوقت؛ لأن الحرة عندهم لا تزني أبداً، وإن عبدت اللات والعزى.

فسؤاله هذا السؤال عن أبيه تعنت، وأنت لا يجوز لك الآن أن تسأل من أبوك، فكيف والقرآن ينزل؟ [وفي رواية لابن جرير] صاحب التفسير [قال فيها: حدثنا بشر حدثنا يزيد عن قتادة في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ] [المائدة:101] الآية، قال: فحدثنا أن أنس بن مالك حدثه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله) [أي: الأصحاب] (حتى أحفوه بالمسألة) [وأرهقوه وأتعبوه وآلموه] (فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال: لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم، فأشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) [وخافوا] (أن يكون بين يدي أمر قد حضر، فجعلت لا ألتفت يمينا ولا شمالاً إلا وجدت كلاً لافاً رأسه في ثوبه يبكي) [هؤلاء هم المؤمنون] (فقام رجل كان يلاقى) [في الشارع أو في أي مكان] (فيدعى إلى غير أبيه) [أي: يدعونه إلى غير أبيه] (فقال: يا رسول الله! من أبي؟ قال: أبوك حذافة) [الذي عدل عنه الآخرون] (ثم قام عمر) [رضي الله عنه] (فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، أعوذ بالله من شر الفتن) [وليس هناك من هو أفقه من عمر ، فقد تلافي الموقف على الفور] [والروايات في هذه المسألة كثيرة].

حضت الشريعة الإسلامية على التعلم والتفقه في أمور الدين، وجعلت لذلك آداباً يلزم المرء أن يحرص عليها، ومن ذلك ألا يسأل عما لا حاجة له إلى معرفته، ولا عما هو غير عازم على العمل به، فإن نبينا صلى الله عليه وسلم سكت عن أشياء رحمة بعباده، والسؤال عنها يفتح على الناس أبواب المشقة والعنت، وهذا ما لا يريده الله لعباده. تابع النهي عن السؤال عما لا فائدة فيه ولا حاجة تدعو إليه والتحذير من عواقبه

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. اللهم آمين.

في النداء السابق بقيت فقرات منه، فهي نستذكر النداء، ونقرأ تلك الفقرات الباقية. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ [المائدة: 101-102].

النهي عن سؤال الله تعالى ما لم تجر به سنته

قال: [وأخيراً أيها القارئ الكريم! [والمستمع] المستفيد! [علينا بالأدب مع الله، فلا نسأله ما لم تجر سنة الله تعالى به] وهذه كلمة عامة، كأن تقول: اللهم إني أسألك أن تجعل لنا نبياً آخر الزمان، فهذا لا يجوز، أو كأن تقول إذا كان عمرك سبعين سنة: اللهم إني أسألك أن تردني إلى خمسة وثلاثين.

وإن الله على كل شيء قدير، ولكن هذا الدعاء لا يجوز.

أو تقول إذا ماتت أمك: رب! أحبي أُمِّي ولو يوماً واحداً، وتلح عليه طول الليل، فهذا لا يجوز، فسنة الله لم تجر بإحياء الموتى، أو أن تكون كسولاً لا تتحرك إلا من الظل إلى الظل، ولا تمد يدك ولا رجلك وتقول: يا رب! اغنني، وأنت لا تعمل ولا تتحرك، فهذا سوء أدب مع الله، بل ابحث عن العمل واعمل، واسأل الله أن يغنيك عما سواه، وأما أن تعصيه بالكسل والقعود وعدم العمل ثم تقول: يا رب! اغنني فهذا والله لسوء أدب مع الله.

وأوضح من هذا: أن يقال لك: تزوج يا فلان! فنقول: أنا مشغول لا أريد زواجا، ثم تقول: اللهم ارزقنا ذرية صالحة، فهذا لا يجوز.

وهذا من سوء الأدب مع الله.

الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أهل العلم

قال: [وعلىنا بالأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا نرد عليه ما دعا إليه ونصح به، وعلىنا بالأدب مع أهل العلم، فلا نسأل سؤال تنطع، ولا نسأل عما نحن به عالمون] فإذا كنت تعلم أن هذا حرام وتسال عنه فإنك تضيع وقت الشيخ [ولا عما نحن غير عازمين على العمل به] فهذا تضييع للوقت [ولا نسأل الناس أموالهم، ولا نكلفهم ما لا يحسنون، ولا ما لا يطيقون.

ولنتزم الصبر والصمت والذكر.

فهذا هو طريق الهداية الكمال، فلنسلكه.

والله مع الصابرين والمحسنين [هذا بقية نداء أمس، وهو قوله وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ [المائدة: 101-102].
واليهود سألوا سؤالاً هلكوا به، فقد قالوا: أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ [النساء: 153].

وقوم صالح قالوا: ادع لنا ربك يخرج لنا ناقة من هذا الجبل، فهلكوا بها، والحواريون سمعتم ما هددهم الله به، ومن كفر ممن طلب المائدة يصبح أشد عذاباً من أي مخلوق يوم القيامة، فلا نسأل عما نحن غير عاملين به.
النهى عن السؤال عما لا يعني

قال: [ويقول صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم تعليماً وتربية وتأديباً: (إن الله تعالى قد فرض فرائض فلا تضيعوها)] والفريضة كالصلاة [(وحد حدوداً فلا تعتدوها)] والحد كالسرقة وقتل النفس والزنا [(وحرم أشياء فلا تنتهكوها)] كالكذب وشرب الخمر [(وسكت عن أشياء رحمة بكم)] لم يقل: فيها حلال ولا حرام [(غير نسيان)] منه، وتعالى الله أن ينسى [(فلا تسألوا عنها)] إذا: فما دام الله قد سكت فلا تسأل.
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ [المائدة: 101] [ويقول] رسول الله صلى الله عليه وسلم: [(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)] فنعرف أن فلاناً حسن إسلامه عندما نراه يترك ما لا يعنيه طول حياته، فالذي لا يجلب له الربال أو الحسنة لا يتدخل به؛ لأنه لغو، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ [المؤمنون: 3].
فاللغو هو كل عمل أو تفكير أو قول لا ينتج لك حسنة لمعادك يوم القيامة، ولا درهماً لمعاشك الآن.
هذا اللغو.

فهذا التفكير إن كان يولد لك حسنة ففكر، وإن كان يولد لك ديناراً أو درهماً ففكر، وإن كان لا ينتج لك حسنة لمعادك يوم القيامة، ولا معاشك الآن فلا تفكر به، ولا تضيع وقتك بهذا التفكير.
وإذا كان القول أو النطق أو الكلمة التي تقولها تنتج لك حسنة لمعادك يوم القيامة فتكلم، فهذا يعينك، وإذا كان ينتج لك ريالاً لمعاشك أو قرشاً أو خبزاً فتكلم لتحقيق هذا، وإن كان لا ينتج لك حسنة ولا درهماً فهو لغو باطل.
ولهذا نجلس مع جماعة عشر دقائق ربع ساعة لا نتكلم كلمة أبداً، حتى يأتي ما ينبغي أن يقال فيتكلمون، وأما الكلام المطلق وأن تقول ما شئت فهذا دال على أن فلاناً إسلامه ليس حسناً، وفيه نقص كبير.
فهيا نحفظ هذه الحكمة: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، سواء في القول أو في العمل وحتى في التفكير.
حكم التدخين

أخيراً: اسمحوا لي! إن كان بيننا مدخن أن أقول له: من الآن لا تدخن؛ فإن التدخين حرام، ولا تقل: قال العلماء: لا بأس به، وهيا ندرس القضية على بساط نور الله وهداية رسوله: اسمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لجيشه المنتصر وقد أكلوا البصل والثوم للجوع فقال لهم: (من أكل ثوماً أو بصلاً فلا يقربن مساجدنا).
فهو ممنوع، ولو كنت مريضاً وأكلت الثوم للعلاج فلا تأت المسجد، وصل في بيتك، وهذا في الثوم والبصل النيئان، لا المطبوخان المقتولان بالطبخ.
وعلى ذلك وقال: (إن الملائكة لتتأذى مما يتأذى منه بنو آدم).

فبنو آدم يتأذون من الروائح الكريهة، والملائكة كذلك، وأنت أكرمك الله بحراس عشرة يحرسونك من الجن والشياطين، ووضع لك ملكان يدونان ويحصيان أعمالك؛ لتثاب بها وتجزى عليها، وأنت لا تبالي بهم، ولا تحترمهم، وتنفخ الرائحة الكريهة في وجوههم، والعياذ بالله، فهذا لا يقبل.
والملائكة تتأذى بالدخان والرائحة الكريهة؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم).

وقد بلغنا أن من أراد أن يبصق منا فلا يبصق عن يمينه ولا شماله، ولكن بين يديه وتحت رجليه؛ لأن عن يمينه ملكاً، وعن يساره ملكاً، وفي سورة ق: مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق: 18].
هذا عن يمينه وهذا عن شماله.

ولو تأتى إلى فحل من فحول الرجال وتنفخ في وجهه الدخان فقد يهشم عظمك.

وأزيدكم علماً: لم يجز الله أو رسوله أذية مؤمن أو مؤمنة، وهذا والله ما كان، وفي الحديث: (من آذى لي ولياً فقد أذنته بالحرب).

فالذي يؤدي مؤمناً أو مؤمنة فقد أعلن الله الحرب عليه، والذي يجلس مع زملائه وإخوانه ويدخن وينفخ عليهم ويلطخ ساحتهم بالرائحة الكريهة فقد آذاهم.

والمؤمنة ملكة البيت تلك الربانية الجالسة في قصرها تعبد ربها وتخدم زوجها إذا أتى زوجها ورائحته كريهة بالدخان يقبلها ويقول: زوجتي! فقد آذاهما، وحرام عليه هذا، إلا إذا كانت صعلوكة مثله تدخن، وهذا نادر كالذهب.

وهناك قاعدة حفظناها وعلمناها وعرفناها، وهي: أن هناك خمس كليات جاءت شرائع الله من عهد نوح إلى اليوم بتحريمها، وهذه الخمس هي: أن كل ما يؤدي الإنسان ويضره في جسمه وبدنه حرام في جميع الشرائع، فلا يجوز إضرار المؤمن أو إسالة دمه أو ركله أو سحبه في الأرض أو أذية جسمه، ولذلك لا يجوز شرب السم؛ لأنه يمزق البدن.

إذاً: كل ما يؤدي الأذى في جسمه حرام.

وليس هناك ما يستثنى؛ لأن الجسم هذا يعبد الله، فإذا عطلته فقد عطلت مراد الله، وما أقام الله السماوات والأرض إلا من أجل أن يعبد، فإذا عطلت هذا الجزء لم يعبد الله.

فلهذا قاتل نفسه كقاتل غيره سواء بسواء.

والدخان يضر بالجسم.

وقد انعقدت مؤتمرات في أوروبا من سنوات عديدة، وانتهت بالقرار الآتي: الدخان مضر بالإنسان، و(75%) من الذين يموتون بالسل والسرطان الرئوي يموتون بسبب التدخين.

فالتدخين لا يجوز.

ونقول: لو أن رحلة من كراتشي إلى جدة بالطائرة من كل (100) يسقط منهم (75) ويموتون لم تجدوا من يفتيكم بجواز ركوب هذه الطائرة.

وإذا كان (75%) من المدخنين يموتون بسبب التدخين فإنه لا يجوز؛ لأنه يضر بالجسم.

والتدخين يضر بالعرض، والعرض هذا موضع في الإنسان إذا مدح انشرح وتهلل، وإذا ذم انكمش وانكسر، فموضع المدح والذم في الإنسان يسمى بالعرض، فهو ليس رأسه ولا عينه ولا يده ولا ظفره، هذا العرض.

ولو أردت أن تعرفه أقول لك: لو أن شخصاً قال لك: فُعل بك كذا وكذا وأنت ما فُعل بك شيء فإنك تغضب، وأيما شخص يسبك في عرضك فإنك تحترق أو تكاد تهيج عليه.

والدخان يمس بالعرض، ولو أن خطيب جمعة جلس على المنبر وخطب الخطبة الأولى ثم جلس جلسة الاستراحة وأشعل السجارة ليخفف على نفسه فإن أهل المسجد يتغيرون عليه؛ لأن النفوس الفطرية الطبيعية تكره ذلك؛ إذ لا يليق بالخطيب على المنبر يخطب والناس موجودون ويقول قال الرسول وهو يفعل هذا.

وعندنا أدلة أخرى سهلة: بعض المدخنين الذين قلدوا تقليداً فقط، وما شعروا بضرره رأيناهم بالفطرة لا يستطيع أحدهم أن يدخن أمام أبيه وأمه، وهذا موجود، فهو يدخن، لكنه لا يستطيع أن يدخن قدام أمه أو قدام أبيه.

ورأينا بعضهم أيضاً يدخن، وإذا واجه عبداً صالحاً يستحي منه ويطفئ السجارة في كفه، فمن الحياء يطفئها في كفه حتى ما يظهر أمام ذلك العبد الصالح من قريب أو بعيد أنه يدخن.

وهذا علامة على أنه يضر بالعرض بلا جدال، فهو إذن حرام.

وثالثاً: فهو يضر بالمال.

وهذه الكلية الثالثة.

وأيام أن كان راتبنا في المدينة ثمانين ريالاً في الشهر كانت علبة السجارة بريال أو بنصف ريال، والذي راتبه ثمانون ريالاً إذا أنفق منه على التدخين ثلاثين ريالاً يبقى خمسين، ولا يوجد إسراف أعظم من هذا، ثم لما يسرف في هذا المال فإنه لا يكتسب صحة بدنية بهذا التدخين، ولا وفر له سمعة وشرف بين العالمين، ولا نما ماله وزاد وتوفر، ولا يرضى بهذا إلا الشيطان، ويغضب ملائكة الرحمن.

وتبذير المال حرام.

وهو أنفقه فيما لا ينفع، وفيما لا يجدي، بل فيما يضر، فهو حرام بإجماع أهل الملة أهل البصائر والنهي، لا المقلدين.

فالتدخين يضر بالمال.

رابعاً: كل ما يضر بالعقل حرام، فالحشيشة والخمر والأفيون والكوكايين والسحر وكل ما يضر بالعقل حرام بدون ما تتردد، وأي شيء يضر بالعقل الآدمي ويضعفه ويخففه ويفسده فهو حرام بدون ما تتردد. ولذلك حرم الله كل ما يضر بالعقل.

خامساً: وآخر الكليات: الدين، وقد عرفتم ضرره بالدين.

ونزید: إذا كان ممنوعاً علينا أن ندخل بيوت الله فقد أفسدنا ديننا، فيا من يدخن ويرمي السيجارة عند الباب ويدخل ورائحته كريهة! حرام عليك أن تدخل بيت الرب، فقد هجرناه وأبعدناه من بيت الله، فلم يبق له شيء، فقد طرد من رحمة الله، وستخطفه الشياطين، ولا يمسي إلا في حلقات الباطل والفحش والمنكر. ولا ضرر أعظم من هذا.

وشيء آخر: كان المسلمون في العهد الأول من الرسالة النبوية يتوضئون مما مست النار، ومن أكل طعاماً مطبوخاً أو مشوياً وجب عليه الوضوء، ومن أكل خبزاً وجب عليه الوضوء، ولا وضوء في الفواكه والخضر. وكان هذا امتحاناً من الله عدة أشهر أو أعوام، ثم نسخ الله هذا على لسان رسوله، فكل ما شئت من الطعام واللحم ولا تتوضأ، إلا من لحم الجزور، إلا أن تتطوع، فهذا رسولك الكريم صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة.

والذي يدخن السيجارة ويرميها عند باب المسجد ويدخل هناك شك في وضوئه، فقد كانوا يتوضئون من الخبز واللحم، وهذا لا خبز ولا لحم، ولكن رائحة كريهة منتنة خبيثة، ورثها فينا الغرب أعداء الإسلام، وأنا أقول: أنصحهم أن يمشي يتوضأ، ولا يتكلم مع الرب ويناديه ورائحة فمه كريهة، وهو ممنوع أن يدخل بيته، وليذهب يغسل فمه ويطهره، ثم يدخل المسجد ويصل.

وهذه الدعوة نفع الله بها، ولو كان الناس يحضرون الدرس لترتكب مئات الآلاف التدخين، ولكننا لا نستطيع أن نحبس أنفسنا ساعة ونصف أبداً من المغرب إلى العشاء، ونحبس أنفسنا أربع ساعات على طاولة العبث.

أما بالله! وليس هناك مؤمن يتلقى هذه المعرفة بصدق ويدخن، فهذا والله ما كان.

والذي يبيعه كالذي يدخنه، فالذي يبيع الدخان ويحضر هذا الدرس ويفهم هذا الفهم لا يبق غداً سيجارة في دكانه، ورزقه على الله.

التحذير من كثرة الأسئلة فيما لا ينبغي للمسلم أن يأتيه

الفقرات المتبقية من الدرس من هذا النداء الإلهي الكريم: قال: [ولذا فلنعلم أن الغلو والتنتع وكثرة السؤال مما لا ينبغي للمسلم أن يأتيه ويقول، أو يفعله] وقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ [المائدة: 101] [وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه: (إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً)] أي: إثمًا وذنبًا [(من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم من أجل مسألته)] وهذا أيام كان القرآن ينزل، فقد ينتنع السائل فيسأل فيحرم ذلك الذي سأل عنه، ويعجز الناس عنه ويهلكون.

ونعيد هذا الحديث لخطورته، يقول صلى الله عليه وسلم: (إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم من أجل مسألته) [ويقول صلى الله عليه وسلم فداه أبي وأمي والعالم أجمع: (إن الله حرم عقوق الأمهات، وواد البنات، ومنعاً وهات.

وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)] وهذه ست: أولاً: حرم علينا عقوق الأمهات، وعقوق الأم هو مقاطعتها وعدم صلتها، وأما أذيتها فلا تسأل عنه.

ثانياً: وواد البنات، وهو دفنهن أحياء قبل الموت.

وكان هذا في الجاهلية، فقد كانوا يخافون الفقر أو المجاعة إذا انقطع المطر، واشتد القحط؛ فيئدون بناتهم، أو يخافون العار من أن تغزوهم قبيلة من القبائل فيسبون نساءهم، فتكون بنت فلان عند فلان، فيئدون البنات.

وجاء الإسلام فأنازل الدنيا، وأشرقت له الحياة، وأصبح من يؤد البنات مجرماً.

واذكروا لهذه الجريمة قول الله تعالى من سورة التكويد: وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ [التكويد: 8-9].

فإذا سئلت الموءودة: بأي ذنب قتلت؟ فإنها تقول: ظلموني، فقد قتلني أبي ظملاً وعدواناً، ومع الأسف لقد اقتدينا بالغيريين الكافرين، ولم نبتعد عن عصر الجاهلية بل حاذيناه؛ إذ الشائع الآن أن الكثيرين يئدون ما في بطون أزواجهم؛ لأنهم فقط لا يريدون التعب من أجل الأولاد، وهناك أطباء من أهل النار يوافقونهم، ويجهضون النساء

ويسقطون ما في الأرحام، لا لمرض قاتل ولا لعلة خطيرة، وإنما فقط لأنهم لا يريدون أن يحرّموا أنفسهم من لذة الحياة.

ويعنونون لهذا: تحديد النسل، أو تنظيم النسل، ونحن ليس عندنا تنظيم ولا تحديد، وكم من مؤمن عاش ستين سنة يرفع كفيه إلى الله ليرزقه ولداً؛ وما رزقه لعلم الله وحكمته، ونحن نحدد بخمسة أو بثلاثة أو بسبعة أو باثنين، أو ننظم، وكل سبع سنين نسمح لمولود، وهذا كما علمتم قلداً فيه الغربيين؛ لأننا نتلمذنا لهم، وتخرجنا على أيديهم، وما نتلمذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولا لأحمد، ولا لمالك، ولا لغيرهم؛ لأن المساجد هجرناها من زمان.

فمن هنا القولة الفاصلة: لا تحديد ولا تنظيم، ولكن للضرورة أحكامها، فإذا كان هناك مرض مزمن مشق متعب، أو سفر، أو حالات خطيرة فإذا اعتزل الفحل أنثاه أو فصل ماءه فلا حرج، وأما أن يتكون الجنين ويتخلق وتنفخ فيه الروح بعد أربعة أشهر ثم يسقطه، فهذا والله إنه قتل نفس.

ولن نكون بهذا أولياء الله.

فأولياء الله يرحمكم الله الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس: 63].

وأعداء الله الذين ما آمنوا ولا اتقوا.

والثالثة: (ومنعاً وهات) .

وهذا خلق غير سليم ولا مُرض ولا مقبول، بل هذا خلق الشحيح الممسك البخيل، فهذا يطمع، فليس عنده إلا أعطنا فقط، وأما خذ فلا، والمؤمن ساعة وساعة، فإن احتاج أخذ، وإن استغنى أعطى، وأما أن لا تعرف إلا أنك دائماً طول حياتك تأكل فقط وتعطي فهذه صفة لا يرضاها الله عز وجل، بل حرمها على أوليائه.

الرابعة: (وكره لنا ثلاثاً: قيل وقال)، أي: من ليس عنده إلا قيل كذا، وقال فلان كذا، بلا بينة ولا حجة ولا برهان ولا دليل ولا فائدة تجنى وتستثمر منه، بل فقط قيل وقال، وهذه عامة في مجالسنا من يوم أن هبطنا إلى الأرض، وقد كنا فوق الأرض في السماء ثم هبطنا، ولما هبطنا أصبحت مجالسنا الخاصة والعامة لا تخلو من قال فلان، وقيل كذا، ولا ثمرة ولا نتيجة ولا حسنة، إلا تمزيقاً للوقت وتضييعاً له، وإثارة النفوس والأحقاد والحزازات.

فإذا لم تر الشيء فاسكت عنه، ولا تقله، ولا تقل: قيل، والآن قامت بهذا المركب الجديد الصحف، فهي تنشر ما هب ودب؛ لأننا نرضع كل لبنها.

والطريق وسبيل النجاة: أن نعرف هذا النهي ونلتزم به، ونقول: بلغنا عن رسولنا أن ربنا يكره لنا كلمة: قيل وقال، فلا أقول: قيل كذا وكذا، ولا قال كذا بدون ما أرى أو أسمع، وأرى لذلك نتائج تثمر الخير أو تبعد عن الشر، وأما مجرد التلذذ بالأخبار فهذا والله مفسدة، ولهذا حرمها الله وكرها.

الحامسة: (وكثرة السؤال) .

فلا ينتطع العبد حتى يسأل عن أشياء لا تقع ولن تقع، أو يسأل عن أشياء ليس عنده استعداد ليعمل بها أبداً، أو لا يفيد من يسمعا من الحاضرين، وإنما فقط يمزق الوقت ويقطعه بلا فائدة، وكلماتنا كريالاتنا، فاعرفوا هذا.

فإذا احتجت إلى الكلمة أخرجها وقلها، وإن لم تحتج فلا تقل، كريالاتك إن احتجت إلى الريال اشتريت البصل أو الثوم، وإن لم تحتج إليه فهو في جيبك.

وكلماتنا أغلى وأعز وأكثر تأصيلاً من الريالات، وكم من كلمة أودت بحياة إنسان! والريال لا يفعل شيئاً.

السادسة: (وإضاعة المال) .

وقد وقفنا البارحة هنا.

والمال ليس الذهب والفضة فقط، بل كل العمل الذي تعمله مال، فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يضيع ريالاً واحداً، وإضاعته ليس تقطيعه فقط، فهذا لا يفعله إلا من كان مجنوناً، وهذا نادر، إلا إذا غضب الأحق فقد يمزق الألف الريال، وهذا نادر أيضاً، وفي المائة سنة يقع مرة، ولكن إضاعته هو أن تتفق مالك في ما يغضب ربك، فيا ويلك يا عبد الله! فالله أعطاكه وتعصيه به، وهذا والله موقف لا يطاق، فهو أعطاك المال لتحفظ عرضك وبدنك ودينك، ولتفقّه على بدنك، وأنت تنفقّه ضده، وكأنك تقول له: افعل ما تشاء، والعياذ بالله.

فكل من يشتري محرماً يلبسه أو يأكله أو يركبه أو يسكنه، أو يطلب به العزة أو الشرف بين الناس فهو قد عصى الله عز وجل مرتين، وتضاعفت جريمته.

الأمر بإصلاح المؤمن نفسه وتطهيرها بالإيمان والعمل الصالح

الآن مع هذا النداء الجديد الكريم، وهو [النداء الثاني والأربعون] وهيا نتغنى به ساعة، وكلمة ساعة ليست في الدين ستين دقيقة، بل كل جزء من الوقت يقال فيه: ساعة، ومنه يوم الساعة أي: يوم القيامة.

وهذا النداء [في الأمر بإصلاح المؤمن نفسه وتطهيرها بالإيمان والعمل الصالح، وإعلامه بأنه لا يضره من ضل من الناس الآية (105) من سورة المائدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [المائدة:105]] فلنقرأ ولنأمل معاني هذا النداء، وبعد التنبيه أو الإخبار فالجزاء إما الجنة وإما النار.

من صفات المؤمنين اللازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال: [ولنعلم يقيناً أنه لا يضرنا ضلال من ضل إذا نحن اهتدينا؛ لقول ربنا في إرشاده لنا: لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة:105]] أي: لا يضركم ضلال من ضل إذا اهتديتم [إذا نحن أمرنا بالمعروف من تركه بيننا، ونهينا عن المنكر من ارتكبه فينا ونحن نراه ونشاهده؛ إذ ليس من الهداية الكاملة المنجية من العذاب والمسعدة للعباد [والمحقة للسعادة] أن لا نأمر بالمعروف ولا ننهي عن المنكر؛ إذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة لازمة] ثابتة [من صفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم، والمؤمنات الصادقات، ولنقرأ] لذلك [قوله تعالى من سورة التوبة في وصف المؤمنين بحق والمؤمنات بصدق، إذ قال: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [التوبة:71].

فلنذكر قوله: بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [التوبة:71].

فهل من الولاية الواجبة التي هي الحب والنصرة أن يرى المؤمن أخاه تاركاً معروفاً يعاقب على تركه ولا يأمره به، أو يرى أخاه ووليه منغمساً في منكر يخبت نفسه ويسخط الله تعالى عليه ويتركه؟ والجواب: لا، لا، ليس هذا من الولاية، بل هو من العداوة.

وهذا أولاً.

وثانياً: أليس من صفات المؤمنين والمؤمنات أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟ والجواب: بلى، وكيف والله يقول في صفاتهم: يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [التوبة:71].

والرسول يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).

وأمر آخر وهو عظيم وخطير: وذلك أننا إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا نتمكن من الهداية، ولا نظفر بها أبداً؛ إذ الدار أو المجتمع إذا ظهر بينهم ترك المعروف وارتكاب المنكر لا يلبثون إلا قليلاً وقد عمهم الفساد، فتركوا طاعة الله وطاعة رسوله، وخبثوا وساءت أخلاقهم وفسدت أحوالهم، وعمهم العذاب والعياذ بالله تعالى.

وها هو [رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرر هذه الحقيقة فيقول: (إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه)] ولنا في هذا مثل: لو أن العمال الكناسين في المدينة النبوية الذين يعنون بحمل القمامة من أمام الأبواب عملوا إضراباً، وأصبح أهل المدينة كل من يأتي بزنبيل يرميه عند الباب وفيه قشور البيض والعظام وبراز الأولاد، وهذا زنبيل وهذا زنبيل فلا يمر يومين أو ثلاثة أو أسبوعاً أو عشرة أيام إلا وتصبح المدينة مزابل، ولا يمر شهر كامل إلا وقد انتشر البعوض القاتل، فيصابون بالمرض، ويموت من يموت، ويبقى جماعة تعودوا على ذلك الخبث.

وهكذا حياة المجتمع إذا ترك فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولنبق هذا إلى غد إن شاء الله.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بإصلاح أنفسهم

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم! أن هذا النداء الإلهي الرحيم الموجه إلى عباد الله المؤمنين أي: المصدقين بالله رباً لا رب غيره، وإلهاً لا إله سواه، وبالإسلام ديناً لا دين يقبله الله تعالى غيره، وبمحمد نبياً ورسولاً من عند الله، هؤلاء المؤمنون حقاً وصدقاً يناديهم الجبار جل جلاله وعظم سلطانه] الذي خلق الموت والحياة، والذي رفع السماوات الطباق، والذي أوجد العوالم كلها، والذي يعلم السر وأخفى، والذي لولاه لما نطقنا ولا سمعنا ولا وجدنا ولا كنا، فهذا الجبار ينادي أوليائه، وهم المؤمنون المتقون، وهو يناديهم [رحمة بهم وإحساناً إليهم، فيقول لهم: عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ] [المائدة:105] وهذه قالها لنا، فيجب على كل واحد منا أن يطهر نفسه ويزكيها حتى ما تمسخ أو تعذب.

فمعنى: عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ [المائدة:105] [أي: الزموا أنفسكم هدايتها وإصلاحها] وتطهيرها وتطيبها وصيانتها وحفظها وتنظيفها وإصلاحها؛ فإنكم بنفوسكم تسعدون أو تشقون [فاحفظوها من الوقوع في الذنوب والآثام؛ لتبقى طاهرة زكية محلاً لرضا الرحمن سبحانه وتعالى] لأن الله لا يرضى إلا عن نفس طاهرة، كما قال: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10]، أي: لطخها وغطاها بأوضار الذنوب والآثام.

قال: [واعلموا أنه لا يضركم ضلال من ضل، ولا غواية من غوى؛ إذ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ [المدثر:38]. وَلَا تَزِرُ [الأنعام:164] يوم القيامة وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى [الأنعام:164]؛ إذ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا [النساء:123]] هذه ثلاث آيات فاصلة، الأولى هي: كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ [المدثر:38].

والآن ما نفس تموت إلا وهي مرهونة بعملها.

ثانياً: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى [الأنعام:164].

والوازية: حاملة الوزر، أي: الذنب، فحاملة الذنب هذه لا تحمل وزر أخرى، بل حسبها ذنبها.

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى [الأنعام:164].

ثالثاً: مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ [النساء:123].

فإذا أكلت السم فأنت الذي تموت، وليس أنا، فَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ [النساء:123]، أي: يجز به هو، ولا يجزى به غيره، فلهذا علينا أنفسنا نلزمها الطهارة والصفاء.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 45

إن العبد المؤمن مطالب بصيانة نفسه عما يندسها، وحفظها مما يعيبها، فإن فعل ذلك فلا يضره ضلال من ضل، ولا انحراف من انحرف، إلا أن العبد المؤمن مطالب في مجتمعه ببذل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبذلك يخرج من التبعة، ويعذر أمام ربه سبحانه وتعالى.
تابع الأمر بإصلاح المؤمن نفسه وتطهيرها بالإيمان والعمل الصالح

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.
آمين.

نكمل النداء الثاني والأربعين إن شاء الله، ثم نأتي بالنداء الثالث والأربعين، ونعيد تلاوة هذا النداء الكريم؛ تبركاً وطلباً لحفظه وفهم معانيه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [المائدة: 105].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منجيان لصاحبهما إذا ضل غيره من العباد

قال: [ولنعلم أيضاً يقيناً أنه لا يضرنا ضلال من ضل إذا نحن اهتدينا؛ لقول ربنا في إرشاده لنا: لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة: 105]] وهذا يقوله لنا ليعلمنا ويرشدنا، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة: 105] وأما إذا لم نهتد فنحن مصابين بالضرر من أنفسنا، ولكن إذا اهتدينا، و [إذا نحن أمرنا بالمعروف من تركه بيننا] إذ لا يصح أن نقول: إنا مهتدون الهداية المطلوبة ونحن نشاهد المعروف متروكاً في بيوتنا وفي قريتنا وفي مدينتنا؛ لأن الله فرض علينا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومادمنّا ما أمرنا ولا نهينا فكأننا سرقنا وزيننا وإن صمنا وصلينا؛ لأن الهداية ما تمت أبداً.

فإذا لم تهدوا إلى ما فيه تزكية نفوسكم فالضرر حاصل، وإنما يزول إذا أمرنا بالمعروف [ونهينا عن المنكر من ارتكبه فينا ونحن نراه ونشاهده، إذ ليس من الهداية الكاملة المنجية من العذاب والمسعدة للعباد أن لا نأمر بالمعروف ولا ننهي عن المنكر؛ إذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة لازمة من صفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم، والمؤمنات الصادقات.

ولنقرأ قوله تعالى من سورة التوبة في وصف المؤمنين بحق والمؤمنات بصدق، إذ قال: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [التوبة: 71]] هؤلاء هم المؤمنون.

فإن قلت: أنا لا أمر بمعروف ولا أنهي عن منكر فلست بمؤمن، وقد انسلخت من المؤمنين.
فلا بد من هذه الصفة.

بالحب والنصرة يتحقق الولاء بين المؤمنين

قال: [فلنذكر قوله] في هذه الآية: [بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [التوبة: 71]] ومعنى هذا: أن بعض المؤمنين أولياء بعض، وبعض المؤمنين أولياء بعض.

والولاء لا يتحقق إلا بالحب والنصرة، وبذلك تعرف أنك وليي وأنني وليك، فالمؤمن الصادق في إيمانه يحب كل مؤمن ومؤمنة، وإن كانت المؤمنة رمصاء عمشاء، والمؤمن أعرج مكسوراً فقيراً، فيحبهما كما يحب أبناءه وإخوانه، ولا بغض ولا عدا، وكذلك النصر، فإذا احتاج إليك أخوك لنصرته فقف إلى جنبه، فإن هزمته وخذلتة على عمد وأنت قادر فلست بمؤمن، وراجع إيمانك. فافهموا هذا.

ولو تدرس ألف سنة فلن تجن أكثر من هذا. وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [التوبة: 71]، أي: متحابون متناصرون، يحب بعضهم بعضاً، وينصر بعضهم بعضاً للولاء الموجود، فمن كان يبغض المؤمنين فليس بمؤمن، ومن كان يخذلهم ويهزمهم ويقف مع أعدائهم عليهم فليس بمؤمن [فهل من الولاية الواجبة التي هي الحب والنصرة أن يرى المؤمن أخاه تاركاً معروفاً يعاقب على تركه ولا يأمره به؟] هذا ليس من الولاء، وكذلك ليس من الولاء أن يرى أخاه تأكله النار ولا تطفئها عنه، أو يرى أخاه والحيوانات تمزقه وتنتظر إليه ويسكت، فهذا ليس فيه الأخوة الإيمانية [أو يرى أخاه ووليه منغمساً في منكر يخبث نفسه ويسخط الله تعالى عليه ويتركه؟] ثم يقول: هذا أخي [والجواب: لا، لا، ليس هذا من الولاية، بل هو من العداوة.

وهذا أولاً] فليس من الأخوة أن ترى أخاك مغموساً في بول وعذرة وتقف بعيداً عنه ولا تتفقه؛ لأن كبائر المعاصي والذنوب والله لأخيث من العذرة والبول والدم والقحج، ولئن نسبح في بركة دماء خير من أن نزنني زنية؛ لأن هذه السباحة يغسلها بالماء والصابون، والنفس لا تغسلها ولا يطيبها إلا مواد التطهير من العبادات التي تؤديها مؤمناً موقناً على الوجه الذي أداه رسول الله، وبينها لعباد الله، وكلك ألم وغضب على نفسك وأنت ساخط عليها، حتى تطيب وتطهر وتعود إلى نورها وبهجتها. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين

قال: [وثانياً: أليس من صفات المؤمنين والمؤمنات أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟ والجواب: بلى، وكيف والله يقول في صفاتهم: يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ [التوبة: 71] [بصيغة المضارع دائماً وأبداً] وَيَنْهَوْنَ [التوبة: 71] [دائماً وأبداً] عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [التوبة: 71] [ومن طاعة الله والرسول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [والرسول يقول] فداه أبي وأمي والعالم أجمع: (من رأى منكم منكراً فليغيره) [وهذه صيغة أمر (بيده، فإن لم يستطع فليسه)] كأن يقول: لا تفعل يا عبد الله! (فإن لم يستطع فبقلبه) [فإن لم يستطع أن يمد يده حتى لا تقطع، ولا أن يقول بلسانه خوفاً من أن يجر إلى السجن ويسجن، فإذا: يتألم في قلبه وفي نفسه (وذلك أضعف الإيمان) وفي رواية: (وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان)؛ لأنه إذا أصبح يرى المنكر ويرتاح ويفرح فقد انتهى أمره، ويخشى عليه في يوم من الأيام أن يصبح يحب ذلك المنكر ويأتيه، ولما يألوه ويعتاده ويرتاح له فسيأتيه لا محالة إلا أن يعصمه الله. من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرم الهداية

قال: [وأمر آخر - وهو عظيم وخطير -: وذلك أننا إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا نتمكن من الهداية، ولا نظفر بها أبداً] ولا تفهم من قوله تعالى: لا يَصْرُكُكُمْ مَنْ ضَلَّ [المائدة: 105] أننا إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحصل لنا الهداية، بل لن تحصل ولن تتم أبداً؛ لأنها سنن الله عز وجل، فإذا كان جيرانك يصفقون ويغنون وأنت ساكت فقد يستدعونك فتحضر، وعام أو عامين وأنت تصفق مثلهم وتغني رأساً [إذ الدار أو المجتمع إذا ظهر بينهم ترك المعروف وارتكاب المنكر لا يلبثون إلا قليلاً وقد عمهم الفساد، فتركوا طاعة الله وطاعة رسوله، وخبثوا وساءت أخلاقهم وفسدت أحوالهم، وعمهم العذاب والعياذ بالله تعالى.

وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرر هذه الحقيقة فيقول: (إن الناس) أبيض وأسود [(إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك الله عز وجل أن يعصمهم بعقابه)] وبالأمس وصلنا هنا وذكرنا لكم مثلاً محسوساً، من لا يفهمه لا يفهم النهار والليل، فقلنا: إذا قام عمال البلدية في قرية أو مدينة أو حي بإضراب؛ لأنهم يريدون زيادة الراتب فتصبح السيدة تجمع أوساخها في زنبيل وترميها عند عتبة الباب؛ لأنها لا تخرج، والأخرى كذلك، والثانية كذلك، ففي اليوم الأول تكون زنبيل الأوساخ عند الأبواب، ثم في اليوم الثالث .. الأسبوع الأول .. الأسبوع الثالث .. الشهر الأول

تصبح الأزقة قممات كلها، فيعلو البعوض والذباب القاتل، وفجأة تأتئهم الملاريا والوباء فيهلكون، وتبقى بقية تتأقلم مع تلك الأوساخ، فتعيش لا تعرف معروفاً ولا منكراً. فافهموا هذا المثل.

وانظروا إلى الحديث: (إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه)، وفي حديث آخر: (ثم تدعونه فلا يستجيب لكم). فإذا انتشر البلاء لا يستجيب الله، وتمضي سنته.

وهذه الأمثلة لها واقع في حياة المسلمين، فأى بلد لا يوجد فيه أمر بالمعروف ولا نهي عن منكر عمه الخبث، وأنا أعجب وكلنا عجب لما كان يستقل إقليم عن بريطانيا أو إيطاليا وفرنسا لا يكون دولته على قواعد دولة القرآن الأربع، والسبب أنهم ما عرفوها وما بلغتهم، مع أن العجائز يحفظن هذه الآية: الَّذِينَ إِنْ مَكَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ [الحج: 41].

فهذه بعض آية من سورة الحج، علمنا الله فيها كيف نبني دولتنا المستقلة المتحررة، فنبنئها على أربع دعائم، فإن رفضنا ذلك والله لم يقم لنا شأن، ولن نعرف هداية ولا نوراً ولا طيب ولا طهراً.

ولا تقولوا: يا شيخ! هذه أحلام، وليست حقائق. ونقول: انظروا إلى دولة عبد العزيز في الصحراء وفي البراري لم يكن عندهم إلا الشعير والتمر، ثم أصبحت مضرب المثل، ولم تكتحل عين الوجود بعد القرون الثلاثة بدولة أو مجتمع ساد الأمن كما سادها، ولا عمها الطهر كما عمها، وهذا ليس بالرشاش والمدفع والهيروجين، وإنما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعد إقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

ولا يمكن لأحد أن يرد علينا، فنحن نعرف خفايا الأمور وبواطنها، فخصوم الإسلام وأعداؤه الذين درسنا في حجورهم وتخرجنا علماء على أيديهم لا يسمحون لنا أن نوجد هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يسمحون أن تقام الصلاة في ظاهرة عامة خمس مرات في اليوم والليلة، بل إذا قال المؤذن: حي على الصلاة ووقف دولا ب العمل وأقبلت الأمة إلى بيوت الرب هذا المنظر يفزع اليهودية، ويمزق أحلامها، ولن يسودوا العالم الإسلامي، ونحن كالأبقار ميتون، أقمنا دولة لا تأمر بالصلاة والزكاة، وكأننا كفار لا نؤمن بالله ولا بلاقئه، وهذا هو الواقع أيها الدارسون والدارسات! ولو لم يجرى الله بهذه الدولة لقلنا قد يعذرون، فقد عشنا ألف سنة وما رأينا الإسلام عز ولا ساد ولا أمن ولا طهر الشراكيات والأباطيل والزنا وغير ذلك، ولكن جاء الله بهذه الدولة لحكمة إلهية؛ لتقوم الحجة لله على المسلمين الزاعمين الإسلام، الذين يسخرون من الصلاة، ويقولون: هذه المصلي؛ يستهزئون به.

وقد بلغنا اليوم أن شبيبة تجمعوا في بلاد المتدينين أخذوا يتابعون السفارات، والتي يشاهدونها سافرة يؤدبونها، فتجتمع شبيبة آخرون وقالوا لهم: اسمعوا إن قتلتم سافرة سنقتل خمساً وعشرين متحجبة، فعللوا يا علماء النفس! هذه الظاهرة، ليس لها علة إلا الجهل، فهم ما عرفوا الله، ولا جلسوا في حجور الصالحين، وهم شبيبة مسلمة في بلد إيمان وإسلام، ووالله إن لم يعودوا إلى بيوت الله ليتعلموا الكتاب والحكمة ويزكوا أنفسهم تحت تربية ربانية ما خرجنا من الفتن والإحن، ولا عززنا ولا سدنا، ولا كملنا بحال من الأحوال.

وقد بينا الطريق، والآن كتاب المسجد وبيت المسلم موجود، فكل طالب علم يجمع قريته أو أهل حيه عليه، وإذا كان جاداً وصادقاً يقبل أيدي أهل الحي وأرجلهم، ويقول: انتوا بنسائكم وأبنائكم، ويأتي هو بامرأته وأولاده، وسيأتون واحداً بعد واحد، وأسبوع وإذا هم كلهم في المسجد، فيعلمهم ليلة آية وأخرى حديثاً، فيتعلمون ويظهرون وينمون، ولا تمضي السنة إلا وهم ربانيون، فلا كذب ولا خيانة، ولا زنا لا فجور، ولا أغان ولا باطل، ولا خداع لا غش، بل يصفوا صفاء كاملاً، فلنفعل هذا، فلم يقيدنا أو يكبلنا أو يمنعنا شيء، ونحن كأننا نساق سوقاً إلى الهاوية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال: [ولنصغ للترمذي] صاحب السنن [يحدثنا بما يلي: ... عن أبي أمية الشعباني قال: (أتيت أبا ثعلبة الخشني) [رضي الله عنه، تابعي جاء الصحابي] (فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟) [وكيف تتولها؟] (قال: أية آية؟ قلت: قول الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة: 105].

قال: أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم [فقد فتح الباب أمامه] (فقال: بل انتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً) [والشح لا يطاع، وإنما المعنى كأن تريد أن تتصدق بريال ثم تقول: لا، أنا في حاجة إليه، وتسمع وترد الريال في جيبك، فهنا قد أطعت شحك؛ لأن الشح يأمر بعدم الإنفاق، فمن استجاب

له وأطاعه انتهى [(وهوى متبعاً)] واتباع الهوى: أن يتبع كل ما تهواه النفس والشهوة والشيطان والدنيا، ويمشي وراءه، فإذا زينت له لعب الكريم مدة أربع ساعات مثلاً يلعب ويلهو [(ودنيا مؤثرة)] ومعنى مؤثرة: يؤثرها على الآخرة، فهذه ضررتان، أولاها تسمى الدنيا، والثانية تسمى الآخرة، فإن أنت أثرت الدنيا على الآخرة فهذا هو إيثارها، فتعمل للآخرة ساعة، وتعمل للدنيا ثلاث وعشرين ساعة، وتعطي للآخرة ريالاً، وتعطي للآخرى مائة ريال. هذا الإيثار [(وإعجاب كل ذي رأي برأيه)] وهو في هذا الوقت في أغلب بلاد العالم [(فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام؛ فإن من ورائكم أياماً الصابر فيهن مثل القابض على الجمر)] والقبض على الجمر يحرق القلب [(للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون عملكم)] وهذا خطير. وحبذا لو يطبع هذا الحديث ويوزع في العالم الإسلامي بالفاكس، فهو جديد على المسلمين، و(95%) منهم ما سمعوا به ولا عرفوه.

ويمكن في المليون أن يوجد واحد، ونرجو الله أن تكون الأيام ما زالت بعيدة عن هذا، وقد يكون وقع في بعض الجهات.

قال: [وأخيراً: نصغي بأذاننا إلى أبي بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم] وقد صلنا هذا الخبر وبيننا وبينه ألف وأربعمائة سنة، و أبو بكر ورسول الله هناك في الحجرة مدفونين من قبل ألف وأربعمائة سنة. وقد وصلنا هذا الخبر وملايين البشر ما سمعوا به ولا عرفوه [وهو يقرر ما سبق في شرح هذا النداء، وهو أنه لا هداية تتم للعبد ما لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، اللهم إلا أن يوجد في بلد أو] في [دار لا يرى فيها معروفاً متروكاً ولا منكرأً مرتكباً، لقد أبو بكر الصديق رضي الله عنه خطيباً يوماً] ما [فقال: (أيها الناس! تقرأون هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة:105]. وإنكم تتأولونها على غير تأويلها، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب].

فلنذكر هذا فإنه هاد وكاف بإذن الله] إذا: من كان عنده جار يغني ويرقص مع بناته يدخل إليه يسلم عليه في البيت ويقول له: من فضلك أنت مؤمن، وقد انتهى هذا اللهو، وهذه الحالة قد انتهت، ولم تبق أغان ولا مزامير في بيوت المسلمين، بل أنت مؤمن، صل بأولادك وأهلك، وخذهم إلى المسجد يصلون. وإذا شاهد منكراً في أي حال من الأحوال يأتي إلى صاحبه ويضع رأسه أو فمه في أذنه ويقول له: أنت مؤمن، وأنت عبد الله، فلا تفعل هذا، فهذا لا يليق بمثلك، وهكذا لا يبقى دش على السطوح. وهذا هو الولاء والنصرة والمحبة، كما قال تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [التوبة:71]. وعلة هذا الهبوط الجهل فقط، وليس هناك علة أخرى.

وكيفية الخروج من هذا الجهل أن نقبل على الكتاب والسنة، وهم يقولون: مدارسنا كلها تعلم الكتاب والسنة، ونقول: إنكم لم تبنوها من أجل أن يعبد الله، ويتعلم دينه، وإنما من أجل الوظيفة، وإذا سألت الطلاب والطالبات: هل ذهبوا إلى المدرسة ليعرفوا الله فيحبوه، ويعملوا بإرشاده وطاعته أو للوظيفة؟ لقالوا: للوظيفة. قال: [أما قوله تعالى في ختام النداء: إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [المائدة:105] إنه يحمل الوعد والوعيد [الوعد بالخير والوعيد بالشر، ودائماً يكونا هكذا، فالوعد بالجنة والوعيد بالنار] وعد لمن أطاع الله ورسوله فظهر نفسه وزكاها بالطاعة، ووعد لمن عصى الله ورسوله فخبثت نفسه وداسها، وحكم الله في ذلك واضح، وهو قوله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10]. اللهم زك أنفسنا، أنت خير من زكاها، وأنت وليها ومولاها.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [انتهينا من النداء السابق. الأمر بتزكية كل إنسان نفسه

هذا القارئ الكريم عليه أن يعلم [أن هذا النداء الإلهي الرحيم الموجه إلى عباد الله المؤمنين أي: المصدقين بالله رباً لا رب غيره وإلهاً لا إله سواه، والمصدقين بالإسلام ديناً لا دين يقبله الله تعالى غيره، وبمحمد نبياً ورسولاً من عند الله، هؤلاء المؤمنون حقاً وصدقاً يناديهم الجبار جل جلاله وعظم سلطانه؛ رحمة بهم، وإحساناً إليهم] لا ليطلب منهم شيئاً، فهو ليس في حاجة إليهم [فيقول لهم: عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ [المائدة:105]، أي: الزموا أنفسكم هدايتها وإصلاحها، فاحفظوها من الوقوع في الذنوب والآثام؛ لتبقى طاهرة زكية محلاً لرضا الرحمن سبحانه وتعالى] فاعجلوا، ولا

تقلتوها وتضيعوها، وما هي إلا أيام معدودة إن أنتم حفظتم طهارتها وحافظتم عليها حتى تنزلون بجوارنا، وإن أنتم خبثتموها ولو ثتموها ورميتموها في مزابل المنكرات والفواحش والباطل فشأنكم، وسوف يجمعكم الله ويجزي المحسن بالإحسان والمسيء بالإساءة [واعلموا أنه لا يضركم ضلال من ضل، ولا غواية من غوى] أبداً. والدليل: إذا كنت شبعان وهذا جائع إلى جنبك لا يحصل لك جوع، وإذا كنت معافى سليماً وهذا مريض يتلوى من الآلام فإنه لا ينتقل إليك ذلك المرض، وإذا كنت طاهراً طيباً نظيفاً وهذا متسخ بالدماء والقيوح والأبوال لم يؤثر فيك ذلك أبداً.

عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَصُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ [المائدة:105].

وللهداية مجال سوف يمر بنا إن شاء الله.

قال: [إذ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ [المدثر:38]] ومعنى رهينة: مرهونة، والشئ المرهون لا أحد يفكه إلا إذا جاء بما دفع له، فكل نفس بكسبها مرهونة تجزى به [وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [الأنعام:164] يوم القيامة وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى [الأنعام:164]] والوازية أي: نفس تحمل وزراً، فهي تحمل زناييل أو أكياساً من الذنوب والآثام، فهذه الوازية المثقلة بالذنوب لا تحمل ذنوب آخرين، وهي لا تستطيع؛ لأنها ممتلئة، مثل السيارة المشحونة التي فيها ألف طن لا تجد مكاناً لوضع أطنانك الزائدة، قال تعالى: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ [فاطر:18].

وقد عرفتم أن المرأة تقول لولدها: يا ولدي! لقد عرفت أنني كنت لك خير الأمهات، وأنا الآن في حاجة إلى حسنة واحدة ترجح بها كفة ميزاني، فيقول العبد الولد: إي أمه! أعلم أنك كنت لي خير الأمهات، ولكن نفسي نفسي، ويأتي الأب لابنه أيضاً ويقول: يا بني! لقد علمت أنني كنت خير الآباء لك، والآن أنا في حاجة إلى حسنة ترجح بها كفة ميزاني، فيقول: إي والدي! أعلم أنك كنت لي خير الآباء، ولكن نفسي نفسي [إذ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا [النساء:123]].

بيان ما يزكي النفس وما يديسها

هذا النداء أمرنا الله تعالى فيه بتزكية أنفسنا وتطهيرها؛ إذ قال: عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ [المائدة:105]، أي: ألزموها بالطهر والتصفية؛ لأن سعادتكم متوقفة على هذا، فمن زكى نفسه وطيبها وطهرها بالأدوات الخاصة التي وضعت لتزكيتها وتطهيرها فهذا إن شقي العالم وضل كله لا يضره ذلك إن هو زكى نفسه وطيبها وطهرها، فأصبحت محلاً لرضا الله عز وجل وجواره بعد الموت، ولا يضره من ضل على الإطلاق، وهذا هو الذي دل عليه قوله تعالى: عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ [المائدة:105] أي: ألزموا تطهيرها وتطيبها، وأدوات التطهير والتزكية: الإيمان والعمل الصالح، وليس هناك والله أمور أخرى تزكي النفس، لا ماء ولا صابون ولا سحر ولا غير ذلك، فلا تزكو إلا بالإيمان الصحيح والعمل الصالح المؤدى على الكيفيات التي وضعها الله ورسوله، والذي يدسي النفس ويخبثها ويدنسها هو الشرك والمعاصي، وكل ذنب يذنبه العبد أو الأمة يقع نكتة سوداء على قلبه، فإما أن يتوب فينمحي ويزول، وإما أن يزيد فيزيد حتى يختم على ذلك القلب وينتهي أمره، واقرأوا: بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [المطففين:14]. فهذا أمر عظيم.

فينبغي أن نعرف أهم الأشياء، وهي أدوات التزكية والتطهير والتطبيب للنفس البشرية، ولنعلم يقينياً أنها الإيمان الصحيح والعمل الصالح، فبهما تزكو النفس البشرية، ولنعرف ما يلوثها ويخبثها حتى تعفن وتصبح أهلاً لغضب الله وسخطه، وذلكم الشرك والمعاصي، والشرك والكفر سيان بمعنى واحد، فالكفر والمعاصي إذا صُبا على النفس حولها إلى أنتن من أرواح الشياطين، وقد حكم الله في هذه القضية بقوله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

سواء كان شريفاً أو ضيعاً، أو غنياً أو فقيراً، أو عربياً أو عجمياً، أو في الأولين أو في الآخرين، أو في السماء أو في الأرض، فمن زكى نفسه أفلح، ومن دساها خسر وخاب، ولا يوجد حكم غير هذا، ولا أحد يعقب على حكم الله، ولا يوجد هيئة للاستئناف، فقد قال تعالى في سورة الرعد: وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ [الرعد:41].

فحكم الله في هذه القضية: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس:9].

وسواء كان أبيض أو أسود .. قصير أو طويل .. فقير أو غني، أو ابن زنا أو ابن كافرة، أو والده كافر فهذا غير مهم، وإنما فقط الروح إن زكت وأصبحت كأرواح الملائكة فقد أصبحت أهلاً لأن تنزل دار السلام في الملكوت الأعلى، وإن خبثت وتعفنت فمصيرها أتون الجحيم. فاعرفوا هذا زادكم الله علماً ومعرفة.

[الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم!] الذي يضع هذا الكتاب عند رأسه، ويسمع إلى نداء ربه، ويحفظ نداءه، ويفهم ما طلبه منه، ويستعد لتقديمه، هذا هو القارئ الكريم. وأبشركم فقد قام البارحة أحد المؤمنين وقال: أضيفوا للثلاثة آلاف نسخة ألفين من عندنا، فأصبحت خمسة آلاف، وإن شاء الله أيام وهي سبعون ألفاً، حتى لا يقول قائل: ليس عندنا الكتاب، وضعوه في الفنادق، حتى إذا نزل النزول في الفندق بدلاً من أن يشاهد التلفاز فيصاب بالهوى والشيطان يقرأ نداء، ويتلذذ به، وينام على نوره.

وجوب الإشهاد على الوصية وجواز شهادة غير المسلم على الوصية إذا تعذر وجود المسلم

الآن مع النداء اللاحق، وسنقرأ الآيات، وهذا النداء عجيب، وأهل القرآن لا يوجد منهم خمسة يفهمونه، أو يعرفون ما فيه، وأنتم في ليلتكم تعرفونه إن شاء الله. قال: [النداء الثالث والأربعون: في وجوب الإشهاد على الوصية، وجواز شهادة غير المسلم على الوصية إذا تعذر وجود المسلم] وهذا النداء طويل.

[الآيات (106 ، 107 ، 108) من سورة المائدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَيْمِينَ * فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [المائدة:106-108]] وهذا النداء عجب، ولكن قراءة الشرح تبينه وتفصله؛ حتى يصبح مفهوماً آمناً، فاسمعوا الشرح، وتعاد تلاوته إن شاء الله غداً. [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم! أن هذا النداء الإلهي يحمل هداية وإرشاداً للمؤمنين بحل مشكلة عويصة قد تحدث لبعضهم في يوم من الأيام] لا لكلنا [وهذا بيان ما تضمنه النداء الجامع لثلاث آيات من كتاب الله] فهذا النداء فيه ثلاث آيات.

الأمر بتقوى الله والسماع لما يأمر به وينهى عنه

قال: [الرابعة: قوله تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ [المائدة:108]، أي: خافوه أيها المؤمنون! فلا تخرجوا عن طاعته بترك أوامره أو غشيان معاصيه.

وَاسْمَعُوا [المائدة:108]، أي: ما تؤمرون به، واستجيبوا لله فيه، ومن ذلك قبول هذا التوجيه الإلهي في وجوب الإشهاد على الوصية عند الوفاة، وجواز إشهاد غير المسلم في حالة انعدام وجود المسلم، كما في السفر، ثم إن حصل ريب وشك في الشهادة فليقم اثنان ذوا عدل منكم ويردان الشهادة بأيمان، وإن حصل أيضاً بعد الإشهاد والحلف ظهور علامة خيانة وكذب في الشهادة فليقم آخران يردان الشهادة ويعطيان الحق المطلوب]. التحذير من الفسق وبيان عاقبته

قال: [والخامسة: قوله: وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [المائدة:108]، أي: إلى ما فيه خيرهم وسلامهم وسعادتهم وكمالهم؛ لأنهم خبثوا أنفسهم، ودنسوها بالذنوب والآثام.

ألا فلنحذر الفسق، وهو خروج عن طاعة الله وطاعة رسوله. ومن الفسق ما هو كفر، ومنه ما هو من كبائر الإثم والفواحش.

فلنحذرهُ إذ كُله مانع من هداية الله تعالى؛ إذ العبد إذا توغل في الشر والفساد يصبح غير أهل لطلب الهداية بالتوبة والاستقامة، ومن ثم يحرم هداية الله تعالى [والقصة ستأتي بالتفصيل، وسبب نزول هذه الآية حادثة عجيبة حدثت على عهد الرسول في الشام، وانتقلت إلى المدينة، وسنسمعها غداً إن شاء الله. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم. وجوب الإشهاد على الوصية

قال: [الأولى: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المائدة:106]، أي: يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً] فقولوا: لبيك اللهم لبيك [شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ [المائدة:106]] فإذا كان فلان على سرير الموت ويريد أن يوصي بمال أو بشيء أو أي شيء فيطلب اثنين من العدول [أي: ليشهدا.

اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ [المائدة:106]، أي: من المسلمين على وصية أحدهم إذا حضره الموت، وعنده ما يوصي به من مال وحقوق.

هذا في الحضر [في داخل المدينة .. في البيت .. في المستشفى، وهذا سهل جداً، فإذا شعر بقرب ساعته ينادي: احضروا لي فلاناً وفلاناً، فيقول لهما: أشهدكما أنني كذا وكذا وعندي كذا، وفلان كذا وكذا. هذا في الحضر] أما إذا كان أحدهم مسافراً وحضره الموت ولم يكن معه في سفره مسلم، وإنما معه كفار فقط [كأن يكونوا كلهم بريطانيون أو فرنسيون أو أمريكيين، أو كان يكون في فندق في بريطانيا فجاءه الألم والموت، وهو يريد أن يشهد، فيمكن صاحب الفندق أن يأتي باثنين، ويقول لهما: اسمعا ما يقول واكتبا [فليشهد الكافر] ويقول له: أشهد علي [للضرورة] فقط، وأما لو كان فيهم مسلمون فلا يحتاج إليهم، ولا يجوز ذلك. كيفية الحكم إن حصل ريب أو شك في شهادة الشاهدين على الوصية

قال: [وإن] أشهد بريطانيان أو أمريكيان أو اثنان كافران و [حصل ريب وشك في صحة ما شهدا به؛ المؤمنان أو الكافران] إذ لما دعوناها قالاً: ميتكم قال كذا وكذا وأشهدنا، فشكنا فيما قالاً، وأنه يمكن أن يكون قال هذا، ويمكن أنهما أخذوا المال من جيبه [فاحبسوهما، أي: أوقفوهما بعد صلاة العصر] وحتى المؤمنان أيضاً إذا شهدا وشككتم في شهادتهما [فيقسمان لكم بالله] وصلاة العصر لأنه وقتها وقت عظيم، وفي الحديث: (يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار).

وهذا من باب تغليظ الأيمان أن تكون بعد العصر عند المحراب [فيقولان في قسمهما: والله لا نشترى بأيماننا ثمناً قليلاً، ولا نكتم شهادة الله؛ لأننا نكون حينئذ من الآثمين، ونحن لا نرضى الإثم لأنفسنا.

هذا إن حصل لكم ريب وشك في شهادتهما، سواء كانت الشهادة في الحضر أو السفر، إلا أنها في السفر أقرب لحصول الريب والشك في صحة شهادة الشهود، وإن وجد عند الشاهدين اللذين شهدا وحلفا على شهادتهما إن وجد عندهما خيانة وكذب بما ظهر من آثار ذلك فليحلف منكم آخران؛ يردان شهادة وحلف الأولين، كما قال تعالى: فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَّانِ [المائدة:107]، أي: الأحقان بالشهادة، فيحلفان قائلين: لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا [المائدة:107]، أي: لأيماننا أصدق وأصح من أيمانهما، وَمَا اعْتَدَيْنَا [المائدة:107]، أي: عليهما باتهام باطل وكذب مفترى؛ لأننا لو فعلنا ذلك لكنا من الظالمين، إذ قال تعالى عنهما: وَمَا اعْتَدَيْنَا [المائدة:107]، أي: في أيماننا إنا إذاً لمن الظالمين.

والثانية: قوله تعالى: ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ [المائدة:108]] إذا عرفوا أنهم سوف يحلفون عند المحراب [أي: ما شرعه تعالى لكم من الإشهاد والأيمان على الشهادة، وقيام شاهدين لرد شهادة المرتاب فيهما، لاسيما إذا ظهرت علامة عدم صدقهما أقرب أن يصدق الشهود في شهادتهما وفي أيمانهم. والثالثة: قوله تعالى: أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ [المائدة:108]، أي: وأقرب أيضاً إلى أن يخاف الشهود أن ترد أيمانهم إذا هم حلفوا، فهم لذلك لا يكذبون خوف الفضيحة أن تلحقهم [وتشلهم.

فلهذا يصدقون في شهادتهم.

وهذا احتياط عجيب.

كتب الله عز وجل القتال على أفراد هذه الأمة وهو كره لهم، وذلك من أجل تبليغ رسالة هذا الدين من جانب، ومن جانب آخر من أجل الدفاع عن بيضة هذا الدين، والحفاظ على مقوماته، لذلك فقد كان للجهاد منزلة عظيمة، وأهمية بالغة، وقد وعد الله القائمين به الأجر العظيم، وتوعد من يفرون يوم الزحف، وعند التحام الصفوف بالغضب والعذاب الأليم، وذلك للخطورة البالغة التي يتعرض لها جيش المسلمين.

تابع وجوب الإشهاد على الوصية وجواز شهادة غير المسلم على الوصية إذا تعذر وجود المسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله تعالى منهم، وحشرنا في زمرة، ورضي عنا كما رضي عنهم.

اللهم آمين.

معاشر المستمعين والمستمعات! النداء الثالث والأربعون بقيت منه فقرات، فقد دخل وقت العشاء أمس وما أكملناها.

وإليكم أولاً خلاصة لهذا النداء، بعد أن تسمعوا النداء مرة أخرى.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَيْنَاهُمْ إِلا نَفْسًا بَشَرًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْإِيمَانِ * فَإِنْ غُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهِادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [المائدة: 106-108].

خلاصة هذا النداء: أنه في صالح أموالنا وأعراضنا وحياتنا، في أيها المؤمنون! إذا مرض أحدنا في بلده .. في بيته .. على سرير مستشفاه؛ فإنه يتعين عليه أن يوصي إذا كان له ما يوصي به، وينبغي هذا؛ لأن الحقوق متعلقة به إذا مات، وهذه الوصية متعينة على كل مسلم ومسلمة إذا كان له شيء ينبغي أن يوصي به أو فيه.

فالله يقول في هذا النداء: إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ [المائدة: 106].

وسوف يحضرنا كلنا، وليس هناك أحد لن يحضره.

حِينَ الْوَصِيَّةِ [المائدة: 106] وأنت تريد أن توصي في الوقت الذي تودع فيه الحياة اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ [المائدة: 106].

فتشهد اثنين من ذوي العدل من المسلمين، أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ [المائدة: 106]، أي: من الكافرين، وهذا إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ [المائدة: 106] مسافرين فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ [المائدة: 106].

كأن يسافر إلى إيطاليا أو أمريكا، وفجأة جاء الموت في المستشفى، وليس معه مسلمون يشهدون، فأجاز الله تعالى له أن يشهد كافرين من النصارى أو اليهود أو غيرهم تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ [المائدة: 106]، أي: صلاة العصر.

فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَيْنَاهُمْ إِلا نَفْسًا بَشَرًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْإِيمَانِ [المائدة: 106].

فإذا شهدنا اثنين من المؤمنين ثم حصل شك في أن أخانا توفي، وأنه أشهد فلاناً وفلاناً، ونحن لا نثق فيهما وحصل ريب فنأتي بهما إلى المسجد بعد صلاة العصر، فيقومان فيحلفان لنا بالله الذي لا إله غيره أنه ما ترك فلان عندنا شيئاً، وقد أوصانا بأن كذا لكذا، وأن مال فلان لفلان، فإذا حلفا انتهيا، سواء كان الشهود مؤمنين أو كافرين إذا حصلت الريبة والشك.

وستأتي القصة التي بسببها نزل هذا النداء توضح هذا المعنى.

فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا [المائدة:107] بعد أن حلفا وانتھينا، فَإِنْ عَثَرْنَا عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَى خِيَانَتِهِمَا كَانَ يَكُونُ شَيْئاً مَدْسُوساً مَخْبِئاً وَجَدْنَاهُ، أَوْ وَجَدْنَا شَيْئاً بَاعُوهُ فِي السُّوقِ وَوَجَدْنَاهُ يَبَاعُ فَهَذَا تَحْصُلُ رِيْبَةٌ، فَأَخْرَاجُ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَآئِينَ فَيُقسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ [المائدة:107].

وحينئذ تثبت الخيانة على الشاهدين الأولين، وترد شهادتهما بشهادة أقوى في وجود الريبة، وهو العثور على شيء كما سيأتي.

وقوله: ذَلِكَ [المائدة:108] أي: هذا الذي قننه الله أدنى [المائدة:108]، أي: أقرب أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن تُردَّ أيمانٌ بعدَ أيمانِهِمْ [المائدة:108].

فإذا علم الشاهدان أنهما سوف يحلفان بعد العصر، ثم إذا ظهرت ريبة أنه سوف يحلف آخران ويلزمانهما بما جحداه وأخفاه فهذه حال تجعل الشهود لا يستطيعون أن يلجوا ألسنتهم أو يخفوا شيئاً.

ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ [المائدة:108].

وأخيراً: وَاتَّقُوا اللَّهَ [المائدة:108] أيها المؤمنون! فلا تخرجوا عن طاعته وطاعة رسوله.

وَاسْمَعُوا [المائدة:108]، أي: اسمعوا وأطيعوا، وأطيعوا واسمعوا، وليس مجرد الطاعة فقط، بل اسمعوا لما يأمر الله ورسوله به.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [المائدة:108]، أي: الخارجين عن طاعة الله ورسوله، ولا يهديهم لإكمالهم وإسعادهم، ولا يهديهم لتزكية نفوسهم، ولا يهديهم لخيرهم ولا لكمالهم؛ لأنهم فسقوا عن أمره وعصوه وتمردوا عليه، فقد أمرهم فلم يطيعوا ولم يستجيبوا، فيضلهم.

وهذا النداء العظيم لا يوجد إلا في القرآن الكريم.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت ...)

الآن مع القصة التي كانت سبباً في نزول هذا النداء الكريم بالمدينة النبوية، فقد درسنا الشرح.

قال: [وأخيراً: إليك أيها القارئ! والمستمع! حادثة حدثت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها نزلت هذه الآيات الثلاث] في هذا النداء الثالث والأربعين [فتأملها فإنها تزيدكم فهماً وفقهاً، ومعرفة لما تضمنته الآيات الكريمات: عن تميم الداري برئ الناس منها غيري] أي: هذه الآيات برئ الناس منها إلا أنا وقعت فيها.

وهذا اعتراف منه [وغير عدي بن بداء] فهذا وزميله الذي كان معه في السفر عندما حدثت الحادثة [وكانا نصرانيين] أي: كان عدي و تميم الداري نصرانيين مسيحيين قبل إسلامهما [يختلفان إلى الشام] للتجارة [قبل الإسلام، فأتيا الشام لتجارتهم، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له: بديل بن أبي مريم بتجارة، معه جام من فضة يريد به الملك، وهو أغلى تجارته] وهذا الجام هو عبارة عن كأس وإناء من ذهب، قال: فلا أدري يريد بها الملك يبيعه، أو يريد بها الملك في نفسه الله أعلم [فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله] أي: يأخذان النقود والأشياء التي معه ويوصلونها إلى أهله بالحجاز وهم بالشام [قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم] من فضة، فقد اتفق مع زميله النصراني وباعاه في الشام بألف درهم [واقسمناه أنا و عدي] خمسمائة لكل واحد منا [فلما قدمنا إلى أهله فدفعناه إليهم ما كان معنا] من ملابسه وأمتعته ونقوده [وفقدوا الجام] أي: إناء الذهب [فسألونا عنه، فقلنا: ما ترك غير هذا] لأنهم كفار [وما دفع إلينا غيره].

قال تميم: فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تأثمت من ذلك [أي: شعرت بالإثم وما أطقته] فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر، ودفعت إليهم خمسمائة درهم [التي أخذها].

وهذا هو مفعول الإيمان، فهو لم يطق أن يجحد هذا ويأخذ الخمسمائة، وأيام أن كان كافراً هان عليه، ولكنه أسلم ودخل في رحمة الله [وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فوثبوا عليه، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه] وملته، فإن كانوا يعظمون عيسى حلف بعيسى، وإن كانوا يعظمون شيئاً آخر يحلف به؛ لأنه يخاف أن يكذب ويحلف بالباطل، ونحن نريد أن يرد الحق إلى أهله [فحلف] بالباطل؛ ليدفع عنه التهمة والخمسمائة ردهم [فنزلت] هذه الآية: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ] [المائدة:106].. إلى قوله تعالى: فَيُقسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا [المائدة:107].

فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا، فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء [وأعطيت لهما] رواه الترمذي و ابن جرير ، وضعفه الترمذي ، وله شواهد، وهو موافق لما تضمنته الآيات.

والحمد لله رب العالمين، الهادي إلى الصراط المستقيم.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [هذا النداء الثالث والأربعون.

اسمعه مرة أخيرة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ [المائدة:106] إذا لم يكن هناك مؤمنون، وقد كانت الشام بلاد كفر، إِنَّ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَفُتِّسِمَاَنِ بِاللَّهِ إِنَّ ارْتَبْتُمْ [المائدة:106] وشككتهم، لَا نَسْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ [المائدة:106].

هكذا يقولون.

فَإِنْ عَثِرَ عَلَى أَنَّهْمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا [المائدة:107] كما عثروا على الجام، فَأَخْرَانِ يَفُومَانِ مَقَامَهُمَا [المائدة:107] ويحلفان فيردان الأيمان الأولى ويؤخذ الحق لصاحبه، فإذا اتهموا حلف بدلها وترد أيمانها.

وأهل الميت اتهموا للذين جاءا بالمال وقالوا: هذا الذي ترك والدكم، أو هذا الذي أوصى به، فيحلفان لهم، فإن حلفا برئت ذمتها، فإن حصلت تهمة وعثروا على شيء كما عثروا على الجام فيردان أيمانها ويحلف آخران منهما، وبذلك تنتهي المشكلة.

هذه الثلاث الآيات من سورة المائدة هي النداء الثالث والأربعون.

حرمة الفرار من صفوف القتال في سبيل الله وأنه من الكبائر الموجبة لغضب الله وعذابه

الآن [النداء الرابع والأربعون] وقبل الشروع أبشركم أن أحد المؤمنين جاء بمبلغ إلى المنزل اليوم وقال: خمسة آلاف نسخة علينا، فقد بلغت الآن عشرة آلاف نسخة، ولا ننتهي إلا وقد طبعنا منه مائة ألف، وهي لا تكفي، ولو وزعناها على الفنادق ما تكفي، فنريد أن نضع على كل سرير في الفندق عند رأس النزول كتاباً.

وهذا فضل الله علينا وعليكم جميعاً.

وهذا النداء [في حرمة الفرار] والهروب [من صفوف القتال في سبيل الله، وأنه من الكبائر الموجبة لغضب الله وعذابه] وهذا النداء خطير، ففحواه ومضمونه وما يحققه: هو حرمة الفرار والهروب من صفوف القتال في سبيل الله، وأن هذا الهروب من الكبائر الموجبة لغضب الله تعالى وعذابه.

[الأيتان (15، 16) من سورة الأنفال] وسورتا الأنعام والأعراف ليس فيهما نداءات؛ لأنهما مكيتان، وكان المؤمنون لم يكلفوا بعد؛ لأنهم قليل، وما كلفوا إلا بـ(لا إله إلا الله)، ولكن لما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بدأ التشريع والتقنين والدولة، فكل النداءات في السور المدنية، والسور المكية ليس فيها نداء. وقد رأينا النداءات السابقة في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة في الأيام الماضية، وتجاوزنا الأنعام، وهي مكية محضة، وكذلك الأعراف، وها نحن في الأنفال فهي مدنية، ثم التوبة مدنية، ثم لا يوجد بعدها نداء إلى سورة الحج.

وهيا نتغني بهذا النداء ساعة [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [الأنفال:15-16]].

وتوزيع الماء أثناء طلب العلم بدعة، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا إذا جلسوا يتعلمون من رسول الله يقبلون عليه ويسكنون، حتى لو وضع الطير على رءوسهم لما خاف ولا طار، وهذا جبريل علمهم ذلك، فقد دخل فأسند ركبتيه إلى ركبتي الرسول، ووضع يديه على فخذه وأقبل هكذا، ونحن نتلقى وأخونا يوزع الشاي على الناس. ولو تكلم أحد أثناء الخطبة فجمعته باطلة، فـ (من مس الحصار فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له)؛ لأن هذه الخطبة تحتوي توجيهات من إمام المسلمين، وهو يلقيها كل أسبوع مرة لإنقاذ الأمة وإسعادها، فإذا عبثت فانت لا تريد أن تسمع، فصلاتك باطلة.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [الأنفال:15-16].

وهذا أمر عظيم؛ لأنه بهروبه فتح باباً للعدو لأن يهزم المسلمين ويكسر عظامهم، ويزهق أرواحهم، ويتحمل هذا الذي هرب وخاف الموت، فترك الجيش الإسلامي يهزم. فهذه جريمة عظيمة.

وقد ذكرت لكم ما ثبت عندنا أيام الفتح العثماني، فعندما كانوا يفتحون في أوروبا الشرقية كان الجندي العثماني يربط نفسه بالمدفع بسلسلة ويقاوم حتى تنفذ ذخيرته، ويبقى كالأسد ويقتل وهو على مدفعه؛ لأن إعطاء العدو الدبر هزيمة مرة، ولا تحل لمؤمن أبداً.

ولما ضعف الإيمان وانتهينا فإننا نهرب حتى من أمام اليهود الجبناء. ومعنى (لا تولوهم الأدبار) أي: لا تعطوهم أدباركم فتهربوا وتتركوهم يضربونكم من ورائكم. وهذه عبارة أيضاً فيها ما فيها عند العقلاء، فالعبارة فيها الطعن في هذا المنهزم، فقد أعطاهم دبره والعياذ بالله. وهذا كلام الله.

فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ [الأنفال:15].

ولا يجوز إعطاؤهم الدبر إلا في حالتين: الحالة الأولى: إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ [الأنفال:16]. إذا أراد أن يرجع إلى الوراء ليجري وراءه الكافر فيقتله ويضربه. فهذه حيلة.

والحالة الثانية: أو ضعف جانب المؤمنين، وبقيت فئة تقاتل فينحرف إليها ليشد من أزرها ويقاوم معها، وهذا التصرف ليس هزيمة ولا خوفاً من الموت، وإنما هو لصالح المعركة، وقد استثناه الله عز وجل، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ [الأنفال:15-16] أي: رجع بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير [الأنفال:16].

فلاستثناء في قوله: إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ [الأنفال:16] ما زالت قادرة وصامدة، فيقاتل معها. هذا في الجهاد من أجل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله)، ومن أجل أن يعبد الله وحده.

والآن مع شرح الآية الكريمة، أو النداء الكريم: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم!] وهو كل مؤمن؛ إذ ينبغي عليه أن يقرأ نداءات الرحمن، ويعرف ما أراد الله مولاة وسيده منه، وقد وناداه، فلا يناديك سيدك وتقول: لا أسمع، ولكن الغفلة عمت، وكذلك الجهل، وإلا فيجب على كل مؤمن أن يسمع ما نداء الله من أجله، وسبب مناداته.

وقد كنا شبه معذورين؛ لأنها موزعة في القرآن من البقرة إلى الناس، ولكننا الآن جمعناها في كتاب نداء بعد نداء، حتى أصبحت تسعين نداء، ولو أن مؤمناً قرأها وحفظها وفهمها وعمل بها والله لأصبح سيد الناس طهارة وصفاء وعلماً وكمالاً ومعرفة، ولا يحتاج بعد ذلك إلى علم؛ إذ أنها احتوت على كل ما تتطلب حياة العبد المؤمن، والرؤساء والمسؤولون أولى بهذا؛ لما فيها من السياسة الحكيمة الرشيدة.

من أحكام قتال البغاة

إذا قاتلت فئة مسلمة فئة مسلمة أخرى فنقاتل المسلمين الذين قاتلوا ظلماً وعدواناً، وهؤلاء يسمون بالبغاة، ويقاومهم المسلمون، ومن فر منهم وانهزم له هذا الجزاء، واقرأوا: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى [الحجرات:9].

ورفضت الصلح، كما حصل في حرب الخليج فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بَيْنَهُمَا [الحجرات:9].

والبغاة صنفان: الذين يخرجون عن إمام المسلمين من أجل السلطة والاستيلاء على الحكم، والذين أيضاً يظلمون المسلمين ويعتدون على أموالهم وأعراضهم ظلماً وعدواناً.

فهؤلاء البغاة على المسلمين أن يقاتلوهم مجتمعين؛ حتى يخضعوهم لأمر الله. وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ [الأنفال:16] الجزاء فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [الأنفال:16]. وهناك حالتان استثنائيتان، قال تعالى: إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ [الأنفال:16] من فئات المؤمنين. والحمد لله.

والآن لو دخلنا في معركة مع اليهود أو النصارى فلا ننهزم على شرط أن يقودنا إمام المسلمين.

كفانا الله شرهم.
وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
حكم التولي عن قتال الأعداء

قال: [أما إذا لم يكن فراره للحالتين - الأولى: وهي التحرف للقتال، والثانية: وهي الانحياز إلى فئة مؤمنة أو إلى القيادة- فإن صاحب الفرار قد ارتكب كبيرة، إذا لم يتب منها دخل النار والعياذ بالله تعالى؛ ذلك لقوله تعالى في جواب الشرط: فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ [الأنفال:16]] والشرط هو وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ [الأنفال:16]] أي: رجع من المعركة مغضوباً عليه من الله عز وجل، ومأواه الأخير جنهم، وبئس المصير جنهم، يصار إليها.
إن بعض السلف قالوا: هذا الفرار المتوعد عليه كان خاصاً بغزوة بدر] وهذا ليس بصحيح، وقد اجتهدوا، فهو ليس خاصاً بغزوة بدر، بل والله إلى اليوم، فإذا قاتل المسلمون الكافرين فالذي يفر وينهزم هذا جزاءه [وخالف الجمهور، وقالوا: الآية عامة وإن نزلت في غزوة بدر، والدليل على عمومها: حديث البخاري الذي تقدم وهو الحق والصواب] وقالوا: التولي يوم الزحف عام، ويقع في أي زحف إلى يوم القيامة] والله يتوب على من تاب.
فمن فرّ يوماً استوجب العذاب لو مات، أما من تاب فإن الله يتوب الله عليه، ويغفر له كبيرته بتوبته.
والحمد لله التواب الرحيم، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].
وخلاصة هذا النداء: أن الهزيمة والفرار من وجه العدو وقد زحفنا وزحفوا من كبائر الذنوب، وعرفنا أنها كبيرة من الوعيد الشديد، فقد قال: فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ [الأنفال:16].
وليس هناك كبيرة أعظم من هذه؛ لما يترتب على هذا الانهزام من موت المسلمين وقتلهم، وغنم أموالهم وغير ذلك، فهو أراد أن ينجو بنفسه، ولكنه يخسر أمة بكاملها.
الحالات التي يجوز فيها للمجاهد التولي عن الزحف

قال: [وقوله تعالى في الآية الثانية: وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ [الأنفال:16]، أي: ومن يعطي دبره العدو فاراً هارباً يوم الزحف، أي: ساعة المواجهة وزحف الطائفتين على بعضهما، طائفة العدو الكافر وطائفة المجاهدين المؤمنين، وقبل: ذكر الجزاء - أي: جزاء الشرط- وهو قوله تعالى: وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ [الأنفال:16].
قال تعالى مستثنياً حالتين إذا فر منهما المؤمن المجاهد لا إثم عليه فيهما ولا حرج؛ لأنه تحرف لنصرة الإسلام وأهله، لا فراراً من الموت، وهل الموت يدفعه الفرار؟! فالحالة الأولى: أن يفر المؤمن بين يدي مقاتله الكافر مكيدة له حتى إذا جرى وراءه عدوه وبعد عن صفوف إخوانه كرّ عليه المؤمن وقتله.
هذه صورة من صورتين يفرّ فيهما المجاهد، ولا إثم عليه فيهما.
والصورة الثانية: أن يميل جانباً عن صف المجاهدين؛ ليرى غرة من العدو فيصيبها.
هذا ما دل عليه قوله تعالى: إِلَّا مُتَحَرِّقًا لِّقِتَالٍ [الأنفال:16]] أي: ينحرف من أجل القتال، لا من أجل النجاة من الموت.

[والحالة الثانية: أن يرى ضغطاً شديداً من العدو، فيرى أنه من المصلحة الجهادية أن ينحاز إلى جماعة من المؤمنين تقاتل فيقاتل معها؛ ليقوّيها ويقوى هو بها.
هذه صورة من صورتين جاز فيهما للمجاهد أن ينحاز من وجه العدو لينضم إلى إخوانه؛ ليقويهم ويقوى بهم.
والصورة الثانية: أن يكون الانحياز إلى قائد المعركة، وإمام المسلمين؛ ليتقوى به ويقويه.
فهاتان صورتان دل عليهما قوله تعالى: أَوْ مُنْحَازًا إِلَىٰ فِئَةٍ [الأنفال:16]].
كبيرة الفرار من قتال الأعداء

على هذا القارئ الكريم أن يعلم [أن المؤمن - كما عرفت - حي] بسبب [بإيمانه، قوي بولاية ربه له] ومن والإله الله لا يضعف، ولن يهزمه أحد [لذا نادى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين قائلاً لهم: إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا [الأنفال:15]، أي: زاحفين إليهم لتقاتلوهم في سبيل الله.
فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ [الأنفال:15]، أي: لا تنهزموا أمامهم فنتولوا هاربين مولينهم أديباركم.
وهذا عيب كبير] والله.

بل أعطه وجهك حتى تموت، ولا تعطيه دبرك، ومن فعل هذا ليس جباناً فقط، بل [ومعرفة لا ينبغي للمؤمن ولي الله عز وجل أن يتصف بها، والنهي هنا للتحريم؛ ليربي الله أوليائه على الإقدام والشجاعة؛ حتى لا يضعفوا عن قتال المشركين الكافرين، ولما كان الفرار من العدو له آثار سيئة لاسيما عند المواجهة والزحف ومن تلك الآثار السيئة: انتصار العدو الكافر على المؤمنين.

ومنها: إصابة المؤمنين المقاتلين بالجروح والقتل.

ومنها: استيلاء العدو على معدات المسلمين من سلاح وغيره.

ومنها: وقف الدعوة الإسلامية وعدم انتشارها وانتصارها.

لهذه ولغيرها كان التولي يوم الزحف كبيرة من كبائر الذنوب، ويكفي في كونها كبيرة قوله تعالى في الآية الكريمة: فَقَدْ بَاءَ [الأنفال:16] [أي: رجع] بَعْضُ مَنْ لَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [الأنفال:16] وهذا الجزاء العظيم يدل على أنه كبيرة [وفي الحديث الصحيح: أن التولي يوم الزحف من الموبقات، أي: المهلكات، ففي الصحيح يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا)] أي: اتركوها جانباً [(السبع الموبقات، قيل: يا رسول الله! وما هي؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)] فلو أن مؤمنة طاهرة نقية في بيتها يشاع عنها أنها فجرت وزنت وأنها كذا وكذا كذباً فهذه جريمة لا تطاق كالتولي يوم الزحف، وهذا قتل لهذه المؤمنة ومسخ لها، وهذا لتعرفوا قيمة المؤمنات، فمن يقذف مؤمنة بالفاحشة كاذباً بدون إثم فجزائه ما عرفتم.

قال: [فيكفي في كون التولي يوم الزحف كبيرة ذكره مع أعظم الكبائر، وهي: الشرك والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات] ويكفي في التولي أنه كبيرة أنه ذكر مع أعظم الكبائر، وليس هناك أعظم من الشرك وقتل النفس.

إن طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره، واجتناب ما نهى عنه هو سبيل العباد إلى مرضاته، والفوز بجنته، وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم من طاعته، ومن أعرض عن طاعتهما والانزجار عن نهيهما فإنما حاله كحال البهائم التي لا تعقل ولا تمتثل، بل حال ذلك شر من البهائم، فلا خصلة شر من الكفر. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا على عهدنا في نداءات الرحمن جل جلاله، وعظم سلطانه، والبارحة كنا مع نداء خطير جليل، ونعيد تلاوته تذكيراً للناسين، وتعليماً لغير العالمين. قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [الأنفال: 15-16].

هذا النداء يحمل بيان كبيرة من كبائر الذنوب حتى لا نرتكبها ولا نقع فيها، وهذه الكبيرة هي أننا إذا زحفنا على العدو وزحف علينا وتلاقت الجيوش فالذي يعطيهم دبره ويهرب مأواه جنهم وبئس المصير.

وقد عرف المؤمنون أيام أن كانوا يدرسون كتاب الله أن التولي يوم الزحف من كبائر الذنوب، وقد أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سمعتم من الحديث لما سأله عن الموبقات، فذكر منها: (التولي يوم الزحف). فاحفظوا هذا النداء؛ لأنه يحمل إليكم علماً عظيماً، وكبيرة من كبائر الذنوب، وصاحبها إن لم يتداركه الله بالتوبة والعفو فحسبه أن مأواه جنهم وبئس المصير، مع غضب الله عز وجل.

وجوب طاعة الله والرسول صلى الله عليه وسلم وحرمة معصيتهما وحرمة التشبه بالمنافقين

الآن [النداء الخامس والأربعون] وهذا النداء [في وجوب طاعة الله والرسول صلى الله عليه وسلم و] في [حرمة معصيتهما، وحرمة التشبه بالمنافقين] فالله مولانا ينادينا ليعلمنا أن طاعته وطاعة رسوله واجبة، ومن عصى الله ورسوله تعرض للعذاب في الدنيا والآخرة، وليعلمنا أن التشبه بالمنافقين في كل سلوكهم محرم على المؤمنين؛ لأن القاعدة التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن يستطيع علماء النفس ولا القانون الباطل أن ينقضوها هي قوله صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم)، أي: من أراد أن يكون مثلهم فأخذ يتشبه بصفاتهم وأحوالهم لا يلبث أن يكون منهم، فإن أنت تشبهت بالصالحين فستكون صالحاً، وإن تشبهت بالفاسدين فستكون فاسداً.

وهيا نتغنى بهذا النداء لنحفظه بإذن ربنا، ومن يعود بنداء وقد حفظه وفهمه ووطن النفس على العمل به فبشروه بحسن العواقب، فقد فاز، وإذ كان أبناؤنا وأباؤنا يحفظون الأغاني الماجنة والقصائد البدعية الشريكة، ويتغنون بها ويفرحون فنحن والحمد لله نتغنى بآيات الله، وبنداءاته لنا، ونحفظها ونفهم مراد الله منها، ونعزم على أن نطبق وننفذ؛ من أجل أن نكمل؛ حتى نتهياً للملكوت للأعلى، وننتهياً لأن نخترق السبع الطباق، وننزل في الفردائيس العلى، والبرهان على هذا قوله تعالى في سورة النساء: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ [النساء: 69]، أي: المطيعون مع الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا [النساء: 69].

ولا يكذب علينا ربنا، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

[الآيات (20، 21، 22، 33) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا

يَعْقُلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ [الأنفال: 20-23]] هذا قضاء الله وحكمه، وهذه هي الحكمة الإلهية، وهذا هو النور الإلهي.

الكفار شر الخلق عند الله عز وجل

قال: [أما قوله تعالى: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ [الأنفال: 22]] والدواب هي كل ما يدب على الأرض من الهرة إلى الأسد، والدواب مختلفة، ومنها السباع والضباع والبشر، وشر الدواب ليس الضباع والله، ولا القردة ولا الخنازير، وإنما هم شر الدواب [الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ [الأنفال: 22]] والأصم: الذي لا يسمع، والأبكم الذي لا ينطق. والمقصود الكفار والمشركون، كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ [البينة: 6].

وأصبحوا شر البرية وشر الدواب؛ لأنهم يخلقهم خالقهم ويرزقهم ويربيهم ويكملهم، ويخلق كل شيء لهم ومن أجلهم وهم يكفرون به ويسخرون منه ويستهزئون به، ويخرجون عن طاعته، وهذا لا تفعله القردة ولا الحيوانات، بل لا يفعل هذا إلا بني آدم والجن، فهو يخلق ويرزق ويعطي ويهب ويعد لنا الجنة بكاملها ويخلق كل شيء من أجلنا، ولا يطلب منا إلا أن نركي أنفسنا، لنجاوره فنأبى إلا تخبيثها بمعاصيه والفسق عن طاعته.

ومن فعل هذا حقاً فهو شر الدواب. واقرأوا: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ [الأنفال: 22]. واقرأوا أيضاً قول الله تعالى من سورة البينة: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ [البينة: 6]. ومعنى البريئة: الخليفة، وبارئ النسم الله.

وقلنا: البريئة ولم نقل: البرية لأن أصلها البريء هذا أصلها، ولكن طلباً للخفة والتيسير حولوا الهمزة ياءً وأدغموها في الياء، فكانت البرية، والأصل هي البريئة، والبريئة بمعنى المبروءة، فاعلة بمعنى مفعولة، والخليفة بمعنى المخلوقة.

فسر الخلق الكفار والمشركون، لا القردة ولا الخنازير، ولا تعتب علينا يا عبد الله! فسيدهم وخالقهم ومالكهم هو الذي سماهم بهذا الاسم، ولا دخل لك أنت، ولو أردت أن تعرف لعرفت يقيناً إنهم والله لشر ما خلق الله. قال: [فهو إخبار منه تعالى يخبر عباده المؤمنين بحال الكافرين؛ ليكونوا على بصيرة في أمر دعوتهم وجهادهم ومعاملاتهم، يخبرهم بأنهم شر الدواب، وعلة ذلك: كفرهم بربهم وشركهم به أوثاناً، فعبدوا غيره، وضلوا عن سبيله، ففسقوا وظلموا وأجرموا، الأمر الذي جعلهم حقاً شر الدواب في الأرض.

كان هذا تنديداً بالمشركين واليهود الكافرين والمنافقين [في المدينة] وفي نفس الوقت هو تحذير للمؤمنين وفي كل زمان ومكان ودائماً وأبداً [تحذير] من معصية الله ورسوله، والإعراض عن كتابه وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم [والوقع شاهد، فقد ذل المسلمون وهبطوا وافتنقروا وهانوا لما عصوا ورسوله وأعرضوا عن كتابه] لأن الشر الذي أصبح فيه المندد بحالهم من المشركين والكافرين من اليهود والمنافقين إنما كان بسبب معصيتهم لله ورسوله، والإعراض عن كتابه وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم.

كان هذا معنى قوله تعالى: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ [الأنفال: 22]. أما قوله تعالى في الآية الثالثة من آيات هذا النداء الخامس والأربعون: وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ [الأنفال: 23] إن هذا من باب الفرض والتقدير [فلو أسمعهم لأعرضوا؛ لأنه علم أن لا قبل أن يخلقهم أنهم لا يقبلون الهدى ولا يطلبونه.

وهذا المعنى قد قربناه لألفهام والحمد لله، وقلنا: الفلاح الذي يحمل في كفه بذر الحبيب - وفي المغرب يسمونه: الدلاع، وفي العراق يسمونه: الرقي- وهذا الحبيب حلو ويحمل في كفه الثانية بذر الحنظل - والحنظل نوع من أنواع الحبيب إلا أنه صغير لا يكبر، وبذره وهيكله ونباته وشجرته سواء، وطعمه أشد مرارة، يضرب به المثل- هذا الفلاح يعرف أين يغرس هذا وأين يغرس هذا؛ لأنه عرف ما ينتج عن هذا، وعرف ما ينتج عن هذا.

والله عز وجل لما خلق الأرواح نظر إليها، فعرف الروح التي تستجيب لندائه ودعوته وتقبل على طاعته، فكتب ذلك لها، وعرف الروح التي كحبة الحنظل تنمرد على رسله، وتخرج عن طاعته وتحارب أوليائه، فكتب ذلك، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [فصلت:46].

فاعرفوا هذه الحقيقة [إذا سبق علم الله تعالى بهم في أنهم لا يسمعون؛ إثارةً منهم للكفر على الإيمان، والفسق على الطاعة، والضلال على الهدى.

لذا لو أسمعهم - أي: لو جعلهم يسمعون آيات الله كما يسمعها المؤمنون الموحدون، ويعرفون ما تدعو إليه من الهدى، وما تحمله من بشارة المؤمنين ونذارة للكافرين والمنافقين والمشركين- لتولوا وهم معرضون [بعد السماع] والعياذ بالله تعالى.

وسر هذا الإعراض بعد السماع هو: أن سنة الله تعالى في الإنسان أنه إذا توغل في الشر والفساد والظلم والخبث يصبح غير قابل للخير والإصلاح والعدل والطهر [وأقرب مثال لذلك: أن المدمن على الحشيشة كالكوكايين والأفيون لو تعطيه ما تعطيه لا يترك ذلك، والمدخن الذي ألف التدخين خمسين سنة تعظه: يا عبد الله! هذا حرام، فيقول: نعم، استغفر الله، ولا يستطيع تركها. وهذه سنة الله.

فإذا توغل العبد في الفساد لا يرجع، ومثل ذلك: إذا انتشر المرض واستشرى في الجسم الأطباء يقولون: لا علاج، وفي بدايته يعالجه وقد يشفى المريض، لكن إذا استشرى الداء وانتشر يقولون: لا نستطيع، فات الحال. فلهذا التوبة تجب على الفور، وإياك أن تقول: سأتوب غداً.

فإذا زلت القدم ووقعت في المعصية فقم وأنت تصرخ: أتوب إلى الله واستغفره، وأما أن تؤجل فوالله لا تأمن أن تصبح تلك المعصية لازمة لك، كمعاص كثيرة لا يستطيع أصحابها أن يتركوها، فقد أصبحت طبعاً من طباعهم وصفة من صفاتهم.

قال: [فقد تدعوه ويسمع منك ما تدعوه إليه، وقد تبشره] ولا يستجيب. واليقية غداً إن شاء الله.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
النهى عن معصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

قال: [أما قوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ [الأنفال:21] فإنه ينهاهم عز وجل [عن] أن يسلكوا مسلك المشركين واليهود والمنافقين؛ إذ الكل كان موقفهم مما يدعوههم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم واحداً، وذلك في التصامم عن سماع الآيات الحاملة للحق والداعية إليه، والمبينة للهدى والفوز به، وفي التعامي عن رؤية آيات الله الدالة على توحيده، كأنهم يقولون - بل يقولون-: إنا عما يقول محمد في صمم، وفيما يذكر ويدعو إليه في عمى؛ إذ هم يقولون: سمعنا بأذاننا وهم بقلوبهم لا يسمعون؛ وذلك لأنهم لا يفكرون ولا يتدبرون، فلذا هم في سماعهم كمن لا يسمع؛ لأن العبرة في السماع الانتفاع به، لا مجرد سماع الصوت.

كان هذا معنى قوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ [الأنفال:21] [وإنما يكذبون. فلا تتشبهوا بالكافرين واليهود والمشركين.

أمر المؤمنين بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

والآن مع شرح النداء: [اعلم أيها القارئ الكريم! والمستمع المستفيد! زادكما الله علماً وحلماً وحكمة، اعلم أن الله تعالى في هذا النداء ينادي عباده المؤمنين الذين آمنوا به وبرسوله، وصدقوا بوعدته ولأوليائه، وهو النعيم المقيم] وصدقوا [بوعدته لأعدائه، وهو النار وبئس المصير] وهؤلاء هم المؤمنون، فهم الذين آمنوا بالله وبرسوله وبلقائه، وآمنوا بوعدته ولأوليائه ووعدته لأعدائه، وقد وعد الله المؤمنين الجنة، وتوعد الكافرين والمشركين بالنار وبئس المصير [وذلك يوم لقائه سبحانه وتعالى] والله العظيم إننا سنلقى الله وجهاً لوجه في ساحة فصل القضاء، وهي ساحة عظيمة في يوم القيامة، وإذا أردتم أن تشاهدوا ساحة فصل القضاء فاسمعوا: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

[الزمر: 68-69] إذا جاء الله، وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [الزمر: 69].

هذه ساحة فصل القضاء.

فقوله: وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا [الزمر: 69] هذه أرض الفصل والقضاء، وهي ساحة الحكم. وَوُضِعَ الْكِتَابُ [الزمر: 69].

والكتاب: الصحف، وهناك من يأخذ كتابه باليمين، وآخر يأخذه بشماله، ويوضع الميزان، ويجري التنفيذ للأحكام. قال: [فيأمرهم] أي: أوليائه المؤمنين [بطاعته وطاعة رسوله، وينهاهم عن الإعراض عنه، وهم يسمعون الآيات تتلى] وتقرأ عليهم [والعظات والمواعظ تتوالى في كتاب الله عز وجل وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن نصرهم وتأييدهم كان ثمرة إيمانهم وطاعتهم، فإن هم أعرضوا وعصوا فقد تركوا، وقد خسروا ولاية الله تعالى لهم، وأصبحوا كغيرهم من أهل الكفر والفسق والعصيان.

هذا معنى قوله تعالى في أول النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ [الأنفال: 20] [يعني: يسمعون ويدبرون ويعرضون.

فضل الجلوس في حلق العلم

قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده). وقد حصل لنا هذا، فنحن في بيت من بيوت الله، بل من أقدسها، ونحن نتلوا كتاب الله ونتدارسه بيننا، والسكينة قد نزلت علينا، فنحن لا نسمع صوتاً وصيحاءً وضجيجاً كأصوات الأسواق والمقاهي، بل سكينة كاملة، والملائكة لو كنتم ترونهم والله لرأيتموهم يطوفون بالحلقة ويحفون بها، والله يذكركم في الملكوت الأعلى، ويثني عليكم خيراً، ويقول: عبيد اجتمعوا في بيتي، يتلون كتابي، ويتدارسونه بينهم؛ ليزداد إيمانهم ويقينهم وطاعتهم وصلاحهم. فالحمد لله.

والذي يحفظ هذا النداء ويعود به فقد عاد بخير ما يعود به إنسان إلى بيته.

ولو كان أهل البلاد كلهم هكذا، ولو أن كل حي فيه مسجد كهذا هم الآن بنسائهم وأطفالهم وفحولهم يدرسون كتاب الله لكان وضع الأمة أو البلد أشباه الملائكة، فلا حسد ولا كبر، ولا بغض ولا سرقة، ولا جريمة ولا خداع، بل حب وولاء، وظهر وصفاء؛ لأن آيات الله تحمل ذلك الهدى.

حال أمة الإسلام اليوم وحاجتها إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله من أجل نجاتها

احتال العدو على المسلمين، وصرفهم عن كتاب الله إلى الأغاني والأناشيد، وصرفهم عن بيوت الله إلى المقاهي والملاهي، وأنساهم ذكر الله، فعم الجهل، وتجلت حقائق الجهل في الخداع والكذب، والكبر والغش، والزنا والربا، والفجور وغير ذلك، لا إله إلا الله! فأصبحنا عرضة لضربة إلهية، وقد فعل بنا، وراجعوا التاريخ، فقد سلط الله علينا بريطانيا، فأذللتنا وأهانتنا، وسلط علينا إيطاليا وأسبانيا وفرنسا، وحتى بلجيكا وهولندا، وقد سلطهم علينا لأننا فسقنا عن أمره، وخرجنا عن طاعته، وجهلناه وما عرفناه، ولا عرفنا ما يحب ولا ما يكره، فانقسمت القلوب وتمزقت الأهواء والآراء، وأصبحنا أمماً بعد ما كنا أمة، وأصبحنا طوائف وملاً ونحلاً بعد ما كنا على ملة محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم نتراجع عما نحن فيه، بل وما زلنا نعد هذا الكلام من باب الخيال والأوهام، فأهل أهل القرية لا يمكن أن يتركوا عملهم، ولا أن يرموا بمساحيهم وأدواتهم ويأتوا بنسائهم إلى المسجد، ولكن يمكنهم أن يذهبوا إلى المقاهي والملاهي.

وقلنا لهم: انتسوا باليهود والنصارى، فإذا مالت الشمس إلى الغروب الساعة السادسة فأوقفوا دولا ب العمل، وأوقفوا المصانع والمتاجر، ولا تحملوا أطفالكم ونساءكم إلى الملاهي للتنفيس عنهم، والتخلص من كرب العمل والآلام والأتعاب، فهذا كلام من لا عقل له ولا بصيرة، بل أقبلوا على الله في بيته بنسائكم وأطفالكم؛ لأنه سيدنا ومولانا، وقد دعانا إليه؛ لنتعلم هداة، ولنعرف كيف يحبنا ونحبه، وفوق ذلك لننتهي لأن ننزل بجواره في دار السلام، فإذا أعرضنا عن الدنيا ساعة ونصفاً من الليلة فلا يعد هذا شيئاً أبداً، ولكن الذين هبطوا من علياء السماء رفعهم أمر عظيم، فأمتنا هبطت وقد كانت كالكوكب الزهر في سماء الدنيا تنير الحياة، وهبطت من السماء إلى الأرض، ولا أحد ينصحها،

وجئنا بالاشتراكية وتغنيينا بها، وقلنا: نوالي من يواليها ونعادي من يعاديها، وظننا أننا وجدنا باب الكمال والإسعاد، وما هي إلا جولة وإذا نحن في شر أشد مما كنا قبل، ثم تغنيينا بالديمقراطية واليمين وغير ذلك، وإذا بنا نهبط فوق ذلك الهبوط، وبعد فشلنا لم نستطع أن نتحرك.

ووالله إن الرافعة لهذه الأمة الهابطة موجودة، ولا تعرف الدنيا رافعة مثلاً، وهي لا تباع ولا تشتري، وإنما تعطى مجاناً لطالبيها والمعين الله، وهذه الرافعة لا توجد في شرق أوروبا، ولم تصنعها اليابان، وإنما هي ورب الكعبة هذه الآيات فقط، فقد قال تعالى من سورة الأعراف، والأعراف سوف تشاهدونهم يوم القيامة، قال تعالى: **وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا [الأعراف:175]** مثلنا، ولا تسأل عن مثالنا.

فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ [الأعراف:175] لأن المناعة ضاعت وذهبت، **فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ [الأعراف:175]**. ولن تجد حروفاً تدل على الغواية أكثر من هذا الوسخ في العقل .. في الفهم .. في السلوك، وفي كل الحياة. **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ [الأعراف:176]**.

وليس كمثل الأسد أو السبع.
إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ [الأعراف:176].
أمنت بالله.

وأحسب كل سامع فهم الآن، فالرافعة ليست مصانع الأيدروجين والطاقة والأموال، وإنما الرافعة هي آيات الله، ومنها هذه النداءات التي نسمعها.

واسمع الآية مرة ثانية واعجب: **وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ [الأعراف:175]** يا رسولنا! وقرأ عليهم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا [الأعراف:175].

كما أعطانا الله آياته، وحفظها نساؤنا وأطفالنا ورجالنا.
فَانْسَلَخَ مِنْهَا [الأعراف:175].

وامش إلى المحاكم العالم الإسلامي باستثناء المملكة، وادخل المحاكم فلن تجد فيها كتاب فقه ولا سنة ولا حديث. وهذا هو الانسلاخ عن آيات الله، فبعد أن كان يحفظها وتحوطه وتصونه تركها ليغني ويزغرد كما يشاء، ولما انسلك منها زالت المناعة، ولم يبق له حصن، **فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ [الأعراف:175]**.

فوقع في الزنا والربا والخيانة والكذب والجبن والعار والشح والبخل، وكل المعاييب، ولصق بالأرض. **وَلَوْ شِئْنَا [الأعراف:176]** والقائل هذا هو الله رب العالمين، **لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ [الأعراف:176]** مع الأسف **أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ [الأعراف:176]**.

والخلود إلى الأرض: الركون إليها، فكان لا يفكر إلا في النكاح والأكل والشرب والمال، وكيف يحصل عليه فقط، ولا يرفع رأسه إلى السماء، ولا يفكر في الدار الآخرة، ولا في أي شيء آخر. **وَاتَّبَعَ هَوَاهُ [الأعراف:176]**.

ولو اتبع عقله لدفعه إلى أن يغير حاله، ولكنه اتبع الهوى، فإذا أردت أن تضع له مثلاً صادقاً فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ [الأعراف:176].

فإن جريت وراءه فلسانه مدلى، وإن تركته عند البركة والماء والظل ظل الشجرة- فهو يلث أيضاً. والله لن تنتهي حيرة المسلمين حتى يعودوا إلى كتاب الله وإلى هذه الدعوة المحمدية، وقد حلفنا على هذا أربعين سنة، ولا تبكوا ولا تحزنوا، فأنتم إن شاء الله متهيئون إلى السماء، فالنجاه النجاه! فاطلب نجاه نفسك وإن غرق العالم بأسره.

وننجي أنفسنا بأن نطهرها ونزكيها وننظفها، فلنطلب أدوات ذلك، ولنستعملها على علم، فإذا زكت نفسك وطابت وطهرت فابشر؛ فإنك من الفائزين، سواء كنت غنياً أو فقيراً، وضيقاً أو شريفاً، ولا عبرة بأي شيء، بل العبرة بطهارة النفس، وقد عرف أبناؤنا وبناتنا حكم الله في هذا، فقد قال تعالى: **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس:9]**، أي: من زكى نفسه.

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:10].

فإذا أردت الفلاح فزك نفسك، فالفلاح والله منوط بتزكية النفس، فهبنا نزكي أنفسنا، ومن الآن نمشي إلى أهل العلم يدلوننا ويعلموننا الأدوات التي نزكي بها أنفسنا، فالنفس تزكو بالإيمان والعمل الصالح، وتخبث بالشرك والمعاصي، فإذا فهمنا هذا عدنا إلى البيت وقد عرفنا أدوات التزكية وأدوات التدسية، والإيمان - حتى نؤمن - هو: أن تؤمن بالله

رباً وإلهاً لا رب غيره، ولا إلهاً سواه، وأن تؤمن بملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقضاء والقدر، ولا تفرق بين رسول ورسول، ولا بين نبي ونبي، فإذا عرفت هذا فعلمه أهلك.
والعمل الصالح ليس رقصة ولا أغنية، وإنما أنواعه كثيرة، ويحتاج إلى أن تعكف على طلبه مدة من الزمن حتى تعرفه، ولا أستطيع أن أبينه بكلمة، ولكن تعالوا إلى بيت ربكم بنسائكم وأطفالكم كل ليلة، وستتعلمون العمل الصالح ليلة بعد أخرى، ولا يمضي عليكم زمن إلا وقد عرفتكم العمل الصالح، وكيف تستعملونه في تركية نفوسكم وتطهيرها.

فخذ أهلك إلى بيت الله، فإذا اجتمعوا في بيت ربهم اجتماعكم هذا كل ليلة من المغرب إلى العشاء لن يمر إلا عام .. عامين .. ثلاثة ووالله لا يبقى من لا يعرف الإيمان والعمل الصالح، ولا من لا يستخدمه في تركية نفسه وتطهيرها.
فاعرفوا هذا أيها المستمعون! ويا أيتها المستمعات! قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].
وإذ أردت أن تعرف الفلاح والتدسية والخسران والخبية فأقول: إن الله بين لنا هذا في آية من كتابه، وقد حفظها المستمعون والمتسمعات، وأصبحت عندهم من الضروريات، وهي: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران:185].
هذا الفوز والفلاح، أن تبعد عن عالم الشقاء والنار، وتدخل الجنة.

إن الاستجابة لله ورسوله في الأمر والنهي هي ما يخول العبد الوصول إلى الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة، فانه عز وجل ورسوله لا يأمران العبد إلا بما يصلحه، ولا ينهاه إلا عما يضره ويخسره، والإعراض عن أوامر الله ورسوله سبب لفتح باب فتن عظيمة من الشر والفساد، لا يصيب الظالمين والمعرضين خاصة، وإنما يعم الأرض عياداً بالله.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

سائلين الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زمرة، وأن يرضي عنا كما رضي عنهم. اللهم آمين.

والنداء الخامس والأربعون الذي كان يوم أمس بقيت فيه بقية، وقد وعدناكم أن نتلوها عليكم، وأن نسمعها جميعاً، لكن قبلها نعيد ذلك النداء.

أَعُوذُ بِاللَّهِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ [الأنفال: 20-23].

وقد عرفنا أن مولانا وسيدنا وربنا وإلهنا نادانا بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمنين أحياء يسمعون ويعقلون، وإذا أمروا فعلوا، وإذا نهوا تركوا؛ لكمال حياتهم، فأمرنا بطاعته وطاعة رسوله، فإذا أمرك يا عبد الله! مولانا بأمر فاجتهد في تنفيذه وإن كان ما كان، وإذا نهاك عن فعل شيء فاجتنبه طاعة لله، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك فامتثل الأمر، وإذا نهاك فاجتنب النهي، واحذر أن تسمع أمر الله أو أمر رسوله أو نهى الله أو نهى رسوله ثم تتولى عنه وكأنك لا تسمع.

ثانياً: لا تأتس بالمنافقين والمشركين والكافرين الذين يقولون: سمعنا ما تقول وما تدعو إليه، وهم لا يسمعون بقلوبهم؛ لأنهم غير عازمين على فعل الأمر وعلى ترك النهي، كما قال تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ [الأنفال: 21].

وقد كانوا متواجدين في المدينة.

ثم علمنا أن شر الخلق وشر الدواب -وكل ما دب على الأرض فهو دابة- شرهم الصم البكم الذين لا يعقلون، والأصم الهدى والخير أبداً.

فهم لا يعقلون ولا يفقهون ولا يفهمون؛ لأن محطة التلقي والإرسال خربة، فقد خربوها بالشرك والمعاصي، وأصبح ذاك الجهاز في صاحبنا لا يتمكن من أن يعقل ويفهم ما يقال له، أو يؤمر به أو ينهى عنه.

ثم عرفنا حقيقة، وهي أن الله عز وجل لما خلق الأرواح، وعرف الروح التي إذا أمرت تستجيب وإذا نهيت تستجيب، فقد عرفها أولاً، ولما عرف منها ما تريده وتطلبه وتريد أن تعيش عليه كتب ذلك في كتاب المقادير، فيكتب فلاناً شقياً، وفلاناً سعيداً، ثم لما يحين وقت خروج وظهور الروح التي لا تستجيب فإنها لا تقبل موعظة، ولا تسمع ولا تستجيب، بل تسخر وتضحك وتحارب الرسل، وتحارب دعوة الله وأوليائه الله.

وهذا دلّ عليه قوله: وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ [الأنفال:23]، أي: لجعلهم يسمعون نداء الله رسوله، ولكن علم أنه لا خير فيهم، فقد علم هذا أولاً، وعرف أن هذه الروح تعرض عليها هداية الله فترفضها، وأنها تدعى إلى الله فتكفر، فكتب ذلك، ولكن لها إرادة وحرية، ولا تفهم أن الله يكره عبداً على الكفر أو على الإيمان؛ لأن الدار دار امتحان، ولو كان هناك إكراه لم يكن هناك كلام، ولكن هذا اختيار العبد، فلهذا المكروه على المعصية لا يؤاخذ بها، ولا يكتب عليه شيء.

ولا ننسى المثل الذي فتح الله به علينا لهذه الحقيقة، وهو: أن الفلاح الذي في أحد كفيه بذر حنظل وفي كفه الآخر بذر حبّ حبّ قبل أن يبذر وقبل أن يسقي وقبل أن يأخذ الفائدة يعرف أن هذه تنتج حنظلاً مراً قاتلاً، وهذه تثمر حبّ صالحاً نافعاً قبل الوجود.

وهذا المثل يقرب المعنى الذي عرفتم.

فالشقي من شقي في كتاب المقادير، والسعيد من سعد فيها، أي: من كتب الله شقاوته وسعادته، وكل الذي يقع هو حسب نظام الله في خلقه، فهو يبعث الرسل، وينزل الكتب، ويوجد دعاة يأمرهم وينهون، والروح التي كانت متأهلة في الملكوت الأعلى سرعان ما تعود إلى الله وتستجيب لندائه، والتي عرف الله شقاوتها وأنها لا ترغب في الهداية ولا النور أبداً كتب عليها ذلك، وقال: وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ [الأنفال:23].

أمنت بالله. قال: [أما قوله تعالى في الآية الثالثة من آيات هذا النداء الخامس والأربعون: وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ [الأنفال:23]] فهو عازم أن لا يعود [إن هذا من باب الفرض والتقدير؛ إذ سبق علم الله تعالى بهم في أنهم لا يسمعون؛ إثارة منهم للكفر على الإيمان، والفسق على الطاعة، والضلال على الهدى. لذا لو أسمعهم - أي: لو جعلهم يسمعون - آيات الله كما يسمعها المؤمنون الموحدون، ويعرفون ما تدعو إليه من الهدى، وما تحمله من بشارة للمؤمنين، ونذارة للكافرين والمنافقين والمشرّكين لتولوا وهم معرضون والعياذ بالله تعالى.

وسر هذا الإعراض بعد السماع هو: أن سنة الله تعالى في الإنسان أنه إذا توغل في الشر والفساد والظلم والخبث يصبح غير قابل للخير والإصلاح والعدل والطهر، فقد تدعوه ويسمع منك ما تدعوه إليه، وقد تبشره ويسمع منك البشارة وسببها، وقد تنذره [فيفهم عنك النذارة وما أنذرت منه، ولكن لتوغل في ظلمة الشر والفساد والخبث والشر يجد نفسه مصروفاً تمام الصرف عما تدعوه إليه.

فلذا حذر الكتاب والسنة من تأخير التوبة، وأمر باستعجالها؛ مخافة أن العبد إذا استمر في المعصية زمناً تصبح طبعاً له من طباعه، وخلقاً ثابتاً له، فلا يقدر على تركها، فيهلك بها والعياذ بالله تعالى [والآن وقف إلى جنبي أحد الصالحين وقال: إن عبداً من عباد الله توغل في شرب الحشيشة، وهو ييكي؛ لأنه لم يستطع أن يتركها، فادع الله له. اللهم طهره، اللهم زكه، اللهم نجه، اللهم أبده من هذه الفتنة يا رب العالمين! اللهم يا مغير الطباع! وطابع الطباع! غير طبعه الفاسد إلى طبع صالح؛ حتى يصبح يكره هذا الخبث، ويلعنه ويلعن أهله. اللهم آمين.

وهنا بشرى: أحد الصالحين الذي ضاع منه شيء وقال: ادع الله لنا جاءني الآن ووجهه متهلل بالبشر، وقال: لقد رد الله عليّ ضائعتي، ووالله ما وسعني إلا البكاء. فالحمد لله.

قال: [هذا وأخيراً: لنعلم أن الله في هذا النداء أعلمنا بما يلي] فهذه هي الخلاصة: [أولاً: وجوب طاعة الله ورسوله [فلو قال لك الله: عبدي! لا تأكل فلا تأكل، ولو قال لك: عبدي لا تشرب فلا تشرب؛ لأنه سيدك ومولاك. ووالله لا يأمرك ولا ينهك إلا من أجل إكمالك وإسعادك، فلا تتردد إذاً، واصبر على طاعته وطاعة رسوله.] ثانياً: حرمة التشبه بالمشرّكين والكافرين [واجتهد أن تكون لك صورتك الإيمانية. فلا بد من مخالفة.

وقلنا: حتى الفساق والفجار من المؤمنين يجب أن لا نتشبه بهم، فضلاً عن الكافرين والمنافقين، لا في المنطق ولا في السلوك ولا في الحركة ولا في المشية ولا في الوقوف، بل تميز دائماً، فأنت ولي الله، وهو عدو الله. وقد عرفتم القاعدة - وهي تساوي مليار دولار - وهي: (من تشبه بقوم فهو منهم).

ولو يجتمع أهل الأرض على أن ينقضوا هذه والله ما استطاعوا نقضها، ومستحيل أن ينقضوها، فهذا قول رسول الله، وهاتوا شخصاً تشبه يقوم ثم لو يكن منهم، بل الذي يتشبه بزان مجرم لن يلبث أن يكون مثله، ومن تشبه بمشرك ضال فلن لا يكون إلا مثله، وكذلك من تشبه بأي شخص، ومن تشبه بالصالحين لن يمسى إلا منهم. والرسول يتكلم عن سنن الله.

فإذا رغبت في الشر وأصبحت تتناوله وتتعاظه وتفرح أن تكون مثل أهله فستكون مثل أهله. [ثالثاً: أن من الناس من هم شر من الكلاب والقردة والخنازير؛ وذلك لتوغلهم في الشر والفساد والخبث والظلم، ويؤيد هذا قوله تعالى] من سورة البينة: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ] [البينة:6]، أي: الخليقة] والذي قال هذا الله جل جلاله.

فهم شر الخليقة، ويدخل في الخليقة الكلاب والحيات والقردة والخنازير والسباع والضباع، فكل هذه خليقة. وشر الخليقة أهل الكفر والشرك بالله، وقد بينت لكم وجه كونهم شر الخليقة، فالضبع والسبع والقردة والخنزير لم يأمرهم الله وعصوه، بل هم يعيشون حسب ما كتبه الله لهم وقدره عليهم، والآدمي العاقل العارف الفاهم الذي خلقه الخالق ويرزقه الرازق، ويكلؤه ويحفظه، ويعلمه أنه خلق كل شيء من أجله، ولم يطلب منه سوى أن يذكر ويشكر فإنه يكفر بالله، فلا يذكر ولا يشكر، فهو شر الخلق.

والذي لا يقبل هذا ولا يستسيغه ما آمن بالله، فليراجع إيمانه؛ إذ أن الذي أخبر بهذا ليس هو علي بن أبي طالب ولا أبو بكر الصديق ولا الإمام أحمد، بل هذا كلام الله، فقد قال: أُولَئِكَ [البينة:6] لا سواهم هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ [البينة:6]. وإنما فقط ادرس القضية وستعرف السبب، فهو الذي خلقتك ورزقك وكرمك وأعطاك، وخلق العوالم كلها من أجلك حتى الجنة والنار، وطلب منك أن تعتقد وتقول وتعمل من أجل تطهير نفسك وتركية روحك؛ من أجل أن يرضى عنك، وينزلك بجواره، ثم تطيع الشياطين والخبثين والمجرمين، وتعصيه وتتحداه. فإذا فعلت هذا فأنت شر الخلق إذاً.

وأخيراً: [ألا] وهي بمعنى: ألو، وألو هذه أصبحت شائعة ذائعة، يتلذذ بها حتى النساء، وألا الربانية مهجورة لا نعرفها، وقد قال الله: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62]. وهؤلاء الأولياء يا عباد الله! ليسوا سيدي عبد القادر ولا البدوي ولا العيدروس، فهذه خرافات، بل أولياء الله الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63].

فهم طول حياتهم يتقون ما يسخط الله عليهم ويغضبه، وذلك بامتنال أمره واجتناب نهيه، فهم في مجاهدة للنفس والهوى والدنيا حتى يلفظوا أنفاسهم الأخيرة. أولئك هم أولياء الله. اللهم اجعلنا منهم.

قال: [فلنذكر هذا، ولنعمل على طاعة الله ورسوله، ولا نُصِرَ على معصيتهما ساعة فضلاً عن يوم أو أسبوع أو شهر أو عام؛ حتى لا نصبح من شر الدواب. والعياذ بالله العزيز الحكيم.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] هذا نداء أمس. وجوب الاستجابة لنداء الله والرسول إذا أمرا أو نهيا أو بشرا أو أنذرا

الآن مع النداء المبارك الجديد، وهو [النداء السادس والأربعون] وأبشركم: أن بينكم صالحين، فقد جاءنا أمس شيك بعشرة آلاف باسم عدنان، وقال: نريد المساهمة في طبع النداءات، وقال: على أن تعطوني عشر العدد هذا أقوم أنا بتوزيعه، فقلنا: نعطيك خمسة.

سدسه، وكلنا يوزع، والآن عند باب المسجد شخص وضع في كفي مالا، وقال: خذ هذا، نريد الإسهام في طبع الكتاب، ومعنى هذا: أننا قد نطبع إن شاء الله عشرات الآلاف. ويبقى أن الشيطان لن يسمح للمؤمنين أن يتناولوا هذا الكتاب ويقرءونه ويتعلمون الهدى منه، إلا إذا لعناه، واستعذنا بالله منه، فإن الله يعيننا. وهذه النداءات التسعون لم نسمع فيها غير الحق والهدى والنور؛ إذ المنادي هو الله جل جلاله وعظم سلطانه.

ونأمل أن يكون هذا الكتاب في بيت كل مؤمن، ونأمل أن يوجد أيضاً في الفنادق في العالم الإسلامي، وأن يترجم إلى لغات حية كالإنجليزية والفرنسية، وأن يوجد في فنادق أوروبا وأمريكا، فإذا دخل النزيل وتلملم وأراد أن يقرأ فبدلاً من أن يجد الإنجيل الأعمى المظلم، الذي ليس فيه إلا الضلال والخرافة، يجد نداءات ربه، فيقرأها، فإنه لن يجد نداء يدعو إلى غير الفضيلة والكمال والإسعاد للبشرية.

ونحن نصرخ ونبكي، والأمر لله.

وهذا النداء مضمونه فحواه مطلوبه [في وجوب الاستجابة لنداء الله والرسول إذا أمرا أو نهيا أو بشرا أو أنذرا، ووجوب اتقاء الفتن بما تُنتقى به] وجعل وقاية بيننا وبينها؛ حتى لا تلتهمنا نارها، ونخسر دنيا وأخرى. بهذا أمرنا الله في هذا النداء.

وهي نتغنى ساعة بهذا النداء الكريم.

[الأيتان (24 ، 25) من سورة الأنفال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال:24-25]] قوله: لِمَا يُحْيِيكُمْ [الأنفال:24] دليل على أن الله لا يدعو عباده لما يميتهم، ولا لما يخسرهم، والله ما دعانا إلا لما يزيد في حياتنا وكمالنا وسعادتنا، وإنما هذا من باب التذكير فقط، وإلا حاشا لله وحاشى لرسوله أن يدعونا لما فيه قتلنا وموتنا وهلاكنا.

والآن مع [الشرح:] قال: [لنعلم أيها القارئ الكريم! أن الله تعالى ما نادى عباده المؤمنين به وبلغائه ليأمرهم إلا من أجل كمالهم وسعادتهم في الدارين] وقد تكرر هذا الكلام، فلا تتصور أن الله ينادينا لا لشيء، فهذا مستحيل، فنحن أولياؤه، فهو لا ينادينا لا لشيء، وإنما ينادينا ليأمرنا من أجل إكمالنا وإسعادنا، ومن أجل أن يحذرنا مما يشقينا ويخسرنا؛ لأنه مولانا وسيدنا وربنا، فهو يريد إسعادنا في هذه الدار وتلك التي وراء هذا الكون [وذلك] واسمع التعليل [لأنهم عبيده وأولياؤه] وفوق العبودية الولاية [والسيد لا يحب لعبده إلا ما يعزه ويكرمه، والولي لا يحب لوليه إلا ما يسعده ويرفعه].

الخطر العظيم الذي يلحق بالأمة عند عدم الاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم

قال: [أما قوله تعالى في الآية الثانية من هذا النداء السادس والأربعين: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال:25] فهذا تحذير خطير للمؤمنين وفي كل زمان ومكان] كإعلان حرب، ولو أعلنت أمريكا حرباً أو روسيا أو اليابان لا هتز العالم، والله إن هذا لأخطر من إعلان حربهم، فانه يقول: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً [الأنفال:25].

وهذه تعم الظالمين وغير الظالمين.

وسيبين الله لنا المراد منها، فهذه الفتنة إذا جاءت تأتي على الأخضر واليابس، وعلى الصالح والطالح، وعلى الشرير والخير، وعلى غير ذلك إذا لم نتق أبداً، وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً [الأنفال:25] أولاً. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال:25].

فإذا عاقب وأخذ من العقب المجرمين والمفسدين فإن عقابه والله شديد، ويحيل النعمة إلى بؤس وشقاء، والأمن إلى ظلم وشر وخوف، ومن أراد أن يتصفح التاريخ يتصفح، وسنذكر نماذج لهذا.

وهذا التحذير [من أن يتركوا طاعة الله ورسوله بعدم الاستجابة لندائهما ودعوتهما إلى فعل الواجبات وترك المحرمات؛ لما يترتب على ذلك من انتشار الشر والفساد بصورة يحق بها العذاب] ويجب [وكان هذا الأمر والنهي المأمور بهما في هذا النداء هما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو] والله [كذلك؛ لأن الفتنة لا تعم المجتمع كله صالحه وفاسده إلا إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] ونحن في الطريق نقرأ النداء وبخنا أنفسنا، فنحن نأمر الناس بأن يأمروا بالمعروف ونحن ما نأمر ولا ننهي، فيا عدنان ! غداً إن شاء الله بعد صلاة العصر نزور أحد إخواننا أمام منزلنا في حيننا نصب قبل ثلاثة أيام دشاً من أكبر الدشوش، وكأنه ما سمع قرار الحكومة ولا أمر خادم الحرمين ولا علماء المسلمين، فهذا ميت وليس حياً، فغداً إن شاء الله نذهب إلى بيته وننصحه بأدب أن يترك هذه الفتنة، وقد بلغنا أن العالم تقزز منها وأنكرها، وهذه فتاوى أهل العلم بأنها حرام في حرام، وأنها خربت القلوب ودمرت النفوس وحولت البيوت إلى حانات، فإذا كان فيه بقية إيمان فسوف يذوب أماننا، وسيقول: والله

لتجلسن حتى أمزقه أمامكم، وإن كان ميتاً فعسى الله أن يحييه، ولو أننا كلنا قمنا بهذا الواجب لما ظهرت الفواحش والمنكرات والأباطيل، ولكن نحن المقصرون، فنحن نقول: ولا نعمل، ولا ننهي ولا نأمر، وهذه حقيقة ينبغي أن نذكرها.

وَأَتَقُوا فِتْنَةً [الأنفال:25] من شأنها أنها لا تصيب الظالمين خاصة، بل يعم عذابها وبلاؤها الخاصة والعامة. عاقبة عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لنستمع إلى أقوال الرسول وأصحابه رضوان الله عليهم: قال: [ويقرر هذا قول ابن عباس - رضي الله عنه- في] تفسير [هذه الآية] وقد دعا الرسول له ربه أن يجعله من أهل التأويل والتفسير، يقول: [أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يُقروا المنكر بين أظهرهم] وهم يشاهدونه [فيعمهم العذاب] والعقاب. وأيما أهل مدينة أو قرية أو إقليم أو مملكة أو جمهورية أو سلطنة كما يقولون أهلها يسكتون فلا يأمررون بالمعروف ولا ينهاون عن المنكر إلا عمهم العقاب. وهذا مشاهد.

قال: [وفي صحيح مسلم ما يقرر هذه الحقيقة ويؤكد لها، فعن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها] وهي زينب بنت جحش، وهي أخت عبد الله، وهو أول من حمل راية الغزو والجهاد، وكانت زينب هذه امرأة زيد أولاً، وقد امتحنها الله وامتنح رسوله وامتنح زيدا، ونجح الكل، فأمتست أم المؤمنين، وزيد لم يذكر صحابي في القرآن غيره، واسمه يتردد إلى يوم القيامة، قال تعالى: قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا [الأحزاب:37]. وأما رسول الله فقد أعطاه من الشرف والكمال ما أعطاه.

فزينب [سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة: (يا رسول الله! أنهلك وفيها الصالحون؟ قال: نعم إذا كثرت الخبث)] والقصة كانت في يوم فيه غيم وسحاب وعواصف في الخريف، والرسول كان يخشى أن يصيب الأمة بلاء من الله، فكان يدخل الحجرة ويخرج ويضرب كفيه ويقول: (ويل للعرب من شر قد اقترب - وهو خائف وجل- فقالت زينب: أنهلك وفيها الصالحون يا رسول الله؟! قال: نعم، إذا كثرت الخبث).

وهذا الحقيقة تكلمنا بها وقررناها، وقلنا: على كل مؤمن ومؤمنة في أي بلد أن يعمل على تكثير الصالحين والصالحات، فمتى كان الصالحون أكثر تأخر البلاء، وما فهموا عنا هذا، ففي أي بلد إسلامي اعملوا على تكثير الصالحين والصالحات وهذا ليس مستحيلاً أبداً، وادعواهم إلى بيوتهم واجتمعوا معهم، وأبعدوا عنهم هذا الباطل شيئاً فشيئاً حتى يكثر الصالحون والصالحات، فإذا كان عدد الصالحين والصالحات أكثر فقد أمنا أن البلاء لا ينزل، ونعطيك صكاً بهذا، فأكثروا من الصالحين والصالحات، وليس هذا بالعصا والكرباح، وإنما بالكلمة الطيبة وبزيارة الناس، وبأمرهم وبنيهم، والابتسامة على وجوهنا، والكلمة الطيبة تخرج منا، وهكذا يوماً بعد يوم، وفي كل يوم ندخل في رحمة الله عدداً من الفاسدين، أما أن نفتنع بما نحن عليه ونسكت فوالله إذا جاءت المحنة لا يستثنى أحد منها.

قال: [وهذا أحمد يروي في مسنده رحمه الله تعالى فيقول: عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا ظهرت المعاصي في أمي عمهم الله بعذاب من عنده)] والمعاصي هي أن يأمر الله فلا نطيعه، ويأمر رسوله فلا نطيعه، أو أن يأمر بعشرين أمراً فنطيعه في خمسة ونهمل خمسة عشر منها، أو أن ينهانا عن عشرين فنستجيب في عشرة ونهمل عشرة، أو بأن لا نبحت عن معاصي الله ورسوله، والآن ثلاثة أرباع المسلمين والله ما يعرفون الحرام من الحلال [قالت: قلت: يا رسول الله! أما فيهم أناس صالحون؟ قال: بلى، قلت: كيف يصنع أولئك إذا؟ قال: يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان] فالمستقيمون الصالحون وإن عذبوا في الدنيا بالبلاء أو بالفقر أو بالاستعمار أو بالأمراض أو بغير ذلك فإن مصيرهم إلى مغفرة من الله ورضوان، ولكن في الدنيا لا ينتقيهم الله ويخرجهم حتى ينزل العذاب، فهذا حصل مع غير هذه الأمة، مع أمة هود وصالح وشعيب، فقد كان الله إذا أراد العذاب يأمرهم بالخروج، فيخرجون آخر الليل، ولما يبعدون من تلك الديار ينزل البلاء بها؛ لأنه عذاب عام، وأما هذه الأمة فلا يأتيها العذاب العام، وإنما يأتيها عذاب بالمرض والفقر والإهانة والذل كما تشاهدون.

قال: [وكيف لا ينزل البلاء ولا يصيب الأمة العذاب وقد تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ والأمثلة على ذلك كثيرة لا تحصى] فاسمعها [فأين الأندلس وأهلها؟ أين ممالك الهند الإسلامية وملوكها؟ أين مسلمو أوروبا

الشرقية وديارهم؟ تحولت إلى دور لهو وباطل؛ وما ذلك إلا لظهور المنكر من خبث وشر وفساد وتركه حتى عم فنزل العذاب وعم].

قال: [وأخيراً أيها القارئ! والمستمع! إليك ما يلي فاعلمه: أولاً: وجوب الاستجابة لأمر الله ورسوله فعلاً وتركاً معاً. ثانياً: تعيين اغتنام فرصة الخير إذا سنحت، وإياك والتفريط فيها!] والآن نحن في المملكة لنا فرصة سانحة، فمر بالمعروف، وانه عن المنكر، وعلم وأرشد، فأنت في عافية، وفي البلاد أخرى لا يسمحون، وستزول هذه الفرصة إن أهملناها، فعجل، ف الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ [الأنفال:24].

[ثالثاً: وجوب الأمر بالمعروف إذا ترك والنهي عن المنكر إذا ارتكب، وإلا فسيعم الخبث وتهلك الأمة. فلنذكر هذا، ولنأمر بالمعروف ولننه عن المنكر ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. واعلموا أن العاقبة للمتقين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

وصلى الله على نبينا محمد وآله.

تنبيه المؤمنين إلى اغتنام الفرص قبل فواتها

قال: [وقوله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ [الأنفال:24]] كأن تكون الآن تشتهي البقلاوة والعسل فيحول بينك وبينهما، فتكره البقلاوة والعسل، وتحب السم وغيره، وهذا لا يقوى عليه إلا الله، فهو الذي يحول بينك وبين ما تشتهي، فإذا بك تكره الحق وتمجه ولا تقبله، فانتبه فأنت بين يدي الله، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ [الأنفال:24].

والقلب هو الآلة التي بها يحب ويكره، فالله يفصله عنها، فلهذا يجب الخضوع والخنوع والاستسلام والانقياد لله عز وجل والضراعة والسؤال دائماً وأبداً، فلا تعزز بعلمك ولا بإرادتك.

قال: [يحمل إشعاراً خطيراً وتنبيهاً عظيماً للمؤمنين، وهو أنه إذا سنحت الفرصة للمؤمن لفعل خير من الخيرات، أو عمل صالح من الصالحات عليه أن يقتنصها بسرعة قبل فواتها، لاسيما إذا كانت دعوة من الله ورسوله إلى فعل كذا أو ترك كذا؛ وذلك لأن الله تعالى قادر على أن يحول بين المرء وما يشتهي، وبين المرء وقلبه؛ إذ هو قادر على أن يقلب القلب ويصرفه من حيث شاء من خير إلى غير، أو من غير إلى خير، ولنستمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو ويقرر هذه الحقيقة] فيقول: [(اللهم يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك).

ويقول داعياً أيضاً: (اللهم مصرف القلوب! صرف قلوبنا إلى طاعتك)] فإذا سنحت الفرصة لعمل خير فلا تقوت الفرصة، وانتبه فقد يحال بينك وبين ما تريد، فالיום قد تستحب الخير وغداً تكرهه، وهذا تحذير إلهي عظيم.

[وأما قوله تعالى في ختام الآية: وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ [الأنفال:24]] أي: إليه لا إلى غيره، فتحشرون تجمعون كما تحشر الحيوانات حشراً إلى ساحة فصل القضاء، ولا يوجد حاكم ولا قاض غير الله في ساحة فصل القضاء، فهنا] يُعلم تعالى عباده المؤمنين بحقيقة ينبغي أن لا يسئروا، وهي أنهم سيحشرون إليه تعالى يوم القيامة، وسيجزئهم بطاعتهم وعصيانهم؛ لذا ينبغي أن لا يترددوا في الاستجابة لله تعالى ورسوله إذا دعاهم لما يحبيهم، وهل يدعوهم ربهم وهو وليهم إلى غير ما يحبيهم؟ لا والله، وهل يدعوهم رسوله إلى غير ما يحبيهم ويكملهم ويسعدهم؟ لا والله. الأمر بالاستجابة لله والرسول فيما يأمران به وينهيان عنه

قال: [وها هو] ذا [تعالى ينادي عباده وأوليائه قائلاً: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ [الأنفال:24].

والمراد بالرسول هنا] ليس عيسى ولا إبراهيم، وإنما [محمد صلى الله عليه وسلم] وأل هنا للعهد.

والرسول الذي أرسل إليكم [خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، والاستجابة] هنا في قوله: اسْتَجِيبُوا [الأنفال:24]] بمعنى: [فمعناها: أجبوا، ولم يقل: أحيبوا، وإنما قال: اسْتَجِيبُوا [الأنفال:24]] لأن العبيد ليسوا كلهم على مستوى واحد، فهو يناديهم ومنهم من يجيب ومنهم من لا يجيب، ومعنى هذا: مزقوا حبال العدو الشيطان التي قيدكم بها، وأبعدوا زخارفه ومحاسنه وأحيبوا، فالاستجابة فيها التكلف، وليست هينة، وأنا إذا قلت لك: اخرج من بابك أو من بيتك لا تستجيب، فلا بد من تكلف وتحمل، فكلما أجب إذا كان الشخص متعباً فليس هناك مانع أبداً أن يجيب، ولكن الذي معه الشيطان والدنيا والوساوس وغير ذلك ليس من السهل عليه أن يجيب، فقل له: استجب، واجاهد نفسك ودينك وهواك وما يعرض لك، ومزق ذلك كله لتجيب ربك.

فهناك فرق بين أجيئوا وبين استجيئوا.

قال: [أي: أجيئوا الله تعالى إذا دعاكم ورسوله كذلك، أي: إذا دعاكم لاعتقاد أحبه ورضيه فاعتقدوه، وإذا دعاكم لقول طيب والله لا يدعو إلا إلى طيب فقولوه، وإذا دعاكم لعمل صالح والله لا يأمر إلا بالصالح فاعملوه ولا تقصروا فيه] وإذا اعتاد شخص خرافة فليس من السهولة إذا قلت له: اتركها أن يتركها حتى يجاهد نفسه، وهذا أمر معلوم بالضرورة، ولو أن شخصاً ملازماً لمعصية ليس من السهل عليه الآن أن يتركها إذا لم يجاهد نفسه حتى يجيب.

قال: [وكذلك الحال] والشأن [مع رسوله صلى الله عليه وسلم إذا دعا إلى معتقد أو قول أو عمل، تجب الإجابة الفورية إلا في حال العجز، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وكذا إذا دعاكم الله لترك معتقد فاسد أو قول سيئ أو عمل غير صالح فأجيئوه، واتركوا ما أمركم بتركه، وكذا الشأن مع رسوله صلى الله عليه وسلم.

وعلة هذا الأمر والاستجابة هي من أجل أن تكملوا في آدابكم وأخلاقكم، وتسعدوا في حياتكم بالعز والظهر والصفاء والأمن والخير الكثير [فاستجابتكم بقبول الأمر والنهي هذه هي التي تخولكم الكمال والإسعاد في الدنيا والآخرة، وهذا حق، فالماء يروي، والطعام يشبع، والحديد يقطع، والنار تحرق، وطاعة الله وطاعة رسوله في الاعتقاد والقول والعمل لن تتخلف نتائجها من العز والظهر والسعادة والكمال، ومستحيل أن يتخلف، والذي لا يأكل لا يشبع، والذي لا يشرب لا يرتوي، والذي يدخل النار لا تنطفئ عليه، والذي لا يستجيب لأمر الله ورسوله لن يسعد ولن يكمل، ومآله ومصيره الشقاء والخسران الأبدي، فهذه سنة لا تتبدل.

وأزيدكم برهاناً: لما أعرض المؤمنون والمسلمون عن الله ورسوله هبطوا، واستعمرهم الشرق والغرب، وأذلهم وأهانهم، وكفروهم ومسخوهم في الشرق والغرب، والسبب أنهم صموا عن سماع آيات الله عز وجل، أو ما وجدوا من يناديهم باسم الله عز وجل، أو ناداهم فأعرضوا، فحلت النقمة الإلهية بهم وإلى الآن وإلى يوم القيامة، فالآن المسلمون معرضون عن نداء الله ورسوله، إلا أفراداً قلائل هنا وهناك، وهذا لن ينقذهم إذا لم يقبلوا بنسائهم وأطفالهم ورجالهم في صدق، وفي أربع وعشرين ساعة تتغير الحياة بكاملها، ولكنهم يسخرون من كلامنا هذا ويهزءون في الشرق والغرب.

قال: [وهذا معنى قوله تعالى: إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ [الأنفال:24] إذ لا يدعو الله ورسوله عباد الله المؤمنين المتقين إلا لما فيه خيرهم وسعادتهم وحياتهم الحياة الطيبة الطاهرة السعيدة في الدنيا والآخرة].

المال والولد زينة الحياة الدنيا، والله عز وجل يهب بعض عباده المال والولد امتحاناً لهم، فمنهم من يقدم محبتهم على ما يحبه الله ويرضاه، فينصرف بذلك عن طاعة الله ورسوله، فيكون بذلك المال والولد فتنة له، وسبباً لخسارته في الدنيا والآخرة، ومن الناس من يقدم محبة الله ورسوله على محبة المال والولد فيجزئهم الله عز وجل أعظم الجزاء وأحسنه، فهو ذو الفضل العظيم.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.

اللهم آمين.

قبل الشروع في دراسة النداء السابع والأربعين أعود فأذكر نفسي وإياكم بما تضمنه النداء السابق، وأعيد أولاً تلاوته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال: 24-25].

وخلاصة هذا النداء وزبدته هو: أولاً: وجوب الاستجابة لأمر الله ورسوله فعلاً وتركاً، فيجب على كل مؤمن ومؤمنة إذا دعاه الله أن يستجيب لندائه، فيفعل ما أمره بفعله، ويترك ما أمره بتركه، وهذا سبيل النجاة، طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ [الأنفال: 24].

والله لا يدعونا لغير ما يكملنا ويسعدنا، ولا لغير ما يفرحنا ويسرنا، فهو لم يدعنا إلا لأنه ولينا ومولانا، وهو ما دعانا إلا لما يحيينا حياة كريمة طيبة طاهرة في الدنيا، وحياة سعيدة في الآخرة.

ثانياً: تعين اغتنام فرصة الخير إذا سنحت، وإياكم وإياي والتفريط فيها! إذ قد لا تعود مرة ثانية؛ إذ قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ [الأنفال: 24].

فإذا سنحت الفرصة ودعيت إلى خير وأنت قادر على فعله فعجل قبل أن تقوت الفرصة، والذين يدعون ويتململون ويتباطئون ويتأخرون قد يحال بينهم في المستقبل وبين العمل الصالح ولا يقدرُونَ عليه.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ [الأنفال: 24].

وأما مؤمن سنحت له الفرصة فليغتنمها، فإذا توضأت ولم يدخل الوقت ولم تقم الصلاة فهذه فرصة، فلا تضيع ركعتين فيها.

ثالثاً: وجوب الأمر بالمعروف إذا ترك الأمر به، والنهي عن المنكر [وخاصة إذا ارتكب، فإذا سكتنا فسوف يترتب على ذلك الدمار والخراب، وإلا فسيعم الخبث وتهلك الأمة].

فلنذكر هذا ولا ننساه، ونحن نشاهد آثاره في العالم الإسلامي، فإذا ترك المعروف وسكتنا وإذا ارتكب المنكر وسكتنا فسيأتي يوم يعمنا الله بعقاب منه، ونصرخ ونبكي ولا ينفع الصراخ ولا البكاء، وقد سمعتم حديثه صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن: (أنهلك وفينا الصالحون يا رسول الله؟! قال: نعم إذا كثر الخبث).

والمؤمنون الصالحون أقلية هنا وهناك، فلا يستثنون من العذاب، ولا يستخرجون من الفتنة، ولكن أجرهم على الله، فيغفر لهم يوم القيامة ويرحمهم، ولا ينتشلوا انتشالاً بعيداً من ساحة الدمار بحيث يعم الخراب الدمار أهل الفسق والفجور فقط.

هذه خلاصة ذلك النداء.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ [الأنفال:24].

والله لا يدعوننا لما يميّتنا ويشقينا، فهذا والله ما كان.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ [الأنفال:24].

فاغتنم فرصة الخير إذا سنحت، فقد تطلبها مرة ثانية ولا تجدها.

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً [الأنفال:25].

بل تصيب الظالم وغير الظالم، وهذه سنة الله، ولا تستطيع أن تبدلها أنت، فإذا كثرت الخبث في القرية أو في البيت والأسرة عم البلاء.

من هنا أعيد ما قلته وكررت: أيها المستقيمون في ديار الإسلام في الشرق والغرب! اعملوا على تكثير سواد الصالحين والصالحات، ولن تستطيعوا أن تغيروا الأوضاع وتبدلوها، فلستم من الملائكة ولا من السلاطين، ولكن في إمكانكم أن تعملوا على تكثير سواد الصالحين والصالحات، فإذا كثرت الصلاح والصالحون فلا يضرنا خبث الخبثاء، ولا ظلم الظالمين، وأما أن نمد أعناقنا ونسكت ونفوض الأمر إلى الله كما نقول فإن الشر ينتشر والفسق والفجور يعمان، ثم ندعو الله فلا يستجيب لنا. فافهموا هذه الجملة بالذات.

ومادمننا مستقيمين ملتزمين كما ندعي فهيّا نعمل بجهد جهيد على أن نكثر الصالحين، بحيث تكون القرية التي نسكنها لا يوجد فيها تاركين للصلاة إلا خمسة أنفار مثلاً، ولا يوجد فيها من المغنين والمطربين والعابثين إلا ثلاثة أنفار، ولا يوجد فيها من المتبرجات المتعجات إلا امرأتين أو ثلاث، فإذا كان الوضع هكذا فنحن آمنون. وأما أن يكثر الظلم والخبث والفساد وينمو كل عام زيادة حتى نصبح نرى الصالحين والصالحات أقلّيات فاعلم أن العذاب قد أن أوانه.

والبرهنة على ما أقول: أين الأندلس جنة الإسلام في الدنيا؟ وأين علماؤها وربانيوها وعلماؤها وصلحاؤها؟ وأين سعادتها وكمالها؟ لقد زالت بسبب انتشار الفسق والفجور، فقد أدخلوا الموسيقى إلى المستشفيات، وترقوا وتحضروا وسادوا، فمسحت بلادهم مسحاً من العالم الإسلام.

وقد استعمرنا الغرب من إندونيسيا إلى موريتانيا، ولا أحد ينكر هذا غير المجانين، وقد سلطهم الله علينا لأننا فسقنا عن أمره وخرجنا عن طاعته، وعرفنا غيره، وتملقنا وتوسلنا إلى الأموات والأحياء، بل من الأشجار والنباتات، وما عرفنا الأخوة الإسلامية، بل نزا بعضنا على بعض، وسرق بعضنا بعضاً، وانتشرت المنكرات بصورة يقشعر لها جلد المؤمن، فسلط الله علينا ما سلط، والآن الفسق ينتشر، والخبث والظلم والحسد والبغضاء وغير ذلك فوق ما تتصور في العالم الإسلامي، وهاهم ينتظرون نقمة الله إلا أن يتداركهم الله بالإقبال عليه بصدق، والإيمان به، والعودة إليه، وحينئذ لا يسهمهم سوء، ولا ينالهم مكروه. فافهموا هذا وبلغوا، ولا نطأطئ رءوسنا ونسكت.

حرمة خيانة الله والرسول صلى الله عليه وسلم وخيانة الأمانات والتحذير من فتنة المال والولد

هذا هو [النداء السابع والأربعون] من نداءات ربنا لنا، فالذي ينادينا هو رب العزة والجلال والكمال، الذي بيده ملكوت كل شيء، الذي يحيي ويميت، ويعز ويذل، والذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وأحد ملائكته اسمه جبريل، لما ظهر في صورته الملائكية سد السماء بأجنحته الستمائة جناح، وهو ينادينا ولا نبالي، فنحن مجانين وحمقى، أو أموات، ونلوي رءوسنا ولا نلتفت إلى نداء الذي بيده كل شيء والعياذ بالله، ووالله لولا حلمه ورحمته وعطفه وإحسانه بنا، لكنا قد احترقنا، فلنسأ أهلاً للحياة بإعراضنا عنه، فهو ينادينا ونحن لا نساوي شيئاً، ولكنه ينادينا لإحسانه ورحمته، وقد نادانا بوصفنا مؤمنين؛ لأن المؤمن حي، يسمع ويبصر، ويعطي ويأخذ، والكافر ميت، فلا نفتدي بالكفار ونمشي وراءهم، ونحاول أن نكون مثلهم، فنحن لسنا مجانين بلا عقول، فهم أموات، فلا نكن أمثالهم، ولا يصح أن ننام إلى جنب ميت على النعش، ولا أن نكون مثله.

وإخوانكم في الشرق والغرب جلهم يريدون أن يكونوا مثل النصارى حتى في المنطق وفي الجلسة على الكرسي، وحتى في تناول الملعقة أو الشوكة للأكل، وحتى في الزي والشعر وغير ذلك، والمرأة المسلمة تريد أن تكون كأنها بريطانية في مشيتها وفي كعبها الطويل وفي منطقتها وفي غير ذلك، وحتى في التجارة؛ لأنهم ما عرفوا أن الكافر

ميت، ولا بلغهم هذا، ولا سمعوا به، ولذلك لم يترفعوا ولم ينتزهوا، فالعلة الجهل، وليس الجهل بالهيدروجين والذرة والمغناطيس، وإنما الجهل بالله ومحابه ومكارهه، وما أعدّه لأوليائه ولأعدائه، فلما جهلوا بالله لم يعرفوا كيف يحبونه، ولا عرفوا جلاله ولا كماله، ولا كيف يخافونه، وهذا هو بيت القصيد، فهيا نعد ونرجع من جديد، والطريق للرجوع والدنيا قد اختلطت والحياة قد اضطربت وتطورت والله من أيسر وأسهل ما تكون، وهي لا تكلفنا ريالاً ولا درهماً، ولا توقف مصنعاً، ولا تعطل مزرعة ولا غير ذلك، وإنما فقط أن نقول: آمنا بالله، وإذا مالت الشمس إلى الغروب ودقت الساعة السادسة أوقفنا دولاب العمل، وأغلقنا أبواب المتاجر، ووضعنا المساحي من أيدينا، ورمى الكتاب بالأقلام، وحملنا أطفالنا ونساءنا وأمهاتنا إلى بيوت ربنا ومولانا، فلنا سيد ومولى وربى، ونحن مخلوقاته، فهو الذي خلقنا ورزقنا، وأوجدنا وأوجد الحياة كلها لنا، وهو الله، وقد عرفناه بواسطة كتابه، فاقراءوه، ورسوله مدفون عندنا في مدينته.

فيجتمع أهل القرية في جامعهم سواء كانوا من قرى الهند أو الشرق أو الغرب، ويجتمع أهل المدن في مسجد ربهم في مدينتهم وفي أحيائهم، فإذا كانت المدينة الكبرى فيها عشرون حياً أو ثلاثون فأهل كل حي عندهم مسجد واسع، وقد رأينا هذا من إندونيسيا إلى موريتانيا، فهو ليس معدوماً، ويجمعون فيه اجتماعنا هذا، ويجلس لهم عالم رباني يعلمهم قال الله وقال رسوله، ويقول لهم: قد سمعتم هذا الخبر عن الرسول وفهمتموه والمطلوب هو أن تفعلوا كذا من الليلة ونحن نعمل، وغداً آية نورانية تتلأأ أنوارها في القلوب، وتظهر على الأسماع والأبصار، ونعمل بها ونطبقها، وهكذا يوماً بعد يوم، فلا تمضي سنة إلا وأهل القرية مذهبهم واحد، وقد آمنوا بالله ورسوله، فلا فرقة ولا خلاف ولا نزاع أبداً، وستختفي مظاهر الشح والبخل؛ لأنهم رغبوا في السماء وما عند الله، وتنتهي تلك العنصريات والحزابات القبلية والوطنية، وينتهي كل مظهر من مظاهر الإباء والخلاف والنزاع والصراع، ويصبحون كتلة واحدة من النور مؤمنون.

وقد وقع مثل هذا في التاريخ ورب الكعبة، واهتدت تلك الأمة التي وقع فيها هذا، وفي ظرف خمسة وعشرين سنة نشرت رحمة الله في العالمين، ولولا الألفة والإخوة والإيمان والصدق لما نشروا الإسلام من وراء نهر السند إلى الأندلس في خمس وعشرين سنة، ولم يفعلوا هذا بالسحر ولا بالسيف، والله لا سيف ولا رمح، ولا أكرهوا عبداً على الدخول في الإسلام، ولكن فقط دخلوا البلاد بعد أن انفتحت أمامهم، وشاهدتهم الروم والنصارى والمجوس والمشركون، وشاهدوا الأنوار تعلوهم، والصدق يتجلى في سلوكهم، فدخلوا في رحمة الله، فهيا نعود، ونحن ممنوعون من العودة، ولا نستطيع ذلك؛ لأن حكم الله نافذ، وإلا فلم يمنعنا شيء من ذلك، وإذا كان هناك فتنة قائمة في ديار فنحن الذين أوقدنا نارها لجهلنا وما عرفنا، وهذه البلاد التي فيها فتنة مضى عليها وقت قريب المساجد فيها مفتوحة، والعلماء يتكلمون، والدعاة يصيحون، ولكن لما ظهرنا بمظاهر لا تليق بنا ولم نحيا بعد فالشيطان لا يسمح لنا، فهيا نترك هذا البكاء، وقد سجله الله عنده علينا، ولنعد إلى الحديث.

وهذا النداء [في حرمة خيانة الله والرسول صلى الله عليه وسلم، وخيانة الأمانات، والتحذير من فتنة المال والولد] وهيا نتغنى بهذا الحديث لهذا النداء الكريم.

[الأيتان (27، 28) من سورة الأنفال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ [الأنفال: 27-28]] ولم نكن لنحصل على هذا العلم ونظفر به لولا كتاب الله.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أمانتكم ...)

قال: [ويحسن هنا أيها القارئ الكريم! والمستمتع المستفيد! أن تذكرنا] أنتما [ما روى عبد الرزاق عن الزهري في سبب نزول هذا النداء الكريم] وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ [الأنفال: 27] [إذ قال: إنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر] وموجود الآن اسم أبي لبابة في الروضة، وموجود سارية أبي لبابة التي ربط نفسه فيها.

فاسمع حتى تعرف الإيمان والمؤمنين [لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة] سفيراً، وكان بنو قريظة هناك وراء مسجد قباء، وقد حاصرهم الرسول صلى الله عليه وسلم لما خانوا أمانتهم، ودخلوا ضمن الأحزاب؛ خيانة ونقضاً لعهدهم، فلما طوقهم وانقادوا بعث إليهم سفيره يعرض عليهم طريق النجاة إذا أرادوها]

لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم محاصرون من قبل المسلمين؛ لنقضهم عهدهم، وخيانتهم له [صلى الله عليه وسلم] فلما وصل إليهم [أبو لبابة] استشاروه في أمرهم، فأشار إليهم بذلك، أي: بقبول حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنه أشار بيده إلى حلقه، أي: أنه الذبح، أي: النزول على حكم رسوا الله معناه: أنه يأمر بذبحكم [بمعنى: إذا وافقتم على حكم الرسول فليس هو إلا الذبح، فقد غلبته الرحمة، ولم يتمالك نفسه، فهو قال لهم: اقبلوا حكم الرسول وانزلوا عليه، ولكن فهم أنهم سيذبحون، فقد أشار بيده إلى حلقه] ثم فطن، فعلم أنه بإشارته بيده إلى حلقه قد خان الله ورسوله، فعاد من ديارهم، وحلف أن لا يذوق ذواقاً حتى يموت، أو يتوب الله عليه، وانطلق إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم [وفي تلك الروضة الطاهرة] فربط نفسه في سارية من سواريه [والسارية: العمود، سواء من خشب أو من طين] وتعرف الآن بسارية أبي لبابة، فمكث تسعة أيام، حتى كان يخر مغشياً عليه من الجهد، فأنزل الله تعالى توبته على رسوله، فجاءه الناس يبشرونه بتوبة الله تعالى عليه، وأرادوا أن يحلوه من رباطه بالسارية فحلف لا يحله منها أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة، فجاء رسول الله [صلى الله عليه وسلم] الرعوف بالمؤمنين، الرحيم بهم فحله، فقال: يا رسول الله! إنني كنت نذرت أن أنزع من مالي صدقة، فقال: (يجزئك الثلث أن تصدق به) [وليس المال كاملاً، وهذا فعل التوبة] ففعل رضي الله عنه. فهذه الحادثة التي نزلت فيها الآية تعتبر سبباً في نزولها، وهو كذلك، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالله عز وجل نادى المؤمنين ونهاهم عن خيانة الله وخيانة رسوله، فيما يتعلق به تعالى وبرسوله من طاعتهما في الأمر والنهي .

في الظاهر والباطن، وفيما يتعلق بسائر الأمانات؛ إذ قال عز من قائل: لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ [الأنفال:27]، أي: ولا تخونوا أماناتكم. وأخيراً: فلا ننس العبرة العظيمة في حادثة أبي لبابة، وهي أن المؤمن إذا غفل فاستزله الشيطان فخان أمانة من أماناته فإنه على الفور يتوب إلى الله تعالى، فيكرب ويحزن ويكثر من الاستغفار والصلوات، ويتصدق بمال كثير، بعد أن يعترف بزلاته، ويرد الحق إلى أهله، ومن تاب تاب الله عليه، و (الله يقبل توبة العبد ما لم يغر) . إلا أن التوبة تجب على الفور، ولا يحل تأخيرها [ولا تأجيلها] أبداً. ولا عذر لأحد في تأخير التوبة؛ لقول الله تعالى: ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ [النساء:17]. والقرب هو ساعة ارتكاب المعصية والشعور بذلك. ولنتأمل توبة أبي لبابة؛ فإنه لم يؤخرها دقيقة واحدة، وفعل في توبته ما لا يقدر عليه غيره، فرضي الله عنه وأرضاه، وغفر لنا ذنوبنا، وتاب علينا، إنه ولينا وليس لنا ولي سواه. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [. الله عز وجل وهب عباده المال والولد فتنه لهم

قال: [وقوله تعالى في الآية الثانية: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [الأنفال:28] فتنكم الله بها، فهو الذي أعطى المال والولد؛ ليمتحنك وليختبرك أنتجح أو ترسب؟] وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ [الأنفال:28]. أعلمهم بما من شأنه أن يكون السبب الحامل للعبد على خيانة أماناته، ألا وهو حب المال والولد [كما بينا أولاً، فلا يخون الإنسان أماناته إلا لحبه للمال والولد، وكل من يخون بالسرقة أو بالخيانة أو بالغش فالسبب أنه يريد المال، ويريد الولد، والولد موجود؛ ولكنه يريد أن يسمن ولده ويبيض ويعرف ويعلم ويعز ويسود، وغير ذلك] وهو حب فطري [غريزي] إذا لم يقاومه العبد بالخوف من الله، وبمراقبته تعالى لا يسلم من أذاه وفتنته [وهذا أمر مغرور في النفس، فإذا كنت عبد الله أو أمة الله بحق فقاوم هذه الغريزة وغيرها وبدلها. ولن تصبح نفسك مطمئنة إلا بعدما تجتاز مرحلتين عظيمتين: أولاً: النفس الأمارة بالسوء والله العظيم، وثانياً: النفس اللوامة والله العظيم. وقد أخبر الله بهذا، ويوم أن تصبح مطمئنة بناديها ملك الموت وأعوانه: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتٍ [الفجر:27-30].

وهذه يوم أن رُزِقَها العبد لم تكن مطمئنة، وإنما والله كانت أمارة بالسوء، ولكن صاحبها جاهدتها حتى أصبحت إذا فعلت المعصية تلوم وتتألم وتكرب وتحزن، ثم زادها مجاهدة حتى أصبحت مطمئنة، لا ترتاح إلا لفعل الخير والصلاح، ولا ترتاح إلا لسماع الهدى والنور، ولا ترتاح إلا لأكل الطيب الحلال. وهذا لا يحصل إلا بجهاد، ولا يمكن أن يحصل بدون جهاد، كما قال تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت:69].

وأمة الإسلام الآن لا تجاهد في نفسها، ودعوني أتكلم وإن غضبتكم، المدينة النبوية سكانها اليوم قل: سبعمائة ألف .. أربعمائة ألف، وهذا هو مسجد نبيهم، والله أقسم بالله لو كنا أهلاً للكمال وسائرون في طريقه لكان المسجد مملوءاً أثناء هذا الدرس، ولا يكفي، ولكانوا في الخارج عند الباب أقسم بالله، كصلاة الجمعة، ولكن الموجودين الآن من أهل المدينة واحد إلى مائة ألف، وهذه علامة بارزة ظاهرة، ونحن ندرس كتاب الله وهدى رسوله. قال: [كما قال تعالى: أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [الأنفال:28].

ومن شأن الفتنة أنها تصرف عن طاعة الله ورسوله، ومن لم يطع الله ورسوله خسر دينه وآخرته. فضل تقديم ما يدعو إليه الله عز وجل على ما تدعو إليه النفس

قال: [وقوله تعالى: وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ [الأنفال:28] تنبيه لهم على أن تركهم ما تدعوهم إليه أنفسهم من خيانة الأمانات لأجل الحفاظ على أموالهم، وإسعاد أولادهم عند الله ما هو خير منه، وهو الجنة دار السلام. فإن تركوا ما تدعو إليه نفوسهم إلى ما يدعو إليه ربهم سبحانه وتعالى فإن الله يجزيهم بأعظم أجر وأحسن جزاء؛ لأنه تعالى عنده الأجر العظيم، يعطيه من جاهد نفسه، وصبر على طاعة ربه عز وجل، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلم يخن الله ورسوله، ولا أمانته، وقد يكون الأجر في الدنيا] أيضاً [بالرزق الحسن والعيش الرغد زيادة على الجنة ونعيمها في الدار الآخرة] والله العظيم.

ولما أقبل المؤمنون الأولون كتب والٍ عام في تونس إلى الخليفة في المدينة، وقال له: لقد كثرت الأموال، ولم نجد من يأخذ المال، فلم يعد هناك في فقراء في أقصى الغرب، فقال له: اشتر بها العبيد وحررهم وأعتقهم. وأزيد: والله في هذا المسجد كان يوزع الرسول الفضة والذهب حتواً وليس عدلاً. بمعنى: أن الله عز وجل عنده أجر عظيم إن تركت خياناتك له، ففي الدنيا يعطيك أكثر مما تطلب، وأما الآخرة فلا تسأل [إذ ورد أن العبد إذا ترك شيئاً من أمور دينه الله عوضه الله خيراً منه في دينه وأخراه].

وأقول كلمة: المؤمنات يشتكين لنا بالتلفونات - وكان الشيخ بيده مفاتيح المسجد- ويقولن: الصوت ليس مسموعاً، فأمس انقطع علينا الصوت، والصوت في الجهة الفلانية لا يسمع، ونحن نشتكى ونبكي، فعلى المسؤولين عن هذه الأصوات أن يحسنوها ويكبروها ويعمموها على المسجد، ولكنهم غافلون مثلنا، ونحن نقول: والله إن دراسة الكتاب والسنة بين المسلمين لو تشتري بالملايين لكانت رخيصة، فهي والله لتحقيق الأمن والطهر والصفاء ما لا يتحقق بالمال ولا بالمدفع.

ولكن هذا من ظاهر هبوط أمة الإسلام، فهم لاصقون بالأرض، والمفروض أننا ندعو الناس من المقاهي، ونقول لهم: تعالوا إلى بيت الرب، فهنا تطهرون وتصفون وتكملون، فامشوا إلى بيت ربكم، ويحكم ما أنتم عليه طول النهار؛ حتى يعم الطهر والصفاء، وتنتهي الخيانة والجرائم والموبقات، وتصبح الأمة حية، إذا رفعت أيديها إلى الله استجاب لها، وهم لا يفهمون هذا، ووأسفاه! ووأسرته! فلنصبر على ما كتب الله. الحرص على المال والولد من أسباب خيانة الله والرسول صلى الله عليه وسلم

لاحظ قوله: لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال:27].

والحامل على الخيانة لله والرسول والأمانات: المال والأولاد.

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [الأنفال:28].

فلا توقد نارها في قلبك يا عبد الله! بل فرغ قلبك لله، وضع أمرك لله، واترك المال والولد لله، فإن شاء نماء وإن شاء أفسده، ولا تخن، وأعظم خيانة أن تخون الله والرسول من أجل هذا المال وهذا الولد، واعلم أنك إذا تركت المال والولد لله ولم تخن الله والرسول والأمانات من أجله فإن الله عنده فوق ما تتصور، فهو عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ [الأنفال:28].

وسيعوضك عن مالك وولدك ما لا تقدر على إحصائه ولا على معرفته، وهذا الكلام عجب.
فهو يعرفنا لم نخون الله والرسول والأمانات، وأن سبب ذلك حب المال والولد، ولو كان تركنا المال والولد لله يسبب افتقارنا وأصابتنا بكذا وكذا فقد قال الله: إن هذا عندنا، واترك لنا هذا نعطيك ما هو أعظم، وما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه، وجرب الآن في حياتك، فما ترك مؤمن شيئاً لله رغبة فيما عنده وحباً فيه وخوفاً منه وتتازل عن ذاك المفتون به من المال إلا عوضه خيراً منه.
وقوله تعالى: **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [الأنفال:28]**، معنى فتنة: أنكم تمتحنون بهم؛ ليظهر طيب إيمانكم مرتعاً طيباً، أو يظهر الخبث والكفر والشرك في القلب.
فقد امتحننا الله بحب المال والولد ليظهر واقعنا.
وأولياء الله هم الذين عبدوا الله، وأعداء الله الذين عبدوا المال والولد.
هذه خلاصة فقط، والشرح أماناً.

قال: [الشرح: اذكر أيها القارئ الكريم! ما قد سبق أن عرفته، وهو أن الله تعالى ينادي عباده المؤمنين به وبلقائه، وكتابه ورسوله] يناديهم [لكمال حياتهم] ولو كانوا ناقصي حياة وأمواتاً لم ينادهم، فأنت لا تتادي ميتاً في البقيع: قم صل.

وأيضاً فهو [يناديهم ليأمرهم أو ينهاهم، أو يبشرهم أو ينذرهم؛ لأنهم أهل لأن يسمعوا النداء ويطيعوا] فيفعلون الأمور ويتركون المنهي.

[وها هو ذا سبحانه وتعالى ناداهم لينهاهم عن أمر خطير، وهو خيانتهم له سبحانه وتعالى بأن يظهر أحدهم الطاعة ويخفي المعصية] ومن فعل هذا فهو خائن لله، والمنافقون كلهم خونة، فالذي يظهر الطاعة أمام الناس ويخفي المعصية ويأتيها فهو خائن لله [إذ هذا الوصف لا يليق بالمؤمن أبداً، وإنما هو وصف المنافقين؛ لذا نهاهم عنه، وحذرهم أن يكون فيهم، كما نهاهم عن خيانة الأمانات التي يؤتمنون عليها، وهي خاصة وعامة] فالأمانات منها أمانات عامة، ومنها أمانات خاصة [فالخاصة هي ما يؤمن عليه المرء من أخيه كمال، أو سر من الأسرار] فإذا ائتمنتك أخوك على ماله أو سره من أسرار هذه أمانة خاصة، وإذا وضعت عند أخيك أو زوجتك مالاً أو سرّاً أو غير ذلك لتحفظها وسافرت فهذه أمانة خاصة، فإن حفظتها وحافظت عليها حتى أديتها كما هي فقد وفيت، وإلا فقد خنت أمانتك [والعامة هي كل التكاليف الشرعية التي كلفنا الله تعالى بها، حتى الغسل من الجنابة أمانة] ولولا أنك مؤمن مؤتمن فلا أحد يعلم أنك اغتسلت من جنابتك، بل لإيمانك بالله وشرعه تغتسل من الجنابة، ولا أحد يدري أنه البارحة اغتسل أو لم يغتسل، فإلغسل لا يتم في البحر، وإنما يتم في مكان خفي، فلولا الإيمان لما اغتسلت، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الغسل من الجنابة من الأمانة، ولولا الإيمان لتظاهرت في المدينة وفي مكة بالصيام في رمضان ثم تأتي إلى جحر ك أو إلى غارك تأكل وتشرب وتخرج، ولا أحد يدري أو يعلم أنك مفطر وليست صائماً، وتستطيع أن تخون في ذلك.

فالأمانات الخاصة هي: التي نؤتمن عليها من بين إخواننا، فيجب أن نصونها ونحفظها، ونؤدي الأمانة كما هي، والأمانة العامة هي: كل التكاليف الشرعية التي ائتمنا الله تعالى عليها، فيجب أن نؤديها كاملة لله، ولا نخون منها شيئاً.

[وقوله: **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال:27]**] أي: تعلمون [عظم جريمة الخيانة وآثارها السيئة على النفس] بالتخييب والتلويت والتعفن [والمجتمع معاً] حيث يصبح فيه الزنا والسرقات والربا والتلصص بصورة عامة.
ولا يوجد مواطن لا يعرف آثار الخيانة والسرقة والجريمة.
وليس هناك خيانة أعظم ولا أبشع من أن يخون المرء جاره في أهله.

الحمد لله أن كنا أهلاً لنداء الله، وأننا نستجيب لندائه، ولا نخون أمانة بيننا، ولا بيننا وبينه تعالى، ولكن الذين ما عرفوا ولا آمنوا يخونون، ولا تتصور عندما ترى الخيانات القائمة الآن في الدنيا بين المسلمين أن أهلها عرفوا الله وأحبوه ورهبوه وخافوه، فوالله إنهم لم يعرفوه، ومعرفتهم سطحية، فيقول أحدهم: أنا مؤمن مسلم وغير ذلك، وهذا لا ينفع، وكم من مرة نعرض الإيمان في صور ثم لا نشاهدها، ومن يريد أن يشاهد الإيمان والمؤمنين إليه هذه الشاشة القرآنية، فانظر هل أنت مؤمن أو لا؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ [الأنفال:2]**، أي: بحق وصدق الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا [الأنفال:2-4].

والذي لا يشاهد نفسه في الصورة فهو ظالم، فليراجع نفسه، وليؤمن من جديد.
وصورة أخرى عليكم تعثرون علينا فيها، اسمع: يقول تعالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [التوبة: 71].
فاعرفوا المؤمنين، فالذي يعصي الله ورسوله طول العام لا يكفيه كلمة مؤمن.
فالإيمان غير موجود فيه.

نداءات الرحمن لأهل الإيمان 50

التقوى هي امتثال أوامر الله ورسوله واجتناب نهيهما، وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات، وصاحب التقوى هو الذي يجني ثمارها، فيمتلئ قلبه نوراً، وبهذا النور ينجو إذا هلك الناس، وينتصر إذا انهزم الآخرون، ويميز بين الحق والباطل إذا عجز الحائرون، فيكفر الله سيئاته، ويغفر ذنوبه، ويسكنه الجنة دار الكرامة. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان. جعلنا الله منهم، وحشرنا في زمريتهم، ورضي عنا كما رضي عنهم. اللهم آمين.

نذكر بالنداء السابق، وهو النداء السابع والأربعون، وقد عرفتم أنه في حرمة الخيانة، فلا نخون الله ولا الرسول ولا المؤمنين، فالمؤمنون أهل الإيمان والتقوى يتنزهون عن الخيانة، فلا يخون أحد ربه بأن يظهر طاعته ويخفي معصيته، ولا يخون رسوله صلى الله عليه وسلم، فيظهر سنته، ويخفي الخروج عنها. ولا نخون أماناتنا الخاصة ولا العامة، والأمانة الخاصة هي: أن يضع مؤمن تحت يدك أمانة، فلا تخنه فيها، بل احفظها وحافظ عليها، حتى تردها إليه وافية غير منقوصة.

والأمانة العامة: وهي هذه الشريعة بكاملها من الاعتقاد والقول والعمل. فكل هذا تركه الله تعالى أمانة عندنا، واذكروا قوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [الأحزاب: 72].

وكل هذه العبادات هي أمانة في أعناقنا، فلا نخونها بالتقصير ولا بالإهمال، ولا بالإضاعة والتضييع، حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الغسل من الجنابة من الأمانة). إذ لولا إيمان أحدنا وتقواه لله لما اغتسل؛ لأن الاغتسال يتم بعيداً عن أعين الناس ومعرفتهم، فلا يغتسل من الجنابة إلا مؤمن.

والله المسئول أن يعيننا، وأن يسدد خطانا، وأن يوفقنا دائماً وأبداً لما فيه حبه ورضاه. وهذا النداء هو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ [الأنفال: 27-28].

فقوله: واعلموا أنما أموالكم وأولادكم [الأنفال: 28] إشارة إلى أن الخائن في الغالب يحمله على الخيانة حبه لماله وولده، فيعصي الله ورسوله من أجل الحفاظ على المال والولد، والله عز وجل عنده ما هو خير من المال والولد، فعنده أجر عظيم في الدنيا والآخرة.

واذكروا أنه ما من مؤمن يترك شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه، فلنحذر فتنة المال والولد، فلا نخرج عن طاعة الله وطاعة رسوله من أجل الحفاظ على أموالنا أو أولادنا، فإله قبل المال والولد، والذي وهبك المال والولد قادر على أن يهبك ما هو خير منهما، ألا وهو رضاه والجنة دار السلام.

هذا النداء الذي درسناه بالأمس، وفتح الله علينا وحفظنا وعلمنا.

الترغيب في تقوى الله عز وجل وفي بيان ثمارها العاجلة والآجلة

الآن هذا هو [النداء الثامن والأربعون: في الترغيب في تقوى الله عز وجل، وفي بيان ثمارها العاجلة والآجلة] اللهم ارزقنا تقواك، وأعطنا ثمارها في حياتنا هذه، وفي حياتنا الآخرة.

اللهم آمين.

[الآية (29) من سورة الأنفال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الأنفال:29]].

من ثمار التقوى: مغفرة الذنوب

[ثالثاً] ومن ثمار هذا النداء [مغفرة الذنوب، وهي الآثام. هذه ثمرة قبل الأخيرة من ثمار تقوى الله عز وجل التي واعد أصحابها بها، وهي مغفرة ذنوبهم وعدم مؤاخذتهم بها، وهذا في الدنيا والآخرة معاً؛ إذ بعض الذنوب يعجل لأصحابها العقوبة في الدنيا قبل الآخرة] لكن أهل التقوى لا يؤاخذون في الدنيا بها [وقد يعذب بها في الدنيا والآخرة معاً، والعياذ بالله]. من ثمار التقوى: الفوز بالجنة ونعيمها

[رابعاً: و] هي [الأخيرة، وهي أعظم تلك الثمار وأشهاها] وأطيبها وألذها: [إنها الجنة ونعيمها. وعبر بالأجر العظيم؛ لأنها بمثابة الجزاء على التقوى. والجزاء والأجر بمعنى واحد، يقال: أثابه وأجره وجزاه بكذا على كذا] أي: جزاه وأعطاه الأجرة [الكل بمعنى واحد. ولعل السر في عدم ذكر الجنة الاكتفاء بذكر الأجر العظيم] فقط [لأن الله تعالى لا يعطي العاملين أجراً يوم القيامة غير الجنة ورضاه؛ إذ لا مال يومئذ، ولا دينار ولا درهم] فلا يوجد دنائير ولا دراهم، ولا يعطيهم قطع أرض وقصور، وإنما الجنة، ولهذا ما قال: ولهم، وإنما قال: وعنده أجر عظيم. وهذا الأجر الذي عند الله أن يرضى عن العبد ويدخله دار السلام. قال: [وأخيراً أيها القارئ! والمستمع! لا يفوتكما ولا إياي هذه الصفقة التجارية العظيمة التي ربحتها الفرقان العظيم، وتكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، والجنة والرضوان في دار السلام. ألا فلننتق الله عز وجل، ولنثبت على ذلك حتى نلقى الله تعالى. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] صلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. من ثمار التقوى: تكفير السيئات

[ثانياً] أي: من منتجات هذه التقوى [تكفير السيئات، وهي الخطايا، وهو] أي: ومعنى تكفيرها [سترها وعدم المؤاخذة بها، وإبطال مفعولها في تلويث النفس وتخبيثها. والسيئات: جمع سيئة، وهي كل معصية لله ورسوله صلى الله عليه وسلم من شأنها أن تسيء إلى النفس البشرية بالتخبيث والتلويث بأضرار السيئة وآثارها. وهل المراد بالسيئات التي فعلها العبد قبل التقوى؟ هذا هو الظاهر] فقد قال تعالى: يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ [الأنفال:29].

والظاهر أن المراد بها السيئات السابقة قبل أن يتقيه، فيمحوها ويغفر ما بعدها [ولكن لا مانع من أن المتقي تزل قدمه] في ساعة من الساعات [ويفعل سيئة ثم يتوب منها، فتزيل التقوى التي يعيش عليها أثرها من نفسه، ويصبح كأنه لم يقاربها أبداً] وهو كذلك. كيفية حصول العبد على الفرقان

معنى هذا: أنه يجب على المسلمين أن يكونوا أتقياء لله رب العالمين؛ حتى يكتسبوا هذه الأنوار، ويصبحوا لا يخطئون أبداً، وإذا رأوا شيئاً أصابوا ولم يخطئوا، وحينئذ يرهبهم عالم الكفر ويخضع ويخضع، ولا يقوى على مقاومتهم.

واليوم رجال السياسة في العالم الإسلامي لا يخرجون من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يخرجون من كليات السياسة، ولا كمال ولا جمال ولا حسن ولا اعتزاز في العالم الإسلامي، بل كل عام يتأخرون إلى الوراء.

ولا تظنوا أنني واهم في هذا، فهذه الفتن والاضطرابات والقلق والبكاء وغير ذلك نتيجة الخروج عن الصراط المستقيم.

وقد وضع الله صراطاً مستقيماً، فمن سلكه وسار فيه كمل وعز وساد، وانتهى إلى كماله، ومن انحرف وخرج يتقلب حتى يتحطم.

وأريد من هذا: أن يرجع المسلمون إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتلقون المعارف والهدى في بيوت الرب، فتجتمع كلمتهم ويجتمع منهجهم، فلا فرقة ولا خلاف ولا صراع، ولا دنيا ولا أهواء ولا شهوات، ولكن وحدة كاملة في السير إلى الله عز وجل، وحينئذ يصبحون كلهم نوراً. فليفهم المستمعون هذا.

واقرأوا دائماً: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [البقرة: 129].

وقد استجاب الله، وبعث رسوله في أولاد إسماعيل، فجمعهم في هذا المسجد يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، فخرج من حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بين يديه علماء ساسة ربانيين، لم تحلم الدنيا بمثلهم أبداً. فالطعام يشبع، والشراب يروي، والنار تحرق، والحديد يقطع، فسنة الله لا تتبدل ولا تتخلف، فإذا أقبل عباد الله على كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم في صدق لم يلبثوا أن يصبحوا سادة الدنيا وأئمة العالم، وقد حصل هذا في خمسة وعشرين سنة فقط، فقد انتشر فيها ظل الهداية الإلهية من وراء الصين إلى الأندلس في خمسة وعشرين سنة، وفي هذا الطرف خمسة وعشرين سنة لا يكمل فيها مصنع فقط، فلو أردنا مصنعاً حقيقياً ينتج لما كمل في خمسة وعشرين عاماً، ولكن هذا تم لأنهم عرفوا، وعبدوا الله واستقاموا على منهجه، فسودهم وكملهم وأعزهم، ونفع الحياة الدنيا بهم.

عاقبة الإعراض عن الكتاب والسنة

لما أعرض المسلمون عن الكتاب والسنة وأصبحوا مذاهب متعددة، وفرق وطوائف تتناحر، ثم أصبحوا دويلات ومقاطعات أصبحوا كما هم الآن في الذل والهون والفقر والدون والبلاء، إلا من رحم الله ممن عض بأسنانه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأزيدكم بياناً ولا تغضبوا: ليس في العالم الإسلامي بلد مستقر طاهر إلا هذا البلد، والسبب فقط هو: تحكيم الكتاب والسنة، وقال الله وقال رسوله؛ لأن هذه الدولة أقامها عبد العزيز على دعائم الدولة الإسلامية، التي قال الله فيها: الَّذِينَ إِنْ مَكَاتُكُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ [الحج: 41] إجبارياً، فالمدني كالعسكري، والغريب كالقريب والبعيد، فالكل يجب أن يشهدوا الصلاة. وَآتُوا الزَّكَاةَ [الحج: 41].

فجباية الزكاة إلزامية، حتى في رأس العنز وصاع الشعير؛ طاعة لله عز وجل. وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ [الحج: 41].

وإن شاهدنا ضعفاً وخللاً فيه فإن أعداء الإسلام يعملون ليل نهار، والله لقد عملوا جهدهم، ووضعوا من الترتيبات ما يترك به شأن الصلاة، ومن شاء يصلي ومن شاء يغني، إلا أن الله عز وجل - لتقوم الحجة على البشرية - حفظ هذه البقية لتبقى آية من آيات الله.

ولا أحد يرد علي في هذا، فقد استقل لنا نيف وأربعون إقليماً من إندونيسيا إلى موريتانيا، ولم يستطع إقليم يوم استقلاله أن يجبر المواطنين على إقامة الصلاة أبداً، ولا أن يأخذ منهم الزكاة بدل الضرائب، ولا أن يوجد هيئات خاصة للأمر بالمعروف في القرى والمدن والنهي عن المنكر، فهذا لم يحصل، ولن تسعد تلك الدول، ولن تصفو وتطيب وتكمل وتستغني وهي لم تقم على دعائم الكمال.

ونقول هذا للمواطنين السعوديين حتى يعضوا بالنواجذ على هذه البقية الصالحة، وذلك باستقامتهم على منهج الله، وترك الخنا والفساد والشر، والتكالب على الدنيا، والمحافظة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

وهذه أمانة في أعناق العلماء يجب أن يؤدوها.

وسنن الله لا تتخلف من أجل فلان وفلان.

والعجب أن اليهود عرفوا هذا، فصرفوا المسلمين عن الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشغلهم بالأغاني والمزامير والكذب والخداع، وهناك علماء في العالم الإسلامي ما عرفوا ولا فهموا، واليهود عرفوا، فهم الذين ينشرون الخنا والدعارة والفساد من أجل إحباط هذه الأمة وإبطالها. ونحن نبكي من هذا.

قال: [وسر ذلك تقوى عمر رضي الله عنه وشدتها حتى استحالت روحه إلى طاقة من نور، يشهد لهذا ويقرره قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه] أي: في عمر [(ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجه)]. وما ذلك إلا لقوة نوره الذي أثمرته له قوة تقواه لله سبحانه وتعالى. وقوله صلى الله عليه وسلم فيه: (لو كان في أمي محدثون- أي: تحدثهم الملائكة- لكان منهم عمر). رضي الله عنه وأرضاه. وذلك لقوة تقواه.

فلنذكر هذا أيها القارئ! والمستمع! ولا ننسه [و عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجرة وفي دار السلام، مع أن عمر هاشمي، وليس عدوي. من ثمار التقوى: الحصول على الفرقان

قال: [صاحب هذه التقوى هو الذي يجني ثمارها] الذكية الزكية الطيبة الطاهرة [وهي كما يلي] فهيا بنا إلى ثمار التقوى: [أولاً] أول ثمرة تجنيها أيها المتقي! الصادق في تقواك هي: [الحصول على الفرقان] فقد قال: يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا [الأنفال:29].

وهذا الفرقان شيء يفرق بين الحق والباطل، ويفرق بين الصالح والفاقد، وبين الطيب والخبيث، وبين السعيد والشقي، وبين الضار والنافع.

هذا هو الفرقان الذي يجعله الله [والفرقان هو نور يملأ قلبه، أثمرته له] وانتجته له [تقواه لله] فهو نور ولدته لهذا العبد تقوى الله عز وجل، فالتقوى تولد نوراً كالملكة المولدة للكهرباء، وكما توجد مكائن لتوليد الطاقة الكهربائية فكذلك التقوى الحقيقية تولد نوراً.

فعجباً للمؤمن [فصاحب هذا النور ينجو إذا هلك الناس، وينتصر إذا انهزم الناس، ويميز بين الحق والباطل، و [بين المعروف والمنكر، والخير والشر، والنافع والضار، والصالح والفاقد، إذا التبس هذا على غيره من فاقد نور الفرقان، الذي أثمرته تقوى الله عز وجل] فيحصل على هذه النتائج الطيبة.

وهذه ليست بربرية، وإنما عربية فصيحة، ولكن فقط انتبه، ولا تذهب بقلبك بعيداً، بل اجمع قواك العقلية، وسوف يفتح الله لك وتفهم. معنى الفرقان

قال: [ولك أن تعرف أيها القارئ!] والمستمع! [أن لفظ الفرقان مشتق] ومأخوذ [من الفرق بين الأشياء] فهناك فرق ما بين إبراهيم وعثمان، وفرق بين هذا الحبيب وذاك، فالفرق هو الشيء الذي يفرق بين شيئين، ويفصل بينهما، بحيث لا يكونان شيئاً واحداً، مثل قولك: فرق بين فلان وفلان، أو فرق بين الرجل وزوجته، أي: فصل بعضهما عن بعض [فالمتقي تصفو نفسه] والصفاء معروف، فهو ضد الكدر والظلمة، فتصفو نفسه [بفعله للطاعات المزكية للنفس، وبعده عن المعاصي المخبئة للنفس] إذاً [تصفو نفسه صفاء تصبح كأنها تعيش في النور، يغشاها] ويغطيها [من كل جوانبها] وأهل الحلقة المباركة قد أصبح هذا من الضروريات عندهم، فقد عرفنا أن العمل الصالح إذا أدبناه على النحو الذي أده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا فيه صادقين مخلصين فإنه يولد الحسنات وينتجها.

والحسنات هي: إشراقات تحسن بها النفس وتصبح لا أجمل منها، ولا أظهر ولا أصفى، كما أنهم عرفوا أن الذنوب والآثام الناتجة عن المعصية لله ورسوله تنتج خبثاً وظلاماً وغطاءً للنفس، فتتدرن النفس وتخبت، وأحياناً تصبح كأنفس الشياطين في خبثها، ويتجلى ذلك ويظهر في سلوك العبد عياناً لا خفاء فيه.

وتقوى الله عز وجل تكون بامتنال أوامره وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم، واجتناب نواهيها معاً؛ لأن الأوامر تركي، والمنهيات تخبت، فهو يزكي نفسه، ولا يرتكب أبداً محرماً مكروهاً؛ حتى يبقى الصفاء ويبقى الطهر للنفس

البشرية، ولا تتلوث، فلا يزال تصفو روحه وتزكو نفسه حتى يغمرها نور العبادة والطاعة، فتصبح ذات نور، وهذا النور يخرج على البصر، ويأتي من طريق السمع، ويأتي من طريق اللسان أيضاً، فيصبح هذا المؤمن صاحب هذا الفرقان لا يلتبس عليه الحق من الباطل، ولا الخير من الشر، ولا الضار من النافع، ولا الصالح من الفاسد، بل ما إن ينظر إلى الشيء حتى يتجلى له حقيقته.

والحمد لله أن من الله بهذه المنة على أوليائه، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ [الأنفال:29] حق التقوى يَجْعَلَ لَكُمْ فُرْقَانًا [الأنفال:29].

فهو الذي يجعله، وهو الذي يخلقه، وهو الذي يلقيه في النفس، وهو الذي يصنعه [فهذا النور يحصل لصاحبه قوة الفرقان التي يميز بها بين الملتبسات والمشتبهات، حتى يصبح قلماً يخطئ في نظرية يراها أو يقولها] ودعوني أتبجح لأنني ميت، والله ما رأيت ولا نظرت نظرية سياسية منذ بلوغي إلى اليوم إلا وقلماً تخطئ، وأقسم بالله، ولعل هذا من هذا النور ومن هذا الفرقان، والحمد لله، فنحن ما غشنا كبائر الذنوب ولا ارتكبناها، ولا آذينا مؤمناً ولا مؤمنة بأي أذى.

ولا عجب أن يكون لعبد الله نور أثمرته تقواه لله عز وجل، فإذا نظر في القضية وحقق النظر وتأمل وقال كذا فقلماً يخطئ، وليس هذا فقط، فسوف تسمعون عن ذلك السلف الصالح.

و عمر لم يكن عنده شهادة دكتوراة ولا فلسفة ولا علم سياسة ولا منطق ولا غير ذلك، بل أظنه كان لا يحسن القراءة ولا الكتابة، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كان في أمي محدثون)، أي: من تحدثهم الملائكة لصفاء أرواحهم (لكان منهم عمر ، ولكن لا نبي بعدي). وقال فيه: (ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجّه).

لأنه لا يقوى أن يمشي إلى جنبه؛ حتى لا يحترق، فالشيطان لا يقوى على النور، بل يحترق جسمه بالنار من الأنوار وبالنور الإلهي، ولا يقوى عليه [وهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: ما قال أبي في شيء: أظنه كذا إلا كان كما ظن] و عبد الله هذا تلميذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد تربى في حجر النبوة، ولا يمكن أن يكذب. وقد كان عمر مع رجل أتى ليقتل الرسول، وهو متأبط السلاح، فقال: أنت جئت لتقتل رسول الله، خذوه.

وأعطونا من رجال الأمن في العالم البشري من يملك هذا النور، فهم يتخبطون، وأعطونا من رجال السياسة، فهم والله يتخبطون كالمجانين، وقل من يصيب الهدف ويعرف الطريق؛ لأنهم لا نور لهم، فالكافر ليس له نور، والمشرِك كذلك ليس عنده نور، وكذلك الفاسق الماجن الذي يشرب الخمر والباطل ليس له نور، ولا يمكن أن يوجد له نور. معنى التقوى

على القارئ والمستمع أن يعلموا [أن هذا النداء الإلهي الكريم] الذي رددناه الآن، وهو: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلَ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الأنفال:29].

هذا النداء صاحبه الله الذي لا إله إلا هو [يحمل عطاءً] والعطاء معروف، وكذلك العطية والأعطية، فهو ما يعطاه المرء، ويسمى عطاء لأنه ليس مقابلاً لشيء، وإنما عطية كريمة [إلهياً ما فوقه عطاء، وأن المحروم] من الناس [من حرمة] أي: من حرم هذا العطاء والله العظيم [إنه وعد رباني] إلهي، فهو وعد من الله [والله لا يخلف الميعاد] فإذا وعدك الله فأبشر وأمل خيراً؛ فإن الله لا يخلف الميعاد؛ لأنه قوي قادر على كل شيء، وغير عاجز، والعاجز قد يعد ولا يفي؛ لضعفه وعجزه، وأما الذي هو على كل شيء قدير فإذا وعدك فاطمئن وافرح وأبشر؛ فإنه سينجز لك ما وعدك؛ لأنه على كل شيء قدير.

وهذا الوعد [وعد لمن اتقاه تقوى حقيقية صادقة] ليس فيها كذب ولا نقص [و] هذه التقوى [هي امتثال أوامره تعالى وأوامر رسوله] صلى الله عليه وسلم [واجتتاب نواهيها] أي: نواهي الله ونواهي رسوله صلى الله عليه وسلم [وترك الشبهات] لأن فعل الشبهات قد يؤدي إلى الزيغ والسقوط والزلل، ويحرم هذا العطاء العظيم، فهذا العطاء العظيم لا بد مع التقوى الكاملة فيه من ترك الشبهات [مخافة الوقوع في المحرمات] حتى لا يحرم العبد حينئذ هذا العطاء [وشحن القلب] وتعبته [بالنية الصادقة الخالصة] والشحن معروف، كشحن السيارة وشحن البطارية، كما قال القاموس [وشغل الجوارح] أيضاً [بالأعمال الصالحة، والتحفظ من شوائب] وخلائط [الشرك الخفي والجلي] من باب أولى [معاً].

الفرق بين المستمع والسامع

[الشرح] قال الشارح غفر الله له ولكم، ورحمه وإياكم: [اعلم أيها القارئ!] مثلي [والمستمع!] مثلكم، ولم يقل: السامع لنكتة، وهي أنه إذا مررت بقارئ يقرأ أو جلست إليه ثم جاءت السجدة وسجد القارئ فالذي يسجد مع القارئ المستمع، وليس السامع؛ لأن المستمع هو الذي أصغى يستمع، والذي لا يستمع وإنما سمع قول القارئ لا يسجد؛ لأنه لا يستفيد إلا المستمع الذي يصغي بأذنيه ويسمع كلام الله.

وفي السجدة للتلاوة يكبر للهوي وللرفع، ولا تسليم. والشاهد عندنا: هو قول أهل العلم: أن الذي يسجد مع القارئ هو المستمع، وليس السامع، فإذا كنت تستمع فلا تتردد، وأما إذا كنت ماشياً والقارئ يقرأ فلا تسجد، وكذلك إذا كنت جالساً تتكلم أو تقرأ في كتاب أو مشغولاً ولا تستمع، فلو سجد القارئ في هذه الحالة فلست ملزماً بالسجود، ولا مطالباً به، وإنما المطالب به هو المستمع، أي: الذي أعد نفسه وهياًها لاستماع كلام الله.

وكذلك هنا لم نقل: القارئ والسامع؛ لأن المخاطب هنا المستمع الذي لا يحسن القراءة إذا قال لمؤمن: اقرأ علي كتاب الله، أو اقرأ علي شيئاً من كلام الله، أو اقرأ علي هذا النداء؛ لأستمع إليه وأفهم وأعمل. فافهموا السر في كلمة المستمع.

وقد قلنا: على المؤمن والمؤمنة إذا لم يحسنا القراءة أن يقولوا لمن يحسنها: اقرأ علي شيئاً من نداءات الرحمن، وأسمعني شيئاً من نداءات ربي؛ فإني عبده وقد ناداني، وأنا لا أحسن القراءة، فمن فضلك يا بني! أو يا أخي! أو يا أبت! أن تسمعني هذا النداء. هذا هو المستمع.

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وقد أعد الله الأجر العظيم لمن خرج مجاهداً في سبيله وابتغاء مرضاته، باذلاً في سبيل ذلك نفسه وماله، ولا بد لكل مجاهد راغب في النصر والتمكين أن يراعي عدة عوامل لذلك؛ منها طاعة الله ورسوله، ولزوم الصبر والإخلاص لله، والبعد عن التنازع والاختلاف، وذكر الله تعالى تهليلاً وتكبيراً. بيان عوامل النصر في الجهاد

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمرة، وارض عنا كما رضيت عنهم. اللهم آمين.

هذا هو [النداء التاسع والأربعون] وهو [في بيان عوامل النصر في الجهاد، وهي طاعة الله والرسول] صلى الله عليه وسلم [وعدم النزاع، ولزوم الصبر والإخلاص لله] تعالى.

وهيا بنا نتغنى بهذا النداء؛ علنا نحفظه، وحفظه ضروري ولازم، ولن نصبح علماء إذا لم نحفظ، فالحفظ نصف العلم، وقد قسم العلماء العلم إلى نصفين، نصفه فهم، والنصف الآخر حفظ، فمن جمع بين الحفظ والفهم سما، ومن فهم ولم يحفظ مثلي فهو ناقص، ومن لا يحفظ ولا يفهم فهذه حيوان.

والحفظ مع الفهم هذا هو العلم، ومن يحفظ ولا يفهم يحصل على نصف العلم، ومن يفهم ولا يحفظ يحصل نصف العلم، وخيرنا من حفظ وفهم، وخير منه من علم ما علمه وعمل به وحفظه.

والجائزة العظمى لهذا هي: أن يدعى في السماء عظيماً؛ إذ من علم وعمل بما علم وعلمه غيره دعي في السماء عظيماً.

فعظماء الرجال ليسوا نابليون ولا ماركس ولا لينين، وإخوانكم يتغنون بهذا، ويذكرون أسماء أخبت الخلق وشرهم، ويعتبرون هؤلاء هم العظماء، ولم يعلموا أن عظماء الرجال هم الذين يعلمون شرع الله ويعملون به، ويعلمون غيرهم، هؤلاء يدعون في الملكوت الأعلى بين الملائكة - وليس بين البشر الهابطين - بأنهم عظماء الرجال.

اللهم اجعلنا منهم.

آمين.

وقد بدأنا نحفظ ونعلم ونعمل ونعلم، وعلموا أهل بيوتكم، وإذا علموا فهذا لا يكفي، بل انقلوا ما علمتم إلى غيركم، وإلى جيرانكم ورفقائكم في الطريق، ومن يجالسونكم في الصف الأول، فأعطوهم كلمة سمعتموها، وبذلك تكونوا قد بلغت رسالتكم.

[الآيات (45، 46، 47) من سورة الأنفال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُيِّمْتُمْ فِي شَيْءٍ فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ [الأنفال: 45-47] وهذه الجملة الأخيرة تهديد للذين يخرجون للمباهاة والتعالي على الناس؛ رياء وكبراً وبطراً، وهؤلاء الذين خرجوا بهذه الصورة هم أبو سفيان ورجاله من مكة إلى بدر، فقد خرجوا بطراً ورياء الناس، ويصدون عن سبيل الله، الذي هو الإسلام، فلا تكونوا مثلهم.

ولعلنا إن شاء الله نعاود قراءة هذه النداءات بعد أن نختمها؛ حتى يسهل حفظها علينا إن شاء الله، والآن نحن في منتصفها.

لا ترخيص لأحد في ترك ذكر الله تعالى إلا حال الجلوس لقضاء الحاجة

[ثانياً: قال أحد العلماء الربانيين: لو رخص [الله] لأحد في ترك الذكر لرخص لذكرياً؛ إذ قال تعالى له: أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا [آل عمران: 41]] لما طلب آية تدل على أن الولد سيكون من امرأته العجوز، وهو شيخ كبير، فقد قال: قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً [آل عمران: 41].
فقال: آيتك ثلاثة أيام لا تستطيع أن تتكلم فيها، فكان والله لا يقدر أن يتكلم إلا بذكر الله.
ولا إله إلا الله! ولو كان الله يرخص لأحد أن يترك الذكر لرخص لذكرياً، ولكنه قال له: وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا [آل عمران: 41]] ولو رضي لأحد في ترك الذكر لرخص للمجاهد في المعركة.
ومن هنا لا يترك الذكر إلا في حال واحدة، وهي حال جلوس العبد لقضاء الحاجة - التغوط-] فنحن ممنوعون عن الذكر في الحمامات والمراحيض فقط، وإذا لم تكن في المرحاض فاذكر الله، ولو كانت المسحاة في يدك أو القلم، أو أي شيء؛ لأنك لا تسعد ولا تكمل إلا بذكره؛ لأنك تكون موصولاً بالله عز وجل، فإذا تركت الذكر انقطعت الصلة وهبطت وذبحك الشيطان، ورمى بك في المزابل.
والذين يجتمعون على الباطل والمنكر قد انفصلوا عن الله؛ لأنهم تركوا ذكر الله.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
الذكر أثناء الجهاد يكون سراً إلا عند الهجمة الأولى فإنه يكون برفع الصوت

قال: [وهناك معلومات إضافية، إليك بيانها] أيها المستمع! وهي: [أولاً: الذكر أثناء الجهاد يكون سراً، إلا ما كان عند الهجمة الأولى، فإنه يكون برفع الصوت: الله أكبر! الله أكبر!] حتى ينهزم العدو، وبعد ذلك يكون الذكر باللسان والقلب، ولا تنسى ذكر الله وأنت تطلق رصاصاتك، أو تطلق صواريخك؛ فإن نسيته هبطت.
ويكون الذكر هكذا [وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب الصمت عند ثلاث:)] [الأولى:] (عند تلاوة القرآن) [والثانية:] (وعند الزحف) [والثالثة:] (وعند الجنزة) وفي غير بلادنا يقولون عند الجنزة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهذه تهاوليل، وعندنا كانوا يقولون: وحدوه.
وكشفنا السر، وقلنا: معنى وحدوه: يعني: قولوا: لا إله إلا الله، كما يقولون في سوريا والعراق وبلاد المسلمين، وهؤلاء يقولون: نخاف من الوهابيين إذا قلنا: لا إله إلا الله، فلا نستطيع، فالهيئة معنا تؤدبنا، فإذا قالوا: وحدوه لا يستجيبون، فالهيئة معهم، وهم يريدون من يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله بصوت المدينة.
وقد نهى الرسول عن هذا، ولكنهم لا يفهمون الرسول ولا سنته، فهم لم يدرسوا، ولا تعلموا.
فافهموا هذا السر.

فهم لما يقولون: وحدوه يعني: اذكروه بأصواتكم، ولا تخافوا من هؤلاء الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر.
والرسول يقول: (إن الله يحب الصمت عند ثلاث: منها عند الجنزة).
فاسكت وفكر وابلك بدموعك، وادع للموتى؛ لأنك إذا رفعت صوتك فهذا يعني: أنك تغني وتفرح.
ونحن لا نلهم؛ لأنهم لم يتعلموا.
فانظروا إلى أين وصلنا.

وقوله: (عند تلاوة القرآن) أي: إذا كان قارئ يقرأ فاسمع، ولا ترفع صوتك، ولا تتكلم.
قال: [والذكر المأمور به في القتال يكون بالسر بالقلب واللسان؛ إذ صح قول الرسول صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: (إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو يناجز قرنه)] والله أكبر! فالعبد الحق الصادق هو الذي يذكرني بقلبه وهو يناجز قرنه، والمناجزة هي: القتال بالمدفع أو بالسيف.
فهو في تلك الحالة يذكر الله بقلبه، ولا يتركه [أي: لا يشغله ذلك الحال عن ذكري ودعائي واستعائتي].
بيان نتائج التنازع والخلاف

[خامساً:] ومما تضمنه النداء: [بيان نتائج التنازع والخلاف، وأنها الفشل الذريع، وذهاب القوة المعبر عنها بالريح؛ لقوله تعالى: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ [الأنفال:46]] والقائل لهذا عليم، فهو خالق الريح وأصحابها. فلا تشك في هذا.

من عوامل النصر الصبر على مواصلة القتال بعد الإعداد له وتوطين النفوس وإعدادها في سبيل الله

[سادساً: الصبر] وهو لازم ضروري للمجاهدين، بل لازم لكل إنسان، ووالله لولا أنك تصبر على صلاتك لما أكتمتها، ولو لم تصبر على صيامك لأفطرت قبل العصر، فالصبر لا يستغني عنه المؤمن قط. فهو لا بد منه في كل ميدان.

والصبر هو: حبس النفس على العبادة حتى يكملها.

قال: [أي: على مواصلة القتال بعد الإعداد له، وتوطين النفوس، وإعدادها في سبيل الله تعالى؛ لقوله تعالى: وَاصْبِرُوا [الأنفال:46]] أيها المجاهدون! [إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [الأنفال:46]] وإذا كان الله معهم فلن يهزمهم أحد إذاً، ولا يمكن أن يهزموا والله معهم، وهذا ليس معقولاً.

وأيما فئة تقاتل على علم ويقودها إمامها الرباني وتصبر فإن الله معها، وسينصرها على عدوها، فهذا وعد الله، ولا أحد أصدق من الله حديثاً.

من عوامل النصر الإخلاص لله تعالى في الجهاد

[سابعاً: الإخلاص لله تعالى في الجهاد كما هو في سائر العبادات؛ إذ الإخلاص روح العبادة، فإن فقدت فقدت؛ إذ قال تعالى بعد الآية الثالثة: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ [الأنفال:47]] فهؤلاء لم يخلصوا لله شيئاً، فهم لم يخرجوا لله، وإنما خرجوا منتشين منطلقين؛ ليظهروا قوتهم للعالم، ولا يريدون وجه الله، وإنما يريدون أن يصدوا الناس عن سبيل الله، فلا نكن مثلهم [فحذر] تعالى [المؤمنين من أن يكونوا كالكافر الذين خرجوا من ديارهم لقتال المؤمنين بطرين متكبرين، مرانين بخروجهم وقتالهم غيرهم من المؤمنين؛ لصد الناس عن الإسلام] وهذا حصل في بدر في جيش أبي سفيان .

قال: [فلنذكر أيها القارئ الكريم!] والمستمع المستفيد! [أن هذه العوامل عوامل النصر، وهي أفعال وتروك] والأفعال أي: افعل، والتروك أي: اترك، فالترك يجمع على تروك، وقوله: أفعال وتروك أي: أوامر ونواه، مثل قوله: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ [الأنفال:47]. فهذا نهى. ومثل قوله: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا [الأنفال:46]. هذا نهى. ومثل قوله: وَاصْبِرُوا [الأنفال:46]. هذا أمر.

وهذه الأفعال والتروك [قد تضمنتها الآيات الثلاث التي نادى الله عز وجل عباده المؤمنين من أجلها] وهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ [الأنفال:45-47].

فقد هزمهم شر هزيمة؛ لأنه محيط بهم وبأعمالهم.

قال: [فلنحفظ الآيات، ولنكرر قراءتها وقراءة معانيها؛ فنصبح بذلك أهلاً لقيادة الجيوش وخوض المعارك] وهذا ليس بعيداً [ولن يصل إلى مستوانا الرفيع قائد معارك، ولو درس في كليات الحرب في العالم الكافر الفاجر] عشرين سنة أو أربعين.

وهذا صحيح، ونحلف عليه، فوالله لو أن جيشاً من جيوش العرب أسلم أولاً قلبه ووجهه لله وقال: لأحررن فلسطين من اليهود؛ لأقيم فيها دولة القرآن فوالله العظيم لو اجتمع أهل الأرض كلهم لما هزموه، على شرط أن تكون له عدة، ويكون له رجال.

ولكن لا أحد يفكر هذا التفكير.

وأولاً: أقيموا الإسلام في بيوتكم أيها العرب! فهذا أنتم تطاردونهم وتبعدونهم كل ساعة، ثم تريدون بعد أن تقيموا إسلاماً في فلسطين! فليس معقولاً هذا الكلام.

فلا إله إلا الله! وقولوا: آمنا بالله.

[رابعاً: عدم التنازع] والتنازع أصحاب الخمر يعرفونه، فهم يتنازعون الكأس أو القارورة أي: كل واحد يقول: أنا أخذه.

فالتنازع: أن يجذب هذا ويجذب وهذا.

والمقصود بالتنازع هنا أن يقول واحد: الآن نطلق الرصاص، والثاني يقول: كذا، وهذا يقول: نأتيهم من كذا، وهذا يقول: نأتيهم من كذا، فإذا حدث هذا انهزموا.

فلا يجوز التنازع، بل نكون كأننا رجل واحد، فإذا قال الأمير: امشوا مشينا، وإلا وقفنا [و] وعدم [الخلاف؛ إذ هما من موجبات الفشل الذريع، وذهاب القوة، وحصول الهزيمة المدمرة، والعياذ بالله تعالى] وصدقوا الله [دل على هذا قوله تعالى: وَلَا تَنَازَعُوا [الأنفال:46]] ولا ناهية، والفعل المضارع مجزوم بحذف النون، فلا تنازعوا فيترتب على ذلك [فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ [الأنفال:46]] وللمجاهدين ريح، ولكنها ليست ريح شرقية ولا غربية.

وقد قرأنا القرآن ونحن أطفال من أبناء الخامسة والرابعة من السنين، وكنا نحاول أن نفهم الريح هنا، ولم نستطع أن نفهم معنى الريح هنا أبداً في قوله: وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ [الأنفال:46].

فالريح التي عندنا الصبا والدبور، حتى تعرضنا للسيارات والشاحنات، ولما نكون في الطريق وتمر الشاحنة نشهد ريحاً عجباً، ونلوي رءوسنا، بل لما نكون في سيارة صغيرة وتأتي شاحنة بريحها فإنها تزعزع هذه السيارة، ففهمنا معنى الريح؛ لأننا إذا زحفنا مختلفين متباعدين، ولم نكن ملتصقين ببعضنا البعض فإن الريح تمر من بيننا؛ لأنه لا يوجد قوة، لكن إذا كنا كتلة واحدة وهجمت فإنها لا تنفذ من بيننا؛ لأننا مثل السيارة. فافهموا هذا.

فلما نهجم ونحن غير متراسين ولا متلاصقين، وإنما مختلفين فإن ريحنا تكون فاشلة، وليست قوية؛ لأنه ليس عندنا ريح، لكن إذا كنا كتلة واحدة لكان لنا ريح، وأنت إذا رميت عشرين حصاة بعد حصاة فإنها والله لا ريح لها، ولكن إذا جمعتها كتلة ورميتها لكان لها قوة وريح.

وسبحان الله! فالمقصود بذهاب الريح ذهاب القوة الدافعة، كما قال: [والريح: القوة، وهي الغلبة والنصر، كما يقال: الريح لفلان إذا كان غالباً، وشاهده من شعر العرب: إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة سكون].

فقوله: إذا هبت رياحك فاغتنمها أي: عجل.

فإن لكل خافقة سكون أي: تخفى وتسكن.

وقد تقدم لنا هذا المعنى في النداءات في قوله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ [الأنفال:24]. فإذا سنحت الفرصة وأصبحت قادراً على الخير فاعله؛ فإنك لا تدري فقد يقلب الله قلبك، فتصبح تكره المؤمنين وتكره الخير.

فإذا هبت رياحك فاغتنمها، فإذا جاءت الأموال وربحت التجارة وارتفع راتبك فاغتنم الفرصة وأنفق في سبيل الله؛ خشية أن يزول هذا.

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة سكون وسكون جاءت هنا مرفوعة؛ لأن اسم إن محذوف، والأصل: فإنه أو فإنها لكل خافقة سكون، ففي الظاهر فيها لحن، ولكن الحقيقة ليس فيها لحن، بل اسم إن محذوف.

قال: [ومن أراد فهم معنى الريح المفسرة بالقوة والنصر فليقف في طريق السيارات، أي: إلى جانب الطريق، ولينتظر حتى تمر به شاحنة مسرعة في جريها، فإنها تدفعه بريحها كعاصفة شديدة من الريح، ومن ثم يعرف معنى الريح في هذا النداء، وأنه القوة الدافعة للعدو؛ لأن المجاهدين إذا اتحدوا وصاروا صفاً واحداً وهجموا يوجد لهم قوة أعظم من ريح الشاحنة القوية، وهم في طريقهم إلى دفع العدو وكسره وتحطيم قوته].

من عوامل النصر طاعة الله ورسوله في أمرهما ونهيهما وطاعة قائد المعركة ومديرها

[ثالثاً: طاعة الله ورسوله في أمرهما ونهيهما] أي: فيما يأمران به وينهيان عنه [وطاعة قائد المعركة ومديرها؛ إذ طاعته ثابتة بأية] النساء: [أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ [النساء:59]] فطاعة القيادة عند خوض المعارك ضرورية، وإلا أتت الهزيمة، ولا تقل: ما ذكر هذا في الآية، أي: في قوله: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ [النساء:59].

فقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، وقال: (من عصى أميري فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى ربي، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع ربي).
 فإذا قادهم القائد واختلفوا فإن نتيجة هذا تكون الهزيمة من العدو، و الانكسار والتحطم [وهذه الطاعة - كما ذكرنا-] أي: طاعة الله ورسوله وقائد المعركة ومديرها [من أكبر عوامل النصر حسب سنة الله تعالى في هذه الحياة].
 من عوامل النصر ذكر الله تعالى كثيراً وذكر وعده لعباده بالنصر ولأعدائه بالهزيمة

قال: [ثانياً: ذكر الله تعالى تهليلاً] أي: يقولون: لا إله إلا الله [وتكبيراً] أي: يقولون: الله أكبر [وتسبيحاً] أي: يقولون: سبحان الله [ودعاء وضراعة] أي: يدعون ربنا انصرنا على القوم المشركين، حتى في القتال الذكر، ولقد علم أهل هذه الحلقة من المؤمنين والمؤمنات ما لم يعلمه واحد في المليون من العالم الإسلامي، ولو درسوا مليون سنة خارج كتاب الله وسنة رسوله لما وصلوا إلى هذا المستوى، فقد علموا سر الحياة وعلة الوجود، فيا أيها المستمعون والمستمعات ممن لم يلازموا هذه الحلقة! خلق الله السماوات والأرض، وخلق الجنة والنار، وهذه البشرية، وهذا العالم من الجن والملائكة من أجل أن يذكر ويشكر فقط، فقد أراد أن يذكر ويشكر، فخلق الملائكة وطبعهم على ذكره وشكره، فهم يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ [الأنبياء:20].
 وخلق الإنس والجن وفرض عليهم الذكر والشكر، فمن ذكر وشكر أنزله منازل السعداء في الملكوت الأعلى، ومن نسي وترك وكفر أنزله منازل الأشقياء في عالم الشقاء.
 وأما خلق الفواكه والبطيخ والثمار والحيوانات فهي مخلوقة من أجل الإنسان؛ ليأكل فيحيا حتى يذكر ويشكر، فإذا ترك الذكر والشكر كان شر الخليقة، وأسوأ من القردة والخنازير.
 وأقول هذا على علم.

فسر الخليقة الكفار بالله، التاركين لذكر الله، المشركين به غيره، قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ [البينة:6].
 وهذا كلام الله سبحانه وتعالى.

والمراد من البرية والبريئة: الخليقة، وبرأ إذا خلق، والمبروء: المخلوق، والبريئة بمعنى: المخلوقة.
 فسر الخلق الكافرون بالله، الذين لا يشكرون الله ولا يذكرونه، ومدى جريمتهم وقبحها ليست كالذي يفسد السماوات ويذبيها، ويفسد الأرض ما فيها، فهذا ليس مثلهم، بل مثل الذي يدمر وينسف الجنة كلها، ويخرب النار، ويخرب السماوات والأرضين وما فيهما، فهذا جريمته كجريمة من ترك الذكر والشكر؛ لأن الله ما خلق السماء والجنة والنار إلا من أجل أن يذكر ويشكر، فإذا عطل الذكر والشكر كانت جريمته نفس العوالم كلها.
 والدليل والبرهنة على هذا: أن هذا يخلد في عذاب لا ينتهي أبداً، وتمر بليارات السنين ولا ينقضي؛ لأن جريمته ليست قتل إنسان أو تدمير قرية أو إسقاط كذا، بل جريمته أنه خرب الكائنات كلها، والتي من أجله خلقها الله.
 وها هم عباد الله يخوضون المعركة والدماء تسيل، والأرواح تزهق، والرءوس تتطاير، وهم يذكرونه.
 قال: [وذكر وعده تعالى لأوليائه بالنصر و] ذكر [وعيده لأعدائه بالهزيمة] وهذا ذكر باللسان وبالقلب أيضاً، فإذا خضنا المعركة أثناء الزحف ذكرنا الله بألسنتنا مهللين مكبرين مسبحين داعين سائلين النصر، ضارعين إليه، ذاكرين وعده لأليائه بالنصر؛ حتى لا نفترو ونذهب منهزمين، ذاكرين وعده لنا بأن ينصرنا على أعدائنا؛ فيزيد هذا في قدراتنا المعنوية وطاقتنا، ونصبح مصممين على أن يكون النصر لنا بإذن الله [دل عليه] أي: على هذا الذي سمعناه [قوله تعالى: وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الأنفال:45]] في قتالكم وتنتصرون وتفوزون [أي: تفوزوا بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة بعد النجاة من الهزيمة والمذلة في الدنيا و] من [النار وعذابها] يوم القيامة [في الآخرة] فاعرفوا هذا.

وقد كنا في بيشاور منذ سنوات في بداية الجهاد في الأفغان، وكان هناك شاب تونسي عجب، لا أدري أين ذهب، كان في فرنسا، ودرس في كليات الحرب عندهم، وكون جيشاً أو فصيلة في بيشاور وزحف بها إلى قتال الروس في بلاد الأفغان - وإياك أن يخطر ببالك أن الشيخ يكذب، انزع هذا، فهذه الأمراض فتكت بنا، فتجد أحدهم يسمع ويسخر، ويقول: الشيخ يكذب.

وأنا أقول هذا لأننا عشنا هذا، وما زالت الأمة تهبط- فصف رجاله صفوفاً، ثم نطقوا بكلمة واحدة: الله أكبر، وكان نطقهم والله لأقوى من صوت الرعد، وكان صوتاً متزناً، لو سمعه اليهود والنصارى لصعقوا على الفور، واندھشنا، وكلامي ليس بشيء بجانبه.

ولا إله إلا الله، فقد ارتعدت القلوب منه.

ولما تكبر مثل هذه التكبيرة وتهجم على العدو والله لتحلل وزال وتيخر. وأزيدكم صورة عاجلة: حدثنا رجالاً أننا في جيشنا جيش هذه المملكة أنهم لما يخرجون على الجيوش الباطلة المهزومة قالوا: والله إنهم ليفرون ويهزمون.

وهذا بسبب ذكر الله، والذي لا يذكر الله والله لا ينتصر إن قابل وقاتل من يذكر الله.

ولهذا لو أن المؤمنين عرفوا الطريق إلى الله لما أذلهم من يذل، ولا هزمهم من يهزم.

والدليل على ذلك: أنه في خمسة وعشرون سنة فقط وهم يركبون على الإبل وعلى الحمير أيضاً، ولا يوجد معهم بواخر ولا سفن، ولا غير ذلك وصلوا بالإسلام إلى ما وراء نهر السند وإلى الأندلس، وقد تم هذا في خمسة وعشرون سنة فقط، وهذا ليس سحراً، وإنما لأن إيمانهم كان غير إيماننا، وعلمهم ومعرفتهم كانا غير علمنا ومعارفنا.

هذا هو السر.

فهيا نرجع إليهم، ونسلك سبيلهم؛ حتى نكون مثلهم، بل قد نكون خيراً.

ولكننا لا نستطيع، فنحن لا نستطيع أن نجتمع في بيوتنا أو في بيوت ربنا، ونبكي بين يديه كل ليلة طول العام؛ ليجدد العهد لنا، ويرفعنا بعد الضعة، وينصرنا بعد الهزيمة، ويوحدنا بعد الفرقة والخلاف.

ونحن لا نرجع إليه؛ لأننا مستكبرين، ولسنا في حاجة إليه، هذا لسان الحال، فهو يقول: أنت تريد الأغنياء والأمرء والصالحون والضباط يجلسون في المسجد، ويكون بين يدي الله، وأقول: نعم، فقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من عوامل النصر الثبات في وجه العدو والصمود في القتال

قال: [وفي هذا الآيات الثلاث التي تضمنها هذا النداء الكريم تعليم عالٍ جداً لخوض المعارك والانتصار فيها. وهذا بيانها]: أولاً: الثبات في وجه العدو [إذا التقينا وجهاً لوجه زاحفين بالدبابات أو على أرجلنا] والصمود في القتال، حتى لكان المجاهدين جبل شامخ لا يتحرك [فيجب أن نكون كالجبل الذي لا يتحرك. فما أن يرى العدو هذا الثبات حتى ينهار] [دل على هذا قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً [الأنفال:45] طائفة مقاتلة] يعني: من الكفار.

والمراد من الفئة: جماعة يفىء بعضهم إلى بعض، ويتكفلون ويتقوون [فَاتَّبِعُوا [الأنفال:45]، أي: في وجه تلك الطائفة الكافرة المقاتلة، ولا تفروا أبداً] وقد سمعتم في النداء الذي قبل هذا أنه يحرم الانهزام، فقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [الأنفال:15-16].

إلا في حالتين عرفناهما، أن يكون متحيزاً لقتال، أو متحيزاً إلى فئة.

ولهذا الفرار يوم الزحف من كبائر الذنوب، فالذي يعطي العدو دبره ويهرب هذا توعده الله بمر العذاب، فقد قال تعالى: فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [الأنفال:16].

وهنا يعلمنا مولانا وسيدنا وربنا وإلهنا كيف نخوض المعارك، فاحفظ هذا النداء، وافهم معناه فقط، ثم خذونا إلى أية معركة فلن ننهزم بإذن الله.

وقد ذكرت لكم الرواية التي روينها عن الصالحين عن جيوش الدولة العثمانية أيام كانت تفتح شرق أوروبا، فقد كانوا يربطون المقاتل مع المدفع، فيقاتل ويقاقل حتى تنفذ ذخيرته، ويبقى كالأسد، فيذبحون رقبتة ويقتلونه، ولا يلين ولا يذل ولا ينكسر أبداً.

وهذا أخذاً من قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ [الأنفال:15].

وجيوش العرب لم يتعلموا هذا، وما أظنهم قرءوا سورة الأنفال، بل يقرءون عجائب قتال أوروبا، وكيف كانت ترحف على المسلمين وتدمرهم، وهذا في أغلب الكليات الحربية، وأما القرآن هذا فلا يقرأ إلا على الموتى، ويقولون عن قراءته: هذه رجعية، ولو تقول: قال الله يقولون: اسكت.

وقد كتب طالب أو أستاذ: بسم الله الرحمن الرحيم فدخل مشرف على الأستاذ وقال له: امح هذا، فسأله عن السبب، فقال: هذا رجعية وتخلف.

وهذا في بلاد استقلت من الاستعمار.

فافهموا هذا.

ولهذا لا تعجبوا من الفتن والهبوط والسقوط، وانحرافنا وانحيازنا بعيداً عن جادة الحق والصواب، إلا من رحم الله.

بداية الإذن لأهل الإيمان بقتال عدوهم والدفاع عن أنفسهم

[الشرح] أي: شرح نداء الله ونداء الرحمن إلينا؛ حتى يفهم مراد الله من ندائه، وسر الفهم لنعمل بما طلب سيدنا منا، فإن قال: اصبروا صبرنا، وإن قال: لا تنازعوا لم نتنازع، وإن قال: لا تكونوا كالناس الفلانيين فلن نكون مثلهم؛ إذ هذا استعدادنا الذي هو ثمرة إيماننا ومعرفتنا بالله.

[اعلم أيها القارئ الكريم! والمستمع المستفيد!] وقد فرقنا بين السامع والمستمع البارحة، فالمستمع هو الذي أصغى بأذنيه يسمع؛ ليتعلم الهدى فيعمل فينجو فيفلح [ولنعلم كلنا] وليس السامع والقارئ فقط [وكل مؤمن ومؤمنة أن هذا النداء الإلهي الكريم موجه إلى المؤمنين بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد [صلى الله عليه وسلم] نبياً ورسولاً، وقد أذن لهم في قتال أعدائه الكافرين به وبلقائه وكتابه ورسوله] فقال: أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا [الحج:39].

وهذا بعد نهي دام أربع عشرة سنة، وقد كان المسلمون يتحملون ولا يقتلون ولا يقاتلون، فأذن لهم لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، واستنارت البلاد وكثر المؤمنون والمجاهدون، فنزلت آية الحج: أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ [الحج:39] فكانت أول سرية غزت سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه [فخرجت أول سرية يقودها عبد الله صهر نبينا، وهذا هو أخو زينب أم المؤمنين، وقد عرفتم أنه صهر النبي صلى الله عليه وسلم، وابن عمته أيضاً].

وكانت هذه أول سرية.

وهذه الآية تعلمنا كيف نقاتل الكافرين والمشركين، وكيف ننتصر، ولو عرفها رجالنا لما احتاجوا إلى كليات الحرب، فهذه هي الكلية الحقيقية، ولا تشكوا في هذا، فسيدنا ومولانا نصح لنا، وبين لنا طرق الفوز والنصر على أعدائنا، وإن خالفنا النصائح والتوجيهات فوالله لن ننتصر، وأحلف على هذا.

ولذلك لم ينتصر المسلمون على اليهود في فلسطين، مع أن نسبة اليهود إلى المسلمين واحد إلى مائة، وهذا يعني: أن مائة كاملة تنهزم أمام واحد، وقد انهزمت والله؛ لأنهم خرجوا عن طاعة أمر ربهم، ولم يمتثلوه، ولذلك فلن ينصرهم، ولن يغشهم، فالله لا يغش عباده، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولكنهم هم الذين رفضوا مبادئ النصر ومقوماته وأسبابه، وتجاهلوا، وعملوا العكس، ولذلك كلما اصطدموا مع اليهود هزموهم.

وهذا صحيح.

فهيا إذاً نفهم مراد الله من هذا النداء.

قال: [وتأتي غزوة بدر الكبرى] بعدها مباشرة [وانفتح باب الجهاد اليومي على مصراعيه، وهم في حاجة إلى تعليم رباني] إي: إلى تعليم الله [وهداية إلهية، يعرفون بموجبها كيف يخوضون المعارك، وينتصرون بها] فقد انفتح باب الجهاد، فينبغي أن نفتح كليات حربية؛ حتى يتعلموا.

والله عز وجل في هذا النداء فقط علمهم كيف يقاتلون وينتصرون، فلا نحتاج إلى أن ننقطع في الكلية أربع سنين، بل اجلس اعمل في مزرعتك، وفي ليلة واحدة فقط تعرف.

ولست واهماً في هذا.

إن المسلم الناصح يحب الخير لكل الناس، ويرغب لكل ضال ومنحرف بالهداية والصلاح، ولكن الهداية إنما هي بيد الله وحده، فمن اهتدى فهو من أولياء الله وحزبه، ومن ضل وكفر فهو من أولياء الشيطان وحزبه، وقد شرع الله لعباده المؤمنين تولى كل مؤمن وإن لم يربطه بهم رباط من قرابة أو دم، وأمرهم بنبذ كل كافر ولو كان أباً أو أخاً أو ابناً أو زوجاً.

حرمة اتخاذ الأقارب أولياء إن هم استحبوا الكفر على الإيمان

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا والحمد لله ربنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

وهذا هو [النداء الخمسون] فهذا النداء يكمل خمسين نداءً، وقد نادانا الرحمن وسمعنا النداء، فأجبنا والحمد لله ربنا، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم [الحديد: 21].

هذا النداء الخمسون [في حرمة] ومنع [اتخاذ الأقارب] كالأباء والأمهات والأبناء والبنات والإخوان والأخوات [أولياء] أي: بحبهم ونصرتهم، وذلك [إن هم استحبوا الكفر على الإيمان] وأصبحوا يحبون الكفر والكافرين، ويبغضون الإيمان والمؤمنين، فيحرم على المؤمنين موالاتهم بحب أو بنصرة.

وهذا النداء الكريم هو في [الآية (23)] من سورة التوبة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [التوبة: 23] [وقد عرفتم أن الظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه، فإله عز وجل يحب المؤمنين، فالذي يحب الكافرين وضع الحب في غير موضعه، والله يبغض الكافرين ويحب المؤمنين، فالذي يضع الحب في الكافرين والبغض في المؤمنين فهو ظالم، بل هو من أعظم الظالمين.

وهيا نتغنى بهذا النداء؛ رجاء أن نحفظه، أو يحفظه منا من فتح الله عليه قبل شرحه وبيان ما فيه، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [التوبة: 23].

من المعاني التي يهدي إليها هذا النداء الكريم

قال: [هذا وإليك أيها القارئ! والمستمع! بعض ما يهدي إليه هذا النداء الكريم زيادة على ما علمت من شرحه وبيانه وهذا كالخلاصة.

[أولاً: اعلم أن هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ [التوبة: 23] إلخ] وهو قوله: [وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [التوبة: 23].

فهذه الآية في هذا النداء [متضمنة حكم حرمة موالات الكافرين، ولو كانوا من أقرب الأقارب] كالأم والأب، فلو أن أباك تنصر .. أمك تهودت .. أبوك أشرك أو أمك فقد انقطعت الصلة، فلا موالات، ولا حب ولا نصرة، وإن قلت: لا، فمعنى هذا: أنك خرجت عن نظام الله، وأنت في طريقك إلى الكفر بالله [وهذا الحكم عام في أمة الإسلام إلى يوم القيامة، ولا التفات إلى سبب نزولها؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب] فلا يجوز لمؤمن في أوروبا أو

في أمريكا أو في اليابان دخل في الإسلام وبقي أبوه كافراً أو أمه كافرة موالاة هذا الكافر، بل يجب أن يتبرأ منه ويغضه، ولا يحبه، وإن طلب نصرته لا ينصره أبداً؛ إذ العلاقة قد انقطعت، ولما كان معه في الكفر كان يؤيه وينصره ويحبه، وأما وقد أسلم وأحب الله ورسوله والمؤمنين وأبوه باقٍ على كره وبغض الله والرسول والمؤمنين فلا يحبه، ولا ينصره.

[ثانياً: أن من تولى المشركين صار مشركاً] ومعنى يتولاهم أي: يحبهم بقلبه، وينصرهم إن احتاجوا إلى نصرته، فمن فعل هذا فقد أصبح مشركاً، وما دام قد أحب المشركين ونصرهم فهو والله مشرك؛ لأنه رضي بالشرك، وما أحب أباه المشرك إلا أنه رضي بالشرك، ومن رضي بالشرك فهو مشرك [كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: من تولاهم فهو مشرك مثلهم؛ لأن الرضا بالشرك شرك] ولهذا اذكروا ما تقرر عندكم وأنتم به عالمون: أن من قال وشهد: أشهد أن لا إله إلا الله فقد دخل في الإسلام، ويجب عليه أولاً: أن يعبد الذي شهد أن لا معبود إلا هو، فإن لم يعبده فقله: لا إله إلا الله متناقض ولا يقبل منه، فإذا قلت: أنا أشهد على علم أن لا معبود إلا الله ثم لم تعبد فليس لهذه الشهادة معنى، كالذي يقول: أنا أعتز بهذا البيت لأبي جميل فإذا قيل له: اخرج منه، قال: لا، لا أستطيع، ولن أعطيه إياه.

فهذا الاعتراف لا ينفع هذا.

فالذي يقول: لا إله إلا الله يجب أن يعبد الله، فإن لم يعبد فقد ناقض كلامه: لا معبود إلا الله؛ لأنه لا يعبد، فهذا تناقض.

ولو كان صادقاً وقال: لا إله إلا الله وسيدي فلان، أو لا إله إلا الله والعزى، فيكون حينئذٍ حسب شهادته، وأما أن يقول: لا معبود إلا الله ويعبد معه غيره فقد تناقض، وقوله مردود عليه.

بل لا يرضى ولا يعترف بعبادة غير الله أبداً، فليشهد أن لا معبود في العالم إلا الله، وليعبد ولا تعبد معه غيره، ولا يرضى بعبادة غيره، فإن رضي عن فلان وهو يعبد صنماً أو حجراً فقد تناقض. وهذا هو التناقض.

فلا بد من التخلية قبل التحلية.

معاشر المستمعين والمستمعات! من قال: أشهد أن لا إله إلا الله فيجب لكي يقبل منه هذا: أن يعبد الله أولاً: وأن يعبد وحده ثانياً، وأن لا يعترف بعبادة غير الله ثالثاً، وإلا قوله: أشهد أن لا إله إلا الله كذب، ليس صادقاً فيه أبداً. قال: [ويستثنى من هذه المقاطعة] التي علمنا: [الإحسان والعطية للأقارب الكفرة] فإذا كانت أمه مشركة لكن احتاجت إلى طعام .

إلى كساء فيكسوها ويطعمها، ولا يتركها تموت.

وإذا كان أبوه كافراً واحتاج إلى ماء أو إلى كساء أو إلى إيواء فيحسن إليه، وليس معنى هذا: أنه أحبه أو نصره، وإنما صلة الرحم اقتضت صلته.

ونحن نقول هذا حتى مع العدو الكافر الأحمر، فإذا جاع نطعمه عله أن يسلم ويعبد الله عز وجل، ولا نتركه يموت؛ وذلك [لحديث أسماء] في الصحيح [إذ قالت: (يا رسول الله! إن أمي قد قدمت عليّ راغبة، وهي مشركة، أفأصلها؟ قال: صلي أمك)] يا أسماء! وأسماء هذه هي بنت الصديق، وهي أخت عائشة من أبيها، وهي أم عبد الله، وأسماء هذه تزوجها الزبير بن العوام، وقد كانت تحمل التمر من وراء أحد إلى هنا، وهي ذات النطاقين، ومعنى ذات النطاقين أي: حزامين، فقد شقت حزامها، فاحتزمت ببعضه، والبعض الآخر ربطت به الطعام الذي كان يحمله أبو بكر والرسول صلى الله عليه وسلم ساعة هجرتهم، فسميت بذات النطاقين، فأسماء هذه وهي بالمدينة جاءت أمها من مكة في أيام الهدنة - هدنة الحديبية - فقد كانت عشر سنوات، وكان الناس يتنقلون فيها؛ لأنه ليس فيها قتال.

فجاءت المدينة وقالت: أنا محتاجة وراغبة، فلم تستطع أسماء أن تفعل شيئاً وهي لا تعلم حكم ذلك، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسألني، قالت: (يا رسول الله! إنني أمي أنت راغبة - طامعة في - وهي كافرة، أفأصلها - أي: بشيء من الطعام أو الثياب - قال: صلي أمك يا أسماء!).

ولا تقطعيها، بل أعطيها.

(فأهدتها ثياباً، وأعطتها طعاماً).

وليس معنى هذا: أنها أحببتها وهي تبغض الله ورسوله والمؤمنين. وإياكم أن تفهموا أن الصلة هي الموالاة، فالموالاة هي: الحب والمناصرة. وهي لن تحب أمها أبداً وهي كافرة بالله مشركة، ولو تمزقت، ولن تقف إلى جنبها تنصرها ضد مؤمنة، فهذا مستحيل، وإنما وصلتها لكونها احتاجت إلى طعام وشراب، وقد قلت لكم: هذا نعطيه لأي كافر. وأخرى: وقد ذكرتها لكم: إنها ما أقدمت على إعطاء أمها وصلتها حتى استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد علمتم هذا، وهو: أنه لا يحل لمؤمن أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، فلا تقل ولا تفعل ولا تعط ولا تمش حتى تعلم هل أذن الله لك في هذا أم لا؟ وتستأذن ربك فيه، أي: كتابه ورسوله وعلماء ملته وشريعته، وتسال عن حكم هذا القول؟ ولو أخذ المسلمون بهذا والله لما دخن منهم عشرة في المائة، ولا فتح باب بنك، ولكنهم لا يسألون، بل يقدمون على الشيء ويعملون بما تمليه أنفسهم، أو بما يمليه عليهم إخوانهم بدون سؤال، فيقعون في الورطة، ولا يخرجون منها.

وهذه الصديقة تقول: (يا رسول الله! إن أُمِّي قد قدمت عليّ راغبة أفصلها بشيء؟ قال: صلي أمك) . فأهدتها الدقيق.

ثالثاً: [إن حُب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من أوجب الواجبات، ومن لم يحب الله ورسوله فليس بمؤمن وإن ادعى الإيمان] وهذه واحدة.

فاعلموا أن حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من أوجب الواجبات، وهي كثيرة، ومن لم يحب الله ورسوله فليس بمؤمن، كالذي يبغض الله ورسوله ليس بمؤمن، وإن ادعى الإيمان، وقال: هو مؤمن [ولنصغ] بأذاننا [إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرر هذه الحقيقة] ويثبتها [(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان)] أي: ثلاث خصال وصفات من وجدن فيه وأصبحت هذه الصفات عنده فهو قد وجد حلاوة الإيمان، وذاق طعمها وتلذذ بها، ومن لم توجد عنده لم يذق حلاوة الإيمان.

ثم يقول صلى الله عليه وسلم في بيان هذه الخصال الثلاث: الأولى: [(أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)] أي: أحب إليه من نفسه .. من أمه .. من زوجته .. من ماله .. من ولده. فيكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. ومن الأمثلة العامة على هذا: لو كان حبيبك أبو عبد العزيز وقد علمت أنه أحب هذا الإناء الذي بين يديك من الماء أو الشراب فإنك لا تشربه، بل تعطيه لحبيبك.

فاذاً: إذا طلب منك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ونفسك تحبه أو أبوك أو أخوك فانظر بمن تبدأ؟ فإن أعطيت الرسول صلى الله عليه وسلم فأنت تحب الرسول، وإن أثرت نفسك أو امرأتك أو إخوانك فوالله إن دعوى الحب لا تنفع.

فاعرفوا هذا.

ولو ناداك مناد الله: أن حي على الصلاة وأنت في مجلس، ولا تريد أن تترك إخوانك وأحبائك؛ حتى لا تقلقهم وترعجهم إذا قمت وتركتهم، فواصلت الضحك واللعب معهم حتى انتهى وقت الصلاة فأنت لم تحب الله؛ لأنك لم تعطه ما يحب وقد ناداك.

قال: [(وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم. عاقبة من أثر حب أقاربه على حب الله ورسوله

قال: [وختم تعالى إنذاره] في هذا النداء [بهذا التهديد العظيم الذي لا يطاق، فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم] في سياق الآيات [قل لهم] يا رسولنا! [قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ [التوبة: 24]] وقد ذكرت في أول الكلام: أن هذا نزل في الذين آثروا البقاء في مكة، فقد كان هذا يتعلل بأن أمه كبيرة، وهذا بأن أباه غائب، وهذا أولاده كذا، وهذا تجارته ستوقف، وهذا كذا، وقد كان مفروضاً عليهم الهجرة، والالتحاق بدار الإيمان؛ من أجل نصرة الله والمؤمنين.

فلما تمللوا وتأخروا، ولم يجدوا أو ينشطوا أمر رسوله أن يبلغهم: قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [التوبة:24].

وهذه تخلخل وتزعزع القلوب، فلم يستطع أحد أن يبقى بعد هذا.

وهذا كذلك إذا نادى إمام المؤمنين أن هلم إلينا، فمن قال: الفلة أنا ما سكنتها بعد، فلن أتركها وأمشي، أو قال: الآن أنا بدأت تجارة، فلن أتركها، يصدق عليه مثل هذا: قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ [التوبة:24] حتى الزوجة إذا لم تتركها وبقيت تعيش معها ولم تخرج من البلاد، وَعَشِيرَتُكُمْ [التوبة:24]، أي: جماعتكم، أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ [التوبة:24] إذا: فَتَرَبَّصُوا [التوبة:24].

وانتظروا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [التوبة:24].

ونحن إخواننا لا يصلون حتى الصلاة، ولا يأتون حتى المساجد، فهم مشغولون باللهو والباطل.

وعلى كل حال: يدخل الله في رحمته من يشاء.

وإقامة مجتمع قرآني إسلامي سهل، فليس هناك من يضغط علينا حتى نكفر، ولا حتى نفجر، ولا حتى نفسق، ولا حتى نكذب ونفعل المعاصي، وهذا في العالم الإسلامي بكامله.

ونحن هكذا نقبل على الشيطان ودعوته، ونعرض عن الرحمن ونداءاته.

وهذا موت.

ويعذر المؤمنون إذا اضطهدوا أو إذا عذبوا أو إذا نكل بهم وذبح أطفالهم بين أيديهم؛ لأنهم قالوا: لا إله إلا الله.

والحكومات اليوم - كيفما كان شأنهن- لا يلزم من إنساناً أبداً بأن يكفر بالله ورسوله، أو بأن يترك عبادة من عبادات الله، ولا يلزمه ولا يقهرنه على أن يعصي الله ورسوله، وإنما نحن من أنفسنا نشرب الحشيشة، ونفعل الزنا والفجور، والخيانة والكذب والربا، ونترك الصلاة، ونأتي الغيبة والنميمة، وكأنا ما شممنا رائحة الإسلام. وأنا لم أبلغ فيما أقول.

ولو كان هذا النداء موجهاً إلينا بهذا التهديد العظيم الذي لا يطاق فكيف سيكون حالنا؟ فقد قال لرسوله صلى الله عليه وسلم: قُلْ [التوبة:24]، أي: قل لهم: إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [التوبة:24] [أي: إلى التوبة والإنابة إليه، والرجوع إلى محبته وموالاته؛ إذ هم توغلوا في الفسق بالكفر والظلم والشر والفساد؛ إذ سنة الله سبحانه وتعالى: أن من أدمن على شيء قل ما يتركه ويتخلى عنه [وهذه معاشر المستمعين! خذوها واحفظوها؛ فهذه سنة من سنن الله، فارتفعوا بها إلى مستوى العالمين، فإن الله سنناً لا تتخلف، فالذي يقبل على طريق في الفساد يوماً بعد يوم يأتي يوم لا يقبل الرجوع، وقد عرفتم من ابتلوا بالتدخين، فقد سمعوا النداء، فقد ناداهم الله، وناداهم الأولياء والمؤمنون: أن هذا حرام، ولكنهم لم يستطيعوا تركه؛ لأنهم دخنوا عشرين سنة، وظلوا يدخلون ليل نهار، وكذلك الذين ألفوا مجالس الباطل والفكاهة والكذب والقول الباطل، وتوغلوا فيه عشرين سنة، لم يستطيعوا الانتقال من ذلك المجلس الباطل إلى مجلس حق وهدى.

ويقول علماء النفس - ونحن أعلم منهم-: لما ترى الشرطي قد وضع الحديد في يد السارق وهو يقوده إلى السجن، فإن السارق في ذاك الوقت وأنت خائف عليه يفكر كيف يسرق إذا انطلق.

هذا الذي يفكر فيه، وأنت تقول: لقد رأيته أخذه إلى السجن، وهو سارق، والآن سيعذب وتقطع يده، هو يفكر كيف يسرق؛ لتوغله في السرقة؛ فهذا من حكمة الله وإحسانه ولطفه شرع التوبة وفرضها على أن تكون فورية، ولا تؤخر حتى يعاود الذنب مرة أو مرتين أو ثلاثاً [وكلمة الفاسقين دالة على التوغل في الفسق بالكفر والظلم والفجور] فهو ما قال: والله لا يهدي قوماً فاسقين، وإنما قال: وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [التوبة:24].

وقد بلغنا: أنهم يجلسون أمام الفيديو والتلفاز، وخاصة ما يأتي من طريق الصحون الهوائية، ويجلسون هكذا إلى نصف الليل .. إلى آخر الليل، نساء وأطفالاً ورجالاً، فقد أدمنوا عليه، ولا يستطيعون تركه، ومن قال: إنهم يستطيعون فليريني واحداً منهم يأتي يقول: أنا كسرت هذا الدش وتبت إلى الله، وأنا الآن أسمع الهدى وأعمل به.

بل سنة الله فيمن ألف فقط أن يشرب كأس شاي بعد العصر فإنه لا يستطيع أن يتخلى عنه، مع أنه شراب طيب، ومن اعتاد أن يتناول إفطاراً بعد صلاة الصبح لا يقوى على تأخيرها، ويدلكم لذلك: أنه يكافح هذه العادة بالصيام، ويكون الصيام صعب عليه؛ لأنه فقط اعتاد أن يأكل في النهار، فلا يطيق أن يترك أكل النهار ويكتفي بالليل.

ومعنى هذا: يا معاشر المستمعين والمستمعات! ألا نمشي في طريق الباطل بعد الخطوة الأولى والثانية، بل نرجع ونتوب إلى الله عز وجل، وإلا فسنصبح ممن توغلوا في تلك المعصية، ونعجز عن الرجوع والعودة إلى الحق. تحذير الله للمؤمنين من اتخاذ أقاربهم الكفار أولياء

[الشرح] شرح الله صدورنا وصدوركم للإيمان، وحب الله وأوليائه: [اعلم أيها القارئ الكريم!] لهذه النداءات، لأنه يحسن القراءة [والمستمع المستفيد!] الذي لا يحسن أن يقرأ، وإنما يقول لأخيه: اسمعني نداءات ربي، ويسمع، فهذا هو المستمع [ولنعلم جميعاً] القارئ والمستمع ونحن أجمعون [أن هذا النداء الإلهي] الخمسين [يحمل إنذاراً شديداً] والله لا ينادي أوليائه إلا ليأمرهم بما يكملهم ويسعدهم، أو ينهاهم عما يشقيهم أو يخسرهم، أو ليبشرهم بما يزيد في طاقات إيمانهم وصالح أعمالهم، أو لينذرهم مما يسبب شقاءهم وهلاكهم. وهذا النداء يحمل إنذاراً شديداً والله.

وهو يحمل هذا الإنذار [للمؤمنين به تعالى رباً وإلهاً، وبدينه الإسلام ديناً، لا يقبل الله ديناً سواه، وبنبيه محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً] وهؤلاء هم المؤمنون الصادقون، فهم الذين ناداهم الرحمن، فقد ناداهم لـ [ينهاهم في هذا النداء الإنذاري عن اتخاذ من كفر من آبائهم وأمهاتهم أيضاً، وإخوانهم وأخواتهم أيضاً، ومن باب أولى من كان دون ذلك من عامة الأقارب ذكوراً وإناثاً] وإذا نهانا عن الآباء والأمهات فمن باب أولى الأبناء والبنات، ومن باب أولى الأخوة والأخوات وغيرهم [ينهاهم عن أن يتخذوهم أولياء] والعوام يتخذون الأولياء يعبدونهم، ويحلفون بهم، ويوقدون الشموع على قبورهم، وليس هذا هو المقصود بالولاء هنا، وإنما المقصود [يحبونهم ويناصرونهم] وهذا هو الولاء الحق، فهو الحب والنصرة.

والمؤمن الحق هو الذي يحب المؤمنين بحق وينصرهم، ويبغض الكافرين بحق ويخذلهم ولا ينصرهم؛ لأن المؤمنين أولياء ربي، والكافرين أعداء ربي، فلا تنصر أعداء ربي على أوليائه، فهذا لا يعقل، بل نتمزق ونحترق ولا ننصر أعداء الله على أوليائه. فتأملوا هذا يفتح الله عليكم.

قال: [ويدفعون عنهم ويطلقونهم على أسرار المؤمنين وبواطن أمورهم، وفي الحرب والسلام سواء] وتصوروا أنتم المجتمع الذي نزل فيه هذه الآيات، فقد كان هناك بقايا من المؤمنين في مكة أثروا تجارتهم على الهجرة إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأثروا أقرباءهم من آباء وأمهات، ولم يستطيعوا أن يتركوهم، وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده، ووقفوا في صفوف الكافرين الذين يقاتلون رسول الله والمؤمنين، وما إن نزلت هذه الآية لم يبق مؤمن يستطيع البقاء في مكة أبداً، بل خرجوا يتسللون في الظلام؛ حتى لا يقعوا فيما نهت عنه هذه الآية [إذ قال لهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [التوبة:23]] أي: [بالله ورسوله ولقائه ووعده ووعيده!]. الشر ضد فطرة الإنسان

قال تعالى: [لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ [التوبة:23]] ما داموا قد استحَبُّوا الكفر، ولم يقل: (إن هم أحبوا الكفر على الإيمان) وإنما قال: اسْتَحَبُّوا [التوبة:23]. وقد مضى مثل هذا، وإنما أذكركم.

واسمع قول الله تعالى: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ [البقرة:286]. ومعنى هذا: هو أن الخير يأتيه الآدمي بفطرته، ويرغب فيه ويميل إليه ولا يتكلف، وأما الشر فإنه ضد الفطرة، فلا يأتيه إلا بتكلف حتى يكتسبه.

وقد ضربت لكم المثل لذلك، فالآن في استطاعة أي أحد أن يقوم ويمدح أي أحد من الحاضرين بسهولة، ولكنه والله لا يستطيع أن يقوم ويلعن أحداً أو أن يسيه، ولو استطاع فإنه يكون بتكلف؛ لأنه ليس بالفطرة الطبيعية، فقد طبعنا الله على حب الخير والرغبة فيه، إلا أن تنتكس الفطرة وتتغير الطبيعية بعوامل الشر والفساد، فيصبح الإنسان يأتي الفساد بدون تكلف، وإلا لما قدر الإنسان على أن يفعل الشر إلا وهو يكاد أن ينسلخ من فطرته، بخلاف الخير فإنه يأتيه وهو منبسط الوجه.

فاعرفوا هذا.

وقوله تعالى: لَهَا مَا كَسَبَتْ [البقرة:286]، أي: من الخير.

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتِ [البقرة:286]، أي: من الشر.

وهنا قوله: اسْتَخْبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ [التوبة:23].

فالكفر لا يستحبه الإنسان، ولا توجد عوامل الحب في الكفر والعياذ بالله.

إذاً: فلا يحب ولا يصبح محباً للكفر إلا بالتكلف؛ فلهذا لم يقل: (أحبوا الكفر)، وإنما قال: اسْتَخْبُوا الْكُفْرَ [التوبة:23] [أي: آثروا الكفر والإصرار عليه على الإيمان بالله ورسوله].

من تولى أقاربه الكافرين فهو ظالم لنفسه وللمؤمنين

قال: [ثم يهددهم عز وجل إن لم يتمثلوا أمره، فلم يفاصلوا آباءهم وإخوانهم المستحبين للكفر على الإيمان، والشرك على التوحيد] بدليل أنهم أبوا أن يسلموا ويدخلوا في رحمة الله، وأصروا على الشرك وعبادة غير الله [و] على [الخبث] في الأكل والشرب وفي كل شيء [على الطهر، والفوضى على النظام، والظلم على العدل؛ إذ الكفر يكمن فيه كل ما ذكر ويزيد؛ ولذا قيل: ما بعد الكفر ذنب] والكافر يأتي كل ذنب، وتحليل ذلك: لظلمة نفسه، وخبث روحه، فقد أصبحت كأرواح الشياطين، فهو لا يتقزز أبداً ولا ينقبض من فعل باطل، ولذلك فهو مرة ثانية [يهددهم] عز وجل إن لم يتمثلوا أمره، فلم يفاصلوا آباؤهم وإخوانهم، والمفاصلة معروفة، وهي أن يقولوا لهم: لا تكلمونا ولا نكلمكم، ولا نراكم بعد اليوم ولا ترونا في بيوتكم؛ فأنتم كفار ونحن مؤمنون، فإن أردتمونا فآمنوا وادخلوا في رحمة الله.

وبعد ذلك السيف على رقاب الظلمة، والجزاء معروف، فإن ظلموا حتى أصبحوا من الظالمين فجزاء الظالمين معلوم.

ولذلك يهددهم عز وجل [فيقول: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ [التوبة:23]، أي: أيها المؤمنون! فَأُولَئِكَ [التوبة:23] أي: المتولون، هُمُ الظَّالِمُونَ [التوبة:23]، أي: المتوغلون في الظلم، الضاربون فيه كأن لم يكن هناك ظالم إلا هم. والعياذ بالله تعالى] وهذه أيضاً عرفتموها.

فكلمة الظالمون .. الفاسقون .. المجرمون .. الكاذبون تعني: أن العبد يذنب ويتوغل في تلك الصفة حتى تصبح صفة له، فمثلاً: الكاذبون أي: يتوغلون في الكذب حتى يصبح الكذب وصفاً لازماً لهم، فنقول: فلان الكذاب، أو الفلانيون الكاذبون، أي: أصبح هذا الوصف لهم.

وكذلك الفاسق، أي: يفسق الرجل أو المرأة، ومعنى يفسق: يخرج عن الطاعة، أي: طاعة الله والرسول، فيخرج عن الطاعة في كذا وكذا، حتى يصبح فاسقاً.

وهكذا في الظالم، فهو يظلم ويظلم حتى يصبح ظالماً.

وأما من ظلم مرة فلا يقال فيه: الظالم، ومن فسق مرة لا يقال له: فاسق، ومن كذب مرة لا يقال له: كاذب.

ولا يقال: الكاذب .. الفاسق .. الظالم .. المجرم إلا لمن توغل في هذا الشأن، حتى أصبح الكذب أو الظلم أو الفسق وصفاً لازم له لا ينفك عنه.

وهذا في كتاب الله، وأنتم لا تشعرون به، فقد قال تعالى: هُمُ [التوبة:23]، أي: لا غيرهم الظَّالِمُونَ [التوبة:23] [ووجه ظلمهم] معروف، فهو ظاهر [غير خفي، وهو أنهم وضعوا المحبة موضع البغضاء، والنصرة موضع الخذلان] فوضعوا حباً وولاءً في غير موضعهما، فظلموا، فقد وضعوا الحب والولاء للذين هما لله ولرسوله وللمؤمنين وضعوهما للكافرين، وليس هناك ظلم أعظم من هذا [إذ حقيقة الظلم هي: وضع الشيء في غير موضعه. فالذي تجب محبته وموالاته هو الله المنعم بالخلق والرزق والتدبير للإنسان ولسائر الخلق، والذي بيده كل شيء، وهو قادر على كل شيء، هذا الذي يجب أن يُحب ويوالى، أما الذي لا يملك شيئاً وهو مملوك، ولا يعطي شيئاً وكيف وهو معطى فكيف يحب ويوالى] مع أصنامهم وشركياتهم؟

بيان من تجب محبته وموالاته من الناس

قال: [والذي تجب محبته وموالاته من الناس هو من آمن بالله وكفر بالطاغوت، وهو] أي: الطاغوت [ما عبد دون الله جل جلاله وعظم سلطانه من إنسان أو جان] أو حيوان أو [من كوكب أو شجر أو حجر] أو غير ذلك. فكل هذه طاغوت، فالطاغوت مأخوذ من طغى، إذا ارتفع، فالعبد كان عبداً، ثم رفعه إلى مقام الإلوهية وعبدوه، فأصبح إذا طاغوتاً.

وكذلك الإنسان الضعيف إذا قبلوا رجله ورأسه وأخذوا يحلفون به ويدعونه ويستغيثون به وهو ساكت، فو هنا لم يصبح عبداً صغيراً، وإنما أصبح طاغوتاً، ولهذا من رضي أن يعبد فهو طاغوت، وكل ما عبد من دون الله فهو طاغوت؛ إذ رفعوه إلى مستوى الإلهية والربوبية، مع أنه كان عبداً من العبيد. قال: [وأحب الله تعالى ووالاه، وأحب ما يحب الله، ووالى من أحب الله ووالاه من صالحى عباده المؤمنين به وبلقاءه، المطيعين له ولرسوله. أما من استحب الكفر على الإيمان والشرك على التوحيد والكافرين على المؤمنين فكيف تجوز موالاته ومناصرته؟ اللهم إن هذا ظلم فاضح، وصاحبه ظالم لا أظلم منه].

إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى نقاء وطهارة، والكفر به سبحانه دنس ونجاسة، وقد أمر الله عباده المؤمنين بعد أن استتب لهم الأمر، وقوي أمر الدين، أن يمنعوا المشركين عن دخول المسجد الحرام لنجاستهم، وبشرهم تعالى بأنه سيغنيهم من فضله، ويفتح لهم أبواب الخيرات في مقابل ما سينقطع عنهم من الموارد والأرزاق بانقطاع المشركين عن الحج.

حرمة دخول المشركين الحرمین الشريفین ووجوب منعهم من ذلك

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا، والحمد لله ربنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله منهم، وحشرنا في زمرة، ورضي عنا كما رضي عنهم. آمين.

وهذا هو [النداء الواحد والخمسون] ومضمونه ومحتواه وما يحمله هو: [في حرمة دخول المشركين الحرمین الشريفین، ووجوب منعهم من ذلك، ووجوب قتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية] وهم صاغرون.

وهيا بنا نتغنى بهذا النداء الإلهي الكريم؛ رجاء حفظه، ثم نسمع ونفهم، ونعزم على أن نعمل ونطبق؛ حتى نبليج مكان السمو والعلو في الملكوت الأعلى؛ إذ من علم وعمل بما علم، وعلمه دعي في السماء عظيمًا.

قال: [الآيتان (28 ، 29) من سورة التوبة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ [التوبة: 28-29]] وهيا ندرس هذه الآيات في هذا النداء العظيم، واذكروا قول الحبيب صلى الله عليه وسلم: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله - كما تلونها - ويتدارسونها بينهم - كما نتدارسها إن شاء الله - إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده).

وهذا الفضل العظيم لا يشتري بألف ريال والله، ولا بمائة ألف ريال، ولا والله ولو بملء الأرض ذهباً، ولو أردت أن تحصل على هذا الكمال بدون هذه القراءة وهذا الدرس فوالله لو تعطي ما في الأرض جميعاً ما حصلت عليه.

ومع هذا فإخواننا غافلون .. شاردون، والمفروض أن المسجد مكتظ بالسامعين والسماعات، فهي ساعة فقط، أو ساعة ونصف، ولكن ما قدر الله يكون، فاحمدوا الله على أن فزتم وإن خربوا.

[الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم! أن هذا النداء الإلهي الموجه إلى المؤمنين من عباده، وهم أولياؤه، لإيمانهم وتقواهم له سبحانه وتعالى] وهذا يذكرنا بأن ولي الله هو المؤمن المتقي، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، وقد ناداهم لأنهم أولياؤه، آمنوا به واتقوه، فهو يناديهم ليعلمهم وليبشرهم، وليحذرهم ولينهاهم، والكل دائر على حقيقة واحدة، وهي أنه يريد إسعادهم وإكمالهم؛ لأنهم أولياؤه، وهو لا يرضى لأوليائه بالذل والمهانة، ولا بالصغار والعذاب والخسران، وحاشاه تعالى.

ونحن لا نرضى لأوليائنا هذا، والله عز وجل من باب أولى.

وهذا النداء الكريم [يتضمن] ويحتوي على [أمرين عظيمين] تجب معرفتهما:

معنى قوله تعالى: (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)

قوله تعالى: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ [التوبة:29] هذا اللفظ يحمل معنيين ضروريين: الأول: (عن يد) يعني: عن ساعة وغنى؛ إذ الفقير لا تؤخذ منه الجزية، وكذلك لا تؤخذ من رجل كبير، ولا من امرأة، ولا من طفل، وإنما تؤخذ على الشبان الكبار الأغنياء، والمعنى الثاني في قوله: (عن يد) لا يدفعها بالبريد أو يعطيها لشخص يبلغها، بل يأتي هو على جلالته ويعطيها؛ ليعرف الذلة والمهانة في ذلك.

والآن أعطيكم لطيفة خذوها: ليلة الخميس تعشينا عند أحد الإخوان في الرياض يقال له: حذيفة، وهو أمريكي أسلم، وسألناه أن يحدثنا عن إسلامه في جلسة عامة، فقال: كنت في باخرة مع ربانها، وأنا أسود، وعلى جانبي واحد أبيض وعلى جانبي الآخر أبيض، فجاء الربان الأبيض فصافح الأبيض أولاً، وتجاوزني أنا وصافح الأبيض الثاني، فوقع في نفسي أن أدخل في الإسلام.

ثم فهمت فهماً - ولو اشتريته بعشرين ألف ريال لكان رخيصاً- فقد شُرح لي السبب في أننا نضطر أهل الكتاب من أهل الذمة اليهود والمسيحيين في ديارنا تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله إذا مشينا في الطريق ونلجئهم إلى أضيق الطريق، وقد عشنا سبعين سنة ولم نفهم هذا، ثم فهمناه، فلما فتح الله علينا أحبيناً أن نعلمكم، ففهمت أننا إذا ألجأناهم إلى المضايقة يقولون: إلى متى ونحن في هذا الذل، ومن أجل ماذا؟ فهيا ندخل في الإسلام، فيقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويرفعون هذا الذل كله؛ لأن النفس البشرية لا ترضى الإهانة.

فلما يضايقون ويأتون بالجزية ويقدمونها هم ويمدونهم هكذا بأيدهم، فهذه تثير في أنفسهم عواطف، ولا يرضون أن يبقوا في هذا الهم، فيسلمون، ولهذا أسلم نصارى أفريقيا ومصر والشام والعراق، فقد كانوا نصارى، وهم لم يسلموا بالحديد والنار، والله لم يسلم واحد منهم كذلك، ولم يلزمنا الإسلام أو يأمرنا أن نقول للكافر: آمن أو نقتلك، فهذا والله ما كان أبداً، فالملايين الذين دخلوا في الإسلام لم يدخلوه بالقوة والحديد والنار، وإنما دخلوه بهذه التعاليم الإلهية، فهم أولاً: شاهدوا الأنوار تتلألأ في ديارهم، ثم شاهدوا الرحمة والعدالة والطهر والوفاء والصدق الذي لم يكونوا يحلمون به، فقالوا: هذا الدين أولى بنا من غيرنا، ومن تمللوا أو تعصبوا أو تمسكوا فبقوا زمناً بعد زمن يشاهدون أنفسهم في الهون أو الدون أو المذلة، ثم دخلوا في الإسلام دين الله كإخوانهم.

فافهموا هذا.

وقد فرحت أنا بها والحمد لله.

من المعاني التي دل عليها هذا النداء

قال: [وأخيراً إليك أيها القارئ! بيان بعض ما دلت عليه الآيتان فتأمله وعه وافهمه: أولاً: نجاسة المشركين، إنها معنوية، وهي شركهم بالله عز وجل، وإن كانوا لا يغتسلون من الجنابة، ولا يبتعدون من النجاسات] فالمقصود: أنهم نجس في عقائدهم وقلوبهم، وأرواحهم خبيثة، وليس كالبول أو البراز الذي فيهم، فقد يغسل وينظف، فهذه نجاسة حسية، وأما هم فنجاستهم معنوية كنجاسة الخمر [بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (المؤمن لا ينجس)]. فمفهومه [ومعناه: (أن الكافر نجس، أي: بكفره وشركه) وليس معنى كلام الرسول: (المؤمن لا ينجس)]: أنه لا يكون فيه بول ولا خراء ولا نجاسة، وإنما يعني: أنه لا يكون نجساً، والكافر نجاسته هي شركه وكفره والعياذ بالله، والمؤمن الصادق الموحد لا ينجس [لذا لو صافحت كتابياً لا تغتسل يدك كما يرى بعض الظاهرية، ولا ينقض وضوءك مصافحته] أبداً.

[ثانياً: يجوز أن يدخل الكافر مساجد المسلمين، ما عدا المسجد الحرام والمسجد النبوي، ولكن بإذن المؤمنين] لا أن يدخلوا المساجد بقوة قاهرين، ولكن إذا سمحنا لهم بالدخول، ما عدا الحرمين الشريفين، فلا نأذن لهم أبداً، ولا نعطيهم إذن، وأما باقي المساجد في العالم الإسلامي فيجوز أن يدخلها اليهودي أو النصراني، ولكن ليس قاهراً، وإنما بإذن من أهل البيت أو البلد، فإن إذن له دخل وشاهد.

[ثالثاً: وجوب قتال أهل الكتاب حتى يدخلوا في الإسلام ليكملوا ويسعدوا، أو يدخلوا في ذمة المسلمين، فيحكمهم المسلمون بالعدل والحق] فيهدتدون إلى الإسلام، ولا تمشي الآن إلى نصراني تقتله، وتقول: ادخل في الإسلام أو قتلناك، بل هذا لما تكون أمة الإسلام أمة واحدة، ورايتها واحدة، وإمامها واحد، فحينئذ يحملون راية الجهاد من أجل إنقاذ البشرية من هوة الفساد والشر، ومن أجل إنجائها من عذاب الخلد يوم القيامة، لا من أجل الاستعمار والاستغلال وتوسعة الرقعة، كما يفعل النصاري واليهود، بل من أجل هداية الخلق وإنقاذ البشرية، والطريق كما علمتم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [التوبة:123].

فأخذ ما يسمى الحلقة، ثم توسعها حتى تصل إلى أطرف الحلقة أو البحيرة، فكَذَلِكَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ [التوبة:123].

الذين يلوننا الشام، فإن غزونا الشام فالذين يلوننا الأحباش، فإن غزونا الأحباش فالذين يلوننا العراق، ولا نزال نوسع حتى ينتظم الإسلام العالم، لا لأجل الدنيا، ولا الفخر ولا المباهاة، ولا غير ذلك، وإنما فقط من أجل إنقاذ البشرية، حتى تعبد ربها العبادة التي تزكياها وتطهرها، ولما قام أسلافنا بهذا الواجب وصلوا ما وراء نهر الهند أو السند وإلى الأندلس، ولما احتال علينا المشركون واليهود والنصارى وكبلونا وقيدونا وقفنا، ولعلنا في يوم من الأيام نتحرك يوم أن نسمع أنهم بايعوا في الروضة إمام المسلمين، ووضعوا مفاتيح البلاد بيده، فإن لم يستطيعوا فليبقوا هكذا مهانين.

[رابعاً: وجوب أخذ الجزية، وهي قدر معلوم من المال سنوياً على الرجال القادرين على الكسب والعمل، ولا تؤخذ من العجزة والشيوخ والأطفال والنساء] إذ المقصود هو إذلال الرجال المقاتلين حتى يدخلوا في الإسلام، وإلا فهو ربع دينار في العام.

[خامساً: قوله تعالى: عَنْ يَدٍ [التوبة:29] له معنيان: الأول: أن يؤديها القادر دون العاجز، فمعنى عَنْ يَدٍ [التوبة:29]: عن قدرة.

والمعنى الثاني: أن يؤديها صاحبها بنفسه، ولا يصح أن ينيب [وينتدب] عنه غيره، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: وَهُمْ صَاغِرُونَ [التوبة:29]، أي: ذليلون منقادون لحكم الإسلام.

سادساً: لا يمنع المؤمن خوف الفقر أن يمثل أمر ربه؛ إذ وعد الله تعالى من أطاعه فيما حرم عليه أو أوجب عليه أن يغنيه إذ هو امتثل أمره، وقد أطاعه المؤمنون في منع المشركين من الحج، فأغناهم بما فتح عليهم من الفتوحات، وما أفاض عليهم من أموال الجزية التي لا تعد [ولا تحصى] ألا فلنتمثل أمر الله، ولنترك الربا وبيع المحرمات.

والله يغنيها من فضله، وهو الغني الحميد.

والحمد لله رب العالمين [وصل اللهم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

الأمر بقتال الكافرين بالله عز وجل حتى يسلموا أو يعطوا الجزية

قال: [و] الأمر [الثاني: أي: الأمر الثاني الذي تضمنه النداء هو ما تحمله الآية الثانية، وهو قوله تعالى: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ [التوبة:29] وهيا بنا ندرس هذه، وهذه من حقها أن تدرس في كليات السياسة، وليس في المسجد النبوي، ولا ينفع دراستها هناك؛ لأن القلوب ليست مهيئة للعمل بها، ولكنها هنا أنتجت وأثمرت، وخرجت هداة البشرية ودعاتها [إنه لما أمر تعالى المؤمنين بمنع المشركين من دخول المسجد الحرام، وهذا يقتضي قتالهم حتى يسلموا] وقد أراد الله عز وجل أن لا يقبض رسوله صلى الله عليه وسلم حتى لا يبق شرك في هذه الجزيرة التي هي قبة الإسلام وبيضته، وفي السنة التاسعة كانت الوفود لا حد لها من أنحاء الجزيرة، ونزل هذا الإعلان الحربي: بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [التوبة:1].

والمعاهدة عدم إعلان حرب إلا إذا نقضوها.

فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ [التوبة:2].

فأعطاهم فرصة ومهلة أربعة أشهر أن يدخلوا في الإسلام، أو يلتحقوا بالعراق أو بالشام، ولا يبقى أحد بعد الأربعة الأشهر.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ [التوبة:2]، أي: مدللهم، ثم زاد: وَأَذَانٌ [التوبة:3] بمعنى: إعلام من الله ورسوله [التوبة:3].

فالرسول صلى الله عليه وسلم قريباً سيموت، إلى الناس يوم الحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً [التوبة:3-4]، أي: من بنود المعاهدة.

إلى أن قال: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ [التوبة:5].

وهذا محل الشاهد، فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ [التوبة:5].

وهي أربعة أشهر فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم [التوبة:5].

والله عز وجل ما قبض رسوله هنا ولا توفاه حتى طهر الجزيرة أو شبه الجزيرة من الشرك والمشركون؛ لأنها قبة الإسلام وحوزته، وأعلن الرسول قبل وفاته بأيام: (لا يجتمع دينان في الجزيرة).

ولهذا لما جادلنا المسيو طرطار الفرنسي، وقال: أنتم لا تسمحون لإخواننا بإقامة قداس في جدة أو في الرياض أو في كذا، ونحن نسمح لكم ببناء المساجد، ففرنسا فيها ألف مسجد، فقلت له: يا مسيو! المملكة قبة الإسلام وبيضته كالمسجد، ولا يمكن أن نقيم كنيسة في مسجد، ولا أن نجعل مسجداً في كنيسة.

هذا هو شأن المملكة، فلا يحل وجود دينين فيها أبداً، فاحتج بأن نصارى نجران صلوا في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقلنا: نعم، جاءوا وافدين ليعرض عليهم الإسلام، وبعد ذلك منع الرسول صلى الله عليه وسلم، فهم جاءوا في السنة السادسة أو الرابعة، ثم أعلن نهائياً: (لا يجتمع دينان في الجزيرة).

فسكت، والشاهد عندنا الآن: أنه قال: قاتلوهم حتى يسلموا، ويدخلوا في الإسلام.

قال: [أمر المؤمنين أيضاً أن يقاتلوا أهل الكتاب حتى يسلموا، أو يدخلوا في ذمة المسلمين ويعطوا الجزية] بعد أن أمرنا بقتال المشركين وتطهير الجزيرة من وجودهم وأصنامهم وآلهتهم وكل باطلهم؛ حتى تبقى الجزيرة بيضة للإسلام وقبة طاهرة، ثم أمرنا أن نقاتل أهل الكتاب [فقال تعالى لهم: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [التوبة:29] إِنْ هُمْ إِلَّا يَوْمُ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ [التوبة:29] أَلَا] وهم اليهود والنصارى، ولم يرضَ الله تعالى إيمانهم الفاسد؛ إذ اليهود مشبهة مجسمة، يصفون الله تعالى بصفات ينزه عنها الله تبارك وتعالى.

والنصارى يقولون ويعتقدون: إن الله ثالث ثلاثة، فهو كفر وليس والله بإيمان؛ فلهذا أبطل الله إيمانهم فقال: لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ [التوبة:29].

إذ لو آمنوا بالله واليوم الآخر لعملوا على دخول الجنة والنجاة من النار بالإيمان الصحيح والعمل الصالح الذي شرعه الله في دينه الحق الإسلام [فلما لم يعملوا دل ذلك على عدم إيمانهم، والله لو آمنوا بالله وباليوم الآخر حقاً لسبقونا إلى المساجد والزكاة والصلاة، وهم الآن حتى لو دعوا دعوة لا قيمة لها، فعلام الغيوب العليم بذات الصدور نفى عنهم الإيمان به، فهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وإن تبجحوا وقالوا [فلذا هم كافرون بالله واليوم الآخر.]

وقوله تعالى: وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ [التوبة:29] إذ اليهود يدينون بدعة اليهودية، والنصارى بدعة النصرانية، والدين الحق الذي لا يقبل [الله] ديناً غيره الذي هو الإسلام كفروا به وحاربوه، فهم إذاً يدينون بدين باطل، لا ينجي من النار، ولا يدخل الجنة دار الأبرار [وهو كذلك، فقد قال: وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ [التوبة:29].]

والدين الحق هو الإسلام، وليس بدعة اليهودية والنصرانية، فاليهودية بدعة وليست ديناً، كبدعة القادرية عندنا والرحمانية والماتريدية، فهذه ليست ديناً، والنصرانية بدعة، وما كان عيسى يقول: النصرانية ملتنا، ولا موسى يقول: اليهودية ملتنا.

قال: [وقوله تعالى: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ [التوبة:29]، هذه غاية قتالهم، فهم يقاتلون حتى يخضعوا للمسلمين ويعطوا الجزية، وبذلك يدخلون في ذمة المسلمين، ويؤمنون في أديانهم وأموالهم وأعراضهم وأديانهم، مع شروط تُكتب عليهم، جاء تفصيلها في كتاب عمر رضي الله عنه، ذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية].

وعد الله للمؤمنين بالغنى

قال: [وقوله تعالى: وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً [التوبة:28]، أي: فقراً] فالعيلة: الفقر والمخمصة والحاجة [لانقطاع المشركين عن الحج] بعد أن منعوا من الحج، وهذا معناه: أن تتعطل التجارة [إذ كانوا] يأتون [يحملون] أنواع [البضائع التجارية، ويبيعون ويشتررون] أيضاً، فإذا انقطع المشركون عن الحج كسدت التجارة، فلا تخافوا من الفقر والجوع [فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [التوبة:28].]

فوعدهم بغناهم وسد حاجتهم التي خافوا أنها إذا امتنع المشركون من الحج حصلت لهم، أي: العيلة [فيا جماعة! لا تتبعوا الدخان في دكاكينكم، ولا تقولوا: سيهرب منا الزبائن، فلا نستطيع، فلا تخافوا العيلة.]

ويا أصحاب الدكاكين! لا تتبعوا المجالات التي تحمل صور الخلاعة والدعارة، وتنشر الخبيث في ديار الإيمان، واتقوا الله، وإن عرضت عليكم فلا تقبلوها، ولا تقولوا: إن فعلنا هذا فالزبائن لن يشتروا من عندنا، فلا تخافوا العيلة.

ويا عبد الله! لا تقف أمام البنك الربوي، ولا تستقرض ولا تستلف منه، واسكن في بيت من الشعر؛ فإنه يكفيك، ولا تبني بيتك بالحرام.

ويا عبد الله! لا تستلف لتشتري دابة وسيارة، واصبر وامش على رجليك فإنه خير لك، ولا تقل: الظروف والأحوال، أي: أنه يخاف من الفقر.

وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [التوبة:28].

ووالله ما ترك مؤمن ولا مؤمنة شيئاً لله خالصاً إلا عوضه خيراً منه، وهذا وعده.

وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً [التوبة:28] فأبشروا، فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التوبة:28].

فاعرفوا هذا.

فهم قالوا: الآن إذا انقطع الحجاج المشركون وقد كانوا يأتون بالإبل وباللحوم وبالزيت وبالعسل من اليمن، وبالثياب من الشام، وكانوا يشترون منا أشياء، فالعام الآتي سيكون عام كساد وفقر، فدعهم يحجون، وطلبوا من الرسول أن يسمح لهم؛ حتى لا يخافوا الفقر، فطمأنهم الرحمن بقوله: وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ [التوبة:28] [وقوله: إِنْ شَاءَ [التوبة:28]] فيه لطيفة من اللطائف؛ لأن الطماعين مثلي إذا حصلوا على وعد كهذا يرمي المسحاة وغيرها وينام؛ لأنه وعدني ربي أنه يغنيها، فلا نسقي زرعاً، ولا نجلب تجارة، ولا نعمل، ولذلك قال: [إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التوبة:28]] أي: عليم بخلقهم، حكيم بتدبيره، فلا تعولوا على الوعد هذا، وتقولوا: وعدنا الله بأن يغنينا، فمن الآن لا نتجر ولا نسقي ولا نعمل، وننام فقط، فقد وعد الله، فنصاب بالكسل والخمول والتسكع في الظلال، ونموت من الجوع.

فاعرفوا هذا.

وسبحان الله عز وجل! ما إن قال: فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [التوبة:28] حتى قال: إِنْ شَاءَ [التوبة:28].

وذلك لأنه عليم حكيم، فالذي لا يستحق الغنى لا يغنيه.

وهذا كلام عجب! ولا إله إلا الله.

وقد بلغكم إن أخواننا من الجن قالوا عن القرآن: إنه عجب، ونحن ما قلنا هذا، قال تعالى: قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا [الجن:1-2]. فرضي الله عنهم وأرضاهم.

وهؤلاء جماعة من مؤمني الجن وفدوا من بلاد العراق، بعد أن بلغهم الخبر، فأدركوا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الصبح في بطن نخلة بين الطائف ومكة، ورجعوا يحملون الهدى.

قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [الأحقاف:30-31].

وفي صباح واحد أصبحوا علماء دعاة، ولا إله إلا الله! ثم بدأت الوفود تقف.

قال: [هذا استثناء منه سبحانه وتعالى؛ حتى تبقى قلوب المؤمنين متعلقة به سبحانه وتعالى، راجية خائفة غير مطمئنة] ولو لم يقل: إِنْ شَاءَ [التوبة:28] لانتهى كل واحد عن العمل، كما قلت لكم، لكنه قال: إِنْ شَاءَ [التوبة:28] لتبقى القلوب راجية طامعة خائفة، فيبقى الذكر والدعاء والاستغاثة والعمل.

فاطلبوا الغنى منه ليلاً نهاراً وقد حدث أيام الاشتراكية الزائفة في بلاد ما من بلادنا العربية أن أمم الحاكم الدكاكين والبضائع، وقال لهم: لا تخافوا، فكلكم ستشتغلون بأجرة يومية أو شهرية، وحصل من الفساد في تلك الأسواق والبضائع ما جُن به جنونهم، وغيروا النظام، فما دمت أنا أخذ راتباً فأسأجلس عند الباب، ومن جاء بعث له، وأما أن أرغب وأنظف وغير ذلك فكل واحد يتكل على الآخر، فساءت أحوالهم وضاعت بصورة عجيبة بوعد الحاكم، فقد أمم التجارة والبضائع، وهم يشتغلون عمالاً فقط، فلم يبق من يحرس ولا من يكرب ولا من يتأمل ولا من يخاف أبداً، وفي سنة أو سنتين هبطوا، فتركوا النظام.

قال: [وكونه تعالى عليمًا حكيمًا يرشح المعنى المذكور] الذي ذكرته لكم [ويرجحه؛ لأن ذا العلم والحكمة لا يضع شيئاً إلا هو موضعه، فلا بد إذا لمن أراد رحمة الله وفضله تعالى: أن يجتهد في أن يكون أهلاً لذلك بالإيمان والطاعة الكاملة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم] هذا الأمر الأول الذي حملة قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التوبة:28].

[الأول: حرمة دخول المشركين المسجد الحرام، والحرم المكي تابع للمسجد، فلا يحل لمشرك أو كافر من أهل الكتاب أو من غيرهم أن يدخل المسجد الحرام، ومكة كلها حرم، كما لا يحل للمشرك والكافر أن يدخل المسجد النبوي] هذا [والمدينة كذلك] كلها حرم [لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم المدينة)] وتحريم إبراهيم ليس أجل ولا أعظم من تحريم محمد صلى الله عليه وسلم [وكما يحرم دخول المشركين والكافرين الحرمين الشريفين يجب على المؤمنين منعهم من ذلك، وصدهم بأية حال] وليس فقط محرم عليهم، وإن شاءوا عصوا الله ودخلوا، لا، بل على المؤمنين أن يمنعوهم.

وإياك أن تفهم: أن الله حرم على المشركين الحرمين فقط، وأن ذلك حرام عليهم فقط، فإن دخلوا فهم آثمون فاسقون فاجرون، ويكفي هذا، بل المراد: أن على المؤمنين أن يحرموا الحرمين من دخول المشركين والكافرين [وهذا ما دل عليه قوله تعالى في الآية الأولى في هذا النداء، إذ قال عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [التوبة:28] [فقولوا: لبيك اللهم لبيك] إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ [التوبة:28] [ومعنى نجس: قذر ووسخ، وهو هنا معنوي، وليس حسياً] فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا [التوبة:28] [ولم يقل: (فلا يدخلوا)، بل قال: فَلَا يَقْرَبُوا [التوبة:28].

ولا يضع حتى أصبعه داخل الحرم، بل من شاء أن يدخل في الإسلام، ومن شاء أن يرحل حيث يشاء. وقوله: بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا [التوبة:28] [وهو عام تسعة من الهجرة] أي: من هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم. وقد فرض الله عز وجل الحج في السنة السادسة، ولم يتمكن المسلمون أن يحجوا؛ لما عرفت من منع المشركين لهم، ثم كانت المعاهدة سنة ست، ثم نقضها المشركون، وغزا الرسول صلى الله عليه وسلم مكة مع أصحابه، وفتحها الله في السنة الثامنة.

وفي السنة التاسعة عين الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق أميراً على الحج، فحج أبو بكر بالمسلمين، وهذه هي السنة التي قال الله فيها: عَامِهِمْ هَذَا [التوبة:28].

فالإشارة إلى السنة التاسعة [حيث حج أبو بكر رضي الله عنه أميراً على الحج] ولم يحج الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لمانع حصل، وهو لأنه لم يرد أن يحج والمشركون يحجون، فيشاهددهم يطوفون عراة، فأحل الحج للضرورة. وهنا لطيفة: كنا في السيارة فقلنا: هؤلاء المشركون أتقى منا نحن؛ فقد كانوا لا يطوفون إلا بثوب حلال، ونحن نسرق الحجاج حول الكعبة.

فانظر الفرق! فالمشركون كانوا لا يطوفون بثوب حرام، وإذا لم يجدوا الثوب الحلال طافوا عراة، ونحن نسرق الحجاج حول الكعبة، وهم يسلمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل عام يفد وفود للتلصص والإجرام، ولو كان الله ما وعد رسوله بأن لا يصيبنا بمصيبة عامة لاستحققنا العذاب.

والحج يجب عندنا على الفور، إلا أن توجد موانع فلا حرج. وأما أن نقول: الحج ليس على الفور بل على التراخي، ثم في كل عام نقول: إن شاء الله نحج بعد عام أو بعد كذا فهذا لا ينبغي، وإن قال به من قال، بل الصحيح: أنه على الفور متى استطعت ومتى قدرت، فإن حصل مانع فلا بأس أن تؤجله، ولا تقل: الرسول صلى الله عليه وسلم أخر الحج؛ لأن الحج فرض سنة ست لآية آل عمران؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحج لوجود الموانع، ولما فتح الله مكة ما حج الرسول صلى الله عليه وسلم لوجود موانع، وهي وجود المشركين يحجون في تلك السنة، بل ويحجون ويطوفون عراة أيضاً.

فمن هنا: أمر الصديق رضي الله عنه، فقاد الحجاج [ونزلت الآية، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينادي] ويؤذن [في عرفات ومنى ومكة بهذا الأمر] فبعث علياً وفلاناً وفلاناً يؤذنون في عرفات في منى وفي مكة: [أيها الناس! ألا لا يطوفن بالبيت عريان، ولا يحجن بعد هذا العام مشرك] [أيام الحج، فكانوا ينادون نداءات متوالية؛ إذ لا يوجد إذاعة في ذلك الوقت، وإنما الأذان، فعرف المشركون أنه قد انتهى حجهم] [إذ كان المشركون يطوفون بالبيت عراة] والعراة: جمع عاري عار، كغاز وغزاة [إذا لم يجدوا ثوباً حلالاً] أو لم يعطهم أحد من الحمس، والأحمسي إذا أعطاك ثوبه فلا بأس أن تطوف به، وإن كان لا يعرفك، والحمس هؤلاء جماعة من أهل مكة أشرف، فإذا أعطوك ثوباً أو أجروه لك فلا بأس أن تطوف به، وأما إذا لم تكن من الحمس الأشرف فحرام أن تطوف بثوب غير جديد، ولا يجوز، بل طف عار، حتى كانت المرأة تضع يديها على فرجها، وتقول في أسف وتحسر: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله وهذه عريبة عجيبة، وهي من أولئك الشريفات في الجاهلية

اللائي قلن: (أوتزني الحرة يا رسول الله؟)، أي: لا تأخذ البيعة علينا في أن لا نزنّي، فالزنا للإماء، أما الحرة فلا نزنّي، بل تجوع الحرة ولا تأكل بثديها.
فهذه كانت تضع يدها على فرجها إذا لم يكن عندها ثوب حلال تطوف به، ولم تحصل على ثوب من الحمس، فتبكي وهي تطوف، وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

كان الأحرار والرهبان من اليهود والنصارى يجمعون الأموال من العباد ويأكلونها بالباطل، ثم لا يخرجون زكاتها ولا ينفعون بها العباد، وقد حذر الله عز وجل عباده المؤمنين من مشابهتهم، وحبس الأموال وعدم إخراج زكاتها، ومن المعلوم أن الأموال هي قوام الأعمال، وأداة العيش والكسب والارتزاق، وحبسها فيه إضرار بالعباد. حرمة أكل أموال الناس بالباطل والوعيد الشديد لمن يكنز الذهب والفضة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، جعلنا الله منهم، وحشرنا في زميرهم، ورضي عنا كما رضي عنهم. آمين.

هذا هو [النداء الثاني والخمسون] والنداءات تسعون نداء، وهي نداءات الله عز وجل لعباده المؤمنين، فقد ناداهم ليأمرهم بما يكملهم ويسعدهم، وناداهم لينهاهم عما يخسرهم ويشقيهم، وناداهم ليبشروهم ولتطمئن قلوبهم وتنشرح صدورهم، ويتسع نطاق أعمالهم الخيرية الصالحة، وناداهم لينذرهم ويحذرهم مما يكون سبباً لشقائهم وخسرانهم، وناداهم ليعلمهم علوماً ومعارف يكملون بها ويسعدون. وهو لا ينادهم لغير هذا؛ لأنه عليم حكيم.

وهذه النداءات التسعون درسنا منها واحداً وخمسين نداء، وها نحن مع النداء والثاني والخمسين، والله أسأل أن نكملها، وأن نحفظها، وأن نفهم مراد الله منها، وأن نعمل به؛ لنصبح من أهل الملكوت الأعلى. اللهم آمين.

وهذا النداء أولاً مضمونه: [في حرمة أكل أموال الناس بالباطل] فقد نادانا ربنا جل وعز في هذا النداء لينهانا عن أكل أموال الناس بالباطل بدون حق [و] لبيان [الوعيد الشديد لمن يكنز الذهب والفضة، ولا يخرج زكاتها] فهذا النداء يتضمن هذين المعنيين: الأول: حرمة أكل أموال الناس بالباطل، وإن كانت مثقال درهم. والثاني: أنه يحمل الوعيد الشديد لمن يكنز الذهب والفضة والعمل، ولا يخرج زكاتها. وهما نتغنى به ساعة، ثم نأخذ في شرحه وبيان ما فيه، وكلمة ساعة لا تعني ستين دقيقة.

[الآيتان (34 ، 35) من سورة التوبة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ [التوبة: 34-35]]. عاقبة من لم يخرج زكاة ماله

قال: [أما الذي لم يخرج زكاته سنوياً فالعذاب لازم، وهذا مسلم يُخرَج حديث أبي هريرة] رضي الله عنه وهو [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار، فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)].

ومثله أيضاً: (من كان عنده إبل أو غنم أو بقر فلم يؤت زكاتها فإنه يعذب في عرصات القيامة إلى نهاية الحساب، ثم إلى الجنة أو إلى النار) [وقد عرفت الآن الزكاة.

وقد ذكر هذا لأن الآية عامة، فقد قال: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ [التوبة:34].
ففهم من فهم، وبكى الصحابة، ولما رأى عمر حيرتهم قال: أفرج عنكم إن شاء الله، وفوراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (يا رسول الله! إن الآية كبرت على أصحابك).
فذكر له الرسول البيان الذي سمعتم، وعلمهم أن خير ما يكتز يا من يريدون الكنز! المرأة الصالحة، والصالحة هي التي تؤدي حقوق الله كاملة، وحقوق العباداة كاملة؛ لأن الصالح بين الناس هو الذي يؤدي حقوق الله كاملة، ويؤدي حقوق الخلق كاملة، فذلك الذي يقال فيه: عبد صالح.
وهؤلاء الصالحون هم آخر مواكب أهل الجنة، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ [النساء:69].
ولهذا نسلم عليهم باللاسلكي في كل صلاة، فنقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فلا يبقى صالح في الملكوت إلا وبناله هذا السلام، والحمد لله.
فالصالح فينا هو الذي يؤدي حقوق الله، ولا يبخل منها شيئاً، ويؤدي حقوق الناس، ولا يبخل منها شيئاً.
فهو في عداد الصالحين.
قال: [ألا فلنذكر هذا أيها القارئ! والمستمع! ولنعلم الناس ما يجب أن يعلموه من دين الله، ولنحثهم على العمل به طلباً للنجاة؛ إذ الله شديد العقاب وسريع الحساب.
وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].
الحكمة من فرض الزكاة وخير ما يكتز المرء لنفسه

قال: [ولنعلم أيها القارئ! والمستمع! أن هذه الآية لما نزلت] وهي من سورة التوبة، وهي من آخر ما نزل [اضطرب لها المسلمون] أصحاب رسول الله في هذه المدينة [وكبر عليهم أمرها] فهي تخبرهم أن هذا مصيرهم إن كنزوا الذهب والفضة [فقال لهم عمر رضي الله عنه: أنا أفرج عنكم، فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (يا نبي الله! إنه كبر على أصحابك هذه الآية)] وهذه الآية هي: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ [التوبة:34-35].

ويقال لهم: هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ [التوبة:35].
ففرجها عمر بإذن الله [(فقال)] أي: [(النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله لم يفرض الزكاة إلا لطيب ما بقي من أموالكم)] فانفرجت؛ فإنه لما تؤخذ الزكاة يكون الباقي طيباً، ويصبح طيباً، ولو لم تؤخذ الزكاة يصبح خبيثاً.
فقد فرض الله الزكاة من أجل أن يطيب ما بقي من مالكم، ولا تقولوا: مصالح المسلمين، فكل ذلك داخل فيها، ولكن هذه بالذات هي التي فرض الله الزكاة من أجلها، فقد فرض الزكاة لطيب الباقي من المال، وإلا فإنه يصبح خبيثاً، يهلك به ماله [(وإنما فرض المواريث في أموالكم لتكون لمن بعدكم)] فإذا كان لا يكتز المؤمن شيئاً لم يبق ميراث، ولا يجد الورثة ما يرثون، فإذا كان يجب على كل مؤمن أن لا يبقى ديناراً ولا درهماً أبداً زائداً عن قوته لم يبق للورثة شيء، ولا حاجة للمواريث، وهذا المعنى واضح، فهذا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم [(فكبر عمر)] لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخبر، وما وسع عمر إلا أن قال: الله أكبر؛ فرحاً بنعمة الله.
[(فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبرك بخير ما يكتز المرء؟)] وقد أذن لكم في الكنز إذا أخرجت الزكاة، وهذا كنز خير، ولكن خير كنز تشتاق النفوس إليه كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم: [(المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته)] أفرحته، [(وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته)]، أي: في ماله وعرضه [وهذا الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم والله خير كنز، وإذا كان عندك في البنك الأهلي مليار ريال ومعك صعلوكة تذيبك المرارة كل ليلة لم تستدق شيئاً، أو إذا كنت عزباً كالجمال فكل يوم تتورط في محنة ولا تفيدك الأموال، فقولوا: صدق رسول الله.

وقوله صلى الله عليه وسلم: [(التي إذا نظر إليها سرته)]، أي: ليست دميمة ولا عمشاء ولا رمضاء، ومع هذا فعندنا نور آخر، فقد قلنا: إذا كانت المرأة تقية نقية صالحة عابدة ولو كانت رمضاء دميمة فيكاد أحدنا أن يدخلها في قلبه، وقد جربنا هذا في أكيل الذنب، فقد كان عندنا في الدرس من عشرات السنين رجل نذرته أمه لله، ولما ولد رمته فأكله الذنب، فقالت: إن حيي ولدي أجعله لله في مكة، يخدم الله في بيته، وينظف البيت ويعيش هناك، وهو من

أقصى المغرب، وبالفعل نجا من أكل الذئب وحيي، فبعثته، وصادوه في مكة وباعوه مرتين أو ثلاث مرات أيام الهبوط، وطالت الأيام وعاش أكثر من مائة وثلاثين سنة، وكان عندنا في المسجد، وكان يجلس هنا عن يميني، وعيناه زرقاوان، ووجهه مشط أسود، ونحن إذا نظرنا إليه نكاد ندخله في قلوبنا؛ لبصيرته ووعيه وإيمانه وصلاحه. قال: [وهذا الحديث العمري حقاً نفس عن النفوس المؤمنة ما تجده من ألم في ادخار بعض المال، وحقاً لو حُرِّم الادخار ومنع كيف تنزل آيات الميراث] وتقسّم التركة على الوارثين؟ كيفية قسمة التركة

الآن مسألة جديدة: فليس في النداءات: يا أيها الذين آمنوا للذكر مثل حظ الأنثيين، فبحثنا عن موضع ندخل فيه الموارد فوجدنا هذا، حتى تكون النداءات كاملة لكل ما تطلبه الحياة. والآن اسمعوا بياناً موجزاً عن الإرث، والذي يحفظ هذا يصبح يقسم التركات.

قال الشيخ غفر الله له وإياكم ورحمه وإياكم: [وتقسيم التركة على الوارثين: للذكر مثل حظ الأنثيين] وهذا واضح عندنا [ولكل من الأب والأم لسدس، إذا هلك الابن وترك ولداً] أو بنتاً فلأمه السدس ولأبيه السدس [وللأم الثلث والباقي للأب إذا لم يترك ولدهما ولداً] فإذا مات الابن ولم يترك ولداً فتقسم التركة للأم الثلث وللأب الباقي؛ لأنه عاصب [وللزوجة الربع إذا لم يترك الزوج ولداً] فإذا مات الرجل وترك امرأة ولم يترك ولداً فللمرأة الربع [ولها الثمن إن ترك ولداً] أو عشرة، وكلمة ولد يدخل فيه الذكر والأنثى المولود [وللزوج الربع إن تركت زوجته ولداً، وله النصف إن لم تترك ولداً] فإذا ماتت زوجته وترك ولداً أو بنتاً فلك الربع من مالها، وإن لم تترك ولداً فلك النصف، والباقي لعصبتها [ومن مات من رجل أو امرأة ولم يترك أباً ولا أمّاً ولا ولداً وإنما ترك أخاً أو أختاً لأم وعصبة فإن لكل واحد منهما السدس، والباقي للعصبة، وإن ترك أكثر من أخ أو أخت لأم فهم شركاء في الثلث] يتقسمونه بينهم [والباقي للعصبة، ومن ترك أختاً] فقط [ولم يكن له ولد فلها النصف] من مال أخيها [وإن ماتت هي ولم تترك ولداً فهو يرث مالها كله، وإن مات هو وترك أختين فلهما الثلثان، والباقي للعصبة كالأعمام مثلاً، ومن ترك منهما إخوة رجالاً ونساء فإن الإخوة يتقسمون التركة للذكر مثل حظ الأنثيين، كالوالد يموت ويترك بنين وبنات، فإنهم يتقسمون التركة للذكر مثل حظ الأنثيين. ولا تقسم التركة إلا بعد إنفاذ الوصية وسداد الدين.

هذه قسمة الله تعالى في مال الهالك، فلو كان كنز المال حراماً فكيف ينزل القرآن بقسمته [بهذه القسمة] على النحو الذي فصلت؟ [فهذا ليس معقولاً أبداً] لذا الإجماع على أن المال المدخر إذا أخرجت زكاته لا يُعد كنزاً محرماً يُعذب به صاحبه [وقد شذ في الصحابة واحد، ولكن أدبوه ورجع، ولذا الإجماع على أن المال المدخر للادخار والبقى للحاجة إذا أخرجت زكاته كل سنة لا يعد كنزاً محرماً يعذب به صاحبه. الوعيد الشديد لمن كنز الأموال ولم يخرج زكاتها

قال: [وقوله تعالى: وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ [التوبة: 34] إلخ، هذا إعلام آخر] ثانٍ [من الله تعالى لعباده المؤمنين] والإعلام الأول كان عن حال الرهبان والأخبار [معلماً محذراً؛ حتى لا يقعوا في مثل ما وقع فيه الأخبار والرهبان؛ إذ أخبرهم أن الذين يكنزون الذهب والفضة، وسواء كانوا من الكافرين والمشركين أو من المسلمين، وذلك لحرمة كنز الأموال، وهي قوام الأعمال، وأداة العيش الرغد في الحياة، فتوعد تعالى الذين يكنزونها ولا ينفقونها في سبيل الله بالعذاب الأليم؛ إذ قال تعالى: فَيَشْرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [التوبة: 34]] أي: موجب [وقد سلك مسلك الأخبار والرهبان علماء الروافض؛ إذ أن أئمتهم يأخذون منهم ضرائب، هي خمس دخل كل فرد من أي جهة كان هذا الدخل] وهذا صحيح.

فقد [أخبرني بهذا أحد رجالهم بمدينة الكويت] فقد قال: نحن نعطي لأئمتنا الخمس 20%، مع أن الزكاة 2.5%، وأما هذه الضريبة للأئمة فهي 20%، أي: خمس الدخل، ولذلك فهم لن يسمحوا لهم أن يدخلوا في رحمة الله، ويسألوا عن الإسلام الحق والدين الصحيح؛ لأنهم يعيشون على حسابهم كالأخبار والرهبان، وكآلاف بل مئات الآلاف من العلماء من جماعة التصوف والطرق؛ فإنهم يتركون أتباعهم جهالاً، ولا يسمحون لهم أن يجلسوا إلى العلم والعلماء؛ ليبقوا سخرة لهم أيضاً، يقبلون أرجلهم ورءوسهم، ويعطونهم الأموال. وهذا والله لصحيح.

وهذا شأن البشرية إذا زاغت ومالت عن طريق الحق.
قال: [ويبين تعالى كيفية تعذيب كانزي الذهب والفضة] فإنهم يعذبون [بها يوم القيامة، وهو أنها تحول إلى صفائح
[جمع صفيحة] ويحمى عليها في نار جهنم حتى تلتهب ناراً، ثم تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، فلم يبق
موضع من أجسامهم إلا يكوى بتلك الصفائح.

ومع هذا العذاب الحسي عذاب معنوي، وهو القول لهم: هَذَا مَا كُنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزُرُونَ [التوبة:35] [لأن العذاب كما تعرفون حسي ومعنوي، والأشد على الأحرار المعنوي، والعذاب الحسي إن جوعته أو لطمته أو غير ذلك فإنه يتحمل، ولكن إذا مسسته في عرضه وكماله لم يطق؛ ولذلك تقول لهم الملائكة: هَذَا مَا كُنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزُرُونَ [التوبة:35] [كما يقال لأبي جهل في جهنم] أو ومعه من سلك سبيله: [دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ [الدخان:49].

استهزاءً وسخرية [لأنه عليه لعائن الله كان يتهم في الرسول والقرآن، وكان يجمع أولاده ويضع بين أيديهم الزبدة - زبدة الغنم والعجوة- ويقول: تعالوا أولادنا! ترقموا، أي: نأكل العجوة رطب المدينة والزبدة، فهذا الزقوم الذي يهددنا به محمد.

ويقول هذا سخرية واستهزاء، فأنزل الله تعالى فيه آيات من سورة الدخان، منها: إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ [الدخان:43-49].

وهذه أشد من ماء الحميم الذي يصب على رأسه [وهذا العذاب المعنوي أعظم ألماً من العذاب الجسدي وأشد. هذا معنى قوله تعالى: يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ [التوبة:35] [ولم يقل: ويطونهم لأنه لم قال ذلك لما تعذبوا إذا ألقوا في العذاب بكاملهم، فلا بد أن يبقى البطن والوجه والقلب يتألم] هَذَا مَا كُنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزُرُونَ [التوبة:35] [. سبب معاداة الأحرار والرهبان للإسلام وصددهم عنه

[الشرح] لهذا النداء الكريم: [اذكر أيها القارئ الكريم!] الذي يقرأ هذه النداءات أو يستمع إليها [أن الله تعالى لا ينادي عباده المؤمنين إلا ليأمرهم بفعل ما يكملهم ويسعدهم، أو لينهاهم عما يشقيهم ويخسرهم، وها هو ذا تعالى في هذا النداء العظيم يخبرهم بحال أعدائهم من اليهود والنصارى الذين يريدون دوماً أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [الصف:8] والمشركون معاً، يخبرهم [أي: يخبر الله عباده المؤمنين] بحال رجال الدين فيهم [الذين قبلهم] وهم الأحرار والرهبان، وأنهم ماديون صرفاً، وما شعار الدين الذين يحملونه إلا خدعة لعوامهم وجهالهم؛ إذ قال تعالى: إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ [التوبة:34] وهم علماء اليهود، وَالرُّهْبَانِ [التوبة:34] وهم علماء النصارى، وأما علماءهم [أي: علماء النصارى] فهم القُسس - والواحد منهم يقال له: قس- لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ [التوبة:34]، أي: بدون حق يبيح لهم أكل أموال الناس؛ إذ هم يأكلونها تحت ستار الكذب والحيل كالرشوة، وكتابة صكوك الغفران لغلاة الذنوب والآثام، إلى غير ذلك من أنواع الحيل والكذب.

وقوله تعالى: وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ [التوبة:34] الذي هو الإسلام [فسبيل الله الذي يصدون عنه هو الإسلام] وعلته صددهم عن الإسلام: أن يبقى أتباعهم من اليهود والنصارى سخرة لهم، يعيشون سعداء على حسابهم؛ إذ لو دخل أتباعهم في الإسلام لحرما سيادتهم عليهم، وأموالهم منهم، وتبع ذلك السلطة والحياة [أيضاً] ولم يبق لهم بين الناس ذكر [فالعلة التي لأجلها يصد الأحرار والرهبان والقُسس أتباعهم عن الإسلام، ويقولون لهم: إن الإسلام ليس بصحيح مع أنهم يعرفون أنه الحق هي: أنه إذا انصرف الناس عنهم ودخلوا في رحمة الله لم يبق لهم سلطة ولا دولة، ولا مال ولا جاه، ولا غير ذلك في نظرهم.

وهذا هو الواقع.

مع أنه والله لو لئن يسلم أتباعهم في يوم واحد، ويعيشون هم بعد ذلك فقراء فذلك خير لهم من الدنيا وما فيها، لكن حب العاجلة، وهذا جربناه فينا، ولا نحتاج إلى أن ندلل عليه، وأنتم تعرفون هذا.

وسمي الإسلام سبيل الله لأنه الموصل بالعبد إلى الله، ولأنه هو الذي يعرف العبد بالله، وهو الذي يرضي الله عن العبد، فهو سبيل الله.

قال: [وهذه حالهم إلى اليوم] من يوم أن نزلت هذه الآية [فإنهم يحاربون الإسلام بكل وسيلة] فعلماء اليهود والنصارى وعباد اليهود والنصارى يحاربون الإسلام بكل وسيلة، وعوامهم لا يعرفون شيئاً، ولكنهم هم يخافون من أن تزول هذه النعمة عنهم بدخول الناس في رحمة الله بالإسلام، فهم يقبحون الإسلام، ويكرهونه ويبغضونه. ولنذكر لكم تلك الرواية التي ذكرها الشيخ رشيد رضا في تفسيره المنار عن شيخه الشيخ محمد عبده غفر الله لهما ورحمهما: كان الشيخ محمد عبده في سويسرا، أو في باريس نازلاً في فندق، ولم تكن الفنادق كالاليوم، فيها المياه بالآلات، وتقجر في الجدران، فأراد أن يتوضأ الشيخ، فقال لصاحبة الفندق: أعطني ماء أتوضأ لأصلي، فجاءته بالسطل فيه ماء، أو إناء فيه ماء، فتوضأ، فجاءت طفلة أو بنية صغيرة تحبو، وأرادت أن تغمس يدها في ذلك الماء، فقالت لها أمها: كخ كخ، يعني: أبعدني أبعدني، هذا فيه ديدان العرب وقمل العرب، وكلمة العرب عندهم تعني المسلمين، فأطلت البنت على الماء وقالت: ماما! ديدان، فتخيلتها من تلك الكلمة وصاحت. فأمها خوفتها بالكذب، وقالت: لا تقربي أوساخ العرب، فهذا فيه ديدان وقمل العرب، أي: المسلمين، فسحرت البنت بتلك الكلمة، فأطلت على السطل، وقالت: ماما! ديدان. وهذه واحدة من مليون؛ كي يبعدوا إخوانهم عن الإسلام.

إذا نادى الإمام للغير العام، وأمر بالسير للجهاد؛ فقد وجب الخروج للقتال على كل مستطيع، ولزم الإثم من تناقل عن الخروج، وامتنع عن المسير، ويدخل تحت هذا من عينه الإمام بعينه للخروج، وإذا دهم العدو بلاد المسلمين ووطء أرضهم، فوجب على أهل البلد قتاله ودفعه، ثم الذين يلونهم، وهكذا حتى يأذن الله بنصره. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

خاننا الوقت في نداء أمس، ولم نتأكد من صحة ما علمنا، وسنتأكد اليوم. الأحبار علماء اليهود، والرهبان عباد النصارى، وعلماء النصارى يسمون قساوسة، واحدهم قُس، والجمع قسس، وجمع الجمع قساوس.

الأحبار والرهبان يأكلون أموال الناس بالباطل، كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ [التوبة: 34].

فهم يأكلون أموال أتباعهم من العوام بغير حق، بل بالباطل. وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ [التوبة: 34].

والمراد بسبيل الله التي يصدونهم ويصرفونهم عنها: الإسلام.

فالأحبار والرهبان والله إلى هذه الساعة والدقيقة يصدون أتباعهم عن الإسلام، ويصرفونهم عنه صرفاً عجباً. والسر في ذلك: حتى يبقى لهم فقط ذلك السبيل من المال، ومن أجل المال وحب الرئاسة يحرمون إخوانهم من دخول الجنة، ويحولون بينهم وبين سبيل السعادة وطريق النجاة.

ومن أمثال هؤلاء: علماء وأئمة الرافضة، فهم يأخذون خمس دخل الفرد، مع أن الزكاة كلها (2.5%)، أي: في الأربعين ريالاً ريالاً واحداً.

وهم يفعلون هذا ليصرفوا أتباعهم عن الدين الحق.

ولم نر من أهل السنة من نصب نفسه هذا المنصب، وأكل أموال الناس، وفجر بنسائهم، واستغلمهم واستعبدتهم. وكذلك رأينا بأعيننا مشايخ الطرق الصوفية من موريتانيا إلى إندونيسيا يستغلون العوام استغلالاً كاملاً، ويمنعونهم من سماع التوحيد والسنة، ويقولون لهم: لا تجلسوا إلى الوهابيين، ولا تسمعوا لهم.

وهذا شأن من يحب الحياة الدنيا، ويرغب أن يسمو فيها ويعلو، وهو معرض عن الآخرة غير ملتفت إليها.

قال تعالى في النداء السابق: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها في سبيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظهورهم هذا مَا كُنْتُمْ لَأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ [التوبة: 34-35].

وهذه الآية احتار لها أصحاب رسول الله واضطربوا، حتى جاء عمر رضي الله عنه فقال لهم: أنا أفرج عنكم، فذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله! إن أصحابك كبر عليهم هذه الآية.

ففرجها الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم بقوله: (إن الله لم يفرض الزكاة في أموالكم إلا ليطيبيها لكم ويطهرها).

ولو كان اكتناز المال حراماً لما شرع التوارث، والله عز وجل أنزل آيات المواريث في كتابه، وبين أحكام الإرث. وقد انعقد الإجماع على أنه يجوز للمؤمن أن يدخر ذهباً أو فضة، أو دنانير أو ريات لحاجته، على شرط أن يزكّيها كلها، وإذا وجب عليه أن ينفق أنفق، فإن أنفق وتوفر له شيء فلا إثم عليه أبداً مادام يزكّي كل عام. وخير ما يكتز المسلم المرأة الصالحة، وهي التي تؤدي حقوق الله وحقوق عباده كاملة.

ومن آيات صلاحها: أنه إذا نظر إليها سرتة، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في عرضه وماله. سألتني اليوم بهلول عبر الهاتف، وقد أردت أن أطلعكم على ذلك؛ لتعرفوا أن الجهل ظلمة، وأنه ما قعد بالمسلمين والله إلا الجهل، ولو أنهم عرفوا ربهم معرفة يقينية لأحبوه وخافوه، ومن أحب الله لم يترك واجباً أمر به ولا مستحباً استحبه، ومن خاف الله لم يغش الذنوب ولم يرتكب الكبائر، ولكن الجهل منع وجود حب الله والخوف منه في القلب. وقد سألتني هذا: أنه تزوج امرأة وأمهرها ثمانين ألف ريال، وأصابه مرض، فنذر الله إن شفاه أن يطلق هذه المرأة. فقلت له: يا بني! النذر في المعصية لا يجوز، وطلاق المؤمنة من دون جرم ارتكبه حرام، فلا تنذر الله بمعصية. وقلت له: لو قلت: الله علي أن أضرب فلاناً أو أسب فلاناً لم يجب عليك أن تفي بهذا النذر؛ لأنه نذر في معصية الله. ثم قال: إذا ردوا علي شيئاً من المهر فهل لي أن أخذه أم لا؟ فقلت له: لك الحق في النصف، وعلى ولي المرأة أن يرد عليك أربعين ألفاً؛ لأنك لم تبين بها، ولم تدخل عليها، فلك نصف المهر. والشاهد من هذا: أن الجهل فعل بنا ما فعل.

الطريق إلى الخلاص من الجهل معروف، وهو: العلم، وسنحصل على العلم إن امتثلنا قوله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ [النحل:43].

وإذا أراد المسلمون عرباً أو عجماً أن يعلموا فعلهم أن يجتمعوا في بيوت ربهم مساء كل يوم من المغرب إلى العشاء بنسائهم وأطفالهم وفحولهم، وتجلس النساء وراء الستارة، والأطفال دونهن، والفحول أمامهم، والمعلم الرباني أمام الجميع، ويعلمهم ليلة آية، فيحفظونها ويفهمون مراد الله منها، ويعزمون على امتثال ما فيها، فإن كان عقيدة اعتقدوها، وإن كان أدباً تأدبوا به، وإن كان واجباً عرفوه ونهضوا به، وإن كان محرماً ممنوعاً عزموا على ألا يأتيه.

ويعلمهم في الليلة الثانية حديثاً من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وهكذا طول العام وطول العمر، فلا يبقى بينهم جاهل أو جاهلة، وإذا انتقى الجهل في تلك القرية أو ذلك الحي وانتشر العلم لم يبق فيها والله عهر ولا زنا، ولا كذب ولا خيانة، ولا غش ولا كبر، ولا استعلاء ولا حسد؛ لأن كل الذنوب وأوساخها ناتجة عن الجهل بالله ومحابه ومساخطه.

والبرهان والدليل على هذا: أن أعلمنا بالله أتقانا له، وكذلك أهل القرية أعلمهم بالله وأعرفهم به أتقاهم لربهم، والملائكة لا يعصون الله لأنهم مع الله، والأنبياء لا يعصون الله لأن الله يكلمهم، وأصحاب رسول الله لم يفعلوا أفعالنا ولا عاشوا عيشتنا؛ لأنهم كانوا يتلقون العلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى الآن أعلم أهل المملكة أتقاهم الله.

وقد بلغنا أن أهل قرية في مصر -وقرأت هذا في المجلة- سلكوا هذا المسلك، ولكن ليس المسلك الذي تكلمنا عليه طويلاً، وإنما فقط أسسوا قرية سموها مركزاً، واجتمعوا فيها، وتعاونوا، وتركوا الهراء والباطل، والكلام السياسي والخبث، ولم يبق بينهم عاطل، فقد جمعوا المال في بيت الله، وأنشئوا به مصنعاً على قدرهم ومزرعة، واشتغلوا فيهما، وانتهوا من الربا، ومن الخيانة والباطل.

ولو اجتمعوا على كتاب الله وسنة رسوله لأصبحوا أفضل. وجوب الخروج إلى الجهاد إذا دعا الإمام إلى ذلك وحرمة القعود عنه

هذا هو [النداء الثالث والخمسون] وهذه النداءات تسعون نداء، نادى فيها الرحمن أوليائه وعباده المؤمنين، وقد ناداهم ليعلمهم، وليأمرهم ولينهاهم، وليبشرهم ولينذرهم؛ لأنهم أولياؤه، والولي لا يرضى لوليه الشقاء والخسران، وإنما يأمرهم وينهاهم، ويعلمهم ويبشرهم؛ من أجل أن يكملوا ويسعدوا، والنتيجة: لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62].

وهذا النداء هو [في وجوب الخروج إلى الجهاد إذا دعا الإمام إلى ذلك، وهو ما يعرف بالتعبئة العامة، وفي حرمة القعود عنه الأيتان (38 ، 39) من سورة التوبة] وهيا نتغنى بهذا النداء، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تغنوا بالقرآن).

[أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التوبة:38-39].

الشرح: اعلم أيها القارئ! والمستمع!] وهما كل مؤمن ومؤمنة.

فالله ينادي كل مؤمن بوصفه وليه، فليسمع ندائه، وليفهم مراد الله منه، فهذه النداءات خاصة بأهل الإيمان، فيجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يقرأها إن كان يحسن القراءة، أو يستمع لمن يقرأ عليه إن كان لا يحسن القراءة، والله لا ينادينا الله لا لشيء، فهذا الكلام لا يعقل، وتعالى الله عن اللهو واللعب والباطل.

فيجب على المؤمنين والمؤمنات أن يسمعا نداءات الرحمن إليهم، وأن يفهما مراد الله منها، وأن يعملوا بمقتضى ما تدعوهم إليه.

وقضاء الله نافذ.

ضرورة أن يكون الجهاد خالصاً لوجه الله وحقارة الحياة الدنيا وتفاهتها

قال: [رابعاً: أن يكون الجهاد - وهو بذل الجهد والطاقة البدنية والعقلية والمالية- في سبيل الله، أي: من أجل رضا الله تعالى وطاعته، وطاعة رسوله وأميره، فلا يكون من أجل سلطة أو مال، أو جاه أو سمعة] ويجب أن يكون الجهاد هكذا.

[خامساً: بيان حقارة الدنيا وتفاهتها وضآلتها أمام الآخرة دار النعيم المقيم، والسعادة الأبدية الخالدة] وذلك [لقوله تعالى] في النداء: [فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ [التوبة:38].

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم في رواية مسلم : (ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر به ترجع؟).

والأصبع التي أشار بها هي السبابة [فقف أمام البحر الأبيض أو الأحمر، أو الأسود أو الأطلنطي، أو نهر دجلة أو نيل مصر وأغمس أصبعك فيه ثم أخرجها، ثم زن كمية الماء أو البلل الذي في الأصبع، وقد يكون جراماً، وليس له نسبة إلى البحر، وهذه هي النسبة الحقيقية بين الآخرة والدنيا.

وقد عرفنا أن آخر من يدخل الجنة يعطى مثل الدنيا مرتين، أي: يعطى كوكبين؛ لأنه لا نسبة بين الدنيا والآخرة.

فقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنسبة الدنيا في الآخرة مثل أن يغمس أحدنا أصبعه في البحر ثم ينظر كمية البلل وينسبها إلى هذا البحر، والله يقول: فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ [التوبة:38].

والذي قلله هو الله جل جلاله.

قال: [سادساً: وجوب نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دينه وفي أمته وسنته.

ألا فلنتدبر ونتأمل ما حواه هذا النداء الإلهي الكريم، ولنعمل في صدق على إبلاغه بعد العمل به.

والحسنة بألف حسنة؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله يجزي الحسنة بألفي حسنة).

أما حسنة الجهاد فهي بألف ألف، أي: بمليون حسنة، والله يضاعف لمن يشاء.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الأحوال التي يكون الجهاد فيها فرض عين

قال: [ثالثاً: الجهاد وهو من أفضل الأعمال يكون فرض عين، ويكون فرض كفاية.

وفرض العين يكون في ثلاثة أحوال: الأول: أن يعلن الإمام التعبئة العامة والنفير العام] فالإمام هو الذي يعلن التعبئة العامة والنفير العام [كما في هذه الآية التي تضمنها النداء] وإذا أعلن إمام المسلمين التعبئة العامة وجب على كل فحل أن يقف أمام التكنات، وأمام الحكام والقادة.

[الثاني: أن يعين الإمام من شاء من المؤمنين] ممن بلغ الثامنة عشر، أو الواحدة والعشرين من أبناء الشعب [فيجب على من عينه أن يخرج للجهاد] فمن عينه وجب عليه أن يلتحق بالثكنات؛ لأن هذا قد وجب عليه؛ لأنه عين. وليس شرطاً أن يعين الإمام الأفراد بأعيانهم، بل قد يقول: من بلغ سن السابعة والعشرين يحضرون، أو من بلغ سن الواحدة والثلاثين من العمر يحضرون.

وبهذا تكون التعبئة والتعيين.

[الثالث: أن يداهم العدو أهل ثغر أو بلد على الحدود] مثل أن يهاجم ميناء من موانئ البلاد [فعلى كل ذكر بالغ عاقل] من أهل ذلك الثغر، أو تلك المدينة [أن يخرج يدافع ويقا تل] فيخرجوا كلهم، ولا يتخلف منهم أحد؛ لأن هذا فرض عين عليهم [حتى يقهر العدو] ويردوه ويقفوا في وجهه [أو يصل المدد من إمام المسلمين وحكومته] حتى لا يزحف العدو إلى داخل البلاد.

هذه مواطن الجهاد العيني.

وقد كنا نسأل عن الجهاد الأفغاني، وكنا نقول: إنه جهاد حق، ولكن فيه دخن، وكان يغضب الغافلون من قولنا: فيه دخن.

وهذا الدخن هو أنهم لم بايعوا إماماً لهم، يلتفون حوله أحزاباً وجمعيات ومنظمات.

ولذلك لما انتصرنا وانهزمت روسيا بدعائنا وسلوكنا أكلوا بعضهم بعضاً، ولم يقيموا الدولة الإسلامية.

والناس يسمعون ولا يفهمون.

فالجهاد يكون فرض عين الجهاد في ثلاثة مواطن، وهي: أولاً: إعلان التعبئة العامة من إمام المسلمين.

ثانياً: إذا عين الإمام بعض الأفراد للجهاد.

ثالثاً: إذا داهم العدو فجأة بلداً أو ثغراً، وإذا احتل العدو مدينة أو ثغراً فعلى أهل تلك المدينة أو الثغر أن يموتوا في سبيل الله، حتى يأتي المدد، أو حتى يدفعوا العدو ويدحضوه.

انصراف الأمة عن الكتاب والسنة سبب تأخرها

لقد استطاع العدو أن يوقف سير هذه الأمة يا أيها السياسيون! لأنه عرف أن طاقة الإيمان مستمدة من القرآن، وحياة المؤمنين هي من القرآن، فصرفوا المسلمين عن القرآن، وحولوه إلى القبور والمآتم، وأصبح القرآن لا يقرأ إلا على الموتى، فمات المسلمون.

وقد أخبر تعالى بأن القرآن روح، فقال تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا [الشورى: 52].

فالقرآن روح، ووالله لن تتم حياة طاهرة بدونه.

والقرآن نور، كما قال تعالى: وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا [الشورى: 52].

وقال: فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا [التغابن: 8].

ووالله إنه لا يمكن لإنسان أن يهتدي إلى كماله وسعادته بدون نور.

والبرهان والدليل على هذا: أن العالم الآن ترقى وتحضر، وبلغ الكمال المادي، ولكنه أحبط ما يكون، فهو بلا آداب وأخلاق، وبلا معرفة وغير ذلك، ويعيش أهله كالبهائم، فهم في عمى، وليس معهم ضوء ولا نور، ولم ينفعهم تقدمهم.

وقد عرف اليهود والنصارى أنه لا يوجد نور غير القرآن، فصرفوا أمة الإسلام عن قال الله وقال رسوله، وحولوه إلى قال الشيخ الفلاني وقال سيدي فلان، حتى هبطت الأمة، فركبوها، وساقوها إلى هذا الهوان والدون. ولم يستطع المسلمون أن يفيقوا.

وطريق عودتهم سهل، وهو والله لا يكلفهم ولا رصاصة واحدة، ولا يكلفهم إلا اتباع الوحي.

فإذا أردنا العودة فعلياً أن نصدق الله، ونقبل عليه، ونجتمع في بيوته بنسائنا وأطفالنا، ونبكي بين يديه طول العام، ونستمطر رحماته، فإذا بنا ربانيون أولياء الله، لا خوف علينا، ولا حزن ينالنا.

وهذا لا يكلفنا شيئاً.

واليهود والنصارى وأمريكا وأوروبا واليابان والصين والعالم الكافر كله إذا دقت الساعة السادسة أوقفوا دولا ب العمل، وذهبوا إلى الملاهي والمقاهي، وإلى الملاعب والمراقص، وهم لا يلامون في هذا؛ لأنهم بهائم، وهم شر الخليفة.

والمسلمون لا يستطيعون أن يذهبوا إلى بيوت الرب؛ لتظهر أرواحهم، وتزكو نفوسهم، وتسمو آدابهم وأخلاقهم، ويصبحون كرجل واحد، ولذلك ازداد الجهل والظلام، وأصبحت حالة المسلمين أسوأ حالة، حتى وجد في القرية الواحدة من يزني بامرأة أخيه، ووجد فيها السرقة والتلصص والإجرام، والغيبة والنميمة، والكذب والخداع، وعدم الثقة وغير ذلك، وكأننا ما شممنا رائحة الإسلام.

وأنا لا أستشهد على هذه الحالة بواحد ولا بعشرة، بل بكل هذه الأمة البالغة مائة ألف مليون. ولا بد أن يبقى صالحون، وأن يبقى هذا النور؛ لتقوم حجة الله على الكفار، ولا تقوم حجج الكفار على الله. ومن هذه الحجج التي أبقاها الله لتكون حجة: هذه الدولة التي أقامها الله على يد عبد العزيز؛ لتقوم الحجة لله على المسلمين يوم القيامة، حتى لا يقولوا: لقد انتهى من يحكم بكتابك وهدى رسولك، ولم نعرف أن الإسلام يقيم كذا وكذا.

فأراهم الله دولة تطبق القرآن، وتحقق الأمن والطهر، وبعض الإخوان يغضبون من هذا الكلام. ووالله ما رأيت الدنيا بلداً أصابه طهر وأمن كما رأته على يد هذه الدولة من القرن الثالث. ولم يكن السبب في هذا كثرة الجيوش والأموال، فلم يكن في عهد عبد العزيز مال، ولم يكن يملك أحدهم في عهده إلا صاع شعير وجدي من المعز.

ومع ذلك تحقق والله العظيم طهر وأمن لم يتحقق في الأرض إلا في القرون الذهبية الثلاثة؛ وقد فعل الله هذا لتقوم الحجة لله، إذ لو لم يبق حكم إسلامي قط وهبطت الأمة فقد يقولون: ربنا! ما عرفنا، ولا علمنا، ولا بلغنا. وقد كان العالم الإسلامي مستعمرًا من إندونيسيا إلى موريتانيا، بما في ذلك مصر والشام، ولو أراد الله بنا خيراً وكنا أهلاً له لقلنا: العالم الإسلامي عالم واحد، ولكن أمة محمد غلبها الجهل، وقد جهلها العدو واستغلها واستعمرها. ثم أذن الله بالانفراج، وكانت أول دولة تستقل هي سوريا، وقد استقلت عن فرنسا، وكان المفروض على أي إقليم يستقل أن يأتي رجاله إلى عبد العزيز ويقولون: هذه مفاتيح البلاد، وقد خرجت فرنسا أو بريطانيا، فابعث لنا القضاة، وابعث لنا والياً عاماً يطبق شريعة الله، ويصبحوا قطعة من المملكة.

وهذا درس سياسي؛ لأن القرآن جاء بهذا. وقد كان عليهم أن يفعلوا هذا؛ لأن هذا واجب إيماني وقرآني والله العظيم. ويوم استقلال باكستان كنا في نادي الترقى نكبر: الله أكبر! وكان بيننا العقبي، وقلنا: انفتح باب الإسلام. ولو جاءوا إلى عبد العزيز وقالوا: ابعث لنا قضاة، ووالياً عاماً يطبق شرع الله، ويرجم الزاني؛ لأصبحت قطعة من المملكة.

ولو فعل كل إقليم هكذا لما تم الاستقلال إلا والخلافة قائمة، وأمة الإسلام أمة واحدة. ولكننا هابطون، لا نعرف الله ولا ما عنده. بل كان كل إقليم يتجبر إذا استقل، ويشرع قوانين من عنده، ويشرع ما يشاء، فهبطوا هبوطاً أسوأ من هبوطهم أيام الاستعمار.

وكل هذا بسبب ذنوبنا. والآن نريد أن نعود بتكفير الحكام وقتلهم. وليس هذا هو مسلك الرشد وطريق النجاة، بل مسلك الرشد أن نتوب إلى الله ونعود إليه؛ حتى نصبح جسماً واحداً، وتكون كلمتنا واحدة، ويومها يفتح الله أبواب الخير والهدى.

وأما ونحن جهلة فسقة إلا من رحم الله فلن نجمع أمة الإسلام، ولن نقيم دولة، ونجعل الحاكمية لله. [ثانياً: أن النفير والتعبئة العامة يقوم بها إمام المسلمين عندما تدعو الحاجة إلى ذلك؛ لهذه الآية الكريمة في هذا النداء العظيم].

الجهاد في سبيل الله مستمر حتى لا يبقى في الأرض مشرك

قال: [هذا ولنعلم أيها القارئ الكريم!] والمستمع! [أن هذا النداء حمل حكماً عاماً للمسلمين في أي زمان ومكان؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب] فهو لم يقل: إذا قال لكم رسولنا: انفروا، بل قال: إذا قيل لكم، فيدخل فيه كل إمام للمسلمين يأمر بالتعبئة العامة والنفير [لذا فلنتأمل ما يلي] فهذا هو حصيلة هذا النداء الكريم: [أولاً: الجهاد في سبيل الله تعالى من أفضل الأعمال، وهو باقٍ ما بقي من لا يعبد الله تعالى] في الأرض [لقوله تعالى في سورة

الأنفال: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ [الأنفال:39] أي: حتى لا يبقى من يصرف عن دين الله بأنواع الفتنة والصرف [وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ [الأنفال:39] فلا ينتهي الجهاد إلا إذا لم يبق على الأرض من يعبد غير الله. ويتحمل مسئولية الجهاد المسلمون، فيجاهدون [أولاً: في جزيرة العرب] لأنها بيضة الإسلام وقبته، ولأنه (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب) [ثم في كل أنحاء المعمورة، إذ أمة الإسلام نائبة عن نبيها في إبلاغ دعوته إلى العالم التي تحمل الهداية والطهر، والسعادة والكمال للبشر أجمع] فأصحاب الرسول هم الذين خلفوا رسول الله في دعوته، ونشروا الإسلام في الشرق والغرب، ولما مات أصحابه خلفهم أولادهم، ثم خلفهم أحفادهم، حتى وقف السير؛ لأن العدو استطاع أن يوقفه. توبيخ الله لمن لم يخرج للجهاد في سبيل الله

قال تعالى موبخاً من لم يخرج للجهاد في سبيل الله: [أَتَأْتِلُمُ] أصلها تقاتلتم، أدغمت التاء في التاء [أي: تباطأتم، كأنكم تحملون أثقالاً] كالذي يحمل قنطارين أو ثلاثة فإنه لا يستطيع أن يقوم [لا تريدون الخروج، راضين ببقائكم في دوركم وبين أزواجكم وأولادكم. أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ [التوبة:38]؟ وهذا إنكار] وعتاب ولوم وتأنيب [منه تعالى على من كانت هذه حالته منهم] والاستفهام للإنكار عليهم، أي: أن هذا البذل لا يصح. وجلهم لم تكن هذه حالهم، ولكن هذا موجه لمن كان حاله هكذا [وهذا عدد قليل وليس بكثير؛ إذ أكثر المؤمنين نفروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن من تباطأ أولاً خرج ثانياً، إلا من تخلف بإذن من الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم قال لهم عز من قائل: فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ [التوبة:38]. فكيف تؤثر الحياة الدنيا القليلة التمتع بالطعام والشراب، والكساء والراحة على الآخرة ذات النعيم العظيم والخالد الباقي؟ فكيف تؤثر القليل الفاني على الكثير الباقي؟ إن أمركم عجب]؛ لأن الاستفهام أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا [التوبة:38]؟ في معنى التعجب. تواعد الله عز وجل لمن يترك الخروج للجهاد في سبيله تعالى

قال: [ثم وجه إليهم الأمر الموجب للخروج للجهاد لقتال بني الأصفر - الروم] فبنو الأصفر هم الروم، وليسوا بني الأسود ولا بني الأبيض، والناس لا ينقسمون إلى أسود وأصفر وأحمر، وإنما إلى أبيض وأسود، ووسط بين ذلك، وهم العرب. قال: [إذ عزموا على قتال الرسول] صلى الله عليه وسلم [وأتباعه، فقال تعالى مهدداً موعداً أمراً بالخروج حاثاً حاضاً عليه: إِلَّا تَنْفِرُوا [التوبة:39]، أي: إن تخليتكم عن نصرة نبيكم، وتركتموه يخرج إلى القتال إلى قتال الروم وحده مع قلة من أصحابه فالجزاء سيكون عظيماً] وهو أن [يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا [التوبة:39]، أي: موجعاً لا يطاق؛ لشدة ألمه، ومرارة مذاقه. وأمر آخر: هو أنه [تعالى] إذا أهلككم يستبدل بكم غيركم، بمن ينصرون رسوله، ويقاتلون معه، إذ قال عز وجل: وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا [التوبة:39]، أي: من الضرر] وإن قل [لأنه وليه وناصره. وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التوبة:39]. فلا يعجزه إهلاككم واستبدالكم بغيركم، ونصرة نبيه إن كنتم تركتم نصرته. سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا ...)

على القارئ والمستمع أن يعلموا [أن هذا النداء وجه يوم نزل إلى المؤمنين بالمدينة النبوية] وقد تبدل إحساسنا بأننا في المدينة النبوية، وأهلها لا يشعرون بأنهم في المدينة، فهم يغنون ويزمرون فيها، ويفجرون ويكذبون، ويسرقون ويقولون الباطل، وهي بلد حرام، (من أحدث فيه حدثاً أو أوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل). وسبب هذا هو الجهل، فهم لم يعرفوا الله، ولم يعلموا عنه، ولهذا فهم يفجرون في مدينة الرسول، بل وفي مدينة الرب في مكة.

والسبب والله هو الجهل.

وأنا لا أقصد الجهل بالمعنى الاصطلاحي؛ لأنهم يعرفون يقرءون ويكتبون، بل أقصد الجهل بالله وبمحابه ومساخطه، والجهل بوسائل التقرب والوصول إلى رضا الله؛ لأنهم لم يتعلموها ولم يفهموها.

واليوم قد تعلم الشعب بكامله، بل العالم كله، النساء والرجال، فكلهم يقرءون ويكتبون، ولكنهم مازالوا جهلة، فالمتعلم يعيش على معصية الله ورسوله؛ لأنه والله لا يعلم.

والعوام يسمون المدينة النبوية: المدينة المنورة، وأما أهل العلم فيسمونها المدينة النبوية؛ ليذكروا غيرهم بأنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ حتى لا يعصى الله فيها.

وهي منورة، فقد نورها الله بالكهرباء والحمد لله، ولا يوجد بلد منور مثلها، ونحن لا نريد هذا النور، وإنما نريد نور الإيمان والعلم، والمعرفة والتقوى والبرهان.

قال: [وذلك يوم بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن هرقل ملك الروم قد جمع جموعه] وأعد عدته [لحرب الرسول صلى الله عليه وسلم] في مدينته، وينهي دعوته وإسلامه.

ولم تكن الأخبار تنتقل باللاسلكي والبرقيات، وإنما بواسطة المسافرين [فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم بالتعبئة العامة] والتعبئة العامة كلمة عصرية، وهي بمعنى: النفير العام [وكان الزمن صيفاً] أي: في برج السنبلة والسرطان [وحاراً، وبالبلاد جذب وقحط ومجاعة] والله العظيم [وكان ذلك في شوال من سنة تسع من الهجرة] قبل السنة العاشرة التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: [إذ سُميت هذه الغزوة بغزوة العسرة] من العسر [فاستحث الرب تبارك وتعالى المؤمنين ليخرجوا مع نبيهم صلى الله عليه وسلم] في قوله: مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ [التوبة:38].

وهذا حث لهم وحض [لقتال أعدائه الذين عزموا على غزوه في عقر داره] فرسول الله لما بلغه أن هرقل ملك الروم أعد العدة لغزوه، وخرج إليه في جيش عدده ثلاثين ألفاً، وكان جيش هرقل مائتي ألف.

وهذا لنعرف أن وزننا بجانب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يساوي ولا حتى ريشة بجانب الطن.

قال: [فأنزل الله تعالى قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ [التوبة:38] أي: اخرجوا للجهاد في سبيل الله، والقاتل لهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم].

إن التقوى تزكي النفس البشرية، وذلك بفعل الأوامر وترك النواهي، فإذا زكت نفس العبد رضي الله له ولياً، ومن كان صادقاً في نيته وقوله وعمله سعد في الدنيا، ومن سعد في الدنيا كان من أهل السعادة في الآخرة؛ لأن الصادقين هم أولياء الله، وأوليؤه سبحانه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.
الأمر بتقوى الله عز وجل، والصدق في النية والقول والعمل

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.
أمين.

هذا هو [النداء الرابع والخمسون] من تسعين نداء، نادى فيها الجبار عباده المؤمنين.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

قال: [وإليك] أيها القارئ! والمستمع! [ما سبق هذا النداء الكريم] في النزول، وهي حادثة حدثت ونزل فيها هذا النداء [لتعلم قيمة الصدق وحقيقته، وتعمل على أن يكون وصفاً لك بين الناس: إنه لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التعبئة العامة، وهذا درسناه أمس، وهو نداء التعبئة العامة، هو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ [التوبة: 38].

فقد كان هذا نداء الأمس، وهو يحث على التعبئة العامة [لقتال الروم] وقد قلنا أمس: إنهم بنو الأصفر [الذين عزموا على غزو المؤمنين في المدينة النبوية، جاء المنافقون يعتذرون بأعذار واهية وكاذبة، وكذلك ضعاف الإيمان؛ لأن الغزوة كان في عام قحط وجوع وحر شديد، وتخلف من تخلف بدون استئذان من القائد الأعظم صلى الله عليه وسلم، ولم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من تبوك، إذ العدو لما بلغه خروج الرسول صلى الله عليه وسلم لقتاله جبن وخاف، وعدل عن الغزو الذي عزم عليه، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)] والمسافة من المدينة إلى الشام شهراً على رجلين أو بعيرك [فلما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون جاء بعض الناس يعتذرون عن تخلفهم، فاعتذروا وقبل عذرهم، وتخلف ثلاثة، وهم: كعب بن مالك، و هلال بن أمية، و مرارة بن الربيع] فقد تخلفوا [أن يعتذروا كما اعتذر غيرهم بأعذار واهية، فأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم عن هجرانهم ومقاطعتهم، واستمرت مقاطعتهم من الرسول صلى الله عليه وسلم وكافة أهل المدينة، حتى أزواجهم وأولادهم، وبعد مرور خمسين يوماً] والثلاثة لا يكلمهم أحد، حتى أنه والله إن المرأة لتقدم الطعام لأحدهم ولا تلتفت إليه ولا تكلمه، وهؤلاء هم حزب الله، فلما أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقاطعتهم، كان أحدهم يمشي في السوق من أوله إلى آخره ولا يجد من يسلم عليه، لا أب ولا عم ولا أخ ولا غيرهم، وهذه هي المقاطعة التي تنفع، وليس أن أقاطع أنا وأنت تصاحبه، وأنا لا أكلمه وأنت تضحك معه.

ونستفيد من هذا أنه إذا فسق فاسق أو فجر فاجر وقال إمام أهل القرية: لا تكلموه، فوالله لا يستطيع أن يبقى ثلاثة أيام فقط، بل يتوب أو يرحل.

وهذا الهجران له قيمته عندما نكون على منهج الله الحق.

قال: [ولما صبروا صادقين أنزل الله] تعالى [توبتهم في قوله: وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: 118-119]] فطلب منا أن نكون معهم، وهم وإن كانوا متخلفين إلا أنهم لما صدقوا ارتفعوا، وأصبحنا نحن نطالب أن نكون مثلهم.

هذا هو الصدق [فدللت الآيات على أن الله تعالى نجا الثلاثة الذين خلفوا، وتاب عليهم بصدقهم، فلذا دعا عباده المؤمنين إلى الصدق؛ لما فيه من الخير والبركة والفوز بالنجاة من النار، ودخول الجنة دار الأبرار.

اللهم اجعلنا من عبادك الصادقين [واحشرنا في زمرةهم.

آمين] وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [.

الأمر بأن نكون مع الصادقين

[والأمر الثاني: هو الكون في الصادقين] وقد كان الأمر الأول تقوى الله، والثاني: هو الكون مع الصادقين، أي: بأن نكون معهم [إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: 119]] ولا نراكم مع الكافرين أبداً، فإذا طلبناكم فلا نجدكم مع الكافرين؛ لأنه أمركم سيدكم أن تكونوا دائماً مع الصادقين، وليس في مجالس الكذب والكاذبين، فلا تجلسوا فيها.

بل كونوا مع الصادقين [أي: لا تفارقونهم في أي حال من أحوالهم، فلتكن نياتكم كنياتهم، وأقوالكم كأقوالهم، وأعمالكم كأعمالهم، وأمالكم كأمالهم؛ لتكونوا في الآخرة معهم] وهكذا.

فنحن نطلب أن نكون مع الصادقين لنكون في الدنيا وفي الآخرة معهم [واسمعوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا، إذ قال: (عليكم بالصدق)] أي: الزموا يا عباد الله! ويا إماء الله! (فإن الصدق يهدي إلى البر) والبر هو: الخير [(والبر يهدي إلى الجنة)] فإذا صدقت فأنت من أهل الجنة إذاً، فقد قال: (عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة).

ثم قال: [(لا يزال الرجل يصدق)] وعلى المرأة أن تصدق أيضاً، وإنما لم يذكر الحبيب صلى الله عليه وسلم المرأة لأن أشراف العرب والمسلمين لا يريدون أن تذكر النساء بينهم - واليوم هناك من يقدم زوجته ويقول: هذه المدام تريد تسلم عليك! - حتى أن الله عز وجل راعى مشاعرنا، فلم يذكر النساء إلا عند الضرورة.

وكل خطاب للرجال فهو للنساء، فلا تقل المرأة: أنا لم أذكر فلن اصدق، بل اصدقي وتحري الصدق؛ حتى تكتبي عند الله من الصادقات والصديقات، ولكنك ما ذكرت لأن الفحول لا يريدون أن تذكر نساؤهم بينهم.

فاعرفوا هذا.

والذي لا يريد أن تذكر المرأة بين الرجال لا يسمح لها أن تمشي بين الرجال كاشفة عن وجهها أيضاً، فهذا والله ما كان، ولكن انظروا كيف هبطنا وتمزقنا، ولم نعرف الطريق، ولا عرفنا عدونا.

قال: (ولا يزال الرجل يصدق) [(ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً)].

فإذا كتب صديقاً أصبح من أمثال أبي بكر الصديق رضي الله عنه [وإن لم يكن هو لكنه من أمثاله] إذ لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالصديق [فالذي لقب أبا بكر بالصديق هو الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه صدق وصدق فقال له: أنت صديق [والقرآن] قد [أشار إليه في قوله تعالى: وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ [الزمر: 33]] فالذي جاء بالصدق هو الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي صدق به هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه [وأبو بكر الصديق هو أول من آمن في الأرض بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، فلهذا لقب بالصدق]، ومن أراد أن يكون صديقاً من الليلة فلنكن نيته وأعماله أقواله صادقة فقط، وسيكون من الصديقين.

قال: [وهناك سبيل آخر] وطريق أخرى [للكون مع الصديقين، وهو طاعة الله ورسوله في الظاهر والباطن .. في السر والعلن .. في العسر واليسر على حد سواء؛ إذ قال الله تعالى: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ [النساء: 69]] أي: المطيعون [مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ [النساء: 69]] فأطع الله والرسول طاعة كاملة تامة، لا نقص فيها، وستكون مع مواكب الصديقين ومنهم، وهذا وعد الله [وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا [النساء: 69-70]].

ما تتحقق به تقوى الله عز وجل

قال: [واعلم أيها القارئ! أن التقوى لا تتحقق لطالبها إلا بالعلم بمحباب الله تعالى ومكارهه، وبكيفية أداء المحبوبات؛ لتنتج له زكاة نفسه وطهارتها؛ لذا كان طلب العلم فريضة الله على كل مؤمن ومؤمنة في هذه الحياة] ولو التقى بك أي رجل وقال لك: يا شيخ! أنا أريد أن أكون ولياً، فدلني على الطريق فقل له: آمن واثق، فإن أخذ يفكر كيف يتقي؟ ومن يتقي؟ ثم رجع إليك وقال: يا عم! أو يا شيخ! أنا فهمت عنك - جزاك الله خيراً - أن الولاية تتحقق بالإيمان والتقوى، ثم سألك كيف يتقي فقل له: اتق الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

فإن مشى وبات في البيت في الليل يفكر في هذه الأوامر حتى يفعلها، وفي النواهي التي يتركها، ثم أتى إليك في الصباح وقال: يا شيخ! جزاك الله خيراً، علمتني أن التقوى تكون بفعل الأمر وترك النهي، ولكن ما هي الأوامر والنواهي؟ فقل له: تعال، انزل عندنا أربعين يوماً حتى أعلمك الأوامر والنواهي، فلا يكفي فيها كلمة واحدة، فيصبح ملازماً لبابه؛ حتى يتعلم الأوامر والنواهي؛ ليعرف الأمر ويفعله، وليعرف المنهي ويتركه.

ومن آثار السلف الصالح في هذا: أن زائراً نزل عند أخيه ضيفاً، فقام يتعهد في الليل، فقرأ من آل عمران حتى انتهى إلى قول الله تعالى: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [آل عمران:18].

وأخذ يدعو ويتكلم مع الله، فذاك الضيف أراد أن يعرف ماذا قال بعد هذا، فلما استيقظ قال: البارحة كنت تتعهد - زادك الله نوراً - وقلت دعاء ما عرفته، فقل له: اسمع! إن تقم عندنا عاماً كاملاً أعلمك؛ فقد أراده أن يتعلم علوماً أخرى ومعارف، فحبسه من أجل هذه الدعوة، وهي عندما تقول: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [آل عمران:18] فإنك تقول: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودعك اللهم هذه الشهادة، فهي عندك وديعة، فردها إلي يوم القيامة، أو عند الحاجة إليها، فجلس محبوساً عاماً كاملاً من أجل هذه أيام أن كانوا في العلو، وأنت لما تقرأ هذه الآية وأنت تتعهد أو تقرأ القرآن فقل: وأنا أستودعك اللهم هذه الشهادة، وهذه الشهادة هي: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ [آل عمران:18] أيضاً شهدوا.

فقل أنت: وأنا أيضاً أشهد بما شهد الله به، وأستودعك اللهم هذه الشهادة، فأتركها عندك وديعة، تردّها إلي عند الحاجة إليها، إما في القبر وإما يوم القيامة.
ثم اتقوا الله عز وجل

قال: [لأن التقوى تزكي النفس البشرية] وتطهرها [وذلك بفعل الأوامر وترك النواهي] فالأوامر: عبارة عن أدوات غسل وتنظيف، فمن أخذها غسل نفسه وطهرها وطيبها، والنواهي: عبارة عن أوساخ ومزابل، فإذا أبعدتها عن نفسه بقي في الزكاة والطهر والصبر.

وهذا أمر معقول واضح كالشمس [فإذا زكت نفس العبد رضي به الله] له [ولياً، وأحبه وتولاه] والله يواليك ويحبك ويرضى عنك إذا زكت نفسك وطابت وطهرت فقط؛ لأن (الله طيب لا يقبل إلا طيباً).

إذاً: ثمرة فعل الأمر وترك النهي هو تزكية النفس، وهي لا تزكى لا بالماء ولا بالصابون ولا بالحيل أبداً، وإنما بامتثال الأوامر وتأديتها كما هي، والابتعاد عن المنهيات الملوثة المخبئة للنفس.
الأمر بتقوى الله عز وجل وسببه

قال: [واعلم أيها القارئ! والمستمع! أنه هذا النداء الإلهي يحمل أمرين عظيمين] سبقت الإشارة إليهما، وهما تقوى الله والصدق [الأول: الأمر بتقوى الله عز وجل، وهي كما عرفت إن كنت تذكر] ما قد درسته ومر بك في هذه النداءات [طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله] صلى الله عليه وسلم [في كل ما أمرا به أو نهيا عنه] فإن أمراك فافعل، وإن نهياك فاترك، هذه هي التقوى، فننتقي غضب الله وسخطه بطاعته، وطاعة الله هي التقوى، ونحن الآن ننتقي الحر بالمبردات، وننتقي البرد بالساخانات المديفات، ولا ننتقي غضب الله بالأغاني، وإنما بتقواه، أي: بفعل ما يأمر، وترك ما ينهى عنه [إذ الله تعالى لا يتقى عذابه ولا غضبه ولا عقابه بأية وقاية إلا بالطاعة له، والتسليم لحكمه، والرضا بقضائه وقدره] ولا يتقى بالحصون العالية، ولا بالتوابيت في الأرض، والله لا يتقى بهذا أبداً، بل يتقى بأن تطرح بين يديه، وتسلم أمرك له، فإن أمر فعلت، وإن نهى تركت.

قال: [والمؤمن العارف] وهناك مؤمن غير عارف، كأن يكون آمن أمس، أو آمن قبل عشر سنوات، ولكنه لم يدرس، ولم يتعلم، فهو ليس عارفاً.

فهذا المؤمن العارف [يسره] أي: يفرحه [أمر ربه تعالى له ولغيره بالتقوى] فالمؤمن العارف إذا أمر بالتقوى انشرح صدره، وطابت نفسه، وفرح لأن الله أمره بهذا [لعلمه] كما تعلمون [أن ولاية الله تعالى - وهي أشرف هدف، وأسمى غاية، وأعز مطلب- لا تتحقق للمؤمن إلا بالتقوى] وقد قرأنا هذا الآن وعرفناه، وأصبح من الضروريّات؛ لملازمتنا طلب العلم.

وإذا أمرك الله بالتقوى فافرح بهذا، ولا تخاف وتحزن، بل كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة:119].

ووالله لئن تسافر إلى اليابان من أجل أن تفهم هذه القضية بالذات وتعود لكان ذاك الصبر لا قيمة له بالنسبة إلى ما علمت.

فولاية الله تحصل للعبد فقط بطريق الإيمان والتقوى، ومن كفر وفجر فهو عدو الله، ومن آمن واتقى فهو ولي الله، وإذا عرفتم ولي الله فلا يجوز أن تكذبوا عليه، ولا أن تشتموه وتغتابوه، ولا تتعرضون لناقته أو لبستانه؛ لأنه ولي الله، وقد كان أجدادكم أيام الجهل يخافون ولي الله المدفون ويرهبونه أكثر من الله، وقد سمعت بهذه الأذن في المجلس وأنا صبي أجلس مع الكبار: أن فلاناً إذا زنى لا يمر بالسيد فلان، بل يمشي شارع آخر، وأما الشارع الذي فيه قبة سيدي فلان فلا يمر به؛ لأنه خائف لأنه فجر، فادرسوا هذه القضية، أو ضعوها بين أيدي علماء النفس، فאלله خالقه ورازقه وربّه ومولاه يعصيه ويفجر بأمره، التي هي بنت أو امرأة عبده ووليه ولا يخاف، ويخاف إذا مر بسيده فلان! فافهموا هذا، فهذا حالنا منذ أكثر من ثمانمائة سنة! إلا من رحم الله.

وسبب هذا يا عباد الله! هو الجهل والله، وليس شيء آخر سواه.

فقد سقوا الجهل كالشراب، أو أطعموه كالطعام، والسبب هو أنهم ما وجدوا من يجمعهم في بيت ربهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم قروناً، فجهلوا، ومعنى هذا: أنه يوجد اليوم جهل بين المسلمين، ولا تسأل.

والطريق إلى إنقاذهم: أن نجتمع في بيوت ربهم، فعلى المسئول في الحي والقرية أو الشيخ أن يجمع أهل قريته بنسائهم وأطفالهم كل ليلة بعد أن يتركوا العمل الدنيوي، ويشهدون صلاة المغرب والعشاء في بيت ربهم برجالهم ونسائهم وأطفالهم، ويتعلمون الكتاب والحكمة يوماً بعد يوم، وعاماً بعد عام، وإذا بهم كلهم علماء النساء كالرجال، وإن كانوا والله لا يقرءون ولا يكتبون.

وبعد ذلك لا يبقى مجال للعهر والزنا، ولا للسرقة ولا للكبر ولا للحسد، ولا للظلم ولا للشر، وينتهي كل ذلك، بعد أن علموا وأصبحوا أولياء الله.

وقد وقع هذا الكلام، وهو ليس خيالياً، بل الغافل يقول: هذا خيال، يمليه الشيطان لهم، وأما فتح المقاهي والملاهي والملاعب فليس خيالياً، بل حقيقة هذا، وأما الاجتماع على قال الله وقال رسوله فهو خيال، فالكافرون والله لا يستطيعون أن يفعلوا هذا؛ لأنهم أموات، وإذا كانوا مؤمنين أحياء فإنهم والله يستطيعون ذلك.

نداء الرحمن لأهل الإيمان لأنهم أهل الاستجابة

يا أيها القارئ! اذكر [ما قد سبق أن عرفته وهو أن المؤمنين أحياء] لا أموات، فالمؤمنون بحق أحياء [لذا يناديهم ربهم ليكلفهم؛ لقدرتهم على السماع والقول والعمل والترك] فهو يناديهم ليكلفهم بتكاليف، والله لا يكلف من لا يسمع ولا يبصر ولا من لا يقدر على العمل، ولا يكلفهم إلا لأنهم أحياء؛ إذ الحي يسمع ويبصر، ويقول ويترك ويفعل [بخلاف الكافرين؛ فهم بكفرهم أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وما يشعرون] [النحل:21].

والدليل: أنهم إذا دعوا إلى العمل أو الترك لا يجيبون، وإذا ذُكروا لا يذكرون [الصافات:13].

وإذا نودوا لا يسمعون، بخلاف المؤمنين، لكمال حياتهم فإنهم إذا ناداهم أجابوا، وإذا أمرهم فعلوا، وإذا نهاهم تركوا وانتهوا [وهذا هو الفرق بين المؤمنين والكافرين، فالمؤمنون أحياء، والكافرون أموات، والله لا ينادي الموتى، وحاش لله أن ينادي أمواتاً، فهو لا ينادي إلا الأحياء، وهو يناديهم لعلمه أنهم يسمعون النداء، ويستجيبون له، فيفعلون المأمور، ويتركوا المنهي، وهذا هو سر نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

من مظاهر الهبوط والانحدار في حياة المسلمين

لقد هبطنا بعد أن كنا والله في سماء الكمالات، وبعد أن كنا هداة البشرية وقادتها ودعاتها إلى الكمال، ثم هبطنا، وأعطيك مظهراً من مظاهر الهبوط: ترى العامي منا في أية قرية من العالم الإسلامي يصلي وراء الإمام أربعين سنة، وهو يسمع الفاتحة: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الفاتحة:2].
ووالله ما يحفظها.

ويصلي وراء الإمام خمسين سنة ولا يحفظ سورة حفظاً جيداً من قصار المفصل كالمسد أو الصمد أو الفلق، وصدقوني ولا تردوا علي، فحاشاي أن أكذب عليكم في بيت الله، وقد صلينا وراء شيخ في عمر سبعين أو ثمانين سنة، وقد صلى بنا ليلة بسورة قريش، وقرأها: ليلة في قريش الليلة فيهم! وهذا يقرأ: تبت يدا أبي لهبه! ويقرأ الفاتحة: يا كان نعبد يا كان نستعين! فافهموا هذا.
وهذه أم الفضل أم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما تقول: (صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب، فقرأ بـ وَالْمُرْسَلَاتِ عَرْفًا [المرسلات:1].
فحفظتها).

وأعطني عامياً أقرأ عليه المرسلات خمسين مرة أو ألف مرة ويحفظها.
ففسروا هذه الظاهرة يا علماء النفس! فهذه الظاهرة تفسر: أنهم كانوا عاليين، ونحن هابطون.
وعندنا مثلاً يبين هذه الحقيقة ويوضحها، فقد عرفنا ونحن أطفال وأحداث شببية كان الواحد يسمع الأغنية من عبد الوهاب .. من ليلى .. من فلانة ويحكىها بالنغم والصوت، وليس مجرد كلمات، بل بالنظرات وتلك النغمات التي تغني بها كان يغني بها، ولا أحد يرد علي في هذا.
والآن يمكن جل السامعين والسماعات حفظوا هذه الآية، فهي أغلى من قطار من ذهب، بل أبناء العوام في الحلقة يقرءون هذا النداء، وهذا يدل على أننا تغيرنا بعض الشيء، والحمد لله.
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة:119].

فهذه تبقى نوراً في قلبك، وأمر بها كل مؤمن ومؤمنة خالف المنهج وأعرض عن الله، وقل: يا عبد الله! إن الله يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة:119].
وأنت مؤمن، فائق الله، واترك السجارة من جيبك ومن يدك، وكف لسانك عن الغيبة والنميمة، وغض بصرك عن النظر إلى النساء المؤمنات، فأنت مؤمن، فلا تتكلم في فلان، فهذه غيبة وحرام، وأنت مؤمن، والله يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة:119].

لا مع الكاذبين ومجالسهم وأباطيلهم وترهاتهم، ولكن مع أهل الصدق، فكن معهم، وجالسهم وتعامل معهم، واسكن إلى جنبهم، وكن دائماً كذلك ظاهراً وباطناً؛ لما في ذلك من المناعة والحصانة؛ لأن الصادق لا يكذب، بل يصدق، وهو لا يسرق، بل هو صادق في سلوكه.

فهذه دعوة من الله لكم أيها المؤمنون! بأن تتقوه وتلازموا باب التقوى، وأن تكونوا مع جماعات الصدق، ولا تجالسوا أهل الكذب والباطل.

والآن مع [الشرح] والبيان؛ لنزداد نوراً بعد نور: [اذكر أيها القارئ!] والمستمع! والقارئ ليس هو قارئ البقرة أو يس على الموتى، وإنما هو الذي يقرأ هذه النداءات التسعين، ويجب على المؤمنين أن يقرءوها، فقد بلغنا أن سيدكم ناداكم، فاستجيبوا له، والذي قال: لا أستجيب قد قطع صلته بمولاه، ولم يصبح وليه ولا عبده.

فكل من يحسن القراءة ينبغي أن يستمع إلى نداءات الله التي جمعت في هذا الكتاب، والذي لا يحسن القراءة ينبغي أن يقول لمن يقرأ: أسمعني نداءات ربي، ويفعل هذا، وفي كل يوم يسمع نداء حتى يستوفيها ويحفظها، ويفهم مراد الله تعالى منها، فإن كان عقيدة اعتقدها، وإن كان قولاً قاله، وإن كان عملاً عمله؛ حتى يحقق ولاية الله له.

سبب نداء الله تعالى لعباده المؤمنين

عرفنا - والحمد لله - وعرف كل المستمعين والمستمعات لم ينادينا ربنا، فهو ينادينا لأننا أولياؤه، والولي لا يحب لأوليائه إلا سعادتهم وكمالهم.

والسعادة والكمال تتمان بسنن وأسباب جعلها الله عز وجل موصلة لذلك، فهو ينادينا ليأمرنا أو لينهانا، أو ليعلمنا أو ليبرئنا، أو لينذرنا، فإن أمرنا بأمر وجب أن نقوم به، وإن نهانا عن شيء كمتعقد فاسد أو قول سيء أو عمل باطل انتهينا عنه.

وإن نادانا ليعلمنا ما يزيد في معارفنا علمنا، وإن نادانا ليبشرنا فرحنا وسررنا واشتبشرنا خيراً، وإن نادانا لينذرنا وليحذرنا انتذرنا وحذرنا.
الطريق الموصلة إلى ولاية الله عز وجل

الحمد لله رب العالمين، فقد فزنا بهذا الفوز وحصلنا على هذا الكمال بالإيمان بالله ولقائه، والإيمان برسوله وكتابه، ثم بالعزم على تقواه؛ إذ الولاية تتحقق بأمرين اثنين لا ثالث لهما، وقد أصبح هذا من الضروريات عند السامعين والسماعات، ولو تسأل ملايين المسلمين عما يحقق ولاية الرحمن، وقلت لهم: أريد أن أكون ولياً لله، ثم سألتهم عن الشيء الذي تصبح به ولياً لله فإنهم والله لا يعرفونه، ونحن نعرف هذا.
فولاية الله تتحقق فقط بالإيمان والتقوى، والدليل على هذا: اسمعوا الله تعالى يقول في سورة يونس من كتابه العظيم: **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62]**.
وكان سائلاً يقول: من هم يا رب! أولياؤك الذين أعلنت أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فكان الجواب بهذه الجملة الاستثنائية استثنافاً بيانياً: **الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63]**.
هؤلاء هم أولياء الله.

لَهُمُ النَّبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [يونس:64].
والذي يعرف أولياء الله والله لا يكذب عليهم، ولا يسرق أموالهم، ولا يفجر بنسائهم، ولا يسبهم ويشتمهم ويضرب أجسامهم لا والله، وإنما الذين يضربونهم ويسلبون أموالهم وغير ذلك هم الذين ما عرفوا أولياء الله.
وقد بلغنا من طريق أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

بيان بعض صور تأمر أعداء الله على المسلمين

عندنا معلومة غالية الثمن، فقد عرف العدو الثالث الأسود - المجوس واليهود والنصارى - مصادر كمالنا، وطرق سلامتنا ونجاتنا، وأسباب عزنا وكرامتنا، فتآمروا وفعلوا ما فعلوا.
فأولاً: صرفونا عن القرآن الكريم، وحولوه إلى المقابر والأموات، والقرآن ما نزل ليقرأ على الأموات؛ إذ لا يستفيد الميت من الإعلانات والبيانات والتوجيهات والعلوم والحقائق التي فيه، وأصبح المسلمون لا يعرفون اجتماعاً على القرآن إلا ليلة الموت، أو على القبور، وهذا من موريتانيا إلى أندونيسيا، باستثناء هذه البقعة فقط من يوم أن دخلتها خيل عبد العزيز ، وإلا فقبل كانوا كسائر بلاد العالم.
فالقرآن لا يقرأ إلا على الموتى، ولا تجد مؤمناً يقول لك: من فضلك اقرأ علي شيئاً من القرآن أبداً، ومن ثم متناً، وإذا قلت: السنة، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: لا، اترك هذا، فمصنفات الفقهاء كافية، مع أن السنة فيها الناسخ والمنسوخ والخاص والعام كالقرآن، ولكنهم يمنعون من التكلم بهما، فأبعدونا عن رسولنا، وأصبحنا لا نذكره إلا ليالي المولد، فجعلوه كغيره من أموات البشر، يُحتفل بذكراه يوم في العام، فمتناً.
ومن تلك الحيل وذلك المكر الذي أردت أن أذكر به السامعين وليعلم العالمون: أنهم قالوا: من ادعى الولاية وقال: أنا ولي يخشى أن يموت على سوء الخاتمة، فلم يبق في العالم الإسلامي من يقول: إنه ولي الله، بل الأولياء الذين دفنهم في التراب، ووضعنا عليهم التوابيت من الخشب والحديد، وبنينا عليهم القباب، وعكفنا حولهم، ونقلنا إليهم مرضانا، وحلفنا بحياتهم، ونذرنا لهم النذور، فأولئك هم الأولياء، وأما أن أولياء الله بيننا فلا، بل كل الأحياء أعداء الله.
ولا إله إلا الله! وإذا دخلت إلى عاصمة من عواصم العالم الإسلامي - وبعض الإخوان قالوا: لا تسمي البلاد، مع أنها بلادنا نحن المسلمين- وقلت لأول من تلتقي به عند دخولك: يا سيد! أنا غريب في هذه البلاد، فدلني على ولي من أوليائها أزوره، فوالله ما يأخذ بيدك إلا إلى قبر وضريح، مات صاحبه من سنة أو ألف سنة، ولا يفهم أن تلك العاصمة ذات الآلاف أو مئات الآلاف فيها ولي بين الناس.

وقد سمعنا بهذا.

وأهل البلاد كلهم ليسوا بأولياء لله، بل أعداء الله، فلهذا يزنون بنسائهم، ويسرقون أموالهم، ويلطمون وجوههم، ويلعنونهم ويسبونهم، ويغتابونهم ويأكلون أموالهم، وهذا صحيح، وهو والله لواقع، ولو كانوا يؤمنون أنهم أولياء الله لما مسوهم، والله يقول: (من عادى لي - أي: من أدى لي - ولياً فقد آذنته بالحرب).

وهم حولوا أمر الولاية إلى الموتى، كما حولوا القرآن إلى الموتى، فمتنا. وولاية الله تتحقق بشيئين فقط: أمن واستقم، وأحل ما أحل الله، وحرم ما حرم الله، كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا [فصلت:30].

ثم الله تعالى هو الذي بين لنا أولياءه، فلم يقل: أبيض ولا أسود، ولا عربي ولا عجمي، ولا فقير ولا غني، بل قال: من آمن واتقانا، ولم يتعرض لسخطنا وغضبنا، ولم يعصنا، فأولئك هم أولياء الله. وفي هذه المقدمة ذكرناكم بالماضي؛ لأن هذه المعارف لا تحصلون عليها في الكتب، فلا تنسوها. وها نحن مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، وهي نداءات تشريف وتعظيم. وهذا النداء مضمونه وفحواه والمراد منه [في الأمر بتقوى الله عز وجل، والصدق في النية والقول والعمل] وسبحان الله! فهذا النداء يحمل أمر الله لنا بتقواه؛ لأن الخروج عن تقواه معناه: معصيته، وهي جالبة الخسران والدمار.

والله لا يرضى لنا أن نخسر، ونحن أولياؤه. ثم الصدق في القول إذا قلت، وفي العمل إذا عملت، وفي النية إذا نويت، ولا تكذب. وإذا أصبح عبد الله تقياً لله صادقاً في نيته وفي قوله وفي عمله فقد أصبح يسامي الملائكة في الطهر والصفاء، وفاز برضا الله وحبه ولقائه.

وهيا بنا نتغنى بهذا النداء، وهو [الآية (119) من سورة التوبة] تاب الله علينا. [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة:119]] وهذه الآية إذا صليت بها النافلة والفريضة فلن تنساها أبداً، فصل بها ركعتين، وعار على الأبناء إن لم يحفظوا هذه الآية، ولا ينبغي هذا، فلنحفظها كلنا.

أوجب الله على المسلمين قتال الكفار، ليس من أجل أموالهم، ولا لاستغلال خيراتهم، ولا لاحتلال بلادهم، ولكن من أجل إكمالهم وإسعادهم، وقد أمر الله بالتدرج معهم بخصال ثلاث عند دعوتهم، فإما أن يدخلوا في الإسلام، ويكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا، فإن أبوا فلهم حق الحماية من المسلمين على أن يدفعوا الجزية، فإن أبوا وضع فيهم السيف حتى تدخل خيل الله بلادهم، وترتفع فيها راية التوحيد.
ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.
ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.
أمين.

نداءات الرحمن تسعون نداء، اشتمل عليها كتاب الله القرآن العظيم.
وهذه النداءات كررنا أنها احتوت على كل ما تتطلبه حياة المسلم، ولم تترك شاردة ولا واردة من العقيدة إلى الآداب .. إلى العبادات .. إلى السياسة في الحرب وفي السلم .. إلى المعاملات في كل ما تطلبه حياة المسلمين إلا واحتوته هذه النداءات.

وقلنا: إن على كل مؤمن ومؤمنة أن يعمل على أن يصغي ويستمع إلى نداءات ربه إليه؛ إذ ليس من المعقول أن يناديك سيدك ثم تعرض عنه، ولا تلتفت إليه، أو تقوم من المجلس، بل إذا بلغك أن مولاك يناديك فأسرع لأن تسمع النداء.

ولا يعقل أن ينادينا مولانا، ونحن لا نريد أن نسمع نداءه، فهذا لا يعقل، والله لقد نادانا لما أصبحنا أهلاً لأن ينادينا، وعرفنا أن هذه الأهلية إنما هي إيماننا الصادق، فننادانا بقوله: يا أيها الذين آمنوا، أي: يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً.

وعرفنا -والمعرفة نافعة بإذن الله- أنه تعالى لا ينادينا للهو ولا للعب، ولا ينادينا للباطل، وإنما ينادينا إما ليأمرنا فنعمل ما يركي أنفسنا ويظهرها، ويعدنا للكمال في الدنيا والآخرة، أو ينادينا لينهانا عما يندس نفوسنا ويلوثها ويخبثها، من أجل ألا نحرم رضاه وحبه وولايته؛ حتى ننتهي عما نهانا عنه، أو ينادينا ليعلمنا ما لم نكن نعلم، ولا نعمة أعظم من هذه، فهو ينادينا ليعلمنا ما لم نكن نعلم، أو ينادينا ليبشّرنا أو لينذرنا.
وليس وراء هذا شيء.

والحمد لله أننا مؤمنون، وأن لنا رباً ينادينا ويأمرنا وينهانا، ويعلمنا ويبشّرنا ويحذرنا؛ من أجل إكمالنا وإسعادنا، والله لا شيء وراء هذا، وإنما من أجل أن نكمل ونسعد؛ لأننا أولياؤه.
لما وعبتنا في نداء أمس على من سمعه ولم يحفظه، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: 119].

وكم من مؤمن أو مؤمنة يسمع نداء الله في كلمات معدودة ثم لا يستطيع أن يفتح فاه، ويحرك شفثيه، ويردد الكلمة حتى يحفظها، ويسمع القصص فيحفظها، والأباطيل فيردها! وقد بكينا وقلنا: مضت قرون والعاميون المؤمنون يصلون وراء الإمام عشرين سنة .

أربعين سنة وهو يسمعون، ولا يحفظون الفاتحة، وتكلمهم قال الله وقال رسوله ولا يحاولون أن يحفظوا كلمة، وإذا كلمتهم عن الدنيا والأباطيل والترهات والخرافات يحفظون منها عشرات الكلمات. ولست واهماً في هذا، بل والله كما تسمعون، وسبب هذا عدم الاستعداد لقبول الكمال الإلهي؛ لأننا هبطنا. وضربنا المثل الحسي الواقعي وقلنا: هذه أم الفضل أم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، تقول: (صليت المغرب وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ بسورة: (والمرسلات)، فحفظتها). فسمعتها وحفظتها.

ولا تعجب، وكم من نساءنا ورجالنا وخاصة شببيتنا - أيام كانت الأغاني متعلقة بها قلوبهم، وأيام كانت الآلات يحملونها في أيديهم- ترى أحدهم يحفظ الأغنية من أم كلثوم ، أو من عبد الوهاب ، أو من فلان، ويحفظها بالنغم ويعيدها.

وتفسير السر يا علماء النفس: هو لأننا حببنا عن السماء بالجهل العام، وأصبحنا من أهل الأرض، فما كان في الأرض نشأتنا إليه، ونرغب فيه ونحفظه، وما كان يحدثنا عن الملكوت الأعلى والسماء وما فيها لم نحفل به، ولم نهتم، وتمضي الأعوام والله ولا نحرك شفاهنا به أبداً.

والآن عدنا، ونحن ننادي منذ أربعة وخمسين يوماً من يوم أن بدأنا بدراسة نداءات الرحمن، وها هي أيها المؤمنون! قد جمعت لكم فاحفظوها، وتعلموا ما فيها، فهذه سبيل نجاتكم، وطريق سعادتك، ولكننا كأنا نتكلم مع الموتى. وهنا ظاهرة لا ننكرها، وهي أن كثيراً من المؤمنات ساهمن في طبع هذه الرسالة، ووصلتنا معوناتهن، وقد بلغت تسعة آلاف.

وبعض المؤمنين أيضاً أسهموا؛ لأن هذه الرسالة يجب - وليضحك علينا العلماء، فهم يقولون: كيف يجب؟ ونحن نقول: أيناؤك سيدك لإكمالك وإسعادك ولا تسمع النداء؟ ثم إن هذه النداءات تحمل العلم، وهو فريضة على كل مسلم ومسلمة في كل شئون الحياة، في النكاح، وفي البيع والشراء، وفي الحرب والجهاد، وفي الصلاة والعبادات، وأنت لن تتكلف شيئاً، وإذا كنت عامياً لا تقرأ فقل لابنك أو أختك أو أمك: أسمعني الليلة نداء من نداءات ربي، فيقرأه عليك، فتحفظه، ثم يشرحه ويبينه لك، وهكذا، ولن تكمل هذه التسعين نداء إلا وأنت من علماء الأمة الإسلامية، وإن كنت والله لا تقرأ ولا تكتب.

ولست واهماً في هذا.

فالعلم معرفة كيف يعبد الله وكيف يتقى، وكيف يحب ويخاف، ولا تحتاج إلى قلم ولا قرطاس. وهكذا نبكي.

اعرفوا المطلوب منا في هذا النداء، فالذي طلبه منا منادينا أمرين عظيمين:
الأمر بأن نكون مع الصادقين

والأمر الثاني: الكينونة مع الصادقين، كما عرفتم البارحة.

فيجب أن تكونوا مع الصادقين، وإما مجلس الكذب والباطل فلا تجلس فيه، فلا تصاحب كذاباً، ولا تمشي معه، ولا تركز إليه، بل ابحث عن الصادقين في اعتقاداتهم وأقوالهم وأعمالهم، وكن معهم، فإن لأمك لائم فقل له: رب أمرني، فقد قال.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة:119].

وقد عرفنا أيضاً كيف نصبح صديقين مسامحين لأبي بكر الصديق ، والطريق الذي يجب أن نسلكه إلى ذلك، فقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق) .

والمرأة معه كما عرفنا.

(ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق؛ حتى يكتب عند الله صديقاً).

ولن يأتيك صك يشعرك بأنك صديق، بل إذا لم تجرب على نفسك كذبة منذ عشرين سنة أو أربعين عاماً فأنت إذاً: صديق، وقد يعرفك أهل القرية أنك صادق وصديق إذا لم يجربوا عليك الكذب.

وقد أطلنا في تذكر الأمر الأول، لأن هذا يتعلق بغيرنا، ونحن لسنا أهلاً له، حتى نؤمن من جديد، ولكن من باب علمه ومعرفته وما يدعو إليه وما يطالب به، وإن كنا عاجزين فقد يأتي يوماً نقوى ونقدر، فننهض بهذا التكليف.

الأول: التقوى، إذ قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة:119].

وقد عرفنا تقوى الله، فهي طاعة الله وطاعة رسوله بفعل ما يأمر وترك ما ينهى، وسميت تقوى - وهي طاعة الله وطاعة رسوله- لأننا بهذه الطاعة نتقي غضب الله وعذابه، ولو قيل لك: إن لك رباً جباراً، بيده ملكوت السماء والأرض، يعز ويذل، فاتقه، فلو كنت عاقلاً فستسأل: كيف نتقيه؟ هل ندخل في الصناديق؟ أو نبني حصوناً عالية نستتر بها؟ وسيقال لك: نتقيه بطاعته وطاعة رسوله، فافعل ما يأمرانك، واترك ما ينهيانك عنه، فإن اتقيت عذابه فلا سخط ولا عذاب.

وقد عرف الدارسون أهل الحلقة المباركة ثمرة هذه التقوى، فيها يتحقق أسمى هدف، وأشرف منصب، وهو ولاية الله عز وجل.

فإذا أردت أن ندلك على ما يجعلك ولياً لله فنقول: آمن به واتقه، وستصبح وليه، ولا يوجد غير هذا، وليس الأولياء هم أهل الكرامات والمعجزات والخارقات وغير ذلك، بل إذا آمنت واتقيت فأنت ولي، كما قال تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62].

وهم الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63].

فكل مؤمن تقى هو الله ولي، وإن لم تظهر على يديه كرامة ولا معجزة ولا غير ذلك، وإن كان فقيراً مريضاً لاصقاً بالأرض فهو ولي الله.

إذاً: التقوى تثمر أشهى ثمرة، وهو تحقيق ولاية الله عز وجل.

فأولياء الله ليسوا ببيض ولا حمر ولا صفر، وإنما هم فقط المؤمنون المتقون.

وقد احتال العدو علينا، وهذا العدو هو الثالوث المكون من ثلاثة عناصر، وهم المجوس واليهود والنصارى، فقد تعاونوا على ضرب الإسلام والمسلمين، ونجحوا، وكانت أول ضربة ضربوا بها المسلمين هي إبعادهم عن القرآن الكريم عدة قرون، وقرابة ثمانية قرون والقرآن لا يقرأ إلا ليلة الموت فقط، وإلى الآن نقول: دلوني على مؤمن يجلس تحت ظل شجرة أو جدار، أو يجلس في مسجد ويقول لأخيه المؤمن: تعال من فضلك! أسمعني شيئاً من القرآن، فإلى الآن هذا لم يبلغنا إلا نادراً، أو دلوني على مؤمن يقول: أنا لا أحسن القراءة، فتعال يا بني! أو يا أخي! أو يا أبتاه! أسمعني شيئاً من كلام الله، فهذا لا يوجد، في حين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نزل الله القرآن عليه وحفظه إياه حفظه وعرف معناه يقول لعبد الله بن مسعود: (يا ابن أم عبد! تعال اقرأ علي شيئاً من القرآن. فيعجب عبد الله ويقول: أعليك أنزل وعليك أقرأ؟ فيقول: إني أحب أن أسمع من غيري).

وفي مجالس عديدة لم نر من يقول: اقرأ يا فلان! القرآن، إلا مجلس الشيخ عبد العزيز بن باز أو نادراً، بل تكون المجالس فيها ألف جالس وليس فيهم من يقول: أسمعونا شيئاً من كلام ربنا، بل أبعدونا عن القرآن. والقرآن روح، ولا تتم الحياة بدون روح، والله لن تكون، والقرآن نور، والهداية لا تتم بدون نور، وهذا والله ما يكون.

ولكنهم أبعدونا عن القرآن فمتنا، وعشنا في الظلام، فلا نهتدي إلى عزنا وكرامتنا وسيادتنا.

وحقيقة القرآن روح، فقد أخبر الله بهذا، فقال: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا [الشورى:52]، أي: نوراً، كما قال تعالى: فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا [التغابن:8].

وفي آية الشورى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا [الشورى:52].

والذين يشاء هدايتهم هم الذين طلبوا الهداية، والذين قرعوا باب الله، فهم الذين يفتح لهم، والمعرضون المستكفون المستكبرون والله ما يهتدون، فلا بد من طلب الهداية.

ولا نطيل، وإنما نحن فقط نذكر الناسين، ونعلم غير العالمين.

وجوب قتال الكفار لإدخالهم في الإسلام ليكملوا ويسعدوا

هذا النداء هو [الخامس والخمسون] وهو [في وجوب قتال الكفار لإدخالهم في الإسلام ليكملوا ويسعدوا] من أجل أن يكملوا ويسعدوا، لا من أجل أموالهم، ولا استغلال خيراتهم، ولا احتلال بلادهم، والله ليس هذا هو المقصود، بل من أجل إكمالهم وإسعادهم فقط؛ لأنهم إذا لم يسلموا قلوبهم ووجوههم لله فلن يكملوا ولن يسعدوا أبداً. والمسئول عن كمالهم وسعادتهم نحن؛ لأننا أحياء، هم أموات، والذي يغسل الميت الحي، وليس الميت، والذي يكفن الميت الحي، وليس الميت، وكذلك الذي يدفنه، ونحن أحياء والكفار أموات، ولن يرشدهم ويهديهم ويصلحهم سوانا.

وهيا نتغنى بهذا النداء ساعة، وهو ليس بالطويل، وجربوا أيها العوام! فستحفظونه. قال: [الآية (123) من سورة التوبة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [التوبة:123]] فأمرنا بقتالهم لا بقتلهم؛ لأننا إذا قتلنا الكفار فمن يعبد ربنا، وقد خلقهم لعبادته؟ فهذا لم يقل تعالى: (اقتلوهم) أبداً.

والبرهان على ذلك: أنه دارت الحرب عشر سنين بين المؤمنين والكافرين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنوات، وكان القتلى من الجانبين ألفين وخمسمائة قتيل، والآن في بلاد المسلمين يأكل بعضهم بعضاً، وفي ثلاثة أيام سقط سبعة آلاف أو ثمانية آلاف من المسلمين، في حين إن الحرب دارت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة والكافرين من جهة عشر سنين، وكان القتلى من الطرفين ألفين وخمسمائة بالعد؛ لأن الله ما أمرنا بقتل الكفار، بل أمرنا بقتالهم؛ حتى يؤمنوا ويسلموا، ويدخلوا في رحمة الله فيكملوا ويسعدوا، والآن المسلمون يقتل بعضهم بعضاً، وهؤلاء ليسوا بالمسلمين، ولا بأس فلن نسحب عنهم هذا اللقب.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [التوبة:123].

وأما الفاجرين فلن يكون معهم بالنصر والتأييد.

وعلى كل إن شاء الله الكتاب لما يوجد بين أيديكم تحفظونه، فلا نضيع الوقت. بيان ما اشتمل عليه قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ...)

قال: [وأخيراً: فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على المعلومة الآتية: أولاً: وجوب الجهاد واستمراره على أمة الإسلام حتى لا تبقى فتنة أو اضطهاد لمؤمن، ويكون الدين كله لله.

ثانياً: مشروعية البدء في الجهاد بأقرب الكفار إلى بلاد المسلمين من باب: (الأقربون أولى بالمعروف).

ثالثاً: وعد الله تعالى بالنصر والتأييد لأهل التقوى العامة والخاصة [فهذا الوعد [باقٍ لا يتبدل ولا يتغير] قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [التوبة:36].

[رابعاً: أمة الإسلام أئمة إذا لم تحقق هذا الواجب، وهو قتال من يلي بلادها؛ حتى يعم الإسلام ديار العالم كافة، ولا يُعفى من الإثم إلا أهل الأعداء] فقط [في قوله تعالى: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ [الفتح:17].

والنساء والأطفال والمجانين، كل بحسب حاله قوة وضعفاً.

والله نسأل أن يعفو ويغفر؛ فإنه عفو غفور.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.]

الأمر بالغلظة في مقاتلة الكفار وتقوى الله لحيازة النصر

قال: [وقوله تعالى: وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً [التوبة:123]، أي: قوة وبأس وشدة مراس؛ ليرهبوكم ولينهزموا أمامكم] ففي الحديث: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف).

قال: [وقوله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [التوبة:123] أي: بنصره وتأييده.

والمتقون هم الذين اتقوا الشرك] واجتنبوا [المعاصي] أي: معاصي الله والرسول [و] اتقوا [الخروج عن السنن الإلهية في النصر والهزيمة] والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والذين يمثلون أوامر الله ونواهيه، هؤلاء المتقون، فالحمد لله معهم.

وعلى سبيل المثال: عندما نغزو فلنذكر أن الله معنا، ولنذكر ما أمر الله به عند الغزو، وهو قوله تعالى: إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا [الأنفال:45-46].

فهذه خمس تعليمات، فإذا لم نؤدها ولم نكن بمتقين لم ينصرنا، وسننهزم وإن كنا نملك الذرة والهيروجين، فقد قال تعالى: أَلَا اللَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ [التوبة:36] بنصره وتأييده، وأما الفجرة الذين يقاتلون لا ينصرهم الله.

وسنن النصر والهزيمة معروفة، فالخلاف وعدم ذكر الله هذه عوامل الهزيمة. قال: [وفعلًا امتثل أمر الله تعالى المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وما إن انتهت حرب الردة في أطراف الجزيرة حتى قام أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصليب، وإلى الفرس عبدة النار، ففتح الله تعالى عليه ببركة خلافة لرسوله صلى الله عليه وسلم، وتوفي أبو بكر رضي الله عنه، وتولى أمر المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وواصل الجهاد، فاستولى على ممالك في الشرق والغرب، واستشهد عمر رضي الله عنه في محراب رسول الله [صلى الله عليه وسلم] إذ قتله أبو لؤلؤة المجوسي ؛ انتقاماً منه لكسره عرش كسرى، وتولى أمر المسلمين خليفته عثمان ذو النورين رضي الله عنه وأرضاه، فواصل الزحف والجهاد تنفيذاً لأمر الله: قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ [التوبة:123].

فاتسعت البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، ودخلت ممالك كبيرة وعديدة في دين الله، واستمر الجهاد والفتح وحدود البلاد الإسلامية تتسع شرقاً وغرباً طيلة ثلاثة قرون، وهي القرون التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم).

وما إن انتهت القرون الذهبية حتى كاد العدو المؤلّف من ثلاثة أعداء - وهم المجوس واليهود والنصارى - حتى أصبح يعرف بالثالث، كاد أمة الإسلام بالمكر والدس، ففرق كلمتها، وشنت جيوشها ورجالها، ومزق بلادها، وأخذت تتراجع الحدود حتى ضاقت، ووقف المد والجزر، والأمر لله من قبل ومن بعد.

واليوم البشرية تتطلع إلى الإسلام لينقذها من عللها وأمراضها وظلمتها وشرورها ومفاسدها، فعسى الله تعالى أن يتوب على المؤمنين، فتجتمع كلمتهم ودولتهم، فينهضون بهذا الواجب، قتال من يلي حدود البلاد الإسلامية حتى يدخل في الإسلام وهكذا حتى يتم وعد الله في قوله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم: (ليتمن الله هذا الأمر حتى ما يبقى بيت مدر ولا وبر إلا يدخله الإسلام، بعز عزيز أو ذل ذليل) [.

تخيير الكفار بخصال ثلاث قبل الشروع في قتالهم

قال: [ويدعونهم إلى خصلة من ثلاث] فاحفظوها، وعلّموا النصارى واليهود والمشرّكين أن الإسلام ليس نظام مال ولا شهوة، ولا حب كرسي ولا منصب، بل الإسلام فقط لقيادة البشرية إلى سبل كمالها وسعادتها، وإن كان اليهود والنصارى قبحوا الإسلام وحولوا وبدلوا وغيروا، وأصبح الدكّاترة من العالم الإسلامي يقولون بأرائهم، كما تعلموا هذا، وهم لم يتعلموا في بيت الله، ولا عرفوا عن الله شيئاً.

فإذا عسكرتم على تلك البلاد على حدودها، فطالبوهم بواحدة من ثلاث: [الأولى: الدخول في الإسلام، دين الرحمة] فنحن لم نجئ لأموالكم ولا لذراريكم ونسائكم، فادخلوا في رحمة الله فقط، وأنتم على ما أنتم عليه من دياركم ومزارعكم ومصانعكم، ولن نأخذ منكم شيئاً، بل فقط ادخلوا في الإسلام، فهو دين الرحمة [والعدل والظهر والصفاء والعزة والكرامة] فإن رضوا دخلنا، وعينا الوالي العام، والنائب عن إمام المسلمين، ووضعنا القضاة، وتركنا الدعاة والناس يعملون ويتعلمون، فتتبدل الحياة في أربعين يوماً [فإن أبوا فالثانية، وهي قبولهم حماية المسلمين لهم، بأن يدخل المسلمون بلادهم يطبقون فيها شرع الله، ويحمونهم مقابل ضريبة جزئية، وهي الجزية التي تضرب على الرجال فقط، وتسقط عن العجزة من كبار السن والأطفال والنساء، وبذلك يرى أهل البلاد رحمة الإسلام ونوره وعدله وطهره؛ فيدخلوا فيه بطواعية واختيار، بلا إلزام ولا إكراه] وكذلك فعلوا، وقد قلت بالأمس: ما قُتل مؤمن كرهاً أبداً، بل أسلم وتوّمت، فالإسلام لا يكره عليه الإنسان، وإنما يبين له الطريق ويعلم.

وذكرنا: أن لأهل الذمة بعض الترتيبات من باب ترغيبهم في الإسلام، كما ذكرنا في حادثة الأمريكي: ففي يوم الأربعاء كنا في منزل في الرياض على عشاء، وكان هناك مسلم أمريكي، قد أسلم من أربع سنوات، وسمى نفسه حذيفة، فقلت: يا حذيفة ! اذكر لنا سبب إسلامك، فقال: كنت في باخرة مع ربانها أعمل معهم، فجاء الربان الأبيض

ومد يده إلى الأبيض بجانبه، ولم يصافحني؛ لأنني أسود، فقلت: هذا هو الهوان والدون، فسأطلب الإسلام الذي يسوي بين الأبيض والأسود، والغني والفقير، وغيرهم. وما إن قال هذا المعنى حتى عرفت مسألتين علميتين، لم أعرفهما منذ الدراسة إلى اليوم، وهما: سبب إلجاء المسلمين أهل الذمة إلى أضييق الطريق، فإذا كنا في الشارع فأهل الذمة يبعدون عن خيل الله إلى جانب الطريق. وثانياً: سبب قوله الله تعالى: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ [التوبة:29]. وألا يبعثوا بها مع غيرهم، بل يأتي الواحد بنفسه، ويمدها بيده وهو صاغر، والسر في هذا: أن هذا الذمي من أهل الكتاب لما يشاهد نفسه دون الآخرين يتساءل عن المانع، فيعرف أنه ليس مسلماً فقط، فيسلم ليدفع هذه المذلة عنه بالإسلام، وهكذا أسلموا بمئات الآلاف والملايين.

فاستفدنا هذه القضية من أمريكي عامي. وكما تفرحون أنتم بالعلم فكذلك نحن فرحنا فرحاً شديداً بهذا، فقد عرفنا هذا السر، والحمد لله. قال: [فإن أبو] الأولى والثانية [فالثالثة] إذ لم يبق إلا هي [وهي قتالهم] لا قتلهم؛ إذ لو قتلناهم لم يبق من يعبد الله، ونحن نريد أن يعبدوا ربنا، فلا نقتلهم، بل نقاتلهم، كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ [التوبة:123]. فقال: قَاتِلُوا [التوبة:123].

ولم يقل: اقتلوا، فنقاتلهم [حتى يهزموا، وتدخل خيل الإسلام بلادهم عنوة، وتصبح من مال الإسلام والمسلمين] عقوبة لهم، بعد أن رفضوا الإسلام، ورفضوا الصلح، وأبوا إلا القتال، فلا نقتلهم، ولكن نخضعهم وتصبح ديارهم ريعاً للمسلمين، ولا نؤذيهم، بل نتركهم في مزارعهم يشتغلون، ولهم النصف ولنا النصف مثلاً [إذ يصبح مال تلك البلاد خراجاً، وتصبح تلك البلاد ضمن بلاد المسلمين، ثم يعسكرون على حدود البلاد المجاورة] من وراء الحدود الجديدة، فقد قال تعالى: قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ [التوبة:123].

فإذا دخلوا العراق عسكروا وراءها على البلاد الأخرى [ويعملون ما علموا مع الحدود الأولى] وهكذا حتى ننتهي إلى مغرب الشمس وغروبها، وكذلك فعل ذلك السلف الصالح، فلما وصلوا إلى المحيط الأطلنطي رمى ذلك الصحابي رضي الله عنه بفرسه وقال: اللهم فاشهد! لو كنت أعلم أن وراء هذا البحر عباداً لقطعته. فهيا نكون مثلهم، وعلينا فقط أولاً: أن نظهر قلوبنا ونزكي نفوسنا، ونهذب أخلاقنا وأدابنا.

واليوم وردتني رسالة من أقبح الرسالات، وكأني من شر الخلق، ووالله لو أرفع يدي وأدعو عليه لتمزق، وقد قلت لكم ولا أنسى هذا: أني ما دعوت على أحد إلا أراني الله فيه ما يسيئه، وهذه ليست أمة، فلم تأتني رسالة واحدة فقط، ولا عشر، بل أكثر، فهم بلا فهم لا وعي ولا بصيرة ولا غير ذلك، ويدعون العلم والكتابة وغير ذلك، والعياذ بالله. فوضعنا لا يشكى إلا إلى الله، والسبب لأننا عشنا بلا مربين، فنحن لم نرب في حجور الصالحين، فلم نتعلم الآداب والأخلاق والكمالات، وليس لنا ذلك.

قال: [وهكذا حتى يكون الدين كله لله، ولا يبقى من لا يدين لله وبالإسلام؛ امتثالاً لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ [التوبة:123] الآية] وتتماها: وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [التوبة:123].

الأمر بقتال من يلينا من الكفار

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم!] وهذا القارئ هو الذي عنده هذا الكتاب في بيته يقرأه أو يسمعه [أن هذا النداء الإلهي فيه إشارة إلى قرب وفاة الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم] وأن الوقت قد ضاق، ففيه إشارة وليس عبارة إلى أن وفاة الرسول كادت تتم؛ لأن سورة التوبة من أخريات ما نزل، وهذا هو السر في ذلك [إذ كان الله تعالى يأمره بالجهاد وأتباعه معه، نحو: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ [التوبة:73].

وقطعاً أن أصحابه معه في الجهاد، إلا في هذا النداء، فإنه وجهه تعالى للمؤمنين، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ [التوبة:123].

إنه لما طهرت الجزيرة [أو شبه الجزيرة] من الشرك وأصبحت دار إسلام، وتم هذا في أخريات حياة النبي صلى الله عليه وسلم أمر تعالى المؤمنين بأن يواصلوا الجهاد في سبيله بعد وفاة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وأرشداهم إلى

الطريقة التي يجب أن يتبعوها في ذلك، وهي: أن يبدعوا بدعوة وقتال أقرب الكفار منهم [أي: من الجزيرة] والمراد بالكفار: المتأخمين لحدودهم كالأردن والشام والعراق مثلاً [فقال: قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ] [التوبة:123]. وكانت الجزيرة قد ظهرت، ومن الجهة الجنوبية لها البحر، ومن الغرب البحر، والذين يلونهم فلسطين والأردن والشام والعراق، وكذلك فعلوا [فيعسكرون على مقربة منهم] من الإقليم، فيعسكرون وينصبون خيامهم، وتقف جنودهم وخيولهم.

أمر الله عباده المؤمنين بالركوع والسجود، فخص بالذكر الركوع والسجود من بين أركان الصلاة؛ لأنهما أشرف أجزائها، وأكثرها دلالة على الخشوع والخضوع لله الواحد القهار، وعلى هذا فلا يجوز الركوع والسجود لأحد غير الله سبحانه وتعالى.

الأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والجهد ولزوم الإسلام والاعتصام به

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمريهم، وارض عنا كما رضيت عنهم، آمين.

هذا هو النداء [السادس والخمسون] إذ سبقه خمسة وخمسون نداءً، ونداءات الرحمن هي تسعون نداءً، وقد اشتملت على كل ما يتعلق بحياة المؤمن عقيداً وأدباً وأخلاقاً، وعبادات وبيان الحلال والحرام، وعلى أحوال الحرب السلم والمعاهدات، فكل ما يتعلق بحياة المسلمين احتوته هذه النداءات؛ فهي نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

وقد ناداهم ربهم إما لياأمرهم بفعل ما يكملهم ويرشدهم، أو لينهاهم عما من شأنه أن يخسرهم ويشقيهم، أو يناديهم من أجل أن يعلمهم ما يسمون به ويعلون، أو يناديهم من أجل أن يبشرهم بما يزيد في طاقة إيمانهم وصالح أعمالهم، أو يناديهم ليحررهم مما هو ضرر بهم، مفسد لحياتهم، مخيب لعملهم.

وهذا شأن الولي مع أوليائه.

والله ولي المؤمنين.

وها نحن مع هذا النداء الكريم، وهو نداء اشتمل على آيتين اثنتين من كتاب الله عز وجل، وهو نداء عظيم وجليل، ولسنا بأهل لأن نستوعبه، ولكن نطلب منه ما شاء الله أن يهب لنا ويعطينا منه، ونعترف بتقصيرنا وعجزنا، فمستوانا لا يصل إلى هذا، ولكن ما لا يدرك جله لا يترك كله، ولا نياس ولا نقط أبداً، فربنا واسع الفضل عظيم.

وهذا النداء هو [في الأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والجهد ولزوم الإسلام والاعتصام به] وهيا نتغنى بهذا النداء ساعة؛ تلذذاً بكلمات الله، ونحاول أن نحفظها؛ لتصبح نوراً في قلوبنا.

قال: [الآيتان (77، 78) من سورة الحج أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُنَبِّئُكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي الْكُفْرِ وَأَنْتُمْ الآنَ مُسْلِمُونَ * وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ] [الحج: 77-78] وكلام الله لذيق طيب، ينشرح له الصدر، وتتوق له الأرواح الطيبة الطاهرة، وهو لا يوازي بأغنية من أغاني العواهر والمجرمين، والبعد بينهما بعد ما بين السماء عن الأرض، وبعد الحق عن الباطل، وبعد الخير عن الشر.

والمفروض على المسلمين أن يتغنوا بكلام ربهم في بيوتهم، لا أن يسمعوا أصوات العواهر من المغنيات؛ لأن البيت الطاهر الذي يتلى فيه كتاب الله لا ينبغي أن يلوث، أو أن يلطخ بأصوات من لا يحل سماع صوتها، ولكن لغفلة المؤمنين طردوا الملائكة من بيوتهم، وفتحوها للشياطين، وهذا لا يليق هذا بالمؤمنين.

وإن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة).

وقد قال هذا وهو يشير إلى صورة منسوجة بالخيوط، ولا ملامح لها ولا تجاعيد، ولا غير ذلك.

ويقول: (أزيلني عني قرامك يا عائشة ! فإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة).

والغافلون من المؤمنين تمر ببيوتهم وإذا أصوات العواهر والمغنين وصورهم، فرحلت الملائكة، وحلت محلهم الشياطين، فظهر الخبث، ولاحت فضائحه في الأفق، وعرفنا أننا هبطنا. فلنستبدل بأصوات المغنين والمغنيات كلمات الله نتلوها، وليجتمع أهل البيت اجتماعنا هذا، ويتعلمون ليلة آية وأخرى حديثاً، فيتعلمون الهدى والعلم والمعرفة، فلا يزالون يسمون ويرتقون، لا أحسب أن تمضي عليهم سنة إلا وهم حقاً أولياء الله، إذا سألوهم أعطاهم، وإذا استنصروه نصرهم، وإذا استعاذوه أعادهم؛ لأنهم أولياؤه، ولن يضيعهم. والذي أصاب المسلمين أنهم نسوا ذكر الله، فأنساهم أنفسهم. وهذا النداء الكريم شمل آيتين، وسوف تمر بكم معارف وعلوم لن تحصلوا عليها في دنيا البشر، ولا في كلام الحكماء ولا في غير ذلك، وهما آيتان فقط من ستة آلاف ومائتين وأربعين آية، وفي نداء واحد من تسعين نداء، فأصغ يا بني! واسمع وتأمل ما يقال.

الأمر بإقامة الصلاة وكيفية إقامتها

قال: [وآخر ما ناداهم من أجله ودعاهم إليه: هو أن يقيموا الصلاة كما ينبغي أن تقام، وما تقام به الصلاة هو: أولاً: الطهارة الكاملة برفع الحدث بالوضوء إن كان أصغر، وبالغسل إن كان أكبر، وطهارة البدن والثوب والمكان الذي يصلي فيه العبد من] سائر [النجاسات كالبول والعذرة والدم. ثانياً: أن تؤدي في أوقاتها المعلومة، فلا تقدم ولا تؤخر إلا لعدة سفر أو مرض. ثالثاً: أن تؤدي في جماعة المؤمنين، لا انفرادياً، إلا في ضرورة قصوى. رابعاً: الإتيان بآركانها، وهي قراءة الفاتحة في كل ركعة، والطمأنينة في الركوع والرفع منه، وفي السجود والجلوس، مع اعتدال الأعضاء في ذلك كله. خامساً: مراعاة سننها وآدابها، حتى تصبح قادرة على إنتاج الطهر والصفاء للروح] أي: توليد الطاقة [هذا معنى: إقام الصلاة، وأن يؤتوا الزكاة، ويعتصموا بالله، بمعنى: يتمسكوا بدينه الإسلام وما حواه من الشرائع والأحكام، وآداب وأخلاق؛ إذ هو سبحانه وتعالى مولاهم، والمولى يجب أن يحب ويُعظم ويُطاع، فهو حينئذ نعم المولى لهم، ونعم النصير؛ لأنهم أحبه وعظموه وأطاعوه]. وأخيراً: - على كل حال- لما يكون هذا النداء في أيديكم إن شاء الله وفي بيوتكم فستتمكنون من القراءة بشكل أوسع من القراءة في الدرس. قال: [تنبيه: القارئ لهذا النداء ولما سبقه من آيات إذا كان متطهراً إذا قال: لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ [الحج:77] خر ساجداً مسبحاً] الله سبحانه وتعالى. صلى الله على نبيينا محمد.

الحث على اتباع ملة إبراهيم عليه السلام ولزومها

قال: [وقوله تعالى: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ [الحج:78] حث منه تعالى لعباده المؤمنين على أن يلزموا ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام، إذ هو أبو إسماعيل، وإسماعيل هو أبو العرب المستعربة، الذين منهم سيد الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم. حضهم وحثهم على لزوم عبادة الله تعالى وحده بما شرع، وترك الشرك والبدع، بقوله: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ [الحج:78]، أي: الزموها، ولا تخرجوا عنها فتتركوها وتستبدلوا بها غيرها؛ فإنها هي مناط عزكم وشرفكم، ومدار سعادتكم في الدنيا والآخرة] والرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا أصبح يقول: (أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، ودين نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم، وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين). فهذا يقال كل صباح.

وملة أبينا أي: الزموها، وهي التوحيد وعبادة الله بما شرع.

تشریف الله تعالى للمسلمين بتسميته لهم المسلمين

قال: [وذكرهم سبحانه وتعالى بشرف آخر أضفاه عليهم، وهو أنه سماهم المسلمين في الكتب الأولى] كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها [وفي القرآن الكريم، إذ قال لهم: هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا [الحج:78]. وعلّة هذه التسمية المشرقة الرافعة للقدر والجاه والمنصب: لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ [الحج:78]. لأنه أول من أسلم منكم، فهو يعرف الإسلام وأهله؛ لذا إذا استشهد الرب تبارك وتعالى شهد عليكم، وإذا استشهدكم أنتم شهدتم على الناس، على من أسلم منهم قلبه ووجهه لله، فعبدته وحده، ومن لم يسلم ذلك لله فعبد غير الله تعالى فأشرك وكفر وزاغ وضل وابتدع، فضل سواء السبيل] وهذا منصب عالٍ، أي: كوننا شهداء يستشهدنا الله يوم القيامة.

معنى الجهاد في الله حق جهاده

قال: [وقوله تعالى: حَقَّ جِهَادِهِ [الحج:78] إنه بذل الطاقة البدنية والعقلية واستفراغ الجهد كاملاً، نفساً ومالاً ودعوة في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى وحده، دل على هذا قوله تعالى: وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ [الحج:78]، أي: في سبيل إعلاء كلمته ونصرة أوليائه على أنفسهم الأمارة بالسوء، وعلى الشيطان المزين للباطل المقبح للحق، وعلى أعدائهم، وهم الكفار والفجار الذين لا يريدون أن يعبد الله وحده، ولا أن يعز أولياؤه.

رفع الله للحرّج عن هذه الأمة

قال: [ولما كانت طاقة العبد محدودة ذكر] تعالى [أوليائه بأنه لا يكلفهم ما يوقعهم في الحرّج الذي هو الضيق، الذي لا يقدر العبد على اجتيازه ولا الخروج منه] والحرّج هو: أنه لما ترعى الغنم وخاصة العنزة ذات القرنين فإنها تطلب الورق وتدخل رأسها بين غصنين، ولما تدخله وهي تطلب الورق فإنها تحاول أن تخرج، ولا تستطيع، فقرناها بمنعائها من الخروج، فلا تتقدم ولا تتأخر، هذا هو الحرّج.

فالحرّج هو: أن يقع العبد فيما لا يستطيع أن يخرج منه ولا يدخل [ومن مظاهر رفع الحرّج: أنه تعالى فتح لهم أبواب التوبة، من أذنب منهم ذنباً فليتركه نادماً على فعله، مستغفراً ربه؛ فإنه يقبل ولا يرد] فقد انتهى الحرّج.

ولو لم يكن هناك توبة لهلك من زنى، أو من فجر أو قتل، ولكن باب التوبة مفتوح على مصراعيه؛ رفعا للحرّج [ومن رفع الحرّج: رخص للمريض والمسافر في الإفطار] من الصيام [حال مرضهما أو سفرهما، ورخص للمريض] أن يصلي قاعداً أو على جنب أو مستلقياً على حسب قدرته [والأعمى والأعرج في عدم الخروج إلى الجهاد في حال التعبئة العامة، ورخص لمن لم يجد الماء أو عجز عن استعماله أن يترك الغسل والوضوء ويتيمم بالتراب ويصلي.

هذه جملة من رفع الحرّج على أولياء الله المؤمنين].

أقسام النفس

النفس ثلاثة أنواع: أولاً: النفس الأمارة بالسوء، وهذا نبي الله يوسف يقول: وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ [يوسف:53].

وقد قال بعض العلماء - ولعله شيخ الإسلام ابن القيم -: إن هذا القول لزيخة، ولا والله ما كان لزيخة أن تقول هذا وهي مشرّكة، بل هذه قالها يوسف الصديق، فهو الذي قال: وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ [يوسف:53].

فهذا لا تقوله الصعلوكة، وهذا ليس معقولاً أبداً.

ثانياً: النفس اللوامة، كما قال تعالى: لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ [القيامة:1-2]، أي: أقسم بها.

فالنفس لما تجاهدتها جهاداً متواصلاً تنتقل من الأمر بالسوء إلى فعله مع اللوم عنه.

فالنفس تأمر بالسوء وبالزنا وبالفجور وبالقبح وبالكذب وبالخيانة، فإذا جاهدتها صاحبها وأخذ يعمل فإنها تنتقل إلى أن تصبح لوامة، بمعنى: أنه يفعل الجريمة وبعدها يندم ويستغفر ويتحسر.

هذه المرحلة الثانية.

أما إذا لم يجاهدتها فتبقى أمارة حتى الموت، لكن إذا تفتن وأخذ يجاهدتها فتنتقل إلى مرحلة ثانية، وتصبح إذا فعلت الجريمة تندم وتلومه على فعلها، ويلوم نفسه كما تعرفون.

ثالثاً: ثم يواصل الجهاد حتى تصبح مطمئنة، كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ [الفجر: 27]. وهناك الآن نفوس مطمئنة في الحلقة، مرتاحة وسعيدة، ولا تريد أن ينتهي الدرس، وهناك القلقة اللوامة، التي ليست مستريحة.

والمؤمن ذو النفس الطيبة الطاهرة إذا جلس مجلساً وذكر فيه باطل فإنه والله لا يطيق، بل يحزن، وتتألم نفسه؛ لأنها مطمئنة.

هذه مراحل النفس.

مقترح لكيفية إعادة توحيد الأمة الإسلامية والعودة بها إلى عزها

في هذه الظروف التي يسرها الله لم يبق على المسلمين إلا أن يكونوا منظمة إسلامية ربانية، تظم من كل إقليم من أقاليم المسلمين عالماً ربانياً، فيكونون لجنة مكونة من أربعين أو اثنين وأربعين عالماً، ثم هذه اللجنة تطوف بلاد العالم الإسلامي في أدب واحترام، وتتصل بالمسؤولين، وتطالب كل مؤمن أن يسهم بدرهم أو دينار في السنة ضريبة الجهاد، فتتكون ميزانية لا تفوقها ميزانية أخرى في العالم، وكل مؤمن ومؤمنة يدفع ضريبة كونه مؤمناً ديناراً أو درهماً في الشهر أو في العام، وهذه الميزانية الكبيرة الضخمة تتم بطريقة سرية، لا يسمع بها خصوم الإسلام وأعداؤه، ثم هذه اللجنة تبعث لجاناً صغيرة من ثلاثة أنفار، لجنة إلى اليابان، وأخرى إلى الصين، وأخرى إلى أوروبا الشرقية والغربية، وأخرى إلى كندا، وأخرى إلى أمريكا، وتضع هذه اللجان خريطة للجاليات الإسلامية الموجودة في كل بلد وأقليم توجد فيه جاليات في العالم، وتقوم على دين الله، ولا ينازعها أحد، بل تكون لها حرية كاملة، حتى في إيطاليا، وحينئذ تضع خارطة، فنعرف أن هنا الجمعية الفلانية، وهنا اللجنة الفلانية والمركز الفلاني، وحينئذ تطبع لهم كتاباً يدرسونه، يوحد عقيدتهم وآمالهم وتفكيرهم، ويقضي على الفرقة والخلاف الذي يمزقهم الآن كما مزقهم في بلاد المسلمين، فتطبع لهم كتاباً واحداً، وتبعث بالمربي العالم الرباني، فهي التي تضعه بينهم، وتأمروهم بطاعته والمشي وراءه، وعليها نفقات ما تتطلبه تلك الدعوة، فيتحد العلم والمعرفة على منهج واحد، وهو قال الله وقال رسوله، وليس قال سيدي فلان ولا إمامنا ولا فلان، بل قال الله وقال رسوله، والإمام يلتزم ألا يخرج عن هذا المنهج أبداً، ولن يمر ربع قرن فقط إلا وقد دخلت أمم في الإسلام، بلا سيف ولا بندقية ولا صاروخ، وإنما بتدبير الله، فالعالم الآن في ظمأ وفي عطش، وإن كانوا لا يطلعونكم، وكبارهم في هم وكرب، يبحثون عن الخروج، وقد كررنا مئات المرات: أن أرقى دولتين في العالم السويد والدنمارك، فتلك الدولتان ارتقتا، فأكلوا وشربوا ونكحوا في الغابات وفي الشوارع، وهم يطلبون سعادة الروح ولم يجدوها، فأخذوا يهبطون من تلك الكمالات، ويمشون في الشوارع في أوروبا وفي أفريقيا بلحاهم والقمل في وجوههم ورءوسهم، ويريدون أن يتذوقوا لذة الحياة، ولم يجدوها، ولن يجدوا لذة الحياة إلا وقلوبهم طاهرة، وأنفسهم زكية، وسيجدونها بالإيمان ومعرفة الرحمن.

هذا نداء الأمس، وهو قوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ [التوبة: 123].

وليس هناك حاجة الآن أبداً إلى قتالهم، فقد فتحوا لنا الباب، وقد قدمنا أنهم إذا سمحوا لنا بالدخول أننا لا نقاتلهم. هذا هو الواجب.

وبلادهم الآن مفتوحة، ففرنسا فيها ألف مسجد، وأحلف لكم على هذا، ويمكن أن تكون بريطانيا فيها أكثر، وألمانيا ذات المخ الممتاز لا تسأل عن الجمعيات والمساجد فيها.

وبعد هذا نسأل الله فقط أن يلمهم المسؤولين أن يكونوا لجنة أو منظمة على شكل رابطة العالم الإسلامي، فتمد يدها، وتبدأ بسم الله ونحن وراؤها.

وأول شيء تفعله هو أن تزور العالم الإسلامي بلداً بلداً، وتطالب المؤمنين بأن يؤديوا ضريبة الجهاد، وفي ظرف أربعين يوماً تتكون هذه الميزانية الضخمة التي لا تملكها حتى أمريكا، ويمكنهم بعد ذلك أن يبعثوا لجاناً لكل إقليم في العالم، ويقدررون الجمعيات وأفرادهم وأعمالهم، ويقدمون الكتاب والمربي والنفقة للمسجد أو المركز، وتمشي أمة الإسلام، فلا يبقى مذهبية ولا عنصرية ولا خلاف، بل قال الله وقال رسوله، فيظهر الزكاء والطهر والصفاء، ويصبح الأوروبيون يعجبون من هؤلاء الأفراد عندما لا يرون فيهم خيانة ولا خمرأ، ولا سرقة ولا تلصصاً، ولا غير ذلك، فيتساءلون عن سبب ذلك، فيعلمون أن النور قد غشا قلوبهم، فيتساءلون عن مكان وجود هذا النور، فيقال لهم: تعالوا عندنا، ومع ضعفنا وهبوطنا والله ليدخلون في دين الله أفواجاً.

وقد بلغكم وقررنا ألف مرة: أن القوات التي غزت وجاءت لإنقاذنا أسلم منهم أربعة آلاف أمريكي، فقد وجدوا من يدعوهم، ومن يسلك بهم سبل الهدى والرشاد. وهذه النتيجة لو أننا أقبلنا. وعلى كل حال: اللهم اشهد، فقد بلغنا. وقد كتبت في الجريدة عدة مرات، ولا يوجد كاتب يعلق أبداً؛ لأن الوقت الذي يأذن الله فيه لم يأت بعد. الأمر بالجهاد بجميع أنواعه

[أما الآية الثانية: فهي قوله تعالى لهم: وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ [الحج:78] فإنه أمرهم بأمر عظيم؛ إذ الأمر الأول في تأثيره في أرواحهم بالتطهير والصفاء أكثر من تأثيره في أبدانهم] فالصلاة تؤثر في إصلاح الروح والبدن [وأما هذا الأمر] الأخير الجهاد [فإنه ذو تأثير أعظم في الأرواح والأبدان معاً، إنه جهاد أعدائه تعالى وأعدائهم، وهم الكافرون والمشركون والمنافقون، وهذا يتطلب بذل الأموال والأرواح، كما هو جهاد الشيطان الذي لا يبرح يزين الشر، ويقبح الخير، ويدعو إلى الخبث، ويصرف عن الطهر، حتى يهبط بالعبد إلى أسوأ الدرجات في الخبث والشر والفساد، كما هو جهاد النفس الأمارة بالسوء، اللوامة عن فعله بعد أن تخضع العبد لفعله، وهذا في مرحلة جهادها إلى أن تنهزم وتقهر؛ فحينئذ تطيب وتطهر، وتصبح مطمئنة التي لا ترتاح ولا تسعد إلا على ذكر الله تعالى، وشكره بأنواع العبادات والقربات].

اعلموا أن الجهاد له ثلاثة مواطن: أولاً: جهاد الكفار والمشركين والمنافقين، والثاني: جهاد الشيطان - عليه لعائن الرحمن- والثالث: جهاد النفس.

فإذا تعطل أو توقف جهاد الكفار لظروف وأحوال لم ينته الجهاد، بل يبقى جهاد أعظم، وهو جهاد الشيطان، وجهاد أعظم منه، وهو جهاد النفس، وليس عندنا فراغ حتى نغني، بل الجهاد دائم. فإذا لم يمكننا أن نجاهد الكفار لما أصابنا من خلل أو ضعف أو تفرق فجهاد النفس ملازم لنا، ولا ينفك حتى الموت، وجهاد الشيطان كذلك.

وهنا لطيفة تروى عن إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو في سياقات الموت وابنه إلى جنبه، فقد كان يقول: آه! آه! بعد .

بعد، فاستغرب ولده هذا الكلام، فلما أفاق سأله ماذا يعني بكلمة: آه! بعد .

بعد، فقال: إن العدو واقف أمامي، ممسك بلحيته يقول: آه! فتنا يا أحمد ! ولم نستطع أن نظفر بك ونحصل عليك، فقد فتنا، فأقول: لا، بعد، فما دامت الروح في الجسم فلا اطمئن إلى أننا نجحنا. رحمه الله.

هذا هو جهاد الشيطان، فهو لا يتخلى عنك أبداً إلا إذا فاضت روحك.

وبالمناسبة: السامعون كثر اليوم، وعليهم يبلغون عنا المسؤولين.

وبالأمس كنا مع النداء الخامس والخمسين، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ [التوبة:123].

وقد قاتل المؤمنون، واتسعت رقعة بلادهم حتى انتهوا إلى أقصى الغرب والشرق، ثم وقفنا بسبب كيد أعدائنا، بعد أن مزقونا وشتتونا، فهنا نعيد الجهاد، ونرسو بسفننا على سواحل أوروبا، وعلى سواحل اليابان، وعلى سواحل أمريكا، ولا تقولوا: لا، فقد فتح الله لكم الدنيا، فالآن الجماعات الإسلامية في أمريكا .. في كندا .. في أوروبا بكاملها شرقها وغربها .. في اليابان .. في الصين، فالأبواب مفتوحة، وليس هناك حاجة إلى أن نركب البواخر ونرسو على شواطئهم، فليس هناك حاجة إلى هذا أبداً والله.

سبب تخصيص الأمر بالركوع والسجود دون بقية أركان الصلاة

قال: [وخص من الصلاة] بالذات [الركوع والسجود من بين أركانها] فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا [الحج:77].

ولم يقل: اقرعوا وسبحوا واجلسوا، بل خص الركوع والسجود؛ لأن مظاهر الخنوع والخضوع والعبودية لله تتمثل في الركوع والسجود، وأما القائم فهو دائماً قائم، والجالس يجلس في بيته بين نسائه وأطفاله، ولكن الراكع راکع لله، والساجد هو الذي يضع جبهته الطاهرة على الأرض ويسجد لله، فهذه مظاهر العبودية الحقّة.

ولهذا من ركع لغير الله فقد أشرك، ومن سجد لغير الله فقد أشرك وهبط إلى حضيض البهائم؛ إذ لا سجود ولا ركوع إلا لله رب العالمين؛ ولهذا بدل أن يقول: صلوا، أو أقيموا الصلاة قال: ارْكُعُوا وَاسْجُدُوا [الحج:77] [لأنهما أشرف أجزائهما، وأدلهما على خضوع العبد لربه، وذلت له سبحانه وتعالى] وقد وجد من البشر في الزمن الأول وإلى الآن من يعظم مليكه وحاكمه ورئيسه بالركوع له، وهذا موجود، وإذا تساءلوا عن كيفية تعظيم هذا الملك أو هذا السلطان أو غيرهما قال لهم: الشيطان: اركعوا، فيركعون لهم ويسجدون، ولا يرون بذلك بأساً.

ولا يحل أبداً أن يركع مؤمن لغير الله، ولا أن يسجد لغير الله، ومع الأسف توجد بدع في بلد زرنه، فهم يأتون إلى ضريح السيد يزحفون زحفاً، ولا يقفون، ويسجدون على الضريح، فيضعون وجوههم على التراب؛ تعظيماً للسيد، وأما أهل القرآن أتباع النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم فلا ركوع ولا سجود عندهم إلا لله.

وأنبه أيضاً: أن لاعبي الكراتيه هؤلاء رأيتهم بعيني في غير ديارنا هذه يركعون - وهذه تحية- لرؤساء اللعبة أو المسؤولين عنها، ويفعل هذا الفلبينيون واليابانيون، ومع الأسف يقر أهل الإيمان هذا، ويفرحون به إلا من شاء الله. وهذا لا يجوز.

فاذا أردتم أن تجلوهم وتكبروهم فقولوا: جزاكم الله خيراً، فقد أكرمتونا، وأما أن تركعوا تقليداً لأهل الشرك والكفر وأنتم من أهل القرآن فهذه معرة كبيرة، وخزي لا يسكت عنه. وهذه اللعبة يسمونها الكراتيه، فانتبهوا.

ونحن عندنا رياضة، فإذا احتجنا إلى الرياضة الحقّة فعندنا الصلاة، والله لو أن أحدنا يحسن الوقوف بين يدي الله ويطيله وهو يتلو كتابه، وإذا ركع مد ظهره واعتدل في ركوعه، وأخذ يسبح الله عشر دقائق أو عشرين دقيقة ويقول: سبحان ربي العظيم، ثم يرفع ويعتدل ويطيل، ثم يسجد، ويركع أربع ركعات فهي خير له من لعبة الكراتيه كلها.

ولكنهم صرفونا عن هذا المنهج، واستبدلوه لنا بهذه الأباطيل والتراهاات. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أذبيوا طعامكم بالصلاة وذكر الله).

وكيفية إذابة الطعام بالصلاة أي: بالركوع وإدامته، والسجود وذكر الله، فإذا أكل أحدنا فلا ينام مباشرة، بل على الأقل يصلي أربع ركعات قبل النوم؛ حتى يذوب طعامه في بطنه.

وقد قال أحد الأبناء: من الليلة نبدأ، ونحن بدأنا من زمان يا بني! ولكن هذا هو المؤمن، فإذا عرفنا نلزم [كان هذا ما دلت عليه الآية الأولى] من هذا النداء.

أمر الله لعباده المؤمنين بالركوع والسجود وفعل الخير

هذه السورة تسمى سورة الحج، وهي مدنية، وفيها آيات مكية، فهي مدنية مكية، وكل سورة فيها يا أيها الذين آمنوا فهي مدنية.

[الشرح] يقول الشارح بعد بسم الله: [إنه بعد تقرير العقيدة بأقسامها الثلاثة] وأقسام العقيدة الثلاثة هي [التوحيد، والنبوة، والبعث الآخر والجزاء فيه] فعقيدة المسلمين تشتمل على هذه الثلاثة الأقسام، وهي: أولاً: التوحيد بأن لا إله إلا الله، فلا يعبد في الملكوت إلا الله.

ثانياً: وعقيدة النبوة، وتقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ونحن نقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فنثبت عقيدة التوحيد والنبوة المحمدية.

ثالثاً: ثم عقيدة البعث والجزاء، وهو الإيمان باليوم الآخر.

وهذه السورة قررت هذه العقيدة بأقسامها الثلاثة.

بعد هذا التقرير الإلهي [نادى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين، بعنوان الإيمان] أي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الحج:77] [الدال على كمال الحياة الروحية] فالمؤمنون أحياء والكافرون أموات، فلا ننقد بهم، ولا نأتس بسلوكهم، ولا نحاول أن نكون مثلهم؛ لأنهم أموات، ونحن أحياء.

وهذه هي العلة.

فالمؤمن حي، والحي يسمع النداء، ويعي ويفهم ممن يناديه ما من أجله يناديه، والكافر ميت، كما قال تعالى: إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ [النمل:80].

والمؤمنون اليوم لم تكمل حياتهم؛ لأن إيمانهم لم يكمل، بل ضعف، فقد احتال عليهم الكافرون أهل الثالوث فرزعوا إيمانهم وأضعفوه، وأصبح ضئيلاً عند أكثر المؤمنين.

فالله ناداهم بعنوان الإيمان الدال على كمال الحياة الروحية [وقوة الإرادة العملية] لأن المؤمنين أحياء. وهو إذا ناداهم ليأمرهم يعلم أنهم يقدرّون على العمل، وإذا ناداهم لينهاهم فهو يعلم أنهم قادرّون على أن يتركوا ما نهاهم عنه، ولو كان أعز عزيز عندهم أو أحب ما يحبون، وقد تركوا آباءهم وأمهاتهم، وأبنائهم وبناتهم، وديارهم وأموالهم، وخرجوا من مكة يريدون رضا الله وحبّه، وإذا آمن العبد هان عليه أن يقدم نفسه لرضا الله عز وجل. قال: [ناداهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الحج:77]، أي: يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً، لا رب غيره، ولا إله سواه، وآمنتم بمحمد نبيه ورسوله، وآمنتم بلفاقه] أي: لقاء الله [وما أعد لأوليائه] من نعيم مقيم [وما لديه لأعدائه] من العذاب الأليم.

وقد ناداهم ليقول لهم: [ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا [الحج:77]] فاعلموا أنه ناداكم ليأمركم بأن تركعوا وتسجدوا له؛ لأن الركوع والسجود سلم عكسي يرقى بنا إلى الملوك الأعلى، كما قال تعالى: وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ [العلق:19]. وهنا قال: [ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا [الحج:77]، أي: لربكم وحده، فأطيعوه فيما يأمركم به، وفيما ينهاكم عنه، وافعلوا الْخَيْرَ [الحج:77].

وهو كل ما انتدبهم ربهم إليه ورغبهم فيه من أنواع البر وضروب العبادات؛ ليتأهبوا بذلك للفلاح [فقد قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الحج:77]. وتستعدوا بذلك للفلاح، والفلاح ليس ربح شاة أو بغير أو قصر أو منزل أو وظيفة، وإنما هو الفلاح [الذي هو الفوز بالجنة بعد النجاة من النار] وقد عرفنا هذا وعلمناه الله، فقد قال: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [آل عمران:185].

فاعملوا أيها الشغالون! وواصلوا العمل، ولا تطالبوا بالأجر هنا، بل أجركم عند نهاية العمل. فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران:185].

فالله يعلمنا هنا معنى الفلاح.

وهذا الفلاح هو [الدال عليه] قوله تعالى: [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الحج:77]] ولعل هذه ليست لعل الترجية، بل هذه لعل الإعدادية، أي: ليعدنا بذلك للفلاح.

نهى الله عباده عن اتباع خطوات الشيطان؛ لأنه عدوهم الأول؛ ولأن المتبع لخطواته لا يلبث أن يصير شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر، ثم أردف الله تعالى بامتنانه على عباده المؤمنين أن هياً لهم أسباب الوقاية من الشيطان، وأنه لولا فضله تعالى ورحمته بهم ما زكا منهم من أحد.

تابع الأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والجهاد ولزوم الإسلام والاعتصام به

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمرة، وارض عنا كما رضيت عنهم.

اللهم آمين.

قبل الشروع في النداء السابع والخمسين أذكر أو أذكر الأبناء والإخوان بما سبق في النداء السادس والخمسين.

كيفية صلاة الجنازة

في هامش النداءات أيضاً صلاة الجنازة، ولم نجد لها موطناً إلا هنا.

صلاة الجنازة هي الصلاة على الميت المسلم، وأما المسلم الحي فلا يصلى عليه، وكذلك الكافر الميت لا يصلى عليه، فصلاة الجنازة على المسلم الميت فقط.

وليس فيها ركوع ولا سجود.

ومن الحكايات التي حدثت عند طلبنا العلم وخدوها: أن أهل قرية مات أحدهم، فقدموا شخصاً يحفظ القرآن يصلي عليه، فصلى أربع ركعات بالركوع والسجود، فقل له في ذلك، فقال لهم: اسكتوا، هذا بالركوع والسجود واللهم اغفر له؛ لأن هذا ذنبه لا يحدها حد، فلا تلومونني على أنني صليت بالركوع والسجود، فهذا ذنبه عظام، فاستطاع أن يخرج من المأزق واللوم والعتاب.

وهذا من ثمار الجهل؛ لأنه ما سأل ولا تعلم، ويوجد في العالم الإسلامي قرى لا يصلون على الميت ولا يعرفون كيفية ذلك.

فصلاة الجنازة ليس ركوع فيها ولا سجود؛ إذ هي الدعاء للميت لا غير.

والآن نحفظكم إياها عملياً؛ لأنه قد يوجد من لا يعرف كيف يصليها، فكيفيتها هي: أن يوضع الميت على سرير، ولا يشترط أن يكون من حديد أو ذهب، بل حتى من خشب أو شعر، ويقف الإمام وراءه، والناس وراء الإمام، وهم على طهارة، والذي ليس بمتطهر لا يصلي صلاة الجنازة، ثم يكبر الإمام قائلاً: الله أكبر، ويكبر الناس وراءه، ثم يقرأ الفاتحة، ثم يكبر، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويكبر الناس وراءه، ثم يكبر، ويدعو للميت بالمغفرة والرحمة، ويكبر الناس وراءه، ويدعون للميت، ثم يكبر ويسلم، ويكبر الناس وراءه ويسلمون.

وهنا لطيفة يمكن لطلبة العلم أن يستفيدون منها، فمن أهل العلم من لم يكن يقرأ الفاتحة كأبي هريرة، وإنما يحمده الله تعالى ويثني عليه، فيقول: الحمد لله الذي أمات وأحيا، والحمد لله الذي يحيي الموتى، له العظمة والكبرياء، والملك والقدرة والثناء، وهو على كل شيء قدير، الله أكبر؛ لأن المقصود أن نتوسل إلى الله بحمده وثنائه ونصلي على نبيه، ثم ندعو لأخيها بالمغفرة والرحمة.

فسر الصلاة على الميت هو التوسل إلى الله ليغفر له ويرحمه، وأنت تبدأ بتوسلك بحمد الله والثناء عليه وتمجيده وتملقه، ثم تصلي على نبيه، ثم تقول: اللهم اغفر لفلان وارحمه. ولكن قراءة الفاتحة أكثر أجراً، وأعظم تحميداً وتمجيداً وثناءً، فقله: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ * مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ [الفاتحة: 2-4] حمد وثناء وتمجيد، ثم قولك: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة: 5] تملق وتزلف. فمن قرأ الفاتحة كان أكثر أجراً ممن اكتفى بالحمد والثناء على الله، والكل جائز وواسع. ويقف الإمام - على خلاف في القضية- إذا كان رجلاً عند رأسه أو كتفه، وإذا كانت امرأة وقف في وسطها، والمسألة فيها ما فيها، وكله خير. فالمرأة يقف في وسطها، والرجل يقف عند منكبه أو رأسه على وجه الاستحباب. فهذه ليست بأركان.

فصلاة الجنازة معناها الدعاء للميت، وندعو الله بأن نتوسل إليه بحمده والثناء عليه وتمجيده، والصلاة على نبيه، ثم نقول: اللهم اغفر لميتنا وارحمه. وعدد التكبيرات في صلاة الجنازة أربع، وإن كبر خمساً فقد كبر من هو أفضل خمساً، وكلاهما جائز. والمهم أنه في التكبيرة الأولى يحمد الله ويثني عليه ويمجده بقراءة الفاتحة أو بلفظ آخر، وفي الثانية يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الثالثة أن يدعو الله عز وجل، ويخلص في الدعاء، ولا يدعو للآخرين، بل يدعو لنفسه وللميت فقط، وبعد الرابعة إن شاء دعا للمؤمنين عامة، وإن شاء سلم، والسلام تسليمة واحدة: السلام عليكم. رفع اليدين وارد عن ابن عمر، وقال به أحمد و الشافعي وعلماء أئمة، وهو خير، فرفعك يديك لله أحسن، ولا نتعصب للمذهب ونقول: لا، نحن مالكية، لا نرضى بهذا، فهذا ليس عندنا أبداً، فنحن لا نتعصب لمذهب حنبلي ولا مالكي ولا شافعي ولا غير ذلك، بل نبحث عن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي هو أرجح وعليه أكثر العلماء والأئمة وهكذا، ولا نفتح باب الخلاف والفرقة. هذا نداء أمس، والنداء كان طويلاً، ولم نستوعبه كما ينبغي. عدد سجدة القرآن

أخيراً: [تنبيه] وقد وقفنا عند هذه بالأمس لما أذن الأذان [القارئ لهذا النداء] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الحج: 77] [ولما سبقه من آيات إذا كان متطهراً] متوضئاً [إذا قال: لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] فهذا يشرع السجود، فيخر ساجداً، سواء كان قائماً أو قاعداً، ويضع جبهته وأنفه على الأرض ويذكر الله ويسبحه بما ورد [ثم يرفع رأسه مكبراً، ويواصل قراءته لما بقي من الآيات، إذ هذه سجدة من سجدة القرآن، إلا أن هذه السجدة تختلف في مشروعيتهما] بين أهل العلم والقرآن، فمنهم من يراها، ومنهم من يقول: لا، هذا ليس موطن سجود [ولم يُجمع عليها كما أجمعوا على سجدة الأعراف، والرعد، ومريم، وأولى الحج] وهذه ثانية الحج، وأولى الحج يسجد فيها إجماعاً [والفرقان، والنمل، والسجدة، وفصلت، والانشقاق، والعلق، واختلف أيضاً في سجدة ص] لأن تلك السجدة سجدها داود عليه السلام، ونحن نسجد كما سجد، فنحن نأتسي بالصالحين ونقتدي بهم، فسجد داود وغفر له وقُبل، فنحن نسجد [والنجم] وهذه أيضاً وإن لم يجمع عليها إلا أننا لا نحرم أنفسنا من أن نخر ساجدين لربنا؛ إذ ليس هناك مانع.

وها نحن الآن قد عرفنا السجدة، فأول سجدة في سورة الأعراف، وهي في نهايتها، وثاني سجدة في الرعد، وثالث سجدة في النحل، ورابع سجدة في الإسراء، ثم في مريم، ثم في الحج أولى الحج، ثم هذه الثانية التي لم يُجمع عليها، ثم الفرقان، ثم النمل، ثم السجدة الم [السجدة: 1]، ثم ص، وقلنا: إنها تختلف فيها، ونحن نسجد، ثم فصلت، ثم النجم، ثم الانشقاق، أي: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ [الانشقاق: 1]، ثم العلق، أي: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ [العلق: 1]. وصاحب هذه النداءات لما يقرأ يحفظ هذا، ويعرف مواضع سجدة القرآن، فقد اختلف في سجدةتين فقط، ولو لم يسجدهما أحدهما فلا بأس عليه ولا شيء، وكذلك السجدة الثانية من سورة الحج، وهي هذه في هذا النداء الذي درسناه أمس.

وسبب سجدة ص أن داود عليه السلام وقع له الذي وقع، فخر راکعاً وأناب، قال تعالى: فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ [ص: 25]. ما تقام به الصلاة

قال: [وما تقام به الصلاة هو: أولاً: الطهارة الكاملة برفع الحدث بالوضوء إن كان أصغر، وبالغسل إن كان أكبر، وطهارة البدن والثوب والمكان الذي يصلي فيه العبد من النجاسات كالبول والعذرة والدم] وقد قال في هذا النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ [الحج: 77-78].

فإقام الصلاة فرض، فسيدينا نادانا وأمرنا بإقام الصلاة، وإقام الصلاة ينبغي أن تؤدي بهذه الأركان، وأول هذه الأركان: الطهارة، فمن لم يتطهر في صلاته فوالله ما أقامها، ولا يقال فيه: أقام الصلاة، بل لا بد وأن يتطهر من الأحداث الصغرى والكبرى ومن النجاسات، والحدث الأصغر يوجب الوضوء، والأكبر يوجب الغسل، فمن كان محدثاً حدثاً أصغر أو أكبر فيجب أن يتطهر منه.

وأن يكون البدن الذي يصلي به طاهراً، فلا يحل له أن يصلي وفي بدنه نجاسة، لا في فخذه ولا في يده ولا في قدمه، ولا في المكان الذي يصلي فيه، فالمكان الذي يناجي فيه الله ويتكلم فيه مع الله ويتصل به يجب أن يكون طاهراً. وكذلك الثوب الذي يرتديه ويلبسه، وسواء كان عمامة أو كان قميصاً أو سروالاً فيجب أن يكون طاهراً، وكذلك تكون الطهارة من النجاسات التي هي في الغالب الخراء والبول والدم، فمن لم يتطهر لم يقيم الصلاة.

[ثانياً: أن تؤدي في أوقاتها المعلومة، فلا تقدم ولا تؤخر إلا لعدة سفر أو مرض] فالمسافر قد يجمع بين الظهر والعصر، فيصليهما في وقت الظهر إن شاء أو في وقت العصر إن شاء، ويجمع بين المغرب والعشاء، فيصلي المغرب والعشاء في أول الوقت بعد غروب الشمس، أو يؤخرهما إلى نصف الليل للضرورة، وكذلك المريض؛ لأنه يشق عليه أن يتوضأ لكل صلاة في وقتها، فأذن له أن يجمع بين الصلاتين في وقت واحد. ولا يقال: فلان أقام الصلاة أو هو مقيم الصلاة إلا إذا أداها في أوقاتها المحددة لها، ولم يؤخرها أو يقدمها إلا لعدة مرض أو سفر.

[ثالثاً: أن تؤدي في جماعة المؤمنين، لا انفرادياً إلا في ضرورة قصوى] والضرورة القصوى كأن تكون حارساً على مال، ولا تستطيع أن تصلي مع جماعة، أو تكون مريضاً لا تقوى على أن تخرج إلى المسجد، أو أن تكون مريضاً تعالج هذا المريض وتقوم عليه، ولا تستطيع تركه، أو كأن تكون خائفاً من المجرمين واللصوص إذا كان هناك فوضى وهبوط، ولا تستطيع أن تخرج من بيتك؛ حتى لا تغتال.

فهذه الحالات هي حالات الضرورة القصوى، وفيها يعفى عن المؤمن إذا صلى في بيته مع امرأته وأولاده، وأما مع القدرة وعدم الخوف فلا يصلين إلا في جماعة المسلمين في بيوت الله، أو في الجماعة في البر أو في البحر، والمهم ألا يصلي منفرداً؛ لأن الشيطان يستغله، ويفسد عليه قلبه، ولا يستفيد من صلاته.

[رابعاً: الإتيان بأركانها، وهي: قراءة الفاتحة في كل ركعة] فيجب على المصلي أن يحسن قراءتها، ويجب عليه أن يحفظها، ولو أقام الأيام والليالي مع من يعلمه حتى يحفظها؛ لأن الفاتحة ركن من أركان الصلاة في كل ركعة. وثاني الأركان: [والطمأنينة في الركوع والرفع منه] والطمأنينة والسكون خلاف العجلة والخفة والسرعة، فإذا ركع وقال: الله أكبر فيسبح على الأقل ثلاث مرات، قائلاً: سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، هذا أقل شيء، أو يسبح سبعاً أو تسعاً أو إحدى عشرة.

ولا ينسى ذلك الذي أعطاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في آخر أيامه في قوله: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا [النصر: 1-3].

فهذه السورة نعت للمؤمنين ولرسول حياة نبيهم، وبكى أبو بكر، ومن ثم ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة إلا كان يقول فيها وهو راكع بعد سبحان ربي العظيم: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك؛ امتثالاً لقول الله تعالى: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا [النصر: 3].

فاحفظوا هذا وطبقوه، وخاصة الذين بدا الشيب في وجوههم وفي رعوسهم، فهم على سفر.

فليقولوا: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك في كل ركعة بعد التسبيح.

هذا الذي أرشد الله تعالى نبيه إليه، مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع أنه أول من يدخل الجنة.

ونحن أحق بهذا والطمأنينة تكون في الركوع [وفي السجود] فإذا سجدت فسبح: سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى، وأقل شيء ثلاث مرات، ولا تسرقها بحيث لا يفهم منها حرف واحد، وهذا هو الذي يعمل به بنا هذا العدو الشيطان، وستسمعون في هذا النداء عن الشيطان.

وإذا سبحت سبحان ربي الأعلى ثلاثاً فادع الله بما شئت، وسله من خير الدنيا والآخرة، إلا الإثم وقطيعة الرحم فقط لا تطلبهما، ولك أن تسأل الله الثوم والبصل، فإذا قالت أم الأولاد: جننا بثوم وأنت ليس عندك قرشاً فافزع إلى الله، وهكذا كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسألون الله في سجودهم البصل والثوم، وكانوا لا يسرقون ولا يكذبون، ولا يخلفون وعودهم ولا ينكثون عهودهم، ونحن نأكل الخبز والعسل، وما كفانا ذلك، بل نكذب ونخون، ونسرق ونورد الباطل، ونبيع الحرام، وأعوذ بالله منا إن لم يتداركنا الله بلطفه.

قال: [والجلوس] كذلك، فإذا جلس فعلى الأقل يقول: رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم، رب اغفر لي وعافني واهدني وارزقني، وليس بمجرد أن يجلس يعود إلى السجود أو ينهض إلى القيام.

بل يطمئن في الجلوس ويعتدل فيه، ويقول: رب اغفر لي وارحمني وعافني واهدني وارزقني، ويقوم أو يسجد [مع اعتدال الأعضاء في ذلك كله] هذه هي الأركان، وإذا سقط ركن البيت لم يبق السقف والمنزل، بل يتهدم، وإذا سقط ركن الصلاة بطلت، يعني: لم يعد فيها أجر.

فمعنى بطلت: أنها لا تولد النور، ولا تولد الحسنات التي تزكو بها النفس البشرية، إذ الصلاة عبارة عن مولد الطاقة، ولا يوجد عبادة أكثر من الصلاة توليداً للنور، فإن اختل أدائها هبطت، ولن تولد حسنة واحدة، وأكثر المسلمين لم يعلموا هذا، فلهذا المهم عندهم أن يصلوا، في حين أن المهم أن تنتج صلاتك نوراً لك، وهذا النور ما إن يستقر في القلب حتى تسطع أشعته على البصر وعلى الأذن وعلى اللسان، وعلى سائر الأركان، فلا يستطع صاحبه أن يمد يده إلى حرام؛ بسبب ذلك التأثير النوراني في القلب.

[خامساً: مراعاة سننها وآدابها] فلا بد من أن تأتي بالسنن والآداب ما أمكنك ذلك [حتى تصبح] الصلاة [قادرة على إنتاج الطهر والصفاء للروح.

هذا معنى] قوله تعالى: [إقام الصلاة وأن يؤتوا الزكاة ويعتصموا بالله، بمعنى: يتمسكوا بدينه الإسلام، وما حواه من الشرائع والأحكام، وآداب وأخلاق؛ إذ هو سبحانه وتعالى مولاهم، والمولى يجب أن يحب ويعظم ويطاع، فهو حينئذ نعم المولى لهم ونعم النصير] فإله نعم السيد، ونعم المولى ونعم النصير [لأنهم أحبوه وعظموه وأطاعوه].
النهى عن اتباع خطوات الشيطان وبيان حال المتبع لها

هذا النداء هو [النداء السابع والخمسون] وفحواه وما يحمله شيئان [في النهي عن اتباع خطوات الشيطان، وبيان حال المتبع لها] هذه واحدة.

والثانية: [وامتنان الله تعالى على المؤمنين بوقايتهم من الشيطان] فقد تضمن هذا النداء السابع والخمسون ما يلي:

ثانياً: امتنان الله عز وجل علينا - أيها المؤمنون! - بوقايته لنا من الشيطان، ولولا أنه وقانا لما اجتمعنا هنا، ولكننا الآن في المقاهي.

وهي نتغنى بالنداء.

قال: [الآية (21) من سورة النور أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [النور: 21]] وهيا ندرس هذا النداء، وندخل في غمرة أنواره؛ علنا نعود بها إلى بيوتنا.

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم! والمستمع المستفيد!] لأن هذا الكتاب من كان يحسن القراءة يجب أن يقرأ نداءات ربه، ويفهمها ويعمل بها، ومن كان لا يحسن القراءة يقول لأخيه: أسمعني نداء ربي لي، وكله نية وعزم على أن يستجيب لله فيما طلب منه.

وعلى هذا القارئ والمستمع أن يعلموا [أن الله تعالى ما ينادي عباده المؤمنين به وبلقائه المصدقين بوعدته ووعدته، الراغبين في فضله وإنعامه، الراجين رحمته وإحسانه، ما يناديهم إلا لما يعدهم لذلك ويقربهم منه ويحققه لهم] والوعد والوعيد معروفان، فوعد الله بالخير بالجنة، ووعدته يكون بالعذاب، أي: عذاب النار.

سبب إصرار الروافض على إيجاد الفوارق بينهم وبين المسلمين في العبادات

السر عندنا: أنه لا بد من إيجاد هذه الفوارق حتى يفصلونهم عن الإسلام والمسلمين، لا أقل ولا أكثر، وهمهم أن ينفصلوا عن الإسلام، ولذلك لا بد أن يعملوا في كل عبادة فاصلاً، حتى الوضوء هناك فاصل بيننا وبينهم، فهم لا يغسلون أرجلهم، وحتى الإحرام هناك فاصل، والمهم أنه لا بد من فواصل، وإلا اندمجوا وأصبحوا من أمة الإسلام، والمشايخ والمنتفعون كما تقدم لا يريدون هذا.

وبعض الإخوان يقول: لا فائدة من هذا الكلام، وأقول: هذه نصيحة، ويا ليت من يفهم هذا، والله لو أن هناك المؤمن حقاً كان مضللاً وجاهد وسمع هذا الكلام لأغمي عليه، ولتبرأ من هذه الفتنة نهائياً، ولكنهم لا يسمعون، ولا أحد يبلغهم.

خلاصة ما يدل عليه هذا النداء

قال: [وأخيراً: إليك أيها القارئ! خلاصة طيبة نفعلك الله وإياي بها. آمين.

وهي: أولاً: حرمة اتباع الشيطان فيما يزينه من الفحشاء والمنكر والباطل والسوء] فكل ما يزينه الشيطان من الفحشاء والباطل والمنكر والكذب وما إلى ذلك والذنوب والآثام حرام. [ثانياً: متابعة الشيطان والجري وراءه في كل ما يدعو إليه يؤدي بالعبد إلى أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر.

ثالثاً: على كل من حفظه الله من الوقوع في الفواحش والمنكر والسوء والباطل في الاعتقاد والقول والعمل عليه أن يشكر الله تعالى، وأن يتواضع ويتطامن، ولا يلغ في أعراض المتورطين، وليكف لسانه عنهم، ويدعو لهم بالهداية إلى طريق تطهير أنفسهم وتركيتها، ويبين لهم ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. والجزاء على الله؛ إذ هو رب العالمين ومالك يوم الدين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم. امتنان الرب تبارك وتعالى على عباده المؤمنين بوقايتهم من الشيطان

قال: [أما ما تضمنه هذا النداء في امتنان الرب تبارك وتعالى على عباده المؤمنين بوقايتهم من الشيطان، وقد قال تعالى فيه بقوله الحق: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا [النور: 21]] فيا أيها المحفوظون! ويا من لهم وقاية! إن هذا لم يجئ بقواتكم وإراداتكم، بل هذا فضل الله، فلا تنسوا أن هذا إنعام الله عليكم وإفضاله، وأمثالك الملايين يبيتون في المعاصي، ويظلمون في الجرائم، فلا تعولوا إلا على الله، ولا تتكلموا إلا عليه؛ حتى لا تأخذكم العزة والاغترار، وتتكبروا على الناس.

قال: [أي: أنه لولا فضل الله عليكم -أيها المؤمنون الصادقون!- ورحمته بكم وحفظه لكم بدفع الشيطان عنكم ما كان ليظهر منكم أحداً] كما قال تعالى: مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا [النور: 21]] وذلك لضعف الإنسان واستعداده الفطري للاستجابة لعدوه وعدو أبيه من قبل] كما استجاب آدم وحواء [وهو الشيطان عليه لعائن الرحمن.

إذاً: فعلى الذين شعروا بكمالهم - لأنهم نجوا مما وقع فيه غيرهم من الإثم- أن يستغفروا لإخوانهم الذين تورطوا [في الإثم] وأن يقللوا من لومهم وعتابهم، فإنه لولا فضله تعالى عليهم ورحمته بهم لوقعوا فيما وقع فيه إخوانهم. ألا فليحمدوا الله عز وجل الذي نجاهم مما وقع فيه إخوانهم، وليتطامنوا تواضعاً لله وشكراً له] فإذا وقع أخوك في معصية فلا تتبجح أنت وتأخذ في لومه وعتابه، ولولا الله لما حُميت أنت، فلا تكثر من لوم المذنب وشتمه، والتعرض له وإهانته، بل إذا وقع أخوك في فتنة فمد يدك إليه وأنقذه، وعلمه كيف يستغفر ويتوب إلى الله، ولا تتعالى عليه وتتكبر، إذ لولا فضل الله عليك لوقعت فيما وقع فيه هو، فأنت لست أكمل منه، وليس لك قلبان أو ثلاثة، ولا أربع أعين ولا خمس، بل أنت وهو سواء، وسوف تسمعون سبب نزول الآية [إذ هذه الآيات نزلت في حادثة الإفك التي تولى كبرها] وعظمها [رئيس المنافقين ابن أبي عليه لعائن الله.

وقوله تعالى: وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [النور: 21]، وعليه فليجأ إليه المؤمنون طالبي ترقية نفوسهم منه سبحانه وتعالى؛ إذ هو الذي يزكي من يشاء، إلا أنه حسب سنته في خلقه لا يزكي إلا من طلب ذلك منه] تعالى

[فمن طلب في صدق زكاة نفسه، فإن الله تعالى لا يخيبه ويزكي نفسه، ومادام تعالى سمعياً لأقوال عباده عليماً بنياتهم وأفعالهم فليفرع إليه المؤمن الراغب في زكاة نفسه، فليذكره وليشكره بفعل الصالحات، واليعد عن الطالحات من الذنوب والآثام، وبذلك يصبح أهلاً لزكاة نفسه، فتزكو نفسه وتطيب، والفضل لله والمنة له سبحانه وتعالى؛ إذ لولاه ما زكى ممن تورطوا في حادثة الإفك، ومن سلم منهم، ولم يشارك فيها] أحد [من أولئك الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم].

حادثة الإفك

حادثة الإفك هي: أنه كانت أم المؤمنين في غزوة مع نبينا صلى الله عليه وسلم، إذ كان الرسول يقرع بين نسائه، فمن خرجت قرعتها أخذها معه، وكان يأخذ الغزاة والمجاهدون نساءهم يطبخن لهم، فحدث أن نزلت تقضي حاجتها البشرية، فمشت القافلة وتركوها وحدها ولم يشعروا، وإذا بأحد الصالحين صفوان بن معطل رضي الله عنه تأخر أيضاً، فمر بها، فإذا بأم المؤمنين وحدها، فتألم وبكى وتحسر، ثم أناخ الناقة، وهو مدبر برأسه، وقال: اركبي فركبت، وساقها حتى وصل المعسكر، و عبد الله بن أبي ابن سلول كبير المنافقين أشاع، وقال: لا، والله لا سلمت منه ولا نجت - وكما تعلمون إخوانكم يحلفون على أن الشيء قد وقع- وانتشرت القضية بين المعسكر، ونجا من نجا، وتورط من تورط، ثم نزلت هذه الآية فبرأها الله عز وجل، وبرأ صفوان بن معطل، وتاب على من تلوث إلا من أصر على النفاق.

هذه هي حادثة الإفك؛ لأن الإفك هو الكذب المقلوب، والكذب المقلوب هو أن تقول عن عبد صالح: إنه فاسد، وتقول عن عبد فاسد: إنه صالح، أو تقول عن الخبيث: إنه طاهر، أو عن الطاهر: إنه خبيث، أو تقول عن العادل: إنه ظالم، أو عن الظالم: إنه عادل، فتقلب القضية، هذا هو الإفك.

وليس هناك أظهر من عائشة .

إصرار الروافض على اتهام أم المؤمنين عائشة بالإفك

قال: [ومن عجيب أحداث الكون] وأحداث الدنيا [أن الروافض جلهم متورطون في تلك الفتنة إلى اليوم] والله العظيم، وما زالوا يفهمون أن عائشة فجرت، وهذا كفر تماماً؛ لأنه تكذيب لله ورسوله، واتهام الرسول بالديانة، وصاحب هذا لا يبقى مؤمناً، والله لو أسلم واحد منهم وعقل ما عقلنا لأغمي عليه؛ إذ كيف يرضى بالكفر بعد الإيمان بلا شيء إلا التقليد الأعمى؟ فلماذا ننبه عسى أن يمر بنا واحد ويسمع أو يبلغ.

قال: [إذ هم مصرون على اتهام أم المؤمنين بها، وقد برأها الله عز وجل في كتابه وبشرها بالجنة بقوله تعالى: أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [النور:26].

مع العلم أن من يكذب الله عز وجل يكفر كفوفاً يخرج من الإسلام، فسبحان الله كيف يرضى المؤمن بالكفر، ولا شيء سوى التقليد الأعمى لأئمتهم واتباعه هواء، والعياذ بالله؟!] فقد أنزل الله فيها سبع عشر آية من سورة النور، وختمها بإعلان براءتها، فإذا قال مؤمن: لا فالعياذ بالله.

نهى الله عز وجل لعباده عن اتباع خطوات الشيطان

قال: [فيها هو ذا عز وجل يناديهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [النور:21] لينهاهم عن اتباع خطوات الشيطان، فيقول [لهم:] لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ [النور:21].

فإنه عدو لكم] وعداوة الشيطان لنا معروفة، وقد بدأت في الملكوت الأعلى في السماء؛ إذ زين الشيطان لحواء، وقلدها آدم - وأنتم تعرفون أن الفحل دائماً يجري وراء أنثاه- فزين لهما الأكل من تلك الشجرة، فلما أكلتا منها وجب طردهما وإبعادهما، وحصل الذي حصل بسبب وسواسه وإغوائه وإغرائه، فلماذا الشيطان عدو الإنسان، ومن يشك في عداوته لا إيمان له، فلماذا نهانا ربنا تعالى أن نتبع خطواته، فالشيطان له خطوات، وإياك أن تجعله يمشي أمامك وتمشي وراءه، فوالله لن ينتهي بك إلا إلى المخمرة، ولن ينتهي بك إلا إلى الفجور، وهو لا يسوقك بعصاه، فهو لا يملك ذلك، وليس له قدرة والله، وإنما يملك التزيين والتحسين، وأنت إن مشيت وراءه وصلت إلى الهاوية [فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فيما يزين لكم من قبيح المعاصي وسيئ الأقوال والأفعال؟ ويعلل لذلك النهي فيقول جل وعز: وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [النور:21]] وهذا اللفظ صالح لأن تقول: الشيطان

يأمر بالفحشاء والمنكر، وهو كذلك [أي:] وافهم [أن من يتبع خطوات الشيطان لا يلبث أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر] وقد رأيناهم لما تورطوا في الزنا والباطل والشر أصبحوا دعاة لذلك بأساليب الدعوات، بالكتابة والصور وغير ذلك.

ويجوز خُطوات [النور:21] وخُطوات، فيجوز التسكين للتخفيف، وهي قراءة نافع .

قال: [ألا ففاصلوا هذا العدو وقاطعوه] وأعلنوا العداء بينكم وبينه، والمفاصلة هي ألا نسمع له ولا نستجيب، ولا نجلس مجالسه، ولا نحضر أبداً حفلاته، فهو له حفلات ومجالس، وكل بدعة يجتمع عليها أهلها هي حفلة إبليس، فهو الذي جمعهم وزينها لهم [واتركوا المشي والجري وراءه؛ فإنه لا يأمر بخير قط، إذا فاحذروا وسالوسه، وقاوموا نزغاته بالاستعاذة بالله السميع العليم؛ فإنه لا ينجيكم منه إلا هو سبحانه وتعالى.

فمن زين له سوءاً، أو قبح له حسناً، أو نزغ له ليجري وراء شهوة باطلة فليفرغ إلى الله سبحانه وتعالى قائلاً: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم [فقد جاءت الاستعاذة منه في آيتين من القرآن، الأولى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الأعراف:200].

وفي آية أخرى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [فصلت:36].

وقال: السميع لأنه لو كان لا يسمعك واستعذت به لم تستفد شيئاً، وكذلك لو كان لا يعلم حالك أو يسمع الصوت ولا يعرف ما بك فإنه لا ينفع، ولكنه سميع لأقوال عباده عليم بأحوالهم، فالاستعاذة به نافعة مجدية.

لكن لو استعذت بمن لا يقدر وبمن لا يعلم وبمن لا يسمع -كالجهال الذين ينادون: يا سيدي عبد القادر ! يا رسول الله! يا فاطمة ! يا حسين !- فلو بقيت ألف عام والله لا يسمعك حسين ولا فاطمة ولا عبد القادر ، فلا تضيع وقتك، ولا تكن بهولاً، بل ادع السميع العليم، الذي يسمع صوتك حيثما كنت، ويراك حيثما حللت.

قال: [وليواصل ذلك حتى يفر منه، ويهرب من ساحته] فإذا قلت في غضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومزقت أمله والله ليهربن، ولا يبقى أبداً، وأما إذا قلتها وكأنك لا تؤمن بحقيقتها وغير مبال بها فإنها لا تنفع، وإذا قلت صادقاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإنك تطفئ ناره ويبتعد عنك، ومن جرب وجد.

فإذا شعرت بدعوة إلى باطل فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأسهل ما تطرد الشيطان إذا غضبت، فإذا حصل لك غضب وأردت أن تطلق امرأة أو تسب فلاناً فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ فإنك تعود إلى فطرتك.

فهذا توجيه الله، فقد قال: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ [الأعراف:200] كبير أو صغير، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ [الأعراف:200].

وافزع إليه، ولذ بجنابه، فإنه يحملك من هذا العدو، وأصحاب الرادار هم أصحاب النفوس الزكية الطاهرة، فإذا حام حولهم العدو بطائرتهم يريد أن يفسد عليهم حالهم فإنهم يشعرون به على الفور ويطردونه، وهذا يوجد في القرآن الكريم قبل أن يوجد الرادار، ونحن لم نكن نعرف هذا أبداً، والآن عرفنا، واقرعوا قول الله تعالى من سورة الأعراف: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ [الأعراف:200-201].

فأصحاب الرادار هم أهل التقوى؛ لأن المتقي نفسه نقية طاهرة؛ لأن التقوى فعل الواجبات وترك المحرمات، فالواجبات تطهر وتزكي، والمحرمات تخبث وتلوث، وهو أبعد عنه المحرمات وتركها، فبقي طهره وصفائه لروحه، وهو عنده هذا الجهاز، فبمجرد أن يحاول الشيطان أن يلم بقلبه يتقطن ويلعنه، كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ [الأعراف:201].

كطائرة العدو تطوف حول البلاد، والرادار يكتشفها ويطاردها، وكذلك الشيطان يطوف بعاصمتك وسلطانك الذي هو قلبك، فإذا شعرت به فالعنه حتى تطرده، فيهرب كما تهرب الطائرات المغيرة على البلاد [كان هذا في بيان النهي عن اتباع خطوات الشيطان، وبيان حال المتبع له والعياذ بالله].

شرع الله لعباده الاستئذان عند دخول البيوت حفظاً لأعراض العباد من أن تنتهك، وصيانة لعورات الناس من التطاول عليها، إلا أن هناك مواطن رخص الله فيها للناس الدخول بلا استئذان، كأن يكون البيت غير مسكون، أو يكون مما هو مفتوح لعموم أصحاب الأغراض والحاجات. وجوب الاستئذان على من يراد الدخول عليه في بيته

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا والحمد لله مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

ها نحن الليلة مع هذه الآيات الثلاث التي تضمنها [النداء الثامن والخمسون] من نداءات الرحمن لأهل الإيمان، وهي [في وجوب الاستئذان على من يراد الدخول عليه في بيته، وعدم مشروعية الاستئذان على بيت غير مسكون للعبد حاجة فيه] وإليكم النداء، فاصغوا واستمعوا إليه.

قال: [الآيات (27 - 29) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ [النور: 27-29]].

أولاً: أذكركم بأن فاحشة الزنا والعياذ بالله تعالى من أعظم الفواحش وأقبحها، وقد ذكرت مقرونة بقتل النفس والشرك بالرب تعالى، فقد قال تعالى: وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا [الفرقان: 68-69]... الآيات.

ومن صفات عباد الرحمن: وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ [الفرقان: 68].

والحمد لله.

فقد سمعتم وبلغكم أنه أقيم اليوم الحد على اثنين من الزناة في هذه المدينة المباركة حول المحكمة، وهذا من تطبيق شريعة الله عز وجل في هذه الديار.

فاللهم احفظها، واحفظ ولي العهد فيها يا رب العالمين! وكل ما من شأنه أن يصل بالعبد إلى هذه الفاحشة فهو حرام، وكل الأسباب التي تؤدي بالعبد إلى ارتكاب هذه الفاحشة فهي محرمة.

ولنبداً بالنظر، فهو حرام، فقد قال تعالى في النظر: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ [النور: 30].

وقال: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ [النور: 31].

لأن النظرة تؤدي إلى الفاحشة.

ثانياً: حجب الله المؤمنات حجباً، ومنعهن عن الخروج والاتصال بالرجال، ومنعهن من ذلك، ولم يأذن إلا لعجوز غابرة لا يتأتى لها أن تفجر؛ من أجل أن لا تقع هذه الفاحشة.

والأغاني التي تشيع هذه الفاحشة وتثيرها وتوجد غرائز النفوس فيها محرمة بالإجماع، ولا تحل أبداً.

فمن هنا لما كانت هذه قبيحة فرض الله تعالى على المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يدخل بيت أخيه أن يستأذنه، فإن أذن له دخل، وإن لم يأذن له رجع وهو غير غضبان ولا ساخط، فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا [النور: 27].

والاستئناس هو الاستئذان، أي: طلبك الإذن من صاحب البيت أن يأذن لك في الدخول؛ وقيل في الاستئذان: استئناس لأنه لا يكون إلا من الإنسان فقط، والحيوان لا يستأذن، فأنت بما أنك إنسان وإنسانيتك واضحة فلا تدخل كالحيوان بيت الناس بدون أن تطلب إذنهم، بل لا بد وأن تقف عن جانب الباب الأيمن أو الأيسر وتقول: السلام عليكم، أأدخل؟ ثلاث مرات، فإن أذن لك دخلت وإلا رجعت، وترجع وأنت غير غضبان، ولا ترجع وأنت تلعنهم وتسبهم وتقول عنهم كذا وكذا.

وقد ورد أن أحد الأصحاب رضوان الله عليهم طلب هذه الفضيلة أربعين سنة ولم يظفر بها، وهي أن يأتي فيستأذن ويسلم فلا يؤذن له ويرجع وهو راض، ولم يحصل على هذا، بل كلما استأذن أذن له، وكان يتعمد هذا، ويأتي بيوت المؤمنين ويستأذن ليقال له: ارجع؛ حتى يرجع ونفسه مطمئنة.

فلم يحصل على هذا، وقد طلبه بجد. وقد قال تعالى في هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النور: 27]. وتعرفون هذه الحقيقة.

وفاحشة اللواط لا نذكرها، فهي لم تكن تقع ولم تقع إلا مع قوم لوط، وقد قال فيها عبد الملك بن مروان على المنبر: والله لولا أن الله ذكرها في القرآن ما كان يخطر ببالنا أن الذكر ينزو على الذكر أبداً. وما عرف العرب هذا قط، بل كانوا ينزون الحمار على الفرس، أي: يرفعونه عليه.

وحدثت حادثة اللواط على عهد أبي بكر وخلافته في رجل أعجمي في البحرين، واحتار الأصحاب كيف يحكمون، وكيف ينفذون حكم الله فيه؟ فقال علي: أرسلوه من أعلى جبل إلى الأرض وارجموه كما فعل الله بقوم لوط.

ثم يقول تعالى: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا [النور: 28]، أي: في البيت، فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ [النور: 28] بالدخول. وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ [النور: 28].

ثم قال تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ [النور: 29]. كأن يكون مقهى أو دكاناً أو فندقاً أو بيتاً ليس مسكوناً، فيجوز أن تدخلوه بدون استئذان.

وأنت لا تستأذن عند الدخول إلى مقهى أو فندق أو حمام أو ما أشبهها، كما قال تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ [النور: 29]، أي: مصلحة وحاجة.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ [النور: 29]، أي: والله يعلم ما تبدونه وما تظهرونه، وما تخفونه وما تكتُمونه، فراقبوا الله عز وجل فيكم.

ولنستمع إلى شرح هذا النداء من الكتاب؛ فإنه مفصل ومبين والحمد لله. كراهة قول: (أنا) عند الاستئذان وذكر الاسم بدلاً منه

[ثانياً: إذا استأذن أحد فقال له صاحب البيت: من أنت؟ فلا يقل أنا، وإنما يذكر اسمه] ويقول: عمر أو صالح [أو كنيته] مثل أبو بكر، فيذكر اسم أو كنية يعرف بها [إذ استؤذن] واسمع التعليل [على رسول الله صلى الله عليه وسلم] وهو في حجرته، أي: استأذنه مستأذن [فقال] أي: النبي [للمستأذن: (من هذا؟ فقال: أنا، فقال: أنا، أنا. كأنه كره ذلك)] فالرسول رد أنا، أنا، فلا تقل: أنا؛ لأنك لا تعرف، بل قل: عمر أو أبو بكر أو عثمان أو فلان. فاعرفوا هذا.

وما زال كثير يقولونها، فقل: إبراهيم أو عبد السلام، وإن كانت لك كنية فقل: أبو عبد العزيز مثلاً. من آداب الاستئذان

[ثالثاً: من آداب الاستئذان أن يقف المستأذن بجانب الباب، فلا يعترضه] وينظر فيه في وسطه، بل يقف إلى جانب الباب من يمين أو شمال؛ حتى لو فتحت الباب امرأة لا يراها، فلا يقف في الوسط.

ومن لم يعرف هذا يفعله، والحمد لله فقد عرفنا، فإذا أردت أن تستأذن فلا تقف في عرض الباب، بل قف إلى جانبه من يمين أو شمال واستأذن.
قال: [وأن يرفع صوته بقدر الحاجة] ومعنى بقدر الحاجة: بقدر ما يسمعه أهل البيت، فهو لا يؤذن، فيرفع صوته بقدر الحاجة [وأن يقرع الباب قرعاً خفيفاً] لا أن يطرقه بالعصا، بل يقرعه قرعاً خفيفاً [وأن يقول: السلام عليكم، أدخل؟] ويعيدها [ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا رجع] ولا يرجع غضبان يشتم، بل يرجع راضياً مطمئن النفس.
طاعة الله ورسوله خير وبركة

[رابعاً: اعلم أن في كل طاعة الله ورسوله خير وبركة، وإن كانت كلمة طيبة] ففيها خير وبركة.
ومعنى هذا: هيا نطع الله ورسوله في الأمر والنهي، والله تعالى أن يحقق لنا ذلك ويعيننا عليه.
[وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].
سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأمنوا ...)

قال: [هذا وإليك أيها القارئ الكريم! والمستمع المستفيد! معلومات إضافية، فاذكرها؛ فإنها خير لك، وهي: أولاً:
اذكر أن سبب هذا النداء [أي: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا [النور:27].
سببه [هو أن امرأة من الأنصار] أي: من سكان المدينة من أهل البلاد لا المهاجرين [قالت: (يا رسول الله! إنني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا ولد ولا والد، فيأتي الأب فيدخل علي، فإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي على تلك الحال، فكيف أصنع أنا؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية)] فهي اشتكت وقالت: أكون في بيتي وعلى حال، أي: يمكن أن أكون كاشفة عن فحذي أو عن رأسي، ويدخل أبوها أو يدخل ولدها أو يدخل غيرهما، فسألت ماذا تصنع وكيف تفعل؟ فأنزل الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا [النور:27].
هذا سبب نزول هذه الآية.

فانظر المرأة سألت فأجابها الله [وقال أبو بكر] فأبو بكر سأل فأجيب، والحمد لله، فقد قال: [(يا رسول الله! أرايت الخانات والمسكن في شرق الشام ليس فيها مساكن؟ فأنزل الله تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ... [النور:29])].
الحث على مراقبة الله تعالى

قال: [هذا النداء الموجب للمؤلفة والمحبة بين المؤمنين، والمحقق للطهر والمحافظة عليه ختمه تعالى بقوله: وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ [النور:29]، أي: ما تظهرون وما تخفون من نياتكم وأقوالكم وأفعالكم وأحوالكم. إذاً: فراقبوه تعالى فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه] وانتبهوا.
وهو قد أمركم بالدخول بعد السلام، ونهاكم عن الدخول بدون إذن [فافعلوا المأمور واتركوا المنهي؛ تكملوا في آدابكم وأخلاقكم، وتسعدوا في حياتكم وفي آخرتكم] والله.
ومن راقب الله وأصبح لا ينظر إلا بإذنه، ولا يتكلم إلا بإذنه، ولا يعطي إلا بإذنه، ولا يمنع إلا بإذنه، ولا ينام ولا يستيقظ إلا بإذنه فهذا المراقب لله عز وجل قد فاز، وأصبح سيد الناس.
ولهذا أرشد الله رسوله وأمه التابعة له، فقال له: أَنْتُمْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ [العنكبوت:45].
فيا يا من تريد الكمال والإسعاد اقرأ الكتاب، أي: القرآن، واعمل بما فيه.
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ [العنكبوت:45].
فعليك بتلاوة الكتاب، وإقام الصلاة، وذكر الله، ومراقبة الله عز وجل.
فراقب الله مثل ما لو كان هناك حارساً عليك، فإنك تعمل وتراقبه، ومعنى مراقبتك له: أن تنظر إلى أنه يراك، وأن تعمل ليرضى عنك.

حكم دخول البيوت غير المسكونة والاستئذان لذلك

[وقوله تعالى في الآية الثالثة في هذا النداء: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ [النور:29]، هذه رخصة منه سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين] والحمد لله [وهي أن لا يستأذنوا إذا أرادوا دخول بيوت غير مسكونة، أي: ليس فيها نساء من زوجات و] إماء [سريات] يتسرى بهن [وغيرهن من النساء ممن يحرم النظر إليهن] إذ العلة في الاستئذان هو مخافة الفتنة والوقوع في الفاحشة.

وهناك نساء لا يحرم النظر إليهن، وهن العجائز، التي أعمارهن في السبعين أو الثمانين من السنين.

قال: [وذلك كالدكاكين والفنادق والأسواق وما إلى ذلك، فللمؤمن أن يدخل لقضاء حاجته المعبر عنها بالمتاع] والمتاع بمعنى الحاجة التي تتمتعون بها، فيدخل [بدون استئذان؛ لأنها مفتوحة للعموم من أصحاب الأغراض والحاجات من عامة الناس.

هذا في الاستئذان.

أما السلام فهو سنة في حق كل مؤمن يدخل أو يمر على مؤمن، إذ (يُسلم الراكب على الماشي، والواقف على القاعد، والصغير على الكبير) [فرخص لنا في الدخول بدون استئذان، وأما السلام فلا بد] فمن دخل دكاناً أو نزلاً أو مطعماً من السنة أن يسلم قائلاً: السلام عليكم [فلا يجوز أن تدخل الفندق بدون أن تسلم، بل قل: السلام عليكم، وإذا دخلت الدكان فقل: السلام عليكم، والرخصة فقط في عدم قولك: أَدْخَلَ؟ فهذا لا معنى له؛ لأن الباب مفتوح لكل أحد من أصحاب الحاجات، وأما السلام لا بد.

ويسلم الراكب على الماشي، والقائم على القاعد، والصغير على الكبير، وهذا مبدأ هذه الأمة الذي تعيش عليه [ويرد عليه من سلم عليه] وجوباً [قائلاً: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته] لقول الله تعالى: وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ [النساء:86] أَوْ عَلَى الْأَقْلَرُ رُدُّوْهَا [النساء:86].

فالمسلم يقول: السلام عليكم، والراد يقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإن اكتفى بقول: وعليكم السلام يجزئه، ولكن فاتته عشرون حسنة؛ لأن وعليكم السلام بعشر حسنات، ورحمة الله بعشر حسنات، وبركاته بعشر حسنات، فتكون ثلاثون حسنة.

وقد استعملنا هذا أيام الشبيبة، وكنا من عند باب البيت إلى نهاية ما نريد الذهاب إليه نسلم، فنحصل على مائتين .

ثلاثمائة حسنة، ونسجل ذلك، وكذلك من باب المسجد إلى باب البيت نسلم: السلام عليكم، وإذا سلم علينا شخص ردينا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ونسجل، فنجد مائتين .

ثلاثمائة حسنة.

فافعلوا هذا وجربوا، وسلم من باب المسجد وسجل، وستجد لك مائتين .

ثلاثمائة حسنة، والله يقول: وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا [النساء:86].

وأحسن منها: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

حكم من استأذن للدخول ولم يؤذن له

قال: [وإن استأذن المرء ولم يجد في البيت أحداً فلا يدخل حتى يوجد من يأذن له بالدخول أو عدمه، وهذا معنى قوله تعالى: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا [النور:28].

وإن وجد في البيت أحد وقال للمستأذن: ارجع فإن عليه أن يرجع، ولا يسأل لماذا لم يأذن له بالدخول] وذلك [لقوله تعالى: وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجعوا فارجعوا [النور:28]] هُوَ أَرْكَى لَكُمْ [النور:28].

فارجعوا [لأنه ما أمر صاحب البيت بالرجوع إلا لأمر اقتضى ذلك] أي: هذا الرجوع [وفي الرجوع خير من الدخول بدون إذن صاحب البيت، ولذا قال تعالى: هُوَ [النور:28]] أي: الرجوع [أَرْكَى لَكُمْ [النور:28]، أي: أظهر] وأطيب [لنفوسكم، وأكثر عائدة عليكم بالخير، ومن مظاهر ذلك أن تبقى الألفة والمحبة بينكم.

وقوله تعالى: وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ [النور:28]، أي: مطلع على أحوالكم وأعمالكم، فتشريعكم لكم الاستئذان واقع موقعه، وعليه فاطيعوه فيه وفي غيره؛ تكملوا وتسعدوا] في الدارين والحياتين.

الحكمة من مشروعية الاستئذان وكيفيته

قال: [الشرح: إنه نظراً إلى خطر الرمي بالفاحشة] وهي فاحشة الزنا [وخطر فعلها، وحرمة ذلك] أي: الرمي بالفاحشة وفعلها [بين المؤمنين] من أجل هذا [شرع الله تعالى الاستئذان عند دخول البيوت، فنأدى عباده المؤمنين قائلاً: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [النور:27]، أي: يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا [النور:27].

والاستئناس هو الاستئذان [وطلب الإذن في الدخول] لأن الاستئذان لا يكون إلا من إنسان، ولا يكون من حيوان محال، فلذا أطلق الاستئناس وأريد به الاستئذان.

وكيفيته [أي: وكيفية الاستئذان] أن يقف المرء إلى جانب باب المنزل عن يمينه أو عن شماله ويقول: السلام عليكم، أَدْخُلْ؟ ثلاث مرات، فإن أذن له في الدخول دخل، وإلا انصرف راضياً غير ساخط ولا غاضب [وعاد من حيث أتى، ولا غضب عنده ولا سخط، بل الرضا والطمأنينة] وقوله تعالى: ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النور:27]، أي: الاستئذان والسلام على أهل البيت قبل الدخول خير للمستأذن ولأهل البيت الذين يريد أن يدخل عليهم؛ إذ علة وجوب الاستئذان هي أن لا يطلع المرء على عورة أخيه، وناظر العورة يتأذى كما يتأذى صاحب العورة سواء بسواء؛ فلذا كان الاستئذان خيراً للجانبين [أي: للمستأذن ولأهل البيت] وهو ما أراده تعالى بقوله [أي: الذي أراده الله تعالى بقوله]: ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النور:27]، أي: تذكرون أنكم مؤمنون، وأن الله تعالى أمركم بالاستئذان حتى لا يحصل لكم ما يضركم، فتبقى لكم طهارة نفوسكم، وسمو أرواحكم].

من الأدب الإسلامي الذي يؤدب الله به عباده الاستئذان قبل الدخول، فقد شرع للأطفال دون سن التمييز والخدم والموالي ألا يدخلوا على أهل البيت إلا بعد الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة: قبل الفجر، ووقت القيلولة، وبعد صلاة العشاء؛ لأنها أوقات راحة، أما في غير هذه الأوقات فلأصناف السابقة الدخول والخروج متى شاءوا. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجلنا منهم، واحشرونا في زميرتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

أكملنا دراسة النداء السابق، وهو الثامن والخمسون، وإليك هذه الكلمات النافعة التي هي كالخلاصة للدرس: إن الله أوجب علينا وعلى عباده المؤمنين أننا إذا أردنا أختنا أو أمتنا أو أختنا أن نقف إلى جانب الباب، ولا نعترضه، ونقول: السلام عليكم، أدخل؟ ثلاث مرات، فإن أذن لنا بالدخول دخلنا، وإن قيل لنا: ارجعوا رجعنا.

فهذا هذا هو طابع حياتنا؛ لأننا بشر وكمل، بل وسادات البشر، ولسنا حيوانات ولا بأشباه الحيوانات، فالحیوان يدفع الباب برأسه ويدخل، وأما نحن فنقف إلى جانب الباب ونستأذن بصوت عادل متزن، ليس فيه إزعاج ولا إغلاظ، ونقول: السلام عليكم، أدخل؟ فإن قال: ادخل دخلنا، وإن قال: انتظر انتظرنا، وإن قال: ارجع رجعنا، وإن لم نجد من يأذن لنا رجعنا، ولا نسأل لم؟ هذا فيما إذا ما كنا نريد أن ندخل على أهل بيت، فإن كنا نريد متجراً أو مصنّعاً أو سوقاً فليس علينا إلا أن نقول: السلام عليكم وندخل؛ إذ رخص الله تعالى لنا إذا دخلنا المحلات العامة أن لا نستأذن أبداً، فقال: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ [النور: 29]، أي: ليس فيها نساء ولا سريرات ولا جوار، فندخل بدون استئذان، وإنما نسلم على أهل الدكان أو المقهى أو السوق، قائلين: السلام عليكم، فقط.

قال: [أولاً: اذكر أن سبب هذا النداء هو أن امرأة من الأنصار - والأنصار - يرحمكم الله - هم سكان المدينة من الأوس والخزرج، وقد سماهم الله بالأنصار لأنهم نصرروا دينه ونبیه وأوليائه، وما إن أخذ المهاجرون يصلون إليهم إلا وقاموا في نصرتهم، ونصروا رسول الله والمؤمنين.

فهذه المرأة من الأنصار [قالت: (يا رسول الله! إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل علي، فإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي على تلك الحال فكيف أصنع؟ فأنزل الله هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ [النور: 27-28].

هذا هو سبب هذا النداء، ونحن والله موقنون به، فهذه الآيات كالأدوية والعقاقير، فإذا حصل مرض ينزل الشفاء؛ ولهذا لم ينزل القرآن جملة واحدة، بل نزل في خلال ثلاث وعشرين سنة، بحسب متطلبات الأمة النامية الصاعدة إلى السماء، وما إن انتهى نزوله حتى أصبحت هذه الأمة في علياء السماء في كمالاتها.

فهذا المرأة من الأنصار اشتكت إلى رسول الله، وقالت: يا رسول الله! أكون على حال لا أريد أن يدخل علي فيها أحد، فيدخل أبي ويدخل أخي وغيرهما، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا [النور: 27] [وقال أبو بكر: (يا رسول الله! أرأيت الخانات؟)] والخانة جمع خان، والباكستانيون يقولون: الخان للفندق (والمساكن في شرق

[الشام] أو في طريق الشام [ليس فيها مساكن؟ فأنزل الله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ... [النور:29]] فاستجاب الله لأبي بكر ، فأبو بكر سأل فنزلت آية الاستئذان، فقد قال: يا رسول الله! يوجد في طريق الشام خانات ومحلات لنا فيها حاجة نشترى، فكيف نصنع؟ وهل نستأذن؟ فأنزل الله تعالى قوله: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ [النور:29].
[ثانياً: إذا استأذن أحد فقال له صاحب البيت: من أنت؟ فلا يقل: أنا] وكلنا نتورط في هذا، فأنا هذا لا يعرف أهو أبيض أو أحمر.

وهو ليس شائعاً، فأنا هذه لا تقبل [وإنما يذكر اسمه أو كنيته] فإن كان اسمه إبراهيم قال: إبراهيم، وإن كان يكنى بأبي إسماعيل يقول: أبو إسماعيل، أما أنا فلا تتفع، وإذا اشتهر بلقب يذكر لقبه.
وإليك الهدى النبوي: [إذ استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم] أي: استأذن مؤمن الرسول في الدخول عليه [فقال] أي: الرسول [للمستأذن] الذي استأذن: (من هذا؟ فقال: أنا.
فقال) [أي: النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا، أنا)] وكررها [(كأنه كره ذلك)] ولم تعجبه.
ومن ثم من استأذن وقيل: من؟ فليقل: إبراهيم .. عثمان .. سليمان باسمه، أو بلقبه إن كان له لقب كأبي فلان.
فلنترك من الآن كلمة أنا هذه، وهي شائعة في البدو والحضر، واذكر اسمك أو كنيته أو لقبك إن كان لك لقب معروفاً.

[ثالثاً: من آداب الاستئذان أن يقف المستأذن بجانب الباب] أي: باب الدار وباب المنزل [فلا يعترضه، وأن يرفع صوته بقدر الحاجة] ولا يهول على الناس، وإنما على قدر الحاجة في القرب والبعد؛ لأن الصوت العالي مزعج ويخوف [وأن يقرع الباب قرعاً خفيفاً] وليس بالعصا حتى يزعج أهل البيت، بل بيده يقرع الباب قرعاً خفيفاً بالقدر الذي يسمع أهل البيت.

والآن هناك الجرس، ومع هذا فعلينا أن نقرع الباب، فلا يكفي الجرس.
والجرس أيضاً لا يدقه ويواليه حتى يزعج أهل البيت، بل يدق الجرس دقاً خفيفاً ويسكت، وبعد فترة دقيقة .. دقيقتين يزيد مرة ثانية، وأما الواحدة تلو الواحدة وكأن هناك بلاء نازلاً أو خوفاً عارماً فلا ينبغي، فهذا يتنافى مع الآداب، ونحن أهل الآداب، وإن لم نكن نحن أهل الآداب فلا يوجد له أهل، فليس أهله أهل الكفر والشر والفساد، بل أهل القرآن والإيمان هم أهل الآداب.

قال: [وأن يقول: السلام عليكم، أَدْخَلَ؟ ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا رجع].
[رابعاً: اعلم أن في كل طاعة لله ورسوله خير وبركة] والله [وإن كانت كلمة طيبة] وهنا توجد الكلمة الطيبة في الاستئذان، وفي الآداب، وفي السلام، وفي التعريف بالاسم أو اللقب، وليس بأننا.
وكل كلمة طيبة لله ورسوله فيها أجر وعبادة، ومعنى هذا: أننا مثابون على كل أقوالنا وأعمالنا، وحتى في الاستئذان نؤجر، فالذي يحسن الاستئذان مأجور؛ لأنه أطاع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يؤذ عباد الله وأوليائه.
والذي لا يستأذن أو يستأذن بغير أدب قد عصى الله ورسوله وأذى المؤمنين.
وأذية المؤمنين ليست سهلة، والدليل: (من أذى لي ولياً فقد أذنته بالحرب).
فالله لا يرضى أن تؤذى وليه أبداً، كما أنك لا ترضى أن يؤذى وليك.
ولكن لم يعلمنا أحد، ولم نعرف هذا، وعشنا قروناً بعيدين عن قال الله وقال رسوله، ووا أسفاه! فنحن لم نترب في حجور الصالحين.

مشروعية استئذان الخدم والأطفال على أهل البيت ثلاثة أوقات

هذا هو النداء [التاسع والخمسون] وهو [في مشروعية استئذان الخدم والأطفال على أهل البيت ثلاثة أوقات، ووجوب استئذان الطفل إذا بلغ الحلم] فهذا النداء التاسع والخمسون تضمن قضيتين ومسئوليتين وحكمين، وهما:
الأول: مشروعية استئذان الخدم والأطفال على أهل البيت في ثلاثة أوقات، أي: يجب.
الثاني: وجوب استئذان الطفل إذا بلغ سن التكليف، فيجب أن يستأذن.
وإذا كان بالأمس لم يبلغ ودخل علينا قائلاً: بالسلام عليكم فقط ثم احتلم في القيلولة فقد أصبح فحلاً، فإذا أراد أن يدخل يستأذن.

وهذا النداء الكريم طويل كنداء أمس، ولكن كله هداية ونور، فهيا نتغنى به ساعة.

قال: [الآيتان (58 ، 59) من سورة النور أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَتَانُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ ذَلِكَ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [النور:58-59] .

حكم الاستئذان على من بلغ الحلم

قال: [أما الآية الثانية في هذا النداء، وهي قوله تعالى: وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ [النور:59]، أي: سن الاحتلام، هي في [الأولاد [الذكور تجاوز الخامسة عشر من العمر] فإذا تجاوز الولد الخامسة عشرة بدأ الاحتلام [أو إنبات الشعر، شعر العانة] فإذا نبت الشعر في عانته حول فرجه بلغ سن التكليف [أو الاحتلام، بأن يفرز الغلام المنى في نومه لرؤية يراها] فإذا أفرز المنى فقد بلغ، وأصبح مكلفاً [وأما البنت فبالحيض] فإذا خرج منها دم الحيض ولو قطرة فقد بلغت سن التكليف [وإنبات شعر العانة، أو بلوغ الخامسة عشرة من عمرها، والغالب أن البنت تبلغ سن الاحتلام في الثانية عشرة] في الغالب [فما فوق، كما أن الذكر قد يتأخر بلوغه إلى الثامنة عشرة من عمره] لضعف بدنه، فيبلغ إلا عند الثامنة عشرة، لا فوق هذا [فإذا بلغ الأطفال سن الاحتلام وجب عليهم أن يستأذِنوا عند الدخول إلى بيت غير بيتهم، بأن يقول أحدهم إذا أراد الدخول على بيت أحد: السلام عليكم، أَدْخَلَ؟ ثلاث مرات] بمعنى: إذ كان ولدي الحبيب يدخل على بيت جاره ثم فجأة وجد نفسه قد بلغ وقد كان يدخل بدون استئذان فالآن يجب أن يستأذن، وهكذا.

قال: [كما جاء ذلك في نداء الاستئذان [الذي حفظناه وعلمناه] قبل هذا النداء من هذه السورة (النور)] المباركة [لذا قال تعالى: كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [النور:59]] في نداء الاستئذان [وهم الرجال مثل آبائهم وإخوانهم وأعمامهم] وأخوالهم [وقوله تعالى في ختام هذه الآية: كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ [النور:59]، أي: لهذا التبيين الذي بيّنه في آداب الدخول بيّين لكم آياته الحاملة للشرائع والأحكام من أجل طهارتكم وأمنكم وسعادتكم. وَاللَّهُ عَلِيمٌ [النور:59]، أي: بخلقه وما يصلح لهم.

حَكِيمٌ [النور:59] في شرعه.

وهذه حال توجب طاعته تعالى فيما يشرع [ويقنن [فعلاً أو تركاً] .

الأحكام التي اشتمل عليها هذا النداء

قال: [وأخيراً: اذكر أيها القارئ الكريم! ما دل عليه هذا النداء الكريم، وهو ما يلي: أولاً: وجوب تعليم الآباء أبناءهم وخدمهم الاستئذان في الأوقات الثلاثة المعبر عنها بالعورات؛ لأنها من مظنة انكشاف العورات] وهذه الأوقات الثلاثة هي: قبل صلاة الفجر، ومن بعد صلاة العشاء، والظهيرة.

[ثانياً: وجوب استئذان الأولاد إذا بلغوا الحلم عند الدخول إلى غير بيوتهم] فإذا كان ابنك يدخل بيت أخيك ويشاهد بناته - بنات عمه- فإذا بلغ فحرام أن يدخل إلا بالإذن؛ حتى يحتجب النساء ويدخل [لأنهم كفوا بالبلوغ] وأصبحوا مكلفين.

[ثالثاً: اذكر علامات البلوغ واحفظها] وهي في الولد إنبات شعر العانة، أو الاحتلام، أو بلوغ الخامسة عشرة في الغالب.

وفي الأنثى: الحيض، فإذا حاضت الجارية فقد بلغت، أو نبت شعر عانته فقد بلغت، أو بلغت الخامسة عشرة فقد بلغت بلا تردد، إلا أن الولد قد يبلغ في الثامنة عشرة لضعفه، ولا يحتلم ولا ينبت له شعر، ولكن إذا بلغ الثامنة عشرة وهو أمرد فلا قيمة لمرده؛ لأنه قد بلغ.

فاذكر هذه العلامات [وعلمها] من أنت أمير عليهم في بيوتك وفي غيرها [إذ كثير من النساء والرجال لا يعرفون ذلك] وكمن امرأة تشتكي وتقول: أنا لم أصم، ولم يكن عندي علم، أو تكون قد حاضت ولا تصلي سنة .. سنتين .. ثلاث .. أربع، وما تدري؛ لأن آباءهن لم يعلموهن، ولم يجتمعن لدرس كهذا يتعلمن فيه. [وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً] .

إباحة دخول العبيد والأطفال بدون استئذان في غير الأوقات الثلاثة المنهي عنها

قال: [وقوله تعالى: لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ [النور: 58] أي: ليس عليكم أيها الآباء والسادة! ولا عليهم يريد الأبناء الصغار والخدم جناح ، أي: إثم وجرح وتضييق.
وقوله تعالى: طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ [النور: 58] أي: يدخلون ويخرجون عليكم للحاجة إليكم وللخدمة لكم، فبعضكم يدخل على بعض، حيث لا غنى لكم عن بعضكم بعضاً؛ فلذا رفع الله تعالى عليكم الحرج] وهو التضييق والإثم [في الدخول بدون استئذان في غير الأوقات الثلاثة التي لا بد من الاستئذان فيها.
وقوله تعالى في ختام الآية الأولى من هذا النداء: كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ [النور: 58] أي: كهذا التبيين الذي يبين لكم فيه حكم الاستئذان يبين الله لكم الآيات المتضمنة للشرائع والأحكام والآداب؛ إذ هو تعالى عليم بخلقهم وما يحتاجون إليه في إكمالهم وإسعادهم، حكيم فيما يشرع لهم ويفرض عليهم.
وهذا ما دل عليه قوله [تعالى] في ختام الآية: وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [النور: 58] وحقاً هو عليم حكيم سبحانه لا إله إلا هو، ولا رب سواه.
الأوقات الثلاثة التي أمر فيها العبيد والأطفال بالاستئذان

قال: [فقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [النور: 58]، أي: يا من آمنتم بالله ولقائه وكتابه ورسوله لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ [النور: 58].
ومعنى هذا الأمر: أن عليكم أيها المؤمنون! أن تعلموا أطفالكم وخدمكم الاستئذان عليكم في ثلاثة أوقات، وأمرهم بذلك [فلا تعلموهم فقط، بل وأمرهم] والأوقات الثلاثة هي التي في قوله تعالى: ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ [النور: 58] [يعني: الليل] وهي ساعات النوم من الليل، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ [النور: 58].
وهي ساعات القيلولة، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ [النور: 58].
وهي بداية النوم من الليل [فنهى عن الليل أوله وآخره، ومن الناس من يقول: أول الليل ما زال فلان لم ينم، وآخر يقول: ممكن فلان يكون يتهدج، ويدخل عليه، فلهذا نص على هذين الوقتين من الليل، وهما أول الليل وآخره والقيلولة] وقوله تعالى: ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ [النور: 58] أي: هي مظنة انكشاف العورة فيها [فسموها عورات لأن في الغالب تنكشف العورة فيها] فأطلق عليها اسم العورة، والعورة هي ما يستحي من كشفه [.
مواطن وافق فيها القرآن رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال: [وليست هذه أول موافقة عمر لربه تعالى فيما ينزل من أحكام، إذ منها نزول آية الحجاب] فقد دخل على الرسول صلى الله عليه وسلم في بيته فوجد فلاناً يدخل فقال: يا رسول الله! أرايت لو منعت الرجال من الدخول على بيتك؟ فنزلت آية الحجاب: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْذِنِينَ لِحَدِيثِ [الأحزاب: 53].
وليست هذه فقط، بل [والصلاة خلف المقام] مقام إبراهيم، فعمر هو الذي تمنى هذا، وقال: أرايت يا رسول الله! لو نصلي خلف المقام؟ فنزلت: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى [البقرة: 125] [إلى غير هذا].
لا يسلم التشريع إلا لله الخبير بعباده

لأن الله عليم حكيم يُسَلِّمُ لَهُ التشريع، فهو ليس جاهلاً ولا أحمقاً، بل هو عليم حكيم.
فكل تشريع من العليم الحكيم قبله؛ لأنه لا يضع الشيء إلا في موضعه، وهو عليم بأحوال العباد وببواطنهم وبظواهرهم وبناتج أعمالهم وبناتج كسبهم؛ وكل هذا لأنه عليم.
فإذا: إذا شرع يقبل منه التشريع، ولو شرع هذا الاستئذان غير الله لم يقبل؛ لجهل صاحبه بمستقبلنا وبماضينا وبأحوالنا وببواطننا، فلا يقبل أن يشرع.
ولهذا كل تشريع لم يكن من الله ولا رسوله فهو باطل وخطأ، وفيه شر وبلاء وفساد، ولا يقبله ذو عقل أبداً؛ لأن المشرع ليس عليمًا ببواطن الأمور وظواهرها، وبما مضى وبما يأتي وبما هو حاضر، وليس حكيمًا يضع الشيء في موضعه.

والبرهان والدليل على هذا: العالم الذي أمامكم من الصين واليابان وأمريكا وأوروبا التي ازدهرت وارتقت، فتشريعهم لم يسعدهم ولا طيبهم، ولا طهرهم ولا كملهم، ولا أخى بينهم، ولا أوجد بينهم مودة وصفاء وحباً، ولا لوم ولا عتاب؛ لأن الذي يشرع لهم جاهل ببواطن الأمور وظواهرها، وهو أحق لا يدري. وأنا لا أغالطكم في هذا.

فهم يأكلون بشمائلهم! ولا يعرفون كيف يستججون من القاذورات! ومع هذا ركب الناس وراءهم، وأخذوا تشريعاتهم، وحكموا بها المسلمين في أكبر بلاد العالم الإسلامي. ونحن لا نلومهم؛ لأنهم ما عرفوا، فهم والله ما جلسوا هذه المجالس ولا عرفوها، ولا تعلموا، بل درسوا في كليات السياسة والقانون في أوروبا وأمريكا، وتخرجوا منها. فاعرفوا هذا واعلموه. رفعة الأمة لا تتحقق إلا بالكتاب والسنة

هذه الآداب لو سألت (95%) من العالم الإسلامي لوجدتهم والله ما قرءوها، ولا فهموا منها شيئاً؛ ولذلك من المستحيل أن نصبح أدياءً أطهاراً أتقياء؛ فمن لا يأكل لا يشبع، ومن لا يشرب لا ينتهي ظمؤه أبداً وعطشه، و (إنما العلم بالتعلم).

وهذه الكلمة لم يقلها أفلاطون ، بل قالها سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الذي قال: (إنما العلم بالتعلم). (من يرد الله خيراً يفقهه في الدين). (طلب العلم فريضة على كل مسلم). ونحن مشغولون بالغنم والإبل والزرع والحصاد، ومشغولون بالدكاكين والتجارة وغير ذلك، ومن قبل ثمانمائة سنة ونحن لاصقون بالأرض، ولن يرفعنا إلا الله. وسلم الرفع والآلة الرافعة لا توجد ولا تباع في مصانع أوروبا، بل هذه الرافعة التي ترفع البشرية إلى سماء الكمال توجد عندنا وجدناها.

واسمعوها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ [الأعراف: 175-176].

وهذا قرآن، وهو في سورة الأعراف، ولكنه لم يبلغ المسلمين ولا عرفوه، والإنسان ينسلخ من الآيات كما ينسلخ الثعبان من ثوبه، وهم قد تركوا القرآن على الرفوف وفي المساجد فقط، ولا يوجد انسلاخ أعظم من هذا. قال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ [الأعراف: 175] يا رسولنا المبلغ عنا! اتل عليهم خبر عظيم، وهو نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا [الأعراف: 175].

وإذا أردت أن تعرف كيفية الانسلاخ من الآيات فاخرج من هذه المملكة، وادخل محاكم العالم الإسلامي، فإنك لن تجد التفسير والسنة فيها، ولا قال الله وقال رسوله، بل هم قد انسلخوا منها انسلاخاً كلياً، ولا يقرءون القرآن ولا السنة لا في البيوت ولا في المساجد ولا في المدارس، فضلاً عن المحاكم، ولا يوجد انسلاخ أعظم من هذا. فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ [الأعراف: 175].

وقد كان الشيطان خائفاً من حصانة القرآن، ولا يستطيع أن يؤذيه، فلما انسلخ من الآيات أصبح الشيطان يلعب به، ويجري وراءه.

فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ [الأعراف: 175].

الوسخين الهابطين، وكلمة الغواية - إذا أردت أن تعرفها- قاذورات وأوساخ مع بعضها البعض. وَلَوْ شِئْنَا [الأعراف: 176] والقائل هذا الله، لَرَفَعْنَاهُ بِهَا [الأعراف: 176].

وليس بالقوانين الأوروبية، ولا بالاشتراكية، ولا بالديمقراطية، ولا بالسقراطية، بل بهذه الآيات.

إذاً: هذه هي الآلة الرافعة التي ترفع الأمم والشعوب من الهبوط إلى السماء، وهذه الرافعة هي آيات الله الحاملة للهدى والشرائع الربانية، والتي لا تتخلف أبداً في إسعاد أهلها وإكمالهم في الدنيا والآخرة، ومنها هذه الآية في الآداب.

فلا ننسى هذه الرافعة.

فمن أراد أن يرفع إقليماً أو أهل قرية أو شعباً أو أسرة واحدة إلى السماء فلن يرفعه بالسحر، بل يرفعه بالآيات النورانية، فيكمل عقيدته ويصفيها، ويهذب أخلاقه وآدابه، فيرتفع، فلا يصبح كسائر البشر يعيش في الخبث والشر والفساد.

ووالله لا توجد رافعة غير القرآن، ورافعات الآلات موجودة في الموانئ، يرفعن السيارات ويضعنهن في البواخر، وهذه موجودة عندنا حتى في المسجد النبوي، فهذه الأدوات نرفعها بالرافعات الكهربائية. وأما رافعة البشر من الأرض إلى سماء الكمال فليس إلا هذا الكتاب وهذا الرسول. ومن قال: لا فليرفع لنا شعباً أو أسرة إلى سماء الكمال، ثم يقول: رفعناهم بكذا وكذا، ويدلنا على هذا. سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ...)

قال: [الشرح] هيا نشرح هذا النداء [اعلم أيها القارئ الكريم! أن هذا النداء وإن كان لنزوله سبب ككثير من الآيات والنداءات إلا أن الحكم عام] شامل [يشمل كل مؤمن ومؤمنة ما بقي الإسلام] على الأرض [والمسلمون] فيها [وذلك إلى آخر أيام هذه الحياة الدنيا.

واسمع أقص عليك سبب نزول هذا النداء، وهو: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث غلاماً من الأنصار يقال له: مدلج إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعوه له [فالنبي صلى الله عليه وسلم بشر احتاج إلى عمر كوزير وصديق وحبيب، ينهض بالتكاليف، فبعث له غلاماً، والغلام: الخادم، يقال له: مدلج، من أدلج في الظلام إذا دخل، فأمه سمته مدلجاً] فوجده نائماً في وقت الظهيرة [والظهيرة الآن ما نعرفها؛ لأن نظامنا أصبح غربياً. ونظامنا أيام كنا أحياء: كنا إذا صلينا الصبح انطلقنا في ميادين العمل، والمساحي في أيدينا والمعاول وغير ذلك، فنشتغل من الساعة الخامسة، فنشتغل الساعة الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرية، ست ساعات، فإذا انتهت الساعة العاشرية جاء وقت الاستراحة وجاءت الظهيرة، وتكون في الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة والواحدة، ثلاث ساعات، وفي الساعة الثانية تكون صلاة الظهر، فنحن أهل صحراء أمرنا بتأخير الظهر، (أبردوا بصلاتكم) في الحر.

فهذه ثلاث ساعات في الظهيرة يستريح فيها المؤمن، والآن لا يوجد ظهيرة؛ لأننا نبتدئ العمل الساعة الثامنة. قال: [فدفق الباب ودخل] ولم يستأذن [فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء، أي: من عورته] أو من فخذه. وقد قلنا أمس: أن العورة ليس معناها الفرجين دائماً، بل كل ما يستحي من كشفه فهو عورة حتى الرأس. قال: [فقال عمر عندها: وددت] وأحببت [أن الله تعالى نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا ألا يدخلوا علينا في هذه الساعة] أي: الظهيرة [إلا بإذن] منا، لا بدون استئذان [ثم انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] لأنه مطلوب [فوجد هذه الآية] قد [نزلت، فخر ساجداً شكراً لله تعالى] وهذه تسمى سجدة الشكر، وكان الحبيب صلى الله عليه وسلم إذا بشر بانتصار سرية من سراياه يخر ساجداً على الفور، وقد رأينا كثيراً من الصالحين ما إن يبشر بأمر عظيم حتى يخر ساجداً.

وإن شاء الله نطبق هذا، ولا تقولوا: لا توجد أخبار سارة، فنحن لا نسمع إلا الويلات، فالأخبار السارة في الصلاح والتقوى والإيمان، وليست في البقلاوة والرز، فإذا بلغك أن فلاناً شفي من مرضه فاسجد، وإذا بلغك أن فلاناً وهبه الله غلاماً فاسجد، وإذا بلغك أن فلاناً عاد من سفره آمناً والحمد لله فاسجد، وإذا بشرت أن امرأتك ولدت فاسجد، وهكذا، والنعم كثيرة، ومن تتبعها وجدها أكثر من الكثير، ولكن الغفلة مانعة، والشيطان مسيطر.

شكر النعم مؤذن بحفظها ودوامها، وكفرها مؤذن بذهابها وزوالها، وشكر النعم يكون بذكر النعم وشكر الله عليها، ويكون بفعل الطاعات وأداء العبادات، ومن المواطن التي يذكر الله بها عباده المؤمنين بامتثانه عليهم، واستحقاقه للشكر منهم، ما كان من تكالب أعداء الله عليهم يوم الخندق، وانقلابهم بعد ذلك عنهم خاسرين لم ينالوا خيراً، وحفظ الله لنبيه ولعباده المؤمنين في ذلك الموطن العصيب.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.

أمين.

نظراً إلى أننا أسرنا أمس في الدراسة فسأمتحنكم لأرى هل أنتم عالمون، فتذكروا فأنتم أهل لتلقي العلم والمعرفة.

حكم الاستئذان في الإسلام واجب، ولا تترددوا في كونه واجباً، والآية الدالة على وجوبه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا [النور: 27].

والمؤمن الذي يريد أن يدخل محلاً ليس فيه نسوة ولا سرار ولا جوار كالفنادق والدكاكين له رخصة في عدم الاستئذان، والذي رخص له في ذلك هو الله، فقد قال: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ [النور: 29].

وهناك ثلاثة أوقات يتعين على الأبناء وعلى الخدم أن يستأذنوا عند الدخول على رب البيت وسيده، وهذه الأوقات الثلاثة دلت عليها هذه الآية الكريمة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ [النور: 29].

والعوراء من النساء هي: ذات العين الواحدة، والأعور من الفحول هو: ذو العين الواحدة، والعورة هذه: ما يستحي من كشفه، وليست خاصة بالسوءتين أو بالفرجين.

وأطلق على هذه الأوقات لفظ العورات لأن الغالب أن يتكشف المرء فيها، وتبدو عورته.

والحكم إذا بلغ الغلام الخامسة عشرة واحتلم فينبغي علينا أن نعلمه أنه يجب عليه أن يستأذن عند الدخول، كما استأذن الذين من قبله من الرجال، وينبغي عليه أن يقوم بهذا، والآية الدالة على هذا في هذا النداء هي قوله: وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ [النور: 59].

فلنحفظ ولا ننسى، ومما يساعدنا على عدم النسيان التطبيق العملي، وقد عرفتم زادكم الله معرفة أن من علم وعمل بما علم وعلمه غيره دعي في السماء عظيماً.

فإذا تعلمنا حكماً في هذه الليلة فينبغي أن نعزم على العمل به، وأن نعلمه، وأن نتحدث به على الأقل؛ ليستقر في النفس، ولينتفع به غيرنا.

فنحن لا نجلس نتعلم للوظيفة، ولا لأكل الرغيف، ولكن من أجل أن ندعى في السماء عظماء.

فمن أراد أن يدعى في الملكوت الأعلى عظيماً من عظماء الرجال فهذا هو الطريق، وهو أن نتعلم القضية أو المسألة وكلنا عزم على العمل والتطبيق، ثم نعلمها غيرنا.

ولهذا نقول: هذه النداءات التسعون من حررها حفظاً وعملاً وتطبيقاً فقد أمسى من أعظم أهل الأرض، وإن كان لا يقرأ ولا يكتب.

وجوب ذكر النعم وشكرها وبيان موجب الذكر والشكر لله

هذا هو [النداء الستون] وفحواه ومضمونه وما يحمله من هدى هو [في وجوب ذكر النعم وشكرها] أي: ذكرها باللسان والقلب، وشكرها أيضاً بالقلب واللسان والجوارح [وبيان موجب الذكر والشكر لله تعالى] أي: وبيان ما يوجب الذكر والشكر لله تعالى.

وهذا علم عظيم.

فهذا النداء نتعلم منه أن الشكر والذكر واجبان، وقد علمنا قبل اليوم شيئاً في هذا الباب، فقد عرفنا أن سر الوجود وعلة الحياة هو الذكر والشكر.

فسر هذا الوجود ووجود السماوات والأرضين ووجود عالم السعادة والشقاء هو أن الله تعالى أراد أن يذكر ويشكر، فخلق الخلق بكامله لهذه العلة.

فلا ننسى هذا، فنحن نعرف علة الماء وعلة الطعام وعلة الفراش، وعلة هذا المكبر، فلنعرف علة هذا الوجود بكامله، وفي الحديث القدسي: (يا ابن آدم! لقد خلقت كل شيء من أجلك، وخلقته من أجلي).

فالله خلقك من أجل أن تذكره وتشكره.

وقد علمنا أن العبادة على تنوعها واختلافها وأزمتها وأمكنتها كلها دائرة على ذكر الله وشكره، ولا توجد عبادة تخلو من ذكر الله وشكره، وما العبادات إلا ذكر وشكره.

ولهذا كان النداء الستين يبين لنا وجوب ذكر النعم وشكر هذا المنعم عز وجل، وبيان موجب الذكر والشكر لله تعالى.

وهيا نتغنى بهذا النداء؛ لتشرح صدورنا، وتلين قلوبنا وألسنتنا، ولعلنا نحفظ ما نقرأ.

[الآيات (9 ، 10 ، 11) من سورة الأحزاب المدنية أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا [الأحزاب: 9-11]] وهيا نشرح هذا النداء؛ لتزداد معارفنا وتقوى صلتنا بربنا، ونكون من أوليائه وصالح عباد.

عوامل مساعدة على شكر الله تعالى على نعمه

قال: [كل هذه النعم تتطلب الشكر من العبد، ومما يساعد [العبد] على الشكر: ذكر النعمة، ومعرفة المنعم] وهو الله عز وجل.

قال: [والشكر يكون بطاعة المنعم، وبالقرب إليه بمحابه، مع تعظيمة وإجلاله وإكباره.

ومن باب شكر الله تعالى على نعمه: أن يذكر العبد الله تعالى بقلبه ولسانه، ويصرف النعم فيما من أجله وهبها الله تعالى للعبد.

ومن شكر النعم زاده الله منها أفضل وأكثر؛ لقوله عز وجل: لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد [إبراهيم: 7].

وسبق أن علمنا - وأصبحنا عالمين- أن الشكر يكون باللسان والقلب والجوارح.

أفادتكم النعماء مني ثلاثة لساني وقلبي والضمير المحجبا إذ: شكر النعمة يكون: أولاً: الاعتراف بالقلب أن الله أنعم عليك، ثم تترجم ذلك الاعتراف بلسانك، فتقول: الحمد لله، ثم تصرف تلك النعمة فيما من أجله أنعم الله تعالى بها عليك.

وهيا نحلل هذا، فمثلاً: نعمة العقل تشكر الله عليها يا أبا جميل ! بأن تفكر بعقلك فيما ينفعلك ويضرك، وأن تفكر بعقلك في أصل وجودك ووجود الكون؛ لتعرف أنه لا إله إلا الله، وتعبد الله، لا أن تستخدم العقل في الحيل والمكر، وكيفية الحصول على أموال الناس، أو كيف تعمل بهم.

والذين يخدرون عقولهم بالمخدرات هؤلاء كفروا نعمة الله، وأزالوها وعبثوا بها.

وإذا وهبك الله سمعك فلا تستخدمه فيما يكره، ولا تسمع به أصوات العواهر، فهذا لا يجوز، ولا يجوز أن تسمع لعاهرة وهي تغني، فهذا والله ما أجازه الله، وإذا فعلت ذلك فقد عصيت الله وفسقت عن أمره، فهو لم يعطك أبداً سمعك لتسمع من يسبه ويشتمه، أو يسخر به أو يحاربه.

وكيفية شكره على أن أعطاك سمعك أن تسمع الهدى، وتسمع الكلم الطيب، وتسمع العلوم والمعارف، وتسمع ما ينفع لا ما يضر، وهو ما أذن الله أن تسمعه.

وكذلك نعمة العينين والبصر، فلا تستخدمها ضد الله، وقد قال تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ [النور:30]. فلا تفتح بصرك إذا مرت بين يديك امرأة مؤمنة غافلة، ولا تتابعها؛ فهذا ليس شكر الله. وكذلك نعمة اللسان، فهي نعمة جليلة، فلا تستخدمها ضد الله، ولا تسب المؤمنين والمؤمنات، ولا تغتابهم وتعرض بهم، ولا تأكل لحومهم أو تكذب عليهم، ولا تقول الباطل. هذا شكر نعمة اللسان.

وكذلك نعمة المال والريالات، فإله أعطاك هذا الريال لتنفقه على نفسك؛ لتتمكن من ذكر الله وعبادته، والذي ينفق درهماً واحداً في معصية الله لم يشكر الله على نعمة المال، فلا تنفق ريالاً واحداً فيما يغضب الله. والدخان والشيشة والحشيشة لم يأذن بها والله، بل والله حرم الخبائث، فالذين ينفقون الريالات في هذه المحرمات والله ما شكروا الله.

فاعرفوا الذكر والشكر، فقد قال تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ [إبراهيم:7]، أي: أعلن ليئن شكرتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ وَلِيئن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ [إبراهيم:7]. وسأسلبنكم ما أعطيناكم، فإن عذاب الله شديد.

وقد رأينا هذا في واقع الحياة، وهناك صور لا تنمحي، وكم وكم من منعم عليه سلب النعمة، لأنه لم يشكرها. ومن شكر النعم زاده الله منها أفضل وأكثر؛ لقوله عز وجل: لِيئن شكرتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ وَلِيئن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ [إبراهيم:7].

[اللهم لك الحمد ولك الشكر، فزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

أهمية استحضار المؤمن لنعم الله عليه دائماً

قال: [هذا ولنعلم أن التذكير بالنعم وبما يجب من شكر للمنعم على إنعامه مما ينبغي أن لا ينساه المؤمن] وأنا قد قلت قبيل الآن: من حدث له حادث ونجاه الله فيجب أن لا ينسى ذكر الله، بل يذكر هذا دائماً، وما إن يذكر هذه النعمة بقلبه إلا ويقول بلسانه: الحمد لله! وأما أن تأتي النعم وتمر كل عام ولا تذكرها فإننا نحتاج إلى نبوة جديدة ورسول، فيا بني الإسلام! اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ [الأحزاب:9]. وعسى أن نذكر، ويا بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم؛ وهذا حتى يذكرهم.

ونحن عندنا رسل، وهم خطباء المساجد يوم الجمعة، فليذكرونا بالنعم؛ لنذكر الله ونشكره [إذ الذي لا يذكر النعمة لا يشكرها] ومستحيل أن يشكرها، بل لما يذكرها في قلبه ولسانه يشكر، والحمد لله، وأما ما دام لا يذكر فإنه لا يشكر. قال: [ولنعلم أن نعم الله على عباده لا تحصى] أي: عدداً [إذ كل ما أوتيته العبد من صحة بدن، وسلامة عقل، وسلامة معتقد، وصحة الدين] والأمن.

امتنان الله عز وجل على المؤمنين بهزيمة الأحزاب

قال: [وإليك بيان هذه الآيات الثلاث التي حواها هذا النداء الإلهي العظيم: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الأحزاب:9] أي: يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً، وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالإسلام ديناً وشرعاً] وهؤلاء هم المؤمنون [اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ [الأحزاب:9] المتمثلة في دفع أكبر خطر قد حاق بكم، وهو اجتماع جيوش عدة على غزوكم في عقر داركم، وهم جيوش قريش وأسد وغطفان وبني قريظة من اليهود، ألبهم وجمعهم عليكم وحزب أحزابهم حيي بن أخطب النضري اليهودي] وحيي بن أخطب هذا نضري من بني النضير، وهو أبو أم المؤمنين صفية بنت حيي .

وقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة خيبر، وانتصاره على أهلها، وأبوها حيي بن أخطب من كبار طغاة اليهود الناقمين، ولما خابوا في غزوة بني النضير وانهزموا أخذ يحزب الأحزاب ويقتل الكتل، فأتى إلى مكة، وذهب إلى الشرق، وذهب إلى الغرب، وجمع الأحزاب وجاء بها لينتقم، فهو كان [يريد الانتقام منكم؛ إذ أجليتموه عن المدينة، وأخرجتموه منها، فالتحق مع رجاله بخيبر وتيماء، ومن ثم بدأت المؤامرة.

وقوله تعالى: **إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودُ [الأحزاب:9]** وهي جنود المتحزبين من قريش وأسد وغطفان. وقوله تعالى: **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا [الأحزاب:9]** فالملائكة لا نراها [وذلك بعد حصار في سفح جبل سلع، والجبل وراءهم والخندق أمامهم مدة خمسة وعشرين يوماً] وأخرج من المسجد وستشاهد جبل سلع، ومكان الخندق في المكان الذي تسمونه المساجد الخمسة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بين الخندق وسلع في سفح الجبل، وكانت أيام شتاء وبرد ومجاعة، ولو ابتلينا هذا الابتلاء لما صبرنا.

قال: [أرسل الله تعالى عليهم ريح الصبا] وقال صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور). والدبور: الريح الغربية، والصبا: الريح الشرقية [ففعلت فيهم تلك الريح العجب، حيث أطفأت نيران وقودهم وطبخ طعامهم، وأكفأت قدور طعامهم، واقتلعت خيامهم] فكانت الخيمة ترفعها الريح وتسقطها، وتقتلع أوتادها [حتى اضطروا إلى الرحيل والهرب] إذا لم يكن لهم حيلة أبداً [وأرسل الله تعالى جنوداً من الملائكة، فأصابتهن بالفرع والرعب] وألقت ذلك في قلوبهم [الأمر الذي أفقدهم كل رشدهم وصوابهم، فرجعوا يجرون أذيال الخيبة المريرة، والحمد لله] والذي فعل هذا الله.

والذي جاء بأمريكا وبريطانيا وفرنسا الله. وأكثر السامعين الآن يتألمون، ووالله لو تحزبتهم وجمعتم لم تستطيعوا أن تحركوا ولا كتيبة من الغرب أبداً، ولن يتأتى لكم ذلك، ولقالوا: دعوهم يأكل بعضهم بعضاً حتى نستريح من هؤلاء المسلمين، ولكن الله هو الذي فعل، فقولوا: الحمد لله.

قال: [وقوله تعالى: **وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا [الأحزاب:9]** أي: بكل أعمالكم أيها المؤمنون! وذلك كحفر الخندق والمشادات والمنارات التي كانت بينكم وبين عدوكم] فقد حصلت مشادة ومناورة خمسة وعشرين يوماً والخندق بينهم [وما قاله المنافقون في تلك الساعات وفاهاوا به ونطقوا من أسوأ الأقوال وأقبحها، كل ذلك لم يغب على الله تعالى منه شيء، وسيجزي به المحسن بالإحسان، والمسيء بالإساءة] هذا معنى: **وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا [الأحزاب:9]**، أي: مطلع على أحوالكم وأعمالكم، وأقوالكم ونياتكم وأيضاً، وما تحويه صدوركم. بيان الشدة التي أصابت المسلمين في غزوة الخندق

قال: [وقوله تعالى في الآية الثانية من آيات هذا النداء: **إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ [الأحزاب:10]**] وليس هو من السماء، وإنما فوق هنا أي: من الشرق، والأسفل: الغرب [أي: من الشرق وهم غطفان وأسد بقيادة عيينة بن حصن . وقوله: **وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ [الأحزاب:10]** وهم قريش وكنانة، أي: من الجنوب الغربي.

وهذا تحديد لساحة المعركة، وسبحان الله العظيم الخبير! وقوله تعالى: **وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ [الأحزاب:10]** [الزيف: الميلان] أي: مالت عن كل شيء، فلم تبق تنظر إلا إلى قوات العدو الغادر [وهذا شأن الخائف، فهو لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، وإنما ينظر إلا إلى قوات العدو الغازية ومتى تهاجم] وذلك من شدة الخوف.

وقوله تعالى: **وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ [الأحزاب:10]** [جمع حنجرة، وهي هذه، والقلب يصل إليها، فالقلب كالعقاب، والرتنان كجناحي العقاب، ولما يخاف المرء أشد الخوف ترتفع رثته والقلب فيها، فيصل إلى هناك، والذي يصور هذا التصوير خالق القلوب والرئة] أي: ارتفعت بارتفاع الرئتين، فبلغت منتهى الحلقوم؛ وذلك من شدة الفرع والخوف، قد يكون هذا من بعض المؤمنين لا من كلهم] وهو كذلك.

وهذه لطيفة فاعرفوها، فقد يكون هذا من بعض المؤمنين، وبعضهم لم يخافوا، بل ثبتوا. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (من يأتيني الليلة بخبر القوم أضمن له على الله الجنة)؟ فلم يستطع أحد، فقد كان هناك الجوع والبرد والخوف، فقال: (من يأتيني بخبر القوم)؟ أي: من أبعثه عينا لي يكتشف القضية؟ فلم يستطيعوا، والذي فاز بها حذيفة، فقال: (قم حذيفة !).

فتعينت عليه، وإذا عين إمام المسلمين شخصاً أو أشخاص وجب عليهم، أما الأمر العام فلا.

قال حذيفة : ذهبت وعدت والعرق يسيل، حتى وصلت ودخلت بين رجلي الرسول وثوبه وهو يصلي، فإذا البرد عاد إلي، ولا إله إلا الله! فلما ذهب زال كل البرد والخوف، وتحول إلى عرق وحر، حتى أدى المأمورية وعاد، ولما وصل برد كالآخرين، فدخل تحت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلي؛ حتى يذفاً. ولو كنا هناك فماذا كنا سنفعل؟ والحمد لله! فالذي حفظنا اليوم هو الذي حفظنا أمس، ويحفظنا غداً إن شاء، وهو الرحمن الرحيم.

قال: [وقوله تعالى: وَتَنْظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا [الأحزاب:10]، أي: المتنوعة المختلفة من نصر وهزيمة وسلامة وعطب [وتقولون: يمكن أن نهلك، ويمكن كذا، ويمكن يقع كذا وكذا، كحالة الخائف] وهذا منه تعالى تصوير للحال التي كانت أبدع تصوير [ولا يقوى عليها إلا هو، وهو ليس تصويراً بالفوتوغراف، وإنما هذا تصوير خالد بالكلمات الطبية.

وعلينا أن نترك التصوير، فقد عاشت الأمة البشرية قروناً بدونه، وأنا أرى أن لا يصور، ولكن يكتب طول الشخص كذا، وعيناه كذا، وأفنه كذا، ويكفي، وأما الصورة فإنهم يزورونها والله، وأما المكتوب فلا يزور، مثل هذا التصوير الإلهي لهذه الحادثة، فإنه تعجز عنه آلات التصوير [إذا حالهم كانت هكذا حرفياً، فسبحان العليم الخبير! وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا النداء: هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ [الأحزاب:11]، أي: ثم اختبرهم ربهم عز وجل؛ ليرى الثابت على إيمانه الذي لا تزعزعه الشدائد، ولا تحيله الفتن، ويرى المهزوز الإيمان، السريع الانهزام والتحول؛ وذلك لضعف عقيدته، وقلة عزمه وصبره [فقد كان هذا امتحاناً، وتخرج منه رجال بشهادات إلهية، وهبط آخرون إلى مستوى البهائم من المنافقين وُضعفة الإيمان.

[وقوله تعالى: وَرَزَلْنَا زَلْزَلًا شَدِيدًا [الأحزاب:11] أي: أزعجوا وحركوا حراكاً شديداً؛ لعوامل منها: قوة العدو، وكثرة جنوده [فجيوش الأحزاب من كل جانب [وضعف المؤمنين، وقلة عددهم [فهم في المدينة قليل، وقد انحصروا في جبل سلع، وتركوا الأطفال والنساء هنا في المدينة [وعامل المجاعة والحصار والبرد الشديد، وما أظهره المنافقون من تخاذل [وهذا زعزع الصف لما أعلنوا عن تخاذلهم [وما كشفت عنه الحال من نقض بني قريظة عهدهم، وانضمامهم إلى الأحزاب [وبنو قريظة كانوا وراء مسجد قباء، وكانوا على معاهدة أنهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم دخل عليهم حيي وفتنهم، فأعلنوا عن نقض المعاهدة، وانضموا إلى أبي سفيان، ولكن الله أطعمهم ما يستحقون، فما إن انكشف الكرب وانهزم العدو، وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مسجده وإلى بيته حتى قال له جبريل: أوضعت السلاح ونحن ما وضعنا السلاح؟ ناد بالمؤمنين: أن إلى بني قريظة، لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة.

وخرجت خيل الله، ومنهم من صلى في الطريق، ومنهم من قال: لا، لا نصلي إلا حول العدو، والكل معذور، وحاصرتهم خيل الله وانهزموا، وهبطوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أن يقتل مقاتلتهم، ويسبي ذراريهم ونساءهم.

ومقبرتهم الآن هناك في طرف المسجد، فهم الآن في داخل المسجد، وعددهم سبعمائة تقريباً. وهذا جزاء من خان وأخلف الوعد ونكثه.

من مظاهر عدم شكر الله تعالى

من عدم الشكر: إعراضنا عن الصلاة، وجرينا وراء السحرة، حتى إن المرأة تبكي وتقول: سحروني، وسحروا زوجي، وقلت لإحداهن: لا يوجد سحرة في المدينة، فالساحر يقتل حيث بان سحره، فقالت: والله إنك لترى النساء من المغاربة والأثيوبيات والسودانيات وغيرهن ذيولاً أمام بيوت السحرة في المدينة، فاستغربت أن يحدث هذا في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يُسحر فيها الرجل وامرأته.

وهم لا يذكرون الله ولا يشكرونه، ولم يقبلوا عليه في صدق، ولم يتطهروا ويزكوا أنفسهم، بل هم أموات غير أحياء وما يشعرون.

والله يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا [الأحزاب:9].

وسياتي تفصيل ذلك، فأيا مؤمن يدفع الله عنه مكروهاً يجب ألا ينسى ذلك اليوم أبداً، ويقوم يصلي ويذكر الله عز وجل، ونحن كلما يدفع عنا بلاء نزداد عناداً ومكابرة وضلالاً وبعداً، وكأننا ننتظر ساحة النهاية.

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم!] والقارئ الكريم هو كل مؤمن ومؤمنة يقرأ نداءات ربه ويصغي إليها، ويستمتع ويعمل بما فيها، وهذا لازم؛ لأنه سيدك الذي يملكك وما تملك، وقد أوجدك لخدمته، وأطعمك وسقاك من أجله، وهو يناديك: يا عبدي! فلا يجوز لك ولا يصح أن تغلق أذنيك، وتتشاغل بالأكل والكلام ولا تستمع إليه، ثم فوق ذلك فهو حكيم عليم، فهو لا يناديك لغير ما ينفعك، بل ليدفع الضر عنك، وهذا شأن الله مع أوليائه، فهو لا ينادي عباده لا لشيء، فإن شاءوا سمعوا، وإن شاءوا لا، فهذا والله ما كان.

وإنما ينادي أوليائه لأحد أمور: إما ليأمرهم بفعل أو اعتقاد أو قول ما يكملهم ويسعدهم، أو لينهاهم عما يشقيهم ويؤذيهم، أو ليبشرهم بما يزيد في إيمانهم وصالح أعمالهم، أو لينذرهم ويحذرهم مما يخيفهم ويضرهم ويهلكهم. ولذلك لا يصح أن يقول قائل: لا بأس أن ينادينا ولا نسمع، فهذا لا يمكن أن يكون.

ولهذا قلنا: يتعين على المؤمن والمؤمنة أن يسمعا نداءات ربهما، فمن كان يحسن القراءة فليقرأ، ومن كان لا يحسنها يقول لمن يحسنها: يا بني! إن كان دونه، أو يا أخي! إن كان مثله، أو يا أبتاه! إن كان أكبر منه أسمعني نداءات ربي، وسأتيك كل يوم تسمعني نداء في أوقات فراغك وعدم عملك.

ولو كنا مرتفعين لامتلأ المؤمنون هذا والله، وسرنا في طريق الخير، وقلنا وما نزال نقول: اجعلوا هذه النداءات في الفنادق وعند كل سرير ينزل فيه نازل، والنصارى يضعون الإنجيل الباطل الذي فيه الخرافات والضلالات، والذي لا يوجد فيه (10%) من كلام الله في الفنادق الراقية في الشيراتون.

ونحن نعجب من هذا الكلام، ونقول: هذا الشيخ يقول خيالات، فقد خرف، والله لو كنا راقين لامتثل هذا من أيام، ووضع هذا الكتاب في الفنادق، ولكن حل بنا ما حل، كما قال تعالى: وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ [الأعراف: 176].

تذكير الله تعالى لعباده بنعمه عليهم ليذكروه عليها

على القارئ الكريم أن يعلم [أن هذا النداء الإلهي وإن وجه ابتداء إلى المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ليذكروهم بنعمة عظيمة، ليذكروا الله تعالى عليها بذكره وشكره، وذلك بطاعته عز وجل، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في العسر واليسر .

في المنشط والمكروه إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب] فهذا النداء نزل في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن هذا لا يمنع أن يتناول كل مؤمن على مدى الحياة؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فقله تعالى: يا أيها الذين آمنوا يدخل فيه أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعائشة وغيرهم، ويدخل السامعون ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة.

فكل مؤمن دخل في هذا النداء، ومن قال: لا فليضع برنيطة على رأسه وصليباً في عنقه؛ حتى لا ينادى أبداً؛ لأن المنادى هو المؤمن الصادق الإيمان.

قال: [وأمر آخر، وهو أن نجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مما دبر لهم للقضاء عليهم هي نعمة الله تعالى على كل مؤمن ومؤمنة في هذا الحياة؛ إذ لو هلكوا في حرب الأحزاب ما بلغنا إسلام ولا عرفنا [الله] ربنا، ولا ذكرناه ولا شكرناه] ولو تمت المؤامرة ونجحوا وقتلوا الرسول وأصحابه لما بقي إسلام، ولما أصبحنا نحن الآن مسلمين والله، بل لكنا إما مشركين وإما نصارى أو يهود [فالحمد لله على إنعامه وإفضاله، حيث رد المتأمرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه خائبين خاسرين، ونجى رسوله والمؤمنين] إذاً: هذه النعمة لنا، ونحن لم نعرفها، والله يذكروا هذه النعمة كما يذكر من يأتي بعدنا من المؤمنين والمؤمنات، وهو لا يذكروا لنغني ونرقص، ونأكل البقلاوة، وإنما لنذكره عز وجل ونشكره، وما ذكره وشكره إلا الآلات الرفاعة إلى الملوك الأعلى.

والمؤامرة التي تمت علينا والمعروفة بحرب الخليج حبكها وخاط خيوطها ودبرها اليهود والنصارى والمجوس ومثلها العرب، وما هي والله إلا لإطفاء نور الله؛ حتى لا يبقى من يقول: لا إله إلا الله.

ومع ذلك لم نشكر الله.

وقد ذكرتكم بها لأنه والله لو تمت تلك المؤامرة كما أرادوا لمزقوا راية لا إله إلا الله، وبالوا عليها، ولقد بالوا على المصاحف فضلاً أن يبولوا على راية.
ونحن لم نجتمع ليلة ولا كبرنا ولا هللنا ولا قرأنا كتاب الله، ولا شكرنا الله.

ذكر الله سبحانه وتعالى حياة للقلوب، وإنعاش للأرواح، وكلما زاد ذكر العبد لربه زاد قربيه منه، وأحاطه الله بعنايته ووقايته، وذكره وأثنى عليه خيراً عند ملائكة، ودعت له الملائكة، فكان حاصل ذلك أن يخرج من ظلمات الكفر والذنوب والمعاصي إلى نور الإيمان والطاعات.

الأمر بذكر الله وتسبيحه عز وجل بكرة وعشياً وبيان ثواب ذلك من الله عز وجل

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمريهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

هذا هو [النداء الواحد والستون] وهو من سورة الأحزاب المدنية، ومضمون هذا النداء وما يحمله من هدى هو [في الأمر بذكر الله وتسبيحه عز وجل بكرة وعشياً، وبيان ثواب ذلك من الله عز وجل الآيات (41 - 44) من سورة الأحزاب] فأيات هذا النداء هي الآية الواحدة والأربعون، والثانية والأربعون، والثالثة والأربعون، والرابعة والأربعون من سورة الأحزاب.

ذكر الله تعالى في كل الأوقات

قال: [هذا واعلم أيها القارئ الكريم! والمستمع المستفيد! أن لهذا النداء خلاصة نافعة، فإليكها: أولاً: وجوب ذكر الله تعالى بالقلب واللسان ليلاً ونهاراً وفي كل الأوقات، إلا في حال دخول المرحاض لقضاء الحاجة] فذكر الله يكون طول النهار إلا إذا نمت في الليل، أو دخلت المرحاض، فلا تنسى الله أبداً، وإن لم تذكره بلسانك فليكن قلبك معه، ومن هنا تحصل لك المناعة، فلن تستطيع والله أن تعصي الله أو تخرج عن طاعته، بمعنى: أننا نأمن من شرك، ومن أن تغتابنا أو تسبنا، أو تعتدي على نساءنا أو تأكل أموالنا، فنأمنك من كل ذلك.

[ثانياً: بيان فضل المؤمنين المتقين؛ إذ الرحمن يصلي عليهم وملائكته كذلك].
والآن أذن المؤذن، وكما علمتم نقول كما يقول المؤذن، فهذا أفضل لنا، ولا نقوم بسرعة وتفوتنا تلك الجائزة العظيمة.

تحية الله للمؤمنين يوم القيامة السلام

قال: [وقوله تعالى في الآية الرابعة من هذا النداء الكريم: تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ [الأحزاب:44]، أي: ما يحيون به يوم موتهم] عند موتهم [ولقاء ربهم] يوم القيامة [هو السلام] [فملك الموت لما يأتي لقبض روح المؤمن يسلم عليه] أولاً [ولا يقبض روحه حتى يسلم عليه؛ إذ روى عن البراء بن عازب رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ [الأحزاب:44] قال: فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه، ولا يقبض روحه حتى يسلم عليه] وتحية الملائكة في الجنة بالسلام؛ لقوله تعالى: وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ [الرعد:23-24].

والرحمن جل جلاله وعظم سلطانه يسلم عليهم [أيضاً] إذ قال تعالى: لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ * سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ [يس:57-58] [وليس سلاماً بمعنى: إكرام وإنعام، وإنما هو قول من قوله، وسلام الله هو أن يزِيل الحجاب عن وجهه الكريم، ويسلم عليهم، فيسعدون سعادة ما شعروا بها ولا عرفوها] أي: أمان لهم وأمنة من كل خوف وحزن؛ إذ أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ لولاية الله تعالى لهم. وقوله تعالى في ختام هذا النداء: وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا [الأحزاب:44] أي: هيا لهم وأحضر أجراً كريماً، وهو الجنة دار السلام.

وسبحان الله ما أكرمه! وسبحان الله ما أسعد المؤمنين! بفضيلة الإيمان وطاعة الرحمن طلب منهم عز وجل أن يذكره كثيراً، وأن يسبحوه بكرة وأصيلاً، فأعطاهم ما لا يقادر قدره، فسبحانه من إله كريم ورب رحيم [سبب الأمر بذكر الله تعالى

لو سأل الغافل عن سبب ذكر الله هذا فإننا نقول: ليربط الناس بذكر الله، وهذا أفضل من أن تجعل أمام كل بيت حارساً يحرس، فهو أفضل وأعظم. والعالم الإسلامي فيه بوليس وشرطة وغير ذلك، ومع ذلك كم تحدث من سرقات في اليوم! وفي فرنسا في أيام أن كنا نتردد عليها في يوم واحد حدثت عشرة آلاف سرقة، مع أن الشرطة وآلاف الأجهزة والنظام فوق ما تتصور، ومع ذلك حدثت عشرة آلاف جريمة في اليوم. والبلد الذي أهله يذكرون الله ذكراً حقيقياً مع عين البصيرة ممكن أن تمضي كذا سنة ولا تحدث فيه سرقة، ومع هذا الناس لا يريدون هذا؛ لأنه ذكر الله. معنى صلاة الله وصلاة الملائكة على المؤمنين

قال: [وقوله تعالى في الآية الثالثة من آيات هذا النداء [الكريم:] هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ [الأحزاب:43]، أي: هو الذي يثني عليكم بخير بين الملائكة] فمعنى أن الله يصلي علينا: أنه يثني علينا بخير، ويذكرنا بخير، وقد حفظنا هذا الحديث: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده).

وذكر الله لهم أي: الثناء عليهم بخير بين الملائكة [ويرحمكم برحمته الواسعة] فهو يذكرنا ويرحمنا. والحمد لله! [وقوله: وَمَلَائِكَتُهُ [الأحزاب:43] أي: وملائكته تعالى تصلي عليكم أيضاً، وصلاة الملائكة هي الدعاء لكم بخير، والاستغفار لكم] فصلاة الملائكة علينا: الدعاء؛ لأن معنى الصلاة: الدعاء، والاستغفار لنا، فهي تصلي أي: تدعو لنا بخير، وتستغفر لنا [كما قال تعالى في حملة العرش: أَنَّهُمْ يَسْبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُسَبِّحُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا] فقد جاء في القرآن أن الملائكة: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا [غافر:7]. فسورة المؤمن لها اسمان: غافر والمؤمن.

قال: [وقوله تعالى: لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا [الأحزاب:43]، أي: ليخرجكم سبحانه وتعالى من ظلمات الكفر والذنوب والمعاصي إلى نور الإيمان والطاعات، فصلاته تعالى وصلاة ملائكته هي عامل الإخراج من الظلمات المهلكة إلى النور الهادي إلى النجاة من مهالك الحياة.

وقوله تعالى: وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا [الأحزاب:43] هذا إنعام آخر، وفضل زائد على ما تقدم من صلاته تعالى وصلاة ملائكته عليهم، وهو أنه بالمؤمنين رحيم، أي: لا يعذبهم ولا يشقيهم، ولا يذلهم في الدنيا ولا يخزيهم [مظهر من مظاهر انحدار الأمة اليوم

ها هو ذا دكتورنا متكئ الآن يسمع، فقد قال: جاءني رجل من هذا النوع، وقال: هذا الشيخ الجزائري يقول: أنا مستعد أنا وزوجتي وأولادي نموت ونذبح ويبقى الملك فهد، وهو يحرم الذبح للأولياء.

وهذا الدكتور يسمع.

وهذا ليس كلام عامي.

وهذا ليس فهماً ولا ذوقاً، فأنا لم أقل هذا الكلام، ولست مجنوناً، بل أنا قلت وما زلت أقول: والله لو كنت أعيش في اليابان أو في كندا خارج بلاد العرب والمسلمين لرصيت أن أذبح أنا وأسرتي وتبقى هذه البقية الباقية من المسلمين. ولكن لا أحد يفهم هذا الفهم، أو يعي هذا الوعي؛ لأن الأمة هابطة لاصقة بالأرض، وقد قلت وما زلت: الجهل هو مصيبتنا، ومن لم يعرف الله فلن يحبه ولن يخافه، ولن يقدر على أن يطيعه. وإذا لم تكن الأمة هابطة وجاهلة فلن يقال هذا الكلام، ولما قالوا: حرم الذبح للأولياء، ولا أنني أقول: أذبح أنا وزوجتي للملك فهد، ويرددون هذا الكلام. وقد كنا ظننا أننا ارتفعنا بعض الشيء، ولكننا ما زلنا هابطين. وأترككم الله.

والقضية ليست قضية كلام، وإنما نحن نبكي على هبوطنا، ونحن لا يؤلمنا أن يقولوا ما شاءوا، بل يؤلمنا أن يضرروا بالحديد والنار.

فلنهم ولنح، ولنرتفع في مستوياتنا وفي عقولنا وفي فهمنا، ولنسأل أهل العلم حتى نخرج من شدة الجهل وظلمته، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون [النحل:43].

ولا تأسفوا، وقد كانوا يتحدثوننا، ويمرون بالحلقة ويقولون: يا هو! يا هو! يا هو! وهذا الشيخ يقول: يا هو! ليس اسماً من أسماء الله، مع أن الله ليس اسمه هو، حتى تذكره: هو هو هو، ولم يقل أحد: إن الله اسمه هو، وهذا كتاب الله، وهذه سنة رسول الله، فلا تقل: يا هو! وإذا قلت: هذا باطل ومنكر غضبوا واشتكوا.

وهيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبين لنا الذكر والمطلوب منا، فقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الأحزاب:41-42].

فضل ذكر الله تعالى

قال: [ومما يدل على أفضلية ذكر الله تعالى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا)] ومعنى ألا: ألو، وهذه يفرح بها المؤمنون؛ لأن ألو نقولها الآن بالتلفون، ولو سألتهم عن معنى ألو لقالوا: لا نفهم. وأحد الصالحين مات أيام الشيبية، قال: سألت عن معناها، فقالوا: ألو ليس لها معنى، بل هكذا خلقت، فقد وجدت مع التلفون فقط، كما قال سيويو: أي هكذا خلقت، فقلنا: سبق القرآن هذا، فألا في الجمل الاسمية معناها: أداة استفتاح وتنبيه، أي: استفتاح لكلامك، وتنبيه لمن تكلمه. فاعرفوا هذا.

فهيا نترك ألو، ونستبدلها بألا، ولا تقولوا: لا نستطيع، لأننا لسنا الذين صنعنا التلفون، وليس معنى ألو أهلاً ومرحباً، وإنما معنا ألا: أنت تسمع؟ أو أنت معي حتى ألقى إليك الكلام؟ وقد قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: [ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم؟] وكلمة ملك مبعوضة عندنا، فلا تقل لشخص: ملك، بل الله هو الملك الأعلى. ويصلح أن تقول: ملك وملك بدون الياء أيضاً [(وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق)] أي: الفضة [(وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما هو يا رسول الله؟] قال: (ذكر الله عز وجل)].

وإذا أردت أن تعرف ما بيناه فأتحدى الإنس والجن أن يأتوني بمؤمن أو مؤمنة يذكر الله بقلبه ولسانه ويرتكب معصية، وأتحدى الجن والإنس أن يعطوني مؤمناً أو يدلوني عليه يذكر الله: سبحان الله! لا إله إلا الله! بقلبه ولسانه وهو مع الله ويمد يده ليسرق الناس، أو يفتح عينيه لينظر بهما إلى ما حرم عليه وهو يذكر الله، فهذا لا يوجد، على شرط: أن يكون ذاكرةً لله بقلبه ولسانه، وهو مع الله، ففي هذه الحال لا يمكن أن يعصي الله.

ولو أقبل أهل القرية كلهم على ذكر الله، وأصبحوا يذكرون الله لانتهت المعاصي، واختفى وجودها، ولن يعصي الله أحد وهو يذكره، والرسول لم يكن بهلواً من بهاليل الناس عندما أعلنها في صراحة: (ألا أنبئكم بأفضل أعمالكم، وأرفعها) ... كما سمعتم، ثم يقول: (ذكر الله). فافهموا هذا.

وأنت لا تستطيع أن تسب أو تشتم مؤمناً وأنت تذكر الله بقلبك ولسانك، وجرب هذا، فإنك لا تستطيع، وإنما يقوى على أن يفسق ويفجر من نسي الله، ففي الحالة التي لا يكون فيها مع الله يفجر ويقول الباطل، والدليل عندنا: أن اثنين تخاصما وتضاربا والرسول يسمع، فغضب أحدهما أشد الغضب، فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم ولم يوجه الكلام

إليه، بل من آدابه صلى الله عليه وسلم الرفيعة أن قال لبعض أصحابه: (لو يقول كلمة لذهب غضبه، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب غضبه).

فلو ذكر الله لذهب غضبه.

فإذا غضبت أو احمرت عيناك قل: أستغفر الله، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. واليوم بمجرد ما يغضب أحدنا يقول: بالحرام، أو أنت طالق، ولا إله إلا الله! وهذا لأننا ما جلسنا في حجور الصالحين، فهم والله ما تربوا في حجور الصالحين، فلنتربى في حجور الصالحين، فقد سمعنا الله يقول: وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَرْكَبُهُمُ [البقرة: 129].

والذي لا يجد من يعلمه الكتاب والحكمة ويزكي نفسه ويظهرها لا يستطيع أن يعيش على الآداب والكمالات، بل كل يوم يحلف بالحرام والطلاق، والنساء يشتكين.

ولا إله إلا الله! وأعيد هذا الخبر النبوي الشريف، قال صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأفضل أعمالكم، وأزكاها عند مليكم).

ومليكناهو الله، وأزكاها أي: أكثرها وأطهرها.

(وأرفعها في درجاتكم، وخير من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟) فهناك ما هو أفضل من الجهاد (قالوا: وما هو يا رسول الله؟! قال: ذكر الله عز وجل). فالذكر أفضل من الجهاد.

والرسول حكيم.

فَعَلِمَ أَهْلَ قَرْيَةٍ أَن يَذْكُرُوا اللَّهَ طَوْلَ النَّهَارِ، وَأَن يَذْكُرُوهُ دَائِمًا، ثُمَّ انْظُرْ إِلَيْهِمْ، فَلَن تَجِدَ بَيْنَهُمْ فَجورًا وَلَا زِنًا، وَلَا سُرْقَةً وَلَا كَذِبًا، وَلَا خُدَاعًا وَلَا نِفَاقًا، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ شَغِلُوا، وَلَكِن إِذَا لَمْ يَكُونُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَإِنَّمَا يَذْكُرُونَ الشَّيْطَانَ وَالدُّنْيَا وَالشَّهَوَاتِ الْمَالِ، وَيَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَا يَنْفَعُ لَا بُولِيسَ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ.

فَالرَّسُولُ حَكِيمٌ.

دور أعداء الإسلام في صرف المسلمين عن الأوراد الشرعية إلى الأوراد البدعية

هذه الأوراد كلها حذفها أعداء الإسلام، وتركوا للمسلمين الورد التجاني .. الرفاعي .. القادري، وغير ذلك، وهو: أنهم يرددون: الله! الله! الله! الله! الله! الله! ومرة في فرنسا جماعة اجتمعوا يقولون: الله! الله! الله! ويضربون والبيت أرضه خشب، وصاح جيرانهم من النصارى: ما الذي حصل؟! ورسول الله لم يجئ بهذا، ولا جاء بذكرهم الآخر، أي: هو هو هو هو هو! وانظر ماذا فعل بنا أعداء الله ورسوله والمؤمنين، فقد حرموا المؤمنين من هذه الأذكار التي هي من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربطوهم بأذكار لم يرد عن الرسول منها شيء؛ حتى نتعب ونصرخ ونبكي، ولا يكون لنا حسنة واحدة.

والذي فعل بنا هذا الثالث، وهو ليس من الألمان، وإنما المجوس واليهود والنصارى.

وأنا أعجب من هذا، فهذه الأوراد المحمدية النورانية يخفونها عنا، ويجحدونها ويغفونها، ويعطوننا أوراداً لا تنفعنا شيئاً.

ولو يبقى الواحد طول الليل إلى الفجر يردد: هو هو هو هو لم تزكو نفسه، ولا تطهر ولا تطيب.

ولما تقول: الله! الله! الله! فإنت تناديه، فاسأله، فإذا قلت: الله! فإن الله يقول: اسأل يا عبدي! وأنت لا تسأل، بل تواصل قولك: الله! وهذا تحد لله.

وَأَنْتَ يَا إِسْمَاعِيلُ ! لَوْ قُلْتَ لَكَ : إِسْمَاعِيلُ ! إِسْمَاعِيلُ ! إِسْمَاعِيلُ ! إِسْمَاعِيلُ ! إِسْمَاعِيلُ ! إِسْمَاعِيلُ ! إِسْمَاعِيلُ ! فَإِنَّكَ لَا تَسْكُتُ ، بَلْ تَقُولُ : اسأَلْ ، فَإِذَا وَاصَلْتَ : إِسْمَاعِيلُ ! إِسْمَاعِيلُ ! وَلَمْ أَطْلُبْ شَيْئاً لَقُلْتَ : إِنَّنِي اسْتَهْزِئُ بِكَ .

ولا إله إلا الله! فاعرفوا ماذا فعل عدوكم بكم.

قَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ [المائدة: 35].

وقد حجب العدو المسلمين عن الوسيلة الحقّة التي تثمر عند الله، وتقضى بها الحاجات، وأعطوهم وسيلة واحدة، وهي أسألك بحق فلان، أو بجاه فلان.

وأما وسيلة الصيام والرباط والجهاد والصدقات وذكر الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والعكوف في بيوت الله فهذه الوسائل كلها لا نسمع بها، وإنما نسمع فقط بأعطني بحق فلان، وهذا كأنه يهدد ربي.

ولا يجوز أن تقول: أعطني بحق فلان؛ لأن معنى هذا بالعامية: إن لم تعطني من فضلك فأعطني بحق فلان عليك. والعياذ بالله.

وهذا كفر، فافهموا هذا، وهو أن: أسألك بحق فلان أي: أطلبك بحق فلان معناه: إن لم تعطني أنت من فضلك وإحسانك وجودك وكرمك فأعطني بحق فلان عليك.

وهذا لا يقوله مؤمن بالله، ولو أن شخصاً غنياً يريد منه مالاً وقلت له: اسمع! أعطني بحق فلان ولا تعطيني من فضلك أنت لم يرضه هذا الكلام، ولا يفرح به، بل يركلك برجليه على هذا الكلام، ولقال لك: ليس لأحد حق علي. فافهموا هذا.

وهذه الأذكار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم محجوبة مغطاة ومستورة، ولم يعطونا منها إلا: هو هو هو هو، والله! الله! الله! الله! الله! وقولك: الله! الله! الله! ثلاث مرات لا بأس به، لا أن تقول: الله! الله! الله! الله! طوال الليل وبالمئات وتسمي هذا ذكراً، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم المؤمنين الذكر، ولم يعلمهم هذا. ولكنهم حرمونا، وفعلوا بنا العجائب، فقد مزقونا وجهلونا، وفعلوا بنا ما فعلوا، وإلى الآن ما أفقتنا. فالمؤمنون لم يستفيقوا.

وقد انتشر الوعي بوسائل شاءها الله، منها: المذياع والصحيفة والمواصلات، وأصبح العالم كله بلداً واحداً، وأما بالجد والصدق وبالإقبال على الله فلم يحصل هذا، ولا توجد لهذا مظاهر، فليس هناك مظاهر للجد والصدق. وقد بكينا وصرخنا.

الحل للخروج مما أصابنا هو: أن يصدر أمر من وزير الداخلية: إذا مالت الشمس إلى الغروب لا يبق أحد في الشارع ولا في مقهى ولا في دكان، بل الكل في بيوت الرب، النساء والرجال والأطفال، فيتلقون ويتعلمون الكتاب والحكمة، وخلال سنة واحدة لا يبقى جاهل ولا جاهلة، وتختفي مظاهر الزنا والفجور والباطل والسحر والكذب والخداع وما إلى ذلك.

وإذا لم يسلك المسلمون هذا المسلك فلن يفقهوا دين الله، ولن يعرفوا الله، ولن يستقيموا، ولن يكملوا، ولن تنتهي فتنهم ومحنتهم حتى النهاية.

ولست واهماً في هذا، فافتح عينيك على العالم الإسلامي وانظر، فإذا غربلتهم وصفيتهم لم تجد ولا (1%) عالماً عارفاً بالله، أو مؤمناً مستقيماً على منهج الله، بل قد غطاهم الجهل وعمهم وغشاهم، ولم يعرفوا الطريق إلى الله، فهم يتخبطون، فتجد الواحد يقول: إنه مسلم، ولكنه لا يعرف معنى الإسلام، وهو لم يسلم لله شيئاً، فهو يكذب عندما يقول: إنه مسلم.

ومعنى أسلم يسلم إسلاماً: إذا أعطى الشيء وقدمه، فأسلم قلبك لله، بحيث لا يكون يتقلب هذا القلب إلا في طلب رضا الله.

الوسيلة عند المسلمين اليوم هي أن تقول: بحق سيدي فلان، أو بجاه سيدي فلان، وأما بصلاة آخر الليل، أو بالعكوف في بيوت الرب، أو بالصيام والصلاة، أو بالصدقات، أو بذكر الله فإنهم لا يعرفون هذه الوسيلة.

وإذا قلت: إن الوسيلة بجاه أو بحق فلان باطلة لا تنفع قالوا: هذا وهابي، يكره الأولياء.

وسبحان الله! والآن انتهت واختفت هذه الفتنة، وخفت بعض الشيء.

الأمر بتسبيح الله وبيان كفياته

قال: [وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الأحزاب:42].

البكرة: من طلوع الفجر إلى الضحى [هذه هي البكرة [والأصيل [يبتدئ [من الزوال] أي: من زوال الشمس عندما يدخل وقت الظهر [إلى غروب الشمس] هذا الأصيل.

[وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنواع التسبيح [فالرسول صلى الله عليه وسلم مسئول عن البيان، فقد قال تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ [النحل:44].

وقال هنا: وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الأحزاب:42].

وكيفية التسبيح وعدده بينه لنا رسولنا، وبين كميته.

قال: [منها] أي: من أنواع التسبيح [سبحان الله وبحمده مائة مرة] وسبحان الله العظيم، وقد قال فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم).

وهذا أغلى ورد، وصاحبه لا يظماً، ومن أعرض عنه وغفل، أو لم يبلغه ولم يردده فهو ظمآن وعطشان وحيران، وهذا الورد أحسن ما يكون بعد طلوع الفجر وقبل صلاة الصبح أو بعدها.

وإن زدت معه أستغفر الله كان الأجر مضاعفاً، فقل: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله.

وهذا الورد ذكر أهل العلم أن صاحبه لا يمسه فقر، فيفتقر الناس ولا يفتقر هو.

والحمد لله فقد عرفناه في الصبا، ولازمناه حتى الشيخوخة كل يوم مدى العمر.

فيا من تخافون من الفقر والاحتياج خذوا هذا الورد: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله.

وسبحان الله وبحمده أيضاً علمناه رسولنا صلى الله عليه وسلم [وأن من سبح هذا التسبيح] سبحان الله وبحمده [بهذا العدد] مائة مرة بعد طلوع الفجر أو غروب الشمس [غفر له ما تقدم من ذنبه] بل حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر، ومن قال مائة مرة: سبحان الله وبحمده في الصباح أو في المساء حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر في الكثرة، وهذا فقط إذا كان مؤمناً صادق الإيمان، وقلبه لا يلتفت إلا إلى الرحمن [إن قالها بعد الصبح أو بعد العصر فاز بهذا الأجر، وهو مغفرة ذنوبه، وأعظم به من أجر.

ومنها] أي: من الأذكار والتسابيح: [لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مائة مرة] وهذا من الأوراد، وبينكم من لم يبلغه هذا، وهذا الورد لا يتهاون ولا يتركه إلا محروم.

وهذا الورد هو أن تقول حينما تصبح أو تمسي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، هو على كل شيء قدير مائة مرة، فعدّها عدّاً بأصابعك أو بالنوى أو بالمسبحة أو بالآلة [وذكر صلى الله عليه وسلم أن من أتى بهذا الذكر (كان كمن أعتق عشر رقاب)] أي: كأنه أعتق عشر رقاب [(وكتبت له مائة حسنة، وحطت عنه مائة خطيئة، وظل يومه ذلك كله في حرز من الشيطان)] أي: في مناعة كاملة وضمانة، كأن إلى جنبك حرس، فلا يستطيع الشيطان أن يغويك حتى تفجر أو تكفر، أو تقول السوء والباطل.

والذين يتخبطون أمامكم في الذنوب والمعاصي يتخبطون لأنهم لا مناعة لهم، ولا حرس معهم، وليس عندهم مناعة ولا حصانة، فلا تعجب إذن من ارتكابهم الذنوب، وغشيانهم المعاصي.

قال: [(ولم يأت أحد بمثل ما أتى به من الأجر إلا من قال مثله وزاد)] أي: لا يأتي أحد في ذلك اليوم بمثل ما تأتي أنت به من الأجر إذا قلت هذا الذكر إلا من قال مثلك وزاد، أي: بدل من أن يسبح مائة يسبح مائتين، أو مائة وخمسين، أو مائة وثلاثين.

فلا نترك هذا ونحن قادرون على أن ننطق، ورده وأنت تسوق السيارة والطيارة، وأنت تسبح، أو والمسحاة في يدك تضرب الأرض يا فلاح! فقل: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

قال: [ومنها: التسبيح دبر الصلوات الخمس، نحو: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر ثلاثاً وثلاثين، فهذه تسعون تسبيحة، وختم المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير] فلا نترك هذا التسبيح، فنجلس خمس دقائق فقط بعد الفريضة ونأتي به وبغيره أيضاً، وكذلك تسبحة وأنت تمشي وإذا كنت مشغولاً في مهماتك، ولكن لا بد من العدل، فتقول ثلاثاً وثلاثين: سبحان الله، وثلاثاً وثلاثين الحمد لله، وثلاثاً وثلاثين الله أكبر، فيكون المجموع تسعة وتسعين تسبيحة، ثم اختتم المائة ب: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

وسبب هذا التشريع: أن وفداً من المهاجرين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: (يا رسول الله! ذهب أهل الدثور بالأجور).

والدثور: جمع دثرة، أي: المال ولو كان شعيراً أو تمرّاً أو دنائير ودراهم.

(يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويجاهدون كما نجاهد، ويتصدقون بفضول أموالهم ولا نتصدق)، أي: فكيف نصنع؟ وهؤلاء الرجل منهم يعدل من على الأرض من إخواننا اليوم، فهم من المبشرين بالجنة، ويهتمون هذا الاهتمام، ويكربون هذا الكرب، ويرفعون شكواهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول لهم: (هل أدلكم على

شيء؟ تسبحون الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتحمدون ثلاثاً وثلاثين، وتكبرون ثلاثاً وثلاثين، وتختمون المائة بـ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، فلم يأت أحد بمثل ما تأتون به).
وسمع بهم إخوانهم الأنصار، ففعلوا كما فعلوا، فقالوا: (يا رسول الله! سمعوا ما أعطيتنا ففعلوا.
قال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).
ولا أملك لكم سوى هذا.
الأمر بذكر الله تعالى ذكراً كثيراً

قال: [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا [الأحزاب: 41-44].

الشرح [والآن معاشر المؤمنين والمؤمنات! مع شرح هذه النداء الكريم؛ لنزداد علماً ومعرفة؛ ولنهيأ للعمل بما نادانا الله من أجله [اعلم أيها القارئ!] أي: لهذا النداء [أن هذا النداء الكريم من رب رحيم] والله [يوجه إلى المؤمنين الصادقين] وليس إلى المؤمنين الكاذبين، وهم المنافقون، الذين يقول أحدهم: هو مسلم مؤمن، وهو لا يؤمن ولا يسلم لله قلباً ولا وجهاً، وقد كان هذا في أيام النزول لهذا القرآن، فقد كان يوجد منافقون، وهذا النداء خاص بالمؤمنين الصادقين في إيمانهم [وجهه إليهم ربهم] وخالقهم ورازقهم وسيدهم ومالك أمرهم ومعبودهم الحق [ليعلمهم ما يزيد به إيمانهم ونورهم، ويحفظون به من عدوهم وعدو أبيهم إبليس عليه لعائن الله.

ألا إنه ذكر الله تعالى] فالذي يزيد في إيماننا وفي نورنا، والذي يحفظنا هو ذكر الله، إذ قال لهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا [الأحزاب: 41] أي: لا حد له ولا حصر [وقد سبق أن علمتم أن أهل العلم يقولون: أقل الكثرة ثلاثمائة فما فوق، ودون الثلاثمائة ليس كثرة، وأما الكثرة فلا يعلمها إلا الله، ولو ذكرته الليل والنهار لما أدت الذكر الكامل المطلوب، ولو علم الله أن للذكر حداً لقال مثلاً: اذكروا الله سبعمائة، ولكنه قال: ذكراً كثيراً] إذ هو الطاقة التي تساعد على الحياة الروحية [فذكر الله كالطاقة التي تدفع العربات وتطير الطائرات، فطاقة الإيمان عندنا تزيد فيها ذكر الله عز وجل، وذكر الله طاقة، صاحبه لا يفسد، ولا يخيب ولا يفتر.

فائدة دراسة نداءات الرحمن لأهل الإيمان

هذه النداءات التسعين قد احتوت واشتملت وتضمنت كل ما يحتاجه المؤمن في هذه الحياة، فقد جاءت في العقيدة وفي العبادات، وفي بيان الحلال والحرام، وفي الآداب وفي الأخلاق، وفي الحرب وفي السلم، وفي المعاهدات على اختلافها، وفي كل شيء تحتاجه أمة الإسلام.

وليس من اللائق ولا من الأدب ولا من المروءة ولا من الإيمان أن ينادينا سيدنا ومولانا وربنا ولا نصغي ونسمع ما ينادينا من أجله.

ولا يعقل أن يناديك مولاك وسيدك ومالك أمرك من أجل إسعادك وإكمالك وتطهيرك ورقيك ولا تصغي ولا تسمع، أو يناديك فيأمرك فلا تفعل، وينهاك فلا تترك، ويبشرك فلا تفرح، وينذرك فلا تخف.

ونحن قد أصبحنا أمواتاً غير أحياء ولا نشعر بذلك، فهم لم يعلمونا فيما مضى أن هناك نداءات لله يوجهها طول الحياة إلى عباده المؤمنين والمؤمنات.

والآن يسر الله لنا جمعها في كتاب، وأصبح في إمكان كل مؤمن أن يضع هذا الكتاب عند وسادته، وقبل أن ينام يسمع نداء من نداءات الرحمن، ثم يعزم على أن يطيع مولاة فيما أمر به، أو فيما نهاه عنه.

وهكذا، ولن يمضي زمن على المؤمنين والمؤمنات إلا وقد علموا وعرفوا، واستقاموا وكملوا، وأصبحوا أولياء لله، وتكون نتائج ذلك ألا يبق بين المؤمنين والمؤمنات ما يسوءهم أو يضرهم، أو يؤلمهم أو يقلقهم، بل ينتهي كل باطل، وينتهي كل شر، ويختفي كل فساد، فلا يبق نميمة ولا غيبة، ولا ظلم ولا شر، ولا اعتداء ولا غير ذلك؛ إذ لا سبيل إلى تطهير البشر إلا أن يمتثلوا أمر الله، ويسلكوا مسلك المؤمنين؛ فيكملوا ويسعدوا.

فلنقبل على الله.

وها نحن مع هذا النداء، فهيا نتغنى به ساعة، ثم نستمتع لنفهم مراد الله منه، والذي من أجله نادانا بعنوان الإيمان، فهيا نتغنى، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن).

من أحكام الطلاق التي قررها الإسلام أن من طلق امرأته التي عقد عليها عقداً شرعياً قبل أن يخلو بها ليس له أن يطالبها بعدة؛ لا بالأقراء ولا بالأشهر، ولهذه المرأة أن تتزوج بعد طلاقها مباشرة ولا حرج عليها، وبمقابل ذلك ليس لها على الزوج أي حقوق مالية إلا نصف ما سمي لها من المهر.
ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمريهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.
آمين.

سبق أن درسنا أمس النداء الواحد والستين، وها أنتم به على علم، وهذا النداء أيها الأذكىاء النبلاء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا [الأحزاب: 41-44].

وما دمننا بهذا الجفاء وعدم ذكر الماضي فنشير إلى هذا النداء؛ لما فيه من الفوائد العظمى، فقد ناداكم الله بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الأحزاب: 41]! أي: يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً وشرعاً، وبمحمد نبياً ورسولاً، ويا أيها الأحياء! إذ أنتم الأحياء وغيركم ميت، وقد علمنا أن المؤمن حي والكافر ميت.

وقد ناداكم ليأمركم بذكره فقد قال: اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا [الأحزاب: 41].
وذلك لأن الذكر يزيد في طاقة إيمانكم، ولأن الذكر يكون عصمة لكم وحفظاً من أن تتلوثوا وتتلطخوا بأوزار الذنوب والآثام.

وقد علمنا أن الذي يذكر الله بقلبه ولسانه معاً هو في عصمة إلهية، فهو لا يستطيع أن يخرج عن طاعة الله، ولا أن بترك واجباً، ولا بفعل حراماً ما دام مع الله؛ لأن الذاكر بقلبه ولسانه مع الله، والذي هو مع الله لا يجرو على أن يعصيه، وقد قال تعالى: (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه).

فمن أراد ألا يفجر وألا يسرق ألا يكذب وألا يغش وألا يخدع فعليه بذكر الله بقلبه ولسانه.
وقد قلت لكم مئات المرات: نتحدى من يقول: إني أذكر الله بقلبي ولساني ثم في تلك الحال أعصيه، حتى ولو بنظرة متعمدة إلى محرم من محارم الناس، فضلاً أن يمد يده ليقول أو يضرب، أو يسرق وينهب.

فالحصن الحصين هو ذكر الله، ولما غفلنا عن ذكر الله هبطنا، واستولت علينا الأهواء والدنيا والشياطين، وأصبحنا كما يعلم ربنا بحالنا.

اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا [الأحزاب: 41].

وأقل ما تقولونه في هذا العدد: إنه ثلاثمائة مرة، فأقل الكثرة ثلاثمائة، والحقيقة كما علمتم أن نذكر الله الليل والنهار، إلا إذا دخلنا الحش والمراحيض فإننا نمتنع من ذكر الله؛ لأنه ممنوع أو يمنع في تلك الحال.

وقبل أن ننام نذكر الله وبعد أن نستيقظ على الفور نذكر، ثم لا نزال في ذكر الله حتى نعود إلى فرشنا، كالملائكة، فالملائكة يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ [الأنبياء: 20].

ولا تنتظر إلى أهل الغفلة الذين يجلسون المجالس ولا يذكرون فيها الله، فهي ترة عليهم وحسرة إلى يوم القيامة، بل جالس الصالحين واذكر الله، ولا تنسى الله عز وجل، ف (خيركم من إذا رئي ذكر الله).

فخيرنا عبد لا نراه حتى نذكر الله عز وجل.

وهذا عيسى ابن مريم ابن البتول صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم يقول للحواريين: اذكروا الله، ولا تتركوا ذكر الله فتفسد قلوبكم، وإن أبعد الناس عن الله ذو قساوة القلب.

ثم قال تعالى: وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الأحزاب: 42].

وقد عرفتم أننا نسبح الله في الصباح والمساء بوردين هما أحلى من العسل، وأعذب من ماء الفرات، الورد الأول: سبحان الله وبحمده مائة مرة، والورد الثاني: سبحان الله وبحمده.

وهما أحلى من الحلوى والعسل في الصباح والمساء.

وقوله: وَسَبِّحُوهُ [الأحزاب: 42] أي: قدسوه ونزهوه بكلمة سبحان الله بكرة وأصيلًا.

والبكرة تبتدئ من طلوع الفجر، وتنتهي إلى الضحى، والأصيل: من زوال الشمس إلى غروب الشمس.

وقد ورد الورد العظيم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مائة مرة، والجزء على هذا كأنما عتقت عشر رقاب، فلك عدل عشر رقاب، والرقبة قد تكون بمئة ألف ريال اليوم.

وليس هذا فقط، بل ويرفع لك مائة درجة، ويحط عنك مائة خطيئة، وتظل طول يومك في حرز من الشيطان، فلا يقوى على أن يذ لك، أو يثقلك بالذنوب والآثام، ولا يأتي أحد بمثل ما تأتي به من الأجر إلا من قال مثلك وزاد.

فلا تترك هذا الورد، وقد قلنا لكم: على سائق السيارة أن يقوله، وعلى صاحب المسحاة في البستان وهو يضرب أن يقوله، ولا يتركه أحد إلا من استولى الشيطان على قلبه.

وهناك جوائز أخرى عظيمة، وهي صلاة الله تعالى علينا وملائكته، أي: رب العالمين ورب السماوات والأرضين ورب كل شيء ومليكه هو الذي يصلي عليك أنت يا عبد الله! وأنت لو يموت أخوك لا تصلي عليه! والله يصلي علينا، وتصلي علينا ملائكته أيضاً.

وكل هذا الشأن والقيمة لأننا آمنة به تعالى رباً وإلهاً، وأخلصنا له القلوب والوجوه، وأننا عرفناه ولم نعرف سواه، فآكرمنا بهذه الكرامة، وهي أنه يصلي علينا، وملائكته يصلون علينا.

والله لا يصلي علينا بصلاة فيها ركوع وسجود، وإنما يثنى علينا بخير في الملكوت الأعلى، ويرحمنا.

وما نحن الآن نذكر في الملكوت الأعلى، والحمد لله! فقد قال أبو القاسم فداه أبي وأمي والعالم أجمع: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم) كحالنا (إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة) المقربين (وذكرهم الله فيمن عنده).

والحمد لله! والمسلمون لم يعرفوا هذا، ولذلك فهم لا يجتمعون في بيوت ربهم يتلون كتاب مولا هم، ويتدارسونه بينهم؛ ليكملوا ويسعدوا، وليسعوا ويرتفعوا، وإنما يجتمعون في المقاهي والملاهي، ومجالس الباطل على الطابع العام في عالمنا الإسلامي.

والذي طردنا من بيوت الله وحرمنا منها هو العدو إبليس.

وإذا أردتم كلمة صدق - وهي مكررة -: لن نعود إلى ما كان عليه أهل القرون الذهبية الثلاثة إلا إذا عدنا إلى بيوت الرب بنسائنا وأطفالنا، فنلتقى من صلاة المغرب إلى العشاء الكتاب والحكمة ونزكي أنفسنا، ولا يكلفنا هذا ديناراً ولا درهماً.

واليهود والنصارى والمجوس والمشركون إذ غابت الشمس ودقت الساعة الثالثة أوقفوا دولا ب العمل، وأوقفوا المصانع والمتاجر، وأوقفوا كل شيء، وذهبوا إلى الشيطان، وإلى دور الغناء والمقاهي والفجور والمراقص، ونحن ضائعون، لا نعرف إلى أين نذهب، فيجب أن نذهب إلى بيوت ربنا، وليس في هذا عيب ولا انتقاص، فإذهب يا عبد الله! إلى بيت ربك، ومعك زوجتك وأولادك، تستمطر رحماته، وتطلب أطفاه وإحسانه في بيته، ولن يقول أحد: هذا باطل ومنكر، ثم نتعلم الكتاب والحكمة، ولا نلبث إلا قليلاً حتى نكون علماء ربانيين، لو رفعنا أيدينا إلى الله ما ردها أبداً صفرًا وخائبة، ولكن: واحر قلباه من قلبه شبم وهكذا ضعنا من حيث لا ندري.

وصلاة الملائكة علينا: أنهم يستغفرون لنا.

وهذه صلاة الملائكة علينا.

خلاصة هذا النداء وقد انتهينا إليها: [أولاً: وجوب ذكر الله تعالى بالقلب واللسان ليلاً ونهاراً وفي كل الأوقات، إلا في حال دخول المرحاض لقضاء الحاجة] وأنا لا أوجب عليكم ما لم يوجبه الله، وإنما قلت بوجوب هذا لأن الله قال في ندائه من سورة الأحزاب المدنية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الأحزاب: 41].

فلنقل: لبيك اللهم لبيك! مر تُطع، وانه ننته، ومر نفعل، اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الأحزاب: 41-42].

فهذا أمر، فهو واجب.

واسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر كمثل الحي والميت). والله العظيم.

والميت لا يذكر، وإنما الحي هو الذي يذكر.

ولا ننسى الحديث الذي درسناه في هذا النداء، وهو: (هل أدلكم على أفضل أعمالكم، وأزكاها عند مليكم، وخير لكم من أن تنفقوا الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: دلنا يا رسول الله! قال: ذكر الله).

والرسول حكيم، فهو يحول طاقاتنا كلها إلى ذكر الله، والله لو ذكرنا الله لما عصيناه، ولما بقي واجب متروكاً، ولا محرم مغشياً ولا مرتكباً، ولا ستقامت بالحياة بكاملها.

[ثانياً: بيان فضل المؤمنين المتقين] أهل الإيمان والتقوى؛ وذلك [إذ الرحمن] جل جلاله [يصلي عليهم وملائكته كذلك] يصلون عليهم.

[ثالثاً: التذكير بالبعث الآخر، وهو معتقد أهل الإيمان؛ إذ قال تعالى: تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ [الأحزاب: 44]] وقد عرفنا أن ملك الموت - وعما قريب سنشاهد ذلك- إذا دخل علينا ونحن على سرير الموت يبدؤنا بقوله: السلام عليكم، والله العظيم، ثم لما يأخذ الروح يسلم عليها، ثم يعرج بها، ثم تنتهي إلى العرش، وتحيي ربها بتلك التحية التي نحيا بها ولا نفهم معناها، وعندما نسلم من الصلاة نقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، مع أننا لم نكن في معصية حتى نستغفر الله، بل كنا في عبادة، ولكننا لم نحسن الوقوف بين يدي الله، ولم نتأدب مع الله، فقد كان من حقنا أن ترتد فرائضنا، وأن تسيل دموعنا، وأن ننسى كل شيء ونحن بين يدي ذي الجلال والإكرام.

وليتخيل أحدنا وقفته لو وقف بين يدي بوليس، فهو لا يقف هكذا بين يدي رب العالمين، بل يتركه ينظر إليه ويذهب إلى القدر ينظر ماذا طبخوا به، وينظر إلى أبطل الأشياء، وهذا الحال لا يليق بنا. ولهذا بمجرد أن تسلم تقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله.

فتبينوا هذا.

وقد كان الحبيب صلى الله عليه وسلم إذا انفصل من صلاته قال: السلام عليكم، ثم أول ما يقول: (أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله)؛ لأنه يخشى أن لا يكون تأدب مع الله، و(الله عز وجل ينصب وجهه لعبده في الصلاة).

ثم نقول بعد الاستغفار: (اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام!).

وهذه التحية -أي: السلام عليكم- نحيا بها ربنا عندما تعرج روحنا إلى الملكوت الأعلى، وقد قصص عليكم القصة هذه: ذكر شيخ الإسلام ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى عن شيخه ابن تيمية رحمة الله عليه، يقول: كانت لي خالة -أخت أم- ومرضت فذهبت لأزورها، فسلمت عليها ودعوت الله لها، وهممت أن أقوم، فقالت لي: يا شيخ! أنا مقبلة على ربي، فإذا وقفت بين يديه فماذا أقول؟ قال: فارتج علي، ولم أعرف ما أقول، قال: ثم ألهمني ربي، فقلت لها: إذا وقفت بين يديه فقول: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام! قال: وخرجت وبلغني أنها توفيت، وماتت رحمة الله عليها، ورأيتها في المنام فقالت لي: يا شيخ! جزاك الله عني خيراً، لقد وقفت بين يدي ربي وارتج علي ولم أعرف ما أقول، فذكرت ما قلت لي، فقلت: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام! قال: [ولقاء الله يكون يوم القيامة لقاء كاملاً تاماً].

ولنذكر قوله تعالى: سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ [يس: 58].

وهذا حتى لا يبقى شك لأن تقول: السلام بمعنى: الأمان، أو بمعنى: الإنعام والرحمة، بل هو قولاً، فيزيل الحجاب عن وجهه، ويريه وجهه الكريم، ويسلم عليهم.

وهذه اشتراها بجسمك وروحك وكل ما تملك، ولو فتح الله باب الجهاد، وقام إمام المسلمين يدعو فليتمني أحدنا أن يموت كل يوم ويعود، وليس هناك أفضل من هذا، فالرحمن جل جلاله يزيل الحجاب عن وجهه، وينظر إليهم فتغمرهم غمرة من الفرح لم يعرفوا طعماً أذ منها ولا أطيب، ويسلم عليهم: سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ [يس: 58].

[رابعاً: بشرى المؤمنين المتقين بالجنة؛ إذ قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ [فصلت:30]] عند الاحتضار عند الموت، قائلين لهم: [أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ [فصلت:30]] والحمد لله [اللهم اجعلنا من أهل الإيمان والتقوى والبشرى في الدنيا والآخرة. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

سقوط العدة على المطلقة قبل المسيس ووجوب المتعة لها إن لم يسم لها مهراً

الآن هذا هو [النداء الثاني والستون] من النداءات البالغة تسعين نداء. ووالله لو أن أهل بيت أو أهل قرية أو أن مؤمناً يحفظ هذه النداءات على ظهر قلب، ويفهم معانيها وما تدعو إليه وتهدي إليه، ويطبقها لأصبح أعلم أهل الأرض، وأكملهم وأظهرهم وأتقاهم، وتحققت فيه ولاية الله، ولكن إبليس وجنوده لا يسمحون لنا بهذا إلا إذا جاهدناهم بهذا الإيمان، وانتصرنا عليهم، وأصبحنا لا سلطان لهم علينا. وهذا النداء مضمونه هو [في سقوط العدة على المطلقة قبل المسيس، ووجوب [منح] المتعة لها إن لم يسم لها مهراً].

وهذه النداءات جاءت في العقيدة وفي الآداب، وفي الأخلاق وفي الحلال وفي الحرام، وفي السياسة وفي الحرب وفي السلم، وفي كل شيء في الحياة، ولا إله إلا الله! فهي لم يخرج منها شيء نفتقر إليه في حياتنا لنكمل ونسعد إلا احتوت عليه نداءات الرحمن.

والذين ناداهم (99%) منهم لم يريدوا أن يسمعوا نداءه، ولا أصغوا بأذانهم، ولا قالوا: لقد نادانا فلنستمع إليه أبداً! وما زلت أقول: المفروض أن توضع هذه النداءات على تحت أو جنب كل سرير في الفنادق. وأما المسئولون والعلماء والفقهاء والبصراء فينبغي أن يكون كل واحد منهم هذا النداء إلى جنبه، ولا ينام حتى يسمع نداء ربه.

وهيا نتغنى بهذا النداء أولاً.

[الآية (49) من سورة الأحزاب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا [الأحزاب:49]] والذين لم يحفظوا هذا النداء ولم يفهموا معناه لا يستطيعون أن يفعلوا هذه التعاليم؛ لأنهم ما عرفوها حتى يفعلونها.

[الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم!] وهذا القارئ الكريم هو المؤمن بالله وبقائه، وبمحمد ونبوته، والآخرة وما فيها، وهو الذي يقبل على نداءات ربه ويقرأها أو تقرأ عليه، وإذا كان لا يحسن القراءة يقول لأخيه المؤمن: من فضلك أسمعني نداء من نداءات ربي ومولاي؛ من أجل أن أعرفه وأقوم بعبادته وطاعته؛ ليعزني ويكرمني. فعلى هذا القارئ الكريم أن يعلم [أن هذا النداء الإلهي وجه للمؤمنين لإيمانهم بالله تعالى رباً وإلهاً] أي: معبوداً [وبالإسلام ديناً، لا يقبل الله ديناً غيره، ديناً ذا شرائع وأحكام رحيمة عادلة، وبمحمد نبياً لا نبي بعده، ورسولاً إلى الناس كافة، هؤلاء المؤمنون الذين ناداهم الله تبارك وتعالى] ناداهم [ليعلمهم حكماً من أحكام شرعه] والليلة نتعلم حكماً من أحكام الشرع الإلهي؛ إذ لله شريعة وشرائع، وهي: مجموعة من الأحكام. والليلة نتعلم حكماً من شرائعه.

فقد نادانا ربنا ليعلمنا حكماً من أحكام شرعه، وأحكامه عادلة رحيمة، لا ظلم فيها ولا جور، ولا عذاب ولا تعذيب.

الأحكام التي تضمنها هذا النداء

قال: [هذا وإليك خلاصة هذه الأحكام التي تضمنها هذا النداء الإلهي العظيم: أولاً: مشروعية الطلاق قبل البناء وجوازه بلا حرج.

ثانياً: ليس على المطلقة قبل البناء عدة أبداً؛ إذ لها أن تتزوج يوم طلاقها ولا حرج.

ثالثاً: المطلقة قبل البناء وإن سمي لها صداق فلها نصفه، وإن لم يُسم فلها المتعة واجبة بحسب حال المطلق يساراً وإعساراً، وإن تشاحنا فالقاضي يقدرها.

رابعاً: حرمة أذية المطلقة بأي أذى، ووجوب تخلية سبيلها تذهب حيث شاءت.

خامساً: مشروعية المتعة لكل مطلقة، إلا أنها تجب للتي لم يُسم لها صداق سادساً: العدة للتي تحيض ثلاثة قروء، أي: حيض أو أطهار، ولا يشرع الطلاق إلا في طهر قبل أن يجامعها فيه، والتي لا تحيض لكبر سنها أو صغره عدتها ثلاثة أشهر لا غير، والحامل عدتها ولادتها، فمتى ولدت انتهت عدتها، والمتوفي عنها زوجها أربعة أشهر وعشرأ، وإن كانت حبلى فتعتد بأطول الأجلين الحمل أو الأشهر؛ إذ هذا خير لها ولأهل زوجها الميت، والإحسان محمود منا أيها المؤمنون! والله يحب المحسنين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [.
معنى السراح الجميل

قال: [وقوله تعالى: وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا [الأحزاب:49]، أي: اتركوهن يذهبن إلى ذويهن من أبا وأقارب من غير إضرار بهن ولا أذى تلحقونه بهن] ولا أحد اليوم يعرف هذا السراح الجميل، بل إذا طلقها يلعنها ويقبحها، بأنها منتنة، وبأنها فاسدة وغير ذلك، ويشوه الدنيا بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله! [ومن سرح مطلقتها سراحاً غير جميل بأن سبها أو عيرها أو ذكر عيباً فيها أو ليس فيها، أو منعها حقها في المهر إن سمى لها، أو مانعها بشيء نافع ذي قيمة؛ فإنه قد عصى الله عز وجل، وتجب عليه التوبة فوراً؛ لأنه خالف أمر الله عز وجل وهو مؤمن]. مقدار المتعة وحكمها

قال: [وقوله تعالى: فَمَتَّعُوهُنَّ [الأحزاب:49].

والمتعة: إعطاء المطلقة شيئاً من المال بحسب قدرة الرجل، إذا كان ذا يسار فبحسب يساره، وإن كان ذا إعسار فبحسب إعساره، والقاضي هو الذي يقدر ذلك] ويحكم بذلك [إذا رفعت القضية إليه] والآن بلغنا أن القاضي يسأل عن الراتب، فلو قال الزوج: أنا فراش، راتبي ألف وخمسمائة، أو ألفين ريال فيقول له مثلاً: ادفع مائتين ريال في الشهر، وإذا قال: أنا أستاذ، وأحصل على راتب ثمانية آلاف فيجعل بحسب راتبه، وهذا الآن أيام الرواتب، وإلا مضى زمان ما فيه راتب ولا راتبة، يسأل عن عمله تجارته عن ماله.

قال: [وهذه المتعة واجبة] وحتمية [لمن لم يُسم لها مهر] ولم يذكر المهر عند العقد، فلو قال: أنكحني ابنتك أو أختك يا فلان! فقال: لقد أنكحتك، فقال: قبلت ورضيت، ولم يسموا المهر ثم طلقها قبل الدخول، فليس لها مهر، وليس من حقها المطالبة به، بل يمتعها ويعطيها جارية، أو يعطيها فرساً، أو يعطيها منزلاً تسكنه بحسب حاله، وأما التي سمى لها المهر، وقال مثلاً: أنكحتك إياها على عشرة آلاف فلها النصف، خمسة آلاف فقط.

والعشرة الآلاف كثير، وأخشى أن الناس يأخذون الآن هذا الكلام، وخمسة آلاف فقط كافية، وهم الآن يتزوجون بخمسين ألف، وبثمانين ألف، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبعضهم بمائة ألف، وسوف يذوقون مرارة هذا النكاح. وبشروهم بهذا.

قال: [إذ لو سُمي لها مهر لكان لها؛ لقول الله تعالى في سورة البقرة: وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ [البقرة:237]، أي: يتنازلن عما وجب لهن، وهو نصف المهر.] أو يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ [البقرة:237].

فيترك لها المهر كاملاً، فله ذلك] فإذا سمى لها مهرأ فلها نصف المهر، والمتعة حينئذ مستحبة كسائر المطلقات. فأياها مؤمن يطلق امرأة إلا ويسن في حقه أن يمتعها، فيعطيها لباساً، أو يعطيها خاتماً، أو يعطيها غير ذلك؛ تفرح به؛ لأنها تطلقت، وهي حزينة، فلا يكرها ويحزنها ولا يعطيها شيئاً.

وأما التي طلقها قبل المسيس ولم يسم لها مهرأ فيجب أن يمتعها، والدليل على أنه يجب نداؤنا الليلة، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ [الأحزاب:49].

وهذا أمر.

حكم العدة على غير المدخول بها

قال: [وقوله تعالى: فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا [الأحزاب:49] أي: ليس على الرجل المطلق أن يطالب المرأة التي طلقها قبل البناء بها بعدة، ولو يوماً أو شهراً] لأنه لا عدة عليها، فلا يقول: لا بد وأن تعتدي؛ فلعلني أندم ثم

أخطبك مرة ثانية؛ إذ لا حق له في ذلك؛ وذلك لما [تقدم من أن علة العدة هي الحمل، والتي لم يبين بها قطعاً لا حمل يظن بها، فلها أن تتزوج يوم طلاقها ولا حرج عليها].
كيفية هجر القرآن

لا إله إلا الله! فنحن نهجر هذا الكتاب، والله إن رسول الله ليشكونا يوم القيامة، ويقول: يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا [الفرقان:30].

ولا تقولوا: إننا لم نهجره، لأنني أقول: إننا لا نقرؤه إلا على الموتى، وكلما يموت ميت نقرأ عليه القرآن، وأما الأحياء فلا يقرأ عليهم؛ حتى لا تتغير طباعهم، ويصبحون يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتنزهون عن أوساخ الدنيا وقاذوراتها، فلا يقرأ إلا على الموتى فقط من أندونيسيا إلى موريتانيا.

ولن يرد علي أحد في هذا؛ لأنني أقول: يا أيها السامعون! لم يجيئ مؤمن إلى أحد منكم وقال: يا سيد! من فضلك أسمعني شيئاً من كلام ربي، وأنتم الآن مائة نفس .. ألف، ومع ذلك لم يجيئ مؤمن إلى أحدكم وقال له: يا سيد! من فضلك أسمعني شيئاً من كلام ربي، وهذا لم يقع. وهذا هو الهجران للقرآن.

سبب العدة

قال: [ثم طلقها قبل أن يخلو بها ويجامعها، فإنه ليس له أن يطالبها بعدة، لا بالأقراء ولا بالشهور؛ لأن علة العدة الواجبة: الحمل، أي: كي تعرف المطلقة هل هي حامل أم لا؟] لأنها قد تتزوج وتذهب بهذا المولود إلى فحل آخر، وتختلط الأنساب، وتحفر الحياة بالمرّة.

قال: [ويعني بنكحتم: عقدتم؛ إذ يطلق لفظ النكاح على العقد وعلى الوطء، وغالباً يطلق في القرآن على الوطء والعقد، إلا في هذه الآية فإنه أطلق على العقد فقط] فقلوه: إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمَنَاتِ [الأحزاب:49] معناه والله: إذا عقدتم، ولا يحتمل إلا العقد هنا [لقلوه تعالى: مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ [الأحزاب:49]] أي: تجامعوهن أو تخلون بهن. حكم من ادعى عدم الجماع إذا طلق من عقد عليها بعد خلوته بها

نذكر الخلوة والجماع هنا لأننا إذا أغلقنا الباب عليكما وأرخينا الستائر ثم قلت: أنا ما مسستها لم نصدقك. فاعرفوا هذا.

فإذا أن نقول: الخلوة، أو نقول: الجماع؛ لأنه إذا خلا بها وأرخيت الستائر أو أغلق الباب عليهما ثم ادعى وقال: أنا لم أمسسها فلا يصدق القاضي، وليس هناك حاجة إلى تحليفه، بل إذا أغلق الباب عليكما فالحكم هو هذا.

فمرة نقول: الخلوة، ومرة نقول: الجماع؛ لأن الجماع أمر مفروغ منه، فإذا وطئها انتهى الأمر، والخلوة إذا خلا بها في غرفة أو في بيت أو في غير ذلك وأسدت الستائر وأغلق الباب فهنا يقال: عليها العدة، فيجب أن تعتد، وهنا تلزم كل التكاليف، وتأخذ المهر بكامله؛ لأنه خلا بها وإن لم يجامعها؛ لأننا لا ندري.

بل ما دام قد خلا بها في مكان لا تراه فيه عين فهذا كالنكاح والجماع، وإذا قال: والله ما مسستها، أو قالت هي: والله ما قرب مني فإننا لا نقبل هذا القول، وتجري الأحكام عليهما، وكأنه جامعها.

والمحنة الآن أنه يعقد عليها ويمشي يتجول معها، ويسمون هذا شهر العسل، وهو شهر القطران، فإذا عقد عليها وقبل أن يبني بها يمشي معها إلى أوروبا، ويتجول معها شهراً وبعد أحيان يمكر بها ويطلقها، ويلطمها على وجهها أيضاً؛ لأنه ملها، وهذا لا يليق بأهل الإيمان، ولا بالأحياء، وإنما هذا يليق بالأموات.

عدة الكتابية ومقدار صداقها ومتعتها

قال: [ولفظ المؤمنات خرج مخرج الغالب، وإلا فالكتابية إذا نكحها المؤمن فحكمها حكم المؤمنة] أيضاً [في العدة والصداق والمتعة على حد سواء] والآية تقول: إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمَنَاتِ [الأحزاب:49].

فإذا نكحت أنت يهودية أو نصرانية وعقدت عليها فحكمها حكم المؤمنة في هذا الباب، فإذا أنت طلقتها قبل المسيس فلا عدة عليها، ولا مهر لها إلا المتعة، وليس هناك فرق في هذه القضية بالذات بين المؤمنة والكتابية، فقلوه: إذا

نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ [الأحزاب:49] خرج مخرج الغالب؛ لأن الغالب أن نتزوج المؤمنات، لكن لو تزوج كتابية وطلقها قبل المسيس فليس عليها عدة، وإنما لها متعة، والمتعة لها واجبة.
ألفاظ الطلاق

قال: [وقوله تعالى: ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ [الأحزاب:49] أي: من قبل أن تجامعهن. ولفظ الطلاق هو قول الرجل لزوجته: أنت طالق، أو لقد طلقتك، أو الحقي بأهلك وهو ناو الطلاق جازم به عازم عليه] وهذه هي ألفاظ الطلاق، وأما أن يقول: أنت طالق بالثلاث فهذا حرام وكذب، وكذلك إن قال: أنت طالق تسعين مرة فكل هذا باطل، فليس عندنا الطلاق إلا بأنت طالق، أو لقد طلقتك، أو اذهبي إلى أهلك وأنت ناو طلاقها، وأما الطلاق المنكر البدعي هذا الشائع بين الناس وأقل شيء منه قوله: أنت طالق بالثلاث، فهذا لعب بدين الله، والرسول صلى الله عليه وسلم غضب لهذه، ولكن لا أحد علمنا، بل الواحد يتزوج الشابة وهو ما جلس مجلس كهذا أبداً، بل هو مولع بالكرة إلى البلوت، وبهذا لن يتعلم، ولم يعلمه أحد قال: [وهذا يقال له: طلاق الكناية فيحتاج إلى النية] فكلمة الحقي بأهلك لا بد له من نية [أما الأول وهو الصريح: أنت طالق وطلقتك لا يحتاج إلى نية] أبداً [إذ لو قال: أنت طالق وهو لا يريد الطلاق] ولا ناوياً الطلاق لم يقبل منه، بل إنها قد [طلقت، حتى لو قال: أنا هازل طلقت] وكذلك لو قال: لقد طلقتك وهو يضحك [لحديث: (ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: الطلاق والعقاق والرجعة) (والنكاح) أيضاً، فلو قال لعبده: أنت حر، ثم قال: لا تصدق أنا أضحك الناس فقط وأمزح، أو لو قال لزوجته: لقد راجعتك، فارجعي إلى البيت، ثم قال: أنا أضحك معها فقط لم يقبل منه، بل يعتق العبد، وترجع المرأة، وكذلك لو قال: أنت طالق، أو لو قال: لقد قبلت نكاحها، ثم قال: كنت ألعب فقط، وأنا لا أريدها، فهي امرأته. حكم من طلق امرأته قبل الدخول بها

قال: [وهو] أي: وهذا الحكم يا أيها النساء المؤمنات! ويا أيها الفحول! هو: [أن من طلق امرأته التي عقد عليها عقداً شرعياً ثم طلقها قبل أن يخلو بها ويجامعها].
ولا تقل: أنه مملك عليها، فهي ليست أمة، والله ما قال: ملكها، بل قال: عقد.
فإذا عقد عليها عقداً شرعياً ثم طلقها قبل أن يخلو بها ويجامعها، وهي ما زالت في بيت أهلها، وطلقها لأنه خاف أن يعصي الله عز وجل، ووجد نفسه غير قادر على كفايتها وحمايتها، ولا قدرة له عليها، فخاف من الله وطلقها، أو علم أنها لا تساعد على طاعة ربه، بل تقف في وجهه وتعرضه للفتن والمصائب، فطلقها لأن هذا أفضل من أن يتورط معها، لا أنه طلقها ليعبت بدين الله، كأن يتزوج اليوم ويطلق غداً، فهذا لا يكون بين المؤمنين، ولا يخطر ببالك أن مؤمناً يذكر الله ويعرف الله يلعب بالناس ويتاجر بهم، بل إنه لا يطلقها إلا من أجل أن يرفع الضرر عن نفسه أو عنها هي [فإنه ليس له أن يطالبها بعدة لا بالأقراء ولا بالشهور] والعدة تكون بالإقراء جمع قرء، وهي ثلاث حيض أو أطهار، وتكون بالشهور إذا كانت المطلقة عجوزاً -كأمي- لا تلد ولا تحيض، فهذه تعتد بالشهور، وكذلك إذا كانت فتاة صغيرة - مثل بنت التاسعة أو العاشرة- ولا تحيض.

وقد علمنا فيما سبق، أن الحيض يكون علامة في البلوغ من نداء سورة النور.
فهذه التي لا تحيض ولا تحبل عدتها بالشهور فقط، والتي تحيض عدتها بالحيض بالإقراء، أو الأقراء، وهو جمع قرء، وسواء قلنا: هو الطهر أو الحيض فكله صالح، ففي ثلاثة قروء تنتهي العدة.
وأما المطلقة قبل المسيس فلا حق لزوجها الذي طلقها أن تعتد منه، بل إذا طلقها اليوم فلها أن تتزوج غداً، ولا حرج [لأن علة العدة الواجبة] وحكمتها [هي الحمل، أي: كي تعرف المطلقة هل هي حامل] وحبل [أم لا؟] لأنها قد تتزوج وتذهب بهذا المولود إلى فحل آخر، وتختلط الأنساب، وهذا لا يكون إلا مع الجماع والغشيان [أما التي لم يمسه زوجها فإنها قطعاً لا حمل لها أبداً] أي: فإذا لم يغشها فإنها لا تحمل.

فلهذا إذا طلق الفحل امرأته قبل الجماع وقبل الدخول فلا عدة عليها، والذي قال هذا سيدها ومولاها [فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ [الأحزاب:49]] ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ [الأحزاب:49].

وهو لا يعني: مسها بيده، بل هذه عبارة سامية راقية، فهذا كتاب الآداب والأخلاق، وهذا نور الله ورحمته، وذلك حتى تستطيع البكر في خدرها أن تقرأ القرآن أمام أمها ولا تخجل ولا تستحي؛ إذ ليس فيه عبارات تنثير هذا أبداً.

فقله: مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ [الأحزاب:49] ليس المقصود باليد، وإنما المعنى: من قبل أن تجامعوهن، وعبر بالمس من باب أن الفتاة الحية تقرأ القرآن أمام أبيها ولا تستحي.

أمر الله عباده المؤمنين بالتزام الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومن مظاهر التأدب معه صلى الله عليه وسلم عند دخول بيوته عدم تقليب النظر فيها، والانصراف مباشرة بعد الانتهاء من الطعام، وإذا أراد أحدهم شيئاً من بعض أزواج النبي فعليه أن يسألها من وراء حجاب، فالحرص على عدم أذية النبي بأي نوع من الأذى هو سيما المؤمنين، وما سوى ذلك فهو سيما المنافقين.
ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمريتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم، آمين.

قبل الشروع في النداء الثاني والستين أذكركم بالنداء الواحد والستين، وهو النداء الذي استمعنا إليه أمس، وهذا النداء هو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا [الأحزاب: 49].

ومضمون هذا النداء والذي نادانا من أجله هو: أنه نادانا ليعلمنا أن المطلقة إذا طلقت قبل الخلوة والجماع وقبل المسيس لا عدة عليها، فمن عقد على امرأة وطلقها قبل أن يخلو بها فلها أن تتزوج يوم طلاقها؛ لأنها لا عدة عليها واجبة ولا مستحبة.

وقد فهمنا هذا من قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا [الأحزاب: 49].

والمطلقة التي بنى عليها الفحل وخلا بها عليها عدة والله.

الحث على سؤال أهل العلم

لو فهم فقط الشخص عن الله قوله: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل: 43] وأ، أ، أ، أن، أن شعر العبد أنه فاسق إذا لم يسأل أهل العلم إذا كان لا يعلم، وأنه عاص الله بهذا لتعلم، فقوله: اسألوا فعل أمر، أي: واجب عليه أن يسأل، فكل من لا يعلم كيف يتزوج وكيف ينكح وكيف يطلق فيجب عليه أن يتعلم، ومن لا يعرف كيف يعاشر الناس ويخالطهم ويتعامل معهم فقبل أن يفعل يجب أن يتعلم، فضلاً عن أن يتعلم كيف يصوم ويصلي ويجاهد ويرابط.

ولو أخذ المسلمون بهذه الآية، أي: قوله: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل: 43] من ستة آلاف آية في القرآن لأفحلوا، فكل من لا يعلم أثم حتى يعلم، وليس في هذا شيء، فالمستول لا يقول لك: أعطني عشرة ريال حتى أجيبك، أو أعطني زنبيل كذا حتى أجيبك، بل يجب عليه أن يجيبه.

ولكن هذه الثغرات هي التي منها دخل العدو علينا، فأصبحنا أميين.

ولعل بعض السامعين من الزوار لم يفهموا فلسفتنا هذه، فأقول لهم: النداء الثاني والستون والنداء الثالث والستون هذان النداءان هما من نداءات ربنا جل جلاله وعظم سلطانه، فهو قد نادى عباده المؤمنين والمؤمنات بلفظ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .

وقد بلغت نداءاته لهم تسعين نداء من البقرة إلى سورة التحريم.

وهذه النداءات بعد دراستها والوقوف عليها علمنا أنه لا يوجد ما تتوقف عليه حياة الطهر والكمال والعز والسيادة إلا حوتها هذه النداءات، ولا يوجد (5%) من المسلمين يريدون أن يستمعوا إلى الله وهو يناديهم، أو يرغبوا في ذلك. فمالك أمرهم ومن بيده حياتهم يناديهم لإكمالهم وإسعادهم وهم لا يسمعون، وإن سمعوا لا يبالون بما قال، ولا يبالون بفهمها أو عدمه، وإذا فهموا لم يعملوا.

وهذا لا يتصور منهم. ونحن سنواصل البكاء إلى أن تنتهي النداءات، ثم نسأل بعد ذلك: هل هذه النداءات تدرس في بيت؟ وسيقولون: ما رأينا، أو هل تدرس في مسجد؟ وسيقولون: ما سمعنا، أو هل تدرس في مدرسة؟ وسيقولون: ما علمنا. وسبحان الله! فكل هذا ما نفع.

وأما بالله! فهذا حجة علينا فقط، والغافل يقول: أنا لا أجلس في الدرس لأنني لا أستطيع أن أعمل، فلهذا أقوم ولا أسمع شيئاً؛ حتى لا تقوم علي الحجة، ونقول لهذا: مصيبتك مضاعفة! فأنت مطالب بالعلم وقد تركته، فأنت آثم، وقد عصيت الله بذلك، وأما إذا استمعت ولم تفعل فلك نصف الأجر فقط. فافهموا هذا الكلام.

فالذي يقول: أنا لا أستطيع أن أعمل، ولهذا لا أحضر مجالس العلم ولا أتعلم، ويبقى على نجاساته، ولا يحاول، نقول له: تعال وأصغ واستمع، وما يدريك أن يشرح الله صدرك في ليلة من الليالي، فإذا بك تقول: الله أكبر، وتطلب رضا الله، ولا تتعلل وتقول: أنا لا أستطيع العمل، ولذلك لن أحضر الدرس، فهذه ليست علة هذه. والذي يجلس في مجالس الذكر والعلم وإن قسا قلبه أو إن انصدم أو حدث له كذا فما يدريك أن يأتي يوم من الأيام وقد شرح الله صدره، وأقبل على العلم والعمل، وأما المقطوع الأيس فلن يفتح الله عليه. معنى السراح الجميل

ثم قال تعالى: وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا [الأحزاب:49].

وليس قبيحاً، أي: لا تتبعها بكلمة تقولها فيها، فإن سئلت عن سبب طلاقها فلا تقل: لأنها رمصاء، أو عمشاء، أو مجنونة، أو غير ذلك، بل اذكرها بخير؛ لأنها مؤمنة، فسرحتها سراحاً جميلاً، ولا تسلبها ملابسها، ولا تأخذ ذهبها وفضتها وتطردها؛ إذ هذا هو السراح القبيح.

وأما السراح الجميل فهو الذي ليس فيه أذى لا بالقول ولا بالعمل، والمسلمون اليوم لا يستطيعون أن يفعلوا هذا، ولو عرفوا لقدروا واستطاعوا، ولكن ما دام أنهم لا يعلمون ولا يعرفون فإنهم لا يستطيعون.

والدليل على هذا: أن أحدهم يعيش في مدينة .. في قرية خمسين سنة لا يضرب مؤمناً ولا يسبه ولا يشتمه ولا يسخر منه ولا يستهزئ به، وإن طلبه وقدر عليه أعطاه، وامراته يؤذيها بالسب والشتم والعناد والطلاق والكلام البذيء، ولا إله إلا الله! وهذا واقع.

وسبب هذا الجهل، فنحن ما عرفنا.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته الشهيرة في منى وعرفات: (اتقوا الله في النساء؛ فإنهن عوان في أيديكم)، أي: أسيرات.

ونحن نحسن إلى الأسير اليهودي أو النصراني، ولا نسبه ولا نشتمه، ولا نركله ولا نقبحه، ولا نسخر منه، بل نقدم له الطعام، ونقدم له الشراب، وهو أسير وعدو.

والمرأة أسيرة في بيتك وأنت تتعامل معها بما لا ينبغي أن يكون! وتطلق وتراجع، وتحلف بالحرام إن فعلت كذا وكذا، وكأننا ما عرفنا الكتاب ولا السنة، ونحن حقاً ما عرفناهما، فتجد الرجل في المدينة يعيش أربعين سنة .. خمسين سنة ولا يجلس جلسة كهذه، بل يجلس هناك وهناك يتحدث على الباطل، وليس عنده رغبة في أن يعلم عن الله، وهذا في مدينة النبوة، وأما في بلاد الباطل فحدث ولا حرج، فلا أحد يشهد هذه المشاهد، ولا أحد يجلس ليتعلم العلم؛ ولذلك لم يعرفوا.

أنواع العدة

العدة أنواع: الأول: أن تكون عجوزاً لا تحبل ولا تحيض ولا تلد، أو تكون فتاة صغيرة لم تحض بعد، فهاتان عدتهما ثلاثة أشهر بالضبط، لا تزيد يوماً ولا تنقص.

الثاني: وإن كانت صغيرة تلد وتحيض فعدتها ثلاثة قروء، أو أطهار، وكل شهر يأتي فيه قرء، وقد يأتي فيه قرآن. وهناك عدة أخرى ثالثة، وهي عدة ذات الحمل، إذا طلقت وجنينها في بطنها، فهذه عدتها وضع الحمل ولو طلقها في الصباح وولدت في المساء انتهت عدتها، ولها أن تتزوج؛ لقول الله تعالى: وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ [الطلاق:4]، أي: صاحبات الأحمال اللاتي يحملن الأجنة في بطونهن أجلهن أن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ [الطلاق:4]. وهناك عدة رابعة، وهي عدة من مات عليها بعلمها وفلها وزوجها، فهذه تعدد أربعة أشهر وعشراً، أي: وعشر ليال. وهكذا نصبح فقهاء، ولو أننا منذ الصبا ونحن مع آبائنا وأمهاتنا في بيوت ربنا في مثل هذا الوقت العظيم بين العشائين، ونتلقى الكتاب والحكمة والله لكنا أعلم من في الأرض وإن لم نقرأ ولم نكتب، ولكن حرمونا، فلا نستطيع أن نجلس أبداً في حلقة كهذه؛ لأن الدكان مفتوح، والمقهى مفتوح، ومجالس الباطل والأضاحيك مفتوحة، فلا نستطيع أن نجلس أو نحبس أنفسنا. إذاً: فلنندوق طعم المرارة، وهذا هو جزاؤنا؛ لأننا استجبنا لأعدائنا، وخرجنا من بيوت ربنا، فتأصل الجهل فينا، وأصبح المسلم لا يعرف عن الله شيئاً إلا من رحم الله. حكم من طلقت قبل الدخول

هذا حكم التي طلقت قبل المسيس، ومعنى المسيس: الجماع. ولم يقل: النكاح أو الجماع لأن القرآن كتاب الآداب، فتستطيع البكر ذات الخدر أن تقرأه أمام أمها وأبيها ولا تخجل؛ إذ ليس فيه عبارة أبداً من شأنها أن تثير النفس. ولذلك عبر عن النكاح بالمسيس. وهذه التي طلقت قبل المسيس إن سمى لها مهراً فلها نصفه، فيعطيهما النصف فقط، وترد النصف الآخر للزوج المطلق، وإن لم يسم لها مهراً لها المتعة؛ لقوله تعالى: فَمَتَّعُوهُنَّ [الأحزاب:49]. والتمتع والإمتاع يكون بحسب حال المطلق، وبحسب راتبه، وبحسب دخله، وبحسب عمله، والقاضي هو الذي يبيت في ذلك ويحكم. وجوب الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمة أذيته بأدنى أذى

قال: [النداء الثالث والمستون: في وجوب الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي حرمة أذيته بأدنى أذى، وحرمة نكاح نسائه بعده صلى الله عليه وسلم] فهذا النداء تضمن ثلاث حقائق ثابتة، الأولى: وجوب الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم. والثانية: حرمة أذيته بأدنى أذى، ولو بحرف. والثالثة: حرمة نكاح زوجاته بعد موته.

وهيا نتغنى بالنداء، فالتغنى بالقرآن جائز، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من لم يتغن بالقرآن فليس منا). قال: [الآية (53) من سورة الأحزاب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَازِلٍ بِإِذْنِهِ وَإِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجَّاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا [الأحزاب:53]] وهذا النداء حفظه المؤمنون والمؤمنات وطبقوه على عهد الحبيب صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته وإلى اليوم، والذين لا يعرفونه لن يطبقونه.

وعلى صاحب هذه النداءات أن يضع نسخة عند وسادته، فإذا أراد أن ينام قرأ نداء، بمعنى: أنه يستمع إلى نداء سيده، فإذا أمره بأمر عاهده بأن يقوم به، وإذا نهاه عن شيء عاهده أن يتركه، وإذا علمه شيئاً علمه، وإذا بشره بات مسروراً فرحاً، وإذا حذر به بات خائفاً متألماً. ومن كان هكذا فهو حي، وليس ميتاً.

الأحياء من الناس هم المؤمنون الصادقون، والكفار أموات، والله لا ينادي الأموات، ولا يقول لهم: يا أيها الذين كفروا افعلوا واتركوا؛ لأنهم أموات؛ ولذلك لا يناديهم.

والدليل على أن الكافر ميت غير حي: أن أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس الذين يعيشون تحت راية لا إله إلا الله لا تأمرهم بالصلاة ولا بالصيام، ولا بالزكاة ولا بالحج، ولا بالجهاد، ولا نقبلهم حتى أن يدخلوا جيوشنا؛ لأنهم أموات.

وأنت لا تأتي إلى ميت وتقول له: قم صل يا ميت! فهذا الكلام ليس معقولاً، ولا تأتي إليه تقول: يا ميت! قم زك من مالك؛ لأنه ميت، بل انفخ فيه الروح أولاً، فإذا سرت في قلبه وجسمه وقال: الله أكبر فكلفه؛ لأنه يصبح قادراً على أن يعمل، وأما هو ميت إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين [النمل:80].

إذاً: احمدا الله على هذه الحياة، فالحمد لله، وهذه الحياة قد تكون كاملة أو ناقصة، وجرب صاحبك في القرية الذي يدخن، وقل له: عبد الله! أنت مؤمن، فلا تدخن، فإن رمى السجارة من يده وقال: أستغفر الله فهذا والله حي، وإن سخر منك وضحك وقال: ليس في هذا شيء فهذا مؤمن مريض؛ لأنه لا يقوى على الترك.

وكذلك لو رأيت مؤمنة كاشفة عن وجهها وعن عنقها وعن محاسنها، وتتكلم في الشوارع مع الرجال فقل لها: يا أمة الله! احتجبي، فأنت لست بعجوز، فاستري محاسنك، فإن ارتعدت وخافت ووقعت على الأرض ولفت عليها حجابها فهذه مؤمنة، وإذا ضحكت وأخرجت لسانها ساخرة منك فهذه ليست مؤمنة، بل ميتة.

حرمة نكاح زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته

قال: [رابعاً: حرمة نكاح زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته؛ لأنهن أمهات المؤمنين.

ثبت هذا وتقرر بقوله تعالى] من هذه السورة: [النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ [الأحزاب:6]] فلو قيل لك: أتحب أن تموت أنت أو يموت الرسول؟ فيجب أن تقول: أنا، وإذا سئلت: أتحب أن تعطش أنت أو يعطش الرسول؟ فيجب أن تقول: أنا، أو: أتحب أن تمرض أو يمرض الرسول؟ فقل: أنا أمرض، أو: أتحب أن تتعب أو يتعب الرسول؟ فقل: أنا أتعب، وهكذا [وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ [الأحزاب:6]، أي: في حرمة النكاح ومقدماته؛ إذ هن محرمات على الرجال ما عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة مؤكدة، كحرمة الأم على ولدها، وهذه الحرمة دل عليها قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا [الأحزاب:53]، أي: إن أذى الرسول صلى الله عليه وسلم بأي أذى أو بالزواج بنسائه بعد وفاته كان عند الله - أي: في حكمه وقضائه وشرعه - ذنباً عظيماً، لا يقادر قدره، ولا يعرف مدى جزائه وعقوبته إلا الله جل جلاله وعظم سلطانه].

وبقي من الدرس بقية، نكملها إن شاء الله غداً.

وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.

حرمة أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي أذى كان

قال: [ثالثاً: حرمة أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي أذى كان؛ لقوله تعالى: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ [الأحزاب:53]] أي: ليس من شأنكم أن يقع منكم هذا [وصيغة ما كان تدل على أن هذا الأذى لا يكون كالمستحيل، وهو كذلك، فهل المؤمن الذي يفدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وأهله وماله يتوقع منه أذى له صلى الله عليه وسلم؟ لا، لا والله [ولن يكون أبداً].

سؤال نساء النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب

قال: [ثانياً: إذا أراد أحدهم أن يطلب شيئاً من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كإناء وشراب أو طعام أو يسأل عن شيء في دينه وجب عليه أن يسأل زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب؛ لقوله تعالى: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا [الأحزاب:53]] أي: طلبتم منهن [فاسألهن من وراء حجاب [الأحزاب:53]] وليس وجهاً لوجه.

والمقصود بالحجاب ستارة أو باب أو جدار، أو أي شيء يحجب المرأة عن الرجل فلا يراها ولا تراه، مثل نسائك أيها الفحول! وراء جدار، فهذا حجاب.

ولو كن جالسات كل امرأة إلى جانب فحلها فهذا ليس حجاباً، وهذا كما يعملون في السينما والملاهي والمقاهي، فيجلس الرجل والمدام إلى جنبه، فهذا ليس حجاباً، وهذه ليست محجوبة - ومحجوبة أكلة مغربية-.

وهناك من تكون محجوبة إذا كانت في البيت؛ حيث لا يدخل عليها فحل ولا رجل إلا من وراء حجاب، وإذا أرادت الخروج إلى الشارع تحمرت وتبييضت وتزينت وخرجت إلى الشارع! وأنا لا أعرف كيف أوفق بين هذا وذاك، وقد

تجد الواحد يستضيفك ويقدم لك الطعام بيده، وأما المرأة فلا تخرج ولا تراك؛ لأنها محجوبة في بيتها، ثم إذا خرجت وخرجوا وجدتها في الشارع تلوي رأسها وتتكلم وتضحك، ونست الحجاب! في حين أن معنى الحجاب هو: حجب النساء عن الرجال، سواء بالحديد أو بالنار أو بالجبال أو بالصخور أو بالاستائر، كما هو الواقع الآن، فالنساء الآن وراءنا، وإذا سألت إحدى أمهات المؤمنين عن حكم شرعي سمعته من الرسول، ونزل به جبريل في بيتها فيجوز ذلك ولا بأس، ولكن من وراء حجاب، مع أنه هي أمك محرمة عليك إلى الأبد [وعلى تعالى] واسمع الرحمن الحكيم العليم يعلى [لذلك بقوله: ذَلِكَمُ [الأحزاب: 53]، أي: السؤال من وراء حجاب أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ [الأحزاب: 53] أيها الرجال! وأظهر لقلوبهن أي نساء النبي صلى الله عليه وسلم] وقد سألتني أمس فحل وقال: ها هو الشيخ الغزالي يقول: لا بأس للمرأة أن تتغنى بأغان تحرك الضمير وتدفع إلى الصالحات، أي: لا بأس للمرأة إذا تغنت بالكلم الطيب؛ لأنها تثير العواطف، وهل السامع يذهب رأساً يركع ويسجد؟! فهو قال: لا بأس أن تغني بالكلم الطيب، وقال: وجه المرأة ليس عورة أبداً، وليست العورة التي عينها عمية، فهذه عوراء، وقال: العورة هما السوءتان القلب والدبر، وأقول: نعم، هما عورتان، ولكن العورة كلام عام، فكل ما يستحي من كشفه فهو عورة. ولا تقل: يا شيخ! إنه لا يستحي من كشف وجه المرأة؛ لأننا تعودنا أننا نشاهد النساء كاشفات عن وجوههن ولا يستحيين.

وأنا أقول: عود نفسك أن تحجب امرأتك عن ضيوفك وفحول الرجال، ثم إذا تفاجأت أن امرأتك تكشف وجهها فإنك تتغير.

ثم إن الله قد بين هذا، وهو ليس في حاجة إلينا، فقد قال: ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ [الأحزاب: 53] أيها الفحول! وَقُلُوبُهُنَّ [الأحزاب: 53].

وهم يريدون أن يخادعوا أنفسهم، والجمل والثور والعنز والنيس إذا شم رائحة أنثى هاج، بل حتى الديك من الدجاج، وهم يقولون: الفحول لا يؤثر فيهم هذا أبداً! مع أن هذه غريزة غرزها الله، وطبيعة طبعها الله، فما إن يسمع الفحل صوت الأنثى حتى يتأثر قلبه، ولكنهم لا يؤمنون بالروح ولا بآثارها، ولا بخبثها ولا طهرها أبداً؛ لأنهم ما عرفوا الله ولا آمنوا به.

وأحدكم أن تعطوني فحلاً - وكلكم فحول - تتكلم امرأة أمامه ولا يتحرك قلبه، حتى لو كان طول الليل يتقلب عليها ظهرها على بطن؛ لأن طبيعته غريزته أنها إذا تكلمت المرأة انفع لها، وذلك الانفعال له تأثيره على النفس البشرية، وهي تخبث به، وإلا لم يكن هناك معنى لقوله: أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ [الأحزاب: 53]. ولكن القوم لا يؤمنون ولا يعرفون.

وقد قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: 9-10].

فاعلم أنك تصلي وتصوم من أجل تزكية نفسك وتطهيرها، وليس تطهير بدنك ولا ثيابك، ولكن نفسك؛ لأن الله لا يقبل أن يجاوره في الملكوت الأعلى إلا أصحاب الأرواح الزكية، ولذلك قال: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: 9-10].

وهم لا يؤمنون بهذا.

وهم لا يستفيقون، بل يقولون: ليس هناك شيء في مصافحة المرأة والنظر إلى وجهها، فهو لن يأكلها إذا نظر إليها، وهم يقولون هذا لأنهم ما فهموا، ولا علموا، والله يقول: ذَلِكَمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبُهُنَّ [الأحزاب: 53] [أطهر أي: أزكى و] أكثر طهارة من خواطر السوء الفاسدة التي لا يخلو منها قلب الإنسان إذا خاطب المرأة، أو خاطبت المرأة الرجل؛ إذ مثل هذا من الغرائز الفطرية في الإنسان ذكراً كان أو أنثى [والمرأة أيضاً إذا سمعت صوت فحل فلا تسمع له، وأزواج الرسول يقول الله تعالى لهن هذا الكلام، فهو يقول لهن: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى [الأحزاب: 33].

ويقول: فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا [الأحزاب: 32].

ومن زمن كانت الغافلات من نساننا في المدينة إذا قرع أحدنا الباب أو التلفون تقول: مين؟ فقلنا: هذا حرام، قولي: من، ولا تقولي: من؟ والحمد لله فالآن كثيرا من الطاهرات إذا دق الباب تقول: من؟ كما قال تعالى: وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا [الأحزاب: 32].

فإذا قال: أين زوجك؟ فنقول: في السوق، ولا تزيد كلمة، وإن كانت لا تدري، فنقول: لا أدري، وإذا كان في المسجد فنقول: في المسجد، والتي ما عرفت هذا المنهج إذا سئلت: أين زوجك؟ قال: زوجي إبراهيم نعم أظنه الآن في المسجد، وقد يكون الآن في بيت أخيه، وتمدد حتى يذوب الفحل.

وقد قال تعالى: وَقُلْ قَوْلًا مَعْرُوفًا [الأحزاب:32].

بلا إطناب ولا زيادة في الكلام ولا غير ذلك، وإنما بقدر الحاجة فقط، فنتكلم المرأة مع الرجل بلا زيادة ولا نقصان. وهم يقولون: صوت المرأة ليس عورة، كما قال الغزالي.

ونحن نقول: اسمعوا التعاليم المحمدية، فقد قال: (من نابه شيء في صلاته).

كأن يكون يتنفل ففرع الباب أو نادى منادٍ فإن كان فحلاً فليقل: سبحان الله! سبحان الله! فيفهم السائل أن الشيخ أو صاحب الدار في صلاة، وإذا كانت امرأة فلا تقول: سبحان الله؟ بل تصفق، وقيل: حتى الصوت لا يكون يطرب، وفي الحديث: (إنما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال).

هذه كلمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يوجد (5%) من المسلمين يعرفونها، وهي شائعة في كتاب الله.

فالتصفيق للنساء، والتسبيح للرجال.

ولا إله إلا الله! فهم قد يقولون: يا شيخ! أنت ترجع بنا إلى الورا! وأقول: وأسأتذتكم قد تقدموا وطلعوا السماء ومع ذلك فهم أنجاس في أنجاس.

ولست وأهماً في هذا.

فهاهم في البلاء والدمار والخزي والعار والذل والهون والدون والأكل والشراب كالبهائم، وأنت تعجب لحياتهم، ولا ترغب أن تكون حياتك مثلهم، فهم آيسون من رحمة الله عز وجل، وما إن يلفظ أحدهم أنفاسه إلا وتنقل روحه إلى عالم الشقاء؛ ليخلد فيه أبداً.

وها نحن في المملكة نساؤنا محتجبات، وهم يضحكون منهن ويسخرون، ويعملون في الدس والخديعة ليل نهار وبكل الوسائل؛ حتى لا تبقى المرأة السعودية متحجبة والله العظيم، ونقول: إننا لم نفقد شيئاً لما تحجبت نساؤنا، فنحن لم نجع، ولم نعطش، ولم يأكل بعضنا بعضاً، ولم يهنا الله ويذلنا، ولا سلط علينا اليهود والنصارى، ولم يحدث شيء من هذا، بل أعزنا الله لما سترنا نساءنا، فاحتجبت طاعة لربنا.

حرمة دخول بيوت النبي صلى الله عليه وسلم إلا بإذن

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم! أن هذا النداء الجليل الموجه إلى المؤمنين أيام حياة نبيهم صلى الله عليه وسلم ليلتزموا بما يلي إزاء نبيهم صلى الله عليه وسلم: أولاً: أن لا يدخلوا بيوتهم صلى الله عليه وسلم] وقد كانت بيوت الرسول صلى الله عليه وسلم تسع، واليوم البعض عندهم عشرون عمارة كاملة، وقد كانت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم حجرات، كل بيت منها طبقة واحدة من خشب وطين ولبن فقط، وكان لكل مؤمنة غرفة خاصة بها، وهذه تسمى حجرة وبيتاً، فكان المؤمنون لا يدخلون بيوتهم صلى الله عليه وسلم [إلا بإذنه] وهذا نحن قائلون به، فليس هناك من يدخل على بيت أخيه بدون إذن، وقد جاء هذا في نداء من النداءات الماضية، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا [النور:27].

قال: [كان هذا قبل نزول آية الحجاب هذه] وآية الحجاب هي التي حجبت النساء عن الرجال الفحول، وقد كان هذا في السنة السادسة، وقد مكثوا ثلاثة عشرة سنة في مكة وست سنوات أو خمس في المدينة ولا حجاب، ثم في السنة السادسة نزلت هذه الآية آية الحجاب.

قال: [كان هذا قبل نزول آية الحجاب هذه، لقوله تعالى: لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ [الأحزاب:53]] والذي يأذن لهم هو أو نائبه.

وقد بنى الفعل للمفعول، فليس الرسول دائماً يقول: تعال يا فلان! بل هناك أيضاً من يقوم من الأسرة [إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ] إِنْهُ [الأحزاب:53]] وإنه بمعنى: وقته، ومعنى هذا: إذا كان غداً إن شاء الله الطعام عند الرسول فلا يأتي المحبون والطماعون والبهاليل قبل الوقت بساعتين، ويجلسون يتبركون ببيت النبي، ولم يكن هناك من لا يقبل هذا، والرسول صلى الله عليه وسلم كالقمر بينهم، أو يخرج عليهم كالشمس عندما تطلع، وحينئذ أصبح الرسول صلى الله عليه وسلم يتأذى، وكان لا يستطيع أن يتكلم مع نسائه، ولا أن يفعل غير ذلك؛ إذ الناس جالسين في البيت، فقال لهم الله: اسمعوا من الآن: أولاً: لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام، لا أن يؤذن لكم إلى أي شيء، بل إلى

طعام، حال كونكم غير ناظرين وقته أبداً، بل ادخلوا مع وجود السفرة، وأما أن تأتوا من الضحى وتنتظروا وتقلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيّقوا على نسائه فهذا لا يجوز.

فقوله: غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَّهُ [الأحزاب:53] أي: وقته [أي: لا تدخلوا بيت الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وقت الأكل بزمن، ولا تجلسوا بعد الأكل أيضاً] فإذا أكلتم فادهبوا مع السلامة.

فبعض الأصحاب كان يأكل ويبقى يتحدث ويتعلم، وكان الرسول في حاجة إلى أن يستريح، ونسأله محجوبات عنهم. فلذلك علم الله هؤلاء إذا أكلوا أن يخرجوا مع السلامة، وليدعوا لمن أكلوا طعامه ويخرجوا.

وهناك دعوة تساوي مليون من الذهب، وأكثر المسلمين و(95%) منهم لا يعرفونها، فهم يأكلون ويشبعون ولا يعرفونها، فهم يأكلون ويشبعون ولا يقولون: الحمد لله، بل يأكلون بدون إذن من الله، فهم رأساً يرمون الملاعق في أفواههم ولا يقولون: باسم الله، فلا تأكل حتى تعلم أن الله أذن لك، فأنت تأكل باسمه، فلا تأكل بغير اسمه، ولا تكن سارقاً، ثم إذا فرغت اشكر المنعم، وقل: الحمد لله.

وهذه الدعوة من استطاع أن يحفظها ويذهب بها فهي خير له من قنطار ذهب، وهي: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم.

وهذه ليست صعبة، فليس صعباً أن تقول: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم، أي: لأهل البيت. وهذه قد جمعت خير الدنيا والآخرة، ولم يبق شيء ناقص أبداً؛ لأنه تعالى إذا بارك لك فيما رزقك فهذا معناه: أنه بارك لك في مالك وفي زوجتك، وفي أولادك وفي وظيفتك، وفي عقلك وفي سمعك، وفي بصرك وفي بدنك، ولم يبق شيء لم يبارك لك فيه، فقد حفظ لك الدنيا بما فيها، وغفر لك ذنوبك وأدخلك الجنة. فليس هناك أمل أفضل من هذا.

وهذه من جوامع الكلم المحمدي، فإذا أكلت عند أخيك المؤمن وقلت: باسم الله، وشبعت وقلت: الحمد لله فقل: اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم فهذا أفضل من أكلك خمسين مرة، ولو ذبح بقرة بكاملها فدعوتك هذه أعظم.

فاحفظ هذه الدعوة.

وإذا كان واحداً فقط فقل: اللهم بارك له فيما رزقته، واغفر له وارحمه، إذا لم يكن عنده زوجة ولا ولد، وإنما جاء لك بالطعام من السوق فادع له: اللهم بارك له فيما رزقته، واغفر له وارحمه.

وإذا بارك الله لك لم يبق لك شيء ناقص؛ إذ معنى بارك: حفظ ما أعطاك ونماه وزاد فيه، فإذا حفظ لك عقلك وسمعك وبصرك ومالك وأولادك ثم غفر لك ذنوبك ورحمك وأدخلك الجنة لم يبق شيء وراء هذا.

والذي علمنا هذه الدعوة هو أبو القاسم؛ إذ لا يعرف هذا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: [لقوله تعالى: فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا [الأحزاب:53]، أي: اخرجوا منتشرين في الأرض، كل إلى أهله أو عمله أو حاجته، ولا تجلسوا بعد الطعام مستأنسين بحديث بعضكم بعضاً، فتطيلوا الجلوس فتضايقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في هذا الوقت، إذ حصل هذا فعلاً من بعض الأصحاب رضي الله عنهم].

وهنا حكاية لطيفة علمية: فقد كنا داخل المسجد منذ ثلاثين سنة، وجاءني شيعي يتقدم في الحلقة، وقال: يا شيخ! أنا في هم وفي غم وفي كرب، وأنا أتفرس أنك أنت الذي تزيل عني هذا الهم وهذا الغم، فسألته عن همه وغمه، فقال: أنا سمعت الله يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ [الأحزاب:53].

وهذا أبو بكر وعمر في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته، فمن أذن لهما؟ فقلت له: يا بهلول! كان ممنوعاً الدخول عليه أيام أن كانوا يلقونه ويزعجونه، وأما بعد أن أصبحت بيته مقبرة فليس هناك مانع أن يدخلوا.

وقلت يومها: إن الأعجام يسيئون فهم الشريعة؛ لعدم ذوقهم للغة القرآن، ولذلك لا يلامون.

فهذا لا يفهم أن ذلك المنع كان حتى لا يزعج الرسول ولا يقلقه، وأما وقد مات والتحق بالملكوت الأعلى فليس هناك مانع من أن يدخل أبو بكر أو عثمان أو أنا أو أنت، وليس هناك سبب يمنع من هذا، فالآية خاصة بأيام حياته، وعندما كانت نساءه في البيوت فلا يدخل بغير إذن، بل حتى يأذن لهم.

فافهموا هذا.

قال: [وعلى تعالى لذلك بقوله: إِنَّ ذَلِكَُم [الأحزاب:53] أي: الدخول قبل الوقت والقعود بعد الأكل] كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ [الأحزاب:53]، أي: أن يقول لكم: اخرجوا ولا تجلسوا] وتعال طالع آداب النبوة، فهو إذا

دعاهم ضيوفاً في بيته يستحي أن يقول: أريد أن أستريح، فاذهبوا إلى أعمالكم واخرجوا، ولا يقوى أو يقدر أن يقول لهم هذا. وهذه هي الأخلاق التي يجب أن نتحلّى بها؛ حتى يراها الإنس والجن فينا، ويقال: هؤلاء محمديون أصحاب النبي محمد. ولكننا لم نتحلّى بهذا، والسبب أننا هجرنا كتاب الله وهدى رسوله القرآن، وأصبح المسلمون يقرءونه على الموتى فقط، والسنة تقرأ للبركة، لا لطلب العلم والفهم والهدى والحكمة. قال: [وقوله: **وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ** [الأحزاب:53]] أي [أن يقوله لعباده أو يأمرهم به، ولذا أمرهم أن يخرجوا وينتثروا] فالله رب كل شيء ومليكه لا يستحي من الحق، ولو كان الله يستحي من قول الحق لما استطعنا أن نعرف، ولا أن نسلك سبيل الهداية، فهو يبين لنا.

أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأمر بدأ فيه بنفسه، ألا وهو الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فالصلاة على النبي شأنها عظيم، ولو لم يكن لها هذا الشأن لما بدأ الله فيه بنفسه، ثم ثنى بأمر ملائكته بذلك، ثم أمرنا أخيراً به، وهذا الأمر لا يقتصر على مرة أو مرتين، وإنما يستمر ما استمرت بالعبد الحياة، وما امتد به العمر. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا مازلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمريتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

وأذكر السامعين والسامعات بمضمون النداء الذي قرأناه أمس، وعرفنا ما فيه، ومضمونه كما علمتم في وجوب الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، وفي حرمة أدبته صلى الله عليه وسلم بأي أدب، وحرمة نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم.

وهذا النداء هو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَاءَهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زَوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا [الأحزاب: 53].

فهو في وجوب الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي يدخل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم بدون إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أساء الأدب، والذي يطعم ويجلس فهو يؤذي الرسول، وقد أساء الأدب.

قال: [هذا وإليك أيها القارئ في هداية هذا النداء! ما يكون عوناً لك على السير في منهج الحق، والسير في الصراط المستقيم إلى أن تفوز بالنجاة من النار، ودخول الجنة دار الأبرار] وهذا كالخلاصة لما يدل عليه هذا النداء، وهو كالتالي: [أولاً: بيان ما ينبغي أن يلتزمه المؤمن من الآداب في الاستئذان والدخول على البيوت] مطلقاً.

وقد علمنا أن هذا النداء هو الذي أوجب الحجاب، وبه شرع الحجاب، ولم يكن المؤمنون يتورعون أو يبتعدون عن رؤية المؤمنات، حتى نزلت هذه الآية في السنة السادسة، ففرض الله الحجاب.

إذاً: فلنعلم يقيناً أنه لا ينبغي للمؤمن أن يدخل بيت النبي أو بيت أبي بكر أو بيت السامعين إلا بإذن، فإن دخل بدون إذن فقد آذاهم، ولا يحل أذية المؤمن.

[ثانياً: بيان كمال الرسول صلى الله عليه وسلم وآدابه العالية، وخلق العظيم، حتى إنه ليستحي أن يقول لصيفه:] فلان! لقد طعمت فـ [أخرج من البيت قد انتهى الطعام] فقد كانوا يطعمون في بيته، ثم يستعذبون الحديث في بيت النبوة، والرسول بينهم وهو يتألم من جلوسهم بعد الأكل، ويستحي أن يقول: لقد طعمتم فانتشروا، حتى أنزل الله هذه الآية، وفيها: وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ [الأحزاب: 53].

إذا طعمتم فانتشروا إلى أعمالكم ودياركم، ولا مستأنسين لحديث في بيت الرسول.

[ثالثاً: تقرير صفات الله تعالى وإثباتها في القرآن والسنة؛ إذ وصف تعالى نفسه بأنه لا يستحي من الحق، وعليه فلنصف الله تعالى بما وصف به نفسه] في كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم [ووصفه به رسوله صلى

الله عليه وسلم لا غير [فنقول: إن الله لا يستحي من الحق، فافعلوا كذا وكذا، ولا حرج، ولا يستطيع مؤمن أن يقول: لا تصف الله بالحياء، والاستحياء.

فهذا اللفظ فيه تقرير وجوب إثبات صفات الله عز وجل، والإيمان بها وإجلالها واحترامها. وصفات الله وأسماءه مودعة في كتابه عز وجل [فلا نصف الله تعالى بما لم يصف به هو نفسه، ولا بما لم يصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا ننكر صفاته أو نوولها هروباً من وصفه بها، كما هو شأن المعتزلة والأشاعرة في الغالب] فقد أخبرنا الله عز وجل بقوله: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ [الملك:1].

فلا نقول: بقدرته الملك، وإنما بيده الملك، فلا يحل تأويلها بالقدرة، ولا يحل أبداً تأويلها بأي صفة أخرى. وقد أخبر تعالى عن نفسه أنه سيجيء إلى ساحة الفصل في القضاء، فقال: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا [الفجر:22]. فلا يحل لمؤمن أن يخالف، ويؤول المجيء بمجيء ملائكته؛ لأنه يخبر عن نفسه بقوله: وَجَاءَ رَبُّكَ [الفجر:22]. إذاً: فما وصف الله تعالى به نفسه يجب أن نؤمن به، وأن نصفه به، وما لم يصف به نفسه لا يحل لذي دين أو عقل أن يصف الله به، ولا أن يصفه بصفة لم يصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم.

وعلى سبيل المثال -وأستغفر الله-: لا يجوز أن نقول: الله الطويل، ولا ذو الباع الطويل، ولا يحل هذا الكلام، وإنما نصفه بما وصف به نفسه، مثل المجيء والأخذ والعطاء، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من تصدق صدقة كان إنما يضعها في كف الرحمن، فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه أو مهره).

فنؤمن بكف الرحمن بلا كيف، ولا مجال لكيف؛ إذ ذات الله عز وجل لا تدرك كنهها، بل نؤمن بذات الله بلا كيف، فهذا لا يحل أبداً، بل حتى التفكير في ذات الله حرام.

فتفكروا في مخلوقاته، ولا تفكروا في ذاته؛ لأنكم عاجزون قاصرون عن إدراك ذات الله عز وجل.

وأما الصفات التي وصف بها نفسه، فيجب أن نصفه بها، ويحرم تأويلها بصفات ومعان أخرى.

[رابعاً: حرمة أذية الرسول صلى الله عليه وسلم في نفسه أو في آله، أو في أهل ملته من المؤمنين والمؤمنات] فالذي يؤدي المؤمن والمؤمنات قد أدى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم أمته وأتباعه، فإذا أذيتهم فقد أذيتهم.

[خامساً: بيان أن الإنسان لا يخلو من خواطر السوء إذا تكلم مع المرأة أو نظر إليها] وقد شرحنا أمس هذه القضية. فلا يسلم المرء الأدمي إذا تكلم مع أجنبية ليست من محارمه من خواطر السوء، بل لا بد أن يخطر في قلبه باطل أو منكر أو سوء، فلهذا كي تسلم من خواطر السوء لا تتكلم مع الأجنبية، إلا لضرورة وفي حدود محدودة كما بينا بالأمس، بلا استطراد ولا تقديم ولا تأخير ولا غير ذلك، بل كلمة واحدة بقدر الحاجة، مثل: من؟ كيف؟ خذ، ذهب.

وقلت: إن الذين ينكرون هذا هم جهلة لم يعرفوا، وأقول لهم: الطيار الذي يريد أن يرتفع إلى السماء يعد له أهله لباسه وطعامه وكل شيء حتى يصبح في القمر، ولا يمشي هكذا بلباسه وأكله، بل يعدونه إعداداً خاصاً.

ونحن معدون لأن نطلع إلى السماء، ونخترق سبع سماوات، ولن نطلع كسائر الناس، فهذا مستحيل، بل لا بد إذن من تطهير هذه النفس البشرية.

وقد غرز الله هذه الغرائز فينا، وهي أن الذكر والأنثى إذا تلاقيا يحدث بينهما خواطر سيئة تصيب النفس بالظلمة، أو تؤدي إلى الفاحشة والدمار؛ ولذلك حرم الله هذا، ولا نقبل أي رأي أو توجيه من هؤلاء البشر، والله يقول: ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ [الأحزاب:53].

وهؤلاء هن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنت تقول: ليس هناك شيء إذا تكلم معها، بل علماء يقولون هذا الكلام، فهم يقولون: ليس هناك شيء إذا تكلم معها، فهو لن يأكلها! ونقول: نعم، هو لن يأكلها، أو يمتص دمه، أو يصيبها بجنون، ولكنه تتأثر نفسه، وهي كذلك، والعيرة بالنفس لا بالبدن الساقط الهابط الذي يحترق.

والعلة كما قلنا: أنهم ما عرفوا؛ ولذلك يتكلمون بالأهواء والظنون، أو يرددون كالببغاوات أقوال الكافرين والملاحدة. وقد قال الله في هذا النداء: ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ [الأحزاب:53].

ومن رد على الله كفر.

وكذلك الإنسان لا يخلو من خواطر السوء إذا نظر إلى المرأة، كالذي يجلس أمام التلفاز والفيديو يشاهد عاهرة تغني وترقص، ولا نقل: إن هؤلاء أولياء الله وأهله، وأهل السماء، وهم أطهار أصفاء، بل ينتقل ذلك المرض إلى نفوسهم فتخبث، ولولا عصمة الله لوقعوا في الفجور.

ولا تقل: ليس في هذا شيء؛ لأن اليهود والنصارى والمشركون يغنون ويرقصون في بيوتهم، بل في المراقص والمقاصف؛ لأن هؤلاء كفار أهل النار، فقد غضب الله عليهم وأسخطهم.

وأنت تدعي أنك تريد مواكبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وتقول إنك: مسلم، وأنتك تعتز بإسلامك، ثم تقف مواقف يخجل منها الأدمي، وتتعلل بشتى العلل.

وأنا أقول هذا الكلام لأن الدنيا خمت بالخبث؛ نتيجة هذه الأباطيل والترهات.

وقد كان المؤمن يعيش أربعين سنة لا ينظر إلى امرأة أجنبية، ثم أصبح كل ليلة مع الأجنبية والعواهر، ويسمع ويشاهد ألوان الباطل، ثم يقول: إنه مازال مؤمناً، ومازال مسلماً.

فهو إن مات على حسن الخاتمة فقد نجا، وقد يموت على سوء الخاتمة.

[سادساً: مشروعية الحجاب وفرضيته، وهو أنه لا يحل لغير المحرم أن يخلو بامرأة من غير محارمه، أو يتكلم معها بدون حجاب، إلا أن تكون عجوزاً لا تحمل ولا تحيض لكبر سنهما] أو كان لضرورة علاج، أو إنقاذ من نار، أو غير ذلك، وأما أن يجلس مع الأجنبية وينظر إليها ويتحدث معها بدون ضرورة فهذا والله الذي لا إله إلا غيره قد فسق وخرج عن طاعة الله ورسوله.

وهذا لا يحل أبداً، وإن لم يمسه ولم يفجر بها.

قال: [فأذكر هذا أيها المؤمن، ولا تنسه، واعمل به، وعلمه غيرك؛ فإنه علم واجب ونافع.

والله المستعان، وعليه التكلان.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] هذا نداء أمس، وهو النداء الثالث والستون.

هذه نداءات الله الرحمن خالقنا ورازقنا، ورافع السماء فوقنا، وباسط الأرض لنا، وهو الذي زين السماء بالكواكب، وأوجد الشمس والقمر، وأنطقنا - وإلا لما نطقنا - وأسمعنا - وإلا لما سمعنا - هذا هو الله جل جلاله، رب محمد، وهو ينادينا بالقرآن؛ ليشرّفنا ويعلي من شأننا؛ لأننا أولياؤه المؤمنون المتقون، فلنفرح بنداءاته ولنسر بها، ولنجتمع عليها. ولما نسمع بالبلاء، وما يتم بيننا وفي العالم من شر وظلم وخبث وفساد لا مثيل له والله فلا تقل: اليهود والأمريكان سبب ذلك، ولا النصراني ولا غير ذلك، وإنما هو الجهل، وعذك معرفة المسلمين ربهم معرفة حقيقية.

فهم يذكر لهم حبه وخوفه، وهم لم يخافوه ولا أحبوه، وهم لن يطيعونه إذا لم يخافوه ويحبوه، ولذلك انتشر أنواع الظلم والخبث والشر والفساد في العالم الإسلامي، وكذلك الفتن والبلايا، وسبب هذا الجهل.

فهم يزعمون أنهم مواطنون، وأن هؤلاء أخوانهم، ثم يفجر بعضهم بنساء بعض، ويمزق بعضهم أعراض البعض، ويأكل بعضهم أموال بعض ودماءهم.

وليس علة هذا أمريكا، ولا اليهود، ولا الماسونية، ومن قال هذا فكلامه هراء.

وأنت لا عذر لك عند الله، إلا إذا أخذك اليهودي وغمسك وأنت كاره في الفجور، فهنا نعم تكون معذوراً، أو إذا أخذك النصراني بالحديد والنار وقال: اسجد لهذا الصنم، فهنا تعذر، وأما أن نكون نحن منغمسون في الباطل ثم نقول: الغرب والشرق فعيب هذا الكلام.

فمثلاً: إذا سمعت أن الدش ينقل المنكرات والفواحش والأباطيل فإن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فوالله ما دخل بيتك، وإن كنت جاهلاً ثم سمعت هذا فمزقه وارمه في الشارع، لا أن تنصبه، ولو كتبنا كتاباً عنه وقرأه يهودي لبكى منه، وأنت أمام الرسول تتبجح به، وتلهو إلى الآن.

وليس هذا هو الإسلام، ولا هذه صفات المسلمين، وسيأتي يوم يكشف الله فيه الغطاء، وتتجلى فيه حقائق الحياة.

وجوب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

هذا هو [النداء الرابع والستون] ومضمونه وفحواه والمطلوب منه [وجوب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم] فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة حتمية، ومن قال: لن أصلي عليه فقد كفر؛ لأنها فرضها الله وأوجبها.

وهي نتغنى دقائق بهذه الآية، وهي آية واحدة.

قال: [الآية (56) من سورة الأحزاب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] [الأحزاب: 56].

حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [ما حكم صلاتنا على نبيينا صلى الله عليه وسلم؟] أهى واجبة أو مستحبة؟ [والجواب: أنه الوجوب الحتمي، من لم يصل عليه ولو مرة في عمره هلك، وخسر بمعصيته هذه التي لا يتصف بها ولا يأتيها إلا من فارق الإيمان قلبه] ولا يوجد مؤمن لا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، وإذ وجد هذا فهو ليس مؤمناً، بل هو كاذب في قوله: إنه مؤمن [و] قد [أصبح في عداد من لا يؤمن بالله ورسوله وكتابه. والعياذ بالله تعالى من هذه الحال].

فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

[الشرح] لهذا النداء الكريم: [اعلم أيها القارئ الكريم! أن هذا النداء الكريم له أهميته وشأنه العظيم، وحسبك] وكيفك [أن ما أمر الله تعالى به عباده المؤمنين كان قد فعله] هو [سبحانه وتعالى قبل أن يأمر به عباده] فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ذات شأن عظيم، وحسبك أن الله صلى الله عليه بنفسه أولاً، ثم صلى عليه ملائكته، ثم أمرنا نحن، ولو لم يكن هذا الأمر عظيماً لكان بدأ بنا، ولكنه بدأ بنفسه أولاً، ثم ملائكته، ثم أمرنا نحن [إذ قال تعالى قبل هذا النداء: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ [الأحزاب:56]] ثم نادانا فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [الأحزاب:56].

اللهم صل على محمد وسلم تسليماً [فأخبر أنه هو تعالى وملائكته يصلون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم] وهذا ليس مرة واحدة، بل صلوا عليه وسلموا تسليماً على مدى الحياة كلها، فلنكن كذلك، نصلي عليه ما بقيت لنا حياة.

وفسرنا النبي أنه محمد؛ لأنه قال: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ [الأحزاب:56]. والأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، وقد علمنا أنه محمد صلى الله عليه وسلم هو صلى الله عليه وسلم [فأين نحن أيها المؤمنون! من عظمة الله تعالى، وكمال ملائكته وطهارتهم، وهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم؟ إذاً: فأمره تعالى لنا بالصلاة على نبيه شرف عظيم لنا، وكرامة تفوق كل كرامة في هذه الحياة] وأنت لو يأتيك مرسوم ملكي يقول لك: قد انتخبناك أمير مجلسنا لطرت بلا جناحين، وهذا الموقف مع إنسان فقط، فكيف مع الله عز وجل؟! قال: [أما المصلي والمسلم عليه فلا نسأل عن كرامته وعلو درجته وسمو مقامه؛ فإننا لا ندرك ذلك، ولا نقوى على تصويره.

فاللهم صل وسلم عليه ما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون].
معنى صلاة الله وصلاة الملائكة وصلاة المؤمنين على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: [والسؤال الآن] معاشر المستمعين والمستمعات! [هو: ما معنى صلاة الله تعالى، وصلاة الملائكة، ثم صلاتنا نحن المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم؟] ويجب أن نعرف معناها؛ لأننا إذا لم نفهم معناها ورددناها فقط كالبيغاوات فإن أجرها يكون قليلاً جداً، وقد ينعدم، فلا بد من العلم [والجواب كالآتي] واكتبوه في قلوبكم: [أولاً: صلاة الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم معناها: ثناؤه تعالى ورضوانه عليه] فإذا صلى الله على النبي صلى الله عليه وسلم في الملوكوت الأعلى فقد أثنى عليه بالخير، ورضي عنه، ويضفي عليه رضوانه. فثناء الله عليه ورضوانه عليه هذا معنى صلاة الله على النبي. فلنحفظ هذا.

ولذلك يقال: رضي الله عنهم، ورضوان الله عليهم.

[ثانياً: صلاة الملائكة عليه صلى الله عليه وسلم دعاؤهم له واستغفارهم له] وليس أنهم يركعون ويسجدون له، بل صلاة الملائكة على النبي صلى الله عليه وسلم هي أنهم يدعون الله تعالى له بم يحب أن يصل إليه من الخير والكمالات، ويستغفرون له.

[ثالثاً: صلاة المؤمنين] ونحن منهم على نبيينا [معناها: التشريف والتعظيم له صلى الله عليه وسلم] فإذا قلنا: صلى الله عليه وسلم فقد شرفناه وعظّمناه، ومن لم يصل عليه فهو لم يشرفه ولم يعظّمه، بل قد أهانه واحتقره، فهو كافر؛ لأننا أمرنا أن نصلي عليه.

المواضع التي تتأكد فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [وسؤال آخر: متى تتأكد الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم؟] فقد علمنا أنها واجبة حتمية [والجواب: تتأكد في موضعين] واسمعهما:
رابعاً: في بداية الخطبة

قال: [رابعاً: بدء الخطبة في الجمعة أو غيرها بحمد الله والثناء عليه، ثم بالصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم] كما تسمعون.
فالخطاب الذي تريد الهداية به إبداءه بحمد الله والصلاة على رسوله، وإلا لم يباركه الله، ولم ينتفع به الناس.
وهذه سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.
خامساً: بعد الأذان

قال: [خامساً: عند الفراغ من الأذان؛ إذ رغب الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك] وهذا الذي فعله الآن بحمد الله، وإن كان البعض يشرد [وهو أن يقول السامع مثلاً يقول المؤذن، إلا عند: حي على الصلاة، حي على الفلاح، فإنه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا فرغ صلى على النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة الإبراهيمية] وهي منسوبة إلى إبراهيم لذكر إبراهيم فيها [التي يصلي بها في التشهد الأخير في الصلاة، وقد تقدمت صيغتها، ثم يقول: (اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته)] فإذا أذن المؤذن فنقول مثلاً يقول، إلا عند الحيلتين نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا فرغنا نصلي على النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة الإبراهيمية، ثم نسأل الله تعالى له الوسيلة والفضيلة، وأن يبعثه المقام المحمود الذي وعده [من فعل هذا حلت له شفاعته صلى الله عليه وسلم ووجبت] فالجائزة على ذلك: أن تحل لنا الشفاعة المحمدية، ونكون ممن يشفع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.
والوسيلة: درجة رفيعة لا تنبغي إلا لواحد، قال: (وأرجو أن أكون أنا هو).
وقد طلب من أصحابه أن يدعوا الله له بذلك.
سادساً: يوم الجمعة وليلتها

قال: [سادساً: الإكثار منها، أي: من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها، لترغيبه صلى الله عليه وسلم في ذلك] والحمد لله أني ما تركت يوم الجمعة وليلتها الصلاة على النبي، بل أترك القرآن وأترك أنواع التسبيح، وأشغلها بالصلاة عليه، ولا أترك التسبيح الواجب بعد الصلوات، بل الوقت الذي نقضيه في الفراغ أو نسيح الله فيه نصلي فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة ويومها، وأما في اليوم واللييلة فعندنا ورد بثلاثمائة، فاطلبوا هذا تحصلوا عليه.
وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.
ثانياً: عند ذكره صلى الله عليه وسلم

قال: [ثانياً: عند ذكره صلى الله عليه وسلم] فإذا ذكر بين يدينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأكد أن نقول: صلى الله عليه وسلم، فإذا قالوا: رسول الله، أو نبي الله، أو محمد رسول الله فيتأكد أن نقول: صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لحديث: [(رغم أنف امرئ ذكرت عنده ولم يصل عليك)].
والقائل هذا جبريل عليه السلام في حديث صحيح [فقد كان عليه الصلاة والسلام يخطب الناس على المنبر، وفجأة سمعوه يقول: آمين! آمين! آمين! واصل خطبته، فلما فرغ سألوه: يا رسول الله! لقد قلت كذا وكذا، قال: (نعم! أتاني جبريل فقال لي: رغم أنف امرئ ذكرت عنده ولم يصل عليك، فقل: آمين! قلت: آمين!)].
ومعنى رغم أنف امرئ: أي: أذله الله، ومرغ أنفه في التراب والذل.
وهذا الذي تذكر عنده ولا يصلي عليك.

ولا يوجد مؤمن يستطيع أن يسمع ذكر رسول الله ولا يقول: صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يرضى أن يصب عليه الذل والمهانة عليه من الله عز وجل.
ثالثاً: في بداية الدعاء وآخره

قال: [ثالثاً: بدء الدعاء وختمه بالصلاة على نبي الله صلى الله عليه وسلم؛ رجاء الإجابة] فإذا قمت تدعو الله وتطلب منه شيئاً فلا تبدأ تقول من أول الكلام: أعطني، وإلا لكنت تأمره بهذا. والعوام إذا أرادوا أن يطلبوا من إنسان شيئاً لا يبدعون بقول: أعطنا، بل يبدعون: يا سيد! بلغنا أنك كذا وأنت كذا، ونحن نقدر ما عليك، وبعد ذلك يقولون: أعطنا. وأما الجهال فيقولون من أول الدعاء: أعطنا، وكأنهم يأمرونه، وهم لم يعلمهم أحد، وقد عاشوا في الجهل. فابدأ بالتملق والترلف إليه، ثم اسأله. فتأدب مع الله.

قال: [إذ سمع صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو] في حلقته في الروضة: [يا رب! يا رب!] أعطني كذا، فالتفت إلى أصحابه و [قال: (لقد عجل هذا)] فلم يجئ بالرافعة [(إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئاً فليحمد الله وليصل على نبيه ثم يسأل حاجته)] لا أن يقول من أول مرة: أعطنا؛ فهذا سوء أدب. فافهموا هذا.

فإذا أردت أن تسأل الله شفاء مريضك أو قضاء حاجتك أو إعطاءك كذا أو أن ينجيك من كذا فابدأ أولاً بحمد الله وتمجيده والثناء عليه، ثم صل له على نبيه متملقاً، ثم اطلبه واسأله بعد ذلك، وقد علمنا الله ذلك، فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة: 1-4]. وهذا حمد لله وثناء وتمجيد، وأما التملق فهو في قوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة: 5] لا غيرك. فلا نعبد إلا أنت، ولا نستعين إلا بك، وهذا تملق. وبعد ذلك جاء السؤال: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة: 6].

ثم إذا فرغ من الدعاء يختمه بالختم الأخير، وهو الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال العلماء: حاش لله أن يقبل الأولى والأخير، والأوسط يتجاهله. فإذا بدأت بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي ثم سألته، وأخيراً صليت على النبي صلى الله عليه وسلم فانه كريم، ونحن لم نعرف الكرم إلا منه، وهو لن يقبل الأول والأخير، ويتجاهل الوسط، وحاش لله! وإن قلت: يا شيخ! أنا دعوته ولم يعطني فأقول: هذا وسواس، فهو لم يعطك لأن الذي طلبته فيه مضرتك، وفيه خسرانك، وفيه شقائك، وهو وليك، ولا يرضى أن يشقيك أو يهلكك. وعلى سبيل المثال: لو أن أحداً الليلة عشق، فكان يدعو: يا رب! زوجني ليلي، ويتهجّد بالليل، وطالت أيامه ولم يعطه الله هذا، فالسبب أنه لو تزوجها لديته، أو لأدخلته النار، أو لأصابه البلاء، والله لا يرضى لوليه هذا، ولذلك يصرفه عنه. هذا مثال.

ومثال آخر: شخص يطلب وظيفة، ويدعو: يا رب! اجعلني في الديوان، أو أعطني كذا، ولم يعطه، فلا يقول: دعوت ولم يعطني؛ لأنه لا يدري لو حصل على هذه الوظيفة ماذا يحدث، فيمكن أن يكفر، أو يتكبر، أو حتى يترك الصلاة ويؤذي المؤمنين. ولهذا عندنا يقين أن من أحسن الدعاء وسأل الله بآداب الدعاء أنه لا يحرم، فإما أن يعطيه حاجته إذا كان له فيها خير، وإما أن يصرف عنه أدى وبلاء بهذا الدعاء، ويدفعه عنه، أو يعلي درجته في السماء، وما كان ليصل إلى ذلك المكان إلا بهذه الدعوات. و اقرءوا قول الله تعالى: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [غافر: 60]. فافهموا هذا.

إذاً: ابدأ دعاءك بحمد الله والصلاة على الرسول، اختمه بالسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، وأبشر بأنك قبلت، وأن دعاءك مقبول، ولو تذكر استجابات الله لك في حياتك لبكيت بين يدي الله. وقد قال صلى الله عليه وسلم: (لقد عجل هذا، إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئاً فليحمد الله وليصل على نبيه، ثم ليسأل حاجته) [فالدعاء إذا كان بين صلاتين على رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجاب، والحمد لله] وعلموا المسلمين هذا، والذين لم يسمعوا لن يتعلموا هذا، وهناك ملايين المسلمين لم يسمعوا هذا، ولذلك يدعون ولا يستجاب لهم.

ومعنى هذا: أنه يجب على أهل القرية أن يجتمعوا في مسجدهم الجامع كل ليلة بنسائهم وأطفالهم العام كله والسنين كلها؛ لأنه لن يزول الجهل ولن ينتهي الظلم والشر، والخبث والفساد إلا بهذا المنهج الذي نهجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودلنا عليه صلى الله عليه وسلم.

فلا حيلة لنا إلا أن نعلم فقط بنسائنا ورجالنا وأطفالنا.

ولا تقولوا: هذا وأوأو أو لهشيء كبير وأمر عظيم، فاليهود والنصارى قبل أذان المغرب في الساعة السادسة يذهبون إلى الباطل، ونحن لا نذهب إلى الحق، وهذا عجب.

فالكفار الذين اقتدنا بهم في الساعة السادسة يوقفون دولاب العمل، ولا يعملون لا في دكان ولا مطعم ولا غير ذلك، بل يذهبون ليروحوا على أنفسهم في الملاعب والمقاهي، والمقاصف والمراقص والسينما، والمؤمنون الذين يطمعون في الملكوت الأعلى لا يستطيعون أن يجتمعوا بين يدي ربهم يكون على الأقل! والبكاء يكفي؛ ليخرجوا من فتنة الجهل والضلال، بل أشركوا بالله، وخرجوا عن طاعته، وفسقوا عن أمره، وقتل بعضهم بعضاً، وفجر البعض بنساء بعض، وارتكبوا ذنباً لا حد لها، ولا علة لها والله إلا الجهل، ولا تقل السبب: الحكام، وتبدأ تكذب عليهم، بل العلة الوحيدة هي الجهل، فهم لم يعرفوا، ولن يوحى إلى كل واحد وإلا لأصبحنا كلنا أنبياء، وهذا مستحيل، بل لا بد من التعلم، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما العلم بالتعلم).

ويقول: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).

أولاً: في التشهد الأخير في الصلاة

قال: [أولاً: في الصلاة، أي: في التشهد] الأخير [من كل صلاة نافلة أو فريضة] بعد أن نحى ربنا، ونصلي على نبينا، ونسلم على نبينا وعلى عباد الله الصالحين، ونعلن بين يدي الله عن شهادتنا نصلي عليه صلى الله عليه وسلم. وهذه الصلاة واجبة متأكدة، أي: عندما نقرأ التحيات بعد أن نفرغ من الركوع والسجود ونجلس بين يدي الرب تبارك وتعالى، وفي الحديث: (إن الله ينصب وجهه لعبده في الصلاة).

ولا تسأل عن الكيفية، فالعالم كلها يضعها الله في كفه، وأين أنت من هذا؟ فكل واحد بين يدي الله. فلما نجلس ونقول: (التحيات لله، والصلوات والطيبات) هذه تحية لله، ثم نقول: (السلام عليك أيها النبي! ورحمة الله وبركاته).

وقد علمتم أنها تصل على الفور، ولا تتأخر لحظة.

والغافلون لا يستفيدون من هذا.

فإذا رغبت في أن تسلم على الرسول فصل، ولو كنت لا تسلم عليه إلا إذا جلست بين يديه وأنت في الشرق أو الغرب فقد تظل عامماً كاملاً وأنت راكب على الدابة حتى تأتي إليه، وقد لا تصل، ولكنه أعطانا هذه الخاصية قبل أن تعرف الدنيا أمواج الأثير ولا تحملها، فإذا قلت: السلام عليك أيها النبي! ورحمة الله وبركاته وأنت بين يدي الله فإنها على الفور تصله صلى الله عليه وسلم والله العظيم.

ولهذا قلت لكم: إذا سلمنا ونحن غافلون فنعيدها؛ لأنها ليست طيبة، بل سلم بحضور قلب: السلام عليك أيها النبي! ورحمة الله وبركاته.

ثم نسلم على الصالحين في الأرض والسماء قائلين: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين).

فلا يبقى صالح في الأرض والسماء إلا ناله ذلك السلام.

ولهذا فإن تارك الصلاة كافر؛ لأنه لا يحيي الله، ولا يسلم على رسوله، ولا يسلم على أوليائه وملائكته، ولا يشهد بين يدي الله: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله).

فهذا لا أقول فيه: مؤمن، بل هو كافر.

ووجه كون تارك الصلاة كافراً: أنه لا يجلس بين يدي الله، فالله يطلبه أن يأتي ويجلس بين يديه وهو لا يجلس، ولا يحيي الله، ولا يسلم على رسوله، ولا على صالح عباده، ولا يشهد شهادة الحق بين يديه في كل يوم خمس مرات.

فهذا لا نقول: إنه مؤمن.

فأنت عندما تجلس وتقول: (التحيات لله، والصلوات والطيبات) فهذا الله.

ثم نقول: (السلام عليك أيها النبي! ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله).

وهذه الشهادة بين يدي الله تؤديها.

فأنت تصلي على النبي الذي كان سبب هدايتك وولايتك [وصيغتها هي] أن تقول: [(اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.]

وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)] وهذه الصلاة حكمها أنها واجبة متأكدة، حتى قال الشافعي : صلاته باطلة إذا لم يصلها؛ وذلك لتأكيدا [هذه صيغة] وهي التي نصلي بها [وهناك آخر، هذه أتمها] فهذه أتم صيغة، ولكن نقص منها حرف، وهو: (اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد).

فالأصوب: (اللهم بارك).

وهذه صيغة من اثنين وثلاثين صيغة، وهي أفضلها وأكملها وأتمها، وهي: (اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.)

اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد) .

وهي واحدة من نيف وثلاثين صيغة من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي أكملها وأتمها [فاذكر هذا].

دأب بنو إسرائيل على تكذيب أنبيائهم، ولم يكتفوا بذلك بل بلغ بهم الأمر أن يؤذوا بعضهم ويقتلوا البعض الآخر، ومن الأنبياء الذين كثر ذكرهم في القرآن، وحكاية أذية بني إسرائيل لهم موسى عليه السلام، لذلك حذر الله عز وجل عباده المؤمنين من أذية النبي محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يماثلوا بني إسرائيل في ذلك. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

جعلنا منهم، وحشرنا في زمرة، ورضي عنا كما رضي عنهم. آمين.

نداء أمس كأن يأمرنا الله تعالى فيه بأن نصلي ونسلم على نبيه صلى الله عليه وسلم؛ إذ قال تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً [الأحزاب: 56]. اللهم صل على محمد وسلم تسليماً.

وعرفنا أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بحكم هذا الأمر الذي نادانا من أجله واجبة وجوباً حتمياً، وأن الذي يقول: لا أصلي عليه يكفر، ويخرج من ملة محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم عرفنا أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لها صيغ بلغت نيفاً وثلاثين صيغة.

وعرفنا أن أكملها وأتمها هي الصيغة الإبراهيمية، والإبراهيمية نسبة إلى إبراهيم، وصيغتها هي التي بعد التشهد والسلام على الرسول التي نصلي بها، وصيغتها التي هي أكمل صيغة هي: (اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد). هذه هي أكمل صيغة وأتمها.

وأدناها وأخصرها: هي التي فرضها الله علينا في هذا النداء، وجعلها خفيفة وسهلة وقصيرة؛ نظراً لأحوال البشرية في قرونها وعصورها، وهي: اللهم صل على محمد وسلم تسليماً.

وهذه لا يعجز عنها أحد، ومن قال هذا يريد طاعة ربه فقد أطاع الله؛ إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [الأحزاب: 56].

ومعنى صلوا عليه أي: قولوا: اللهم صل على محمد، ومعنى وسلموا تسليماً أي: قولوا: وسلم تسليماً، أي: أن ندعو الله عز وجل أن يصلي على نبينا ويسلم عليه تسليماً، فنقول: اللهم صل على محمد وسلم تسليماً.

هذا هو ما وجب أن نعرفه وقد عرفناه.

عدد صيغ الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [سابعاً: لقد ورد في صيغ الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم نيف وثلاثون صيغة، أكملها الصلاة الإبراهيمية، والكل جائز وفاضل ومستحب.

وأما الصيغة التي في هذا النداء فهي: اللهم صل على محمد وسلم تسليماً.

وهذه أصغر الصيغ وأيسرها وأسهلها، وبها يؤدي الواجب] وهذا من تدبير الله عز وجل.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند كتابة اسمه

قال: [ثامناً: من كتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يكتب] بعده [صلى الله عليه وسلم، كما هي مأثورة عن السلف] الصالح [فأصحاب الصحاح والسنن والمسانيد كلهم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث يكتبون: صلى الله عليه وسلم، وبعض المتأخرين] في الوجود وفي الزمان وفي الكمالات أيضاً [يكتب: (ص)] فقط [وهذا إجحاف ولا ينبغي] ولعل هذا من المستشرقين؛ لأن المستشرق كافر، فهو يكتب عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقول: صلى الله عليه وسلم، بل يعجز، فيكتب: (ص).

والروافض يكتبون عند علي: (ع)، أي: عليه السلام. فاكذبوا: صلى الله عليه وسلم، وعند أبو بكر اكتبوا: رضي الله عنه، ولا تكتبوا الرء فقط أو الضاد. وأهل الإيمان والبصائر إذا كتبوا صاحب يكتبون: رضي الله عنه، وأما كتابة الضاد فقط والصاد في صلى الله عليه وسلم فهذا من المستشرقين، وقلدهم الهابطون [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] هذا هو نداء أمس الكريم.

المواضع التي تتأكد فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

هناك مسائل منها: أنه يتأكد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع، وهي: أولاً: في الصلاة قبل أن نسلم منها بقولنا: السلام عليكم، فإذا تشهدنا في الفريضة والنافلة فقبل أن نسلم نصلي الصلاة الإبراهيمية على نبينا صلى الله عليه وسلم، ثم نسلم أو ندعو بما شاء الله لنا من ذلك.

ثانياً: عند ذكره صلى الله عليه وسلم، فإذا قيل: قال رسول الله فقل: صلى الله عليه وسلم، أو قيل: محمد رسول الله فقل: صلى الله عليه وسلم، ويدللكم على هذا عامة كتب السنة من المصنفات والمسانيد والصحاح، مثل الموطأ وصحيح البخاري ومسلم، فلا يذكر رسول الله إلا قالوا: صلى الله عليه وسلم، ولنا فيهم قدوة، فنحن نقفدي بهم، وهذه كتبهم مخطوطة بالقلم ومطبوعة، وهم لا يذكرونه صلى الله عليه وسلم إلا قالوا: صلى الله عليه وسلم. والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (أمين) عندما قال له جبريل: (رغم أنف امرئ)، أي: إنسان ذكراً كان أو أنثى (ذكرت عنده ولم يصل عليك).

قل: آمين، قلت: آمين!).

ومن دعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بالذل والهون لم يرتفع عنه إلا بالتوبة.

ثالثاً: عندما نشرع في دعائنا لربنا سائلين حاجتنا، ومن الأداب أن نبتدئ الدعاء بحمد الله والثناء عليه، ونصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم نسأل الله ما أردنا سؤاله، فإذا فرغنا نختم الدعاء بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا سهل واضح، والرسول صلى الله عليه وسلم في روضته سمع رجلاً يقول: يا رب! فقال لأصحابه: (لقد عجل هذا)، أي: استعجل، (إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئاً فليحمد الله، وليثن عليه، وليصل على نبيه، ثم يسأل حاجته).

لا أن يقول من أول مرة: رب أعطني! وكأنك تأمره، بل تملق أولاً وتزلف إليه.

وفي سورة الفاتحة علمنا ربنا كيف ندعو، فأولاً: قال: قولوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الفاتحة:2].

وهذا حمد لله، ثم قولوا: الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ [الفاتحة:3].

وهذا ثناء الله، ثم قولوا: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة:4].

وهذا تمجيد، ثم تملقوا إليه وقولوا: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة:5]، أي: لا نعبد إلا أنت، ولا نستعين إلا بك، ثم

اسأل حاجتك: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة:6].

فعلمنا كيف نسأل حاجتنا، بأن نبدأ نحمده ونثني عليه ونمجده، ثم نتملقه، ثم نقول: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة:6].

إذ حاجتنا هذه، ومن هداه إلى الإسلام ومشى فيه نجا، ومن لم يوفق لذلك خسر خسراناً أبدياً.

وأرجو ألا تنسى هذه، فقيمتها غالية.

وهناك ملايين يقرءون الفاتحة ولا يعرفون لها معنى أبداً، ولا يخطر ببالهم هذا، وهذا من تعليم الله عز وجل.

رابعاً: بدء الخطبة، فالخطباء والمدرسون يبتدئون دائماً خطبهم وتدريسهم بحمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم.

خامساً: عند الفراغ من الأذان، وهذه جائزة عظمى، ومحرومون أولئك الذين حرموها، وإن استغنوا بالمال والذرية، وإن وصلوا إلى عنان السماء، فمن يفقد هذه الجائزة فهو محروم، ولا يوجد بين المسلمين من يعرفها ويأخذ بها ولا (1%).

وهذه الجائزة يقول فيها الحبيب صلى الله عليه وسلم: (إذا أذن المؤذن) في أي وقت، سواء الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء أو الفجر (فقولوا مثلما يقول) في أنفسكم وليس جهراً، إلا إذا قال: حي على الصلاة فقل أنت: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا قال: حي على الفلاح فقل أنت: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولو كان لنا بين الناس حول وقوة لما سمع أحد النداء وتركه، بل لكان أجاب، ولكنه لا يتحول إلا بإذن الله، ولا يقوى على أن يأتي إلا بإذن الله. ثم إذا فرغ المؤذن وفرغنا فنصلي عليه صلى الله عليه وسلم الصلاة الإبراهيمية؛ إذ علمهم هذه الصلاة، لأنها الجائزة العظمى.

فإذا فرغنا من الصلاة عليه فنقول سائلين ضارين داعين ربنا لنبينا: اللهم - أي: يا الله! - رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة! أت محمداً - أي: أعطه - الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته. والوسيلة: درجة في الجنة لا تنبغي إلا لواحد فقط من البشرية كلها، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (وأرجو أن أكون أنا هو).

وطلب من أمته أن يسألوا الله له ذلك.

فمن قال هذا حلت له الشفاعة المحمدية، ووجب له شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كان من أهل النار خرج بالشفاعة من النار، وإن كان في الموقف وتأخر فقد يقدم حسابه بشفاعته، وقد يدخل في الجنة في منزلة دون، فيرفعه الله منزلة أعلى بهذه الشفاعة، فلا غنى لأحد منا عن هذه الشفاعة. فافهموا هذا.

وبلغوه للمسلمين والمسلمات، ولا تقولوا: ليس هناك حاجة إلى ذلك، ومن علم وعمل بما علم وعلمه غيره دعي في السماء عظيماً.

والناس يعملون ما هو مستحيل من أجل السمعة والذكر والخلود، وأنتم تعرفون عظماء أوروبا، والعظيم عندنا من عظم أمره في السماء، لا بين الملاحدة والفجرة والكفار، وهو من علم وعمل بما علم وعلمه غيره دعي في السماء عظيماً، وإن شاء الله تحملون هذه الأمانة، وتقولونها في البيوت، ويسمعا الأبناء والجيران، ولو كنا مرتفعين والله لما تخلفنا الليلة، لكننا هبطنا، فليس هناك هم ولا رغبة ولا غير ذلك.

وأعطيك صورة للعلو والهبوط، فهذه أم الفضل امرأة العباس عم سيد الناس وأم عبد الله بن عباس تقول: (صليت المغرب وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة، فقرأ بالمرسلات عرفاً، فحفظتها). ولو أنيتم اليوم بعوام المسلمين والعرب أجمعين وقرأتم عليهم المرسلات عشر مرات وحفظها واحد منهم أعطيك ما أملك.

وهذه امرأة سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي بها فحفظتها؛ لأنهم كانوا مرتفعين، ونحن الهابطون عندنا يسمع الرجل أكذوبة طويلة عريضة يعيدها بالحرف الواحد من أول مرة سمعها والله العظيم. ويسمع الشاب أو الشابة الأغنية من أغاني الممثلات والراقصات التي فيها الخلاعة والدعارة ويعيدانها بالنغم، وليس بالكلمات فقط، بل باللحن، وهذا هو الواقع.

ولذلك هبطنا، فيسمع الرجل قضية ويفهمها ولا يعمل بها لو علمها، ومن عمل بها لا يعلمها غيره، ولا يرغب في تلك الجائزة، ولا هم له فيها، ولا تقولوا: الشيخ يعتب علينا، بل أنا واحد منكم، فإن رحمتنا رحمتنا جميعاً، وإن عذبنا عذبنا جميعاً، ولكن هذا واقع الأمة، فقد هبطت.

سادساً: الإكثار منها يوم الجمعة وليلة الجمعة، فقد دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن نكثر من الصلاة عليه والسلام يوم الجمعة وليلتها.

وحد الكثرة لا يتم إلا بما فوق الثلاثمائة.

حرمة أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمة التشبه باليهود في أذية موسى عليه السلام

الليلة معنا نداء آخر، وهذا النداء لكم، فقولوا: الحمد لله، فخالق العوالم ورب كل شيء يناديكم، فافرحوا، والبعض إذا نادته عاهرة طار من الفرح، وإذا ناداه ضابط أو حاكم يبيت الليلة في كابوس، ونحن ينادينا رب العالمين ولا نفرح ولا نظرب، ولا نتحرك ولا ننشرح، ولا نبتهج ولا نصغي أذاننا لنسمع.

وهذا [النداء] هو [الخامس والستون] من تسعين نداء، نادى الله فيها أوليائه وصالحى عباده؛ ليعلمهم ويهذبهم ويعدهم للكمال والسعادة.

وهذا النداء مضمونه وما يحمله هو [في حرمة أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم] أولاً [وحرمة التشبه باليهود] عليهم لعائن الله [في أذية] نبيهم [موسى عليه السلام الآية (69) من سورة الأحزاب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ اللَّهُ وَجِيهًا [الأحزاب:69]] وهذه الآية لو كنا مرتفعين ما سمعها الليلة أحد إلا حفظها، ويؤكد حفظها بأن يصلي بها النافلة الآن، فعند أذن العشاء يصلي ركعتين بهذه الآية، ويصلي بها الليلة وغداً وبعد غد، فتبقى في ذهنه حتى الموت، ولكننا لسنا مهتمين، وإنما نحن مجذوبون إلى الأرض.

وهذه آية عظيمة، فصل بها النوافل، بل صل بها الفرائض، وهي فيها ما فيها من العلم والمعرفة والهدى، وحسبك أنك أمرت فيها بشيء، فقد أمرك سيدك ومولاك، وناداك لذلك، فامتثل.

تبرئة الله لنبيه موسى عليه السلام مما اتهمه به بنو إسرائيل

قال: [وقوله تعالى: فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا [الأحزاب:69]، أي: اتهموه به] والتبرئة معروفة، مثل أن يقول: فلاناً بريء من كذا، فاشهدوا.

قال: [أما براءته من تهمة الأذرة فإليك رواية مسلم فيها والبخاري بمعناها: (أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى بعض)] وسبحان الله! فالعرب والمسلمون اليوم يغتسلون عراة! ولست واهماً، فالأخبار تبليغنا عن الشواطئ والبحار من النيل إلى الأطلنطي أنهم يغتسلون عراة، ويضع أحدهم خرقة على فرجه فقط، ويبقون عراة، وهذا لا يجوز لنا.

والإنسان إذا كان وحده واغتسل عارياً في بركة أو في حوض أو في غير ذلك فلا بأس، وليس مع عشرة أنفار أو عشرين، ويشاهدون عورة بعضهم بعضاً، فهذا مسخ [(وكان موسى يغتسل وحده؛ لشدة حيائه، فقالوا: ما منعه أن يغتسل معنا إلا أنه أدر، فذهب يوماً)] موسى [(يغتسل، فوضع ثوبه على حجر)] أي: صخرة، فهي تسمى حجراً، والعامية: يسمون الحجر الصغير فقط حجراً، وإلا فالصخرة تسمى حجراً، وكل ما تحجر وتصلب فهو حجر [(وأخذ يغتسل، وإذا بالحجر يهرب بالثوب)] فقد أراد الله ذلك، كما تهرب أنت وتهرب أمك، وكما يهرب البعير الكبير والصغير أيضاً، وإذا أراد الله لأي شيء أن ينطق وأن يجري حدث له ذلك، فليس للناس فضل على الآخرين، ولكن أراد الله فقط هذا [(فيجرى موسى وراءه)] (وهو يقول) ويصرخ عليه السلام: (ثوبي حجر! ثوبي حجر!)، أي: ثوبي أخذك يا حجر! [(حتى وقف على جمع من بني إسرائيل فرأوا أنه ليس به أذرة كما قالوا)] ولو نزل في التوراة: أن موسى ليس بأدر لما صدقوا، ولو حلف هارون وفلان: والله ما بموسى من أذرة لما صدقوا، أو لصدق واحد وكذب عشرة، فكان لا بد من أن يشاهدوه، ويمكن أن يشاهدونه ويقولون: لا به أذرة، لكن يمكن أن عيوننا لم تراها.

وهكذا البشر.

فإذا لم تتحقق لك ولاية الله وتصبح وليه فإنك عرضة لكل المحن والفتن.

قال: [وأما براءته من تهمة قتل أخيه هارون: فقد روى ابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه: (أنه صعد موسى وهارون)] وهو أخوه [(الجبل -جبل الطور- فمات هارون عليه السلام)] بقضاء الله وقدره، فقد حضرت ساعته [(فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: أنت قتلته)] وهو نبي الله! فلا يعقل أن يقتل.

واليهود إلى الآن لا تفهم عقولهم، وهذا عجب، وفي بعض الأحيان والله ينزلون إلى مستوى المجانين كالدرأويش، وفي بعض الأحيان هم أشد الخلق عناداً ومكراً، وما زال هذا الوصف فيهم إلى الآن، مع أنهم ترقوا وقرءوا وسادوا العالم.

فهم هنا يقولون لموسى: (أنت قتلتَه) () كان أَلين لنا منك، وأشد حياء، فأذوه بذلك، فأمر الله تعالى الملائكة فحملته () أي: حملت جثة هارون () فمروا به على مجالس بني إسرائيل، فتكلمت الملائكة بموته () ولولا هذا لما صدقوا.

فقد حملته الملائكة ومرت به في السماء عليهم وهم جالسون، وأخبروهم أن هذا هارون مات، ويمكن أن يكون هناك من لم يصدق منهم () فما عرف موضع قبره إلا الرُخْم () جمع رخمة () وأن الله تعالى جعله أصماً أبكماً () فهو طائر أصم أبكم، ولم يعرف قبر هارون أحد غير هذا النوع من الطير () وهكذا رواه ابن جرير أيضاً. وقوله تعالى: وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً [الأحزاب: 69] أي: كان موسى ذا وجهة وجاه عند الله عز وجل، كان إذا سأله أعطاه، وإذا استعاده أعاده، وإذا استنصره نصره؛ وذلك لكماله الروحي والخلقي والأدبي، وما هياه الله له من الطهر والصفاء والصدق والوفاء.

ولنذكر هنا أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم: (ادع الله أن يجعلني مجاب الدعوة، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا سعد ! أطب مكسبك تجب دعوتك). فكان سعد مجاب الدعوة [.

وبقية الدرس نؤجله إلى غد إن شاء الله.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

بعض ما آذى به بنو إسرائيل موسى عليه السلام

قال: [ومن باب التسليية والتخفيف عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ذكر الله تعالى أذى بني إسرائيل لنبي الله [تعالى [موسى عليه السلام] حتى نتأكد أننا لسنا نحن وحدنا أصبنا بهذا، بل موسى أصيب بهذا [فقال: لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى [الأحزاب: 69]] والذين آذوا موسى هم بنو إسرائيل، واليهود الذين كانوا معه [مرة قالوا] عن موسى: [إنه أدر] لأنه لا يغتسل معنا على شاطئ البحر، بل يغتسل وحده [بمعنى: أن إحدى خصيئته منتفخة] فهو يستحي، ولا يريد أن يكشف عن نفسه، وأشاعوا: أنه أدر، فضحهم الله شر فضيحة. قال: [ومرة قالوا: إنه قتل أخاه هارون] بعد أن مات هارون بالفعل في جبل الطور، فقالوا: قتله موسى [لكونه] أي: هارون [ليناً هيناً معنا] وهو لم يرد لنا ذلك فقتله. ولا تعجبوا من هذا، فهذا الآن يجري بسهولة في بيوت الناس، فالبشر هم البشر إلا من عصمه الله بالنور في قلبه، وفاض على سمعه وبصره ولسانه.

سبب نهى الله تعالى للمؤمنين عن التشبه باليهود في إيذاء نبيهم

قال: [هذا النهي من الله تعالى للمؤمنين] وهو لم ينادهم إلا لأمر، ولكن لسبب حصل، فهذا النهي [له سببه و] هذا السبب [هو ما أشاعه ابن أبي كبير المنافقين] فعبد الله بن أبي هذا كان رئيس المنافقين في المدينة، وهو الذي كان يدخل المسجد يقول: أشهد أنك لرسول الله، فقال الله: وَاللَّهِ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ [المنافقون: 1]. فهذا الرجل كان عجيباً.

فنهى الله المؤمنين مما أشاعه [من فريته على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها] وقد سبق أن علمتم أن الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون كانوا في غزوة، وكانت عائشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاحتاجت إلى أن تتأخر لقضاء حاجتها، فسار الركب أو الغزاة وتركوها، فلما وجدت نفسها فقط في المعسكر جلست صابرة، فجاء أحد الصحابة كان أيضاً قد تخلف لقضاء حاجته فوجدها فعرف أنها أم المؤمنين، فأناخ ناقته وركبت وقادها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعسكر، فقال هذا المنافق: والله ما سلمت منه.

فكانت محنة ما ذاق الرسول صلى الله عليه وسلم مثلها قط [حيث تورط فيه عدد من المؤمنين كحسان بن ثابت رضي الله عنه وغيره] وبعض النساء، وكانت أيام مظلمة على الصديق و عائشة و علي والمؤمنين؛ حتى نزل القرآن بعد الابتلاء والامتحان، بقوله تعالى: إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم [النور: 11].

وهو ابن أبي عليه لعائن الله.

قال: [لذلك ناداهم الله تعالى بعنوان الإيمان؛ ليشمل كل مؤمن ومؤمنة؛ إذ أذية النبي صلى الله عليه وسلم محرمة، وأياً كان نوعها].
سبب نداء الله تعالى لعباده المؤمنين دون غيرهم

قال: [الشرح: اذكر أيها القارئ الكريم! ما قد سبق أن عرفت، وهو أن الله تعالى ينادي المؤمنين لإيمانهم] أي: من أجل إيمانهم، ولو كانوا كافرين لما ناداهم؛ لأن الكافر ميت، والميت لا ينادى، وليس معقولاً أن نناديه.
والله تعالى ينادي المؤمنين [إذ المؤمن حي يسمع ويفهم، ويفعل ويترك] وذلك [لكمال حياته، بخلاف غيره من أهل الكفر، فلا يُنادون ولا يُكفون إلا بالإيمان أولاً] فإذا آمن الكافر حيي، وإذا حيي فمره يفعل، وانه يترك، وأما وهو ميت فلا فائدة من نداءه، وذلك كجهال أمتنا الذين يأتون إلى القبور يدعون: يا سيد فلان! .. يا فلان! .. يا عبد الله! وهو لا يسمعهم، فهو قد مات، والميت لا يسمع، بل لو وقفت عند حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم طول العام تنادي: يا رسول الله! لما سمع، إلا إذا قلت: السلام عليك أيها النبي! ورحمة الله وبركاته، فتدرد روحه على الفور، ويقول: وعليك السلام، ثم تعود الروح إلى الملكوت الأعلى، فهو الذي قال: (ما سلم علي أحد عند قبوري إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام).

وهناك من يأتي ينادي: يا سيدي عبد القادر! يا سيدي مبروك! يا فلان! فإذا قلت له: إنك تنادي أمواتاً لم يفهم، والميت لا يستجيب، وكذلك الكافر، ولهذا لم يأمر الله الكفار أولاً بغير الإيمان [فإن آمنوا] فكلفهم؛ لأنهم [أصبحوا أهلاً للنهوض بما يكفون به من فعل وترك، وأهلاً لأن يُنذروا فيحذروا، ويُبشروا فييسروا ويفرحوا، ويُعلموا فيعلموا، ويُفقهوا فيفقهوا؛ وذلك لكمال حياتهم؛ لأن نداءه تعالى المؤمنين بلفظ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الأحزاب: 69] معناه: يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد [نبياً و [رسولاً، لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى [الأحزاب: 69]] أي: كاليهود، فهم الذين آذوا موسى عليه السلام.

يأمر الله عز وجل عباده المؤمنين بتقواه تعالى، إذ تقواه سبحانه محققة لولايته، ومن تولاه الله فلا يخاف ولا يحزن، وحقيقة هذه التقوى خوف الله عز وجل خوفاً يحمل صاحبه على عدم معصية الله سبحانه وتعالى، ويحمله على طاعته واتباع أوامره، ويحمله على طلب العلم ليعرف حقيقة ما يؤمر به وما ينهى عنه من اعتقادات وأقوال وأعمال وصفات.

تابع حرمة أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمة التشبه باليهود في أذية موسى عليه السلام

بعض ما أودى به النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

قبل الشروع في النداء السادس والستين نذكر خلاصة النداء الخامس والستين.

قال: [هذا وقد أودى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض المؤمنين، ومن ذلك] الإيذاء [ما يلي: أولاً: حادثة الإفك] أي: الكذب المخلوق [إذ هو أذى] أصابه [في عرضه وشرفه] صلى الله عليه وسلم [وعرض امرأته] عائشة رضي الله عنها [وشرفها، وأنزل الله تعالى في براءة امرأته أم المؤمنين قرابة سبع عشرة آية، والحمد لله!] أن برأها الله وبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: [ومن العجيب أن المخدوعين المغرر بهم] والمضللين [من الروافض ما زالوا] إلى الآن [يلوكون تلك الفرية، ويلصقونها بأمة المؤمنين] وليس هناك جهل أعظم من هذا، وهذا ضلال وفسق وباطل ومنكر، ووالله ما عرفنا كيف نؤول لهم هذا، فقد برأها الله تعالى بسبع عشرة آية من كتابه، وختمها بقوله: **أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** [النور: 26] [مع أن الذي يكذب الله تعالى يكفر] وهم يقولون أن يقول لك أحدهم: عائشة زنت! وهذا لا يعقل [فكفروا وهم لا يعلمون] والذي أستطيع أن أقوله: الذي يعلم ما أعلمه أنا الآن - وأنتم في الإمكان أنكم تعلمونه - ويتهم أم المؤمنين ويتجج ويقول ذلك فوالله لا حظ له في الإسلام، ولو صام وصلى ألف عام. لكن في خلق الله العجائب، فهذا عجب.

وهم يرددون هذا لا شيء يستفيدون منه.

وأقول: لو حدث هذا الحادث منذ ألف وأربعمائة سنة فليس هناك فائدة حتى نردده ونلوكه ونتحدث به، وليس هناك مصلحة حتى نقول هذا.

ولا نقول: سبحان الله العظيم! [ثانياً: قسم يوماً صلى الله عليه وسلم مالاً على أصحابه] المؤمنين [فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله] وهذا ضعف البشر، فقد كان هذا مريضاً، وقلبه فيه مرض، فقال: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله.

بهذا اللفظ [فقال أحد الحاضرين: أما يا عدو الله! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت] وله الحق أن يقول هذا، فهذا عدو الله قطعاً، فالذي يبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتهم ولي الله فهو عدو الله، ولا شك أن

هذا منافق، فاضت الأوساخ من قلبه على لسانه، وقد كان يكتمها، ولكن جاءت المناسبة وبرزت، فقال: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله.

ونفس عن قلبه [فذكره] أي: فذكر ذلك [للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه] صلى الله عليه وسلم، وهذا شأن الأشراف [ثم قال: (رحمة الله على موسى، لقد أودى بأكثر من هذا فصبر)] ولو كان واحداً منا لقال: انتوا به، وجروه بالحبال، فهو يتهم رسول الله، ويقول عن قسمته: (ما أريد بها وجه الله).

ولكن ذو الأخلاق السامية والآداب الرفيعة والحلم العظيم والرحمة الكبيرة كل ما في الأمر أن قال: (لقد أودى بأكثر من هذا) أي: موسى (فصبر).

ثم صبر صلى الله عليه وسلم.

وإن شاء الله نفتدي به، فإذا سمعت كلمة في يوم من الأيام قل: أودى بأكثر من هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا ليس لي قيمة بجانبه.

وقد علمتم في نداء البارحة أن موسى أودى، فقد قالوا: إنه آدر، ولهذا يغتسل وحده ولا يغتسل معنا، وفضحهم الله، فقد ذهب موسى يغتسل في الشاطئ وحده، ووضع ثوبه على صخرة، فهربت الصخرة، وجرى موسى وراءها وهو يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتي وقف به بين بني إسرائيل، فشاهدوه سليم البنين، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا [الأحزاب:69].

وقد كان هذا نداء أمس، فصلوا به النافلة حتى تحفظونه.

وقوله: لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى [الأحزاب:69] معناه: لَا تَأْذُونِ نَبِيَكُمْ كَمَا آذَى الْيَهُودُ نَبِيَهُمْ، هذا هو فحواه.

[ثالثاً: ومرة أخرى لبيه بثوبه الأقرع بن حابس] رضي الله عنه، فقد أسلم، والأقرع معروف عندنا، فهو الذي ليس في رأسه شعر، فالأقرع بن حابس لبب النبي صلى الله عليه وسلم [وقال له: هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، اعدل فينا يا رسول الله!] ولو فعل بك أحد بنيك هكذا لطحنته [فرد عليه قائلاً: (ويحك!)] أي: ويحك يا أقرع! [(إذا لم أعدل أنا فمن يعدل؟)] والله لن يبقى أحد يعدل إذا لم يعدل الرسول، بل سيعجز غيره ولن يستطيع [ثم قال: (رحم الله أخي موسى، أودى بأكثر من هذا فصبر)] فقد قالوا عنه: إنه قتل هارون، وليس هناك أذى أعظم من هذا، وقالوا: قتل أخاه لأنه لين معنا، ورحيم بنا، فقتله.

وقد أودى موسى في مواطن غير هذا، فقد صدر عليه الحكم بالإعدام، وهرب من بلاد مصر.

قال: [وأخيراً: فليحذر كل مؤمن ومؤمنة أن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي نوع من الأذى] سواء في عرضه أو في بدنه، أو في ماله أو في دينه، أو في رسالته أو في أمته، أو في أتباعه من المؤمنين والمؤمنات [فإنه إثم عظيم.

وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم، تسليماً دائماً إلى يوم الدين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] .

كان هذا بقية النداء الذي درسناه أمس، ونصه الكريم بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا [الأحزاب:69].

وقوله: وجيهاً أي: ذا جاه عظيم، فما سأل الله إلا أعطاه، ولا استنصره إلا نصره، ولا استعاذه إلا أعاده.

وجوب تقوى الله عز وجل ووجوب القول السديد

هذا هو [النداء السادس والستون] وها نحن نقرب من النهاية، وهكذا الحياة.

وهذا النداء [في وجوب تقوى الله عز وجل، ووجوب القول السديد] وكل سامع وسامعة، ومؤمن ومؤمنة في حاجة ماسة أكيدة إلى تحقيق هذين المطلبين، وهما: الأول: تقوى الله، والثاني: القول السديد.

والله إننا في حاجة إلى هذين أكثر من حاجتنا إلى الدينار والدرهم، بل أكثر من حاجتنا إلى الهواء والغذاء والماء؛ إذ لا كمال ولا سعادة بدونهما.

وهيا نتغنى بهذا النداء قبل أن نشرحه، فهو نداء ربنا إلينا، والحمد لله! قال: [الآيتان (70 ، 71) من سورة الأحزاب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:70-71].

[الشرح] معاشر المستمعين والمستمعات! يا أهل الإيمان! إليكم شرح هذا النداء العظيم؛ لتزدادوا بصيرة وعلماً وتقوى وثباتاً: [اذكر أيها القارئ الكريم!] وهذا القارئ الكريم هو الذي يقرأ هذا النداء، وليس الذي يقرأ المجلات والجرائد والصحف، ويأخذ في قراءة الجريدة ربع ساعة، وفي أربع جرائد ساعة كاملة، ولا يقول: باسم الله ولا: الله أكبر، بل يخرج فارغ اليدين، لا يملك ولا قلامة ظفر، بل إن لم يصب بالبلاء في قلبه فهو في خير وعافية. فينبغي على هذا أن يقرأ نداءات الرحمن جل جلاله، فهو الله الرحمن سبحانه وتعالى، فهو ينادينا ليعلمنا وليربيننا وليهذبنا، وليكملنا وليرشدنا، فلا يليق بنا ألا نقرأ له ولا نداء، وكأننا لا نؤمن به، أو غير مباليين به، والعياذ بالله. ولو كان هناك مؤمنون صادقون لعمت هذه النداءات كل بيت في العالم الإسلامي، ولترجم إلى كل لغة من لغات المسلمين من العربية إلى الفارسية.

ونحن والله نريد أن نسموا بسرعة، ونعود إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة، وليس هناك مانع من هذا، فقد كنا في علياء السماء، فاحتال العدو علينا وأهبطنا، ولذلك فمن الممكن والجائز أن نرجع لو أن المسلمين في قراهم ومدنهم وفي عالمهم أخذوا هذا المنهج فقط، وذلك أنه قبل غروب الشمس من كل يوم عندما ينتهي العمل في المصنع والمزرعة والمتجر والدكان يتوضئون ويحملون نساءهم وأطفالهم إلى بيوت ربهم، ويجلسون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، ويجلس لهم عالم رباني يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم؛ نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك كل ليلة وطول العمر، فيصبح المسلمون والله لو رفعوا أكفهم إلى الله وسألوه أن يزيل الجبال لأزالها، أو أن يحيي الموتى لأحيائهم، وفوق ذلك أنهم يجتمعون، ولا يبقى مذاهب ولا أحزاب، ولا سياسة ولا دول، بل يصبحوا أمة واحدة، كلمتهم: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ولو زحفوا بأيديهم وأرجلهم على أي إقليم لدخلوه، وغيروا حياته.

ولا نذهب بعيداً، فأنا أعلم يقيناً أنهم لو فعلوا ذلك فلن يبقى بينهم زنا ولا كذب، ولا فجور ولا تلصص، ولا خداع ولا كبر، ولا عجب ولا حسد ولا ظلم، ولن يموت أحدهم جوعاً أو عطشاً، ولن يعرى أحدهم، ولا غير ذلك، ولأصبحوا أمة واحدة، وهذا يكفي، فنصبح وكأننا سكنا في الملكوت الأعلى، وهذا بغض الطرف عن ترفعنا عن أوساخ الدنيا. والله ليتحقق هذا بأمر الله؛ لأن الله سنناً لا تتخلف، فالطعام يشبع، والماء يروي، والنار تحرق، والحديد يقطع، فهذه سنن لا تتبدل، وكذلك الأخذ بالكتاب والسنة لا بد وأن يهديا صاحبهما إلى الكمال والإسعاد، وليس هناك مانع من هذا، وأنا لم أجد لذلك مانعاً أبداً.

ولن نسمو ونعلو ونرتفع ونحن جهلة، ونسبة العالمين بيننا (1%) أو إلى ألف، ولن نقود البشرية وننقذها من وهدة الباطل والكفر، ولن نسوقها إلى دار السلام، فهذا كالمستحيل، ونحن لسنا بأهل له.

ومن ارتاب في هذا واضطرب قلنا له: في خمس وعشرين سنة فقط فتحنا العالم من هذه المدينة النبوية - فهي طيبة، وهي التي تأكل القرى- إلى ما وراء نهر السند شرقاً، وإلى الأندلس غرباً، ولا تسأل عن الشمال والجنوب، وهذا في خمس وعشرين سنة، ولو أردت أن تعد مصنعاً حقيقياً لم ينتج في هذه الفترة.

وهذا لم يحصل بالهيدروجين، ولا بالذرة والصواريخ، ولا بالطائرات، بل حملوا هذه الرسالة على أرجلهم، أو على الإبل والبهايم، لا أقل ولا أكثر، ولم يلجئوا كافرين إلى الإسلام بالحديد والنار أبداً، بل فقط لاحت أنوارهم وهم يحملون أنوار الله في أيديهم، فقبلت البشرية ذلك، ودخلت في رحمة الله.

ومع ذلك لم يفق النائمون منا، وهناك من يقول: إنهم صحوا، ولا وجود لهذه الصحوة، فنحن ما رأينا شيئاً منها، وإنما فقط فضل الله ورحمته هو الذي حرر العالم الإسلامي من الاستعمار.

ثم جاء عصر الطائرات والاتصالات، فأصبح العالم كمدينة واحدة، فالاتصالات هيأت الكتاب والصحيفة وغير ذلك، فانتشر نوع من الوعي فقط، وأما أن نقول: إننا صحونا فنحن لم نصح بعد، بل ما زلنا نغط في نومنا، ويوم أن ترائنا أمة واحدة وكلمتنا واحدة، نقصد بيوت الله، ونحن متأخون متحابون فقل: صحيح، لقد رفعنا رءوسنا. ويكفي هذا البكاء.

وهيا نعود إلى الشرح.

معنى التقوى

قال: [هذا] أي: الذي سمعتم [واعلم أن تقوى الله عز وجل حقيقتها] التي تتحقق بها ولاية الله - فافهموها وسلوها عنها، واعرفوا كيفية الحصول عليها- [خوف من الله عز وجل، يحمل الخائف على عدم معصيته عز وجل في فعل

ولا ترك في الظاهر والباطن سواء [فتقوى الله خوف يحمل صاحبه الخائف على أن لا يعصي الله بترك شيء أمره فيه بفعله، ولا بفعل شيء نهاه عن تركه. هذه هي تقوى الله. وهذا المعنى واضح.

فتقوى الله يا شيخ! ليست جلباباً ولا رداء ولا بنطلون، بل هي: خوف ينتجه لك التفكير في آيات الله ومخلوقاته، وفي جلاله وعظمته، وفي كونه يعز من يشاء ويذل من يشاء، وأنه يعطي ويسلب، ويميت ويحيي، وأنه بيده ملكوت كل شيء، فهذا الإيمان يوجد هذا الخوف، وهذا الخوف إذا حصل في قلبك أصبحت لا تستطيع أن تعصيه، بل إذا قال: صم صمت، وإذا قال: أفطر أفطرت، وإذا قال: حج حججت، ولا تستطيع أبداً أن تخرج عن طاعته؛ بسبب ذلك الخوف في نفسك [ويحمله ذلك على أن يطلب العلم؛ ليعرف ما أمر الله تعالى به عباده المؤمنين، وما نهاهم عنه من الاعتقادات والأقوال والأعمال والصفات، ويجاهد نفسه في ذلك؛ حتى يبلغ بها درجة الطمأنينة؛ فتصبح لا تفرح إلا بطاعة الله عز وجل، ولا تحزن إلا في معصيته تعالى، وتصبح حالها: الإيمان بقاء الله، والرضا بقضاء الله، والقناعة بعطاء الله، كما ورد في دعاء الصالحين: اللهم إني أسألك نفساً مطمئنة، تؤمن بقاءك، وترضى بقضائك، وتقتنع بعطائك] اللهم آمين [اللهم وفقنا لهذا المطلب، واجعلنا من أهله. آمين].

كيفية تحقيق تقوى الله عز وجل

هنا كلمة نذكرها، وهي: أنه إذا سألك شخص كيف يحقق تقوى الله عز وجل فقل له: خف من الله، وافعل المأمور واترك المنهي، فبذلك تصبح تقياً ولياً، فإذا سألك أن تدله على المأمور الذي أمر به، والمنهي الذي نهى الله عنه حتى يتركه فقل له: لا بد من العلم إذا أردت معرفة أوامر الله ونواهيه، ومستحيل أن تحقق ولاية الله وأنت لا تعرف الأوامر ولا النواهي، فالعلم لازم، فإذا قلت: أنا أريد أن أكون ولياً لله وقدأمنت واتيقت، فعليك أن تتقيه بفعل ما أمرك به وترك ما نهاك عنه؛ إذ بهذا تتقي سخطه وغضبه وعذابه. وهذه الأوامر ليست أكل البقلاوة، ولا الأغاني، ولا قضاء شهر العسل، بل لمعرفة هذه الأوامر لا بد وأن ترحل إلى أقصى الأرض حتى تعرف أوامر الله؛ من أجل أن تمتثلها، وأن ترحل إلى أبعد مكان لتعرف ما نهى الله عنه من قول أو اعتقاد أو عمل؛ حتى تطيع الله بذلك.

ومن هنا: الذي يريد أن يأخذ ولاية الله بدون علم فوالله أنه لن يحقق، ولن يظفر بها، ولن يصبح ولياً لله، وهذا صحيح، وليس باطلاً، فقد تأكل ما حرم عليك وأنت تريد ولايته، فيصبح غضبان عليك، وقد يناديك لتقوم وأنت نائم، فلن تحصل على الولاية، فهذا طلب العلم فريضة على كل مؤمن ومؤمنة، وعلى كل مسلم ومسلمة. ولا تقولوا: يا شيخ! لا نستطيع أن نطلب العلم، فنحن فلاحون لنا مزارعنا ولنا مواشينا، ونحن كذا لنا مصانعنا، فلا نستطيع أن نطلب العلم، وأقول: فقط ادخلوا بيوت ربكم وقت فراغكم، فأنتم بشر لا تعملون الليل والنهار أبداً، واليهود والنصارى إذا دقت الساعة السادسة لم يبق لهم عمل أبداً، لا في مطعم ولا غير ذلك، بل يتجه الناس إلى الملاهي والمقاهي يريحون على أنفسهم، وأنتم لا تستطيعون أن تدخلوا بيت الله! فإذا دخلنا بيت ربنا جلست نساؤنا من وراء الستار، وأطفالنا دونهن، وفحولنا أمامنا، والمربي بين أيدينا، ويتعلمون ليلة آية، وليلة حديثاً، وهكذا ليلة قال الله، وليلة قال رسول الله، وهذا معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلا يمضي عام أو عامين أو ثلاثة أو أربعة إلا ولم يبق بين المؤمنين والمؤمنات عبد ليس ولياً لله. وإذا قلتم لا نستطيع فإذا ابقوا على ما أنتم عليه، وعما قريب تصف الصفوف، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ [الشورى:7].

فقد غرقنا في هوان الدنيا وزلها، وهذا هو الحاصل، وحفنة من اليهود بالوا على رؤسائنا. واستغفر الله! وأنتم لم يبلغكم أنه لما دارت تلك الحرب أيام زعيم العروبة ودخلوا واحتلوا غزة واحتلوا القدس جمعوا سفراء العرب على جدار وبالوا عليهم في بيت المقدس. وليس هناك ذل أعظم من هذا.

وربنا يفعل بنا هذا لأننا عصيناه، ولم نطعه، بل فسقنا عن أمره، وخرجنا عن طاعته، وهجرنا كتابه، وبعدنا كل البعد عن شرعه، ووالله لقد لطف بنا ورحمنا وأكرمنا، وإلا فنحن لا نستحق حتى الحياة أبداً، فالأمة بكاملها تعرض

عن الله، وتعيش على الضلالات والخرافات، والشركيات والباطل، والانقسامات والحزابات، فهي لا تستحق رضا الله، ولكن لطف بنا الله عز وجل.
ونكمل هذا النداء غداً إن شاء الله.
وصل اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
بيان ما تتحقق به ولاية الله عز وجل

قال: [وها هو ذا تعالى يناديهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [الأحزاب:70].
ويأمرهم بتقواه عز وجل؛ إذ تقواه هي المحققة لولايته تعالى لهم بعد الإيمان] ولو نسأل الناس غير أهل هذه الحلقة من منهم يريد أن يكون ولياً لله لقالوا: هذا بعيد يا شيخ! فلن نصل إلى هذا، وهذا ليس معقولاً أبداً، فقد قال لنا الفقهاء: الذي يقول: أنا ولي الله يموت على سوء الخاتمة.
ومعنى هذا: أن تقول: أنا عدو الله؛ حتى تموت على حسن الخاتمة! ولا إله إلا الله! فهم يقولون: من ادعى الولاية فإنه يموت على سوء الخاتمة، إذاً: فمن ادعى العداوة لله فمن الممكن أن يموت على حسن الخاتمة.
ونحن نقول: تتحقق ولاية الله للعبد أبيض كان أو أسود بشيئين اثنين لا ثالث لهما، وهما: الإيمان وتقوى الله عز وجل.

فأمن واثق فقط حتى تكون ولياً لله، وليس في هذا شك، فالولاية لا تكون من جهة النسب، ولا من جهة الشرف، ولا من جهة اللغة، ولا من جهة الوطن، ولا من جهة الآباء والأجداد، وإنما تتحقق ولاية الله والله بشيئين، وهما الإيمان، وتقوى الرحمن.

والدليل على هذا يا طلبية العلم! أننا سمعنا الله تعالى يقول: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:62-63]، أي: آمنوا إيماناً أصبح وصفاً لازماً لهم كيباض هذا الثوب، ولهذا جاء بصيغة الماضي، وكانوا يتقون دائماً مساخت الله ومغاضبه، وذلك بفعل ما يأمر به، وترك ما ينهى عنه.
هؤلاء هم أولياء الله.

وأعطوني رجلاً منكم واعياً أسافر معه إلى أي بلد من بلاد العالم الإسلامي من العجم والعرب، وعندما أهبط معه من الطائرة إلى المطار نركب سيارة إلى داخل المدينة، ثم نقول لأول رجل نلقاه - على شرط ألا يكون سمع بدروس الشيخ الجزائري -: يا سيد! نحن غرباء جئنا من بلاد بعيدة لزيارة هذا البلد، فمن فضلك دلنا على ولي من أولياء هذه البلاد نزوره، فإنه والله لا يأخذ بأيدينا إلا إلى ضريح، ولا يفهم أن في القاهرة ولياً لله حي، مع أن سكانها أكثر من سبعة ملايين، ومع هذا لا يوجد فيها إلا ولي ميت.

ومن يرد علي في هذا فليقتض أن يأخذ هذه الفكرة ويدخل دمشق، فهي قريبة، وعندما يلقى أي شخص - بشرط أن لا يكون سمع دروسنا؛ لأننا قد رددنا هذا أربعين سنة- يقول له: أنا غريب، وأريد زيارة ولي من أولياء هذه المدينة، فإنه والله ما يقودك إلا إلى قبر، ولا يفهم أن هناك ولياً حياً موجود.

والسر وراء هذا: أن يأكل بعضنا بعضاً، وأن يزني بعضنا بنساء بعضنا، وأن نحتال على بعضنا؛ لأننا لسنا بأولياء، وأما الولي فيقول الله تعالى عنه: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).
فلا يوجد من يؤذي ولياً ميت.

ولكنهم احتالوا على المسلمين حتى جعلوهم يهبطون، وسلبوهم الولاية، وجعلوهم أعداء الله، فلهذا تجد في القرية والمدينة والله المؤمن يزني بامرأة المؤمن، ويحتال عليه ويأكل ماله، ويكذب عليه ويخدعه، ولو كان يعتقد أنه ولي الله لما استطاع أن يقرب هذا أبداً.

فأولياء الله هم الذين إذا سألوهم أعطاهم، وإذا استعانوا أعادهم، وإذا استنصروهم نصرهم.
قال: [ومن وليه الله لا يخاف ولا يحزن، ومن عاداه والله ما أمن ولا فرح أبداً] فقد قال الله: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62].

وأما أعداءه فيخافون ويحزنون.

سبب نداء الله تعالى للمؤمنين دون غيرهم

عليك أيها القارئ الكريم! أن تذكر [ما عرفته من سر نداء الله تعالى للمؤمنين بعنوان الإيمان] وهذا السر يا علماء! يا أذكىاء! يعرفه العلماء وأهل الدرس، وهم لم يدرسوا في أمريكا ولا في اليابان، فالسر الخفي في نداء الله تعالى عباده المؤمنين بعنوان الإيمان في قوله: يا أيها الذين آمنوا! أن المؤمنين أحياء، يسمعون ويعون، ويفهمون ويفقهون، وإذا أمروا فعلوا، وإذا نهوا تركوا؛ وذلك لكمال حياتهم، وأما غير المؤمن فهو ميت، وإلا فأعطني بريطانياً تقول له: قم صل فسمع، فهو لن يسمع، ولا يفهم ولا يجيب؛ لأنه ميت، وليس حياً. والبرهنة القطعية على هذا: أن أهل الذمة من أهل الكتاب في ديار المسلمين أيام أن كانوا يعيشون في ديارنا لم نكن نكلفهم بصلاة ولا بصيام، ولا بغسل من الجنابة، ولا نطالبهم بجهاد، ولا بإعطاء المال؛ لأنهم كالأموات بيننا، فإذا ما حيي أحدهم ودخل نور الإيمان في قلبه فقد أصبح أهلاً لأن تتاديه، وأن يلبي.

وهذا واضح. ولا يقول لك الشيطان: إنهم أحياء يعيشون، فلا تقل: إنهم أموات، فقد قال تعالى: أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ [النحل:21].

إذاً: الإيمان بمثابة الروح، ولا حياة بدون روح، لا في القطة ولا في الحمار ولا في الآدمي، والله إنه لا توجد حياة بدون روح أبداً.

والدليل يا أهل الحلقة! على أن الإيمان روح: قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا [الشورى:52]. وهذا الروح هو القرآن، فالقرآن روح، فمن آمن به وفهمه وعمل به حيي، ومن أعرض عنه وكفر به لم يحيا، بل يبقى ميتاً.

قال: [وأنه لا يناديهم إلا ليأمرهم أو ينهاهم، أو يبشرهم أو ينذرهم؛ وذلك رحمة بهم وإحساناً إليهم؛ من أجل أن يكملوا ويسعدوا].

تقوى الله عز وجل كفيلة بتطهير النفس وتزكيتها، وهذه التزكية تضمن للعبد السعادة الدنيوية والأخروية، والقول السديد كفيل بإصلاح الأعمال الدنيوية من بيع وشراء، وهدم وبناء، ونكاح وطلاق، وسفر وإقامة، وإلى غير ذلك من أمور الحياة الدنيا الضرورية للإنسان.

تابع وجوب تقوى الله عز وجل ووجوب القول السديد

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمريهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

كنا بالأمس مع النداء السادس والستين، ولم نتمكن من إكمال دراسته لضيق الوقت، وسنعيد دراسته بعد أن نتغنى به دقائق معدودات.

قال: [النداء السادس والستون: في وجوب تقوى الله عز وجل، ووجوب القول السديد الآيتان (70 ، 71) من سورة الأحزاب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: 70-71]] فهذا النداء فحواه ومضمونه وما يحمله من هدى للمؤمنين والمؤمنات هو: وجوب تقوى الله عز وجل، ووجوب القول السديد، وكما يجب على المؤمن أن يتقي الله يجب عليه أن يقول إذا قال قولاً سديداً، وأن يعلموا أن تقوى الله واجبة، وأن القول السديد واجب، وأن القول غير السديد حرام وباطل؛ لما فيه من الشر والأذى والفساد.

عاقبة طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم

قال: [وأخيراً: زاد إنعامه] إنعاماً [و] زاد [إفضاله على عباده المؤمنين إفضالاً، فقال: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: 71].

أما طاعة الله وطاعة رسوله فإنها في الأمر [الواجب، والأمر المستحب والمندوب] والنهي [أي: في المكروه، وفي الحرام، وتكون الطاعة هنا بالترك [والترغيب] في الفعل [والترهيب] في الترك [وفي النفل] وهو الزائد على الواجب والمكروه الذي بعد المحرمات [والمكروه] وفي الفضائل والمستحبات أيضاً، فكل هذا يشمل لفظ الطاعة، فلنتأمل ذلك.

قال: [وأما الفوز العظيم] الذي بشر به ووعد [فهو سعادة الدارين] أي: الدنيا والآخرة، والكرامة الدائمة فيهما [أما في الدنيا فهي الأمن ورغد العيش مع انشراح الصدر، وطيب خاطر، وهناء البال، والعز والكرامة الدائمة] هذا في الدنيا [وأما في الآخرة: فهي النجاة من النار، ومواكبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ إذ قال تعالى من سورة النساء: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ [النساء: 69]، أي: المطيعون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا [النساء: 69-70]] فافهموا هذا.

فمن يطع الله والرسول - وهاتان كلمتان فقط- يكون مع أعظم مواكب الدنيا، وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، فأنا في القرن الخامس عشر يمكنني أن أواكب محمداً، وأن أواكب الصديق، وأن أواكب خالد بن الوليد في الجهاد، وذلك إذا التزمت طاعة الله وطاعة الرسول، وهي فعل ما أمرا به من مزايا النفس ومطهراتها، والابتعاد واجتناب مخبثات النفس ومدسياتها.

فمن زكت نفسه عاش مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

قال: [وفي ختام بيان هذا النداء أذكر لك أيها القارئ الكريم! ما يزيد في تقواك ورضاك] وهو [ما رواه ابن أبي حاتم وذكره ابن كثير في التفسير] وهو [أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوماً الظهر بأصحابه] في المسجد هذا، وصلى بهم في تلك الروضة الطاهرة [ثم أوما إليهم أن اجلسوا] لما صلى واستقبلهم يسبح، فقد أرادوا أن يقوموا، فأشار إليهم: أن اجلسوا [فجلسوا، ثم قال لهم: (إن الله أمرني بأمر: أن آمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولاً سديداً)] فاعرفوا قيمة هذا اللفظ.

وهم والله ما بقي بينهم من يكذب، ولا من يحرف الكلمة، ولا من يقول غير ما هو حق وصواب، ولما ينتهي الكذب والتضليل والتحريف يسود الأمة الطهر والصلاح، ويستقيم أمرها.

وأما الهبوط هذا فهو نتيجة الأقوال المتضاربة التي تقصد العقول والقلوب.

قال: [(ثم أتى النساء)] ولم تكن النساء يجلسن مع الرجال، بل مثل نساءنا الآن نحن خلفنا، وكذلك كن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [(فقال لهن: إن الله أمرني بأمر: أن آمركن أن تتقين الله وتقلن قولاً سديداً)].

فكان ختام هذا النداء كبدائته [أي: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [الأحزاب:70]] والحمد لله المتفضل على عباده.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [وصل اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثمرة التقوى والقول السديد

قال: [واعلم أن الله تعالى جعل ثمرة تقوانا له وقولنا لبعضنا القول السديد إصلاح أعمالنا] فقد قال: وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [الأحزاب:70-71].

وليس هناك جزاء أعظم من هذا، فإذا قلتم قولاً سديداً فإنه يكافئكم بأمرين: أولاً: يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ [الأحزاب:71]. فصاحب القول السديد دائماً أعماله نافعة وناجحة؛ لأنه أخلاها من الكذب والغش والنفاق والخداع والجهل والباطل، وكل أقواله تنتج، فمن أراد أن تصلح أعماله في مزرعته وفي دكانه وفي تجارته وفي أعماله وفي طبه وفي دراسته فعليه أن يصلح قوله، ويقول القول السديد، حتى تكون أعماله بحمد الله صالحة، وتسلم من العطب.

والثاني: [ومغفرة ذنوبنا، وفي تحقيق هذين المطلبين سعادة الدارين] الدنيا والآخرة [وسر ذلك أيها القارئ الكريم! والمستمتع المستفيد!] [أن تقوى الله عز وجل] التي هي فعل الأوامر وترك النواهي [كفيلة] وضامنة للعبد ولصاحبها [بتطهير النفس وتركيتها] والله.

وجه ذلك: أننا علمنا: أن الأمر الذي أمر الله به إذا فعلناه أنتج لنا زكاة أنفسنا، وأن ما حرم الله ونهى عنه إذا فعلناه خبثها ولوثرها، فإذا أبعدها عنها وتركناه بقي الزكاة والطهر والصدق.

فتقوى الله عز وجل كفيلة وضامنة للعبد بتطهير نفسه وتركيتها [وسعادة الآخرة تتم بزكاة النفس وطهارتها] والإنسان يدخل الجنة يوم القيامة وينجو من النار بزكاة نفسه، فإن كانت نفسه زكية طاهرة نقية من أضرار الشرك والمعاصي لم يردّه عن باب الجنة راد، وإن كانت ملوثة خبيثة مليئة بأضرار الشرك والذنوب والمعاصي فهذا أمره إلى الله، والدليل قطعي في هذه القضية في كتاب الله [إذ قول تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10]] فهذا هو حكم الله الذي لا يعقب عليه أبداً، وهو قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

وسواء كنت أبيض أو أسود، أو كنت ابن من شئت، أو كنت أبا لمن شئت، بل لو كنت أبا للخليل إبراهيم ونفسك خبيثة فوالله لن تشم رائحة الجنة، ولو كنت أبا لفرعون أو لموشى ديان ونفسك زكية فوالله لن يصدقك عن باب الجنة صاد؛ إذ هذا حكم الله العزيز الحكيم، وقد أقسم بأعظم قسم عرفناه في القرآن على هذا الحكم، فقال: وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا * وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا [الشمس:1-8].

فهذه أحد عشر يميناً وحلفاً، وهي كما تقول: والله والله والله. وهو يحلف بها على هذا الحكم: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: 9-10] [ومعنى أفلح: فاز] أي: شق طريقه إلى دار السلام [والفوز هو النجاة من النار ودخول الجنان] فإذا زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز. وتقوى الله كفيلاً بهذا وضامناً له؛ لأن تقوى الله أن تنتبه للكلمة التي تنتج الحسنات فتفعلها، وللکلمة التي تنتج السيئة فتتركها، وهكذا إلى أن تموت، هذه تقوى الله، فإن عصيت ووقعت في معصية فاغتسل من جديد، وواصل سيرك بالبكاء والدموع والاستغفار وأداء الحقوق إلى أصحابها، فقد تطهر نفسك بعد أسبوع.

قال: [كما أن القول السديد كفيلاً بإصلاح الأعمال الدنيوية من بيع وشراء، وهدم وبناء، ونكاح وطلاق، وسفر وإقامة، وإلى غير ذلك من أمور الحياة الدنيا الضرورية للإنسان فيها] فصاحب القول السديد لا يخيب في أي امتحان يمتحن به، والذي لا يطلب القول السديد يقول القول الهابط والساقط والزائد والناقص، وصاحب هذا دائماً يقع في الورطة تلو الأخرى، وينتقل من محنة إلى أخرى.

وقد سبق لنا نداء عجيب نادانا الله وحفظناه وعملنا به، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: 119].

ولا تكونوا مع الكاذبين.

والصادق هو الذي يصدق في عقيدته وقوله وعمله، وفي حياته كلها.

قال: [فما أعظم إرشاد الله تعالى لأوليائه! وما أكرم الله تعالى على عباده المؤمنين! إذ أمرهم بأمرين: تقواه، والقول السديد، وجعل الجزاء أمرين] عظيمين: [إصلاح الأعمال، ومغفرة الذنوب، وما بعد هذا المطلب من مطلب].

معنى التقوى

قال: [هذا واعلم أن تقوى الله عز وجل حقيقتها] يا من يريد معرفتها! إنها [خوف من الله عز وجل يحمل الخائف على عدم معصيته عز وجل في فعل ولا ترك في الظاهر والباطن سواء، ويحمله ذلك على أن يطلب العلم ليعرف ما أمر تعالى به عباده المؤمنين، وما نهاهم عنه من الاعتقادات والأقوال والأعمال والصفات، ويجاهد نفسه في ذلك؛ حتى يبلغ بها درجة الطمأنينة].

مراتب النفس

اذكروا أن النفس وصفت في كتاب الله بثلاث صفات: الأولى: أنها أمارة بالسوء، أي: كثيرة الأمر بالقبيح وما يسيء من الاعتقاد والقول والعمل، وهذا طبعها.

الثانية: أنها لوامة، كثيرة اللوم لصاحبها، فتحمله على المعصية ثم تلومه.

الثالثة: المطمئنة.

واسمعوا يوسف الصديق بن الصديق يقول: وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي [يوسف: 53].

وقال تعالى: لَا أُقْسِمُ بِبَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ [القيامة: 1-2].

وقال: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً [الفجر: 27-28].

فإذا آمن العبد وعرف الله معرفة حقيقية أنتج له هذا خوف الله في قلبه وحب الله فيه، ثم إن هذا يأخذ في جهاد نفسه حتى يخرج بها من درجة الأمارة إلى اللوامة، ثم مرحلة أخرى فتصبح مطمئنة، أي: لا تستريح ولا تهدأ ولا ينشرح صدر العبد إلا إذا كان في عبادة الله [فتصبح لا تفرح إلا بطاعة الله عز وجل، ولا تحزن إلا من معصيته تعالى] وإذا خرج عن عبادة الله قلق وتحير وتلمل وتضجر، فإذا كان في مجلس لا يسمع فيه ذكر الله قام، ولا يرتاح أبداً.

وهذه النفس المطمئنة يقول لها ملك الموت: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتِي [الفجر: 27-30] [وتصبح حالها: الإيمان بقاء الله، والرضا بقضاء الله، والقناعة بعباء الله، كما ورد في دعاء الصالحين: اللهم إني أسألك نفساً مطمئنة تؤمن بقاءك، وترضى بقضائك، وتقع بعبائك].

اللهم وفقنا لهذا المطلب [وحققه لنا] واجعلنا من أهله.

آمين].

الأمر بالقول السديد ومعناه

قال: [وقوله تعالى: وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [الأحزاب:70]] فقد قال الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ [الأحزاب:70].
ثم قال لنا: وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [الأحزاب:70] [هذا أمر آخر بعد الأول] فالأمر الأول هو: اتَّقُوا اللَّهَ [الأحزاب:70].
والأمر الثاني: وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [الأحزاب:70].

فهذا أمر آخر بعد الأول [وهو أن لا يقول المؤمن إذا قال] وعزم على القول [إلا ما كان صائباً صدقاً، نافعاً غير ضار، هادفاً مصيباً ذا أثر محمود] وعاقبة طيبة.

ونحن نعرف الصياد الذي يسدد الضرب، وكذلك المجاهد، وكذلك عبد الله وأمة الله إذا أراد أن يقول فقبل أن يقول يسدد القول، فإن رأى فيه خيراً وهو رضا الله وحب الله قاله، وإن رأى فيه سخط الله تركه، حتى لكأن عنقه كعنق الجمل، فقبل أن يقول وتصل إلى اللسان يكون قد عرضها على العقل، فإن علم أنها من رضا الله تعالى قالها، وإن علم أنها من سخط الله كتمها، وردها إلى صدره.

وهذا واجب، فقد قال الله: وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [الأحزاب:70].

فإن قلنا: لا، بل سنقول: ما نشاء فقد رددنا على الله وكفرنا.

وللسديد من القول معان كلها صالحة، فاسمعوها: [وقد عرفه بعضهم] أي: عرف بعض أهل العلم القول السديد [فقال: القول السديد هو: لا إله إلا الله محمد رسول الله] وهو والله العظيم لكذلك، وليس هناك قول أصوب من هذا، فليس هناك إله مع الله، وهذا مستحيل، والله لا يمكن أن لا يكون محمد رسول الله. فهذا أسد قول.

فقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله والله لمن القول السديد الصائب الهادي [وهو القصد الحق، وهو الذي يوافق ظاهره باطنه] فليس فيه نفاق؛ لأن المنافق يقول في الظاهر كلمة طيبة وفي الباطن خلاف ذلك [وهو ما أريد به وجه الله دون سواه] فكل كلمة يراد بها وجه الله هي صائبة وقول سديد [إذ القول السديد الذي أمر تعالى به عباده المؤمنين يشمل كل هذه التعريفات ويزيد] فإذا أردت أن تتكلم في مجلس أو هممت أن تقول كلمة ففكر، فإذا علمت أن فيها رضا الله وأنها تنتج خيراً فقل، وإذا شككت ولم تدر بأنها قد يكون فيها سخط الله أو تؤدي من يسمعها فاصمت عنها واطرکها ولا تقلها، وهذا ليس ببعيد؛ إذ المؤمن حي يعقل ويفكر، ويفقه ويفهم. سر نداء الله عز وجل لعباده المؤمنين دون غيرهم

قال المؤلف غفر الله له ولكم، ورحمه وإياكم: [اذكر أيها القارئ الكريم! ما عرفته من سر نداء الله تعالى للمؤمنين بعنوان الإيمان] وهذا السر هو: أن المؤمنين أحياء والكافرين أموات، فالله عندما ينادي المؤمنين بعنوان الإيمان فكأنما يقول: أيها الأحياء! افعلوا كذا، واطرکوا كذا، وأبشروا بكذا، واحذروا من كذا؛ لأنهم أحياء، فعنوان الإيمان دال على حياة أهل الإيمان.

قال: [وأنه ما يناديهم إلا ليأمرهم أو ينهأهم، أو يبشّرهم أو ينذرهم] فالله تعالى لا ينادي عباده المؤمنين في كتابه إلا ليأمرهم بما فيه خيرهم وكمالهم، أو لينهأهم عما فيه شرهم ونقصانهم، أو ليبشّرهم بصلاح أعمالهم، أو لينذرهم مما يكون وبالاً وشرّاً عليهم، أو ليعلمهم علماً ينتفعون به، ولا يناديهم لا لشيء، وتعالى الله عن هذا، فالله جل جلاله منزّه عن العبث.

قال: [وذلك رحمة بهم وإحساناً إليهم] فهو يناديهم ليعلمهم أو ليبشّرهم أو لينذرهم من أجل رحمته بهم وإحسانه إليهم [من أجل أن يكملوا ويسعدوا] في الدنيا والآخرة.
كيفية تحقيق ولاية الله عز وجل

قال: [وها هو ذا تعالى يناديهم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الأحزاب:70]، ويأمرهم بتقواه عز وجل؛ إذ تقواه هي المحققة لولايته تعالى لهم بعد الإيمان، ومن وليه الله لا يخاف ولا يحزن، ومن عاداه الله ما أمن ولا فرح أبداً] بل يخاف ويحزن.

ولا ننسى ما تقرر وعلمناه من: أن ولاية الله تتحقق بأمرين وشيئين اثنين لا ثالث لهما، وهما: الإيمان الصحيح وتقوى الله عز وجل، فكل مؤمن تقي هو لله ولي والله.

فيا من يرغب في تحقيق ولاية الله! ويريد أن يصبح ولياً لله آمن واثق، فأمن الإيمان المطلوب، وهو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، واثق الله فلا تعصه، ولا تخرج عن طاعته ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، بل إن أمرك فافعل، وإن نهاك فاترك، هذه هي التقوى.

وهنا ملحوظة يجب ألا ننساها، وهي: أن الذي لا يعرف أوامر الله -وهي عديدة- ولا نواهيه -وهي كثيرة- لا يمكنه أن يتق الله، ولا أن يطيعه، ولهذا كان طلب العلم فريضة، فلا بد وأن نعرف جميع ما حرم الله من قول أو عمل أو اعتقاد أو صفة أو ذات، كما يجب أن نعرف كل ما أمر الله به من أنواع الطاعات، وبذلك نتحقق لنا الولاية، وأما أن تؤمن فقط وتقول: أنا مستعد لأن اتقي الله وأنت لا تعرف ما أمرك به ولا ما نهاك عنه فلا يمكنك أن تتقه، فتقوى الله هي الوقاية التي تقي العبد من عذاب الله، وهذه الوقاية هي الطاعة، فإذا أمرك سيدك فقل: مرحباً، وافعل، وإذا نهاك فقل: سمعاً وطاعة، واترك، ولا تزال تفعل وتترك حتى تنتظم حياتك في ولاية الله.

ولهذا إياك أن تفهم أو يلقى إليك فتقبل: أن الله يتخذ ولياً جاهلاً، بل لا يكون الجاهل ولياً أبداً، ولا تفهم من كلمة جاهل أنه ليس عنده دكتوراه أو ماجستير، أو أنه لا يفهم اللغة الإنجليزية، فنحن لا نعني هذا الفهم، بل نعني: أن يكون المؤمن عارفاً، فيسأل عما يحبه الله فيحفظه، ويسأل عما يبغض الله ويكره فيفهمه ويتركه، وإن كان لا يقرأ ولا يكتب، فهو ليس في حاجة إلى هذا.

وما اتخذ الله ولياً جاهلاً إلا علمه، وهذه كلمة قالها بعض السلف، وهي حق. فإذا أراد الله أن يتخذك ولياً فإنه يعلمك، وهو لن يوحى إليك حتى يعلمك، بل يجعل في نفسك رغبة في أن تجلس مجالس العلم، ويدفعك إلى أن تذهب إلى الشيخ تسأله حتى تتعلم، وأما أن تكون ولياً لله وأنت لا تعرف ما يحب ولا ما يكره فهذا والله ما كان.

إذاً: ولاية الله تتحقق بالإيمان والتقوى، والذي لا يعرف الحلال والحرام لا يمكنه أن يتقي الله، بل لابد وأن يعرف الحرام حتى يجتنبه، والحلال حتى يأتيه، ويعرف أمر الله ونهيه.

وهذا المعنى قد استقر في أذهان السامعين والسماعات، وليس فيه ارتياب.

وكلنا نريد أن نكون أولياء لله، فعلياً أن نؤمن ونتقي فقط، وإلا فالضعف يأتي من طريق عدم معرفة الله معرفة حقيقية، فالشخص يقول: أمنت ثم لا يبلغ درجة اليقين في إيمانه، ولا يعرف الله بأسمائه وصفاته، فلا بد إذاً من إكمال ذلك الإيمان، فإذا آمن ثم اتقى الله فلم يغضبه ولم يسخطه، وعرف ما يحبه وأمر به ففعله، وعرف ما يكره الله وينهى عنه ويعذب عليه فتركه فقد تحققت له ولاية الله، ولا ننسى أيها الأولياء! أننا نتفاوت في الدرجة، وعلى سبيل المثال، أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم المبشرون بالجنة عشرة، وأكملهم أبو بكر الصديق، مع أنهم كلهم أولياء، ولكن أبو بكر أفضلهم.

وهذا المجلس المبارك فيه ألف سامع وسامعة أولياء لله عز وجل، ولكن ليس مستواهم واحداً، بل بقدر الإيمان والعمل والعلم تكون الدرجة أعلى.

وعندنا مثل يفهم به الناس هذا الحكم، وهو رتب الجيش، فأول رتبة أن يكون عسكرياً جندياً، وبعدها عريفاً، وبعدها رقيباً، وهكذا سلسلة، وكلهم جند، ومستواهم ليس واحداً، بل بدايتهم جندي، وآخرهم عقيد أو لواء أو كذا.

ومن هنا نعرف أن كل مؤمن ومؤمنة اتقى الله فهو ولي الله، ولكن ليس مستواهم واحداً والله، بل يتفاوتون بقدر قوة إيمانهم وصدق أعمالهم، ولكننا لا نسلب عنهم ولاية الله ما داموا قد آمنوا بالله، فعبدوه وحده واثقوا مسأخطة، ولم يخرجوا عن طاعته وطاعة رسوله، لا بفعل محرم ولا بترك واجب، إلا إذا ألجؤوا إلهاء واضطروا اضطراراً فذاك عفو الله.

وقد سبق لأمتنا أن ولي الله هو ذاك الذي يبول وهو واقف على ثيابه، وفيه الأوساخ وكذا، ويقول الهجر، وينطق بالباطل والكفر، ويتمسحون به ويتقربون، وقد سمعنا بهذا و علمناه وعرفناه.

وكذلك عندهم ولي الله هو ذلك الذي مات وبني على قبره قبة، وجعل له تابوت من خشب، ووضعت عليه الستائر من الحرير، وأوقدت له الشموع ليلة الإثنين والخميس، فهذا هو ولي الله، وأما غير هذا فليس ولياً أبداً.

وإذا لم يكن ولياً فهو عدو، وليس هناك واسطة، بل إما أن يكون عدواً لله أو ولياً لله، وليس هناك وسط أبداً، وعدو الله ولي للشيطان، وولي الرحمن عدو للشيطان.

ولكن علة هذا: الجهل.

ولقد قلت مرات: هيا ندخل إلى حاضرة من حواضر العالم الإسلامي وإلى عاصمة من العواصم، وعندما تلقى أول رجل من أهلها نسأله أن يدلنا على ولي في هذه البلاد، فإنه لن يأخذ بأيدينا إلا إلى ضريح، ولا يفهم أن تلك العاصمة فيها أولياء بين الناس.

وجربوا هذا، وادخلوا أي بلاد شئتم، وقولوا لأول من تلقونه من أهلها: يا سيدي! أنا جئت من بلاد بعيدة، أريد أن أزور ولياً من أهل هذه البلاد، فدلني على ولي، فإنه لن يأخذ بيدك إلى عبد صالح في بستانه أو في دكانه أو في المسجد، بل لن يأخذ بيدك إلا إلى ضريح سيدي فلان، وهذا هو الفهم العام من أكثر من تسعمائة سنة. وسبب هذا هو الجهل.

فهم لم يجتمعوا على كتاب الله يدرسونه، ولا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرسونها، وإلى الآن ليس في أي بلاد إذا غابت الشمس ذهب أهل البلاد كلهم إلى بيوت الله بنسائهم وأطفالهم؛ يتلقون الكتاب والحكمة، فهذا والله ما كان حتى في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولن نتخلص من هذه الأحوال، ولن نخرج من هذه الفتن، بل لن نزداد إلا قرباً منها؛ لبعدها عن الله عز وجل.

ينادي الله سبحانه وتعالى عباده ليخبرهم بأنهم إن نصرروه تعالى ونصروا رسوله ودينه فإنه ينصرهم في كل معركة يخوضونها مع أعدائه وأعدائهم من الكفار والمشركين الذين فرض قتالهم، وذلك بتأييدهم وخذلان عدوهم، وجمع كلمتهم، وتشنيت شمل أعدائهم، وتثبيتهم وزلزلة قلوب خصومهم.

نصرة الله وما تثمره من نصرة لعباده المؤمنين وفي بيان خسران الكافرين وتعاستهم وضلالهم

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمريتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.

آمين.

هذا هو [النداء السابع والستون] من هذه النداءات البالغ عددها تسعون نداءً، وهي موجهة إلى المؤمنين والمؤمنات، والذي يناديهم هو سيدهم ومولاهم، وربهم وإلههم، وهو الله الذي لا إله إلا هو ولا رب سواه، وقد ناداهم بهذه النداءات في كتابه العزيز القرآن الكريم.

وقد ناداهم بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمنين أحياء، يسمعون النداء، وهو لم ينادهم لغير غرض، وإنما ناداهم إما ليأمرهم بفعل ما يكملهم ويسعدهم، أو لينهاهم عن فعل ما يشقيهم ويرديهم، أو يناديهم ليبشرهم بنتائج أعمالهم؛ فيزدادوا يقيناً وصلاًحاً، أو من أجل أن يحذرهم وينذرهم مما هو وبال وخسارة لهم وعليهم، أو ليعلمهم ما هم في حاجة إلى معرفته.

فمن أجل هذه الأغراض السامية يناديهم مولاهم.

اللهم لك الحمد على ما أوليت وأنعمت.

ولهذا من غير المعقول ولا المقبول أن يناديك سيدك من أجل هدايتك وإصلاحك فتعرض وتتصامم، ولا تصغي بأذنك وتسمع، فهذا غير معقول ولا مقبول، ولكن غفل المؤمنون والمؤمنات، ولم يعلموا أن الله ناداهم تسعين نداء.

والحمد لله على أن جمعت هذه النداءات في هذه الورقات، وقد اشتملت على علوم، وكل مؤمن محتاج ومفتقر إليها، فهي لم تترك العقيدة ولا الأعمال الصالحة، ولا بيان الحلال والحرام، ولا الآداب ولا الأخلاق، ولا السياسية في الحرب وفي السلم، ولا المعاهدات والحروب، ولا غير ذلك، وكان القرآن كله نزل فيها، سبحانه الله العظيم! ولكن المسلمين عنها غافلون.

وإذا طبع الكتاب وانتشر بين المسلمين فسوف يذكرون هذا إن أراد الله بهم خيراً.

وهذا النداء مضمونه وفحواه ومحتواه والغرض منه هو [في نصرة الله، وما تثمره] وتنتجه [من نصرة] أو طاعة [لعباده المؤمنين] أي: إن نصرروا الله نصرهم [وفي بيان خسران الكافرين وتعاستهم وضلالهم] في الدنيا والأخرة.

هذا مضمون هذا النداء.

وهذا النداء قد تضمن واشتمل على ثلاث آيات من سورة محمد صلى الله عليه وسلم، والمسماة أيضاً بسورة القتال، فلها اسمان صحيحان: القتال، ومحمد صلى الله عليه وسلم.

وهي نتغنى بهاتين الآيتين، ونفكر ونتأمل ما يقول الله لنا، وما نادانا من أجله، ثم ننقل إلى الشرح والتفسير والبيان؛ لنعلم ونعمل؛ فنظفر ونفوز ونفلح إن كنا أحياء.

ولولا حياتنا لما اجتمعنا في بيت ربنا، ولما أصغينا إلى نداء ربنا، فنحن أحياء، إلا أن حياتنا تتفاوت قوة وضعفاً بحسب ما سبق لنا.

قال: [الآيات (7 - 9) من سورة محمد صلى الله عليه وسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَصَرُّوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ [محمد: 7-9]] ومعنى: فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ [محمد: 9]: أبطلها، فلم تنتج لهم حسنة.

وهيا نستمع إلى شرح هذه الآيات التي تضمنهما النداء السابع والستين من نداءات رب العالمين لعباده المؤمنين. [الشرح: اذكر أيها القارئ الكريم! والمتسمع المستفيد!] لأن هذه النداءات من كان يعرف القراءة يقرأها، ومن كان أمياً لا يقرأ فينبغي -إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر- أن يقول لأخيه: يا أخي! أسمعني نداءً من نداءات ربي، فيقرأ عليه القارئ، وهو يستمع ويستفيد أعظم فائدة، فيستفيد أن يعرف ما أمر الله به، فيفعله؛ فيكمل ويسعد، ويستفيد معرفة ما نهى الله عنه، فيتركه ويتعد عنه؛ وبذلك تتم ولاية الله له؛ لأن ولاية الله تتم بتقوى الله، وتقواه هي: فعل ما يأمر الله به وترك ما ينهى الله عنه.

وقد علمنا هذا، وعرفنا أن أولياء الله هم كل مؤمن تقى.

فعلى هذا القارئ الكريم والمتسمع المستفيد أن يذكرنا [إن نداء الله تعالى لعباده المؤمنين الذين آمنوا بالله رباً وإلهاً، لا إله غيره ولا رب سواه] أي: لا معبود بحق سوى الله [وبالإسلام ديناً، لا دين يقبل غيره، وبمحمد نبياً، ولا نبي يأتي بعده، ورسولاً إلى الناس كافة أبيضهم وأصفرهم، ومن عاصروه، ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة] هذا معنى محمد رسول الله [كان] أي: هذا النداء [لأجل أن يأمرهم أو ينهاهم، أو يبشرهم أو ينذرهم، وكل ذلك] والله العظيم [من أجل إكمالهم في إيمانهم وإسلامهم وإحسانهم، وفي آدابهم وأخلاقهم، و] في [معارفهم وعلومهم، ولأجل إسعادهم أبداناً وأرواحاً، وحاشاه تعالى أن يناديهم لغير إكمالهم وإسعادهم؛ لأنه ربههم ووليهم، العليم الحكيم، والبر الرحيم].

سبب تعذيب الله للكفار وإبطاله لأعمالهم

قال: [وقوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ [محمد: 9] ذلك] اسم [إشارة إلى تعاستهم وضلال أعمالهم] السابقين [أي: حصل لهم ذلك الشقاء والخسران الروحي والبدني بسبب كراهيتهم لما أنزل الله من القرآن؛ لما فيه من الأمر بالتوحيد، والتنديد بالشرك، وإنذار الكافرين بالخلود في نار جهنم، وتبشير الموحدين بالخلود في الجنة ونعيمها] فقد كانوا لما يسمعون الآيات يكرهونها؛ لأنها تتدد بسلوكهم، وتتوعدهم بالعذاب، وتبشر المؤمنين الموحدين بالجنة، فيكرهون ما ينزل الله من القرآن [فلكراهيتهم لما أنزل الله تعالى في كتابه أحبط الله أعمالهم وأبطلها، فلم ينتفعوا منها بشيء، فلا دولة عز وظهر وسعادة بقيمون، ولا حياة فيها يخلدون، ولا جزاء حسناً في الآخرة به ينتعمون ويسعدون، وإنما خسران بعد خسران، وشقاء بعد شقاء، وهذا جزاء الكافرين. والعياذ بالله رب العالمين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] والذي يكره من الناس ما ينزل الله من القرآن هو المصر على الربا، فهو لا يريد أن يسمع آية الربا، بل إنه والله يكرهها.

وكذلك الذي يتعاطى الخنا والدعارة والفجور، فهو لا يرضى أن يسمع آية في تحريم الزنا، ولا يستطيع ذلك.

وكذلك الذي تعود على الشرك والخرافة والباطل، لا يطيق أن يسمع آية فيها التوحيد.

وأعطيك مثلاً على هذا: أحد الأبناء ركب في سيارته، فمر على مؤمن يمشي على رجليه في الطريق، فأركبه معه، وكان عنده شريط لدعوة خيرية إصلاحية لأحد طلبة العلم، فلما سمع الصوت سأله: صوت من هذا؟ فقال: هذا صوت فلان، فقال: والله ما أستطيع أن اسمعه، وأغلقه، ولم يستطع أن يسمع هذا الشريط.

وسبحان العليم الحكيم! فهو لا يقرأ ما أنزل الله [محمد: 9].

لأنه ضد شهواتهم وأطماعهم وأغراضهم وضلالهم وباطلهم، فهم لا يريدون أن يسمعوا كلام الله.

هذا هو معنى هذا النداء، فقد عرفتموه.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَصَرُّوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد: 7].

وهذا وعد.

فلا يخوض مسلمون بحق معارك الجهاد لله في سبيله وكانوا قد نصرّوا الله في دينه وأوليائه إلا نصرهم الله على أعدائهم، ولو كان بنسبة واحد إلى مائة.

والله يثبت أقدامهم، فلا يهزمون أمام عدوهم أبداً.

وإن لم ينصر الله فهذا يعني أنهم ليسوا أهلاً لذلك.

ثم قال تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا [محمد:8] بالله ولقائه ورسوله فَتَعَسَّأَ لَهُمْ [محمد:8].

وشقاء وخسراناً.

وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ [محمد:8].

والسبب هو: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ [محمد:9].

والذي ينزله الله أمر ونهي، وتعاليم وقضاء وأحكام، والكافرون يكرهون ذلك، ولا يريدون أن يسمعوا قال الله وقال

رسوله، ولذلك أضلهم وأبطل أعمالهم، فيعملون بجهد عجيب وهم أشقياء، وفي تعاسة في الدنيا، ولا يجدون طمأنينة

ولا راحة، ولا فرح ولا غير ذلك، وأما في الآخرة فلا تسأل، فهم في عذاب الخلد الدائم الباقي.

وهذا النداء من حفظه يصلي به النافلة؛ حتى يستقر في ذهنه.

وهذه النداءات نطالب المؤمنين أن يضعوها في يد كل مؤمن ومؤمنة، وأن يضعوها على أسرة الفنادق في العالم؛

بحيث لا ينام النزيل في الفندق حتى يسمع نداء ربه، ولنتّرجم إلى اللغتين العظيمتين الإنجليزية والفرنسية، فبلغوا

دعوة الله.

ولا تقولوا: لن يسمع أحد كلامك، فنحن علينا أن نقول.

وصل اللهم على نبيينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ضلال أعمال الكفار

قال: [أما قوله تعالى: وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ [محمد:8]] والضلال مثل أن يخرج فلان إلى الصحراء فيضل بها ولا يعثر

عليه، أو أن يعمل عملاً ولا يحصل على نتيجة، فهذا قد ضل عمله، أي: غاب وذهب، ولم يحصل على شيء [فهو

إخبار فيه معنى الدعاء عليهم بضلال أعمالهم، فلا ينتفعون بشيء منها؛ إذ كانت لبعضهم أعمال خيرية كإطعام

جائع، أو سقي ظمآن، أو كسوة عار] كما تشاهدون جميعات التنصير، فهي توزع الأدوية، وتوزع الأطعمة، وتوزع

الملابس، وهذه أعمال خيرية، ولكنهم لا ينتفعون بها والله، بل قد أحبطها الله وأبطلها [كما في قوله: فَتَعَسَّأَ لَهُمْ

[محمد:8] أيضاً] و عبد الله بن جدعان وحده - وكان عربياً- كان في الموسم في الحج في كل عام ينحر ألف بعير

للفقراء والمساكين المشركين والحجاج، ويوزع ألف بذلة، يعني: حلة، وهي ثوبين من نوع واحد، والآن دولة كاملة

لا تقوى على هذا، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أ رأيت يا رسول الله! عبد الله بن جدعان كان كذا

وكذا، فهل يدخل الجنة؟ قال: لا؛ لأنه لم يقل يوماً من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين).

فهو لم يكن مؤمناً بالجنة ونعيمها، ولا بالنار وعذابها، بل كان مشركاً.

نصر الله عز وجل لمن نصره ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم

قال: [فما هو ذا] تعالى [ناداهم ليخبرهم بأنهم إن نصرّوه تعالى في رسوله و] في [دينه و] في [أوليائه وهم

المؤمنون المتقون من عباده نصرهم على أعدائهم وأعدائهم، وهم الكافرون بتوحيده ورسوله وبكتابه وشرعه ولقائه،

وجزاء أوليائه بالنعيم المقيم، و] جزاء [أعدائه بالعذاب الأليم؛ إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّصِرُوا اللَّهَ

يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد:7]، أي: في كل معركة] ينصرركم ويثبت أقدامكم فلا تنهزموا، ولا تفهقروا، ذلك في

كل ميدان وفي كل معركة [تخوضونها ضد أعدائكم الكافرين والمشركين الذين فرض عليكم قتالهم حتى يسلموا الله

ربهم قلوبهم ووجوههم] فإن تنصروه في رسوله وفي دينه وشرعه وفي أوليائه المؤمنين فالجزء: أنه ينصرركم على

عدوكم، ويثبت أقدامكم فلا تنهزموا في يوم ما أمام أعدائكم وأعداء ربكم، وهو قادر على ذلك، فثلاثمائة وأربعة

عشر رجلاً واجهوا تسعمائة من صناديد قريش، وهزمهم شر هزيمة، والذي فعل هذا هو الله.

وكيفية نصره تعالى: أن ننصره في رسوله بأن ندفع عن رسوله قتال المقاتلين وعذاب المعذبين، وننصره في دينه

بأن نقوم به وننشره، وننصره في أوليائه المؤمنين والمؤمنات، وليس في ذاته عز وجل، ولكن ننصره في الميادين

التي أمرنا أن ننصره فيها، فننصر رسوله وكتابه وعباده المؤمنين.

فإن نصرناه نصرنا [إذ قال تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ [الأنفال:39]، أي: شرك أو من يدعو إلى الشرك. وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ [الأنفال:39]] وذلك لأن البشرية أبوها آدم وأمها حواء.

فمن أهلهم الله لولايته إذا عرفوه وعرفوا الطريق الموصل إليه فهو لاء عليهم أن يحملوا البشرية على الدخول في رحمة الله؛ ليسعدوا في الدنيا والآخرة، وذلك ابتلاء واختبار لنا ولهم، فنحن مأمورون بأن نعلن الحرب عليهم؛ حتى يكملوا ويسعدوا، وحتى يطيبوا ويطهروا.

وقد تم هذا بالفعل، وانطلق أول سهم من هذا المسجد، ولم يمض إلا خمسة وعشرون عاماً وإذا العالم من الأندلس إلى ما وراء نهر السند يقول: لا إله إلا الله، ولا يعبد فيه إلا الله، ودخلت أمم في رحمة الله، وهذا في خمسة وعشرين سنة.

جزاء الكافرين بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم

قال: [كما يخبرهم بأن الذين كفروا به وبرسوله وبكتابه القرآن العظيم وبلقائه] أي: لقاء الله، وهذا يتم بعد الموت، فما أن تفيض الروح تلقى ربك، وكذلك يوم القيامة [ووعده ووعيده، ويتوحيده في عباداته هؤلاء الكفرة المشركون تعساً لهم، أي: هلاكاً لهم وسقوطاً في أسفل حياة البهائم، وخسراً كاملاً في الدنيا والآخرة] فقد قال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ [محمد:8].

والتعاسة هي: الشقاء والهلاك والدمار.

فقد دعا الله تعالى عليهم [أما خسران الدنيا فهو حرمانهم من الكمال الروحي؛ إذ لا أخلاق ولا آداب لهم، ولا زكاة نفس ولا راحة بال؛ إذ هم في ظلمات الكفر يتقلبون، وحرمانهم من سعادة الأبدان؛ إذ هم في خوف وشقاء وتعاسة دائمة؛ لحرمانهم من ولاية الله عز وجل.

وأما خسران الآخرة: فإنه من ساعة تفيض أرواحهم بنهاية آجالهم وهم في العذاب الروحي، لا يفارقهم إلى أن تبعث أجسادهم، فيساقون إلى جهنم زمراً، ويصب عليهم العذاب الروحي بالتقريع والتوبيخ، صباً لا يعرفون معه طعم الحياة؛ إذ هم لا يموتون في النار ولا يحيون، وفوق العذاب الروحي العذاب الجسماني البدني؛ إذ يصب فوق رؤوسهم الحميم، يصهر ما في بطونهم والجلود، ويضربون بمقامع من حديد، ويمزق أمعاءهم الجوع، فيقدم لهم الزقوم والضريع، ويعطشون فيسقون الحميم، فيمزق أمعاءهم، ويصابون بوحشة؛ إذ لا أب ولا أم، ولا زوجة ولا ولد ولا أنيس، ولكن وحشة وغربة وبلاء عظيم.

ولنذكر قول الله تعالى فيهم: قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ [الزمر:15]] ووالله إن أحدهم ليوضع في تابوت - أي: صندوق - من حديد ثم يلقي في جهنم مئات بل ملايين السنين، لا يأكل ولا يشرب، ولا يموت ولا يحيا، ولا يتكلم، وليس معه أحد، ولا يراه أحد، وليس إلا العذاب [كان هذا بعض ما دل عليه قوله تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ [محمد:8]] فقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ [محمد:7-9]، أي: بسبب أنهم كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ [محمد:9].

فقد كرهوا القرآن الكريم؛ لأنه يأمر بالتوحيد، ويأمر بالطهر والصفاء، وينهى عن الخبث، والظلم والشر والفساد، فلما كرهوا ما أنزل الله فَأُحْبِطَ أَعْمَالُهُمْ [محمد:9].

وأبطلها، فلا تبقى لهم حسنة واحدة.

طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم دليل الإيمان، فهما يأمران بالأعمال الصالحة، وينهيان عن كل ما يفسد دين المرء وعقيدته، وكل ما يفعله العبد من الطاعات والأعمال الصالحات داخل تحت طاعة الله ورسوله، وكل ما يأتيه العبد مما يحبط هذه الطاعات داخل تحت معصية الله ورسوله، ويدخل تحتها كذلك ارتكاب كبائر الإثم والفواحش، وشرها وأخطرها مما يحبط العمل الشريك بالله.

طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والتحذير من إبطال الأعمال الصالحة

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

جعلنا الله تعالى منهم، وحشرنا في زمريهم، ورضي عنا كما رضي عنهم.

آمين.

حكم من مات كافراً صادراً عن سبيل الله

قال: [وقوله تعالى في النداء: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا [محمد:34]، أي: بالله ورسوله، وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ [محمد:34]، أي: عن الإسلام والدخول فيه بأي سبب من الأسباب] فالصد عن الإسلام قد يكون بالحديد والنار، وقد يكون بالكذب والباطل، وقد يكون بالتهديد، وقد يكون بالزخارف والأباطيل، وبأي طريقة يقصد بها صاحبها أن يصد بها عن سبيل الله، وصاحبها يتحمل مسئوليته [ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ [محمد:34]، أي: لم يتوبوا حتى ماتوا، فهؤلاء حكم الله تعالى بعدم المغفرة لهم؛ إذ قال عز من قائل: فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ [محمد:34]، أي: كفرهم وصدهم عن سبيل الله، ولو كانوا قبل كفرهم وصدهم فعلموا كل بر و [كل [خير، وعبدوا الله بكل ما شرع من أنواع العبادات؛ لأن موتهم على أكبر إثم وأقبح جريمة، وهما الكفر بالله ولقائه وشرعه، وصدهم غيرهم بوسائل الصد عن سبيل الله، فقد تكون الوسائل قتالاً وضرباً وتجريحاً، وقد تكون طعناً في الدين وتحريضاً له وتقبيحاً فيه؛ حتى يصرفوا الناس عنه] فقد تكون بفتح دار سينما لصرف الناس عن المسجد إلى السينما، فهذا صد عن سبيل الله، وأنواع الصد لا حد لها، فلنحذر ذلك، فكل من يلهي عن الإسلام ويصرف عنه فهو صاد عن سبيل الله، والذي يطعن في الإسلام ويقبحه ويطعن في علمائه ورسوله فهو صاد عن سبيل الله [ويدخل في هذا الوعيد بدون شك اليهود والنصارى؛ إذ حملوا راية الصد عن الإسلام والصرف عنه، وبذلوا أموالاً وجهوداً لا حد لها، والعياذ بالله.

فمن مات منهم على ذلك فقط حبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين] واليهود صدوا عن الإسلام، والنصارى وخاصة رجال الكنيسة صدوا، وفعلوا العجب في صرف الناس عن الإسلام [وسبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

من مبطلات العمل ارتكاب كبائر الإثم والفواحش

قال: [ومن مبطلات العمل] ومفسداته: [ارتكاب كبائر الإثم والفواحش] فالعمل إذا كان عملاً صالحاً فإنه ينتج الطاقة ويولد النور، وهو يفسد ويبطل بارتكاب الفواحش، فمثلاً: إذا بات الشخص يصلي فإنه يملأ روحه بالطهر والصفاء، فإذا زنى فقد غطي ذلك كله وطمسه.

وكذلك لو تصدق بمليون ريال ثم بات ليلته كلها سكران يشرب الحشيش فإن نفسه تخبث، وتغطي ذلك النور وتحطمه.

وهذا مثل من يتعب في غسل ثوبه بالماء والصابون حتى يصبح يلعب كالبرق، أو كشعاع الشمس أو القمر ثم بعد ساعة يتمرغ في مزبلة فإنه يبطل ذلك النور البارق.

وهذا واضح.

وموالكم هو الذي قال لكم: وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ [محمد:33].

فاحذروا يا عقلاء!

معنى حبوط العمل الصالح

قال: [ومعنى إبطالها هنا: أن السيئات إذا غشت النفس وأحاطت بالقلب حجب نور تلك الصالحات ذات الحسنات السابقة، ولم يبق لها نور في النفس، فقد روي عن الحسن البصري] وهو من سادات التابعين، وقد تتلمذ على يد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم [وعن الزهري] فقيه المدينة وعالمها: [أن إحباط الأعمال الصالحة يكون بكبائر الذنوب، إذ قالوا: لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي] هكذا قال الشيخان الحسن البصري و الزهري ، وهذا كما بينت لكم من أنك إذا عملت على تنظيف جسمك بالماء والصابون حتى نظف وطاب و طهر فإذا تمرغت في مزبلة وتلطخت بالعذرة والبول لم يبق شيء من ذلك الطهر، فقد انتهى، ولهذا إذا عمل العبد عملاً صالحاً كأن يصوم رمضان، ثم ما إن يفرغ من رمضان حتى يسهر على الورق والكريم والعبث والسخرية، ولا يصلي العشاء إلا مع الصبح فهذا قد بطل عمله.

وأوضح من هذا: من حج حجاً صحيحاً طابت نفسه، وانتهت ذنوبه، فإن عاد إلى بلاده ليقرأ الذنوب، ويصحبها بالأطنان على نفسه لم يبق له شيء من الحج، بل إنه قد انتهى، وقد أبطله بسبب أعماله، أي: بكبائر الذنوب.

قال: [وليس معنى إبطالها: إحباطها، فإحباط العمل لا يكون إلا بالشرك والكفر؛ لقوله تعالى: لئن أشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين [الزمر: 65]] والخاسرون هنا ليسوا الذين خسروا رءوس أموالهم، بل هم من قال الله تعالى عنهم: قُلْ [الزمر: 15]، أي: يا رسولنا! وبلغ: إِنَّ الْخَاسِرِينَ [الزمر: 15] [بحق الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ [الزمر: 15].

فليس الخسران فقدك شاة أو بعيراً أو منزلاً أو مزرعة، أو موت زوجة أو ولد، فقد تعوض خيراً مما فقدته، ولكن الخسران الحق أن يجد أحداً والعياذ بالله نفسه في عالم لا يعرف فيه أحداً، وهذا ليس ألف سنة أو مليوناً فقط، بل بلا حساب، وهو في تلك العربة في أنواع العذاب.

هذا هو الخسران، وليس هو أن يخسر فلان في تجارته؛ إذ لا قيمة لهذه التجارة، وإنما قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ [الزمر: 15] بحق الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ [الزمر: 15].

قال: [وقوله تعالى: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [المائدة: 5]] أي: الذي يرتد عن الإسلام ويكفر بالإيمان فقد حبط عمله، وإن تصدق بالمليارات، أو بنى المساجد والغرفات للمؤمنين والمؤمنات، فإذا كفر بطل كل شيء.

وقد دل قوله تعالى: [وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ] [محمد:33] على أنه من دخل في عبادة ينبغي أن يتمها ولا يخرج منها، نافلة كانت أو فريضة، فمن دخل في صلاة نافلة فليتمها، ومن شرع في طواف فليتمه، ومن دخل في صيام فليتمه، ومن أحرم بحج أو عمرة فليتمهما، ومن انتم بإمام فليتم صلاته [معه] ولا يخرج عنه [فلا يصلي مع الإمام ركعة ثم يخرج، بل يتم صلاته مع إمامه ولا يخرج عنه] [لكنه لا على سبيل الإلزام والوجوب، بل على سبيل الندب والاستحباب] فمثلاً: لو صمت أربع ساعات أو خمس ثم عجزت وأفطرت فإنك لا تأثم كما لو ارتكبت كبيرة من الذنوب، ولكنك لم تأخذ بتوجيه الله عز وجل، بل أبطلت عملك، فحرمت نفسك الأجر والرضا؛ إذ هذه عبادات نافلة تطوعية، فإتمامها هو المطلوب، ولكن لو حصل أنه أراد أن يصلي نافلة فصلى ركعة ثم ترك وسلم فلا نقول أبداً: إنه فاسق، أو فاجر، ولكن نقول: إنه لم يأخذ بإرشاد الله وتوجيهه له، وضيع على نفسه الحسنات؛ لأنه دخل فيها ولم يكملها؛ لأن هذا التوجيه من الله لعباده المؤمنين، فقد قال: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [محمد:33] واثبتوا، وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ [محمد:33].

وهذا إن كان بالشرك والرياء فهذا باطل، وإن كان فقط بعدم إتمامه لهوى أو انهزام روحي فليس فيه إثم، ولكن فقدك للأجر كالإثم.

فمثلاً: صلاة التهجد بالليل لها وتر، وصلاة التهجد أن تصلي ركعتين وتسلم، ثم ركعتين وتسلم، وهكذا، حتى إذا تعبت أو خفت طلوع الفجر صليت ركعة واحدة توتر لك ما صليت، فتصبح قد أوترت؛ لأن (الله وتر يحب الوتر). و(صلاة الليل مثني مثني، فإذا خشي أحدكم الصبح فليصل ركعة؛ توتر له ما قد صلى). ومعنى توتر: تجعله وترًا.

والوتر محمود عندنا، حتى في الأكل، فكل خمس تمرات أو سبع تمرات أو تسع أو إحدى عشرة؛ لأن الله يحب لك ذلك.

فالوتر ممدوح؛ لأن الله وتر يحب الوتر.

بطلان الصدقات بالمن

قال: [كما أن الصدقات تُبطل بالمن] فالمن مبطل للصدقة [لقوله تعالى: لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى [البقرة: 264].

والمن: هو ذكر الصدقة للمتصدق عليه، وتكرار ذلك عليه [كما بينت لكم. كأن تقول له أمام الناس: هذه السيارة هي التي اشتريتها لك، ثم تصبر يومين أو ثلاثة وتقول: هذه السيارة - ما شاء الله- أنا اشتريتها لفلان لوجه الله تعالى، ويرى آخر عليه ثوب فيقول: هذا الثوب طيب، وهو حسن، وقد ناسبك، ويمن عليه، أو يقول لمن أنزله في البيت: لقد ناسبكم السكن، ما شاء الله، وهو طيب، أو يقول: أسكناهم في بيتنا لوجه الله، فهم إخواننا.

هذا هو المن، وكلنا يعرفه، وهو يقتل صاحبه، والله لا يرضى أن يؤذى وليه، أو تسقط كرامته ويداس شرفه بين المسلمين، ولذا قال: لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ [البقرة: 264] [والأذى قد يكون بلوم المتصدق عليه أو تعييره بقبح، أو لفظ سيئ].

مبطلات الأعمال الصالحة

قال: [وإبطال الأعمال الصالحة يكون بأمور، أظهرها [وأبينها [وأقواها: الشرك] بالله عز وجل [والردة عن الإسلام] والشرك مبطل للعمل إبطاً كاملاً، واقرأوا يا أهل القرآن! قول الله عز وجل وهو يخاطب مصطفاه نبيه ورسوله وخاتم أنبيائه في سورة الزمر: لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين [الزمر: 65].

وهذا من باب: إياك أعني واسمعي يا جارة. فالرسول لا يشرك وحاشاه، ولكن نحن الذين يستطيع الشيطان أن يغويننا ويفسدنا، ولكن إذا كان الخطاب وجهه إلى قائدنا وإلى رائدنا وإلى سيدنا فلننتبه نحن، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه إليه هذا فنحن من باب أولى.

قال تعالى: وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين [الزمر: 65]. فلهذا إذا أشرك عبد الله غير الله في أي عبادة من العبادات بطلت، وبطل مفعولها، وأصبحت لا تنتج الحسنات المزكية للنفس والمطهرة لها، كما قال تعالى: وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ [محمد: 33].

فأقوى المبطلات الشرك والرياء.

وقد بينا بالأمس الرياء وعرفناه، وأنت تعرفه بفطرتك، فإذا قمت بعمل صالح تعبدك الله به ليزكي نفسك ويظهرها فإياك أن تلثفت فيه إلى غير الله، فإن التفت فيه بقلبك إلى غير الله بطل، واسمعوا مالك يروي في موطنه عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال: (يقول الله تعالى: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه).

فهو ليس في حاجة إليه، بل نحن فقراء إلى هذا، ولا بأس أن تعطيني نصف الدار أو ربع البستان فأنا أقبل، أو تعطيني سيارة وتشرك معي فيها فلاناً وفلاناً؛ لأننا في حاجة إلى ذلك، وأما الله فليس في حاجة أبداً، فهو لا يقبل الشرك، بل أعطه العمل كله أو خذه كله، فقد قال: (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه).

فلا يأخذه، وإذا لم يقبله فإنه لا يثيب عليه ولا يعطي الحسنات.
 قال: [ثم الرياء، وهي: أن يعمل المرء عملاً صالحاً] والعمل الصالح ليس صنع آنية الطعام، ولا بناء منزل.
 ولئن تفهم هذه الحقيقة وتعود بها إلى أهلِكَ وبلادِكَ وأنت على علم بها وتبلغها فهي والله خير لك من قنطار من الذهب، فخذوا هذه، وإن لم تكونوا في حاجة إليها فاتركوها، ولا أحد يترك قنطاراً من الذهب.
 ولقد ترك أبائنا جبالاً من الذهب، وليس قنطاراً فقط، فقد كان يعيش أحدهم عشرين سنة أو ستين عاماً ولا يحفظ مسألة كهذه، ولا يبالي بها، ويعيش في دكانه أو في سوقه وبضاعته ولا يبالي عرف أم لم يعرف.
 وهذا هو واقعنا، فهيا نغير حياتنا.
 معنى العمل الصالح

العمل الصالح هو: الذي شرعه الله في كتابه القرآن، أو على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وما لم يشرعه الله تعالى في كتابه القرآن أو لم يبينه رسوله الكريم فلن يكون عملاً صالحاً، ومستحيل أن يكون عملاً صالحاً.
 ومعنى كونه عملاً صالحاً: أنه عمل ينتج ويولد الحسنات للقلب والنفس البشرية، ويرضي الله تعالى ويحببه إلى عبده.
 ومالم يشرعه الله تعالى في القرآن الكريم أو على لسان سيد الأولين والآخرين فلن يكون عملاً صالحاً.
 الشروط التي ينبغي توافرها ليكون العمل صالحاً

حتى ينتج العمل الصالح الحسنات ويولدها ينبغي أن تراعي فيه أولاً: الكمية - ونحن عوام لا نفهم اللغة - فالكمية بمعنى المقدار، أي: العدد، فإياك أن تزيد أو تنقص! فإن زدت أو أنقصت بطل مفعوله، ولا يصبح عملاً صالحاً، ومثاله: صلاة المغرب ثلاث ركعات في الحضر والسفر دائماً وأبداً، فإن زاد فيها المصلي ركعة رابعة تقرباً إلى الله وتزلفاً إليه لم يعد عملاً صالحاً مذكياً للنفس، والفقهاء يقولون لك: صلاتك باطلة يا بني! فأعدها؛ لأنك زدت فيها، فبطل مفعولها، وأصبحت لا تنتج ولا تولد الطاقة؛ لأن الله لم يشرعها أربعاً، بل شرعها ثلاثاً.
 فهذه الزيادة تبطلها.

والنقصان مثلها، فمثلاً: شرع الله عز وجل صلاة الظهر في الحضر أربع ركعات، فإذا قلت أنت: أنا تعبنا فسأصلي ثلاث ركعات، ففيها بركة وكفاية، وصليت الظهر ثلاث ركعات فإن الفقيه لا يفتيك بصحة صلاتك، بل يقول لك: صلاتك باطلة؛ لأنك أنقصت منها ركعة، وبذلك بطل مفعولها، ولم تعد تولد لك النور والحسنات، فلماذا أعدها فقد بطلت.

هذا الزيادة والنقصان، فالتزم الكمية، فلا تزد ولا تنقص.
 ثانياً: الهيئة، فإذا أناطها الله بكيفية خاصة فإياك أن تقدم أو تؤخر أو تبدل، بل انت بها كما وضعها الشارع؛ فإن قدمت أو أخرت بطل مفعولها، ولن تنتج شيئاً، ولن تصبح عملاً صالحاً، ومثال هذا: لو أراد أحد أن يصلي الظهر فقرأ الفاتحة والسورة ثم قال: الله أكبر محرماً بالصلاة لم تصح صلاته؛ لأنه قدم وأخر.
 وكذلك لو جلس فكبر وقرأ، ثم قام فركع وهو صحيح غير مريض في فريضة وليس في نافلة فصلاته ليست صحيحة، بل باطلة، لا تنتج الحسنات.

وسبب بطلانها: أنه لم يأت بالهيئة والصفة التي نزل بها جبريل، وبينها لرسول الله في مكة، ولذلك بطل مفعولها.
 ويكون التقديم والتأخير بالساعة كذلك، فلو قال الزعيم: معاشر المواطنين! هذا العام يكون الصيام في رمضان الساعة الواحدة بعد الزوال إلى الواحدة نصف الليل لم يصح هذا الصيام؛ لأننا قدمنا وأخرنا.
 فوقت الصيام يكون من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقد عكس هذا، ولهذا لا ينتج هذا الصيام حسنة واحدة، والفقهاء يقولون: صيامك باطل، ومعنى باطل: أنك لا تأخذ عوضاً عن عملك، وليس لك فيه أجر، أي: لا يولد الحسنات.
 ثالثاً: الزمان والمكان، فمثلاً لو قال الزعيم: رمضان هذا العام يأتي في فصل الصيف والأعمال شاقة، ولذلك سنحوله إلى الخريف، ثم لم يصوموا في الصيف وصاموه في الخريف المقبل لم يصح هذا الصيام والله، ولم ينتج حسنات، ولا حسنة واحدة؛ لأن الله أناطه بشهر معين سماه رمضان، فإذا قدمت أنت أو أخرت وأبعدته عن زمنه فهو باطل.
 وكذلك لو صلينا العشاء وكنا متعبين فأردنا أن نصلي الصبح وننام حتى الساعة الثامنة نهاراً ثم اجتمعنا وصلينا الصبح لم تصح، ولا يوجد من يقول: صلاتكم صحيحة، مع أننا قرأنا الفاتحة والسورة وركعنا وسجدنا وبكىنا

وخشعنا، وذلك أننا أوقعناها في غير زمانها زمانها، فزمانها بعد طلوع الفجر، ونحن صليناها في الليل، ولا يوجد فقيه يقول: صلاتكم صحيحة، بل إنها باطلة، لا تنتج الحسنات؛ لأن الزمان الذي وضعها الله فيه من أجل أن تنتج لم يعتبروه.

وكذلك المكان أيضاً: فلو أن أحدنا صلى في المرحاض لما قال الفقيه: صلاتك صحيحة، بل باطلة؛ لأنه مكان نجس، وأنت مطالب بالطهارة، فهذا المكان لا تصح الصلاة فيه.

وكذلك لو صلينا في المجزرة والروث والدماء والأوساخ لم تصح صلاتنا، بل تكون باطلة؛ لأن المكان غير صالح. وكذلك في الطواف والسعي في الحج، فلو قلنا: هيا بنا نطوف بالحجرات النبوية وأخذنا نطوف، فلو طفنا مليون شوطاً لم ينتج والله ولا حسنة واحدة أبداً؛ لأن الله لم يشرع الطواف بالحجرات النبوية، بل شرعه ببيته في مكة، وهذا ليس مكانه، بل (الحج عرفة).

وكذلك لو قلنا: هذا العام نقف بأحد، وأنه أفضل من عرفة، ووقف الحجاج فيه فلا يقال: إنهم حجوا، ولا يصح حجهم والله؛ لأن الله عين عرفة، وحدد مكانها، فلا نقل: يجوز الوقوف في مزدلفة أو منى، أو في ساحة مكة أو الأبطح. وكل هذا يبين أن العبادة لكي تنتج الحسنات وتولد النور لا بد وأن تكون عملاً صالحاً، وحتى يكون عملاً صالحاً فلا بد أن يشرعه الله ورسوله أولاً، وأن تأتي به كما فعله الرسول في الكمية والصفة والزمان والمكان. فاعرفوا هذه، فهي والله خير من قنطار من الذهب.

فعلى المؤمن أن يتجنب الرياء حتى لا يبطل عمله الصالح، والرياء هو: أن يعمل عملاً صالحاً [فيرائي به غير الله؛ من أجل أن يشكر عليه، أو من أجل أن يدفع عنه المذمة أو اللوم والعتاب]. سبب نداء الله عز وجل لعباده المؤمنين دون غيرهم

ها نحن مع النداء الثامن والستين من تسعين نداءً حواها كتاب الله القرآن العظيم، وهي نداءات الله جل جلاله لعباده المؤمنين، فقد ناداهم بعنوان الإيمان بـ ((يا أيها الذين آمنوا))! لأن المؤمنين أحياء، ويجبون الداعي. وهو يناديهم لأحد خمسة أمور: إما ليأمرهم بفعل ما يكملهم ويسعدهم، أو لينهاهم عن فعل ما يشقيهم ويرديهم، أو يناديهم ليبشرهم بما يزيد في حبهم لله وولائهم له، أو يناديهم لينذرهم عواقب أعمالهم السيئة؛ فإنها تخسرهم في الدنيا وفي الآخرة، أو يناديهم ليعلمهم ما هم في حاجة إلى معرفته وعلمه. فله الحمد عز وجل، وله الشكر.

والله ليس في حاجة إلينا، بل هو غني عنى مطلقاً، فقد كان ولم يكن شيء معه، وإنما رحمة منه بنا وإحساناً إلينا ولطفاً ينادينا؛ لأننا أمانا به وبلقائه وبكتابه ورسوله، فتمت حياتنا بذلك، فأصبحنا أهلاً لأن نسمع نداء مولانا، ونتمثل ما يأمرنا به، وننتهي عما ينهانا عنه. وهذا هو سر هذه النداءات.

وهذه النداءات تسعون نداءً، والنداء التاسع والثمانين منها مبدوء بحضرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد قال تعالى فيه: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة [الطلاق: 1]. وهذا النداء وإن ابتدئ برسولنا فنحن المقصودون بذلك؛ إذ هو تعليم من الله تعالى لنا كيف نطلق نساءنا إن وجب الطلاق، وكيف تعتد المؤمنة، وماذا لها وماذا عليها.

واعلموا أن هذه النداءات اشتملت على كل متطلبات الحياة، فلم تترك الحرب ولا السلم، ولا المعاهدات ولا الأموال على اختلافها، ولا الاقتصاد ولا العقيدة، ولا الأعمال الصالحة ولا الآداب والأخلاق، ولم تترك شيئاً يفتقر إليه المؤمن في حياته ليكمل ويسعد إلا وبينته في هذه التسعين النداء، التي تضمنها كتاب الله القرآن العظيم. ولا يليق بك يا عبد الله! أو يا أمة الله! أن يناديك سيدك من أجل إكمالك وإسعادك ثم لا تصغي بأذنك ولا تسمع. يقول تعالى في هذا النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ [محمد: 33-34].

تربى الصحابة رضوان الله عليهم على أن تكون أقوالهم وأفعالهم تبعاً لما قال الله ورسوله، وما شرع الله ورسوله، وذلك لأنه من غير الأدب أن يقدم العبد رأيه على ما يراه سيده ومولاه، وما لزم الصحابة فإنه يلزم من بعدهم، فكل الآراء والأفكار والأفهام متهمة إلا ما كان موافقاً للكتاب والسنة. حرمة تقديم الرأي على الكتاب والسنة ووجوب تقوى الله عز وجل

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا والحمد لله مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

وهذه النداءات معاشر المستمعين والمستمعات! هي تسعون نداء، والمنادي هو الله رب العالمين، والمنادى هم المؤمنون والمؤمنات من أمة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، وقد غفل المؤمنون والمؤمنات عن هذه النداءات، فلم يعرفوا منها شيئاً، مع العلم أنهم منادون من قبل سيدهم ومولاهم ومربيهم ومعبودهم الحق، وكان المفروض أن يعلم هذه النداءات كل مؤمن ومؤمنة، ويحفظوها عن ظهر قلب، ويفهموا مراد الله منها، وما هو المطلوب لذلك، ويعملون به، وهكذا نصبح أولياء الله، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ونصبح من خيرة عباد الله، ولكن صُرف المؤمنون والمؤمنات عن كتاب الله، وحولوا قراءته على الموتى ليالي المآتم وفي المقابر، فهيا نعود. ونحن إن شاء الله عائدون.

وهذه التسعون نداء يجب أن يطبعها أهل البلد أو المدينة أو الإقليم بمطابع جيدة، ويوزعونها على المؤمنين والمؤمنات، ويجلس أحدهم كل مساء من كل يوم بين المغرب والعشاء يدرسها، ويصغي إليها المؤمنون والمؤمنات، ويستمعون إليها ويدرسونها دراسة وافية، ويفهمون كل مراد الله منها، ويعملون ويطبّقون، فيصبحون أولياء الله، الذين لا خوف عليهم في الدنيا ولا حزن، ولا في البرزخ، ولا في الآخرة. والله المستعان.

هذا هو [النداء التاسع والستون] ومضمون هذا النداء [في] بيان [حرمة تقديم الرأي على الكتاب السنة] فحرام على مؤمن ومؤمنة أن يقدم رأيه قبل الكتاب والسنة [و] ثانياً: في [وجوب تقوى الله عز وجل] أي: في الخوف منه، حتى يثمر ذلك الخوف خشية الله وحبّه، ويثمر طاعته بفعل ما يأمر به وترك ما ينهى عنه.

وهيا بنا نتغنّى بهذا النداء دقائق، ثم نأخذ في شرحه وبيان مراد الله تعالى منه لعباده المؤمنين والمؤمنات.

[الآية (1) من سورة الحجرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الحجرات:1].

الشرح [لهذا النداء الإلهي الكريم: [لا تنس أيها القارئ الكريم! لنداءات الرحمن الرحيم] وهذا القارئ الكريم هو ذاك الذي أخذ هذه النداءات التسعين، وأخذ يرددها في بيته بين بناته وأولاده، وأخذها ليقرأها على كل مؤمن لا يحسن القراءة، ويسمعه نداءات ربه تعالى إلى عباده المؤمنين، فهذا القارئ الكريم قد فتح الله عليه، فأقبل على ربه بشوق يسمع كلامه، ويسمع نداءاته، وكله عزم وتصميم على أن يطيع الله فيما يأمره به، وفيما ينهيه عنه، وفيما يوجهه إليه ويرشده.

قال: [ومن هذا الحديث الجليل الذي رواه أحمد و أبو داود و الترمذي و ابن ماجه رحمهم الله أجمعين استخرج علماء الشريعة رحمهم الله تعالى من سلف هذه الأمة القاعدة الآتية: لا يحل لمؤمن القدوم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه] وبلغوا هذا، ولو بلغتموه في قريبتكم لسكت الناس، وإن جهلوا لقالوا: إلى متى نسكت؟ فهيا نطلب العلم. فانتهوا لهذه اللطيفة.

فيا أهل القرية! حرام على أحدنا أن يقول بدون علم، وإن لزمنا السكوت ولم نستطع أن نقول: حرام ولا حلال، ولا جائز ولا ممنوع، وأردنا الكلام فهيا نتعلم' وسنجد أنفسنا نطلب العلم برضاً منا وارتياح. فافهموا هذا.

وهو أنه: لا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يقدم على فعل شيء حتى يعلم حكم الله فيه بالجواز أو بالمنع. من مظاهر سقوط الأمة الإسلامية

من مظاهر الهبوط والسقوط في الأرض: هؤلاء الذين نصبوا هذه الدشوش والصحون الهوائية على السطوح، فهم لم يسألوا أهل العلم: هل يجوز هذا أو لا يجوز؟ فهم لم يسألوا، ولم يفهم أحد بالجواز. والأصل ألا يقدموا على شيء لا يعلمون حكم الله فيه، وليس لهم من عذر إلا أنهم جهلة هابطون في الأرض كالبهائم، بل البهائم أفضل من عبد لا يسأل عن الله ولا يتعرف عليه، ولا يعرف محابه ولا مساخطه، ولا يعزم على طاعته في أمره ونهيه.

وهذا الصحن لما صدرت الفتيا بتحريمه زادوا في نصبه عناداً ومكابرة. فاعرفوا أمتكم أيها المستمعون! فقد هبطنا، ولا ننتظر سوى نقمة الله، ومن يعيش ير، ووالله إن لم يتدارك الله هذه الأمة الإسلامية بتوبة صدق عاجلة لحل بها أكثر مما حل بأجدادها، فيوم استعمرتهم بريطانيا وفرنسا أذلتهن وأهانتهن، فقولوا لهم: انتظروا. ولا تقولوا: إنك تهددنا يا شيخ! فأنا ما زدت على أن قلت ما قال الله: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ [الشورى:30]. النجاة والفوز عند الله بالعمل لا بالأمنيات

قال تعالى: لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا [النساء:123].

وهذه آية من سورة النساء، وهي ليست عبثاً، بل معناها: ليس بأمانيتكم أيها المسلمون! ولا أمانى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، بل الأمر هو: أنه من يعمل سوءاً منكم أو منهم يجز به، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا [النساء:123].

ونحن نعمل شر أعمال اليهود والنصارى، ونقول: نحن أهل الجنة، ونحن مسلمون، وهذا ضلال في الفهم، وهذا خطأ، فالله يقول: لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ [النساء:123].

فقد كان أهل الكتاب يقولون: الجنة لنا، فنحن أبناء الأنبياء، ونحن كذا، وكان المسلمون يقولون: الجنة لنا، فنحن المسلمون، فحكم الله بينهم فقال: لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ [النساء:123] أيها المسلمون! وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ [النساء:123]، وإنما مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا [النساء:123].

فرك نفسك وطهرها بالإيمان والأعمال الصالحة، وأبعدها عما يديسيها من الشرك والمعاصي، وكن ابن من شئت، أو انتسب إلى من شئت فستدخل الجنة، أو لوثها وخبثها بالظلم والشر والخبث والشرك والفساد ووالله لو كنت ابن محمد لما نجوت، ولا شمنت رائحة الجنة.

وهم لا يريدون أن يفهموا هذا.

وقد بلغنا هذا الأمر الإلهي، وهو: وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا [الشمس:1].

وهذا يمين، ثم زاد: وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا [الشمس:2-8].

والجواب: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

وهذا حكم الله.

وقال تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الانفطار:13-14].

فلا نسب ولا قبيلة، ولا زمان ولا مكان أبداً، وإنما هو إن زكيت نفسك طابت وظهرت وترقت إلى الملكوت الأعلى، وإن خبثتها ولوثتها بأوضار الذنوب والآثام هبطت كما يهبط غيرك.

والمؤمنون لا يقرءون هذه الآيات، ولا يسمعون بها.

وبقيت بقية من الدرس، نتركها إلى غد إن شاء الله.

وصل اللهم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن

قال: [ومما يوضح هذه الحقيقة] وهي أن العبد لا يقدم قوله ولا رأيه على سيده أبداً [ويجليها للأفهام] فتصبح كالشمس في رابعة النهار [قصة معاذ بن جبل رضي الله عنه] وأرضاه، وهو أنصاري من هذه الديار، فهو شاب دخل في الإسلام مع أسرته، وفتح الله عليه، فقد تعلم من مجلس كهذا فقط، فقد كان يجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستقي من ينابيع الحكمة والمعرفة [حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم] والياً عاماً [إلى اليمن] ووالله ما دخل اليمن مثله قط إلى يوم القيامة، فمعاذ بن جبل رضي الله عنه اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ورشحه، ولم يرشحه بالانتخاب الباطل، فهذا تركة اليهود والنصارى، وجاء العرب وقبلوها، ثم لم ينفذوها، بل لما يريد الحاكم أن يعلن عن خيبة الحزب الفلاني يعلن عن ذلك، وهذا عبث وسخرية، والمؤمنون كمل في عقولهم وأرائهم وفهومهم، وهم أهل النور، فهو يغشاهم من فوقهم ومن تحتهم، ولا يحتاجون إلى الأباطيل، بل أهل القرية إذا قالوا: فلان يصلح أن يكون أميرنا أو شيخنا فإن الحاكم يقبل ويرحب بذلك.

وليس بالأوراق والانتخابات التي يعتز بها الغافلون.

فهذه باطلة، ولا ثمرة لها، ودلوني على نتيجة طيبة منها، وأعطيك فرصة خمسين عاماً.

وإذا لم يصدر النور من مصادره لن يتحول إلا إلى دخان قاتل.

قال: [فإنه سأله قائلاً: (بم تحكم يا معاذ ؟!)] فمعاذ تحت النظارة، يمتحن من قبل القائد الأعظم صلى الله عليه وسلم، فهو يسأله: يا معاذ ! بم تحكم الناس؟ هل بقانون بريطانيا، أم بقوانين فارس، أم بما بقي من بقايا فارس التي كان يحكمون بها اليمن؟ [(قال رضي الله عنه: بكتاب الله تعالى)] فما ترك الله شيئاً إلا بينه في كتابه، فقد قال: مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ [الأنعام:38].

وقال: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ [النحل:89].

وإنما نتفاوت نحن في معرفة ذلك بحسب عقولنا وفهمنا، فقد أدرك أنا غير ما تدرك أنت، ولكن الأصل والمرجع هو الكتاب الذي يجهله المسلمون، وبالله الذي لا إله إلا غيره إن ما وضعه من خطط في الحرب والسلام لو اجتمعت أوروبا مليون مرة لما استطاعت أن تخرج قاعدة في السلم والحرب مثلها، ولكننا نحن نقرأه على الموتى فقط، ولا نفهم من كلام الله شيئاً، وإنما نقول للقارئ: أقرأ حتى يدخلوا الجنة، ونعطيهم الفلوس على ذلك أيضاً.

وفي إحدى البلاد هناك نقابة خاصة للقراءة على الموتى، فيتصلون بها بالتلفون، ويقولون مثلاً: نريد خمسة من القراء، فيقولون لهم: من فئة خمسين ريالاً أو من فئة مائة، فإذا كان فقيراً قال: من فئة خمسين.

وإذا كان غنياً قال: من فئة مائة، ويظن من يفعل ذلك أنه يفعل ذلك حتى يدخله الجنة، وقد يكون مات زانياً أو فاسقاً أو أكلاً للربا، وقد يكون يسب حتى أمه وأباه، ولا يفكر من يأتي بالقراء أبداً في هداية إخوانه الأحياء وإصلاحهم، وإنما يعيش على هذا الظلام.

ووا مصيبتاه! فالقرآن يحبي النفوس الميتة، ونحن نقرأه على الموتى.

وفي بعض البلاد تجد القراء ينادونك عند المقبرة: تعال! إذا أردت أن نقرأ فاجلس، ويقرءون بريالين أو عشرة أو غير ذلك.

قال: [(فإن لم تجد؟) أي: في كتاب الله تعالى] أي: إذا بحثت عن الحكم ولم تجده؟ [(قال)] معاذ رضي الله عنه: [(بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم)] أحكم.

لأن الرسول صلى الله عليه وسلم جلس عشر سنين وهو يسن القوانين ويشرح، فإذا التمسست الحكم في الكتاب ولم أجده وأعرفه فأرجع إلى أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضاياه وسنته وأطبقتها [(قال: فإن لم تجد) ، أي: في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟] إذ ما كل أحد قد أحاط بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفها كلها [(قال رضي الله عنه: أجتهد برأيي)] بمعنى: أبذل طاقتي وقدرتي على معرفة الحق وبيانه حتى أضع الحق في موضعه، ولا أظلم مواطناً ولا مواطنة، فإذا لم أجد الحكم في الكتاب ولا في السنة وأنا مسئول فأجتهد في تحري الحق والصواب، والنظر إلى الشواهد والأحوال؛ حتى يوفقني الله إن شاء الله لما هو خير، وليس فيه ظلم لأحد. وهنا أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الجائزة، وهي ليست جائزة نوبل، وإنما [(فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره)] لينشرح وليتسع، وليصبح كالبدن [أي: في صدر معاذ رضي الله عنه، (وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله)].
النهى عن تقديم الآراء والأفهام وغيرها بين يدي الله ورسوله

قال: [لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [الحجرات:1] أي: لا تقدموا [قولاً ولا عملاً، ولا رأياً ولا فكراً بمعنى] ولا فهماً ولا ذوقاً، بل الله هو الذي يولي ويخلق، والرسول كذلك، وأما أبو بكر وعمر فلا حظ لهما في هذا. فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [الحجرات:1].
وأما أنتم فليس لكم شأن في هذا، بل الله ورسوله هما اللذان يقولان، وأما أنتما يا أبا بكر! ويا عمر! فلا حق لكما في هذا.
وَأَتَّقُوا اللَّهَ [الحجرات:1]، أي: خافوه، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ [الحجرات:1] لأقوالكم، عَلِيمٌ [الحجرات:1] ببواطنكم وظواهركم، فهابوه وخافوه.

وهكذا تربي الشيوخ وأصحاب الرسول، وأصبحوا أمثلة للكمال البشري، ولهذا نندب دائماً ونقول: لا تلوموا إخواننا؛ لأنهم ما ربوا في حجور الصالحين، ولا تلوموا حكامكم يا عرب! ويا مسلمين! بل أرشدوهم وعلموهم، وأنتم مخطئون عندما تغلطون لهم القول؛ لأنهم ما جلسوا ولا تربوا في حجور الصالحين، لا هم ولا آبؤهم ولا أمهاتهم، بل آبؤهم وأمهم كأبائنا وأمهاتنا، فهم جهلة لا يعرفون إلا الدنيا، ونحن لا نرجو شيئاً ممن لم يترب في حجور الصالحين، ولو جلسوا منذ صباهم في حجور الصالحين حتى كبروا وحكموا لكانوا بصراء، وعلماء ربانيين، يعرفون الله ويخافونه، ونحن لا نلومهم، وأولادكم فسقة فجرة يأتون الباطل والمنكر، والآخرون ليسوا أنبياء يوحى إليهم، بل أنتم الذين دفعتم بهم إلى أن تتلمذوا على أيدي اليهود والنصارى حتى تخرجوا من جامعاتهم، ولذلك فلا ترجوا منهم شيئاً، ولكن لا أحد يذوق هذا الذوق، ويفهم هذا الفهم.
ولذلك معاشر المستمعين! تعلموا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن منافع الحج التعلم، فيأتي الشخص من الشرق أو الغرب ويسمع كلمة عند بيت النبوة أو عند كعبة الله ويعود بها، فتكون نوراً يهتدي بها ويبلغها، وهذا من سر وعجائب الحج، كما قال تعالى: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ [الحج:28].

قال: [ولا تقولوا ولا تعملوا إلا تبعاً لما قال الله ورسوله، وشرع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأنه من غير الأدب أن يقدم العبد رأيه وما يراه على ما يراه ويقول سيدة [والسيد هو المالك للعبد، والعبد ملكه، فلا يجوز للعبد أن يقدم رأيه على سيده أبداً والله، وسيده أعلم به وبأحوال بلاده وأهله، فهو الذي يقول: افعل هذا ولا تفعل هذا، وأما العبد فليس إلا مستعداً فقط لأن يطبق أمر سيده، وإلا فلا سيادة إذأ، بل يصبح كل واحد منهما سيد الآخر، ويتضاربا ويتمزقا، كما قال تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا [الأنبياء:22].
فلو كان يوجد إله مع الله لتحاربا وتقاتلا، ولخرب الكون كله والله العظيم، ولكن لا إله إلا هو، فهو مالك كل شيء، ويبيده كل شيء، والخلق كلهم عبيده، فهو يميئ ويحيي، ويعطي ويمنع، ولو كان فيه آلهة غير الله لما بقيت السماء يوماً بل لاحتزقت، والمدينة أو القرية إذا أصبح فيها شيخان أو ثلاثة فإن أهلها يحترقون ويختلفون، ولن ينتفعوا، وهذه الجماعات الإسلامية المنتصرة للحق في كل بلد لم تتفق على كلمة، ولهذا الفتن ظاهرة.
وسبحان الله!

سبب نداء الله عز وجل لأهل الإيمان دون غيرهم

على هذا القارئ الكريم أن لا ينسى، بل ينتبه، لا أن يحفظ اليوم وينس غداً، فلا ينسى [أن الله تبارك وتعالى ينادي المؤمنين بعنوان الإيمان] فهو لم يقال: يا أيها الناس، ولا قال: أيها العرب! ولا أيها المواطنون! وإنما قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الحجرات:1]! أي: يا من آمنتم! فحييتكم بإيمانكم، وأصبحتم أهلاً لأن تفهموا وتعدوا وتقعدوا على العمل والترك معاً [لأن المؤمن حيي بإيمانه، يسمع ويفهم، إذا أمر أطاع ففعل ما أمر به، وإذا نهى انتهى عن فعل ما نهى عنه] فالمؤمنون أحياء، والكافرين أموات، وإن غاصوا في الماء أو طاروا في السماء.

والبرهنة على أنهم أموات: أنهم لا يسمعون نداءات الله، ولا يستجيبون لله لا بالفعل ولا بالترك، فهم ليس لهم حياة، وإنما هم أموات وهم لا يشعرون، ومن شك في هذا فليرجع إلى القانون الإلهي، فإنه يجد أن أهل الذمة من اليهود والمجوس والنصارى تحت راية: لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يؤمرون بصلاة ولا بزكاة، ولا بصيام ولا بحج، ولا بعمره ولا بجهاد أبداً، ونحن لا نأمرهم لأنهم أموات، ونحن لا نأمر الميت أن يجيب ويفعل، فأهل الذمة الذين يعيشون تحت رايته في أي إقليم من أقاليمنا الإسلامية إذا أهل هلال رمضان فإننا لا نأمرهم بالصيام، وإذا نادى المنادي أن حي على الصلاة فإننا لا نأخذهم إلى المسجد يصلي؛ لأنه ميت، بل إذا نفخنا فيه الروح وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فهنا نأمره بالغسل فيغتسل، وبالجهد فيجاهد، وبالصلاة فيصلي، وأما وهو ميت فلا تقل له: قم يا ميت! صل، فنحن لا نخطب الجنازة بين أيدينا، فهذا عبث.

ونحن موقنون أن الكافر ميت ليس بحي أبداً، وهو لا يحيا إلا إذا عرف وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فهذا إن قلت له: أخرج من مالك خرج، وإن قلت له: ادفع بنفسك في معركة الاستشهاد فعل؛ لأنه حيي، ولم يعد ميتاً، وأما وهو ميت فلا تأمره وتنهاه.

هذا هو سر النداءات الإلهية لعباده المؤمنين.

قال: [وإن حياته هذه سببها إيمانه بالله تعالى وبلقائه] والله لقاء معنا، ولنا لقاء مع الله وجهاً لوجه في ساحة فصل القضاء، وذلك يوم القيامة.

والمؤمن هو الذي آمن بالله وآمن بقلائه في اليوم الآخر، واسمعوا الله تعالى يقول: ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [الطلاق:2].

وحتى النساء أمرهن أن لا يكتمن الحيض، وأن يعلن عنه حاجة تتطلب ذلك، وقد قال: إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [البقرة:228].

فالذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فهو ميت لا خير فيه، والحجارة خير منه وأفضل، وأنا لا أبالغ في هذا، فالحجارة خير منه، بل القردة والخنازير خير منه.

والدليل على هذا الحكم - حتى لا يقول أحد: هذا الشيخ يقول الكلام الباطل في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم -: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ [البينة:6]. والمراد من البرية: الخليقة، بمعنى: المخلوقة، فشر الخلق هم الكافرون من أهل الكتاب والمشركون. والذي حكم بهذا الحكم الله، ولا أحد يرد على الله.

فالخليقة من العقرب إلى السبع إلى النمر لم تعص ربها، ولم تفسق عن أمره، ولم تخرج عن طاعته، فقد سن لها سنناً وهي تمشي عليها إلى أن تنتهي، ولكن الإنسان هو المتمرد على الله، فهو الذي خلقه ورزقه، وهو يكفر به، وليس هناك عصى أكثر من هذا، فهو يعلم أنه مخلوق مربوب لله، ومع ذلك يسأل عن وجود الله، لا لشيء إلا ليوصل الجرائم والموبقات، والضلال والفساد، لا أقل ولا أكثر؛ لأنه لم يعرف كتاب الله! سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ...)

قال: [واذكر] أيها القارئ الكريم! والمستمع المستفيد! [أن لهذا النداء سبباً نزل به] فقد كان القرآن ينزل للمناسبات، ولوجود أسباب تقتضي هذا، وهذا النداء نزل لسبب، وينبغي أن نعرف هذا السبب، وهو وإن كان نزوله لسبب إلا أن هذا لا يمنع عمومته للبشرية كلها؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإنما معرفة السبب تزيد في معرفة النور والهداية والبصيرة [وهو كما رواه البخاري رحمة الله تعالى عليه] ولا يبقى شك بعد البخاري [أن وفداً من بني تميم] شرق الجزيرة، والوفد هو: مجموعة من الفحول، عشرة أو عشرين أو مائة [قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أمّر القعقاع بن معبد] أي: أن هذا الوفد لما قضى حاجته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصبحوا رسل دين وأمة يبلغون من وراءهم، قال

أبو بكر : يا رسول الله! أمر عليهم القعقاع بن معبد ، فقد رآه شخصية وافية سالحة، فقال: هذا يصلح للإمارة، مع أنهم كلهم فحول، وكلهم رجال، وكلهم ذوو عقول.
والآن ندخل في السياسة، فقد هبط المسلمون وتمزقوا؛ لأنهم لم يعرفوا معنى الإمارة، ولم يعرفوا أنه (لا يحل لثلاثة أنفار أن يسافروا ألا ويؤمروا عليهم أحداً).

وهم إذا أمروه يضحكون عليه، ويسخرون منه، ويقولون: هذا غبي، وهذا كذا، وهذا عميل، ولم يعرفوا أن عليهم أن يطيعوه طاعة عمياء، فلا يحل الخروج عليه، ولا الخلاف فيه أبداً؛ حتى يستقيم أمرهم، وتتم حاجتهم، ويعودون إلى ديارهم.

والمسلمون لم يعرفوا هذا، فتجد أهل قرية فيها خمسة آلاف لا تجمعهم كلمة، ولا يتفقون على شيء، ولهذا لن يأتي الكمال والسعادة.

قال: [وقال عمر : أمر عليهم الأقرع بن حابس] أي: خلاف قول أبي بكر .
وهذه وجهة نظر من الشيخين، وهما وزيراً رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيمن والأيسر، فأبو بكر رأى أن يؤمر عليهم القعقاع ، و عمر رأى أن الأقرع بن حابس أولى بالإمارة؛ حتى يطاع، وإذا أطيع مشيت القافلة والمسيرة.
وأعود فأقول: يجب على أهل القرية وجوباً ألا يختلفوا في أمرهم، وأن يكون شيخهم هو إمامهم ومفتيهم ومرجعهم، فلا يختلفون عليه أبداً، وإن اختلفوا فهم عصاة فسقة، وإذا رجعوا إلى أميرهم وهو شيخهم انتهى الخلاف والفرقة؛ لأنه إذا أمرهم فاطاعوا، ونهاهم فانتهوا أصبحوا جسماً واحداً، ولن يبق خلاعة ولا خبث، ولا تلصص ولا إجرام، ولا أي شيء أبداً، بل يصبحون جسماً واحداً، وهكذا جاء الإسلام.

قال: [فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي] أي: أحببت أن تخالفني وإلا فالقعقاع بن معبد أولى، وهذه فطرة الإنسان، وقد كان أبو بكر و عمر يتنافسان أيهما يكمل ويسعد قبل الآخر، ولما دعي الصحابة إلى التصديق أتى عمر بنصف ماله، وظن أنه هزم أبا بكر ، وإذا بأبي بكر يأتي بكل ماله، فقال عمر : من الآن لا أنافسه، ولا أستطيع منافسته [فقال عمر : ما أردت خلافاً] ولكن هذه وجهة نظري [فتماريا] أي: تجادلا [حتى ارتفعت أصواتهما] وسمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم [فنزلت] هذه الآية [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [الحجرات:1] إلخ، أي: يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً، لا رب غيره، ولا إله سواه، وبالإسلام شرعاً وديناً، لا يقبل شرع ولا دين سواه.

نهى الله عباده المؤمنين عن رفع أصواتهم أمام رسول الله وفوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الأدب واجب مع رسول الله على كل مؤمن؛ لأن رفع الصوت بلا حاجة من سوء الأدب وهبوط الأخلاق، وإذا حصل من أحد شيء من هذا فهو مؤذن بحبوط عمله، وتعرضه لسخط الله وغضبه. تابع حرمة تقديم الرأي على الكتاب والسنة ووجوب تقوى الله عز وجل

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

جعلنا الله منهم، وحشرنا في زمريتهم، ورضي عنا كما رضي عنهم. اللهم آمين.

بالأمس كنا من النداء التاسع والستين، ولما نكمل، والآن أذكركم ونفسي به، أولاً بتلاوته، ثم بمضمون ما جاء فيه، ثم ننقل إلى النداء السابعين.

ونص هذا النداء بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الحجرات: 1].

ومضمون هذا النداء: هو أنه يحرم علينا أيها المؤمنون! أن نقدم رأينا أو ما نراه، أو ما نعلمه أو ما نفهمه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فحرام على المؤمن والمؤمنة أن يعلم أن الله حكماً في قضية، ثم يحكم فيها بخلاف ما حكم الله، وحرام على المؤمن والمؤمنة أن يقدم ما يريانه أو يفهمانه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يقولوا أو يعملوا على غير ضوء الكتاب والسنة.

واسمعوا الله يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الحجرات: 1].

فنقول: لبيك اللهم لبيك! لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ [الحجرات: 1]. وخافوه.

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الحجرات: 1].

يسمع أقوالكم ويرى أعمالكم فارهبوه، ومن هنا يبقى الحكم لله.

ويوضح هذا المعنى المستقى من هذا النور الإلهي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو حديث معاذ الذي قرأناه البارحة وعرفناه، فقد عين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشاب العليم المؤمن والياً وقاضياً في ديار اليمن جنوب مكة المكرمة إلى المحيط الهندي، وقد اختبره وامتحنه وتعرف إلى ما عنده، فقال: (أي معاذ! بم تحكم؟ قال: أحكم بكتاب الله، فقال: فإن لم تجد في كتاب الله فبم تحكم؟ قال: بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبم تحكم؟ قال: أجتهد رأيي)، أي: أبذل جهدي وقصاري فهمي وعلمي متحريراً رضا الله، ثم أحكم (فضرب الحبيب صلى الله عليه وسلم في صدره هكذا، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله).

وهذا بيان شافٍ كافٍ لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الحجرات: 1].

معنى قوله تعالى: (واتقوا الله إن الله سميع عليم)

قال: [وقوله تعالى في ختام هذا النداء: وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الحجرات:1]، أمر بتقوى الله عز وجل، وهي الخوف منه الحامل للعبد على طاعة الله، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم. ومن جملة ما تدل عليه الجملة: وَاتَّقُوا اللَّهَ [الحجرات:1]: الالتزام بمبدأ لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [الحجرات:1].

وقوله: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الحجرات:1] أي: سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم. ألا فاتقوه حق تقاته، بالأ تخرجوا عن طاعته في المنشط والمكروه، والعسر واليسر في حدود الطاقة البشرية؛ إذ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا [البقرة:286].
وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [ما ينبغي على القاضي في الحكم

لا بد أن تتبع في الحكم يا عبد الله! ويا أمة الله! الآتي: أن تتلمس الحكم في الكتاب والسنة النبوية باحثاً عن الحكم الذي تريد أن تصدره بالجواز أو المنع، وبالحل أو التحريم، وبالوجوب أو عدمه، ولا بد وأن يكون لك باع طويل بالكتاب والسنة، فإن طلبت الحكم في القرآن ولم تجده - ولا أقول: لانعدامه، ولكن لضعفك وعدم قدرتك، فأنت مخلوق ومعمور - فاطلب الحكم في سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم، وهذا يتطلب منك أن تكون قد ألممت بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا أقول: أحطت بها، أو أن تكون قد قرأت كتب السنة وعرفت ما فيها، فإن تعذر عليك ولم تجد الحكم فهنا اجتهد رأيك في أن يكون الحكم أو القول أو العمل موافقاً لما شرع الله ورسوله. وهنا لطيفة ظريفة، وهي: أنه لا بد وأن تكون يا عبد الله! قد عرفت محاب الله ومساخطه، وعرفت ما يحب الله من اليسر، وما يكره من العسر.

وأنت تعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في الرفق: (ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه).

ولما نزلت سورة الأعلى وفيها: وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى [الأعلى:8] كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في صلاته في كل يوم؛ لأنها تحمل هذه البشـرى: وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى [الأعلى:8].

فإذا كنت تعرف محاب الله ومكارهه فلا بد أن يكون هذا الذي تجتهد فيه مما يحب الله أو مما يكره الله؛ حتى تنزله على رضا الله فيما يحب أو فيما يكره، لأن هذا الموطن موطن الاجتهاد. وبعض أهل العلم قد يقولون: أغلق باب الاجتهاد من قرون.

وهذا القول لا يقبل في الجملة، بل باب الله مفتوح، ولكن ليس كل من نصب نفسه للاجتهاد أصبح من أهله، وإنما لا بد وأن يكون قد علم محاب الله ومساخطه، وبواسطة هذا النور يعثر على ما يطلبه من حكم الله عز وجل، وكذلك لا بد وأن يكون قد ألم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن ثم يصبح مجتهداً، فإن أصاب فله أجران، أجر اجتهد، وأجر إصابته، وإن لم يصب وإنما أخطأ فله أجر اجتهد فقط، ولا يضيعه الله عز وجل وقد بذل عرقه وجهده في تحري الحق، وطلب ما يرضي الله عز وجل ولا يسخطه.

ومن هنا معاشر المستمعين والمستمعات! من أراد أن يقول: هذا حلال أو هذا حرام، أو هذا لا يجوز أو هذا منكر أو غير هذا فلا بد وأن يكون عنده علم بمحاب الله ومساخطه، وأن يكون عنده إلمام بما في كتاب الله، وأعظم ما في كتاب الله من أحكام هو ما حوته هذه النداءات التسعين.

ولهذا أنصح كل مؤمن ومؤمنة لو كانوا يقبلون النصح أن يقرءوا هذه النداءات، ويحفظونها؛ حتى يلموا بمحاب الله ومكارهه.

عدم جواز فعل شيء حتى يعلم فاعله حكم الله فيه

هنا قاعدة قعدها أهل العلم من سلف هذه الأمة فلا ننساها، وهي: أنه لا يحل لمؤمن- والمؤمنة تابعة له- أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه بالجواز أو المنع.

فلا يقدم على شيء حتى يعلم ما حكم الله فيه بالمنع والحظر أو بالجواز والإذن، وكذلك لا يقول كلمة حتى يعرف هل هي من رضا الله أو من سخطه [فهذه القاعدة تحت المؤمنين على طلب العلم] ولا تعجب يا عبد الله! فهذا سبيل المؤمنين الذين يريدون أن ينزلوا في الملكوت الأعلى، ويخترقون السبع الطباق؛ لمواكبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا يضر أحدهم أن يجلس يومه كاملاً لا يقول كلمة، وهذا لا ينقص من كماله ولا يزيد فيه وأنت كذلك لا يضرك أن تقول فيما لا تعلم: الله أعلم، اسأل فلاناً أو فلانة؛ فانه أعلم هذه نصف العلم، فإن جهلت فاعتذر، وقل: الله أعلم، ونصفه الآخر أن تعلم فتبين.

قال: [إذ لو أخذ بها المسلمون لما بقي فيهم ولا بينهم جاهل بحكم الله ورسوله في كل قضايا الحياة].
حكم سؤال أهل العلم فيما لم نعرف حكمه

لو أخذ المؤمنون في قراهم وفي مدنهم وفي أي مكان بمبدأ: لا نقول إلا بما علمنا لم بقي بينهم جاهل ولا جاهلة أبداً. والذي وطن للجهل وركزه حتى أنبت في ديارنا هو أننا لنا جراءة أن نقول كما نهوى، فنقول فيما لا نعلم: يجوز، ولا يجوز، وحرام، وباطل، وهكذا، ولهذا لم نطلب العلم، ولو كنا عرفنا أنه لا يحل لأحدنا أن يقول في أي شيء من أشياء الدنيا إلا على علم لكان كل واحد منا طلب العلم [وكان للكتاب والسنة شأن عظيم بينهم؛ لقوله تعالى: لا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [الحجرات:1].

لا قولاً ولا عملاً، ولا رأياً ولا فهماً، أو ذوقاً - كما يقولون- حتى يعرض على الكتاب والسنة، فإن وجد طلبه فذاك، وإلا سأل أهل العلم حتى يعلم الحكم بالمنع أو الجواز؛ فيصبح علي بيعة من أمره [وهناك آيتان من سورتي النحل والأنبياء وضحتا الطريق] وكيف والله تعالى يقول: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [الأنبياء:7].
فالمؤمن إن كان عالماً عمل بما علم، وإلا سأل أهل العلم حتى يعلم فيعمل بما علم [ويجب على كل من لا يعلم أن يسأل ليعلم، وافهموا هذه الكلمة.

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [الأنبياء:7].
ولنفهم أنه يجب على كل من لا يعلم أن يسأل.

وهذا واضح.

فكل من لا يعلم يجب أن يسأل أهل العلم، وإذا سأل علم، وانتهى الجهل، وأصبحنا كلنا علماء [والعالم إذ سنل يجب أن يُعلم السائل ما سأل عنه، وبهذا لا يبقى بين المؤمنين جاهل ولا جاهلة، إلا أن يوجد المرء في بلد لا عالم فيه، فحينئذ يجب أن يسافر إلى بلد فيه العالم؛ حتى يسأل، ولو كان في أقصى الشرق والغرب، أو يهاجر من بلد لا عالم فيه؛ إذ لا يمكنه أن يعبد الله تعالى بلا علم.

ولو عرف المسلمون هذه الحقيقة لما أصبحوا جهلاء ضلالاً، إلا من رحم الله منهم.

ألا فاذكر هذا أيها القارئ! أو المستمع! [والذي يدفعنا إلى أن نسأل الخوف من الله، وخشية الله، والخوف والخشية من أن نناقسه أو نزاحمه في أفضيته وأحكامه وشرائعه بآرائنا وعقولنا، فقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [الحجرات:1].

ذكرنا - والحمد لله- أن سبب النزول لهذه الآية: أن الشيخان رضوان الله عليهما أبو بكر و عمر - اللذان لم تطلع الشمس على أفضل منهما- رأى أبو بكر تولية أحد الرجال لما لاحظ من سمته وهيئته، فقال: يا رسول الله! ول هذا على الجماعة، و عمر رأى آخر وقال: ول هذا يا رسول الله! وارتفعت أصواتهما، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، وأصبح أبو بكر بعد هذا إذا تكلم مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الرسول لا يسمعه، فيطلب منه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرفع صوته.

وجوب الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يتعرض المؤمن لبطلان عمله فيهلك

هذا هو [النداء السبعون] ولم يبق إلا الثالث فقط.

وهكذا الدنيا تنتهي.

وهذا النداء السبعون مضمونه وفحواه والعلم الذي يحمله لنا، والذي يطالبه ويريده منا سيدنا، وسبب ندائه لعباده فيه هو [في وجوب] وحثمية وتقدير [الأدب مع رسول صلى الله عليه وسلم؛ حتى لا يتعرض المؤمن لبطلان عمله فيهلك] والعياذ بالله.

[الآيتان (2 ، 3) من سورة الحجرات] فهيا بنا نتغنى بهما، وهما ليسا من أغاني أم كلثوم ، ولا فريد الأطرش ، فهذه الأغاني لا تجوز.

وإنما نحن نتغنى بكلام ربنا؛ إذ سمعنا رسولنا صلى الله عليه وسلم يقول: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن). ويقول: (حسنوا أصواتكم بالقرآن).

فيكون صوتاً أخذاً من أجل أن يحفظه السامعون إن أمكن، وحتى يتهيأوا لفهم ما يحمله النداء من أحكام وقوانين. [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ [الحجرات:2-3]] اللهم اجعلنا منهم، فنحن نطمع بهذا. النهي عن رفع الصوت أمام رسول الله أو فوق صوته

قال: [ففي هذا النداء الإلهي العظيم ينهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين] ونحن منهم، ولسنا مشركين، والعباد بالله [عن رفع أصواتهم أمام رسول الله] صلى الله عليه وسلم [وفوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تحدثوا معه، وهذا الأدب واجب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الكريمة، وهو أدب ينبغي للمؤمن أن يتحلى به] أي: يتجمل ويترين به [لأن رفع الصوت بلا حاجة من سوء الأدب وهبوط الأخلاق] وهذه عظمة والله العظيم، فإن رفع الصوت بدون حاجة والله لمن سوء الأدب وعدم الخلق، حتى ولو كان مع راعي الإبل وكناس الشارع، فلا ترفع صوتك.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ...)

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم! أن سبب نزول هذا النداء هو سبب نزول النداء الذي قبله] وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا [الحجرات:1] [وهو ما حدث بين الشيخين] أبو بكر و عمر [رضي الله عنهما] وأرضاهما [حيث تنازعا على أمر تعيين إمارة وفد بني تميم؛ إذ رأى أبو بكر تعيين القعقاع بن معبد ، ورأى عمر تعيين الأقرع بن حابس] وهذا حسب اجتهادهما لا أقل ولا أكثر [فاختلفا وتنازعا] وليس من حقهما أن يقولوا والرسول موجود، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يعين [حتى ارتفعت أصواتهما] بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم [فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم] ولم ترتفع كصوتي أنا، فأنا أبلغ، بمعنى فقط: ارتفعت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم. انتكاس مفهوم الولاية عند المسلمين

الآن معاشر المستمعين والمستمعات! إليكم شرح هذا النداء لتقوموا بما يطلب منكم مولاكم وسيدكم، وفي ذلك إعزازكم وإكمالكم، وإسعادكم ونجاتكم، وحاش لله أن ينادي أوليائه من أجل إهانتهم، أو من أجل تعذيبهم، بل إنه لا يناديهم إلا من أجل رفعتهم وعزهم وكمالهم؛ لأنه سيدهم وربهم ومالكهم، وهو غني عنهم ووليهم، والولي لا يريد لوليّه إلا إسعاده وإكمالّه. وأولياء الله هم الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63].

هؤلاء هم أولياء الله، وسواء كانوا فقراء أو أغنياء، بيضاً أو سوداً، أحياء أو أمواتاً، فأولياء الله هم من آمنوا بالله ولقائه، وبما يحب أن يؤمنوا به، واتقوه فلم يعصوه، فزكت نفوسهم، وطابت أرواحهم، وأصبحوا في مرضاة الله وحبّه. هؤلاء هم أولياء الله.

ومدة سبعمائة سنة عند المسلمين وأولياء الله هم سيدي عبد القادر الجيلاني و البدوي و العيدروس ، وكان لا يوجد على الأرض ولي حي، وإنما الأولياء الذين ماتوا فقط، والذي ربطنا بهذا الرباط هو الثالوث الأسود، المكون من المجوس واليهود والنصارى، فقد تعاونوا على المؤامرات في الظلام، وعرفوا أن هبوط هذه الأمة بفساد عقيدتها، فعملوا ونجحوا.

ولو دخلت القاهرة المعزية أو دمشق عاصمة الأمويين أو بغداد أو أي عاصمة من عواصم المسلمين قبل أربعين سنة - وقبل أن نعلن هذه الحقائق- وتقول لأول رجل تلقاه في الطريق: يا سيد! أنا غريب، جئت من بلاد بعيدة،

وأريد أن أزور ولياً من أولياء الله تعالى في هذا البلد، فإنه والله لا يأخذ بيدك إلا إلى قبر وضريح، ولا يفهم أن هناك ولياً حياً بين الناس.

ومعنى هذا: أن الأحياء أعداء الله، فانكح نساءهم، أو اسرق أموالهم، أو اشتهم أعراضهم، أو تضارب معهم وأذهم؛ لأنهم ليسوا بأولياء، ومن هنا انتشر الزنا والربا، والخيانة والسرقة، والكبر والتلصص؛ لأننا أعداء الله. فافهموا هذا.

والله يقول: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

ولا يستطيع عاقل أن يؤذي ولياً لله؛ لأنه يخاف نقمة الله، ولا يستطيع أن يؤذيه بأذى أبداً، بل حتى ولو بنظرة شذرة أو برفع صوت، ونحن قد أعطينا هذا للموتى في القبور، فإياك أن تؤذيهم بأي أذى، وأما الأحياء فليسوا بأولياء، بل اسرق أموالهم، واضرب وجوههم، وتعامل معهم كما تشاء، ولا تخف، فهم أعداء الله، وليسوا بأولياء الله. ولا تظنوا أن هذه خيالات كما يقول الشيطان لأوليائه، بل إنها والله لكما سمعتم.

والآن انتشرت الدعوة بوسائل، منها هذا التجمع، والصحافة، وما إلى ذلك، فلو دخلت مدينة وقلت: يا فلان! أنا جئت أريد أن أزور ولياً من أولياء الله فيمكن أن يقول: فلان من الصالحين، فانزل عنده فإنه يكرمك، ويمكن أن يقول لك: تعال إلى سيدي فلان! فهذا هو ضريحه.

وأولياء الله هم المؤمنون المتقون، فكل مؤمن تقي هو لله ولي، فيحرم أذاه بأذى أذى، ومن ثم لا يحدث سرقة لا زنا، ولا كذب ولا غش، ولا خداع؛ لأن أهل القرية كلهم أولياء الله نساء ورجالاً. وصايا لقمان لابنه

قال: [واذكر قول لقمان لابنه وهو يعظه] وأنتم لا توعظون أولادكم، بل يوجد (85%) من الآباء لم يعظوا أولادهم بكلمة، وهذا هو الواقع، فتجد الواحد يسمع ولده يقول ويفعل الباطل وهو يضحك ويمزح معه، وهذا لقمان العبد الأسود الحبشي رفعه الله إلى مصاف الأنبياء أو كاد؛ لأدابه وأخلاقه وحسن كماله وتربيته، فلنسمع كلماته الطيبة التي سجلها الله في كتابه؛ لتكون موعظة لنا لو كنا نقرأ القرآن على الأحياء، وسورة لقمان لا تقرأ على الموتى، وإنما تقرأ عليهم يس والواقعة والملك.

سادساً: خفض الصوت

قال: [وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ [لقمان:19]] وهذا محل الشاهد، فغضوا أصواتكم. وقوله: [وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ [لقمان:19]] أي: اخفض منه، ولا تتركه على طوله؛ وذلك [إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ [لقمان:19]] فصوت الحمير منكر عند الله؛ لأنه عالٍ مرتفع، فلا تطلب أنت مثله، بل ليكن صوتك على قدر الحاجة، فلا تتادي الشخص بصوت مرتفع إذا كان بين يديك، ولو كان هناك عند الجدار فلا بأس برفعه. والصوت كالريال، فكما لا تنفق ريالك إلا بقدر حاجتك فكذلك لا تتكلم إلا بقدر حاجتك، ولذلك قال تعالى: [وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ [لقمان:19]]. ومعاذ الله أن تتشبه يا عبد الله! بالحمير، وترفع صوتك على أمك، أو على زوجتك، أو على أهلك وأولادك، وبعضنا في بيته كالسبع، فيهددهم بالصوت.

وإن شاء الله نحن كملنا على منهج لقمان عليه السلام.

ولا تقولوا: ها أنت ترفع صوتك يا شيخ! فهذا جائز هنا، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع صوته في الخطبة كأنه منذر جيش، ولكن لما ننهي الدرس فلا.

قال: [فلنتأمل هذه الوصية اللقمانية الربانية] وقلنا: ربانية لأنها أنزلها الله، فقد قبلها وسجلها، فهي ربانية، وتدعو إلى طاعة الرب وعبادته [فإنها اشتملت على مكارم الأخلاق، وأشرف الآداب بعد أوجب الواجبات] وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

وبعد هذا اشتملت على مكارم الأخلاق وأشرف الآداب [إنها مراقبة الله، والخوف منه، والحياء؛ إذ لا يعزب عنه مثقال ذرة من أقوالنا وأعمالنا، والأمر بإقام الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في

ذلك، وحرمة الكبر والتكبر على الناس، والاختيال في المشي، وإظهار المرح والزهو بين المؤمنين، ثم الاقتصاد في المشي، وهو أن يسرع في مشيه بقدر الحاجة التي هو ذاهب إليها. وأخيراً: خفض الصوت وغضه حتى لا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع من مخاطبه. هذا مع عامة الناس، أما مع الوالدين والمربين والمعلمين [والأميرين والناهين] فهو من أوجب الواجبات [ونكمل بقية النداء غداً إن شاء الله شرحاً وفهماً، ولنعد النية والعزم على العمل والتطبيق بإذن الله. وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. خامساً: النهي عن التبختر

قال: [وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا [لقمان:18]] ومشية المرح هي التبختر، ولذلك قال: [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ [لقمان:18]] وكلمة (كل) تدل على أنه لا يخرج من هذا أحد، بل كل مختال فخور يكرهه الله والله العظيم، وإن الله ليكره كل مختال في مشيته، وفخور بأمجاده وأمواله، حتى الذي يفخر بعلمه وصناعته، فانه لا يحب الله الفخر.

وهذا لقمان العبد المملوك يقول: [وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ [لقمان:19]] وهذه تحمل معنيين: أولاً: لا تمش في الدكاكين والشوارع تتبختر إذا لم يكن لك حاجة، وكثير من جماعاتكم وإخوانكم يمشون الساعة والساعتين لا يشترون شيئاً، فعلى هذا أن يقتصد في مشيه، وإذا وقف يصلي عشر دقائق يصاب بالضيق، وهو يقضي ساعة كاملة يتبختر بين الشوارع والدكاكين. هذا وجه.

وثانياً: لا تسرع، بل اقتصد أيضاً في المشي بقدر حاجتك، فإن تطلب منك الأمر أن تسرع فأسرع إذا كان يفوت عليك شيئاً، وإذا لم يفوت عليك شيئاً فلا تسرع بين الناس، بل اقتصد في مشيك. رابعاً: عدم التكبر على الناس

قال: [وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ [لقمان:18]] وهذا مثل العسكر عندما يقفون صفوفاً ينتظرون، وأنا ما تعسكرت، ولكن رأيت وقوفهم، هذا هو تصعير الخد، فهو إظهار للعزة والقوة، والأصل أن يقفون كأنهم بين يدي الله، وهذا معناه: ألا تتكبر يا عبد الله! ولا تصعر خدك للناس، بل انظر إليهم بعينيك ووجهك، ولا تنظر إليهم بكبرياء وشمم، واعرف نفسك حتى لا تتكبر، واعرف أنك تحمل الخراء والبول، ومن يحمل زنبلاً من الخراء والبول يستحي أن يتكبر، وأنت أصلك نطفة قدرة مذرة، ونهايتك جيفة منتنة، فلا تتكبر وتطاول. وسبحان الله! فهذا لقمان العبد الأسود كان عجباً، فقد آتاه الله الحكمة. وسبحان الله العظيم! ثانياً: إقامة الصلاة

قال: [يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ [لقمان:17].

وسبحان الله! فقد كان يصلون، وقد كان لقمان هذا على عهد داود، وقبل وجود دولة سليمان بزمان بعيد. والصلاة هي مناجاة الرب، فلا يليق بالعبد ألا يتكلم مع ربه، ولا أن يغيب عن مولاه أربعة وعشرين ساعة، والذي لا يجلس بين يديه ويتحدث معه يعيش في شقاء، وهناك من يجلس أربعين عاماً لا يكلم الله ولا يجلس معه ويقول: هو مؤمن أو مسلم، ويضحك على قلوب الناس وعقولهم، ولو آمن لما استطاع أن يغيب ساعة لا يتكلم فيها مع الله، ولا يسأله ويتضرع بين يديه.

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصائب

قال: [وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ [لقمان:17]] وقد يأمر فلاناً بالمعروف فيصفعه أحد كجماعتنا، وقد ينهيه عن المنكر فيركله ويقول له: اذهب يا ملعون! ولا تقل لي: لماذا تحلق لحيتك، فعليك بالصبر، وهذا شأن الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فإذا صفعك على خدك الأيمن فأعطه الأيسر، وسوف يلين

وينكسر ويعود إلى الحق، ولا تأتته بالعنف والشدة، فهذا لا ينفع، بل يزداد الفصال بينك وبينه، ولذلك قال تعالى: **وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [لقمان:17]**، أي: من واجباتها الصبر. أولاً: مراقبة الله سبحانه وتعالى

قال: [إذ قال له: يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ [لقمان:16]] أي: إن تكن سيئتك وحسنتك في وزن مثقال حبة من خردل [فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ [لقمان:16]] صماء، أي: تدخل فيها [أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ [لقمان:16]] أَوْ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ [يَأْتِ بِهَا اللَّهُ [لقمان:16]] يوم القيامة [إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ [لقمان:16]] فاسمع يا ولدي! فأياك أن تختبئ في السرداب وتعصي الله! وتظن أن الله لن يعرفك، وإياك يا ولدي! أن تعصي في الظلام في الليل! وتقول: لا أحد يراني، بل إنها إن تك سيئتك في كميتها وزن مثقال ذرة، وتكن في صخرة صماء تنشق لها وتدفن فيها، أو تكن في الملكوت الأعلى، أو تكون في الأرض السفلى؛ يأت بها الله، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ [لقمان:16].
فلهذا لا تعصه في حال الخلوة كما لا تعصه في حال الجلوة.

قد تقوم الحروب بسبب كلمة، وقد تزهق الأرواح وتراق الدماء بسبب خبر، لذلك فإن من الأدب الإسلامي عند ورود الأخبار وتناقل الحكايات التثبت من الخبر، والتيقن من سلامة المصدر، حتى لا يؤخذ مظلوم بدون جريرة، وحتى لا يعاقب بريء بما لم تجن يده.

تابع وجوب الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يتعرض المؤمن لبطلان عمله فيهلك

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

جعلنا الله منهم، وحشرنا في زمريتهم، ورضي عنا كما رضي عنهم.

اللهم آمين.

هذه النداءات هي نداءات الله جل جلاله التي وجهها إلى عباده المؤمنين، وهي في كتابه القرآن العظيم، وعددها تسعون نداء، وقد احتوت واشتملت على كل ما يهم المرء المسلم في هذه الحياة.

وإن واجب كل مؤمن ومؤمنة أن يقرأها ويستمع إليها، وأن يوطن نفسه على أن يستجيب لنداءات الله، فإن كان أمراً ففعله، وإن كان نهياً تركه، وإن كان بشرى فرح بها، وإن كان تحذيراً حذر، وإن كان إنذاراً انتذر.

وهذا هو شأن المؤمن إزاء هذه النداءات الإلهية.

وكان نداء أمس -وهو النداء السبعون- في وجوب الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ من أجل ألا يتعرض المؤمن لبطلان عمله، فيهلك والعياذ بالله تعالى.

وسنعيد تلاوة هذا النداء الذي درسناه أمس؛ علنا نذكر ما احتواه وما جاء فيه.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ [الحجرات: 2-3].

جعلنا الله منهم، وكنا قد قرأنا شرح هذا النداء.

ثمرة الأدب وغيض الصوت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: [وقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ] [الحجرات: 3]، فهذه بشرى خير عظيمة لمن يتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيغيض صوته ولا يرفعه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن الله يوسع قلبه ويشرحه؛ ليتسع لتقوى الله عز وجل، ويزيده [بشرى أخرى] [فيعبده] وعد الصدق [بمغفرة ذنوبه والأجر العظيم، ألا هو الجنة دار السلام].

اللهم اجعلنا من أهلها، وارزقنا الأدب مع رسول الله.

اللهم آمين.]

ويمكننا أن نحصل على هذا الأدب عندما نجلس كل ليلة مع المربي؛ لأنه يشاهدنا ويرانا ويسمع كلامنا، فإن رأى فينا عنفاً أو شدة أو غلظة أدبنا، ولا نزال نتأدب حتى نكمل في آدابنا وأخلاقنا.

وأما نعيش في الدكاكين والمقاهي والبيوت فلن نتعلم، ولن نتأدب، والله يقول: وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة:129]، أي: آداباً وأخلاقاً.

وإن شاء الله نجتمع في بيوتنا وفي مساجدنا كل ليلة على كتاب المسجد وبيت المسلم، وعلى نداءات الرحمن لأهل الإيمان؛ حتى يصبح علماء ربانيين ذوي آداب وأخلاق، لا يسمو إليها غيرنا، ولا يصل إليها سوانا؛ لأننا احتويناه العلوم الإلهية والمعارف الربانية التي جاء بها كتاب الله، وجاء بها رسوله صلى الله عليه وسلم. فقولوا: إن شاء الله [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

علة النهي عن رفع الصوت أمام صوت النبي صلى الله عليه وسلم

قال: [وقوله تعالى في النداء: أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ [الحجرات:2]، هذه علة لمنع رفع الصوت] فقد قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ [الحجرات:2].

وذلك خشية وكراهة أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ [الحجرات:2]. والذي حبط عمله خسر وانتهى أمره، وفقد كل عمله الصالح الذي عمله.

فقاله تعالى: أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ [الحجرات:2] هذه الجملة علة لمنع رفع الصوت، أي: خشية أن يحبط عملك وتهلك [مخافة أن يغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم] فيغضب الله تعالى لغضبه [فمن أغضب رسول الله فقد أغضب الله عليه، فهو يغضب لغضب رسوله] فيعذب من لم يتأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [وكون العمل يبطل] ويحبط [دال على أن من تعمد إساءة الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم] أي: عالماً بذلك مريداً له [يكفر بذلك] ويكون كافراً إلا أن يتوب [ولذا يحبط عمله؛ إذ العمل] الصالح [لا يحبط] ويبطل [إلا بالشرك والكفر] وقد قال تعالى: أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ [الحجرات:2].

وإساءة الأدب مع الرسول، معناه: الإساءة مع العلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا كفر؛ إذ لا يبطل العمل إلا بالكفر [لقول الله تعالى: لئن أشركتَ ليحبطنَّ عملك [الزمر:65] ... الآية. ألا] وهي في القرآن بمعنى ألو. والمؤمنون والمؤمنات لم يفهموا ألو هذه فهماً جيداً، بل بمجرد ما يفتح أحدهم التلفون يقول: ألو، وإذا قيل: ألا لا يفهمون.

فافهموا هذه، فهي فائدة عظيمة.

وقد قال تعالى في القرآن: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62]. وألا في لغة القرآن معناها: انتبه أيها السامع! وأنت حاضر القلب والشعور حتى ألقى إليك الخبر، وأما النصارى واليهود والمشركين فإنهم لم يعرفوا معنى ألو، ولما سألناهم عن معناها قالوا: لا ندري، فهي هكذا وجدت مع التلفون، فقلنا لهم: لقد سبقكم القرآن بألف وأربعمئة سنة.

قال الشارح: [فلنحذر إساءة الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا تكلمنا عنه أو حدثنا بحديثه يجب أن نكون على غاية من الأدب والاحترام] لا بالضحك والسخرية ورفع الصوت.

وإن شاء الله نأخذ بهذا.

حكم رفع الصوت في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أو بجانب حجرته

قال: [ولنعلم أيها القارئ الكريم! والمستمع! أن رفع الصوت بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده أو قريباً من حجرته الشريفة مكروه لهذه الآية] الكريمة [لأن حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم ميتاً كحرمة حياً] صلى الله عليه وسلم، وليس هناك فرق بين حياته وموته في هذا، فلا تقل: الآن مات، فسأرفع صوتي، ولا تقل: الآن مات، فسأعصيه، فليس هناك فرق بين حياته وموته، بل ما وجب علينا في حياته فهو واجب علينا بعد موته على حد سواء [وهذا عمر] ابن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الراشد الثاني الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجّه).

والفج: الطريق الواسع.

فقد كان الشيطان لا يستطيع أن يمشي مع عمر في نهج واحد، ولا يقوى على ذلك، ولو فعل ذلك لاحترق.

وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: (لو كان في أمتي محدثون) أي: من تحدثهم الملائكة (لكان منهم عمر ، ولكن لا نبي بعدي).

وهو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فترضوا عنه، وقولوا: رضي الله عنه وأرضاه. فعمر في خلافته كان [يطبق هذه القاعدة] أي: احترام الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ميت كاحترامه حياً [فيسمع يوماً صوت اثنين] من الرجال [مرتفعاً في] هذا [المسجد فدعاهما] وطلبهما للحضور بين يديه، فهو الحاكم العام [وقرعهما] بالمقراع، يعني: أدبهما بأنواع التأديب والتقريع [وسألتهما: من أين أنتما] أيها الرجلان؟! [فقالا: من] أهل [الطائف].

فقال لهما: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً [لأن أهل المدينة أعرف وأعلم بدين محمد صلى الله عليه وسلم، وأعرف وأعلم بالآداب والأخلاق؛ لأنهم في عاصمة الإسلام، ولكن ما داموا بعيدين فمن الجائز أن يكونا ما بلغهما هذا الأدب، ولا عرفاه، ثم نهاهما [ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟] ومن هنا على المفتي والمعلم أن يراعي أحوال الناس، والآن نحن ننهي الحجاج عن رفع أصواتهم، ولكن لا نلومهم كثيراً؛ لأنهم ما عرفوا.

مع أن الواجب ألا نتكلم حتى في بيوتنا أو في أسواقنا أو بين أهلينا إلا بقدر الحاجة، فصوتك كدرهمك لا تخرجه إلا عند الحاجة، فلا ترفع صوتك، فهذا تبديد وتبذير باطل، بل تكلم بقدر ما تسمع من يريد أن يسمعك، ولو أخذنا بهذا المبدأ لكانا كالملائكة في الطهر والصفاء. اللهم اجعلنا كذلك.

قصة ثابت بن قيس رضي الله عنه مع هذه الآيات

انتهت بنا القراءة أمس إلى هذه الفقرة، وهي: [هذا واذكر] أيها القارئ! والمستمع! [قصة] صاحب الجليل [ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه] فهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاذكر هذه القصة ولا تنسها؛ فإنها تعطيك الفهم الصحيح لهذا النداء الكريم [فقد روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه] أي: أنس بن مالك صاحب الجليل [قال: لما نزلت هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ [الحجرات:2] .

الآية إلى قوله: وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ [الحجرات:2] [أي: أن تحبط أعمالكم، أي: خشية أن تحبط أعمالكم] وكان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت [بطبعه] أي: إذا تكلم [فقد كان صوته عالياً بالفطرة] فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنا من أهل النار [فلما نزل هذا النداء فهم أنه هو المقصود بالذات؛ لأنه كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، وأصابه حزن وكرب وهم، وقال: [حبط عملي، وجلس في أهله] وبيته [حزينا] يبكي [ففقد رسول الله صلى الله عليه وسلم] فقد كان يراه بين أصحابه وفي مجالسه يتعلم الكتاب والحكمة، فنظر إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يجده، ففقدته، كعادته في تفقد أصحابه والنظر إليهم، ومعرفة من غاب منهم [فانطلق بعض القوم فقالوا له: تفقدك رسول الله صلى الله عليه وسلم، مالك؟ فقال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، وأجهر له بالقول، فحبط عملي، أنا من أهل النار، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما قال] ثابت بن قيس بن شماس [فقال صلى الله عليه وسلم: (لا) ليس هو من أهل النار، بل [(هو من أهل الجنة)] ففاز بها، وأصبح مبشراً على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه من أهل الجنة [قال أنس : فكنّا نراه يمشي بين أظهرنا في المدينة، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، واستشهد رضي الله عنه يوم اليمامة] في الحرب التي كانت بين أبي بكر وأهل الردة. فكان مبشراً بالجنة رضي الله عنه وأرضاه.

وهكذا أهل الإيمان، فقد شعر بأن صوته يرتفع أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفهم أنه حبط عمله، فلازم البيت يبكي ويقول: أنا من أهل النار، فتفقدته الحبيب صلى الله عليه وسلم، فسأل عنه، فقالوا: قصته كذا وكذا، وأنه يقول: أنه من أهل النار، فقال: (لا)، بل (هو من أهل الجنة).

ثم مات وقتل شهيداً في سبيل الله، فكان أنس رضي الله عنه يقول: إذا مر بنا ثابت بن قيس نقول: هذا من أهل الجنة، كالعشرة المبشرين بالجنة.
وجوب التثبت في الحكم قولاً أو فعلاً وبيان أفضلية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا هو [النداء الحادي والسبعون] وقد كان النداء الماضي هو النداء السبعون، وهذا النداء مضمونه وفحواه وما يدل عليه هو [وجوب التثبت في الحكم قولاً أو فعلاً] وهذا يحتاجه الوزير والرئيس، ورئيس الشرطة والقاضي، ورب البيت والكناس في المسجد وفي الشارع، وكل مؤمن يحتاج إلى هذا.
ولا إله إلا الله! فهذا يخاطب كل مؤمن ومؤمنة من الحاكم إلى آخر مسئول في الدولة، فهذا القرآن عجيب، وقد قالت الجن: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ [الجن: 1-2].
فهذا النداء يوجب علينا إذا أردنا أن نقول كلمة ألا نقولها حتى نتثبت ونتبين أنها حق وليست باطلاً، وأنها صحيحة وليست كذباً، وأنها تنفع ولا تضر، وكذلك ألا تصدر حكماً على فلان إذا قال قولاً أو فعل فعلاً إلا بعد التثبت والتبين، فإذا ظهر الأمر واضحاً قلنا أو حكمنا عليه.
كما أن من مضمون هذا النداء [وفي بيان أفضلية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم] على الخلق أجمعين دون الأنبياء، فلم يوجد على الأرض أفضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، ولنعترف لهم بهذا، والقرآن شاهد على هذا، وقد نادانا الله ليبين لنا هذا، فمن كفرهم أو لعنهم أو سخر منهم فهو كافر إلى جهنم.

وهيا نتغنى بهذا النداء مع طوله.

قاله: [الآيات (6 - 8) من سورة الحجرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ * وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الحجرات: 6-8]] ولا يوجد كلام أعز من هذا الكلام، ولا أسمى ولا أظهر منه.

وإن لم تعرفوا الله يا عباد الله! فهذا كلامه، فاعرفوا جلاله وكماله بواسطة كلامه؛ إذ لا أحد يقوى على أن يقول مثل هذا القول.

واسمعوا شرحاً موجزاً لهذا النداء: نادانا ربنا بعنوان الإيمان لأننا أحياء، نسمع النداء ونجيب، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ [الحجرات: 6].

والفاسق هو: الذي خرج عن طاعة الله أو طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا قد فسق كما تفسق الفأرة التي تخرج من جحرها؛ لأنه خرج عن الطاعة وفسق، فهو فاسق.

وقوله: إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ [الحجرات: 6] أي: خبر عظيم ذو شأن فلا تقبلوه وتصدقوه وتذيعوه في الناس، بل تثبتوا اليوم واليومين والثلاثة، وتبينوا حقيقة وصحة ذلك الخبر، وانتبهوا.

ثم قال: أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ [الحجرات: 6].

فتسبون أو تشتمون أو تقتلون أو تعرضون للأذى من ليس أهلاً له؛ نتيجة أنكم لم تثبتوا ولم تتبينوا القول، فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات: 6].

والمؤمن يندم إذا وجد نفسه أخطأ، وإذا لم يندم فهو ليس بمؤمن، بل كافر، وأيما مؤمن يجد نفسه أنه أخطأ في سب فلان أو اتهم فلان أو شتم فلان فإنه لما يعرف الحق والله يندم حتى يكاد يأكل أصابعه، والذي أخبر بهذا هو خالقنا وخالق غرائزنا، فقد قال: أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات: 6].

ومعنى هذا: إذا أخبرتك فلانة أو أخبرك فلان بخبر، وأن فلاناً فعل أو فلانة فعلت فإياك أن تصدق، حتى تتأكد بوسائل العلم والمعرفة، فإذا علمت يقيناً قلت؛ وذلك خشية أن تقول الباطل في مؤمن، ثم يتبين أنه بريء لم يفعل هذا، فتعض أصابع الندم وتكرب وتحزن؛ لأنك آذيت مؤمناً.

هذا أولاً.

وثانياً: قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ [الحجرات: 7]، أي: بينكم. لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ [الحجرات: 7]، أي: وقعتم في المشقة والتعب.

وهذا صحيح، فلو كان كل من يقول قولاً للرسول يأخذ به فوالله لوقع الناس في المهالك؛ لأن هذا النداء له سبب نزل فيه.

ومعنى هذه الآية: واعلموا أيها المؤمنون! أن فيكم رسول الله، لو يطيعكم في كثير من الأخبار والأوامر لهلكتم، ولوقعتم في العنت والمشقة التي لا تطاق.

والله لا يريد لكم المشقة والعنت والتعب.

وَلَكِنَّ اللَّهَ [الحجرات:7] وهذه بشرى.

وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ [الحجرات:7].

ولذلك فأنتم الراشدون.

وهو لم يقل: فأنتم الراشدون، وإنما رفعهم إلى مستوى آخر، فقال: أُولَئِكَ [الحجرات:7] أي: هذا النوع هُمُ الرَّاشِدُونَ [الحجرات:7].

لا غيرهم.

والراشد ضد السفیه، فهم أهل رشد وكمال، وهؤلاء هم أصحاب رسول الله، ولهذا لم يكونوا يكثرون من أمر رسول الله والطلب منه كذا وكذا، وإنما هم بعيدون من هذا؛ لما منحهم الله وأعطاهم.

هذا هو معنى هذا النداء.

التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: [وقوله تعالى في الآية الثانية: وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ [الحجرات:7]، أي: فاحذروا أن تكذبوا أو تقولوا باطلاً؛ فإن الوحي ينزل] ويوحى الله إليه، وانتبهوا، فياكنم أن تكذبوا أو تقولوا قولاً باطلاً! فإن الرسول يخبره ربه بما تفعلون وتقولون] وتفضحوا بكذبكم وباطلكم.

وقوله تعالى: لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ [الحجرات:7]، أي: لو قعتم في المشقة الشديدة والإثم أحياناً.

وقوله تعالى: وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ [الحجرات:7].

فوقاكم بذلك من أن تكذبوا على رسولكم، أو تقترحوا عليه، أو ترفضوا آراءكم فتؤذوه بذلك.

وهذا الله تعالى بتحبيبه الإيمان إلى قلوبكم، وتكريهه إليكم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلكم من الراشدين كفاكم بذلك خواطر السوء ورغبات الباطل، فلم يبق مجالاً للاقتراحات التي قد تسيء إليكم، وإلى جناب نبيكم صلى الله عليه وسلم] وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ...)

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم! أن هذا النداء الإلهي كان لسبب عجيب] يعني: نزل من أجل سبب، والقرآن لم ينزل في يوم واحد، وإنما نزل في ثلاثة وعشرين عاماً، وكان كلما تحدث حادثة ينزل بيان الله عز وجل فيها [و سبب هذا النداء] هو أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث [وانتدب] الوليد بن عقبة بن أبي معيط [وكان الوليد رجلاً مؤمناً، ووالده من أهل النار، ومن عتاة المشركين، وهو عقبة بن أبي معيط].

فبعث الرسول الوليد [إلى بني المصطلق؛ ليأتي بزكاة أموالهم] وكان بنو المصطلق على ساحل البحر الأحمر، فانطلق ينفذ ما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم [وكان بينهم] أي: بني المصطلق الذين دخلوا في الإسلام أمس] وبين أسرة الوليد [في مكة] عداء [وخصومة] في الجاهلية، فذكره الوليد [أي: ذكر ذلك العداء] وهاب [وكره] أن يدخل عليهم دارهم [وحيهم الذي ينزلون فيه] وهذا من وسواس الشيطان [له] فرجع، وستر على نفسه الخوف الذي أصابه، فذكر [للرسول] أنهم منعوه الزكاة، وهموا بقتله، فهرب منهم [فالوليد لما وصل إلى بني المصطلق خاف أن يضربوه أو يقتلوه أو يؤذوه؛ لأنهم أعداء لأسرته وعائلته في الجاهلية، فكذب، وقال: هربت منهم، فقد أرادوا أن يقتلوني، ومنعوني الزكاة؛ سترأ على نفسه من الجبن بعد أن خاف، فقال: إنهم أرادوا أن يقتلوني ومنعوني] فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بغزوهم [لأنهم أسلموا ودخلوا في الإسلام، ولما أرسل إليهم رسوله يأتي بالزكاة يهمون بقتله، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بغزوهم من جديد؛ لأنهم ارتدوا حسب الخبر الكاذب] وما زال كذلك [أي: يفكر في القضية] حتى أتى وفد منهم يسترضي رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ويستعتب عنده؛ خوفاً من أن يكون قد بلغه عنهم سوء، فأخبروه بأنهم على العهد، وأن الوليد قد رجع من الطريق، ولم يصل إليهم [ولا دخل بلادهم] وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد من جهة، فوصل [خالد] إليهم قبل المغرب [أي: قبل غروب الشمس] فإذا بهم يؤذنون، ويصلون المغرب والعشاء، فعلم أنهم لم يرتدوا [كما قال الوليد] وأنهم على خير والحمد لله، وجاء بالزكاة، وأنزل الله تعالى هذه الآيات: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ [الحجرات:6]، أي: ذو فسق [والآن الوليد فسق وكذب، والكذب فسق، وقد قال الباطل على مؤمنين، وادعى أنهم ارتدوا، وليس هناك فسق أعظم من هذا قال:] وهو المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، والنبأ هو الخبر ذو الشأن.

فَنَبِّئُوا [الحجرات:6]، أي: تثبتوا قبل أن تقولوا أو تفعلوا أو تحكموا [كما بينا] أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ [الحجرات:6]، أي: خشية إصابة قوم بجهالة منكم.

فَنُصِبحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات:6]، أي: فتصبحوا على فعلكم الخاطئ نادمين متأسفين [متحسرين.

الخوض في الشايعات دون تمحيص، ونقل الحكايات دون تثبيت واستيقان يجعل المجتمع يقع تحت تأثير هذه الشايعات والحكايات، فيفتح على الناس باب عظيم للشر، والمسلم مأمور بأن يكون بعيداً عن هذه الأخلاق، ويستحضر نعمة الله عليه بأن حُبب إليه الإيمان، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان. تابع وجوب التثبت في الحكم قولاً أو فعلاً وبيان أفضلية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

جعلنا الله تعالى منهم، واحشروا في زميرهم، ورضي عنا كما رضي عنهم. اللهم آمين.

هذه النداءات المباركة الكريمة هي نداءات الله عز وجل لنا معشر المؤمنين والمؤمنات، وهو ينادينا لأننا أولياؤه، وينادينا ليأمرنا حتى نكمل ونسعد، وينادينا لينهاينا عما من شأنه أن يردينا ويشقينا، وينادينا ليبشرونا حتى تطمئن قلوبنا وتسكن نفوسنا، وينادينا لينذرنا ويحذرننا من عواقب السوء، وينادينا ليعلمنا.

وربنا تعالى لا ينادينا في كتابه إلا لواحدة من هذه.

وهو ينادينا لأننا أولياؤه، وهو ولينا؛ إذ كل مؤمن تقي هو لله ولي، وقد قال تعالى في أوليائه: **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** [يونس: 62].

وكان سائلاً يسأل: من هم أولياؤك يا رب؟! فكان الجواب: **الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** [يونس: 63]، أي: يتقون الله بطاعته وطاعة رسوله.

والله لا يتقى بالحصون ولا بالجيوش الجرارة، وإنما يتقى الله بطاعته وطاعة رسوله، فمن أطاع الله ورسوله فقد اتقى أنواع العذاب والبلاء والشقاء في الدنيا والآخرة معاً.

معنى قوله تعالى: (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ...)

ثم يقول في هذا النداء: **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ** [الحجرات: 7].

فلستم مهملين ولا ضائعين، بل الوحي ينزل، وجبريل يتردد، فانتبهوا، **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ** [الحجرات: 7].

ولا تكثرُوا من الاقتراحات عليه والطلبات وغير ذلك.

وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ [الحجرات: 7] لهلكتم بالمشقة والتعب.

وهكذا يعلمهم الآداب السامية الرفيعة.

فالزموا الصمت، ولا تستعجلوا، ولا تطالبوا، ولا تقترحوا، فالأمر ليس فوضى، بل هناك وحي ينزل، والرسول بينكم.

صفة الراشدين

قال تعالى: **وَلَكِنَّ اللَّهَ** [الحجرات: 7] صرفكم عن ذلك الباطل؛ لأنه حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ [الحجرات: 7].

فأنتم الراشدون، ولذلك قال: **أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** [الحجرات: 7].

والراشدون هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي بكر إلى آخر صحابي، فهم الراشدون. قال: [وقوله تعالى: أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ [الحجرات:7] أي: الذين فعل بهم ما فعل من تحبيب الإيمان، وتكريه الكفر والفسوق والعصيان إليهم أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ [الحجرات:7]، أي: السالكون سبيل الرشاد، وهم قطعاً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر و عمر و عثمان و علي وغيرهم.

وكل من حبيب الله تعالى إليه الإيمان من هذه الأمة، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان فهم من الراشدين، أي: السالكين سبيل الرشاد المفضي بصاحبه -أي: سالكه- إلى الطهر والصفاء، والعز والكرامة في الدنيا، وإلى الجنة ورضا الله في الدار الآخرة [فرضي الله عن أصحاب رسول الله وأرضاهم.

وأما نحن فواجبنا - كما علمتم- ألا نقبل خبر من أحد، لاسيما إذا كان فيه طعن أو لمز أو إعلان عن فاحشة أو منكر، فلا نقبله أبداً إلا بعد أن يثبت كما تثبت الشمس أمامنا؛ حتى لا نُؤذي مؤمناً أو مؤمنة، ونمزق عرضه ونهلكه، فإذا فعلنا ذلك ثم عرفنا أننا أخطأنا فلو بكينا الدهر لما كفانا، كما قال تعالى: أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات:6].

فضل الله على عباده المؤمنين بهدائيتهم إلى الإيمان والإحسان

قال: [وقوله تعالى: فَضَّلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الحجرات:8]، أي: هداية من هداهم الله إلى الإيمان والإسلام والإحسان، فأحبوا الإيمان والإحسان، وكرهوا الكفر والفسوق والعصيان، وسلخوا سبيل الرشاد، فسعدوا وكملوا، كل هذا قد أفضل الله تعالى به إفضالاً، وأنعم به إنعاماً عليهم، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الحجرات:8]، أي: عليم بهم وبنياتهم وبواعث أنفسهم، حكيم في تدبيره لهم ولغيرهم.

فها هو ذا سبحانه وتعالى أهل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن جاء بعدهم إلى يوم القيامة ممن أحبوا الإيمان، وكرهوا الكفر والفسوق والعصيان، أهلهم للخير، وأضفاه عليهم، إلا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى الله تعالى شأنهم، وأعظم قدرهم؛ لصحبته لرسوله صلى الله عليه وسلم، فهم أفضل الأمة على الإطلاق، ولا مطمع لأحد ممن يأتي بعدهم أن يفوقهم في الفضل والكمال، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فرضي الله عنهم وأرضاهم، ورضي عنا معهم.

أمين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [هذه بقية النداء السابق.

ضرورة التثبت من الأخبار والتأكد من صحتها

النداء الذي اجتمعنا عليه أمس وسمعناه ودرسناه بقي منه شيء، فنعيده تذكيراً للناسين، وتعليماً لغير العالمين. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الحجرات:6]! فلنقل: لبيك اللهم لبيك! إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ [الحجرات:6].

فيجب على كل مؤمن يأتي إليه فاسق من فسادنا بخبر ألا يقبله وألا يقره، وألا يقوله ولا يثق فيه حتى يفحصه ويتدبره ويتأمله، فإذا تبين أنه حق قبله؛ لأن الفتنة تقع من الباطل. وهذا نظام حياتنا.

وإذا قيل: الشيخ الفلاني عميل وذنب وتابع للحكومة فيجب أن ندرس هذا الكلام، وأن نتثبت من حقيقته، ومن مظاهر الذنبية، ومظاهر التبعية والذيلية، ولنرى ماذا فعل، وأثار ذلك، فإذا تبين لك بعد الفحص والتدقيق والتبيين في يومين أو ثلاث أو أسبوع فحينئذ قل، وإذا لم يتبين لك ذلك فاسكت، ولا تصدر حكماً وأنت لا تعلم، ولو أخذ المسلمون بهذا الأدب فقط لنقص ثلثي الظلم والشر والفساد، ولا يبق إلا الثلث.

ولو نجعل أمام كل بيت جندياً في يده رشاش فوالله ما نفعا هذا، ولن يحقق لنا أمناً ولا طهراً كما يحققة كلمة كهذه.

وقد عرف العدو هذا ولم نعرفه نحن، فصرف هذه الأمة عن كمالاتها التي في كتاب ربها وهدى نبيها.

ثم قال تعالى: أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات:6]؛ لأنكم مؤمنون.

ولو وجدت نفسك قد اغتبت فلاناً وسببته وشتمته وعيرته فإن كنت مؤمناً فستحزن حتى تبكي أو تمرض؛ لأنك آذيت مؤمناً وأنت لا تدري.

فلا تستعجل في قبول الخبر، أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات:6].

هيا نعود، ولا نقول: لا نستطيع يا شيخ! ولا نقدر على العودة.

وسأبين لكم كيف تكون العودة التي نحث عليها كل ليلة: إذا أخذت الشمس تميل إلى الغروب - أي: الساعة السادسة- فعلى أهل القرية - ويجب أن يكونوا كأسرة واحدة- وأهل كل حي في المدينة المنقسمة إلى أحياء - ويجب أن يكونوا كأسرة واحدة، فالمؤمن أخو المؤمن- أن يغلقوا أبواب الدكاكين والصناعات، وعلى الفلاحين أن يرموا المساحي والمناجل، ويتوضئون هم وزوجاتهم، ثم يذهبون إلى المسجد بيت الإله الرب تبارك وتعالى، فهو موطن السجود لرب العالمين، فيخرج النساء والأطفال والفحول، ويؤمنون المسجد ويقصدونه كلهم على طهر وصفاء، فإذا أذن المؤذن قاموا وصلوا نافلة إن استطاعوا، ثم تقام صلاة المغرب فيصلون، ثم يجلسون جلوسنا هذا، والنساء وراء الستار، ومكبر الصوت بينهن، والأبناء دونهن، والفحول كما أنتم، والمربي على منصة كهذه، ويعلمهم ليلة آية واحدة، فيدرسونها، ويكون عندها، ويحفظونها، ثم يبين لهم مراد الله منها، فيفهمون عن مولاها، فإن كان طلباً أعطوه، وإن كان علماً تعلموه، والنساء كالأطفال والرجال، وليلة أخرى يعلمهم حديثاً من أحاديث الرسول، ومن سنن الهادي صلى الله عليه وسلم، فيخرجون ونفوسهم قد شبعت وارتوت من كلام الله وكلام الرسول، فيعودون إلى بيوتهم بعد أن يصلوا العشاء وقد خف الشره والطمع، والتكالب على الشهوات وأوساخ الدنيا وقاذوراتها، فينامون مستريحين؛ لأنهم كانوا مع الله في بيته، يتلقون الحكمة والعلم والمعرفة عنه، وكانوا مع رسول الله في بيت الله يتعلمون الحكمة، ويوماً بعد يوم وعاماً بعد عام ولا يبقى في تلك القرية فاسق ولا ظالم، ولا ماجن ولا فاجر والله. ولا يبقى بينهم والله من يجوع ولا يشبعونه، ولا من يعرى ولا يكسونه، ولا من يمرض ولا يعالجونه، ولا من يضام ولا ينصرونه، فيصبحون أولياء الله، لو رفعوا أكفهم إلى الله ليزيل الجبال لأزالها، فضلاً عن رقع وباء أو مرض أو حاجة أو عدو أو غير ذلك، وليس في هذا صعوبة ومشقة، ولا يوجد مانع يمنعنا منه، ولو كنا أيام روسيا وطلبنا منها أننا ندخل بيوت ربنا نتعلم ونبكي لما منعنا من هذا، فضلاً عن حكام مسلمين.

فليفهم السامعون والسامعات كيفية العودة.

فلا عودة حقاً إلا بتلقي الكتاب والحكمة وتركية النفس.

وإبراهيم وإسماعيل منذ ستة آلاف سنة أو أكثر كانا بينيان البيت بعد أن أمر إبراهيم ربه تعالى بأن يبني له بيتاً في الوادي الأمين، وكان إسماعيل قد أصبح غلاماً زكياً، يساعد والده ويناوله الحجارة والطين، وكانا وهما بينيان البيت يدعوان ربهم ويسألانه بكلمات طيبات: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [البقرة:129].

هذه دعوة إبراهيم الخليل مع إسماعيل عليهما السلام.

فهما يسألان الله تعالى في هذا الدعاء أن يبعث في أولاد إسماعيل نبياً منهم يتلوا عليهم الآيات، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، أي: القرآن والسنة، وليس الرقص ولعب الشطرنج. وَيُزَكِّيهِمْ.

لا أن يعلمهم علماً جافاً، بل علم مع طهارة النفس وتركيتها، حتى يصبحوا وليس بينهم خيانة، ولا سب ولا شتم، ولا حسد ولا كبر، ولا شره ولا طمع، ولا تكالب على الدنيا ولا بغضاء، ولا غير ذلك، وإنما طهر وصفاء. هذه هي التزكية.

وهي تأتي بطريق الكتاب والسنة.

وقد هجر المسلمون كتاب الله، وهجروا سنة رسول الله، وعاشوا على المذائح والأغاني، والضحك والباطل إلا من رحم الله.

وهذه نداءات الرحمن فاطبوها، واطبعوها ووزعوها بين النساء والرجال، وليضع كل مؤمن عند رأسه هذه النداءات، ولا ينام حتى يستمع إلى الله في ندائه ما يقول له فيه.

ونحن لا نستطيع ولا نقدر على هذا؛ لأننا مكبلون ومقيدون بقيود الأهواء والشهوات، والأطماع والأمراض القلبية، وفوق ذلك كله فنحن لم نعرف الله معرفة حقيقة تنتج لنا حبه والخوف منه، ومن فقد حب الله فلن يعمل صالحاً، ومن فقد الخوف من الله فلن يترك ذنباً ولا معصية.

فلنتعلم.

وأهل القرية قد يمضي عليهم عام ولا يجتمعون على آية ولا على حديث، أو يجتمع منهم خمسة من خمسة آلاف، أو عشرة من عشرة آلاف شخص، وهؤلاء الذين يجتمعون يكونون من الشيوخ والعجائز، ثم نريد أن نرقى إلى السماء، وأن نخترق السبع السماوات؛ لننزل دار السلام.

ولو بذلنا مهجنا ودماعنا وعرقنا وأموالنا وأرواحنا في سبيل الوصول إلى ذلك المكان الأقدس لكان هيناً، والله لم يطلب منا هذا، وإنما طلب منا فقط أن نجلس في بيت الرب، ونبكي بين يديه، ونتعلم هداه، ونحن لا نستطيع.

كيفية تزكية النفس

قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ [الأعراف:201].

وخص أهل التقوى لأن التقوى هي فعل أوامر الله واجتناب نواهيه.

والأوامر هي عبارة عن مواد تزكية وتطهير للنفس البشرية، فالذي يصوم كالذي يصلي، وكالذي يتصدق، وكالذي يرابط، وكالذي يذكر الله، وكالذي يتلو كتابه، وكالذي يبتسم في وجه مؤمن، فهو يريد وجه الله.

وهذه كلها عوامل تزكية وتطهير للنفس البشرية.

والمعاصي من الكذب والزنا والربا والسرقة والكبر والخيانة وشتى المؤمنين وسبه وعقوق الوالدين وأذية المؤمنين هي عبارة عن أدوات تدمية وتخبيث، فهي تدمر الصفاء، وتحيله إلى عفن وظلمة وتنتن والله العظيم.

وهذه سنن الله التي لا تتغير، فالطعام يشبع، والنار تحرق، والحديد يقطع.

وكذلك كلمة الحق تزكي النفس، وكلمة الباطل تخبثها.

وما زلنا نذكر حكم الله الذي صدر قبل ألف وأربعمائة سنة وزيادة في هذا الشأن، فقد صدر حكم الله علينا يا أيها المؤمنون والمؤمنات! وهذا الحكم الصادر أهل الحلقة يعرفونه، والذين لم يجلسوا مجلساً كهذا طول حياتهم لا يعلمون هذا.

وحكم الله الصادر على البشرية هو قوله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

وقد أقسم أولاً بأعظم قسم، فقال: وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا * وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا [الشمس:1-8].

وهذه عدة أيمان وأقسام وأحلاف من الجبار جل جلاله، خالق الكائنات، ورب الأرض والسماوات، وهو يحلف هذا الحلف من أجلنا نحن عبيده؛ لتطمئن نفوسنا إلى صدق الخبر، وإلى صحة هذا الحكم الإلهي؛ لأنه حكم عظيم، فقد قال: قَدْ أَفْلَحَ [الشمس:9]، أي: فاز.

ونحن نعرف معنى فاز في الكرة وفي القمار، وأما هنا فلا نعرف.

وقد بين لنا تعالى الفلاح والفوز في آية من أعظم الآيات، وأكثر السامعين ما سمعوا بها، وهي في كتاب الله، وهم لم يسمعوا بها لأن القرآن يقرأ ليلة الموت فقط في المآتم، ولا يجتمع اثنان ويقول أحدهما للآخر: أسمعني شيئاً من كلام الله أبداً، ولا يجلس ثلاثة ويقولون لأحدهم: من فضلك اقرأ علينا شيئاً من القرآن.

فهذا لم يفعله أحد من عباد الله أبداً؛ لأننا لسنا في حاجة إليه، فنحن لسنا في حاجة إلى أن نسمع كلام الله وحديث ربنا! ولا نريد أن نسمعه، وها هو ذا أبو القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الله بن مسعود الهذلي: (يا ابن أم عبد ! اقرأ علي شيئاً من القرآن).

فيعجب الرجل ويقول: (أعليك أنزل، وعليك أقرأ؟! قال: نعم، إنني أحب أن أسمعه من غيري).

ووالله لو كان إخواننا عندما يجتمعون في البيت أو في أي مكان يقولون لأحدهم: اقرأ علينا شيئاً من القرآن، فيقرأ ويبيكون لما ارتكبت معصية في ذلك المكان، ولما عصي الله، بل كانت هذه القراءة وقاية وحماية له.

(وقرأ عبد الله من سورة النساء، حتى انتهى إلى قوله تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [النساء:41].

وإذا عينا الرسول تذر فان الدموع وهو يبكي، ويقول: حسبك حسبك)، يعني: يكفي يكفي.

بيان ما تحمله نداءات الرحمن من الهدى والعلم

هذه النداءات التسعين لا توجد إلا في كتاب الله القرآن العظيم.

وهذه النداءات تحمل كل أنواع الهدى والنور، والعلم والمعرفة، وصاحبها هو الذي حفظها وفهم معناها وطبق ما دعت إليه، فهذا والله ليصبحن من أفضل أولياء الله، ومن أعلم أهل الأرض.

وليس هناك مانع من أن تُحفظ هذه النداءات، وأن يُفهم مراد الله منها، وأن تُجاهد النفوس، حتى نطيع الله فيما يأمرنا فيها، وفيما ينهانا فيها، وليس هناك مانع إلا الشيطان إبليس عدو الرحمن، فهو الذي لا يسمح لنا بذلك، ولا يريد أن نكمل ولا أن نسعد، ولا يريدنا أن نحقق ولا يتنا لربنا لنغز ونكمل ونسعد؛ وذلك حتى لا يذل هو ويشقى ويخسر.

فهيا نحارب هذا العدو، ومحاربتة لا تحتاج إلى مدفع ولا رشاش، ولا صاروخ ولا هيدروجين، وإنما فقط بكلمة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم في غضب، فإنه يهرب منك بسرعة عجب، فإذا شعرت به فاستعذ منه، وشعورك به هو أن يزين لك قبيحاً، أو أن يحسن لك باطلاً، أو أن يحاول دفعك إلى ارتكاب جريمة، فإذا شعرت بذلك فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ فإنه يرحل، على شرط أن يكون رادارك سليماً صحيحاً، والرادار كلمة عصرية، وجهاز يتصيد الطائرات في الهواء، حتى لا ترمي المدن التي فيها الناس بالقنابل، فهو يشعر بحركتها.

وهذا الرادار يوجد في قلب كل مؤمن ومؤمنة، فإن حافظا على نظافته وسلامته فما إن يحوم حول القلب إلا تقطن له وطرده، وإن كان الرادار قد تهشم وتحطم أو علته أكوام الذنوب والآثام فإن العدو يأتي، ويدخل ويخرج ويفعل ما يشاء؛ لأنه قد مات.

والدليل على وجود هذا الرادار في قلب كل مسلم من كلام ربنا في سورة الأعراف، التي بين الأنعام والأنفال، فاسمعوا الله تعالى يقول فيها، وقوله الحق: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا [الأعراف: 201].

وهم ليسوا بنو تميم، ولا الأشراف، وليسوا الأحباش ولا العرب، ولا الأتراك ولا العجم، فهؤلاء كلهم عباد الله، وإنما يشمل هذا كل مؤمن ومؤمنة أبيض كان أو أسود.

حرمة السخرية بالمؤمن وحرمة التنازب بالألقاب السيئة

هذا هو [النداء الثاني والسبعون] وهو [في حرمة السخرية بالمؤمن، وحرمة التنازب بالألقاب السيئة] وسبحان الله! فهذه النداءات في سورة الحجرات كلها في الآداب، وفي تحقيق المجتمع الطاهر الرباني السامي، فإذا اجتمعوا على هذه النداءات في القرية أو في البيت تجلت حقائق الطهر والصفاء فيهم، على شرط أن يجتمعوا ويقرءوا ويعلموا.

قال: [الآية (11) من سورة الحجرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الحجرات: 11]] فإذا طبق أهل القرية هذا لوجدت أهلها يعيشون أربعين أو خمسين عاماً ولا تسمع أحد يطعن في أحد، ولا تسمع أحدهم يلقب أخاه بلقب السخرية والاحتقار أبداً؛ لأنهم عرفوا، والذين لم يبلغهم هذا ولم يعرفوه فإنهم لا يرتاحون إلا باللمز والهمز والطعن والله.

وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الحجرات: 11].

والعياذ بالله.

[الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم! والمستمع المستفيد! أن هذا النداء والثلاثة قبله، والآتي بعده، هذه النداءات الخمسة من سورة الحجرات المباركة كلها في تربية المؤمنين والمؤمنات وتهذيب أخلاقهم، وتركية نفوسهم، والسمو بأدابهم، وهم لذلك أهل بإيمانهم بالله ولقائه، والقرآن وأحكامه، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الكريم، وهديه وسنته، لذا يتعين على المؤمنين قراءة هذه النداءات بعناية، والتدبر فيها، وفهم معانيها، والعمل بها؛ رجاء كمالهم وسعادتهم، حقق الله تعالى لنا ذلك ولهم.

آمين] وهذه النداءات من سورة الحجرات المفروض على كل مؤمن ومؤمنة أن يقرأها ويعرفها، وأن يعمل بها.

النهى عن احتقار الآخرين والسخرية منهم

قال: [والآن مع شرح هذا النداء الرابع من تلك النداءات] من سورة الحجرات، وكلها في الآداب [قوله تعالى: لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ] [الحجرات: 11] أي: لا يزدري أناس منكم أيها المؤمنون! أناساً آخرين منكم أيها المؤمنون! ويحتقرونهم؛ فإن ذلك محرم عليكم، مغضب للرب تعالى عليكم، وكيف ترضون بغضب ربكم، وهو وليكم، وأنتم أولياؤه بإيمانكم وتقواكم؟ وقوله تعالى: عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ [الحجرات: 11] أي: عند الله تعالى [فقد تسخر

من فلان، وهو عند الله من أفضل الناس، ويا ويلك! وقد تسخر من بني فلان لفقرهم أو جهلهم، وهم أرفع منزلة عند الله منك، وأنت لا تعلم.

قال: [والعبرة بما عند الله لا بما عند الناس، فلذا من القبح والسوء سخرية مؤمن بمؤمن بازدرائه واحتقاره، وهو لا يدري، قد يكون من ازدراه وسخر منه خيراً عند الله، وأحب إلى الله منه] والازدراء والسخرية كأن تقول له: يا أعمش! .. يا بدوي! .. يا فقير! ونحن لا نحفظ هذه؛ لأننا لم نتعلمها، ولكن لو أتى خبير فإنه يفصلها تفصيلاً.

وقد انتهى الوقت ولم نشعر به؛ لأننا في غمرة النور الإلهي، ولو بقينا إلى الصبح لما شعرنا. والحمد لله.

ونكمل يوم غد.

وصل اللهم على نبيينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

جاءت الشريعة الإسلامية لتربية المؤمنين، وتهذيب أخلاقهم، وتركيز نفوسهم، والسمو بأدابهم، فقد حرمت عليهم السخرية من الآخرين والاستهزاء بهم؛ لأن المؤمن إذا سخر من أخيه فقد يكون أحب إلى الله منه وأقرب، كما حرمت على المؤمنين التنازير فيما بينهم، ولمز بعضهم بعضاً؛ لما في ذلك من إثارة الضغائن والأحقاد، والتباغض الذي قد يفضي إلى سفك الدماء أحياناً.

تابع حرمة السخرية بالمؤمن وحرمة التنازير بالألقاب السيئة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

جعلنا الله تعالى منهم، واحشروا في زميرهم، ورضي عنا كما رضي عنهم.

اللهم آمين.

هذا هو [النداء الثاني والسبعين: في حرمة السخرية بالمؤمن، وحرمة التنازير بالألقاب السيئة] وأعيد إلى أذهان المستمعين أن هذه النداءات الإلهية موجودة في كتاب الله القرآن الكريم، فهذه النداءات التسعون قد اشتملت على كل متطلبات الحياة، من العقائد والعبادات، والأداب والأخلاق، والمال والاقتصاد، والحرب والسلام، والسياسة، فهي لم تترك شيئاً تحتاجه هذه الأمة إلا واشتملت عليه، ولكن مع الأسف أكثر المسلمين يجهلونها، ولم تكن قد جمعت لهم في كتاب واحد، وشاء الله أن تجمع في هذا الكتاب المسمى: نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

وها نحن نواصل دراسة تلك النداءات نداء بعد نداء، وقد انتهينا إلى النداء الثاني والسبعين، ومحتوى هذا النداء والهدى الذي يحمله هو: في حرمة السخرية بالمؤمن، فحرام على مؤمن أن يسخر من مؤمن، وحرام على مؤمنة أن تسخر من مؤمنة، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من أخيه المؤمن؛ لأن المؤمن ولي الله، والله يقول: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)؛ لأن أذية المؤمن تورث العداوة والبغضاء بين المؤمنين، فإذا تباغضوا وتدابروا تقاطعوا لم يقدروا على حمل راية الحق ونشرها في العالمين، بل لم يقدروا على الثبات أمام جحافل العداوة من الجن والإنس، ولا أن يثبتوا في تلك الميادين، بل مآلهم إلى التمزق والتفرق والانزهاق.

فحرام على مؤمن أن يسخر من مؤمن، وحرام على مؤمنة أن تسخر من أختها المؤمنة.

كما احتوى هذا النداء على حرمة التنازير، وهو الطعن والسخرية باللقب السيئ، فبعضهم يقول: يا كلب! وآخر يقول: يا خنزير! وآخر يقول: يا أنف الناقة! وآخر يقول: يا ضبع! فهذا لا يحل أبداً، وحرام على مؤمن أن يلمز أخاه بلقب سوء، ويهشم كرامته، ويحطم شرفه، ويذله بين الناس، فهذا لا يبيحه ولا يجيزه إلا الشيطان وأولياؤه.

وهيا نتغنى دقائق بهذا النداء؛ علنا نحاول أن نفهم معناه قبل أن نشرحه.

قال: [الآية (11) من سورة الحجرات أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الحجرات: 11]] وليس هناك مانع أن يجتمع أهل القرية في مسجدهم الجامع بنسائهم وأطفالهم من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء كاجتماعنا هذا، وفي كل ليلة يدرسون نداء، وبعد أن يحفظوه ويعلموا بما فيه يطبقونه على أنفسهم، وليس هناك أي شيء يمنع من هذا، إلا أننا هبطنا، ولا نريد أن نرتفع مرة ثانية.

وهذه النداءات التسعون من كتاب الله ليس فيها رأي لرائ، ولا قول لقائل؛ لأنها كلام الله ونداءات الله لعباده المؤمنين، فقد ناداهم ليأمرهم أو ينهاهم، أو يشرهم أو ينذرهم، أو يعلمهم أو يحذرهم، فلنجتمع عليها وندرسها، ولا نبتعد عن العلم ونبقى على الجهل. فبلغوا برحمكم الله.

ولعله يأتي يوم وإذا المسلمون من العرب والعجم في بيوت ربهم من صلاة المغرب إلى العشاء، ولا يبقى من القرية ولا من الحي أحد في هذا الوقت خارج المسجد، بل الكل في بيت الله، يتعلمون الكتاب والحكمة، وحينئذ يصبح العالم الإسلامي كالشمس في السماء نوراً وهداية، وحرارة وطاقة نافذة. وهيا نستمع إلى ما احتوى عليه هذا النداء، قال الشارح لهذا النداء: [اعلم أيها القارئ الكريم! والمستمع المستفيد!] فإذا كان المؤمن يعرف القراءة فيقرأ نداء الله، وإذا لا يعرف فيقول لمن يعرف: يا أخي! من فضلك اقرأ علي نداء ربي لأسمع ما يريد مني.

فعلى هذا القارئ والمستمع أن يعلموا [أن هذا النداء والثلاثة قبله والآتي بعده - هذه النداءات الخمسة- من سورة الحجرات المباركة] وهي بين القتال والفتح والحجرات [كلها في تربية المؤمنين، وتهذيب أخلاقهم وتركيز نفوسهم، والسمو بأدابهم، وهم لذلك أهل بإيمانهم بالله ولقائه، والقرآن وأحكامه، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهدية وسننه، لذا يتعين على المؤمنين قراءة هذه النداءات بعناية، والتدبر فيها، وفهم معانيها، والعمل بها؛ رجاء كمالهم وسعادتهم، حقق الله تعالى لنا ذلك ولهم. آمين].

حرمة اللمز

قال: [حرم كذلك اللمز والتنازع بالألقاب؛ إذ قال تعالى في هذا النداء: وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ [الحجرات:11].

ومعنى اللمز: العيب [فلمزمه يلمزه إذا عابه بأي عيب، كأن يقول له: يا بليد! .. يا فقير! .. يا أعمى! وغير ذلك. هذا اللمز بالعيب [أي: لا تعيبوا بعضكم بعضاً؛ فإنكم كفرد واحد] ولا يصح لأحد أن يلمز نفسه، كأن يقول: أنا أحمق، أو أنا مجنون، أو أنا بليد، أو أنا كذا، فهذا لا يجوز، وكذلك لا تلمز أخاك بما لا تلمز به نفسك] فلا يحل لمؤمن أن يعيب أخاه المؤمن؛ لأن من عاب أخاه كأنما عاب نفسه، كما أن المعاب قد يرد العيب بعيب من عابه [فإذا أنت عبت مؤمناً فقد يرد عليك بعيب آخر، وهذه بداية الفتنة، فلا يحل أبداً أن يعيب مؤمن أخاه المؤمن بأي عيب، والعيوب معروفة.

قال: [وهو معنى: وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ [الحجرات:11].

ومن آثار اللمز وهو العيب ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: البلاء موكل بالقول [ولنحفظ هذه الكلمة لعبد الله بن مسعود خادم رسول الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ابن أم عبد، وقد قرأ على الرسول صلى الله عليه وسلم فبكى رسول الله، فهو يقول: البلاء موكل ومنوط بالقول، فإذا صمت فلا بلاء، وقد نزل البلاء والله العظيم، وكل بلاء ينزل بالعبد أو بالجماعة فمبدأ القول، فالبلاء موكل بالقول [لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلباً] وهذا خبر عبد الله بن مسعود.

ومن أبسط ما نقول: أن الذي يسخر من الكلب لا يلبث أن يسخر من المؤمنين والمؤمنات، فيصبح كلباً، فالبلاء موكل بالقول، ومن لازم الصمت لا تجد به بلاء.

فكل فتنة ومحنة تبدأ من الكلام، وقد قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت).

وقال: (كف عنك هذا، فقال: أو إنا مؤخذون بما نتكلم به يا رسول الله؟! قال: ثكلتك أمك! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟).

ولا توجد فتنة دارت في قرية في بلاد بين المسلمين إلا كان القول هو السبب والله، ولو تأملت لوجدت القول هو الباب الأول فيها.

فعلينا أولياء الله ألا نتكلم إلا بعد أن نستأذن ربنا، فإن أذن لنا تكلمنا وإلا سكتنا، وكيفية استئذانه أن نفكر قبل أن نقول هل هذا القول يرضى الله به أو لا، فإن وجدناه مما يرضى الله به قلناه، وإن وجدناه لا يرضى الله به فلا نقوله.

حرمة التنازب بالألقاب

قال: [وقوله تعالى: وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ [الحجرات:11]، أي: لا يحل لمؤمن أن يلقب أخاه المؤمن بلقب يكرهه؛ فإن ذلك يفضي إلى العداوة والبغضاء، وحتى المقاتلة.

وقوله تعالى: بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان [الحجرات:11]، أي: قبح أشد القبح أن يلقب المسلم بلقب الفسق بعد أن أصبح مؤمناً عدلاً، كاملاً في أخلاقه وأدابه.

لذا فلا يحل لمؤمن أن يقول لأخيه المؤمن: يا فاسق! أو يا كافر! أو يا فاجر! أو يا عاهر! أو يا فاسد! [فهذا لا يحل أبداً] إذ بئس الاسم الفسوق [فلا يجوز بعد ما آمن، وحيي بإيمانه أن تقول له: يا كافر! أو يا فاسق! أو يا فاجر! فهذا لا يجوز.

وقوله: بئس أي: قبح أشد القبح.

وقوله: الاسم أي: اسم الفسوق بعد الإيمان.

وأما الكافر فنعم نقول له: كافر، والفساق فاسق، ولكن لا يجوز أن نقول للمؤمن: يا فاسق! أو يا فاجر! أو يا كافر! أو يا عاهر! [إذ بئس الاسم اسم الفسوق، كما أن الملقب للمؤمن بالألقاب السوء يعد فاسقاً] أيضاً، فالذي يقول لأخيه المؤمن: فاسق فهو فاسق، والذي يقول لأخيه المؤمن: يا كافر! فهو الكافر، فيعود عليه.

وسبحان الله! فالقرآن حمال للوجوه.

قال: [وبئس الاسم له] هذا الاسم، وهو [أن يكون فاسقاً بعد إيمانه بالله ولقائه، والرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق والعدل والهداية والنور] وأن تقول للمؤمن: يا فاسق! والقائل لأخيه: يا فاسق! قد أصبح هو فاسقاً بعد إيمانه.

حكم من لم يتب من السخرية بالمؤمنين أو لمزهم أو نيزهم بالألقاب

قال: [وقوله تعالى في نهاية هذا النداء: وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الحجرات:11]، أي: ومن لم يتب من جريمة احتقار المؤمنين وازدراؤهم وتلقيبهم بالألقاب السوء التي يكرهونها] أي: من وصف المؤمنين بالفسق، ومن لم يتب من اللمز والطعن، ومن السخرية والازدراء، ومما حرم الله في هذا النداء، واسمع التهديد والوعيد لهذا، فقد قال: [فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [الحجرات:11]] والظلم يذر الديار بلاقع.

فهم الظالمون [المتعرضون لغضب الله تعالى وعقابه. والعياذ بالله من غضب الله وعقابه.

ما يحرم وما لا يحرم من الألقاب

قال: [ومن الألقاب السيئة التي يجب أن يتحاشاها المؤمن، فلا يلقب بها أخاه المؤمن نحو: أنف الناقة] وكان هذا عند العرب الأولين [وقرقر، وبطة] من الحيوانات، ونحن الآن عندنا كلب وحيوان، وغيرهما.

وهذه الألقاب محرم أن يلقب مؤمن بها [وكل لقب مكروه، وهو ما أشعر بخسة] ونقص، فهذا حرام [وأما ما لم يشعر بخسة فلا بأس به] كقولك: هذا [كحاتم في كرمه] إذ قلت: يا حاتم الطائي! فقد لقبته بالكرم، وهذا فيه رفعة [و عنثرة في بطولته] فنقول: يا عنثرة بن شداد! أي: أنك تصفه بالبطولة، فلا بأس بهذا [و مالك في فقهه] ونقول: يا مالك بن أنس! أي: أنك تصفه بالفقه والعلم البارع [و أحمد في صبره وصدقه] فتناديه: يا أحمد بن حنبل! أي: أنك تصفه بالصبر والصدق، وما إلى ذلك [فلا بأس بذلك] فهناك فرق بين لقب يهين ويذل، وبين لقب يرفع ويعز.

قال: [ولنذكر دائماً: أن (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)] أي: مثل البنيان والجدار؛ إذ البنيان يشد بعضه بعضاً، فاللينة تضغط على اللينة وتشدها، وكذلك حال المؤمنين.

والقائل لهذا هو أبو القاسم فداه أبي وأمي والعالم أجمع، فهو القائل: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه).

والآن المؤمن يقتل المؤمن! ويزني بامرأة أخيه المؤمن أو ابنته! ونحن لا نقول غير الواقع.

وهذا لا يطاق أبداً.

وليس علة هذا الهبوط بريطانيا ولا أمريكا والله، وليس له علة له إلا الجهل بالله ومحابه ومساخطه، ومن لم يعرف الله انغمس في كل بؤرة وحفرة من الباطل.

ولست واهماً في هذا أو غالطاً، بل سأعطيكم أمثلة: اذهبوا إلى قريبتكم في الجبل أو في السهل فستجدون أن أعلمكم بالله أنقاكم الله والله العظيم، وأجهلكم بالله أسوأكم عملاً وسلوكاً والله العظيم، وهذا كما قال ربنا: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر:28].

والعلماء الذين يعينهم الله ليسوا العلماء في الهيدروجين والذرة والفيزياء والصناعة، وإنما هم العلماء بربهم، الذين عرفوا الله بعد أن آمنوا به، وعرفوا محابه ومساخطه، وعرفوا وما أعد لأوليائه، وما أعد لأعدائه، فأنتج لهم ذلك حبه والخوف منه، فمشوا في الطريق إليه، لا يظلمون ولا يعتدون ولا يفجرون، ولا يخرجون عن طاعته وطاعة رسوله.

وقد عرف العدو من اليهود والنصارى والمشركين والشياطين هذا، ولم يعرفه المسلمون فأبعدوا المسلمين عن كتاب الله وسنة رسوله، وتركوهم جهالاً، يتخبطون في أودية الضلال، وهذا هو الواقع.

والآن في هذا المجلس أعلمنا بالله هو أخوفنا من الله وأتقانا الله. قال: [فكيف يصح إذا أن يلزم أخاه، ويتنازع معه، أو يلقيه بلقب سوء، وهذه مؤدية إلى العدوان والبغضاء؟ ألا فلنلزم أنفسنا قول الحق، والصدق مع إخواننا المؤمنين. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين]. وأعطيكم أضحوكة: تجد أحداً مع إخوانه في الشارع أو في المسجد لا يؤدي أحداً أبداً، ثم يؤدي امرأته، ويسخر منها، ويستهزئ بها، ويقول لها كذا وكذا، وهذه أخته وزوجته في بيته. وهو مع الناس في الشارع لا يؤدي أحداً؛ لأنهم مؤمنون، وهم إخوانه، مع أن هذه مؤمنة! وهي أيضاً مع المؤمنات متأدبة وذات أخلاق وعفة، ومع زوجها تسخر منه وتستهزئ به وتحقره. فهذا من الهبوط، وسببه الجهل.

وحتى نخلص من الجهل علينا أن نجتمع في بيوت ربنا بعد نهاية أعمالنا من المغرب إلى العشاء، وطول العمر ونحن نتعلم قال الله، وقال رسوله، ولا سبيل إلا هذا. وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبب تحريم السخرية من المؤمنين أو احتقارهم

قال: [وقوله تعالى: عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ [الحجرات:11]، أي: عند الله تعالى، والعبرة بما عند الله لا بما عند الناس] فإذا سخرت من مؤمن ولي الله وهو محبوب الله فلا قيمة لسخريتك واستهزائك مادام محبوباً عند الله، ومرضياً عنه.

وهذه محنة أخرى، وهي: أنك إذا سخرت من مؤمن هو ولي الله ويحبه الله فمعنى هذا: أنك قد تعرضت لنقمة الله والله؛ لأن الله يثأر لأوليائه كما يثأر الأسد الجريح. فانتبه أن تؤدي مؤمناً أو مؤمنة.

وهم الآن يزنون ويفجرون بنساء المؤمنين، ويسرقون أموالهم، ويأكلون لحومهم، وما تركوا أذى إلا صبوه على المؤمنين، ويزعمون أنهم مؤمنون، ولا يعلمون أن الكلمة النابية فقط حرام، إذاً: فلا تفسد على أخيك ابنته أو امرأته، ولا تمزق عرض أخيك، ولا تتعرض له بغير ذلك.

ونحن لا نلومهم؛ لأنهم ما عرفوا الله، وهذا هو السبب، أنهم لم يعرفوا الله معرفة حقيقة يقينية. وعلامة معرفة الله معرفة حقيقية: أن يكون في القلب حباً لله فوق كل حب، وخوفاً من الله فوق كل خوف. وكذلك عبد الله المؤمن.

وأما أن يقول: هو مؤمن وليس في قلبه حب لله ولا خشية، فهذا والله ما هو بمؤمن، ولا عرف الإيمان، وإنما هو يقول قولاً فقط إنه مؤمن.

وإلا فالمؤمن لا يستطيع ولا يقدر أن يفجر أو يفسد عن أمر ربه، ولا أن يؤدي أوليائه بأفطع أنواع الأذى كسفك دمائهم وأكل أموالهم وانتهاك أعراضهم.

قال: [فلذا من القبح والسوء سخرية مؤمن بمؤمن بازدرائه واحتقاره، وهو لا يدري، قد يكون من ازدرائه وسخر منه خيراً عند الله، وأحب إلى الله منه. ألا فلنذكر هذا، فإنه في غاية الأهمية، حتى لا يرانا الله جل جلاله يسخر بعضنا من بعض، ونحن أولياؤه المؤمنون به، المتقون له. وقوله تعالى: وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ [الحجرات:11]، أي: ولا يحل لمؤمنة من نساء المؤمنين أن تزدرى مؤمنة أخرى، عسى أن تكون خيراً منها عند الله. وفي قوله: عسى إشارة إلى أن من ازدرى به من مؤمن أو مؤمنة هو خير عند الله تعالى ممن ازدراه وسخر منه] كما علمتم. فالغالب أن التي تزدرى مؤمنة أن تلك المؤمنة خير عند الله منها؛ لأن عسى تفيد التحقيق من الله، وإن شئت قل: ما من أحد يسخر من مؤمن إلا وذلك المسخر منه أحب، والساخر هو المبغوض لله. قال: [وكما حرم الله تعالى السخرية بين المؤمنين والمؤمنات لما يفضي إليه من العداوات والمشاحنات والبغضاء، وقد ينول الأمر إلى التقاتل وسفك الدماء، وكيف يرضى المؤمن والمؤمنة بعداوة أخيه وبغضه وسفك دمه، والعياذ بالله]؟

حرمة تقديم الرأي على الكتاب والسنة ووجوب تقوى الله عز وجل

النداء الأول في هذه السورة هو: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [الحجرات:1]. وهذا معناه: أنه لا يحل لك يا مؤمن! أن يقول الله قولاً أو يقول رسوله ثم تقول أنت غير ذلك، فلا يحل لمؤمن أن يقضي الله قضاء ويكون له هو فيه رأي، أو يسن الرسول سنته ويقرر حكمه ويأتي آخر برأيه، فلا يحل لمؤمن أن يقول في شيء وقد قال الله فيه، أو أن يقول في قضية من قضايا الحياة قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل علينا دائماً أن نسمع قول الله وقول الرسول، فإذا لم يقل الله أو لم يقل الرسول ففي هذه الحال ابحث واجتهد، وأما إذا قال الله شيئاً فليس لك أنت المخلوق الضعيف أن تقول بعد ذلك، وكذلك إذا قال الرسول، فهو الذي لا ينطق عن الهوى، فلا تقل أنت برأيك، فهذا لا يحل أبداً. وقد علمنا أنه لا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، فلا نتكلم مادام الله عز وجل قد أخبر وبين، وكذلك لا نقول ولا نبدي رأياً إذا كان الرسول قد قال وحكم، ولا ننس حديث ذاك الشاب المؤمن، وهو معاذ بن جبل الأنصاري عندما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً ووالياً عاماً إلى اليمن، فقد امتحنه قائلاً: (بم تحكم يا معاذ ؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله فبم تحكم؟ قال: بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي). فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ضرب في صدر الفتى، وقال: (الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يحب رسول الله). ولو أخذ المسلمون بهذا الحديث ما بقي فيهم رجل ولا امرأة جاهل؛ لأنه لن يعتقد ولن يقول ولن يعمل حتى يعلم، ومادام لم يعلم فلن يقول أو يعمل أو يعتقد، ثم تلقائياً وإذا بنا كلنا علماء. ولكن مادامنا نعمل بدون علم ونقول بدون علم ونفتي بدون علم فلسنا في حاجة إلى العلم، ولن يطلب العلم أحد.

وجوب الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

النداء الثاني من نداءات سورة الحجرات: في الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أساء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمداً فهو كافر قد خرج من الإسلام، ومن أساء إليه الأدب جهلاً وبعدم علم فليتب إلى الله، وليبكِ وليستغفر الله؛ ليغفر له، إذ حرم الله علينا أن نرفع أصواتنا فوق صوته، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ [الحجرات:2].

فالأدب مع رسول الله أيام حياته وبعد موته هو فريضة الله على كل مؤمن ومؤمنة، فإذا وقفت عند حجرته بل في مسجده فلا ترفع صوتك إلا لضرورة، بل وإذا ذكرته فاذكره بأدب وإجلال واحترام، لا بسخرية أو ضحك أو عدم مبالاة.

وجوب التثبت في الحكم قولاً أو فعلاً

النداء الثالث: وفيه طلب الله تعالى منا أن لا نصدق قولاً من أي قائل حتى نتأكد ونتثبت ونتبين صحته، وإلا لا يحل لنا أن نقول، وبهذا لا تبق فتنة، وإذا كانت أحاديثنا في مجالسنا: قال فلان، وقالت فلانة، وفلان فعل كذا فسد المجتمع وهبط إلى الحضيض، ومن خطأ واحد الله نادانا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات:6].

فليس كل من يقول قولاً تتلقاه أنت وتعيده وتحكيه، فهذا حرام، ولا سيما الأقوال المفسدة، التي تؤذي المؤمنين والمؤمنات في كراماتهم .. في رجولتهم .. في احترامهم .. في علمهم .. في بصيرتهم. ولكن المؤمنون لم يعرفوا هذا.

فالله نهانا أن نتحدث بقال فلان، وقالت فلانة، فهذا لا يجوز، والله يقول: فَتَبَيَّنُوا [الحجرات:6] مخافة أن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات:6].

حرمة السخرية من المؤمنين أو احتقارهم

هذا هو النداء الرابع من نداءات سورة الحجرات، ونحن نواصل شرحه بإذن الله.

قال: [والآن] أيها المستمع! [مع شرح هذا النداء الرابع من تلك النداءات.

قوله تعالى: لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ [الحجرات:11] وهذا معناه [أي: لا يزدري أناس منكم أيها المؤمنون! أناساً آخرين منكم أيها المؤمنون ويحتقرونهم] وسواء كانوا فقراء أو أغنياء، أو أشرف أو ضعفة، فكلهم عباد الله وأوليأؤه [فإن ذلك محرم عليكم، مغضب الرب تعالى عليكم، وكيف ترضون بغضب ربكم؟ وهو ليكم، وأنتم أوليأؤه بإيمانكم وتقواكم] فلا تغضب ربك عليك، والذي يزدري مؤمناً ويحتقره قد ازدرى ولي الله، واحتقر عبد الله، ومن فعل هذا فإنه يغضب الله؛ لأنه ازدرى وسخر من عبده ووليه؛ ولذلك يغضب عليه، وإذا غضب بطش وانتقم. فلا تسخر وتزدري بالمؤمنين والمؤمنات.

والمجتمع القرآني تعيش فيه أربعين سنة ولا يقول لك مؤمن كلمة تشعر بألم في نفسك منها، ولا تسمع كلمة تحط من قورك، أو تنزل من علوك؛ لأنك في مجتمع طاهر، تربي على هذه النداءات الكريمة.

ولكن لما غفلنا ونسينا وأعرضنا أصبحنا نقرأ القرآن على الموتى، وهبطنا إلى الحضيض، ولا يرفعنا إلا الله، والرافع ليس إلا هذا الكتاب الكريم.

ولا يوجد رافعة سوى القرآن والله.

وهذه الشيوعية لم ترفع من حوتهم وضممتهم تحت رايتها ثمانين سنة، وإنما نزلت بهم إلى الحضيض، وكذلك الصليبية النصرانية لم ترفع أتباعها، بل هبطت بهم حتى جعلتهم كالبهائم، ينزو بعضهم على بعض، وكذلك لم ترفع البوذية والهندوسية أتباعها، وكذلك الشرك لم يرفع أتباعه، والله لا رافع إلا هذا القرآن، واسمع الله يقول: وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا [الأعراف:175-176]. وهذه الرافعة هي آيات الله.

وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ [الأعراف:176].

وقد قلنا مئات المرات: والله لن يزال المسلمون يلهثون ويجرون وراء الشرق والغرب حتى يراجعوا كتاب الله. ولا يمكن لأحد أن يرد علينا؛ لأنه من المستحيل أن ينقض سنن الله عز وجل.

الظن هو أكذب الحديث، فكم من أشخاص اتهموا في أعراضهم من باب الظن، وكم من أبرياء ظلموا بسبب التخرص والاحتمال، لذلك فقد حرم الله سبحانه وتعالى الظن السيء بالمؤمنين، وكذلك التجسس عليهم، وغيبتهم وذكر معائبهم، فإن هذه الخصال مما يخلق فرص الشقاق والنزاع والتباغض بين المسلمين. في وجوب اجتناب كثير من الظن وحرمة التجسس والغيبة ووجوب تقوى الله عز وجل

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

مضى اثنان وسبعون نداء، وهذه النداءات تسعون نداءً، والمنادي هو الله جل جلاله وعظم سلطانه، والمنادي هم المؤمنون من عباده، وهذه النداءات قد اشتملت على كل ما تتوقف عليه سعادة المؤمن وكمالته في الدارين، أي: في هذه الدار وفي الدار الآخرة، وهذه النداءات جاءت في كتاب الله القرآن الكريم العظيم.

وها نحن نواصل دراستها نداء بعد نداء، راجين آمليين أن نعرف عن الله مراده من نداءاته، وأن نعمل بذلك، فما كان عقيدة اعتقدناه، وما كان عبادة عرفناها وعبدنا الله بها، وما كان أدباً تأدبنا به، وما كان خلقاً تخلقنا به، وما كان حقاً عرفناه، فلازمناه، وما كان باطلاً عرفناه واجتنبناه، وهذا طريق الكمال والسعادة للمؤمنين والمؤمنات.

هذا [النداء] هو [الثالث والسبعون] وهو [في وجوب اجتناب كثير من الظن، و [في] حرمة التجسس والغيبة، و [في] وجوب تقوى الله عز وجل] فهذا النداء قد اشتمل على ما يلي: أولاً: وجوب اجتناب كثير من الظن. فيا مؤمن! اجتنب كثيراً من الظنون، ويا مؤمنة! اجتنبي كثيراً من الظن؛ فإن الذي يأخذ بالظن لا يلبث أن يتمزق ويهلك.

ثانياً: حرمة التجسس على المؤمن، والتحسس عليه؛ لأن أذية المؤمن حرام، فهو ولي الله، وقال الله تعالى: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

وحسبنا أن نسمع قول الله الحق من سورة الأحزاب: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا [الأحزاب: 57-58].

وأما الغيبة فهذا النداء يشتمل على حرمة غيبة المؤمن، والغيبة والنميمة من أسوأ الذنوب وأقبحها.

ثالثاً: على وجوب تقوى الله عز وجل.

وهيا بنا نتغنى بهذا النداء دقائق، ثم نأخذ في شرحه وبيان محتواه؛ من أجل أن نطيع ربنا فيما دعانا إليه وأمرنا به، أو نهانا عنه؛ لأننا أولياؤه، وهو ولينا.

[الآية (12) من سورة الحجرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ [الحجرات: 12]].

الحث على التقوى

قال: [وقوله تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ [الحجرات:12]، أي: في غيبة بعضكم بعضاً؛ فإن الغيبة من عوامل الدمار والخراب والفساد بين المؤمنين. وقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ [الحجرات:12]، جملة تعليلية للأمر بالتوبة؛ إذ من اتقى الله خافه، وترك الغيبة وتاب.

فأعلمهم الله عز وجل أنه تواب رحيم، يقبل توبة من تاب، ويرحمه فلا يعذبه بحال من الأحوال. فالحمد لله والمنة له.

اللهم إنا تائبون إليك، فتب علينا، وارحمنا رب العالمين!]. أهمية دراسة نداءات الرحمن لأهل الإيمان

اعرفوا قيمة هذه النداءات.

ووالله العظيم إنه ليجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يسمعها، وأن يعرف مراد الله منها، وأن يعمل في حدود طاقته بما حوته ودعت إليه؛ إذ لا يعقل أن يناديك سيدك ومالك أمرك ومن بيده سعادتك وشقائك بعنوان حياتك وطهرتك - فهو يناديك: يا مؤمن!- وأنت تلوي رأسك، وتكون بذلك كافراً.

فهو يناديك ليعلمك وليرشدك وليهذبك وأنت لا تسمع، فهذا لا يجوز عقلاً.

وإذا ناداك مدير المصنع أو رئيس المصلحة ولويت رأسك فإنه يطردك، وربك ومالك أمرك لا يناديك ليشقك ولا ليزلك، ولا ليهينك ولا ليفقرك والله، بل يناديك ليرفعك وليعزك وليكملك، وأنت تأبى أن تسمع نداءاته، أو تسمع ولا تبالي بما فيها، فهذا لا يعقل.

ولولا علمه تعالى بأننا نعمل بها لما نزلها، فهو لا ينادينا عبثاً، وحاش الله أن يعيث ويلهو.

ويجب أن توجد هذه النداءات عند رأس كل مؤمن، فلا ينام حتى يسمع نداءً، والذي لا يحسن القراءة يقول لمن بعرفها: من فضلك أسمعني نداء من نداءات ربي.

وقلنا: ينبغي أن توجد في الفنادق، ويوضع على كل سرير كتاب من هذه النداءات؛ من أجل أن نعلم؛ فنسمو ونعلو ونرتفع، ومن أجل أن نطهر ونصفو، ونكون أهلاً للسماع، والنزول بالملكوت الأعلى، وهذه ليست أوهاماً ولا عبثاً ولا خيالات.

[سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى وآله وصحبه أجمعين.

النهى عن الغيبة

قال: [وقوله تعالى في هذا النداء: وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا [الحجرات:12]، أي: بأن يذكر المؤمن في غيبته بما يكره أن يذكر به] والغيبة هي: أن تذكر أخاك عند عدم وجوده بشيء يبغضه ويؤذيه ولا يرضاه منك، هذه هي الغيبة [وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال صلى الله عليه وسلم للسائل: (ذكرك أخاك بما يكره).

قطعاً هذا في حال غيابه عن المجلس، فقال السائل [للرسول صلى الله عليه وسلم:] (أرايت إن كان في أخي ما يكره؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إن كان فيه ما يكره فقد اغتبت، وإن لم يكن فيه ما يكره فقد بهته).

والبهتان أعظم، وهو أسوأ أنواع الغيبة [فالغيبة ذكرك أخاك وهو غائب بشيء يكرهه، فإن لم يكن فيه ما يكره وذكرته ما ليس فيه فقد بهته، والبهتان شر من الغيبة، وهو أعظم أنواعها، وقد قال تعالى: وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا [الحجرات:12].

قال: [وقوله تعالى: أَلَيْسَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا [الحجرات:12]؟ والجواب معلوم، هو: لا، لا، قطعاً] لا أحد يحب ذلك [إذا فكما عرض عليكم لحم أخيك ميتاً فكرهتموه، فإكرهوا إذا أكل لحمه حياً، وهو عرضه، والعرض أعز وأعلى من الجسم] وهذه كلمة عجيبة، فلو قدم لك فخذ أخيك مشوياً فإنك لا تأكله، وكذلك لو قدم لك كبده وهو ميت، بل تكره ذلك، وإذا قدم لك فخذ وهو حي فهذا أبشع؛ ولهذا قال: أَلَيْسَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا [الحجرات:12]، أي: جيفة.

فإذا: إذا كان حياً فمن باب أولى، فإذا كرهته وهو ميت فإذا أخذ من فخذه وهو يصرخ وهو حي وقدمه لك فلن تأكله.

وسبحان الله العظيم! ما ترك الله شيئاً يرفعنا إلا بينه لنا.
قال: [وإليك هذا البيت من الحكمة، فاحفظه وتأمله: فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً] فهذا أخوك المؤمن يقول: فإن أكلوا لحمي أي: بالغبية.
وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً أي: الذي يهدم بيتي أبني له بيتاً، فهو يهدم وأنا أبني، فالذي يعيرني بالقبح والسوء فأنا أمجده بالحسن والخير.
وهذا هو موقف المؤمن.
المحرمات الواردة في حديث: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ...)

قال: [فقد اشتمل هذا الحديث على المحرمات الآتية: أولاً: [حرم الله [الظن السيئ بالمؤمنين، وخاصة أهل الصلاح منهم] وأما الشخص المعروف بالفجور والباطل فإن ظن فيه شراً فهو كذلك، وأما أهل الصلاح والخير والبر والتقوى فلا يظن فيهم السوء، بل هذا معناه: تحطيم للمجتمع.
[ثانياً: حرمة التجسس، وهو تتبع أحوال المؤمن في الخفاء للاطلاع عليها، لإلحاق الضرر به.
ثالثاً: التحسس، وهو كالتجسس، إلا أنه تتبع أحوال المؤمن لمعرفة النقص لإكماله، وسد حاجته الضرورية، وما دام تتبعاً في الخفاء فلا ينبغي، وإن أراد شيئاً فليسال المؤمن: هل لك حاجة؟ أتشكو من شيء؟ إلى غير ذلك] ويعطيه [ولا يتجسس عليه] في الظلام، ولا يتجسس هل بيت فلان فيها طعام أو لا؟ وهل عندهم كذا أو لا؟ وليس هناك حاجة إلى هذا، بل يسألهم هم إن كان لهم حاجة إلى كذا، ويعطيهم، وأما يتحسس فلا ينبغي.
[رابعاً: حرمة النجش، وهو أن يزيد في بضاعة معروضة] في السوق [للبيع، يزيد في الثمن وهو لا يريد شراءها] والجهال يفعلون هذا، فإذا كان عمه أو أخوه أو صديقه يبيع بقرة فيأتي هو يسأل عما أعطيت فيها، فإذا قال: خمسين ألفاً فيقول هو: خمسة وخمسين ألفاً، وهو لا يريد شراءها، وإنما فقط ليرفع القيمة.
وهذا يفعله الجهال في العالم الإسلامي.
وإذا كان فلان قد عرض منزل يبيعه يأتي ويسأل عما أعطوا فيه، فإذا بلغت القيمة مليون قال: مليون وربع، وهو لا يريد أن يشتري، وإنما فقط ليرفع القيمة من أجل أن يربح صديقه أو قريبه.
وهذا لا يجوز، وهو حرام، هذا هو النجش، الذي قال فيه في الحديث: (ولا تتاجشوا).
[خامساً: حرمة الحسد، وهو تمنى زوال النعمة عن أخيه؛ لتحصل له، أو لا تحصل له، وإنما يحرمها المؤمن الذي أنعم الله تعالى عليه بها] وفي الحديث: (ولا تحاسدوا)، أي: لا يحسد بعضهم بعضاً، فإذا كان فلان عنده منزلاً يسكنه أو سيارة يركبها أو غير ذلك فإنه يتمنى لو زالت منه هذه، بل ويكرهه من أجلها، وأحياناً يتمناها لتكون له، والمهم عنده أن لا تبقى عند فلان هذه النعمة.
والعياذ بالله.

[سادساً: حرمة التباغض، فلا يحل لمؤمن أن يبغض أخاه المؤمن، وإن بغضك أخوك فلا تبغضه] ولا تقل: ما دام يبغضني فأنا أبغضه، بل إذا أبغضك فلا تبغضه أنت؛ لأنه مؤمن وأنت مؤمن، ووليكما الله، فلا يراك سيدك تبغض عبده، وإلا لم تبق لك عنده منزلة.
[سابعاً: حرمة التدابر] وهو: أن كل واحد يعطي دبره للثاني، ولا يلتفت إليه [وهو الهجران، وعدم التلاقي والتحدث مع بعضهما بعضاً؛ بحيث كل يعطي ظهره للآخر] ولا يجتمع معه ولا يكلمه ولا يسلم عليه.
وهذا حرام بين المؤمنين والمؤمنات، وفي الحديث: (ولا تدابروا) .
[ثامناً: وجوب تحقيق الأخوة بين المؤمن والمؤمن، وهذا الواجب يتحقق بإسداء المعروف والإحسان] أي: أن كل مؤمن يسدي معروفاً لأخيه المؤمن، ويحسن إلى أخيه المؤمن [وكف الأذى عن أخيه] المؤمن [فلا ظن سوء، ولا تجسس، ولا تحسس، ولا تتاجش، ولا تحاسد، ولا تباغض، ولا تدابر.
بهذا الفعل والترك تتحقق الأخوة الإيمانية].
النهى عن التجسس

على أهل القرية - والقرية في اصطلاح الجغرافيين هي: السكان القليلون في الريف أو في الجبل- أن يلتزموا في صدق، فإذا مالت الشمس للغروب في الساعة السادسة - وهي الساعة التي يذهب فيها اليهود والنصارى إلى المقاهي

والملاهي والمقاصف والمراقص بعد أن ينتهي العمل، ويغلقون أبواب المتاجر والمصانع، ويذهبون للترفيه عن نفوسهم- فليذهب المؤمنون والمؤمنات إلى بيوت ربهم، ولا يبقى رجل ولا امرأة في القرية، بل يذهبون كلهم إلى بيت الرب، وبيت الرب تعالى هو المسجد، وإذا ضاق وسعناه بالخشب والعيدان، ولا نحتاج إلى رصاص ولا نحاس حتى يتسع لكافة أهل القرية، فتجلس المؤمنات وراء الستار، وأبناءهن دونهن، والفحول أمامهن ويجلس لهم عالم رباني، فيدرسون ليلة آية، وليلة حديثاً، ويحفظون الآيات، ويفهمون مراد الله منها، وما طلبه منهم، فإن كانت عقيدة اعتقدوها، وإن كان قولاً فهموه، وعزموا على أن يقولوه، أو عمل عملوا به، وهكذا.

وفي الليلة الثانية حديثاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب المسجد وبيت المسلم، وقد درسناه سنة وزيادة، وعلمنا المؤمنين كيف يدرسون، وفيه ثلاثمائة وستين آية وحديثاً، فلو درسوه طول السنة ليلة آية وليلة حديثاً، فإن أهل القرية كلهم يحفظون الآيات والأحاديث التي فيه، وهم عوام لا يقرءون ولا يكتبون، والله لن تمضي السنة إلا وهم بصراء علماء عارفون بربهم، ولن يبقى في تلك القرية خائن ولا لص، ولا زان ولا سارق، ولا فاجر ولا كاذب، ولا جاهل ولا ضال؛ لأنها سنة الله، فالطعام يشبع، والماء يروي، والنار تحرق، والحديد يقطع، والكتاب والسنة يزكيان النفس ويطهران العقول، وهذا ليس خرافة ولا ضلالة، وقد دللنا وبرهنا على هذا، وقلنا لكم: أعلم أهل المدينة أئقاهم الله، وأعلم أهل القرية أئقاهم الله؛ إذ قال الله تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر:28].

والذي لا نشك فيه: هو أن كل الجرائم والموبقات والضلالات ناتجة عن الجهل بالله، ومحابه ومساخطه، والذي ينقصنا للنجاة أن نجلس ساعة ونصف في بيت الرب نكي بين يديه، وهذا لن يوقف دولاب حياتنا، بل كل الذي يحدث: أن الشياطين تتمزق، وأن أعداء الإسلام يرتعدون ويخافون، وأن نورنا يعلو إلى السماء، وتصبح كلمتنا هي العالية، ولكن: واحر قلباه ممن قلبه شيم فواحد يحترق قلبه، وآخر قلبه بارد.

فعلى أهل كل منطقة أن يوسعوا جامعهم؛ حتى يتسع لهم بنسائهم وأطفالهم ورجالهم، فإذا دقت الساعة السادسة أغلقوا الدكاكين، وأتوا إلى المسجد بزوجاتهم وأولادهم، ويجتمعون في مسجد الحي، ويتعلمون الكتاب والحكمة كل سنة وطول العمر، فلا يبقى بينهم جاهل أو جاهلة، وإذا انتقى الجهل وحل محله العلم بالله لم يبق فاسق أو فاسقة، ولا نحتاج إلى البوليس، ولا إلى الشرطة والسجون، ولا غير ذلك، والحكومات والله لا تمنع أهل القرية أن يجتمعوا في بيوت ربهم، بل إذا اجتمعوا وأخذوا يكفرون الحكام ويسبونهم فإنهم ينسفونهم ويدمرونهم، وأما إذا اجتمعنا لنبكي بين يدي الله طالبين تركية أرواحنا، وتصفية نفوسنا، ونتعلم لنخرج من دائرة الجهل وظلمته، ولنصبح عقلاء بصراء، وسياسيين عارفين، وعالمين بالحياة وما يجري فيها.

حرمة ظن السوء بالمؤمنين

قال: [وهذا الخامس] والأخير [من] هذه [النداءات] في سورة الحجرات: [فقد حرم على المؤمن اجتنب كثير من الظن بإخوانه المؤمنين؛ إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الحجرات:12]، أي: يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبينا ورسولاً، اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ [الحجرات:12].

وعلى لذلك الأمر بالاجتناب، فقال: إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ [الحجرات:12] [ولا أحد يرضى أن يقع في الإثم] وما دام بعضه إثماً فليجتنب بالمرّة؛ حتى لا يقع المرء المؤمن في الإثم الموجب لغضب الله وعقابه، ولم يبق إلا مجال ضيق جداً، وهو أن يظن المؤمن بمن هو أهل للظن بالشر لوجود قرائن من أحواله تدل على ذلك، والرسول صلى الله عليه وسلم يقرر هذه الحقيقة فيقول: (إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث) ... الحديث [فلا يقول أحدنا بالظن، ولا يقبل الظن، ولا ينقل الظن، ولا يبنى عليه قاعدة ولا حكماً؛ لأن سيدنا ومولانا قال: اجتنبوا، أي: ابتعدوا بعيداً عن كثير من الظن، ويبقى منه شيء قليل، فإذا كان الشخص ظاهرة عليه علامات الفساد أو الفسق أو الشر، ولاحت هذه العلامات عليه فهنا يقبل هذا الظن، وأما أن تظن في أخيك وأنت لم تعرف عنه ذنباً ولا معصية وتقبل ذلك فيه فهذا لا يحل، وكذلك لا يحل أن تقبل ظناً في مؤمنة، ولا يحل أبداً أن تلطخها بالعار، أو تقضي على شرفها لمجرد الظن، فلا تظن بأخيك إلا خيراً؛ وهذا من أجل أن يبقى أهل القرية كأنهم أسرة واحدة، ويبقى أهل المدينة كأنهم أمة واحدة، ويبقى المسلمون كجسم واحد.

ولكننا لم نصبح هكذا لأننا لم نجتمع على كتاب الله وسنة رسوله، فلندرس ولنتعلم ولنعمل أبداً، فإذا درسنا وأصبحنا نعي ونفهم فلتكن لنا القدرة على العمل.

وبلغوا هذا.

على أهل القرية -والقرية في اصطلاح الجغرافيين هي: السكان القليلون في الريف أو في الجبل- أن يلتزموا في صدق، فإذا مالت الشمس للغروب في الساعة السادسة -وهي الساعة التي يذهب فيها اليهود والنصارى إلى المقاهي والملاهي والمقاصف والمراقص بعد أن ينتهي العمل، ويغلقون أبواب المتاجر والمصانع، ويذهبون للترفيه عن نفوسهم- فليذهب المؤمنون والمؤمنات إلى بيوت ربهم، ولا يبقى رجل ولا امرأة في القرية، بل يذهبون كلهم إلى بيت الرب، وبيت الرب تعالى هو المسجد، وإذا ضاق وسعناه بالخشب والعيدان، ولا نحتاج إلى رصاص ولا نحاس حتى يتسع لكافة أهل القرية، فتجلس المؤمنات وراء الستار، وأبناءهن دونهن، والفحول أمامهن ويجلس لهم عالم رباني، فيدرسون ليلة آية، وليلة حديثاً، ويحفظون الآيات، ويفهمون مراد الله منها، وما طلبه منهم، فإن كانت عقيدة اعتدوها، وإن كان قولاً فهموه، وعزموا على أن يقولوه، أو عمل عملوا به، وهكذا.

وفي الليلة الثانية حديثاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب المسجد وبيت المسلم، وقد درسناه سنة وزيادة، وعلمنا المؤمنين كيف يدرسون، وفيه ثلاثمائة وستين آية وحديثاً، فلو درسوه طول السنة ليلة آية وليلة حديثاً، فإن أهل القرية كلهم يحفظون الآيات والأحاديث التي فيه، وهم عوام لا يقرءون ولا يكتبون، والله لن تمضي السنة إلا وهم بصراء علماء عارفون بربهم، ولن يبقى في تلك القرية خائن ولا لص، ولا زان ولا سارق، ولا فاجر ولا كاذب، ولا جاهل ولا ضال؛ لأنها سنة الله، فالطعام يشبع، والماء يروي، والنار تحرق، والحديد يقطع، والكتاب والسنة يزكيان النفس ويطهران العقول، وهذا ليس خرافة ولا ضلالة، وقد دللنا وبرهنا على هذا، وقلنا لكم: أعلم أهل المدينة أنقاهم الله، وأعلم أهل القرية أنقاهم الله؛ إذ قال الله تعالى: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر:28]**.

والذي لا نشك فيه: هو أن كل الجرائم والموبقات والضلالات ناتجة عن الجهل بالله، ومحابه ومساخطه، والذي ينقصنا للنجاة أن نجلس ساعة ونصف في بيت الرب نبكي بين يديه، وهذا لن يوقف دولاب حياتنا، بل كل الذي يحدث: أن الشياطين تتمزق، وأن أعداء الإسلام يرتعدون ويخافون، وأن نورنا يعلو إلى السماء، وتصبح كلمتنا هي العالية، ولكن: واحر قلباه ممن قلبه شيم فواحده يحترق قلبه، وآخر قلبه بارد.

فعلى أهل كل منطقة أن يوسعوا جامعهم؛ حتى يتسع لهم بنسائهم وأطفالهم ورجالهم، فإذا دقت الساعة السادسة أغلقوا الدكاكين، وأتوا إلى المسجد بزوجاتهم وأولادهم، ويجتمعون في مسجد الحي، ويتعلمون الكتاب والحكمة كل سنة وطول العمر، فلا يبقى بينهم جاهل أو جاهلة، وإذا انتفى الجهل وحل محله العلم بالله لم يبق فاسق أو فاسقة، ولا نحتاج إلى البوليس، ولا إلى الشرطة والسجون، ولا غير ذلك، والحكومات والله لا تمنع أهل القرية أن يجتمعوا في بيوت ربهم، بل إذا اجتمعوا وأخذوا يكفرون الحكام ويسبونهم فإنهم ينسفونهم ويدمرونهم، وأما إذا اجتمعنا لنبكي بين يدي الله طالبين تركية أرواحنا، وتصفية نفوسنا، ونتعلم لنخرج من دائرة الجهل وظلمته، ولنصبح عقلاء بصراء، وسياسيين عارفين، وعالمين بالحياة وما يجري فيها.

نداءات الرحمن الواردة في سورة الحجرات

[الشرح: هذا النداء الخامس من نداءات الرحمن لعباده المؤمنين في سورة الحجرات] وقد تقدم أربعة نداءات: الأول: ألا نقول برأي نراه، وإنما نقول بما قال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يقدم رأيه أو فهمه أو ما يعقله على قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا النداء هو قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيِّنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [الحجرات:1]**.

وقد شرح لنا هذا المعنى حديث معاذ رضي الله عنه، إذ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد هياها لبيعه أميراً وقاضياً ووالياً على ديار اليمن: (بم تحكم يا معاذ ! هذه الأمة؟ فقال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: فإن لم تجد في السنة؟ قال: أجتهد رأيي) .

وعرفنا أن المجتهد هو ذلك الذي ألم بمحاب الله ومكارهه، وعرفها من كتابه وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم، فإذا حدثت حادثة فإنه ينظر إلى محاب الله فإن وجدها تدخل فيها قال بها، وإن وجدها ضدها حرّمها وامتنع عنها.

فالمجتهد عبد قد ألم إماماً كبيراً بمحاب الله ومكارهه في الاعتقادات والأقوال والأعمال، وحينئذ إذا لم يجد في الكتاب ولا في السنة فإنه يجتهد رأيه حتى يوافق الله تعالى فيما يحب وفيما يكره لعباده.

النداء الثاني: اشتمل على الأدب العظيم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرفنا أن الذي يعتمد إساءة الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً أو ميتاً قد كفر ومحي اسمه من الإسلام، ومن أساء الأدب بدون قصد ولا تعمد فهو آثم، وينبغي أن يتوب إلى الله عز وجل؛ إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ [الحجرات:2]، أي: خشية أن تفسد أعمالكم وتهبط، ولا يبطل العمل إلا بالشرك والكفر والعياذ بالله تعالى.

وثالث النداءات: أنه لا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يسمع قائلاً يقول: قال فلان، أو قالت فلانة، ويعتقد صحته، ويأخذ في نشره بين المؤمنين، وفي هذا القضاء على كل فتنة في هذا الباب، ولو أننا أخذنا بالقول الصحيح السليم، النافع غير الضار لما وقعت بيننا فتنة، ولا ظللنا، ولا وقعنا في محنة أبداً.

وهذا النداء هو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [الحجرات:6].

وقد جاء في الصحيح: (أن الله عز وجل يكره لنا ثلاثاً، وهي: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال). وكل الفتن التي تدور بيننا مردها إلى القول بدون ترو، أو بدون بصيرة، أو بدون تأكيد من صحته، أو بدون معرفة آثاره السيئة والنافعة.

وعلينا نحن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ألا نقول إلا بعد أن نعلم أن هذا القول فيه رضى الله، وأنه نافع لعباد الله، وما كان فيه ضرر أو فساد فلا نقوله، ولنذكر دائماً قوله صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت).

وأما قيل وقال، والطعن في الرجال والنساء، وكلمات البذاء والحسد والبغضاء والسب والشتم، والتكفير كحال مجالسنا، فهذه مجالس الجهال والضلال، والذين لم يعرفوا الطريق إلى الله عز وجل.

فلا تعترينا هذه المحنة.

وأحلف لكم: أنه لا تقع فتنة إلا والقول بدون علم هو النار التي توقدها وتشعلها.

وليس هناك فائدة من قول لا ينتج حسنة لنا.

والنداء الرابع كان يوم أمس: وهو في حرمة السخرية بالمؤمنين والمؤمنات، وحرمة الازدراء بهم واحتقارهم، فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يزدرى مؤمناً، أو يسخر منه أو يحتقره، فالمؤمن ولي الله، فلا تزدريه أنت وتحتقره، فقد نهاك مولاك وسيدك من ذلك، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ [الحجرات:11].

فلا يصح أن ترمي أخوك المؤمن بالفسق، ولا يجوز هذا الاسم، ولا يصح.

فهذه الأمة فرض الله عليها الوحدة والمودة والإخاء، وحرّم عليها كل قول أو عمل من شأنه أن يوجد فرقة أو يوجد فتنة بينها، لكن الناس لم يعرفوا هذا، ولم يعلمهم أحد، ولم يجتمعوا هذا الاجتماع طول حياتهم.

وأخر هذا النداءات الخمسة هو النداء الثالث والسبعون.

قال: [وكل هذه النداءات] الخمسة من هذه السورة [تدور حول إصلاح الفرد المؤمن في المجتمع الإسلامي] والله العظيم [إذ] النداء [الأول دعا المؤمن أن لا يقدم رأيه على الكتاب والسنة بحال من الأحوال؛ لتبقى الشريعة هي الحكم، وإليها التحاكم، فما شرعته فهو الشرع، وما أوجبه فهو الواجب، وما حرّمته فهو الحرام. والنداء الثاني: قرر الأدب الواجب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء أمته. هذا أولاً.]

والثاني: الأدب سمة من سمات أهل الإيمان، فلا يحل التخلي عنها أبداً؛ إذ هي ميزة الأمة الإسلامية.

والثالث: أوجب التثبت والتروي في إصدار الأحكام في كل قول وحادثة؛ حتى لا يقع الفرد أو الأمة في خطر يززع أمنها، ويحط من قدرها، أو يحملها ما هي في غنى عنه.

والرابع: حرمة السخرية والاستهزاء بالمؤمن، واحتقاره، والانتقاص من كرامته وشرفه، كما حرّم ألقاب السوء المفضية إلى النزاع [بل] والقتال بين المؤمنين؛ لأنهم أمة واحدة.

تقوى الله والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم أمر لازم لكل من أراد أن يتسم بسمة الإيمان، وهذا الشيء يشمل المسلم الموحد من الأمة المحمدية، ويشمل مؤمني أهل الكتاب الذين يلزمهم الإيمان برسالة الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن إيمانهم برسالة موسى أو رسالة عيسى لا تكفيهم بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

وجوب تقوى الله عز وجل والإيمان برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا على عهدنا في دراسة كتاب نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

جعلنا الله منهم، ورضي عنا كما رضي عنهم.

آمين.

والكتاب يحوي تسعين نداءً، والمنادي هو الله جل جلاله، وعظم سلطانه، والمنادون هم عباده المؤمنين خاصة، وقد ناداهم لأنه وليهم وربهم، ولأنه أرحم بهم من أنفسهم، ولذا ما نادانا إلا ليأمرنا بما فيه كمالنا وسعادتنا، أو لينهانا عما فيه شقاؤنا وخسراننا، أو ليبشّرنا بما تنشرح له صدورنا، وتطيب قلوبنا، ويحفظنا على الإكثار من الصالحات، أو ليحذرنا مما هو مخيف لنا من شقاء الدنيا والآخرة، أو ليعلمنا ما به نكمل ونسمو ونرتفع في آدابنا وأخلاقنا، وهذا شأن الولي مع أوليائه.

وهو لا ينادينا لأشياء، وحاشاه تعالى عن العبث، وهو العليم الحكيم.

وهذه النداءات قد احتوت على كل متطلبات الحياة، فما من عبد مؤمن يجيب نداءات ربه فيمتثل أمره ويجتنب نهيهِ إلا وكمل وسعد.

والحمد لله فقد جمعت هذه النداءات في هذا الكتيب الصغير، وهي من نداءات الله في كتابه العزيز القرآن العظيم.

والمفروض أن كل مؤمن ومؤمنة بين يديه هذا الكتاب؛ لأن فيه نداءات سيدنا ومولانا، وخالقنا ومالكنا، ومن بيده سعادتنا وشقاؤنا، ونحن نعرض ولا نسمع، وهذا لا يصح من عاقل.

إذاً: اعملوا على نشر هذا الكتاب ليكون في بيت كل مؤمن ومؤمنة، وضعوه في الفنادق على كل سرير، وقبل أن ينام النزيل أو النازل يسمع نداء من نداءات ربه، ويجيب من ناداه، فإن أمره فعل، وإن نهاه ترك، وإن بشره استبشر، وإن حذره حذر، وإن علمه علم، وليس هناك نداء خارجاً عن هذا؛ لأن القرآن كتاب الله، وقد أنزله لإسعاد المؤمنين وإكرامهم.

وهكذا نبكي ونصرخ وننادي، وكأننا في أمة ميتة.

وهذه النداءات قد حواها القرآن الكريم، فليقبل المؤمنون على هذه النداءات، ويحفظون ويفهمون ما دعاهم الله إليه، فيعلمون ويعملون، فيكملون ويسعدون في الدنيا والآخرة.

هذا هو [النداء الرابع والسبعون] ومضمونه وفحواه ومحتواه [في وجوب تقوى الله عز وجل، والإيمان برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان الجزاء على ذلك] التقوى وذلك الإيمان.

فمضمون هذا النداء وما حواه وما اشتمل عليه: أولاً: وجوب تقوى الله عز وجل؛ لأن الذي لا يتحلى بها يتحطم، ويخسر خسراناً أبدياً، فمن رحمة الله بعباده المؤمنين: أن يأمرهم بتقواه، التي هي فعل ما يأمر به وترك ما ينهى عنه، وبذلك يتحقق له الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة.

وثانياً: في وجوب الإيمان برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

وثالثاً: في بيان الجزاء على التقوى والإيمان.

واسمعوا النداء، وهو في الآية الثامنة والعشرين من سورة الحديد: قال: [الآية (28) من سورة الحديد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الحديد:28]] وهيا نتغنى كأهل البيت في بيتهم بهذا النداء؛ رجاء أن نحفظه، ثم نفهم معناه، ثم نسأل الله أن يوفقنا للعمل بما فيه؛ لأننا خلقنا للعمل.

قال تعالى في هذا النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الحديد:28].

وليس بعد هذا من العطاء عطاء، وهذا العطاء: أولاً: يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ [الحديد:28]، أي: نصيبين من الرحمة.

ثانياً: وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا [الحديد:28]، أي: في قلوبكم تعيشون عليه في ظلام الحياة.

ثالثاً: وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الحديد:28].

وليس بعد هذا العطاء عطاء.

وكل هذا مقابل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ [الحديد:28] فيكون الجزاء.

يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الحديد:28].

واليك صورة واضحة: صاحب هذا النور لا يزني لا يسرق، ولا يكذب ولا يكفر، ولا يفجر ولا يقتل، ولا يؤذي مؤمناً، ولا كائناً من الحيوانات؛ لأن له نوراً يمشي به، ومن فقد هذا النور والله هو الذي يزني ويكذب، ويسرق ويعق الوالدين، ويكفر المؤمنين ويسبهم، ويأكل أموالهم وينغمس في كل أنواع الباطل؛ لأنه يمشي في الظلام، والظلام ضد النور، والماشي في الظلام لا يتجنب أي هوة، بل يقع فيها، ويمكن أن يدوس حية، أو يجلس على أفعى، أو ينغمس في بؤرة الكذابين والشر؛ لأنه يمشي في الظلام، وصاحب النور طوله حياته لا يتلوث في مشيه، ولا يتسخ، ولا يتلطح بالموبقات والجرائم؛ لأن له نوراً يمشي به، والله هو الذي أعطاه هذا النور، فهو قد حصل عليه بإيمانه بالله ورسوله، واتقائه لله، وخوفه من الله، وطاعته لله ورسوله فقط.

[الشرح] والآن مع شرح هذا النداء الحاوي للعلوم والمعارف الإلهية: [اعلم أيها القارئ الكريم!] وهذا القارئ الكريم هو الذي في بيته هذا الكتاب، وهو عند رأسه على سريرته، فلا ينام حتى يسمع ربه يناديه، ويفهم مراد سيده من نداءه، ويعزم على أن يعمل؛ لأنه بشر عاقل وقوي وقادر على أن يفعل ويترك، فهو ليس حيواناً ولا مجنوناً. أهمية تقوى الله تعالى ومعناها

لأنه يوجد معنا من لم يحضر هذه الدروس، بل من عاش أربعين سنة ولم يحضر فيها حلقتين، ولا سأل يوماً عن خير، أقول: تقوى الله مثل المظلة الشمسية التي تتقي بها حر الشمس، ومثل الدرع الذي يلبسه المحارب؛ ليتقي به النبال والرصاص، ومثل البناء الذي تبنيه وتعيش تحته؛ تتقي به المطر والحر والبرد، ومثل الثوب الذي تلبسه؛ تتقي به البرد أو الحر.

والله عز وجل لا يتقى بالحصون العالية، فهو فوقنا، ولا يتقى بالجيوش الجرارة، فهو الذي أوجدها، ولا يتقى بالدخول في السرايب، وإنما يتقى الله تعالى أيها الأبناء! بطاعته، فأطعه ولا تعصه، وتكون بذلك قد اتقيت عذابه وسخطه ونقمته، وهو يأمرنا بأن نتقيه رحمة بنا.

وإذا عصيته وجاهرت بالمعاصي فقد أعلنت الحرب على الله، فاستعد لنقمة الله.

فالله يتقى بفعل أوامره واجتناب نواهيه، فإذا قال: اسكت فاسكت، وإذا قال: تكلم فتكلم، وإذا قال: امش فامش، وإذا قال: قف فقف، وإذا قال: نم فنام، وإذا قال: استيقظ فاستيقظ، وهذه هي حياة المؤمنين.

فإذا جاء الصوم صاموا، وإذا جاء الإفطار أفطروا، وإذا نودي للصلاة حضروا فصلوا، وإذا نودي للجهاد خرجوا. وهذا هو شأنهم. وبذلك يتقون الله ربهم.

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ [الحديد:28] بمعنى: يعطكم كِفْلَيْنِ [الحديد:28]، أي: نصيبين من الأجر، وعبر عن الأجر بالرحمة، فقال: مِنْ رَحْمَتِهِ [الحديد:28]؛ إذ أجر الله للعبد هو الجنة دار السلام.

ثم قال: وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الحديد:28].

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الآن نعيد تلاوة الآيات، ونتذكر هذه المعاني التي ذكرناها.
قال الله تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الحديد:28].
وهذا يشمل أهل الكتاب إن هم حقاً آمنوا بموسى وعيسى، وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله أمرهم بالإيمان به؛ لأن إيمانهم ليس بشيء ولا بصالح، فهو يقول لهم: يا أيها الذين آمنوا ادعوا بأنهم آمنوا اتقوا الله، وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وحينئذ يعطيكم أجركم مرتين.
هذا أولاً.

ثم يجعل لكم نور الإيمان والإسلام تمشون به في الحياة، ولن يكون هناك إثم ولا جريمة، ولا باطل ولا شر.
ثم يغفر لكم ذنوبكم الماضية واللاحقة.

وهذا الوجه صالح ومشرق، وليس فيه بأس.
وإن أخذناها لنا -وهي لنا أيضاً والله، ولا نشك في هذا- فيكون المعنى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الحديد:28]، أي: يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسلاً اتَّقُوا اللَّهَ [الحديد:28]، أي: لا تفجروا، ولا تفسقوا، ولا تخرجوا عن أوامر الله ورسوله؛ فتتغمسوا في ظلمات الآثام والذنوب، بل اتَّقُوا اللَّهَ [الحديد:28] أولاً.
وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ [الحديد:28]، أي: تمسكوا واثبتوا بالإيمان بالله ورسوله.
يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ [الحديد:28]، أي: يعطيكم أجركم مرتين مضاعفاً.
وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ [الحديد:28] ذنوبكم، فلا تلاقونه يوم القيامة وعليكم ذنوب.
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الحديد:28].

أحببت أن تعرفوا أن هناك نوراً يمشي به أهل الإيمان، وهو ليس ممسوساً ولا ملموساً، ولكن دلالته: أن الرجل أو المرأة يمشي أحدهما أربعين سنة أو خمسين سنة أو ستين سنة في هذه الحياة ولا يسرق بيضة، ولا يزني بامرأة، ولا يفجر بها، مع أن لكل منهما الغرائز الدافعة لهما إلى الشهوات، ووالله لولا هذا النور لوقع هذا.
فالرجل أو المرأة يباشران الحياة ليلاً ونهاراً ولا تحسن لهما أنفسهما كلمة سوء أو باطل أو منكر يقولانها، والذي عصمهما هو الله، وقد عصمهما بالنور الذي أوجده في قلوبهما.
وهذا النور واضح.

والذين يتقلبون ويتورطون في الجرائم والموبقات إلى سفك الدماء وإراقة دماء المؤمنين والمؤمنات ليس لهم نور، بل إنهم والله يعيشون ظلام حالك، ويمشون فيه.
ولذلك تجد أحدهم يعذب أخاه المؤمن، ويمزق بطنه، ويكسر عظامه، ويعلقه في أعمدة الكهرباء، وينكل به.
فهذا ليس مؤمناً، وليس له نور، بل والله ما رأى النور ولا عرفه.

فافهموا هذا يا جماعة الإيمان! ويا إخوة الإسلام! فالله قد وعدنا بأن يجعل لنا نوراً نمشي به؛ حتى لا نقع في الحفر والمهالك، وهذا النور ليس كهرباء، بل هذا النور يتولد من الأعمال الصالحة، وهذه الأعمال الصالحة إذا أدت أداء حقيقياً سليماً خالية من معوقات الإنتاج، ولم يكن فيها رياء ولا شرك، وفُعلت كما فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم فوالله لتولد هذا النور الذي تسمونه بالحسنات.

وهذه الحسنات هي إشراقات القلب والنفس؛ نتيجة الإيمان وصالح الأعمال.
والذي ليس له إيمان ولا عمل صالح لن يأتيه هذا النور، ولذلك لا تلموه إن سب أو شتم، أو سرق أو كذب، أو زنى أو فجر، أو سفك الدماء أو قتل، أو قال الباطل أو الكفر؛ لأنه يمشي في ظلام، ولم يعرف هذا النور.
والبرهان على هذا واضح والحمد لله، فالرجل المؤمن والمرأة المؤمنة بحق يشعران في أنفسهما أن هذا الإيمان وهذه الصالحات من صلاة وزكاة وذكر الله وتلاوة كتابه قد أنتجت لهما نوراً، ولذلك لا يتمرغون في الأوساخ والقاذورات، وقد تمر على أحدهما أربعين يوماً بل أربعين سنة ولا يقول كلمة سوء، ولا ينطق بها؛ لأن له نوراً يحجبه ويبعده عن أن يتلوث بأوساخ الكلام والأعمال.

التوجيه الثاني لمعنى هذا النداء: أن النداء موجه للمؤمنين

قال: [وهناك أيها القارئ الكريم! تفسير لهذه الآية] أي: أن الآية تحمل توجيهاً آخر، فالقرآن حمال الوجوه، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وهذا التوجيه الثاني مشرق أيضاً ونير [وهو أنها لنا نحن المؤمنين من عرب وعجم، ومن مشركين وأهل كتاب، فهي لكل مؤمن ومؤمنة بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً.
إذاً: فالنداء بعنوان الإيمان كغيره من نداءات الرحمن، جميعها لأمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ روي أن سعيد بن جببر قال: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى هذه الآية في حق هذه الأمة [أمة الإسلام] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .

[الحديد: 28] [بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً] اتَّقُوا اللَّهَ [الحديد: 28] [أي: امتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه،] وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ [الحديد: 28] [واثبتوا على ذلك] يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ [الحديد: 28] أي: نصيبين من رحمته.
وزادهم [عطاء آخر] وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ [الحديد: 28]، يعني: هدى تبصرون به من العمى والجهالة. وَيَغْفِرْ لَكُمْ [الحديد: 28].
ففضلهم بالنور والمغفرة.
رواه ابن جرير [الطبري في تفسيره.
الدليل على صحة التوجيه الثاني لمعنى النداء في أنه موجه إلى المؤمنين

قال: [ومما يرجح هذا التفسير قوله تعالى بعد نهاية الآية: لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم [الحديد: 29]] وهذا يرشح ويرجح الوجه الذي هو لنا.
فهم زعموا أنهم يؤتون أجرهم مرتين، وأن هذا خاص بهم، فأعلمهم تعالى أن هذا لعباده المؤمنين، وأبطل مزاعمهم، وعلمهم بأنهم لا يستطيعون أبداً أن يتصرفوا في عطاء الله وفضله، بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء [واللام في لئلا صلة] زائدة [لتقوية الكلام] فقط؛ لأن زيادة المبنى تزيد في المعنى، وهذه قاعدة عامة في كلام البلغاء والفصحاء من العرب [لذا قرأها ابن مسعود] رضي الله عنه أحد قراء الصحابة الكرام (لكي يعلم) [أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله، فيأخذونه ويحرمون المؤمنين، أو يختصمهم به دون غيرهم من الناس] [و] قراءة ابن مسعود هذه [هي قراءة بالمعنى لا غير؛ إذ قوله تعالى: لئلا يعلم [الحديد: 29] .

إلى آخره كأنه قال: أعطينا عبادنا المؤمنين الصادقين من غير أهل الكتاب هذا الذي أعطيناهم من مضاعفة الأجر، والنور يمشون به، ليعلم أهل الكتاب المتبجحون أنهم لا يقدرون على منع شيء من فضل الله على أحد أراد الله إعطاءه إياه.
فلنذكر هذا؛ فإنه علم عظيم.
زادنا الله وإياكم منه.
وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [.
الدليل على صحة التوجيه الأول لمعنى النداء في أنه موجه إلى مؤمني أهل الكتاب

قال: [ويشهد لصحته: أن الكتابي] وهو اليهودي أو النصراني [إذا آمن بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ودخل في الإسلام يعطى أجره مضاعفاً، وهو معنى كفلين ، أي: حظين ونصيبين] أي: مرتين [لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الصحيح] من الأحاديث كالبخاري و مسلم والموطأ: [(ثلاثة)] أنفار من الناس [(يؤتون أجرهم مرتين)] أي: يعطون أجرهم مرتين.
اللهم اجعلنا منهم.

وهم [(رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي)] أي: بمحمد صلى الله عليه وسلم (فله أجران) [أجر إيمانه بالنبي السابق، وأجر إيمانه بالنبي اللاحق محمد صلى الله عليه وسلم.

هذا أحد الثلاثة [(وعبد مملوك)] وهذا كان أيام وجود العبيد، وأما اليوم فلا يوجد عبيد، وإنما يوجد عبيد للشيطان، وأما عبيد للبشر فلا يوجدون اليوم.

وهذا العبد المملوك يعطى أجره مرتين إذا [(أدى حق الله)] كاملاً [(وحق مواليه)] أي: من يملكونه من الناس [(فله أجران)] أجر مقابل ما أدى من حقوق الله، كالصلاة والطهر والذكر والعبادة، وتجنب المعاصي في الليل والنهار، فيعطى على هذا أجر، ويعطى أجر ثان لكونه مملوكاً، وذلك إذا أدى حق من يملكونه، فلم يخنهم، ولم يكذبهم، ولم يفرط في أعمالهم، ولم يغشهم، وغير ذلك، بل أدى حقوقهم كما هي، فهذا بوعده الله الصادق على لسان رسوله الحبيب صلى الله عليه وسلم يعطى أجره مرتين.

والثالث: [(ورجل أدب أمته)] أي: مولاته وخادمتة ومملوكته [(فأحسن تأديبها، ثم أعتقها لوجه الله وتزوجها، فله أجران)] فهؤلاء الثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، وهم: أولاً: الكتابي إذا آمن بالأنبياء السابقين وآمن بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. والآية شاهد على هذا.

وثانياً: عبد مملوك - سواء كان يملكه مؤمن أم كافر - أدى حقوق الله ولم يفرط فيها - فلم يفرط لا في صلاة ولا في عبادة - وأدى حقوق مالكيه، ولم يغش ولم يخدع ولم يعبت بماله، ولم يفسد عليه حياته، فهذا يعطى أجره مرتين؛ لأنه أدى حقين متقابلين.

وثالثاً: رجل يملك جارية مملوكة له، فيؤدبها بالآداب السامية الرفيعة، من آداب الكتاب والسنة؛ حتى تكمل وتستقيم وتصبح كالزهرة بين يديه، ثم يعتقها لوجه الله، ثم يتزوجها أيضاً، فهذا يعطى أجره مرتين. والذي يعطي هذا الأجر هو الله، فهو الذي يملك ذلك.

هذا هو التفسير الأول للآية، أي: أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقد زعموا أنهم مؤمنون، وليسوا في حاجة إلى إيمان جديد برسول الله وكتابه، فواعدهم الله إن آمنوا حق الإيمان بأن يعطوا أجرهم مرتين، ويغفر لهم، وهو الغفور الرحيم، ويعطيهم النور الذي يسعدون به في الدنيا والآخرة، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الحديد:28].

وهذا التفسير موجه إلى أهل الكتاب، فمن رحمة الله تعالى بهم وجه إليهم هذا النداء، فهو يقول لهم فيه: يا من تدعون الإيمان وأنتم مبطلون ولستم على حق، آمنوا بحق بالله ورسوله؛ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ [الحديد:28].

وواضح على هذا التوجيه أن الآية موجهة لأهل الكتاب.

التوجيه الأول لمعنى هذا النداء: أنه موجه إلى مؤمني أهل الكتاب

على هذا القارئ الكريم أن يعلم [أن هذا النداء الإلهي موجه] من الله جل جلاله ابتداء [إلى مؤمني أهل الكتاب من يهود ونصارى، المدعين للإيمان الزاعمين أنهم مؤمنون بالله ولقائه] يوم القيامة.

فهو موجه من الله خالق كل شيء، ورب كل شيء، وهو الذي رفع السماء وزينها بكواكبها، وبسط الأرض وأوجد فيها مقوماتها، وهو خالقنا، وواهبنا عقولنا، ورازقنا طعامنا وشرابنا، والذي لولاه ما وجدنا ولا كنا، وهو رب محمد صلى الله عليه وسلم، وهو منزل هذا الكتاب القرآن العظيم.

قال: [ناداهم بعنوان الإيمان؛ لأنهم زعموا أنهم مؤمنون] وحسبهم إيمانهم [وليسوا في حاجة إلى إيمان جديد يأتي من طريق محمد صلى الله عليه وسلم، فأمرهم تعالى بتقواه؛ إذ المؤمن بالله حق الإيمان يتقي الله، أي: يخافه ويرهبه، فيطيعه في أوامره بفعلها، وفي نواهيه بتركها] وهذا هو معنى آمن، فإذا كان لا يخاف الله فليس مؤمناً والله، ولو عرف الله وآمن به لطلب رضاه، ولا تمتل أمره، واجتنب نهيه. فقولهم هذا دعوى باطلة، ردها الله عليهم.

قال: [ثم أمرهم بالإيمان برسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ هم به كافرون] والعياذ بالله [جاحدون غير معترفين بنبوته، ورسالته العامة للناس كافة، فلذا أمرهم بالإيمان به نبياً ورسولاً.

ثم وعدهم إن هم آمنوا حق الإيمان، فحملهم ذلك على طاعة الله ورسوله في الأمر والنهي، وعدهم بأنه يؤتيهم - أي: يعطيهم - كفلين - أي: نصيبين - من رحمته ومثوبته لعباده المؤمنين، وذلك أن نصيباً وحظاً من أجل إيمانهم بالأنبياء السابقين كموسى وعيسى عليهم السلام، وغيرهما كإبراهيم ونوح وإسحاق ويعقوب ويوسف ودาวود عليهم السلام،

ويجعل لهم نوراً يمشون به في الدنيا، وهو الهداية الإسلامية، إذ الإسلام صراط مستقيم، سالكه [والمار عليه] لا يضل ولا يشقى، ويمشون [به] في الآخرة [أيضاً] على الصراط إلى الجنة دار السلام [أي: أن لهم نورين، نور في الدنيا يعرفون به الحق من الباطل، والخير من الشر، والهداية من الضلال، ويوم القيامة هذا النور يمشون به على الصراط إلى الجنة، ومن فقد هذا النور يوم القيامة هلك، وسقط في عالم الشقاء والعالم الأبعد. قال: [وهو معنى قوله تعالى في النداء: يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ] [الحديد:28]. وشيء آخر هو: أنه يغفر لهم ذنوبهم الماضية التي قبل الدخول في الإسلام، والحاضرة التي من الجائز أن يغشى المؤمن ذنباً من الذنوب، وبالتوبة والاستغفار يغفر له، وإن لم يتب منه فإنه يغفر له يوم القيامة، أو يؤاخذ به فيعذب في النار، ويخرج منها بإيمانه وصالح أعماله.

وقوله تعالى في ختام النداء: وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الحديد:28]، فهو إذاً: سينجز لكم ما وعدكم من مغفرة ذنوبكم الماضية والحاضرة، ويرحمكم في الدنيا والآخرة؛ لأنه تعالى غفور لذنوب عباده إن تابوا إليه، رحيم بهم لا يعذبهم بدون ذنب اقترفوه، ولا سوء عملوه [.

كان اليهود والمنافقون في المدينة يجتمعون ويتناجون فيما بينهم، ويتواصون على عدم طاعة الله ورسوله، ويتفقون على معادات هذا الدين وما جاء به، لذلك فقد كان مما أمر الله عباده المؤمنين بالألا يتشبهوا بهؤلاء في مناجاتهم، وأن تكون المناجاة فيما بينهم بالبر والتقوى، والأمر بالصدقة والمعروف، والإصلاح بين الناس. حرمة التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول والإذن في التناجي بالبر والتقوى

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

تقدم معنا أربعة وسبعون نداء من نداءات الرحمن البالغة تسعون نداء، وهذه النداءات المنادي بها الله جل جلاله، والمنادي بها هم عباده المؤمنون به وبقائه وبرسوله صلى الله عليه وسلم.

وهو لا يناديهم لأي شيء، بل يناديهم ليأمرهم باعتقاد أو قول أو فعل ما من شأنه أن يزكي نفوسهم، ويطهر أرواحهم؛ ليكملوا ويسعدوا، أو يناديهم لينهاهم عما يديسي نفوسهم ويخبثها من الشرك والمعاصي، أو يناديهم ليبشرهم بما أعد لهم في دار النعيم المقيم، أو يناديهم لينذرهم مما يديسي نفوسهم ويلوثها؛ لتصبح أهلاً لدار الشقاء والخسران المبين، أو يناديهم ليعلمهم ما تزكو به أنفسهم وتسمو أرواحهم.

فلهذه العلل يناديهم جل جلاله، وعظم سلطانه.

وهو يناديهم وهو في غنى كامل عنهم، ولكن بحكم الولاية التي بينهم وبينه فهو يناديهم لهذه الأغراض السامية.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.

آمين.

هذا هو [النداء الخامس والسبعون] وهو [في حرمة التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول] صلى الله عليه وسلم [و] في [الإذن في التناجي بالبر والتقوى] فمضمون هذا النداء: أنه تعالى ناداهم ليعلمهم حرمة التناجي بالإثم والعدوان، وليعلمهم أنه أذن لهم في التناجي بالبر والتقوى.

والتناجي هو: التحدث سراً وفي خفاء مع من تناجيه أو تحدثه، كما كان يناجي موسى ربه، وكما تناجي مولانا في السجود، فنحن نتكلم معه سرياً، فالتناجي: التحدث في الخفاء والسر.

وفي هذا النداء الخامس والسبعين ناداهم سبحانه ليعلمهم حرمة التناجي بالإثم، أي: بما فيه إثم، والعدوان، أي: بما هو ظلم؛ لأنهم أولياؤه، وهو لا يأذن لهم أن يتناجوا بالإثم والمعصية والظلم والعدوان، وبمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما يأذن لهم في التناجي بالبر والخير وتقوى الله عز وجل.

فهو يعلمنا حرمة التناجي بيننا بالإثم والعدوان، وبمعصية الرسول عليه السلام، ويعلمنا أنه أذن لنا في التناجي بالبر والتقوى، هذا مضمون هذا النداء.

فهيا بنا نتغنى بهذا النداء، ثم نأخذ في شرحه وتفسيره، وبيان المراد منه إن كنا أولياءه المؤمنين به المتقين له.

[الأيتان (9 ، 10) من سورة المجادلة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المجادلة:9-10]] والله هو صاحب هذا النداء، وهو الذي نادى به عباده المؤمنين.

اللهم اجعلنا منهم.
وهيا نتعرف إلى ما من أجله نادانا، فلا بد أنه ينادينا لأمر عظيم؛ ليربينا ويكملنا ويسعدنا.
الحث على تقوى الله عز وجل

قال: [ثم أمرهم عز وجل بتقواه، فقال: وَاتَّقُوا اللَّهَ [المجادلة:9]] أي: خافوه، فامتنلوا أمره، واجتنبوا نهيه.
وأمرهم بالتقوى [مشيراً إلى موجبها، وهو كونهم يحشرون إليه يوم القيامة، فيحاسبهم ويجزيهم بأعمالهم؛ لذا هم في حاجة إلى تقواه عز وجل بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لينجوا ويفوزوا يوم القيامة، فينجوا من النار، ويفوزوا بدخول الجنة.
مناجاة الله لعباده المؤمنين يوم القيامة

قال: [ولنستمع] جميعاً أيها المستمعون والمستمعات! [إلى حديث أحمد رحمه الله في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ فإنه يقرر ما تقدم، ويوضحه أيما توضيح.
قال: حدثنا بهز و عفان قالا: أخبرنا همام عن قتادة عن صفوان بن محرز قال: كنت أخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه) [واعترف بها] (ورأى في نفسه أنه قد هلك) [ويشعر بذلك] (قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته) [والحمد لله.
فيتفضل الكريم ذو الجلال والإكرام ويقول: (قد سترتها عنك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم).
هذه مناجاة الله لعباده المؤمنين في الآخرة.

وأما مناجاتنا نحن في الدنيا فكما سمعتم، وهي: أن يجلس الرجل إلى رجل آخر ويتحدث معه سراً.
قال: [(وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ [هود:18])]
فلا يدينهم ولا يكلمهم، ولا يستنطقهم ولا يناجيهم؛ لأهم ليسوا بأهل لذلك، وإنما الأشهاد يقولون: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ [هود:18].
ثم إلى جهنم وبئس المصير.

النجوى من الشيطان

قال: [وقوله تعالى في هذا النداء: إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ [المجادلة:10]، أي: هو الدافع إليها، والحامل عليها؛ من أجل أن يوقع المؤمنين في الغم والحزن.
ومن هنا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التناجي فقال [واحفظ هذا: (إذا كنتم ثلاثة)] أنفار (فلا يتناجي اثنان دون الآخر) [وحرام عليهم هذا؛ لأن هذا الذي لا يسمع كلامهما يخاف، ويقول: إنهم يتآمروا علي، ويريدون لي سوءاً، فيقع في حزن، ولا يجوز إحزان المؤمن.
فلا يتناجي اثنان دون الآخر [(حتى تختلطوا بالناس)] وتتكلما بالكلام العام [(من أجل ألا يحزنه ذلك).
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر في الصحيح: (إذا كان ثلاثة فلا يتناجي اثنان دون الواحد).
وعلى هذا أكثر أهل السلف وعلماء الخلف، فلا يجوز أن يتناجي اثنان دون الثالث، ولا ثلاثة دون الرابع، ولا خمسة دون السادس [وكذلك إذا كانوا ثلاثة أنفار يتكلم اثنان منهم بلغة، فلا يتكلمان بها ويتركان الثالث، فهذا حرام ولا يحل؛ لأن ذلك لا يعرف ما يقولون، وقد يظن أنهم يتآمرون عليه، أو لعلهم كذا وكذا، ولذلك فليتحدثوا بلسانه، أو يترجموا وبينوا له، والقرآن يقول هذا.

واليوم الذين يزعمون أنهم مؤمنون يقتل بعضهم بعضاً، ويسفكون دماءهم، ويكسرون عظامهم، ويبقرون بطونهم، ويقطعون أيديهم، ويفجرون بنسائهم، وكأننا لسنا مؤمنين، وقد حرم الله على لسان رسوله أن يتكلم اثنان في الخفاء في حضور الثالث [لما يوجده ذلك من غم وحزن وخوف للمؤمن الذي تتاجى إخوانه دونه وهم في مجلس واحد]
حتى لا يحزن هذا المؤمن، ولا يصاب بغم ولا كرب ولا هم؛ لأنه ولي الله، والله لا يرضى أن يتأذى هذا العبد

المؤمن، ولا أن يتتاجى ثلاثة أنفار دون الرابع إذا كان لا يسمع أو لا يفهم ما يقولون، بل يجب أن يتكلموا مع بعضهم بعضاً؛ حتى لا يكرب هذا المؤمن ولا يحزن.

والمؤمنون لم يعرفوا هذا، ولا درسوه والله.

وكذلك الذي يكسر عظام إخوانه ويمزق بطونهم لم يعرف الإيمان، ولم يعرف هذا.

قال: [وليس هذا خاصاً بحالة حرب أو خوف، بل هو عام في سائر الأحوال والظروف، وفي القرآن الكريم يقول تعالى: لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ [النساء:114].

حينئذ تجوز المناجاة لأنها في الصالح العام] فإذا أردنا أن نجمع مالا أو لباساً لمؤمن بيننا فإذا قلنا: فلان بيننا فقير فاجمعوا له فإنه يتأذى، ولكن نجمع له في السر.

وهذه المناجاة مشروعة وطيبة.

قال: [وقوله تعالى في نهاية النداء: إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ [المجادلة:10]، أي: هو الحامل عليها لإيجاد أذى بين المؤمنين.

وَلَيْسَ بِضَارٍّ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المجادلة:10]، أي: فلا ينبغي للمؤمن أن يغتم أو يحزن من المناجاة إذا حصلت من يهوي أو منافق، فضلاً عن أن تكون من مؤمن] فإذا تناجى اثنان دونه أو ثلاثة فلا يبالي، وليفرع إلى ربه [وليتوكل على الله] حتى لا يصيبه هم ولا غم ولا حزن [ويفوض أمره إليه؛ فإنه وليه وحافظه من كل ما يؤذيه أو يسيء إليه.

والعاقبة للمتقين. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

وبلغوا إن شاء الله هذا المسئولين والعلماء والحكام.

وهيا نعود إلى الله عز وجل بأن نجتمع بنسائنا وأطفالنا في بيت الرب، والله يعلمنا، وهذا ليس صعباً.

وصلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وسلم.

النهى عن التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول

قال: [فقال لهم: إِذَا تَنَاجَيْتُمْ [المجادلة:9] لأمر استدعى ذلك منكم، فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ [المجادلة:9]؛ حتى لا تكون حالكم كحال اليهود والمنافقين الذين يتناجون بالإثم - أي: بما هو إثم في نفسه- كما

يتناجون بما هو عدوان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه، ومعصية الله والرسول، إذ كانوا يتواصون فيما بينهم بعدم طاعة الله والرسول؛ لذا نهى تعالى أوليائه المؤمنين أن يتناجوا بالإثم [المجادلة:9].

وهو الخيبة وبذاء القول وسيئه] فالتناجي هو الكلام سراً، كأن يقرب منك أخوك فتضع فاك في أذنه وتكلمه، هذه هي المناجاة، أو أن تكون مع ثلاثة من إخوانك وتتكلمون سراً حتى لا يسمع الآخرون.

هذه هي المناجاة.

وكان اليهود والمنافقون هنا في المدينة إذا اجتمعوا في مجلس كهذا يكب بعضهم على بعض، ويتكلمون سراً؛ بألا يطيعوا هذا، ولا يسمعوا له، وأنه محنتهم فيصبروا، وغير ذلك، بل إذا استطعت أن تضرب مؤمناً فاضربه،

ويتكلمون هذا فيما بينهم، والله هو السميع العليم، فقد كان ينقل مناجاتهم ويبينها لرسوله صلى الله عليه وسلم.

قال: [وَالْعُدْوَانِ [المجادلة:9] وهو الظلم، وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ [المجادلة:9]، أي: بعدم طاعته في بعض ما يأمر به أو ينهى عنه] فقد كان يوصي بعضهم بعضاً ألا يطيعوا هذا الرسول، وألا يسمعوا له [فقال عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ [المجادلة:9]] أي: فيما بينكم [أي: إذا استدعى الأمر مناجاة بعضهم لبعض فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ [المجادلة:9].

كما هي حال أعدائكم من اليهود والمنافقين؛ إذ نزل فيهم قرآن، وهو قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى [المجادلة:8].

وهي المسارة الكلامية] والذي نهاهم الله ورسوله [ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ [المجادلة:8] ... [الآيات] فقد كان الله ولي رسوله والمؤمنين يريهم ويهذبهم، ويعلمهم ويرشدهم، وهم

يستجيبون ويعملون.

إذن الله لعباده المؤمنين بالتناجي بالبر والتقوى

قال: [ثم بعد أن نهى الله تعالى المؤمنين عن المناجاة المشابهة لمناجاة اليهود والمنافقين أذن لهم في التناجي بما هو خير، وطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: وَتَنَاجَوْا بِالْأَيْمَنِ [المجادلة:9].
الذي هو الخير بمعناه العام، حيث لا إثم فيه ولا شر.
وَالْتَقَوْا [المجادلة:9] التي هي طاعة الله وسوله صلى الله عليه وسلم في أمرهما ونهيهما] فتناجوا بهذه المناجاة.
طريق العودة إلى عزنا وسيادتنا وكمالنا

هيا نقل: إننا عائدون، وقد تغنى إخواننا الفلسطينيون بهذه الكلمة.
ولا تقولوا: لا يمكننا العودة؛ فنحن مكبلون ومغلولون بأغلال الأهواء والشهوات، وحبال الشياطين، وأعظم من ذلك الجهل وظلمته.

وأقول: بلغوا السياسيين وأصحاب الصحافة الكتاب أن يحضروا مجالس العلم، أو انقلوا إليهم ما تعلمتموه، ولا تقولوا: لا نستطيع، أو لسانا في حاجة إلى أن ننقل، وقد كان المؤمنون في الصدر الأول في القرون الذهبية الثلاثة يأتون للحج، وللرواية واكتساب العلم والمعرفة، فكانوا يلتقون في هذه البلاد شهراً أو شهرين، فيروون الأحاديث، ويعرفون الفقه والتفسير، ويعودون مزودين إلى ديارهم بالعلم والمعرفة.
وأنتم كونوا مستعدين لأن تبلغوا رجال الحكمة والسياسة والعلم والمنطق.

وإن شئتم حلفت لكم، وإني لعلى بينة من أمري - وانزعوا من أذهانكم: هذا العميل .. هذا الذنب .. هذا الوهابي، وكل هذه الأمراض التي تغلي غليان المراحل في صدور هذه الأمة الهابطة، واعلموا أن العود بنا إلى سبل السلام وطرق النجاة سهلة والله جداً، وهي لا تكلف ديناراً ولا درهماً، ولا توقف عملاً في مصنع ولا في مزرعة، ولا تغلق باب متجر، ولا تطالب بدينار ولا درهم، وإنما فقط أن نؤمن إيماناً حقاً، ثم نستعيد سيرة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ أرشده الله.

وعلى أهل القرى في الوديان أو الجبال وفي الأحياء في المدن في العالم الإسلامي إذا دقت الساعة السادسة مساءً ومالت الشمس إلى الغروب أن يقفوا دولا ب العمل مثل الإفرنج، فيغلق التاجر دكانه، ويرمي الفلاح مسحاته، ويرمي الكاتب قلمه، ويتجهون كلهم إلى بيوت الإله الرب تعالى، ونأتي بأطفالنا ونسائنا، فتجلس النساء من وراء الستارة، ومكبر الصوت بينهن، والأطفال دونهن، والفحول أمامهن، والمعلم المربي أمام الجميع كمجلسي هذا، ويبعث أحدهم يتجول في القرية؛ حتى لا يبقى دكاناً مفتوحاً، ولا مقهى ولا مصنعاً، ويجلس أهل القرية كلهم في بيت ربهم يتعلمون الكتاب والحكمة، ويزكون أنفسهم.

وقد من الله على المؤمنين بهذا في قوله: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة:2].

وكذلك الأحياء في المدن إذا دقت الساعة السادسة لا يبق دكان مفتوح الباب ولا مقهى ولا مصنع، ولا من يتجول في الشارع، بل يحضر أهل الحي كلهم إلى بيت ربهم، وإذا ضاق المسجد وسعوه، ولو بالخشب والحطب، ولو بالقطن، حتى يتسع لأهل الحي بنسائهم وأطفالهم ورجالهم، ويجلس لهم المربي يعلمهم الكتاب والحكمة- أي: السنة- ويزكّيهم آداباً وأخلاقاً.

وهكذا كل ليلة وطول العام، بل وطول الحياة، والنتائج والله لا تقدر ولا تقوم.
وسأخبركم بالنتائج، ففي أربعين يوماً لا يبق من يفكر بالفجور بامرأة مؤمن، ولا من يسرق شيئاً من بيت مؤمن ولا مؤمنة، ولا من يسمع كلمة سوء أو بداءة بين الناس، وينتهي الظلم والشر، والخبث والفساد.
هذا من الجانب الروحي.

وأما المادي فلا تسأل، فوالله ليفيض المال، ولا يجدون من يأخذ؛ لأنهم إذا زكت نفوسهم انتهت الشره والطمع والتكالب على المال، وانتهت الأهواء والشهوات، وأصبح المؤمنون يكتفون بقليل الطعام وقليل الشراب، وما يكفي من اللباس، فيفيض عليهم المال.

وبعد أن يتغير الوضع هكذا، ويصبح الرجال يشهدون بيوت ربهم، ويسمعون الكتاب والحكمة يصبحون كلهم أولياء الله ربانيين، وحينئذ لو رفعوا أيديهم إلى الله لما ردها خائبة، ولو حملوا الحجارة فقط لحطموها عدوهم الذي يريد أن يؤذيهم أو يضرهم.

وهم لن يحملوا حجارة فقط، بل سيحملون الهيدروجين والذرة؛ لأنهم يعملون النهار بكامله، وليسوا كسالى ولا مبطلون، ويتركون العمل فقط هذه الساعة والنصف؛ ليذهبوا إلى بيت ربهم لتلقي المعرفة والهدى، وينطلقون إلى العمل من صلاة الصبح إلى قبل صلاة المغرب.

وبلغوا المسؤولين أن يجربوا هذا في قرية واحدة فقط، فلتلتزم بهدي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وستجدون أنه لن يتخلف وعد الله، وبعد أربعة أشهر حاولوا أن تحللوا ما أصابهم، فستجدون الطهر والصفاء والقناعة والرحمة والهداية، واختفاء مظاهر الكذب والخيانة والفجور والشرك والباطل.

ولما بدأت الشيوعية تنفخ في الاشتراكية استجيبناها وسمعناها، ونقلناها وأوينها ونشرناها، ولنحاول الآن أن ننشر هذا.

ولا تقولوا: هذا الشيخ خيالي، يتكلم في الخياليات، فهناك من يعتبر الاجتماع في بيت ربكم الذي من أجله خلقتم خيالاً.

واليهود والنصارى والبوذيين والكفار والفجار في العالم كله من كندا إلى الصين إذا دقت الساعة السادسة انطلقوا إلى المقاهي والملاهي والمراقص والسينما، وأنتم تخافون إذا انطلقتم إلى بيت الرب! ونحن لا ننقل هذا الكلام؛ لأننا أمة ميتة، فلا صحفي يكتب، ولا متحدث يتكلم، بل إننا الآن نعود إلى البيت ولا نذكر كلمة من هذا أبداً؛ لأننا ما زلنا هابطين، وقد كنا في علياء السماء نقود البشرية، ونهديها إلى كمالها وسعادتها، ثم احتالوا علينا حتى هبطنا، ولما هبطنا استعمرونا من أندونيسيا إلى موريتانيا، وأذلونا وأهانونا، ولا تقولوا: هذه خيالات.

فيوم أن صرّفونا عن الكتاب والسنة عرفوا أنهم قادرون على أن يفعلوا الأعاجيب، فمزقوا دولتنا، ومزقوا ديننا، وفرقونا، وفعلوا بنا الأعاجيب، وها نحن أذلاء فقراء مهانين، ولم نستيقظ بعد، بل مازلنا يقتل بعضنا بعضاً. اللهم اشهد، فقد بلغنا.

ولا نعيد هذا الكلام؛ لأنه لا ينفع معنا، بل علمنا العدو أن نقول: هذا الكلام خيالات، وأقول: ليحرب أهل القرية هذا، والقرى بالملايين في العالم الإسلامي، وليجمع شيخ القرية وإمامها وواعظها قريته ويعلمها الكتاب والحكمة، ولننظر بعد أربعة أشهر كيف تتحول الأخلاق، وتنبدل الطباع. ونعود إلى الشرح؛ فالبكاء لا يجدي.

المؤمنون أحياء والكافرون أموات وسبب نداء الله للمؤمنين دون غيرهم من الناس

[الشرح] قال الشارح غفر الله له ولكم، ورحمه وإياكم: [نادى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المجادلة:9]] فلنقل: لبيك اللهم لبيك! فإذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فقل: لبيك اللهم لبيك! وأعطاها سمعك، واسمع ما يقول لك سيدك ومولاك إن كنت تؤمن به وبلقائه [لأن المؤمن بحق حي، يسمع النداء ويعي] ويفهم [ما يقال له؛ وذلك لكمال حياته] فحياته كاملة.

وأما الكافر فإنه لا يناديه؛ لأنه ميت، لا يسمع النداء، ولا يعي ولا يفهم ما ينادى به، ولهذا لا ينادي الله الكافرين؛ لأنهم أموات، فإذا آمنوا واستشرت الحياة فيهم وانتشرت في أبدانهم فإنه يناديهم.

وهذا هو سر خصوصية المؤمنين بحق - لا بالادعاء والنطق - بالنداء، وذلك لأنهم أحياء بروح الإيمان.

وقد [ناداهم ليربيهم روحياً، ويهذبهم أخلاقياً] أي: ليربي أرواحهم، ويهذب أخلاقهم، وليصبحوا سادات أهل الدنيا، وهم كذلك، وأما الفجرة والكفرة والفسقة وأهل الشرك والباطل فليسوا بأهل لأن يناديهم ذو الجلال والإكرام.

قال: [وكيف لا، وهو مولاهم ووليهم، وهم عبيده وأوليائه] فالله مولاهم ووليهم.

الطريق الموصلة إلى ولاية الله عز وجل وانتكاس المسلمين في معنى الولي

تمت ولاية الله للمؤمنين بشيئين اثنين: أولاً: الإيمان الصادق الحق، والثاني: التقوى له عز وجل.

فإذا سئلت عن كيفية الحصول على ولاية الله، فقل: بشيئين لا ثالث لهما، وهما: الإيمان والتقوى.

فإن قيل لك: كيف عرفت هذا؟ ومن أين لك هذا؟ فقل له: قال تعالى في سورة يونس عليه السلام: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:62-63].

فكل مؤمن تقى هو لله ولي.

فالولاية لا تحصل بالعمائم الخضراء، ولا بالمساحب الطويلة، ولا بتقديس الجهال لنا، ولا بتقبيل أيدينا وأرجلنا، ولا ببناء القباب على قبورنا، ولا بوضع التوابيت الخشبية والأزرر الحريرية عليها. بل أصبح هؤلاء أولياء الله عند عامة هذه الأمة لما هبطت الأمة من علياء كمالها، فهم لا يعرفون ولياً في السوق أو في المتجر أو في البستان أبداً، وإنما من بُني على قبره قبة خضراء أو بيضاء، ووضع له تابوت وأزر الحريير. ثم إنهم يعبدون هذا الولي مع الله، ويأتون إليه، ويستغيثون به، ويدعونه، وينقلون إليه المرضى، ويعكفون حول قبره.

وكل هذا بسبب الثالث الأسود، فهو الذي قطع صلة هذه الأمة بربها، وتركها كالسوائم من الحيوانات، لا تعرف معروفاً ولا تتكرر منكراً.

وهذا الثالث الأسود مكون من ثلاثة عناصر مبغضة ومعادية للإسلام وأهله، ولا هم لهم إلا محو الإسلام، وقتل أهله، وهم المجوس واليهود والنصارى الصليبيون.

ونحن لا نبالي بمعرفة هذا؛ لأننا ما زلنا هابطين. فلنعرف أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون، فكل مؤمن تقي فهو لله ولي، وإذا عرفت أنه ولي الله فلا يجوز أن تسبه، ولا أن تشتمه، ولا أن تفجر بامرأته أو ابنته، ولا أن تسرق ماله، ولا أن ترفع صوتك عليه، ولا تقدر على ذلك؛ لأنه ولي الله، والله يقول: (من أذى لي ولياً فقد أذنته بالحرب).

وهم حصروا الولاية في الأموات؛ ليصبح الأحياء أعداء الله؛ ولذلك انكح نساءهم، أو افجر بناتهم، أو اسرق أموالهم، أو سب أعراضهم، أو اشتهمهم، أو قتلهم، كما هو الواقع. ولست واهماً في هذا.

فإذا اعتقد أنهم أولياء الله لم يوجد مؤمن يزني بمؤمنة، ولا يسب مؤمناً، ولا يركله، ولا يصفعه على وجهه، ولا يقتله، ولا يمزق لحمه، ولا يقدر على أن يمسه بسوء، ولكن اليوم هناك الملايين يفعلون هذا.

إذاً: سلب العدو الولاية عن الأحياء ووضعها على الأموات أباح دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم. وهذه الكلمة والله لو ترحل إلى الصين من أجل أن تفهمها هذا الفهم وتعرفها لكان سفرك ذا قيمة، ولكن لا يوجد من يعي ويفهم ويفقه.

من مظاهر هبوط الأمة

لقد هبطت الأمة من علياء سمائها إلى أسفل الأرض، وأصبح يأكل بعضها بعضاً، والعلة هي الجهل، فقد أبعادونا عن القرآن، وقالوا: اقرءوه على الموتى، ووالله لقد مر على قرى العالم الإسلامي ومدنه قروناً لم يكن يسمع فيه قرآناً يقرأ إلا في بيت الميت.

وأزديكم: لم تشاهد رجلاً في المسجد إذا مر به أحد يقرأ القرآن يقول: تعال يا سيد! اقرأ علي شيئاً من القرآن، ولا يوجد من يقول لابنه أو أخيه أو جاره: من فضلك! أسمعني شيئاً من كلام ربي. فاعرفوا كيف متنا.

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الله بن مسعود: (يا ابن أم عبد !).

ويكنيه تبجيلاً وتعظيماً له (أسمعني شيئاً من القرآن !) أو: (اقرأ علي شيئاً من القرآن !).

فيعجب عبد الله ويقول: (أعليك أنزل، وعليك أقرأ يا رسول الله؟! فيقول: إني أحب أن أسمع من غيري).

فيقرأ عليه بسم الله الرحمن الرحيم: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا [النساء:1].

حتى بلغ ثلاثين آية.

حتى انتهى إلى قول الله تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا [النساء:41].

وإذا بعيني رسول الله صلى الله عليه وسلم تذر فان الدموع وهو يبكي، ويقول: (حسبك حسبك حسبك). ونحن الهابطون لا يوجد فينا من يقول لأخيه: اقرأ علي شيئاً من القرآن.

والقرآن هو الروح، ولا حياة بدون روح في أي كائن، فلا توجد حياة في مخلوق بدون روح، لا في دجاجة، ولا في عصفور ولا في ذبابة، والقرآن هو الروح، فإذا فقد العبد مات، والدليل على أنه روح، وأنه به الحياة: قول الله تعالى

في سورة الشورى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا [الشورى: 52].

فاحفظ يا عبد الله! واحفظي يا أمة الله! أنه لا حياة للعبد إلا بالإيمان وبالقرآن، وفهمه وتطبيقه والعمل به، وأنه لا هداية في مجالات الحياة حتى في التجارة إلا بنور القرآن، والذين أعرضوا عن كتاب الله وانصرفوا عنه يتخبطون في ظلمات الحياة، وهم لا يشعرون.

ولا هداية بدون نور، والقرآن نور: فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا [التغابن: 8].

ومن يوم أن صرف المسلمون عن القرآن وهم في الظلام وفي الفتن، وفي البلاء وفي الرزايا يتخبطون قروناً عديدة. وإلى الآن لم نفق.

ونحن نقول: لقد صحونا، ولا توجد صحوة، بل ما زلنا كما كنا نقرأ القرآن على الموتى، ويزني بعضنا بنساء بعض، ويأكل بعضنا أموال بعض، ويسب بعضنا بعضاً، بل ونشتم ونعير ونقبح حتى العلماء والحكام، والصلحاء والتجار، وكل أحد، ولا هم لنا إلا الطعام.

وسبب هذا عندنا: أننا ما ربينا في حجور الصالحين، بل كلنا أولاد الشوارع والمقاهي والمدارس الهابطة، وهكذا. فلا ترج منا كمالاً في آدابنا وأخلاقنا وأوضاعنا؛ لأننا ما ربينا في حجور الصالحين.

لمجالس العلم آداب يجب على طالب العلم التأدب بها، فطلب العلم يصاحبه التربية أيضاً، ومن آداب مجالس العلم التفسح فيها، وخاصة إذا طلب المعلم أو المربي من بعض طلابه التفسح أو الانتقال إلى مجلس آخر، فلا يجدوا في أنفسهم عليه بل يسارعون في الاستجابة، وقد وعد الله المتأدب بهذا الأدب بالسعة في الدنيا والآخرة. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

سائلين الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زمرة، وأن يرضى عنا كما رضي عنهم. آمين.

النداء الذي درسناه أمس مضمونه وما مفاده والعلم الذي استقيناه وفزنا به هو: أننا عرفنا أنه لا يحل للمؤمنين أن يتناجوا- أي: يتساروا- بالكلام السر بينهم دون أخوهم، فإذا كانوا ثلاثة فلا يحل أن يتناجى اثنان دون الثالث، وإذا كانوا ثلاثة فلا يحل أن يتناجوا إذا كان الرابع بعيداً لا يدري عنهم ماذا يقولون، وهكذا الخمسة والستة. وهذا النهي لأن الله ولي المؤمنين، وهو لن يسمح ولن يأذن لأحد أن يؤذي وليه، فيدخل عليه هما أو غما، أو كرباً أو حزناً.

وقد قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (لا يتناجى اثنان دون الثالث).

فإذا أردت أن تتحدث مع أخ لك وأخوك موجود معهم فأسمعه كلامك، ولا يتناجى اثنان دون الثالث، أو ثلاثة دون الرابع، أو أربعة دون الخامس؛ لأن هذا الذي لم يعلم ما يقولون يصاب بهم أو حزن؛ هذا والله لا يحل بيننا؛ لأننا أولياء الله.

قال ربنا -وقوله الحق- في الحديث القدسي كما في صحيح البخاري: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب). ولا يجوز لنا أن ندخل الحزن والكرب على مؤمن بسببه وشتمه، أو بتغييره وتقبيح سلوكه، كما لا يجوز لنا أن نوذي مؤمناً في جسمه بضربه وسحبه على الأرض، أو بتجويعه وتعطيشه، وكذلك لا يجوز لنا أن نوذي مؤمناً في عرضه في ابنته وامراته، ولا أن نوذي مؤمناً في درهمه وديناره، فهذا والله لا يجوز، وإن دماءنا وأموالنا وأعراضنا حرام علينا إلى يوم القيامة.

المسلمون لم يعرفوا أن إيذاء المؤمن لا يجوز، ولم يسمعوا يوماً كلاماً كهذا، ولم يفتح أحدهم صدره له، ولم يعزم على أن يطبق ويعمل بما فيه.

والدليل والبرهان على هذا: واقعنا الذي نعيشه، فنحن أكثر من ألف مليون مسلم، وقد انتشر فينا الزنا والسرقة، والإجرام والقتل، وسفك الدماء، وحتى الحيوانات لا تعذب كتعذيبنا، ونحن ندعي الإيمان والإسلام، ونريد أن تفتح لنا أبواب السماء، وندخل الجنة دار السلام، ونحن نعيش على أوهام.

والله قد حكم الله فينا وقال: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

وقال: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ [الانفطار:13-14].

والفجار هؤلاء ليسوا فرنسيين ولا إيطاليين، وإنما الفاجر منا هو الذي خرج وفجر عن نهج الله المستقيم، وعن طريقه المستوي، فترك الواجبات وأهملها، وأقبل على المحرمات وغشاها وتعاطاها.

والفاجر من فجر، كما يتفجر الماء من الأنبوب.

فكل من يترك الواجبات ويستتهين بها ولا يبالي فهو والله فاجر، وكل من يغشى المحرمات على علم ومعرفة ويتعاطاها وهو يعرف أنها محرمة بالكتاب والسنة فهو فاجر.

وحتى نخفف عن أنفسنا نقول: إن المسلمين منذ قرون لم يتركوا في حجور الصالحين، ولا جلسوا بين يدي المربين يربونهم على الأخلاق والآداب، ويزكون أرواحهم.

وقد مضى أربعة قرون والمربون خرافيون استغلاليون، وكانوا يربون تحت شعار: التربية الصوفية، وكانت الأمة ما عدا أولئك همج يأكل بعضها بعضاً.

وأنا لم أبالغ في هذا، فقد استعمر العالم الإسلامي باستثناء هذه البقعة حماها الله، وقد حكمتنا بريطانيا وهولندا، وبلجيكا وفرنسا، وإيطاليا وأسبانيا، وفعلوا بنا العجب، ولو كنا مؤمنين حقاً فوالله ما سلب الله علينا أعداءه وأعداءنا، وحاش لله! وهو ولي المؤمنين أن يأذن لأعدائه أن يهينونا ويضلونا.

ولنقرأ قول الله تعالى: وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا [النساء: 141].

والله لا يكذب، وتعالى الله عن الكذب.

وإلى الآن فنحن ما زلنا في سكرة، بل نزداد هروباً، ونزداد تعرضاً لغضب الله، ووالله إن غضب علينا الجبار مرة ثانية فإنه سيسلب علينا ما لم يكن في الحساب، فلنتأدب ولنرجع.

ونحن مازلنا مصممين على ألا نعود إلى الله، والبرهان والدليل على ذلك: أن دولنا من أندونيسيا إلى موريتانيا لم يبلغنا أن حكومة منها أصدرت قراراً ومرسوماً ملكياً جمهورياً سلطانياً بالألا يتخلف مؤمن عن الصلاة أبداً إذا نادى المنادي، ولذلك لم يبلغنا أن دولة استقلت من شعوب العالم الإسلامي عربي أو أعجمي أصدرت مرسوماً جمهورياً: أنه لا بد من جباية الزكاة ومحاسبة المواطنين عليها بكل دقة؛ لأنها قاعدة الإسلام.

فهذا لم يحصل، بل إنهم يجبون الضرائب الكافرة.

ونحن لا نلوم المسؤولين؛ لأنهم جهلة مثلي ومثلكم، فهم لم يجلسوا في حجور الصالحين، ولا تربوا بينهم.

ولذلك فه لن يسموا ويكملوا ويرتفعوا.

وأذكركم بقول إسماعيل وإبراهيم وهما بينان البيت العتيق، فقد قالوا: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة: 129].

واستجاب الله وبعث في ذرية إسماعيل محمداً صلى الله عليه وسلم، فرباهم في حجره على الكتاب والسنة وزكاهم، فتخرج من بين يديه رجال لم تحلم الدنيا بمثلهم في عدلهم واستقامتهم، وفي طهرهم وصفائهم، وفي علمهم ومعرفتهم.

والبرهان على هذا: أنه في خمسة وعشرون سنة تجاوز الإسلام نهر السند شرقاً والأندلس غرباً.

وحدث كل هذا بالعلم وليس بالجهل، وبالطهر والصفاء، وليس بالخبث والنجس.

الحيلة حتى نصبح مثل الصحابة: أن يبدأ كل شخص بامرأته وبناته وأولاده، ويستبدل بالتلفاز والفيديو كتاب المسجد وبيت المسلم.

ويجتمعوا عليه، ويتعلمون ليلة آية وأخرى حديثاً طول العام، فيتغنون بالقرآن الكريم، ويهتدون بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيتحول ذلك البيت إلى كتلة من نور؛ حتى ترحل الشياطين ولا تقيم فيه، فتعذب كلمات أهل البيت، وتطيب نفوسهم، فتتخفف أصواتهم، ويتلاقون على ذكر الله وحبه.

ونحن لا نستطيع هذا، ولا نقدر عليه، وعلماؤنا كحكامنا فالكل والله قد قصر، ولم يؤدي واجبه.

والعلة هي أننا تعلمنا العلم في حجور الدكاترة، وتعلمناه للشهادات وللوظيفة، وليس لله، وحتى النساء هكذا أيضاً، وهذا العلم لا ينفع.

والعالم الذي يدخن أو يحلق لحيته أو إن امرأته في الشوارع تتجول لا يستطيع أن يربي، ولا أن يزكي، وكذلك الحاكم لم يعرف الله أبداً، ولم يحفظ من أسمائه سوى الله، ولذلك فهو لن يستقيم على منهج الله.

فهيا بنا نعود، وإذا أردنا العودة فلنبداً من البيوت، فأهل كل بيت يجتمعون، ويتعلمون ليلة آية وأخرى حديثاً، وهكذا كل ليلة من المغرب إلى العشاء، أو من صلاة العشاء إلى أن يناموا، ولن يبقى من يقول البذاء، أو ينطق بالسوء، أو يشاهد عاهرة تغني، أو يسمع صوتها، أو يلهث ويجري وراء الدنيا، أو يتكالب عليها، بل تزكوا النفوس، وتطيب الأرواح، وتصبح البيوت كتلاً من النور هنا وهناك.

ونعود إلى نداء أمس، فهو يبين أنه لا يحل لمؤمن أن يتتاجى مع آخر ويتركان أخيهما الذي معهما؛ لأن ذلك يصيبه بالكرب والهم والحزن، فلا تتتاجى بالإثم والعدوان، ولكن إن تتاجينا فنتتاجى بالبر والتقوى، كما قال تعالى: لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ [النساء:114].
وأما أن نتتاجى وأخونا وحيداً يفكر فهذا لا يجوز؛ لأنه يؤذي ولي الله.
ومن أذى ولي الله فليتحمل الجزاء.

ولا تقولوا: ليس هناك أولياء الله، بل يوجدون، ولكن فيهم ضعف في الولاية، وفي المراتب؛ لأن الولاية رتب كرتب الجنود من عسكري إلى جنرال، فهم ليسوا في مستوى واحد، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلهم أبو بكر، ولم يسامه البقية أو يحاذوه، بل كانوا دونه.

وكل مؤمن تقي فهو لله ولي، ولا يشترط لذلك بناء قبة، ولا وضع تابوت على قبره، بل نعترف لكل مؤمن بقيم الصلاة ويعبد الله بولاية الله، ومن ثم فلا نؤذيه ولو بنظرة شذرة، أو بصوت عالٍ نزعجه به.

ونعيد تلاوة نداء أمس؛ تذكيراً للناسين، وتعليماً لغير العالمين.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المجادلة:9-10].

وبعض الحاضرين قالوا: نريد هذه النداءات، فقلنا: تعالوا بعد العصر إلى البيت، وكل واحد يأخذ نسخة، فلم يأت أحد، وقال: لا نعرف البيت، والذي لا يعرف يسأل، والقاعدة ربانية تقول: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل:43].

وجوب التفسح في المجالس إذا أمر المؤمن بذلك وجوب القيام من المجلس إذا أمر كذلك

قال: [النداء السادس والسبعون: في وجوب التفسح في المجالس إذا أمر المؤمن بذلك، و] في [وجوب القيام من المجلس إذا أمر كذلك، وذلك لصالح الدعوة] فهذا النداء في وجوب التفسح -أي: التوسعة- في المجالس، فإذا كنا جالسين هكذا، واقتضى الأمر أن يتخلف أحدها، فإذا جاء وجب أن نفسح له حتى يجلس، فإذا كان طالب علم وتأخر فلا نحرمه، بل نفسح له قلوبنا وأبداننا حتى يجلس، والذي يأمرنا بذلك المربي، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في هذا من يعلم الناس الكتاب والحكمة ويزكيهم، وهو هذا المربي، فإذا قال لشخص: قم واجلس يا فلان! فيجب أن يقوم؛ لعلم المربي بحاجة هذا الرجل، ولا يتململ ولا يغضب، وإذا لم نكن ربينا من قبل فإننا نغضب، ونقول: والله لا نرجع إلى هذا المجلس.

وكذلك هذا النداء: في وجوب القيام من المجلس إذا أمر كذلك، كأن يقول المربي: قم يا فلان! فليقم، أو يقول: يا إخوان! تفسحوا لهذا المقبل؛ حتى يرد حياض العلم، فأنتم قد ارتويتهم، وهم عطاش، فافتحوا لهم في المجال.

وقد مر بنا في معركة اليرموك التاريخية أنه سقط الشهداء، وإذا بجريح يقتله العطش ولا ماء، فسمعه أحد الآخرين فجاء بالماء، وإذا بالآخر يقول: قتلني الظمأ، فقال: أعطه! ومات هو، ولما دنا من الثاني سمع آخر يقول: إنه عطشان، فقال: أعطه، حتى ماتوا كلهم، وكل واحد يؤثر أخيه على نفسه؛ ليسعد برضا الله.

ولو كان هؤلاء مثلنا لما فتحو دمشق، ولا دخلوا غيرها من البلاد، فنحن في وادٍ وهم في وادٍ، ونحن لسنا بشيء يذكر أبداً.

ولكنهم ربوا في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبنائه ورجاله، ونحن ربينا في المقاهي والملاعب. وهذا الأمر بالتفسح في المجالس أو القيام منها لصالح وفائدة الدعوة الإلهية، ليعبد الله وحده، وتزكو نفوس عباده المؤمنين، وليس للربال ولا الدينار، ولا السمعة ولا الجاه، وإنما من أجل دعوة الله التي لها خلقنا. وهيا نتغنى بهذا النداء.

قال: [الآية (11) من سورة المجادلة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [المجادلة:11]] والمنادي في هذا النداء هو الله الذي خالقنا، وهو خالق كل شيء من الذرة إلى المجرة، وهذه المخلوقات تشهد بوجود خالقها، ولا يوجد منها شيء وجد من تلقاء نفسه والله، والله لا توجد ذرة

بدون خالقها العليم الحكيم، فلا ننسى الله، فلولا له لما سمعنا أو أبصرنا أو فتحنا أفواهنا، ولولا له لما متنا ولا حيينا، فلا تجحدونه.

وما هو ذا تعالى ينادي: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المجادلة:11]! فلنجه: لبيك اللهم لبيك! وهو قد نادانا نحن المؤمنين، ولم يناد المشركين ولا الكافرين، وقد ناداهم في هذه النداءات الخاصة بأولياء الله المؤمنين ليهذبهم وليرهبهم وليكملهم؛ لأنهم أولياؤه يحبهم ويحبونه.

وهذا النداء من سورة المجادلة الذي سبق أمس. وهذا النداء هو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [المجادلة:11]. وما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، وأهلها يتراءون غرفهم في دار السلام كما نترأى نحن الكواكب الغابرة في السماء.

والله هو الذي يقول لنا: إِذَا قِيلَ لَكُمْ [المجادلة:11].

والذي يقول هو المربي الذي يربيكم، فإذا أردتم الكمال وجلستم بين يديه فإذا قال: تفسحوا فافسحوا، كأن يأتي مجموعة من البدو أغراب يريدون أن يسمعو فلا تتملل وتقول: لا، بل أفسح المجال، وإذا قيل: المكان قد ضاق، وليس هناك مجال للتفسيح، فقد انضم بعضنا إلى بعض، فقال: قم يا فلان! ويا فلان! فعلمكم كافٍ، فافسحوا المجال لهؤلاء، فلا نقول: لا؛ حتى لا نكفر، بل وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا [المجادلة:11].

ومن قال: لن ننشر ولن نقوم فليس بمؤمن.

ومعنى قوله: يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ [المجادلة:11]، أي: يعطكم أكثر من عطائكم، فافسحوا يفسح الله لكم في أرزاقكم وأعماركم وعلومكم ومعارفكم وفي درجاتكم في السماء، فليس هناك شيء مجاناً، فافسحوا يفسح الله لكم، وإذا قيل: ارتفعوا ارتفعوا؛ حتى يرفعكم الله أيها المؤمنون! ويرفع أولي العلم درجات أخرى.

ولا إله إلا الله! فهذا هو الرب الرحيم، وهو الله ولي المؤمنين.

وقد قرأ هذه الآية ملايين المسلمين منذ ألف سنة، ولم يعرفوا لها معنى، ولم يطبقوا منها شيئاً؛ لأنهم يقرءونها على الموتى، وأما الأحياء فلا يقرأ عليهم القرآن.

والذي سن هذه السنة عدوكم اليهود والنصارى والمجوس.

ولا أخال واحداً لم يفهم هذه الآية.

ولا تقولوا: هذا عميل، أو هذا وهابي، أو هذا يريد المال، أو هذا عنده عمارات، وأعوذ بالله من الشياطين، فهم يقولون العجب؛ حتى لا يقبل شيء اسمه هدى.

ولا إله إلا الله! فبلغوا أن هذه النداءات يجب على كل من يقرأ ويفهم أن تكون عند رأسه، ولو يشتريها بوزنها ذهباً؛ لأنها نداءات ربه إليه، وإذا قال: لا، فأنا لست مؤمناً، ولا أعترف بهذا، فأبعدوه من سجل المؤمنين.

ولا يوجد مؤمن عاقل لا يسمع لنداءات ربه، ولا يعرف السبب والغرض الذي ناداه من أجله، ولا ما هي فوائده.

وقد كانت هذه النداءات مفرقة في القرآن الكريم، وفي ستة آلاف آية موزعة، وقد يعذر أحدنا إذا لم يعرفها، وأما الآن فقد جمعت كلها في سلسلة واحدة، وهي مبينة ومشروحة، فلنقرأها في البيوت وفي السيارات، وفي الطيارات، وخاصة الساسة والمسؤولين والعلماء.

ولنبتك وللنتحب، فلنسا بأولئك، ونحن لا نقبل هذا، وهذا لسان الحال.

علم الله شامل لجميع ما نعمل

قال: [وقوله تعالى في ختام النداء: وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [المجادلة:11]، إنه يذكرهم بعلمه بهم في جميع أحوالهم؛ ليراقبهم؛ فيلزموا طاعته، وطاعة رسوله] صلى الله عليه وسلم [ويحافظوا على تقواه، ليحفظوا ولايته الله تعالى لهم، فيؤمنوا من الخوف والحزن في الدارين] لقوله تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:62-63].

ويجب على كل مؤمن ومؤمنة سمع هذا اللفظ أن يحفظه الليلة، ولا يحل له أن يهمله أبداً.

ولا تقل: أولياء الله سيدي عبد القادر، ومولاي إدريس، وسيدي إبراهيم، بل أولياء الله الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63].

وهذا بيان الله وتفسيره لقوله تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62].
لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا يوم القيامة، وليسوا بني هاشم، ولا العدنانيون، بل هم الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63].

فالمؤمن المتقي هو الولي.
ووالله لا يجوز أبداً أن تسمع هذا العلم الليلة وتتركه، فهذا حرام، وحرام أن تسأل غداً عن الولي ولا تعرف، وتقول: سيدي عبد القادر .

فالولي هو المؤمن التقي، قال الله: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:63].
وبذلك يصبح المؤمنون في القرية أولياء الله، فلا سرقة ولا كذب، ولا خيانة ولا زنا، ولا سب ولا شتم؛ لأنهم أولياء الله [حقق الله تعالى لنا ذلك].
آمين.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين [.
حكم إقامة الرجل الرجل من مكانه ليجلس فيه

قال: [هذا ولنعلم أن القيام من المجلس بدون حاجة كما تقدم لا يجوز، كما لا يجوز أن يقيم الرجل الرجل من مجلسه ليجلس فيه؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا)] وهذا هو الهدي المحمدي، أي: لا يحل لك أن تقول: قم وتجلس أنت، بل يوسع لك، والذي يقيمك ويجلس هو المسئول عن التربية؛ لما يرى لمصلحة الدعوة [وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم)].
حكم من قام من مكانه ليجلس غيره اختياراً منه

قال: [ولنعلم أنه يجوز للمؤمن باختياره وبدون إكراه له أن يقوم لذي علم أو كبر سن] أو مسن مريض [ويجلسه في مجلسه ولا حرج] ولا إثم [على الاثنين] وهذا فضل وإحسان، ولا إثم فيه ولا حرج؛ لأنه باختيارك وإبرادتك، وقد راعيت في ذلك وجه الله.

قال: [كما أن الأمي إذا كان وراء الإمام في الصلاة وجاء ذو علم ونهى فإن على الأمي أن يتأخر، ويقوم العالم مقامه] واليوم وراء الإمام العوام، وطلبة العلم غير موجودين، فإذا جاء العالم لم يفسح له الأمي، في حين أنه يجب أن يقوم له؛ حتى إذا سها الإمام أو أخطأ وأراد أن يستخلف على مائة ألف لم يستخلف عامي [لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ليليني منكم أولو الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)] فإذا كنت تصلي وراء إمام وأنت أمي مثلي وجاء عالم فقم ودعه يجلس هو؛ لأن النبي علمنا هذا، فقد قال: (ليليني أولو منكم الأحلام والنهي).
حتى إذا احتاج الإمام إلى واحد يخلفه يأخذ بيده ويقدمه، ليتم الصلاة بالناس، فالذي ليس عنده علم ليس من حقه أن يجلس وراء الإمام، فإن لم يوجد علماء جلس، ولكن إذا جاء العالم فيجب أن يتأخر حتى ولو كان في الصلاة.
ولا تقولوا الشيخ يرفع صوته، فأنا والله ما رفعت صوتي إلا بينكم، ولا أرفع صوتي في البيت، ولا في الشارع، لكن أرفعه الآن لأبلغكم.

هذا هو السبب؛ لأن التربية تحتاج إلى هذا.

فضل العلماء

قال: [وقوله تعالى في هذا النداء: وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ [المجادلة:11]] أي: أعطوه [درجات] [المجادلة:11] وهذا العلم ليس علم البزاة والخياطة، ولا السحر، ولا الفيزياء، ولا الهندسة، ولا فن الطباخة، ولا الكيمياء، فهذه كلها أعمال دنيوية توفر فيها طعامك وشرابك، بل المقصود: العلم الذي يرفعك إلى الملكوت الأعلى، وينزل بك في الجنة دار السلام، وهذا العلم عرفه المؤمنون والمؤمنات في هذه الحلقة من سنين، فهو العلم بمعرفة الله، ومعرفة ما يحب وما يكره من الاعتقاد والقول والعمل، فهذا هو العلم الذي إن أعطوه يرفعهم الله درجات، كما قال تعالى: وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ [المجادلة:11].

وإياك أن تفهم أن هذا العلم يؤخذ بالقوة، بل إن لم تذلل بين يدي الله وتسلأه وتسترحمه فلن تحصل عليه، والمعطي للعلم هو الله، ولذلك قال تعالى: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا [طه:114].
والذي أعطاه هو الذي يزيد، ولو لم يعطه لما قال: زدني، فلا علم إلا ما أعطاك الله وألهمك.
قال: [فهو أمر ووعد أيضاً.

ومن امتثل الأمر فاز بالوعد الإلهي الكريم، أما الأمر فهو وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا [المجادلة:11].
ومعناه: إذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم أيام حياته، أو قال من دونه بعد وفاته من عالم مربٍ أو واعظ مذكر، أو أمير حافظ للأمن والطهر للمؤمنين إذا قال لك: انشر، أي: ارتفع من مكانك أي: قم منه ليجلس مؤمن لحاجة تدعو إلى جلوسه؛ لما في ذلك من مصلحة الدعوة الإسلامية، أو قال: قم للصلاة، أو للجهاد، أو لفعل بر وخير، فقم لأمر الله تعالى بذلك، إذا قال لنا: وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا [المجادلة:11]، أي: ارتفعوا وقوموا.
هذا أمر الله جل جلاله، وأما وعده الكريم فهو قوله: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ [المجادلة:11]، أي: درجات بالنصر والذكر الحسن في الدنيا، وفي غرف الجنة في الآخرة، ويرفع الذين أوتوا العلم منكم -أيها المؤمنون!- درجات عالية [وذلك] لجمعهم بين الإيمان والعلم والعمل.

ومما يدل على أن رفع الذين أوتوا العلم درجات لعلمهم وعملهم بعد إيمانهم قول عمر رضي الله عنه في القصة الآتية [ولو اجتمع كل المؤمنين في الأرض اليوم ما كانوا كعمر أبداً، ولن يكونوا، وهيا نحاول أن نقفدي به، وأن نحبه، ونأثسي به، ونمشي وراء هدايته.
وهناك من يلعنونه ويكفرونه.

والله العظيم.
قال: [وهي: أن عمر قد استخلف على مكة] والياً وحاكماً [نافع بن عبد الحارث] فلما ولي عمر أمر المسلمين في الأقاليم عين لها ولادة، فعين على مكة هذا صاحب، وهو نافع بن عبد الحارث [فلقبه يوماً بعسفان] وهو مكان بين مكة والمدينة قريب من مكة [فقال له: من استخلفت على أهل الوادي؟ أي: مكة] ومكة تسمى بالوادي الأمين [قال: استخلفت عليهم ابن أزي رجل من موالي] والموالي هم الذين كانوا عبيداً وتحرروا، فأصبحوا موالي لمن حرروهم [فقال عمر : استخلفت عليهم مولى] من موالي الناس؟ [فقال: يا أمير المؤمنين! إنه قارئ لكتاب الله تعالى، عالم بالفرائض، قاص، أي: محدث واعظ.
فقال عمر رضي الله عنه: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين).

رواه مسلم [فخليفة العالم الإسلامي أقنعه واليه، فقد خرج من مكة لأمر ما واستخلف مولى.
و عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي تسمعون به وتسبونونه، وتقولون: إنه وهابي، وتكالبت عليه الدنيا كلها الكفار والمؤمنون، ولا إله إلا الله! فهذا الرجل أعزه الله بالقرآن الكريم، وأعلى درجته، وما زاد على أن حكم كتاب الله فقط، ولم يكن عنده فلسفة كاذبة، ولا علم قانون، ولا سحر ولا تدجيل، ولا غير ذلك، بل كان عنده قال الله وقال رسوله، وهذا في الوقت الذي هبطت فيه أمة الإسلام عن آخرها من إندونيسيا إلى المغرب، وآيسوا من أن القرآن سيسود أو يحكم أو يطهر بلداً، أو يرفع أهله أو يعزهم، ثم جاء الله بهذه الآية السماوية، فهذا رجل عامي تقريباً، ومع ذلك أقام دولة القرآن في صحار متباعدة، وكان الفقر يقتل أهلها، وحصل لهم من الأمن والله ما لم يحصل في العالم إلا أيام القرون الثلاثة، وحصل لهم كذلك طهر لم تعرفه الدنيا أبداً إلا في القرون الذهبية، وهذا لم يحصل بالبوليس ولا بالحرس ولا بالسحر، وإنما عن طريق هينات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وصدق رسول الله عندما قال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين).
فمن قرأه وعمل بما فيه رفعه الله، ومن أعرض عنه وتشاغل عنه هبطه الله.
ولو عرف المسلمون هذا لكانوا أقاموا دويلات قرآنية لما استقلوا عن بريطانيا، وليس هناك مانع من أن يقيموا دولة إسلامية، وهم لم يطلبوا من عبد العزيز آل سعود أن يبعث لهم قضاة من قضاته، أو أن يكون لهم هيئة للأمر بالمعروف كالتي عنده، بل كان كل ما يستقل إقليم يتجبر، وينسى الله ورسوله والمؤمنين.
وهذا هو الواقع، وهذا الكلام لا يقبله حتى السياسيون؛ لأنهم هابطون.

وكان المفروض والواجب أنه أيما إقليم في أقصى الشرق أو الغرب استقل عن بريطانيا أو فرنسا أن يأتي رجاله إلى عبد العزيز آل سعود ، ويطلبون منه أن يبعث لهم قضاة يقضون بينهم، وأن يكون لهم هيئة للأمر بالمعروف وتطبيق شريعة الله.

وهذا والله الذي لا إله غيره هو الواجب، ولكنهم لما عرضوا أعرض الله عنهم، وأصابهم من البلاء ما لم تحلم به الدنيا.

ولو كان الإقليم لما يستقل يطبق الشريعة لأصبحنا كتلة واحدة وأمة واحدة، ولكننا أعرضنا عن هذا إعراضاً كاملاً، ورضي الله عنك يا عمر !
الأمر بالتفصح في المجالس عند الحاجة إلى ذلك

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم!] الذي يقرأ هذا النداء في بيته أو في مسجده [أن هذا النداء الإلهي هو كالنداء الذي سبقه، إذ هو في تربية المؤمنين وتهذيبهم؛ ليكملوا ويسعدوا في الدارين] الدنيا والآخرة [فهاهو ذا تعالى يناديهما بقوله الكريم الرحيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المجادلة:11]! أي: يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، فأصبحتم أحياء كاملين، ذوي قدرة على السمع والطاعة، إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ [المجادلة:11]، أي: إذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو مربكم ومعلمكم ومهذبكم أخلاقاً وأدباً- أو غيره من مربكم ومعلمكم ومهذبكم من علمائكم وولاة أموركم، إذا قال لكم: تفسحوا في المجلس، أي: توسعوا ليجد غيركم مكاناً بينكم فتوسعوا، ولا تبخلوا بالقرب من الرسول صلى الله عليه وسلم، أو من العالم المربي، أو المذكر الذي يذكركم وعظاً لكم، وتذكيراً بما ينفعكم في دنياكم وأخراكم] وهذا الكلام واضح.
جزاء من أفسح لأخيه في المجلس

قال: [واعلموا أنكم إذا تفسحتم أو توسعتم عندما طلب منكم ذلك فإن الله تعالى يكافئكم، فيوسع عليكم في الدنيا بسعة الرزق، وفي البرزخ في القبر، وفي الآخرة بغرف الجنان] والله العظيم، فهذا وعد الله [إذ بهذا وعدكم الله ربكم بقوله: إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ [المجادلة:11].
هذا أمر ووعد من الله تعالى فاغتنموه أيها المؤمنون الصادقون] في إيمانهم [ولا يفوتن الظن والبخل بالمجلس القريب من الرسول صلى الله عليه وسلم] أيام حياته [والعالم أو الوالي عليكم ما وعدكم الله تعالى به من التوسعة في الرزق و] في [القبر و] في [الجنة دار السلام] فقد قال: فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ [المجادلة:11]، أي: في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة، والحمد لله، ولو يقول لي الآن قائل: قم يا شيخ! فوالله لأقومن.

أمر الله عز وجل من أراد من الصحابة أن يخلو برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم صدقة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الانشغال ويشق عليه أن يفرد بكل من أراد أن يسر له بشيء، فشرع الله هذا الأمر، ولما شق ذلك على الصحابة أنزل الله عز وجل نسخ هذا الأمر رحمة بصحابة رسول الله رضوان الله عليهم وبالأمة من بعدهم.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.

اللهم آمين.

أذكركم بمحتوى النداء الذي سمعناه أمس من موالينا عز وجل: إنه يحمل تربية ربانية إسلامية، وهي: أننا إذا كنا في مجلس علم كهذا وجاء من يرغب في العلم ويطلبه، وهو من مكان بعيد فإذا قال المربي: تفسحوا لأخيكم أو لإخوانكم؛ ليجلسوا معكم لطلب الحكمة والكتاب وجب أن تنفسح، وإذا قال المربي: ليقم فلان وفلان، وليجلس فلان وفلان؛ للحاجة إلى جلوسهما، ولعدمهما من فلان وفلان وجب أن نطيع المربي، وأن نقوم، ويجلس من أراد المربي جلوسه؛ لأنه لا يأمر إلا بما هو في صالح الدعوة.

وهذا النداء هو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا [المجادلة: 11]. والجزاء من الله: يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ [المجادلة: 11].

هذه هي التربية الربانية، وقد حرّمها المؤمنون والمسلمون لما أعرضوا عن كتاب الله، وعن الاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله، واستبدلوا بذلك الأهواء والمقاهي والملاعب والأباطيل، فحرموا هذا النور، فهم في الظلام، إلا من شاء الله إنقاذه.

هذا هو النداء السابق.

قبل هذا النداء نداء آخر، فيه من الآداب الرفيعة والأخلاق السامية ما لا يوجد عند غيرنا، وهي: أنك إذا أردت أن تتناجى مع أخ لك فاذهب بعيداً، ولا تتناجى معه إذا كان أخوكم الثالث يسمع، ولا يدري ماذا تقولان فيما بينكما؛ إذ هذه الحال من شأنها أن توجد حزناً وهماً وكرباً في نفس هذا المؤمن، وكذلك هو ولي الله، ولا يرضى الله أن يؤدي وليه، وقد قال الله تعالى: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

وهذه المناجاة يدفع إليها إبليس العدو؛ ليحزن الذين آمنوا، وقد قال تعالى في هذا النداء الكريم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [المجادلة: 9-10].

وهذا معناه المحافظة على المجتمع الإسلامي، ومراعاة حقوق الأخوة الإيمانية.

وهذا معناه: أنه لا أذى بين المؤمنين، حتى في حال كهذه، فلا يتناجى اثنان دون الثالث، ولا ثلاثة دون الرابع، ولا خمسة دون السادس؛ لأنكم إن تحدثتم سراً بينكم وهو لا يدري ما تقولون فإن هذا يحزنه ويكرهه ويؤلمه، ولا يجوز والله أن تؤذي مؤمناً، ولا أن تدخل عليه الحزن والأذى.

واليوم انتشر الأذى بين المؤمنين، وهم يصوبونه على إخوانهم صباً، وانتشر السب والشتم والتعير والتقبيح والطعن والنقد، بل وإراقة الدماء وكسر العظام، وليس هذا هو الإيمان، وليس هؤلاء هم المؤمنون، فلنعد إلى الاجتماع على الكتاب والسنة في بيوت الرب بنسائنا وأطفالنا ورجالنا طول العام وعلى مدى الحياة؛ ليرحل الجهل وظلمته، ويحل العلم ونوره، ونعود إلى ما كنا عليه، لا فسق ولا فجور، ولا خيانة ولا خداع، ولا كذب ولا باطل.

وقد ضاع المسلمون من يوم أن حولهم العدو عن دراسة الكتاب والحكمة، وعن قراءة القرآن على الموتى، ومن يوم أن هجرنا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصبحنا ندرسها للبركة، ونكتفي بالمصنف الفلاني وما كتبه فلان. وهذه هي آلام المؤمنين التي ضيعتهم اليوم.

ونداءات الرحمن هذه تسعون نداء، وأقسم بالله لو دقت ساعة دعوتنا وإقبالنا على الله؛ لنعرف ونعلم ونكمل ونسعد لكان هذا الكتاب قد أخذ، وترجم في خلال أربع وعشرين ساعة، ووزع في العالم الإسلامي، واجتمع النساء والأطفال عليه، وعلى رأسهم المسئولون في المدينة والقرية؛ ليتعلم الكل كيف يعرف الله، ويعرف ما يحب وما يكره؛ ليمتثل الأمر ويجتنب النهي، ولكن مادامت الساعة لم تدق فنحن نصرخ من قبل ثلاثة أشهر أو أربعة ولم نحصل على شيء، ولم نسمع عالماً يدعو إلى قراءة هذا الكتاب، أو يرغب فيه، أو يحمل الناس عليه، فضلاً أن يأخذ أو يجمع أهل القرية في قريتهم ليتعلموا الهدى، وليسموا ويعلموا، ويظهروا ويكملوا.

وتفسير هذه الظاهرة يا علماء النفس! أنه ما زال مكتوباً علينا البقاء على الخلاف والتناطح والأذى والحسد والبغضاء، ولا يسلم منا إلا من سلمه الله، وقليل ما هم، فأولئك هم السالمون الناجون.

بيان حكم مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وتقديم صدقة قبلها ونسخ ذلك تخفيفاً

هذا هو [النداء السابع والسبعون] ومضمونه ومحتواه وما يدعو إليه وبحقيقه: هو [في بيان حكم مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتقديم صدقة قبلها، ونسخ ذلك تخفيفاً، و [في] وجوب إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وهيا نتغنى بالنداء السابع والسبعين، وليس بأغاني فريد الأطرش و أم كلثوم وفلان وفلانة، فهذه لا تجوز، وذاك لا بأس به، وهذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يقول: (من لم يتغن بالقرآن فليس منا)، أي: من لم يحسن صوته بالقرآن فليس منا؛ لأن القرآن كلام الله الرحمن الرحيم، وهو يحمل الهدى والنور، فالتغني به وتكرار ذلك يورث حبه، ويساعد على فهمه والإقبال عليه.

قال: [الآيتان (12 ، 13) من سورة المجادلة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المجادلة: 12-13]] وإذا جلس أهل المسجد في الحي أو القرية وأهل البيت في البيت ربع ساعة أو نصف ساعة يتغنون بهاتين الآيتين فإنهم يحفظونهما، وإذا حفظنا أصبحنا نوراً في القلب، فإذا شرحنا لهم فهموهما، وعرفوا مراد الله منهما، وكانوا أهلاً لأن يعملوا بأمر الله، ولكننا حرمانا من هذا.

وقوع النسخ في الكتاب والسنة

قال: [هذا وإليك أيها القارئ الكريم!] فائدة علمية، وهي: أن تعلم أن النسخ ثابت في الكتاب والسنة؛ أما الكتاب: فقد قال تعالى: مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا [البقرة: 106] [فدللت الآية على وجوب النسخ في القرآن الكريم] وأما السنة: فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها!)

فإنها تذكركم الآخرة) [فقد كان نهاهم عن زيارة القبور، ثم نسخ ذلك، واليوم المؤمنون لا منهم ولا (1%) القبور لتذكر الآخرة.

حكم معرفة الناسخ والمنسوخ في الكتاب والسنة للعالم والمذكر

قال: [ومن هنا كان الواجب على العالم] المربي [المذكر أن يعرف الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة. وهذا علي رضي الله عنه قد أرسل إلى رجل كان يخوف الناس في المسجد] بأحوال الآخرة [فجاءه، فقال له: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ فقال: لا، قال: فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه] وهذا حتى لا يحل ما حرم الله، أو يحرم ما أحل الله، بل لا بد من علم وبصيرة.

وفي هذا دليل على أن الحكومة الرشيدة لها الحق أن تمنع بعض المتكلمين أو الواعظين إذا كانوا لا يحسنون، أو يثيرون المتاعب، أو يريدون الفتن، ولا تقل: ليس لها الحق أن تمنع، بل لها أن تمنع لصالح الأمة وصالح العبادة، وهذا علي منع؛ لأن الذي يعلم ليس عنده علم.

واليوم الجماعات إذا منعتهم الحكومة شنعوا عليها بأنها فعلت وفعلت، ولا إله إلا الله! فليس هناك بصيرة ولا معرفة، وإلا فالأصل أنك إذا منعت وقيل لك: أنت لا تدرس، فاحمد الله عز وجل، وأثن عليه واشكره؛ لأنك ما منعت إلا لوجود مانع يمنعك، فلا تحزن وتبكي، ولا تثير المتاعب، ولا تأخذ في التحريض والتجيمع ضد الحكومة بالباطل. فاعرفوا هذا، ولا يخذعنكم العدو ويقول لكم: هذا الشيخ عميل، أو هذا ذنب، والله لقد قال لهم، والمرضى والبهاليل لا يعرفون شيئاً.

وهذا علي رضي الله تعالى عنه قال لمن كان يوعظ الناس: اخرج من مسجدنا ولا تذكر؛ لأنك لا تعرف الناسخ من المنسوخ، ولذلك لن تعرف الحلال من الحرام، وقد توقع الناس في الفتن، وإنما يقص أو يحدث أو يربي من كان أهلاً لذلك، فإذا سمحنا له في القرية وتكلم ثم ضبطنا عليه كذا خطأ وأصر فيمنع؛ حفاظاً على الأمة وعلى دينها وعقيدتها، ولا حرج.

قال: [وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله] أي: مثل هذا الكلام أيضاً [وقال للمذكر] الواعظ الذي يتخبط: [هلكت وأهلك] الناس معك، فاسكت أو اخرج.

قال: [فلنذكر هذا، ولنحمد الله ولنصلي ونسلم على رسوله وآله وصحابته أجمعين] ومن والاه [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصلى الله على نبينا محمد.

المعنى العام لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ...)

قال: [وإليك شرح الآيتين اللتين حواهما هذا النداء الرحيم: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المجادلة:12]! أي: يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ [المجادلة:12]، أي: إذا أردتم مناجاته فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً [المجادلة:12].

أمرهم تعالى إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكلمه وحده أن يقدم صدقة أولاً، ثم يطلب المناجاة، وكان هذا الأمر لصالح الفقراء أولاً، ثم للتخفيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ كل مؤمن يود [ويحب] أن يخلو برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب منه ويكلمه، والرسول بشر لا يتسع لكل أحد.

فشرع الله تعالى هذه الصدقة، فأفهمهم أنه يريد التخفيف عن رسوله صلى الله عليه وسلم، فلما فهموا ذلك وعلموه وتخرجوا من بذل الصدقة وكان أكثرهم فقراء لا يجدون ما يتصدقون به، نسخ الله تعالى ذلك [الحكم] ولم تدم مدة الوجوب أكثر من ليالٍ، ونسخها [الله] تعالى.

وقوله تعالى: ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ [المجادلة:12] أي: تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير لكم؛ حيث تعود الصدقة على الفقراء إخوانكم، وأطهر لنفوسكم؛ لأن النفس تزكو وتطهر بالعمل الصالح.]

وقوله تعالى: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا [المجادلة:12] أي: ما تقدمونه صدقة قبل المناجاة فناجوه صلى الله عليه وسلم، ولا حرج عليكم؛ وذلك لعدم وجود ما تتصدقون به.

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ [المجادلة:12] لكم، رَحِيمٌ [المجادلة:12] بكم.]

قال: [وقوله تعالى: أَسْأَلُكُمْ [المجادلة:13]؟ أي: خفتم الفاقة والفقر على أنفسكم إن أنتم ألزمت بالصدقة بين يدي كل مناجاة، وعليه فإذا لم تفعلوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ [المجادلة:13] برفع هذا الواجب ونسخه، والرجوع بكم إلى عهد ما قبل

وجوب الصدقة بين يدي مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ [المجادلة:13]، أي: بأدائها، مستوفاة الشروط والأركان والسنن والواجبات [والآداب] وفي بيوت الله مع جماعات المسلمين. وَأَتُوا الزَّكَاةَ [المجادلة:13] الواجبة في أموالكم، وما فيه زكاة أنفسكم وطهارتها من سائر العبادات المزكية للنفس المطهرة للروح.

هذا أولاً.
وثانياً: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ [المجادلة:13] صلى الله عليه وسلم في الأمر والنهي، مادام الأمر للوجوب والنهي للتحريم.

فبكفيكم أداء هذه الواجبات عن الصدقة بين يدي المناجاة التي نسخها الله تعالى تخفيفاً عليكم أيها المؤمنون! ورحمة بكم؛ لأنكم أولياؤه، وهو وليكم ومولاكم. وقوله تعالى: وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المجادلة:13].

وعليه فراقبوه، فلا تفرطوا في طاعته وطاعة رسوله [صلى الله عليه وسلم] فإنكم تفلحون بالفوز بالجنة والنجاة من النار [.

الصدقة عند المناجاة لم يفعلها إلا علي بن أبي طالب ثم نسخت

قال: [ولم يثبت أن أحداً من الصحابة قدم صدقة ثم ناجى إلا علي رضي الله عنه، إذ قال عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لقد كان لعلي رضي الله عنه ثلاث] خصال وميزات وأوسمة عالية، فهو يقول: ليتني حزت واحدة منها، وليس من هذه الثلاث أن ولاه الرسول بيت المال ينفق كما يشاء، فوالله ما كان هذا. وابن عمر يقول: [لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حُمُر النعم] والآن لا توجد حُمُر النعم، وإنما توجد بواخر التجارة، وحُمُر النعم هي: الإبل الحمراء الممتازة غالية الثمن، ولم يكن هناك مال أعلى منها عندهم. وهذه الخصال الثلاث هي: الأولى: [تزويجه فاطمة] رضي الله عنه وعنهما، والثانية: [وإعطائه الراية يوم خيبر] ليقود الجيش الإسلامي.

وخير على بعد مائة وخمسين كيلو من المدينة.

وخلاصة هذه المعركة: أن خيبر كانت دار يهود، وكانت التجارة والفلاحة كلها بيد اليهود، وكان اليهود قد هاجروا من أرض القدس إلى المدينة؛ لأن نبأ بعثة محمد موجود في التوراة والإنجيل، وكانوا يقولون: لقد لاح في الأفاق تبشير ظهور النبي الخاتم، فسنهاجر إلى هناك حتى نؤمن به ونمشي وراءه، ونسترد أمجادنا ومملكة بني إسرائيل، كما أنهم تألموا من الاضطهاد الذي كان يصب عليهم من أعدائهم الصليبيين والنصارى، فهاجروا إلى الحجاز، ونزلوا في المدينة، فقد كانوا يعرفون أن مهاجر الرسول مدينة ذات سبخة، ولا ندخل الآن في هذه التفاصيل، بل الذي يهمنا: أنه لما غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة السادسة بعد حادثة الخندق كانت لهم حصون عجيبة، وقد حاول الرسول والمسلمون فتحها ولم يستطيعوا، وتألموا وتألموا، وفي ليلة من الليالي بعد صلاة العشاء بشرهم صلى الله عليه وسلم وقال: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه).

وأعلن هذا البيان الرسمي في الليل بعد صلاة العشاء في المعسكر - عسكر المجاهدين - ونحن اليوم نسمي هؤلاء الذين يقتل بعضهم بعضاً، والذين يسفكون دماء بعضهم بعضاً مجاهدين، مع أنه لا توجد راية الجهاد ولا أهله، و (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: يا رسول الله! هذا المقاتل فما ذنب المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل أخيه).

فالجهاد من أجل أن نرفع راية لا إله إلا الله، ولكن اليوم لا توجد الأمة التي تريد أن ترفع راية الحق، ولنوجد هذه الأمة أولاً.

فبات أصحاب رسول الله كل يتمنى على الله أن يعطاها؛ إذ ما حدد الرسول من سيعطاها، وكل ما في الأمر أنه قال: (رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله).

وكان والله كل واحد منهم يود أن يكون هو، ولا تسأل عن عمر وأصحاب الهمم العالية، فإنهم لم يناموا، وباتوا يدورون ليلتهم من يعطاها غداً، وهذا ليس من أجل أنه أعطي راية، وإنما من أجل الإعلان عن حب الله ورسوله له، وأنه يفتح الله على يديه، وطلع النهار وصلوا الصبح، وجلس الأمير صلى الله عليه وسلم وهم ينتظرون، قال عمر :

كنت أرفع نفسي حتى يشاهدني، فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم: (أين ابن أبي طالب ؟ قالوا: مريض يا رسول الله!).

فقد كان مريضاً بالرمد في عينيه.

قال: (جيئوا به).

فجاءوا به يقاد بين اثنين، وعلى وجهه خمار أسود، وقد كنا نستعمل هذا أيام الرمد، فالغطاء الأسود يقي من الشمس، فوقع بين يديه، فنفت في عينيه، فوالله ما مرض بهما حتى مات، وزال الرمد وتلك الحمرة والتآكل نهائياً؛ بسبب ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبول الرسول شفى الله تعالى به أم أيمن، فقد قامت في الليل ظمأى تبحث عن الماء، ولم يكن في بيت الرسول كهرباء ولا غاز، فتلمست أم أيمن خادمة الرسول في الظلام، فوجدت قدحاً مملوءاً فشربته، وحمدت الله ونامت، ولما قام الرسول صلى الله عليه وسلم ليخرج البول من تحت سريره لم يجد البول، فسأل أم أيمن عن القدح الذي فيه البول، فقالت: شربته يا رسول الله! فقال: (صحة يا أم أيمن !).

ووالله ما مرضت ببطنها حتى ماتت.

وليس هذا فقط، بل ما نفت أو بصق أو تنخم أو تمخط رسول الله بين رجاله إلا لم تقع النخامة أو البصاق على الأرض أبداً، بل كانوا يتلقونه بأيديهم، ويمسحون به أجسادهم، فتصبح أطيب الطيب وأذكاه.

هذا رسول الله ومصطفاه.

فأعطى الراية علياً وقال: (امض ولا تلتفت).

فلم يستطع أن يلتفت إلى الرسول، فتأخر إلى الورايمشي برجليه؛ امتثالاً لأمره، وسأل الرسول: (علام أقاتلهم يا رسول الله؟! قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، أو يعطوا الجزية وهم صاغرون).

وهذا هو ما تمناه عبد الله بن عمر .

هذه الثانية.

والثالثة: [وآية النجوى] وهي هذه الآية.

وقد قلت لكم: ما طبقها إلا علي، فهو الذي وضع في يد فقير صدقة ودخل على الرسول، ولم يمر إلا يوم واحد أو يومان ونسخها الله.

فهذه ثلاث خصال لعلي، و ابن عمر على جلالته يقول: لو كانت لي واحدة فقط لكانت أحب إلي من حُمر النعم، وهي: أفضل المال وأزكاه وأطيبه، وهذه الثلاث هي: الأولى: زواجه بفاطمة، والثانية: راية خبير، والثالثة: آية النجوى.

سبب الأمر بتقديم الصدقة عند مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم

[الشرح] والآن هيا مع الشرح: [اعلم أيها القارئ الكريم!] وهذا القارئ الكريم هو كل من يعرف القراءة والكتابة، ويفهم إذا قرأ، فهذا يجب أن يكون عنده هذه النداءات.

ولا تقل: إني أوجب ما لم يوجبه الله؛ لأنني أقول: لا يجوز أن يناديك مولاك وأنت تؤمن بأنه ناداك ثم تعرض ولا تسمع؛ لأنه يناديك ليأمرك، وأنت لا تعرف ما يأمرك به، ويناديك لينهاك، وأنت لا تعرف ما ينهاك عنه، فأدباً لا يجوز الإعراض، وشرعاً الذي لا يلم بهذه النداءات فلن يعرف ثلاثة أرباع الشريعة، ولن يسمع بها؛ إذ هذه النداءات الإلهية التسعون ما تركت فريضة ولا واجباً، ولا أدباً ولا سياسة في الحرب أو في السلم، ولا اقتصاداً ولا غير ذلك إلا جاءت ونصت عليه.

والمسلمون مشغولون بالسياسات الشيطانية الإبليسية، الخارجة عن نور الله وشرعه، ولهذا هم هابطون إلى الحضيض.

فعلى هذا القارئ الكريم أن يعلم [أن هذا النداء الإلهي كان يحمل حكماً شرعياً، وهو أن من أراد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلو بالرسول صلى الله عليه وسلم ليناجيه سراً دون غيره] من الناس [ووجب عليه أن يتصدق بصدقة على فقير، ثم يفضل فيناجي الرسول صلى الله عليه وسلم بعدها] وهذا حكم الله [إلا أنهم لظروف الحرب والاحتياج الشديد ما أقدموا على هذا المطلوب، كما شعروا أن هذا كان من باب تأديبهم وتربيتهم؛ إذ رغبة كل واحد] منهم [في مناجاة الرسول] صلى الله عليه وسلم [تحقيقها أمر صعب، وأصعب منه ما يعانيه الرسول

صلى الله عليه وسلم من تعب ومضايقة [إذ الحرب والجهاد والدولة والقضاء والإفتاء وغير ذلك كلها مرتبطة به، ولن يستطيع القيام بكل هذا، ولولا الله لما قدر على شيء، فارحموه يا عباد الله! حكم مناجاة الرسول في قبره

إياكم أن تفهموا أنه بإمكانكم الآن أن تتاجوا الرسول، إلا إذا أرد أحد أن ينسلخ من دينه فإنه يفعل هذا، فالرسول قد انتهت وقت مناجاته، وليس هناك الآن إلا أن تطعه، وتسمع أمره ونهيه، وأن تتوسل إلى الله بحبه والإيمان به، وبفعل سنته ونصرة دينه وأوليائه. وأما أن تأتي إلى قبر الرسول وتقول: يا رسول الله! امرأتي بها كذا، وابني حصل له كذا، وأنا كذا فهذا باطل، وهو من الشرك.

ولولا حماية الله له برجال الهيئة لرأيت العجب. وهنا الآن امرأة تشتكي لي وتقول: إنهم يأتون بالرسائل وبالأشياء ويرمونها في حجرة الرسول. وهؤلاء بهاليل.

فهم يكتبون الكتب ويرمونها على شقوق الحجرة. والرسول قد بين لهم كل شيء، وما مات حتى بين كل شيء للأمة، ولم يترك شيئاً هي في حاجة إليه إلا بينه، و سلمان الفارسي يحلف بالله ويقول: (علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة). فأهل الطهر لأبد وأن يتعلموا، وأما أهل النجاسات والقاذورات فيبولون ويتغوطون وهم قيام، ولا يمسخون حتى برازهم، وأولئك أنجاس الخلق، وأما أهل الإيمان أولياء الرحمن الذين لا تفارقهم الملائكة فإنهم لا يسمحون بقطرة البول، ولا بأدنى وسخ؛ لأنهم أطهار، والله يحب الطاهرين. والرسول علمنا كيف ندخل المرحاض، وهو: أن نستعيز بالله من الخبث والخبائث والرجس النجس، وهو الشيطان الرجيم، ثم نقدم رجلنا اليسرى لا اليمنى، ثم إذا جلسنا لا نرفع ثيابنا حتى نجلس على الكرسي، وإذا جلسنا وتبولنا وتغوطنا فإننا نستنجي بالماء، أو بما هو منج ومطهر.

وهذه الآداب لن نجدها في قانون في فرنسا ولا إيطاليا، فهم والله لا يعرفونها. وعندما نعود إلى بيوت الله كهذه العودة ونتعلم الكتاب والحكمة فإننا نخرج ربانيين؛ نساء وأطفالاً ورجالاً، ولن يكون هناك خبث ولا ظلم، ولا شر ولا فساد، ولكن العدو غلطنا وكبلنا، وقيدنا بأنواع من الشيطنة العجيبة، ومنعنا من دخول المساجد، وحرماننا من الاجتماع على الكتاب والسنة، ونحن مددنا أعناقنا إليه. الطريق للعودة إلى الإيمان والعلم والمعرفة

رجال أوربا إذا دقت الساعة السادسة لم يبق عمل عندهم، بل تغلق المعامل والمصانع والمتاجر، ويذهبون بنسائهم وأطفالهم إلى المقاهي والملاهي، والمراقص والملاعب ودور السينما، ويسهرون إلى نصف الليل، والمسلمون أهل الكتاب والسنة هداة البشرية وقادة العالم وأولياء الله إذا دقت الساعة السادسة عليهم أن يذهبوا إلى بيوت الرب، وهي توجد في كل قرية وفي كل حي، ويحملون أطفالهم ونساءهم ويأتون بهم إلى المسجد، فتجلس النساء وراء الستارة، والأطفال دونهن، والفحول أمامهن، والمربي أمام الكل، ويتغنون بالكتاب والسنة، ويتعلمون الحكمة والهدى ساعة ونصف أو ساعتين، فيعودون وقد امتلأوا بحب الله ورسوله، ونور الإيمان والعلم والمعرفة، وقلوبهم متعلقة بالله، فلا شره ولا طمع ولا إسراف ولا غير ذلك، بل همهم أن يحبهم الله ويحبوه، وهؤلاء هم المؤمنون. ولكن صرفنا العدو؛ لنعيش على البغضاء والعداوة، والسب والشتم، والخيانات والحروب والثورات؛ لنعيش جهلة كالبهائم، لا نعرف الحق من الباطل، ولا الخير من الشر، ولا النافع من الضرر، ولا الصالح من الفاسد، وأكثرنا لا يعرف هذا.

وهذه المعرفة تأتي من كتاب الله المنزل، وتفسير رسول الله المبين، كما قال تعالى: وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل:44].

وعدونا أمريكا واليهود والنصارى والمجوس، فلا نبقي مذعنين لهم مطيعين، فنحن لسنا مسحورين، وهم لم يمنعوننا بالعصا، فليس هناك قرية في العالم الإسلامي منع أهلها من أن يجتمعوا في بيت الله حتى أيام روسيا وتحت وظلمها.

قال: [فلما كفوا عن طلب الخلوة بالرسول صلى الله عليه وسلم نسخ الله هذا الحكم، وأذن لهم في المناجاة عند الحاجة إليها، وبدون تقديم صدقة بين يدي المناجاة].
معنى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول ...)

إليكم شرحاً موجزاً لهذه الآية: قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المجادلة:12] فلنقل: لبيك اللهم لبيك! إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ [المجادلة:12]، أي: إذا أراد أحدكم أن يناجي رسول الله -أي: يتحدث معه سراً في أمر يتعلق بحياته، ويخلو به- فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ [المجادلة:12] هذه النجوى صَدَقَةً [المجادلة:12].

كأن تضع ريباً في يد مؤمن، أو درهماً في يد فقير، أو عرجوناً من التمر، أو شيئاً من الدقيق، ثم تدخل على الرسول وتتكلم معه بكلام خاص في بيته أو في حجرته إذا أردت هذا، فقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ [المجادلة:12]، أي: عزمتم على المناجاة فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ [المجادلة:12].

لا أن تقدمه أمس وتناجيه غداً، بل الآن، بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ [المجادلة:12]. وهذا لأن الله يريد أن يخفف عن رسوله، فقد كانوا لا يشعرون بهذا ولا يحسون به، بل كان كل واحد يريد أن يجلس مع الرسول، والرسول بشر، لا يستطيع أن يجلس مع كل واحد.

هذه آداب الله، ولا إله إلا الله! فهو يريد أن يعلمهم، فقال لهم: إذا أردتم المناجاة الخاصة والمسارة بالكلام مع رسولنا، وهو بشر واحد لا يستطيع أن يناجي كل واحد من أهل المدينة والضيوف وغيرهم فمن أراد منكم أن يختص بالرسول وحده ويتكلم معه دقيقة أو عشراً فليصدق أولاً، فلما نزلت هذه الآية وقفوا؛ لأنهم أولاً: في حالة حرب وفقر، فلا يستطيعون هذا، وثانياً: أن أكثر المناجاة كما نعرفها ليس لها ضرورة أو فائدة، بل المهم أن يجلس مع الرسول.

وهذا فيه أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يستطيع مناجاة كل أحد، وزمان اليوم واللييلة أربع وعشرين ساعة، فارحموا رسولكم صلى الله عليه وسلم، فلما نزلت الآية وقفوا، وفهموا المراد، فقال تعالى: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا [المجادلة:12] ما تتصدقون به فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [المجادلة:12].

ثم قال لهم تعالى: أَأَسْفَقْتُمْ [المجادلة:13]، أي: خفتم من الصدقة؟ وتقرأ (أسفقتم)؟ ثم قال تعالى: فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ [المجادلة:13].

ويكفي.
فإذا أردت أن تتكلم مع الرسول فتكلم، ولكن ارحم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهو لا يستطيع أن يخلو بكل واحد.

فنسخ عز وجل هذا الحكم.
وتقول الأخبار السليمة والصحيحة: أنه لم يحقق هذا ويعمل به قبل النسخ إلا علي رضي الله عنه؛ لأنه اضطر إلى أن يتكلم مع الرسول في مسألة سياسية لا بد منها، فقد كان جنرال حرب، فدفع الصدقة ودخل على الرسول وتكلم، ووقف الآخرون، ثم مر يوم واحد أو يومان ونسخ الله هذا الحكم بعد أن عرفوا سببه، وهو إذا لم يكن لك أمر ضروري فلا تكلف الرسول هذا، وليس كلما أردت أن تقول للرسول كلمة تخلو به؛ لأنه لا يمكن للرسول صلى الله عليه وسلم أن يتحمل هذا؛ إذ له أزواجه وسياسته وآدابه والوحي الذي يتلقاه، فلذلك لا يستطيع.
وينبغي أن يكون هذا مع المربين، مثل مربي القرية وشيخهم ومهذبهم ومعلمهم أيضاً، فهو لا يستطيع أن يخلو بكل واحد، ولا يتسع لهذا.

والذي أدبنا هذه الآداب هو الله ربنا، فقد قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ [المجادلة:12] لنفوسكم.

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا [المجادلة:12] ما تتصدقون به.
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَأَسْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ [المجادلة:12-13]؟ فقالوا: نعم، فقال: فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ [المجادلة:13] وعرفتكم أنكم تؤذون رسول الله بالمناجاة في كل لحظة وكل ساعة فالبدليل: فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ [المجادلة:13].

فإنكم تسمون وترتفعون وتسعدون وتكملون.

حث المسلمين على تطهير بيوتهم

(95%) من أهل البيت والسامعون يجتمعون على شاشة التلفاز والعاهرة ترقص وتغني، وهم يتضحكون، والعياذ بالله، وهذا ليس بيت مسلم، فليس في بيت المسلم فيديو ولا شاشة تلفاز يعرضان الشيء المجرم، أو الكافر وهو يرفع يديه ويتبجح بالكلام، أو الممثل، والمرأة تنظر إليه، وكذلك البنات والأولاد، فهذا والله ليس بيت مسلم. ولا تقولوا: يا شيخ! هذه مبالغة، وإياكم أن تفهموا أننا نكذب ونضل الناس في مجلس في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي في قلبه هذا المرض يخرج من المسجد، فهذا ليس محط الكذب والتضليل، بل هذا محط النور المحمدي.

وهذه الصديقة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر حب رسول الله صلى الله عليه وسلم - وتلك والله حجرتها، وفيها رسول الله وأبوها و عمر رضي الله عنهما- دخل عليها رسول الله في ساعة حق لها، وإذا بخرقعة من قماش لها منسوجة من صوف، فيها صورة إنسان، وكما تعرفون كانت النساء ينسجن بأيديهن، ويرسمن الصور، ولم يكن لهذه الصور ملامح ولا تقاطيع؛ لأنها في القماش، وسترت بها سهوة في الجدار وراء بعض أمتعتها، ولم يكن عندها صندوقاً ولا خزانة ولا دولاباً كما عندنا، (فلما دخل الحجرة وشاهد الصورة غضب وتمعر وجهه، وظهر الغضب على وجهه، فإذا بها تقول: أتوب إلى الله ورسوله، ماذا فعلت يا رسول الله؟! فيقول: أزيلني عني قرامك يا عائشة !)

أي: أبعديه عني؛ (فإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة). وإذا رحلت الملائكة وجبريل وميكائيل من بيتك يا عبد الله المسلم! حل محلهم الشياطين، وإذا حلت الشياطين في البيت دعوا إلى إثارة الغرائز والشهوات والأطماع والتكالب على الدنيا، هذا الذي يدعون إليه، فيصبح راتبك والله لا يكفيك، فتأخذ الرشوة وتكذب وتسرق؛ لأنك بحاجة إلى توفير حاجاتك، وراتبك لا يكفيك؛ لأن الشيطان يزين لك أنواع الطعام والشراب، واللباس واللهو والباطل. وإذا حلت الشياطين محل الملائكة فلا بد من أن تظهر رائحة العهر والكذب والإسراف، ويتحول البيت إلى بؤرة من بؤر الشياطين.

وهذا واقع من 95% من المسلمين. ونحن نريد أن يسموا ويكملوا ويرتفعوا، وأن لا يظهر فيهم خيانة ولا خداع، ولا كذب ولا ربا، ولا زنا ولا فجور، ولن يتم هذا والشياطين هي التي تؤانسهم وتجالسهم وتضحك معهم. فطهروا بيوتكم أيها الفحول! ولا تقولوا: لا نستطيع أن نفعل هذا، أو أن هذا رجعية وتخلف، مع أنكم تعلمون ما ينشره ويبثه الصحن الهوائي، حتى أصبح أهل البيت ينزو بعضهم على بعض كالحوانات، ويتعلمون ذلك مما تبثه هذه الصحن.

واليهود يخططون ويرسمون، ونحن كالبهائم نجري وراءهم، والشياطين تقودنا؛ لأننا أعرضنا عن كتاب الله، والله يقول: وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى [طه:124].

والذي يحشر أعمى لن يدخل الجنة والله، ولن يشم رائحتها، ولن يصل إليها وهو أعمى، بل يسقط في جهنم. ونحن نبكي ونبكيكم؛ رجاء أن يعفو الله عنا وعنكم.

فهيا نغير وضع حياتنا، فنحن لسنا يهوداً ولا نصارى، ولا بوذيين ولا مجوساً، ولا مشركين. بل نحن والحمد لله مؤمنون مسلمون، ونور الله بين أيدينا، فلا نضل ونعمى.

وألفت أنظار السامعين والسامعات إلى أن حكم تقديم الصدقة في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [المجادلة:12] منسوخ؛ لأنه كان أيام حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

تقوى الله عز وجل هي ما يحمل العبد على الخوف والخشية والرهبة التي تدفعه إلى أداء الفرائض وترك المحرمات، وتحمل العبد على المسابقة إلى الخيرات، والتنافس في الصالحات، وضد ذلك نسيان الله عز وجل بترك محابه وطاعاته، وإتيان ما يغضبه، فمصير من اتقى الله وذكره الجنة والرضوان، ومصير من عصى الله ونسيه النار والخسران.

سبب نداء الله تعالى لعباده المؤمنين دون غيرهم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمرتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

سبق أن درسنا سبعة وسبعين نداء، وهذه النداءات المنادي فيها الله جل جلاله، فهو خالقنا رازقنا، ومحيينا ومميتنا، وخالق كل شيء من هذه العوالم، وهو الله الذي له مائة اسم إلا اسماً واحداً، وهو الذي أنعم علينا بنعمة العقل والسمع والبصر بعد نعمة الحياة، ونحن لا نسمع نداءه عندما ينادينا والعياذ بالله، وهو لا ينادينا لحاجة له عندنا والعياذ بالله، فهو خالق كل شيء ومليكه، وهو إنما ينادينا لأننا أولياؤه المؤمنون به، المتقون له، وهو ينادينا لواحد من أربعة أمور: إما ليأمرنا بما فيه كمالنا وسعادتنا إن نحن أطعناه وفعلنا ما يأمرنا به، أو ينادينا لينهاينا عما يشقينا ويخسرنا إن نحن امتثلنا فاجتنبنا ما نهانا عنه، أو ينادينا ليبشرنا حتى يزداد إقبالنا على الصالحات وإبعادنا عن المفاسد، أو ينادينا ليحذرنا ولينذرنا؛ لنبقى بعيدين عما يدنس نفوسنا ويخبث أرواحنا، وليبعدنا عن الشقاء والخسران، أو ينادينا ليعلمنا ما نحن في حاجة إلى معرفته للعمل به.

ولا ينادينا لشيء آخر.

هذه هي خلاصة مناداته لنا.

وهو ينادينا نحن دون غيرنا؛ لأننا بإيماننا أحياء، والحي يسمع ويبصر ويعقل، ويأخذ ويعطي، ولا ينادي الميت؛ لأنه لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل، ولهذا نادانا بعنوان الإيمان فقال: يا أيها الذين آمنوا ! فأجيبوا: لبيك اللهم لبيك! فمر نفعل، وانه ننتهي، وبشر نفرح، وحذر نخاف، وهذا شأننا نحن أولياء الله.

ولا تشكوا في أنكم أولياء الله.

ولاية الله.. بين المعنى الشرعي الصحيح والمعنى الواقعي المنحرف

من مكر الماكرين وغش الغاشين وخداع المخادعين أنهم قالوا: من قال: أنا ولي الله يخشى أن يموت على سوء الخاتمة، ومعنى هذا أن يقول: عدو الله والعياذ بالله.

وقد بينا وجه المكر: وهو أنهم حصروا ولاية الله في الأموات.

ولو دخلت القاهرة المعزية قبل خمسين سنة، أو بغداد أو دمشق، أو مكة قبل دولة القرآن وقلت لأول من تلقاه في الطريق: يا سيد! أنا غريب الدار، جئت إلى هذه البلاد، فمن فضلك دلني على ولي من أولياء هذه المدينة أزوره، فإنه والله لا يأخذ بيدك إلا إلى ضريح، ولا يفهم أن القاهرة ذات المليون فيها ولي حي بين الناس، وجرب أن تدخل عاصمة كبيرة ذات المئات الآلاف واسأل أهلها أن يدلوك على ولي، فإنهم لا يدلونك إلا على ضريح، وقد فعلوا هذا

لأن المؤمن يعرف أن من أذى ولياً مرقه الله؛ إذ قال تعالى: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

ومن هنا، قالوا: الأولياء هم أصحاب الأضرحة والتوابيت والأزر الحريرية، والذين تذبح لهم الذبائح ويحلف بهم، وتقدم لهم النذور، وأما بقية أهل البلاد فكلهم أعداء الله، والسر في هذا حتى يسرق المؤمن أخاه، ويفجر بامرأته، ويفسد عليه ولده، ويأخذ ماله، ويسفك دمه، ويسبه ويشتمه، ولو علم أنه ولي الله لما استطاع أن يؤذيه، والذي فعل بنا هذا هو الثالث الأسود، والعدو الأكبر، المكون من المجوسية واليهودية والصليبية. فانظروا ما فعلوا بنا.

ولو كنا نعتقد أن أهل هذه البلاد أو أهل القرية كلهم أولياء لما وجد من يسب ولي الله، أو يسرق ماله، أو يؤذيه في أهله أبداً.

وأزيدكم برهاناً واقعياً: كنا في جماعة جالسين ونحن أطفال، وكنا نجلس مع الكبار في القرية، فقالوا: فلان إذا زنى لم يمر بسيدي فلان، بل يمشي من شارع آخر بعيد. فإذا زنى بمؤمنة وهتك عرض أخيه وفسق عن أمر ربه واركتب أكبر فاحشة فكل هذا لا بأس به، ولكنه لا يستطيع أن يمر بسيدي فلان الميت المقبور صاحب الضريح. وكان هذا هو مستوانا العلمي والفقهي.

بلغوا أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون، وهم ليسوا الأموات، بل الأحياء، وعلى ذلك نحترم كل مؤمن، ونجل كل مؤمن، ولا نؤذي أي مؤمن، ولو بكلمة نابية أو نظرة شذرة، فضلاً عن أن ننزي بابتته، أو نمزق عرضه، أو نأكل ماله، أو نهينه ونتكبر عليه؛ لأنه ولي الله.

فأولياء الله ليس سيدي عبد القادر فقط، واسمع بيان الهدى من كلام الله من سورة يونس عليه السلام، يقول تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62].

و(ألا) بمعنى: ألو، أي: اسمع وأنت حاضر بأحاسيسك إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ [يونس:62]. لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا يوم القيامة.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62].

فلا يخافون ولا يحزنون وهم أولياء الله، والله بيده كل شيء، وهو وليهم، وهؤلاء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [يونس:63-64].

وهذه الآية تساوي الدنيا بما فيها، ولا يحفظها من المؤمنين إلا واحد في الألف، فلنحفظ هذه الآية، وليس شرطاً أن نحفظ سورة يونس، فإذا سئلت عن أولياء الله فلا تقل: سيدي ابن عباس، أو سيدي فلان، وكل العوام لا يعرفون إلا الذين ماتوا، ومنهم من يقول: سيدي أبو حمارة، ويقولون: إنه ولي، وهذه القصة معروفة، وهو أن مسافراً مع أخيه مات حمارهما ودفنوه، ثم وقفا عنده، فجاء الجهال يزورونه، ويقدمون الريالات، فبنيا عليها قبة وعاشا هناك، وكان إذا أراد أحد أن يحلف قالوا له: احلف بسيدي أبو حمارة، أو: بحق سيدي أبو حمارة.

وهذا هو ما فعله بنا الثالث الأسود المجوس واليهود والصليبيين.

مكر أعداء الله بالمسلمين وتواطؤهم على ذلك

تعاون الثالث الأسود المجوس واليهود والصليبيين وتعانقوا على إطفاء نور الله، فأذلهم الله وأخزاهم، ثم نجحوا لما عرفوا مصدر قوتنا، وروح حياتنا، ونور هدايتنا، وهو القرآن، واسمعوا قول الله تعالى من سورة الشورى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا [الشورى:52].

وهو القرآن، فهو والله روح، من كفر به مات، فالقرآن روح، ولا تتم حياة إلا بالروح.

وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا [الشورى:52].

والماشي في الظلام لا يهتدي إلى حاجته، ولا يصل إلى بغيته، بل لا بد له من نور حتى يهتدي ويصل.

والقرآن روح ونور، وقد عرف هذا الثالث، وحاولوا واستطاعوا ونجحوا في أن يبعدوا الأمة الإسلامية عن الكتاب، فحولوا القرآن إلى الموتى، ونحن عندما نقرأ القرآن على الميت إنما نوبخه، فهو لن يقوم يصلي، ولن يقوم يعترف بالحقوق التي عليه.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأ القرآن على ميت، وقد ماتت بناته بين يديه ولم يقرأ عليهن القرآن، فالقرآن يقرأ على الأحياء، وليس على الأموات.

والدليل قول الله تعالى: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ [يس:69] أَيْ: القرآن إِلَّا ذَكَرَ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا [يس:69-70] وليس من كان ميتاً، وإنما لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا [يس:70].

ونحن قلنا: لا، فالأحياء تركناهم يغنون ويرقصون، ويعبثون ويفسقون، ولم ننذرهم، ولكن أنذرنا الموتى، مع أن الميت لما يقرأ عليه القرآن لا يقوم يصلي، ولا يؤدي الواجبات؛ لأنه قد مات وانتهى أمره، فتصدق عنه أو استغفر له أو ترحم عليه، لا أن تقرأ عليه القرآن وتحرمه الأحياء.

وهكذا نكرر هذه التنبيهات؛ رجاء أن تنتقل من ديار النبي إلى بلاد المسلمين، ولكن قل من يروي وينقل؛ لأنها ليس فيها ريالاً ولا درهماً.

وجوب تقوى الله عز وجل والتزود للآخرة ووجوب ذكر الله وحرمة نسيانه

هذا هو [النداء الثامن والسبعون] معاشر المستمعين والمستمعات! وفحواه وما احتوى عليه ومضمونه هو: أولاً: [في وجوب تقوى الله عز وجل] وثانياً: [والتزود للآخرة] وثالثاً: [وجوب ذكر الله] ورابعاً: [وحرمة نسيانه] أي: نسيان الله [لما يفضي إليه من الخسران والحرمان] فهو قد نادانا ليأمرنا بتقواه، وليأمرنا بالتزود للآخرة؛ لأننا مسافرون إليها، وليس هناك من يقول: لا، أنا لن أسافر أبداً إلى الآخرة. والمسافر يحتاج إلى زاد.

ونادانا أيضاً ليأمرنا بالتزود للآخرة، ووجوب ذكر الله، وحرمة نسيانه؛ لأن من نسي الله نسيه الله، ومن نسيه هلك وتمزق، ولم يبق له وجود أبداً.

وهذا النداء خطير وعظيم.

وهيا نتغنى به؛ علنا نحفظه أولاً.

قال: [الآيات (18 - 20) من سورة الحشر أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ [الحشر:18-20]] اللهم اجعلنا منهم.

فلنتغنى بهذا النداء في البيت وفي المسجد؛ لأنه يشرح الصدر، ويضيء البصيرة، ويزيد في طاقة الإيمان والنور.

فلنحفظ هذا، ولنفهم مراد الله منه، ولنحب نداء الله، ونعرف ما نادى الله من أجله.

وهذا النداء في سورة الحشر، وأولها قوله تعالى: سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [الحشر:1].

[الشرح: اذكر أيها القارئ الكريم! والمستمع [المستفيد! ونقول: المستمع المستفيد؛ لأنه ليس المسلمون كلهم يقرءون، فمن لا يقرأ يقول لمن يقرأ: اسمعني نداء من نداءات ربي، فقد ناداني ربي والله العظيم، فيقرأ عليه النداء ويتغنى به ويسمع، فإن فهم المطلوب شرع في العمل والتطبيق، وإن لم يفهم يقول: من فضلك بين لي ما يريد الله مولاي وسيدي مني.

هذا هو المستمع المستفيد.

ثمرة الطاعة والأعمال الصالحة وثمره الأعمال السيئة

قال: [إذ الطاعة لله والرسول تثمر زكاة نفس المطيع، إذ كل قول وعمل تعبدنا الله تعالى به فعله مستوفياً الشروط ينتج الحسنات التي بها تزكو النفس البشرية، وكما أن كل قول أو عمل نهانا الله عنه وأوجب علينا تركه إن نحن عصيناه وفعلناه خبث نفوسنا ولوثها، فتصبح في خبثها كأرواح الشياطين] والعياذ بالله [وقوله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحشر:18] فيه تشجيع على مراقبة الله تعالى، والصبر عليها، وهي تثمر حسب سنة الله تعالى الإسراع في الطاعة لله ولرسوله بفعل الصالحات وتجنب السيئات، وبذلك تطهر النفس وتزكو، وتصبح أهلاً لرضى الله تعالى ومجاورته في الملكوت الأعلى في الجنة دار المتقين].

جزاء من نسي الله عز وجل

قال: [وقوله تعالى في الآية الثانية من آيات هذا النداء العظيم: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [الحشر:19]] أي: الخارجون عن طاعة الله ورسوله [إنه من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين المتقين - وهم أولياؤه - نهاهم عما يضرهم ويسيء إليهم، ويعرضهم للشقاء والخسران، فقال لهم: وَلَا تَكُونُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! كَأَناسٍ تَرَكَوا الْعَمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، فَعَاقَبْتَهُمْ فَأَنْسَيْتَهُمْ أَنْفُسَهُمْ، فَلَمْ يَعْمَلُوا لَهَا لِتَرْكَو وَتُطَهَّرَ، وَتَتَأَهَّلَ لِحَبِي وَجَوَارِي فِي دَارِ كِرَامَتِي لِأَوْلِيَائِي.

وهذا النسيان قائم حسب سنة الله تعالى، إذ من نسي الله تعالى فلم يذكره ولم يطعه انغمس في الشهوات، وتوغل في الذنوب والمعاصي، ففسق بذلك، وأصبح في عداد الفاسقين، ومن ثم هو قد نسي نفسه، فلم يعمل على تركيتها و [لا على] تطهيرها؛ لأن زكاتها وطهارتها تكونان بعبادة الله [وحده] بفعل ما أمر به من العبادات، وترك ما نهى عنه من الذنوب والمعاصي [. لا يستوي أهل الطاعة وأهل المعصية

قال: [وقوله تعالى في ختام هذا النداء: لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ [الحشر:20]، فكما لا يستوي أهل الطاعة مع أهل المعصية، ولا أهل الاستقامة على منهج الحق وأهل الانحراف والفسق لا يستوي أيضاً أصحاب النار وأصحاب الجنة] فمستحيل أن يستويان، فواحد في النار تحرقه، وآخر في بستان ينعم بالظلال والفواكه، فهما لا يستويان [إذا أصحاب النار في شقاء وخسران، وأصحاب الجنة في سعادة ورضوان. أصحاب النار في الدرجات السفلى من عالم الشقاء، وأصحاب الجنة في الفراديس العلى]. ملخص ما اشتمل عليه هذا النداء

قال: [وإليك أيها القارئ!] والمستمع! [هذه الكلمات] الأخيرة [كمذكرة لك] فاتركها في نفسك حتى [لا تنسيك ما قرأت وفهمت، وهي: أولاً: وجوب تقوى الله تعالى بفعل محابه وترك مكارهه] ولا بد أن تعلم المحبوب، وأن تعلم المكروه، وهذا قد دل عليه هذا النداء، فقال تعالى: اتَّقُوا اللَّهَ [الحشر:18]. فاذا ذكر هذا.

[ثانياً: وجوب مراقبة الله تعالى حتى لا تغفل فتقع في المعصية] فالذي لا يراقب الله فإنه يغفل، وينغمس في بؤرة الفساد، ولا يستعصم ويستمسك إلا من يراقب الله دائماً وأبداً، فهذا لا تزل قدماءه، ولا يقع في المعصية، ولا يقع فيها إلا الذين ينسون الله، وكأنهم يعيشون وحدهم والله بعيد عنهم، وليس معهم، فهم الذين يقعون، وأما الذي يعرف أنه بين يدي الله فوالله إنه لا يستطيع أن يجاهر بمعصية. ولهذا قال: اتَّقُوا اللَّهَ [الحشر:18]، أي: راقبوه. وَلَتَنْتَظِرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ [الحشر:18].

[ثالثاً: التحذير من نسيان الله تعالى؛ فإنه يفضي بالعبد إلى الفسق، والعياذ بالله تعالى] ونسيان الله يكون بالقلب واللسان، والذاكرون يذكرون الله بقلوبهم وألسنتهم، ولا يوجد شخص يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ويجهر بها ويمد يده ليسرق، أو يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ويسب فلاناً ويشتمه.

فذكر الله أكبر حصن، من دخله أمن، ومن خرج منه وقع وتمزق وتلاشى، ووالله ما زنى زانٍ ولا سرق سارق ولا فجر فاجر ولا كذب كاذب إلا بعد النسيان، فعندما ينسى الله يقع.

والفسق هو الخروج عن طاعة الله ورسوله، فمن خرج عن الطاعة فسق، وهذا مأخوذ من فسقت الفأرة، أي: خرجت من جحرها، وتسمى الفويسقة؛ لأنها تخرج من جحرها وتطفئ علينا النار أو المصباح، فكل من خرج عن طاعة الله بترك واجب أو فعل حرام يقال فيه: قد فسق، وهو فاسق.

[رابعاً: خطب أبو بكر الصديق خطبة طويلة] في المؤمنين في هذا المسجد أيام خلافته [إليك منها هذه الكلمات] التالية: [قال رضي الله عنه: لا خير في قول لا يراد به وجه الله] فمن قال قولاً لا يريد به رضي الله ووجهه الله فلا خير في هذا القول.

ومعنى هذا: لا تقل أمراً ولا ناهياً ولا محدثاً ولا واعظاً ولا ناصحاً إلا وأنت تريد رضى الله، ولا تريد أن يشركك زيد، ولا أن يثني عليك عمرو، ولا أن تحصل منه على شيء، فانتبه، وكن عبد الله المخلص له [ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله] وإنما ينفق في سبيل الشيطان، وفي الزنا والجرائم والموبقات والإسراف والتبذير [ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه] أي: الذي يطغى فيه الجهل على الحلم، فيصبح الجهل أقوى من الحلم، فهذا لا فيه خير؛ لأن جهله يغلب حلمه، فيسب ويشتتم ويعير، وإذا غلب الحلم الجهل غطى الحلم الجهل بحسنه [ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم] لأنه لا يستطيع أن يقول: يا فلان! اتق الله، أو لا تعص الله؛ لأنه يخاف من فلان وفلان، ولا يستطيع أن يقول: يا فلان! افعل الخير واتق الله؛ لأنه يخاف أن يلوموه.

فلا تبالي بمن يلومك، بل مر بالمعروف، وانه عن المنكر بأداب وأخلاق، ولا تبالي إذا سبوك أو شتموك أو حرشوا عليك الحاكم، فلا تأخذك في الله لومة لائم، وكذلك قل بأدب وعلم ولطف وظرافة، ولا تبالي بمن ينتقدك ولا بمن يطعن فيك.

هذه كلمات الصديق [فاذكر هذا، وذكر به، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] .

وهذا النداء الجليل هو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ [الحشر: 18-20].

اللهم اجعلنا منهم.

طريق الخروج من المحن التي تحيط بالأمة

طريق الخروج من هذه المحنة واضح، وهو: أن نعود إلى الله في صدق، وليس بالإيمان الفاتر، ولا والبصيرة شبه عمياء.

وأقول: الطريق واضح ميسر، وافهموا وبلغوا وتحدثوا بهذه الأحاديث في قراكم ومدنكم، وبين رجالكم حاكمين ومحكومين، فالطريق إذا كنا مؤمنين أولياء الله نريد الملكوت الأعلى: أن يقول خطيب المسجد يوم الجمعة: من غد إن شاء الله يا رجال القرية! ويا أهل الحي! إذا دقت الساعة السادسة مساءً فيجب أن نوقف العمل، فنغلق الدكاكين والمقاهي، ونوقف آلات الصناعة، ويرمي الفلاحون المساحي من أيديهم، ويحملون أطفالهم ونساءهم إلى بيت الرب تبارك وتعالى، وبيت الرب هذا هو المسجد الذي تعرفونه حتى وإن كان من خشب أو حطب، ويتجه أهل القرية إليه زرافات ووحداناً، هذا معه أمه، وهذا معه زوجته، وهذا معه أطفاله، ويعودون إلى الله، ويجلسون بعد صلاة المغرب جلوسكم هذا، ويجلس لهم عالم بالكتاب والحكمة، ويعلمهم الكتاب والحكمة، نيابة عن رسول الله؛ فهو خليفة رسول الله؛ إذ كان رسول الله يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، أي: يطهر أرواحهم، وليلة يتغنون بأية، ويحفظونها ويفهمون مراد الله منها، ويعزمون العزم الأكيد على أن يمتثلوا الأمر، ويجتنبوا النهي، ويأخذوا بالنصيحة، ويعملوا بالتوجيه، وإذ صلوا العشاء عادوا إلى بيوتهم آمنين مطمئنين، فرحين منشرحي الصدور، وليس فيهم غريزة شهوة ولا طمع، ولا تكالب على الدنيا، بل مقتنعين برزقهم، ويدخلون بيوتهم، ويتناولون ما يسر الله لهم من طعام، وينامون ويستيقظون مع الفجر أو قبل الفجر ليشهدوا صلاة الصبح، وليس هناك حاجة لخروج النساء في هذا الوقت، فإذا صلوا الصبح انطلق الفلاح إلى المزرعة، والصانع إلى المصنع، والتاجر إلى المتجر، ويعملون في صدق.

فإذا جاءت الساعة السادسة توضحوا وتطهروا، وحملوا أسرهم إلى بيت الرب، ويحفظون حديثاً نبوياً، ويعملون بما فيه، وينوون ويقوون العزيمة على أن يطبقوا، ويتعلمون يوماً آية ويوماً حديثاً، فيأخذ النور ينتشر، ويأخذ الظلام ينقشع وينكمش، فيقل الهزؤ والباطل والسرقه والكبر، وشيئاً فشيئاً وفي سنة واحدة وإذا أهل القرية كلهم أولياء الله، والله لن تسمع أن منكراً قد ارتكب، وينتهي الشره والطمع، ويتوفر المال؛ لأن المال اليوم عند الأغنياء يبددونه في الشهوات، وفي البقلاوة والحلوى، وفي اللباس الذي ليسوا في حاجة إليه، ويزيد هذا المال، فينفقونه على إخوانهم والله العظيم.

هذا هو طريق العودة، وليس هناك طريق إلا هذا.

وهكذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا لم نستطع أن نفعل هذا، فلنرض بالخبت والشر، والظلم والفساد، والكبر والحسد، والعناد والشهوات التي خمت الدنيا وخبثت الكون.

ولا يمكن لنظام أو قانون غير هذا أن يهذب الأرواح ويزكي النفوس، ويعد الأمة لتنتظر إلى السماء، وتغفل عن الدنيا وما فيها؛ حتى تكمل وتسعد، وهذا والله ما كان ولن يكون، وقد جربنا الشيوعية والاشتراكية، والديمقراطية والباطنية، والخرافات اليهودية، ولم تنتج لنا شيئاً، وهيا نجرب هذا ليلة.

ولكن العلماء أموات.

ووالله لو كنت أنا في قرية وسمعت هذا الكلام لجربته في هذه القرية، ولدعوت أهل القرية وقبلت أيديهم حتى يجتمعوا معنا، ولكننا كأنما أخذت الحياة منا.

وهذا يا أيها الفطناء! ويا أيها الأذكىاء! لا يكلف أهل القرية شيئاً، فهم إذا اجتمعوا في بيت ربهم بنسائهم وأطفالهم لا يحرمون من المطر، ولا يصابون بالمرض، ولا تقل دنائيرهم ولا دراهمهم، ولا يكثر فيهم الفساد والشر، ووالله لا يحصل لهم إلا الخير والصفاء، والطهر والولاء، والأخوة والمحبة والتعاون، ولا يمكن والله أن يحصل إخاء وتعاون ومودة وحب من دون هذا الطريق، ومستحيل أن يحصل.

وإبراهيم عندما كان يبني الكعبة مع إسماعيل كانا يقولان كلمات طيبة سجلها الله لنا في كتابه: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ [البقرة: 129] مهمته يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ [البقرة: 129].

ونحن لسنا أعلم من إبراهيم بالنافع والصالح، وقد استجاب الله له، واقرأوا قوله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة: 2].

وقد نجح رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا.

وقد بدأ الإسلام بمحمد صلى الله عليه وسلم وخديجة و علي بن أبي طالب ومولاه زيد ، أي: بأربعة أنفار، وفي خمسة وعشرين سنة ازدهرت الدنيا بنور الله، وهو لم يبدأ بحزب ولا منظمة ولا جيش، وإنما بدأ برسول الله، وخديجة وهي امرأة حرة، و غلام صغير وهو علي بن أبي طالب ، وشيخ عظيم وهو أبو بكر الصديق ، وفي خمسة وعشرين سنة انتشر الإسلام في العالم.

ونحن اليوم أقل مدينة فيها خمسين ألف مؤمن، والقرية فيها خمسة آلاف مؤمن، وليس مؤمناً واحداً، ولن تزدهر القرية إلا بالحب والولاء، والصدق والوفاء، والطهر والكمال، والأخوة والمحبة والتعاون، وإذا دخلت القرية فإنك لا تسمع فيها إلا السب والشتم، والكبر والحسد، وهذا هو واقعنا؛ لأننا ما ربينا في حجور الصالحين، ولا جلسنا هذا المجلس خمس سنوات أو عشر سنوات نتلقى الكتاب والحكمة، ولا عرفنا هذا لا سمعنا به.

وبلغوا هذا معاشر المستمعين والمستمعات! وانقلوا هذه الأحاديث إلى ديارنا في الشرق والغرب.

الحث على التقوى وبيان معناها

على هذا القارئ الكريم والمستمع المستفيد أن يذكرنا [أن الله تعالى ينادي عباده المؤمنين لإيمانهم] أي: من أجل إيمانهم، ولو كانوا كفاراً لما ناداهم، ولم نسمع الله يقول: يا أيها الذين كفروا، والعياذ بالله؛ لأنهم أموات، ولذلك لا يناديهم، وإنما يقول للرسول: قل لهم، وبلغهم، ولا يقول الله: يا أيها الذين كفروا؛ لأن الله عليم حكيم، ولذلك لا ينادي أمواتاً.

ولذلك فهو ينادي المؤمنين فقط [إذ بالإيمان هم أحياء يسمعون النداء، ويجيبون المنادي، وها هو ذا تعالى يناديهم بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الحشر: 18]! أي: يا من آمنتم بالله ولقائه، والرسول وما جاء به، والكتاب الحكيم وما فيه اتَّقُوا اللَّهَ [الحشر: 18] فأمرهم بتقواه عز وجل] وهي ليست برنساء أو درعاً أو قميصاً [و] إنما تقوى الله التي أمر بها [هي خوف وخشية ورهبة تحمل صاحبها على أداء الفرائض وترك المحرمات] وتجعله يمثل الأمر ويجتنب النهي، ولا يمكننا أن نتق الله بغير ذلك، فنحن ضعفاء وهو القوي القدير.

والله لا يتقى بالحصون، ولا بالأسوار العالية، ولا بالسراديب تحت الأرض، ولا بالجيوش الجرارة؛ فهو فوقنا، وبيده كل شيء، وإنما نتقيه فقط بالخوف منه، والخشية له، والرهبة منه، ومتى وجد الخوف والخشية والرهبة استطعنا أن نطيعه ولا نعصيه، وبطاعته يتقى عذابه وغضبه وسخطه؛ لأن تقوى الله هي خوف وخشية يحملان العبد على أن يتمثل الأمر، فإذا قال الله له: صم صام، وإذا قال: صلّ صلى، وإذا قال: اسكت سكت.

هذه تقوى الله [كما هي] أي: التقوى [في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. كما تحمله على المسابقة إلى الخيرات، والتنافس في الصالحات] فهي ليست امتثال الأمر واجتناب النهي فقط، بل هي كذلك: تحمل صاحبها على أن يسابق في الخيرات، وينافس في الصالحات، فإذا كان هذا قد حج عاماً فقد حج غيره عشرين عاماً، وإذا كان هذا تصدق بمليون فهذا تصدق بألف مليون، وإذا كان هذا يصلي عشر ركعات فهذا يصلي خمسين ركعة، فخشية الله رهبته والخوف منه تحمل على فعل الواجبات وترك المحرمات وتحمل أيضاً على التنافس والمسابقة في الصالحات. ولهذا درجة الأولياء تتفاوت كما بين السماء والأرض. حث الإنسان على النظر فيما قدم

قال: [أمرهم بالتقوى، ثم أمر كل نفس على حدة أن تنظر فيما قدمت من الصالحات؛ لثواب عليها يوم القيامة بحسن الثواب، وتجزي بخير الجزاء، كما تنظر فيما قدمت من سوء وعمل غير صالح؛ لأنها تجزي به، والمراد من الغد يوم القيامة؛ إذ هو يوم الحساب والجزاء، مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [الأنعام: 160]] وقال في هذا النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ [الحشر: 18]، أي: ولتنظر كل نفس ما قدمته لغداً خيراً كان أو شراً. قال: [ثم كرر أمره السامي الحكيم بالتقوى، فقال: اتَّقُوا اللَّهَ [الحشر: 18]] فكرره مرتين في الآية، وكرره لأهميته، إذ لا سعادة ولا كمال في الدنيا ولا في الآخرة والله إلا بتقوى الله، فمن باب حبه لنا، ونصحه لأوليائه أنه أمر بالتقوى، وكرر الأمر إذ كمالهم وسعادتهم متوقفة على تقوى الله. ما يحقق تقوى الله عز وجل

قوله: اتَّقُوا اللَّهَ [الحشر: 18] [أي: خافوه وارهبوه، واتقوا عقابه بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم] ولا يستطيع مؤمن أو مؤمنة أن يتقي الله وهو لا يعرف أوامر الله ولا نواهيه، وأقسم بالله. فلا بد إذاً من أن نعرف أوامر الله ونواهيه من طريق كتابه ورسوله، ومن لا يقرأ ولا يكتب فليسأل أهل العلم، كما قال تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل: 43]. ولا يحل لمؤمن ولا لمؤمنة أن يعيش أحدهما زماً وهو لا يعرف ما أمر الله به من اعتقاد أو قول أو عمل أو صفة، أو أن يعيش زماً وهو لا يعرف ما نهى الله عنه من قول باطل أو قول سيء، أو من عمل فاسد، أو من صفة مذمومة عنده، ومعنى هذا: أن طلب العلم فريضة، فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يعيش أحدهما دهرأً ولا يوماً وهو لا يعرف أوامر الله ولا نواهيه؛ لأنه لا يمكنه أن يعبد، ولا أن يتقيه وهو لا يعرف ما أمره به، ولا ما نهاه عنه. ولن تستطيع والله أن تحقق ولاية الله وحبه لك وأنت لا تعرف ما يحب ولا ما يكره، وإنما حتى تعرف محابه فتحبها، وتعرف مساخطه فتسخطها وتكرهها، فهذا لا يوجد بين أولياء الله ولي ولا ولاية جاهل أبداً. وهذا هو الواقع.

فلا يمكنك أن تحقق ولاية الله وأنت لا تعرف ما يحب ولا ما يكره؛ لأنك قد تحب ما يكره، وحينئذ تكون قد عكست الأمر فيبغضك، وقد تكره ما يحب، فتعكس الأمر أيضاً فيبغضك، فلن تكون ولياً حتى تحب ما يحب، ولا تكره إلا ما يكره، والطريق إلى ذلك هو سؤال أهل العلم، كما قال تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل: 43]. فإذا كان العالم في قرية بني فلان فامش إليه على دابتك أو على بغلتك أو على رجلك، واقرع بابه في أدب، وقل له: يا شيخ! دلني على شيء يحبه ربي، فبدلك، ثم ارجع بعد أسبوع، وقل له: دلني على شيء يكرهه مولاي؛ حتى أكرهه، فبدلك، فتكرهه، ولا تزال تتعلم وتعمل حتى تتحقق ولاية الله لك. ولا تقل: ليس هناك حاجة إلى أن أركب على الدابة وأذهب لأسأل العالم، فهذا جابر بن عبد الله أحد رجالات الأنصار وشبيبتهم، وكان أبوه أحد شبيبة أحد، واسمه عبد الله بن حرام، فجابر بن عبد الله بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن فلاناً يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث، وكان فلان هذا في مدينة حمص بالشام، فأبى جابر إلا أن يركب راحلته من هذا المكان، ويسافر إلى حمص أربعين يوماً؛ ليسمع حديثاً واحداً. وهذه القصة صحيحة.

ووالله لو كان جابر مثلاً لما اجتمعنا هذه الليلة، ولا بلغ الإسلام ديارنا، ولا عرفنا الله.

فقد انتشر الإسلام في العالم في ظرف ربع قرن، في خمس وعشرين سنة، ووصل إلى ما وراء نهر السند ووصل إلى الأندلس، ولو كان أولئك الرجال مثلنا والله ما وصل، فنحن نجلس نسمع ونضحك، (50%) أو (70%) إذا اجتمعوا لا يبالون، ولا يفهمون، وسواء عندهم عملوا أم لم يعملوا، فهذا غير مهم عندهم.

مواالة أعداء الله ومحبتهم جرم عظيم ومعصية كبيرة، فلا يجوز لمؤمن بالله وبرسوله وبدين الإسلام أن يوادهم؛ لأنهم كفروا بالحق الذي جاء من عند الله، وحاربوا دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وآذوا المؤمنين بسبب إيمانهم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً. شمول نداءات الرحمن لكل نواحي الحياة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

هذه النداءات هي نداءات الله جل جلاله وعظم سلطانه التي وجهها إلى أوليائه، وهم المؤمنون المتقون، ووجهها إليهم رحمة بهم وشفقة عليهم، وحباً في رفعتهم وكمالهم، وقد أنزل مولا هم وسيدهم في كتابه هذه النداءات، وواجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يسمعها، وأن يعرف ما تحمله من هدى، وأن يعمل بهذا الهدى الذي تحمله، وبذلك يكمل ويسعد بعد أن ينجو من خيبة الدنيا وخزيها وعذاب الآخرة.

هذه النداءات تسعون نداءً من سورة البقرة إلى سورة التحريم، وهي موزعة في السور المدنية، وليس في السور المكية منها نداء؛ لأن الإيمان ظهر في المدينة.

وهذه النداءات التسعون اشتملت واحتوت على كل متطلبات الحياة من العقائد والعبادات، والآداب والأخلاق، والسياسة في الحرب والسلم والاقتصاد، وأهل القرآن عنها غافلون، وكأن شيئاً لم ينزل.

هجران المسلمين للقرآن

حسبنا أن نقول: إن المسلمين قد هجروا القرآن، وسوف يشكوهم رسول الله يوم القيامة إلى الله، ويقول: إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا [الفرقان:30].

فهم يقرءونه على الموتى، ويحرمون منه الأحياء، ولا يقرءونه عليهم.

ووالله إن الميت لا ينتفع بسماع القرآن، فهو لن يقوم يغتسل من الجنابة ويصلي، ولن يقوم معترفاً بحق فلان وفلان عليه ويسدد حقه، وقد صرخنا وبيننا بأن هذه حيلة من عدو الإسلام الثالث الأسود، المكون من المجوس واليهود والنصارى، فقد صرفوا المسلمين عن القرآن فماتوا، فهم لم يستطيعوا أن يمزقوا القرآن، ولا أن ينتزعوه من قلوب الحافظين له، ولذلك احتالوا علينا، وجعلونا نقرأه على الموتى.

وقد قلت غير ما مرة: لم يقل أحد لأخيه: يا فلان! تعال اقرأ عليّ شيئاً من القرآن، ولم يجلس أحد في المجلس وقال: يا فلان! نحن ننتظر صلاة العشاء، فتعال اقرأ عليّ شيئاً من القرآن؛ لأتدبره، فهذا لم يقع، وكذلك العمال الذين في المعمل يصنعون إذا جاءت ساعة الاستراحة لا يقول أحد لأخيه: أسمعني شيئاً من كلام الله؛ لأننا هجرناه، وسيشكونا رسول الله إلى الله، واقرأوا في سورة الفرقان: وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا [الفرقان:30].

وبعض الإخوان يقول: يقول الشيخ: القرآن لا يقرأ على الموتى، وأقول: إن علمت من طريق مالك أو أبي حنيفة أو الشافعي أو الصحابة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما توفيت ابنته أم كلثوم جلس بين يديها يقرأ عليها القرآن

فانكر علي، أو إن علمت أن أبا بكر الصديق أو عمر أو غيرهما أنه لما ماتت امرأة أحدهم أو ولده جمع القراء يقرءون عليه فقل: الشيخ ينكر.

فهذا لم يثبت في الكتاب ولا في السنة.

وقد قلنا: والله الذي لا إله غيره ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميت ولا ميتة، ولا وصى بهذا ولا أمر به، ولا عرفه أصحابه، فلا تبق أنت في شك وحيرة، وتنكر عدم قراءة القرآن على الموتى، وأقول: اقرأ على الأحياء؛ لتبصرهم، ولتنور قلوبهم، ولتعلمهم؛ حتى يفهمون ويعرفون الحياة ومعناها.

ولكننا ما زلنا هابطين.

الإسلام طريق واحد لا طرق متعددة

آخر يشتكي ويقول: يا شيخ: إن التجاني عندنا محترم مبجل، وأتباعه عندك في الدرس فانصحهم.

وأقول: إن التجانية والقادرية والرحمانية والعمرانية والعثمانية وهذه الطرق بدع، ورضي الله عن إخواننا من الجن، فقد قالوا: قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا [الجن: 1-4]. إلى أن قالوا: وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قِدْدًا [الجن: 11].

ونحن ما زلنا نحافظ على الطرق، مع أننا ليس لنا إلا طريق واحد، وهو: اللهم اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة: 6]. ولا نصلي ركعة إلا ونتملق الله ونحمده، ونثني عليه ونمجده بقول: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة: 5]، أي: لا نعبد إلا أنت، ولا نستعين إلا بك.

ثم نقول: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة: 6].

فهو صراط واحد.

والذين وضعوا هذه الطرق مزقوا الإسلام وشنتوه، ونحن ليس عندنا إلا منهج واحد، وهو قال الله وقال رسوله، فلا طرق ولا أحزاب ولا دويلات ولا مذاهب، بل نحن أمة واحدة، وقد عرف العدو هذا وحفظه وفهمه، فاستعبدنا واستعمرنا من اندونيسيا إلى موريتانيا قرناً كاملاً، وما زلنا سكارى لا نفقه.

الفلاح معلق بزكاة النفس والخسران معلق بخبثها

اسمع يا سامع! فقد صدر حكم الله، فقد قال: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: 9-10]. فكن ابن من شئت، وانتمي إلى أي قبيلة أو أي أمة شئت، فقد صدر حكم الله ولن ينقض، والله يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ [الرعد: 41].

فقد أقسم الجبار بأقسام عديدة على هذا الحكم الإلهي، فقد أفلح من زكى نفسه، وقد خاب وخسر من دسى نفسه خبثها ولوثها بما صب عليها من أطنان الذنوب والآثام.

وأكشف النقاب عن حالنا، فأقسم بالله أننا لو كنا متأهلين لننزل في الملكوت الأعلى وسمع أحدنا هذا الحكم أنه قد أفلح وفاز بالنجاة من النار ودخول الجنة من زكى نفسه، وقد خاب من دساها وكان أهل وعي وبصيرة لسأل عما يزكى به نفسه، وكيف يزكيها ما دام المصير هكذا، ولو قلت له: لا أستطيع أن أعلمك لقال: والله لن تغادر هذا المكان حتى تعلمني كيف أزكى نفسي؛ لأن مصيري موقوف على هذه التزكية، ومعرفة أدواتها، ومكان وجودها، وكيفية الحصول عليها، وكيفية استخدامها، ولذلك من الضروري أن أعرفها.

ولكان هذا حال العالم الإسلامي في الشرق والغرب.

وبالله الذي لا إله غيره أنه قد صدر حكم الله على الخليقة كما سمعتم، فلا تشكوا في حكم الله، فقد قال: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس: 9]، أي: طيبها وطهرها.

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: 10]، أي: خبثها ولوثها.

وهنا على الأدمي أن يقرر مصيره بنفسه، وقد وكل الله إليك ذلك، فإن زكيت نفسك فطابت وطهرت قبلت في الملكوت الأعلى مع أهل الطهر والصفاء، وإن خبثتها ولوثتها بأدران الشرك والمعاصي فلن ترفع إلى السماء، ولن تدخل دار السلام.

وقد صدر حكم الله في هذا، فاسمعوه: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا [الأعراف:40] ولم يزكوا أنفسهم، ولم يطيبوها، ولم يطهروها، ولم يستعملوا أدوات التطهير؛ لأنهم إما مكذبون بهذه الشريعة وإما مستكبرون غير مؤمنين بها، فهؤلاء لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ [الأعراف:40].

بل عندما (يعرج بالروح إلى السماء الأولى يستأذن لها فلا يؤذن لها).
وتكون رائحتها ممتنة كريهة كأرواح الشياطين، فيعودون بها إلى القبر في الأرض، ثم إلى عالم الشقاء في أسفل سافلين.

وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ [الأعراف:40]، أي: البعير في سَمِّ الْخِيَاطِ [الأعراف:40]، أي: في عين الإبرة.
ولا يقدر أحد أن يرد على الله.

ونحن حقاً ما عرفنا هذا، ولهذا نريد أن نكون أتباعاً للشيخ الفلاني وللطريقة الفلانية، وكل هذا هراء ولهو وباطل.
فاعرف كيف تركي نفسك يا عبد الله! ويا أمة الله! والآن إذا اكتفينا وسكتنا فلن يقول أحد: يا شيخ! والله لن تقوم من مقامك حتى تعلمنا وتعرفنا كيف نزكي أنفسنا، ما دام مصيرنا هكذا، وما الذي يدسيها؛ حتى نتجنبه.
ويمكن أن يقوم الآن أحد ممن وعوا هذا وعملوا، ولكنك إذا خطبت وتكلمت هكذا من إندونيسيا إلى المغرب وخرجت من الدرس فلن يأتيك أحد يقول لك: من فضلك يا شيخ! علمني كيف أزكي نفسي، إما لأنهم لم يفهموا، أو لأنهم غير مؤمنين بهذا، ولا موقنين بعالم السعادة وعالم الشقاء.

الطريق إلى تزكية النفس

الطريق لتزكية النفس هو ما سمعتموه: أن تجتمعوا في بيت ربكم في قراكم ومدنكم، وتطلبوا عالماً بالكتاب والسنة، فيجلس لكم كل ليلة، ويعلمكم في هدوء وطمأنينة ليلة آية وأخرى حديثاً، فيعلمكم قال الله وقال رسوله، والنفوس طيبة، والصدور منسرحة، وأنتم تعلمون وتعملون، ولن يمضي زمن إلا وأنتم كلكم أولياء الله، لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون.

ومن غير هذه الطريق فلن يتم شيء.

وقد قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ [الجمعة:2].

يعرفون لسانه ولغته يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة:2].

والكتاب: القرآن، والحكمة: السنة؛ لأن كلمات الرسول لا تخطئ، ولو اجتمعت البشرية كلها بفلاسفتها ورجال السياسة والقانون والهراء والباطل على أن ينقضوا كلمة واحدة من كلام رسول الله الصحيح فوالله إنهم لن يستطيعوا، ولن يقدرُوا.

ومثلاً: يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم) .

ولن يقدر علماء النفس في الدنيا أن ينقضوا هذا الحكم، ويقولون: بل قد يتشبه بالعاهرة ولن يكون عاهراً، أو يتشبه باليهودي ولن يكون يهودياً، أو يتشبه بالصالح ولن يكون صالحاً.

ولن يقدرُوا ولن يستطيعوا أن ينقضوا قاعدة وضعها رسول الله.

وقد فعل بنا الثالث اليهود والمجوس والنصارى ما فعل، ونحن ما زلنا مطأطئين رءوسنا، ولا نفكر في الخلاص ولا الخروج أبداً إلا بالثورات والانقلابات والتزلمات.

وليس هذا هو الطريق، بل هذا طريق زيادة الفتنة.

والطريق الصحيح: أن نؤمن، وأن نجتمع في بيوت الرب، ونرفع أيدينا إليه، ونستمطر رحماته، أن يبعث لنا من يوجهنا ويربينا.

ووالله إذا طرح أهل البلد بين يدي ربهم ما تركهم، ولأرسل إليهم من يعلمهم.

فعلهم فقط أن يجتمعوا في بيت الله طالبين هداة، يريدون أن يحبوه ويحبهم، ويتعرفون إليه حتى يعرفوه؛ حتى يكملوا ويسعدوا.

ولن نستطيع هذا إذا كانت الدكاكين والمقاهي والملاهي مفتوحة.

واليهود والنصارى إذا فرغوا من العمل ذهبوا إلى الترويح والترفيه على نفوسهم في السينما والمراقص والمقاصف.

ونحن لسنا هنا ولا هناك.

والعياذ بالله من حالنا.
فعلينا إذا فرغنا من العمل أن نذهب إلى بيوت الرب نستمطر رحماته، ونطلب هداه وإحسانه وبره، ونتعلم الهدى، ونتعلم الكتاب والحكمة؛ لنكمل ونسعد.
ولكنهم صرفونا وأبعدونا، وحالوا بيننا وبين ذلك، وأصبحنا إذا جاء العالم هذا يقول كذا، وهذا يقول كذا، ولا إله إلا الله! ولم نعد حتى نتفق على حكم واحد، ولا نقولوا: هذا الشيخ قد خرف، فقد قضينا أكثر من ستين سنة في هذه الدعوة، والله ما نقول إلا على علم وبصيرة.
فلا تفهم غير هذا.
ما تزكو به النفس أو تخبث

النفس البشرية كالنفس الجنية، وعالم الإنس وعالم الجن تعبدهم الله في الأرض.
والنفس تزكو بشيئين وأداتين وعقارين: الأول: الإيمان الصحيح، والثاني: العمل الصالح، فاطلب الإيمان والعمل الصالح، واستعمل ذلك في تزكية نفسك، فإنك والله لتزكون وتطيب وتطهر.
والذي يدسي النفس ويخبثها ويلوثها شيئان فقط: الشرك، والمعاصي وكبائر الذنوب، ولا شيء آخر غير هذا.
والشرك كالكفر لا فرق بينهما؛ إذ كلاهما التفات إلى غير الله، وكل ذنب أو كبيرة تقع على النفس فإنها تلطخها، وتجعلها منتنة سوداء، فإما أن يتوب ويمسحها ويغسلها، أو تتعفن النفس وتصبح لا تقبل الطهر ولا الصفاء.
فالنفس تزكو بالإيمان الصحيح الموافق لإيمان رسول الله والمؤمنين، وبالعمل الصالح الذي شرعه الله وبينه رسوله، وليس بالبدع والخرافات والضلالات والأوهام وما يحسنه الرجال، بل العبادة التي تنتج طهراً وزكاة للنفس ينبغي أن تكون مما شرعها الله في القرآن، أو على لسان رسوله، ثم يؤديها العبد كما أداها الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يزيد فيها ولا ينقص منها، ولا يقدمها ولا يؤخرها، ولا يوقعها في غير الموضع الذي شرع الله أن تقع فيه.
وهذا العلم يحتاج إلى أن يجتمع أهل القرية عليه في بيت ربهم بنسائهم ورجالهم وأطفالهم، وذلك كل ليلة، وفي تواضع وطمأنينة وصفاء ورغبة في الملكوت الأعلى، ويوماً بعد يوم وطول العمر، فنتعلم كيف نزكي أنفسنا، وكيف نبعدنا عما يدسيها، وأما أن نعيش في المقاهي والملاهي والأضاحيك والأباطيل والأغاني والمزامير والتهافت على الأكل والشرب وغير ذلك ثم نريد أن نسكن الملكوت الأعلى فهذا ضلال وخطأ وأوهام باطلة، وقد صدر حكم الله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس: 9-10].
ولن يعقب أحد على الله، كما أخبر بنفسه عن ذلك كما في سورة الرعد، إذا قال تعالى: وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ [الرعد: 41].

والمفروض أن يكون هذا حال أهل كل قرية من قرى العالم الإسلامي عرب وعجم، وأهل كل حي في أحياء المدن وطول العمر، فيتعلمون الهدى والعلم، ويزكون أنفسهم.
وبدون هذا لن نفلح، ولن نفوز إلا أن يشاء الله؛ لأننا جهلة لا نعرف كيف نزكي أنفسنا، وكيف نستعمل تلك الأدوات حتى تنتج الحسنات وتطهر النفوس، ولن يوحى إلينا بذلك، ولن يتردد علينا جبريل، فنحن لسنا أنبياء ورسلاً، والرسول يقول: (إنما العلم بالتعلم).
ويقول: (ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين).
وقد بعث الله جبريل ليعلمنا كيف نتعلم العلم عندما كان الرسول جالساً مع أمته في تلك الروضة والمسجد الطاهر، فدخل جبريل فجلس إلى رسول الله، ووضع يديه على فخذه، وأسند ركبتيه إلى ركبتيه؛ ليعلمنا كيف نتلقى العلم. ونحن أول ما نجتمع إذا بهذا متكئ، وهذا يتكلم، وهذا يضحك، وكأننا ما عرفنا الله ولا رسوله.
وهذه حالنا ألف مليون مسلم.
والعلماء والحكام نائمون وجاهلون؛ لأنهم لم يعرفوا.
وهذا الواقع شاهد.

ولذلك أدلنا الله، وسلط علينا بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، وحتى هولندا العجوز؛ ليرينا أننا فسقنا عن أمره، وخرجنا عن طاعته، وتحولنا عن ولايته إلى ولاية الشيطان عدوه، فأصبحنا كالمشركين، فهذا قادري، وهذا رحمانى، وهذا يدعو: يا سيدي عبد القادر! وهذا يا رسول الله! وهذا يا فاطمة! وأصبح الشرك واضحاً، فقد ذبحنا لهم الذبائح، ونذرنا لهم النذور.

ثم بعد ذلك انتشر فينا الزنا واللواط، والربا والخيانة، والسرقه والكذب، وخلف الوعد، والسب والشتم والتعيير، ولا إله إلا الله! فال حال المسلمين إلى الجهل والجهالة، وقد كان المسلم يعيش سبعين سنة لا يسب مؤمناً، ولا يعيره ولا يشتمه، ونحن نتكلم بدون علم، فلو حضرت مجلساً فإنك تسمع: هذا عميل .. هذا كذا .. هذا أمريكي.

ولا إله إلا الله! فلا إيمان، ولا بصيرة، ولا علم، ولن نكمل ونسمو ونسعد وقد هجرنا بيوت الله، وهجرنا كتاب الله. وخلاصة القول: ليس عندنا تجانية ولا رحمانية، ولا قدرية ولا عيساوية، ولا برهانية ولا غير ذلك، وكل هذه بدع محدثة، مزقت العالم الإسلامي، وليس عندنا أيضاً مذاهب، لا حنفي ولا شافعي، ولا مالكي حنبلي، ولا يحل أبداً أن نقول: أنا حنفي، بل قل: أنا مسلم، ولا تقل: أنا حنفي، ثم ترد سنة رسول الله وشرع الله بهذا التزمت والانتحال لهذه النحلة، بل قل: أنا مسلم، وأسلم قلبك ووجهك لله، فإذا بلغك أمر الله أو أمر رسوله فقل: على الرحب والسعة، وسمعاً وطاعة.

ولكنهم مزقونا وشتتونا وفرقونا، وما زلنا نائمين.

فمن أراد أن يزكي نفسه فليسال عن إيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان، ثم يسأل كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي، وكيف كان يغتسل، وكيف كان يصوم ويفطر، ويفعل كما كان يفعل، ويزكي نفسه، مع إبعادها عن الملوثات والمخبتات، من كلمة سوء إلى نظرة محرمة .. إلى كلام باطل .. إلى لقمة محرمة، وبذلك تبقى النفس في طهر وصفاء، فإذا دقت الساعة وجاء ملك الموت وأعوانه فإنهم والله ليحتفلون بهذه النفس في السماء، وتزف كما تزف العروس ليلة الزفاف، ويرحب بها أهل الملكوت الأعلى؛ طهرها وصفائها، وأما النفس الملوثة المخبئة والتي عليها أضرار الذنوب والآثام فلن يقبلها أحد.

حرمة اتخاذ الكفرة أحياء يودون وأولياء ينصرون، وأن من يفعل ذلك فقد ضل طريق السعادة والكمال

نداء اليوم نداء سياسي، وهو [النداء التاسع والسبعون] ومضمونه وفحواه والذي يحمله هو [في حرمة اتخاذ الكفرة أحياء يودون، وأولياء ينصرون، وأن من يفعل ذلك فقد ضل طريق السعادة والكمال] فهذا النداء خطير، والذي وجهه هو الله، وقد وجهه لعباده المؤمنين؛ ليعلمهم سبيل نجاتهم وطريق خلاصهم؛ حتى لا يخسروا دنياهم وأخراهم. وهذا النداء آياته طويلتان.

قال: [الآيتان (1 ، 2) من سورة الممتحنة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَتَفَقَّهْكُمْ يَكُونُوا كَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ [الممتحنة: 1-2]] وقد نزل هذا النداء بسبب حادثة حدثت أيام نزول هذه السورة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لما عزم النبي صلى الله عليه وسلم على غزو قريش وفتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة.

الأحكام التي اشتمل عليها هذا النداء

قال: [هذا وإليك] أيها القارئ والمستمع! [خلاصة ما دعا إليه هذا النداء الإلهي] العظيم [لتزداد معرفة وقوة على الطاعة والامتثال: أولاً: حرمة موالة الكافرين] أي: [بنصرتهم وتأيدهم، وموالاتهم دون المسلمين] فلا يحل للمسلمين أن يوالوا الكافرين بأن ينصروهم على المسلمين، أو أن يؤيدوهم ويحبوهم.

[ثانياً: عظم جرم] وجريمة [الذي ينقل أسرار المسلمين الحربية إلى أعدائهم الكافرين من يهود أو نصارى وغيرهم، وأنه على خطر عظيم وإن صلى وصام.

ثالثاً: بيان أن الكافرين لا يرحمون المؤمنين متى تمكنوا منهم؛ لأن قلوبهم عمياء، لا يعرفون معروفاً ولا منكراً؛ وذلك لظلمة الكفر في نفوسهم بعدم مراقبة الله تعالى؛ لأنهم لا يعرفونه، ولا يؤمنون بما عنده من نعيم لأوليائه، ولا بما لديه من نكال وعذاب لأعدائه.

رابعاً: بيان فضل أهل بدر رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

خامساً: مشروعية قبول عذر الصادقين الصالحين إذا عثر أحدهم اجتهداً منه فأخطأ.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين]. وإذا كان المؤمن صادقاً صالحاً وزلت قدمه واعتذر فينبغي أن يقبل عذره، فقد قيل النبي صلى الله عليه وسلم عذر حاطب ونزل به القرآن، ولما قال عمر : دعني أضرب عنقه قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (اسكت، إنه قد شهد بداراً).

ولم ينس له جهاده وما قدمه للإسلام. ثم إن حاطب صدق رسول الله، وأعلمه أنه ما فعل هذا نكايه بالرسول والمؤمنين، أو رغبة في نصرة الكافرين على المؤمنين، وأنه والله ما خطر هذا على باله، ولكن علم أنهم لن يستطيعوا أن يضروا رسول الله، أو ينتصروا عليه يقيناً، وأنه ما فعل هذا إلا ليتخذ منهم بعض الحماية لأقاربه؛ حيث لن يحميهم أحد، وليس معهم من يحميهم، بخلاف المهاجرين، فإن لهم أقرباء في البلد يحمون أهلهم، وهو لا يجد، فاتخذ هذا تقيّة لأهله. ونزل القرآن ليحذر كل المؤمنين والمؤمنات من هذا الموقف مرة أخرى. ونداءات الرحمن هذه لم تترك مجالاً للحياة إلا وبينته، ولكن المسلمين لم يقدرُوا هذه النداءات، ولن نسمع عما قريب أنها تدرس في الكليات، فإنهم والله لن يفعلوا، ولن يدرسوها في مساجد الأمة أبداً حتى تبصر؛ لأننا هبطنا بعد أن كنا هناك في علياء السماء، ثم نزلنا إلى الأرض. طريق النجاة

لن نعود إلى الطريق من جديد إلا بالإيمان، وأن نؤمن إيماناً حقيقياً، ونطرح بين يدي الله، ونبكي في بيوته، وأن يجتمع أهل القرية كلهم قبل أن يؤذن المغرب في بيت الرب ليكون، وكذلك أهل الحي في المدينة، بحيث إذا دخلت أية مدينة أو أي مسجد وجدت الناس بالمئات، ولا دنيا ولا هرج ولا طلب للمال، بل كلهم بين يدي الله، وإذا خرجوا إلى المسجد وعادوا إلى بيوتهم وناموا خرجوا الساعة السابعة ومعهم المساحي والأدوات وذهبوا إلى العمل، ويعملون طول النهار؛ ليحفظوا شرفهم ومكانتهم، ويتركوا العمل في هذه الساعة والنصف أو الساعتين من أجل تحقيق ولاية الرحمن لنا؛ لنصبح أولياءه، إذ لا تتحقق ولاية لجاهل الذي لا يعرف ما يحب الله ولا ما يكره، فهو لن يصبح ولياً لله وهو يعاكسه، فقد يكون الله يحب فلاناً وهو يكرهه، أو يكون الله يكره فلاناً وهو يحبه، أو يكون الله يكره الكلمة الفلانية وهو يقولها، أو يكون الله يحب الكلمة الفلانية وهو يحبها، ولهذا لن تتحقق له الولاية. وقد قال أهل العلم: ما اتخذ الله ولياً جاهلاً إلا علمه.

فإذا أَرَادَكَ الله ولياً له فإنه يرشدك إلى طلب العلم، ويقودك إلى أهله، ويجعلك تحفظ ما تسمع، وتعي ما يقال لك؛ حتى تصبح ولياً. وأما الجاهل الذي لا يعرف ما يحب الله ولا ما يكره فمستحيل أن يكون ولياً لله، بل يكون عدواً لله؛ لأنه يخالف ويعاكس الله، فقد يكون الله يحب كذا وهو يكرهه؛ لأنه لا يدري، أو يكون الله يكره كذا وهو يفرح به. ومن هنا لا سبيل إلى نجاتنا إلا بأن نكون على نور الله، كما قال تعالى: فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا [التغابن:8].

وأن نقرأ القرآن على الأحياء؛ ليزدادوا حياة.

وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

النهى عن موالاتة الكافرين وموالتهم وعاقبة من يفعل ذلك

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المتحنة:1] [أي: من صدقتم الله ورسوله لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَكُمْ [المتحنة:1]، أي: من الكفار والمشركين أَوْلِيَاءَ [المتحنة:1]، أي: أنصاراً، تَلْفُوزَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ [المتحنة:1]، أي: تصرفون إليهم مودتكم بدون تأمل في آثارها الضارة، والحال أنهم قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ [المتحنة:1]، الذي هو دين الإسلام بعقائده وشرائعه وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم. يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاهُمْ [المتحنة:1]، أي: من دياركم بالمضايقة لكم حتى هاجرتهم فارين بدينكم، أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ [المتحنة:1]، أي: من أجل أن آمنتم بربكم.

أمثال هؤلاء الكفرة الظلمة تتخذونهم أولياء، تلقون إليهم بالمودة؟ إنه لخطأ جسيم [كبير] وقوله تعالى: إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي [المتحنة:1] أي: إن كنتم خرجتم من دياركم مجاهدين في سبيلي، أي: لنصرة ديني ورسولي وأوليائي المؤمنين، وطلباً لرضاي فلا تتخذوا الكافرين أولياء من دوني، تلقون إليهم بالمودة. وقوله تعالى: تَسِيرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ [المتحنة:1]، أي: تخفون المودة إليهم بنقل أخبار الرسول السرية، والحال أنني أعلم [المتحنة:1]، أي: منكم ومن غيركم، بما أخفيتم وما أعلنتم [المتحنة:1].

وها أنذا قد أطلعت رسولي على رسالتكم المرفوعة إلى مشركي مكة، والتي تتضمن فضح سر رسولي في عزمه على غزوهم مفاجأة لهم؛ حتى يتمكن من فتح مكة بدون كثير إراقة دم وإزهاق أرواح.

وقوله تعالى: وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ [المتحنة:1] أي: الولاء والمودة للمشركين فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ [المتحنة:1]، أي: أخطأ وسط الطريق المأمون من الانحراف، يعني: جانب الإسلام الصحيح المفضي بالسالكين له السائرين فيه إلى سعادة الدنيا والآخرة معاً.

وقوله تعالى: إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ [المتحنة:2]، يريد تعالى أنهم أعداؤكم حقاً وصدقاً.

إِنْ يَتَّقَوْكُمْ [المتحنة:2] أي: يظفروا بكم متمكنين منكم يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً [المتحنة:2]، ولا يبالون بمودتكم إياهم [اليوم] وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ [المتحنة:2] بالضرب والقتل، وألسنتهم بالسب والشتم، وتمنوا كفركم لتعودوا إلى الشرك والكفر مثلهم [.

غزوة الأحزاب

تحزب الأحزاب، وجاءوا من كل باب، وطوقوا المدينة في السنة الخامسة في غزوة الأحزاب، وجاءوا من الشرق والغرب والشمال، وكان جبل سلع في الجنوب، وأرادوا تصفية الإسلام مرة واحدة، وحاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ورجاله في سفح الجبل - خمسة وعشرين ليلة، ولا تسأل عن الجوع والبرد في الشتاء، ولم يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم؛ لأن الله ناصر أوليائه، فحاصروا المسلمين خمسة وعشرين ليلة، ثم أرسل الله عليهم في الليلة الخامسة والعشرين ريحاً لم يعرفوها، فاقتلعت الخيام، وأكفأت القدور، وأخافتهم، فما كان من رجال الحرب فيهم إلا إعلان الرحيل، وأنه لا حاجة إلى بقائكم هنا، فرحلوا، ونال الرسول صلى الله عليه وسلم من الشقاء والتعب والجوع والألم ما لا تدركون، واقرأوا في ذلك من سورة الأحزاب قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا [الأحزاب:9-11].

إلى عدة آيات.

والشاهد هنا: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا).
صلح الحديبية

كان صلح الحديبية في السنة السادسة مباشرة، ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم في موقف لو يعرفه الشباب المتهورون من المسلمين اليوم لبكوا الدماء، فقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم بألف وأربعمائة مقاتل يريدون العمرة فقط، وفاوضوا قريشاً ومنعتهم، وقالت: لن تدخلوها، ولن يسمع العرب: أن محمداً انتصر علينا، وتمت مفاوضات صعبة، وبكى فيها عمر و علي والمؤمنون من البنود العظيمة، والرسول صابر ثابت كالجبل.

وكان ممثل قريش هو سهيل بن عمرو، ثم دخل في رحمة الله رضي الله عنه وأرضاه، ولما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم) وكان الكاتب علي بن أبي طالب صهر الرسول صلى الله عليه وسلم وابن عمه قال سهيل: لا، لا نعرف الرحمن الرحيم، اكتب: باسمك اللهم فقط، فاشترأت أعناق الصحابة إلى الرسول عندما تنازل عن اسم الله، وقال لرجاله: اسكتوا! أنا رسول الله، اكتب باسمك اللهم، وتنازل عن كلمة الرحمن الرحيم.

ثم قال: (اكتب: هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله).

فقال سهيل: لو عرفنا أنك رسول الله لما قاتلناك، اكتب: محمد بن عبد الله.

واستشاطت صدور الصحابة غيظاً، فقال رسول الله: اسكتوا، أنا رسول الله، وتنازل وكتبوا: محمد بن عبد الله؛ لأنه كان يهدف إلى تحقيق نصر لا حد له، وهو أن تتم هدنة عشر سنوات، بحيث يصبح المؤمنون يتنقلون من الشرق إلى الغرب في الجزيرة، وينشرون دعوة الله بين الناس، ومن أراد أن يأتي إلى المدينة وإلى المؤمنين فليتفضل، وإذا وقع الأمن مدة عشر سنوات تحقق نصر لا حد له، واطمأنت نفوس المؤمنين والمؤمنات المضطهدين المنكل بهم في كل مكان من الديار.

ونحن بمجرد ما نعرف قام زيد وقام عمرو قلنا: الحاكم كافر، ونقاتله، وندعو إلى الجهاد، فيغضب ذلك الحاكم، ويضع رجله على الصدور، ويقطع أنفاسهم، وتخبو الدعوة إلى الله. فكونوا بصراء عقلاء.

ولو أردنا أن نسلك مسالك الرشد بصدق لتحولت ديار الإسلام إلى أنوار، فلا سرقة ولا زنا، ولا فقر ولا خيانة ولا كذب، بل ربانية وصفاء ومودة ومحبة بين المؤمنين والمؤمنات.

والذي يريده هؤلاء فقط هو أن يطبقوا الإسلام بالحديد والنار، ولا يوجد المسلمون الذين يطبقون فيهم الإسلام، فليعملوا على إيجادهم أولاً، حتى إذا قلت: الله أكبر رددوها، وإذا قلت: اخرجوا من دياركم خرجوا، ويومها توجد الحكم الإسلامي، ونحن نستطيع اليوم أن نصلي ونذكر الله ونتعلم، ولكننا انتكسنا، فإذا بنا في وضع لا نحسد عليه، ولا إله إلا الله! وسبب هذا هو: الجهل والعمى، وعدم وجود البصيرة والنور والهداية، وعدم إقبالنا على الله في صدق أبدأ، ولا تلوมนา؛ لأننا ما ربينا في حجور الصالحين، ولذلك كل من يفهم فهماً يرى أنه علم بكل شيء، وكل من رأى رأياً ظن أنه لا رأي إلا هذا، وظللنا هكذا حتى احترقنا، وانطفأ نور الإيمان في مجالات كثيرة، وفي مدن وعوالم في بلاد المسلمين، وأصبح المسلم أذل من الشاة فيها.

وهذا لأنهم لم يدرسوا كتاب الله ولا عرفوه.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ...)

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم! أن هذه السورة المدنية] التي نزلت بالمدينة [قد نزلت لسبب، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب] فهي وإن نزلت في حادثة معينة فهي صالحة إلى يوم القيامة، فكلما حدثت حادثة كالأولى طبقت عليها هذه الآية، وانتفع بها أهل الإيمان والإسلام، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [وإليك ما رواه مسلم في سبب نزولها: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير و المقداد] ثلاثة رجال، وكان الواحد منهم بألف، فهؤلاء من أصحاب الألف، فإذا طلب قائد معركة ألفاً اكتفوا ببعث المقداد له، أو علي بن أبي طالب، أو الزبير رضي الله عنهم [وقال: (انتوا روضة خاخ - موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلاً-)] والروضة: أرض فيها بساتين أو أشجار وخضرة، وخاخ: مكان بينه وبين المدينة حوالي خمسة عشر كيلو [(فإن بها ضعيقة -أي: امرأة مسافرة- معها كتاب)] مكتوب [(فخذوه منها)].

فانطلقنا نهادي خيلنا، أي: نسرعها، فإذا نحن بامرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب [وكانت قد لفته في شعرها] فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لتلقين الثياب، (أي: من عليك) [أي: تنزعين ثيابك؛ لأن الكتاب عندك؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بهذا، ومستحيل أن يكذب] فأخرجته من عقاصها (أي: من صفائر شعر رأسها) [فقد أدخلت الكتاب في شعر رأسها، وظفرت عليه الشعر] فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا به [أي: الكتاب] من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم] وأنه عزم على غزوهم.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج في غفلة؛ حتى يفاجئهم فيضعوا السلاح، ولا تسيل دماء، ولا ترهق أرواح، وهذه سياسية عسكرية رشيدة.

ووقع حاطب رضي الله عنه في هذه الفتنة، ونجاه الله؛ لأنه كان صادق النية، طيب القلب، صادق الإيمان [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا حاطب! ما هذا؟)] [أي: ما هذا الكتاب والإعلان وإخبار المشركين؟] [فقال: لا تعجل علي يا رسول الله! إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، (أي: كان حليفاً لقريش)، ولم يكن قرشياً] بل من قبيلة أخرى [وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم] إذا غزوتهم [فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وإن كتابي لا يغني عنهم من الله شيئاً، وأن الله ناصر ك عليهم، فقال النبي صلى الله

عليه وسلم: (صدقت) [يا حاطب ! فكان تعليل حاطب أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المهاجرون لهم إخوان وأعمام يحمون أقاربهم هناك يوم المعركة، وهو ملصق بهم، فلن يحمي أحد أهله، وهو من جملة المهاجرين، وقد فعل هذا لأنه يعلم أن الله ناصر رسوله، وهازم المشركين، وأن أهل مكة لن يغني عنهم من الله شيئاً، فهو يعلم هذا عن عقيدة وصدق] فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله! أضرب عنق هذا المنافق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه شهد بدرأً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم).
فأنزل الله عز وجل قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الممتحنة:1]].

شرع الله للمؤمن إذا كان بين ظهري الكافرين أن يهاجر، والمرأة في هذا الأمر كالرجل، ولا يجوز إرجاع المؤمنة إلى زوجها الكافر، ولا حتى في ظل معاهدات الهدنة، وإنما يعاد إليه ما أنفق عليها من مهر، أما المرأة المرتدة عن الإسلام والمقيمة بين ظهري الكفار فلزوجها المسلم أن يأخذ منها ما أنفق عليها. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

معاشر المستمعين والمستمعات! درسناه بالأمس النداء التاسع والسبعين، ونعيد تلاوة ذلك النداء؛ رجاء أن نذكر ما قد علمنا ونسبنا منه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ [الممتحنة: 1-2].

وخلاصة هذا النداء في النقاط الخمس التالية: أولاً: حرمة موالاة الكافرين، فقد دل هذا النداء على أن موالاة الكافرين - بمعنى: حبهم ونصرتهم - محرمة، إذ قال تعالى: لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ [النساء: 144]. وقال في هذا النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ [الممتحنة: 1].

والولي هو الذي تحبه وتتصره، والعدو هو الذي تبغضه وتكرهه وتخذله. فهذا النداء دل على حرمة موالاة الكافرين، وذلك بنصرتهم وتأبيدهم وموالاتهم دون المسلمين، بل المسلمين يوالي بعضهم بعضاً، ويعادون أعداءهم من الكافرين.

ثانياً: عظم جرم الذي ينقل أسرار المسلمين الحربية إلى أعدائهم الكافرين من يهود أو نصارى أو مشركين وغيرهم، فلا يحل لمؤمن أن ينقل سر جيوش المسلمين إلى أعدائهم الكافرين.

ثالثاً: بيان أن الكافرين لا يرحمون المؤمنين، إذ قال تعالى: إِنْ يَتَّقَوْكُمْ [الممتحنة: 2]، أي: يتمكنوا منكم يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ [الممتحنة: 2] بالضرب، وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ [الممتحنة: 2] وبالسب والشتم.

والذي أخبر بهذا خالق القلوب والعقول، وغازز الغرائز وطابع النفوس، فهو الذي قال: إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ [الممتحنة: 2].

رابعاً: بيان فضل أهل بدر رضوان الله عليهم، وأنهم من أفضل المؤمنين؛ لأن حاطب بن أبي بلتعة الصحابي الجليل هو الذي تورط في هذه المحنة، وكانت نفسه طاهرة، وقلبه زكياً، وإنما ضعفه البشري حمله على أن يطلع المشركين على خروج الرسول صلى الله عليه وسلم لقتالهم في مكة.

وقد اعتذر، وقبل الرسول صلى الله عليه وسلم عذره، وقال عمر رضي الله عنه قال: دعني يا رسول الله! أضرب عنقه، فقال الرسول: (لا، وما يدريك يا عمر ! أن الله قد اطلع على أهل بدر وقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم!).

وهكذا ينبغي أن تقبل أعداء الصادقين منا، فقد يتأول أحدنا شيئاً، ويرى أنه الحق والخير، فيقع في خطأ، فلا يحملنا ذلك الخطأ على أن نمسح الكمالات التي له وفيه بينما من أجل خطأ ارتكبه، والله عفو كريم، ويحب العفو. فهذا فيه بيان فضل أهل بدر رضوان الله تعالى عليهم.

خامساً: مشروعية قبول عذر الصادقين الصالحين إذا عثر أحدهم اجتهداً منه فأخطأ، إذ حاطب بن أبي بلتعة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المهاجرين من إخوانه لهم أقرباء في مكة يدفعون عن أقربائهم ويحمونهم، وهو ليس عنده أحد؛ لأنه ليس بقرشي، بل هو مولى من أحلافهم فقط، فأراد أن يتخذ هذه اليد عند قریش حتى تحمي أقرباءه من أم أو زوج أو ولد في مكة، ثم الذي حملته على هذا يقينه أن المشركين لن يستطيعوا أبداً أن يهزموا رسول الله، وأن الله ناصرهم عليهم، فهو موقن أن النصر لرسول الله والمهاجرين والمجاهدين.

فاعتذر وقبل الرسول صلى الله عليه وسلم عذره؛ لأنه والله والذي لا إله غيره لا يرضى أن يمس رسول الله بأدنى مساس، ولا يرضى أن يهزم رسول الله والمؤمنون، فضلاً عن أن يقتل أو يصلب أو يحرق. بل كان موقناً بأن نصر الله لأوليائه، ولكن لضعفه البشري رأى أن يتخذ له يداً عند المشركين إذا حصل قتال؛ حتى يحمون أو يدفعون عن أسرته المنقطع عنهم.

وقوله تعالى في هذا النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ [المتحنة: 1] هذا لكل المسلمين إلى يوم القيامة، فإذا كنت ولي الله وهذا عدو الله فلا توالي عدو الله، وإلا كنت ضد الله، وليست وليه، وأنت وليك من يحبك وينصرك.

فلا يحب الله فلاناً وتكرهه أنت، وإلا لم تكن ولياً لله، ولا يكره الله فلاناً وتحبه، وإلا لم تكن ولياً لله كذلك؛ إذ الموالاة معناها: المحبة والنصرة.

وليت السامعين يعون هذه، فهم يتحدثون عن الولاء والبراء ولا يفهمون له معنى.

ونحن نسمع الله تعالى يقول: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [التوبة: 71].

وهذا خبر بمعنى: الإنشاء، أي: المؤمنون والمؤمنات يجب أن يجب بعضهم بعضاً، وأن ينصر بعضهم بعضاً، ويحرم بغض بعضهم لبعض، وخذلان بعضهم لبعض، بل وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [التوبة: 71]. ونقل أخبار المؤمنين إلى الكافرين هو ما يعرف بالجاسوسية وبالعيون، وهذا لا يمكن لمؤمن أن يقدم عليه. وإذا كنا نحن ننتهياً لأن نغزو أو لأن نجاهد العدو لم يسغ لأحدنا أن ينقل أخبار جيشنا وتنقلاتنا واستعداداتنا، فهذا لا يجوز.

ثم قال تعالى: تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ [المتحنة: 1].

وهم قد أخرجوا الرسول من مكة، وأخرجوا ألوف المهاجرين؛ من أجل أنهم آمنوا بالله ربهم، كما قال تعالى: أُنْ تَوَمَّنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ [المتحنة: 1].

بيان حكم المهاجرات من دار الكفر إلى دار الإيمان وكيفية معاملتهن مع أزواجهن

هذا هو [النداء الثمانين] وهو من سورة المتحنة أيضاً، ونص هذا النداء طويل، ومضمونه [في بيان حكم المهاجرات من دار الكفر إلى دار الإيمان، وكيفية معاملتهن مع أزواجهن] فلو جاءتنا الآن مؤمنة من بريطانيا هاربة، بعد أن أسلمت وزوجها كافر، وهربت منه إلى بلاد المسلمين فهذا النداء يبين كيف نعاملها، فيجب أن نتعلم كيف نعامل المهاجرات اللاتي هربن من دار الكفر إلى دار الإيمان.

وفيه أيضاً: بيان كيفية معاملتهن مع أزواجهن، فإذا كان زوجها كافراً في بريطانيا، وهاجرت هي إلى المدينة بعد أن آمنت، فقد بين هذا النداء كيف نعامل زوجها والحمد لله! ولنستمع إلى النداء ونتغنى به بعض الوقت.

[الآيتان (10، 11) من سورة المتحنة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآثُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِبَيْنِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ [المتحنة: 10-11] هذه قوانين السماء، وهذه شرائع الرحمن الرحيم.

إذا أسلمت الزوجة دون زوجها انفسخ نكاحها على أن يرجع له ما أنفقه عليها

قال: [وقوله تعالى: لَا هُنَّ حُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحُلُّونَ لَهُنَّ [المتحنة:10] وذلك لأن الإسلام فصم] وقطع [تلك العصمة التي كانت بين الزوج وزوجته؛ إذ حرم الله نكاح المشركات وإنكاح المشركين] أي: وتزويج المشركين بالمؤمنات] ولهذا لم يأذن الله تعالى في ردهن إلى أزواجهن الكافرين.

وقوله تعالى: وَأَتَوْهُم مَّا أَنْفَقُوا [المتحنة:10] أي: إذا جاء زوجها المشرك يطالب بها أعطوه ما أنفق عليها من مهر [وصادق] والذي يعطيه هو إمام المسلمين أو جماعة المسلمين [إذا لم يكن لهم إمام. وجماعة المسلمين تخطب الناس فيها اليوم، فمنهم من يقول: هم الإخوان المسلمين، ومنهم من يقول: هم كذا، وهم تائهون بعيدون، لم يعرفوا جماعة المسلمين.

وقد عرفها الشيخ وهو غلام حدث، وأنشأ جريدة من أجل المطالبة بوجود جماعة المسلمين أيام الاستعمار في ديار المسلمين، وكان الداعي لهذا: أننا عرفنا من كتب الفقه: أنه إذا مات إمام المسلمين، ولم يستطع المسلمون أن يبايعوا إماماً، وعجزوا واختلفوا، فيجب أن ينهض المسلمون بأعداء الدولة، ولا يحاربوا سلطاناً ولا ملكاً ولا حاكماً، وإنما فقط ينظمون أنفسهم باسم جماعة المسلمين، ويعلمون الجاهل، ويؤوون البعيد، وينصرون الذليل، ويطعمون الجائع، ويكسون العاري، ويعلمون الجاهل، ويهدون الضال.

وهذه لا وجود لها في العالم الإسلامي من ألف سنة، مع أن أهل القرية في أي مكان يجب أن تكون لهم جماعة المسلمين، بحيث لا يجوع أحد في القرية أبداً، ولا يظلم ولا يهان بينهم، ولا يبقى بينهم جاهل لا يعرف الله، وإذا وجد يأتون به إلى المسجد ويعلمونه.

ولكن هذا الفقه وهذا الفهم لم يعد يوجد اليوم.

والآن بلاد العالم الإسلامي يحكمون بلا شريعة، بل بشريعة الغاب، والله لو كانوا مسلمين بحق لما احتاجوا إلى هذا الحاكم ولا إلى هذه الحكومة، ولما تحاكموا عند محكمة تطبق قانون فرنسا وبريطانيا.

فأهل القرآن وأهل السنة الذين لهم إمام يصلي بهم، وواعظ يوجههم ويرشدهم لا يتحاكمون إلى سلطان الكفر، وإنما يتحاكمون إلى كتاب الله.

وقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء:59]، أي: جماعة المسلمين.

فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ [النساء:59]، أي: إلى كتابه، وَالرَّسُولِ [النساء:59]، أي: إلى سنته، ولا تبالوا بالحاكم كان كافراً أم مسلماً.

ولكن محنتنا الجهل، فنحن ما عرفنا الطريق.

شروط الزواج بالمرأة المهاجرة

قال: [وقوله تعالى: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ [المتحنة:10] أي: تتزوجوهن، إِذَا اتَّيَمُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ [المتحنة:10] أي: مهورهن مع باقي شروط النكاح، وهي: الولي، فإن لم يكن لها ولي [لأنها مهاجرة] فالقاضي وليها [فإن لم يكن قاض عندنا [أو ذو الرأي من عشيرتها إذا لم يوجد في البلد قاض شرعي، وانقضاء عدتها] أيضاً، فلا بد أن تنقضي عدتها، وقد عرفنا أنها تستبرأ من رحمها [إذا كانت مدخولاً بها] وأما إذا لم يدخل بها زوج فلا بأس.

حكم النكاح إذا أسلم الزوج دون الزوجة

قال: [وقوله تعالى: وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ [المتحنة:10] أي: إذا أسلم الرجل، وبقيت امرأته مشركة انقطعت عصمة الزوجية بينهما، وأصبحت لا تحل لزوجها الذي أسلم، وكذا إذا ارتدت امرأة مسلمة ولحقت بدار الكفر فإن العصمة قد انقطعت بينهما [أي: بينها وبين زوجها] ولا يحل إمساكها [لأنها كافرة وهو مسلم [وفائدة ذلك] أي: فائدة انتهاء العصمة: [أنها لو كان تحت الرجل نسوة [ثلاث مثلاً] له أن يزيد رابعة؛ لأن التي ارتدت أو التي كانت مشركة وأسلم وهي في عصمته لا تمنعه من أن يتزوج رابعة؛ لأن الإسلام قطع العصمة] ولم تعد زوجته.

وهذا مثل الذي تحته أربع نساء فلو ماتت زوجة منهن له أن يتزوج رابعة، ولكن لو طلق إحدى الأربع لم يحل له أن يتزوج حتى تنتهي عدتها، بل ما دامت هي في العدة فلا يتزوج أخرى، وإلا أصبحت خامسة وهذا حرام.

بل لا بد أن ينتظر انفصام العقد بانتهاء العدة.
ولو كفرت إحدى زوجاته وارتدت وتحتة أربع فله أن يتزوج؛ لأن الزواج انتهى.
وهي لا تشبه المطلقة؛ لأن العصمة انتهت بالردة [وذلك لقوله تعالى: وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ [الممتحنة:10].
والعصم جمع عصمة، والعصمة هي المانع من أن تتزوج المرأة زوجاً آخر، وهي في عصمة زوجها.
وقوله تعالى: وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ [الممتحنة:10] أي: اطلبوا من المرتدة ما أنفقتم عليها من مهر يؤدي لكم.
وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا [الممتحنة:10] أي: وليطلب - أي: المشركون- ما أنفقوا من مهر على أزواجهن اللاتي أسلمن
وهاجرن إليكم [وقد بينا أن هذا عدالة الله.
علم الله وحكمته اقتضيا حكمه الوارد في هذا النداء

قال: [وقوله تعالى: ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ [الممتحنة:10] أي: فاقبلوه وارضوا به؛ فإنه حكم عادل رحيم.
وقوله تعالى: وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الممتحنة:10] أي: عليم بخلقه وحاجاتهم، حكيم في قضائه عليهم، وتدبيره لهم، فليسلم
له الحكم وليرض به؛ فإنه قائم على أساس المصلحة للجميع].
حكم من رفض الكفار إعطائه ما أنفق على زوجته إن انفسخ نكاحهما بارتداد الزوجة

قال: [وقوله تعالى في هذا النداء الكريم: وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ
مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا [الممتحنة:11]، أي: وإن ذهب بعض نساءكم إلى الكفار مرتدات- والعياذ بالله- وطالبتم بالمهور فلم
يعطوكم، ثم غزوتهم وغنمتم فأعطوا من الغنيمة قبل قسمتها، أعطوا الذي ذهبت زوجته إلى دار الكفر، ولم يحصل
على تعويض، أعطوه مثل ما أنفق].
الحث على تقوى الله تعالى

قال: [وقوله تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ [الممتحنة:11] أي: خافوا عقابه، فأطيعوه في أمره ونهيه، ولا
تعصوه، وطبقوا هذه الأحكام التي بينها لكم في هذا النداء حرفياً؛ لما في ذلك من العدل والرحمة والخير الكثير].
ملخص ما اشتمل عليه هذا النداء من أحكام

قال: [واعلم أيها القارئ! ما يلي: أولاً: وجوب امتحان المهاجرة، فإن علم إسلامها فلا يحل إرجاعها إلى زوجها
الكافر [أبداً.
[ثانياً: حرمة نكاح المشركة] فالمشركة لا يحل نكاحها أبداً، بخلاف الكتابية من اليهود والنصارى.
[ثالثاً: لا يجوز الإبقاء على عصمة الزوجة المشركة.
رابعاً: من ذهبت زوجته ولم يرد عليه شيء ثم غزوتهم وغنمتم فأعطوه ما أنفق من مهر من الغنيمة قبل قسمتها، وإن
لم تكن غنيمة فجماعة المسلمين وإمامهم يعطونه] ويجمعون له.
[خامساً: وجوب تقواه تعالى بتطبيق شرعه، وإنفاذ أحكامه، والرضا بها.
وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].
امتحان المؤمنات المهاجرات بعد صلح الحديبية وعدم إرجاعهن إلى الكفار

قال: [فأنزل الله تعالى قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الممتحنة:10]! أي: يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً، وبمحمد نبياً ورسولاً،
وبالإسلام ديناً وشرعاً حكيماً، إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ [الممتحنة:10]، أي: من دار الكفر إلى دار الإسلام
فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ [الممتحنة:10]، أي: غلب على ظنكم أنهن مؤمنات فلا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ [الممتحنة:10].

وكيفية الامتحان: هي أن يقال لها: احلفي بالله - أي: قولي بالله الذي لا إله إلا هو- ما خرجت إلا رغبة في الإسلام،
لا بغضاً لزوجي، ولا عشقاً لرجل مسلم في هذه البلاد [وإنما فقط من أجل الإسلام.
سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ...)

كانت بنود الاتفاقية في الحديبية تشمل الرجال فقط، فكان من هرب من مكة من فحولها إلى المدينة يردده الرسول، ومن هرب من المدينة إلى مكة لم يردده المشركون للرسول، وأما النساء فلم يذكرن، ولم تشملهن الاتفاقية؛ لأنهن في العادة لا يهاجرن [وأثناء ذلك جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مهاجرة من مكة إلى المدينة] وكان أبوها من طغاة الكفار، وكانت هي مؤمنة، فجاءت مهاجرة [فلحق بها أخوها عمارة و الوليد ؛ ليرداها إلى قريش، فنزل هذا النداء الكريم، فلم يرددها عليهما النبي صلى الله عليه وسلم؛ لخلو هذا من مواد الاتفاقية - اتفاقية صلح الحديبية] فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرد أم كلثوم ؛ لأنها مسلمة جاءت مهاجرة، والبند يخص الرجال، وليس النساء، فلم يسمح لهما بأن يأخذوا أختهم، بل قال لهما: ارجعوا. صلح الحديبية

قال: [اعلّم أيها القارئ الكريم! أن لهذا النداء سبباً] في نزوله [نزل به، وهو أن ما تم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين من صلح في الحديبية في السنة السادسة] والحديبية على بعد عشرين كيلو من مكة غرباً في طريق جدة القديم.

وصلح الحديبية هو: أنه خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة في ألف وأربعمائة بطل يريدون العمرة فقط، أو يجسسون نبض المشركين لما انهزموا في غير ما موطن، ولكن المشركين ما إن بلغهم خروج الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أعدوا عدتهم، وجهزوا جيوشهم وقالوا: لن يدخلها أبداً إلا برضانا، ولن نسمح له أن يدخل بالقوة، مع أن الرسول لم يخرج لقتالهم، بل خرج للعمرة فقط، ومعه ألف وأربعمائة، وكلهم رضي الله عنهم إلا واحداً، فقد كان منافقاً واحداً، وكان يستتر بالناقة عند البيعة.

وهنا كلمة لو تبلغ لأولئك الغافلين المخدوعين المغرر بهم المضللين، الذين يكفرون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلعنونهم، وهي: أن الله جل جلاله أخبر عن رضاه عن المبايعين تحت الشجرة في الحديبية، وأقرأ قوله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا [الفتح:18-19].

وكان هؤلاء ألفاً وأربعمائة صحابي، وكان على رأسهم أبو بكر و عمر و عثمان و علي وغيرهم. والمضلل بهم يلعنوهم ويكفرونهم، والله قد أخبر أنه رضي عنهم، وهم يقولون: كفروا، وكأنهم يقولون: إن الله لا يعرف؛ لأنه أخبر أمس أنه رضي عنهم، ولم يدر أنهم سيكفرون به.

والذي يعتقد هذا والله ما بقي له حظ في الإسلام، بل لقد كفر؛ لأنه ينسب إلى الله الجهل وعدم العلم، وأنه بالأمس أنزل قرآناً أعلن رضاه عنهم، ولم يدر أنه إذا مات نبيهم ارتدوا وكفروا، ويصف الله الذي علم الأشياء قبل خلقها ووجودها بهذا.

وأنا أعلم أنه يوجد هنا من هؤلاء المخدوعين المغرر والمضلل بهم، وأنهم يعتقدون أن أبا بكر و عمر كفرا وارتدا، وأنهم يلعنونهما.

وهؤلاء والله موجودون.

وأقول لهؤلاء: إن الله جل جلاله في سورة الفتح أخبر بما يلي: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ [الفتح:18] التي تمت عندها البيعة.

وذلك لما أعلنت قريش الحرب على الرسول، فبايعه رجاله على أن يقاتلوا تحت الشجرة.

فإنه عز وجل أعلن عن رضاه عنهم، وهل الله لم يكن يدري أنهم بعد سنتين أو ثلاث سيرتدون؟! ومن اعتقد هذا فإنه ينسب الله إلى الجهل.

ولكن الذين أوجدوا هذا هم أصحاب المبدأ المجوسي، ولو فهم أتباعهم هذا لصعقوا على الأرض بيبكون، ولتابوا إلى الله، وانضموا إلى جماعة المسلمين.

ولكن هذا شأن المغرر بهم المخدوعين.

وفي الحديبية تم الصلح بين رسول الله والمؤمنين من جهة والمشركين في مكة من جهة أخرى.

وقد ذكرنا لكم بعض بنود الصلح التي يحار لها العقل.

فقد [جاء من بين مواده] وكان من جملة بنوده: [أن من جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم] من المسلمين هارباً [من مكة] من سطوة الكفار وظلمهم [إلى المدينة من الرجال] وجاء إلى الرسول هارباً وهو مؤمن [رده]

الرسول [إلى مكة، ولو كان مسلماً مهاجراً فاراً بدينه] ورضي الرسول بهذا؛ لأنه يريد صلحاً يفتح الله به على المسلمين.

وقد تنازل عن أكثر من هذا، فقد تنازل عن كلمة رسول الله لما قالوا: لا نقبلها، فأسقطها، وقال: (اكتب: محمد بن عبد الله).

وهذه السياسة لم يعرفها ساسة المسلمين، ولن يعرفوها؛ لأنهم والله لم يدرسوا هذا الكلام ولا عرفوه، وإنما تخرجوا من جامعات بريطانيا وروسيا، وهم لم يجلسوا هذا المجلس والله، ولم يوقفوا بأنه مجلس رباني، ينفعهم في الدنيا والآخرة أبداً.

ونترك أمرهم لله.

فالرسول تنازل عن كلمة الرحمن الرحيم؛ لما سيتحقق بعدها من سعة الدعوة وانتشارها، وقبول الناس لها والدخول فيها.

وكان من جملة ما في هذه الاتفاقية أو هذا الصلح: [ومن جاء المشركين من المدينة لم يردوه إليه صلى الله عليه وسلم] فإذا هرب مؤمن من المدينة إلى المشركين نصره وأووه وتركوه عندهم، ولم يردوه إلى الرسول، وإذا هرب آخر مؤمن من مكة إلى المدينة رده، وقد جاءوا بالفعل فقالوا لهم: عودوا إلى بلادكم؛ لأن الاتفاقية اقتضت هذا، فكانوا يبيكون، ولم يكن يسع الرسول إلا الوفاء بالعهد، ولم يكن ينقضها كاليهود.

معنى قوله تعالى: (وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار ...)

قال تعالى: وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا [الممتحنة: 11].

فإذا كانت زوجاتنا عند الكفار ولم يسمحوا لهن بالهجرة ولم نستطع إخراجهن من بينهم، أو إذا رضيت زوجاتنا بالكفر وطالبناهم بأن يردوا علينا ما أنفقنا، فقالوا: لا نعترف لكم بشيء فهنا نغزوهم، فإذا نحن غزوناهم ونصرنا الله عليهم وغنمنا الغنائم فقبل أن نقسم الغنائم نعطي لأهل الزوجات ما أنفقوا على زوجاتهم أولاً.

ولا إله إلا الله! فلو أن الكفار منعونا وأبوا أن يعطونا ما أنفقنا على أزواجنا اللاتي بقين عندهم فقد ظلموا وتجبروا، فنغزوهم بسم الله، فإذا غزوناهم وانتصرنا وجننا بالغنائم فأولاً: نعطي إخواننا الذين زوجاتهم هناك إذا كانوا قد أنفقوا عليهم ولم يرد عليهم شيء، فنعطيه من هذه الغنيمة أولاً، ثم نقسم الغنيمة بعد ذلك.

والذي علمنا هذا هو الله، واسمع الله يقول: وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَقَبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا [الممتحنة: 11].

فإذا أنفقوا ألفاً فأعطوهم ألفاً، وإذا أنفقوا مائة فأعطوهم مائة.

ثم يقول تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ [الممتحنة: 11]، أي: اتقوه في إنفاذ أحكامه وامتنال أوامره؛ لأنه العليم الحكيم كما عرفتم.

[الشرح] والآن نستمع إلى الشرح؛ ليزيدنا وضوحاً لهذه الأحكام الشرعية، ولا تقولوا: هذا من حق القضاة وطلاب الكليات الذين يدرسون، فهذا ليس صحيحاً، بل على المؤمنين والمؤمنات أن يسمعوا ويفهموا؛ حتى يستقر العلم في أذهانهم.

معنى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ...)

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ [الممتحنة: 10] أي: من بلاد الكفر إلى بلادكم أيها المؤمنون! فَأَمْتَحِنُوهُنَّ [الممتحنة: 10]، أي: اختبروهن.

اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ [الممتحنة: 10]، أي: بعد الامتحان.

فإذا علمنا بعد الامتحان أن فلانة هاجرت من بلجيكا وفرنسا إلى بلاد الإيمان بعد أن آمنت، وحلفت بالله الذي لا إله غيره أنها ما هاجرت من بلادها وجاءت إلينا إلا لإيمانها بالله ورسوله فقط، وأنها لم تجئ لعشقها فلاناً ورغبتها في تزوجه، ولا خوفاً من فلان وفلان أن يضربوها، وإنما جاءت فقط إيماناً بالله ولقائه، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ [الممتحنة: 10].

ولو أنت جيوش أمريكا كاملة تطالب بهذه المرأة التي أسلمت فلا نسلمها، كما قال تعالى: فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ [الممتحنة: 10].

ولو كانت كافرة وزوجها كافراً فهما متلائمان، ولكن لو أسلمت فقد انقطعت عصمة النكاح، فلا تحل مؤمنة لكافر أبداً، ولا يحل كافر لمؤمنة.

وهذا حكم الله، فتأملوا، فقد قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ [الممتحنة:10]، أي: اختبروهن هل حقاً هن مؤمنات أم جئن لغرض آخر؟ الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن [الممتحنة:10]، أي: تردوهن أبداً إلى الكفار لا هنَّ حلٌ لهنَّ ولا هنَّ يحلُّونَ لهنَّ وأتوهنَّ ما أنفقوا [الممتحنة:10].

فإذا جاء زوجها البريطاني وقال: أنا تزوجتها بألف جنيه فنعطيه ماله، أو قال: أنفقت عليها خمسة آلاف جنيه استرليني، فيرد له المال، وتدفعه الدولة أو المسلمين، وتبقى المؤمنة بيننا.

وهذا هو التضامن والتكافل، وهذه عدالة الله، فقد قال: وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا [الممتحنة:10]. فإذا كان قد أنفق على هذه الزوجة عشرة آلاف أو عشرين ألفاً ثم أسلمت وخرجت من عصمته والتحقت بدار المؤمنين فلا يحرم هذا الكافر أبداً من نفقاته، بل ردوا عليه ما أنفق.

ولا تقوى البشرية إلى أن تصل إلى هذا المستوى من العدالة. ثم قال تعالى: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ [الممتحنة:10].

فإذا امتحنا هذه البريطانية التي هاجرت ووجدناها مؤمنة، وجاء زوجها يشتكي ويطلب ما أنفق عليها فيجب أن نعطيه، ثم بعد ذلك يجوز نكاحها، ولا تبقى هكذا صعلوكة بيننا، كما قال تعالى: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ [الممتحنة:10].

وهو المهر، فهو واجب، فتزوجها إن آتيتها مهرها؛ لقوله تعالى: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ [الممتحنة:10]، أي: تنزوجهن.

ولا يتزوجها من أول يوم تأتي فيه، وليس عليها عدة، ولكن تنتظر وتستبرئ بحیضة واحدة؛ لنعلم هل في بطنها جنين من ذلك الكافر أو لا، فإذا حاضت وطهرت فتزوجها يا عبد الله! ولا حرج، وإن تبين أن في رحمها جنيناً فحينئذ لا بد وأن ننتظر حتى تلد، ولا نسقي بمائنا زرع غيرنا كما قال أستاذ الحكمة صلى الله عليه وسلم، وعندما تلد فحينئذ تنزوجها، ويكون الولد تابعاً لأمه فقط وليس لأبيه، ويتربى في حجر أمه وزوج أمه؛ حتى ينشأ عبداً صالحاً يعبد الله، ويتهيأ لدخول الجنة.

وسبحان الله! فهذه نعم الله وشرائعه التي جهلها المسلمون، ولم يعرفوها، وابتعدوا عنها.

وأیما مؤمنة تعرف العربية وتجلس في درس كهذا فإنها تصبح عليمه بهذه الأحكام التي يعجز عنها البشر. فإذا نحن أعطينا زوج المرأة التي أسلمت وبقي هو كافر عشرة آلاف جنيه الآن فنعطيه مهرها وتنزوجها، ولا نقول: لقد أعطينا زوجها، ولذلك لن نعطيها هي أيضاً، فهذا كلام السوق والغاريت، وليس كلام أولياء الله؛ لأننا أعطينا زوجها إنقاذاً لها؛ لنُدفع زوجها عنها، وهي الآن مؤمنة حرة بيننا، فمن أراد أن يتزوجها فلا بد وأن يؤتيها مهرها.

ثم قال: وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ [الممتحنة:10]. والكوافر جمع كافرة، فإذا أسلم الرجل مثلاً وجاء المدينة وامرأته كافرة في بريطانيا فإنها لا تبقى امرأته، بل تنفصم العصمة بينهما.

فلو دخل هو في الإسلام وبقيت هي كافرة على كفرها فإنها لا تحل له، كما قال تعالى: وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ [الممتحنة:10].

ثم قال تعالى: وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ [الممتحنة:10].

وسبحان الله! فإذا أسلم فلان وجاء مهاجراً من بريطانيا، وبقيت زوجته كافرة فإنها لا تبقى زوجة له، وعليه أن يقول لأهلها: ردوا علينا ما أنفقنا؛ لأن ابنتكم أبت أن تسلم؛ وهذا لقوله تعالى: وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ [الممتحنة:10].

كما يعطى هو عندما يطالب بالنفقة إذا أسلمت هي، وبقي هو على كفره.

وكل هذا ليبقى الإيمان والإسلام في مرتبتهما الطاهرة السامية.

ثم قال تعالى: وَلَيْسَ أَلَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ [الممتحنة:10].

فهذا ليس حكم الشيخ ولا الملك، ولا السلطان ولا الوزير، بل هذا حكم الله.

يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ [الممتحنة:10].

فأقبلوا وأذعنوا له واستسلموا.

ثم قال تعالى: وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الممتحنة:10].
ولو كان جاهلاً لم نقبل حكمه، ولو كان يتخبط وليس عنده حكمة لم نرضى بحكمه، ولكن الذي حكم بهذا عليم حكيم، فلا نرد حكمه، بل نرد حكم المخلوق؛ لأنه قد يكون جاهلاً، أو قد يكون أحمقاً، أو لا حكمة له في تصرفاته.
ولكن إذا صدر الحكم من العليم الحكيم فلا يرد حكمه؛ لأنه عليم حكيم.
والله يقول: ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ [الممتحنة:10]، أي: بين المؤمنين.
فكونوا مع المؤمنين، وليس مع الكافرين.
وقوله: وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الممتحنة:10]: أي فلا يرد حكمه إذاً، ولا يطعن فيه ولا ينتقد، بل يجب التسليم له؛ لأنه لم يصدر عن جاهل أو عن حيران أو عن أحمق، وإنما صدر عن عليم حكيم، فتطمئن النفوس تماماً وتطيب.

اليهود هم أعدى أعداء الله عز وجل، فهم قتلة الأنبياء، وهم من دأبوا على نقض العهود والمواثيق، والتحايل على أوامر الشريعة، حتى إنه لم يدخل منهم في الإسلام إلا العدد القليل على مدى سنوات الدعوة الإسلامية، لذلك فقد حذر الله عباده المؤمنين من التشبه باليهود، الذين لن يدخلوا الجنة ولن يجدوا ريحها، بل انقطع رجائهم فيها كما انقطع رجاء الكفار من أصحاب القبور.

ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.

آمين.

نحن اليوم مع النداء الحادي والثمانين من النداءات التسعين، وهذا النداء هو آخر نداء من سورة الممتحنة، وقد اشتملت هذه السورة على ثلاثة نداءات، فلنسترجع ما قد درسناه منها وعلّمناه فيها.

النداء الأول: وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ [الممتحنة:1] ... الآيات.

وقد علّمنا أن الله تعالى حرم علينا نحن أولياءه- أن نتخذ الكافرين أولياء نحبههم وننصرهم، فعلى كل مؤمن ومؤمنة أن يعلم أن الله تعالى -هو ربنا وولينا- قد حرم علينا أن نتخذ الكافرين أولياء، بمعنى: حرم علينا حبهم ونصرتهم، فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يحب كافراً أو كافرة، أو أن ينصره على المسلمين.

النداء الثاني: في بيان حكم المهاجرات من دار الكفر إلى دار الإيمان، وكيفية معاملتهن مع أزواجهن.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ [الممتحنة:10] ... الآية.

فإذا جاءت امرأة كافرة قد هربت بدينها من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام وقالت: إني مسلمة فاقبلوني في دياركم، وانصروني بنصرة الإسلام، وأحبوني بحب الإيمان فقد أرشدنا الله تعالى إلى أن نمتحنها ونختبرها؛ لنتأكد من صحة إيمانها أو عدمه، فنستحلفها بالله بأن تقول: بالله الذي لا إله غيره أنها أتت مهاجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإيمان، وأنها ما جاءت هنا من أجل أنها عشقت رجلاً فأرادت أن تتزوجه، ولا جاءت لغرض من الأغراض الدنيوية، وأنها والله ما جاءت إلا فارة بدينها؛ إذ لا يحل لها المقام بين ظهرائي الكافرين؛ لأنهم يمنعونها من أن تعبد ربها وأن توحده.

إذا امتحنت المرأة المهاجرة ونجحت في صحة إيمانها ودخولها في الإسلام فيجب علينا أن نؤويها وننصرها، وإذا جاء زوجها يطالب بها فلا يحل لنا أن نردها إليه أبداً؛ لأن الإسلام فصم وقطع تلك الصلة التي كانت بينهما.

ولكن إذا طالب الزوج بما أنفق عليها من مهر أو صداق وجب علينا أن ندفع ذلك، وأن نرد عليه ما أنفق على هذه الزوجة؛ إذ هذا حق من حقوقه.

فقد قال تعالى في هذا النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ [الممتحنة:10].

فلا تحل المؤمنة للكافر أن يتزوجها، ولا أن يبقى معها زوجاً لها، فقد تمزقت تلك العصمة بالإسلام، ولا يحل له هو أيضاً إذا أسلم أن يبقى مع زوجته إذا لم تسلم؛ لقوله تعالى: لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ [الممتحنة:10].

والكتابية سواء كانت يهودية أو نصرانية ليست كالمشركة والكافرة؛ لأن الله تعالى أذن لنا في نكاح الكتابيات، ولم يأذن لنا في حب أهل الكتاب أو نصرتهم، ولكن أذن لنا في الزواج منهم.

ومن هنا لو جاءت كتابية مهاجرة فلا نردها أبداً إلى بلاد الكفر، ولو جاء زوجها يطالب بها فلا نردها عليه، بل نعطيه مهره الذي أمهرها إياه كالمشركة في هذه الحال يجوز لنا أن نتزوج هذه المرأة المهاجرة قطعاً ما دامت قد أسلمت، بل ويجوز الزواج بها ولو لم تسلم إذا لم تكن مشركة، وإذا كانت كتابية فالزواج بها من باب أولى، وأما المشركة إذا أصرت على شركها وبقيت على كفرها فلا يحل نكاحها؛ لقوله تعالى: لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا وَآتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ [الممتحنة:10].

فلا جناح علينا أن ننكح تلك المرأة المهاجرة إن نحن أعطيناها مهرها. هنا مشكلة، وهي: إذا هربت منا امرأة إلى دار الكفر وطالبنا بالمهر الذي دفعناه فرفضوا، وقالوا: لن نعطيكم، والحل هو: أننا إذا غزوناهم وغنمنا منهم غنائم فقبل أن نقسم الغنيمة نعطي للذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا؛ لأنهم أنفقوا على زوجات ولم يرجعن إليهم، وبقيت في دار الكفر.

فكما نرد على الكافر المهر فيجب أن يردوا علينا المهر، فإذا سلموا بهذا الحكم وأعطوا قبلنا، وإذا رفضوا وغزوناهم وغنمنا فحينئذ ينبغي قبل قسمة الغنائم أن نعطي للذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا.

وإذا لم نغز ولم نغنم فعلى إمام المسلمين أن يدفع المهور لأولئك الأزواج الذين ذهبوا أزواجهم، فإن عجز إمام المسلمين فعلى جماعة المسلمين أن يجمعوا المال، ويدفعون مهور من فقدوا نساءهم.

وهذا النداء هو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ [الممتحنة:10].

ولا بد من الامتحان، فانه لن ينزل آية في أنهن مؤمنات، بل كل الأمر في الامتحان.

فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ [الممتحنة:10].

كما رفض الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرد أم كلثوم لأخويها في مكة.

وعلى تعالى لعدم الإرجاع بقوله: لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا [الممتحنة:10].

فلا هي حلال للكافر، ولا الكافر حلال للمؤمنة؛ لأنه مشرك وهي موحدة.

وقوله تعالى: وَآتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا [الممتحنة:10]، أي: أعطوا لأولئك الكفار ما أنفقوا على أزواجهم اللاتي أسلمن وهاجرن.

وهذا هو العدل والحق.

وقوله تعالى: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ [الممتحنة:10]، أي: لا حرج ولا إثم علينا أن نتزوج هذه المهاجرة إذا نحن أعطيناها مهرها، وهو مهر مثيلاتها بعدل وإنصاف، ولا نقل: هذه مهاجرة نتزوجها بدون مهر، بل لا بد أن تمهر مهر مثلهما؛ إذ قال تعالى: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ [الممتحنة:10]، أي: تتزوجوهن، إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ [الممتحنة:10].

قال تعالى: وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ [الممتحنة:10] أي: إذا بقيت المرأة كافرة في دار الكفر وأسلم زوجها وهاجر لم تبق العصمة موجودة؛ لأن الإسلام يحل عقدة النكاح.

فلو أن المرأة بقيت على الكفر في بريطانيا وأسلم زوجها وجاء إلى المدينة لم يبق بينهما زوج، بل إنه ينحل بمجرد أن يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

ولو أسلمت المرأة قبل انقضاء العدة عادت إليه، ولكن إذا انتهت العدة وأسلمت فإنها تعود إليه بنكاح جديد.

وقوله تعالى: وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلَا مَا أَنْفَقُوا [الممتحنة:10]، أي: اطلبوا مهور أزواجكم من الكفار، وهم أيضاً يطلبون مهور أزواجهم منا إذا أسلمن وهاجرن إلينا.

وهناك تتجلى عدالة الله عز وجل بين عباده، فكون الزوج كافراً فإن هذا لا يحرمة مالاً دفعه.

قال تعالى: وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [النساء:26].

فسلموا لقضائه ولحكمه؛ لأنه حكم عليم يضع كل شيء في موضعه، فلهذا يجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يسلم لحكم الله؛ لأنه حكم غير جائر وغير حائد؛ لأن الحاكم عليم بأسرار الكون وخلق، وعلیم بالظواهر والبواطن، وهو حكيم يضع الشيء في موضعه.

فلهذا إذا صدر حكم عليك في كتاب الله أو في سنة الرسول فافرح، ولينشر صدرك، ولتطمئن نفسك؛ لأنه حكم عادل مبني على علم الله وحكمته، ولو كان الله غير عليم أو غير حكيم لارتاب الناس واضطربوا. وهذا الحكم ليس فيه جور، ولا غير ملائم، بل ما دام الله عليمًا حكيمًا فيجب أن تنشر صدور المؤمنين إذا حكم عليهم بحكم.

وقد قال تعالى في سورة النساء: فَلَا وَرَبِّكَ [النساء: 65] يا رسولنا! لَا يُؤْمِنُونَ [النساء: 65]، ولا يصبحون من المؤمنين بحق حَتَّى يُحْكَمُوا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ [النساء: 65]، ولا ضيق ولا تملل. وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء: 65].

ولهذا إذا رفعت القضية إلى المحكمة الشرعية وحكم القاضي أنه يجب عليك كذا؛ لأن الله يقول كذا أو الرسول يقول كذا فيجب عليك أن ينشر صدرك وتطيب نفسك، وأنت هنا ترضى بحكم الله لا بحكم القاضي، فالقاضي نفذ فقط. فلتنشر صدورنا وتطيب نفوسنا، لأن الحاكم القاضي عليم حكيم، فلا تخف أن هناك جهلاً سبب حكماً غير ملائم أو غير موافق، أو أن هناك عدم بصيرة أو عدم وعي أو غير ذلك، ولا يقع في نفسك ذلك ما دام الحاكم هو الله، والله عليم حكيم، فلنشر بحكم الله.

ومن أراد أن يختبر إيمانه فليفضل يرفع قضية إلى المحكمة، فإذا صدر الحكم بقال الله وقال رسوله فليشر صدره، ولا يشتم القاضي ويسبه كما يفعل الجهال، فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحْكَمُوا [النساء: 65]، أي: يا رسولنا! فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا [النساء: 65]، أي: ضيقاً مما حكمت به، وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء: 65]. بلا نزاع ولا نقد ولا طعن.

وآخر هذا النداء قوله تعالى: وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ [الممتحنة: 11] أو بقيت زوجة فلان في بلاد الكفر فَعَاقَبْتُمْ [الممتحنة: 11] فغنتم فأتوا الذين ذهب أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا [الممتحنة: 11]، أي: القدر الذي أنفقوه على زوجاتهم قبل فرارهن وهروبهن إلى ديار الكفر، وأعطوهم مثلاً أنفقوا قسمة الغنيمة. فإن لم يكن غزو ولا غنيمة فعلى إمام المسلمين أن يدفع هذا من بيت المال، فإن لم يكن فيها فعلى جماعة المسلمين أن يجمعوا المال ويعطونه للمؤمنين الذين ذهب أَرْوَاجُهُمْ عنهم. هذه تعاليم الله عز وجل. حرمة موالاة اليهود

هذا هو النداء الأخير من السورة، وهو [النداء الحادي والثمانون] وهذا النداء مضمونه وفحواه وما يدعو إليه هو [في حرمة موالاة اليهود] بصورة خاصة، وقد سبق نداء في حرمة موالاة الكافرين المشركين، وهذا في حرمة موالاة أهل الكتاب من يهود ونصارى.

وهذا النداء في آية واحدة، فهيا نتغنى به: قال: [الآية (13) من سورة الممتحنة أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ [الممتحنة: 13]] والكافر لا يرجو أن يخرج ميتة من القبر ويعود، فهو إذا دفن أباه أو أخاه أو امرأته لا يرجو أن يعود إليه ويخرج من القبر، بل إنه يئأس من هذا يأساً كاملاً، واليهود قد يئسوا من دخول الجنة يئس الكافر من عودة أخيه من القبر؛ وذلك لأن اليهود يعرفون أنهم قد حاربوا الله ورسوله وأوليائه، وأنهم قتلوا أنبياءه وقتلوا رسله، وفعلوا ما فعلوا، فأيسوا من أن يدخلوا الجنة، وهم على علم بهذا.

ونحن عندنا علم بأن الله قد غضب عليهم، فنحن نقرأ في كل ركعة: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ [الفاتحة: 7].

والمغضوب عليهم هنا هم اليهود والله، وقد غضب الله عليهم لأنهم عاكسوه، فهم يكرهون ما يحب، ويحبون ما يكره، فالله يحب المؤمنين والمؤمنات وهم يكرهونهم، ويكره تعالى الظلم والاعتداء والغش والخديعة والربا وهم يحبون ذلك، ويدعون إليه وينشرونه إلى الآن.

ومن عاكس الله يوماً بعد يوم يغضب عليه، وإذا غضب عليه لعنه وأئسسه من رحمته.

معنى قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ...)

قال: [والآن مع النداء الإلهي الذي درسناه إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المتحنة:13]! أي: يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [المتحنة:13]، أي: لا تتولواهم بالنصرة والمودة] والحب [نهاهم الرب تبارك وتعالى عن موالاة اليهود بصورة خاصة؛ إذ هم الذين غضب الله عليهم، وعلة غضب الله تعالى عليهم هي أنهم عرفوا الحق وأعرضوا عنه، وعرفوا ما حرم الله تعالى وفعلوه، وعرفوا الهدى وتركوه، واتبعوا الضلال والتزموه، فهذه بعض موجبات غضب الله تعالى عليهم. وقوله تعالى: قَدْ يَيْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ [المتحنة:13] أي: من السعادة فيها بدخول الجنة بعد النجاة من النار. ويأسهم سببه ما عرفوه من التوراة والإنجيل من قضاء الله وحكمه فيهم وفي أمثالهم ممن عرفوا الحق وأعرضوا عنه، وعرفوا محاب الله وكرهوها، وعرفوا مساخط الله تعالى وأحبوها وأتوها وفعلوها. فلما غرقوا في خضم الجرائم والموبقات من الشرك والكفر واستباحة محارم الله يومها أيسوا من النجاة من النار ودخول الجنة.

وشبه تعالى يأسهم بيأس الكفار من أصحاب القبور، وهم الذين كفروا - يعني- وماتوا على ذلك، فإنهم يئسوا من دخول الجنة؛ لأنهم ماتوا على الكفر، وكما يئس أصحاب القبور من العودة إلى الدنيا بعد موتهم، وكما يئس أقرباؤهم من عودتهم إلى الحياة [الدنيا] بعد موتهم، إذ الكل يأس وقنوط. وهؤلاء اليهود المغضوب عليهم [قد] يئسوا من سعادة الآخرة بالنجاة من النار ودخول الجنة، كما يئس الكفار من أصحاب القبور كما بيناه آنفاً فلنذكره. واستعذ بالله [تعالى] من غضبه وعقابه [ولنتعوذ نحن بالله من غضبه وعقابه، ولنتجنب موجبات ذلك، ولنسلك سبل الرضا بالإيمان الصحيح، والعمل الصالح مع اجتناب المحرمات والمنهيات.] وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.] حرمة موالاة المؤمنين للكفار ولو كانوا أقرب الأقرباء

[الشرح] ولنستمع الآن إلى شرح هذا النداء الكريم بعد أن فهمناه في الجملة. قال: [اعلم أيها القارئ الكريم! أن هذا النداء الذي ختمت به سورة المتحنة هو كالنداء الذي افتتحت به؛ إذ الأول حرم موالاة الكفار والمشركين؛ لأنهم أعداء الله ورسوله والمؤمنين، وحرم في هذا موالاة أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لأنهم أيضاً أعداء الله ورسوله والمؤمنين. والموالاة المحرمة هي: النصرة والمودة] أي: الحب، وأما أن تتعامل معهم بيعاً وشراء وتجارة فهذا شيء آخر. فالمحرم هو حبهم ونصرتهم [إذ ليس من المعقول ولا المقبول أن شخصاً يعادي ربه الذي خلقه ورزقه وحفظه طوال حياته، يعاديه فلا يذكره ولا يشكره، ولا يطيعه في أمر ولا نهى، ويعاكسه شر معاكسة، إذ هو يحب كل ما يكره الله تعالى، ويكره كل ما يحب الله تعالى، والعياذ بالله من هذا المخلوق الذي عادى خالقه وتحاده، وحارب رسوله وأوليائه.

من هنا كانت موالاة الكفار من الذنب العظيم، ولا توجد في قلب مؤمن صادق الإيمان محبة عبد يحاد الله تعالى ورسوله والمؤمنين، وسمع قوله تعالى في هذا الشأن [من سورة المجادلة: [لا تَجِدُ [المجادلة:22]] يارسولنا! ويا أيها السامع [قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ [المجادلة:22]] فقد خرج أبو بكر ليقا تل ولده في بدر، وهذه هي حقيقة أهل الإيمان الصادق، كما قال تعالى: لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ [المجادلة:22]، أي: يحبون، مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [المجادلة:22]، أي: من وقف في حد وكان الله ورسوله في حد، ولم يكن من أهل الإيمان ولا الطاعة ولا المودة ولا اللقاء.

وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ [المجادلة:22] [أُولَئِكَ [المجادلة:22]، أي: الذين نفى تعالى وجود مودة لكافر في قلوبهم ولو كان أقرب قريب.

كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ [المجادلة:22].

كتابة راسخة ثابتة، لا تحول ولا تزول [ولا تنزع ولا تتبدل ولا تتحول [وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ [المجادلة:22] أي: ببرهان وهدى ونور] إلهي ورحمة إلهية.

ولهذا يرى أحدهم ابنه أو أباه الكافر من أعدائه، فلا تميله عاطفة أبداً إلى هذا الكافر؛ لأنه عادى الله وحاربه [وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا [المجادلة:22] أي:] لا يخرجون [منها ولا يموتون فيها. وزيادة في الإنعام عليهم أنه رضي عنهم ورضوا عنه. أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ [المجادلة:22].

لا حزب الشيطان؛ إذ طاعتهم للرحمن، وليس للشيطان فيها نصيب. ثم ختم تعالى على البيان بهذا الإلام فقال: أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [المجادلة:22]، أي: الفائزون بالنجاة من النار، ودخول الجنة دار الأبرار، وحزب الشيطان وهم الكفرة والمشركون والفسقة والمجرمون هم الخاسرون؛ حيث يخسرون أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة؛ إذ قال تعالى فيهم: قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ [الزمر:15].

يأس اليهود من دخول الجنة

قال تعالى: قَدْ يَنْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ [المتحنة:13]، أي: من دخول الجنة. وقد تبجحوا مرة وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً [البقرة:80].

فرد الله عليهم وأبطل ذلك، فهذه حيلة منهم فقط يكذبون بها على إخوانهم، فقالوا لهم: لن تمسنا النار ولن نحترق بها إلا أربعين يوماً، وهي تلك الأربعين يوماً التي عبدنا فيها العجل لما ذهب موسى إلى المناجاة.

وهذه الحيلة اليهودية قالها علماؤهم لعوامهم، فقالوا لهم: لن نحترق إلا أربعين يوماً فقط، وهذه هي المدة التي تمسنا فيها النار.

وقد أبطل الله قولهم هذا بطلاناً كاملاً؛ لأن النار لن تصفيهم، وإنما اليوم من احترق ظلماً وعدواناً فإن النار تطهره، وأما النار يوم القيامة فليست للتصفية؛ لأن من دخلها من أهل الكفر قد دخل ليخلد فيها.

والآن لو تتصل بعلمائهم وصدقوك القول لأعلموك أنهم آيسون من دخول الجنة؛ وذلك لعظم ذنوبهم، وقوة كفرهم وجرائمهم.

وقوله: كَمَا يَبْئَسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ [المتحنة:13] أي: يئس اليهود من دخول الجنة يوم القيامة وبعد الموت كيأس الكافر من عودة أخيه من القبر سواء بسواء، فهو يأس كامل، فالكفار يئسوا أن يعود إليهم أصحاب القبور يأساً كاملاً.

استباحة اليهود للربا

من أسباب غضب الله على اليهود: أنهم استباحوا الربا، فهم الذين ينشرونه ويدعمونه في كل بلد العالم مع أنها جريمة من أعظم الجرائم، والغافلون والمستغربون والجهال من المسلمين والله لا يطيقون هذا الكلام، مع أن جريمة الربا والله من أقبح الجرائم وأفظعها.

والذي حرم الربا عليم حكيم، وليس جاهلاً ولا أحمق. فالله هو العليم الحكيم، وقد حرم الربا لأنه ضار بأوليائه، وهو لا يحرم ما ليس فيه ضرر، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فقد حرم الربا لأنه ضار بأوليائه المؤمنين، وانظر إلى نتائج الربا، فقد منع وعطل شيئاً اسمه القرض لله، أو السلفة لوجه الله، فإذا ذهبت إلى عمك أو خالك أو جارك أو صديقك وقلت له: من فضلك أعطني مائة ألف أو مليون لمدة كذا لم يعطك، ويقول لك: اذهب إلى البنك ليعطيك.

ومن هنا وفي هذه بالذات منعوا وقطعوا الصلة التي توثق مودة المؤمنين فيما بينهم، ولو بحثت الآن عمن يسلفك لم تجد أبداً من يقرضك، ولا تجد إلا البنوك موجودة، وأصحابها يرحبون بك من عند الباب، ويعطونك الألف بألف ومائة، وإن تمرت عليهم فإنهم يعرفون كيف يلوون رأسك بالسجن أو بالتغريم.

فالربا قطع صلة الرحمة بين البشر.

ومن أسباب منعنا للقرض والسلفة وتعاملنا بالربا: أن اليهود جهلونا وفسقونا، وأخرجونا عن تعاليمنا، فلم يصبح من المؤمنين من يفي بوعدته إلا واحد في المليون.

فلو أنك أقرضت أخاك ما في جيبك أو صندوقك فلن يدفع لك ذلك، ولن يردده إلا مع العناء والمشقة وطول الزمان، ولا يدفعه كاملاً أيضاً.

فتمزقت الأخوة، وانقطعت حبالها فيما بيننا.

وهذه وحدها كافية في تحريم الربا.

وبدلاً من أن يتعاون أهل القرية أو أهل الحي ويجمعون نفودهم في صندوق واحد في المسجد، ويتراحمون به ويتعاونون أغلقوا هذا الباب، وحولوا المال إلى البنك اليهودي، حيث لا أخوة ولا مودة ولا لقاء أبداً. وحسبنا في بغض الله تعالى لليهود أنهم قتلوا الأنبياء والعلماء، وكما قال تعالى: وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ [آل عمران:21].

والآية تحذرنا من أسباب غضب الله عليهم، وهذه الأسباب هي: الفسق، وأكل الربا، وقتل العلماء، وقتل الأنبياء. فهذه الآية ليست مجرد إخبار فقط، وإنما هي إخبار وإعلام لنا أن لا نسلك مسالكهم، وألا نتعرض لغضب الله كما غضب عليهم.

قتل اليهود للأنبياء وتآمرهم على قتل نبينا صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: قَدْ يَبْسُوْا مِنَ الْآخِرَةِ [المتحنة:13].

وذلك لأنهم قتلوا الأنبياء، فقد قتلوا زكريا وولده يحيى، وتآمروا على قتل نبينا مرتين، وحكمهم في هذا حكم من قتل. فقد تآمروا عليه هنا في المدينة وأرادوا أن يلحقوا عليه صخرة من الأعلى، وكان هذا في بني النضير، وهم قبيلة تسمى قبيلة بني النضير على بعد كيلو أو اثنين كيلو من المسجد النبوي من جهة الشرق، وهم من أشراف اليهود. وكانت الاتفاقية المبرمة بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم تقتضي إذا تحمل الرسول ديات أن يساهموا فيها، ويدفعوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم أيضاً إذا تحملوا فعلى الرسول أن يدفع معهم، ف وقعت حادثة قتل فيها اثنان من المسلمين خطأ، فطالب أهلهم بالدية، فتحملها الرسول، وذهب إلى بني النضير ليطلب الحق الذي عليهم، فقالوا: اجلس، وبسطوا له القول باللسان، وفرشوا له الفراش، وقالوا: انتظر يا أبا القاسم! وكان عندهم مطحنة - والمطاحن القديمة معروفة، وتسمى رحي.

والطحان عند المغاربة هو الديوث؛ لأن امرأته غلبته، فتركه يطحن في البيت وتتجول هي في الشارع، وأما في بلاد الشرق فاسم الطحان ليس عيباً، وأما في المغرب فلو قلت لأحدهم: يا طحان! لقتلك؛ لأنه يفهم أنك قلت: يا ديوث! فإياك أن تقول لمغربي: يا طحان! حتى لا يذبحك- فصعد اليهود بالمطحنة إلى السطح وأرادوا أن يلحقوها على رأسه صلى الله عليه وسلم، وقالوا: هذه الآن فرصة ذهبية؛ حتى ننتهي من هذا الإشكال نهائياً، ولكن أوحى الله إليه على الفور باللاسلكي أن قم، فقام وتبعه أصحابه، وعادوا إلى المدينة، وعض بنو النضير أصابع الندم. ونزل قول الله تعالى: سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ [الحشر:1-2].

وما إن حشر الرسول جيشه وطوقهم حتى انهزموا وسلموا واعترفوا، وخرجوا من ديارهم يحملون حتى الأخشاب والأبواب؛ لأن الرسول أذن لهم أن يخرجوا، فالتحقوا بالشام وبخبر. والشاهد عندنا: أن هؤلاء أرادوا قتل النبي.

وكانت المؤامرة الأخرى في خير، فقد أطعموه السم، ومات صلى الله عليه وسلم بعد سنة أو سنتين أو ثلاث وهو يجد آلام ذلك السم في نفسه.

ولذلك فهم يعتبرون قد قتلوا النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما قتلهم العلماء فلا تسأل، بل ولا تسأل عن قتلهم للأنبياء دون الرسل، فقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم أنهم قتلوا سبعين نبياً في يوم واحد، وأسواقهم عامرة والبيع والشراء كما هي. كثرة جرائم اليهود

غضب الله على اليهود لجرائمهم، فقد اسودت نفوسهم وخبثت طباعهم، فلعنهم الله وغضب عليهم، فلا يجوز توليهم بالمحبة والمودة والتعاون، كما قال تعالى: لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [المتحنة:13].

وبالمناسبة فقد قلت لكم: إلى الآن أغلب من دخل في الإسلام النصارى، وليس اليهود، فاليهود لم يدخل منهم في الإسلام إلا مجموعة يعدون على الأصابع، وأما النصارى فبالملايين؛ لأن النصراني يؤمن بدار السلام، ويؤمن بالنار، وبالعالم السعادة والشقاء، ويؤمن بالوحي الإلهي، وبرسل الله، فإذا بين له الطريق سلكه، ولا يبالي بأمه ولا بأبيه.

ولكن رؤساء الكنيسة والملوك متعاونون من عهد قديم على منعهم من الإسلام؛ حفاظاً على الدنيا فقط، وإن خسروا الآخرة فهذا غير مهم عندهم.

وقد أسقط اليهود ملوك النصارى، وقضوا على أكثرهم؛ لأن المسيحي كان يرى اليهودي أمامه كالشيطان، ومضت فترة طويلة وقرون لم يكن يستطيع المسيحي الحق أن يفتح عينيه على وجه يهودي، بل كان يبخل بأن يفتح عليه عينيه؛ لأنه كان يعتقد أنه قاتل إلهه، فلم يكن يستطيع النظر إليه، ولا حبه.

ثم فعل اليهود فعلتهم، فبغضوا إلى الناس ملوكهم، حتى أن ضعفاء الإسلام مشوا في هذا الطريق، وأصبحوا يبغضون كلمة ملك وملوك؛ لأن السحر واحد، واليد التي عملته هي يد اليهود، وقلدنا الأوروبيين في هذا، مع أن هناك فرقاً بيننا وبينهم كما بين السماء والأرض.

فاليهود بغضوا إلى النصارى ملوكهم وكنائسهم، بل - كما علمتم - المذهب الشيعي الإلحادي قائم على (لا إله والحياة مادة)، وهذا المذهب هو الذي جعل الأوروبيين في الشرق والغرب يقتلون الملوك ويبعدونهم، ويهجرون الكنائس ويبعدون عنها.

وكان هذا المذهب في صالح اليهود، فهم الذين وضعوه، واستطاعوا بذلك أن يكسبوا حب النصارى، وهم وإن لم يحبوهم من قلوبهم إلا أنهم أصبحوا يحترمونهم ويجلونهم ويعظمونهم.

وفعل اليهود هذا لأنهم كانوا يأملون في إقامة مملكة بني إسرائيل، فبدءوا بأكبر عدو لهم، وهو الصليبية، فقد كانت أكبر عداوة لهم من الإسلام، واستطاعوا أن يمسخوا أوروبا مسخاً، فالكنائس الآن ينطق فيه البوم والحمام، ولا يدخلها أحد، وثلاثة أرباع أوروبا والشرق والغرب لا يؤمنون بالله.

وبذلك تمكن اليهود أن يعيشوا حاكمين وسادة في أوروبا، فقد كانت بأيديهم مقاليد البلاد كلها. وهذا لا يليق بالمسلمين، فقد قال تعالى: لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [الممتحنة: 13].

شدة عداوة اليهود للمسلمين

قال تعالى في سورة المائدة لَتَجِدَنَّ [المائدة: 82] يا رسولنا! أو أيها السامع! أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا [المائدة: 82].

وهذا إخبار من خالق الخلائق وغازز الغرائز وطابع الطباع، الذي يعلم الظواهر والبواطن، فقد أصدر حكمه بأنك يا عبد الله! لو طلبت في الناس من هو أشد عداوة للمؤمنين لوجدتهم اليهود والمشركين والله العظيم، ومن شك كفر، فلا تشك في إخبار العليم الحكيم خالق الطباع والنفوس، فهو الذي قال: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى [المائدة: 82].

فالنصارى أقرب الناس للدخول في الإسلام لولا صنفان من الناس: رؤساء الكنائس، الذين يعيشون متمتعين متعظمين عن طريق إضلالهم لإخوانهم، وملوك النصارى أيام كان لهم ملوك، فقد كان ملوك النصارى متعاونين مع رجال الكنيسة، وكانت الشعوب الصليبية أو النصرانية خاضعة خانعة، فحرموهم من دخول رحمة الله ومن دخول الإسلام لا شيء إلا للمصالح المادية، حتى يحافظ الملوك على ملكهم، ويحافظ رجال الكنيسة على مناصبهم ومراتبهم، ويبقون مبدلون معظمون، وتقبل الأرض تحت أقدامهم.

فإذا دخل النصارى في الإسلام زال ذلك كله منهم، فرضوا بجحهم، ولم يرضوا بأن يتركوا أمهم تدخل في رحمة الله.

وإلى الآن النصارى الذين ليسوا أهل كنيسة ولا حكم أقرب الناس إلى الدخول في الإسلام، ولو وجدوا من يدعوهم ويبين لهم ومن يحميمهم لدخلوا في دين الله أفواجاً والله.

معنى الموالة

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [المتحنة:13]، معنى: لا تتولوا قوماً أي: لا تتولواهم بحبهم ونصرتهم، بل ابغضوهم واخذلوهم؛ لأنهم أعداؤكم. فلا تحب عدوك؛ لأنه يضحك ويسخر منك إن أحببته، فهو يكرهك ويبغضك، ويريد أن يمتص دمك، فإذا أحببته فإنه والله يسخر منك لما يشاهد حبك له، فيضحك منك في قلبه ويقول: إنك بهيمة لا تفهم. وقد قال تعالى: لَا تَتَوَلَّوْا [المتحنة:13]، أي: بالحب والنصرة قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [المتحنة:13]. فلا نتولى أباً ولا أمّاً لو كانا منهم، ووالله لو أن أبي أو أمي يهودي أو نصراني أو كافر ما جاز لي أن أحبه أبداً، بل يجب أن أبغضه، لا أن أحب من يبغضه الله، ومن يكره أولياء الله، فهذا لا يجوز. ومن أحبهم فليس له عقل إذاً.

إن الله عز وجل يبغض من عباده أن يقول الواحد منهم قولاً يخالف فعله، ويحب منهم الذين يقاتلون في سبيله صفاء كأنهم بنيان مرصوص، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يضحك عندما يرى عباده المؤمنين يقومون صفاء واحداً في ميدان المعركة، فرحاً منه تعالى بهم، ورضاً بعملهم. لوم وعتاب من يقول ولا يفعل وأن ذلك من موجبات مقت الله تعالى للعبد

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

هذا هو [النداء الثاني والثمانون] وهو نداء من تسعين نداء من نداءات الرحمن لأهل الإيمان، وقد درسنا منها واحداً وثمانين نداء، وها نحن في النداء الثاني والثمانين، ولم يبق إلا القليل، والبقاء لله رب العالمين.

ومضمون هذا النداء وما يحمله من الهدى هو [في لوم وعتاب من يقول ولا يفعل، وأن ذلك] أي: القول بدون فعل [من موجبات مقت الله تعالى للعبد، وفي بيان حب الله تعالى للمجاهدين في سبيله، الثابتين في المعارك] الجهادية. هذا مضمون هذا النداء.

فهيا بنا نتغنى به ساعة؛ علنا نحفظه، فإذا حفظناه فهمناه ووطنا النفس للعمل به، فإذا عملنا به نكون بذلك قد فزنا، والله الحمد والمنة.

قال: [الآيات (2 - 4) من سورة الصف أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ [الصف:2-4]] والمنادي بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الصف:2] الله جل جلاله.

وسبحان الله! فقد بلغنا نداءه بواسطة كتابه ورسوله، فهو الذي نبأ محمداً وأرسله، وأنزل عليه كتابه ليبينه للناس. الأحكام التي اشتمل عليها هذا النداء

قال: [وأخيراً: إليك خلاصة هذا النداء] أيها المستمع! أو أيها القارئ الكريم! [ولا تنسه، وهي: أولاً: حرمة الكذب وخلف الوعد] فحرام على المؤمن أن يكذب كذبة، بل يعيش سبعين سنة ولا يكذب، وحرام عليه أن يخلف وعداً وهو قادر على الوفاء به.

وليس من صفات أهل الإيمان أن يكذبوا أو يخلفوا الوعود، بل ذلك من صفات المنافقين [إذ قول القائل: أفعل كذا ولم يفعل هو] أي: قوله [كذب وخلف وعد] أيضاً [ولذا كان قوله من المقت الذي هو أشد البغض، ومن مقته الله فقد أبغضه أشد البغض، وكيف يفلح من مقته الله] وأبغضه؟ [ثانياً: فضيلة الجهاد في سبيل الله] لا في سبيل المنصب.

وثمره ذلك هي: من أجل أن يعبد الله حقاً في الأرض.

ولو قلتم اليوم: هيا نقاتل ونغزو فرنسا، والله لقلت لكم: والله ما يجوز لكم هذا، حتى ولو قلتم: نغزوهم ليستقيموا على منهج الحق، وليصدقوا وليكملوا وليطهروا، لأننا نقول لكم: ابدعوا بأنفسكم، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وابتعدوا كل المنكرات، وعن كل الباطل والشر، وبعد ذلك انقلوا الخير إلى دولة

كافرة، وأما أن نحول بريطانيا وفرنسا إلى ما نحن عليه فهذا ليس فيه فائدة، ولن نفيدهم بهذا، بل سيضحكون منا، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة.

قال: [وفضيلة الوحدة والاتفاق، وحرمة الخلاف الممزق للصفوف. ثالثاً: اذكر أن الصف في الصلاة يجب رصه بعدم الفرج فيه، وأنه مما يحب الله تعالى، فانطلب ذلك في صفوف الصلاة كما في صفوف الجهاد. والله رءوف بالعباد.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

وصلى الله على نبينا محمد.

فضل الجهاد في سبيل الله

قال: [وقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ [الصف:4]] وسبيل الله هو الطريق الموصل إلى رضا الله عز وجل، وكل طريق يصل بك إلى رضا الله فهو سبيله، وكل طريق يصرفك عن رضا الله وبحملك على بغضه فهو سبيل الشيطان.

وقوله: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ [الصف:4]] فيه إشارة واضحة إلى أن الذين وبخهم بقوله: لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف:2] كانوا قد وعدوا بالجهاد ثم تخلفوا عنه، ولم يفوا بما وعدوا. كما يحمل إشارة أخرى إلى الذين انهزموا يوم أحد، وفروا من المعركة.

ولما كان تعالى يمقت أشد المقت المخلفين للوعد العظيم ذي الأثر الكبير كالوعد بالجهاد ولم يجاهدوا فإنه تعالى يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا [الصف:4] متراصاً، لا فرجة فيه حال الزحف كالبنيان المرصوص، أي: المتلاصق ببعضه ببعض، لا فرجة فيه ولا خلل بين أجزائه [وأعطيك مثلاً حياً على ذلك: الجهاد الذي قمنا به في ديار الأفغان شارك فيه المؤمنون والمؤمنات، والله إن امرأة من اليمن بعثت لنا زمبياً مملوء ذهب وفضة، ووالله إن امرأتي نزع حليها مرتين للجهاد الأفغاني، وشارك فيه المسلمون من الشرق والغرب، ثم خاب هذا الجهاد؛ لأننا لم نكون لنا الدولة الإسلامية.

فلندرس ولنفكر فيه.

وأولئك المجاهدون منا ومن أمثالنا، وهم ليسوا أهلاً لذلك؛ لأنهم ما ربوا في حجور الصالحين. هذه واحدة.

والثانية: أنهم عجزوا عن بيعة إمام رباني، ويسلمون له قيادة، ويعطونه الأمر والنهي، ويمشون وراءه. فالنفوس لا تقبل هذا، بل كل واحد يرفع رأسه ويقول: كذا، فخاب ذلك الجهاد أبشع خيبة.

وقد كان يكفي هذا.

ولكن اليوم قامت جماعات ضائعة تطالب بالجهاد في بلادهم؛ ليقتل الرجل الرجل، والولد الولد. وكانت نتائج هذا الجهاد: المقت والخزي والعار والدمار والشنار. وبلغوا هذا الزوار! فنحن ليس عندنا إذاعة.

قال: [ولنستمع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يخبر بضحك الله تعالى إلى بعض عباده الصالحين] والله أكبر! قربنا يضحك، ولما سمع هذا أعرابي قال: لن نخاف اليوم ما دام ربنا يضحك، ولا نخاف من جهنم. ولما هبط المسلمون بكيد الثالوث الأسود من القرن الثالث إذا قلت: ربنا يضحك غضب المسلمون وقالوا: أنت تصف الله بالضحك، فأنت كافر.

ومضى زمان لو سمعوك تقول: يضحك الله لكفرك وقاتلوك، كما كاد لهم العدو.

وهذا الرسول يخبر عن ربه بهذا، وهم يقولون: لا، ويكذبون رسول الله، والعربي قال بالبداهة: ما دام ربنا يضحك والله لا نخاف، فالجنة لنا.

قال: [فيقول: (ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل)] وهذا الرجل لا يقوم من الليل ليغني أو يجلس أمام الدش، وإنما يقوم الليل يتهد ويكي، فالناس نائمون، وهو يتململ على الأرض بكاءً ودعاءً وذكرًا. فهذا يضحك الله إليه فرحاً به.

وأيضاً [(والقوم إذا صفوا للصلاة)] يضحك الله لهم فرحاً بهم.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: (صفوا كما تصف الملائكة في السماء). ولهذا يجب أن تتراس الصفوف وتنتظم وتتحد؛ لأن هذه الهيئة يحبها الله عز وجل. وكذلك [(والقوم إذا صفوا للقتال)] فصفوف الصلاة كصفوف القتال؛ لأن القتال كان بالسلاح الأبيض، وأما الآن فهو بالتدجيل والكذب والصواعق، فالآن أجبن الناس يتشجع، ولكن المواجهة لا يدخلها إلا الأبطال، ويكونون صفاً واحداً متراساً.

قال: [وكان بعض السلف يكرهون القتال على الخيل] والفرس [ويستحبون القتال على الأرض] على أرجلهم [لقول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا [الصف:4]] أي واحداً [كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرصُوصٌ [الصف:4]] أي: يشد بعضه بعضاً.

فكان هؤلاء السلف يرغبون أن يأخذوا بهذه الثمرة الطيبة [وكان صاحب هذا الحديث وهو أبو بحرية يقول: إذا رأيتموني ألتفت في الصف - أي: صف القتال- فجنوا في لحيي] يعني: إذا رأيتموني ألتفت وما بقيت متراساً معهم فاضربوني واطعنوني في لحيي.

وهذا عجب [وهذا عين ما جاء في حرمة تولي المجاهد عن الصف، وخروجه منه لغير سبب يقتضي ذلك، إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبُنُسُ الْمَصِيرِ [الأنفال:15-16]] وعندي هنا فذللك مادام يوجد الأتراك بيننا: في مثل في اللغة الفرنسية - وأهل المغرب يعرفونه- وهو: القوة تركية؛ لأنهم لما دخلوا في رحمة الله ودخلوا في الإسلام وفتحوا الشرق والغرب كان أحدهم يربط نفسه بسلسلة على المدفع ويقاقل، حتى يصل إليه العدو ويقتلونه على مدفعه، ولا يميل برأسه يميناً ولا شمالاً؛ أخذاً بهذه التعاليم الإلهية: إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ [الأنفال:15].

وقد كان هذا أيام أن كان هناك إيمان وإسلام. وقد عرف العدو هذا، فكفرونا وفسقونا، وأبعدونا عن ساحة الكمال. والله أعلم.

سب الحكام وتكفيرهم وجنابته على الدعوة

قلت لهؤلاء الذين يدعون الجهاد كتابة وكلاماً قبل خمسين أو أربعين سنة: لا تسبوا الحكام، ولا تكفروهم، ولا تشهروا بهم؛ لأنكم بهذا تزيدون في كفرهم وفي ظلمهم وفي فسادهم، وهذا لا يحل، وكذلك لا تعلنوا الخروج عليهم، ولا الاحتفال عليهم؛ فإنكم عاجزون.

والرسول يقول: (اسمعوا وأطيعوا، ولو تأمر عليكم عبد رأسه كالزبيبة)، أي: ليس شريفاً ولا غير ذلك. وقال: (عليكم بالسمع والطاعة حتى تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان).

وقلت لهم قولاً وكتابة -وهم يضحكون علي؛ لأنهم أموات غير أحياء وما يشعرون-: وإن رأينا الكفر البواح وكنا عاجزين فلا نقاقل، وهذا كما رأى الرسول وأصحابه وخديجة والمؤمنون أبشع كفر، فقد كان هناك ثلاثمائة صنم حول الكعبة والله، وليس هناك كفر بواح أعظم من هذا.

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لما كان غير قادر على أن يفعل شيئاً لم يقل شيئاً. فإذا رأيتم كفراً بواحاً وكنتم قادرين على أن تقاقلوا وتجاهدوا فجاهدوا، وأما إذا كنتم عاجزين ومقيدين ومكبلين، وكنتم أفراداً هنا وهناك، وكانت الأمة كلها تائهة بحكوماتها وجيوشها، وأنتم تكفرونهم فمعنى هذا: أنكم تريدون القضاء على البقية الباقية من الإسلام، وقد حصل هذا، وتم في بلاد عديدة.

فقضية الحكم هذه قضية ثانوية، والقضية الرئيسية هي أن نسلم، بحيث لا نعد نر الفواحش ولا المنكرات، ولا الباطل ولا الظلم، ولا الفساد بين المؤمنين والمؤمنات، وأما أن يكون المؤمن يزني بامرأة أخيه المؤمن، ويغشه ويخدعه ويكذب عليه فهذا ليس إيماناً، ولا هؤلاء مؤمنون إلا بالاسم فقط.

ونحن لا أن ندخل على الحكام ونصافحهم ونقبل رؤوسهم وندعوا لهم ونحن نبتسم: زادكم الله قوة، اثبتوا فأمامكم إخوانكم، وغير ذلك، وإنما نشهر بهم، ولما نشهر بهم يغضبون ويضربون، ويهرب من شهر بهم، ولا نجني من ذلك فائدة.

ولا لوم ولا عتاب؛ لأننا ما تربينا في حجور الصالحين، ودائماً نعود إلى هذا الكلام؛ إذ لو تربينا في حجر رسول الله لما فعلنا هذا، وكذلك لو تربينا في حجر مالك أو أبي حنيفة لما فعلنا هذا، وكذلك لو تربينا في حجور الصالحين، ونحن إنما تربينا في المقاهي والملاهي، والبيوت التي لا تخلو من تلفاز أو فيديو، وعواهر يرقصن ويغنين، والباطل والشر في كل مكان.

ولذلك فنحن لا نوصف بأننا أولياء للرحمن.

وأنا أريد من هذا الكلام ما أراد الله منا، وهو: أن نسلم قلوبنا ووجوهنا لله، ونعمر بيوته، ونتعلم هداه، ونتعلم قال الله وقال رسوله، وإذا بنا بعد عام أو عامين أو عشرة نصبح أهلاً للكمال البشري. قيام الدولة الإسلامية لابد له من مقومات

لقد قلت غير ما مرة: إننا نريد الدولة الإسلامية، ولكننا غير متأهلين لذلك، وعندنا التجارب على هذا. وأقول أيضاً: لما ترفع راية لا إله إلا الله وتقام الدولة الإسلامية فيجب أن يفتح فيها بابان، باب شرقي وباب غربي، فالباب الشرقي يدخل منه اللاجئون والمهاجرون، وهم سينتدقون بالآلاف؛ لأن الكفر يعرف أننا أعداؤه وأننا قد أعلننا الحرب عليه، ولذلك سيأخذ الكفار في طرد المؤمنين وتعذيبهم، فيتدفق علينا ملايين المهاجرين، وهنا إيانا أن نغضب أو أن نبعدهم، بل يجب أن نقاسمهم طعامنا وشرابنا ومنازلنا.

والمسلمون اليوم ليسوا مستعدين لهذا، فهم والله لن يعطوا ولا حتى نعالهم. والباب الغربي هو الجهاد؛ وتدور الدورة الدموية طول العام، فالمهاجرين يدخلون، والأبطال يخرجون، وكل من يقدر على حمل السلاح يتدرب أربعين يوماً ويخرج إلى الله وإلى الملكوت الأعلى. والأمة في هبوطها ليست مستعدة لهذا، ولا تقدر على أن تقوم به. وأقول للزوار: ليس عندي إذاعة بلغتم، وليس عندي وسيلة إلا هذا الصوت لا أقل ولا أكثر، وقد يقال لكم: هذا الشيخ عميل لأمريكا.

وأعوذ بالله من هذا الهبوط، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف:2]. ونعود إلى الآية.

توبخ وتأنيب من يقول ولا يفعل

قال: [أي: جبنوا عن القتال وقعدوا عنه؛ إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ إذ المؤمنون في كل زمان ومكان يوجد بينهم من تكون حاله كحال أولئك الذين نزلت فيهم هذه الآيات، والقرآن كتاب هداية وإصلاح، والمؤمنون في حاجة إلى ذلك في كل عصر و [كل [مصر.

فقوله تعالى: لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف:2] أي: لم تعدون ولا توفون، فهذا توبيخ وتقريع لكل من يعد ولا يفي [ولا يوفي [وقد أعلم الرسول صلى الله عليه وسلم أمته أن (آية المنافق ثلاث) [أي: علامة المنافق ثلاث علامات: أولاً: (إذا حدث كذب) [أي: إذا حدث كما نحدثكم يكذب والعياذ بالله] (وإذا وعد أخلف) [الموعد والوعد] (وإذا أؤتمن خان) [ولو أؤتمن ولو بكلمة أو بريال أو بأية أمانة خانها. فإذا شاهدت نفسك أو أخاك متصفاً بهذه الصفات فابكي، فهذا هو النفاق.

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده بوليس ولا آلات، وإنما كان يعطي رجاله هذه العلامات، فهو يقول لهم: إذ أردتم أن تضبطوا المنافقين فخذوا بهذا: إذا رأيت الرجل يحدث وهو يكذب، وكذب عليك مرة أولى وثانية وثالثة فهذه علامة، وإذا رأيته يعدك ويخلف كأن يقول: سنلتقي إن شاء الله الساعة الثانية عشر في مكان كذا ولم يحضر، بل يتلذذ بتعبك، فهذه أيضاً علامة، وكذلك كلما أؤتمن على أدنى شيء قال: لم تعطني، وأنت واهم، فأنت لم تضع عندي شيئاً، بل راجع نفسك.

هذه هي العلامات التي يضبط بها المنافقون.

قال: [فجعل خلف الوعد من علامات النفاق، فلذا كان قوله تعالى: لِمَ تَقُولُونَ [الصف:2]؟ استفهام معناه: التأنيب والتوبيخ] والتقريع [ومثل من يعد ولا يفي -أي: يخلف ما وعد به- من يقول: فعلت وهو لم يفعل أيضاً] بل يكذب [إذ قوله تعالى: لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف:2].

يحمل معنى: لم تقولون: فعلنا وأنتم لم تفعلوا؟ كقول الرجل: قاتلت وهو لم يقاتل، وطعنت وهو لم يطعن، أو أعطيت وهو لم يعط [فهناك من الناس من يتجحون بالكذب وأنهم فعلوا وهم لم يفعلوا.
قال: [وقوله تعالى: كَبُرَ مَقْنًا عِنْدَ اللَّهِ [الصف:3] أي: أن قولكم نفعل كذا ولم تفعلوا مما يمقت عليه صاحبه أشد المقت، أي: يبغض أشد البغض، والعياذ بالله تعالى من مقته وبغضه وغضبه].
أهمية توفر الظروف الملائمة لرفع راية الجهاد

مواطن الجهاد: جهاد الكفار لإدخالهم في الإسلام رحمة بهم؛ حتى لا يخلدوا في عذاب النار.
هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: أن يعبدوا الله لتطهر نفوسهم، وتزكو أرواحهم، وتتهذب أخلاقهم، ويسعدون في دنياهم قبل آخرتهم.

وإلا وهم على الكفر فهم شر البرية.

ويكون جهاد الكفار إذا كان هناك إمام للمسلمين يحمل رايته، وينوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيادة أمته، وإلا فكل قتال دون هذه الراية باطل، وهوبغي وخروج عن حكام المسلمين.

من استنكر إنكارنا الجهاد الآن قلنا له: انظر إلى الجماعة التي ثارت ورفعت أصواتها فقد أخدمت، وجرت بلاء على المسلمين، ولو كان الزمان يسمح لأكملونا بلداً بلداً.

ولم يستطع أي شباب قاموا متحمسين سواء كانوا تحت شعار الإخوان أم أنصار كذا وكذا أن يرفعوا راية لا إله إلا الله، وأن يقيموا دعوة الله، وأن يزحفوا لتطهير البشرية.

وسبب عدم استطاعتهم: أنهم مازالوا في الزمن الذي يقال لهم: كفوا أيديكم أولاً، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة؛ حتى توجد أمة الإسلام ورايتها وإمامها الذي إذا قال: أنصتوا أنصتوا، وإذا قال: كبروا كبروا، والذي يخرج عن هذا الإمام جزاؤه السيف.

وهذا ليس موجوداً، بل لا يتفق ثلاثة من الشباب، وليس أمة.

وقد شاهدنا ما حل بإخواننا، وقد كانت البلاد يذكر فيها الله، ويدعى فيها إلى الله، وما انتفضت تلك الشبيبة حتى أنهى فيها الدعوة إلى الله نهائياً، وأصبحت البلاد إذا أحببت أن تغني فيها أو تتحدث بالخرافات فافعل، وأما لا إله إلا الله فلا.

والسبب: أننا ما عرفنا.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة يمر بأصحابه وهم يعذبون بغمسهم وتغطيسهم في الماء، وبالكى وبالنار، ولا يزيد على أن يقول: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة).

ولم يقل لعمر ولا حمزة ولا علي ولا للصدیق : اغتل فلاناً واقتله وخلصنا منه، بل كل ما في الأمر أنه كان يقول: اصبروا.

وكان الله يقول: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ [النور:56].

واصبروا.

وهاجر إلى المدينة، وهاجر رجاله، وبعث بأصحابه إلى بلاد الحيشة، ولم يقل لهم: قاتلوا واشفوا صدوركم. ولما أذن الله في القتال ونزل قوله تعالى: أُوذِيَ الَّذِينَ يُفَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ [الحج:39]، حمل الراية رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتف حوله المؤمنون والمؤمنات، وكان الله معهم؛ إذ هو الذي أذن لهم، فحاضوا المعارك في شرق البلاد وغربها، وتم النصر لهم؛ لأنهم يقاتلون المشركين والكافرين، وأعداء الله والمؤمنين.

ونحن لم نقم بما أوجب الله علينا في مدننا وقرانا من الدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة، والوجه الهاش الباش، والحسنة في اليد وفي اللسان، ونجمع المؤمنين على تقوى الله؛ حتى تطهر بلادنا من الخبث ومن الربا، ومن الزنا ومن الخمر، ومن الباطل ومن الحشيشة، ومن السب والشتم، والنقد والطعن؛ حتى نصبح أمة واحدة، وكأننا أسرة واحدة بما حققنا والحمد لله من أنوار الله وقال الله وقال رسول الله.

بل وبدلاً من أن نفعل هذا أعرضنا عن هذا كله، ولم ننه عن الخمر والزنا، ولا عن الأباطيل الأكاذيب، ولا عن الدجل والخرافات الشريكيات، ولا ندعوا إلا إلى الجهاد؛ لأن الشخص يريد أن يشفي صدره، ويقتل عمه أو أخاه،

ويسمي هذا جهاداً! والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله؟! هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل أخيه). ويقول لعبد الله بن عمر : (يا عبد الله ! إذا ظهرت هذه الفتن كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل). لقد بكينا وصرخنا من قبل خمسين سنة، وقلنا: الجهاد لابد له من عدة، ولا بد له من هدف، ولا بد له من قيادة، فهو ليس فوضى ولا ترويع للمؤمنين.

وهنا شيء آخر: هيا نقيم دولة الإسلام باسم الله، ولنبدأ من الليلة، ويكون ذلك بالآتي: يلتزم أهل كل بلاد ألا يسمع الله من أحدهم كلمة سوء ولا باطل، ولا يبقى من الليلة في بيت أحدهم باطل ولا منكر، ولا في دكانه ولا في عمله، وإذا كنا مسلمين أطهاراً أتقياء فمن الآن لا يبقى في بيوتنا من لا يصلي، أو من يتأخر عن الصلاة في وقتها في بيت الرب، وكذلك من الليلة لا يبقى بيننا مانع للزكاة، ولا من يمد يده إلى الحرام فيأخذه ويأكله. وإذا صفونا وطبنا وأصبحنا أولياء الله فسوف يوجد الله لنا الإمامة التي نطلبها. العلم هو سبيل الأمة لاسترجاع مجدها وعزها

الطريق إلى التعلم: إن كنت تحسن القراءة والكتابة فتعلم، وإن كنت لا تحسن ذلك فاسأل، والله تعالى يقول: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل:43].

فاقرع باب العالم وقف عنده واسأله أن يدلك الليلة على شيء يحبه ربك حتى تفعله، فبدلك، ثم ارجع إليه غداً واسأله أن يدلك على شيء يكرهه حتى تكرهه أنت أيضاً، فيقول لك: ربك يكره الكذب، فلا تكذب، وهكذا تسأله يوماً بعد يوم؛ حتى تعرف ما يحب وما يكره، وتعمل بذلك، ولا يمضي عليك سنة إلا وأنت من علماء الإسلام ورباني هذه الأمة.

وإذا لم نسأل ولم نتعلم وهجرنا بيوت الله وكتاب الله وهجرنا مجالس العلم فمستحيل أن نتعلم، بل نكون كالذي يقول: أنا لا أكل ولا أشرب ومع ذلك فأنا دائماً شبعان ريان، فهذا يكذب على نفسه، بل لابد وأن تأكل وأن تشرب باسم الله؛ حتى يذهب جوعك وعطشك.

لا نقول: لقد مضت القرون ونحن هابطون، ولا نقول: إن أبواب جهنم مفتحة، ولا نرضى بالخسران الأبدي، بل علينا أن نتعلم ونعمل في صدق.

ولا نقول: نحن مشغولون، ففلان مشغول بالمزرعة، وهذا تاجر مشغول في المتجر، وفلان موظف مشغول في الوظيفة والعمل، وهذا حمال في السوق يحمل لغيره؛ ليكسب رزقه.

وأقول: على أهل القرية وأهل الحي في المدينة أن يجتمعوا في بيت أحدهم أو في بيت ربهم، ويتعاهدون على أنهم من غد لا يتخلف منهم رجل ولا امرأة ولا طفل عن المسجد الجامع لهم، ويجلسون من صلاة المغرب في بيت ربهم إلى أن يصلوا العشاء.

ولا شيء يحول بينهم وبين هذا، فعلى الفلاح أن يلقي بالمسحاة إذا مالت الشمس إلى الغروب، وعلى التاجر أن يغلق متجره، والحمال يرمي بالحبل بعيداً، ونأتي إلى بيت ربنا، وكلنا بهجة وغبطة وسرور؛ لأننا ذاهبون إلى بيت سيدنا، ونجتمع فيه، وتجلس النساء وراء الستارة ومكبر الصوت بينهن، والأطفال دونهن، والفحول أمثالكم أمامهم، ويجلس لهم عالم رباني بيده كتاب كهذا، ويعلمهم قال الله قال رسوله، لا قال شيخنا ولا قال إمامنا، بل قال ربنا ورسولنا.

ونتعلم ليلة آية، ونتغنى بها حتى نحفظها، ثم يشرحها لنا حتى نفهم مراد الله منها، وكلنا عزم - رجالاً ونساء وأطفالاً - على أن نطبق ما أراد الله منا تطبيقه؛ لأننا أولياء الله، ونتعلم غداً حديثاً صحيحاً شريفاً، ونتغنى به ساعة حتى نحفظه، ثم يبين لنا العالم المربي ما أراد الرسول بهذا، فإن كان عقيدة اعتقدناها، وتمسكنا بها إلى القبر، وإن كان خلقاً تخلقنا به مباشرة، وإن كان واجباً عرفناه وعزمنا على عمله، وإن كان مكروهاً لله كرهناه وعزمنا على تركه، وهكذا يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام، والله لن يبقى بيننا جاهلاً ولا جاهلة، بل نصبح كلنا لله أولياء، ولو كادنا أهل الأرض لما استطاعوا أن يزلزلوا أقدامنا.

وهذا لا يكلفنا شيئاً، فلا نبقي على الجهل والبعد عن الله إذاً.

وإذا لم تكونوا قد سمعتم بهذا الكلام أبداً ولا بلغكم فأنتم معذرون، ولكنكم قد سمعتم الآن.

فمن الآن نبدأ، وقد علمتم أن كل الكفار من اليهود والنصارى والمشركين يشتغلون ثمان ساعات أو عشر ساعات، وإذا دقت الساعة السادسة أوقفوا دولا العمل، ولبسوا أحسن ثيابهم، وخرجوا بنسائهم وأطفالهم إلى بيوت الشيطان،

وإلى المقاهي والمقاصف، والمراقص ودور السينما، ويجلسون إلى نصف الليل؛ لأنهم أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وما يشعرون [النحل:21].

لأنه مكتوب خلودهم في عالم الشقاء؛ لكفرهم بالله ورسوله، وكفرهم بالله ولقائه وشرعه. ونحن المؤمنون علينا أن نجتمع في بيت ربنا، ونبكي بين يديه، ونستمطر رحماته علينا، ولا تمضي سنة واحدة إلا وقد طهرت القرية، ولن يبقى فيها من يكذب ولا من يغش، ولا من يخدع ولا من يسرق، ولا من يفجر ولا من يشهد شهادة زور، ولا من يبخل أو يظن بما زاد عن حاجته، ويصبح أهل القرية كلهم أولياء الله. وليس هذا صعباً، ولو كان صعباً لما شرعه الله، وقد قال تعالى: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ [الحج:78]. فليس هناك صعوبة في أن نذهب إلى بيت ربنا، والكفار يذهبون إلى بيوت شياطينهم، ولا يقولون: في هذا صعوبة، ونحن نقول: إن هذا صعباً.

والحقيقة أن الذي يقول: في هذا صعوبة هو الشيطان، فهو الذي يتكلم على لسانه، في حين إنه لو تم هذا في أي بلد لما بقي الهرج والقتل، والانقلابات والدماء، والصياح والضجيج، وحانات الخمر والزنا، بل ينتهي كل هذا وبدون سلاح، ولا يطلق رصاصة واحدة، بل بالابتسامة والكلمة الطيبة.

فإذا حضر أهل البلاد كلهم إلى بيوت ربهم يتلقون الحكمة والكتاب لم يمر عليهم عام واحد إلا وهم ربانيون أولياء الله، من أرادهم بسوء أعلن الله تعالى الحرب عليه ومزقه، وإن الله ليثأر لأوليائه كما يثأر الأسد الجريح. ولكن العدو صرفنا عن ولاية ربنا حتى أصبحنا أعداء الله، ندعو ولا يستجاب لنا، ولا نستطيع العودة، مع أنه لا يطلب منا مالاً، ولا أن نترك أعمالنا، ولا أن نوقف دولاب حياتنا، وإنما يطلب منا فقط أن نجلس من المغرب إلى العشاء كهذا الجلوس؛ حتى يتحدث الله عنا في السماء، وتحفنا الملائكة والله، وتنزل علينا السكينة، وتغشانا الرحمة، وهذه بشرى أبو القاسم، إذ يقول: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده). وأنا لا أغشكم في هذا، فلا يوجد في الحلقة الآن من يسب الله والرسول، أو من يأكل أخاه، أو من يمد يده ليسرق ماله، ولن يكون هذا.

ولكن أعداءنا صرفونا عن هذا النور، وأعداؤنا هم المجوس اليهود النصارى. والآن بعد هذا البكاء نعود إلى النداء.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون...)

قال: [الشرح: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف:2]، هذا النداء نزل في جماعة من المؤمنين] والعبارة دائماً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية قد تنزل في شخص ولكن حكمها عام في كل المؤمنين إلى يوم القيامة؛ لأن هذا الكتاب كتاب هداية للبشرية، لا يختص بشخص ولا بقبيلة.

فهذا النداء نزل في جماعة من المؤمنين [جلسوا يتحدثون] مثل ما لو خرجت الآن تجد الناس جالسين عند باب المسجد يتحدثون [فقالوا] وتمنوا فيما بينهم: [لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لفعلناه] وعملناه، وبادرنا إليه. وقد قالوا هذا في صدق، فهم يريدون أن يحبهم الله ويحبوه [فلما علموه] أي: علموا أحب الأعمال إلى الله، ونزل القرآن يبين أفضل الأعمال [ضعفوا عنه] وعجزوا ولم يفعلوا [ولم يعملوا].

نظير هذا ما جاء في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً [النساء:77] [وهذه الآية من سورة النساء المدنية. فقد قال: أَلَمْ تَرَ [النساء:77] أي: يا رسولنا! أو يا أيها السامع! أفلم ينتهي إلى علمك؟ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ [النساء:77].

وكان هذا قبل أن يفرض الله القتال، فقد كان هناك من يتحمس ويريد أن يغتال أبا جهل، أو يقتل فلاناً -كالجماعات الآن في العالم الإسلامي والشباب الذين يسمون أنفسهم الجهاديين- وقد كان يقول لهم الرسول: ما أذن لنا في القتال، ونحن لم نتهياً، ولم نعد العدة، ف كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ [النساء:77] عن الحماص.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ [النساء:77] ودقت الساعة ورفعت راية الجهاد إذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ [النساء:77]. وهذا قرآن، وليس خيالاً.

والذين يتحمسون الآن من الشباب للجهاد في سبيل الله لو قلت لهم: أقيموا الصلاة واذكروا الله وتصدقوا واعملوا حتى يأذن الله بالجهاد فإنهم يغضبون، ويتهمونك: هذا رجعي .. هذا عميل .. هذا كذا وكذا، ولو رفعت راية لا إله إلا الله في صدق ودعي للجهاد ليدخل العالم في الإسلام لتملأ منهم (75%)، ولاختفوا ولم يظهروا. واسمعوا وعوا وبلغوا، فأنت تعرفون أن الشيخ ليس عميلاً لروسيا ولا لبريطانيا ولا لليهود، ولست عميلاً إلا الله فقط، فأنا عبد الله فقط.

نداء الله لأوليائه المؤمنين دون غيرهم

هذه النداءات من الله نادى بها عباده المؤمنين، وهو لم ينادهم لحاجته إليهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فهو الغني الحميد.

وإنما ناداهم لأنهم أولياؤه.

وهو يناديهم ليأمرهم باعتماد أو قول أو عمل يزكي أنفسهم، ويطيب أرواحهم، ويعددهم للكمال والسعادة في الدارين، أو يناديهم لينهاهم عما يخبث نفوسهم ويدسيها، ويحول بينهم وبين رضوانه وجواره في دار السلام، أو يناديهم ليبشرهم أو لينذرهم مما هو ضد مصلحتهم، أو يناديهم ليعلمهم، ولا يناديهم لغير هذا؛ لأنه العليم الحكيم. وهو لا يناديهم للهو ولا للعب ولا لباطل.

وإن شئت فافقراً هذه النداءات، وتأملها، فلن تجد الله ينادينا لنلهو ولا لنلعب، ولن تجده ينادينا إلا ليأمرنا بما فيه كمالنا وسعادتنا، أو لينهانا عما فيه شقاؤنا وخسراننا، أو ليبشرنا فنسمو ونزداد حباً في الله وفي الصالحات، أو لينذرنا من الباطل وينذرنا من الشر؛ لنبتعد عنه وننأى؛ حتى لا نتلوث به، أو ينادينا ليعلمنا؛ إذ العلم سبيل تحقيق ولايتنا له تعالى.

الجاهل حيا علماء النفس!- لا يكون ولياً لله، وإذا أراد الله أن يواليه علمه.

وعلة عدم كون الجاهل ولياً -أيها الأذكىاء!-: لأنه لا يعرف ما يحب الله حتى يحبه، ولا يعرف ما يكره الله حتى يكرهه، وحينئذ يصبح يخطئ ويخلط، فقد يكره ما يحب الله، أو يحب ما يكره الله، فيعادي الله ويغضب عليه. وشيء آخر أيها الأذكىاء! فالجاهل بمحاب الله لا يعرفها، ولا يعرف كيف يستعملها، ومن ثم تكون نفسه خبيثة مدساة، والله طيب لا يقبل إلا طيباً.

والجاهل لا يعرف ما يدسي النفس ويخبثها من المحرمات والممنوعات، ولذلك يأتيها ويفعلها، فتخبث نفسه، ويصبح أهلاً لغضب الله، وليس لرضا الله.

ومعنى هذا: أنه يجب أن نتعلم، ولا يحل لنا أن نعيش الزمن الطويل من السنين ونحن لا نعرف محاب الله ولا مساخطه.

بين الله عز وجل لعباده ما به تكون نجاتهم من العذاب الأليم في الدنيا، والمتمثل في تسلط أعدائهم عليهم وقهرهم، والفقر والخوف، ثم ينجيهم من عذاب الآخرة، وهو النار وبئس المصير، فأرشدتهم تعالى إلى الإيمان به سبحانه، والجهد في سبيله بالنفس والمال، لإعلاء كلمته سبحانه، وليحكم شرعه في عبادته، ويرفع الظلم عن أوليائه. عرض أعلى بضاعة وهي الجنة وبيان الثمن المحصل لها وهو الإيمان والجهد

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

هذا هو [النداء الثالث والثمانون] وفحواه ومحتواه ومضمونه [في عرض بضاعة أعلى بضاعة] والله العظيم [إذ هي الجنة] دار السلام [وبيان الثمن المحصل لها، وهو الإيمان والجهد] وهيا بنا نتغنى بهذا النداء بعض الوقت؛ رجاء أن نحفظه، أو نقارب حفظه، ثم نأخذ في شرحه وبيان ما جاء فيه.

ألفت النظر إلى أن هذه النداءات تسعون نداءً، وعلى المسلمين أن يترجموا هذه النداءات إلى لغات، وعليهم أن يصغوا ويسمعوا لربهم وهو يناديهم بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمنين أحياء، فإذا نودوا سمعوا، وإذا أمروا فعلوا، وإذا نهوا تركوا، وإذا بشروا فرحوا، وإذا أنذروا حذروا وانتبهوا، وإذا علّموا تعلموا.

والسر في ذلك: هو أنهم أحياء غير أموات؛ لأن الإيمان الصحيح بمثابة الروح، والروح إذا سرت في الجسم حيي، وأصبح صاحبه يسمع ويبصر ويعقل، ويأخذ ويعطي؛ وذلك لكمال حياته. وإذا فقد الجسم الروح مات.

وروح الإيمان أعظم من روح الإنسان، فكم من إنسان فيه الروح ولا يسمع والله، ولا يبصر ولا يعقل، ولا يفهم ولا يعي كالبهائم.

ومن أجل ذلك نادانا ربنا بعنوان الإيمان، باعتبار أننا أحياء نسمع نداء ربنا.

وهذا النداء من سورة الصف، فهيا بنا نتغنى به بعض الوقت.

قال: [الآيات (10-11-12) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُمْنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ نُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ [الصف: 10-13]] والذي نادانا بهذا -يرحمكم الله- هو الله، وقد نادانا لأننا أولياؤه، فهو يريد إسعادنا وإكمالنا.

وكذلك نادانا ليعرض علينا أعلى بضاعة، ألا وهي الجنة دار السلام.

وأعلمنا الثمن الذي جعله ثمن هذه البضاعة.

ومع أن الله هو الذي خلقك، والمال الذي معك هو الذي أعطاك إياه فإنه مع هذا يشتري منك هذه البضاعة بجنة، وهي دار السلام.

ولا يفعل هذا أحد غير الله، فهو الذي خلقك ووهب لك المال، ثم قال لك: عندنا بضاعة غالية، فاشترها، فتدفع الثمن الذي أعطاك، وتأخذ الجنة دار السلام، ولا يوجد من يفعل هذا سوى الله.

لأن المسجد النبوي فيه أفاقيون من أنحاء المملكة والبلاد الإسلامية فإننا لا نتمكن من إطالة القراءة حتى نحفظ الآيات، ولكن مساجد القرى والأحياء الثابتة أهلها لا يتغيرون، ولا ينقصون ولا يزيدون، والمفروض أن الآية تكرر في الدرس في هذه المساجد حتى نحفظ، ولما تحفظ تشرح وتفسر، ويبين مراد الله منها، وحينئذ يضع المربي أيدينا على المطلوب، فإن كان معتقداً اعتقدناه، وإن كان واجباً عرفناه، وعزمنا على أدائه، وإن كان محرماً اجتنبناه بعدما عرفناه، وإن كان أدباً تحلينا به، وإن كان خلقاً تخلقنا به.

وهكذا يوماً بعد يوم، ولن يمضي زمن إلا وأهل القرية وأهل الحي في المدينة كلهم أولياء الله، ومن آذاهم أعلن الله الحرب عليه، ومن أعلن الله الحرب عليه فمستحيل أن ينتصر.

وهذا هو الطريق، ولا طريق إلى النجاة والفوز برضا الله وسكنى دار السلام في الملكوت الأعلى إلا بأن نعود إلى الله، ودعونا من الأوهام والأحلام والخيالات.

وإن الله سنناً لا تتبدل ولا تتغير، فالطعام يشبع، والماء يروي، والنار تحرق، والحديد يقطع، ولم يتبدل هذا، ولم يصح الطعام في ظرف لا يشبع، لا في القرن العشرين، لن يكون كذلك في الألفين، بل هذا مستحيل، وكذلك لم يصبح الماء لا يروي، ولا النار لا تحرق، بحيث ترمي فيها ثيابك ولا تحرقها أبداً.

فالسنن لا تبدل، وإن الله سنناً لا تتبدل، وهو القائل: قُلْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا [فاطر:43].

الحث على الإيمان بالله والجهاد في سبيله

[الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا [النداء، أي: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [الصف:10]] عرض وترغيب وتشويق [والعرض في قوله: هل أدلكم؟ وهو لا يدلهم فيه على أرض تنبت البقلاوة، ولا تنبت البيض والدجاج.

وهذا العرض والترغيب والتشويق [إلى ما يذكر بعده، كقول المرء للآخر: هل لك في كذا؟ أو هل لك إلى كذا؟ فلاستفهام في هذا النداء هو:] هل [أدلكم على تجارة وصفها كذا؟.

من هذا الباب [وهذا هو الترغيب [وذلك لأنهم قالوا] بالأمس: [لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لفعلناها. فننادم [اليوم [الرب تبارك وتعالى قائلاً: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الصف:10]! أي: يا من آمنتم بالله ولقائه، والقرآن وما فيه، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [الصف:10]؟ وهو عذاب الدنيا [أي: هذه التجارة تنجيكم من عذاب الدنيا، أي: [من تسلط العدو عليكم وقهركم، ومن الفقر [أيضاً [والخوف، ومن عذاب الآخرة، وهو النار وبئس المصير.

والعذاب هو: كل ما يقطع عذوبة الحياة ولذاذاتها [فالحياة عذبة، وكل ما يقطعها يسمى عذاباً [والأليم: الموجه أشد إيجاع.

بعد هذا الترغيب بين لهم ما يدفعونه من مال ليتسلموا البضاعة، فقال في بيان الثمن المطلوب للحصول على السلعة الغالية: تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ [الصف:11] [أي: آمنوا بالله.

والذي آمن بالله لو قال له ربه: صم الدهر كاملاً صام، ولو قال له: لا تنطق شهراً ما نطق؛ لأنه آمن وعرف الله وجلاله وكماله، ولم يؤمن به بلسانه، ولم يخدعه ويغشه في كل لفظة ونظرة.

هذا هو الإيمان الحقيقي.

فقوله: تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ [الصف:11] [أي: بألوهيته [وأنه الإله الحق الذي لا يعبد إلا هو [ولقائه [يوم القيامة، وبعد الموت أيضاً [ووعده ووعيده، وتؤمنون برسوله، وما جاء به، ويدعو إليه صلى الله عليه وسلم [من العبادات والآداب والأحكام [وَتُجَاهِدُونَ [الصف:11]، أي: أعداء الله تعالى وأعداءكم، وهم كل مشرك وكافر يعلن الحرب عليكم، ويعاديكم ويعادي ربكم سبحانه وتعالى، بأن يعبد غيره، ويتبع سبيلاً غير سبيله.

وقوله تعالى: بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ [الصف:11] قدم جهاد المال على جهاد النفس؛ لأن العدة مقدمة على من يحملها في هذا الباب [فأولاً أعد العدة، ثم اطلب من يحملها في هذا الباب [فالمال لإعداد عدة الحرب، والعدة: سلاح على اختلافه، وطعام وشراب ومركوب للغزاة المجاهدين.

وثنى بجهاد النفس وهو بذل أقصى الجهد والطاقة البدنية.

وقوله: فِي سَبِيلِ اللَّهِ [الصف:11] وقدمه على المال والنفس، إذ قال تعالى: وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ [الصف:11] لأن الجهاد إذا لم يرد به إعلاء كلمة الله، فهو لغير الله، وهو باطل مذموم [وأعطيكُم مثلاً على هذا: جاهدت إندونيسيا وجاهد العرب بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، واستقلوا طردوا الكفر، ثم لم يقيموا دولة الله؛ لأنهم لم يعرفوا الله، ولم يجاهدوا من أجله.

ووالله لقد سمعت بهذه الأذن طالب علم وافداً من العراق في طريقه إلى الجزائر ونحن في الصحراء على سيارة والله العظيم يقول: نحن ننير فقط العوام بكلمة الجهاد في سبيل الله؛ لبيدوا المال، ويبدلوا النفس. ولا نحتاج إلى أن نحلف؛ لأننا لم نشاهد أي جماعة طردت الكافرين من ديارها من أجل الله، بل إنها بمجرد ما تخرجه تعيش على الباطل والشر والفساد، وتعرض عن الله وذكره. ومستحيل أن تخرجه من أجل الله.

وأحلف لكم: أيما بلد قام بالجهاد في سبيل الله ثم لم يقم دولة الله ولم يأمر بعبادة الله فهو كاذب، ولا يعرف الله، ولا جاهد لأجله.

وقد لا تصدقون هذا؛ لأنكم لم تتعودوا على هذا الكلام، ولكن سيأتي يوم تذكرونه.

فما كان الله لن يكون لغير الله، وما كان لغير الله فلن يكون لله.

قال: [والمراد من إعلاء كلمة الله: أن يعبد الله وحده، ويحكم شرعه في عبادته، ويرفع الظلم عن أوليائه، وهم المؤمنون المتقون].

فضل الإيمان بالله والجهاد في سبيله

قال: [وقوله عز من قائل: ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الصف:11]] هذا التذييل هذا له قيمته، فالجهل لا يبني بيتاً، ولا يرفع إنساناً أبداً، بل الجهل هو الموت، والدمار والخراب، ولذلك الله دائماً يقول: إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الصف:11].

فهيا نعلم. ولا تقولوا: لا نستطيع يا شيخ! فنحن مشغولون بتجارتنا وهمنا ودينانا، فلا نستطيع أن نعلم. وأقول: ليس هناك مخرج أبداً غير العودة إلى بيوت الرب بنسائنا وأطفالنا من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء كل ليلة وطول العام، ويجلس فيه الغني والفقير، والتاجر والصعلوك، والحاكم والمحكوم، ويجلس الكل في بيت ربهم، يتلقون الكتاب والحكمة، ولن نقول بعد ذلك والله: لا نعلم، ولا يمكن أن نقول: لا نعلم؛ لأننا نعلم، ولو كنا بلا قلم ولا قرطاس ولا ورقة؛ لأننا فقط نحفظ بالسنننا وقلوبنا، ونطبق بجوارحنا وأبداننا، وهكذا عاماً بعد عام حتى تصبح من أولياء الله، العالمين بشرع الله.

ولا تقولوا: لا نستطيع هذا أيضاً، وإذا قلتم هذا فابقوا إذاً على ما أنتم عليه.

ولا تقولوا: الذي يقول هذا هم العوام سامحهم الله.

وأقول: حتى العلماء والعارفون وأرباب الشهادات والأدكياء هكذا، وهم لا يكون ككائننا هذا أبداً، بل يسخرون، ويقولون: هذا الشيخ خيالي، وهذا الكلام خيال.

وهم يقولون هكذا لأن الهبوط ما زال ملازماً لنا.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وسلم.

ما ترتفع به هذه الأمة إلى الكمال

أقول: اطلبوا لنا رافعة ترفعنا، ولعل أمريكا عندها رافعات، ولعل اليابان تصنع الرافعات، ولكن هذه الرافعات الموجودة عندنا تحمل أطنان الطين، ولا ترفع البشر إلى علياء السماء.

والرافعة التي ترفعهم إلى السماء ذكرها الله في قوله: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا [الأعراف:175].

والانسلاخ معروف، وهو كما ينسلخ أحدنا من مشلحه ولباسه ويضعه هناك، وكالحية عندما تنسلخ من ثوبها وتمشي. وقد انسلك المسلمون من القرآن والسنة.

ثم قال تعالى: فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِيْنَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ [الأعراف:175-176].

والله أكبر! فكلام الله هذا ينطبق على العالم الإسلامي حرفياً إلا من رحم الله، فقد أعطانا الله كتابه ونوره فانسلخنا منه، وضعناه على الرفوف، واتبعنا الهوى، وتركنا عقولنا، ولذلك كان مثلنا ليس كمثل الأسد، وإنما كمثل الكلب، إِنَّ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ [الأعراف:176]. ولن ينتهي لهته.

ونحن إن استقللنا لهتنا، وإن استعمرنا لهتنا، وإن استغنينا لهتنا، وإن افتقرنا لهتنا، ولن ينتهي اللهت أبداً حتى نحضن كتاب الله؛ إذ هو الرافع لنا، ولا رافع لنا سواه.

والله أكبر! فقد رفع هذا الكتاب هذه الجزيرة بعد ما كانت أهبط جزيرة في الأرض، فقد كان سائداً فيها الوثنية والشرك، والغارات والبلاء والكروب، ثم في خمسة وعشرين سنة رفعها إلى السماء، وفتحوا عاصمة الفرس وعاصمة الروم، ودانت الدنيا لهم، ولم يكن هذا بالفلسفة ولا بالحيل، وإنما كان هذا والله بهذا القرآن فقط. واليوم أصبحنا كما قال تعالى: وَائِلٌ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا [الأعراف:175].

كما ينسلخ الرجل من مشلحه أو لباسه، وكما تنسلخ الحية من ثوبها، وتتركه وتمشي. فقد انسلخ المسلمون من القرآن والسنة، ولا أستثني منهم إلا هذا البلد وهذه المملكة.

ولا وجود اليوم للمحاكم التي يحكم فيها الكتاب والسنة، وهذا انسلاخ واضح.

ولما ينسلخ الإنسان من الكتاب والسنة يصبح كما قال تعالى: فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ [الأعراف:175].

لأن الشيطان يخاف من نور الله، ومن نور الكتاب، ومن نور السنة، ولا يتقدم، ولكن إذا انسلخ الإنسان جاءه الشيطان واحتضنه؛ لأن الشيطان لم يعد يخاف من شيء، ويصبح هذا المنسلخ كما قال تعالى: فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ [الأعراف:175]، أي: الفاسدين بعد ما انسلخ من كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال تعالى: وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ [الأعراف:176].

وهذا كما نضع نحن عشرين وزارة كلها تبحث عن المال والصناعة وغيرها، ولا نضع وزارة لله.

وهذا واضح هذا كالسما التي نشاهدها.

وليس هناك أبداً من يقول قال الله وقال رسوله، ولا هم للحاكم والحكومة والشعب إلا الدينار والدرهم.

وهذا هو الخلود إلى الأرض، وليس هناك تطلع للسماء، ولا البحث عن الملكوت الأعلى، بل كما قال تعالى: وَاتَّبَعَ هَوَاهُ [الأعراف:176].

ولو اتبع عقله لكان في الأمر سعة، ولكنه اتبع الهوى والميل الدنيوي والشهوة، أي: شهوة الطعام والنكاح والظهور.

ولذلك شبهه تعالى بقوله: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ [الأعراف:176].

ولن ينتهي لهت العرب والمسلمين إلا إذا عادوا إلى الكتاب والسنة.

ونريد أن نسعد مع النداء الكريم دقائق.

كيف نركي أنفسنا

كيفية تركيتنا أنفسنا: أن نؤمن ونعمل الصالحات كما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن هذا ينتج لنا النور والحسنات، ويورث لنا النور الذي به تزكو أنفسنا وتطيب وتطهر، فإذا طابت وطهرت فعلينا أن نبعدها ونجنبها ما يلوثها ويخبثها من الكفر والمعاصي.

وها نحن قد علمنا هذا الآن.

ولو تحدثنا عن بيع وشراء لا يبقى أحد لم يفهم، ولا بدوياً ولا فلاحاً ولا صعلوكاً مثلي، بل الكل يفهم.

ولنفهم أيضاً هذه القضية.

فيا أمة الله! لقد صدر حكم عليك، وهو: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

فإن زكيت نفسك وطيبتها طهرتها بالإيمان والعمل الصالح كنت أهلاً لدخول الجنة، وإن لوثتها وخبثتها بأنواع الشرك والمعاصي فهيها هيهات أن تفتح لها أبواب السماء! أو أن تدخل الجنة! فلنعلم هذا.

ولا تظنوا أن هذا ليس واقعاً.

والبرهان والدليل الآخر على هذا: كلام ربكم القاضي عليكم، فقد قال في سورة الأعراف - التي بين الأنعام والأنفال -

: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ [الأعراف:40].

ولا يمكن أن يرد أحد على الله.
لأن الذين كذبوا بآيات الله الحاوية لشرائعه لم يصوموا ولم يصلوا، ولم يجاهدوا ولم يؤمنوا، وهم وإن لم يكذبوا لكن
الكبر حملهم على ألا يقولوا كلمة حق، وعلى ألا يركعوا ركعة، أو يعفروا وجوههم في التراب، فقد منعهم الكبر،
ولذلك ماتوا وأرواحهم خبيثة منتنة عفنة، فلا تفتح لهم أبواب السماء، ومستحيل أن تفتح لهم.
وأنتم تعرفون المستحيل، فهو الذي لا يمكن أن يقع، وهذا مثل: إدخال جمل أو بعير كبير لي في عين الإبرة، فلو
اجتمعت الإنس والجن ومعهم السحرة لم يمكنهم أن يدخلوا بعيراً في عين إبرة، فنحن ندخل الخيط فيها بشق النفس،
وأما البعير فمستحيل.
ومن مات على الشرك والمعاصي روحه منتنة، والروح المنتنة الخبيثة يستحيل أن تفتح لها أبواب السماء، أو أن
تدخل الجنة.

ولو أن آبائنا وأجدادنا علموا هذا.
وقد مضى علينا ألف سنة والذين يعرفون هذا (5%) فقط، والباقي لا علم لهم ولا معرفة، وإلى الآن.
فهيأ نغير وضعنا، ولا تقولوا: لا نستطيع، فأنتم تستطيعون، ويستطيع أهل القرية في الجبل أو في سفحه أن يتعاهدوا
بألا يتخلف بعد اليوم رجل ولا امرأة ولا طفل في قريتهم عن المسجد.
وإذا أردنا أن نسكن السماء فعلياً أن نبذل هذه الساعة والنصف، وفيها يرمي الفلاح مسحاته، ويرمي الكاتب قلمه،
ويغلق التاجر باب متجره، وينادي كل زوج زوجته أن تتوضأ وتحمل أطفالها إلى المسجد بيت مولانا في القرية،
وإن كان صغيراً وسعناه، وفرشناه ولو بالحصر أو بالتراب؛ لنجتمع فيه لتلقي الكتاب والحكمة، ولنتعلم أدوات
التركية والتطهير، ونعرف كيف نستعملها؛ لنتنتج لنا الزكاة والطهر لأرواحنا.
ولا تقولوا: لا نستطيع أن نفعل هذا يا شيخ! وهذا القول معناه: أننا راضون ببقائنا في عالم الشقاء، وفي هذا الضعف
والهون والهبوط.

ونحن نراك تستطيع المشي إلى المقهى، بل وتسرع جرياً إليه، مع أنك لست مسحوراً ولا مجنوناً، ولكن السبب: أنك
لم تتعلم، ولم تسمع بهذا الكلام حتى اليوم.
والآن قد سمعته.

وشيء آخر: والله لئن تعقدوا بين شعيرتين في السماء فهذا أسهل لكم وأهون من أن تكملوا وتسعدوا في الدنيا
والآخرة بدون تزكية أنفسكم وتطهيرها، والله إنه لمن المستحيل أن تظفروا بالدنيا والطمأنينة، والأمن والرخاء،
والحب والولاء، والطهر والصفاء بدون هذا المسلك، فهذا والله ما كان ولن يكون، وهو مستحيل، ولن يكون إلا
الشقاء والدمار والخراب والآلام النفسية، فهذا حاسد، وهذا مبغض، وهذا مكروه، وهذا كاذب، وهذا كذا، وتنتشر بينهم
الحماقة والقتال والدماء وغير ذلك حتى النهاية.
والساسة والسياسيون خريجون كليات السياسة في العالم لم يزرعوا لأممهم ويحصدوا إلا الخلاف والتناحر، والبغضاء
والفقر، والبلاء والشقاء، وغيرها.
وهذه هي النتائج.

ومن لا يعرف هذا يقول: لعل الشيخ مجنون.
وقد سمعنا الله يقول: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر:28].
ويقول في مثال ضربه: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ [العنكبوت:43].
ويقول: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [الزمر:9].

وهذا العلم المقصود في الآيات ليس علم الذرة ولا الهيدروجين، ولا علم الكيمياء ولا الهندسة، ولا علم السرقات
والتلصص، ولا علم السياسة، وإنما هذا العلم هو العلم بالله، ومعرفة الله بجلاله وجماله، وبأسمائه وصفاته، وبمحابه
ومكارهه، وكيفية فعل تلك المحاب وتقديمها له، وكيفية تجنب تلك المكاره والابتعاد عنها لأجله، وهذا العلم مصدره
قال الله وقال رسوله، وليس العقل ولا الذكاء ولا الدهاء، وإنما فقط قال الله في كتابه، وقال رسوله محمد صلى الله
عليه وسلم.

وإن شاء الله إذا أتاني في العام المقبل شخص ووجدني على هذا الكرسي حياً وقال: يا شيخ! لقد ترجمت كتابك
وطبعته فسأماً جيبه بالريالات، أحشوه حشواً.

وقد صرخنا بهذا الكلام سنة كاملة لترجمة كتاب المسجد وبيت المسلم، وجلسنا سنة كاملة نعلم كيف يتلقى أهل القرية والحي العلم، وأن يتعلموا ليلة آية وليلة حديثاً، وقد اشتمل الكتاب على ثلاثمائة وستين آية وحديثاً، وقلنا: ترجموه إلى اللغة الأردنية والإنجليزية والبربرية، وإلى جميع لغاتكم، واجتمعوا على تدارسه في بيوت ربكم أنتم وأطفالكم ونساؤكم.

وليس هناك من يكره لكم ذلك أو يطردكم أبداً إذا أنتم لازمتم السكينة والوقار والآداب. وإلى الآن ما بلغنا شيء من هذا.

وقد جاءني هندي قال: أنا فعلت، فقلت له: انتني بشهادة على أنك ترجمت الكتاب، وأنه يدرس في خمسين مسجداً وفي خمسين بيتاً، وسأعطيك ثلاثين ألف روبية، وإلى الآن لم يعد. وهذا لتعرفوا أننا مازلنا لاصقين بالأرض، ولن يرفعنا أحد غير الله.

وحتى تعرفوا واقعنا: أيام السلطان عبد الحميد العثماني تغمدته الله برحمته تمت مناظرة بين عالم رباني هندي وبين قس بريطاني، وحضرها الألوف، فقد كانت مناظرة عجباً، وعندنا صورتها في كتاب، ما إن بلغت إلى السلطان عبد الحميد حتى ترجمها والله إلى تسع لغات وطبعها.

ونحن نبكي طول العام، ولا يقول أحد: أنا أترجمها.

لا نجاة إلا بتركية النفس

إذا أردت أن تسكن السماء وتخرق مسافة سبعة آلاف وخمسمائة عام في لحظات ثم لم تفكر في هذا، ولا في كيفية الوصول إليه فاعلم أنك لن تصل إلى هذا لأن أجدادك أشرف، ولا لأنك غني، ولا لأنك ذكي، فهذه كلها ضلالات، وإنما ستصل إذا زكيت نفسك وطيبتها وطهرتها، حتى تصبح كأرواح الملائكة.

وحتى تكون كذلك فأفرغ عليها يومياً الزكاة والطهر، وكن على أتم الاستعداد لذلك، وحينئذ بمجرد ما تؤخذ منك تصل إلى الملكوت الأعلى تحت عرش الرحمن؛ وذلك لقضاء الله تعالى وحكمه، فقد قال: **وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ** [الرعد: 41].

فلا يوجد استئناف في قضاء الله أبداً.

وإذا صدر حكم الله علينا وسمعناه لم نحفظه ولم نتحدث به؛ لأننا ما زلنا كالقرون الماضية نسمع ولا نبالي، ولا نحفظه ولا نفرح به، بل نفرح بالفرنك والفلس والجنه، وأما الحكمة والعلم والمعرفة فنحن مشغولون عنها. وقد مضى على هذه الأمة قرون لم يكن المسلمون فيها يباليون أسمعوا أم يسمعوا.

والبرهان والدليل على هذا: لو وضعت أمامك خارطة للعالم الإسلامي ولملايين المساجد فلن تجد عشر أهل القرية في بيت ربهم، وهؤلاء إذا صلوا وقام من يعظ أو يتكلم لم يجلس منهم ولا (5%)، بل الكل يهربون من العلم، ولا يريدون المعرفة، ولن نسمو ونحن هكذا، ولن نعلوا أو نظهر أو نصفوا.

وبلغوا حكم الله في هذه القضية للأبيض والأسود، وللعربي والعجمي، وللأوربي والإفريقي، ولكل البشرية، فقد صدر حكم الله من الملكوت الأعلى على أهل الأرض، واسمع الأيمان الإلهية فيه: **بسم الله الرحمن الرحيم: وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا** [الشمس: 1].

وهذا يمين. **وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** [الشمس: 2-8].

فهذه كلها أيمان وأقسام يحلف بها الله على أمر عظيم، وهو حكمٌ حكم به على البشرية كلها والجن معهم، وهذا الحكم هو الحكم: **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** [الشمس: 9-10].

فهذا نص الحكم، وهو أنه قد أفلح من زكى نفسه، أي: طيبها وطهرها، وقد خاب وخسر من دساها، وأفرغ عليها أطنان الذنوب والآثام، حتى اختفت نفسه فيها، ولم يبق لها وجود.

واعلم يا سامع! أنك أنت تقرر مصيرك بنفسك اليوم لا غداً، فأنت هنا تقرر المصير، لا يوم القيامة.

وأنتم تعرفون معنى تقرير المصير في الأمم المتحدة للشعب الفلاني.

وهنا تقرير المصير للأدمي في الدنيا قبل الموت، فإن هو زكى نفسه، وطيبها وطهرها فإنها تصبح كأرواح الملائكة، فيقبلها الله في الملكوت الأعلى، وإذا دساها ولوثها وعفنها بأوساخ الذنوب والمعاصي فإنها تصبح منتنة عفنة والله، وأقسم بالله أنها لا تقبل في الملكوت الأعلى، ولو كان صاحبها ابن رسول الله أو أباه.

وكثير من الأمة غافلون، فهم ينكرون على من يقول: إن والد الرسول لا يدخل الجنة، ولم يعلموا أن الله عز وجل لم يستثن أحداً من حكمه الذي قال فيه: **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** [الشمس:9-10].

فلم يستثن أباً لنبي، ولا ولداً لرسول، بل البشرية كلها بالنسبة إلى الله واحدة، فهم خلقه وعبيده، فمن طهر قبله، ومن تلوث رماه وتركه.

وإذا أردتم أن تتأكدوا فهذا سيد المرسلين وسيد العالمين محمد أبو القاسم فداه أبي وأمي والعالم أجمع يأتي من مكة إلى المدينة، وفي طريقه مر بقبر والدته وأمنة بنت وهب بمكان يقال له: أبواء، قريب من رابغ - وقد وزرناه، وأصبح الآن تابعاً للمدينة- فلما مر بقبر والدته بكى طويلاً، فسأله أصحابه عن مكانه وسببه، فقال لهم: (لقد استأذنت ربي - أي: طلبت منه إذن- أن أزور قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في أن أستغفر لها فلم يأذن لي).

واسمع يا من تفهم عن الله! ففي سورة التوبة-تاب الله علينا أجمعين-: **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** [التوبة:113].

ولا يقدر أحد أن يرد على الله في هذا. **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** [التوبة:114].

ولا يغرنك ويضلك أحد يا عبد الله! واعمل على تزكية نفسك، وقرر مصيرك بنفسك. ومما يزيد هذا الأمر وضوحاً: أن أبا القاسم صلى الله عليه وسلم استعرض مع أصحابه ما يحدث في عرصات القيامة، فقال: (فيقف إبراهيم ويقول: أي رب! لقد وعدتني)، أي: في الحياة الدنيا في ما أوحيت إلي من صف (ألا تخزيني يوم يبعثون)، أي: يوم القيامة.

(وهذا أبي الأبعد في النار، فأى خزي أعظم من هذا الخزي) يا الله؟! فأبو إبراهيم في جهنم. (فيقال له: انظر يا إبراهيم! تحت قدميك).

فقد كان رافعاً رأسه يشتكى ويبكي.

(فينظر وإذا بوالده أزر في صورة ضبع)، أي: في صورة ذكر الضباع، وهو أبشع صورة (وملطخ بالدماء والقيوح).

وما إن ينظر إليه حتى تنقبض نفسه (فيقول: سحقاً سحقاً! فيؤخذ من قوائمه) الأربع؛ لأن للضبع أربع قوائم كالحمار والذئب (ويلقى في جهنم).

فتطيب نفس إبراهيم، فلا يذكر والده أبداً.

وهناك من يقول: هذا ليس أبي إبراهيم، وإنما هذا عمه.

وحتى الجلال السيوطي يذكر هذا في تفسيره، فالله يقول: أبوه، وهو يقول عمه.

وهذا تمويه، مع أنه لا فرق بين الأب والعم، فكلاهما عبيد لله.

ومع أنه لا يوجد من هو أقرب إلى رسول الله من أمه وأبيه إلا أنه لما جاءه في المسجد رجل يتحذلق مثلي ويقول: (أين أبي يا رسول الله؟! -وقد مات مشركاً- قال: في النار.

فتملل الرجل وأعرض وهو غير راض، فقال: تعال، أبي وأبوك في النار).

ولا تبك، فيوم القيامة لا يبقى نسب يا عرب! فقد قال تعالى: **فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ** [المؤمنون:101-104].

وكل هذا يدور على حكم الله: **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** [الشمس:9-10].

فكن ابن من شئت، أو أب من شئت، فالعبرة بزكاة النفس وطهارتها، أو بخبثها ومنتنها فقط.

وقد حلف الله لنا بأعظم حلف، فحلف عشرة أيمان على أنه **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** [الشمس:9-10]. فمن كان ذا عقل وقد بلغ سن التكليف فليعلم أن سعادته متوقفة على زكاة نفسه، وأن خسارته وشقاءه متوقف على خبث نفسه.

ومن فهم هذا فلو قيل له: إن نفسك تزكو وتطيب بأن تذبح سبعين مرة والله لرضي أن يذبح سبعين مرة، من أجل أن تزكو نفسه، ولو قيل له: إن نفسك تخبث أو تتدس بالأكّل والشرب لقال: والله لا أكّل ولا أشرب حتى الموت؛ لعلمه ومعرفته أنه يكون بهذا عاصياً.

في حين أن تزكية النفس لا تتطلب ذبحاً ولا بقرأً ولا شيئاً من هذا، ولا تتطلب إلا أن تؤمن، بأن تقول: آمنت بالله، ولا ترد على الله ولا على رسوله خبراً من الأخبار.

ولما كان عليه الصلاة والسلام هنالك في تلك الروضة النورانية يحدث رجاله أمامه، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وصله في تلك اللحظة من الملكوت الأعلى باللاسلكي خبراً مفاجئاً، فقال: (لقد أعلمت أنه كان فيمن كان قبلنا رجل يركب بقرة، فرفعت البقرة رأسها إليه وقالت: ما لهذا خلقت).

فاهبط، فأنا خلقت للحلب والحرث، لا للركوب، فالركوب على الخيول والبغال والحمير والإبل. فهذه البقرة الحيوان المعروف المستأنس تنطق بلغة عربية فصيحة، وتقول له: (ما لهذا خلقت). والرسول ما كان أعجيباً.

(فيمسك رسول الله بلحيته ويقول: آمنت به، آمنت به، آمنت به)، أي: بهذا العجب وهذا الخبر الوارد الآن، وهو: أنه كان فيمن كان قبلنا -وقد يكون بسبعة آلاف سنة أو بخمسة آلاف- رجل يركب بقرة، فنطقت البقرة بصوت فصيح وقالت له: ما لهذا خلقت، (فيقول: آمنت به).

ولا تقل: هذا غير معقول، فالبقرة لا تنطق، ولو قال هذا أحد لكفر، ولا يبقى مؤمناً أبداً.

ثم قال صلى الله عليه وسلم: (وآمن به أبو بكر ، وآمن به عمر).

وكانا والله غائبين عن المجلس، ولم يكونا حاضرين فيه، وإنما لثقة رسول الله في الرجلين العظيمين الصديق و الفاروق قال: (وآمن به أبو بكر ، وآمن به عمر).

ومن هبوط أمتنا أنه يوجد من المتعنترين المتقفين السامين المتعالين من يلعن أبا بكر و عمر ، ويظن أنه يتقرب بذلك إلى الله، في حين إنه لا يتقرب بذلك إلا إلى إبليس، وإلا فالرسول يقول: (وآمن به أبو بكر ، وآمن به عمر). وهما غائبان.

فاعرفوا أن الله قد حكم فينا، ونحن الذين نقرر مصيرنا الآن في الدنيا.

وهذا الحكم الذي صدر علينا هو: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

الإيمان بالله عز وجل، والجهاد في سبيله سبحانه وتعالى، يحمي العبد من العذاب الأليم في الدنيا، وينجيه من عذاب الآخرة، فالجهاد في سبيل الله عند توفر مقوماته هو أعظم تجارة رابحة في هذه الحياة، والله عز وجل وعد من دخل معه في هذه التجارة بالجزاء الأوفى والربح العظيم في الدنيا والآخرة.
تابع عرض أعلى بضاعة وهي الجنة وبيان الثمن المحصل لها وهو الإيمان والجهاد

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.
آمين.

هذا هو [النداء الثالث والثمانون] فنحن مازلنا فيه؛ حيث إننا لم نستوفه بالأمر شرحاً وبياناً، ولذلك ها نحن نعود إليه مرة أخرى.

والله أسأل أن يجعلنا من أهله.

وقد عرفنا أن مضمون هذا النداء وما يحمله من هدى هو: [في عرض بضاعة] وسلعة هي [أعلى بضاعة، إذ هي الجنة] دار السلام [و] في [بيان الثمن المحصل لها] والذي به نحصل على هذه البضاعة [و] هذا الثمن [هو الإيمان] الحق بالله [والجهاد] في سبيل الله، لا في سبيل الدنيا وأوصارها.

قال: [الآيات (10 - 11 - 12) من سورة الصف أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [الصف:10-12]] وليس في هذا النداء كلمة: (خالدين فيها).

تحقق ما بشر الله به المؤمنين

[ثانياً: تحقيق بشري الله للمؤمنين التي أمر رسوله أن يبشرهم بها] فهو قد بشرهم بفتح قريب ونصر، وقد تحقق هذا [فكان هذا دليلاً وبرهاناً ساطعاً] قاطعاً [على صحة الإسلام وسلامة دعوته، وفوز أهله ونجاحهم إذا هم أقاموه ديناً، وعبدوا به الله تعالى، عقائد وعبادات، وأداباً وأخلاقاً، وأحكاماً وقوانين ثابتة، محققة للأمن والرخاء والصفاء] فقد وعدهم وأنجز لهم وعده، وبشر المؤمنين بالنصر القريب والفتح القريب، وفتح عليهم مكة وبلاد العالم، ونصرهم على أعدائهم [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.

فضل الجهاد في سبيل الله عز وجل

قال: [وأخيراً: اذكر أيها القارئ الكريم!] والمستمع المستفيد! [ما قد بين لك، واذكر أخيراً ما يلي: أولاً:] بيان [فضل الجهاد بالمال والنفس، وأنه أعظم تجارة رابحة في هذه الحياة] والآن يقول إخواننا: الجهاد، مع أنهم لا يجاهدون بريطانيا ولا غيرها.

وأقول: علينا أولاً: أن نجاهد أنفسنا بأن نتعلم ونعمل بما نعلم ونعلمه غيرنا، حتى تصبح ديارنا كلها نوراً، لا ظلم فيها ولا خبث، ولا شر ولا فساد، ومن دخلها من الغربيين أو الشرقيين يهره ذلك النور، ويقول: أمنت بالله. هذا هو الإسلام.

وأما أن نغزو بريطانيا أو العالم لندخلهم في إسلام وهم يشاهدون ظلمنا وفسقنا، وعجزنا وباطلنا فإنهم يتقززون ويهربون منا. وليس هذا هو الجهاد.

بل الجهاد أولاً: أن نجاهد أنفسنا، بأن نتعلم الآداب والأخلاق، وحسن الآداب والعقائد، وأن نستقيم في ديارنا؛ حتى نمثل الإسلام تمثيلاً حقيقياً، وبعد ذلك نجاهد، ويقودنا إمام المسلمين للجهاد.

وأما الذين يزعمون أن الحكام كفار؛ لأنهم عطلوا الشريعة، ويدعون إلى جاهدكم فإنهم سيحترقون احتراق الجراد، ولن يظفروا بشيء؛ لأنهم لم يعرفوا الطريق بعد، ولو حكموا فإنهم والله سيكونون كحكامهم؛ لأنه لا يوجد أرضية ولا أهلية ولا شيء لتطبيق الإسلام، وقد شاهدنا بعض الحكام يزعمون أنهم سيطبقون الإسلام ثم لما يتولون الحكم يهبطون، ويسحرهم اليهود.

إذاً: ليكن إعدادنا للجهاد الآن بتزكية أنفسنا، وتطهير قلوبنا وعقولنا، فإذا لاحت الأنوار في ديارنا فحينئذ من العار أن نترك الناس تأكلهم النار والشفاء والخبث ونحن نتنعم، بل نزحف إليهم، وما إن نحل في ديارهم حتى يدخلون في رحمة الله عز وجل.

فافهموا هذا الكلام، واذكروه ولا تنسوه.

جزاء التجارة مع الله عز وجل

قال: [بعد أن بين لهم الثمن - وهو الإيمان والجهاد- بين لهم الجزاء، فقال: يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ [الصف:12]] فالثمن هو: الإيمان والجهاد، والبضاعة هي: أولاً: يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [الصف:12].

وثانياً: وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ [الصف:12].

وثالثاً: وَمَسَاكِينٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ [الصف:12].

وقد بدأ بمغفرة الذنوب قبل دخول لأنك إذا أردت دخول المسجد أو المجلس أولاً: تغتسل وتنظف وتلبس الملابس ثم تدخل المسجد أو المجلس.

فلا بد وأن يطهر العبد أولاً ثم يدخل دار السلام.

وهذا كقوله تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ [آل عمران:133].

فأولاً: سارعوا إلى المغفرة، ثم إلى الجنة؛ لأنكم لن تدخلوا الجنة بأنجاسكم وأوضاركم أبداً.

والعلماء يقولون في هذا: التخلية قبل التحلية.

ومعنى هذا الكلام: تخل أولاً عن الأوساخ والقاذورات، ثم تحل بالثياب الجميلة والطيب الطيب، ولا تلبس الثوب الجديد وتطيب عليك أدران وأوساخ البول، فهذا عبث؛ لأنك توسخ ثوبك، وتمسح الطيب عنه.

ولذلك كانت التخلية قبل التحلية.

واذكر لذلك أيضاً قول الله عز وجل: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ [البقرة:256].

فأولاً: يكفر بالطاغوت، وهو كل ما عبد مع الله، أو عبد دون الله، ثم يؤمن بالله.

هذه الآية فهم منها البصراء: أن التخلية يجب أن تكون قبل التحلية.

والتخلية هي: التخلي عن الشيء والابتعاد عنه، والتخلية هي: أن تتحلى لتكون حلواً في منظر باللباس وبغيره.

ولهذا قال هنا: يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [الصف:12].

أولاً.

وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ [الصف:12].

وقد جاء عدد هذه الأنهار في قول الله تعالى في بيان أنهار الجنة من سورة محمد صلى الله عليه وسلم: فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى [محمد:15].

وأَنْهَارِ الآخِرَةِ لَيْسَتْ كَأَنْهَارِ الدُّنْيَا، فَأَنْهَارِ الْخَمْرِ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارِ الْعَسَلِ لَيْسَ فِيهَا غَشٌّ وَلَا وَسْخٌ وَلَا فَضْلَاتُ النُّحْلِ.

ومعنى قوله: جَنَّاتٍ عَدْنٍ [الصف:12] أي: جنات إقامة دائمة، وأنها ليست جنات نزهة، ترفهون فيها على أنفسكم ثم تعودون إلى بلادكم، بل هي جنات إقامة دائمة.

هذا معنى عدن، فعدن في المكان إذا أقام به ولم يفارقه.
قال: [وأوقع بيان السلعة موقع الجزاء، إذ قوله: تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ [الصف:11] ... إلخ، فالعلان مرفوعان، وفعلا البضاعة: (يغفر لكم) و(يدخلكم) مجزومان على تقدير: إن تؤمنوا وتجاهدوا يغفر لكم ذنوبكم، (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) على تقدير: إن تعطوا الثمن المطلوب تعطوا البضاعة الموضوعة لذلك والمهيأة له.

وقوله تعالى: وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ [الصف:12] هذا من أجزاء السلعة التي عرضت للبيع بثمن غال، ألا وهو الإيمان والجهاد، الإيمان الحق والجهاد في سبيل الله تعالى لا غيره.
وقوله تعالى في هذا النداء: ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [الصف:12] أي: الحصول على السلعة المذكورة بالثمن المذكور هو الفوز العظيم.

وخلاصة هذا الربح العظيم الذي لا يعادل ربحاً والله إنه النجاة من النار، ودخول الجنة دار الأبرار، مع رضوان الرحمن.

وهناك ربح دنيوي آخر ذكره تعالى في قوله: وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ [الصف:13] [على أعدائكم] وَفَتْحٌ قَرِيبٌ [الصف:13] [لمكة وعواصم العالم.

وقد أعطاهم هذا] وهذا فائدة زائدة على السلعة، وهي نصرهم على أعدائهم وأعداء ربهم، وفتح قريب لأم القرى وغيرها من عواصم الدنيا.

وختم عز وجل هذا الإنعام والإكرام بقوله: وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [الصف:13]، أي: وبشر يا رسولنا! الذين آمنوا بنا وبرسولنا وبدعوتنا] فابشروا أيها المؤمنون! إن كنتم صادقين [بشرهم بحصول ما ذكرناه كاملاً غير منقوص.
وقد تم لهم كاملاً والحمد لله، فقد نصرهم على أعدائهم، وفتح لهم مكة، وكثيراً من عواصم العالم، كعاصمتي الفرس والروم] وقد حصل هذا مع أنه لم يكن عندهم صواريخ ولا طائرات، بل كانوا يركبون الإبل ويمشون على أرجلهم، وكانوا بالنسبة إلى الروم وفارس واحد إلى ألف.
المقصود بإعلاء كلمة الله

قال: [والمراد] والمقصود [من إعلاء كلمة الله أن يعبد الله وحده] ولا يعبد معه عيسى ولا البتول، ولا جبريل ولا الرسول، ولا فاطمة ولا الحسين، ولا عبد القادر ولا سيدي فلان، بل لا يعبد إلا الله، أي: لا يحب ولا يبجل ولا يعظم ولا يذعن له وينحني بين يديه وتعفر الوجوه بالتراب له إلا الله، وبذلك تتم حرية الإنسان واستقلاله، ولا يصبح ممزقاً بين هذا وهذا.

فالتوحيد معناه: إيجاد عزة لا يدانيها ولا يشاركها عزة، حيث لا يُخاف إلا الله، ولا يُحب إلا في الله، لا يُعطى ولا يُمنع إلا من أجل الله، وهذه هي الحياة البشرية الكاملة.

قال: [ويحكم شرعه في عبادته، ويرفع الظلم عن أوليائه، وهم المؤمنون المتقون].

فضل التجارة مع الله عز وجل

قال: [وقوله عز من قائل: ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الصف:11]] ما ينفعكم وما يضركم، وما يسعدكم وما يشقِّكم، وما يرفعكم وما يضعكم.

والذين لا يعلمون بهائم أو حجارة، فبلغوا: أن البشر الذين لم يعرفوا الله، ولم يعرفوا كتاب ذي الجلال والكمال، ولم يعرفوا وعداً له ولا وعيداً، ولا شرعاً له ولا قوانين هؤلاء أجهل من الحيوانات.

وأَنَّهُمْ وَإِنْ طَارُوا فِي السَّمَاءِ أَوْ غَاصُوا فِي الْمَاءِ، وَإِنْ رَقَصُوا فِي الْمَرَاقِصِ فَهَمُ بِهِائِمٍ. فهو هنا يذكرنا بالعلم.

ولا يحل أبداً لبلد مؤمن أن يوجد فيه جاهل أو جاهلة؛ لأن الله تعالى قال: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل:43].

فإن كنت لا تكتب ولا تقرأ فقبل أن ترمي مسحاتك وتريد أن تصوم انت العالم واسأله كيف تصوم فقط، وقبل أن تصلي اسأله كيف تصلي، وقبل أن تتزوج اسأله كيف تتزوج، وقبل أن تفتح دكاناً للتجارة اسأله عن كيفية التجارة المشروعة، واستمع لكلماته وقلبك مشرق مقبل، وطبقها، واسأله هكذا يوماً بعد يوم كما قال تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل:43]، حتى تصبح عالماً.

والله لم يكلفنا أبداً بأن ننقطع في المدرسة ندرس عشرين سنة. قال: [يريد تعالى أن الدخول في هذه الصفقة التجارية خير لكم من تركها والإعراض عنها؛ حرصاً على بقائكم، وبقاء أموالكم، مع أنه لا بقاء لشيء في هذه الحياة الدنيا] بل كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ [الرحمن:26]. الجهاد المشروع هو الجهاد في سبيل الله

قال: [وقوله: فِي سَبِيلِ اللَّهِ [الصف:11]] وهذا هو بيت القصيد، وهو أن يكون الجهاد في سبيل الله، وليس في سبيل تحرير الوطن.

وقد حرر المسلمون أوطانهم من بريطانيا وإيطاليا، وإسبانيا وفرنسا، ثم والله ما أقاموا الصلاة، وكأنه لا يوجد بينهم مفكرون ولا بصراء ولا عقلاء، فقد طردوا بريطانيا وغيرها، ولم يستطيعوا أن يلزموا المواطنين - عسكريين ومدنيين، وشرفاء ووضعاء- أن يقيموا الصلاة، ووالله لو أقيمت الصلاة بمعناها الحقيقي في أي إقليم استقل لما وقع هذا الباطل، ولا الشر ولا الفساد.

وهم لم يقيموا الصلاة لأنهم لم يقاتلوا في سبيل الله، ولا حملوا السلاح من أجل الله، ولا من أجل أن يعبد الله في الأرض وفي البلاد، ولو فعلوا ذلك لأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. ولكنهم بمجرد ما ينتصرون تلقائياً يقيمون حفلات الرقص والخلاعة والدعارة، وكأنهم لم يعرفوا الله بعد.

ونحن والله لا نلومهم؛ لأنهم لم يعرفوا والله؛ لأنهم لم يربوا في حجور الصالحين، وهو كذلك. ولا طريق إلى السمو والكمال إلا من طريق تعلم الكتاب والحكمة، والباب مفتوح، وهو لا يكلف شيئاً، وحتى الكتاب لم تكلفوا حتى ريالاً لطباعته، ولا ربع ريال.

قال: [وقدمه على المال والنفس] أي: قوله: فِي سَبِيلِ اللَّهِ [الصف:11]] إذ قال تعالى: وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ [الصف:11]، لأن الجهاد إذا لم يرد به إعلاء كلمة الله فهو لغير الله، وهو باطل مذموم [وقد أشرت إلى هذا.

وأريد: كانت فرنسا تحكم: شمال إفريقيا وسوريا ولبنان، وبريطانيا تحكم ممالك الهند بكاملها، وهولندا كانت تحكم إندونيسيا، ولما استقلت هذه البلدان وخرجت بريطانيا وغيرها لم يقيموا الصلاة، ولم يجبوا الزكاة، ولم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، وإنما أقاموا دولهم ضد الله. الدعائم التي تقوم عليها الدولة الإسلامية

يقول الله تعالى: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ [الحج:41].

ومعنى مكناهم أي: وليناهم الحكم والسيادة، وملكناهم زمام الأمر.

فهم إن مكناهم لم يغنوا ولم يرقصوا، وإنما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر [الحج:41].

وهذه الآية في سورة الحج يا أهل القرآن! ولا تقولوا: هذا خيال يقوله الشيخ.

إذا: الدولة الإسلامية تقوم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبهذا يتحقق الأمن والطهر والصفاء.

ولا تقولوا: ليس هذا معقولاً.

بل قولوا كما قال الله.

وعندنا آية من آيات الله، أوجدها الله في هذه الديار - ديار الحجاز ونجد، وشمالهما وجنوبهما- فهذه الديار كانت أسوأ ما تكون، فقد كانت كبقية بلاد العرب والمسلمين، فيها الشراكيات الخرافات، والتلصص والإجرام، والحيل وغيرها،

وما زال الناس الذين أعمارهم ثمانين سنة يذكرون هذا، وما إن دخلها عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - غفر الله له ورحمه- حتى ساد فيها الأمن والأمان.

والله هو الذي نصبه؛ لتقوم الحجة على البشرية كلها مؤمنها وكافرها، إذ كان قد بلغ بهم الكفر والباطل إلى أن يقولوا: إن الإسلام لا يطهر ولا يعز، ولا يسمو بأحد ولا يسعده؛ لأنه قد انتهى شأنه.

فولى الله عبد العزيز في بلاد صحراء معروفة، لا يملك أهلها إلا حفنة التمر وصاع الشعير، وشاة من العنز، ولم يكونوا يملكون من نجد إلى البحر الأحمر مصنعاً ولا مالاً، ولا آلات ولا طيارات، ولا سيارات، ولكنه فقط أقام الصلاة، فكان إذا نادى المنادي يدور رجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرية والبلد حتى لا يتخلف أحد أبداً، وكان عند الإمام قائمة بأسماء أهل الحي أو القرية، وما إن يسلم حتى يقوم يقرأ الأسماء، فإذا كان أحدهم غائباً ذهبوا إليه، فإن كان مريضاً عادوه، وإن كان غائباً حفظوا أهله، وإن كان متمرداً أذبوه. وإياكم أن يقول لكم أبو مرة: هذا الشيخ يتملق للحكومة السعودية.

والذين يفكرون هذا التفكير مجانين؛ لأنه يجب أن يقال الحق للهداية والبصيرة، وحتى لا نعيش في العمى، والله يقيم آياته للهداية، ونحن نعرض عنها، وكأننا لسنا بشراً.

ووالله الذي لا إله غيره لقد تحقق في هذه الديار من الطهر والصفاء والأمن ما لم يتحقق في العالم إلا أيام القرون الذهبية.

ولم يكن عند عبد العزيز من الأجهزة واحد إلى ألف مما عند فرنسا، ومع ذلك ففرنسا مع قدرتها تسجل تسجيلاتها الرسمية عشرة آلاف جريمة يومياً، وهنا يمر عامان إلى عشرة أعوام ولا يثبت فيها عشر جرائم. السر هو: إن الله عز وجل قال: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ [الحج:41].

فليفهم السامعون والسماعات هذا، فهذه آيات الله، وقد رد الله بها على الذين يزعمون أن الإسلام تخلف، وأن من رضي به قد رضي أن يتخلف، وأنه من المستحيل أن يحقق أمناً، أو يوجد طهارة أو صفاء؛ لأنه قد انتهى أمره. فأكذبهم الله.

وأقول لكم: إن أي قرية في إسبانيا أو في بريطانيا أو في أي بلاد في العالم يجتمع أهلها على الكتاب والسنة من المغرب إلى العشاء لن تمر عليهم سنة واحدة حتى تتجلى لك آيات الله في هذه القرية، وستجد أنه لم يبق في هذه القرية عهر ولا فساد، ولا خبث ولا ظلم؛ لأن الله سنناً قال عنها: فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا [فاطر:43].

فالطعام يشبع، والماء يروي، والحديد يقطع، والنار تحرق. فهذه سنن لا تتبدل.

وكذلك الإيمان الصحيح وتطبيق شرع الله لا بد وأن يتحقق به الكمال البشري، ولن يتخلف هذا أبداً. من مظاهر هبوط المسلمين

الآن المسلمون يقتل بعضهم بعضاً، بل ويقتلون النساء والأطفال والشيوخ. ولا إله إلا الله.

وعندنا خبرة عظيمة عن سجون العالم الإسلامي؛ إذ إن الناس يأتوننا، ويشتكون لنا.

وأقول: والله إنه ليوجد عذاب في سجون العرب لا يوجد في عذاب النار.

وأعني بهذا: أنهم يرتكبون فاحشة اللواط مع المساجين بالقوة؛ إهانة لهم وتعذيباً.

والعياذ بالله.

وهذا لا يقع يوم القيامة.

وأعوذ بالله أن يقع هذا.

وإلى هذا الحد قد هبط المسلمون.

ولا يمكننا ونحن هكذا أن نرتفع ونسود البشرية، ونقودها إلى الكمال؛ لأننا في حاجة إلى من يقودنا ويسودنا؛ لنكمل ونسعد.

وقد دارت الحرب عشر سنوات بين المؤمنين تحت راية قائدهم الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وبين المشركين في غزوة بدر والخندق، وغزوة الفتح وحنين، وغيرها، وكان جميع القتلى ألفان وخمسمائة من المشركين والمؤمنين.

والآن في اليوم الواحد يموت من العرب عشرة آلاف أو عشرين ألفاً.

ولست واهماً ولا كاذباً في هذا.

وانزع من ذهنك يا عبد الله! أن يقف مؤمن في بيت رسول الله ومسجده ويكذب على الناس.

الفرق بيننا وبين المؤمنين الأولين: أنهم كانوا ربانيين نورانيين، يعيشون على العدل والرحمة والصفاء، ونحن همج شهوانيون، نتكالب على الدنيا وأوساخها.

وإذا حدثت مظاهرات في بلد إسلامي وأطلق فيها الرصاص يموت سبعة آلاف، أو أربعة آلاف، أو عشرة آلاف.

وهذا يدل على أننا بعدنا عن ساحة الكمال بعد السماء عن الأرض.

طريق العودة إلى كمالنا وعزنا

هيا نعود ونرجع إلى كمالنا.

ولا نقول: لا نستطيع، فهناك والله طريق سهل للعودة لا يكلفنا ريالاً ولا درهماً ولا قطرة دم، وهيا نبداً من الآن، فإذا رجعت إلى قرينك أيها المسلم! فاجتمع مع رجالها وكبارها في بيتك، واصنع لهم طعاماً ملائماً، وقل لهم: سمعنا في المسجد النبوي هداية إلى الحق وإلى طريق إلى الكمال، فهيا نتعاون في تطبيقه، ويقول الخطيب يوم الجمعة لأهل القرية في المسجد: من الليلة لا يبقى رجل ولا امرأة ولا ولد عند غروب الشمس إلا وهو في المسجد، وبمجرد ما تدق الساعة السادسة مساء نتوضأ، ويرمي الفلاحون بالمساحي من أيديهم، ويرمي الكتاب بالأقلام، ويغلق التجار أبواب دكاكينهم، ويتجهون إلى بيت مولاهم، ويجلس النساء وراء الستارة، ومكبر الصوت بينهن، ويجلس الأطفال صفوفاً منتظمة أمام النساء، ويجلس الفحول أمام الجميع، والمربي بين أيديهم، ويتعلمون ليلة آية يتغنون بها ويحفظونها، ويفهمون مراد الله ومطلوبه منها، ويلتزمون به وتطبيقه، ويتعلمون في الليلة الأخرى حديثاً من أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ويحفظون ويفهمون مراد الرسول منه، ويعزمون على تطبيقه، ثم يعودون إلى بيوتهم مقتنعين، منشرحي الصدور، طيبي الخواطر؛ لأنهم كانوا مع الله في بيت الله، يتلون كتاب الله، ويهتدون بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا يوماً بعد يوم، ولا تمر أربعون يوماً أو أربعة أشهر سنة إلا وقد ظهرت نتائج ذلك، وهي: أنه لا يبق في القرية من يفكر في أن يزني بامرأة أخيه أو بنته نهائياً، ولا يبق في القرية من يجرو أو يقدر على أن يسب أو يشتم أو يعير أخاه في القرية، ولا يبق خائن ولا سارق، ولا من يمد يده إلى مال أخيه، ولا يبق رجل ولا امرأة ينسى الله وذكره، ويقبل على الباطل وفنونه، ولا يبق من يغني ولا من يرقص ولا من يلعب، وفوق ذلك لا يبقى مؤمن يتضور جوعاً ولا يجد من يسد جوعته، ولا يبقى عار في الشارع ولا يجد من لا يستره، ولا يبقى من لا يجد مأوى إلا ويؤوونه؛ لأنهم أصبحوا كنفس واحدة.

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) .

و(المسلم أخو المسلم، لا يکذبه ولا يظلمه، ولا یخذله لا یسلمه، کل المسلم علی المسلم حرام، دمه وعرضه وماله).
وتصبح هذه القرية وكأنها كوكب من كواكب السماء، تتلألأ نوراً والظلام حولها في الأرض، ويحدث هذا الكمال يحدث في القرية.

ولو طبقت فيها قوانين البشر كلها فوالله لن تحصل على هذه النور، ولن تفوز به أبداً.

وهذا الاجتماع في بيت الله لتلقي الكتاب والحكمة لا يكلفنا شيئاً من الريالات، ووالله إن الحكومة ترضى بهذا، وتفرح به، وأقسم بالله، فهي على الأقل تستريح من مؤنة البوليس والأموال التي يصوفونها من أجلكم، حتى لا يأكل بعضكم بعضاً.

والحكومة تستريح من هذا لأنه لم يبق من يسرق ولا من يفجر، ولا من يكذب ولا من يسب ولا من يشتم؛ لأنهم أصبحوا كآسرة واحدة، يكفيهم القليل من الطعام، ومرتب الشخص الواحد يكفي عشرة، ولا تظنوا أن هذا الكلام هراء.

وكل هذا لأن دين الله دين العزة والرفعة، والطهر والكمال، ويستحيل أن تتخلف هذه السنة في جماعة أو أمة تقبل على الله، وتطبق شريعته، فهي رحمة الله.

وليس هناك مانع من أن نطبق هذا، وليس هناك خوف ولا ضياع وقت، ولا شيء من هذا، ووقت هذا من غروب الشمس إلى صلاة العشاء، ساعتان فقط في المسجد ونستريح، وإذا جلسنا كلنا ساعتين في المسجد يتوقف أكثر من خمسين علبة سجائر، وهذه أقل فائدة، والفائدة الأخرى: ألا يبقى في البيت عاهرة ترقص، ولا من يتفرج عليها، ثم تعودون من المسجد وقلوبكم ممتلئة بالنور، فلا تتفرجون عليها أبدًا. فلنبلي هذا الكلام، ولنعمل به.

سبب تقديم المال على النفس في قوله تعالى: (وتجاهدون في سبيله بأموالكم وأنفسكم)

قال: [وقوله تعالى: بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ [الصف:11] قدم جهاد المال على جهاد النفس] فقال: بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ [الصف:11].

ولم يقل: بأنفسكم وبأموالكم.

ومنزل هذا الكلام حكيم، وهو خالق الحكمة وواجدها.

و [قدم جهاد المال على جهاد النفس لأن العدة مقدمة على من يحملها في هذا الباب] فأولاً: أعد العدة، ثم انظر من يحملها، ولا تأتي بمن يحمل العدة وهي غير موجودة، فهذا لعب [فالمال لإعداد عدة الحرب، والعدة سلاح على اختلافه] وقد كان الرمح والسيف والنبل، والآن المدفع والصاروخ والطائرة النفاثة وعابرات القارات، ولكل زمان سلاحه، وإن السلاح الآن بيد الجبناء، الذين ليس فيهم شجاعة.

والشجاع هو الذي يدخل المعركة بسيفه ورمحه والصفوف متراسة، ويموت وهو مقبل، ولكن الآن أجبن الناس مليون مرة يرمي القذيفة بالطائرة ويعود. فليس هناك شجاعة اليوم.

فالعدة هي: سلاح على اختلافه [وطعام وشراب ومركوب للغزاة المجاهدين] وهم لن يمشوا ويخرجوا بدون طعام وشراب، وإلا لما بقوا أحياء، بل يخرجون ومعهم الطعام والشراب، والسلاح والعدة.

قال: [وثنى بجهاد النفس، وهو: بذل أقصى الجهد والطاقة البدنية] أي: أن تجاهد وتدافع بنفسك وقدرتك ما استطعت.

دعوة الكفار إلى الإسلام وكيفية معاملة من رفض الإسلام منهم

الكافر إذا كان في دولة أخرى أو إقليم آخر ولم يعلن الحرب علينا، ولا حاربنا ولا آذانا ولا عادانا فإن الإسلام لا يعلن الحرب عليه أبداً، وإنما رحمة بالكفار وشفقة عليهم ننزل بساحتهم، ونرسلهم بأدب واحترام، ونقول لهم: نحن عبيد الله، نحمل رسالة الله ربنا وربكم إليكم، وقد جئناكم بالنور الإلهي، ونريد أن تطهر قلوبكم وبيوتكم وبلاذكم؛ حتى يختفي الظلم والشر، والفساد والخبث، وينشر الله بينكم العدل والرحمة والنور، فادخلوا في الإسلام؛ فهو دين الله، وما أنتم عليه دين الشيطان وهوى ودنيا، وليس بدين الله، فقد نسخ الله كل الأديان وجاء بالدين الخاتم، فادخلوا في رحمة الله، فإن استجابوا فانه أكبر، فقد طلعت الشمس في ديارهم، وغمرها نور الله وهده، ولا يمضي إلا ثلاثة أيام وإذا بهم أعز ما يكونون، وأطيب وأطهر، وإن رفضوا وقالوا: لا نريد أن نترك دين آبائنا وأجدادنا لدينكم أبداً، وقد يقول هذا المسؤولون؛ لأنهم يريدون المحافظة على مناصبهم وأموالهم، فنقول لهم: إذاً: اسمحوا لنا بالدخول بعلمائنا ورجالنا؛ لتشاهدوا آثار نور الله وهدايته، واسمحوا لنا أن ندخل ونحكم بينكم بالعدل، ونقضي بينكم بقضاء الله، وابقوا على دينكم.

ونقول لهم: ومما يدل على قبولكم لهذه الحماية أو الولاية دفع غرامة سنوية، درهم فما فوق على الرجال دون النساء، وعلى الأغنياء دون الفقراء، وعلى القادرين دون العجزة.

وهذا رمز على أنكم في حمايتنا، ولو هاجم بلادكم العدو فنحن الذين سنقاتله دونكم؛ لأننا ملتزمون بحمايتكم، ونحن الذين سنموت ونستشهد، وأما أنتم ففي ذمتنا، فالزموا أماكنكم.

فإن قالوا: ما دمت أبقيت لنا ديننا فادخلوا.

فإذا دخل المسلمون بحق - الذين ليسوا مثلنا، فنحن متمسلمين فقط- تجلت أنوار العدل والرحمة، والطهر والصفاء، وتختفي مظاهر الكذب والباطل، والخيانة والتكالب على الدنيا، فيشاهدوننا بينهم كالملائكة، فيدخلون في رحمة الله بنسائهم وأطفالهم.

وهذا هو الذي حصل في العالم الإسلامي. وأقسم بالله أنني لا أعلم رجلاً ولا امرأة أكره على الدخول في الإسلام، وأنهم ما دخلوا إلا باختيارهم ورضاهم. وإن رفضوا وحملوا السلاح وقالوا: سيقاتلون حتى يموتوا دون دينهم وبلادهم فحينئذ نعلن الحرب الربانية عليهم؛ من أجل أن يعبد الله؛ ليسعد ويكمل عباد الله في الأرض، وفي الدنيا والآخرة. ونقاتلهم بشرط: ألا نقتل صبيّاً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا من التزم كنيسة أو ديراً، بل يبقى كل هؤلاء آمنون. من يجب على المسلمين عداوته

ما زال الكفار في العالم يفهمون أن المسلمين يعادونهم هم فقط، وهذا لغفلتهم، وإلا فنحن نعادي كل من كفر بربنا، وفسق عنه، وخرج عن طاعته، ولو كانوا آبائنا أو أبناءنا أو إخواننا، فمن أصبح عدواً لربنا فهو عدو لنا. وعدو سيدك هو عدوك إن كنت عاقلاً. والكفر سواء كان من عربي أم عجمي، أم من أبيض أم أسود، أم من قريب أم بعيد فهو كفر، يجب أن نعلن معاداته؛ لأن الله عدوه. وقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي [المتحنة:1] أَوْلَاءَ [المتحنة:1]. وهم يفهمون أن الإسلام يعادي الكفار الأوروبيين والصينيين واليابانيين فقط، وهذا ليس صحيحاً أبداً، بل إنه يعادي كل من كفر بالله وحارب أوليائه، ولو كانوا حتى أهل البيت في الكعبة. الترغيب في التجارة مع الله

[الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم!] الذي يقرأ هذا النداء، والمستمع المستفيد! أيضاً، الذي يصغي ويستمتع إليه [أن هذا عرض] كما تعرض البضائع في الأسواق، فهو عرض [وترغيب] في الحصول عليها وشرائها والظفر بها [وتشويق إلى ما يذكر بعده] أي: بعد هذا النداء، وهذا [كقول المرء للآخر: هل لك في كذا؟ أو هل لك إلى كذا؟] إذا أراد أن يرغبه ويشوقه ويحرك باطنه [فلاستفهام] هنا [في هذا النداء] و [هو:] هو [أدلكم على تجارة وصفها كذا؟ ... من هذا الباب] أي: باب التشويق والترغيب في السلعة التي تعرضها [وذلك لأنهم] أي: الأصحاب [قالوا] في مجلس خاص: [لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لفعلناها]. فناداهم الرب تبارك وتعالى قائلاً: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الصف:10]! أي: يا من آمنتم بالله ولقائه، والقرآن وما فيه [أي: من شرائع وأحكام] والرسول محمد عليه الصلاة والسلام وما جاء به [من الشرائع والأحكام] هَلْ أَذْلَكُكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ [الصف:10] [أي: موجه] وهو عذاب الدنيا من تسلط العدو عليكم وقهركم [لأن المسلمين إذا تركوا الجهاد وتركوا الاستعداد وإعداد العدة تسلط عليهم العدو. والعدو إذا دخل ديارهم سامهم الخسف، وصب عليهم ألوان العذاب، وقد حصل هذا ووقع عدة مرات في العالم الإسلامي من إندونيسيا إلى موريتانيا، ولهذا قال تعالى: وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ [الأنفال:60]. وقال أهل البصيرة: السلم المسلح هو الذي يرهب العدو.

فإذا أنت أعددت قواتك وآلاتك ورجالك خافك العدو، ولن يغزوك أو يفكر في غزوك، وإذا رآك بلا عدة ولا عتاد ولا رجال انفتح الباب أمامه.

فالسلم المسلح أفضل من الحرب بلا سلاح. قال: [وهو أيضاً من الفقر والخوف] فالعذاب قد يكون فقراً أيضاً، وقد يكون خوفاً [ومن عذاب الآخرة، وهو النار وبئس المصير] والعياذ بالله.

قال: [والعذاب] تعريفه [هو: كل ما يقطع عذوبة الحياة ولذاذتها] فكل ما يقطع ويفصل ويبعد عنك لذة الحياة هو العذاب، والفقر والخوف يعلان هذا، وتعذيب الكافر لك يفعل هذا، بل ويزيل طعم الحياة من فمك. وقد سمي العذاب عذاباً لأنه يزيل العذوبة في الحياة الدنيا والآخرة.

قال: [و] معنى [الأليم: الموجه أشد إيجاع] وكلنا نعرف الوجع ما هو، فالضرس إذا ألمك يدللك على ذلك، وكذلك المغص في بطنك يدللك عليه، وإذا حدث لك شيء من هذا فقد تتبع الدنيا وما فيها من أجل إبعاده. ثمن التجارة مع الله

قال: [بعد هذا الترغيب بين لهم ما يدفعونه من مال ليستلموا البضاعة] وقد قلت لكم: إنه من فضل الله علينا أنه وهبنا المال والنفس، ثم اشترى منا ذلك، واقرأوا قول الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ [التوبة:111].

فاشتراهما منهم كسلعة، والثمن الجنة.

فهو تعالى الذي أعطانا السلعة ثم اشترانا بها.

وأهل الكرم يفعلون هذا، فجابر بن عبد الله لما عجز بعييره في الغزو والسير مع القافلة اشتراه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشترط جابر أن يحمل عليه متاعه إلى المدينة، ثم نخسه رسول الله فأصبح أسرع جمل في القافلة، فركبه جابر بن عبد الله، ولما وصل إلى المدينة قدم الجمل للرسول صلى الله عليه وسلم، فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم الثمن الذي اشترى به الجمل، ثم أعطاه الجمل والثمن؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلم هذا الكمال من الله.

فإنه عز وجل هو الذي أعطانا أبدنا وقوانا، وملأ جيوبنا بالنقود، ثم اشترى منا ذلك بالجنة.

وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قال: [فقال في بيان الثمن المطلوب للحصول على السلعة الغالية: تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [الصف:11]] هذا أولاً [أي: بألوهيته] وليس معنى الإيمان بالله الإيمان بوجوده، وأنه موجود؛ لأن المشركين لا ينكرون وجود الله، فقد قال تعالى عنهم: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [الزخرف:87].

وقال: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ [العنكبوت:61] لا يقولون: اللات أو هبل، فهم ليسوا مجانين، بل لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ [العنكبوت:61].

ومع ذلك لم يدخلهم هذا في الإيمان.

إذاً الإيمان بالله هو الإيمان بألوهيته، وأن لا يعبد إلا هو أبداً [ولقائه] بعد الموت [ووعده] لأوليائه بالنعيم المقيم في دار السلام [ووعده] لأعدائه بالعذاب الأليم في دار البوار [وتؤمنون] أيضاً [برسوله] محمد صلى الله عليه وسلم [وما جاء به] من الشرائع والأحكام والعبادات [و] بما [يدعو إليه] البشرية، وهو يدعو إلى الإسلام، وهو الاستسلام لله والانقياد له.

وهذا نصف الثمن.

والنصف الباقي هو: [وَتُجَاهِدُونَ [الصف:11] أي: أعداء الله تعالى وأعداءكم، وهم كل مشرك وكافر يعلن الحرب عليكم، ويعاديكم ويعادي ربكم سبحانه وتعالى، بأن يعبد غيره، ويتبع سبيلاً غير سبيله] فهذا هو العدو وإن كان أباك أو أمك.

الله عز وجل حين يستنصر عباده المؤمنين فهو إنما يدلهم على سبب فوزهم وفلاحهم، فهو سبحانه الغالب الذي بيده مقاليد كل شيء، وهو العزيز المتين الذي له جنود السماوات والأرض، لا يفتقر إلى أحد من خلقه، وخلقهم قفراً إليه، وسنة الله في هذا المقام جرت حتى على الأمم السابقة، فمن نصر الله منهم نصره الله وجعل الغلبة له. وجوب نصره دين الله وأهله انتساء بمن دعوا إلى ذلك فأجابوا ففازوا بالنصر والغلبة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

لقد درسنا ثلاثة وتمانين نداء، وقد أوشكنا على نهاية هذه النداءات، فهي تسعون نداءً.

وهذه النداءات التسعون قد حواها كتاب الله عز وجل، وأول نداء فيها في سورة البقرة، وآخر نداء في سورة التحريم. وقد حوت هذه النداءات واشتملت على كل متطلبات الحياة، فقد حوت العقيدة والعبادة، والآداب والأخلاق، والقوانين العامة والخاصة في الحرب وفي السلم، وفي الاقتصاد وفي كل شئون الحياة. وقد يسر الله جمعها في هذه الورقات.

والمفروض والمطلوب من المؤمنين أن يترجموا هذه النداءات إلى لغات إخوانهم من غير العرب، وعلى العرب أن يطبعوها ويوزعوها، أو يبيعوها؛ حتى تصبح في بيت كل مؤمن، بل ونود أن توضع على كل سرير في الفنادق الإسلامية، حتى يقرأ النزول نداءً قبل أن ينام، ويسمع ما ناداه الله من أجله، فإن كان فعلاً استعد لفعله، وإن كان نهياً استعد لتركه، وإن كان علماً تعلمه، وإن كان بشرى سرته وفرح بها، وإن كان إنذاراً خاف، وعزم على أن يتجنب كل ما فيه خسارته في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وهذا هو [النداء الرابع والثمانون: في وجوب نصره دين الله وأهله] فهذا النداء يعلم المؤمنين والمؤمنات أن نصره الله في دينه وأوليائه واجبة، وذلك [انتساء بمن دعوا إلى ذلك فأجابوا ففازوا بالنصر والغلبة] فالله دعا خلقه وأوليائه إلى نصرته فأجابوا، فهيا نأتسي بهم، فقد دعانا نحن أيضاً إلى نصرته، أي: نصره دينه وأوليائه، فلنأتس بالسابقين، ولننصر الله ورسوله والمؤمنين.

[الآية (14) من سورة الصف] فهذا هو النداء الثالث في هذه السورة.

الحث على نصره الله وكيفية نصرته

قال: [وهيا بنا] أيها المستمع الكريم! [بعد هذا نستعرض ما جاء في هذا النداء الإلهي العظيم، إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الصف:14] وقولوا: لبيك اللهم لبيك!] فقد ناداكم الله به [أي: يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، فحيوا بذلك، وأصبحوا أهلاً للنداء، وما يؤمرون به وينهون عنه. كونوا أنصاراً لله [الصف:14] هذا هو الذي نادانا من أجله، فقد نادانا ليقول لنا: كونوا أنصاراً لله، وانصروا الله، والله ليس محتاجاً إلى نصرتنا، ولكننا في دار ابتلاء وامتحان، وهذا شرعه وكتابه، والأعداء متكالبون عليهم، فانصروا الله في أوليائه، وقد قال تعالى: إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد:7].

وقال هنا: كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ [الصف:14].

وفي قراءة سبعية: (كُونُوا أَنْصَاراً لَّهِ).

والمعنى واحد [أي: التزموا بنصرة ربكم وإلهم الحق، الذي لا رب غيره، ولا إله سواه، التزموا بنصرته] أولاً [في دينه] بحيث لا يهان هذا الدين ولا يعيب به، ولا يسخر منه ولا يستهزأ به، فانصروا الله في دينه؛ ليعبد به عز وجل ويجل ويعظم [ونبيه] أي: انصروا نبيه، والتقوا حوله، وقاتلوا العدو دونه، ولا تسمحوا لمن يسبه أو يشتمه، أو يقول عنه سوءاً أو يطعن فيه.

فانصروا الله في دينه ونبيه [و] في [أوليائه المؤمنين المتقين] فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، فإذا أوذوا فانصروا الله فيهم، وأذهبوا عنهم الأذى، وارفَعُوا عنهم السوء والباطل [فقولوا كما قال الحواريون] في هذا النداء، فهذا النداء لنا نحن، أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، والحواريون هم حواريو عيسى، أي: أنصار عيسى [لما دعاهم عيسى عبد الله ورسوله لنصرته قائلاً: مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ] [الصف:14]؟ أي: من ينصروني في حال كوني متوجهاً إلى الله أنصر دينه وأوليائه، فأجابوه [ورفَعُوا أصواتهم] قائلين: نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ [الصف:14].

فكونوا أنتم أيها المسلمون! [أتباع محمد صلى الله عليه وسلم] مثلهم [هكذا.

فالله يربينا بهذا الكتاب، ونحن عنه معرضون، ولا نسأل عنه، ولا نفهمه.

وقد سمى الرسول صلى الله عليه وسلم الزبير حوارياً، فهو ابن عمته وحواريه، فالحواريون هم الأنصار بلغة العرب، وباللغة العبرية: الحواريون بمعنى: الأنصار.

فليكن المسلمون مثل الحواريين [في نصره دين الله، ونبيه وعباده المؤمنين.

وقد أجابوا] أي: أصحاب الرسول [رضوان الله تعالى عليهم] وأحفادهم وأولادهم.

وأما الذين أتوا بعدهم فكما قال تعالى: [فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ] [الأعراف:169].

فلم يجيبوا، ونحن مع الأسف منهم [و] [وا أسفاه! وا حسرتاه! وا حزنه! على ما فرطنا في جنب الله].

نصر الله للمؤمنين من بني إسرائيل على الكافرين

قال: [وقوله تعالى في ختام هذا النداء: فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ] [الصف:14] [أي: آمنت طائفة بعباسي، وهم الحواريون، وكفرت طائفة أخرى [فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ] [الصف:14] [وقويناهم] فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ [الصف:14]] منتصرين.

قال: [فقولته: فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ] [الصف:14] أي: بعباسي، وما جاء به من الحق والهدى، وهو أن عيسى عبد الله ورسوله، وليس بآله ولا ابن الله، ولا بثالث ثلاثة مع الله، وليس هو بساحر ولا دجال، ولا مفتر كذاب، ولا هو بآبَن زنا. وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ] [الصف:14] أخرى.

فاليهود قالوا: عيسى ابن زنا، وقالوا: ساحر، وكفروا به، وبما جاءوا به، واحتالوا على المؤمنين الموحدين من أتباع عيسى، فأفسدوا عقائدهم، وحرفوا دينهم؛ مكرراً بهم، وحسداً لهم على فوزهم بالدين الحق، والولاية الإلهية، حيث حرموا هم منها.

والعياذ بالله.

وقوله تعالى: فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ [الصف:14]، أي: الكافرين.

فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ [الصف:14]، أي: غالبين عالين منصورين [فقد انتصر الحواريون ودخل معهم الروم، وعاشوا سبعين سنة على الدين الحق، واليهود أدلة مهانون كالكلاب أمامهم] إلى أن احتال اليهود أعداء الله الحسدة على إفساد الدين الصحيح الذي جاء به عيسى عليه السلام، وهو الإسلام القائم على عبادة الله تعالى وحده بما شرع من أنواع العبادات الروحية والبدنية، وحينئذ لم يبق من المؤيدين إلا أنصار قليلون هنا وهناك، وعلا الكفر والتلث، وظهر الشرك في ربوع الأرض [فقد عرف اليهود ما يصنعون، فتنصر من تنصر منهم، ومنهم بولس، فدخلوا في النصرانية، وأفسدوا دين النصارى، فأصبحوا وتبين يؤلهون ثلاثة.

ومعنى قوله تعالى: فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ [الصف:14] أي: الذين حاربوا عيسى وأرادوا قتله، وصلبوا من مثل لهم، وشرّدوا فترة من الزمن، فقد نصر الله أولئك المؤمنين، واحتضنهم الرومان، ودخلوا في دين الله، وأصبحوا أعزة ظاهرين على اليهود الأدلة مدة سبعين سنة.

ثم عرف اليهود - وهم أمكر خلق الله- كيف يفسدون عليهم هذا الدين، ويجعلونهم يهبطون، كما فعلوا بنا، فدخلوا في النصرانية حيلة ومكرًا، كما دخل رجال الكنيسة في الإسلام باسم الطرق وجماعات التصوف، ومزقوا أمتنا، فقد كان الواحد منهم يدخل بالمسبحة، ويلتف حوله المؤمنون، ويعطيهم الطريقة عشر سنين، ثم يعود إلى أوروبا ويلبس البرنيطة والله العظيم.

وهكذا فعلوا بالمسيحيين، فقد أفسدوا الديانة المسيحية، فتحولت إلى وثنية، وأصبح أهلها يقولون: عيسى الله وابن الله وثالث ثلاثة، وتاهوا.

قال: [واستمر الوضع كذلك إلى أن بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، فانضم إلى الإسلام من انضم من النصارى، فأصبحوا بالإسلام ظاهرين على عدوهم من المشركين المؤلهين لعيسى، الحيارى في تقويمه؛ إذ مرة يقولون: هو ابن الله، ومرة يقولون: ثالث ثلاثة مع الله.

وضللهم وتركهم في هذه المتاهات الانتفاعيون من الرؤساء، والجاهلون المقلدون من المرءوسين، كما فعل نظراؤهم في الإسلام، إذ حولوه إلى طوائف و [إلى [شيع] ولا حول ولا قوة إلا بالله] إلا أن الإسلام تعهد الله بحفظه إلى يوم القيامة، فمن أرادته وطلبه في صدق وجده سليماً صحيحاً صافياً كما هو في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن لم يردده ولم يطلبه، ورضي بالضلال والجهل والفسق والكفر فهو فيها إلى أن يهلك ويمسي في أصحاب السعير.

ولا يهلك على الله إلا هالك.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين [صلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وسلم.
من مقتضيات ولاية الله عز وجل لعباده المؤمنين

قال: [فلذا لا يأمرهم إلا بما يزكي أنفسهم، ولا ينهاهم إلا عما يدسي] ويخبث [أنفسهم، ولا يبشرهم إلا بما يزيد في طاقة إيمانهم بعد شرح صدورهم، وذهاب الغم والهم عنهم، وإبعاد الحزن والخوف عنهم؛ إذ أولياؤه نفى عنهم الخوف والحزن في الحيوانات الثلاث: الحياة الدنيا، وحياة البرزخ- وهي الحياة بين الحياتين الأولى الفانية والآخرة الخالدة- والحياة الآخرة، وهي [الحياة [الخالدة الباقية] وذلك [في قوله تعالى: ألا [يونس:62]] وقد أفرح بعض المؤمنين كلمة ألو، وهم لا يعرفون معناها، ويعرفها حتى البنت الصغيرة والابن الصغير الذي يحبو؛ لكثرة استعمالها، وأما ألا فلا يعرفون عنها شيئاً.

وأما ألا فمعناها: انتبه أيها المستمع! وعي اسمع، واحضر أحاسيسك، واستعد لتتلقى ما أقول لك [إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62]].

ومن مظاهر الهبوط: أن يقوم من يسأل في وقت الدرس، والمفروض أنه يبكي بين يدي الله، وكذلك يوم الجمعة والإمام يخطب الجهال يسقي بعضهم بعضاً الماء.

وهذا من مظاهر الهبوط.

فإنه حرم علينا حتى الحركة لتتلقى الحكمة وما يتلى علينا، وجماعتنا يوزعون الماء في الصيف، ويقولون: الناس عطاش؛ بسبب الحر.

وهذا ليس وعياً ولا بصيرة، فالناس يستمعون في الدرس وهو يلف ويدور، فقد هبطنا.

وليس عسانا أن نقول إلا: يا رب! ارفعنا، وردنا إلى سماء كمالنا، ولسان الحال يقول: الرافعة بين أيديكم، وهي آيات الله، قال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا [الأعراف:175-176].

ولا توجد رافعة غير القرآن والسنة والله الذي لا إله غيره.

ولو وضعنا قوانين أو سحراً بكل ما يمكن على أن نطهر قرية واحدة؛ ليصبح أهلها ربانيين والله لن يكون كذلك، فضلاً عن مدينة أو أمة أو جيلاً كاملاً، ومستحيل أن يكونوا ربانيين إلا بالرافعة الإلهية، وهي القرآن والسنة، فهما كتاب الحياة والنور.

قال تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62].

وهم [الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ] [يونس:63-64] [وليس أولياء الله عبد القادر ولا غيره من الموتى، والذي يشك في هذا فهو ميت، فالله هو الذي بين لنا وعلمنا من هم أوليائه، فهو الذي قال: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] [يونس:63].

وكل كافر وفاجر لله عدو؛ لأن أولياءه لا يعاكسونه؛ حتى لا يغضب عليهم أبداً، بل إنهم إذا أحب الله الشيء أحبوه، وإذا كرهه الشيء كرهوه، وبذلك تتم محبتهم وولايتهم له.

قال: [وبين الرسول صلى الله عليه وسلم بشرى الحياة الدنيا، وأنها الرؤيا الصالحة يراها] العبد [أو ترى له] فقال عن البشرى أنها: (رؤيا صالحة يراها) ولي الله، (أو يراها غيره).

ويخبره بها في الحياة الدنيا. وكذلك إذا كان على سرير الموت وما زالت الروح في الصدر تحسّج، والعواد حول المريض تنزل أفواج الملائكة فوجاً بعد فوج يهنئونه ويبشرونه، واقرءوا: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ [فصلت:30-31] ... الآيات. وهذه بشرى في الدنيا أيضاً، إذا كان صاحبها قد يؤسوا منه، وحسرت روحه. أولياء الله كل مؤمن ومؤمنة تقي.

وأقول: إنهم حصروا الولاية في الأموات من أجل أن يستبيحوا فروج نساءنا، ودماء إخواننا وأموالنا؛ لأنه لا يقدر أحد ولا يستطيع أن يؤذي الولي، ولذلك قالوا: أولياء الله هم الذين ماتوا، وأما الأحياء فاذبحهم أو افجر بنسائهم، أو اكذب عليهم، أو اسخط عليهم؛ فإنهم ليسوا أولياء.

وأنا أريد أن أعجل بتبليغ ما في نفسي من علم، وأنا أعرف أنا أكثر من نصف المدينة لم يتأهلوا لهذا، وهو: أن القاعدة العامة: هي أن الله تعالى يقول في صحيح البخاري: (من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب). ولم يفهم المسلمون والمسلمات هذا، ولو فهموه لم يستطيعوا أن يؤذوا ولياً لله أبداً، لا بسب ولا بشت، ولا بتغيير أبداً ولا بأي أذى.

ثم إن العدو قال: ننقل الولاية إلى الأموات، ونسلبها من الأحياء؛ حتى يصبح المسلمون يخافون الأموات ويهابونهم، ويبجلونهم ويعظمونهم، ويزورونهم، وأما الأحياء فيسبونهم ويغتابونهم، وينمون بهم ويشتمونهم، ويسرقون أموالهم، ويفعلون بهم ما يشاءون. ونجحوا في هذا.

وأصبح الولي في القرية هو صاحب القبة الخضراء أو البيضاء، الذي عليه تابوت من خشب وعليه الأزر الحريرية، وعنده الملازم أو الحاجب، والذي يأخذ الناس أبناءهم المرضى إلى قبره، وأما الأحياء فكلهم أعداء الله، فافعل بهم ما تشاء.

ولا شك أن اليهود رؤساء الكنيسة يعرفون هذا الكلام، ولما يسمعونهم يحزنون، ولكن العرب والمسلمين لم يفهموا هذا ولم يعرفوه أبداً.

ولو عرفنا أننا أولياء الله لم يؤذ بعضنا بعضاً ولو بكلمة، لكن لما علمونا أن أولياء الله هم الذين ماتوا ولم يعودوا موجودين أصبح بعضنا يزني بنساء بعض، ويفجرون بأولادهم، ويلوطون بهم، ويخيفونهم، ويسلبون أموالهم، ويمزقون أعراضهم، ولو كانوا يعلمون أنهم أولياء الله والله ما فعلوا هذا، بل لارتعدوا وخافوا. سبب نداء الله عز وجل لعباده المؤمنين دون غيرهم

[الشرح: اذكر أيها القارئ الكريم!] أو المستمع المستفيد! [أن الله تعالى لا ينادي عباده المؤمنين به وبلقائه وبرسوله، وما جاء به من الدين الحق، ويدعو إليه، لا يناديهم إلا ليأمرهم] بفعل من الأفعال؛ من أجل أن يكملوا ويسعدوا؛ لأنهم أوليائه، وليس من أجل أن يرهقهم ويذلهم، تعالى الله عن ذلك.

قال: [أو ينهاهم] عما يرديهم ويخسرهم ويشقيهم، ولا ينهاهم عما فيه سعادتهم، والله ما كان هذا [أو يبشرهم] بما يفرحهم ويثلج صدورهم [أو ينذرهم] ويحذرهم ليهربوا من الأذى الذي ينتظرهم؛ لأنه وليهم [أو يعلمهم ما ينفعهم، وهذا مقتضى الولاية التي بينهم وبينه سبحانه وتعالى].

انتكاس المسلمين في معنى الولاية وسبب ذلك

الله ولي المؤمنين، وليس لهم ولي سواه، فقد قال تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:62].

فلا خوف عليهم ولا حزن لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا يوم القيامة. وأولياء الله ليسوا سيدي عبد القادر، ولا سيدي محمود، ولا سيدي مبارك، وقد عاشت أمتنا قروناً تعتقد أن هؤلاء فقط هم الأولياء، وكنت لو دخلت إلى عاصمة من عواصمهم سواء القاهرة المعزية أو دمشق أو بغداد أو غيرها وقلت لأول رجل تلقاه في الطريق: يا سيد! أنا غريب الدار، وقد جئت من بلاد بعيدة، وأريد أن أزور ولياً من أولياء الله في هذه البلاد فإنه والله لا يأخذ بيدك إلا إلى قبر أو ضريح عليه تابوت من خشب، وستائر من حرير، ولا يفهم والله أن في تلك المدينة ولياً لله حياً؛ لأنهم يظنون أن الولي هو الذي مات، وبني على قبره قبة، ووضع له الذبائح والنذور، وحمل المرضى إليه، وعكفوا على قبره.

والأحداث من أبنائنا لا يعرفون هذا، وأما نحن الشيوخ فقد عشنا هذا وعرفناه. وقد كان القاضي إذا حلف الجاني أو الخصم بالله يحلف سبعين مرة، وإذا حلفه بحق سيدي عبد القادر لا يحلف، فاعرفوا هذا، فأصبح القاضي مضطراً إلى أن يحلف الخصم بسيدي فلان.

والذي فعل بنا هذا هو الثالث الأسود، المكون من المجوس واليهود والنصارى، فقد حاربونا وتآمروا علينا، ولكنهم فشلوا، ثم إنهم تساءلوا عن سبب قوتنا هذه التي لم يستطيعوا بسببها أن يمرغوا أنوفنا أو يذلونا، فعرفوا أن سبب قوتنا في القرآن، فهو الروح الذي لا حياة إلا به، فالقرآن روح، وقد ذكر تعالى لنا ذلك، فقال في سورة الشورى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا [الشورى:52].

ولما علموا أن القرآن هو الذي حيت به هذه الأمة بعد أن اقتدت به، وأنهم لا يستطيعون أن يأخذوا منهم القرآن؛ لأنهم يحفظونه في صدورهم أبعدونا عن القرآن لنموت، وفعلاً ونجحوا بعد أن أبعدونا عن القرآن، فقد عملوا على تحويله إلى الموتى وإلى المقابر فقط، تمر في المدينة في أحيائها، وكنت إذا سمعت قرأناً يقرأ عرفت أن هناك ميتاً، فمات المسلمون وهبطوا والله.

والدليل على موتهم وهبوطهم: أنهم استعمروا، وحكمهم الكفار من إندونيسيا إلى موريتانيا، ومن لم يصدق هذا فلينظر إلى آثار الحكم الأوروبي، فإنه مازال إلى الآن، ولا زال المسلمون لا يحكمون بقال الله وقال رسوله، بل ما زالوا يحكمون بقوانين الغرب. وهذا دليل على أنهم كانوا محكومين.

فهيا نعود. ولا تقولوا: لا نستطيع أن نغلق دكاكيننا ونعطل حياتنا، والناس لا يجتمعون إلا بعد المغرب؛ ليشتروا ما يشترون. وضاعت العزائم؛ لأنه لا يستطيعون.

وإذا كنت عازماً على أن تسكن السماء وتعلم أنه لا قيمة لحياتك إذا لم تنزل في دار السلام فوق السماء السابعة فتهيأ لذلك، فأنت لن ترقى مسافة خمسة آلاف وسبعمئة عام وأنت في لباسك وطعامك وشرابك، فهذا ليس معقولاً أبداً، ورواد الفضاء قبل صعودهم إلى الفضاء يتدربون، ويلبسون لباساً خاصاً، ويصنعون لهم طعاماً خاصاً؛ حتى يطلعوا إلى الفضاء، والذي يريد أن يخترق السبع الطباق لو قيل له: صم الدهر كله فعليه أن يصومه، ونحن لو قيل لنا: اجلسوا ساعة في بيت ربكم؛ لتطهروا أنفسكم، نقول: لا نستطيع. كيف نطلب العلم

حتى لا يقول قائل: لا يمكن أن نطلب العلم؛ فنحن لنا أزواج وأولاد وأعمال، ونحن نكدح في الحياة من أجل القوت وطلب الرزق أقول: إذا دقت الساعة السادسة مساءً فعلياً أن نوقف دولا العمل، ونغلق أبواب الدكاكين وأبواب المطاعم وأبواب المقاهي، ونحمل زوجاتنا وأولادنا إلى بيت ربنا، ونجلس معهم نتلقى الكتاب والحكمة وتزكية النفوس من المغرب إلى العشاء، وإن شئنا أن تشغل بعد ذلك فلنشتغل.

وكذلك نشغل ونعمل في النهار من بعد صلاة الصبح - أي: من الساعة الخامسة - إلى السادسة مساءً، وهذه (13) ساعة، وهذا يكفي.

وإن أغلب المسلمين همهم أن يكونوا كالأوروبيين، ويحاولون أن يكونوا مثلهم في كل شيء، حتى في تعرية الرأس وفي حلق الوجوه، وحتى في تكشف نسائهم وبناتهم، وفي الدخان والعبث. وأقول: لنقتدي بهم في هذه القضية الرئيسية، فقد علمنا أنهم إذا دقت الساعة السادسة أوقفوا العمل، وبدلوا ثيابهم وملابسهم، وأخذوا نساءهم وأطفالهم إلى دور السينما، وإلى المراقص والمقاصف، ويسهرون إلى نصف الليل. ونحن نحاول أن نكون مثلهم في كل شيء، إلا في هذا لا نستطيع. وهناك من يقول: إن هذا الشيخ يريد أن يدوخمكم. وأقول: والله الذي لا إله غيره إن لم نقبل على الله في صدق مثل إقبال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأحبابه وأتباعهم قلن يرتفع عنا هذا الذل والدون، ولن نكمل ولن نسعد. والطريق إلى هذا هي: العلم. فضل العلم في المجتمع

علينا أن نتعلم الكتاب والحكمة، وأن نتلقاهما في بيوت ربنا مع نساءنا وأطفالنا ورجالنا في كل ليلة وطول العمر، وبهذا لن يبقى بيننا جهل، ولا جاهل ولا جاهلة، ويومها والله تنتهي البغضاء والعناد، والحسد والكبر، والجرائم والتلصص، والظلم والخبث والفساد. وقد جرب هذا ونجح.

ووالله ما عرفت الدنيا أمة أكمل ولا أطهر ولا أصفى ولا أعدل ولا أرحم من هذه الأمة في قرونها الذهبية الثلاثة. وسبب ذلك: أنهم عرفوا محاب الله فأحبوها وفعلوها، وعرفوا مساخط الله فسخطوها وتركوها، فكمّلوا وسعدوا وسادوا.

ولست واهماً، في ربع قرن - أي: خمس وعشرين سنة- وصل الإسلام إلى ما وراء نهر السند وإلى الأندلس، وغطى هذه المناطق كلها.

ولم يكن هذا والله بالحيل والسحر، ولا بالمدفع والإكراه، وإنما كان بالدعوة الربانية، أي: بقال الله وقال رسوله، وليس بفلسفة أفلاطون، ولا سحر نابليون.

ونحن لا نعي هذا ولا نفهم، ولا أدري إلى متى سنظل كذلك.

وحتى تفهموا أحلف لكم بالله على أن أعرفنا بالله هنا وأعلمنا به أتقانا له.

وإذا كان أحدنا يكذب في الأسبوع مرة فالعالم لا يكذب ولا مرة في العام، بل ولا مرة في الحياة.

وإذا كان فينا من يسرق في العام مرتين فالذي عرف الله لا يسرق أبداً طول حياته.

ولا تطالبوا بعد هذا ببرهان، ولا بحجة تثبت هذا.

فإلى الآن أتقانا الله أعلمنا به، وأجهلنا بالله أكثرنا شراً وفساداً.

وقد علمتم أن الله سنناً لا تتبدل ولا تتغير، وقد قرأتم في آيات الله: فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا [فاطر: 43].

فالطعام يشبع، ولم تتبدل هذه السنة أبداً، والماء يروي، ولم يفقد هذه الخاصية بحيث أصبح لا يروي، فهذا لم يحصل، والنار تحرق، ولم تتغير بحيث أصبحت لا تحرق.

فسنن الله لا تبدل.

فإذا أخذنا بهداية الله والسير على منهاج الصالحين فلا بد وأن نعر ونكمل، ونسعد ونسود، ونصبح أولياء وأفضل من على الأرض، ولن تتأخر هذه السنة.

وكذلك من مشى في الفجور والجهل والفسق والكبر والشرك والضلال هبط ولصق بالأرض.

فهذه سنن الله.

لا رفعة بدون الكتاب والسنة

ألفت نظركم إلى وضعنا، فوالله يقول الله تعالى لرسوله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ [الأعراف: 175-176].

وهذه الآية عربية، والعرب ما يفهمون مراد الله منها. فهو يقول: **وَائْتِلْ عَلَيْهِمُ [الأعراف:176]** يا رسولنا! نَبَأُ [الأعراف:176]، أي: خبر الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا [الأعراف:176]. التي أوحيناها على رسلنا، فَانْسَلَخْ مِنْهَا [الأعراف:176]. والانسلاخ معروف، مثل انسلاخ الإنسان من ثوبه، ومثل سلخ جلد الشاة، بحيث يبقى الجلد وحده، وهي وحدها، ومثل انسلاخ الحية أو الثعبان من ثوبه وتركه، والمشي بدونه. وكذلك معنى الانسلاخ من آيات الله بعد أن آتاه الله إياها، أي: تركها ومشى بدونها. ونحن وضعناها على الرفوف فقط، ولم نحكمها، ولم نتلوها، ولم نتأدب بأدائها، ولم نفهم مراد الله منها، بل وقرأنا القرآن يقرأ على الموتى، وتركنا الأحياء. والبرهان على هذا: أننا لم نجد من إخواننا من جلس تحت ظل شجرة؛ لأنه شغال، وقال: تعال يا ولدي! اقرأ علي شيئاً من القرآن، ولم نجد العمال عندما يفرغون من العمل ساعة للترويح عن أنفسهم يقول أحدهم: ليسمعنا أحدكم شيئاً من كلام الله، ولم نجد أحد جالساً في المسجد يقول: أي فلان! أسمعني شيئاً من القرآن لوجه الله. فنحن لم نفعل هذا. ومعنى هذا: أننا انسَلَخنا من آيات الله، ولما ذهب عنا الحصانة والمناعة لما تركنا هذا النور الإلهي أصبحنا أتباعاً للشيطان. ولهذا قال تعالى: **فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ [الأعراف:175]**. وجرى وراءه واحتضنه، فأصبح من **الْعَاوِينَ [الأعراف:175]**. الوسخين في عقولهم وفهومهم، وأفكارهم وحياتهم. هذا معنى الغي. ثم قال تعالى: **وَلَوْ شِئْنَا [الأعراف:176]** والمتكلم بهذا هو الله. **لَرَفَعْنَاهُ [الأعراف:176]**. فهو قد انحط إلى الأرض. ولهذا نقول: إننا قد هبطنا، وإن أمتنا قد هبطت بعد كنا في علياء السماء، فهبطنا إلى الأرض. ثم قال تعالى: **وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ [الأعراف:176]**. واليوم مجالسنا ووزاراتنا بل وفهومنا وحياتنا كلها لا تهتم إلا بأكلنا وصناعاتنا، وهذا هبوط إلى الأرض، كما قال تعالى **أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ [الأعراف:176]**. ولو اتبع عقله لفكر: أن هذه الحياة لا قيمة لها إذا لم تنزود منها؛ لنرقى إلى السماء وننزل بالملكوت الأعلى. ونحن همنا كله محصور ومقصور على هذه الحياة، ولم نفكر في الحصول على رضا الله عنا، ومحبتة لنا، ولا أن نكون من أوليائه، ولا أن نقدم لغد، ولا أحد منا يقول هذا أو يفكر فيه، وإنما نفكر في الوظيفة والعمل، والنجاح وغير ذلك. ولا إله إلا الله! وقد ضرب الله المثل لمن هذا حاله فقال: **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ [الأعراف:176]**. وهذا الكلام كلام الله، وليس سبة شيخ. وقد شبهه بالكلب في حالة **إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ [الأعراف:176]** وتجري وراءه **يُلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ [الأعراف:176]** تحت الشجرة والماء بين يديه فهو **يُلْهَثُ [الأعراف:176]**. وهذا اللهاث والله لن ينتهي من العرب والمسلمين ولن تنتهي حيرتهم إلا إذا عادوا إلى هذا الكتاب، وهم اليوم يلهثون مرة خلف أمريكا، ومرة خلف روسيا، ومرة خلف الديمقراطية، ومرة خلف العلمانية، ومرة خلف الاشتراكية، ومرة خلف غيرهم. ولن ينتهي لهاثهم والله إلا يوم أن يعودون إلى كتاب الله، يقرءونه في صدق ويطبقونه، فيحلون ما يحل، ويحرمون ما يحرم، وينهضون بما يوجب ويلزم، ويتخلون عما ينهى ويحذر، وكل هذا في فهم وعلم، وهكذا لا يزالون يسمون ويرقون حتى يصبحوا أئمة الحياة الدنيا. وقد جرب العرب الاشتراكية، وكنا إذا تكلمنا يقولون: هذا عميل أمريكي. فهم مجانين، لا يفهمون حتى كلام الله.

وقوله تعالى: وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا [الأعراف:176] دليل على أنه لا رفعة من هذه المحنة وهذا الهبوط إلا برفعة الله، وهي القرآن العظيم.

فهيا ننشر هذه الفكرة في القرى والمدن، ولا يوجد مانع من هذا، ولا يمنع من هذا إلا حالة الحرب والرصاص والمدافع، وهذه الحرب أيضاً تنتهي بعد أسبوع أو عشرة أيام، ويعود الجو كما كان، والذين ليس في بلادهم حرب لا يوجد مانع من هذا، وليس هناك مانع أن يتعاهد أهل القرية ويتناصحون على أن يجتمعوا كل ليلة في بيت ربهم بنسائهم وأطفالهم معاً من المغرب إلى العشاء، يذكرون الله، ويتعلمون الكتاب والحكمة يوماً بعد يوم، وإذا تلك القرية والله كالكوكب في السماء، ويشع فيها نورها، لا يجوع فيها جائع، ولا يعرى عار، ولا يهلك هالك، ولا يظلم مظلوم، ولا يسب أحد ولا يشتم، ولا يعتدى على عرضه ولا على ماله، وكأنهم أنبياء، وهذا لا أنهم عرفوا الله. وحسبكم ما سمعتم، وإن شاء الله تبلغون هذا.

وهيا نتغنى بهذا النداء.

قال: [أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ [الصف:14]] ووالله ما استطاع أحد أن يرد أحد على الله في التاريخ وعلوم البشرية. فهو الذي أيد الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين منتصرين. الحث على التعلم وبيان ثمار ذلك

على أهل القرية في جامعهم وأهل الحي في جامعهم أن يجلسوا جلوسنا هذا، وتكون النساء وراء الستار، والأولاد صفوفاً أمام النساء، والفحول أمام الجميع، ويجلس لهم عالم بالكتاب والسنة، ويعلمهم ليلة آية وأخرى حديثاً طول العمر، فلا يمضي عليهم زمن- كسنة- إلا وأهل الحي كلهم علماء ربانيون، وإن كانوا لا يقرءون ولا يكتبون؛ لأنهم يتلقون الكتاب والحكمة والتزكية كما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة:2]. فأصبحوا أعلم أهل الأرض بلا نزاع، وكان منهم من لا يكتب ولا يقرأ؛ إذ ليس هذا العلم علم صناعة، بل إنه علم روحيات، تزكو به النفس، وتطيب وتنهذب به الأخلاق، ويصبح عبد الله في مستوى عالٍ، ينظر إلى من دونه كأنهم أموات، وأنه هو الحي.

ووالله ما وجدنا مانعاً من أن يجتمع أهل القرية في البلاد الإسلامية كل ليلة من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء كاجتماعنا هذا، ويتعلمون ليلة آية، ويحفظونها ويتغنون بها، وليلة حديثاً، فتشرح صدورهم، وتطيب خواطرهم، وتطمئن نفوسهم، ويعلمون علماً جديداً، فيطبقونه حال خروجهم من بيت ربهم، وهكذا. ولن يبقى بينهم جاهل أو جاهلة.

وإذا انتفى الجهل في تلك القرية، لم يبق بينهم لص يأكل أموالهم ويسطو عليهم، ولا يبقى والله بينهم عاهر ولا فاجر يفسد بناتهم، أو يفجر بنسائهم، ولا يبقى بينهم والله حسود يتألم لسعادة إخوانه، ولا يبقى بينهم والله صعلوك من رواد المقاهي بلا صلاة ولا ذكر الله.

ويصبحون أولياء الله، فلو رفعوا أيديهم إلى الله وسألوه أن يزيل الجبال والله لأزالها.

وليس هناك مانع من أن يجتمعوا هكذا، فهي ساعة ونصف فقط، لا يتعطل فيها شيء من شئون الحياة، فالدكاكين والمقاهي والمطاعم تغلق مدة ساعة ونصف أو ساعتين، ثم تفتح بعد ذلك.

فليس هناك مانع من الاجتماع هكذا، وطلب العلم واجب وفريضة، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم).

فكل من لم يطلب العلم والله الذي لا إله غيره فاسق خارج عن طاعة الله ورسوله، والذي لا يطلب العلم لن يتعلم، ولن يوحى إليه والله حتى يتعلم، بل لا يبقى إلا جاهلاً في ظلمة الفسق والفجور، والشر والفساد.

وعلى الجاهل ألا يطمع في ولاية الله، ولا يمكن أن يكون ولي الله جاهلاً، فهذا والله ما كان ولن يكون أبداً، بل الجاهل عدو الله؛ لأنه لا يعرف ما يحب الله ولا ما يكره من الكلام، فقد يقول ما يكره الله فيغضب الله عليه، أو يترك ما يحب الله فيغضب الله عليه.

والأفعال كالأقوال، فالله يحب أعمالاً شرعاً فرضها، وأنزل فيها كتبه، وبعث فيها رسله.

والجاهل لا يعرف هذا العمل الذي يحبه الله، ولذلك لا يفعله، فيغضب الله عليه، وكذلك لا يعرف الجاهل العمل الذي كرهه الله وحرمه، ولذلك يفعله، فيغضب الله عليه. ولهذا لا بد وأن نطلب العلم، ولن نعذر بالجهل.

يوم الجمعة هو أفضل يوم من أيام الأسبوع، فيه خلق الله آدم، وفيه أدخله الجنة ثم أخرجها منها، وفيه تقوم الساعة، وقد فرض الله فيه صلاة الجمعة، وأمر عباده عند سماع النداء إليها أن يتركوا ما يشغلهم من أعمال وتجارات ويسرعون إلى حضور خطبتي وصلاة الجمعة، وبين لهم أن هذه الصلاة خير لهم من متاع الدنيا كله. سبب نداء الله عز وجل لعباده المؤمنين دون غيرهم

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمرة، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

اشتمل القرآن العظيم على تسعين نداء، وهذه النداءات وجهها الله بنفسه جل جلاله وعظم سلطانه إلى عباده المؤمنين، وسر ذلك: أنهم أولياؤه، وهو وليهم، فلذا يناديهم بعنوان الإيمان، بقوله: يا أيها الذين آمنوا .

فهو يناديهم ليأمرهم بما يكملهم ويسعدهم في الدارين، أو يناديهم لينهاهم عما يشقيهم ويخسرهم في الدارين، أو يناديهم ليبشّرهم، فتتشرح صدورهم وتطمئن نفوسهم، ويسابقون في الخيرات ويسارعون إلى الصالحات، أو يناديهم لينذرهم أو ليخوفهم؛ حتى لا يقدموا على الموبقات التي تهلكهم، وتقضي على كمالهم وسعادتهم، أو يناديهم ليعلمهم ما هم في حاجة إليه من علم الآداب والعقائد، والأخلاق والعبادات، الذي يسمو بهم ويرفعهم إلى أن يصبحوا أهلاً للكملات البشرية، وهذا فضل الله ومنته ونعمته عليهم، ونحن نرجو أن نكون منهم، ولنحمد الله أن جعلنا من أوليائه. انتكاس المسلمين في معنى الولاية وسبب ذلك

قد علمتم إن كنتم تذكرون أن ولي الله ليس الذي مات، وضرب على قبره قبة، ووضع عليه تابوت من خشب، ووضع على التابوت الأزر الحريرية، وتضاء حوله المصابيح، وينقل إليه المريض، ويعكف حوله، ويتمرغ المحتاج على قبره، ويتوسل به، ويطلب منه الحاجات، بل أولئك أولياء الجهل والضلال، وهم الذين وضعهم العدو - المجوس واليهود والنصارى - ليصرفوا المؤمنين عن الولاية الحقّة؛ من أجل أن يجعلوا المؤمنين أعداءً لله، لا يخافون بعضهم، ولا يرهبونهم ولا يحترمونها، ولا يعظمونها، وكأنهم أعداء الله.

فلذلك جعلوا أولياء الله أهل القباب الذين يعبدون مع الله، وأقسم بالله أن هذا قد وقع منذ مئات السنين، وكنت إذا دخلت أي قرية وسألتهم أن يدلوك على ولي الله لا يدلونك على ولي يأكل ويشرب، ويتوضأ ويصلي، ولكن يأتون بك إلى الضريح.

وقد فعل بنا العدو هذا من أجل ألا يخاف أحدنا أخاه، ولا يعظمه ولا يبجله، ولا يحترمه ولا يقدره، بل يزني بأمراته ويسرق ماله، ويسبه ويشتمه، ويغشه في المعاملات ويحتال عليه، ويغتابه وينم عليه، وكأنه عدو الله، ومن ثمّ ظهرت المحنة، فوجد الزنا بين المؤمنين، وكانوا يزنون بالمؤمنات، وليس بالكافرات والعواهر، وكان المؤمنون يجلسون فيسبون ويشتمون، ويعيرون ويقبحون إخوانهم، وكأنهم ليسوا بأولياء الله. وقد عرف العدو وما عرفنا.

وهذه وحدها كافية بأن تهز العالم الإسلامي، ولكننا إلى الآن لم نعرف.

سرف العدو للمسلمين عن القرآن الكريم

قررنا بالأمس أن القرآن روح، وأنه لا حياة بدون روح، وقد عرف هذا اليهود والنصارى والمجوس، ولم نعرفه نحن، فقد نظرنا إلى هذه الأمة كيف سادت وعلمت، وكيف ارتقت وحكمت، وعرفوا أن سر ذلك هو القرآن، والله إنهم لصادقون في هذا، فالقرآن هو الروح التي بها الحياة، وهم عرفوا هذا فسلبوا منا قرآننا، حتى أصبح القرآن في المحاكم ودور القضاء لا وجود له إلا على الرفوف، وكذلك لا يوجد في المساجد إلا على الرفوف، ولا يقرأ إلا على الموتى، ولم يعد يُدبر، ولا يُستخرج منه الهدى والنور، ولا يُقضى أو يُحكم به، ولا تُؤخذ الآداب والأخلاق منه. ووضعوا قاعدة حفظناها من الشيوخ، وهي أنهم نظروا وقالوا: تفسير القرآن صوابه خطأ، وخطؤه كفر. فآلجموا أمة الإسلام بلجام مكر قرابة ثمانمائة سنة، فلم يكن أحد المسلمين يقول: قال الله أبداً، بل كانوا يسكتونه، ويقولون له: إن أصبت في تفسير القرآن فأنت مخطئ، فاستغفر الله وتب إليه، وإن أخطأت فقد كفرت. ولم يبق بين المسلمين من يقول قال الله كذا وكذا إلا ما قل وندر. وأصبحت السنة النبوية - الحديث الشريف - والله لا يقرأ إلا للبركة. وأعوذ بالله أن أكذب عليكم في هذا، ولا يحملني الطمع فيكم أو الخوف منكم على الكذب. ومن أراد الدليل على كلامي هذا فليأت في رمضان إلى تلك الروضة الطاهرة النقية وسيجد حلقة مباركة من رجال المدينة يقرءون البخاري للبركة، ويقرءون حديثنا فلان عن فلان، ولا يسألون عن فقه ولا عن توحيد، ولا عن قضاء ولا عن سياسة، ولا عن أدب، وكأن الأحاديث كلها عبارة عن ضلالات. فهم يقرءون البخاري للبركة فقط. وقد رأينا هذا في ديارنا الأخرى أيضاً، فهم لا يقرءون الحديث إلا للبركة. والعياذ بالله. فالحديث الذي يحمل الهدى والنور، ويحمل الشرائع والقوانين، ويحمل ما تعرف به الأمة كمالها وسعادتها، والذي هو كلام أستاذ الحكمة ومعلمها محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ للبركة. وهكذا متنا، ولا زلنا لا نعرف أننا متنا. فهيا نعود، ونحن لا نستطيع أن نعود؛ لأننا مكبلون ومغلولون ومقيدو بشهواتنا وأهوائنا فقط، وإلا فنحن لم تقيدنا أمريكا ولا أسبانيا، ولا فرنسا ولا المجوس، بل إننا في حرية كاملة، فإن شئت فتغنى طول الليل بقرأة القرآن. وكل يوم ندفن مئات الآلاف ولا ندري مصيرهم؛ لجهلهم وسوء سلوكهم. ولا أحد يسأل عن طريق العودة لأننا نائمون، والبعض يقول: لقد صحونا، وأقول: بل زدنا نوماً فوق النوم. وليس هناك من ينقل هذا الخبر ويبلغه ويحدث به ولو في المقهى، ولا أقول: يبلغ الحاكم ولا البوليس، بل يبلغه ويتكلم به في قريته عندما يجلس مع المؤمنين، وإذا جلس مع حاكم أو سلطان يقول: سمعنا كذا وكذا. وهذا هو البلاغ. طريق الأمة إلى النجاة

طريق العودة سهل، ولا تكلف ديناراً ولا درهماً، ولا تعطل ساعة من ساعات أعمالنا أبداً، ولا تعرضنا لأذى، لا من أنفسنا ولا من غيرنا؛ لأننا في حماية ربنا. وهذه الطريق هي: إذا مالت الشمس إلى الغروب ودقت الساعة السادسة، وفرغنا من العمل وأوقفنا دولابه، وأخذ اليهود والنصارى ينتظفون؛ ليذهبوا إلى المقاهي والملاهي، والمراقص والمقاصف، يغلق التجار دكاكينهم، ويرمي الفلاحين مساحيهم، ويتوضئون ويذهبون بزوجاتهم وأولادهم إلى بيت ربهم، وكل حي فيه جامع كبير على بعد مائة خطوة، أو مائتي خطوة، أو ثلاثمائة خطوة، فيدخلون إلى بيت ربهم قبل المغرب بدقائق أو مع الأذان، ويكون للنساء رواق خاص، ومكبر صوت يبلغهن، فإذا صلوا المغرب يصطف الأطفال صفوفاً، ويجلس الفحول مثل جلوسكم هذا، ويجلس لكم معلم مربي، ويربيهم بقال الله وقال رسوله، وليس بقال إمامي، ولا بمذهبي، ولا بطريقتي، بل يعلمهم قال الله كذا وكذا، وقال رسوله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا، ويتغنون بأية ربع ساعة أو عشرين دقيقة حتى يحفظها الرجال والأطفال والنساء، فتصبح كتلة من النور في قلوبهم، ويشرحها لهم المربي حسب جهده وطاقته بلسانهم وبلغتهم حتى يفهمونها، ويعرفون أن المطلوب منهم في هذه الآية أن يعتقدوا كذا وكذا إن كان عقيدة، أو يلتزموا بكذا إن كان أدباً، أو أن يتخلقوا بكذا إن كان خلقاً، ويتخلقون به من الليلة، وإن كان واجباً عرفوه وعزموا عزماً أكيداً

على أن يفعلوه مهما يكون، إن كان مكروهاً مبغوضاً لله محرماً عزموا ألا يفعلوه، وإن كان قولاً لا يقولونه، فيعودون كالملائكة في صفائهم وطهرهم، لا رغبة لهم في الشهوات، ولا في الدنيا ولا في أوساخها وأهوائها، في حين يعود الكفار والفساق والفجار سكارى من شرب الخمر والنظر إلى الباطل، وأما هؤلاء فيعودون إلى بيوتهم وهم يذكرون الله ويحمدونه، وينامون على ذكره، ثم يستيقظون لصلاة الصبح، وما إن يصلوها حتى يفرغوا إلى أعمالهم، فيذهب الفلاح إلى مزرعته، والتاجر إلى دكانه، أو إلى سوقه، والصانع إلى صناعته، ويمكنون من صلاة الصبح إلى الظهر، فينتجون إنتاجاً والله ما ينتجه الفسقة والكفرة ولو ضاعفوا ساعات عملهم؛ لأن هؤلاء أحياء ربانيون على علم، وهم يعملون لله، فأدواتهم في أيديهم وهم يذكرون الله، والفلاح يعرف أنه يضرب بمساحاته في الأرض من أجل الله، وهكذا يرقون، وهكذا يكون حالهم طول العام، فيصبح أهل القرية كالملائكة، ويندر أن يعصى الله بينهم، ويؤمنون في حياتهم، فتبیت أبوابهم مفتوحة ولا يخافون لص ولا مجرمًا؛ إذ لم يعد بينهم لص أو مجرم، وإن جاء مجرم من مكان آخر صرفه الله عنهم؛ لأنهم أولياءه وهو وليهم.

وهذه العودة لا تكلفنا شيئاً، بل إنها هي التي تنهي الخلاف والصراع، والحزبية والتكفير، والتجهيل والتفسيق، والفجور والضلال، والشهوات والحسد والأطماع، وكل هذه تنتهي حسب سنة الله عز وجل.

وإن الله سنناً لا تتبدل ولا تتغير.

وبلغوا هذا، وتحدثوا به في مجالسكم أنكم سمعتم في مسجد رسول الله كذا لينتشر الخبر، واليوم تنتشر حتى الخرافات والضلالات.

وجوب حضور صلاة الجمعة إذا نودي لها وحرمة البيع والشراء وسائر الأعمال بعد النداء

حكم السعي إلى الجمعة بعد أذان الجمعة

قال: [وقوله تعالى: فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ [الجمعة:9] أي: امشوا إلى أداء صلاة الجمعة بعد سماع الخطبة] وهذه الخطبة ترقّت بها الأمة، ووصلت بها إلى عنان السماء، وقبل أن تعرف الأمة البشرية التلفاز والراديو والتلفون فرض الإسلام فرض على الفحول دون الإناث، وعلى الأحرار دون العبيد أن يشهدوا صلاة الجمعة من أجل أن يسمعوا البيان الرسمي الذي يليقه إمام المسلمين.

فهذه الخطبة عجيبة، فإذا ألقى الإمام خطبته وشهدت تخالف ما يقول فإنك تؤخذ فوراً لتؤدّب.

فالقرآن سبق بيانات الوزراء والحكام بألف عام.

وفي كل يوم جمعة تكون الأمة كلها حاضرة، أغنياءها وفقراءها، وعلماءها وجهالها، يسمعون التعاليم الأسبوعية، فإن كان أمراً أو واجباً فعلوه، وإن كان نهياً تركوه؛ ليبقوا دائماً مشدودين بالله، أقوياء في دين الله.

ونكمل بقية النداء غداً.

جاءني اثنان يبكيان يقولان: وقع حادث، وأخونا أو أبونا الآن على سرير الموت، فادع الله له بالشفاء.

فهيا ندعو ربنا لإخواننا، وسأدعو أنا وأنتم قولوا آمين فقط يكفي، كما كان موسى يدعو وهارون يقول: آمين، فقال الله تعالى: قَدْ أَجَبْتُ دَعْوَتُكُمَا [يونس:89].

مع أن الداعي واحد.

والمسلمون لم يعرفوا هذا، فقد يدعي أحد بين عشرة أو عشرين أو أكثر ولا يقولون: آمين، وكأنهم يلعبون.

فتعلموا يا عباد الله! إذا فرغ الداعي من الدعاء فقولوا: آمين.

واعرفوا هذا.

وسورة الفاتحة فيها دعوة عظيمة، وهي قوله تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة:6].

وهذه أعظم دعوة، ولما يفرغ الإمام نقول: آمين؛ حتى نفوز بالدعوة.

ولكن المسلمين ما وجدوا من يعلمهم، ولم يطلبوا من يعلمهم، ويعيشون عشرات السنين ولا يجلسون في بيت ربهم،

ولا يطلبون هداية، ولا يطلبون من يهديهم ويعلمهم، وهذا بسبب ذنوبهم.

وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه.

فضل يوم الجمعة

قال: [فيقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الجمعة:9]] آمنوا [بي وبرسولي وبلقائي، وما عندي لأوليائي] أي: الجنة ونعيمها [وما لدي لأعدائي] من النكال والعذاب الأليم، كما قال تعالى: إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا [المزمل:12-13].

قال: [إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ [الجمعة:9] أي: إذا أذن المؤذن قائلاً: حي على الصلاة، وذلك من يوم الجمعة] في أذان الجمعة [وهو اليوم الفاضل الذي فازت به أمة الإسلام، وحرمة اليهود لعنادهم، وحرمة النصارى لجهلهم وضلالهم، إذ هو أفضل الأيام] فيوم الجمعة أفضل يوم في الدنيا في أيام الأسبوع، وقد اختلف فيه اليهود، وحملهم الحسد والعناد والكبر على أن أخذوا السبت وتركوا الجمعة، ثم جاء بعدهم النصارى، فعرض عليهم الجمعة فقالوا: الأحد، فحرمة اليهود والنصارى، وفازت به أمة الإسلام.

قال: [فيه خلق الله آدم، وأدخله الجنة، وأخرجه منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها مؤمن يصلي ويسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه] فقد أخبر رسول الله خبراً يقينياً أن فيه ساعة لا يوافقها مؤمن يصلي فيها ويطلب الله شيئاً إلا أعطاه [ويقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة -بغيراً-)] ويمكن أن تكون الساعة الأولى الثامنة صباحاً [(ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب)] أي: إلى الله- بقرة [(ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن)] أي: ذو قرنين طويلين وهو أجمل وأقوى [(ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة)] أي: تصدق ببيضة.

والذي رغبتنا هذا الترتيب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حتى يصبح يوم الجمعة يوم عبادة، وتكون الأمة كلها مقبلة على ربها، فيغتسلون ينتظفون، ويذهبون إلى بيوت ربهم؛ لأن العمل واقف فيها، واليهود يوقفون أعمالهم يوم السبت، والنصارى يوقفون أعمالهم يوم الأحد، ونحن لا نوقف العمل طول اليوم، بل نوقفه من الساعة الثامنة إلى الواحدة فقط، وبعد ذلك نذهب إلى العمل؛ لأننا أمة عمل، ولنا أمة خمول ولا هبوط، ولا لهو ولا باطل.

قال [(فإذا خرج الإمام -أي: ليرقى المنبر ويخطب الناس- حضرت الملائكة يستمعون الذكر)] لأن الملائكة على أبواب المسجد، وسواء كانت الأبواب سبعة أو عشرة أو ثلاثة، وهم يكتبون الأول فالأول، فإذا خرج الإمام وطلع المنبر دخلوا، والذي يأتي بعد ذلك لم يكتب اسمه بين الحضور؛ لأن الكتبة المعدون لذلك دخلوا إذا خرج الإمام؛ ليستمعون الذكر والخطبة.

سبب الحث على ذكر الله في كل الأوقات

هذا القرآن عجب، فالله يقول هنا في هذا النداء: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الجمعة:10].

فإذا خرجتم من الصلاة فانتشروا، هذا في المزرعة، وهذا في المصنع، وهذا في المطبخ، وهكذا، ولكن لا تنسوا ذكر الله، وإذا كان ذكر الله معنا في قلوبنا وألسنتنا فإنه يحمينا والله من الكذب والسرقة، ومن الفجور والحسد، ومن أن نؤذي أحداً أو نضره.

ومن المستحيل أن نجعل مع كل مواطن بوليس، وإذا حدث هذا فإن هذا لن يحقق والله لأهل البلد طهراً ولا صفاء ولا أمناً.

فهناك فرق بين أمة تذكر ربها وتعيش على ذكره وبين يديه، وبين أمة لا تعرف الله ولا تؤمن به، وتريد أن تحقق الأمن في البلاد، فالأمن لم يتحقق في باريس، ولا في موسكو، بل انتشرت الجرائم والموبقات، والظلم والبلاء والشقاء، ونحن تخلينا عن أنوارنا، وحاولنا أن نتقمص بقمصانهم لنكون مثلهم، فانتشر فينا الباطل والخبث، والشر والفساد، ولم نستيقظ بعد.

فهيا نعود، ولا تقولوا: لا نستطيع، فأنتم لم تدعوا إلى حمل الجبال حتى تقولوا: لا نستطيع، ولم تدعوا إلى ترك الأكل والشرب، بل دعيتم إلى أن تحققوا إيمانكم فقط، وتؤمنوا بالإيمان الصحيح.

سبب نداء الله للمؤمنين دون بقية الناس

[الشرح:] قال الشارح غفر الله لنا وله ولكم أجمعين: [اذكر أيها القارئ الكريم! أن الله تعالى ينادي عباده المؤمنين بعنوان الإيمان] ولم ينادهم قائلاً: يا أيها الناس! وإنما قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [الجمعة:9] [لأن المؤمنين أحياء بإيمانهم] وغيرهم أموات، وهم وإن كانوا أطباء ودكاترة وفنانين فهم أموات. والفرق بين الميت والحي أن الحي إذا نودي سمع النداء وأجاب، والميت لا يسمع ولا يجيب، ولو وقفت في قلب باريس تنادي: الصلاة عباد الله! لم يسمعوا، ولم يجيبوا؛ لأنهم أموات، وليسوا أحياء. وأما المؤمنون فهم أحياء بإيمانهم [يسمعون النداء، ويجيبون من ناداهم] وذلك [لكمال حياتهم. وها هو ذا سبحانه وتعالى نادى عباده المؤمنين من هذه الأمة المسلمة له وجوها وقلوبها] ومسلم اسم فاعل من أسلم يسلم إسلاماً إذا أعطى الشيء، وسلم لغيره حقه ومتاعه، ولذلك المسلم هو الذي أعطى الله تعالى قلبه ووجهه، كما قال تعالى: وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ [لقمان:22]. فالمسلم هو الذي أسلم - أي: أعطى - قلبه لله، فلا هم له إلا رضا الله، ولا يرى إلا الله في هذه الحياة، ولا يقوم ويقعد وينام ويأكل ويشرب ويبني ويهدم ويطلق ويزوج إلا الله. هذا هو الإسلام، وأما أن يقول: أسلمت ولا يعطي شيئاً فهذا يكذب، وهو لم يسلم بعد. أضرار الذنوب والسيئات على القلب

إذا توالى السيئات ختم على القلب وانتهى الأمر. واسمعوا أستاذ الحكمة صلى الله عليه وسلم يقول في بيان قوله تعالى: بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [المطففين:14]، أي: من النظرة المحرمة والكلمة النابئة والدرهم الخبيث، يقول: (إذا أذنب العبد ذنباً وقع نكتة سوداء في قلبه). وهو محط التلقي والإرسال.

(فإن هو تاب مسح ذاك الأثر وزال، وصقل القلب، وإن هو لم يتب وزاد ذنباً آخر وقع نكتة إلى جانب الأولى، وزاد الثالثة والرابعة والخامسة حتى يغطي القلب، وذلكم الران الذي قال الله فيه: بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [المطففين:14]).

ولا إله إلا الله! فقد حرمانا أعداؤنا من الهدى، وأبعدونا عن نور الله؛ لنعيش حيوانات يركبون علينا، ويحلبون ويأكلون ويشربون، وهؤلاء الأعداء هم المجوس واليهود والنصارى، فقد عرفوا وعلمو مصادر قوتنا، ولم نعرفها نحن ولا علمناها، بل إننا جهلناها، وعرفوا نورنا وهدايتنا وجهلناها، فصرفونا عن الهدى والنور، وعن الحياة بكاملها.

[أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الجمعة:9-10]] وهذا كلام ربنا، أي: خالفنا ورازقنا الذي أرسل نبينا، وأنزل الكتاب والقرآن الذي في صدورنا.

تحدي الله عز وجل للإنس والجن بهذا القرآن

تحدى عز وجل بهذا القرآن الإنس والجن على أن يأتوا بمثله فطأطأوا رءوسهم، وانكسرت أنوفهم، وتمرغوا في التراب، وحملوا عداً عظيماً للإسلام والمسلمين، وقال تعالى في هذا: قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا [الإسراء:88].

بل لما تحداهم لم يرفعوا رءوسهم، ولو عقد علماءهم اليهود والنصارى والمشركون المجالس على أن يأتوا بقرآن لما جاءوا به.

بل إنه تحداهم بعشر سور تنزلاً، فقال: قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [هود:13].

ولم يستطيعوا.

ثم تحداهم بسورة واحدة، فقال: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ [البقرة:23]، أي: شك عظيم مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا [البقرة:24].

وفي قوله: وَلَنْ تَفْعَلُوا [البقرة: 23-24] نكتة لم يعرفها أكثر السامعين، وهذه النكتة أنه قال العلماء: هذه الجملة (ولن تفعلوا) لن يقولها إلا الله، ولا يمكن أن يقولها إنسان.

ومثلاً: الآن اليابان إذا صنعت شيئاً من الصناعات لا يمكنها أن تقول: أتحدى البشرية أن ينتجوا مثلها إلى مائة سنة، ولا يمكنها أن تفعل هذا، فهذا ليس معقولاً ولا مقبولاً، ولن تقول هذا أبداً، وكذلك أمريكا بلد الصناعات العظمى في دنيا الصناعة لا تستطيع أن تظهر أو تخرج آلة أو سيارة أو طائرة أو غير ذلك وتقول: أتحدى البشرية أن ينتجوا مثل هذه في سبعين سنة، فهي لا تستطيع أن تقول هذا، وتعرف أنها لا تستطيع.

والله عز وجل قال: وَلَنْ تَفْعَلُوا [البقرة: 24] إلى يوم القيامة.

ولم يستطع أحد أن يأتي بسورة مثل التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم قال تعالى: فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ [البقرة: 24] خيراً لكم.

الفرق بين نداءات الرحمن ومزامير الشيطان

هذا هو [النداء الخامس والثمانون] فهنا نسمع كلام ربنا، فهو ينادينا ليأمرنا بأعظم أمر وأنفعه لنا في حياتنا الدنيا والآخرة.

ومضمون هذا النداء وفحواه ومطلوبه هو: [في وجوب حضور صلاة الجمعة إذا نودي لها، و [في] حرمة البيع والشراء وسائر الأعمال بعد النداء الآيتان (9 - 10) من سورة الجمعة] وسورة الجمعة مدنية.

وهي نتغنى بالآيتين أولاً، ونتلذذ بتلاوتهما، ولا نكون من الذين يتلذذون بأغاني أم كلثوم وغيرها، والله الذي لا إله غيره إن الذين يتلذذون بهذا لا يتلذذون بالقرآن، ولا يستطيعون ذلك.

إن العبد أو الأمة الذي يتلذذ بالأغاني ولا يتلذذ بالقرآن قلبه ميت، فعليه أن يجدد إيمانه، وحرام على المؤمن أن يسمع امرأة تغني، وهذا لا يحل أبداً، وكذلك المرأة إذا استمعت إلى عاهر أو فاجر أو كافر يغني وطربت لغنائها قد فعلت كبيرة من كبائر الذنوب.

والبعض ينكر علينا هذا الكلام، ويقول: هذا تعصب، أو هذا كذا.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم -ولو يجتمع علماء الأرض كلهم على أن يردوا قوله ما قدروا على رده-: (إنما التسبيح للرجال والتصفيق للنساء).

وهذا الحديث صحيح، وهو في الصحيحين.

فلنحفظ هذا الحديث.

ومعنى هذا الحديث: إذا نأبك شيء وأنت تصلي أو قرع الباب أو دق الجرس فلا تصفق؛ لأنك فحل، بل قل: سبحان الله؛ حتى يفهم من قرع بابك أنك في الصلاة، فيلزم الصمت والسكوت ويقف عند الباب حتى تفرغ، والمرأة المسكينة إذا دق الباب أو الجرس ونادى منادٍ فلا تقول: سبحان الله؛ لأن صوتها عورة، فيفهم من يدق الباب أنها في صلاة.

والمساكين والمتخبطين في الضلال ينكرون أن يكون صوت المرأة عورة، أقول لهم: افهموا أولاً معنى عورة في لسان العرب ثم تكلموا، وأيضاً اعلموا يا علماء النفس والكذب! أن الله غرز في الفحول وإنائهم أن صوت الفحل يهز عاطفة المرأة، وأن صوت الأنثى يحرك الشهوة في الفحل، سواء في الإنسان، أو في الإبل أو في البقر أو في الغنم، أو في القطط أو في الذئاب، بل وفي كل الذكور والإناث، ولا يوجد فحل حقيقي يسمع صوت امرأة ولا يتحرك قلبه، ولذلك لا يوجد مجال للرد على رسول الله، وإنما هي أو هام وتدجيل، وإذا تحرك قلبها أو قلبه حال ذلك التحرك بين صاحبه وبين الملكوت الأعلى، فهذه اللطخة التي تقع تحجبك عن الله، وتسوقك إلى فاحشة تقضى عليك بالمرءة، وتجعلك تموت على أحبط حال.

وهم يبيحون الزنا واللواط، والكذب والخيانة، ويعجبون من أن الإسلام منع سماع صوت المرأة، وهؤلاء مجانين، وعليهم أن يعرفوا أولاً الإسلام، فالإسلام يعد أهله ليسكنوا الملكوت الأعلى، وهذا السكن يحتاج إلى طهارة روح وصفائها وزكاتها؛ حتى تشبه أرواح الملائكة وأهل السماء.

وهم لا يفهمون هذا الفهم ويتكلمون، ويقولون لك: إن المرأة لن تهلك إذا صافحها الرجل أبداً، ويقدمون نساءهم إلى الرجال يصافحونهم، ويقولون: ليس هذا شيئاً، ونحن نقول: صحيح إنه لم يزن بها، ولكنه تلطخت نفسه وتخبثت، وتعفنت نفسها كذلك.

يشرع لمن أراد الخروج لصلاة الجمعة أن يغتسل غسل الجنابة، وأن يلبس أفضل الثياب، ويكر في الخروج إلى المسجد، فإذا ارتقى الخطيب على المنبر فلا يحل بيع ولا شراء، بل على الجميع الكف عن ذلك والاستماع إلى الخطبة باهتمام دون التشاغل عنها، فإذا انقضت الصلاة حل البيع والشراء وسائر العقود. تابع وجوب حضور صلاة الجمعة إذا نودي لها وحرمة البيع والشراء وسائر الأعمال بعد النداء

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمريهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

ما زلنا مع بقية النداء الخامس والثمانين، وهو في وجوب حضور صلاة الجماعة إذا نودي لها - أي: إذا أذن المؤذن - وقال: حي على الصلاة، وفي حرمة البيع والشراء، وكل العقود حتى عقد النكاح وسائر الأعمال بعد النداء. ولمزيد البيان نواصل دراسة بقية هذا النداء. خلاصة ما تضمنه هذا النداء من أحكام

قال: [وأخيراً: اذكر أيها القارئ!] أو المستمع! [ما يلي: أولاً: وجوب صلاة الجمعة، ولا يسقط هذا الواجب إلا على المرأة والعبد، والمريض والممرض له والمسافر] وبعيد الدار.

[ثانياً: حرمة البيع والشراء وسائر الأعمال إذا جلس الإمام على المنبر وشرع المؤذن يؤذن الأذان الأخير] لا الأول.

[ثالثاً: لا تفهم من قوله تعالى: ((فاسعوا)) أن السعي هنا الجري والهرولة، لا لا، وإنما هو المشي إليها بسكينة ووقار] أي: إلى العمل [كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإطلاق السعي على غير السرعة والهرولة كثير، من ذلك: فلان يسعى على عائلته، ليس معناه: أنه يجري، وإنما يعمل، ومنه: فلان سعى في الإصلاح بين فلان وفلان ليس معناه أنه يجري] بل يعمل [هذا واذكر ما علمت ولا تنسه، واعمل] به [وعلم، وبارك الله فيك] لتعطى جائزة، وهي أن تنادي من عظماء الرجال [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وسلم.

الحث على لبس الثياب النظيفة يوم الجمعة

قال: [قال: (ما على أحدكم)] أي: لا يضره شيء [(لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة)] إزار في الوسط ورداء على كتفين، ويكون الثوبان من جنس واحد، أبيضان أو أسودان أو أحمران، هكذا [(سوى ثوبي مهنته)] اللذان يلبسهما عند العمل.

حكم البيع والشراء والعقود بعد أذان الجمعة

قال: [وقوله تعالى: وَذَرُوا الْبَيْعَ [الجمعة:9] أي: اتركوا البيع والشراء] على حد سواء.

وليس المقصود ترك البيع فقط والشراء لا بأس به، بل المقصود: البيع والشراء [إذ لفظ البيع يطلق على الشراء] كما يطلق على البيع، ولذلك لم يقل: اتركوا البيع والشراء، فإذا قال صاحب الدكان: أنا لا أبيع إذا أذن الأذان لم يمكن أن تشتري منه.

قال: [ولهذا يحرم أي عقد يتم والإمام على المنبر يوم الجمعة، كما يحرم أي عمل كتجارة أو حياكة، أو صناعة أو زراعة] أو كتابة [أو طهي طعام، وما إلى ذلك من سائر الأعمال] والذي يفسق عن أمر الله ببيع ويشترى أو يعقد على امرأة وقال المؤذن يوم الجمعة: الله أكبر فيجب أن يقف، ثم يرجع بعد ذلك ويعقد فضلاً عن البيع والشراء. وهذا هو نظام الإسلام، الذي لم تحلم البشرية بمثله، فيوم الجمعة كل الأمة تحضر؛ لتسمع التعاليم والتوجيهات الربانية، ولا يحل لمؤمن أن يتخلف، وهذا من أجل الإصلاح، وإيجاد الحب والولاء، والصدق والوفاء، والعمل والحزم، فنحن لسنا أمة هابطة في الأرض كاليهود والنصارى، ولكننا لم نعرف؛ لأننا لم ندرس، ولم نجتمع في بيوت الله.

وهذا لتعرفوا قيمة العلم.

فالذي لا يعلم ولا يعرف كالبهيمة.

قال: [وقوله تعالى: ذَلِكَ [الجمعة:9] أي: ترك البيع والشراء [خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الجمعة:9] أي: إن كنتم ذا علم وبصيرة، وأما الجاهل فلا يعرف، بل يقول: الأولى أن أستفيد من التجارة، ويفرح بالبيع والشراء؛ لأنه لا يعلم.

قال: [أي: إن ترك الأعمال من بيع وشراء وغيرها من سائر الأعمال والذهاب إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة بعد سماع الخطبة خير ثواباً، وخير عاقبة في الدنيا والآخرة] معاً. إباحة البيع والشراء وسائر العقود بعد صلاة الجمعة

قال: [وقوله تعالى: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ [الجمعة:10] أي: أدت وفرغ منها.

فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ [الجمعة:10]، أي: لقضاء حوائجكم كالبيع والشراء وسائر الأعمال المأذون فيها من المباحات. وَابْتَغُوا [الجمعة:10].

ولا يقولن أحد: أنا سأبيع الخمر؛ لقوله تعالى: فانتشروا في الأرض وابتغوا [الجمعة:10].

بل اعمل ما أذن لك في العمل به، فهذا الأمر للإباحة [أي: اطلبوا ما تحتاجون إليه من أمور دنياكم ومعاشكم، فقد أذن الله تعالى لكم فيه بعد أن منعكم منه عند سماع النداء والإمام على المنبر.

وقال: مِنْ فَضْلِ اللَّهِ [الجمعة:10] إذ كل رزق يحصل عليه العبد هو من عطاء الله وفضله، وما للعبد إلا إتيان الأسباب الموضوعة لذلك [فقط] فلذا لا يطلب المحرم، سواء كان طعاماً أو شراباً، أو لباساً أو غيرها؛ إذ ذاك لم يأذن الله فيه، فهو ليس من فضله تعالى [.

الأمر بالإكثار من ذكر الله

قال: [وقوله تعالى: وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا [الجمعة:10] أي: أثناء تفرقكم وانتشاركم في أعمالكم طلباً لفضل الله تعالى، في هذه الحال اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم، ولا تنسوه، واذكروه ذكراً كثيراً] لأن ذكر الله هو المناعة، فالذي يعمل ويذكر الله والله لا يغش ولا يخدع، وكل مؤمن يذكر الله بقلبه ولسانه أثناء العمل لا يخدع ولا يفرط ولا يغش أبداً، وإنما الذي يخدع ويغش ويتهاون هو الناسي لله، وهو الذي يعمل ويقول بدون ذكر الله، فهذا هو الذي يقع في الجرائم، ودائماً أقول: أتحدى أن يوجد مؤمن بالله ويذكر الله بلسانه وقلبه يمد يده ليسرق، فهذا لا يمكن أبداً، بل متى ذكر الله بكى، ولهذا نرى في الواقع الذين يرتكبون الجرائم هم الذاكرون وليس الناسين.

قال: [وقوله تعالى: لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ [الجمعة:10] أي: اذكروا الله كثيراً رجاء أن تفلحوا في سعيكم وعملكم، وتعودون بحاجاتكم بعد السعي والطلب؛ لأن في ذكر الله العون الكبير، والوقاية العظمى من الخيبة والخسران، وفلاح المؤمن لا يقصر على الدنيا، بل هو في الدنيا والآخرة، وفلاح الآخرة معناه: الفوز بالجنة بعد النجاة من النار [.

حكم الدعوة إلى مساواة الرجل والمرأة

هناك من يقول: لا بد من المساواة، وكلمة مساواة علمانية يهودية، وهي كفر، والذي يقول: يجب أن تتم المساواة بين الرجل والمرأة قد كفر وخرج من ملة الإسلام، ولا ينطق بهذا إلا ملحد كافر، لا يفهم شيئاً، والله يقول: وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ [النحل:71].

وقال تعالى في سورة التحريم وقوله الحق: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ [التحريم:10].

فقد كانتا تحتهما، وليس فوقهما، ولا مساويتين لهما، فالمرأة تحت الرجل، وهو الذي يدير حياتها يسكنها ويضمن حياتها.

وقد حاولوا أن يسووا بين الرجل والمرأة في بلاد الغرب أيام الاشتراكية الكافرة، وقالوا: كما يتزوج الرجل امرأتين أو ثلاث فكذلك هي تتزوج رجلين أو ثلاثة، وهذا كلام قذر، لا تقوله حتى البهائم، وهؤلاء الملاحدة يتمدحون به، وهؤلاء تلامذة اليهود والنصارى.

سبب رفض الشيخ التعليم الجامعي للبنات

أنا لست راضياً عن الجامعيات؛ لأن طلب العلم للوظيفة ذبح وسلخ وقتل، ووظيفة النساء محفوظة، فما دامت في بيت أبيتها فيجب على أبيها أن يطعمها ويسقيها ويكسوها وجوباً، فإن تزوجت فيجب على زوجها أن ينفق عليها الطعام والكسوة، والشراب والدواء، وإذا طلبت الوظيفة فإنها تتعلم وتنتقل من مرحلة إلى مرحلة، وتنسى الله والصالح، ثم تتخرج أستاذة، وتذهب بعد الوظيفة، وفي بعض الجامعات لا يوجد إلا واحد في الألف ربانيات صالحات، وتسعمائة وتسعة وتسعين يتعلمن للوظيفة، ويحصل التعب والشقاء، ويأتي لها زوجها بالسائق؛ ليوصلها إلى الجامعة، وتمشي معه وحدها.

ولا إله إلا الله! والذي حملها على هذا هو تقليد الكافرات، والجري وراء اليهود والنصارى الذين انغمسوا في الشر والفسق والباطل، ونحن أبينا إلا أن نكون مثلمهم، وهناك الآن الشكاوى، مثل أن تكون السيدة التي تخرجت من المدينة، ثم توظفت أستاذة على بعد مائة كيلو خارج المدينة، أو مائة خمسين، وتبحث عن يوصلها إلى هناك ويعود بها، وتبدأ الكروب والأحزان.

وسوف تذكرون هذا طال الزمان أو قصر.

فنحن نحمل أنفسنا كرباً وهموماً لا داعي لها.

وأحد الفحول قال لابنته: بقي بعد الابتدائية، فهذه المرحلة تكفي، فأبت، وكانت أمها مطلقة، فاستدعاني لأشفع له، وكانت الأم وراء الستارة وبنتها معها، فقلت لها: اسمعي يا فلانة! قالت: نعم، فقلت لها: من جدتك التي معك إلى فاطمة الزهراء لك ألف جدة تقريباً، والله ما توظفت واحدة منهن أبداً، وعشن طاهرات، ومتن إلى دار السلام، وأنت منهن فقط تخافين.

وكانت البنت قد قالت: مستقبلي يا بابا! فلا تمنعني من التعليم، وتقضي على مستقبلي، وأصبحت هذه الكلمة شائعة، وألقينا محاضرة في كلية البنات تحت عنوان: مستقبلي يا بابا! وقولي: مستقبلي يا أبت! فهي على الأقل عربية. وقد تعلمت البنات هذه الكلمة من المعلمات.

فلا تضحكوا عليهن، وتغرروا بهن، فنحن الذين دفعنا بهن إلى هذه الفتنة، وسوف نعض أصابع الندم، حيث لا ينفع الندم.

فاتركوا المؤمنات في بيوتهن يعبدن الله، ويعشن على ذكر الله؛ لينتقلن إلى دار السلام، ولا تفتنوهن بالتعليم والمراتب والوظائف، ولا تذبحوهن من حيث لا يشعرن.

سبب عدم تخريج الشيخ لأحاديث كتاب نداءات الرحمن لأهل الإيمان

بعض المساكين عابوا علي أنني لا أذكر تخريج الحديث، ولا أذكر تصحيحه من أول الكتاب، فقلت لهم: لم أرد أن أتعبكم ولا أتعب نفسي، وأنا لا أذكر إلا حديثاً صحيحاً أو حسناً، متلائماً أو متفقاً مع ما جاء عن الله ورسوله، ولا يتنافى مع محاب الله ورسوله.

وأقول: هؤلاء الذين يريدون أن يشتغلوا المؤلف بالتخريجات، موسوسين ومساكين، فلا تسألوا عن سبب عدم تخريج الأحاديث، بل يكفي أن تعلموا أن ما في هذا الكتاب من الأحاديث صحيح أو حسن.

وفقهاء المسلمين قديماً وحديثاً لا يذكرون حتى الحديث؛ اعتقاداً منهم أن ما يقدمونه هو من الصحيح للمسلمين، وكان المسلمون يتلقون ذلك بثقة كاملة، ثم جاءت الظنون والأوهام، والشكوك والعنتریات، وأصبحت يا ويحك إذا لم تخرج الحديث، ولا يقرأ كتابك.

وقد روى أصحاب السنن: [أن النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر] الذي يخطب عليه الناس، وكان ثلاث درج، وقد صنعتها امرأة أنصارية.

وكان عليه الصلاة والسلام قبل هذا يخطب وهو قائم، فرأت هذه المؤمنة أن هذا يتعب الحبيب صلى الله عليه وسلم، فأمرت نجاراً لها فصنع هذا المنبر من الأثل أو الطرفة ثلاث درجات، ووضعت له صلى الله عليه وسلم، ففرح به صلى الله عليه وسلم ودعا لها، ودعوتها لها والله خير لها من الدنيا وما فيها، وهذه المرأة تساوي نساء العالم أجمع اليوم حتى الجامعيات.

ما يستحب لمن أراد الخروج لصلاة الجمعة

قال: [وهذا المشي يسبقه أمور] فقبل أن تمشي من بيتك أو دكانك أو مزرعتك أو مصنعك أو سوقك هناك أمور عليك أن تفعلها [منها: الغسل، و [منها: لبس الثياب الجديدة] إن وجدت [أو النظيفة] المغسولة إن لم تكن جديدة [الخاصة بها] أي: بيوم الجمعة.

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشدنا إلى أن نشترى ثوبين جديدين لصلاة الجمعة، وثوبين للعمل. ويكون اللباس في الليل والنهار على قدر الحاجة، ولكن لباس الجمعة خاص؛ لأنه يوم عيد، ويوم يلتقي فيه المسلمون أجمعون في بيوت ربهم، فلا تكن رائحة أحدهم كريهة أو ملطخة أو مدنسة بين الصالحين، بل عليه أن يعرف قيمة إخوانه المؤمنين، فيتنظف ويتطيب ويتطهر، ويدخل معهم؛ لأنهم في حفل عظيم. والذي أرشدنا إلى هذا هو هذا الإسلام الحكيم، فهو دين الله.

والملاحظة يتقززون منه ويهربون ويحاربون أهله؛ لأنه لم يذوقوا طعمه، ولم يعرفوا سره، ولم تدخل أنواره في قلوبهم، فهم مساكين، وهم كالبهائم شاردون.

وعلى الدعاة أن يأتوا بهم بأسلوب حكيم، ويرجعوا بهم إلى الحق.

قال: [ومنها: مس الطيب] فيتطيب بطيب أهله إن كان لهم طيب، أو من طيبه إن كان له طيب [ومنها: السواك] يعود الأراك كما عرفتكم، وإن لم يجد عود أراك فيتسوك بأي عود، وينظف به فمه، أو بالفرشاة، ولكن عود السواك أفضل وأطيب.

وهناك طبيب ألماني من ألمانيا الراقية سمى عود الأراك: عود محمد صلى الله عليه وسلم، وينصح أصحاب الأفواه المريضة بعود محمد صلى الله عليه وسلم.

وهو من شجر الأراك، وينبت حول مكة بكثرة وفي الجنوب، وهو يباع بسعر رخيص جداً، فالحزمة بثلاثة ريال، فيها عشرون سواكاً، والمفروض أن يأخذها الحجاج ويوزعونها على أصدقائهم عندما يأتونهم زائرين يرحبون بهم، وهذا خير من أن تعطيه عشرة ريالات.

وهم يقولون: هذا لا يصلح، أو هذا كذا، أقول لهم: الذين تؤمنون بعلمهم أحد أطبائهم ألماني قال: هذا شجرة محمد. ولما مرض الحبيب صلى الله عليه وسلم وكان في سكرات الموت يعاني دخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، صهر النبي صلى الله عليه وسلم وابن حبيبه، وفي يده سواك يستاك به، فنظر إليه الرسول وأشرأب إليه، ففهمت عائشة أنه يريد السواك، فقالت لعبد الرحمن: اغسل سواكك، فغسله وأعطاه للرسول، فاستاك به وهو على سرير الوفاة.

وهناك من الفقهاء فتح الله علينا وعليهم وعلى السامعين والسامعات من المؤمنين والمؤمنات من يقول: الذي يسكن بعيداً عن المساجد لا تجب عليه جمعة ولا يحضرها؛ لأنه بينه وبينها أميالاً عديدة، فلا تجب عليه الجمعة، ويصلي الظهر، ويغتسل أفضل له؛ لأن الرسول سن الغسل يوم الجمعة، فينتقع به هو، وإذا لم يغتسل تبقى الأوساخ عليه، أوساخ، وقد يمرض وقد يتعب، فنقول: لو اغتسل لكان خيراً له.

والبعض يقولون: إن المساجد في ديارنا لا تفتح الساعة الثامنة، بل تكون مغلقة، وهم يغلقونها لأنهم يخافون منكم، ولو تأدبتكم وسلكتكم مسلك النبي صلى الله عليه وسلم لفتحوا لكم الأبواب، وبخروها بالبخور. ولكن هذا ذنبكم.

ولما تقع الاغتيالات والقتل لابد أن يغلقوا الأبواب؛ لأنهم في حالة حرب. وهذه حالة استثنائية.

قال: [وهذا الإمام أحمد رحمه الله] إمام أهل السنة والجماعة [يروي] لنا [في مسنده الحديث التالي:] يقول صلى الله عليه وسلم: (من اغتسل يوم الجمعة، ومس من طيب أهله إن كان عده، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد فركع ما بدا له) [إن شاء ركعتين، أو أربع، أو ست، أو ثمان، أو عشرة، أو مائة، أو ما شاء، والذي يدخل من الضحى يصلي حتى ألف ركعة، ولا يقول له متحذلق: لا؛ لأن الرسول قال: (ما بدا له)].
ووالله لو رأيناه طول الوقت قبل الجمعة يركع ويسجد فإننا نحبه ونهئنه، ولا ننهاه، والذين لم يعرفوا ينهونه، ويقولون: هذا مبتدع؛ لأنه صلى مائة ركعة، والله يقول: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل:43].
ولا تقول يا عبد الله! أو يا أمة الله! برأيك.

قال: [(ولم يؤذ أحداً)] في طريقه وفي المسجد، فلا يدوس مصلياً برجله، ولا يصيح في وجهه، ولا يزاخمه أو يدافعه كما يفعل الغافلون، ولا ينظر إليه نظرة شذرة، ولا يكلمه بكلمة نابية؛ لأن أذية المؤمن أذية لله.
وهذا عبده ووليه، فلا تؤذيه، بل تملقه؛ لأنك تريد الأجر العظيم.

قال: [(ثم أنصت)] يعني: سكت وأخذ يسمع [(إذا خرج إمامه)] أي: بمجرد أن يطلع الإمام على المنبر يدع المصحف، ويترك الصلاة، ويصغ بأذنيه يسمع [(حتى يصلي)] يعني: أنه ينصت ويسكت من حين أن يخرج إمامه حتى يصلي.

قال: [(كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى)] وهذه هي الجائزة.
وتكون كفارة لما بين الجمعيتين حتى من الكبائر إن نوى التوبة منها وتركها، وأما إن بقي مصراً على الذنب فلا، بل إن نوى التوبة وتاب فإنها تكفر الذنوب كبائرهما وصغائرهما على حد سواء.
قال: [وروى أصحاب السنن] والسنن جمع سنة، وأصحاب السنن هم أبو داود و الترمذي و ابن ماجه و البيهقي وغيرهم، فالمقصود بأصحاب السنن أي: أصحاب الأحاديث النبوية التي دونوها.
فضل الخروج للجمعة

يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة) أي: غسل كغسل الجنابة سواء بسواء [(ثم راح في الساعة الأولى)] إلى المسجد الذي تقام فيه الجمعة، والساعة الأولى تقريباً هي الثامنة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم عرف الساعة المقسمة سنتين دقيقة قبل أن تحلم بها الدنيا [(فكأنما قرب)] الله [(بدنة)] (بعيراً) [لأنه يتملق الله ويتزلف إليه؛ ليرضى عنه ويحبه، والله لا يأكل البدن، بل هو يُطعم ولا يُطعم] [الأنعام:14].
ولكن عبادته وأوليائه هم الذين يأكلون.

والبدن هي الإبل، وهي معروفة، والواحدة بدنة [(ومن راح في الساعة الثانية)] أي: إلى المسجد [(فكأنما قرب بقرة)] أي: كأنما قربها الله؛ ليتملقه ويتزلف ويتقرب إليه؛ ليحبه ويرض عنه، وليواليه وليجيب دعاءه، والله ليس في حاجة إلى البقرة، بل هو يُطعم ولا يُطعم [الأنعام:14].
وإنما عبادته وأوليائه هم الذين يطعمونها.

فإذا أطعمت أوليائه وعباده فإنه يحبك لذلك [(ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن)] أي: ذا قرنين كبيرين [(ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة)] والدجاج معروف.

والدجاج كله مخلوق، ولا يوجد منها شيء صناعي، وإنما يدخلون على الناس بهذا، والله هو الذي نفخ فيها الروح، وهو الذي أوجدها، فالله هو خلق البيضة وخلق الدجاجة، وهو الذي خلق صاحب المبيض، والأمر كله لله، فهو الفعال لما يريد.

قال: [(ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة)].
والبيضة معروفة.

والبيضة لا تساوي شيئاً، فعشرين بيضة بسبعة ريال، فالبيضة لا قيمة لها.
وهذا معناه: أنه كأنما تصدق ببيضة.

وانظر الفرق، فإذا رحت في الساعة الأولى الساعة الثامنة فكأنك قربت وتصدقت ببعير، وإذا رحت في الساعة الأخيرة قبل خروج الإمام فكأنما قربت بيضة، وإذا رحت وقد خرج الإمام وهو على المنبر يخطب لم يبق من يكتب اسمك، ولا يذكر اسمك في ديوان الصالحين.

قال: [(فإذا خرج الإمام، أي: ليرقى المنبر ويخطب الناس)] وسواء كان قبلها في الحجرة أو في المقصورة أو في بيته، وقد كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يخرج من حجرته؛ إذ بابها لاصق بالمسجد.

وهنا لطيفة، وهي: أننا قلنا: ليرقى المنبر؛ لأنه قد يجيء الإمام قبل الناس بساعتين، ويجلس في الصفوف، وكثير من الأئمة يفعلون هذا، فقد يأتي الإمام في الساعة الأولى أو الثالثة أو الرابعة، ثم إذا جاء وقت الصلاة طلع المنبر، فهو إذا رقي المنبر وعلاه ليخطب الناس [(حضرت الملائكة يستمعون الذكر)] وقد كان هؤلاء الملائكة عند الأبواب، يسجلون الأول فالأول، فإذا حضر الإمام وطلع المنبر دخلوا يستمعون الخطبة مع الناس، فمن يدخل بعد ذلك لم يسجل اسمه ولا يكتب والله.

وأما صلاته الجمعة فتصح ولو أدرك ركعة فقط، وأما إذا أدرك أقل من ركعة فيجب أن يصلي ظهراً، فإذا دخل وقد صلى الإمام بالناس الركعة الأولى وصلى معهم ركعة فليقضي الثانية، وصلاته صحيحة، وأما إذا دخل ووجد الإمام قد رفع من الركعة الثانية وقال: سمع الله لمن حمده فهذا إذا سلم الإمام يقوم يصلي أربع ركعات ظهراً، كمن حصل على سجدة فقط أو سجدتين أو جلسة.

فإذا لم يدرك ركعة كاملة فيصلي الظهر، ويحول النية إلى صلاة الظهر؛ لأن الجمعة فاتت. حكم السعي لصلاة الجمعة بعد أذان الجمعة

قال: [وقوله تعالى: فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ [الجمعة:9]] الأمر هو الله ربنا، وخالقنا ورازقنا، وخالق العوالم كلها، وهو الذي أنزل القرآن على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وحفظ آياته.

وقوله: فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ [الجمعة:9] [أي: امشوا إلى أداء صلاة الجمعة بعد سماع الخطبة] وهي كلها ذكر الله، ويذكر الله من عند دخوله المسجد، ولو سكت وهو جالس في المسجد فهو يذكر الله. وصلاة الجمعة لا تصلى إلا بعد أداء وسماع الخطبة.

حكم غسل الجنابة وصفته

قال: [ويقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم] في الحديث النبوي الشريف التالي: [(من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة)] وهذا الغسل واجب، وإن شئت قل سنة مؤكدة، والرسول يقول: (غسل الجمعة واجب على كل محتلم). والمحتلم هو الذي بلغ سن التكليف بالاحتلام أو بإنبات الشعر أو ببلوغ الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من السنين. وقوله صلى الله عليه وسلم: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة) ليس معناه: مجرد أن تغسل بالصابون والليفة فقط، بل أن تغتسل غسلًا شرعياً كغسلك من الجنابة، وإن شئت أن تغتسل بالصابون وتستعمل الليفة فافعل، وهذا الغسل تعبدى، وإن شئت أن تغتسله بالماء والصابون والليف وما إلى ذلك، والغسل الشرعي هو أن تغتسل غسلًا كاملاً كغسل الجنابة، وتنظف جسمك.

واحفظوا كيفية غسل الجنابة، واعملوا به وبلغوه، فغسل الجنابة هو كالاتي: اجلس يا عبد الله! أو يا أمة الله! إلى جنب سطل الماء أو الإناء الذي فيه الماء أو الصنبور الذي ينزل منه الماء، ثم انو في قلبك أنك تغتسل من جنابة، وكذلك المرأة تنوي أنها تغتسل الجنابة، أو من حيضها أو نفاسها، والذي لا جنابة عليه ينوي الغسل الواجب ليوم الجمعة، والنية محلها القلب، وهو: أن تتحدث بها في نفسك من دون أن تنطق بها، ولا تقول: نويت أن أغتسل لكذا أو من كذا؛ إذ لا داعي لهذا أبداً، ولا ينفع هذا القول، بل الذي ينفع العمل القلبي، فأنت مأمور أن تغتسل هذا الغسل طاعة لله أو رسوله، فلا بد من النية، والأعمال كلها متوقفة على النية صلاحاً أو فساداً، ثم إذا نويت أفرغ الماء على كفك واغسلهما ثلاث مرات، سواء من الصنبور أو العين السائلة أو أفرغ من الإناء، واغسل كفك ثلاث مرات، ثم استنجي، أي: اغسل فرجيك قبلك ودبرك، أي: مخرج البول ومخرج الغائط وما حولهما، ولا بد أن تبدأ بغسل محل البول، ثم محل العذرة، أي: القبل قبل الدبر، ولا يبلغ بك الجهل أن تغسل دبرك ثم تغسل فرجك، بل اغسل القبل قبل الدبر؛ لأن النجاسة في الدبر أغلظ، واغسل ما حولهما؛ حتى لا تعود مرة ثانية تغسل ما حولهما فتمس فرجك، فينتقض وضوءك، ولذلك اغسلهما وما حولهما، أي: مما قرب منهما من جسمك.

وكذلك تغتسل المؤمنة.

فإذا استنجيت فإن كان معك صابوناً فاغسل يديك بالصابون، وإن لم يكن عندك صابون كما لم يكن يوجد عند أسلافنا وعندك تراب حائط فيه الطين أو التراب فادلك يدك على التراب. وقد علمنا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن لم يوجد صابون فالتراب مطهر، وقد أنكر هذا الملاحدة، فقد أنكروا أن يكون التراب مطهراً، فإذا دلكت يدك على التراب أو على الجدار الذي فيه طين أو طوب فإن يدك تنظف، وتذهب منها رائحة العذرة والبول منها، وإذا دلكت يدك مرتين أو ثلاثاً فإنها تنظف، ثم توضع كالأتي: اغسل كفيك مرة ثانية ثلاث مرات، ثم اغسل فمك ثلاثاً واستنشق الماء في أنفك واستنثر ثلاثاً، ثم اغسل وجهك ثلاثاً، والوجه يبتدى من منبت الشعر المعتاد في الجبهة وينتهي بآخر شعرة الذقن طولاً، وعرضاً من وتد الأذن إلى وتد الأذن الأخرى، فاغسل الوجه ثلاث مرات غسلًا كاملاً، ثم اغسل يدك اليمنى ثلاث مرات من طرف أصابعك حتى المرفق الذي ترتفق به ثلاث مرات، ويدخل المرفق في الغسل، ثم اغسل يدك اليسرى كاليمنى ثلاث مرات، وتتبع مغابن الجسم الماء، فإذا كان في العضو تجاعيد فيجب غسلها أيضاً، ثم امسح رأسك وأذنيك مرة واحدة بعد أن تغسل يديك، ثم اغسل رجليك مع الكعبين واخلل الأصابع. هذا الوضوء.

فإذا فرغت فتبدأ مرحلة جديدة، وهي: ثم صب الماء على كفيك أو اغمسهما في الماء واخلل أصول شعرك حتى بشرة الرأس - أي: جلدة الرأس - مرة أو مرتين أو كما تشاء؛ حتى تستأنس بالماء البارد؛ حتى لا يؤذيك فتصاب بالزكام، ثم اغسل رأسك، بأن تحمل غرفة بكفيك وتغسل بها شق رأسك الأيمن، وتعمم بها رأسك كله، ثم تأخذ غرفة أخرى بكفيك وتضعها على الشق الأيسر، وتغسل بها رأسك كله، ثم تأخذ غرفة ثالثة وتضعها فوق رأسك وتغسل بها جميع رأسك، وتخلل الشعر إذا كان لك شعر؛ إذ تحت كل شعرة جنبانة كما قال علي رضي الله عنه، ثم اغسل أذنيك ظاهراً وباطناً.

ثم صب الماء واغسل عنقك من الجهة اليمنى إلى مرفقك، ثم اهبط بالغسل إلى قدمك وإلى كعبك الأيمن، ثم تغسل عنقك من الجهة اليسرى من أذنك إلى مرفقك، ثم اهبط ظاهراً وباطناً إلى كعبك حيث غسلت رجليك، وتعهده مغابن الجسم، أي: المواضع التي تختفي، مثل تحت الإبط، فارفع يدك واغسله، وكذلك السرة إذا كان فيها طيات كذلك تغسلها، وكذلك ما تحت رجليك إذا كنت جالساً؛ لأن الماء لا يصل إلى بعض المواضع فيها، فمد رجليك حتى يصل إليها الماء؛ إذ كل شعرة تحتها جنبانة.

هذا هو غسل الجنبانة، وغسل الحيض، وغسل النفاس، وغسل الجمعة، وغسل الإحرام. هذه كيفية الغسل.

ولابد في الغسل من النية، فإذا كان الغسل للجمعة فتكون نية جمعة، وإذا كان للإحرام فتكون نية الإحرام، وإذا كان لدخول مكة فتكون نية دخول مكة، وإذا كان لدخول عرفات فتكون نية دخول عرفات، وإذا كان للجنبانة فتكون النية لرفع الجنبانة.

وسبب الجنبانة هو: أن يلج ذكر الفحل في أنثى المرأة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا التقى الختانان)، أي: دخل رأس الذكر في فرج المرأة (وجب الغسل).

وإن لم يمني، أو وإن لم ينزل ماءه، أو وإن لم ينتصب ذكره؛ وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل).

وقوله: (إذا التقى الختانان)، أي: محل الختان.

حكم الختان للنساء والرجال

المرأة تختن، ويجوز ذلك، فالختان للنساء مكرمة، والرسول صلى الله عليه وسلم قال لخافضة وهي أم عطية : (اخفضي ولا تنهكي)، أي: ولا تقطعي قطعة كبيرة.

وهذا الخفاض للمرأة يطيب فرجها ويحسنه.

وهذا شائع في الديار المصرية؛ لأن النساء المصريات سمينات وقويات، وأما الضعيفات فليس فيهن لحم ولا شحم، كما قال فقهاؤنا.

وأما الختان للرجال فهو واجب، وحرام ألا يختن المؤمن، ويختن يوم السابع، وهو أفضل، وإن ختن قبل البلوغ فكل ذلك واسع، وقد اختتن إبراهيم عليه السلام لما بلغ ثمانين سنة بعد أن أوحى الله إليه بذلك.

وإبراهيم عليه السلام هو أول من سن الختان، ولهذا بنو عمنا اليهود عليهم لعائن الله يختننون إلى اليوم، والنصارى لا يعرفون الختان، فهم جهال وضلال.

واختتن إبراهيم صلى الله عليه وسلم بقدم - والقدم معروف - فوضع رأس ذكره على حجر وضربه بالقدم، فقطع الغلفة التي على الذكر.

واليوم إذا أسلم الآن فرنسي وعمره أربعون سنة أو خمسون سنة ولم يكن قد اختتن نلزمه بالختان لا نلزمه بأن يختن، وإن اختن بنفسه لم ننكر عليه هذا، وهناك الطب الذي يمكن أن يختن بواسطته، ولكن لا نلزمه؛ لأنه لم يكن مؤمناً.

وعفا الله عما سلف.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبي الإنس والجن صلى الله عليه وسلم ولد مختوناً.

وهذا معروف.

المال والولد زينة الحياة الدنيا، ولكن حذر الله تحذيراً شديداً من الانشغال بهم عن أداء المهمة الأساسية للإنسان في هذه الحياة، ألا وهي عبادة الله عز وجل، وبين سبحانه أن على العبد المؤمن ليكون في زمرة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين أن يكون في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم. حرمة الانشغال بالمال والولد عن عبادة الله تعالى ووجوب الزكاة والترغيب في الصدقات

الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمرتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

نداءات الرحمن تسعون نداء، والمنادي فيها هو الله تبارك وتعالى، والمنادي هم المؤمنون، وقد وصلتنا هذه النداءات وبلغتنا بواسطة كتاب الله عز وجل القرآن الكريم، وتسعة وثمانين من هذه النداءات ابتدأت بـ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، ونداء واحداً بدأ بـ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ [الأنفال: 65].

والمنادي به الرسول، ونحن المعنيون؛ ولهذا جعلناه ضمن النداءات لأهل الإيمان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو سيد المؤمنين.

وهذه النداءات التسعون اشتملت على كل متطلبات حياة المؤمن من عقيدة وعبادة، وأدب وأخلاق، ومال واقتصاد، وحرب وسلم وسياسة، وكل متطلبات الحياة.

وقد نادينا وصرخنا وقلنا: ينبغي أن توجد هذه النداءات في كل بيت، بل وأن تكون على سرير كل نائم، وأن توجد في الفنادق بجانب كل سرير.

والمؤمن الصادق الإيمان هو الذي يقرأها ويحفظها ويفهم مراد الله منها، وليصبح هذا من أعلم علماء هذه الأمة. وهذا هو [النداء السادس والثمانون] وهو من سورة المنافقين، ومحتوى هذا النداء [في] بيان [حرمة الانشغال بالمال والولد عن عبادة الله تعالى، و] في [وجوب الزكاة، و] في [الترغيب في الصدقات، و] في [التحذير من فجأة الموت قبل التوبة] فهذا النداء يحتوي هذه المذكورات: أولاً: حرمة الانشغال بالمال وبالولد عن عبادة الله تعالى.

ثانياً: في وجوب الزكاة.

ثالثاً: في الترغيب في الصدقات.

رابعاً: في التحذير من فجأة الموت قبل التوبة، والعياذ بالله.

وهيا بنا نتغنى بهذا النداء؛ رجاء أن نحفظه، أو نبليج درجة من يحفظ.

قال: [الآيات (9 - 10 - 11) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المنافقون: 9-11]].

تمني العصاة للتأخير عند الموت

قال: [هذا مفاد تمنيه وهو أن يتصدق بماله، ويكون من الصالحين، بأن يحج ويعتمر، ويصل الرحم ويرحم الفقراء، ويساهم في مشاريع الخير، كبناء المساجد ودور اليتامى، والإنفاق على الجهاد وما إلى ذلك] لأن الصالحين يؤدون حقوق الله وحقوق الناس [إلا أن هذا التمني وهذا الطلب لا يجديه شيئاً أبداً؛ لأن حضور ملك الموت لقبض الروح لا يرده أحد إلا الله] وقد قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر).
والغرغرة: الحشجة.

وأنا لم أعرف الغرغرة على حقيقتها إلا أيام الراديو، وقد كنت أقرأ القرآن من الصبا، وكانت تأتي علي كلمات لا أتذوقها ولا أفهمها، وتأتي الأحداث وأفهمها، ومن ذلك الغرغرة، فقد كنا نشتغل بالبطاريات الصغيرة التي تشغل جهاز الراديو؛ لأنه لم يكن عندنا كهرباء، وعندما تكون البطارية جديدة يشتغل بها أسبوعين أو شهراً، ثم تبدأ تنقص، وتكون لها حشجة والله كحشجة الميت؛ لأن الروح كالنور وكطاقة كالكهرباء، وهي تسري في الجسم. وتلك الكهرباء أو ذلك النور في تلك البطارية في أيامها الأولى يكون قوياً، ثم تضعف شيئاً فشيئاً، حتى لا تقوى على تشغيل الجهاز.

وكذلك هذه الروح هي عبارة عن طاقة قوية فينا، ثم تأخذ تنفصل عن الجسم حتى تصل إلى الحلقوم، فإذا أراد صاحبها أن يتكلم غرغرت وحشرجت في الصدر، كما يقول أبو القاسم فداه أبي وأمي والعالم أجمع: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر).

فإذا غرغرت فلن تقبل له توبة قط، ولو قال: مالي كله للفقراء لم ينفعه هذا.
قال: [والله قد قضى وحكم، فلم يبق مجال للطلب والتمني، وإنما هذا من تمني الحسرة والندامة، وهما لا ينفعان، بل يزيدان في الكرب والحزن، وكيف والله يقول: وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا [المنافقون:11]] أي: إذا وصل أجلها ووقتها المؤجل له، وسواء كانت نفس سعيد أو شقي .. قوي أو فقير [فإذا كان تعالى القوي القدير لا يؤخرها فهل يؤخرها غيره من المخلوقين المربوبين العجزة الهالكين؟!] لا والله.
الحث على مراقبة الله سبحانه وتعالى

قال: [وقوله تعالى: وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المنافقون:11] يحض به تعالى المؤمنين على إصلاح أعمالهم، والتزود لأخرتهم، بإعلامهم بأنه مطلع على أعمالهم، خبير بها، وسواء ما كان منها صالحاً أو فاسداً] فيا عباد الله! اذكروا أن الله خبير، والخبير أكثر من العليم، ومعروف أن الخبرة زائدة على العلم.
قال: [ألا] والناس لا يعرفون إلا ألو، وهم لا يسمعون بألا هذه.

وألو هذه جاء بها اليهود والنصارى، ويقولون: ليس لها معنى، وإنما هكذا وجدت مع التلفون.
وقد سبق القرآن بألف وأربعمائة سنة بذكر ألا، وألا مع الجمل الأسمية الخبرية معناها: انتبه وأنت حاضر تسمع، ومستعد للتلقي.

قال: [فليراقب العبد ربه، فيصحح معتقده] بأن يحقق معنى لا إله إلا الله.
ومعنى لا إله إلا الله: ألا يعترف بعبادة غير الله؛ إذ لا معبود إلا هو، وأن يعبد وحده، وبما شرع في كتابه وفي سنة رسوله [ويحسن عمله] فلا يؤدي صلاة ولا صياماً ولا وضوء ولا حجاباً إلا على النظام الذي وضعه وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم [ويلازم ذكر ربه بقلبه ولسانه] فما دام إن الله خبير بما نعمل فيلزم من ذلك أن نراقب ربنا.

قال: [وأخيراً: أيها القارئ الكريم!] أو المستمع المستفيد! [إليك خلاصة ما حواه هذا النداء الإلهي الكريم، فاحفظه وانتفع به: 1- حرمة التشاغل بالمال والولد إذا كان يحملك ذلك على إضاعة بعض الفرائض، أو ترك الحقوق والواجبات، كذكر الله تعالى وفعل الخيرات] فاشتغل بمالك، ولكن لا يلهيك.
وصلى الله على نبينا محمد.

بيان من هو الصالح من الناس

ليس الصالحون سيدي عبد القادر ، ولا سيدي البدوي ، ولا سيدي أحمد ولا سيدي عبد الرحمن.
والمسلمون لا يعرفون سيدياً إلا هؤلاء، وإذا دخلت إلى القاهرة أو إلى فاس أو إلى مكناس أو إلى بغداد وسألت أهلها أن يدلوك على أحد الصالحين منهم فلن يوصلوك إلا إلى قبر، ولن يوصلوك إلى حي.

وأقول: اسمع وعي وافهم وبلغ يا عبد الله! واسمعي يا أمة الله! الصالح من الناس هو: من أدى حقوق الله كاملة، ولم يبخس منها شيئاً، وأدى حقوق الناس كاملة، ولم ينقص منها شيئاً.

هذا هو الصالح. فالذي يريد منكم أن يكون صالحاً من الصالحين عليه أن يؤدي حقوق الله كاملة، ولا يبخس منها ولا ينقص ولا يطفف، ويؤدي حقوق الناس كاملة.

والأنبياء والله صالحون، والصديقون والله صالحون، والشهداء والله صالحون، والصالحون والله صالحون. وما من عبد يتطهر بدنًا وثوباً وجسماً ويستقبل بيت الرب ويقول: الله أكبر فإنه والله العظيم يجلس بين يدي الله، ويدخل في مناجاة مع الله عز وجل.

ورسول الله يقول: (المصلي يناجي ربه).

ويقول: (إن الله ينصب وجهه لعبده في الصلاة).

فلهذا استح وأنت بين يدي الله أن تلتفت، فهذا معرة وعيب كبير، ولا تقبل صلاتك هذه أبداً.

فاعرفوا أنكم أسعد الخلق، وأنكم أعظم من اليابان والصين، ومن أمريكا وأوروبا، ومن كل العالم من غير المؤمنين. والله لو وضعنا أحد منا الآن في كفة ميزان ووضعنا اليابان والصين وأمريكا وكل الكافرين والمشركين في كفة لرجحت كفة هذا المؤمن.

والله أكبر! وأزدكم بياناً: لو قتل كل الأمريكيين والصينيين والأوروبيين واليابانيين وكل الكفار فإن قتلهم بكاملهم لا يساوي قتل مؤمن واحد.

والسر في هذا: أن هذا المؤمن يذكر الله ويعبده، وأولئك كفروا به وتركوه، ولم يذكروه ولم يعبدوه، ولذلك لا قيمة وجودهم.

فالكفار جريمتهم أنهم نسفوا الكون كله ودمروه؛ لأن الكون كله مخلوق لأن يذكر الله ويشكره، فلما عطلوا عبادة الله فيه كانوا كمن خربه كله.

ولهذا فإن الكافر يعذب في عالم الشقاء بليارات السنين، وجريمته هي: أنه ما عبد الله في حياته التي كانت ثمانين سنة أو مائة سنة؛ ولذلك فإنه يعذب أبداً، وكذلك جريمته أنه نسف السماوات، ودمر الجنة، والعوالم كلها وخربها؛ لأنها كلها خلقت من أجله حتى يعبد الله، ولكنه أبى، فكانت جريمته كأنما دمر الكون كله، ولهذا يعذب بلا حساب، وبلا عدد مليارات السنين، وكذلك جريمته أنه لوى رأسه ولم يلتفت إلى الله الذي خلقه ورزقه، وخلق كل شيء من أجله، ولم يذكره ولا جلس بين يديه.

ولولا أن الله عدل لما استحق أن يأكل أو يشرب.

فكونوا من الصالحين - وإن شاء الله نكون منهم- وذلك بأن تؤدوا حقوق الله بدون أن تنقصوا منها شيئاً، وأن تؤدوا حقوق الناس التي عليكم، ولا تنقصوا منها شيئاً، وستكونون والله من الصالحين وفي عدادهم.

وكل مؤمن ومؤمنة يطيع الله والرسول محمداً صلى الله عليه وسلم فإنه يضمن وجوده في هذه المواقب الأربعة، وهذا بإخبار الله وقضائه وحكمه، فقد قال: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ [النساء:69]، أي: المطيعون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً [النساء:69].

ولهذا لما حمد الله ونثنى عليه ونمجده وتنملقه نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم، وهو صراط الذين أنعمت عليهم [الفاتحة:7].

وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

وقد قال تعالى قبل هذا الدعاء -وهو يعلمنا فيه كيف ندعو الله-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الفاتحة:2].

وهذا حمد له تعالى وثناء عليه أولاً، ثم قال: الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ [الفاتحة:3].

وهذا تمجيد.

ثم قال: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة:4].

وهذا تملق، كما يتملق أحدنا الغني أو الحاكم، كأن يقول: أنا لا أحب في هذا البلد إلا أنت، ولا أعرف إلا أنت.

ثم قال: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة:5].

فنتملقه تعالى بقوله: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة:5]، أي: لا نعبد إلا أنت، ولا نستعين إلا بك.

وهذا تملق.

ثم بعد ذلك نطلب حاجتنا، كما قال: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة:6].
وهذا الصراط صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ [الفاتحة:7].

وهم النبيون والصادقون والشهداء والصالحون، وليس صراط المغضوب عليهم ولا صراط الضالين.
والمغضوب عليهم هم الذين يعلمون ولا يعملون، كاليهود وغيرهم، فكل من يعلم ويعرف ولا يعمل بعلمه اتباعاً لشهوته ودنياه وهواه يغضب الله عليه، وهو من المغضوب عليهم.
والضالون هم أهل البدع والخرافات والضلالات، فهم يعبدون بلا علم، وبدون أن يعلموا ماذا قال الله وقال الرسول، كضلال كالنصارى، فهم عندهم الكنائس والأموال والصدقات وغير ذلك، ولا يعرفون كيف يعبدون الله، فهم ضالون.
مواكب أهل الجنة

وهنا لطيفة: مواكب دار السلام أربعة، والمواكب: جمع موكب، وأنتم تعرفون مواكب الملوك والسلاطين.
فمواكب دار السلام أربعة، ذكرها تعالى في قوله: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ [النساء:69]، أي: محمداً صلى الله عليه وسلم طاعة كاملة؛ إذ بهذه الطاعة تزكو نفس العبد، وتطيب وتطهر.
وهذا هو سر طاعة الله والرسول، أي: أن تزكو النفس؛ إذ هذه العبادات عبارة عن مركبات من شأنها أن توجد الحسنة في النفس، والطهر والزكاة.
و(95%) من العالم الإسلامي لا يعرفون سر هذه الطاعة؛ لأنهم لم يجلسوا في مجالس العلم، ولم يتعلموا، وقد تجد الرجل عمره أربعين سنة ولم يجلس في حلقة كهذه يوماً ما، ولهذا فهو لا يعلم، أو أنه تعلم عند علماني لا يعرف إلا المادة وقيس عليها الحياة.

فاعرفوا أن سر طاعة الله والرسول: أنها تزكي النفس وتطهرها حتى تجعلها كأرواح الملائكة.
واقرءوا حكم الله فينا: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس:9]، أي: النفس؛ فقد قال تعالى: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:7-10].
ومواد التزكية ليست الماء والصابون، وإنما طاعة الله ورسوله، هذه هي التي تزكي؛ لأنها عبادات.
ومنها: أنه عندما يقول الشخص: لا إله إلا الله ينعكس أثر هذه الجملة والله على نفسه، فتشرق لها نفسه، وكذلك عندما يتصدق بريال واحد يريد وجه الله ما إن يخرج من يده حتى ينعكس أثره على نفسه بالصفاء والطهر، كما أن الكلمة من الكذب ينعكس دخانها وتنتهي على نفسه فتتدسى.

وهذه سنن لا تتبدل، فالطعام يشبع، والماء يروي، والنار تحرق، والحديد يقطع، فسنن الله لا تتبدل، فكل كلمة سوء فيها غضب الله تنطق بها ينعكس أثرها على نفسك، فتظلم وتسد.
قال تعالى: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ [النساء:69] جزاؤه فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [النساء:69].
وهم: مِنَ النَّبِيِّينَ [النساء:69].
هذا الموكب الأول.

وَالصَّادِقِينَ [النساء:69].

وهذا الموكب الثاني.

وَالشُّهَدَاءِ [النساء:69].

وهذا الموكب الثالث.

وَالصَّالِحِينَ [النساء:69].

وهذا الموكب الرابع.

فمواكب أهل الجنة أربعة.

اللهم اجعلنا منهم.

وأفضل هذه المواكب موكب النبيين، وثانيها موكب الصديقين، وثالثها موكب الشهداء، ورابعها موكب الصالحين.
الحث على تعجيل إخراج الزكاة وأداء سائر العبادات عند دخول وقتها

قال: [وفي هذا الأمر الإلهي] أي: قوله تعالى: وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ [المنافقون:10] [دليل على وجوب تعجيل] إنفاق [الزكاة إذا وجبت وحال حولها.

وكذلك سائر العبادات إذ دخل وقتها [فالصلاة إذا دخل وقتها لا يجوز تأخيرها، وكذلك لا يجوز أن تؤخر رمضان. وكذلك جميع العبادات التي عين لها وقت يجب ألا تؤخر، بل تعجل في وقتها.

قال: [وقوله تعالى: مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ [المنافقون:10]] رجل أو امرأة [أي: من قبل أن ينتهي أجله ويأتي ملك الموت لقبض روحه.

وفي هذا دليل قاطع على وجوب أداء الواجبات في أوقاتها، وسواء كانت زكاة أو صلاة، أو حجاً أو غيرها، كقضاء الديون، من قدر على سدادها [وجب عليه على الفور ألا يتراخى أو يتباطأ] وذلك لعدم العلم بساعة الوفاة، والموت قد يأتي بغتة، فكم من نائم [نام و [مات في نومه] والله العظيم [وكم من مسافر مات في سفره، وكم من راكب مات في ركوبه، وكم من صحيح مرض ومات في مرضه] ولهذا قال: وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ [المنافقون:10].

فيتأسف ويتحسر ويقول: يا ليتني عجلت! قال: [وقوله تعالى: فَيَقُولَ رَبِّ [المنافقون:10]] أي: يا رب! [لولا [المنافقون:10]] أي: هلا [أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ [المنافقون:10]، أي: يقول المحتضر الذي حضره الموت متمنياً على الله أن يؤخره إلى وقت يمكنه فيه أن يتصدق ويؤدي الحقوق] لأصحابها، أو أن يصلي، أو يدفع هذا المال، أو يرده إلى أهله، وكل ميت يتمنى هذا، فيقول: رَبِّ [المنافقون:10] أي: يا رب! لولا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ [المنافقون:10]، أي: ساعة من العمر أو ساعات، أو يوم أو أياماً قلائل؛ حتى أسدد الديون، وأقضي ما وجب عليّ. قال: [وقوله: فَأَصَّدَّقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ [المنافقون:10]] أي: لاتصدق بمالي، وأكون من جماعة الصالحين، الذين أدوا حقوق الله كاملة وحقوق العباد كاملة.

والذي يقول هذا الكلام هو المريض عندما يكون الموت في حنجرته.

مقدار النصاب في زكاة المال والحبوب

قال: [فالزكاة نصابها اثنان ونصف في المائة] فالمائة الريال إذا حال عليها الحول مثلاً تنتفق منها ريالين ونصفاً، لا خمسة ولا عشرة، ولم يخالف في هذا إلا الروافض، فإنهم ينفقون منها عشرين، وقد ضللهم في هذا أئمتهم، فهم الذي يضللونهم؛ حتى يدفعون الزكاة (20%)، أي: الخمس، والرسول يقول: (ربع العشر).

وهم يقولون: الخمس؛ لأن أئمتهم يقولون هذا، وهم لم يفيقوا ولا انتبهوا، بل إنهم يسوقونهم إلى جهنم وهم يبصرون. ولا إله إلا الله! قال: [وفي الحبوب] أي: في زكاة الحبوب [في عشرة أوسق - أي: قناطير - قنطار] واحد [إن كانت تسقى بماء العيون والمطر] أي: أنبتها الله، ولم تعمل أنت فيها إلا بالمسحاة والبذر [أما إن كانت تسقى بالسني والدلو والمكائن] الآلية والعناء والتعب [فنصف العشر، ففي عشرة قناطير نصف قنطار لا غير] وفي العشرين قنطاراً قنطار.

وهذا كله داخل تحت قوله تعالى: مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ [المنافقون:10]، أي: من بعض ما رزقناكم.

حث الله عباده على الإنفاق مما رزقهم

قال: [وقوله تعالى لهم] أي: للمؤمنين الذين ناداهم [وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ [المنافقون:10]] فقد قال أولاً: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [المنافقون:9].

ثم قال لهم: وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ [المنافقون:10] [أي: من مال وعلم، وكل خير رزقه العبد حتى الجاه] وسبحان الله! فالذي رزقه الله مالا يجب أن ينفق منه، وأقل شيء ينفقه منه الزكاة، وكذلك النفقة على الأولاد والزوجة، ومن تجب عليه نفقتهم.

وكذلك من رزقه الله علماً ينفقه ولا يبخل به، ولا يحل للعالم إذا سئل أن لا يجيب، ولا ألا يفتي إذا استفتي، ولو فعل هذا فقد بخل، ولم ينفق، ويهلك مع الهالكين.

ولذلك على الذي أعطاه الله مالا أو علماً أو خيراً أن ينفق منه، ولو أعطاه الله لبناً وجاء سائل يشتكي العطش والظما فعليه أن يعطيه.

وهكذا كل ينفق مما أعطاه الله.

وينفق حتى من الجاه، فلو رزقك الله جاهاً بأن كنت شريفاً أو سيداً، أو كنت من أعيان المدينة ورجالها الوجهاء، وجاء إليك شخص يريد منك أن تشفع له عند فلان ليقضي حاجته فأنفق من جاهك، وأعط منه، وتوسط لهذا المؤمن، واشفع له؛ لتقضى حاجته، وبذلك تكون قد أنفقت مما رزقك الله، كما قال تعالى: وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ [المنافقون:10].

والجاه رزق [فإنه ينفق منه في قضاء حاجات من يعجز عن قضائها إلا بالواسطة] وعشرات الآلاف لا جاه لهم، فإذا أعطاك الله جاهاً فاشفع لأخيك؛ حتى يكون ذلك إنفاقاً من جاهك الذي أعطاك الله. قال: [وإن كان المطلوب الأول] هو المال [في هذا الأمر] وهو قوله: وَأَنْفَقُوا [المنافقون:10] [أداء الزكاة] الواجبة [والصدقات الواجبة، كالجهاد والإنفاق المتعين، كالإنفاق على الأيوين والزوجة والولد، وقرى الضيف وما إلى ذلك] فهذا واجب؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه). ثم بعد هذا يدخل كل نفقة.

قال: [والحمد لله أنه تعالى لم يقل: وأنفقوا ما رزقناكم، بل قال: مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ [المنافقون:10]، أي: من بعض ما رزقناكم] ولو قال: أنفقوا ما رزقناكم لوجب أن نخرج من كل ما عندنا، وننفق ذلك لله. ولكن من رحمته تعالى ولطفه وإحسانه وعدله ولطفه أن قال: مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ [المنافقون:10]. فليس الواجب عليك أن تخرج من مالك كله أبداً، ولا أن تعطي السائل الذي يسألك ثوبك.

أن تعطيه ثوبك الذي تلبسه وتبقى عارياً، بل أنفق من بعض ما أعطاك الله، فمن في قوله: مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ [المنافقون:10] للتبعض. جزاء من انشغل بماله أو ولده عن عبادة الله عز وجل

قال: [وقوله تعالى: وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ [المنافقون:9]] فبعد أن نهانا عن أن الاشتغال عن أموالنا وأولادنا عن ذكر الله قال: وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ [المنافقون:9]، أي: تشاغل عن ذكر الله وعبادته بماله وولده [أي: بأن ألته أمواله أو أولاده أو هما معاً عن عبادة الله تعالى التي تعبد بها عباده من أداء الفرائض والواجبات على اختلافها فأُولَئِكَ [المنافقون:9]] أي: [البعداء هُمُ الْخَاسِرُونَ [المنافقون:9]] يوم القيامة بحرمانهم من الجنة ونعيمها، ووجودهم في دار العذاب، حيث لا أهل ولا مال ولا ولد [فأهل النار الرجال أو النساء لا يجدون أولادهم ولا إخوانهم، ولا آباءهم ولا أمهاتهم أصلاً، فهم يدخلون عالماً لا حد له.

وقد عرفنا أن بعضهم يوضعون في صناديق من حديد، ويلقون في ذلك العالم، ووالله إنهم لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتكلمون ولا يسمعون، ولا يرون ولا يشاهدون، وهم أحياء ملايين السنين. وهذا نوع من العذاب [كما قال تعالى] مخبراً ومبيناً لنا عذاب الآخرة والخسران فيها بقوله: [قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ [الزمر:15]] أي: بحق [الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ [الزمر:15]] فالخسران ليس فقد الشاة والبعير، أو المنصب أو الزوجة أو الولد كما يفهم الماديون، فليس هذا هو الخسران، بل حقيقة الخسران كما قال تعالى: قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ [الزمر:15] بحق الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ [الزمر:15] أولاً، وَأَهْلِيَهُمْ [الزمر:15] ثانياً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ [الزمر:15]. سبب نداء الله عز وجل لعباده المؤمنين دون غيرهم

[الشرح] والآن مع الشرح لهذا النداء؛ لنزداد علماً ومعرفة، والله نسأل أن يوفقنا للعمل بمضمون هذا النداء؛ فإن السعادة منوطة بالعمل به، والشقاء منوط بتركه وعدم العمل به.

قال الشارح غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم وسائر المؤمنين: [اعلم أيها القارئ الكريم!] وهذا القارئ هو الذي يقرأ هذا النداء، سواء كان رجلاً أو امرأة، والله إنه يتعين على المؤمنين أن يقرءوا هذا النداء؛ لأن الذي يناديهم مولاهم، فليسمعوا نداءه، فهو لا يناديهم لله ولا للباطل، وحاشا لله وكلا أن يناديهم لذلك.

وهو إنما يناديهم لواحدة من أربع: إما ليأمرهم بفعل ما بعدهم للسعادة والكمال، أو لينهاهم عما يشقيهم ويؤذيهم، أو ليشرهم بما يزيد في إيمانهم وصالح أعمالهم، أو لينذرهم ويحذرهم عما يشقيهم ويؤذيهم ويخسرهم، أو يناديهم ليعلمهم؛ حتى يكملوا في العلم ويجازون.

ولا يناديهم غير هذا، وتعالى الله عن اللهو والباطل.

فعلى هذا القارئ الكريم أن يعلم [أن هذا النداء الإلهي] أي: المنسوب للإله الأعظم، وهو الله عز وجل إله الأولين والآخرين، والمبدوء بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المنافقون:9] [له خطورته وشأنه العظيم] والله، فلننتبه [فقد نادى الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين؛ لكمال حياتهم بإيمانهم] لأن المؤمنين أحياء، وحياتهم كاملة، والحي إذا نودي سمع، وإذا أمر فعل، وإذا نهى ترك، وإذا بشر استبشر، وإذا حذر حذر، وإذا طلب منه العلم علم. والسر في هذا هو الإيمان، وأما الكافر فإنه ميت، لا يسمع ولا يجيب، ولو ناديت كافراً فإنه لا يسمع نداءك ولا يجيبك، ولا يفعل ما أمرته به، ولا يترك ما تنهى عنه؛ لأنه ميت، كالجنازة إذا ناداها صاحبها لم تسمع، وكذلك الكافر إذا قلت له: قم صل لم يقم يصلي، وإذا قلت له: استغفر الله لم يستغفر؛ لأنه ميت. وبعض السامعين لا يستسيغون القول بأن الكافر ميت، والله يقول: إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ [النمل:80].

فالكافر ميت لأن الحياة الحقّة هي حياة الإيمان، وليست حياة الحيوان، بل حياة الحيوان كالبقرة والغنم والذئب والكلاب حياة هابطة حيوانية، والحياة الحقّة هي حياة الإيمان، فإذا قلت لصاحبها: قم يا عبد الله! قام، وإذا قلت له: أنفق يا عبد الله! فإنه ينفق، وإذا قلت له: اترك يا عبد الله! هذا الكلام الباطل تركه على الفور؛ وذلك لكمال حياته، وأما الكفار فلا حياة لهم، ولهذا نادانا تعالى بعنوان الإيمان، ولم يقل: يا أيها الناس! وإنما قال: ((يا أيها الذين آمنوا))!

النهى عن الانشغال بالمال والولد عن عبادة الله

قال: [ناداهم] بقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المنافقون:9]] أي: [بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً] والمؤمن هو المصدق بوجود الله رباً وإلهاً، بالقرآن وحيّاً وكتاباً، بالنبى نبياً ورسولاً. هذا هو الإيمان.

قال: [ناداهم ليقول لهم ناهياً لهم: لَا تُلْهِكُمْ [المنافقون:9]] والنهى كأن يقول لك: لا تفعل .. لا تسمع .. لا تأخذ .. لا تعطي.

وقد ناداهم هنا لينهاهم من أن يلهيهم أولادهم وأموالهم لهم عن ذكر الله [أي: لا تشغلكم أموالكم كثرت أو قلت] وليس شرطاً في المال الذي يلهي أن يكون ملايين، بل قد يكون قليلاً ويلهي، وقد يكون كثيراً ولا يلهي، والمهم ألا يلهيك مالك ولا ولدك عن ذكر الله، ومن ألهاه ماله أو ولده عن ذكر الله فوالله أنه قد خسر خسراناً كاملاً [وأي نوع كان المال، سواء كان مال تجارة أو صناعة، أو زراعة أو غير ذلك، لا تشغلكم عن عبادة الله تعالى، وسواء كانت العبادة صلاة أو حجاً أو جهاداً] أو برّاً بالوالدين وإحساناً إليهما، أو أي نوع من أنواع العباد. والمراد من ذكر الله عبادته.

سبب خلق الله عز وجل للكون والحياة

هنا أذكر الناسين وأعلم غير العالمين بما تقرر عندنا وأصبح من الضروريّات، وهو: أن سر الحياة وعلة الوجود: عبادة الله تعالى.

ولو تسأل علماء الكون كلهم من غير أهل القرآن فإنهم والله لا يعرفون ولا يجيبون، ولو عقدتم مؤتمراً في القاهرة أو في باريس لعلماء النفس وعلماء الحياة والكون والطبيعة والقانون واجتمعوا فإنهم لا يعرفون سبب خلق الله تعالى لهذه العوالم، ولا سبب خلق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، ولا سبب خلق الجنة والنار، فهم كصاحب القبر المشرك والكافر لما يوجه إليه السؤال في القبر: من ربك؟ يقول: هاه لا أدري، ويسأل: من نبيك؟ فيقول: هاه لا أدري، ولا يجيب.

وعلة خلق هذه الأكوان وحتى الجنة والنار: أنها خلقت من أجلنا نحن بنو آدم، وليس من أجل البقر ولا الغنم ولا الماعز، ولا الطعام، بل كل شيء خلقه من أجلنا نحن.

والدليل والبرهان والحجة على هذا: قول الخالق: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا [البقرة:29]. فقال: (لكم).

وقال: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ [البقرة:13].

فإنه خلق البقر من أجلبنا؛ لنشرب اللبن ونأكل اللحم، وخلق الشمس لتوجد لنا الحرارة والضوء، وأنزل المطر لينبت لنا البقل، والحمد لله.

ونحن لسنا شيئاً حتى يخلق الله هذه العوالم من أجلبنا، فقد خلقنا وخلق لنا كل شيء، وهو لم يخلقنا لنرقص، ولا نعمر المقاصف، ولا لنغني، ولا لنأكل البقلاوة والحلوى، ولا لنأكل السمك، وإنما كما قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات:56].

والكافرين الهابطين يتحIRON، ويفتحون أفواههم ويقولون: لا ندري.
فإنه تعالى خلق كل شيء من أجلبنا، وخلقنا نحن من أجله، أي: من أجل أن نذكره ونشكره.
فعلة الوجود كله: أن يذكر الله ويشكر، ولهذا قال: فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ [البقرة:152].
والكافرون عجزوا عن أن يعرفوا علة الخلق، ونحن والحمد لله على نور من ربنا، وقد فهمنا هذا لأننا آمنّا بكتاب الله ورسوله، وقرأنا الكتاب وسمعنا الرسول يقول، فعلمنا، وبقي الكافرون جاهلون لا يعرفون.
إذاً: علة الحياة هي: أن يذكر الله ويشكر، فمن ترك ذكر الله وشكره خسر خسراناً أبدياً.
جميع العبادات ذكر الله تعالى

قال تعالى في النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المنافقون:9]! احذروا.

ف لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله [المنافقون:9].

والمقصود بذكر الله هنا جميع عباداته وطاعاته؛ إذ كل عبادة ذكر لله، وأنت لا يمكن أن تصلي إذا لم تذكر الله، وذكر الله في الصلاة أولاً: أن تذكر بقلبك أنه فرض عليك هذه العبادة، وأوجب عليك أداءها، وأنت الآن قائم لتؤديها، وهذا ذكر، ثم تذكره بالتكبير والتهليل، والدعاء والقرآن، وكل هذا ذكر.

وهكذا كل العبادات ذكر، فالعابدون ذاكرون، والتاركون للعبادة ناسون هالكون.

قال: [ولا يلهكم أولادكم أيضاً عن عبادة الله تعالى، لا عن صلاة ولا حج، ولا جهاد ولا عن ذكر الله تعالى، وكل عبادة هي ذكر الله عز وجل؛ إذ لا تخلو عبادة من ذكر الله، حتى الصيام فإنه ذكر لله تعالى بالقلب؛ إذ لولا أنه] ذكر الله [بقلبه [لأكل الصائم أو شرب] أو أتى امرأته، ولكنه ذاك بقلبه الله، وذاكر أنه صائم لله، وأن الله قد أوجب عليه الصوم أو طلبه منه.

إذاً: الصائم ذاك لله، والصوم ذكر.

وكذلك إذا توضأت فهذا الوضوء ذكر لله عز وجل.

وليس الذكر هو قول: سبحان الله، أو لا إله إلا الله.

بل كل عبادة ذكر لله.

وكذلك عندما تدخل يدك لتخرج درهمك لتضعه في كف فقير سألك هذا ذكر، ولولا أنك ذكرت الله والله ما فعلت هذا.

فذكر الله يشمل كل العبادات.

فلا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وعبادته، وذكره عبادته.

الأموال والأزواج والأولاد فتنة يمتحن الله تعالى بها عباده، ليعلم الصادق في الطاعة من الكاذب، والبار من الفاجر، ومن يحب الله ورسوله ممن يحب ماله وولده، والعاقل من أثر ما عند الله، وأحسن التصرف في أمواله وأولاده، فلم يعص الله عز وجل من أجلهم، لا بترك واجب، ولا بفعل محرم. ملخص لما جاء في النداء السابق

الحمد لله نعمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمريتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

النداء الذي سمعناه أمس وعرفنا ما فيه وتهيانا للعمل لما دعانا إليه له خلاصة في الأرقام الخمسة التالية: [أولاً: حرمة التشاغل بالمال والولد إذا كان يحملك ذلك على إضاعة بعض الفرائض أو ترك الحقوق والواجبات، كذكر الله تعالى وفعل الخيرات] لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ [المنافقون:9]. فإذا كان هذا التشاغل يحمل العبد على إضاعة بعض الفرائض أو ترك الحقوق والواجبات يصبح هذا التشاغل حراماً، بل نعطي للمال وقته، وللولد وقته، ولا يحملنا ذلك على ترك شرائع الله وفرائضه وواجباته.

[ثانياً: حرمة تأخير الحج مع القدرة عليه، والتشاغل عنه بالمال والولد، أو تسويفاً أو مماطلة] وهذا يفهم من قوله تعالى: وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ [المنافقون:10]. فمن هذا اللفظ الإلهي استنبطنا وفهمنا حرمة تأخير الحج مع القدرة عليه وتسويفه، أو المماطلة فيه والتشاغل عنه بالمال والولد؛ لأن الإنسان لا يدري هل يعيش سنة أخرى أو لا، والله يقول وقوله الحق: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ [المنافقون:10].

ونحن لا ندري متى يأتينا الموت.

ومن هنا إذا وجب حق من الحقوق فيجب ألا نماطل فيه، وألا نسوفه أو نوخره، وإنما ننجزه على الفور؛ خشية أن يدركنا الموت ونحن مضيعون أو مفرطون.

[ثالثاً: وجوب الزكاة وحرمة تأخيرها عن وقتها] لأن الله قال: وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ [المنافقون:10].

وأول ما يدخل في هذا الزكاة، فيحرم تأخيرها عن وقتها، فإذا وجبت في محرم فلا ينبغي أن يؤخرها إلى رمضان أو إلى شعبان مثلاً؛ لأنه قد يموت قبل أن يخرجها، فيتأسف ويتحسر ويقول: رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي [المنافقون:10].

[رابعاً: النذب إلى فعل الخيرات كالصدقات ونوافل العبادات من صيام وصلاة وغيرهما] وهذا يدل عليه قوله تعالى: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ [المنافقون:10].

فإذا كنت قادراً على أن تتنقل بالصدقة أو بالصيام أو بالصلاة ففعل، فسيأتي ساعة تشاهد فيها ملك الموت فتقول: يا ليتني فعلت كذا! [خامساً: لا تنس ذكر الدار الآخرة فإن الموت اللازم طريقها] ومن نسي الدار الآخرة ونسي الموت انغمس في الأهواء والشهوات، فلا بد وأن تكون الدار الآخرة دائماً نصب أعيننا، وفي الحديث: (اذكروا هادم اللذات).

وهو الموت.

فلا تنسه، ومن نسي الموت أقبل على الدنيا، وانغمس في أحوالها، وتمزق فيها.

وقد قال تعالى في القرآن الكريم في ذكر صالح عبادته: إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ [ص:46]، أي: ذكر الدار الآخرة، فقد ميز الله بها صالح عبادته، وفي قراءة سبعية: (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرِ الدَّارِ الْآخِرَةِ) [فاذكر هذا، والله يتولى الصالحين. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

التحذير من فتنة المال والزوجة والولد وبيان فضل العفو والصفح والغفران وعلاج شح النفس

هذا هو [النداء السابع والثمانون] من نداءات الرحمن لأهل الإيمان، والمنادي به الله جل جلاله بواسطة كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذا النداء [في التحذير من فتنة المال والزوجة والولد] وقد نهانا في النداء السابق عن التشاغل بالمال والولد، فقال تعالى: لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ [المنافقون:9].

وفي هذا النداء يحذرنا من فتنة المال، سواء كان صامتاً أو ناطقاً، والمال الناطق: الأنعام من الإبل والبقر والغنم، والمال الصامت: الدينار والدرهم والزرع، وما إلى ذلك.

وكذلك هذا النداء يحذرنا من فتنة الزوجة ربة البيت، وكذلك يحذرنا من فتنة الولد منها أو من غيرها.

فهذه الثلاثة تقع فيها الفتنة، وينجو منها من شاء الله نجاته، ويهلك فيها من شاء الله هلاكه، وحاشا لله أن يشاء هلاك عبادته، ولكنهم هم الذين يشاءون، كما قال تعالى: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [الإنسان:30] [و] كذلك هذا النداء في

[بيان فضل العفو والصفح والغفران] فمن عفا وصفح وغفر له أجر عظيم [و] هو كذلك في [علاج شح النفس] فالنفس لها شح، ومن أصيبت نفسه بالشح ولم يقه الله شر هذا الشح فإنه يهلك، والويل له.

[الآيات (14 - 16) من سورة التغابن] وهيا بنا نتغنى بالنداء أولاً؛ رجاء أن نحفظه، أو نقارب حفظه.

[أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [التغابن:14-16]].

جزاء السمع والطاعة لله ورسوله والإنفاق في سبيل الله

قال: [وقوله تعالى: وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا [التغابن:16]] أي: اسمعوا لأمر الله ورسوله، وأطيعوا الله ورسوله، وكذلك أمير المؤمنين والمربي [وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ [التغابن:16].

هذا أمره تعالى لعباده المؤمنين لما خفف عنهم أمر التقوى بقوله: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن:16]، أمر بالسمع والطاعة لله ورسوله، والإنفاق في سبيله تعالى، وأعلمهم أن ذلك خير لهم؛ إذ بهذا تتم سعادتهم في الدارين [الأولى والآخرة.

فضل التخلص من الشح وبيان ما يقى النفس منه

قال: [وقوله تعالى لهم: وَمَنْ يُوقْ [التغابن:16]] أي: يحفظ [شَحَّ نَفْسِهِ [التغابن:16]] والذي يقى النفس من الشح هو الله.

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [التغابن:16].

ومن لم يوق شح نفسه فأولئك هم الخاسرون [أي: ومن يحفظه الله تعالى من شح النفس فقد أفلح بالفوز بالجنة والنجاة من النار.

وفي هذا الخبر [أي: الحديث الآتي] إشارة صريحة إلى أن وقاية النفس تطلب من الله تعالى، ثم بالإنفاق في سبيل الله تعالى، فسؤال الله تعالى أن يقى العبد شح نفسه الذي فطرت عليه، ثم الإنفاق في سبيل الله بهما يحفظ العبد من

شح النفس المهلك [فالإنسان فطر على شح النفس، وطبيعة الإنسان تحب الدنيا والمال والحياة، وتكره الآخرة، والله هو الذي يقى شر هذا الشح بدعائه وسؤاله تعالى، وبإنفاق العبد في سبيل الله.

فمن أراد أن يزول من نفسه شحها فلينفق، واطرقوا لذلك قول الله تعالى من سورة التوبة: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا [التوبة:103]، أي: تطهرهم من الشح.

ومعنى الآية: خذ يا رسولنا! من أموال المؤمنين صدقة، وهي الزكاة، تزكي أنفسهم بها، وتطهر نفوسهم من شحها.

وإليكم صورة واضحة من هذا: الذي ينفق ماله كل يوم لا يعقل أبداً أن يسرق، وكذلك الذي كلما حصل على مال أنفق لله؛ طلباً لحبه ورضاه والله لا يأخذ المال من الربا، ولا يطلبه مما حرم الله. وهذه مسلمة.

ولهذا العلاج الوحيد لشح النفس هو الإنفاق، فالذي ينفق في سبيل الله يتغلب على شح نفسه، وينتصر على نفسه، ويذهب شحه، مع دعاء الله وسؤاله والصراعة إليه؛ لأن الله هو الواقى، وهو الذي جعل هذه الغريزة في العبد، وهو الذي يدفعها عنه.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وسلم.

تقوى الله تعالى حسب الاستطاعة

قال: [وقوله تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن:16] هذا من إحسان الله تعالى إلى عباده المؤمنين، إنه لما أخبرهم أن أموالهم وأولادهم فتنة، وحذرهم أن يؤثرهم على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم علم تعالى أن بعض المؤمنين [والصالحين] سيزهد في المال والولد [بالمرّة إذا سمعوا التحذير، فيحذرون ويخافون] وأن بعضاً سيعانون أتعاباً ومشقة شديدة في التوفيق بين خدمة المصلحتين، فأمرهم تعالى أن يتقوه في حدود ما يطيقون فقط، وخير الأمور الوسط، فلا يفرط في ماله وولده، ولا يفرط في علة وجوده وسبب نجاته وسعادته، التي هي عبادة الله تعالى التي خلق من أجلها، وعليها مدار نجاته من النار، ودخوله الجنة دار الأبرار] فقال تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن:16].

فلا تخرجوا من أموالكم، وتطلقوا نسائكم، وتهربوا إلى الجبال، ولكن اتقوا الله في حدود طاقتكم، فأحبوا أموالكم وأولادكم، ولكن ليكن حب الله أكثر من حبهما، وأطيعوا زوجاتكم وأولادكم في المعروف، ولكن أطيعوا الله فيما أوجب عليكم، ودعاكم إليه.

والوسطية هي المطلوبة، فلا تتخلوا عن كل شيء؛ لتعبدوا الله، ولو فعل المؤمن هذا لوقفت الحياة. وكذلك إذا عرفت أنك مفتون بمالك وولدك كما قال تعالى: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [التغابن:15]، فاحذر هذه الفتنة، وكن ذا بصيرة ووعي، وأد حقوق الله كاملة، وأعط لولدك أو مالك الوقت الذي يتطلبه. ولكن مع الأسف المفلسون أعطوا كل شيء لأموالهم، فهم في التجارة أربعة وعشرين ساعة، ولا يعرفون المسجد، ولا يدخلونه للصلاة، بل هم طول الليل والنهار مع المال، ولا يقول أحدهم: سبحان الله، ولا الحمد لله، ولا إله إلا الله أبداً.

الحث على العفو والصفح عن الأولاد والأزواج الأعداء

قال: [وَإِنْ تَعَفُّوا [التغابن:14] أي: عن أزواجكم أو أولادكم الذين فتنوكم في دينكم، فلا تؤاخذوهم بضرب أو أي عقاب، وَتَصْفَحُوا [التغابن:14]] أي: [فتعرضوا عنهم، وتعطوهم صفحة وجوهكم، فلا تسبوا ولا تشتموا، وَتَغْفِرُوا [التغابن:14]، أي: لهم ما حصل منهم من أذى، وهم صرفوكم عن الهجرة زمنياً، فاتكم فيه خير كثير من العلم والفقه، وصحبة الحبيب صلى الله عليه وسلم.

وقوله تعالى: فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [التغابن:14]] أي: [فاعفروا يغفر لكم، وارحموا يرحمكم] وتكون هذه بتلك، وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [التغابن:14].

فيصفح عنكم ويغفر ويرحم، فأعطوا تعطوا.

المال والولد فتنة من الله لعباده

قال: [ثم قال تعالى مخبراً عن حقيقة علمية ثابتة يجهلها العباد، وهي: أن المال والولد فتنة يمتحن الله تعالى بها عباده، أي: يبتليهم ويختبرهم؛ ليعلم الصادق في الطاعة من الكاذب، والبار [بحق] من الفاجر، ومن يحب الله ورسوله أو يحب ماله وولده [فنحن ممتحنون، وكل من عنده أولاد وزوجة ومال ممتحن، فإن أثر رضا الله على رضا زوجته وأولاده نجح، وإن أثر رضا الولد والمال والزوجة على رضا الله خاب وخسر] فقال تعالى: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [التغابن:15]] أي: يمتحنكم الله ويختبركم بهذه الزوجة وهذا الولد، فإن أنت أثرت رضا الله على رضا الزوجة والولد نجحت، وإن أثرت رضا الزوجة والولد على رضا الله خبت وخسرت.

والعياذ بالله.
الترغيب في إحسان التصرف في المال والولد

قال: [وقوله تعالى: وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ [التغابن:15] أي: فآثروا ما عند الله تعالى على ما عندكم من مال وولد، وأحسنوا التصرف فيهم، فلا تعصوا الله لأجلهم؛ لا بترك واجب، ولا بفعل محرم، واحذروا أن تسيئوا التصرف، فيحكمكم بهم على التفريط في طاعة الله ورسوله. واعلموا أن مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ [النحل:96]. فآثروا الباقي على الفاني] وهذه تربية ربانية، والله هو الذي يربينا، وقد سمي نفسه رباً اشتقاقاً من التربية؛ لأنه يربينا، والذي لا يجلس في حلقات القرآن ويتعلم من الله لا يتربى أبداً، ويعيش كالبهيمة. ومع الأسف حرمان العدو من تربية الله لنا، وأبعدونا عنها، وحولوا القرآن إلى الموتى، وحولنا المعاصرون منهم إلى المقاهي والملاهي، والأباطيل والترهات؛ حتى لا نجتمع في بيت الله، نتلو آية ونتدبرها، ونتفكر فيها، ونجني ثمارها من الفقه والعلم، وقد فعلوا هذا لنبقى جهلة؛ حتى نفسق ونفجر؛ لتزول النعمة، ويهبط العمل، ونصبح من الخاسرين. فقد كاد لنا هذا الكيد أعداؤنا ورب الكعبة، وهم الثالوث المكون من المجوس واليهود والنصارى. سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم ...)

لتذكر سبب نزول هذه الآيات [لتزداد وضوحاً في فهم هذا التحذير الإلهي العظيم] وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ [التغابن:14]. فهو تحذير عظيم؛ لأن الذي حذرنا هو الله. قال: [إنه روي أن أناساً] ومن الآداب الرفيعة أنهم لم يسموا هؤلاء الناس، ولم يكونوا يسمون من أذنب ذنباً بين الناس وهو من أولياء الله والصالحين، وكان الرسول يقول: (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا). ولا يذكر المذنب بذنبه أبداً. وأما نحن إذا اجتمعنا فإننا نذكر ما هب ودب، ونقول: هذا يفعل، وهذا يعمل، وهذا كذا، وكأننا خلقنا لنشر الرذائل، والعياذ بالله. وهذا لأن الشيطان استولى على أكثرنا، فانقادوا له، فهو يسوقهم حيث شاء.

فاستعينوا بالله من الشيطان الرجيم. وهؤلاء الناس [كان لهم أزواج وأولاد عاقوهم عن الهجرة] أي: حالوا بينهم وبين الهجرة [من مكة إلى المدينة فترة من الزمن] وقد كانت الهجرة من مكة إلى المدينة فريضة من فرائض الإسلام، ولما فتح الله مكة أعلن أبو القاسم: (لا هجرة بعد الفتح). وقد كانت الهجرة واجبة؛ لأن من كان في مكة لم يكن يستطيع أن يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله بين المشركين، وإذا قالها مزقوه. ومعنى هذا: أنه سبقي لا يذكر الله ولا يصلي، ولا يعبد الله، وأنه باقٍ هناك من أجل امرأته وأولاده، وهذا لا يجوز. ثم لما أصبحت مكة دار إسلام، والذي يحكمها حاكم مسلم لم يبق حاجة إلى الهجرة؛ لأنه يمكنك أن تعبد الله كما شئت.

قال: [فلما تغلبوا عليهم] أي: انتصروا، يعني: على أولادهم وأزواجهم [وهاجروا] بعد أن منعوهم، فقد قالوا لهم: لا تتركونا، أو انتظروا قليلاً، وغير ذلك، فمنعوهم وأعاقوهم شهرين .. ثلاثة .. سنة .. سنتين، ثم هاجروا [وجدوا الذين سبقوهم إلى الهجرة قد تعلموا وتفقهوا في الدين] وقطعاً أن الذي سبق بيوم قد تعلم ما لم يتعلم الآخر، والذي سبق بسنة أو سنتين تعلم أكثر، وتفقه أكثر، وكانوا يعرفون أن العلم والفقه خير من الدينار والدرهم [فتأسفوا عن تخلفهم] لما دخلوا المدينة ووجدوا الذين سبقوهم في الهجرة قد تعلموا وتفقهوا، وأصبحوا ربانيين علماء فقهاء، وقالوا: يا ليتنا هاجرنا معهم! [فهموا بأزواجهم وأولادهم الذين عاقوهم عن الهجرة فترة طويلة، فهموا أن يعاقبوهم بنوع من العقاب، كتجويعهم أو ضربهم، أو تثريب وعتاب شديدين] عليهم، أو بالتهديد، أو ما إلى ذلك، وأرادوا أن يشفوا صدورهم منهم؛ لأنهم حرموهم من العلم والتعلم زمناً [فأنزل الله تعالى هذه الآيات: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ

أَزْوَاجُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ [التغابن:14]، أي: من بعضهم، لا كلهم؛ إذ منهم من يساعد على طاعة الله ورسوله، ويكون عوناً عليها.

والمرأة في هذا كالرجل [فالمرأة أيضاً قد تتحمل المحنة] فمن النساء الصالحات من يكون زوجها وولدها عدواً لها [وذلك إذا لم يكونا صالحين، فـ] يحاولون صرفها عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم [ويمنعانها من الصلاح والطهر] وهو في النساء كثير. والواقع شاهد.

كم من امرأة يأمرها زوجها بكشف وجهها [والسلام على الناس] ويمنعها من التصديق بمالها، ويصرفها عن بر والديها [ويأمرها بالخروج والشراء، وقد يمنعها من الصيام [إلى غير ذلك] والعياذ بالله. أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

قال: [ولتذكر هنا سبب نزول هذه الآيات؛ لتزداد وضوحاً في فهم هذا التحذير الإلهي العظيم] وكثير من الآيات لها أسباب نزلت من أجلها، فالقرآن لم ينزل في يوم واحد، ولا في عام واحد، وإنما نزل في ثلاثة وعشرين سنة، وقد ينزل في يوم آية، وفي يوم سورة، وفي يوم سورتان، حتى اكتمل نزوله كما هو في اللوح المحفوظ بالحرف الواحد. وأول ما نزل من القرآن من السماء إلى الأرض هو: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ [العلق:1].

وقد نزل به جبريل على سيد المرسلين وهو في غار حراء، وكان يجلس في غار حراء لأنه يكره الباطل والربا، والوثنية والشرك والباطل، وكان يريد أن يتحنث بعيداً، فكان يستأنس في هذا الغار، وكان يأخذ معه أيضاً الطعام والشراب، ويبقى في الغار عدة أيام، وكان هذا في أول الهجرة، ففاجأه جبريل في ذلك الغار، وهذا الغار مازال والله موجوداً إلى الآن، والجبل مازال موجوداً، ولم يتبدل ولم يتغير، وهو في جبال مكة، التي تسمى جبال فاران، فنزل: فقال له: (اقْرَأْ، قال: ما أنا بقارئ)، أي: لا أعرف أقرأ.

فيضمه إلى صدره كما تضم الأم الحنون طفلها.

(ثم يرسله، وقال: اقْرَأْ، فيقول: ما أنا بقارئ ثلاث مرات، ثم قال له: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق:1-5]). فهذه أول آيات نزلت من ست آلاف ومائتين وأربعين آية.

ونحن نفرح بمعرفة خرافات الطليان والأسبان، ولا نفرح بمعرفة أول ما نزل من القرآن، وهذا خير من عشرين ألف ريال.

وهذا أمر عجيب والله.

وأخر آية نزلت هي قوله تعالى من سورة البقرة: وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [البقرة:281].

وأخر سورة نزلت بكاملها هي سورة النصر، وهي قوله تعالى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا [النصر:1-3].

ولما نزلت هذه السورة بكى أبو بكر ؛ لأنه عرف أنها إعلان عن وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهنا فائدة، فخذوها واعملوها بها: لما نزلت هذه السورة ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة يركع فيها إلا قال: (سبحانك اللهم وبحمدك! اللهم اغفر لي)؛ لأن الله قال له: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ [النصر:1-3].

فكان يقول في كل ركعة: (سبحانك اللهم وبحمدك! اللهم اغفر لي). حتى مات.

ونحن لم نتركها في أي ركعة منذ أن بلغتنا، فقولها، فأنتم لستم أغنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وقالت عائشة الصديقة: (ما تركها الرسول حتى توفاه الله).

فاذا ركعت فقل: سبحان ربي العظيم! سبحان ربي العظيم! سبحان ربي العظيم! ثم قل: سبحانك اللهم وبحمدك! اللهم اغفر لي، مرة أو مرتين أو ثلاثاً.

فقلها حتى يتوفاك الله.

وأقسم بالله إنها خير من ألف ريال.
والذي يقولها ويواظب عليها هي خير له مما طلعت عليه الشمس وغربت.
فأنت إذا أعطيت الدنيا كاملة فإنك لا تأخذها معك إلى دار السلام، بل تتركها وراءك كالجيفة، وأما هذه فإنك ترقى بها إلى الملكوت الأعلى.
وقوله: أَفَوَاجِبًا [النصر:2] أي: جماعات جماعات، ووفوداً وفوداً من شرق الجزيرة ومن غربها، ومن شمالها وجنوبها بعد أن يعرفوا أن راية لا إله إلا الله قد ارتفعت.
فإذا رأيت هذا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ [النصر:3]، أي: قل: سبحانك اللهم وبحمدك! اللهم اغفر لي.
ما يعرف به عداوة الولد والزوجة

قال: [ولما كان الأمر] أي: معرفة هل الولد والزوجة عدوان أو صديقان [خفياً ومختلطاً قال تعالى: إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ [التغابن:14]، أي: إن تطيعوهم في التأخير عن فعل الخيرات، كترك الهجرة [فقول له امرأته: لا تتركنا وتهاجر، فإذا أطاعها حرم من الهجرة التي هي من أفضل العبادات] أو الجهاد [كذلك] أو صلاة الجماعة أو التصديق بفضل المال على الفقراء والمحتاجين، وما إلى ذلك من الصالحات المزكية للنفس [والصالحات كلها فائدتها أنها تزكي النفس، أي: تطهرها، فإذا طهرت النفس قبلها الله في الملكوت الأعلى، وقد قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس:9].
ويوجد من الأولاد والأزواج - وليس كلهم- من يحول بينك وبين أن تجاهد، بل وقد يمنعونك من صلاة الجماعة، ويحولون بينك وبينها، وأما الصدقة فإنهم يشنعون فيها عليك، ويقولون لك: أولادك سيموتون من الجوع وأنت تتصدق، ويمنعونك من الصدقة، فاحذروا منهم! والقضية مختلطة، فتقننوا.
ما تتحقق به ولاية الله عز وجل

[الشرح: اذكر أيها القارئ الكريم!] والمستمع المستفيد! [أن هذا النداء الإلهي يحمل تحذيراً عظيماً] والله [من فتنه المال والولد والزوجة أيضاً].
إنه من [أجل] ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين ناداهم بعنوان الإيمان [ليعلمهم؛ لأنه يحبهم؛ لأنهم أولياؤه، ولذلك ناداهم قائلاً: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [التغابن:14] فقولوا: ليبيك اللهم ليبيك.
وولاية الله للعبد تتحقق بأمرين اثنين: الأول: الإيمان الصحيح، والثاني: التقوى الحققة، فمن آمن إيماناً صحيحاً واتقى الله ولم يعصه بترك واجب ولا بفعل حرام فهو ولي الله.
وكلنا نرغب أن نكون أولياء الله، ولذلك علينا أن نكون مؤمنين أتقياء.
والولاية ليست محصورة في الموتى، بل المؤمنين والمؤمنات الأحياء هم أولياء الله، فكل مؤمن تقي هو لله ولي حياً كان أو ميتاً .. في الأولين أو الآخرين .. قريباً أو عجبياً، ولا قيمة للنسب في هذا، بل العبرة أن تكون مؤمناً متقياً لله، ولم تغضبه بالتمرد عليه والفسق عن أمره والخروج عن طاعته.
فإن فعلت ذلك فأنت ولي الله.
تحذير الله للمؤمنين من فتنه الولد والزوجة

نادى الله المؤمنين بهذا النداء [لأنهم بإيمانهم أحياء، يسمعون ويجيبون] ولولا ولايته لهم لم ينادهم، بل كان سيتركهم تأكلهم النار والشر والبلاء كأعدائه الكفار، ولكن بحكم أنهم أولياؤه [ناداهم ليخبرهم] وليعلمهم، وليحذرهم وليأمرهم ولينهاهم؛ من أجل أن تكمل ولايتهم، وتعظم درجتهم في الملكوت الأعلى مع مواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.
فلنتق أنفسكم الله؛ لتكون مع تلك المواكب، والذين تصلون عليهم اليوم إن كانوا من أهل طاعة الله والرسول فهم مع أولئك المواكب قطعاً وبدون شك.
وهو هنا سبحانه وتعالى ينادي عباده المؤمنين ليخبرهم [محذراً منذراً، فيقول: إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ [التغابن:14] والعدو مشتق ومأخوذ من عدوة الوادي، ويقال: العدو والعدوة والعدوة، كالعشوة والعشوة والعشوة، وهي: طرف الوادي، ومنه قوله تعالى: إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصَوِّ [الأنفال:42].

وعدوك هو الذي لا يتصل بك ولا يلتصق بك، وإنما يقف هناك وأنت هنا، ولا يكون بينكما لقاء؛ لأنه يبغضك ويكرهك، وأنت تبغضه وتكرهه، ولذلك لا تلتقيان، بل هو في طرف الحياة وأنت في الطرف الآخر. ومعنى قوله تعالى هنا: إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ [التغابن:14] أن منهم من يقف في طرف وأنت في طرف آخر بعيداً عنه؛ لأنه يريد شقائك وخسرانك، ولذلك فهو بعيد عنك، وعدو لك. وكل من يريد أذاك وشرك وخسرانك فهو عدوك، فلا ترتبط به، ولا تدعه يرتبط بك، حتى ولو كان ولدك أو امرأتك.

قال: [ومن فضل الله تعالى أنه قد توجد زوجة صديقة للزوج، ويوجد ولد صديق للوالد، دل على هذا قوله عز وجل: إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ [التغابن:14] ولم يقل: يا أيها الذين آمنوا! إن أزواجكم وأولادكم عدو لكم، وإلا لما سعدنا، ولكنه قال: مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ [التغابن:14]، أي: بعض أزواجكم وأولادكم [لأن من للتبعيض مثل] النداء السابق [أَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ] [المنافقون:10].

لا كل ما رزقناكم [لم يقل: أنفقوا ما رزقناكم، وأخرجوا من أموالكم، وإنما قال: من بعضها. وكذلك قد يوجد من الأولاد من هو مثلك، ولا فرق بينك وبينه، وقد توجد زوجة أبر منك ومن أمك وأبيك، وقد يكون أيضاً بعضهم أعداء، ولهذا قال تعالى: إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ [التغابن:14]، أي: من بعض أزواجكم وأولادكم عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ [التغابن:14].

فعش على حذر منهم؛ حتى لا تقع في الهلاك. وهذه نصيحة الله وتوجيهاته لأوليائه المؤمنين المتقين؛ حتى ينجو من المعاطب والمهالك في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهكذا يفعل الولي مع وليه.

قال: [واعلم أن الفرق بين العدو والصديق أن العدو يحملك على ما يضرك ويخسرك، والصديق يحملك على ما ينفعك ويريحك] ويسعدك ويربحك وينجيك، وعلى ما لا يخسرك.

إن متاع الدنيا الزائل من مال وولد وأزواج إنما ينتفع به العبد إذا راعى فيه مرضاة الله عز وجل، والنفس البشرية جبلت على حب جمع المال، والانقباض عند إخراجهِ وإنفاقهِ، إلا نفس المؤمن الطائع لربه، الذي يعلم أن إنفاقه في سبيل الله سبب لمرضاته سبحانه، والفلاح والفوز بجنته.

تابع التحذير من فتنة المال والزوجة والولد وبين فضل العفو والصفح والغفران وعلاج شح النفس

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرتهم، وارض عنا كما رضي عنهم. آمين.

ما زلنا مع النداء السابع والثمانين، فهو نداء طويل، ويشتمل على عدة واجبات.

وسنعيد تلاوته مرة أخرى، ثم نراجع المعارف التي استفدناها منه بالأمس، ونستعرض ما جاء فيه من الهدى؛ رجاء أن تستقر في أذهاننا، وأن نتهياً للعمل بها، ولا حرج ولا أذى في التكرار والإعادة، ونحن نحفظ عن أهل العلم قولهم: الشيء إذا تكرر تقرر.

وها نحن على أبواب ختام هذه النداءات، ولذلك لن نستعجل؛ ففي العجلة الندامة، وفي التأني السلامة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [التغابن: 14-16]. اللهم اجعلنا منهم.

تنبيه الشيخ على خطأ وقع فيه في الدرس السابق

أنبه هنا إلى أنني بالأمس أخطأت وغلطت؛ وذلك لضعفي وجهلي، والحمد لله أنني تفتنت.

فقد جاءني أحد العلماء - وأظنه أفغانياً - على هيئة جميلة، وقال لي: يا شيخ! أنا كنت هنا والكتاب في يدي، وإنني أراك قد أخطأت في فهم الخبر، أي: الآية، قلت: إي والله أصبت، وقد تفتنت بعد ذلك.

وهذا الخطأ في هذه الفقرة، وهي: وقوله تعالى لهم: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ [التغابن: 16] أي: ومن يحفظه الله تعالى من شح النفس فقد أفلح بالفوز بالجنة والنجاة من النار.

ولم نقل: من وقاه الله مع أنه لا وافي غير الله.

وهذه الوقاية تكون بأسباب، وهذه الأسباب: سؤال الله قبل كل شيء، وذكر الدار الآخرة، والإنفاق.

فهذا يوقى الإنسان شح نفسه.

وأنا أخطأت عندما قرأت قوله بعد هذا: وفي هذا الخبر، ففهمت أن الخبر هو الحديث الآتي، وغفلت وجهلت أن المراد من الخبر هو قول الله تعالى: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [التغابن: 16].

فهذا خبر.

فالخبر غير الجملة الإنشائية التي هي افعَل أو لا تفعل.

فقوله: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [التغابن: 16].

خبر، والمخبر فيها هو الله، وخبر الله ليس فيه تردد ولا شك، بل كله صدق، ولن يكون إلا ما أخبر الله تعالى به. [وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].
اللهم قنا شح أنفسنا، واجعلنا من المفلحين.
وصلّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
التحذير من الشح وبيان علاجه

قال صلى الله عليه وسلم: (واتقوا الشح).
بأن تجعلوا بينكم وبينه وقاية، وذلك بأن تطلبوا وتبحثوا عن الأسباب الواقية منه.
وسبب الأمر بأن نتقي الشح (فإنه أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم).
فالشح خطير.
وقد عرفنا البارحة أن علاجه في أمرين: الأول: الإنفاق في سبيل الله.
فالذي يعود نفسه على الإنفاق ينجو والعياذ بالله من الشح.
وثانياً: ذكر الدار الآخرة والموت.
فالذي يعيش أسبوعاً لا يذكر القبر ولا الموت لا يستطيع أن يتقي الله، وقد كان الصالحون إذا شعر أحدهم بقسوة في قلبه يأتي إلى المقبرة، ويجلس بين القبور، وينام أحياناً على قبر، ويأخذ في التفكير في مصير هؤلاء، وأنهم كانوا بالأمس تجاراً وأصحاب أموال وغير ذلك ثم أين هم الآن.
فكان الصالحون يأتون إلى القبور ليذكروا الدار الآخرة.
وقد أرشد إلى هذا رسول الله ودعا إليه، فقال صلى الله عليه وسلم: (ألا وإنني قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها تذكركم الآخرة).
وقد كان يخرج صلى الله عليه وسلم من بيته من الليل والناس نيام إلى البقيع؛ ليذكر الدار الآخرة.
إذاً: مرض الشح نعالجه ونقي أنفسنا منه بشيئين: ذكر الموت والدار الآخرة، وبالإنفاق المتواصل، ولو بربريع ريال كل يوم، أو بحبة عنب كل يوم.
فالمهم أن تنفق؛ لأن صاحب الإنفاق يذهب عنه هذا المرض، والدليل قول الله تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا [التوبة: 103].
وهي لا تطهرهم من البول والعذرة، بل تطهرهم من مرض الشح والعياذ بالله، وتزكّيهم أي: تطهر نفوسهم.
فالذي ينفق ماله لوجه الله والله لا يسرق.
وقد يقول أحد: التاجر الفلاني صاحب بنك وينفق، وأقول: والله إنه لا ينفق إلا للشهرة والسمعة، وليقبل الناس على عمله.
فهو ينفق للإعلان كما يقولون، مثل ما يقولون: إن فلاناً اشترى كذا، أو بنى كذا؛ ليقبل الناس على بضاعته وتجارته.
ولو أنفق في سبيل الله لأغلق باب البنك، وهرب يصرخ إلى الصحراء، لعاش في البر، ولم يقبل أن يعيش مدير بنك، ويأكل من مال حرام.
ولا يكفي أن تعالج الشح بالصلاة والصيام، فهذا لا يكفي.
بل لابد من شيئين: ذكر الموت والدار الآخرة دائماً، فاجعلهما نصب عينيك، ثم النفقة بحسب ما أعطاك الله، فإن لم يكن عندك إلا قرص فقط وممر بك مسكين فأعطه ثلث هذا القرص، أو ربعه، وستشعر بلذة ذلك.
وكذلك سؤال الله تعالى أن يبعد عنك الشح، وهذا فوق كل شيء.
وقد كان عبد الرحمن بن عوف يطوف ويقول: اللهم قني شح نفسي.
ومن وقاه الله عز وجل شح نفسه ألهمه ذكر الدار الآخرة، كما قال تعالى: إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ [ص: 46].
وهذه آية من كتاب الله.
فيجعلهم يذهبون إلى المقابر، ويكون بين القبور، وكل هذا من توفيق الله عز وجل.
فلا غنى لنا عن دعاء الله وسؤاله أن يقينا شح أنفسنا، ولنستعمل السببين الرئيسيين لذلك، ألا وهما: ذكر الموت والدار الآخرة، والإنفاق في حدود ما عندنا.

وليس شرطاً أن تخرج قوتك اليومي، ولكن إذا سأل سائل عند الباب فأعطه لقمة، وقد تصدقت عائشة والله بحبة عنب؛ إذ لم يكن عندها إلا عنقود عنب بين يديها، فجاءت سائلة تقول: إنها جائعة، فقالت لإحدى مولاتها: أعطها حبة، فتعجبت، فقالت لها: كم مثقال في هذه الحبة؟ ففيها أكثر من عشرين مثقالاً، والله يقول: **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ [الزلزلة:7]**.

وأذكركم بحادثة لا تنسى أبداً، وهي: أنه طال عمر عائشة، حتى توفي حبيبها، ومات والدها، ومات عمر رضي الله عنه، ومات عثمان، وهي في تلك الحجرة كالحوراء، فتركت حتى الحج والعمرة، وانقطعت عن الدنيا، وكانت تأتيها النفقة من خلفاء المسلمين، واتسع الإنفاق عليها يوم تولى معاوية، فبعث لها بالذهب والفضة؛ لتنفقه على نفسها وعلى من شاءت، وكانت صائمة، وأنتم تعرفون مشقة الصوم في المدينة وخاصة في الصيف، فأذن المغرب، فقدمت لها الجارية الخادمة خبزاً بلا زيت ولا مرق ولا ماء، وكانت قد ظلت الجارية التي معها طول النهار توزع الذهب على الفقراء والمساكين من بيت إلى بيت.

وقالت الجارية: لو أمرتني يا أماء! أن أشتري بدرهم زيتاً لتأكلي به الخبز.

وهذا حتى تعرفوا أين نحن وأين هي.

فهذه أم المؤمنين حبيبة رسول الله توزع طول النهار الذهب، وتفرقه على بيوت الفقراء والمحتاجين، ولم تشتتر بدرهم زيتاً، وأكلت الخبز حافاً، رضي الله عنها وأرضاها.

إِذَا: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [التعابن:16].

السامون الأعلون.

ومعنى الفلاح: النجاة من النار، ودخول الجنة دار الأبرار.

ولا فلاح إلا هذا، كما قال تعالى: **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس:9]**.

فلو سئلت عن الفلاح فقل: هو أن تنجو من دار البوار والخزي والعذاب الشديد وتدخل الجنة دار النعيم المقيم، واقرأوا لذلك قول الله تعالى: **فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران:185]**.

التحذير من الظلم

قال الرسول: (إياكم والظلم).

وهو ليس الظلمة بالهاء، بل الظلم، والظلمة يفهم منها ظلمة الليل أو النهار.

والمقصود هنا الظلم.

(فإنه أهلك من كان قبلكم).

والأمم التي هلكت من قبلكم كان سبب هلاكها في الغالب الظلم، أي: ظلم بعضهم بعضاً.

و (إن الظلم ظلمات يوم القيامة).

والذي يمشي في الظلمات يوم القيامة لا يدخل الجنة والله، ولن يعرفها، بل يقع في أصل الجحيم.

وقد قال الله تعالى في سورة الحديد: **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ [الحديد:12]**.

فنورهم يسعى أمامهم كنور السيارة.

وكنا من قبل لا نفهم معنى: **يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ [الحديد:12]**.

ولكننا الآن فهمنا.

وكما تشاهدون السيارة نورها أمام عجالاتها بعدة أمتار، وكذلك المؤمنون والمؤمنات وهم في طريقهم إلى دار السلام

ليعبروا الجسر الممتد المسمى بالصراط يكون نورهم هناك أمامهم **بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا [التحریم:8]**.

حتى يبصروا الطريق، ويصلوا إلى باب الجنة.

وأما المنافقون فلا نور لهم، ولذلك يقولون للمؤمنين: **أَنْظِرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ [الحديد:13]**.

فيسخر منهم المؤمنون ويقولون لهم: **ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا [الحديد:13]**.

فيرجعون، فتغلق الأبواب، ويفصل بينهم وبين المؤمنين ستارة أو سور.

وكلمة: **ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ [الحديد:13]** ذات لطيفة عجيبة، وهي: أن النور الذي يطلبونه هنا لا يطلب من هنا، بل

يطلب في الدنيا، فارجعوا إلى الدنيا، واحصلوا على هذا النور.

ولن يقدروا أن يرجعوا إلى الدنيا، ولكنهم لبلاهمتهم وغبوتهم يظنون أنه وراءهم، فيلتفتون وراءهم يطلبون النور، وفجأة وإذا بسور عظيم يضرب بينهم أوتوماتيكياً، ولا تستغرب هذا، فالآن في زمن بالكهرباء تلتفت وإذا الباب يغلق.

بَابُ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ [الحديد:13-14].

وهذه الآيات عجيبة، وهي من سورة الحديد. والشاهد عندنا: إياكم أيها المؤمنون! ويا أيها المؤمنات! والظلم، بل احذروه وخافوه، واهربوا منه.

وإياكم إياكم! فلا تظلموا أنفسكم، فضلاً عن جيرانكم وأبنائكم وإخوانكم، أو غيرهم.

ولذلك قال في الحديث: (إياكم والظلم!).

والظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه.

و(إن الظلم ظلمات يوم القيامة).

ومن مشى في الظلمات فلن يدخل الجنة، بل يقع في عذاب النار في الجحيم.

الحث على الابتعاد عن الشح

قال تعالى في التوقيع الأخير من هذا النداء: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ [التغابن:16].

والواقى هو الله، ولا يستطيع أحد أن يقيك شح نفسك، لا عالم من علماء النفس، ولا عالم من علماء الحياة والطب؛ لأن هذا المرض فطري غريزي مطبوع عليه الإنسان، سواء كان أبيض أو أسود.

وهذا المرض يسمى بالشح.

والشح هو: المنع والحرص، وأما البخل فمنع فقط.

وتقطنوا لهذه النقطة، وهي: أن الشحيح حريص على أن يجمع المال ويمنع، والبخيل يمنع فقط.

فالشحيح حريص على أن لا يخرج ديناراً ولا درهماً.

وهذا الشح مرض غريزي طبعي في الإنسان، والله تعالى يقول: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [التغابن:16].

ولم يقل: ومن أقيه شح نفسه فقد أفلح.

وهذا ليحملنا على أن نبحث كيف نحفظ أنفسنا من هذا المرض.

والطريق هو: أن نفرغ إلى الله، فهو الذي يقينا شح أنفسنا، ولا يقدر أحد على ذلك قط إلا الله، فعلياً أن نلجأ في صدق إليه، ولنطرح بين يديه، ولنسأله ونبكي بين يديه.

اللهم قنا شح أنفسنا.

قال: [وبهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: (إياكم والظلم! فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح! فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم).

وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه [وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة] إذا طاف بالبيت [وكان الصحابة يطوفون ويعتصرون ويحجون، وكان عبد الله بن عمر طول حياته ثمانين سنة يحج عاماً، ويغزو عاماً، فكان عاماً يسجل في ديوان المجاهدين، ويخرج معهم إلى الشرق والغرب، وفي العام الثاني لا يسجل في ديوان المجاهدين، بل كان يحج ويعتمر.

و عبد الرحمن بن عوف شوهه ورئي وسمع منه وهو يطوف [يدعو بقوله: اللهم قني شح نفسي] وكان يدعو بهذا طيلة الطواف [لا يزيد عن ذلك؛ لأن شح النفس هو الذي يحمل على السرقة والزنا، والكذب والخيانة، وخلف الوعد وإضاعة الأمانة] فهذا حكيم؛ لأنه عرف أنه متى وقاه الله شح نفسه فوالله لن يزني ولن يسرق، ولن يكذب ولن يأكل حراماً، ولن يحسد، بل تنتهي كل ذنوبه في هذه القضية.

فقد عرف أن علة البلاء والفتنة في الشح، فمن وقاه الله شح نفسه نجا، كما قال تعالى: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [التغابن:16].

الحث على الإنفاق ومعناه

قال تعالى: وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ [التغابن:16]، أي: اسمعوا وأطيعوا وأنفقوا مما أعطاكم الله. فعلى صاحب الصاع أن ينفق من صاعه، وعلى صاحب المد أن ينفق من مده، وعلى صاحب الألف أن ينفقه منه، وعلى صاحب الريال أن ينفق من ريال، وعلى كل أحد أن ينفق بحسب حاله. وكذلك أنفقوا من طاقاتكم البدنية والعقلية من العلم والمال والجاه، فكل هذا ننفق منه، كما قال تعالى: أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ [البقرة:254].

وقد تقدم هذا النداء. وقلنا فيه: يجب على العالم الذي علمه الله أن ينفق من علمه، وعلى صاحب الجاه في القرية أو في المدينة أن ينفق الله من هذا الجاه، ويقضي حاجات أناس لا يستطيعون أن يقضوها إلا بالوسائط والوسيلة، وصاحب القوة البدنية إذا لم يجد ما يفعل يكس الشوارع، وهذا ليس عيباً، وعلى الأستاذ في الشارع أن يزيل القمامة، وهذا ليس عيباً، فإذا أعطاه الله قوة بدنية فعليه أن ينفق منها. وحسبنا أن يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق).

وليس هناك حرج أبداً في أن تساعد عمال البلدية، وأن تحمل معهم وتساعدهم؛ لأنك فارغ، وهذا ليس عيباً. وأبو بكر الصديق كان والله العظيم يحلب غنم أهل القرية التي هو فيها والحي الذي يسكنه، ولما ولي الخلافة سمع الجواري أو جارية تقول: الآن لن يحلب لنا أبو بكر؛ فقد أصبح خليفة، فقال: لأحلبن لكم وإن كنت خليفة. وقد والله عشنا في قرى أهلها أهل جهل، ولكن فيهم نوع من الخير، فكننت والله إذا دعوتهم غداً ليبينوا معك جداراً أو بيتاً يبنون لك البيت والله في يومين أو ثلاثة فقط مجاناً، ويساعدونك الله؛ لأنهم جالسون ليس عندهم عمل، وبدلاً من أن يجلسوا في المقاهي وظلال الجدران يعملون. والمقصود من هذا: أننا ليس عندنا وقت لا نعبده الله فيه.

وإذا لم يكن عندك شغل فنظف الشوارع، وساعد الفقراء والمساكين، وحتى إذا وجدت حمالاً يحمل كيساً كبيراً فاحمل معه، فهذا خير كثير. وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ [التغابن:16]. جزاء من أحسن التصرف في المال وأحسن تربية أولاده

يقول تعالى لنا: وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ [التغابن:15]. إن أنتم أحسنتم التصرف في المال والولد كما يحب الله عز وجل، وإن فقدتم شيئاً فإله عز وجل يعوضكم الكثير، فإن الله عنده أجر عظيم. وقد استحققنا هذا الأجر وأصبحنا أهلاً له لأننا أنفقنا المال في مرضاته، وربينا الأولاد حسب مرضاته، وحسب ما يريد، فإن أضعنا شيئاً وضاع منا مال أو ولد فإله عنده الأجر الذي يعوضنا. فلا تفهم أنك إذا أنفقت المال في تربية أولادك أو أنفقت في سبيل مرضاة ربك أنك تعدم أجره، أو تعود فقيراً مهاناً بين الناس، بل إن الله يكافئك بما هو أعظم، فإن الله لديه الأجر العظيم. وهذا ترغيب من الله لنا في أن نعيش على مرضاته، وأن لا ننخدع أو نغتر بحب المال والولد، فإن الله عنده أجر عظيم. تقوى الله حسب الاستطاعة

قال تعالى في هذا النداء: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن:16]. وقد عرفنا بالأمر أننا إذا أقلنا على الله إقبالاً كاملاً وتركنا الزوجة والولد وكل شيء فإن الله لا يرضى لنا هذه الحال؛ لأننا غلونا، وهذا هو الغلو، كما قال تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ [النساء:171]. كما أننا إذا أقلنا على المال والولد إقبالاً كلياً خسرنا الدنيا والآخرة، وهذا أيضاً تقييد لا يقبل. بل المطلوب هو الوسط فأنفق على نفسك وزوجك وولدك بقدر ما عندك، وأنفق في مشاريع الخير بقدر ما عندك، ولا تمنع وتبخل بالمرة، ولا تنفق كل شيء، وتخرج من الحياة بلا شيء، بل اتقوا الله في حدود طاعتكم.

وهذه الآية مخصصة لعموم آية آل عمران التي لما نزلت اضطرب لها المؤمنون، وهي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ [آل عمران:102].

وقد مر بيا هذا النداء، أي: قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ [آل عمران:102].

ولا أحد يستطيع أن يتقي الله حق تقاته، فهو الذي يقول للشيء: كن فيكون، والذي يملكك ويملك كل شيء، والذي إذا تكلم ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً بين يديه، والذي يقبض السماوات والأرض بيده، فلا أحد يستطيع أن يتقيه أبداً كما ينبغي لعظمته وجلاله، وقوته وقدرته.

فلما نزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ [آل عمران:102] قالوا: لا نستطيع هذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية من هذه السورة المدنية، وهي قوله: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن:16].

فهدأت القلوب، وسكنت النفوس، بعد أن عرفوا أن لا يبذلوا إلا ما يستطيعون، وأن ما لا يستطيعونه لا يؤخذون ولا يطالبون به.

الحث على السمع والطاعة لله ولرسوله وولاة الأمور

قال تعالى: وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا [التغابن:16].

فعلحكم بالسمع والطاعة! فإذا أمر الله فقولوا: سمعاً وطاعة، وقوموا بما أوجب عليكم، وإذا نهى الله فقولوا: سمعاً وطاعة، وتجنبوا ما نهى الله عنه.

فإذا قيل لك: يا عبد الله! صم شهر رمضان، فلا تقل: لا أستطيع، بل صم، فإذا عجزت وسقطت فلا شيء عليك، وإذا أمرت بأن تذكر الله عز وجل فاذكره، فإن عجزت أو منعت بسبب الكلام مع فلان، أو مناداة فلان، أو بسبب الشغل بفلان، فلا تخف، واتق الله ما استطعت، وهكذا.

فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا [التغابن:16].

واتقوا الله في حدود ما تستطيعون، ولا بد من الإذعان وقبول أمر الله ونهيه.

بل اسمعوا أمر ربكم وأمر رسولكم، وأطيعوا أمر الله وأمر رسوله، وأمر من أمركم الله أن تطيعوا أمره، كالوالدين والمعلم، والمربي والأمير، وليكن شعارنا دائماً: سمعاً وطاعة، فإذا ناداك الله فقل: لبيك! وإذا قال لك: أنفق فأنفق في حدود ما تستطيع، وإذا قال لك: اعمل فاعمل بما في قدرتك واستطاعتك، وما عجزت عنه لم تؤاخذ به، بل فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن:16].

ولا بد من السمع والطاعة.

ولا تقل: أنا لا أستطيع، أو أنا لا أقدر على هذا ولا أقوى عليه حتى تجرب، بل قل: سمعاً وطاعة لك يا رب! وجرب وحاول، فإن استطعت فذاك، وإن عجزت فلا شيء عليك؛ لأنه قال وقوله الحق: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن:16].

وقوله تعالى: وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا [التغابن:16]، أي: لله ولرسوله، ولمن أمرنا أن نسمع أمرهم ونطيعهم غير الله والرسول، وهم من ذكرهم في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء:59].

والذي له أمر عليك: أبوك، فلهما الحق أن يأمراك وينهيأك؛ لأنك ولدهما، وهما مفتونان بك كما إنك مفتوناً بهما أيضاً، ولذلك فاطعهما واسمعهما.

وكذلك مربيك ومهذبك الذي يعلمك، وإذا لم تطعه لم تتعلم، ولن تزكو نفسك.

فمربيك من ولاة أمورك.

وكلمة وَأُولِي الْأَمْرِ [النساء:59] يدخل فيها أولاً العلماء؛ لأنهم يبلغون عن الله، وهم يأمرونك بأمر الله.

وثانياً: الأمراء؛ لأنهم يطبقون أمر الله فيك، ويلزمونك به.

فليكن شعارنا دائماً إذا أمر الله أو أمر رسوله أو أمر ولي الأمر أن نقول: سمعاً وطاعة، ثم إن عجزنا فلا شيء علينا؛ لأن الله قال: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [النساء:59].

ولن يستطيع أبوك ولا الأمير ولا حتى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلزمك بما لا تطيق.

والمهم هو أن تظهر في مظهر السمع والطاعة لله ورسوله، ثم إذا عجزت فحجتك فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [النساء:59].

إِذْ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [البقرة:286].

وطاقتها وما في قدرتها.

وقد أمر الله المؤمنين أن يطعن رسول الله، فقال: وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ [الممتحنة:12].

وأما غير المعروف فلا، وليس له حق بالطاعة فيه. وكذلك لو أمرك أبوك أن تسب زيدا أو عمرو فلا تطعه، وكذلك إذا أمرك أبوك أن لا تتوضأ، أو أن لا تخرج للصلاة فلا طاعة له، ولكن إذا أمرك بالصلاة فيجب أن تطيعه؛ لأنه أمر بمعروف. الأموال والأولاد فتنة يمتحن الله بهما عباده

قال تعالى: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [التغابن:15].

ولن يرد أحد على الله عز وجل، ويقول: ليسوا بفتنة.

فخالقهم وخالقنا وخالق غرائزنا وغرائزهم، وطباعنا وطباعهم هو الذي أخبر: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ [التغابن:15].

ولم يقل هنا: إن من بين أولادكم وأموالكم فتنة، بل قال: إن أموالنا من حيث هي كثرت أو قلت وأولادنا كبروا أو صغروا .. كثروا أو قلوا فتنة.

ووجه كونهم فتنة: أن الله يمتحننا بالمال والولد لينظر كيف نتعامل معهم، فقد أعطانا المال لينظر هل نخرج زكاة أموالنا، ولن نبالي بالفقر ولا بالولد، وأعطانا الأولاد لينظر هل سنربيهم ونروضهم على طاعة الله وحبه، وحب رسوله والمؤمنين، أو أننا بسبب حبنا لهم الذي تمكن من قلوبنا سنتركهم يعيثون ويسخرون ويفعلون جميع أنواع الباطل، وبسبب الشفقة والرحمة وحبهم لا نأمرهم ولا ننهأهم، ولا نعظمهم ولا نوبخهم.

فالأموال والأولاد والله فتنة، وكل من له مال وولد فهو في فتنة، أي: في حالة اختبار وامتحان، والممتحن والمختبر له هو الله، فإن أحسن التصرف في ماله فلم يجمعه من الباطل والشر، ولا من الحرام ولا من المكروه، وأنفق في سبيل الله حيث وجب الإنفاق نجاح، وإن حمله حبه لهذا المال على أن يراي به، وعلى أن ينمي بالغش والخداع، وعلى أن لا ينفقه في مرضاة الله، بل ينفقه في مساخط الله عز وجل خسر.

وكذلك صاحب الأولاد إذا هو أحسن تربيتهم وتعليمهم، وتزكيتهم وتطهيرهم، ولم يبال بعواطفهم ولا بدموعهم، ولا ببيكانهم ولا بغير ذلك نجاح، وإن هو أهملهم حبا فيهم ورغبة فيما عنده منهم، وأعرض عن ذكر الله، وعن طاعة الله خسر في امتحانه والله، ولم ينجح.

وليس منا أحد إلا وله مال، وقد يكون له ولد، ولذلك فلنعلم أن المال والولد فتنة، أي: امتحان وأسئلة وضعها الله لنجيب عنها، وينظر هل نرضي الله تعالى أو ننسخطه.

فإن نحن تصرفنا في المال تصرف المؤمن الرشيد، بلا تبذير ولا بذخ، وبلا إنكار ولا جحود، وبلا بخل ولا إمساك نجحنا، وإن جرينا وراء حب المال ونحن مفتونين به، أو بذرنا في إنفاق المال، أو أنفقناه في معصية الله، أو منعنا حقوق الله فيه فقد خسرنا في امتحاننا، ولم ننجح.

فضل العفو والصفح عن الولد والزوجة

قال تعالى: وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا [التغابن:14].

وهذا باب فتحه الله لنا على مصراعيه.

أي: إن أنتم عفوتهم عن ظلمكم، وعن حرمكم من الخير، وعن صرفكم عن الهدى، وصفحتم عنهم، والصفح أن تعطيه خدك، ولا تلتفت إلى كلامه ولا ما يقوله ويؤذيك به، وتغفر له، وتستتر ما ظهر منه، فالجزاء من عند الله، فانه غفور رحيم.

وهذه الآية نزلت - كما علمتم- في جماعة تأخروا عن الهجرة، وهم يعرفون وجوبها، ولكن نساءهم أولادهم حملوهم على التأخر عدة سنين، فلما يسر الله الهجرة وهاجروا ووجدوا السابقين لهم قد تفوقوا في العلم والأدب والمعرفة تأملوا وتحسروا، وغضبوا على أزواجهم وأولادهم، وأنبيوهم وعفوهم، وكادوا أن يضربوهم.

ولكن الله رحم المؤمنين؛ لأنه يعرف ضعف الولد وضعف المرأة، فقال لهم: وَإِنْ تَعَفُّوا [التغابن:14] عنهم وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا [التغابن:14] فإني أغفر لكم، وأعفو وأصفح عنكم، فقد تتركبون أخطاء أو خطايا وتحتاجون إلى مغفرتنا وعفونا وصفحنا، فسنعاملكم بما عاملتم به أبناءكم وأزواجكم.

ولا يفعل هذا أحد سوى الله الرحمن الرحيم.

وهذا ليس خاصاً بجماعة المهاجرين، بل هو والله لنا ولكل المؤمنين إلى يوم القيامة.
التحذير من طاعة الولد والزوجة فيما لا يرضاه الله عز وجل

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ [التغابن:14].

والحذر معروف، فهو اليقظة والانتباه؛ خشية أن تتورط.
فقد تحملك زوجتك على أن لا تتصدق، وتقول: أولادي جياع، وبناتي عراة، فلا تتصدق، ولا تجوز هذه الصدقة، وإذا أتيت بضيف قد وجبت ضيافته أخذت تشنع وترتعد، وتقول: لسنا في حاجة إلى هذا، وهكذا يقول الولد، ويمنعناك من أن تنفق شيئاً في سبيل الله، ولهذا قال تعالى: فَاحْذَرُوهُمْ [التغابن:14].
وهذا أمر الله لنا، وهو يقتضي الوجوب، فلا تحمله على غير الوجوب.
فإن تجلى لك وظهر أن أولادك أعداء لك أو أن بعض أولادك سواء بنين أو بنات أعداء لك فاحذرهم؛ حتى تنجو من الفتنة، وتسلم من المهالك والمعاطب، فقد يحملك الولد على أن لا تشهد صلاة الجماعة، وقد تحملك الزوجة على أن لا تصلي حتى الجمعة، فإن أنت استجبت لهم وأطعتهم أوقعوك موقع العدو لعدوه.
بيان كون بعض الأولاد والأزواج أعداء

اعلموا أولاً: معاشر المستمعين والمستمعات من المؤمنين والمؤمنات! أن قوله تعالى: إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ [التغابن:14] هو نداء، نادانا به الرحمن عز وجل؛ ليخبرنا أنه يوجد من بعض أزواجنا وبعض أولادنا من هو عدو لنا.

وهو الصادق في كل أخباره، وهو العليم الخبير، والحكيم العليم، والرحمن الرحيم.

وكلامه صدق ورب الكعبة، وإذا لم نصدق العليم الحكيم لم نصدق أحداً.

والمخرج حتى نحذر من عداوتهم أنه يجب أن نعيش على يقظة، ولا نغفل ولا نجهل، ولا ننسى ولا نعرض، بل نعيش على البصيرة دائماً، ومادام يوجد من بين أزواجنا وأولادنا من هو عدو لنا فإن هذه الحال تقتضي منا أن نعيش على أكمل اليقظة، وأتم البصيرة.

ومتى شاهدنا الزوجة تظهر بمظهر العدو لنا، وتريد أن تمنعنا من عبادة الله وطاعته وذكره فيجب أن نعلمها أنها في هذا الموقف هي في موقف عدو، وأنه لا طاعة لها ولا سمع، ولا اطمئنان ولا سكون إليها، حتى تعود إلى رشدنا وصوابها، وتقف معنا موقف الحبيب مع حبيبه، لا العدو مع عدوه.

وكذلك إذا شاهدنا من الأولاد بنين أو بناتاً من هو عدو لنا فلنحذر ولنستيقظ، ولننتفضن ولننتبه، ولا نجعلهم أعداء حقيقيين لنا، ولا نمكنهم من أنفسهم؛ حتى لا يحرموننا من عبادة الله وطاعته والتقرب إليه.
وهم قد يحملون العبد على ترك الهجرة.

سبب نزول قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم ...)

نزلت هذه الآية كما علمتم في جماعة من المؤمنين في مكة، منعهم أزواجهم وأولادهم من الهجرة، فكانت المرأة تشتكي والابن يبكي، ويقولان: لا تتركنا وتهاجر، فصدقوهم، فعوقبهم بعض سنين عن الهجرة.

ثم لما هاجروا وجدوا الذين سبقوهم بالهجرة علماء فقهاء، بصراء ربانيين، فعضوا أصابع الندم، وقالوا: إن أزواجنا وأولادنا حرمونا من هذا الخير، فكشروا أنيابهم في وجوههم، وأعرضوا عنهم، ونالوا منهم بالتعيير والسب، وحتى بالضرب.

ولكن الرحمن الرحيم ولي المؤمنين ومتولي الصالحين طلب إليهم أن يعفوا ويصفحوا ويغفروا، ووعدهم أنهم إذا غفروا لأزواجهم وأولادهم ما صدر منهم فإن الله سيغفر لهم ذنوبهم، وأن هذه بتلك.
فأعط الله ولا تخف؛ فإنه يعطيك أكثر مما أعطيته.

شرع الطلاق عند تعذر استمرار الحياة الزوجية، وعجز الزوجين أو أحدهما عن أداء ما عليه من واجبات للآخر، إلا أن هذا الطلاق له آداب وأحكام يجب التقيد بها، حتى لا يكون أداة للإضرار ووسيلة للظلم والعدوان، فشرع للمطلقة أن تبقى في بيتها حتى تنتقضي عدتها، وليس لأحد إخراجها منه إلا أن تأتي فاحشة مبينة. مشروعية الطلاق السني وبيان العدة وحكم إخراج المطلقة من البيت

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

وهذا هو [النداء الثامن والثمانون] وهو [في مشروعية الطلاق السني، وبيان العدة، وعدم إخراج المطلقة من البيت حتى تنتهي عدتها إلا أن تؤذي، و] في [مشروعية الإشهاد على الطلاق والرجعة الآيتان (1 ، 2) من سورة الطلاق] وهذا النداء الكريم نداء الله رب العالمين.

والمنادى به هم المؤمنون.

اللهم اجعلنا منهم.

والله يناديهم ليأمرهم بما يكملهم ويسعدهم، أو لينهاهم عما يؤذيهم ويشقيهم، ويخسرهم في دنياهم وأخرتهم، أو يناديهم ليبشرهم، أو لينذرهم، أو ليعلمهم.

فاللهم لك الحمد.

وهيا نتغنى بهذا النداء الكريم.

قال: [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا أيها النبي إذا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا * فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [الطلاق: 1-2]] وهذا النداء موجه لكل مؤمن ومؤمنة من عهد نزول الآيات به إلى اليوم، بل إلى يوم القيامة.

وقد يقول القائل: هذا النداء ليس للمؤمنين، بل هذا للنبي صلى الله عليه وسلم.

والجواب: إن قوله: إِذَا طَلَقْتُمُ [الطلاق: 1] المقصود به نحن، فكأنه قال: يا أيها النبي! ويا أيها الذين آمنوا! إذا طَلَقْتُمُ النساء فافعلوا كذا وكذا.

فنحن منادون ضمن نداء الحبيب صلى الله عليه وسلم.

[الشرح] والبيان: [اعلم أيها القارئ الكريم!] والمستمع المستفيد! [أن هذا النداء يحمل أحكاماً شرعية] والله لا بد للمؤمن من معرفتها [أولاً] والتقيد بها [ثانياً].

وتطبيقها وتنفيذها، وإلا فلن يزكو، ولن تطيب نفسه.

ولذلك فلا بد من التقيد بها، بدون إهمال أو تضييع أو إعراض، وإنما يتقيد تقيداً كلياً بهذه الأحكام إن كان عبد الله المؤمن، أو كانت أمة الله المؤمنة.

فليست القضية أنه نادانا فقط، بل إنه نادانا ليحملنا أعباء التكاليف؛ لأننا نرغب أن نجاوره في الملكوت الأعلى. ولذلك فلا بد من تكاليف تطهرنا وتزكي أنفسنا، وتجعلنا نشبه أهل السماء الملائكة الكرام، وحينئذ نصبح أهلاً للملكوت الأعلى.

ولهذا لا تعجب، ولا تتملل ولا تضجر؛ لأن طلبك عظيم، وهدفك سام، وغايتك لا حد لها. فأنت تريد أن تحترق مسافة سبعة آلاف وخمسمائة عام للطائر، وتريد أن تقطعها في لحظات، ولو قيل لك: لا تأكل ولا تشرب ولا تنظر، وأغمض عينيك حتى تموت لتصل إلى هذا، لما كان هذا صعباً أبداً، ولو بقيت هكذا خمسين سنة؛ لأن الغاية عظيمة.

حكم الإشهاد على النكاح والطلاق والرجعة

قال: [خامساً] أي: خامس الأحكام في هذا النداء: [كما يُشهد الزوج على الزواج يشهد على الطلاق، وعلى الرجعة أيضاً.

إلا أن الإشهاد على عقد النكاح ركن يفسد النكاح بدونه] فالإشهاد على الزواج ركن. وأركان النكاح أربعة: أولاً: الصيغة، وهي الإيجاب والقبول، وهو أن يقول الولي: زوجتك ابنتي، فيقول الزوج: قبلتها لنفسي.

وثانياً: الشاهدان، وثالثاً: المهر، ويجوز تقديمه وتأخيرهِ. ورابعاً: الولي، وإن لم يكن للزوجة ولي فالقاضي وليها. هذه الأربعة هي أركان النكاح.

قال: [وأما في الطلاق والرجعة فهو مطلوب، ولكن ليس واجباً، وليكن الشهود عدولاً. والعدل من لم يعرف بكبيرة من كبائر الذنوب] فالعدل بيننا: هو من يجتنب الكبائر، ويتق في الغالب الصغائر. فالكبائر يجتنبها أبداً، وأما الصغائر فيتجنب منها ما يمكن. فالذي يرتكب كبيرة ليس عدلاً أبداً، ولا تقبل شهادته.

قال: [دل على هذا قوله تعالى: وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ] [الطلاق:2]] أي: صاحبي عدل منكم. وهذا نص.

فلا يجوز إشهاد الكافر، بل يكون الشاهدان منكم أيها المؤمنون! أداء الشهادة لله

قال تعالى: [وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ] [الطلاق:2]، أي: اعتدلوا فيها، ولا تجوروا أو تحيفوا، ولتكن شهادتكم لله تعالى، لا للمشهود عليه ولا للمشهود له، بل لله وحده لا شريك له [لأنه يمكن أن يقول الشاهد في يوم من الأيام: أنا أشهد أن المهر كان خمسين ألفاً، فيطالب الولي بخمسين ألفاً، أو كأن يطالب الولي بالمهر وهو خمسون ألفاً، فيطلب الولي خمسين ألفاً فيقول الشاهد: المهر الذي تم العقد عليه هو ألف ريال فقط، فلا تطالب بخمسين. ولذلك لا بد أن يكون الشاهد عدلاً في شهادته، وأن يشهد لله، وليس لفلان ولا لفلان، بل يغمض عينيه عن الدنيا بكاملها، ولا ينظر إلا إلى الله.

أحكام الله لا يستفيد منها إلا المؤمن بالله واليوم الآخر

قال: [وقوله تعالى: ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] [الطلاق:2]] ومن قرأها: من كان منكم فقد صحف، بل الآية: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ] [الطلاق:2]، أي: [إن هذه الأحكام المذكورة] وهي كما علمتم خمسة [يؤمر بها وبطبقها عبد يؤمن بالله واليوم الآخر.

أما غيره فما هو بأهل لذلك؛ لأنه كافر، والكافر ميت.

وفي هذا حث وحض على تطبيق هذه الأحكام المتعلقة بالطلاق؛ لما فيها من الخير لكل من المطلق والمطلقة [فالشاهد عندنا في قوله: ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ] [الطلاق:2]] ويؤمر مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ] [الطلاق:2].

وأما الكافر بالله ولقائه فلا يكلف بهذه التكاليف ويؤمر بها؛ لأنك إذا قلت لكافر: لا تطلق حتى كذا لم يقبل.

بل هذه التكاليف لا ينهض بها ويقوم بها ويؤديها إلا عبد آمن بالله ولقائه والوقوف بين يديه.
ونكمل بقية الدرس غداً إن شاء الله تعالى.
وصلّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وسلم.
مراجعة المطلقة بمعروف أو تسريحها بمعروف

قال: [رابعاً: إذا بلغت المطلقة أجلها - أي: قرب نهاية عدتها- هنا على الزوج] أي: يجب عليه [أن يراجع فيمسكها بمعروف وإحسان، لا إنه يراجعها يمكر بها ويؤذيها؛ انتقاماً منها، أو يفارقها بمعروف، فيعطيها باقي مهرها إن بقي منه شيء، وأن يمتعها بشيء، وألا يذكرها بسوء أبداً] كأن يقول: عمياء، أو مجنونة، أو أنها فعلت، أو كذا.
فهذا حرام.

بل يقول: ما شاء الله، هذا الذي قدر الله.
وهي أيضاً إذا سألتها جارتها عنه فلا تقل: ذاك الخنزير، أو غير ذلك.
فهذا حرام ولا يجوز أبداً، ولا تقل إلا: شاء الله، وانتهى المقدور بيني وبينه، واللهم ارزقه خيراً مني [دل على هذا قوله تعالى: فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُ فَاْمْسِكُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ أَوْ فَارِقُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ [الطلاق:2]] والمعروف ضد المنكر.
ولن يوجد المؤمنون والمؤمنات إلا إذا تربينا في حجور الصالحين، نتعلم الهدى، ونعيش على الكتاب والحكمة.
وقد كان الرجل في الجاهلية يطلق المرأة حتى تكاد تنتهي العدة يراجعها، ويبدأ يمكر بها، فإذا قالت له الزوجة: طلقني يطلقها، ويتركها حتى تكاد تنتهي العدة ويراجعها.

وقد جاء هذا موضحاً في سورة البقرة في قوله تعالى: وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَاْمْسِكُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ أَوْ سَرِّحُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ وَلَا تُمْسِكُوْهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا [البقرة:231].

فقد كان بعض أهل الجاهلية يطلقون مكرراً بالمرأة، ثم يتركها زوجها في البيت حتى تبقى ساعة أو ساعات من نهاية العدة ويقول: راجعناك، فتبقى زوجة له، فيضطهدها ويعذبها، فإذا تملكت طلقها، ثم يتركها في البيت مطلقة، فإذا قربت نهاية العدة راجعها.

فأبطل الله هذا النظام بقوله: فَاْمْسِكُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ أَوْ سَرِّحُوْهُنَّ بِمَعْرُوْفٍ وَلَا تُمْسِكُوْهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا [البقرة:231].

وهذه الآية واضحة، وهي في البقرة.

الحكمة من تشريع الأحكام الواردة في هذا النداء

قال: [وقوله تعالى: لا تَدْرِي [الطلاق:1]] أيها المستمع! ويا أيها القاري! ويا أيها المؤمن! [لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا [الطلاق:1]]، أي: شرع الله تعالى ما شرعه من الطلاق في أول العدة، ومن عدم إخراج المطلقة من بيتها، ومن إحصاء العدة بمعرفة يوم وقع الطلاق فيه، ومعرفة متى تنتهي.

كل هذا من أجل أن يجعل الله تعالى في قلب المطلق رغبة في مراجعة مطلقة فيراجعها [والمراجعة لا تكلف ريباً، ولا شيئاً] بخلاف لو لم يضع الله تلك الحدود فإن الرجل قد يرغب في المراجعة، ولا يقدر عليها [فإذا خرجت وتطلقت ثم أراد أن يتزوج فإنه يحتاج إلى تكاليف ذلك، وقد يرغب في الزواج ولا يستطيع أن يدفع تكاليفه.
فإذا قال لها: أنت طالق وخرجت عدتها لم تحل له أبداً كالطلاق البائن، إلا بعقد جديد؛ لأنها قد لا ترضى أن تتزوج به.

وهذا من رحمة الله بالمؤمنين.

وهذا التشريع والله لا يوجد عند فرنسا ولا عند بريطانيا، ولا في الصين واليابان، ولا عند الأمريكان.
بل فرنسا أخذت من الفقه المالكي (75%) من قوانينها الاجتماعية، ولم تنسبها إلى خليل بن إسحاق المالكي المصري، بل نسبتها إلى رجال التشريع عندها، ولكنها فضحت وعرفت.
فرنسا أخذت (75%)، وأما العرب فتركوها بكاملها إلا من شاء الله.

وقد فعلوا هذا لأنهم لم يعرفوا الله، ولا عرفوا لقاءه، ولا ما عنده ولا ما لديه، ولم يؤمنوا به الإيمان الذي يدفعهم إلى طلب رضاه، بل عاشوا في الجهل، وعملوا في الجهل، وحكموا في الجهل، ولذلك فلا ترجوا منهم شيئاً.
وإذا رجوتهم منهم شيئاً فأنتم كالذي يلزم الميت أن يقوم معه يصلح البيت، أو يهذب الأولاد.

وهذا الكلام صحيح تماماً، فنحن ليس عندنا كلام باطل. والله لو علموا ما نعلم لما استطاع أحدهم أن يجلس ثلاثة أيام على باطل، ولا أن يبيت على معصية الله ليلة واحدة، ولكنهم لم يعرفوا ولم يعلموا؛ لأنهم لم يجلسوا في حجور الصالحين، ولم يتلقوا الكتاب والحكمة، ثم إننا نحن الذين سودناهم وحكمناهم، وصفقنا لهم، وهتفنا: يحيا الزعيم. ولذلك فلا نلوم إلا أنفسنا. جزاء من تعدى حدود الله

قال: [وقوله تعالى: وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ [الطلاق:1]. أي: تلك] المذكورات من الطلاق لأول الطهر، وإحصاء العدة، وعدم إخراجهن من بيوتهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة [هذه حدود الله. فالله هو الذي حدّها فعلاً. وحدود الله المشار إليها هنا ثلاثة أمور: أولاً: الطلاق يكون لأول الطهر. ثانياً: وجوب إحصاء أيام العدة. ثالثاً: عدم إخراج المطلقة من بيتها إلا أن تأتي بفاحشة مبينة. قال: [وقوله تعالى: وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ [الطلاق:1]] أي: عرضها للعذاب، وليس هناك ظلم أعظم من هذا، فالذي يعرض نفسه للعذاب قد ظلم نفسه وعرضها للبلاء، ويدخل فيه السب والشتم والشقاء، فضلاً عن عذاب الدنيا والآخرة. فهذا الذي يتعدى حدود الله ولا يقف عندها متهاوناً متجاهلاً، متكبراً كافراً بها فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ [الطلاق:1]، أي: وضعها موضع السخط والعذاب والنقمة. فليتلّق ذلك [أي: من يتجاوز حدود الله فلم يقف عندها فقد ظلم نفسه بذلك، وتعرض لعقوبة الله تعالى عاجلاً أو آجلاً] إما اليوم أو غداً، وإما في الدنيا أو في الآخرة. الحكمة من عدم إخراج المطلقة من البيت قبل انقضاء عدتها

قال: [ثالثاً: لا يجوز إخراج المطلقة من بيت زوجها الذي كانت فيه حتى تنقضي عدتها؛ لما في ذلك من إعطاء فرصة للزوج لعله يراجعها] وهذه حيلة أدبية قرآنية، فإذا طلق الزوج الزوجة فليدعها في البيت، فلعله بعد ثلاثة أيام يهيج، ويضطر إلى أن يراجعها، وهذا أحسن، فلعله بعد عشرة أيام أو عشرين يوماً يندم، ولا يدري من أين يتزوج، أو يفكر أنه ظلمها فيراجعها. وأما لو طلقها فلبست لباسها وذهبت إلى أهلها فإنه لا يراها ولا يسمع بها، ولو طلبها لم يظفر بها. فمن تدبير الله عز وجل - وهو الرحمن الرحيم - أن تبقى المطلقة في بيتها التي تعيش فيه، حتى تنقضي عدتها تماماً. والسر في هذا: إعطاء فرصة للزوج لعله يراجعها. الحالات التي يجوز فيها إخراج المطلقة من بيتها قبل انقضاء عدتها

قال: [اللهم] وهذا استثناء [إلا أن تأتي المطلقة بفاحشة مبينة] فإذا فعلت فعلة شنعاء لا تطاق قلنا لها: اذهبي إلى أهلك؛ لأننا آيسون حتى من إرجاعها ما دامت أتت الفاحشة، كما قال تعالى: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ [النساء:19]. وليست موهومة، بل تكون الفاحشة واضحة، تبين الواقع وتشهد به. وذلك [كزنا ظاهر] ووقوع الزنا جائز، فإذا شاهد المنكر فلا يبقها في بيته. قال: [أو تكون بذينة اللسان، فتؤذي أهل البيت بأذى لا يطيقونه] كأن تنادي: يا أعمى! أو يا عمياء! أو يا كذا، أو تقول لأحدهم: أنت سافل، أو أنت كذا، فأهل البيت لا يطيقون هذا البلاء، فهنا نقول لها: اخرجي إلى أهلك. ومن الجائز وقوع هذا. وإلا فالمفروض ألا ينطق المؤمن والمؤمنة بالبذاءة، ولا يقولوا السوء أبداً مع أي إنسان، فضلاً عن أن ينطقا به أو يقولاه لأهل البيت والإخوان، ولكننا لسنا على مستوى واحد. فقد يوجد هذا.

وأما الأذى الخفيف فلا بأس من بقائها.
ولكن إن كانت تؤذيهم بأذى لا يطيقونه [ففي هذه الحال يجوز إخراجها من بيتها.
دل على هذا قوله تعالى: لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ [الطلاق:1]] فقط؛ لأن رفع الضرر واجب، وبه جاز الطلاق.
ونحن أبقيناها في البيت لمنافع تعود علينا، ولكن إذا جاء الضرر فنترك هذه المنافع، فما دامت تؤذي فلا بقاء لها.
ودل قوله: مُبَيَّنَّة [الطلاق:1] على أننا لا نخرجها لأذى تهمة، كأن نخرجها إذا وجدتها عند الباب، أو صاحت في الطريق، بل لا بد من شيء واضح.
وجوب إحصاء عدة الطلاق

قال: [ثانياً: وجوب إحصاء العدة، أي: حفظ مدتها] أي: معرفة الأيام والليالي [حتى يمكن للزوج أن يراجع فيها إن أراد المراجعة] فبيدأ يحسب من يوم أن طلقها، كأن يطلقها يوم الخميس سبعة محرم، ويبدأ يحسب ولا ينسى؛ حتى يعرف إذا أراد أن يراجع أن العدة ما زالت باقية، فيراجعها [وهذا معنى قوله تعالى: وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ [الطلاق:1]] والإحصاء: العد بالضبط.
وهذا الخطاب للمؤمنين.
فقد قال: وَأَحْصُوا [الطلاق:1] أيها المؤمنون! العدة [الطلاق:1].
بحيث لا تقدموا ولا تأخروا، ولا تزيدوا ولا تنقصوا.
[وقوله تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ [الطلاق:1] أي: خافوه، فامتثلوا أوامره، وقفوا عند حدوده، فلا تعتدوها] والذي لم يقف عند أوامر الله وتعدى حدوده لم يخف الله.
الحكمة من إيقاع الطلاق في طهر لم يجمع فيه الزوج زوجته

قال: [وأن تطلق في طهر لم يجمعها فيه الزوج؛ حتى لا تطول مدة عدتها] ومعنى هذا الكلام: إذا كانت هذه المرأة التي رأى طلاقها ضرورياً لرفع الأذى عنها أو عنه فيتركها كما قلنا الشهر والشهرين والعام والعامين، وينتظر لعل الفرج يأتي، فإن وجد الباب مغلقاً، وأنه لن يرفع الأذى عنه أو عنها إلا بالطلاق، فينتظر حتى تحيض.
والحيض هو: سيلان الدم من الحوض، وعندما تنتهي حبضتها وتشاهد القصة البيضاء أو الجفاف وتغتسل وتصلي بعد أن تطهر فلا يجمعها أبداً، وحرام عليه أن يقربها، بل يأتي بالشاهدين ويشهدهما على طلاقها، فيكون قد طلقها في طهر لم يمسه فيها؛ لأنه لو جامعها فلعلها تحمل في تلك اللحظة، وبدلاً من أن تكون عدتها شهرين ونصفاً أو ثلاثة أشهر تصبح تسعة أشهر [فتتأذى بذلك] وبهذا تكون قد آذيت هذه المؤمنة، وهذا لا يحل لك.
فهذه أختك.

فلا تسجنها هذا السجن.
فمن الرحمة بها أن تطلقها في طهر؛ لأنها إذا حاضت فمعنى هذا: أنها والله ليست حبلى أبداً، وأنه لا شيء في بطنها.

وقد رفع إلى الحبيب صلى الله عليه وسلم قضية من هذا النوع، وهي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه طلق امرأته، فرفع عمر القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (إن ولدي عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض، فقال له: مره فليرجعها إليه حتى تطهر، ثم لا يجمعها ويطلق).
فإذا كنت عازماً على طلاقها فلا تقربها، بل طلقها وهي طاهر في طهر لم تجامعها فيه.
قال: [وهذا ما دل عليه قوله تعالى: إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ [الطلاق:1]، أي: لقبل عدتهن، أي: لأول عدتهن] وأول شيء تعتد به، وهو الطهر الأول الذي طلقها فيه ولم تمسها فيه يعد.
وهذا أيضاً أسهل لها؛ لأنها تعتد أقل الأيام.
معنى قوله تعالى: (فطلقوهن لعدتهن)

قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ [الطلاق:1].

وليس معنى قوله: لِعِدَّتِهِنَّ [الطلاق:1] لأجل العدة، وإنما لقبل عدتهن، ولأول العدة [وذلك بأن يكون الطلاق في طهر لا في حيض، وأن يكون الزوج ما جامعها في تلك الطهر، وبذلك تقصر مدة العدة وتقل، وفي هذا الرحمة بالمؤمنات] وتبتدئ العدة بأول طهر، ولهذا يرى مالك رحمه الله إمام دار الهجرة أن الأقراء هي الأطهار، وأن الثلاثة القروء أي: ثلاثة أطهار، وخالف في ذلك أحمد و الشافعي .

والسر عند مالك أن القراء هو الطهر: أن الاعتداد بالأطهار على السنة أقرب في انقضاء العدة؛ لأنه إذا طلقها في طهر لم يمسه فيها اعتبر هذا الطهر، ثم حيض، ثم تطهر وحيض ثانياً، ثم تطهر ثم حيض، فلو كان القراء الحيض فمعنى هذا: أنها تطهر ثلاثة أطهار، وحيض أربع حيض.

فرحمة بها تقلل المدة؛ لأن الله أراد هذا، ولهذا قال: فَطَلَّوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ [الطلاق:1]، أي: لأول عدتهن. والأمر عندنا واسع كما هي عادتنا، فلا أنا أقول: أنا مالكي ولا تقول أنت: إنك شافعي، فنحن هنا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ندرس كتاب الله سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد نرجح بالأدلة ما فيه يسر أو رحمة بالمؤمنين والمؤمنات، وأما التعصب المذهبي فلسنا في حاجة إليه، وقد خرجنا منه بعد أن كبلونا وقيدونا به قروناً عديدة، وقد مزقونا وفرقوا كلمتنا، وشتتوا شملنا بهذه العصبية الباطلة.

وفي هذه الحلقة يجلس الأباضي والزيدي والرافضي ومن شاء أن يجلس، ولا يسمع إلا قال الله وقال رسوله، فإن أراد الهدى والسمو والكمال فبسم الله، وإن أراد المقت والتعصب والعيش على الباطل فإلى جهنم.

ووالله إنا بودنا أن يجلس الروافض، ولو كان عندنا فلساً لأعطيناهم كل شهر خمسمائة ريال؛ لأنه لن يمضي على أحدهم إلا خمسة أشهر وقد أسلم، ونجا من النار ودخل في رحمة الله.

ولما نتعصب هم يتعصبون، فإذا جلس الشيخ وقال: نحن مالكية وكذا، يخرج الشافعي، ويخرج المالكي، ويخرج الحنفي، ويخرج غيرهم.

وقد رأينا أربعة محاريب حول الكعبة، محراب للشافعية، ومحراب للحنفية، ومحراب للحنابلة، ومحراب للمالكية. وقد جاءني بهلول مغربي وقال لي: إنهم يستهينون بالمالكية، فقد أعطوهم محراباً صغيراً، فقلت: هذه المحاريب باطلة.

والله لم يبعث الرسول ليمزق أمته ويشتتها، بل بعثه لتقوى أمته على حمل رسالة النور حتى تستنير بها البشرية، وقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا [آل عمران:102-103].

الحكمة من مشروعية الطلاق

قال: [أولاً: أن تطلق المرأة من أجل رفع الضرر عنها أو عن زوجها] والمسلمون لا يفعلون هذا. ولو راسلتموهم من إندونيسيا إلى موريتانيا لم تجدوا ولا مؤمناً في الألف يطلق من أجل أن يرفع الضرر عن نفسه أو عن هذه المؤمنة، بل إنهم لا يطلقون إلا للأهواء والعصبية، والنزعات والنزغات، والعنتريات. وهذا هو حال المسلمين.

في حين إن الواجب على المؤمن أن ينظر إلى تلك المؤمنة على أنها أخته في عبادة الله والإيمان به، فإذا رأى أنها لم تسعد معه ولم تطق خلقه، ولم تتحمل أتعابه، وتضررت، فينتظر يوماً بعد يوم، أو شهراً بعد شهر، أو عاماً بعد عام لعل يفرج هذه الحال، وإن طالبت هذه الحال فيأتي بائنين من العدول، ويجلسهما في البيت، والستار مضروب، ثم يقول: فلان! وفلان! أشهدكما أنني طلقت أم فلان، ثم يقول: أي فلانة! الزمي بيتك، وابق بين أهلك وأولادك إلى أن تنتهي عدتك.

ونحن لم يبلغنا أن واحداً فعل هذا.

ولا نقول: لا يوجد إيمان، فالإيمان موجود ولكن مخدر.

والذي يحرقه العلم.

ونحن نطلب العلم اليوم في المدارس للوظيفة، وليس لله، وما طلب لغير الله لا يكون لله، ولذلك لم نستقد، ولم ننتفع بعلومنا ومعارفنا.

والعلم النافع هو ذلك الذي تطلبه لوجه الله؛ من أجل أن يحبك وتحبه، ومن أجل أن يقربك ويدنيك، من أجل أن تكون عبد الله ووليّه بحق.

فهذا هو العلم النافع. وكذلك على من أراد علم الدنيا كعلم الصناعات على اختلافها فعليه أن يطلبها الله، ويتعلم كيف يحرق الأرض ويزرعها من أجل الله، وهذا شأن ولي الله، فهو لا يتحرك حركة ولا يسكن سكناً إلا من أجل الله؛ لأنه وقف على الله.

وهذا ليس كلاماً في الأوراق. واقرأوا إن شئتم قوله تعالى: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي [الأنعام: 162]، أي: عباداتي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأنعام: 162-163]. وليس لأحد أن يقول: أنا لست وقفاً على الله؛ حتى يعيث بي كما يشاء. بل أنت موقوف على الله، فإن نمت فلا تنم إلا الله، وإن استيقظت فلا تستيقظ إلا الله وإن رفعت مسحاتك لتضرب الأرض فلا ترفعها إلا من أجل الله، وإذا حملت مدفعك وخضت المعارك ضد أعداء الله فلا تفعل ذلك إلا من أجل الله.

وهكذا لا بد أن تكون الحياة والممات كلها لله. والمسلمون إذا لم يجلسوا بين يدي مرب يعلمهم ويرببهم فلن يعرفوا هذا. هذا هو الحكم الأول، وهو: أن تطلق المرأة من أجل رفع الضرر عنها أو عن زوجها. فإذا رأى هذا المؤمن أو الزوج أنه قد شقي وتعس وتألم من هذه الزوجة، وأن لسانها كذا، وحركاتها تؤذيه، فإن الله لا يرضى له بالبلاء أبداً، فهنا يجب الطلاق، ولا يطلقها ثلاثاً. ولا يطلقها إلا بعد أن يصبر ويتحمل شهراً بعد شهر، عاماً بعد عام، لعلها تصلح، ثم يجد الطريق مغلقاً، وأنه لم يبق حل إلا بفراقها، فيأتي باثنين من الصالحين إلى بيته ويقول: أشهدكما أنني طلقت فلانة، هكذا فقط. ثم يقول: يا فلانة! الزمي بيتك، كلي واشربي وانعمي حتى تنتهي عدتك، ثم مع السلامة، والله يغنيك عني. دخول المؤمنين في نداء الله لنبيه صلى الله عليه وسلم

قال: [واعلم] والعلم ينفع [أن النداء وإن كان موجهاً أولاً للنبي صلى الله عليه وسلم فهو لأئمة صلى الله عليه وسلم، وإنما بدئ برسول الله صلى الله عليه وسلم لشرفه وعلو مقامه] وبهذا يصبح هذا النداء أخطر النداءات، وأجلها وأعظمها. وكذلك بدئ في هذا النداء بالرسول صلى الله عليه وسلم [حتى يسهل على المؤمنين تطبيق الأحكام التي تضمنها هذا النداء] حكماً بعد حكم، واحداً بعد واحد. ولا يحل لنا أن نخرج من هذا الدرس ونحن لم نعرفها، وإن بقي منها شيء فنكمله غداً إن شاء الله. والإحاطة بها وفهمها وحفظها واجب. فائدة معرفة أوامر الله ونواهيه

إذا لم نعرف ما أوجب الله علينا لم يمكننا أن نتقيه، وكذلك إذا لم نعرف ما حرم علينا لم يمكننا أن نتقيه، والله لا يتقى إلا بطاعته، وهي فعل الأوامر وترك النواهي، فأسلم تسلم، وأطع تنجو. ولهذا لو قيل لك: إن في كندا أو في طوكيو رجلاً يعرف أحكام الله لعباده، ولم تجد في بلدك أحداً يعلمك، وكنت مؤمناً حقاً فوالله إنك لن تتردد في السفر ولو على رجلك إليه ليعلمك، ولو عرفت أنك تموت في الطريق؛ لأن الله أمر بتقواه.

وسر الأمر بالتقوى حتى تكمل وتسعد في الدنيا والآخرة. وإذا لم تكن تعرف الأوامر والنواهي التي يتقى بها الله فلن يمكنك أن تتقي الله، ولهذا لا يحل لمؤمن ولا لمؤمنة أن يعيش زمناً وهو لا يعرف ما أمر الله به ولا ما نهى عنه، ولا كيف يفعل المأمور ويؤديه، ولا كيف يترك المنهي ونجتنبه.

ولا تقولوا: إنني أهول المسألة. فأنتم تعلمون أن (طلب العلم فريضة على كل مسلم). وهذا الحديث صحيح.

وهناك آيتان في القرآن تقطع لسان كل من أراد أن يرد هذا الحديث، أو يتكلم عليه، وهما: قوله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل:43].

في سورة النحل وسورة الأنبياء.

فيجب على كل من لا يعلم أن يسأل وسيعلم، ومن قال: لا فقد عصى الله، وفسق عن أمره، وقد يكفر، والعياذ بالله. فكل من لا يعرف محاب الله ولا مكارهه ولا كيف يفعل المأمور ويترك المنهي يجب عليه أن يسأل ويتعلم. وأنتم تستغربون هذا؛ لأنه كان يعيش أهل المدينة يعيش أربعين سنة أو خمسين سنة ولا يجلسون في حلقة، وكان العالم الإسلامي هكذا.

وهذا جابر بن عبد الله تلميذ رسول الله وحببيه، وهو ابن عبد الله بن حرام شهيد معركة أحد بلغه أن فلان ابن فلان بالديار السورية بحمص يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا، فركب راحلته من هنا من قرب هذا المسجد إلى حمص من أجل حديث واحد، وربما قضى شهرين أو ثلاثة ذهاباً وإياباً من المدينة إلى حمص على ظهر بعير.

وأولئك هم المؤمنون حقاً وصدقاً، وأما نحن فننتقلب في الطعام والشراب واللباس، ولا نسأل ماذا يحب ربنا، حتى نتملقه ونتحجب إليه بفعل هذا المحبوب؛ حتى لا نغضبه علينا إذا عاكسناه فأحب وكرهنا، أو كره وأحببنا، ووالله لكأننا أموات، باستثناء طائفة محدودة.

فهذا حال ألف مليون مسلم.

ولا تبكوا.

قال: [وهي] أي: وهذه الأحكام التي تضمنها هذا النداء العظيم:

الطلاق منه ما يكون طلاق سنة ومنه ما يكون طلاق بدعة، فطلاق السنة أن يكون في طهر لم يجامعها فيه الزوج، وأن يكون بلفظ واحد، وأما الطلاق البدعي فأن يطلقها ثلاثاً في مجلس واحد، أو في طهر جامعها فيه، ومتى ما وقع الطلاق فإنه يشرع للمرأة أن تعتد في بيتها حتى يراجعها زوجها أو تنقضي عدتها دون مراجعة فيفترقان عندها بإحسان إذا لم يتيسر الإمساك بالمعروف.
تابع مشروعية الطلاق السني وبيان العدة وحكم إخراج المطلقة من البيت

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.
ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.
اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.
آمين.

ما زلنا مع النداء الثامن والثمانين، وهو كما علمتم: في مشروعية الطلاق السني، وفي بيان العدة، وفي عدم إخراج المطلقة من البيت حتى تنتهي عدتها، اللهم إلا أن تؤذي، وفي مشروعية الإشهاد على الطلاق والرجعة كذلك.
وهذه الأحكام جدية بالفهم والحفظ.
ولا مانع من أن نعيد تلاوة هذا النداء مرة أخرى.
والمطلوب هو أن نحفظ هذه الأحكام ونفهمها، وندعو الناس إلى تطبيقها؛ فهي أحكام ذات أثر كبير في الحياة الاجتماعية.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا أيها النبي إذا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَذَرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا * فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَاُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [الطلاق: 1-2].

وقد افتتح هذا النداء بنينا صلى الله عليه وسلم؛ لأنه القائد العام، ولأن الأمة تابعة له، فيقدم لما له من الصدارة، ولذلك قال تعالى: يا أيها النبي [الطلاق: 1].
ونحن أتباع له في هذا، فكانه قال: يا أيها النبي! ويا أيها الذين آمنوا! فلنقل: لبيك اللهم لبيك!
خلاصة ما تضمنه هذا النداء من أحكام

قال: [هذا واعلم أن هناك خلاصة لما تقدم، فخذها] أي: خذ هذه الخلاصة [بعناية، هي: أولاً: أن السنة في الطلاق: أن يكون في طهر لم يمسه فيها، وأن يكون بلفظ واحد، لا بالثلاث] بل قوله: أنت طالق بالثلاث بدعة منكورة، والله لم يشرع الطلاق بكلمة واحدة؛ لعلمه وحكمته، بل شرع الله له أن يطلقها ويبقى مدة ثم يراجعها، ثم يطلقها ثم يراجعها، ويبقى معها أشهراً أو أعواماً، ثم يطلقها، ولم يشرع له أن يقول: أنت طالق بالثلاث مرة واحدة.
وقد غضب الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا غضباً شديداً.

وقد مضى الطلاق ثلاثاً واحدة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم و أبي بكر ، ولما تولى عمر رضي الله عنه ورأى العبث اجتهد وقال: سنطبق عليهم كلامهم حتى نردعهم، فجعل الطلاق بالثلاث في كلمة واحدة بائناً.

وظن أنه يستطيع أن يقطع به الطريق، وإذا بنا نحن نعبث عبثاً آخر، ولا نعد الطلاق بالثلاث ثلاث أبداً؛ لأننا نعبث ونقول: أنت طالق بالثلاث.

وليس هذا هو دين الله.

والجمهور يقولون إذا قال: بالثلاث فهي ثلاثاً.

[ثانياً: أن العدد أربع، عدة من حيض، فهي ثلاثة قروء، أي: حيضات] أو أطهار [وعدة من لا حيض لكبر أو صغر، وهي ثلاث أشهر، وعدة الحامل، وهي وضع حملها ولو يوماً وليلة] ولو ساعة [وعدة الوفاة، وهي أربعة أشهر وعشراً] أي: عشرة أيام.

وأما عدة الحمل مع الوفاة فأكثر أهل العلم على أنها تعد بأطول الأجلين، فإذا كان عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام وكان باقياً لها على وضع الحمل ستة أشهر فتعد بوضع الحمل، وإذا كان باقياً لها شهر حتى تلد ومات زوجها فإنها تعد عدة الوفاة؛ لأنه أطول الأجلين، وهذا أفضل؛ لأنها مشتركة في أمرين، عدة الوفاة وعدة الحمل.

والعدد أربع: عدة من حيض ثلاثة قروء، أي: أطهار أو حبض، وعدة من لا حيض؛ لأنها كبيرة بنت ستين أو سبعين سنة، فقد انقطع الدم عنها، أو لأنها طفلة في العاشرة أو التاسعة، فهذه عدتها ثلاثة أشهر، وعدة الحامل أن تضع حملها، ولو وضعت بعد أربع وعشرين ساعة فقد انتهت عدتها، ولها أن تتزوج من غد، وعدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر، ولكن إن كانت متوفى عنها وحبل فأهل العلم يقولون: الأولى أن تعد بأطول الأجلين؛ لأنها لما تعد بأطول تؤانس أهل الميت، وتشاركهم في مصيبتهم، لا أن يموت أخوهم أو أبوهم وتتزوج هي من الغد، فهذه لا تطاق.

بل لابد وأن تصبر معهم؛ حتى يذهب دموعهم وحزنهم.

وهذا هو الأفضل، وإن فعلت بالرأي الآخر فلا شيء عليها.

ولو قلنا: تعد بالوضع مباشرة فقد يتوفى الزوج اليوم وتلد الزوجة غداً أو بعده وبذلك تنتهي عدتها، ويمكن أن تخطب وتزوج، ولذلك فمن الخير أن تعد بأطول الأجلين، وهذا رحمة بالمؤمنين.

والحامل إذا وضعت حملها انتهت عدتها، ولو وضعت بعد أسبوع، أو بعد أربع وعشرين ساعة.

[ثالثاً: الطلاق في الحيض وفي طهر جامعها فيه طلاق بدعي] وليس سنياً، و [كثير من أهل العلم لا يعدونه طلاقاً] ومنهم سماحة مفتينا رحمه الله تعالى الشيخ عبد العزيز ، ونحن نظراً لهبوط الأمة مشينا على هذا؛ لأننا لا نطلق الطلاق الشرعي، ونطلق على أقل شيء تفعله المرأة؛ لأننا ما زلنا هابطين. والجمهور يعدونه طلاقاً.

[رابعاً: الطلاق قبل الدخول إذا عقد عليها ثم قبل أن يبني بها طلقها] لا عدة فيه على المطلقة، وقد مضى هذا [وتقدم [في نداء] خاص [من نداءات سورة الأحزاب، فارجع إليه] فقد قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا [الأحزاب:49]. فارجع إليه.

[اللهم علمنا ما جهلنا، وانفعنا بما تعلمنا، ولك الحمد والشكر.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين] وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

سبب هبوط الأمة وبيان ما يرفعها

علة هذه الظواهر الهابطة وتفسيرها يا علماء القرآن! ويا علماء النفس! أن كل هذا بسبب الجهل بالله.

فهم لم يعرفوا الله حتى يحبوه ويخافوه ويطيعوه، ولم يعملهم أحد، وهم لم يسألوا، ولذلك لم يعرفوا.

والظلم والخبث والشر والفساد هي من ثمار الجهل.

والدليل على هذا: قول تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر:28] المتضلعون من العلم، المتوغلون في المعرفة.

والمقصود بالعلم هنا: العلم بالله، وبما عند الله وما لديه، وليس علم الفلسفة والسفسطة، ولا علم القانون الهوائي، ولا السحر ولا التدجيل، بل المقصود به: العلم بالله، وهذا العلم يثمر للعالم شيئين: حب الله، فيؤثر حب الله على حب نفسه وماله، وأهله والناس أجمعين، ويوجد له خشية الله، فيرضى أن يقتل أو يحرق أو يصلب ولا يعصي الله علناً بكبيرة من كبائر الذنوب.

قال تعالى: ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ [الطلاق:2]، أي: يؤمر به وينهى عنه مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [الطلاق:2].
فهذه الأحكام الشرعية لا ينهض بها ويطبقها ويلتزم بها إلا من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.
وأما من كان لا يؤمن بالله ولا ببقائه فوالله أنه ليس أهلاً لأن يطبق مسألة من هذه المسائل؛ لأنه في عداد الأموات،
ولهذا وجهها الله لِمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [الطلاق:2].
ولهذا علينا أن نعلم البشرية كيف تؤمن بربها ولقائه، ونعلم إخواننا في قرانا ومدننا، ولا نتركهم جهلة ثم نستكر أن
يسرقوا ويفجروا، وأن يحكموا بالباطل والقوانين، فهم لم يعرفوا الله حتى يحبوه أو يخافوه.
حكم الإشهاد في النكاح والطلاق والرجعة

قال تعالى: وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ [الطلاق:2].
والإشهاد في النكاح ركن واجب، والنكاح باطل بدونه، ولكنه في الإرجاع سنة، ولو تركه في الطلاق يمضي الطلاق
بدون حاجة إليه، ولكن السنة أن يشهد اثنين.
ومن فوائد الإشهاد: أنه قد ينسى أنه طلق مرتين، ثم يطق مرة ثالثة، فيقول له الشاهد: لقد طلقت ثلاثاً، فأنا شهدت
على الثانية.
فلا بد من الإشهاد.
أداء الشهادة لله

قال تعالى: وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ [الطلاق:2] يا عباد الله! فاشهد لله، وليس للعصية ولا للقبيلة ولا لفلان وفلان، بل
لتكن شهادتك لله.
ولهذا كانت شهادة الزور من أكبر الذنوب، وقد ضربت لها أمثالاً غير ما مرة، ومن هذه الأمثلة: مثال عامي بسيط،
وهو: إذا أتاك شخص بشيك مزور بخمسين ألف ريال، وختم عليه بختم وإمضاء وزير الداخلية أو إمضاء وزير
المالية فإنه يستحق على جريمته عند الأمة والشعب والحكومة أن يسجن إلى الأبد، ويكون عندهم أكبر مجرم.
والذي يشهد شهادة وينتقل الحق من فلان إلى فلان هو نائب عن الله، ويوقع باسم الله.
وإذا كان لا الإمضاء باسم وزير أو رئيس أو ملك أو حاكم لا يطاق فالذي يشهد شهادة زور نيابة عن الله، ويعطي
الحق لغير أهله بشهادته نيابة عن الله فجرمه أشنع وأشد.
وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يربي أصحابه: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر! ألا أنبئكم بأكبر الكبائر! قالوا:
بلى يا رسول الله!)، أي: نبئنا.
(قال: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، ثم قال: ألا وقول الزور! ألا وشهادة الزور! حتى قلنا: ليته
سكت) .

وهذا لتعرفوا قبح شهادة الزور؛ لأن الذي يشهد شهادة الزور يشهد نيابة عن الله، فينتقل الحق بشهادته إلى فلان.
وشهادة اثنين يقتل بهم القاتل، ويرجع بها المال لصاحبه، وتنتقل العمارة بكاملها.
فقيمة شهادة اثنين أن الله تعالى أنابهما عنه، ولهذا أعطي الحق بها.
ومن مظاهر الهبوط - كما بلغنا - أنه يوجد صعاليك حول المحاكم إذا رءوا شخصاً يبحث عن شاهد، يشهدون له ولو
بأربعة ريال.
فقد هبطنا بعد أن كنا في علياء الكمال والسماء، ولما نزلنا إلى الأرض كالحيات أصبحنا نبيع شهادة الزور، وأما إذا
كانت الشهادة بين القبيلة والقبيلة فإنهم يأتون بأربعة شهود أو عشرة يشهدون على أن فلاناً من قبيلة أخرى.
إمساك الزوجة أو مفارقتها بالمعروف

قال تعالى: فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ [الطلاق:2].
وهذا الأجل الذي تبلغه المرأة هو نهاية العدة التي نحصيها يومياً.
فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ [الطلاق:2] بالمراجعة بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ [الطلاق:2].
وقد قلت: إن بعض السفلة في الجاهلية كان أحدهم يسكنها حتى تكاد تنتهي العدة ويراجعها؛ ليوصل أذاها والضغط
عليها وتعذيبها.

وهذا نهى عن هذا، فإذا أردت أن تمسكها فامسكها بمعروف، وليس بالمنكر، أو قَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ [الطلاق:2] إذا فارقها أيضاً، ولا يجري وراءها بالسب والشتم، وأنها فعلت وفعلت، وينكل بها؛ حتى ينفّر الناس منها، ومن الزواج بها، فهذا حرام، بل إما إمساك بمعروف أو تسريح بمعروف.

وهذا قانون السماء، وهو شريعة الله التي كفرت بها البشرية وهجرتها، فعاشت في الفساد والشر والبلاء، وجلسوا يغنون، ولم يدروا أنهم في بلاء، واليهود في هذا كالنصارى وكالمشركين، فكلهم بشر، وكلهم بنو آدم، ونساؤهم بنات حواء.

فإعراضهم عن الإسلام وعن هذه التشريعات والأحكام الإلهية وخروجهم عنها والله إنه الشقاء، وليس سعادة أبداً، بل إنهم والله في شقاء، ولن يسعدوا ويكملوا إلا إذا دخلوا في رحمة الله، وطبقوا الإسلام وعاشوا عليه. والمسلمون المعرضون شأنهم في هذا شأن غيرهم أيضاً.

وأما عبد قبل هداية الله ودخل فيها سعد وكمل، وأما عبد أعرض عنها وتنكر لها وعاش بدونها فوالله لن يسعد، ولن يكمل، ولن يفارق البلاء، وإن تظاهر بأنه سعيد، يغني ويرقص فوالله إنه لفي جحيم. أحكام الخلع

بين الرحمن عز وجل مسألة الخلع في سورة البقرة.

والخلع: من خلع الشيء يخلعه إذا فصله عنه.

والزوجان يلتزمان كالجسم الواحد، ويكادان يكونان جسماً واحداً، كما قال تعالى: لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا [الأعراف:189]. وقال: وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً [الروم:21].

والمخالعة تكون إذ لم ترغب المرأة في هذا الزوج، كأن تكون لم تسعد معه، وقد بقيت معه العام الأول والثاني والثالث، ولكنها لم تطق الجلوس معه، ولم تشكو أخلاقه ولا معاملته، وإنما لم تسعد معه، وهو مؤمن. ففي هذه الحالة إذا أرادت أن تخرج من بيته فتخلع نفسها بمقابل، كأن تقول له: خذ هذا المال تزوج به، والله يغنيك عني وطلقني.

ويجوز أن تعطيه أكثر من المهر، فإذا أمهرها خمسة آلاف ريال يمكن أن تقول له: خذ خمسين ألف ريال واعف عني وطلقني.

وهذا الخلع أذن الله فيه عز وجل لرفع الضرر، فقد قال تعالى: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ [البقرة:229] نفسها. وهذا هو الخلع.

ولا يحل للفحل أن يلدغ هذه المؤمنة، وتلسعها في الخفاء، ويتعرض لها بالأذى حتى تصرح، وتقول: طلقني وخذ مليوناً.

بل هذا يفعله بعض الناقصين الهابطين الذين ليس لهم مروءة ولا دين، فأحدهم يتعمد أذى الزوجة ولدغها ولسعها يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام؛ من أجل أن تصرخ وتقول له: خذ وطلق. وهذا لا يحل أبداً، بل هذا جريمة من أكبر الجرائم.

والخلع فقط يكون إذا لم تسعد المرأة، وانصرف قلبها عن هذا الرجل، ولم تجد معه لذة الزواج، ولم تطق البقاء في هذه الأسرة، فإذا حصل هذا، ولم يظلمها زوجها ولا آذاها، - ولكن القلوب يقبلها الله كيف يشاء - فلا مانع أن تفدي نفسها، فتعطي للزوج مثل ما أنفق عليها أو أكثر.

ولا يجوز أن يؤذيها لهذا الغرض، كما لا يجوز أيضاً أن يحملها على ما لا تطيق، كأن يقول لها: إذا أردت الطلاق فأعطني مليوناً؛ حتى لا تجد هذا المبلغ.

والشاهد عندنا في هذا: الرجل الذي أمهر زوجته حديقة، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (أتردين عليه حديقة؟ قالت: نعم).

وكذلك لو أنه أمهرها عمارة وطالب بردها فلا بأس، ولكن لا يطالبها بشيء لا تطيقه؛ نكايه بها، أو تعجيزاً لها؛ لأن هذا ليس من شأن المؤمن، بل على المؤمن إذا عرف أن هذه المؤمنة لم تسعد معه، ولم يحصل لها خير معه، وأنها تريد أن تفارقه؛ لتدفع الضرر عن نفسه، وليس لشيء آخر، وأنه لم يظلمها ولم يؤذها، وكان في حاجة إلى نفقة يتزوج بها فلا مانع أن يأخذ ما أمهرها، وقد أذن الله في هذا، فإن خاف ألا يُقيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ [البقرة:229].

حكم المحلل وحكم المرأة المحللة

يوجد جماعة يحتالون على الطلاق البائن، وقد لعنهم الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (لعن الله التيس المستعار).

والتيس المستعار هو ذكر العنز، الذي له صولة وجولة. وقد شبه به الرجل الذي يأتي بعد أن يطلق الرجل امرأته ثلاث تطليقات وتبين منه فيقول للزوج: أنا أرجعها لك، وذلك بأن أتزوجها، وبعد أسبوع أطلقها بعد أن يدفع له ألف ريال.

وقد يقول: هذا صديقنا وفي كرب وغير ذلك، فقد باننت منه زوجته، فسأردها عليه، ولا يخبره أبداً، فيخطب المرأة من وليها، ويعطيه مالا كثيراً؛ حتى يقبل، ثم إذا جامعها أسبوعاً أو أسبوعين يطلقها.

فإذا عن سبب فعله هذا قال: حتى أردها لصديقنا، فهو رجل مؤمن وفي كرب.

فهذا ملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال فيه: (لعن الله التيس المستعار)، أي: الذي يحلل المطلقة طلاقاً بائناً بنكاح هذه المرأة بحيلة من الحيل.

ولو تبين أنه احتال لم تحل، ولا سيما إذا تأمر مع المطلق، واتفقا على شيء، فهذه لا تحل أبداً.

ولا تحل إلا إذا مات الزوج أو طلقها برضاه بعد عام أو عامين أو ثلاثة، فحينئذ له أن يرجع إليها.

الحكمة من عدم رجوع الزوجة لزوجها بعد طلاقها ثلاثاً حتى تنكح زوجاً غيره

عدم رجوع الزوجة لمطلقها ثلاثاً حتى تنكح زوجاً غيره هذا قانون وشرع الله، وقد شرع الله هذا لحكم عالية، وهي: أن هذا الفحل الذي يتلاعب بالفحولة فيتزوج ثم يطلق، ثم يراجع ثم يطلق، ثم يراجع ثم يطلق يستحق أن يكسر أنفه، وأن يهان، وذلك بألا تحل له هذه المرأة التي عبث بها؛ حتى يطأها فحل آخر.

وأنتم تعرفون أيها الفحول! أن الفحل يرضى أن يموت ولا يطأ امرأته رجل آخر.

ولهذا كسر الله أنفه ليتأدب، وذلك بألا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ [البقرة:230].

وإذا لم يكن ظنه يقيناً بأنهما سيعودان عودة سليمة، وأنهما سيعودان للمكر والعبث مثل ما كانا فهذا لا يجوز أبداً. فلنحمد الله على هذا التشريع الإلهي.

ولنأسف ولنحزن على أننا أعرضنا عنه بالجهل، فقد جهلناه ولم نعرفه ولم نطلبه، ولهذا أصبنا بما أصبنا به.

فأصبح الطلاق بالثلاث شائعاً، أو: إن فعلت كذا فأنت كذا.

وهذا يا عباد الله! لا يصح.

فالطلاق شرع لرفع الضرر كبيع البيت، فإن العاقل لا يبيع منزله الذي يسكنه لا لشيء؛ لأن هذا عبث، ولا يبيعه إلا إذا وقع في ديون أو في خصومة أو في بلاء.

وكذلك العاقل لا يقدم على طلاق امرأته لا لشيء، ولا يتلفظ بقوله: إن خرجت فأنت طالق، أو إذا تكلمت بالتلفون فأنت طالق، أو بكلام من هذا النوع؛ وهذا لأن الطلاق - كما علمتم، زادنا الله وإياكم علماً - شرعه الله وأذن وسمح به لرفع الضرر، لا للتحدي والمعاكسة والعنصرية، بل لرفع الضرر عن أحد الزوجين، بحيث يعرف أنه لو بقي مع هذه المرأة فلن يسعد، بل سيكون دائماً في شقاء وضرر، فهذا لا يرضى الله له الأذى؛ لأن الله لا يرضى لوليه الأذى، فأذن له أن يطلق، فيعطيه حقها ويطلقها، وسيرزقها الله امرأة أخرى يسعد معها.

وإذا كان الضرر عليها هي وليس عليه، وهو في خير، ولكنها هي التي لم تستطع أن تسعد معه بسبب كذا وكذا، وقد حاول معها ولم يستطع، بل بقيت دائماً في شقاء، فلا يجوز أن يبقي هذه المؤمنة في شقاء، بل يطلقها لوجه الله، ويعطيها حقها، ولا يمتعها.

الحكمة من عدم إخراج المطلقة من البيت

قال تعالى: لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا [الطلاق:1]، أي: لا تدري يا عبد الله! سبب أمر الله لنا بألا نخرج المطلقة من بيتها، وسبب أمره لنا بإحصاء العدة، وسبب أمره لنا بالطلاق الشرعي في حدوده.

وهذا السبب: إنك لا تدري لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا [الطلاق:1].

فقد يلقي في نفسك الرغبة في عودتها فترجعها، فتجد المكان والمجال واسعين، وهذا بخلاف ما لو تعديت الحدود وطلقتها على غير الشرع، فإنك تفوت هذه الفرصة.
أنواع العدة

قال تعالى: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ [الطلاق:2].

وهنا سنتكلم ونبين أنواع العدد.
فالأجل إذا كانت العدة عدة وفاة: أربعة أشهر وعشر ليالٍ.
وإذا كانت عدة طلاق ننظر، فإن كانت حاملاً فعدتها أن تضع حملها وتلد، وإن كانت تحيض فعدتها ثلاثة أقراء، أي: أطهار، كما علمتم.
وإن كانت لا تحيض لكبر سنها أو صغره فعدتها بالضبط ثلاثة أشهر، فإن انتهت الأشهر الثلاثة بانتهى من زوجها.
أنواع الطلاق

الطلاق نوعان، وهم: بائن ورجعي.

فالطلاق الرجعي هو هذا الذي علمناه، وهو: أنه إذا أراد أن يرفع الضرر عن هذه المؤمنة؛ لأنها إن بقيت عنده تبقى في أذى طول عمرها، فرحمة بها يعزم على طلاقها، فيأتي بشاهدين عدلين ويقول: أشهدكما أنني طلقته فلانة، ويقول: يا فلانة! قد طلقتك، فابقي في بيتك كلي واشربي، وانعمي واستريحي إلى أن تنتهي عدتك، كما قال تعالى: لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا [الطلاق:1].

وأما الطلاق البائن فهو نوعان: النوع الأول: أن يطلقها ولا يراجعها حتى تنتهي عدتها، فقد بانتهى منه فلا تحل له إلا بنكاح وعقد جديد، فيخطبها ويمهرها مهرأ ترضى به، ويرضى بذلك وليها، ويتم العقد.
هذا نوع من الطلاق البائن.

والنوع الثاني: هو الطلاق البائن بينونة عظمى وكبرى، وهو أن يطلقها ثم يراجعها، ثم يطلقها ثم يراجعها، ثم يطلقها، أي: أنه يطلقها ثلاث تطليقات، فتبين منه بينونة كبرى.
فلا يحل له زواجها حتى تنكح زوجاً غيره ثم يموت عنها أو يطلقها بدون حيلة.
حكم إخراج المطلقة من البيت

قال تعالى: لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ [الطلاق:1].

وهذا يجب أن يتقى الله فيه، لا أن تقول: أنت طالق، فأخرجي واذهي إلى أهلك؛ لأن هذا لا يصح.
فلا تخرجها من بيتها، بل اتركها في فراشها وفي طعامها وشرابها وراحتها حتى تنتهي العدة، ثم إن كان بقي لها شيئاً من مهرها فأعطها إياها، وإذا لم يبق منه شيء فأكرمها وأنعم عليها بخمسائة ريال .

بألف ريال، تتزود بها وتمشي إلى أهلها؛ لقوله تعالى: وَمَتَّعُوهُنَّ [البقرة:236].

فهذه المتعة من سنن الإسلام وشرائع الله.

ثم قال تعالى: لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ [الطلاق:1].

سواء كانت فاحشة قول أو عمل أو سلوك، وكانت ظاهرة ليس فيها خفاء.

جزاء من تعدى حدود الله تعالى

قال تعالى: وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ [الطلاق:1]، أي: هذا الطلاق وهذه العدة وهذه التعاليم من الحدود التي حددها الله، فلا يحل تجاوزها.

ومن تجاوزها فقد كفر بحكم الله وشرعه وتجاهله والعياذ بالله، وإذا لم يحكم شرع الله وقع من الفساد والشر ما لا يقدر.

وأنتم تعرفون معنى العلامة الحمراء للسيارات في الشوارع، ولو أن كل أحد تعدى عليها لأكل الناس بعضهم بعضاً، وحطم بعضهم بعضاً، وهذه من أبسط الأشياء.

فإذا تحدينا حدود الله وتعديناها ولم نبال بها، وأصبح هذا يطلق كما شاء، وهذا يتزوج كما شاء، وهذا يعطي كما شاء فإنه يعم والله الفوضى والبلاء.
ولذلك قال تعالى: وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ [الطلاق:1]، أي: عرضها للهلاك وللخزي وللعذاب.
وقد عرضها لهذا بتعديه حدود الله، وعدم وقوفه عندها إيماناً واحتساباً، وطاعة لله، فظلم نفسه.
الحكمة من إحصاء عدة الطلاق

قال تعالى: فَطَلَّوْهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ [الطلاق:1].

وهذا أمر.
أي: وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ [الطلاق:1] يا عباد الله! والفائدة من إحصاء العدة هو: أنه إذا أراد الزوج أن يراجع يعرف هل انتهت العدة أو لا، وكذلك إذا أراد أن يبعثه بها إلى أهلها يعرف هل انتهت العدة أو لا؛ لأنه لا ينبغي أن يخرجها من بيتها إلا بعد انقضاء عدتها، إلا إذا أدت وتجلّى ظلمها كما علمتم.
هذا هو سر إحصاء العدة.
فلا بد أن تسجل يوم الطلاق، وأنه كان في الساعة كذا يوم كذا.
الحث على تقوى الله عز وجل

قال تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ [الطلاق:1]، أي: في أي شيء.
فتقوى الله عامة، وهي طاعته في ما أمر به فعلاً، وفيما نهى عنه تركاً.
فتقوى الله هي: ألا تعصيه بترك واجب أو جبه عليك أو بفعل حرام حرمة عليك.
هذه هي التقوى.

وبها يتقى غضب الله وعذابه.
ومعنى التقوى هنا: أي: اتقوا الله في هذه التعاليم، وهي: أولاً: ألا تطلق المرأة إلا لأول عدتها، ولا تطلقها في الحيض ولا في النفاس، ولا في طهر جامعتهما فيه.
ثانياً: أحصي العدة واعرفها باليوم؛ لفائدة الرجعة وعدمها.
فاتقوا الله في هذين الحكمين، وفي كل حكم من أحكامه.
كيفية الطلاق السني ومتى يكون

قال تعالى لنا هنا: إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ [الطلاق:1]، أي: إذا عزمتم على طلاقهن فَطَلَّوْهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ [الطلاق:1]، أي: لقبل عدتهن.

وقد عرفنا أن من آدابنا الإسلامية ومن حكم هذه الشريعة المحمدية أن أحداً لا يطلق في حالة غضب أو لمجرد خلاف أو نزاع بينه وبين أم أولاده، وأن هذا المسلك والله ما جاء به الإسلام.
وقوله: إِذَا طَلَّقْتُمُ [الطلاق:1] معناه: إذا أردتم الطلاق وعزمتم عليه.
وهذا كما قدمنا من أن الرجل إذا رأى المرأة تسيء إليه وتضره وطالت المدة، وهو عبد الله ووليه فإن الله لا يرضى لعبده ووليه الضرر، فإذا لم يجد حلاً لدفع هذا الضرر عن نفسه إلا من طريق فراق هذه المؤمنة، فهنا يأتي باتنين من عدول المؤمنين، ويقول لها: أشهدكما أنني طلقت فلانة، فيا فلانة! الزمي بيتك، وابقى مع أولادك أو في منزلك حتى تنتهي عدتك.

وهذا لأن ربنا تعالى قال: لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ [الطلاق:1].

ثم إذا شاء الله أن يراجعها أثناء العدة راجعها، وإذا أصر على عدم المراجعة؛ لأن الطلاق كان لدفع ضرر، والضرر ما زال كما هو، فإذا انتهت عدتها فيقول لها: اخرجي إلى أهلك.
والمؤمنون اليوم لا يفعلون هذا.

أو يكون الطلاق إذا رأى أن هذه المؤمنة لا تسعد ولا تستريح ما دامت معه، بل إنها في ضرر وفي شقاء، فيرفع الضرر عن هذه المؤمنة؛ لأنه أخته في الله، فيحاول دفع هذا الضرر عنها يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وعملاً بعد عام، فإذا لم يستطع أن يرفع الضرر عنها بعد أن حاول، وعجز ولم يجد حيلة أبداً إلا فراقها وطلاقها من أجل

أن يرفع الضرر عنها، فيأتي باثنين ويدخلهما إلى الحجرة ثم ينادي من وراء الستار: فلان! وفلان! أشهدكما أنني طلق فلانة، ويقول: يا فلانة! الزمي بيتك، واطعمي واشربي واستريحي حتى تنتهي عدتك، وعند ذلك التحقي بأهلك.

ويفعل هذا لأنها أخته في الله، وهو أخوها في الله، فهي أمة الله، وهو عبد الله. هذا هو الطلاق الذي جاء به الإسلام، وهو الطلاق السني الذي سنه رسول الله، ومشى عليه وبينه. أنواع الطلاق البدعي

الطلاق البدعي أنواع: منها: أن يطلق المرأة في حيضها أو نفاسها. فلا تطلق امرأتك وهي حائض؛ فإنك تؤذيها، ولا تطلقها وهي نفساء؛ فإنك تؤذيها ببعد مدة العدة، وهي تتأذى بها. ومنها: أن يطلقها في طهر جامعها فيه، فإذا كانت حائضاً أو نفساء ثم انقطع الدم وطهرت بعلامة الجفاف أو القصة البيضاء، واغتسلت وصلت وكان قد عزم على طلاقها من قبل سنة أو شهر فيجب ألا يجامعها قبل أن يطلقها، بل إذا طهرت طلقها. ثم وهي في عدتها أو في قبل عدتها فإن شاء الله بأن يراجعها إذا تجلى له رفع الضرر فحينئذ يراجعها، والحمد لله. وإن لم يراجعها حتى انتهت عدتها بانتهائه وعادت إلى أهلها. متى يكون الطلاق مشروعاً

قال الله في نداءه لنا: يا أيها النبي إذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ [الطلاق:1]. و(طَلَّقْتُمُ) هنا بمعنى: عزمتم على الطلاق. وهذا العزم على الطلاق لا يأتي في ساعة الغضب فيقول: إن فعلت فأنت طالق. بل يأتي بعد فترة من الزمن، بعد أن يحاول بكل جهده أن يرفع الضرر عن نفسه حتى لا يطلق امرأته، أو يرفع الضرر عن امرأته حتى لا يطلقها. فإذا لم يجد حلاً إلا الطلاق، فالطلاق قد شرع لرفع الضرر. ولهذا إن لم يكن هناك ضرر وطلق فقد عصي وأثم وأسرف، وكان كالذي يأكل وهو شعبان. وهذا لا ينبغي؛ لأن الطلاق شرعه الله لرفع الضرر عن أحد الزوجين، أو عنهما معاً إذا كان هناك ضرراً على أحدهما، أو عليهما معاً. ويؤخذ من قوله تعالى: إذا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ [الطلاق:1] أنه لن يكون الطلاق في أول العدة إلا إذا كان في طهر لم يمسه فيها، فإذا طهرت فلا يقربها ولا يجامعها، ثم يطلقها. وهنا تقصر أيام العدة والحمد لله، وبدلاً من أن تكون ثلاثة أشهر فقد تكون شهرين.

يجب على كل مسلم عاقل أن يقي نفسه حر نار جهنم وعذابها، ويقي منها من تحت يده من أولاد وأهل، ويكون ذلك بطاعة الله عز وجل وحفظ حدوده، والأعمال الصالحة، واجتناب الشرك والمعاصي، ومن أبواب الشرك التي حذر الله منها عباده دعاء غير الله سبحانه وتعالى، والنذر لغير الله. فضل صيام يوم التاسع والعاشر من محرم ويوم عرفة وثلاثة أيام من كل شهر

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمريتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

ألفت النظر إلى أن صيام التاسع من محرم مشروع مسنون، إذ إن النبي صلى الله عليه وسلم: (لما دخل المدينة وجد اليهود يصومون، فسألهم عن صومهم هذا؟ فقالوا: هذا يوم نجى الله فيه تعالى موسى وبني إسرائيل، فقال: نحن أحق بموسى منهم).

لأنه نبي الله ورسوله، وقد نجاه الله مع بني إسرائيل في هذا اليوم، فنصوم شكراً لله.

فصام وأمر أهل المدينة من المؤمنين أن يصوموه، فصاموا وصوموا أطفالهم الصغار، ثم قال في يوم آخر من الأيام: (لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر).

وهذا من أجل أن يخالف اليهود؛ حتى لا يتفق معهم في صوم يوم واحد، فصام المسلمون التاسع والعاشر.

ثم نسخ ذلك الأمر بصيام رمضان، وبقي النذب والاستحباب.

وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في صيام يوم عاشوراء، فقال: (إنه يكفر ذنوب سنة كاملة).

فصيام يوم العاشر يكفر الله ذنوب السنة الماضية.

ويوم التاسع من ذي الحجة وهو يوم عرفة أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم: (أنه يكفر الله به ذنوب سنتين الماضية والآتية).

والحمد لله.

ولا تسأل عن فضل الله؛ فإن فضل الله عظيم.

فغداً إن شاء الله يصوم الصائمون والصائمات، فهو اليوم التاسع، ويصومون بعد غدٍ، وهو العاشر، والعاجزون من أمثالنا يصومون معهما يوم الإثنين، فتصبح ثلاثة أيام، و(صيام ثلاثة أيام من كل شهر تعدل صيام الدهر).

والحسنة بعشر أمثالها، فالיום بعشرة، والشهر ثلاثون يوماً، فمن صام ثلاثة أيام من كل شهر كان كمن يصوم الدهر. ومن أراد أن يصوم الأيام البيض فليصم التاسع والعاشر، ويكف عن الصيام، ثم يصوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، فيفوز بجائزتين.

وأما العاجزون فإنهم يحتالون كاحتيالنا، وهو احتيال شرعي لا بأس به، فنصوم التاسع والعاشر والحادي عشر وهو يوم الإثنين، وفي ذلك خير كثير.

وليس هذا الصيام بواجب، فمن تركه لا يأتّم، ولا يخرج عن ولاية الله، وإنما هذا من باب التنافس والمسابقة في الخيرات.

حكم أفراد الجمعة أو السبت أو الأحد بصيام

يجوز أن نصوم يوم السبت إذا صمنا قبله يوماً أو بعده يوماً، ويجوز أن نصوم يوم الجمعة إذا صمنا قبله يوماً أو بعده يوماً، ويجوز أن نصوم يوم الأحد إذا صمنا قبله يوماً أو بعده يوماً. والمكروه أن نصوم يوم الجمعة وحده؛ لأنه يوم عيد المؤمنين، فإذا صمنا قبله يوماً أو بعده أصبحنا لم نخصصه بصوم.

وكذلك لا نصوم يوم السبت منفرداً؛ حتى لا نوافق اليهود في صومهم، وإذا صمنا قبله يوماً أو بعده فإننا لم نتابعهم، ولم نمش على نهجهم.

وكذلك الأحد للنصارى، فإن صمنا قبل الأحد يوماً أو بعده يوماً لم نمثل النصارى، ولم نجارهم في عباداتهم. وجوب وقاية النفس والأهل من النار بالإيمان وطاعة الله ورسوله

هذا هو [النداء التاسع والثمانون] وهو [في وجوب وقاية النفس والأهل من النار] فيجب على المؤمن العاقل أن يقي نفسه - أي: يحفظها - ويحفظ أهله من عذاب النار؛ إذ بهذا أمرنا الله تعالى [وذلك بالإيمان، وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، و] أيضاً تضمن هذا النداء [بيان وصف النار] فهذا النداء الذي يوجب الوقاية من عذاب النار على النفس والأهل كذلك فيه بيان عذاب النار ووصفها.

وهي نتغنى بالنداء وهو قصير، وليس بالطويل.

قال: [الآية (6) من سورة التحريم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحريم:6]].

معنى النذر ومتى يكون شركاً

قال: [والنذر عبادة، فمن نذر لغير الله تعالى فقد أشرك في عبادة الله تعالى] وقد ذكر النذر في قوله تعالى: يُؤْفُونَ بِالْأَنْذَرِ [الإنسان:7].

وهؤلاء فاطمة و علي رضي الله عنهما.

وقد تعبدنا الله بالنذر.

والنذر مثل أن تقول: لك يا ربي! علي أن أصوم عشرة أيام؛ تتملقه بذلك حتى يحبك، وتتزلف إليه ليقبلك، أو أن تقول: لك يا ربي! علي أن أصوم هذه الأيام - أيام القيض - كلها، ولا تريد بهذا إلا حبه، أو أن تقول: لك يا رب! علي أن لا أفق في اليوم إلا مرة واحدة، والمرة الثانية أعطيها لفقير أو مسكين، أو كأن تقول: لله علي أن أصوم كل اثنين وخميس ما حييت.

وأنت تفعل هذا لتتملقه وتتزلف إليه؛ ليحبك ويرضى عنك، أو ليرفعك ويقربك.

هذا هو النذر.

وهناك نذر مشروط بشرط.

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يرده، ولم يرغب فيه، وهو قول الرجل: يا رب! إن نجح ولدي الليلة في الامتحان فسأدبح شاة للفقراء والمساكين، أو يقول: إن نجح الابن فعلت كذا.

فهذا نذر مشروط.

وإياك أن تقول: يا رب! إن نجحت البنت وأخذت الشهادة أتصدق بمائة ريال! ونحن نعترض هذا الاعتراض لأننا لا نريد لبناتنا ونسائنا أن يشتغلن بالتعليم وبالوظيفة، بل نريد منهن أن يعمرن البيوت بذكر الله، وإصلاح البيت، وتربية الأولاد، وإسعاد الزوج.

ولا نريد أن تدق الساعة في وقت الوظيفة والعمل، فهذا شأن الكافرات اللائي لا إيمان لهن، ولا رجاء في الله والدار الآخرة.

وأما المؤمنات الصالحات فلا نصرفهن إلى الوظيفة، فهذه قيمة الوظيفة لا قيمة لها، فأنت يا عبد الله! ليس لك إلا بطناً واحداً تأكل فيه، وليس لك إلا جسماً واحداً تسكوه وتغطيه.

والفحل يعرق الليل والنهار، ويشغل من أجل أن يطعم زوجته وأولاده الصغار، فلسنا في حاجة إلى أن نتوظف فلانة، ثم ينقلونها من المدينة إلى خيبر أو غيرها، وتترك بيتها وزوجها وأولادها يتألمون. ونحن نفعل هذا لا لشيء، بل فقط تقليداً وجرياً وراء ما يصنعه الغرب والشرق. وإلا فجداً إلى فاطمة الزهراء ألف جدة والله ما توظفت منهن واحدة، وعشن سعيدات ومتن طاهرات. والآن فقط إذا لم توجد وظيفة تعطلت الحياة وتوقفت! قرب بناتك في بيتك على عبادة الله وطاعته وطاعة رسوله، وعلمهن الحياء والعفة والطهر والصفاء، واتركهن بعد التخرج من السادسة الابتدائية، فهذا التعلم ضروري، وأنت مشغول لا تستطيع أن تعلم بناتك، فاتركهن يتعلمن أربع سنوات أو خمس في المرحلة الابتدائية؛ حتى يصبحن يعرفن القراءة والكتابة، ويحفظن شيئاً من القرآن، ويعرفن كيف يتطهرن ويعبدن الله. وهذا يكفي.

ثم اتركهن مع أمهن يعملن معها، ويصلحن شأن البيت معها، فإذا بلغت إحداهن الخامسة عشرة وجاء فحل صالح فاتركها له، تخدمه لوجه الله، وأما الوظيفة فهي الانتحار. نترك الباقي إلى غد إن شاء الله.

ونحن في آخر النداءات، ونريد أن نعيد النداءات من جديد إلى نهاية الشهر؛ لأن أبناءنا الطلبة كانوا مشغولين بالامتحانات، ولم يستطيعوا المواصلة، فلهذا سنعيد بعض النداءات. وصلّ اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. النفس الزكية الطاهرة في الجنة والنفس الخبيثة في النار

الدليل على أن النفس الزكية هي التي تدخل الجنة، وأن الخبيثة لا تدخل هو حكم الله في البشرية الذي نزل به القرآن، وأقسم الجبار عليه، وحلف وأقسم عليه أعظم إيمان، فقال: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10]. فكن ابناً لنبي أو أباً لنبي أو جداً لنبي، ولتكن المرأة امرأة نبي، أو لتكن من تشاء فلن يدخل أحد الجنة إلا إذا زكت نفسه، وطابت وطهرت.

و(من) من ألفاظ العموم، أي: سواء كان أبيض أو أسود، أو عربي أو عجمي، أو فقير أو غني، أو في الأولين أو في الآخرين، فمن زكى نفسه دخل الجنة، من دساها ووضع فوقها أطنان الذنوب والآثام وخبثها حتى تعفنت فلن يدخل صاحبها الجنة، ولو كان والد النبي صلى الله عليه وسلم. و أزر أبو إبراهيم الخليل في النار.

والمرضى والمصابون بالهواجس والوساوس يقولون: هذا ليس أبوه، بل هذا عمه. وقال الخرافيون والضلال: أبو طالب في الجنة، وعم الرسول صلى الله عليه وسلم في النار، ويتخبطون؛ لأنهم ما قرءوا كتاب الله ولا عرفوه.

ولن ينقض هذا الحكم قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10] أحد. فالذي لا يزكي نفسه بالإيمان والعمل الصالح ويبعدها عما يدسبها من الشرك والمعاصي هيهات هيهات أن يدخل دار السلام، والله يقول: لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ [الأعراف:40]. والعرب يعرفون الجملة، ويعرفون عين الإبرة. فهذه لغة عربية.

وعين الإبرة لا نستطيع أن ندخل فيها خيطاً دقيقاً إلا بمشقة، ومستحيل أن يدخل فيها بغير. وكذلك صاحب النفس الخبيثة من جراء الشرك والمعاصي والذي ترك الإيمان وصالح الأعمال يستحيل أن يدخل دار السلام.

ويدخل في الشرك الكفر، فكل مشرك كافر، وكل كافر مشرك. معنى الشرك وكيفية الشرك في الدعاء

قال: [والشرك هو: عبادة غير الله تعالى] من المخلوقات [مع الله تعالى] فمن عبد غير الله مع الله فقد أشرك، وقد جعل شركاً في هذه العبادة، بعضها لله وبعضها لغير الله، كالدار التي تكون بين اثنين شركة بينهما. والشركة معروفة، وكل الناس يعرفون الشركة.

قال: [فالدعاء] مثل أن تقول: يا رب! اغفر لي وارحمني، يا رب! هب لي، يا رب أعطني! ويا رب اشفني [عبادة تعبد الله بها المؤمنين] لأن الله تعالى قال: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [غافر: 60]. وقال: ادْعُوا رَبَّكُمْ [الأعراف: 55]. فهو إذا عبادة.

والله لم يأمر به إلا لأنه تعبدنا به. وقال تعالى: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا [النساء: 36]. إذا: الدعاء عبادة [فمن دعا غير الله] مع الله [قد أشرك] وأصبح مشركاً. والجهال الضلال وما أكثرهم يدعون مع الله غيره، وقد قلت نسبتهم اليوم بعوامل شاءها الله عز وجل، فهناك اليوم كما تعرفون الإذاعة والتسجيل، واتصال العالم ببعضه البعض، والاتصالات موجودة في كل العالم، وكذلك يوجد اليوم وعي عام؛ لوجود الكتب والمجلات والصحف، وما إلى ذلك، وكان العالم من قبل منقطع عن بعضه البعض، وكان أهل الإقليم لا يعرفون الإقليم الآخر حتى الموت أبداً، والآن أصبح العالم كأنه بلداً واحداً، ولهذا وجدت ثقافة عامة.

وقد كان الشرك - والعباد بالله تعالى - منتشراً من قبل، فكانت المرأة وهي ممسكة بحبل الولادة المشدود في العمود بدلاً من أن تصرخ: يا رب! وبدلاً من أن تقول: يا الله! كانت تقول: يا رسول الله! أو يا سيدي عبد القادر! ولو ماتت في هذه الحالة ماتت إلى جنهم.

وأعجب من هذا: كان أحدهم يذكر الله بالمسبحة في يده: لا إله إلا الله! وإذا سقطت المسبحة من يده والله يقول: يا رسول الله! وهذا هو الشرك.

وبقي هذا في أمتنا قروناً إلا من رحم الله.

ولم يكن هناك من يعلم ولا يبين، ولا يحذر ولا ينذر.

ولذلك هبطت الأمة من علياء السماء إلى الأرض.

والمقصود هنا: أن الذي يدعو مع الله غيره فقد أغضب الله، وأهان الله؛ لأن الله هو الذي كفأك، وهو الذي أسمعك، وهو القادر على قضاء حاجتك، فلا تغيظه بذكر عبد من عباده معه.

ولست أشك أنه لو كان هناك من يبين للناس كما بينا الآن أنه لن يبقى مشرك في القرية ولا في البلد؛ لأنه لا يرضى أحد أن يحترق، ولكنهم لم يعلمهم أحد.

بل كان القرآن يقرءونه على الموتى، بلا تفكر ولا تدبر، وكانت السنة تقرأ للبركة.

إذا: الدعاء عبادة تعبد الله بها المؤمنين، فمن دعا غير الله فقد أشرك.

فيايك أن تقول: يا الله! يا رجال البلاد! أو يا الله! يا سيدي عبد القادر! أو يا الله! أو يا الله! يا فاطمة أو يا الله! يا حسين! فهذا والله شرك أعظم، وهو يغضب الله؛ لأن الله هو الكافي، كما قال تعالى: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ [الزمر: 36]؟! فلا تحتاج إلى عون من غيره، ومن فعل هذا فقد أغاظ الله بذكر اسم مع اسمه، مثل أن يقول: يا الله! يا عبد القادر! فمن قال هذا كفر، ولا يبقى مؤمناً، ولو قالت الأمة كلها.

وكذلك من يسأل الله ويسأل معه غيره، وهو بهذا يهين الله؛ لأن الله هو الذي كفاه، وهو يغيظه ويذكر اسماً مع اسمه.

حث الله للمؤمنين على اتقاء النار وعلى أن يقوا منها أهليهم

قال: [اذكر هذا] أيها القارئ الكريم لنداء الرحمن الرحيم! [واستمع لما حواه هذا النداء العظيم، إنه: وجوب وقاية المرء] ذكر أو أنثى [المؤمن نفسه من النار] فيا عبد الله! قي نفسك من النار، لو أن ناراً اشتعلت في حديقة أو في منزل أو في أي مكان وشاهدت عبداً غافلاً عنها فإنك تقول له: يا عبد الله! قي نفسك من النار، واحفظ نفسك منها، فاهرب واتخذ وقاية.

والله عز وجل خالق النار وخالقنا يقول لنا: يا أوليائي! ويا من آمنتم بي وبرسولي وبلقائي! قوا أنفسكم وأهليكم من النار؛ لأن عذابها لا يطاق، وهو عذاب أبدي لا نهاية له، وهو يأتي على الجسم والعظم واللحم وكل شيء، وهو ليس ساعة ولا يوماً، ولا عاماً ولا ألف سنة، ولا مليون سنة، وإنما هو عذاب بلا نهاية.

ومن تملل أو شك فيرفع رأسه إلى كوكب الشمس الناري النهاري - وقد قال في تحديده علماء الإسلام قبل أن تكون أوروبا عالمة: إنه أكبر من الأرض بمليون مرة وزيادة- فهذا الكوكب كله نار، وهو لا يوقد بالحطب ولا بالغازات ولا بالفحم، ولو حشرت البشرية كلها في هذا الكوكب لما سدت زاوية من زواياه. فلا يشك عاقل بعد هذا في وجود عالم الشقاء الذي اسمه عالم النار.

وكلمة المرء أفضل من كلمة إنسان.

قال: [ووقاية أهله من زوجة وولد وقريب من النار؛ إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا [التحریم:6]] وأهلك هم أولاً: الزوجة، وثانياً: الأولاد، وثالثاً: الآباء، ورابعاً: الإخوان، والأقارب من عمه وعم، وخالة وخال، فكل هؤلاء أقاربك، فهم أهلك. فقال: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ [التحریم:6].

والأهلين جمع مذكر سالم.

ونكر النار هنا للتفخيم، أي: اتقوا ناراً يعجز الواصف عن وصفها. ونارنا هذه أوجدها الله عز وجل للانتفاع بها، وقد أطفئت في سبعين بحراً، ولولا هذا التخفيف لما انتفعنا بها لا في طبخ ولا في استدفاء؛ بسبب حرها، فتخلوا النار الحقيقية التي منها هذه النار. بم تكون الوقاية من النار

قال: [والوقاية بم تكون؟ إنها لا تكون أبداً بغير الإيمان والعمل الصالح، وباجتناب الشرك والمعاصي] ولا تتقى النار بدخولنا في بحر، أو بتسليط المياه عليها، أو بلباس خاص يقينا من عذاب النار، والله إنه لا وقاية منها إلا بالإيمان والعمل الصالح أولاً، ثم باجتناب الشرك والمعاصي.

وقد كتبنا كما علمتم بعنوان: الطريق إلى الجنة.

وهذا الطريق أربع خطوات فقط، وليس أربعة كيلو ولا ألف كيلو، بل أربع خطوات فقط، خطوتان إيجابيتان، وخطوتان سلبيتان.

فأما الخطوتان الإيجابيتان فهما: الخطوة الأولى: الإيمان الصحيح، والثانية: العمل الصالح.

وأما الخطوتان السلبيتان فهما: الخطوة الأولى: ترك الشرك، والخطوة الثانية: ترك المعاصي.

وليس في هذا كلفة ولا مشقة ولا عناء.

والخطوتان الإيجابيتان تتكلف وترفع رجليك فيهما وتمشي، وأما الخطوتان السلبيتان فلا تتحرك فيهما رجليك، ولا تمشي.

فافهموا هذه الحقيقة.

والجنة قريبة، فما تلفظ نفاسك الأخير إلا وأنت في دار السلامة، وأهل هذا الدرس من المؤمنين والمؤمنات قد أصبحوا في مستوى عالٍ، فهم يعرفون علة هذا والله العظيم.

فالعلة ليست مجرد طاعة فقط، بل السر هو: أن الإيمان والعمل الصالح أداة لتزكية للنفس وتطهيرها وتطبيبهها، فتصبح أهلاً للسماء والملوك الأعلى كأرواح الملائكة.

واجتناب الشرك والمعاصي اللذين هما مادة التعفين والتلويت والتخبيث للنفس، فاجتنابهما يبعد الخبث والعفن الذي يعفن نفسه ويعوقها.

وهذا علم سام.

وإذا خبثت نفس الأدمي فوالله إنها لا حق لها في الملوك الأعلى، ولا تدخل الجنة.

والذي أخبر بهذا هو الله بهذا، فقد قال الله: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ [الأعراف:40].

وهذا مستحيل.

إذاً: دخلوهم الجنة مستحيل.

ولا أحد يرد على الله.

معنى الإيمان

قال: [وأن الإيمان] أي: واذكر يا أيها القارئ! أن الإيمان [ليس مجرد قول العبد: أنا مؤمن] فليس الإيمان هكذا، ولو قلت: أنا مؤمن طول النهار لم يصح هذا، ليس مجرد قول العبد أنا مؤمن.

وهذا مثل ما قال فرنسي في المغرب والجزائر، فقد قال: أموسي، أي: وأنا كذلك.

وقد حدث هذا أيام حرب ألمانيا ضد أعدائها، فقد كانت الطائرات تأتي لترمي المدن بالقنابل، وكانت إذا حلفت طائرة ألمانية أو إيطالية دخل الناس الكهوف والمغارات تحت الأرض، وكانوا يشاهدون أحياناً كما أخبر تعالى في قوله: الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ [القارعة: 1-4].

فتجد شخصاً طالعاً إلى عمارة والثاني هابطاً منها، أو واحد داخل الكهف هارب والثاني يخرج منه، بعد أن ذهب عقلهم من البلاء، وكأنهم في نوع من أنواع أحوال القيامة.

فكان المسلمون يقولون: لا إله إلا الله! حتى إذا نزلت عليهم الصاعقة وماتوا يموتوا على الإيمان، وكان الكافر الإيطالي من جيرانهم أو الفرنسي يقول: أموسي، أي: وأنا كذلك.

وهذا لا يجعله مؤمناً.

وقد كان يقول هذا لعلها تنجيه من ضربة المدفع أو الصاروخ.

والمؤمن يقول: لا إله إلا الله رجاء أن يموت إذا مات على كلمة التوحيد، وأما هذا الكافر فهو لم يقل: لا إله إلا الله، وإنما قال: أنا كذلك.

والذي يقول: أنا مؤمن بلسانه فظ لا ينفعه هذا القول.

وهذه الحكايات تقطع علينا الدرس، ولكننا نخفف بها على بعض المستمعين، الذين يريدون أن يروحوا على أنفسهم.

قال: [وإنما] وهذه أداة الحصر، أي: وإنما الإيمان الحق [هو تصديق جازم] قاطع [بوجود الله رباً وإلهاً، لا رب غيره، ولا إله سواه، وبملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبقضائه وقدره] هذا هو الإيمان، فإذا قال شخص: أنا مؤمن، فمعنى هذا: أي: أمنت بالله رباً وإلهاً، وأمنت بمحمد نبياً ورسولاً، وأمنت بالبعث الآخر، وما فيه من نعيم مقيم لأولياء الله، وعذاب أليم لأعداء الله، وأمنت بكتب الله وملائكته وعامة رسله، وأمنت بأركان الإيمان الستة؛ لأنه لو أركن ركناً كفر، بل لو شك مجرد شك في ركن من أركان الإيمان الستة لكان كافراً، ولا يدخل في جماعة المؤمنين.

قال: [وآية ذلك] أي: علامة معرفة أن عبد الله هذا مؤمن أو أن هذه المرأة مؤمنة [إسلام القلب والوجه لله] فمن قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله تعين عليه أن يعطي قلبه ووجهه لله، بحيث لا يتقلب قلبه إلا في طلب رضا الله، فلا يأكل ولا يشرب، ولا يتوضأ ولا ينام، ولا يهدم ولا يبني، ولا يتزوج ولا يطلق، ولا يعطي ولا يمنح إلا من أجل الله، وتكون حياته موقوفة على الله.

وهذا ممكن، وليس صعباً.

وإذا آمن عبد الله حق الإيمان فإنه والله لا يتزوج إلا من أجل الله، ولا يطلق إلا من أجل الله.

وقد علمنا أمس كيف يكون الطلاق لوجه الله، وهو: أن يريد الزوج أن يرفع الضرر على أمة الله الذي لحقها منه، أي: من هذا الزوج.

وكذلك المؤمن لا يهدم في الجدار إلا من أجل الله؛ لأنه يخشى أن يسقط على مؤمن أو مؤمنة، أو أنه يراد أن يهدمه لبيئته من جديد؛ لأجل أن يستر عورته، أو يستر أسرته، فهو يفعل هذا لأجل الله.

فإياك أن تبعد عن هذه النية؛ إذ من أسلم قلبه لله فإن قلبه يصبح لا يتقلب طوال حياته إلا من أجل الله.

وكذلك وجهه دائماً لله، وكل حياته موقوفة على الله.

واتجاهه دائماً هو أن يطلب رضا الله، ويبعد عن سخط الله، وقد قال تعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ [النساء: 125].

ففكر ألا تأكل ولا تشرب، وألا تقوم وألا تجلس، وألا تبيع وألا تشتري دائماً إلا من أجل الله، وأن تكون حياتك كلها موقوفة على الله.

علامات الإيمان

قال: [ويتجلى ذلك] ويظهر تمام الظهور [في أن يحب ما يحب الله، ويكره ما يكره الله] فالإيمان الحق الذي هو: إسلام القلب والوجه لله يتجلى ويظهر ويستدل عليه: بأنه لا يحب إلا ما يحبه الله، ولا يكره إلا ما يكرهه الله.

فإذا وجدت نفسك تحب ما يحب الله وتكره ما يكرهه الله فاعلم أنك مؤمن.

قال: [وأن يطيع الله ورسوله فيما أمرا به وفيما نهيا عنه].

فنعرف أن فلاناً أسلم قلبه ووجهه لله وأنه قد حقق بذلك إيمانه بأن يحب ما يحبه الله، وأن يكره ما يكرهه الله، بحيث لو علمت أن الله يكره أباه؛ لأنه مسيحي أو يهودي أو مشرك يكرهه، ولو بلغه أن الله يكره هذا العبد فإنه يكرهه وإن كان أبوه أو ابنه، وإذا بلغه أن الله يحب فلاناً فيحبه ولو كان من أعدى أعدائه، أو من أعداء أبيه؛ لأن الله يحبه. وهذا ليس في الأشخاص، بل وفي الذوات وفي كل شيء أيضاً، فإذا علمت أن الله يحب قول: سبحان الله وبحمده فيجب أن تحبها، وإذا علمت أن الله يكره المزمار وصوت العاهرة وصوت النائحة فيجب أن تكرههما؛ لأن الله يكرههما، فصوت النائحة والمغنية مبغوضان لله، والعياذ بالله. سبب نداء الله تعالى لعباده المؤمنين دون غيرهم

قال: [الشرح: اذكر أيها القارئ الكريم! ما قد سبق أن عرفته من أن الله تعالى ينادي المؤمنين بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمن حي، يسمع ويعي] أي: يفهم [ويعمل؛ وذلك لكمال حياته] لأن الإيمان بمثابة الروح، والروح إذا احتلت الجسم أصبحت العين تبصر، والأذن تسمع، واللسان ينطق، واليد تعطي وتأخذ، فالمؤمنون أحياء بإيمانهم [وأن الكافر ميت] وهذا ليس لفقده الحياة، بل لفقده الإيمان بالله ولقائه، ولذلك نادانا الله عز وجل تسعين نداء في هذا القرآن بعنوان: (يا أيها الذين آمنوا)! ولم ينادينا مرة إلا ليأمرنا بما فيه صلاحنا خيرنا، وسعادتنا وكمالنا، أو لينهاننا عما فيه شقاؤنا وخسراننا وهلاكنا؛ لأنه ولينا، والولي لا يرضى لوليه بالخسران، وحاشا وكلا، أو ليبشرنا بما يزيد في طاقات إيماننا وصالح أعمالنا، أو لينذرنا ويخوفنا مما فيه شقاءنا وخسراننا، أو ينادينا ليعلمنا ما به نكمل ونسعد، فقولوا: اللهم لك الحمد.

والكافر ميت [فلا يسمع نداء ولا يعي ما ينادي له، ولا يتمثل ما يؤمر به أو ينهى عنه] وأنت إذا ناديت بريطانياً ليصلي في المسجد لم يستجب، وكذلك إذا ناديت عاهرة لتستر وجهها وتذكر الله؛ لأنها ميتة. والميت لا ينادي، ولا يؤمر ولا ينهى.

بل انفخ فيه أولاً روح الإيمان، فإذا آمن وأعلن عن إيمانه بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله مره أن يتوضأ فإنه يتوضأ، ومره أن يأتي إلى المسجد فسيأتي، وأما أن تأمره قبل إيمانه فهذا عبث؛ لأنه لن يستجب؛ لأنك تنادي ميتاً.

والدليل على هذا: أننا لا نأمر أهل الذمة في بلاد المسلمين بأن يصلوا، ولا بأن يصوموا، ولا بأن يأتوا بركة أموالهم، ولا بأن يأتوا بالشرعية أبداً؛ لأنهم بمثابة الأموات.

ثم إذا حيوا بدخول الإيمان في قلوبهم فسوف يطلبون هم منا أن نعلمهم كيف يعبدون الله.

وأزيدكم برهاناً: والله إن قتل كل كافر أهون على الله من أن يقتل مؤمن واحد؛ لأن هذا المؤمن يعبد الله ويذكره، وصوته يرفع إلى السماء، وتتلقاه الملائكة، وأولئك الكفار لا يذكرون الله ولا يعبدونه، وقد خلقوا لعبادته، ولذلك ليس لهم حق في الأكل ولا في الشرب، ولا في الحياة، وهذا الكلام يقبله القانون.

فقد خلق ابن آدم ليعبد الله، فإذا رفض العبادة فليس له حق في الحياة، ولا في الأكل أو الشرب، وإنما نقول: نتركه يأكل ويشرب رجاء أن يؤمن غداً أو بعد غدٍ؛ لأننا لا نملك له أن يؤمن أو لا يؤمن.

ولهذا قتل كل كافر لا يساوي قتل مؤمن واحد؛ لأن هذا مؤمن يذكر الله ويعبده، وبقتله يعطل ذلك، والذي لا يذكر ولا يعبد وجوده وعدمه سواء، فهو لا قيمة له، وإنما لا يؤمر بقتله رجاء أن يسلم غداً ويعبد الله عز وجل ويذكره.

وأنت إذا أشفقت على ابن عمك الكافر فقل له: يؤمن؛ ليحيا، ولا تحزن ولا تكرب، بل ادعه إلى الإيمان، فإذا آمن بالله ولقائه حيي، وأصبح متهيناً لأن يغتسل من الجنابة، ولأن يتوضأ، ولأن يغض بصره، ولأن يحفظ فرجه، ولأن لا يأكل إلا حلالاً، ولأن يحيا حياة كاملة، فتصبح العين تبصر، والأذن تسمع، واللسان ينطق، واليد تعطي وتأخذ، والرجل تمشي؛ وذلك لكمال حياته، فإذا أمرته استطاع أن يفعل.

خلق الله عز وجل النار، وأعدّها لأهل الكفر والمعاصي من الأمم السابقة وهذه الأمة، ووجه عباده المؤمنين لاتقاء حرها وسمومها وعذابها وزبائيتها، وذلك بفعل الطاعات والأعمال الصالحات، وترك المنكرات والمعاصي والسيئات، ولا يقتصر هذا الأمر على العبد وحده، وإنما يلزمه الحرص على كل من تحت يده من الأولاد والأهل. تابع وجوب وقاية النفس والأهل من النار بالإيمان وطاعة الله ورسوله

الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

ما زلنا مع النداء قبل الأخير، وقد ابتدأنا أمس دراسته، ولم نكمله، فلنعهده ولنختتمه إن شاء الله. ومضمون هذا النداء هو في وقاية النفس والأهل من النار.

فربنا ينادينا ليأمرنا بأن نحفظ أنفسنا وأهلينا من عذاب النار، وذلك بطاعته فقط.

وإذا أطعناه ففعلنا الواجبات وتركنا المحرمات زكت أنفسنا، وطهرت أرواحنا، فيقبلنا في الجنة دار السلام، وذلك كما علمتم بالإيمان وطاعة الله ورسوله.

حكم من ركع أو سجد لغير الله

قال: [والركوع والسجود عبادة، فمن ركع أو سجد لغير الله فقد أشرك في عبادة الله تعالى.

فأذكر هذا ولا تنسه] والله إنه يوجد من يركع ويسجد لغير الله، فيقعون على الأرض ويسجدون بين يدي من يسجدوا له.

وهذا يفعله الجهال مع الزعماء والحكام والأغنياء، بل ويفعلون هذا حتى مع الأموات.

وهناك ضريح في بلد ما من بلادنا العربية إذا قاربوا الوصول إليه يمشون إليه زحفاً؛ إجلالاً وتعظيماً، ولا يمشون على أرجلهم.

ويوجد هذا أيضاً عند لاعبي الكاراتيه، وقد رأيتهم بنفسي.

والذين يلعبون هذه اللعبة تراهم كلهم يركعون؛ تحية للاعب أو للاعبين أو للغالبين.

وقد رأيت العرب أيضاً يركعون، وقد نقول: يمكن أن الأعاجم لم يفهموا، ثم رأينا العرب أهل القرآن والنور يركعون لصعلوك لا يصلي ولا يصوم! والتقليد هو الذي ساقهم إلى هذه المذبلة.

ولو كانوا بصراء لسألوا عن حكم هذا.

فاذا أرادوا أن يحيوهم فليحيوهم بالمصافحة، أو بقول: بارك الله فيك، أو نصرك الله.

ولا يركعون كما يركع المجوس.

حكم التصفيق للرجال

لا يجوز التصفيق، وقد رأيناهم لما يخطب الزعيم ويفرحون بالخطبة يقفون وقوفاً ويصفقون، ونسوا قول رسولكم صلى الله عليه وسلم: (إنما التصفيق للنساء).

فلا تتحولوا إلى نساء.

ولكنهم لا يفهمون.

وهم قد أخذوا هذه الصور من الشيوعية.

وقد حفظنا عدة كلمات من القاموس الشيوعي، منها: فلان مخلص للوطن، مخلص للدولة.

وهذا كفر؛ لأن الشيوعي لا يؤمن بالله، بل يحاول أن يغطيه، ويقول: هو مخلص للوطن.

وقد أخذناها نحن منهم ومن قاموسهم، وتبجحنا بها، وقلنا: فلان مخلص للدولة، والأصل أن نقول: مخلص لله، وليس لعباده.

حكم الوقوف حداداً على أرواح الشهداء

هناك من يقف سكتة حداد على أرواح الشهداء، فبعد أن يكونوا جالسين في الحفل أو في المجلس يقفون ساكتين، ويسمون هذا: سكتة حداد على أرواح الشهداء، ولا يسبحون الله ولا يذكرونه.

وهذه والله من قاموس الشيوعيين؛ لأن الشيوعي لا يؤمن بالله الذي يغفر ويرحم حتى يرفع يديه يسأله أبداً، ويحاول أن يغطيه ويكفر به.

وكان عندنا مؤمن موحد مائة في المائة، وكان تلميذ العقبي، فكان هو الوحيد يقول لما يقفون: اللهم اغفر له وارحمه، اللهم اغفر لموتانا وارحمهم، فينظرون إليه وهم يعجبون.

معنى المعاصي

قال: [كان ذلك الشرك، فما هي المعاصي؟ المعاصي: جمع معصية، وهي: مخالفة أمر الله، أو أمر رسوله] صلى الله عليه وسلم [فإذا أمر الله تعالى بقول أو فعل، أو أمر رسوله فمن فعل المأمور على الوجه المطلوب فقد أطاع وما عصى، ومن ترك فلم يفعل فقد عصى.

وتركه معصية.

وكذلك إذا نهى الله تعالى أو نهى رسوله [صلى الله عليه وسلم] عن قول أو عمل، فمن قال المنهي عنه أو فعله فقد عصى، وقوله وفعله لما نهى عنه معصية] .

حكم معرفة أوامر الله ورسوله ونواهيهما

قال: [وعلى هذا فالوقاية للنفس وللأهل] التي طلبها الله منا في قوله: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ [التحریم:6] [من زوجة أو ولد] إنما [تكون بطاعة الله] تعالى [ورسوله صلى الله عليه وسلم بعد الإيمان الصحيح.

وهنا يجب على العبد أن يعرف أوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم ويعلمها أهله] ويعرف نواهي الله ونواهي رسوله وجوباً عينياً [إذ من غير المعقول أن نطيع ونحن لا نعرف فيما نطيع، أو نعصي ونحن لا نعرف فيما نعصي] ونحن لن نقي أنفسنا إلا بفعل الأمر وترك النهي، والأمر ليس واحداً، بل هو آلاف الأوامر، وكذلك النواهي ليست شيئاً واحداً، بل المنهيات عشرات.

ولن يمكنك أن تطيع الله ورسوله من دون أن تعرف الأوامر والنواهي، والله إنك لن تستطيع هذا.

ولهذا كان طلب العلم فريضة.

ومستحيل أن تكون ولي الله وأنت لا تعرف أوامره ولا نواهيها، ومن هنا فيجب أن نترك العمل ولو دهرًا كاملاً حتى نعرف أوامر الله ونواهيها.

وصلى الله على نبيينا محمد، وعلى آله وسلم.

حكم الحلف بغير الله تعالى

قال: [والحلف عبادة، فمن حلف بغير الله تعالى فقد أشرك في عبادة الله تعالى] وقد كان المسلمون يحلفون: وسيدي عبد القادر ما كان هذا، أو وحق مولاي فلان، أو و فاطمة .

وتوسع الجهال في هذا حتى صاروا يحلفون بالوقت وبالزمن وبالملح الذي يأكلونه، ولم يتركوا شيئاً لم يحلفوا به، وكان الله لا يكفيهم أبداً؛ لأنهم ما عرفوا.

وقل وندر من يقول منهم: بالله الذي لا إله غيره.
وقد كانت يمين الرسول صلى الله عليه وسلم التي يحبها - والتي لم يسمعوها بها- كما قالت عائشة : (والذي نفس محمد بيده).

فقولوا: والذي نفسي بيده ما فعلت وما قلت.
ولكنهم لم يكونوا يحفون إلا بقولهم: وسيدي فلان .. ورأس فلان .. والملح .. وهذه الساعة .. وهذا اليوم، وكأنهم لم يعرفوا الله، ولم يسمعوا به، مع أنهم يسمعون كل يوم: لا إله إلا الله.

وهذا هو الجهل.
وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من حلف بغير الله فقد أشرك).
وقال: (من حلف بغير الله فقد كفر).
والكفر هو: التغطية، وكفر الشيء: غطاه.
فهم لما يقولون: وحق سيدي عبد القادر فمعنى هذا: أنهم غطوا الله؛ لأنهم لو رأوه لحلفوا به.

وهذا معنى الكفر.
ولما يقولون: وحق سيدي فلان معنى هذا: أنهم عظموا سيدي فلاناً حتى أعطوه حق الله، وأشركوه في التعظيم؛ لأن الذي يُحلف به إجلالاً وتعظيماً هو الله.
وهم لما حلفوا بغير الله فمعنى هذا: أنهم أشركوا في عظمة الله غير الله.
وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: (من حلف بغير الله فقد أشرك)، أي: أشرك في عظمة الله مخلوقاً من مخلوقاته.
حكم من نذر لغير الله تعالى

قال: [والنذر عبادة، فمن نذر لغير الله تعالى فقد أشرك في عبادة الله تعالى] وقد كانت المرأة تمر بالقبة أو بالضريح في جبل أو غيره فتقول: يا سيدي فلان! إذ تزوجت ابنتي ممن أحب أن أزوجه به فلك علي كذا، أو إذا شفى الله ابني وعادت إليه صحته فسأذبح لك كبشاً.
وكانوا ينذرون حتى بالشمعة؛ لأنهم كانوا يستصبحون بالشموع، ويوقدون على قبور الأولياء، أو بالبخور، وإن لم تجد المرأة ما تنذر به كانت تأتي بالجمر، وإن كانت قادرة على ذبح تيس ذبحته.
وقد كان هذه هو النذر الشائع في بلاد المسلمين عند الجهال قريباً من خمسمائة سنة، وكانوا كلهم جهالاً.
وكانت القرية لا يوجد فيها عالم أبداً.
واستمر هكذا الحال من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر.
ثم خفت هذه النذور لوجود الاتصالات التي علمتم.
حكم الذبح لغير الله

قال: [والذبح تقرباً عبادة، فمن ذبح لغير الله تقرباً إليه فقد أشرك في عبادة الله تعالى] وقد كان الرجل في آخر الشتاء يشتري خمسين شاة؛ نظراً إلى أن العام عام مطر وغيث، ولما يشتريها يقول: هذه الشاة لعبد القادر ؛ حتى يحفظها، وإذا ولدت فولدها لسيدي عبد القادر .
وقد كان الرجل عندما يغرس النخل أو الزيتون، يغرس منها شجرة ويقول: هذه لسيدي فلان!
شرك أهل الجاهلية أخف من شرك مشركي هذه الأيام

يكشف الله النقاب عن هذه القضية، فيقول: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ [الأنعام:136].
وقولوا: رحمة الله عليك يا محمد بن عبد الوهاب ! اللهم اغفر له وارحمه.
فقد أنقذنا الله به من الشرك وأهله، فاحمدوا الله على ذلك.
وقد قال في الأصول الثلاثة: شرك الأولين - المشركين- أخف في شرك المعاصرين.
والجاهلون يغضبون من هذا ولا يفهمون.

وهذه الآية شاهدة على كلام الشيخ، فقد قال تعالى: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا [الأنعام:136].

وهذه آية من سورة الأنعام.

وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا [الأنعام:136].

وأما اليوم فالذي يغرس ألف نخلة لا يقول: هذا لسيدي عبد القادر وهذا لله، بل يقول: هذه ليسيدي عبد القادر، ولا يجعل لله شيئاً، وكذلك الذي يشتري ألف شاة ليربيها يقول: هذه الشاة لسيدي فلان، ولا يقول: وهذه الشاة لله. فالمشركون الأولون أخف شركاً.

وإنما عتب الله على المشركين الأولين وأنكر عليهم لأنهم كانوا يجعلون هذه الشاة لله، وهذه الشاة للعزى أو للات، فإذا ماتت شاة العزى يحولون شاة الله للعزى، ولهذا أنكر عليهم.

أو كانوا يقولون: هذا البعير لله، وهذا للات، فإذا مات البعير الذي هو لله لا يحولون له بغير العزى لله، بل يقولون: الله غني، وليس في حاجة إليه، وإذا مات بغير اللات يحولون لها البعير الذي هو لله.

فقال تعالى: وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ [الأنعام:136].

لأن الله لم يفرض هذا ولم يقرره.

وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [الأنعام:136]، أي: قبح الله هذا الحكم الباطل؛ لأنه لا إنصاف فيه ولا عدل حتى مع الله.

وأما جماعتنا فلا يعطون الله شيئاً، بل يعطون فقط لسيدي عبد القادر وسيدي عبد الرحمن. وعلة هذا الجهل.

ولن نزيل الجهل إلا بدراسة الكتاب والسنة، أي: الحكمة، كدراستنا هذه.

وهذه الدراسة لا تتطلب مالاً ولا طيراناً ولا سلاحاً.

بل على أهل القرية فقط أن يجتمعوا في بيت ربهم بنسائهم وأطفالهم ورجالهم، ويجتمع أهل الأحياء في المدن ساعة ونصفاً في الليلة على مدى الحياة، والله لن يبقى بينهم جاهل أو جاهلة، وإذا انتفى الجهل حصل الخير بأجمعه.

حكم دعاء غير الله أو دعاء أحد مع الله

قال: [فمن دعا غير الله قد أشرك] وكذلك لو دعا مع الله غيره، كالذين يقولون: يا الله! يا رسول الله! أو يا الله! يا فاطمة! أو يا الله! يا سيدي عبد القادر! فهؤلاء يشركون شركاً واضحاً كالشمس، ولو يسمع هذا يهودي أو نصراني أو غيرهما فإنه يفهم أن هذا شرك؛ لأنه يدعو اثنين.

ولو أنكرت على من يقول: يا الله! يا رسول الله! لقال لك: اسكت! أنت تكره الرسول، ويملي عليه الشيطان هذه الكلمة؛ حتى يخفف عنه.

ولا إله إلا الله! وقد كنا مع أحد الصالحين في سيارة فخرجت بنا السيارة عن الطريق فقال: يا رسول الله! ونسي الله، فقلت له: يا فلان! لو انقلبنا ومتنا لما أفلحت، وهو جالس في الدروس؛ وهذا لأنه كبير في السن، وكبير السن لن ترسخ العقيدة عنده إلا بعد مرور الزمن.

وقد كان هناك من يذكر الله بالمسبحة قائلاً: لا إله إلا الله، فإذا سقطت المسبحة من يده من النعاس قال: يا سيدي فلان! وينسى أنه كان يقول: لا إله إلا الله! وأعظم من هذا: أن المرأة وهي في المخاض كانت تنادي: يا سيدي فلان! وفي الزمان الأول حتى في أوروبا كانت المرأة إذا جاءها الطلق والمخاض يربط لها حبل في عمود البيت وتمسك به، وتقول وهي تعاني: يا رب! يا رب! يا رب! حتى النصرانية كانت تقول هذا.

وأحد الصالحين عاش في فرنسا زمناً ثم هاجر إلى المدينة، وقد بقي زمناً ثم مات، وكان معه فرنسية في العمل، وكانت شيعية تنكر الله، وتقول: لا إله إلا الله! والحياة مادة، وقد حدثني عنها بنفسه وقال: والله العظيم إنها حملت وجاءها الطلق، فذهب إلى المستشفى يزورها؛ لأنها صديقتها، قال: وكانت على السرير تصرخ من الطلق، فأخرج كيساً من النقود وقال: هذا إلهك؟ فصاحت في وجهه بأعلى صوتها: الله ربي، وكفرت بكيس النقود، وقد كانت تقول: إلهي هو هذا، والذي عنده هذا لا يخاف أحد، فناسب الوقت هنا، فأخرج لها الدراهم، وقال: هذا إلهك؟ فصرخت في وجهه وهي تنطق: يا الله! وكانت المرأة في ديار المدينة قبل دخول التوحيد تمسك بالحبل أثناء الولادة وتقول: يا الله! يا

رسول الله! يا رب! يا سيدي عبد القادر ! وأبوها جالس وأمها والنساء، ولا أحد فيهم يقول لها: هذا حرام؛ لأنهم لا يعرفون الحرام أبداً.
بل يقولون: ليس في هذا شيء؛ لأنه توسل بالصالحين!
معنى الشرك

قال: [والشرك هو: عبادة غير الله تعالى مع الله تعالى] أي: يجعل العبادة نصفين: نصفاً لهذا، ونصفاً لهذا.
وهذا هو الشرك.
فضل الدعاء

قال: [فالدعاء عبادة تعبد الله بها المؤمنون] كالصلاة والصيام، بل (الدعاء هو العبادة).
والذي قال هذه الكلمة هو أبلغ الناس على وجه الأرض على الإطلاق، وأفصح من نطق بالضاد.
وهذا كقوله: (الحج عرفة).
وليس معنى هذا: أنه لم يبق أركان ولا واجبات، وإنما يعني: أنه إذا لم يقف في عرفة فكأنه لم يحج، ولو طاف مليون مرة.
بل (الحج عرفة).
وكذلك (الدعاء هو العبادة).
فمن لم يدع الله بالمرة، أو دعا غير الله لم ينفعه ذلك ولو صام وصلى ألف مرة؛ لأن (الدعاء هو العبادة).
وورد في حديث ضعيف: (الدعاء مخ العبادة).
ولا بأس به؛ لأن المخ فيه حياة الإنسان، فإذا نزع مخه مات.
ما بقي به الإنسان نفسه وأهله من النار

قال: [اذكر هذا] أيها القارئ والمستمع! [واستمع لما حواه هذا النداء العظيم، إنه وجوب وقاية المرء المؤمن نفسه من النار، ووقاية أهله من زوجة وولد وقريب من النار] وهذا هو الذي نادانا الله تعالى من أجله [إذ قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا] [التحریم:6] أي: احفظوا أنفسكم وأهليكم من النار، فابدأ بالزوجة وান্তه بأولاد أولادك.

قال: [والوقاية بم تكون؟] فهي لا تكون بأن تسكن مع أهلك في كوكب آخر، ولا بأن تنزلهم في أعماق الأرض، ولا بأن تحوطهم بسياج من حديد، فهذا لا ينفع، بل [إنها لا تكون أبداً بغير الإيمان والعمل الصالح وباجتناب الشرك والمعاصي] فلا بد وأن نترك الشرك والمعاصي، ولا تكفي طاعة الله وطاعة الرسول لوقاية النفس؛ لأن طاعة الله وطاعة الرسول تزكي النفس، والشرك والمعاصي يخبثها، فإذا زكيتها وخبثتها فليس في هذا فائدة، بل تكون كالرجل الذي يدخل الحمام ويتنظف بالماء والصابون والليفة، ثم يتطيب ويلبس أحسن لباسه، ولما يخرج إلى الباب يتمرغ في مزبلة، فهذا مجنون، وليس عاقلاً، ولم يستفد من تنظفه شيئاً.
وكذلك الذي يؤمن ويعمل الصالحات ثم بعد ذلك يفعل ويقول الشرك ويفعل المعاصي، فهذا تتحول نظافته إلى وسخ، وتتحول الطهارة إلى خبث ونجاسة.
والطريق إلى الجنة أربع خطوات فقط، اثنتان إيجابيتان، وهما: الخطوة الأولى: الإيمان الصحيح، والخطوة الثانية: العمل الصالح.

وخطوتان سلبيتان، وهما: أن تترك الشرك والمعاصي، وهاتان الخطوتان ليس فيهما كلفة؛ لأن الترك ليس فيه كلفة.
فإذا حققت هذه الخطوات الأربع فسرعان ما تفرع باب الجنة.
فحقق طاعة الله وطاعة الرسول بعد الإيمان، وبعد ذلك اجتنب يا عبد الله! ما يخبث النفس ويلوثها من أدران الذنوب وأوساخ الآثام.
مرتبة الإحسان

قال: (ما الإحسان يا رسول الله؟! قال: الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

فإن عجزت المرتبة الأولى، ولم تستطع أن تدخل في الصلاة أو الصيام أو الجهاد أو الرباط وكأنك تنظر إلى الله؛ لترهبه وتخافه، وتستحي منه فهناك درجة أخرى وهي: أن تعبد الله وأنت تعلم أن الله يراك. فهاتان مرتبتان عليا ودنيا، ومن فقدهما فقد الإيمان والعبادة. المرتبة الأولى هي: أن تعبد الله وكأنك تراه، ولو حققت هذه المرتبة فقد بلغت القمة في الكمال. وإن نزلت عن هذه المرتبة فكن في المرتبة الأخرى، وهي: أن تعبد الله وأنت تعلم أن الله يراك. وسر هذا: أن الذي يدخل في العبادة وكأنه ينظر إلى الله فإنه لن ينقص منها أو يزيد فيها، ولن يغفل فيها أو يسارع فيها، بل إنه يؤديها على أحسن ما تكون؛ لأنه يعلم أنه تحت الرقابة، أي: مراقبه الله له، فلا يستطيع حتى أن يلتفت؛ لأنه يعلم يقيناً أن الله يراه، وهو يتوضأ أو يصلي، أو يقرأ القرآن أو يفعل ما يفعل، فهو يعلم أن الله ينظر إليه. وبذلك يتم العمل ويحسنه، ويأتي به على المطلوب. فالإحسان هو (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). والخليفة كلها بين يديه، ولا يعزب عنه من أمرنا شيء، ومن شك في هذا فهذه الشمس كلنا نراها وترانا. العلامات الدالة على الإيمان

قال: [وآية ذلك] أي: والعلامة على أن هذا العبد حقاً مؤمن: [إسلام القلب والوجه لله] فمن أعطى قلبه كاملاً لله، وأعطى وجهه كله لله كانت أعماله كلها من أجل الله - كما علمنا وكررنا- ولذلك فهو لا يهدم ولا يبني إلا لله، وليس أن يحفظ فقط.

وهذه علامة أن هذا العبد مؤمن.

قال: [ويتجلى ذلك] أيضاً، ويظهر في وضوح: [في أن يحب] دائماً [ما يحب الله، ويكره] دائماً [ما يكره الله] فمن قال: أنا أسلمت قلبي ووجهي لله لم يتقلب قلبه إلا في رضا الله، ولم ينظر وجهه إلا إلى الله. وإن وجدناه يعاكس امرأة، أو يحب ما يكره الله فوالله ما أسلم لا قلبه ولا وجهه لله، ودعواه باطلة، وليست صحيحة. فمثلاً: الله يحب أصحاب رسول الله، ويكره الكافرين والظالمين، ويحب أبا بكر و عمر ، فإذا لم تحبوا أبا بكر و عمر فأنتم كالروافض، والذي يكرههم لم يحب الله، ولا آمن بالله؛ لأن القاعدة هي: أن تحب ما يحب الله، وأن تكره ما يكره الله.

بل لو أحب الله أعتى أعدائك فأحبه، ولو كره الله أقرب الأقرباء إليك كأبيك فأكرهه؛ لأنه يجب عليك إذا أحب ربك شيئاً أن تحبه، وإذا كره شيئاً أن تكرهه؛ لأنك عبده ومولاه. وهذا هو الإيمان.

والله عز وجل يكره الرائحة الكريهة، ويكره الدخان والشيشة، فيجب أن نكرههما كما يكرههما الله عز وجل، ففي الحديث: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً). وعلى هذا فقيسوا.

ويجب علينا أن نحب الكلمات التي يحبها الله، وأن نكره الكلمات التي يكرهها الله.

وكذلك الذوات والأشخاص، نحب من يحبهم الله، ونكره من يكرههم الله، وإن كانوا أقرب أقربائنا إلينا.

قال: [وأن يطيع الله ورسوله فيما أمرا به ونهيا عنه] فالإيمان ليس دعوى؛ لأنه قد يدعي أنه يحب كل ما يحب الله، ويكره كل ما يكره الله.

بل إذا أتيت برافضي فإنه يحلف لك بالله أنه يحب كل ما يحب الله، ويكره ما يكره الله.

ولا نستدل على إيمانه إلا بطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في الأمر والنهي، فإذا كان يطيع الله ورسوله فصدقه إذا قال: أنا أحب ما يحب الله، وأكره ما يكرهه؛ لأن الطاعة ذات طاقات وجهود، ومحاربة للنفس والهوى، والشيطان والدنيا، فإذا أصبح يطيع الله ورسوله فمن السهل أن يحب ما يحب الله، ويكره ما يكره الله. معنى الإيمان

قال: [اذكر أيها القارئ الكريم! ما قد سبق أن عرفته من أن الله تعالى ينادي المؤمنين بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمن حي، يسمع ويعي ويعمل؛ وذلك لكمال حياته] وإيمانه، فهو حي [وأن الكافر ميت، فلا يسمع نداء ولا يعي ما ينادى له، ولا يمثل ما يؤمر به أو ينهى عنه.

وأن الإيمان ليس مجرد قول: أنا مؤمن [فهذه سهلة، ولو كان المطلوب هذا لقالها أبو جهل سبعين مرة.
فالإيمان ليس دعوى بأن تقول: أنا مؤمن فقط] وإنما هو تصديق جازم قاطع بوجود الله [الحي القيوم] رباً وإلهاً]
بيده كل شيء وإليه ملكوت كل شيء، والذي يعبد ويُسبحه كل شيء [لا رب غيره ولا إله سواه] أي: أنه إله حق
ولا إله سواه، أي: معبود حق لا يعبد غيره.

قال: [وبملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر وبقضائه وقدره] فالإيمان الحق هو: التصديق الجازم بأركان الإيمان
الستة.

فالإيمان أركان يقوم عليها كالبناء.

وأركان الإيمان ستة أركان، وهي مذكورة في القرآن، خمسة منها في آية واحدة، وركن القضاء والقدر في سورة
القمر، فقد قال تعالى: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ [القمر:49].

وأما الخمسة الأركان فهي مذكورة في قول الله تعالى: لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ [البقرة:177].

وجاء الإيمان بيوم القيامة واليوم الآخر في عدة آيات.

وبين أعيننا دائماً حديث جبريل عليه السلام في صحيح مسلم، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً هنالك في
تلك الروضة ورجاله وأصحابه رضوان الله عليهم بين يديه، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً على
كرسي، وإذا برجل (شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد).

وهذا الحديث رواه عمر وانفرد به.

فجاء هذا الرجل الغريب في جماله وبهجته ونوره يشق الصفوف بدون أن يسألهم أن يفسحوا له، فتعجبوا منه، حتى
انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعيد في نهاية الحلقة في نهاية المسجد القديم، فانتهى إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجلس بين يديه (وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع يديه على فخذه).

ليعلمهم كيفية التلقي، وأما الجلوس هكذا أو الضحك فلا ينفع في التلقي، بل لا بد أن يعطي العلم جسمه كله ظاهراً
وباطناً؛ حتى يفهم.

ثم أخذ يسأل، فقال: (ما الإسلام يا محمد؟! قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن تقيم
الصلاة، وأن تؤتي الزكاة، وأن تصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت.
فعجبنا له يسأله ويصدقه).

وسبب تعجبهم: أن قوله هذا يدل على أنه عالم بهذا العلم، وإلا لما قال: صدقت.

ثم قال: (أخبرني عن الإيمان؟) وهذا هو محل الشاهد.

(قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره وشره.
قال: صدقت).

فعجبنا له يسأل ويصدقه؛ إذ كأنه يعلم هذا من قبل.

وصف النار والملائكة الموكلين بها

وهذا النداء أيضاً في بيان وصف النار، أعادنا الله وإياكم منها، وأعاد سائر المؤمنين والمؤمنات.
وسنعيد قراءة هذا النداء مرة أخرى، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحريم:6].
قال تعالى: وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ [التحريم:6].

ومعنى هذا: أن هذه النار التي تشتعل بليارات السنين ليس مادة وقودها البنزين ولا البترول، ولا الفحم الحجري، ولا
الفحم الصناعي، بل إنها تشتعل بأجسام البشر الكفرة، والأصنام التي عبدوها من دون الله، وكذلك الحجارة التي
عبدت تحرق أيضاً بالنار، فهؤلاء هم الوقود والمادة التي تنقد بها النار.

وأنتم تعرفون الآن الوقود في السيارة، وهذه النار وقودها الناس والحجارة.

ولفظ (الناس) يعني: المشركين الكافرين، الفاجرين الظالمين قطعاً، لا يعني الجنس البشري كله.

قال تعالى: عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ [التحريم:6].

هؤلاء الملائكة ليسوا بلياراً، ولا ملايين، بل إنهم تسعة عشر ملكاً فقط، وليسوا عشرين ولا واحد وعشرين، فقد قال تعالى: سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ [المدثر: 26-30].

فتعنتر أبو جهل وقال: يا معشر قريش! أنا أكفيكم سبعة عشر من التسعة عشر، وأنتم كلكم لا يغلبكم اثنان، فقال تعالى: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا [المدثر: 31].

فهذا المسكين لم يدر، وإن درى فهو يغالط؛ ليثبت مركزه بين الجاهلين، وإلا فالله يقول: وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ [المدثر: 31] هكذا إلا امتحاناً وفتنة للذين كفروا [المدثر: 31].

والسر في كونهم ملائكة وليسوا من الجن ولا من البشر: أنهم لو كانوا من الإنس فقد يجعلهم مقتضى التجانس يرحمون أو يخففون.

ولهذا لم يكونوا من الإنس ولا من الجن؛ وهذا حتى يعذب عالما الإنس والجن بأشد أنواع العذاب على أيدي ملائكة لا صلة لهم بهم، فلا يكون هناك رحمة ولا شفقة تنتجها الملة أو التجانس.

طاعة الله عز وجل موجبة لمحبتة تعالى لعبده، ورضاه عنه، وإدخاله جنته، ومعصيته سبحانه وتعالى موجبة لبغضه لهذا العبد، وسخطه عليه، وإدخاله النار، فمن أراد وقاية نفسه من النار والفوز بالجنة والرضوان فعليه أن يسلك سبيلها، وحمل كل من هو مسئول عنهم على ذلك، فكل إنسان راع ومسئول عن رعيته أمام الله. تابع وجوب وقاية النفس والأهل من النار بالإيمان وطاعة الله ورسوله

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمريتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

ما زلنا مع النداء التاسع والثمانين، وهو كما علمتم في وجوب وقاية النفس والأهل من النار، وذلك يتم بشيئين، وهما: الإيمان وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وهذا النداء أيضاً في بيان وصف النار، وقانا الله وإياكم حرها، وأبعدنا من ساحتها. آمين.

صفة النار والملائكة الموكلين بها

قال: [هل تدري] أيها السامع! أو القارئ! [ما وقود النار؟] والجواب: [إنه أجسام المعذبين، وحجارة الكبريت وأصنام المشركين] التي عبدت من دون الله.

وهذه الأصنام كثيرة، فالصليب اليوم في العالم بلا حساب، وكل نصراني عنده صليب، إما في سيارته وإما في عنقه وإما في حزام امرأته، وهذه الأصنام والأنصاب والصور هي مادة الوقود، والشمس اليوم ليس فيها فحم ولا حطب، ومع ذلك فدرجتها كما تعرف.

وقد أخبرنا خالق النار وموجدها أنها تشتغل بمادتين، أجسام المعذبين، والحجارة التي هي الأصنام والكبريت.

قال: [هل تدري ما الملائكة؟] جمع ملك [إنهم خلق يكفي في معرفة حقيقتهم وصف الله تعالى لهم بقوله: غَلاظُ [التحريم:6] جمع غليظ [شِدَادُ] [التحريم:6] جمع شديد.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ما بين كتفي أحدهم كما بين المشرق والمغرب، وقد روى أبو داود في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه يوماً: (أذن لي أن أحدث عن ملك رأسه ملوي تحت العرش، ورجلاه في تخوم الأرض السابعة).

ومع ذلك لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ [التحريم:6].

فإذا أصدر أمره إليهم لا يمكن أن يعصوه، ولا يعرفون المعصية.

قال: [وإذا كان عرض الكافر في النار] كما بين مكة وقديد، أي: [مائة وخمسة وثلاثين كيلو متراً] هذا فقط ما بين كتفيه [وضرسه كجبل أحد] والله، وهذا يتناسب مع هذا العرض [فكيف يكون الملك الموكل بعذابه؟!] فإذا كان أهل

النار هكذا، وهم بليارات فلا يتصور الملك [إنه فوق الوصف].

والملائكة الذين يديرون ذلك العالم الأبدى تسعة عشر ملكاً بعد الله تعالى لهم، فقد قال: عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ [المدثر:30].

فقولوا: آمنا بالله.

وقد أعلمتكم أنه ورد: (أن بين كتفيه كما بين المشرق والمغرب).

وورد أيضاً: (كما بين السماء والأرض).

ولا تضاد بين الخبرين.

قال: [فاذكر هذا وق نفسك وأهلك إن كان لك أهل] وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (اتقوا النار ولو بشق تمره).

وقوله: (اتقوا النار) أي: اجعلوا بينكم وبينها وقاية ولو بمثل تمره تتصدق بها.

فأمن إيماناً يحملك على أن تتقي هذا العذاب، واعمل صالح الأعمال.

واعرف ما هو الإيمان وحقيقه، واعرف صالح الأعمال وأدها على الوجه المطلوب، وابتعد عما يسيء إلى نفسك، ويلوثها من الباطل والسوء، عقيدة كان أو عملاً، وبذلك تتجو، وتكسب المعركة، وتتجح بإذن الله.

اللهم اجعلنا وإياكم من الناجحين.

[وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

بيان ما يفعله من أراد دخول الجنة دار السلام

قد يقول قائل: إن الشيخ يريد منا أن نترك التلفاز والفيديو، وألا نسمع الأغاني، ويريد منا أن نموت.

وكلمتي واحدة، فإذا كنتم تؤمنون بالعالم العلوي الجنة دار السلام، وقد ارتادها محمد عليه الصلاة والسلام، ونزل فوصفها، ووصفها الله قبله في كتابه، وأنتم عازمون أن تدخلوها فوالله لن تسمحوا لأنفسكم بأن تسمعوا باطلاً، أو تتطخوا به، أو تجالسوا أهله، أو تتحدثوا معهم أبداً، وإن كنتم لم تؤمنوا بقاء الله والدار الآخرة والجنة دار الأبرار فإن ذلك يحملك على أن تتعجلوا، فتشاهدوا التلفاز، وتسمعوا الأغاني، وأن تلهو ساعة.

وهناك من يجري في خاطره قول: هذا تشدد وتزمت وتعنت.

والجواب: والله الذي لا إله غيره إنه لا يحل لمؤمنة أن تشاهد رجلاً يغني من غير محارمها، ولا يحل لمؤمن تحت السماء أن يستمع إلى صوت امرأة تغني من غير أن تكون امرأته أو جاريته.

فهذا نظام حياتنا، وبهذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولن تقي نفسك وذريتك وأهلك من عذاب النار إلا باتباعه.

وأنت قد طلب إليك بل أمرت أن تقي نفسك وأهلك من النار، فلا تبج لهم ولا لنفسك أن تشاهد عواهر يرقصن في بيبتكم، ولا تشاهد رجال الفسق والكفر يلوحون بأيديهم ويتكلمون أمامك في بيبتك وهم كفر.

فهذا لا يجوز.

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يسمح لعائشة أن تعلق خرقة فيها صورة منسوجة نسيجاً، بل غضب واشتد غضبه، حتى قالت: أتوب إلى الله ورسوله، وسألت: ماذا فعلت؟ فقال: (يا عائشة ! إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة).

وإذا أصبح بيت المؤمن وبيت المسلم مأوى للشياطين وأخبث الجن رحلت الملائكة من ذلك البيت، وإذا رحلت الملائكة من هذا البيت فلن ينتج غير الخبث الفساد والباطل، والآثام والمنكرات.

بيان حقيقة العلم النافع

الذين استباحوا هذه المحرمات هم والله جهال، فالشيخ عبد العزيز بن باز ليس في بيته فيديو أو تلفاز يجلس أمامه هو وزوجاته وأولاده؛ لأنه عالم، يعلم حكم الله، والذي لا علم له ينكر عليك هذا القول، ويقول: ليس في مشاهدة التلفاز شيء؛ لأنه لا يعرف.

ونحن في مجلسنا هذا أعلمنا بالله أتقانا له، كما قال تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر:28].

وإذا أخرجنا هذا العبث في بيوتنا فلن نصاب بالفقر، ولن يحل بنا الوباء والمرض، بل نظهر ونكمل، ونصبح حقاً أولياء الله، ولكن علننا هي الجهل.

فهيّا نعلم ونتعلم.
والمدارس الآن في العالم الإسلامي بالملايين، وحتى القرى فيها مدارس والله، وحتى البنات يتعلمن، ولكن لا يوجد طهر ولا صفاء؛ لأن هذا العلم لم يطلب لله، وإنما طلب لغير الله.
وهذه العلة.
فالذي يطلب العلم لله، ويرحل من بلد إلى بلد يطلبه من أجل أن يعبد الله، ويتملقه ويتزلف إليه بمحابه فعلاً، وبمكاره تركاً يثمر له علمه الطهر والصفاء.
وأما الذي يطلب العلم للوظيفة أو للشهرة أو للسمعة أو ليقال: كذا فلن يعود عليه علمه بخير أبداً.
والبرهان والدليل على هذا: هذا العالم الإسلامي كله العربي والعجمي، فكله الآن مدارس، ولكنه لا يوجد العمل الصالح، ولا الجماعة المسلمة المتحابّة، ولا التعاون على البر والتقوى، ولا توجد مظاهر لهذا العلم.
والعلة هي: أن هذا العلم قد طلب لغير الله، إلا من ندر، فتجد الرجل يبعث ولده ويقول له: تعلم لتكون كذا وكذا.
وزادوا المحنة أيضاً للبت، فقالوا لها: تعلمي لتصبحي كذا وكذا.
ولهذا إن لم يتدارك الله هذه الأمة فإن عاقبتها ستكون عاقبة سوء.
وقد صاح فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (النجاة النجاة!).
فاطلب النجاة لنفسك يا عبد الله!
تربية الأهل بتشويقهم إلى الجنة وتخويفهم النار

قال: [وذكرهم] يا أيها القارئ الكريم! يا صاحب النداءات! [بالجنة ونعيمها، وخوفهم من النار وعذابها] فذكر أهلك بالجنة ونعيمها؛ حتى تتوق إليها أرواحهم، وتعشقها نفوسهم، فيطلبونها بسهر الليل وقيام النهار، وفي الرباط في ثكنات جيش الإسلام لحماية لدين الله وعباده، وخوفهم من عذاب النار، بين لهم ما فيها من أنواع الشقاء، وصنوف البلاء، وبروج العذاب الدائم السرمدي الأبدى [وقرأ عليهم هذا النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحریم:6]] وإذا حفظت هذا النداء ووعيت وفهمت مراد الله منه وطبقته فهذا والله خير لك من أن تعطى ما على الأرض من حطامها الفاني.
والعوامل والأسباب والأدوات والآلات التي تقي بها نفسك وأهلك من النار: طاعة الله ورسوله بفعل الأوامر وترك النواهي.
رؤيا

قال: [ذكرهم برؤيا] منامية.
وبعض ضعاف الإرادة يقولون: ليس لهذا الشيء أهمية.
وأقول: أهمية هذا حتى إذا رأيت عبداً يحب الله ورسوله تحبه، وتصدقه في كل ما يقول.
وهذا نظام حياتنا.
وهذه الرؤيا [رآها عبد صالح] إن شاء الله، فقد رأينا يقيم الصلاة ويذكر الله ويوحده، ولذلك قلنا: عبد صالح [وهو الشيخ محمد السالك]، فقد بعث بها إلي [في خطاب بهذه الرؤيا قبل أن أكتب هذه النداءات أو أثناء الكتابة] فذكر فيها أنه دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم محمر الوجه [وهو في بيته، وقد صدقنا الرؤيا؛ لأنه سبقت له رؤى رآها، وكانت والله لحق، ومن هذه: الرؤيا التي رآها لخدام الحرمين وإخوانه في هذا المسجد.
فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بالمؤمنين في البناية الجديدة، وذلك لما أشاع المبطلون أن هذا الزيادة لا تصح فيها الصلاة؛ لأنها اغتصبت وأخذ لها بيوت المؤمنين، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بالمؤمنين في هذه الزيادة! ومنها: أنها رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في الروضة، وسأله سائل فقال له: هذا الشيخ الجزائري يقولون فيه: عميل .. ذنب .. حذاء الحكام، كما يقول الشيعة، فقال: اسمع الشيخ الجزائري رجل حكيم.
وهذه والله لكلمة حق، فالحكيم هو الذي يضع الشيء في موضعه، ولا يتكلم بالعاطفة ولا بالنزغات والنزعات البشرية، وإنما يدور مع الحق حيث دار.
وكانت له رؤى عظيمة.

وقد بشرنا بهذه الرؤيا، فكتبناها في الكتاب، فمن رضىها فيها ونعمت، ومن سخطها فيها ونعمت مرتين، ولا يضرنا ولا ينفعا.

قال: [وقرأ هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [التحریم:6] ... إلى قوله: يُؤْمَرُونَ [التحریم:6]] ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم اليوم موجوداً بيننا والله لما تجاوز هذه الكلمة؛ لأن الأمة قد هبطت، وأصبحت تقترب من الهاوية؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم ينصح لها بهذه الجملة الإلهية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا [التحریم:6]. فعجلوا واتركوا الربا والزنا، واتركوا الغش والخداع، وأقيموا الصلاة، ومروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر، وتحابوا وتوالوا، وتجمعوا ولا تختلفوا.

وهذه هي الموجبات للنجاة من النار، ولكن هبطنا تماماً.

قال: [ثم قال: (ويتوب الله على من تاب)] وهذه من جملة الرؤيا. فقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم الآية، ثم قال: (ويتوب الله على من تاب). وهذا حق.

وحاشا لله أن يتوب عبده ويرفضه، بل ما من عبد يتوب إلا تاب الله عليه، أي: إلا قبل توبته ورضيها. وإياك أن تقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم ما قال هذا، فقد أخبرنا أن من رآه في المنام فقد رآه حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل به، فقال: (من رآني منكم فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل بي)، أي: لا يستطيع الشيطان أن يظهر في صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبداً، ولا يقدر على هذا. وقد كان عمر إذا مشى في الطريق لا يمشي معه الشيطان والله، ولا يستطيع ذلك. ورسول الله صلى الله عليه وسلم من باب أولى. كيفية وقاية الأهل من النار

قال: [واعلم أن وقاية الأهل تكون بأمرهم] أولاً [بإقام الصلاة] فيجب على كل مؤمن تحته أهل -زوجة وولد- أن يقيم الصلاة بينهم، وأن يجعلهم من مقيمي الصلاة، ولا يرضى ولا يسكت أبداً إذا كان في البيت من لا يقيم الصلاة. [و] ثانياً [الصيام] ويأمرهم بصيام رمضان، ولا يسمح لزوجة ولا لابن ولا لبنت ولا لأخ ولا لمن معه في البيت ألا يصوم ما فرض الله عليه من الصيام.

ولم نذكر الزكاة ولا الحج ولا الجهاد؛ لأنهم أطفال صغار ونساء.

فالمهم هو أن يتعلموا الصلاة والصيام؛ إذ يوجد الآن بين أفراد بعض العائلات شباناً لا يصومون، بل يتمردون ويأكلون في رمضان في أماكن خفية، وأما الصلاة لا تسأل.

[و] ثالثاً [ترك المحرمات] من قول أو عمل أو اعتقاد، ويراقب أهله في ذلك، ولا يسمح لهم أن يرتكبوا المحرمات [من الكذب] فلا تسمع من ابنك أو ابنتك كذبة، أو ترضاها منهما، أو تسكت عنها، بل علمهما الصدق، وتحدث معهما بالصدق، وورث فيهما الصدق؛ حتى لا يخرجان عن دائرة الصدق في أقولهما وأعمالهما [و] كذلك علمهما ترك [قول الباطل] وهو كل كلمة أو حكاية باطلة.

فالكلام الباطل هو الذي ليس بحق.

فينبغي ألا تسمح لأهل بيتك أن ينطقوا به.

ومن الباطل المجلات التي تنتشر الدعارة على علم، كمجلة سيدتي، وما إلى ذلك، أو التي تنتشر الصور الخليعة.

فلا يشتري الفحل لابنته وامراته الكلام الباطل، ولا يشتريه حتى له ثم يتركه بين أيديهم.

هذا هو المطلوب.

قال: [وسماعه] أي: وسماع الباطل سواء بواسطة التلفاز أو الفيديو أو الشريط.

وأيام أن هبطنا بسرعة كانت هناك والله جهات وقد انهدت وكانت بجوار باب المجيدي وكنت تشاهد فيها دكاناً والله كله أشرطة أغان من السقف إلى الأرض، فتعجب وتحترق من هذا المشهد، في حين أن الأغاني لا يشتريها مسلم، بل لا يشتريها إلا كافر.

وقد صرخنا، والحمد لله فقد نفع صراخنا هذا، والله الحمد.

ولهذا لا حيلة لإنقاذ هذه الأمة إلا أن ننطق كلنا بكلمة الحق في أي مكان كنا.

ومن المحرمات كذلك: شهادة الزور والخيانة، والغش والباطل، والنميمة والغيبة، والسب والشتم، والسرقه، فضلاً عن الزنا والربا وأكل لحوم الناس.

فقول الباطل حرام، وسماعه والتلذذ به حرام أيضاً.

[و] كذلك يأمرهم [بذكر الله بالقلب واللسان] أي: يأمر أولاده وأمههم معهم بذكر الله، ويعلمهم الأوراد الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الصلوات، وعند النوم وعند الاستيقاظ من النوم، ويعلمهم أن يذكروا الله بقلوبهم، وألا ينسوا ربهم، فهم عبيده إمؤه، ومخلوقون له، ولا سعادة لهم إلا بذكره، والعيش على عبادته. وينميهم على حب الله وطاعته.

قال: [والبعد عن اللهو الحرام، كسماع الأغاني، والنظر إلى صور الفيديو والتلفاز] وأما الدخان فقد رأيناهم والله يستوردون سجاثر حلوى في باب المجيدي، ورأسها مذهب كالسيجارة الأمريكية، وهي حلوى تباع بربع ريال أو بقرش.

وكان الأولاد يخرجون من المدرسة ساعة الفسحة فتجد في أيديهم سيجارة الحلوى.

والذي يورد هذه في مدينة الرسول عبارة عن كلب.

وهو يورد هذه لأبناء المسلمين ليربيهم ويعلمهم التدخين؛ من أجل ريال أو عشرة، ويبيع دينه وملته وأمه، ويحرق بلاده.

ولا تلو موهم؛ لأنهم والله ما عرفوا.

وقد قال تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [فاطر:28].

وقد كان أحدهم يمر بالحلقة في المسجد النبوي أربعين سنة ولا يجلس فيها، ولذلك لم يتعلم، ولهذا لم يعرف الله حتى يحبه ويخافه.

قال: [ولعب الورق، ومجالس اللغو] واللهو.

ومجالس اللغو لا تنتج حسنة للدار الآخرة، ولا درهماً للدار الدنيا.

وقد ذكر تعالى أن من صفات المؤمنين الناجين: وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ [المؤمنون:3].

وقال: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ [القصص:55].

ومعنى أعرضوا عنه أي: أعطوه عرضهم، ولم يلتفتوا إليه.

وحد اللغو أنه: كل قول أو عمل أو تفكير لا ينتج لك حسنة لمعادك يوم القيامة، ولا درهماً لمعاشك اليوم. هذا هو اللغو.

ولو عرفنا هذه وضبطناها وطبقناها غداً والله لتغير نظام حياتنا.

فقد وصف الله تعالى أهل الجنة بقوله: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ [المؤمنون:1-3].

وقال في عباد الرحمن: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ [القصص:55].

واللغو هو: كل قول أو عمل أو تفكير لا ينتج لك حسنة لمعادك.

والمراد بالمعاد: يوم القيامة، حيث نعود كما كنا أحياء.

وكذلك لا ينتج لك درهماً لمعاشك.

فذلكم والله هو اللغو.

فلا تتحدث حديثاً لا ينتج لك حسنة ولا ينتج لك درهماً.

فإن كان ينتج لك حسنة تكلم وأطل، وإن كان لا ينتج لك درهماً لمعاشك تكلم، وإن لم ينتج هذا ولا هذا فهو اللغو الذي يجب أن نعرض عنه.

فلا نضيع وقتنا ولا فكرنا ولا همنا في شيء لا ينفعنا.

ولو تعلم أهل المدينة وأهل القرية هذا المبدأ فقط والله لتغير نظام حياتنا، وانتهى الباطل كله.

ولكنهم شاردون هاربون، ولذلك فلن يتعلموا.

قال: [والكلام السيئ، وما إلى ذلك] وهذه ضخمة وكبيرة وعظيمة.

والكلام السيئ هو الذي يسيء إلى غيرك، فأى كلمة تحدث سوءاً فيك أو في غيرك فينبغي ألا تقال، بل يجب أن نربي الولد ألا ينطق بها.

ولو كان الآباء يشهدون هذه المجالس طول حياتهم لما عانوا ولا تعبوا والله أبدأ، ولكن أهلوهم مثلهم يقيمون الصلاة ويعبدون الله، لا يسمعون باطلاً، ولا يشاهدون المنكر، ولا ينطقون ببذاءة ولا بسوء، وأسوتهم في ذلك والدهم. ولكن إذا كان الأب هو الذي يسمع الباطل ويشاهده فإذا قال لأولاده: غضوا أبصاركم، ولا تنظروا، وهو ينظر ببصره فإنهم يضحكون منه، ويسخرون منه. معنى المعصية

انتهينا في الشرح إلى هذه الجمل الطيبة، وهي: [وكذلك إذا نهى الله تعالى أو نهى رسوله صلى الله عليه وسلم عن قول أو عمل، فمن قال المنهي عنه أو فعله فقد عصى، وقوله وفعله لما نهى عنه معصية] وهذا هو تعريف المعصية.

وأما الطاعة فهي: أن يمتثل العبد أو الأمة أمر الله باعتقاد شيء أو قوله أو فعله. وأما المعصية فهي: ضد الطاعة، وهي: أن ينهى الله عز وجل عبده عن قول أو اعتقاد أو فعل فيعصيه ويفعله. فإذا أمره بأن يفعل أو يعتقد فلم يستجب ولم يمتثل فقد عصى.

والطاعة والمعصية ضدان، فمن أطاع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم يعصهما تأهل لدخول الجنة دار السلام بعد النجاة الكاملة من النار؛ لأن هذه هي الوقاية المطلوبة الله عز وجل في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ [التحریم:6].

فقد أمر الله في هذا النداء بأن نتقي النار، وبأن نقي أهلينا من النار. وهذه الوقاية تكون بطاعة الله وطاعة الرسول بعد الإيمان الصادق بالله؛ لأن طاعة الله ورسوله تزكي الأنفس وتطهرها، وتجعلها كأرواح الملائكة أهل الملكوت الأعلى، ولذلك تقبل منا في دار السلام.

وقد صدر حكم الله في هذه القضية، فقد قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10]، أي: أفلح عبد زكى نفسه. كيفية تزكية النفس

لا تكون تزكية النفس بالمفاخرة والمباهاة، كأن يقول: أنا أقيم الصلاة .. أنا أربط في سبيل الله .. أنا أنفق الملايين. فهذه تزكية محرمة، فقد قال تعالى: فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى [النجم:32].

وإنما التزكية المطلوبة: تصفية النفس وتطهيرها من أضرار الذنوب والآثام، وذلك بالإيمان وصالح الأعمال، مع اجتناب الشرك والمعاصي، حتى تصبح النفس البشرية كأفئس أهل السماء والملكوت الأعلى، وحينئذ فلن ترد أو تصرف عن دار السلام.

حكم معرفة أوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم ونواهيهما

قال: [وعلى هذا فالوقاية للنفس والأهل من زوجة أو ولد تكون بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بعد الإيمان الصحيح.

وهنا يجب على العبد [أو الأمة - كأمي وأمهاتكم- فذكراننا عبيد، وإنائنا إماء، والمالك واحد، وهو الله. ومهما كان الرجل قد سما فينا فإنه لا يزل عبداً لله، ومهما ارتفعت المرأة وسمت وأصبحت تحمل ألف شهادة عالية فهي ما زالت أمة الله، وليس أحد منا إلا عبد أو أمة.

فعلى هذا العبد أو الأمة [أن يعرف أوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم، ويعلمهما أهله] ويعرف ما نهى الله عنه ورسوله، ويعلم ذلك أهله؛ حتى يقي نفسه وأهله من النار؛ لأن الوقاية لا تكون إلا بفعل المأمور وترك المنهي، والذي لا يعرف أوامر الله ولا نواهيها لا يمكنه أن يطيعه [إذ من غير المعقول أن نطيع ونحن لا نعرف فيما نطيع، أو نعصي ونحن لا نعرف فيما نعصي] ومن هنا فيجب على المسلمين أن يتعلموا الكتاب والحكمة، ويجب على المسلمين كي يزكوا أنفسهم أن يعرفوا ما يزكون به أنفسهم.

وطريق هذا معروف، فقد سنها رسول الله، وسلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعلى أهل القرية سواء كانوا ألفاً أو ألفين أن يفيقوا من سكرتهم، وأن يعاهدوا الله تعالى ألا يفارقوا بيته كل ليلة وطول العمر من المغرب إلى العشاء.

فتجلس النساء وراء الستارة، والأطفال دونهن، والفحول أمامهم، وبين أيديهم من يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعلى أهل الأحياء في المدن أن يتعهدوا لله ألا يراهم بعد أذان المغرب في غير بيته بنسائهم وأطفالهم، ولا تفرعوا ولا تخافوا ولا تقولوا: ستتعطل الحياة بهذا، فكل هذا والله كذب وهراء، والحياة لن تتعطل من أجل ساعة ونصف نرتقي فيها إلى الملكوت الأعلى.

ونتعلم في هذه الساعة والنصف ليلة آية وأخرى حديثاً، وهكذا طول العمر.

ووالله لن يبقى بين المسلمين جاهل أو جاهلة.

وإذا لم يبق جاهل ولا جاهلة لم يبق الخبث ولا الظلم، ولا الشر ولا الفساد أبداً، بل يصبحون كأهل السماء في طهرهم وصفائهم.

ووالله ما وجدت مانعاً يمنعنا من هذا.

إلا لو كنا تحت الحكم السوفيتي الشيوعي أيام كان حاكماً؛ لأنه قد يحرق علينا المسجد الذي نجتمع فيه، وليس هناك مانع غير هذا.

بل إن الجاليات في أوروبا أو في الصين أو في اليابان أو في أمريكا أو في أي بلد أحرار، يمكنهم أن يجتمعوا في بيت ربهم، فضلاً عن بلاد المسلمين، فيمكنهم أن يجتمعوا اجتماعنا هذا، ولن يفقدوا أو يخسروا شيئاً، ولن يصيبنا شيء ونحن في بيت ربنا؟ وخلاصة القول: أن على من يطلب الجنة أن يطلب المفتاح الموصل إليها والذي يفتحها له، وذلك بأن يزكي نفسه ويطهرها، فقد قال تعالى: **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** [الشمس: 9-10].

ولا يرد على الله أحد في هذا، ولن يعقب على هذا الحكم أحد بأي استثناء.

وقد أقسم الله على هذا الحكم عدة أقسام لم نرها في القرآن إلا هنا.

وبعد هذا تجد من يعيش أربعين سنة في قرية ولا يسأل عالماً كيف يتوضأ، أو من يعيش ستين سنة تاجراً في مقهى أو في دكان ولا يسأل عن أحكام البيع.

وهذا حال أغلب هذه الأمة، فـ (75%) لا يعرفون الله، ولا يسألون عنه.

ونحن نصرخ ونبكي.

فقد صدر الأمر **قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** [التحريم: 6].

والوقاية تكون بإيمان صحيح، بحيث إذا عرضته على القرآن صدق عليه، وقال: أنت مؤمن، وتكون بعمل صالح يلزمك وتلازمه، حتى لا يبقى في النفس درن ولا إثم ولا وسخ حتى الموت.

ولا بد لهذا العمل من أن يعرف العبد أوامر الله، وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم، ويعلمها أهله؛ حتى يقيهم من عذاب النار.

قال: [إذا: فالعلم العلم! فإنه ضروري] ولا بد [وإلا فلا وقاية من النار] أبداً [فاذكر هذا أيها القارئ!] والمستمع! واعلم أن وقاية النفس تكون بفعل الأمر وترك المنهي بعد الإيمان.

ينادي الله عز وجل عباده المؤمنين داعياً إياهم إلى المسارعة إلى التوبة النصوح، رجاء أن يكفر عنهم ربهم سيئاتهم، ويدخلهم في رضوانه وجنته، فيسعدوا ويكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، وهذا هو الفوز العظيم.

وجوب التوبة النصوح من كل ذنب على الفور رجاء مغفرة الذنوب ودخول الجنة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زمريتهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

هذا هو مع النداء الأخير من نداءات الله عز وجل لعباده المؤمنين، وهو [النداء التسعون] وهذا النداء هو [في وجوب التوبة من كل ذنب، وعلى الفور، وأن تكون التوبة نصوحاً؛ رجاء مغفرة الذنوب ودخول الجنة] دار الأبرار.

وهذا النداء هو [الآية (8) من سورة التحريم] وليس بعد هذا النداء نداء.

فهيا بنا تتغنى بدقائق بهذا النداء الكريم.

قال: [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحريم: 8]].

طريق النجاة

طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وهم اليوم مشغولون في المصانع والمزارع والمتاجر، ولا يطلبون العلم.

ونقول لهم: إن أعداءكم رجالاً الغرب الذين تقتدون بهم إذا مالت الشمس إلى الغروب ودخلت الساعة السادسة أوقفوا دولا العمل في المصانع والمتاجر والمزارع، وحملوا أطفالهم ونساءهم إلى دور السينما والملاهي، والمقاصف والملاعب إلى نصف الليل.

وأنتم يا من تعشقون دار السلام وتريدون أن تتبوعوا فراديسها تعجزون عن أن تجلسوا ساعة ونصفاً فقط في بيت الله بنسائكم وأطفالكم، تتلقون الكتاب والحكمة؛ لتعلموا وترتقوا، وتصبحوا أولياء الله بحق، وتقولون: لم نتعود على هذا يا شيخ! وبعد ذلك تطمعون في دار السلام.

ونحن إلى الآن نصرخ.

ولم يبلغنا أن أهل قرية أخذوا بهذا المبدأ الإسلامي المحمدي، وأخذوا يجتمعون عليه، ولو بلغنا هذا لذهبنا إليهم نحبيهم، ونشاهد النور الذي فيهم.

فلو أن أهل قرية عددهم ألفان أو ثلاثة آلاف نسمة التزموا بوقف دولا العمل بمجرد أن تدق الساعة السادسة، وأغلق صاحب المقهى مقهاه، وأغلق صاحب الدكان دكانه، وأوقف صاحب المزرعة عمله ورمى مسحاته، وحمل

الكل أطفالهم ونساءهم إن كانت المسافة بعيدة أو يأتوا بهم على أرجلهم إلى بيت الرب تعالى، واجتمعوا فيه كاجتماعنا هذا، ويتعلمون ليلة آية وليلة حديثاً، ثم يصلون العشاء ويعودون إلى بيوتهم فكانت النتيجة والله أن يتوفر المال؛ لأن أكثر من يفسد المال في العبث هم الجاهلون الضالون، ويذهب الشح والحرص والبخل، وتنتهي السرقة والغش والخداع، وتنتهي مظاهر الباطل والشر، ويصبح أهل القرية كأنهم أسرة واحدة، بل يصبحون والله أكمل وأطيب وأطهر.

وهذا لا يكلفنا شيئاً حتى نقول: لا نستطيع.

وهكذا تربى أصحاب رسول الله الذين قال فيهم: (خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم).

وهم لم يدرسوا في جامعات أمريكا ولا الاتحاد السوفيتي.

بل مع إنهم والله لم تكن عين الوجود بأمة أطهر ولا أعدل ولا أرحم منهم فقد كانوا لا يحملون حتى الشهادة الابتدائية، ولكنهم تعلموا فقط كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد قال الله: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة:2].
الجاهل لا يكون ولياً

سبق أن علمنا وعرفنا وكررنا: أن الذي لا يعرف لا يمكن أن يكون ولياً لله، ومن المستحيل أن يكون الجاهل ولياً لله؛ لأن الله يغضب إذا أغضبه، وإن كنت تعاكسه يوماً فلن يرضى عنك، والذي لا يعرف ما يحب الله ولا ما يكره الله فلن يصبح ولي لله، بل لن يصبح إلا عدواً لله؛ لأنه قد يفعل ما يكره الله وهو لا يدري، ويترك ما يحب الله وهو لا يدري، ولن يزال يخلط ويتخبط حتى يلفظه الله ويطرده من رحمته.

ولهذا قال العلماء: ما اتخذ الله ولياً جاهلاً إلا علمه، فإذا أراد الله أن يتخذك ولياً وأنت جاهل فلا بد وأن يعلمك؛ حتى يحبك وتحبه.

وأما الجاهل الذي لا يفرق بين الكوع والبوع فلن يصبح ولياً لله، ولا يمكن أن يقع هذا.

وقد تقرر عندنا هذا الكلام من قبل.

الحث على التوبة النصوح

قال: [وقد ناداهم سبحانه وتعالى في هذا النداء الأخير، ناداهم ليأمرهم بالتوبة إليه سبحانه وتعالى؛ إذ قال وقوله الحق وله الملك وهو على كل شيء قدير: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا [التحريم:8]، أي: ارجعوا إليه] أي: توبوا إليه [بذكره] بالقلب واللسان [وشكره] بالطاعات [وحسن عبادته] وتجويدها وإتقانها وإحسانها، وبهذا نعود إلى الله عز وجل [رجوعاً صادقاً].

وعلة الحياة وسر الوجود: ذكر الله وشكره.

ولو جمعتم علماء الدنيا كلهم وسألتموهم عن علة خلق الحياة بكاملها لचारوا في الجواب والله، ولو مكثوا مليون سنة فوالله لن يعرفوا هذا.

وقد عرفنا نحن لأن الخالق هو الذي علمنا سر خلقه، ولا أحد أعلم من الله، وقد قال: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات:56].

فهو لما أراد أن يذكر ويشكر خلق الكون كله وأعده، وخلق آدم وحواء ومنهما كانت هذه البشرية، وسر ذلك: أن الله أراد أن يذكر في هذا الكون ويشكر، فأوجد الكون كالمائدة، وأوجد الضيف ليأكل منها ويشرب.

فسر الحياة: الذكر والشكر.

وعندنا ملحوظة يجهلها البشر، وهي: أنه قد يقول متفلسف: إن ربكم ليس عنده عدالة؛ لأن عبده يعصيه مائتي سنة أو ثلاث مائة سنة وربه يخلده في العذاب مليارات السنين، فهو ليس عادلاً.

والجواب: إن الذي لم يعبد الله جل جلاله وعظم سلطانه بفعل ما أوجب وترك ما حرم جريمته أنه نفس الكون كله - علويه وسفليه، حتى الجنة والنار، والسموات الأكوان كلها، والذي ينسف فقط إقليماً كاملاً ويدمره فأنتم تسجنونه السجن المؤبد، والذي ينسف الأكوان كلها جريمته أعظم.

والأكوان كلها خلقت من أجل أن يذكر الله ويشكر، فرفض هذا المجرم، فكانت جريمته كجريمة من دمر الكون كله، ولهذا يعذب بلا نهاية، وهذا لا يكفيهِ أيضاً.

فارجعوا إلى الله بذكره وشكره وحسن عبادته رجوعاً صادقاً [أنتم فيه ناصحون لأنفسكم غير خادعين لها، ولا غاشين؛ إذ من الخداع للنفس والغش لها أن يقلع العبد عن الذنب، فتطهر نفسه اليوم، ثم يعاود الذنب] غداً [ويرجع إليه، فيعظم خبث النفس ويكثر] ومن الخداع للنفس والغش لها أن يقع العبد في حفرة من القبيح والدماء ثم يخرج منها يبكي نادماً مستغفراً إلى الحمام، ويتنظف بالماء الصابون حتى يصبح أنظف ما يكون، ثم بعد يوم أو يومين أو ثلاثة أيام يغمس رأسه في حفرة العذرة مرة أخرى.

وليس هذا حال الأدمي العاقل الناصح لنفسه، بل هذا هو حال الغاش لنفسه. وقد قال تعالى: تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا [التحریم:8] [إذ التوبة النصوح هي: التي لا يعود العبد إلى الذنب الذي تاب منه، ولا يرجع إليه أبداً، كما لا يرجع] ويعود [اللبن في الضرع بعد حلبه منه] فإذا حلب المرء من ضرع شاته أو بقرته حلبياً لم يستطع أن يرجعه إلى ثديها، ولا يمكنه ذلك ولو بالإبرة، ولو كان طبيباً، فهذا مستحيل. التوبة من حيث هي: الإقلاع عن الذنب، والندم عليه، وعدم الرجوع إليه.

وأما التوبة النصوح فهي: التي لا يعاود العبد فيها الذنب أبداً كما لا يعود الحليب إلى الضرع، ولو قطع أو صلب أو حرق لم يعود.

والذي دعانا إلى هذا هو مولانا، فقد قال: تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا [التحریم:8]. قال: [وإليك أيها القارئ الكريم! قائمة بمحابب الله تعالى وأخرى بمكارهه؛ لتفعل المحبوب بشرطه، وتترك المكروه بشرطه].

ثمرة طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

يقول الله عز وجل: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ [النساء:69].

ونحن لم نعرف هذه الطاعة بعد.

وطاعة الله هي: إذا أمرنا أن نقول فنقول، وإذا أمرنا أن نسكت فنسكت، وإذا قال: صوموا صمنا، وإذا قال: افطروا أفطروا، وإذا قال: لا تسب مؤمناً فلا تسبه أبداً.

وهذه الطاعة تنتج وتولد لك نوراً في قلبك، وزكاة في روحك، فإذا زكى وطاب أصبح أهلاً لأن يجالس النبيين، ويواكب الصديقين والشهداء والصالحين، ومن كانت روحه خبيثة فوالله ما كان لينزل هذه الدار ولو كان ابن النبي أو كان والد النبي، وأقسم بالله على هذا؛ لأن هذا حكم الله صدر، وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ [الرعد:41]. ولا استئناف ولا مراجعة.

وحكم الله الصادر على البشرية هو قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

ولن يستطيع من تحت السماء أن يرد هذا القول، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

والنفس تزكو وتتدسى، كالثوب ينظف ويطيب ويطهر، ويخبث ويسود ويتعفن بحسب ما تضع عليه.

وسنن الله والله ما تتبدل، ولا تقبل التحويل ولا التبديل.

وأهل هذا الدرس يعرفون من هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، ولكن أهل المقاهي والكرة لا يعرفون هذا.

الصالحون ليسوا بني العباس، وإنما هم الذين يؤدون فرائض الله كاملة، ولا ينقصوا منها شيئاً، ويؤدوا حقوق الخلق كاملة، ولا ينقصوا منها شيئاً.

هؤلاء هم الصالحون، اللهم اجعلنا منهم.

آمين.

فإذا كنت راغباً في صحبتهم والنزول معهم في دار السلام فأد حقوق الله ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وأد حقوق العباد الواجبة لهم عليك، ومنها: السلام عليهم، وحبهم، وعدم بغضهم، ورفع الأذى عنهم، وتسليم حقوقهم، وهكذا.

فإذا أديت حقوق العباد فإنك تصبح صالحاً في الصالحين.

وها هو سليمان عليه السلام يقول: وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ [النمل:19].

فمن أراد أن يدخل معهم فيلازمهم في الحياة، ولا يهجرهم ويجالس الفاسدين فينتقل إلى محنتهم.

سبب نداء الله لعباده بقوله: (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ...)

قال: [الشرح: اعلم أيها القارئ الكريم! أن هذا آخر نداء من نداءات الرحمن جل جلاله، وعظم سلطانه في كتابه العزيز القرآن الكريم.

ناداهم [ونحن إن شاء الله منهم] إكراماً لهم وإنعاماً عليهم؛ ليأمرهم بما يزكي أنفسهم، ويطهر أرواحهم [وقد علمنا وحفظنا وفهمنا أن الله تعالى لا ينادي عباده للهو ولا للباطل، ولا للغى، ولا لشيء من هذا، وحاشاه تعالى، وهو منزّه عن هذا، وإنما يناديهم لواحدة من أربع: إما ليأمرهم بفعل أو قول أو اعتقاد شيء من شأنه أن يزكي أنفسهم ويطهرها إن هم فعلوه على الوجه المطلوب، أو يناديهم لينهاهم عن فعل أو قول أو اعتقاد ما من شأنه أن يخبث أرواحهم ويلوث نفوسهم، أو يناديهم ليبشّرهم إن هم عملوا، أو لينذرهم إن هم تركوا، أو ليعلمهم؛ إذ العلم هو سلم الرقي ومفتاح دار السعادة.

وهو هنا تعالى يناديهم في هذا النداء [إكراماً لهم، وإنعاماً عليهم، ليأمرهم بما يزكي أنفسهم، ويطهر أرواحهم] أولاً [ولينهاهم عما يخبث أرواحهم، ويدسي نفوسهم؛ إذ بطهرهم يتأهلون] أي: يصبحون أهلاً [للنزول بدار السلام] والله تعالى يقول في سورة يونس: وَاللّٰهُ يَدْعُوْا اِلَى دَارِ السَّلَامِ [يونس:25]، أي: يدعوا عبده وإمائه إلى دار السلام [حيث النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون، إذ أخبر تعالى به في قوله من سورة النساء: وَمَنْ يُطِيعِ اللّٰهَ وَالرَّسُوْلَ قَاُولُكَ] [النساء:69] [أي: المطيعون] مَعَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ وَالصَّدِّیْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِيْنَ وَحَسُنَ اُوْلٰئِكَ رَفِیْقًا * ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّٰهِ وَكَفٰی بِاللّٰهِ عَلِیْمًا [النساء:69-70] [وإن نسينا شيئاً فلن ننسى هذه الآية، فنحن نكررها طول العام.

فلا ينبغي أن تنسى.

والمراد بالرسول في قوله: وَمَنْ يُطِيعِ اللّٰهَ وَالرَّسُوْلَ [النساء:69] محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن لفظ من ألفاظ العموم.

فقوله: وَمَنْ [النساء:69] رجل أو امرأة، أو سلطان أو عبد، أو فقير أو غني، أو في الأولين أو في الآخرين يُطِيعِ اللّٰهَ وَالرَّسُوْلَ قَاُولُكَ [النساء:69]، أي المطيعون، مَعَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ [النساء:69]. وهؤلاء الذين أنعم الله عليهم هم: النَّبِيِّيْنَ وَالصَّدِّیْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِيْنَ [النساء:69]. أربعة مواكب.

وقد بلغني أنكم الليلة تستعدون لتسهروا على رؤية مباراة للكرة، وأنا أنصح لكم أن تناموا بعد صلاة العشاء، وتقوموا آخر الليل قبل الأذان الثاني بنصف ساعة تصلون ركعتين، فهي خير لكم من الدنيا وما فيها.

وإذا بتم تشاهدون فإن مشاهدتكم لن تعين إخوانكم على الغلبة والنصر.

إلا إذا كان هناك لا سلكي أو سيارات خاصة وبمجرد ما تعكفون نحو التلفاز تشاهدون ترتفع معنويات إخوانكم إلى قمة الكمال ويصبحون كالأسود يهزمون من أمامهم فهنا نقول: في سبيل عزكم اسهروا الليلة، ولكنه لا يتحقق من هذا شيء.

بل أنكم تتركون ذكر الله، ولن يذكر الله منكم أحد وأنتم تشاهدون، ثم يغلبكم النوم فتنامون، ولن يصلي الصبح أحد إلا من شاء الله.

وبهذا تكونون قد خسرتم، فاعرفوا هذا.

من الأعمال التي يحبها الله عز وجل

[قائمة المحبوب لله عز وجل] وليعرف الذي لا يحفظ ما في هذا القائمة والله أنه لاصق بالأرض، وأنه ليس له هم بولاية ولا قصد له فيها، وأنه لن يكون ولي الله.

ولا تقولوا: دعنا يا شيخ! كما كان عليه آبائنا وأجدادنا، فالحازم المؤمن يقيناً لا يقول هذا.

فهذه القائمة فيها محاب الله، أي: ما يحبه الله عز وجل، وأمر عبده به؛ لتتحقق ولايته له.

ثالثاً: إيتاء الزكاة

[ثالثاً: إيتاء الزكاة] مما يحبه الله [متى وجبت عليك لملكك مالا صامتاً، كالدراهم والدنانير، والحبوب والثمار، أو ناطقاً كالأنعام من الإبل والبقر والغنم، وبلغ مالك نصاباً، وحال الحول عليه إن كان غير الحبوب والثمار] فإن كانت زكاتك تجب في رمضان وأنت الآن في محرم فهي ليست واجبة عليك الآن. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وسلم. ثانياً: إقام الصلاة

[ثانياً] من محاب الله: [إقام الصلاة] ولو لم يكن الله يحبها لما أمر بها؛ لأن الله لا يأمر إلا بفعل شيء يحبه. وقد أمر هنا بإقام الصلاة [بأن تؤديها] يا عبد الله! [في بيوت الله مع جماعة المسلمين] وقد بنيت بيوت الله من أجل الصلاة فيها.

فلا يصلين مسلم في غير بيت الله إلا من كان ذا عذر، وهو الخوف أو المرض، فقد حصر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم العذر في شيئين: الخوف عن النفس أو المال أو العرض، أو المرض. وأما النساء فيصلين في بيوتهن، فتتحول بيوت النساء إلى بيوت لله، فلا يسمع فيها باطل ولا منكر، ولا يشاهد فيها زوراً بل إن النساء يذكرن الله فيها، والبنات يقرأن كتاب الله. ولا تكون ديار الإسلام والمسلمين صورة مصغرة عن ديار بريطانيا وفرنسا، ثم نقول: إننا مسلمون.

فلا يجوز أن يكون بيتي كبيت البريطاني، وإلا لم أكن مسلماً إذاً. قال: [وأن تخشع فيها، مراعيّاً فيها شروطها وأركانها، وواجباتها وسننها] حتى تنتج لك الطاقة المطلوبة، فالصلاة عملية توليد للنور، كمكائن توليد الكهرباء، وإذا حصل في هذه المكائن خلل فإنها تولد الدخان، وليس النور. وإذا لم تقم الصلاة إقامة حقيقية فإنها والله لا تنتج لك الطاقة، ولا تولد لك النور المطلوب.

وقد علمنا أن أكبر مولد للطاقة النورانية هو: إقام الصلاة، ولهذا فرضها الله خمس مرات في الأربع وعشرين ساعة، فكلما ضعفت عن السير فقوي الطاقة، وبذلك تصبح كالمعصوم، فلا تقوى على أن تقول كلمة سوء، ولا تقدر على أن تنظر نظرة محرمة، ولا تقدر أن تتناول محرماً أبداً؛ لكثرة النور الذي تعيش فيه. والبرهان على ذلك: قوله تعالى: **إِنَّ لِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ [العنكبوت:45]**. والسبب إنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [العنكبوت:45].

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر إذا أدبت على نظامها الخاص، فتولد النور الذي يملأ القلب، ويتدفق عن السمع والبصر واللسان، حتى يصبح العبد معصوماً، فلا يقع في معصية الله. وإن أداها أداءً ضعيفاً لم تنتج شيئاً.

والبرهان على هذا: أنك تجد أحداً يصلي ثم يخرج من المسجد يلعب الكيرم والورق والله العظيم، أو يصلي ثم تجده جالساً في الخارج والشيشة في يده أو في جيبه، أو الدخان، وينفخ في الملائكة وجوههم، والعياذ بالله. ولو أعطتك الحكومة جنديين يحميانك هذا عن يمينك وهذا عن شمالك لم تمكر بهم هذا المكر، وتنفخ في وجوههم، والله أعطاك ملكين كريمين والله، لا لؤم عندهما ولا فيهما، وعندما تعمل السيئة ينتظرانك ساعة كاملة لا يسجلانها، وأنت تنفخ في وجوههم النتن والعفونة؛ من أجل أن فلان قال: إن شربه مكروه، وليس حراماً. وكذلك تجد من يخرج من المسجد ويجلس على أريكة البنك يتعاطى الربا، أو يخرج من المسجد يجلس أمام التلفاز ويشاهد عاهرة ترقص، وتلوح بيديها، وتذيعها مفضوحاً، وهي تغني، وهو يبتسم ويضحك، ويظن أنه قد صلى، ولو صلى هذا لما غنى.

وقد مر أحد الصالحين مع أخ له على بيت من بيوت المدينة الطاهرة وإذا رجل ينشد ولا يغني بأغاني عبد الوهاب ولا فريد الأطرش، بل أغان عادية، فقال أحدهما: يا ترى هذا صلى؟ قال: لو صلى ما غنى؛ لأن الصلاة تعصم إن أدبت على الوجه المطلوب، فإن اختلف أداؤها بالزيادة أو بالنقص، أو بالتقديم أو بالتأخير فشلت في عملية الإنتاج، ولم تنتج.

وقد قال تعالى: **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ [هود:114]**.

ولم يقل: وصل.

بل قال: **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ [هود:114]**.

حتى تكون قائمة باعتدال وانتظام تولد الطاقة النورانية.

إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [العنكبوت:45] في العصمة.
ولذلك فعلينا أن لنعرف أننا إذا لم نؤد الصلاة على الوجه المطلوب فلسنا بشيء، وأنها لن تنتج لنا النور، بل نصبح كالعميان نشاهد الباطل والمنكر، ونغشى الشر والفساد.

والبرهان والدليل على هذا قد قلته من أربعين سنة، وهو: إذا مشينا إلى محافظ المدينة أو مدير الشرطة وطلبنا منه أن يطلعنا على قائمة بالمجرمين في هذا الأسبوع فإذا أتانا بهذا السجل أو القائمة وفيها: هذا ضرب أباه، وهذا طلق امرأته، وهذا سرق فلان، وهذا سب فلان، وغيرها من الجرائم فأتحداكم إن لم نجد أن أكثر من نسبة (95%) من المجرمين في تلك القائمة من تاركي الصلاة، وأنه لا يوجد من المصلين (5%)، وإن لم تجدوا هذا فاذبحوني. وهذه الخمسة في المائة عبارة عن شذوذ؛ لأن الذي يجالس ربه، ويجلس بين يديه خمسة أوقات في الأربع وعشرين ساعة يتكلم معه ويناجيه، ويتطهر له ويجلس بين يديه لن يخرج من المسجد يعصيه، ولن يكون هذا. والأمر واضح، فالجرائم التي ترتكب في العالم بأسره علتها: الجهل وظلمة النفس.

وقد قلنا: لن يستطيع مؤمن يذكر الله بقلبه ولسانه أن يرتكب المعصية أثناء ذكر الله بالقلب واللسان، بل هذا مستحيل. وعندنا لهذا مثلاً بينه لنا أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، وهو أن شاباً من شبيبة بني إسرائيل في الزمان الأول كانت له بنت عم، وكان يرغب فيها، وراودها عن نفسها بالمال سنة كاملة، وهي تقول: أخاف الله، فقد كانت من بيت مؤمن، ودارت الأيام وأصيبت الأسرة بفقر وحاجة، وكان الفقر من طبع الحياة؛ لأنه لا توجد فيها مواصلات ولا استعدادات.

ولما ألجأها الفقر ومزقها سلمت نفسها لابن عمها مقابل مائة دينار، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته قالت: أما تخاف الله! تفتض خاتماً بغير حقه؟! وما إن ذكرته وذكر الله حتى قام والله ترتعد فرائصه يجري، وترك لها ذلك المال كله.

ولن نذهب إلى بني إسرائيل، بل دعونا هنا في المدينة، فقد كان هنا في المدينة سوق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان بائع التمر يقال له: التمار، فجاءته امرأة تشتري تمرأ لأولادها الذين خرج والدهم غازياً مع المجاهدين، فاضطرت هذه المؤمنة إلى أن تشتري تمرأ لأبنائها، فأخرجت كفها وفيه النقود من داخل خمارها أو ملاءتها، لما أخرجت كفها أعمى الشيطان ذلك الصحابي، فأكب على ذلك الكف يقبله، فقالت له: أما تخاف الله؟! فتنبه والله، وجاء من هنا إلى أحد وهو يحثوا التراب على رأسه، وينتف في شعر لحيته ويصرخ، وعاد من أحد إلى من هنا إلى هذا المسجد والنبي يصلي بالناس المغرب بعد أن ذكر الله.

والذين يجلسون على الأغاني، أو على طاولات العبت واللعب، أو على مجالس الغيبة والنميمة، والنقد والطعن، والكلام على أعراض الناس، وما إلى ذلك فإن هؤلاء لا يذكرون الله، ويغرون أنفسهم بأنهم سيتنبؤون الفراديس العلى، مع أنهم يعلمون أنهم لا يحصلون على رغيف العيش إلا بنصف ريال، ثم يريدون أن يسكنوا الجنة بكلمة: أنا مسلم، ويظنون أن هذا كافٍ.
أولاً: الإخلاص

قال: [أولاً] من محاب الله : [الإخلاص لله عز وجل في فعل المحبوب وترك المكروه] ولا تلتفت إلى غير الله، بل ليكن ما تفعله الله وحده، وكذلك ما تتركه الله وحده، فإن التفت بقلبك أو بعينك تمزقت وتلاشيت.

هذا هو أول محبوب لله، وقد قال تعالى: أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ [الزمر:3].
فإذ قمت بفعل المحبوب لله فإياك أن تجري في قلبك اسم شخص! أو أن تلتفت إليه بعينك أو بيدك! ولا تفعله إلا طلباً لرضا الله وحبه، وكذلك إذا تركت مكروهاً من مكروهات الله فإياك أن تلتفت إلى فلان؛ ليتني عليك أو يشكرك، أو يقول: إنك طيب أو طاهر.

وهذا هو الإخلاص الذي قال الله فيه: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ [البينة:5].

قال: [ومعنى الإخلاص: أن تفعل ما تفعل وتترك ما تترك طاعة لله وخوفاً منه وحباً فيه. وتترك ما تترك كذلك، لا تلتفت بقلبك إلى شيء أبداً] هذا معنى الإخلاص، فهو: إخلاص العمل لله تعالى؛ إذ هو خالقك ورازقك ومولاك، وهو الذي ينعم عليك أو يعذبك إن شاء.

فلتكن أعمالك كلها له، فإن التفت إلى فلان أو فلان فقد هبطت تمزقت، كما قال تعالى في آية الحج: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ [الحج:31].

وتفسير الشرك: أن تلتفت بالعبادة إلى غير الله تريد بها وجهاً غير وجه الله. فمن فعل هذا فشأنه شأن من خر من السماء، وقد يظل يهوي خمسمائة سنة قبل أن يصل إلى الأرض، فنتلقاه العقبان والبازات، فيمزقونه أشلاء، وإن لم يصادف ذلك ويوافقه وقع في أعماق الأرض في مكان سحيق. ولذلك قال تعالى: حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ [الحج:31]. وهكذا يتمزق الذي يلتفت إلى غير الله. إذاً: أول محبوب لله هو الإخلاص، وهو: إرادة وجه الله بالعمل أو الترك.

يحب الله عز وجل من عبده المؤمن المسارعة إلى التوبة، وقد بين له سبحانه طريقها، وأخبر سبحانه أن التائب يكفر عنه سيئاته، ويدخله الجنة دار السلام، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

تابع وجوب التوبة النصوح من كل ذنب على الفور رجاء مغفرة الذنوب ودخول الجنة

الحمد لله نعمه تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

قال: [النداء التسعون: في وجوب التوبة من كل ذنب وعلى الفور، وأن تكون التوبة نصوحاً؛ رجاء مغفرة الذنوب ودخول الجنة] وهذا هو آخر نداءات الرحمن لعباده المؤمنين.

[الآية (8) من سورة التحريم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمُ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحريم: 8]].

الطريق إلى التوبة النصوح لله تعالى

لا بد من معرفة ما يحبه الله وما يكرهه، بل يجب أن نعرف محاب الله ومكارهه، أي: ما يحبه الله من الاعتقادات والأقوال، والأفعال والصفات والذوات من أجل أن نحب ما يحب، ويجب أن نعرف ما يكرهه الله من الاعتقادات والأقوال، والأعمال والصفات والذوات؛ لنكره ما يكرهه الله، ونحب ما يحبه الله.

وإذا أصبحنا نحب ما يحبه الله ونكره ما يكرهه تمت ولايتنا له جل شأنه.

ولابد من العلم، فمن لم يعلم ما يحبه الله وما يكرهه فلن يتأتى له أن يفعل المحبوب، ولا أن يتخلى عن المكروه، وبذلك فلن يكون ولياً لله وإنما سيكون عدو لله.

فطلب العلم فريضة، وهذا العلم لا يتوقف على القسط والقلم، بل كما قال تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ [النحل: 43].

وخير طريق وأعظم سبيل للحصول على هذا العلم المزكي للنفس البشرية هو أن يجتمع أهل الحي في مسجد حيهم، وأهل القرية في مسجد قريتهم وذلك طول الحياة، ويتركون العمل مع غروب الشمس؛ لأن شأنهم غير شأن اليهود والنصارى والمشركين.

فيتطهرون في بيوتهم، ويأتون بنسائهم وأطفالهم إلى بيت ربهم، فيجلسون جلوسنا هذا، ويتعلمون الكتاب والحكمة، ويزكون أنفسهم، فيصبحون أشبه بالملائكة في السماء في طهرهم وصفائهم.

وإذا لاحت أنوار اليقين في نفوسهم، وتجلت حقائق المعرفة فيهم أصبحوا أطهر وأرحم وأعز أهل الأرض، ولو كادهم أهل الأرض من كل جانب لم يسلطهم الله عليهم، كما قال تعالى: وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا [النساء: 141].

ووالله الذي لا إله غيره! لن نستطيع أن نعود إلى ما كان عليه أسلافنا من مجد وكمال وعز وسيادة إلا إذا نهجنا نهجهم، وسلكنا سبيلهم، كما قال تعالى عنهم: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ [الجمعة:2].

وكل مظاهر الظلم والشر والخبث والفساد المنتشرة بين الناس مردها إلى الجهل، فقد جهلوا، ولم يعرفوا الله حتى يحبه ويخافوه، ولم يعرفوا محاب الله حتى يفعلوها؛ لتزكو بها نفوسهم، ولم يعرفوا مكارهه ليتجنبوها؛ حتى يذهب خبث نفوسهم وذنسها.

والبرهان على هذا الكلام هو واقع الحياة، ولا نحتاج إلى دليل آخر. فأعلمنا بالله وبمحابه وبمساخطه هو أتقانا الله عز وجل، وأعرفنا به هو أحبنا له وأخوفنا منه، ومن أحب الله وخافه استقام في الحياة، ولم يعوج، ولم يميل يميناً ولا شمالاً، بل كل اعوجاج وانحراف وسقوط هو نتيجة ظلمة النفس التي لا نور لها.

معنى التوبة النصوح وجزاؤها

التوبة النصوح هي التي لا يعاود فيها العبد الذنب الذي تاب منه، بل تكون معاودة الذنب منفية وشبه مستحيلة، مثلها مثل الحليب الذي يحلب من الضرع، إذ لا يمكن إرجاعه إلى الضرع. وكذلك التوبة التي أمرنا الله تعالى بها في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا [التحريم:8]، أي: من قارف منا ذنباً من كبائر الذنوب فعليه أن يعزم ويصمم على أن لا يعود إليه أبداً، كما لا يعود الحليب إلى الضرع بعد حلبه منه.

هذه هي التوبة النصوح.

وجزاء التوبة النصوح هو: أن يكفر عنا سيئاتنا، أي: يطهرنا ويطيننا، ثم بعد ذلك يدخلنا دار السلام. ونظير هذا قوله تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ [آل عمران:133] أولاً، وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ [آل عمران:133] ثانياً.

وهذه الآية تؤكد القاعدة القائلة: التخلية قبل التحلية.

فتكون التخلية عن الذنب قبل التحلي بالعبادة، فمن أراد أن يتطيب ويتطهر ويلبس أحسن ثيابه فعليه أولاً أن يغتسل بالماء والصابون من جميع أدرانه وأوساخه، فإذا طهر فعند ذلك يتحلى بأحسن الثياب، ويتطيب بأطيب الأطياب؛ لأن التخلية قبل التحلية.

ولهذا قال تعالى هنا: يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ [التحريم:8].

ويتم هذا في يوم لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [التحريم:8]، أي: لا يذلهم ولا يهينهم يوم القيامة.

وقوله تعالى: نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ [التحريم:8] هذا النور شبيه بنور السيارات.

فالسيارة يكون نورها أمامها إلى مسافة، والذين تابوا من الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن كبائر الذنوب إلى الصالحات والطاعات فإن نورهم يوم القيامة يسعى بين أيديهم وبأيمنهم [التحريم:8].

ونور السيارة من جهة واحدة فقط، وأما نور أهل الإيمان فيكون عن يمينهم وشمالهم وأمامهم وخلفهم.

وقال تعالى: بِأَيْمَانِهِمْ [التحريم:8] ولم يقل: بشمالهم من باب التغليب.

وهذا النور لا بد منه ضرورة، وإلا وقعوا في حفرة من حفر جهنم.

فهم يمشون بهذا النور على الصراط إلى الجنة، والصراط جسر ممدود على ظهر جهنم، والذي يمشي عليه بدون نور يقع، ومن وقع في جهنم خسر خسراناً أبدياً، كما قال الله تعالى في سورة الحديد: يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [الحديد:13-15].

فهذا النور ضروري لاجتياز الصراط.

إذاً: المؤمنون الذين تابوا إلى الله استجابة لأمره في هذا النداء، في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا [التحريم:8] جزاؤهم أن يُكَفَّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ [التحريم:8].

وهو التطهير والتطبيب قبل دخول النعيم المقيم.
وَيُذْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [التحریم:8]، أي: يوم لا يهينهم ولا يذلهم، ولا يستصغروهم ولا يحتقرهم في ذلك المشهد العظيم، بل نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ [التحریم:8].
وقال تعالى في سورة الحديد: بُشِّرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ [الحديد:12].
وقال تعالى في هذا النداء: يَقُولُونَ رَبَّنَا [التحریم:8]! أي: يا ربنا! أَتَمُّ لَنَا نُورُنَا [التحریم:8] حتى لا ينقطع، فإنه لو انقطع في نصف الطريق مثلاً أو في ثلثه أو في أوله هبطوا إلى الجحيم.
وَاعْفُزْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحریم:8].
ما يحبه الله عز وجل

قال: [وإليك أيها القارئ الكريم قائمة بمحابب الله تعالى وأخرى بمكارهه؛ لتفعل المحبوب بشرطه، وتترك المكروه بشرطه.
قائمة المحبوب لله عز وجل]:
عاشراً: الصبر

قال: [عاشراً: الصبر] وهو حبس النفس على ما تكره [بأن تصبر على عبادة الله تعالى، فلا تضجر ولا تمل، وتصبر على ما يبتليك به امتحاناً لك، كالمرض والجوع والخوف] وما إلى ذلك.
فالله يحب الصبر، ويحب الصابرين، وهو مع الصابرين.
اللهم اجعلنا مع الصابرين.
وصلّى الله على نبيينا محمد، وعلى آله وسلم.
تاسعاً: الإحسان إلى المسلمين

قال: [ثامناً: الإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، وإلى كل المسلمين، بإكرامهم وعدم أذيتهم بقول أو فعل]
ولا يمكن لأمة جاهلة أو أهل قرية أو إقليم جهال أن يحسنوا إلى الفقراء واليتامى والمساكين؛ لأنهم لا يعرفون الإحسان.
وليس عندنا إلا أن نكرر شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ونزحف إلى بيوت الرب بنسائنا وأطفالنا، نتعلم الكتاب والحكمة؛ لنعلم ونزكو، ونطهر ونفهم، ونصبح أهلاً لأن نقيم الواجبات ونؤدي الفرائض، ونتجنب المحرمات.
ويوم أن تصبح كلمة أهل القرية واحدة إذا قال لهم المربي: صوموا صاموا، أو تصدقوا تصدقوا، أو نادى: الله أكبر رددوها.
ولا يبق بينهم فقير يموت جوعاً، أو يمشي عارياً، أو يبحث عن مأوى يأوي فيه، ويصبحون كالأسرة الواحدة، ويكونون والله أعظم من الأسر الطائشة الهائمة في الأرض، وبدون هذا لا يمكن أن يتم إحسان أو معروف على الوجه الحقيقي.
وأهل القرية لما يتعاونون ويتحابون ينشئون في بيت الله صندوقاً يجمعون فيه مال الزكاة والصدقات، وحينئذ لن يبقى في القرية شحاذاً ولا سائلاً، بل إنهم ينتزهون عن مثل هذا، كما أنه لن يمد أحدهم يده ليسرق أو ليختلس، ولا يمد يده ليسأل الناس؛ لما عندهم من العفة والكمال والطهر، بل يفيض عليهم المال، ولا يجدون ما يفعلون به.
وبدون هذا لا يمكن أن يطهر المجتمع ويكمل ويسمو.
ولو اجتمع رجال السياسة والقانون والاجتماع على أن يوجدوا لنا قرية نموذجية لا خيانة فيها ولا سرقة، ولا كذب ولا بذاءة ولا فحش، وأن تكون سليمة من كل ذلك، وفيها الطهر والصفاء فوالله إنهم لن يستطيعوا.
ولو أغدقوا عليهم بالمال لفجروا به، ولتأكلوا عليه.
فلا علاج ولا دواء إلا مع الله في بيته، بأن نتعلم الكتاب والحكمة، ونزكي أنفسنا، ونطهر أرواحنا بهذه الآيات الإلهية.
ثالثاً: إيتاء الزكاة

قال: [ثالثاً: إيتاء الزكاة] أي: إعطاؤها وإخراجها [متى وجبت عليك لملكك مالاً صامتاً كالدراهم والدنانير، والحبوب والثمار، أو ناطقاً كالأنعام من الإبل والبقر والغنم، وبلغ مالك نصاباً، وحال عليه الحال إن كان غير الحبوب والثمار] فالمال نوعان: صامت وناطق، فالناطق هو الإبل والبقر والغنم.
رابعاً: صيام رمضان

قال: [رابعاً: صيام رمضان] لأنه قاعدة الإسلام، فقد فرضه الله، وأوجب على عباده أن يصوموه، وبشرهم ووعدهم بأعظم الأجر والخير [مع تجنب مفسداته] ومبطلاته [كالغيبة] والنميمة [وسائر الآثام و [سائر] المفطرات] لأن سر الصيام تزكية النفس وتطهيرها، فإذا كنت صائماً وارتكبت الذنوب لم يؤثر فيك الصيام أبداً؛ لأنك قد أفسدته.
خامساً: الحج

قال: [خامساً: حج بيت الله الحرام إن ملكت زاداً لنفقتك ونفقة أهلِكَ بعدك، وقدرت على المشي أو الركوب] وأما المؤمنة فيشترط لها إلى ما سبق وجود المحرم الذي يمشي معها.
فيجب أن نعرف هذه المحبوبات لنعملها، متقربين بها إلى الله، ومتزلفين إليه بها.
سادساً: بر الوالدين

قال: [سادساً: بر والديك بطاعتهم في المعروف] فتكون الطاعة للوالدين وللأمير وللرسول صلى الله عليه وسلم في المعروف، كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ [الممتحنة:12].
وأما إن عصيتك في غير معروف فلا حرج عليهن في ذلك.
وتكون طاعتك لوالديك أو مربيك أو أمينك في المعروف، وأما في المنكر فلا.
والطاعة بالمعروف كان يقول لك أبوك: لا تذكر فلاناً بسوء، أو توضعاً فقد أن أو ان وقت الصلاة، فيجب أن تطيعه في ذلك، وهكذا في كل معروف [وإيصال الخير إليهما] أي: أن توصل الخير إليهما [وذلك بتقديم ما يحتاجان إليه من غذاء وكساء، ودواء وإيواء] حسب قدرتك واستطاعتك.
والمأوى هو: المكان المعد للمبيت والجلوس فيه [مع كف الأذى عنهما، حتى ولو بكلمة نابية بصوت مرتفع] وقد قال تعالى: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفًّا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا [الإسراء:23].
ومن المنكر أن يضرب الولد والده.

بل واجبك مع والديك الطاعة العمياء في المعروف.
ويجب أن يكون صوتك دون صوت أمك أو أبيك.
وبعض الصالحين كان إذا مشى مع أبيه لا يمشي أمامه، بل كان يمشي ورائه، وإذا مشى إلى جنبه وكان الأب قصيراً والولد طويلاً يتقاصر؛ حتى لا يتفوق على أبيه طويلاً.
وبعض الناس لا يفعلون مع آبائهم هذا؛ لأنهم لا يعرفون هذا الأدب.
ولو تربوا منذ صباهم في حجور الصالحين لزكت أنفسهم، وطابت أرواحهم، وأصبحوا كالملائكة.
سابعاً: صلة الأرحام

قال: [سابعاً: صلة رحمك بالإحسان إليهم] بالفعل والقول [في حدود قدرتك] وطاقتك واستطاعتك.
ثامناً: الجهاد في سبيل الله

قال: [ثامناً: الجهاد في سبيل الله متى دعا إليه إمام المسلمين وعينك له] وخطأ واحد قد يبطل الجهاد كله، ويهبط به.

فمثلاً جهاد الأفغان شاركنا فيه بأموالنا ودمائنا، وكانت النتيجة: عدم وجود الدولة الإسلامية القائمة على الدعائم الربانية: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. والسبب في ذلك: أن جهاد الأفغان لم يقم على مبايعة إمام. وكانت هذه هي الحلقة المفقودة في هذا الجهاد.

وقد زرناهم وزرنا مخيماتهم ورؤساءهم، وقلنا لهم: عجلوا قبل الفوات بمبايعة إمام واحد، وليكن الجيش واحداً، وخزينة المال واحدة، والجهاد واحداً، ويكون المجاهدون صفّاً واحداً؛ فإن هذا هو طريق الله، فعملوا، ولكنهم تمايلوا، فلم تقم الدولة الإسلامية.

واليوم في بلاد العرب من الشرق إلى الغرب ينادي المسلمون: القتال القتال! الجهاد في سبيل الله! ووالله لن يحصدوا إلا الندم والدم، والبلاء والشقاء، ولن ترتفع راية لا إله إلا الله إلا على بيعة إمام للمسلمين.

ويكون الجهاد في سبيل الله من أجل أن يعبد الله وحده، وتقوم شريعته، وينتشر نور هدايته، وليس من أجل السمعة والمنصب والمال، ولا القبلية والنزعات، ولا لشيء غير ذلك.

بل كل هذا شرك في هذه العبادة ومبطل لها.

ولنذكر أن أول محبوب لله هو الإخلاص، وهو أن يكون القلب مع الله.

ودماء المسلمين اليوم تسيل في الشرق والغرب، والنتيجة هي: النار، ولا نجني من هذا سوى الدماء والدموع، والمصائب والمخاوف.

وقد شرع الجهاد من أجل أن يعبد الله، ونحن لم يمنعنا أحد من عبادة الله، ولم يطردنا أحد من بيوت الله، ونحن الذين لم نرغب في ما عند الله، ولم نلجأ إلى الله، ولم نطرح بين يدي الله بنسائنا وأطفالنا، ولم نبك بين يديه كل ليلة نستمطر رحماته.

ومع ذلك يأبى بعض المسلمين إلا جهاد بعضهم بعضاً، ويحصدون أنفسهم حصداً.

فالجهاد محبوب لله.

ولا يكون من محابه ولا في سبيله إلا إذا دعا إليه إمام المسلمين وعينه، فلا جهاد بدون إمام يبايعه المسلمون، ويضعون أيديهم على يديه، على أن يعبدوا الله وحده في الأرض.

وإذا وجد إمام المسلمين وأمر بالجهاد وعينك له وجب عليك أن تجاهد، وإن دعا إلى التعبئة العامة والنفير العام تعين عليك، إلا أن تكون مريضاً أو أعرج، أو أعمى أو كنت عاجزاً؛ لقوله تعالى: لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ [النور: 61].

أولاً: الإخلاص

قال: [أولاً: الإخلاص لله عز وجل في فعل المحبوب وترك المكروه.

ومعنى الإخلاص: أن تفعل ما تفعل وتترك ما تترك طاعة لله وخوفاً منه وحباً فيه، وتترك ما تترك كذلك، لا تلتفت بقلبك إلى شيء أبداً [فأول واجب يا عبد الله! ويا أمة الله! أن نخلص عملنا وتركنا لله، فلا نصلي إلا لله، ولا نترك الربا إلا لله، ولا نجاهد إلا لله، ولا نتصدق إلا لله، ولا نترك أذية مؤمن أو مؤمنة إلا لله، فمن التفت بقلبه أو بوجهه إلى غير الله تمزق وتلاشى، كما قال تعالى في سورة الحج وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ [الحج: 31]، أي: ومن يشرك بالله غيره من مخلوقاته في عبادته بفعل واجب أو ترك حرام فشأنه شأن من خر من علياء السماء فإما أن تتلقاه العقبان والبازات من الطيور فتمزقه، أو يسلم من العقبان والطيور فيقع في مكان سحيق لا يعثر عليه.

فالإخلاص أول محبوب لله، وهو أن لا تنظر إلا إلى الله، فلا تنام إلا لله، ولا تستيقظ إلا لله، ولا تأكل إلا لله، ولا تشرب إلا لله، ولا تلبس إلا لله، وهكذا، وهذا فضلاً عن العبادات التي تعبدك الله بها، فيجب أن تؤديها إيماناً به، وخوفاً منه، ورغبة فيما عنده.

ثانياً: إقام الصلاة

قال: [ثانياً: إقام الصلاة بأن تؤديها في بيوت الله مع جماعة المسلمين، وأن تخشع فيها، مراعيّاً فيها شروطها وأركانها، وواجباتها وسننها] فتؤديها أداءً دقيقاً وصحيحاً حتى تنتج لك الطاقة، وتولد لك النور، فهي مثل أجزاء

المركبات الكيميائية الدقيقة لو حصل فيها تفاوت فسدت، وكذلك العبادة إذا لم تؤد على النحو الذي بينه ووضعه الحكيم العليم فلن تنتج الطاقة، ولن تولد النور. والبراهين ساطعة على ذلك.

وقد مر رجلان ببيت فيه رجل يغني فقال أحدهما للآخر: هل صلى هذا العشاء؟ فقال الآخر: لو صلى ما غنى. والبرهنة على ذلك هي: أن المقيم للصلاة المؤدي لها على الوجه المطلوب كما شرع وقنن الشارع الحكيم فإنها تغمر صاحبها بالنور، فيظهر على سمعه، فلا يقوى أن يسمع باطلاً، ويظهر على بصره، فلا يقدر أن يرى منكراً، ويتجلى في لسانه، فلا يقوى أن ينطق بسوء، وهكذا.

وقد قال الله العليم الحكيم: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ [العنكبوت:45].

وعلى هذا الأمر بقوله: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [العنكبوت:45].

والصلاة لا يسمع لها صوت، فهي لا تقول: يا عبد الله! لا تسرق، أو لا تسب، وإنما تنتهي بواسطة النور الذي تولده، فهذا النور يملأ القلب والسمع، والبصر والمنطق، ويتجلى أمام صاحبها، فلا يقوى على أن يتلوث أبداً. والذي يمشي في الظلام وفي يده مصباح فإنه يمشي والنور أمامه، ويصل إلى بيته، ولا يقع في حفرة، ولا تصيبه شوكة، ولا يصيبه أذى؛ لأن النور بين يديه، وأما الذي يمشي بلا نور فمن الممكن والمحمّل أن يقع على ثعبان فيؤذيه، أو يدوس أفعى فتعضه، أو يقع في حفرة، أو يدوس مزبلة أو أوساخاً؛ لأنه يمشي في الظلام. والزنا والربا والمعاصي والجرائم أشد أذى من الحية والعقرب، وأكثر خبثاً من الزبل والوسخ والبراز، ولذلك صاحب هذا النور لا يرضى أن يتلوث أبداً، ولا يرضى أن يخبث نفسه بعد أن طيها وطهرها.

وقد دللنا على هذا، وكررنا عليه الأدلة والبراهين، ولكن ليس هناك من يستجيب.

ومن الأدلة على هذا: أننا لو طلبنا من محافظ المدينة المنورة أو القاهرة أو دمشق أو المغرب أو اسطنبول أو أي بلد آخر بأن يعطينا قائمة بالمجرمين أسبوعياً أو شهرياً، وكان في هذه القائمة ألف مجرم أو خمسمائة أو أقل أو أكثر فإنك لن تجد بين هؤلاء المجرمين أكثر من (5%) ممن يقيمون الصلاة، و (95%) من هؤلاء المجرمين هم من تاركي الصلاة، أو من المصلين غير المقيمين لها.

وأما المقيمون لها فلا يتلوثون أبداً لا بسرقة، ولا بزنا ولا بفجور، ولا بسب مؤمن ولا بشتمه، ولا بانتزاع ماله بحال من الأحوال.

بل هؤلاء هم أهل النور، وإن لم نعترف بأن هؤلاء هم أهل النور نكون قد كذبنا الله، وبذلك نهلك ونكفر، فقد قال تعالى: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ [العنكبوت:45]، أي: إن الصلاة تنهى صاحبها عن فعل فحشاء أو ارتكاب منكر.

وإن الدعائم التي تقوم عليها الدولة الإسلامية أربع، لا خامس لها، وهي: أولاً: إقام الصلاة.

ولو اجتمع علماء الفلسفة والمنطق والقانون والسحر والباطل لم يستطيعوا أن يغيروا كلمة واحدة في القرآن.

وإذا قامت دولة من الدول على غير هذه القواعد الأربع فلن تستطيع أن تجعل الأمن والطهر يسودانها، بل إنه من المستحيل أن يسودها طهر أو أمن بدون هذه القواعد الأربع.

وقد استقل من الدول الإسلامية نيفاً وأربعون دولة من إندونيسيا إلى موريتانيا ولم يسد الأمن والطهر دولة منها.

ولما أقام عبد العزيز - تغمد الله برحمته - الدولة السعودية على هذه الدعائم الأربع تحقق فيها أمن وطهر لم يتحقق في بلد من عهد القرون الأولى، وأقسم بالله الذي لا إله غيره على هذا.

ولم يتحقق هذا بالسحر ولا بالبوليس، ولا بالكرباج ولا بالطائرة، ولا بشيء من هذا.

وإنما أقاموا الصلاة إجبارياً، وآتوا الزكاة إلزامياً، ووجدت هيئات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ومنذ خمسين عاماً ونحن ننبه على هذا.

وكنا كلما استقلت دولة إسلامية عن دول الكفر كبرنا وهللنا، ثم نفاجأ أنها لا تريد أن تقيم دولتها على القواعد التي وضعها الله لإقامة الدولة.

ومع البلاء الذي حل بنا والخزي والذل والفقر والمصائب إلا أننا لم نفق من نومنا، بل ما زلنا سكارى.

وقد ذكر الله الدعائم التي تقوم عليها الدولة في جزء من آية من بين ستة آلاف ومائتين وأربعين آية، ولكن المسلمين لم يفهموها، وليسمع الجواسيس والعيون والخبراء هذا الكلام ويبلغوه، وهم لا يبلغون هذا؛ لأنهم غافلون، وهم أمثال البهائم، ولا يهتمهم أن يقولوا: لا إله إلا الله! وليس هناك موت أعظم من هذا الموت.

والله جل جلاله يقول: الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ [الحج: 41]، أي: حكمناهم وسودناهم، وأصبحوا الحاكمين المديرين للبلاد، أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ [الحج: 41]. ونحن نفهم هذا، ويفهمه حتى الأتراك الأعاجم.

فهذه آية في سورة الحج. وقد أبعد الله بريطانيا وفرنسا وإيطاليا عنا ومع ذلك لم نقم دولتنا على هذه القواعد الأربع؛ لأننا لم نؤمن بالله. وقد عرف العدو، ولذلك فهو يعمل بجميع الحيل في هذه البلاد على أن لا يؤمر فيها بالصلاة، بل كتبوا يستكثرون إغلاق المحلات أثناء الصلاة، ولديهم عزم على أن يطفئوا هذا النور، وهم يطعنون وينتقدون والله في هيئات الأمر بالمعروف.

وهؤلاء الذين يفعلون هذا هم من كبار الشخصيات الذين ليس لهم نور في قلوبهم، والذين لم يعرفوا الله تعالى، ولم يجلسوا في مجالس العلم، فهم لا يريدون أن يبقى الأمن في هذا البلد، بل إنهم يحاولون نشر الخوف والخبث في هذا البلد بعد أن حل فيه الأمن والطهر، ويريدون أن نكون كبقية البلدان، ولكنهم لم يستطيعوا. ولا تظنوا أن الشيخ بربري، أو عميل، أو ذنب، أو تابع، فهذا الكلام هراء، وهو من وحي الشياطين والهابطين اللاصقين بالأرض، الذين لا بصيرة لهم ولا قيمة في هذه الحياة. بل نحن نتكلم بحكم الله، ونحن نريد لهذه الحكومة أن تبقى وتخلد، وأن يبقى فيها هذا النور، ونريد لأمة الإسلام أن تقتبس من هذا النور.

ونريد أن يصدر قرار في كل بلد إسلامي بأن الصلاة إجبارية، بحيث لا نرى شخصاً لا يصلي إلا وأقمنا عليه حد الله.

ونريد أن تجبي الزكاة إجبارياً، وأن تكون بدلاً من الضرائب الفادحة؛ حتى نرضي الله عز وجل.

ونريد أن توجد هيئات الأمر بالمعروف في القرى والأحياء، وفي كل منعطف وزاوية.

وياليتهم يعترفون بخطئهم ويبكون، ويرجعون إلى الله!

ويا ليتهم يسكتون عن هذا البلد، ولا يطعنوا فيه، أو ينتقدوه.

وبعض الهابطين منا لما يشاهد رجل الهيئة يخاف منه، فيصلي بلا وضوء، ثم يقول: أنا صليت صلاة سعودية، بلا وضوء ولا نية، ونقول له: صلها ولو بدون وضوء؛ حتى تتعود على أدائها وإقامتها، ومن ثم ستتطهر وتستعد لها. وثالث أهل البلاد لا يصلون، فلماذا لا بد وأن تصلي سواء كنت متوضئاً أم غير متوضئ، ومن أسأل نفسك عن سبب امتناعك من الوضوء.

التوبة النصوح واجبة على كل مسلم، ومن لوازم التوبة النصوح فعل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الصالحة، واجتناب مكاره الله سبحانه وتعالى من الأفعال والأقوال، وبهذا يكون فعل محاب الله دليل على أن العبد من أوليائه، وفعل مكاره الله دليل على أن العبد من أعدائه.

تابع وجوب التوبة النصوح من كل ذنب على الفور رجاء مغفرة الذنوب ودخول الجنة

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون! ويا أيتها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم. آمين.

مازلنا مع النداء التسعين في سورة التحريم.

وهذا النداء هو قوله تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحريم:8].

بيان ما تزكو به النفس وما تخبث به

لقد صدر حكم الله على الخليقة كلها إنسها وجنّها، وقد بين تعالى هذا الحكم في قصار المفصل في سورة: والشمس، فقال: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10].

فكن ابن من شئت، أو أباً لمن شئت، أو من أسرة من شئت، أو كن من تكون، فإنك إذا لم تزك نفسك باستعمال أدوات التزكية التي وضعها الله، وأنزل بها كتابه، وبينها رسوله فلن تكون أهلاً للفلاح بحال من الأحوال؛ إذ هذا هو حكم الله الصادر.

وتقرير المصير في الدنيا، وليس في يوم القيامة، بل إنك تقرر في الدنيا مصيرك بنفسك.

وأنا أقول: تقرير المصير؛ لأنكم ألفتُم في الإعلام الهابط كلمة تقرير المصير للشعوب أو تسمعونها من الأمم المتحدة.

فأنت يا ابن آدم! تقرر مصيرك على ضوء حكم الله: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [الشمس:9] أي: النفس، وَقَدْ خَابَ [الشمس:10] وخسر مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:10].

فالأمر بعد الله هو إليك.

فإن عملت على تزكية نفسك وتطهيرها وتطبيبها، ثم حافظت على تلك الطهارة والزكاة حتى دقت الساعة، وجاء ملك الموت وأعوانه، وأخرجت الروح عرج بها إلى السماء، فتفتح لها أبوابها، وينزلون بها تحت العرش، ويدون اسمها في كتاب اسمه عليين، كما قال تعالى: وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُرَبُّونَ [المطففين:19-21].

ثم تعود إلى محنة القبر ساعات، ثم تعود لتسرح في الملكوت الأعلى في الجنة ونعيمها إلى أن تدق الساعة بنهاية الحياة، وحينئذ يتم الخلق من جديد.

ولقد علمنا علماً يقينياً أن فلاحنا في زكاة أنفسنا، وأن خسراننا في تدسية نفوسنا. فلا نشك في هذه اليقينيات.

فالنفس تزكو بالإيمان الصحيح والعمل الصالح، فقد وضع الله الإيمان والعمل الصالح لتطهير النفس كما وضع الماء والصابون لتطهير الأجسام والثياب.

فالأرواح لا تطهر إلا بالإيمان الحق والعمل الصالح.

والعمل الصالح هو: كل ما فرض الله علينا وأمرنا به، ودعانا إليه ورغبنا فيه من الأفعال والأقوال والنيات إذا أدت على الوجه المطلوب.

فإن قدمت أو أخرت، أو زدت أو نقصت بطل مفعوله، كسائر الأدوات التي تستعمل.

ولهذا يجب العلم.

فبعض الناس قد يصلي ولا تكتب له حسنة واحدة؛ لأنه لم يؤديها على الوجه المطلوب.

وكذلك لا يكتب للشخص أجر ذكر الله إلا إذا أداه على الوجه المطلوب.

وهنا لا بد من معرفة محاب الله، وكيفية أداءها وتقديمها لله؛ حتى تكتب لنا الحسنات، ولا بد من معرفة مساخط الله ومكارهه ومحارمه من قول أو اعتقاد أو عمل أو صفة؛ من أجل أن نتجنبها؛ فتطهر أرواحنا وتركوا نفوسنا؛ حتى تبقى الروح متأهلة للسماء، والدخول والنزول في الملكوت الأعلى.

فائدة معرفة أوامر الله ونواهيه وامتثالهما

وقد ذكرنا في هذا النداء الأخير جملة من أوامر الله تعالى ونواهيه؛ من باب التذكير؛ إذ لا بد وأن نعرف ما يحب الله وما يكره؛ حتى نفعل المحبوب له فيحبنا ويكرمنا، ونتخلى ونجتنب ما يكرهه فيكون ذلك أيضاً سبباً لحبه لنا ورضاه عنا؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا الطيبين.

وأما الملوثون في أرواحهم خبثاء النفوس من الكافرين والمجرمين والظالمين أشباه الشياطين فهؤلاء لا يحبهم الله، ولا يدينهم ولا يقربهم.

وقد علمنا يقيناً أن روح الكافر إذا قبضت يعرج بها إلى السماء، فلا تفتح لها أبواب السماء؛ لأنها كانت خبيثة منتنة عفنة؛ لأنها لم تفعل المزيكات التي هي أوامر الله، ولا تجتنب المنهيات المخبئة للنفس الملوثة لها.

وقد ذكرت سورة الأعراف حداً فاصلاً وبياناً قاطعاً، ولم تترك تردداً ولا شكاً في قلب ذي العقل؛ فقد قال تعالى فيها: **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ** [الأعراف:40].

وهذا تعليق على محال، والتعليق على المحال محال.

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ [الأعراف:40-41].

وإني أعجب من مؤمن ومؤمنة يعرفان ما دلت عليه هذه الآية، ثم لا يباليان بها، ولا يحفظانها.

فهذا والله أمر عجب! فإذا وجدت من يعلمك هذه الآية ويحفظك إياها في الطائف، فالتحق بالطائف ولو في فصل الشتاء، ولو كان في تبوك فارحل إلى تبوك.

وأنت اليوم في بلادك تستطيع أن تجد من يعلمك آية الأعراف، التي فيها بيان أن أصحاب الأرواح الطاهرة هم الذين تفتح لهم أبواب السماء، وأن أصحاب الأرواح الخبيثة تغلق في وجوههم أبواب السماء. **التقوى وافية من عذاب الله**

الوقاية الكافية التي تقينا من عذاب الله هي تقوى عز وجل، بأن نطيعه فلا نعصيه، وإن عصيناه تبنا إليه حتى يتوب علينا.

وتقوى الله هي طاعته تعالى بفعل الأوامر التي أمر بها، وترك النواهي التي نهى عنها.

ولا يمكن لأحدنا أن يطيع الله في أوامره بالفعل، ولا في نواهيه بالترك، وهو لا يعرف الأوامر ولا النواهي، بل هذا مستحيل.

ومن هنا أوجب أهل العلم معرفة الأوامر والنواهي، وأنه يتعين على كل مؤمن ومؤمنة أن يعرفا أوامر الله ونواهيه.

ومن لم يوفق لمعرفة أوامر الله ونواهيه ومحاب الله ومكارهه فلن يكون أبداً من أولياء الله.
ولن يكون كذلك إلا إذا عرف محاب الله، وعمل بها، وجاهد نفسه على فعلها، وترك المناهي والمكاره، وابتعد عنها،
وجاهد نفسه في ذلك.
معنى التوبة النصوح

أمرنا الله تعالى في هذا النداء بالتوبة، وليست أي توبة، بل بتوبة خاصة، وهي التوبة النصوح، فقال تعالى: يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا [التحريم:8].
والمراد بالتوبة النصوح: هي التي لا يعاود فيها العبد الذنب.
بل إذا اقترف ذنباً من كبائر الذنوب وتاب منه لا يعود إليه أبداً، كما لا يعود اللبن إلى الضرع بعد حلبه منه.
هذه هي حقيقة التوبة النصوح التي أمرنا الله بها.
وليس منا أحد إلا وهو يذنب، وليس بيننا معصوم، فمن قارف ذنباً قد كتب عليه فليعجل بالتوبة الصادقة، وهي: أن
يعزم ويصمم عزماً وتصميماً أكيداً أن لا يعود إلى هذا الذنب مرة أخرى.
وأذكركم ونفسي: أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم كان يقول في المجلس الواحد مائة مرة: (رب اغفر
لي وتب علي؛ إنك أنت التواب الرحيم).
ونحن مذنبون فلنقل هذا.

وإن لم يكن لنا ذنب ولا معصية فحسبنا أننا لم نقدر الله حق قدره، ولم نشكره على نعمه وآلائه، ولو قدرنا الله حق
قدره لصعقنا إذا ذكر الله، وإن لم نصعق لذرفنا الدموع، وارتعدت فرائصنا، ووجلّت قلوبنا؛ وذلك لعظمة الله عز
وجل.

ولو وهبك إنسان عينيْن وكنْتَ لا عينيْن لك، أو وهبك لساناً تتطرق به وكنْتَ أبكم أو أخرس لا تتطرق، أو عقلاً وكنْتَ
مجنوناً لم تستطع أن تشكره.

ولذلك فلن نستطيع أن نشكر الله على هذه النعم، إضافة إلى نعمة الإيجاد والإمداد.
ولو لم يكن لنا ذنب إلا التقصير في الشكر فحسبنا ذلك.

فلذلك علينا ألا ننسى أن نقول في أكثر الأوقات والساعات: (رب اغفر لي وتب علي؛ إنك أنت التواب الرحيم).
وقد تفضل الله علينا بالجزاء مقابل توبتنا النصوح، فقال في ذكر هذا الجزاء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً
نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ [التحريم:8].
وذلك يوم القيامة.

يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [التحريم:8].

فهؤلاء لهم نور يسعى بين أيديهم وبإيمانهم.

وأما الكافرون والمنافقون فلا نور لهم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

ومن لا نور له فلن يجتاز الصراط، بل مصيره أن يبتكس ويرتكس في عالم الشقاء في النار دار الخلود والبقاء.

الأعمال التي يحبها الله عز وجل

قال: [قائمة المحبوب لله عز وجل:]

عاشراً: الصبر

قال: [عاشراً: الصبر، بأن تصبر على عبادة الله تعالى، فلا تضجر ولا تمل، وتصبر على ما بيننا وبينك به امتحاناً لك
كالمرض والجوع والخوف] وما إلى ذلك، واحمد الله واشكره، وقل: رب ارحم واغفر وتكرم.
ولا تضجر وتسخط، ولا تمل العبادة وتتركها.
تاسعاً: الإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل

قال: [تاسعاً: الإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، وإلى كل المسلمين، بإكرامهم وعدم أذيتهم بقول أو فعل]
فالمسلم يحسن إلى الناس كافة، وإلى المسلمين خاصة، ولا يؤذ أحداً بكلمة، ولا حتى بأصبع من أصابعه.

فالإحسان مما تعبدنا الله به، وهو ثلث هذه الملة، والدليل على ذلك حديث جبريل المعروف.
ثامناً: الجهاد في سبيل الله

قال: [ثامناً: الجهاد في سبيل الله متى دعا إليه إمام المسلمين وعينك له] وهناك جماعات اليوم في العالم الإسلامي تكفر الحكام، وتعلن الخروج عليهم، وتطالب بالجهاد.
فعلى أي جماعة أعلنت جهادها أن تباع إماماً لها يقودها، ويسلك بها سبيل الله لتكمل وتسعد.
ومن أكبر الشواهد عندنا على هذا: الجهاد في بلاد الأفغان.
فقد جاهد المسلمون هناك مدة عشر سنين بنسائهم ورجالهم بدون إمام بايعوه؛ ليقودهم ويقم شرع الله فيهم، فكانت النتيجة الفتن والخراب والدمار.

وقد قاتلنا هولندا في إندونيسيا، ومزقنا فرنسا، وطردها بريطانيا من ممالك الهند، ومع ذلك لم تقم دولة إسلامية.
ولقد روجوا أن الشيخ الجزائري شيخ المافيا؛ لأنه يحارب ضد الاشتراكية منذ أربعين سنة أو خمسين سنة.
وهؤلاء ببغاوات وجهال، وعميان وضلال، لا يفرقون بين الحق والباطل، ولا بين النور والظلام، ولا بين الجهل والعلم.

وقد انتهت الاشتراكية، وتمزقت خيوطها، واحترق وجودها، ولم يبق إلا الله ودينه الحق.
وقد استقلت ثلاث وأربعون دولة باسم الجهاد، ولم تستطع واحدة منها أن تقيم الصلاة فقط.
ولم يبلغنا أن دولة منها فرضت على العسكريين والمدنيين ورجال الأمن وكل الأمة أن تقيم الصلاة في بيوت الله.
ولم تستطع واحدة منها هذا لأن المجاهدين فيها لم يبايعوا إماماً شرعياً، يلتفون حوله ليقودهم، ويقم شرع الله فيهم وبينهم، وإنما كانوا يقاتلون تحت نزعات وآراء، وفهوم وهوى.
ولما خرجت فرنسا أو إيطاليا بقينا كما كنا، لا إسلام ولا دين ولا نور.

واليوم بعض الجماعات الإسلامية تتحمس في بلاد المسلمين، فتتادي: الجهاد الجهاد! وتقول: إن الحكام كفار؛ لأنهم يحكمون بغير ما أنزل الله، وينتفضون ويحترقون بسبب ذلك، ولم ينالوا شيئاً مما أرادوا.
وأقول: صحيح إن الله لم يخلقنا للأكل والشرب، وإنما خلقنا للحكم والسلطة، ولنعبد الله بقلوبنا ووجوهنا.
ولكن المسلمين اليوم في ديارهم لم يمنعهم أحد من أن يعبدوا الله، ولم يلزم أحد منهم أو أكره على أن يترك الصلاة، ولم يجبر أحد على أن يخرج امرأته كاشفة عارية، تتعامل مع الفحول في الأسواق والدكاكين، ولم يجبر أحدهم على منع الزكاة، كما لم يجبر أحد على شرب الخمر أو بيعها، أو إنتاجها وتوريدها.
ولكن نفوسنا هي التي أبت أن تقبل على الله، بل أقبلت على الدنيا.

وأصبحنا نصرخ: نريد أن نحكم شرع الله.
وأقول: إننا لسنا أهلاً لأن يحكم فينا، وعلينا أولاً أن نحكمه بعبادة الله، وأن نطيب ألسنتنا وطعامنا وشرابنا، وأن نلتف حول كتاب الله في بيوته، نتعلم الكتاب والحكمة.
فإن فعلنا ذلك فتح الله لنا أبواب السماء، وحينئذ سنرتفع.

والجهاد لا بد أن يكون في سبيل الله، وليس في سبيل الاستقلال والتحرر، وإقامة الدولة الوطنية وطرده الاستعمار كما كنا نغني، ولذلك هذا الجهاد الذي لم يكن في سبيل الله لم ينتج لنا شيئاً.
ولو جاهدت أمة في الأرض في سبيل الله فإنهم ما إن يستقلوا حتى تلوح أنوار لا إله إلا الله، فيعبدون الله، ويقومون الصلاة، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويجبون الزكاة، ويحرمون ما حرم الله.
هذا هو الجهاد في سبيل الله، لا في سبيل تحرير البلاد والوطن.

وأما جهاد الفوضى فلا يصح.
ولو أراد المسلمون جهاداً لكانوا بايعوا عبد العزيز رحمة الله عليه، ولكن أكثر أمة الإسلام لا تفهم هذا، ولا تفقهه، ومن فهم منهم يتقزز.

فلو كنا مسلمين بحق نريد أن يعبد الله وتعلو راية لا إله إلا الله لبايعنا عبد العزيز، ولم يأتي بعبد العزيز بريطانيا ولا روسيا، ولم تقم هذه الدولة أي منهما، بل والله! ما جاء بهذه الدولة وأقامها إلا الله؛ إذ لا يقدر على هذا إلا الله.
وقد كان العالم الإسلامي في ذلك الوقت راضخاً لسلطة الاستعمار من إندونيسيا إلى موريتانيا، ثم بدأ الاستقلال والمطالبة بالاستقلال، ثم خرجت بريطانيا وفرنسا وهولندا.

وقد كان الواجب الحتمي الضروري العيني على أي إقليم استقل أن يأتي رجاله إلى عبد العزيز أو نائبه يطلبون منه أن يبعث لهم قضاة يطبقون فيهم شرع الله، وأن يبعث لهم والياً عاماً، يضم ذلك الإقليم إلى دولة القرآن؛ حتى يمتد ظل الخلافة الإسلامية وينتشر، ومن ثم لما يستقل العالم الإسلامي يصبح دولة واحدة، وهذه هي الخلافة، ويكون إمام المسلمين واحد.

ولكنهم لم تقم لهم دولة، ولم ترتفع لهم راية إلا على الباطل والهرءاء. وبعض الغافلين يقول: لن ننضم إلى الوهابيين، ولن يوجد فينا من يلزمنا بالصلاة، ولن ننضم إلى هذه الدولة الفقيرة، وهكذا.

وأقول: لنذق العذاب دنيا وأخرى؛ لأننا ذبحنا أنفسنا. وليس لنا عذر في هذا إلا الجهل وعدم العلم والبصيرة، لا أقل ولا أكثر. وهناك من المسئولين من لا يريد أن يسمع هذا أو يقبله، وقد طالبناهم وكتبنا إليهم قائلين: أما وقد استقللتم فاجتمعوا في روضة محمد صلى الله عليه وسلم وبايعوا خليفة المسلمين، بحيث تكون كل الأقطار تابعة له، فلم يستطيعوا بسبب الشهوات والأطماع، وحب الدنيا والحياة والجهل وغيرها. وأقول: إذاً ذوقوا العذاب بأنواعه، فهو لن يرتفع أبداً عنا إلا إذا تبنا إلى الله توبة نصوحاً.

ولن تعود الخلافة الإسلامية بالأوهام. والمسلم أسلم قلبه ووجهه لله، بحيث لو أمر أن يخرج من داره لخرج لله؛ لأنه لا يسعى لأجل سمعة أو منصب، أو تراب أو وطن. سابعاً: صلة الرحم

قال: [سابعاً: صلة رحمك بالإحسان إليهم في حدود قدرتك] واستطاعتك، ولو بالسلام عليهم والمراسلة، فإن احتاجوا إلى شيء وأنت في غنى عنه فيجب عليك أن تعطيه وتدفعه لهم. أولاً: الإخلاص لله عز وجل

قال: [أولاً: الإخلاص لله عز وجل] والإخلاص هو التوحيد [في فعل المحبوب وترك المكروه. ومعنى الإخلاص: أن تفعل ما تفعل وتترك ما تترك طاعة لله وخوفاً منه وحباً فيه، وتترك ما تترك كذلك، لا تلتفت بقلبك] ولا بوجهك [إلى شيء أبداً]

ثانياً: إقام الصلاة في جماعة

قال: [ثانياً: إقام الصلاة بأن تؤديها في بيوت الله مع جماعة المسلمين، وأن تخشع فيها، مراعيّاً فيها شروطها وأركانها، وواجباتها وسننها] لأن العمل إذا اختل لا يولد طاقة ونوراً. والحسنة نور. ثالثاً: إيتاء الزكاة

قال: [ثالثاً: إيتاء الزكاة متى وجبت عليك لمملك مالا صامتاً، كالدرهم والدنانير، والحبوب والثمار، أو ناطقاً كالأنعام من الإبل والبقر والغنم، وبلغ مالك نصاباً، وحال عليه الحال إن كان غير الحبوب والثمار] لأن الحبوب والثمار لا يشترط فيها الحال، بل إذا طابت وصلحت للأكل وجب الزكاة فيها؛ لقوله تعالى: وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ [الأنعام: 141].

وأما الأنعام والدرهم والدنانير فلا بد فيها من اشتراط حول يحول عليها.

رابعاً: صيام رمضان

قال: [رابعاً: صيام رمضان مع تجنب مفسداته، كالغيبة وسائر الآثام والمفطرات] وللصيام المزكي للنفس مفسدات تبطل أجره، كمن صلى وضحك أثناء صلاته لا تكتب له حسنة واحدة؛ لأن صلاته باطلة.

وكذلك الصيام إن كان فيه مفسد بطل مفعوله، والمسلم يصوم من أجل أن تولد النور في القلب، ومن أجل زكاة النفس وطهارتها.
خامساً: حج بيت الله الحرام

قال: [خامساً: حج بيت الله الحرام إن ملكت زاداً لنفقتك ونفقة أهلِكَ بعدك، وقدرت على المشي أو الركوب]
سادساً: بر الوالدين

قال: [سادساً: بر والدك بطاعتها في المعروف، وإيصال الخير إليهما، وذلك بتقديم ما يحتاجان إليه من غذاء وكساء، ودواء وإيواء، مع كف الأذى عنهما، حتى ولو بكلمة نابية بصوت مرتفع]
الأعمال التي يكرهها الله عز وجل

قال: [قائمة المكروه لله سبحانه وتعالى] وإذا كرهنا ما يكرهه الله تمت ولاية الله لنا.
وأما إذا كره الله أمراً وأحبيته، أو أحبه وكرهته فهذه هي العداوة الفاضحة القاطعة.
بل يجب على المؤمن والمؤمنة أن يعرفا ما يحبه الله ليحبوه، وأن يعرفا ما يكرهه ليكرهوه، وبذلك تتم ولاية الله للعبد.

وولاية الله غاية ليس بعدها غاية، وحسبنا قول الله: **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** [يونس: 62-64].
وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).
فالذي يعادي ولياً من أولياء الله أو يؤذيه قد أعلن الله تعالى الحرب عليه، ومن حاربه الله انتصر عليه، ومن يقف أمام الله يمزقه ويلاشيه.

وأولياء الله هم الذين آمنوا وكانوا يتَّقُونَ [يونس: 63].
وسواء كانوا بيضاً أم سوداً .. عرباً أم عجماً .. من الأولين أم من الآخرين، فكل مؤمن تقي هو الله ولي.
والمسلم لا يسجد لولي الله ولا يركع له، ولا يحلف به ولا يقدم له النذور، ولا يعكف على قبره، وإنما يحبه ويواليه، ولا يؤذيه ببعض كلمة، ولا بحرف واحد؛ لأنه ولي الله.
وقائمة المكروه لله سبحانه وتعالى هي:
تاسعاً: أذية المؤمنين والمؤمنات

قال: [تاسعاً: أذية المؤمنين والمؤمنات] والأذى هو: إزعاج المسلم ولو بكلمة.
فلو كان هناك كلمة ترعج مؤمناً فلا تقلها، وإذا كان هناك حركة تقلقه فلا تتحرك بها.
وكذا مطلق الأذى.

عاشراً: ترك ما هو محبوب لله

قال: [عاشراً: ترك محبوب لله من قائمة المحبوبات] المتقدمة، فمن ترك شيئاً أوجب الله لأن الله يحبه فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب.
ثالثاً: الزنا

قال: [ثالثاً: الزنا] وهو معروف والعياذ بالله.
وهناك ثلاث ذنوب لا يوجد أعظم منها، وهي: الشرك والزنا وقتل النفس، فقد قال الله تعالى: **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ** [الفرقان: 68].
رابعاً: أكل مال اليتيم

قال: [رابعاً: أكل مال اليتيم] سواء بالسرقة أو الاختلاس أو التسلط عليه باسم الوكالة أو الكفالة، فأكل مال اليتيم من كبائر الذنوب.
خامساً: عقوق الوالدين

قال: [خامساً: عقوق الوالدين] فمن عق والديه قطع الصلة بينه وبينهما، وقد يكون العقوق بالسب والشتم، وترك حقوقهم وعدم طاعتهم.
سادساً: شهادة الزور

قال: [سادساً: شهادة الزور] كأن يقول الشاهد: والله! إن هذا المال لفلان، أو هذه سيارة فلان، أو فلان ما قال كذا وهو كاذب، فهذا هو قول الزور.
وشهادة الزور من كبائر الذنوب، بل من أمهات الكبائر.
وقد بينا للصالحين والصالحات أن شاهد الزور يوقع باسم الله، يكون إمضاؤه نيابة عن الله، وليس هناك ذنب أعظم من كذبك في نيابتك عن الله عز وجل، وقد جعل شهادتك ينتقل بها الحق من فلان إلى فلان، وأنت تكذب فيها.
وقد يكون الحق عمارة كاملة، وقد يقتل رجل بهذه الشهادة.
وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً يوماً فقال لأصحابه: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، ثم قال: ألا وقول الزور! ألا وشهادة الزور! ألا وقول الزور! حتى قلنا: ليته سكت)، لأنهم خافوا أن ينزل عليهم بلاء.
وقد أصبحت شهادة الزور وقول الزور نصف أحاديثنا.
سابعاً: قذف المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة

قال: [سابعاً: قذف المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة] كمن يقول: فلانة زنت أو فلان زنى، فانه لا يرضى لعبده وأمته أن يمزق عرضهما، وأن تلوث حياتهما بكلمة باطلة.
ولو رأيتهما بعينيك وهما يزنيان فلا تقذفهما ولا تتحدث به.
ثامناً: أذية الجار

قال: [ثامناً: أذية الجار] وجارك هو من يكون بينك وبينه أربعين منزلاً أو أقل، وأبناء الحي كاملاً هم جيرانك، وكذلك الأقرب فالأقرب، فإياك أن تؤذي جارك ولو بصوت سيارتك! ولا توقفها عند بابيه، حتى لا يستطيع جارك أن يدخل داره، وهذا شائع.
ومن الأذية أيضاً: رفع صوت الأغاني المحرمة - وهذا هو صوت العواهر - في بيتك أو حجرتك حتى تؤذي جارك المؤمن وأهله.
وإذا أكلت ماله، أو ضربت ابنه، أو كشفت عورته، أو اطلعت على سوائته فهذا أعظم، فلا تؤذ جارك بأدنى أذى، ولا حتى بنظرة فيها أذى.
أولاً: الشرك

قال: [أولاً: الشرك في عبادته] تعالى [بصرف أي شيء منها لغير الله تعالى] كأن تدعو معه غيره، أو تركع أو تسجد له ولغيره، أو تتقرب إلى غيره بما تتقرب به إليه، كالنذر والذبح وما إلى ذلك.
فهذا مما يكرهه الله أشد الكره.
ثانياً: أكل مال الربا

قال: [ثانياً: أكل الربا وإن قل كدرهم] فهذا مما يكرهه الله عز وجل، فهو يكره أكل المال الربوي وإن قل.

ولا تظن أننا لن نتخلص من الربا إلا إذا أغلقنا البنوك، وأعلننا الحرب على هؤلاء الحكام الكفار الذين يبيحون الربا، بل آمن وأسلم وأعط قلبك ووجهك لله، ولا يراك الله أمام بنك ربوي أبداً، وإذا أردت إغلاق البنوك فلا تقف أمامها، ولو جعت أو عرقت أو ظمأت فادخل في غار ولا تستقرض ريالاً واحداً بالربا.

ولو أن أهل المدينة لم يقف رجلاً منهم ولا امرأة أمام بنك ربوي فلن يبقى بنك مفتوح، ولحولوا الدريهمات إلى عمل آخر، ولطردوا العمال؛ لأنه لم يبق عندهم عمل.

فتأدبوا مع الله إذن، واعرفوا الطريق إلى الله.

عندنا مثل عامي ولكنه عزيز، فقد قيل: أن كسولاً مثلي نام في الطريق - وقد كنا ننام في الظل وفي الطرقات- فكانت أشعة الشمس على رجله، وكان يقول لكل من يمر به: يا سيد! من فضلك أبعدني عن الشمس، فيضحك عليه الرجل ويقول له: أنت مجنون! جر رجلك بنفسك.

وهذا هو حال المسلمين في بلادهم، فهم منغمسون في البنوك الربوية، ومتكالبين عليها، ويقولون: على الحكومة أن تغلق البنوك الربوية.

وهذا من باب الجهل المركب، وعدم الرغبة في الملكوت الأعلى وما عند الله؛ إذ لم يلزمكم أحد أو يفرض عليكم التعامل مع البنوك، لا بريطانيا ولا فرنسا، ولا الملك حفظه الله.

بل نحن الطماعين الأكالين المتكالبين على الدينار والدرهم ذهبنا إليها، ولو كنا مسلمين لما وقفنا أمام بنك أبداً، ولكان من عنده مال في البنك سحبه منه؛ حتى لا يبقى بنك ربوي مفتوحاً، بل يتحول إلى مصارف ربانية نورانية، تنمي الأموال وتزيد فيها، ويباركها الله عز وجل، فتؤمن أموال المؤمنين، ونصبح خير أمة أخرجت للناس.

ونحن إن لم نستطع أن نترك أبسط الأشياء قلنا: الحكومة.

وهذا الكلام هراء وباطل، ولا قيمة له ولا وزن.

ونحن ليس عندنا حجة نحتج بها عند الله يوم القيامة على تعاملنا مع البنوك الربوية، اللهم إلا إذا أكرهنا بالتعذيب والحديد والنار، فنكون في هذا الظرف معذورون أمام الله، وأما أن نأتي إلى الباطل باختيارنا، ونسمعه باختيارنا ونقول: الحكومة، ونغضب الحكام، ونتغنى بهذه الكلمة الباطلة فهذا ليس عذراً لنا.

والحاكم إذا ظلم أو ألزمنا بالباطل فيجب أن نهجر من بلاده إلى أرض نعبد الله فيها، لا أن نجلس نتكلم عليه ونحرشه علينا؛ ليمزقنا ويكسر عظامنا، فهذا لا يفج.

وكذلك علموا إخوانكم المؤمنين، وعلموا أمهاتكم وبناتكم ونساء المؤمنين أن يلوذوا بجناب الله، وأن يترفعوا عن دناءة الحياة وأوساخها، وشهواتها وأهوائها؛ لتصبح الأمة ربانية يفتح الله لها أبواب السماء.

التوبة النصوح بشر الله عز وجل صاحبها بتكفير السيئات، وأن يكون مع النبي والذين آمنوا في يوم لا يخزيهم الله فيه، ويمنحهم نوراً يمشون به على الصراط، حتى يدخلوا جنة عرضها الأرض والسموات، تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.

تابع وجوب التوبة النصوح من كل ذنب على الفور رجاء مغفرة الذنوب ودخول الجنة

الحمد لله نعمه تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ثم أما بعد: أيها الأبناء والإخوة المستمعون، ويا أيها المؤمنات المستمعات! إننا ما زلنا مع نداءات الرحمن لأهل الإيمان، اللهم اجعلنا منهم، واحشرنا في زميرهم، وارض عنا كما رضيت عنهم.

أمين.

ما زلنا مع النداء الأخير وهو النداء التسعون، ولم يبق منه إلا القليل مع الخاتمة.

ثمار التوبة النصوح

قال: [وأبشر بعد ذلك بما بشرك الله تعالى به في قوله: عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] [التحریم:8].

واعلم أن عسى [التحریم:8] من الله تفيد تحقيق المرجو وتأكيده [بخلاف عسى من فلان العاجز، فنقول: عسى أن يعطيك حَقَّك، عسى أن يسامحك.. فعسى هنا ليست واجبة، فقد يعجز ولا يتحقق المرجو، أما في حق الله تعالى فهي واجبة؛ فإذا قال: عسى الله أن يفعل فأبشر.

[فأبشر بالجنة بعد تكفير السيئات] في يوم عظيم هو يوم القيامة [في يوم لا يخزي فيه الله النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه، بأن لا يذلهم ولا يعذبهم، ويعطيهم نوراً يمشون فيه] وعليه [حتى يجتازوا الصراط ويدخلوا الجنة دار السلام.

وسلام عليهم وعلى كل المرسلين، وأهل الجنة أجمعين.

والحمد لله رب العالمين].

شروط التوبة

لا شك أن شروط التوبة هي: أولاً: الإقلاع عن المعصية على الفور وتركها والابتعاد عنها، فإن كان تاركاً لواجب فعليه أن يفعله، وإن كان مرتكباً لمنهي فعليه أن يبتعد عنه ويتركه.

هذا هو ما يسميه أهل العلم بالإقلاع، يقال: أقلع عن الشيء أي: انفصل عنه بسرعة بدون تراخي.

ثانياً: الاستغفار، وهي أن تلج بكلمة: أستغفر الله، أو غفرانك ربي، أو اللهم اغفر لي، بحيث لا تفارقه.

ثالثاً: العزم الأكيد على أن لا يعود لذلك الذنب، فإن عاد مرة أخرى فلا بد من عزم قلبي وتصميم أن لا يعود لهذا الذنب، سواء كان هذا الذنب تركاً لواجب أو فعلاً لمحرم.

رابعاً: الندم الممض، وهو أن يشعر التائب بآلم نفسي يبقى أياماً في نفسه، حتى ينمحي أثر ذلك الذنب ويزول من النفس.

والناس يعرفون الندم في أمور الدنيا، فالتاجر الذي فاتته صفقة تجارية يشعر بالندم، وكذا من مات له حبيب.

فالتوبة النصوح التي أمر الله بها هي التي لا يعاود التائب فيها الذنب أبداً، كما لا يعود اللبث إلى الضرع، فلو حلبنا من شاة لبناً فليس بالإمكان -بل من المستحيل- أن نرده إلى ضرعها. فإذا أردت أن تسمو وترتقي إلى منازل الأبرار فقل كلما ذكرت ذنباً قد اقترفته: أستغفر الله وأتوب إليه، ولو بعد خمسين أو سبعين سنة.

وقد جاء في سورة (ق) قول الله تعالى: لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٌ [ق:32]. والأواب هو: الرجاع، الذي كلما أذنب ذنباً أحدث له توبة فرجع، والحفيف: هو الحافظ شديد الحفظ، الذي لا ينسى أبداً، وكلما ذكر ذنبه استغفر الله.

وهذا فيما إذا كان الذنب بينك وبين الله، كأن تكون تركت واجباً أو فعلت محرماً فتوبتك كافية، وأما إذا كان بينك وبين أخيك فتحلل منه، أي: اطلب منه العفو، فإن كان مალأ فلا بد من رده إن كنت قادراً على أدائه، وإن لم ترده فإنك لم تتب، ولا تصح التوبة إلى الله من دون إرجاعه إن كنت قادراً على إرجاعه، ولا يصح الاستغفار والندم وفي جيبك مال أخيك الذي اختلسته منه أو اغتصبته، أو سرقتة أو غششتة، أو أخذته بحيلة من حيلك.

وإن كان الذنب في عرض أخيك كأن اغتبتة أو شتمته، أو غيرته فلا بد وأن تطلب العفو والسماح منه، والتحلل من الذنب، فنقول له مثلاً: أي أخي! لقد قلت فيك باطلاً، وقد تبت إلى الله واستغفرته، فسامحني، فإن عفا وسامح نجوت، وإن لم يفسر إليه وأعطه حقه حتى تخلص.

وإن كنت قد أذيتة في جسمه كأن تكون قد ضربته فأعطه خدك وقل له: اضربني كما ضربتك، كما فعل الصحابي الجليل حينما وضع خده على الأرض وقال لأخيه: لتطأن على خدي. فهذه هي التوبة التي شرعها الله لتطهير قلوبنا وتركية نفوسنا.

فالخلاصة: أن التوبة هي الرجوع إلى الله بفعل ما تركناه من واجبات، أو بترك ما ارتكبنا من محرمات كثرت أو قلت، فنحن مأمورون بأمر الله في آخر نداء الله في كتابه بهذا، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا [التحريم:8].

التوبة واجبة على الفور

قال المؤلف غفر الله له ولكم ورحمه وإياكم: [كانت تلك بعض المحبوبات والمكروهات] إذ تقدم لنا بيان المحبوبات وهي عشر، والمكروهات وهي عشر كذلك [فإذا تركت محبوباً منها، أو فعلت مكروهاً منها فبادر بالتوبة على الفور، وهي فعل ما تركت] من تلك المحبوبات [وترك ما فعلت] وأتيت من تلك المكروهات [وأنت تستغفر الله ونادم أشد الندم على ما تركت من محبوب لله، أو على ما فعلت من مكروه لله].

والتوبة على الفور مسألة إجماعية، فقد أجمعت أمة الإسلام على أن التوبة تكون على الفور، فلا يسمح للمؤمن أن يقول: لا أتوب إلا بعد أن أتزوج، أو حتى أعود من سفري، أو حتى أفرغ من بناء بيتي، أو حتى أرحل من بيتي.

فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن يغشيا كبيرة من كبائر الذنوب ثم يؤجلا التوبة؛ لأن التوبة تجب على الفور، مثلها: مثل سائر في الطريق فزلت قدمه، فهو لن ينتظر ساعة أو ساعتين، أو ليلة ثم ينهض ويقوم، بل إنه ينهض على الفور، فالتوبة تجب على الفور، فلا يحل تأخيرها أبداً، قال الله عز وجل: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [النساء:17].

هنا لطيفة: وهي أن العبد إذا استمر على الذنب ولم يتركه يخشى أن يصبح طبعاً من طباعه، وغريزة من غرائزه، ويعجز عن تركه مرة أخرى، ومثال ذلك: المخدرات كالتدخين والأفيون وما إلى ذلك، فإذا استمر العبد على تلك المعصية يصعب عليه جداً أن يتخلى عنها، وكذا من اعتاد أكل الرطب بعد طلوع الشمس عاماً بعد عام فمن الصعب عليه تركه، وقد يتألم إن لم يأكل رطباً، فنحن مأمورون بالتوبة لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [التحريم:8].

فلنقل: لبيك اللهم لبيك! تُوبُوا إِلَى اللَّهِ [التحريم:8]، أي: ارجعوا إليه بترك المكروه الذي كرهه أو بفعل الواجب الذي تركتموه وقد أحبه.

خاتمة النداءات

[الخاتمة] أي: خاتمة هذه النداءات.

[بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعد: ففي يوم الإثنين 21/ رجب / 1414هـ، وفي الروضة النبوية الشريفة] واخترنا الروضة لأنها موطن استجابة [وفقني الله تعالى لأبيض هذه الخاتمة بيض الله وجهي ووجه كل مؤمن ومؤمنة يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، راجياً بذلك من الله تعالى أن ينفعي وينفع كل مؤمن ومؤمنة يقرأ هذه النداءات الرحمانية، أو يستمع إليها] إذا كان لا يتقن القراءة [ويجيب من دعاء وهو الله وليه ومولاه فإن أمره بأمر قام به، وإن نهاه عن شيء انتهى عنه، وإن رغبه في خير رغب فيه، وإن حذره من شر حذره، وإن بشره بخير سر بالبشرى وحمد الله وشكره، وإن أنذره خاف وتاب واستغفر، إذ هذا شأن المؤمن الصادق الإيمان، والمسلم الحسن الإسلام المهياً بفضل الله للجنة دار السلام. هذا ولا يفوتني أن أربح كل مؤمن ومؤمنة في قراءة هذه النداءات الرحمانية، وحفظها وإجابة الداعي الرحمن فيها نداء بعد نداء، ولا أحسب أن مؤمناً يجد في تحصيلها حفظاً وفهماً وعملاً يبقى في ظلام الجهل أبداً، بل سيرقى إلى أفضل مستوى علمي يرفع الله تعالى إليه من يشاء من عباده المؤمنين به وبلقائه].

التعريف بكتاب (عقيدة المؤمن) وسبب تأليفه

قال: [ثم وضعت كتاب (عقيدة المؤمن)] للقضاء على التعصب لبعض الفرق الإسلامية كالماتريدية والأشعرية والسلفية، وجمع الناس إلى عقيدة المؤمن الحق عقيدة الكتاب والسنة [على ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم] وذلك [من أجل إنهاء الفرقة في العقيدة وما طرأ عليها من إفراط وتفریط كاد يطفئ نورها، ويعطل إمدادها الروحي للمؤمن بالله ورسوله في هذه الحياة].
دعاء لحكام المسلمين بأن يكونوا أمة إسلامية واحدة ديناً ودولة

قال: [وأخيراً: فإنني وأنا في روضة الحبيب صلى الله عليه وسلم وهي روضة من رياض الجنة بالمسجد النبوي الشريف أدعو الله تعالى أن يجمع حكام المسلمين في هذه الروضة الطاهرة تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، أن يجمعهم في يوم من الأيام فيها ويبايعوا أصلحهم لإمامة المسلمين فتصبح أمة الإسلام أمة واحدة ديناً ودولة] وهذا ليس بمستحيل، فلو أفاق حكام المسلمين من سكرتهم، وقالوا: آمنا بالله، وبايعوا إماماً واحداً لأصبحت أمة الإسلام أمة واحدة، وهذا ليس مستحيلاً، فقد أصبح العالم بلداً واحداً، فقد حان وقت إعلان أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله [ويعهدون إلى خلاصة علماء الشريعة أن يضعوا لهم دستوراً قرآنياً مستسقى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تحكم به أمة الإسلام في سائر بلادها التي أصبحت ولايات تابعة لإمام المسلمين بالمدينة المنورة].

نصيحة للمؤمنين أن يسعوا لتحقيق وحدة المسلمين

قال: [وختاماً: أدعو كل مؤمن ومؤمنة أن يسأل الله تعالى تحقيق هذا الأمل وهو: وحدة المسلمين في دينهم ودنياهم؛ ليعزوا ويكلموا وينقذ الله تعالى بهم البشرية الضائعة والمدفوعة إلى الشر والشرك والخبث والفساد، لينتهي أمرها إلى الخلود في عذاب النار كما هو حكم العزيز الجبار: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [الشمس:9-10]. سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين].

التعريف بكتاب (منهاج المسلم) وسبب تأليفه

قال: [وأيضاً قبل هذا وأداء لواجب الدعوة والنصح لكل مؤمن ومؤمنة قد ألفت كتاب (منهاج المسلم)] وسبب تأليفه: هو جمع المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وترك التعصب لأحد المذاهب الأربعة: الحنفي أو المالكي أو الشافعي أو الحنبلي، وإن كان الحنابلة أرق الناس وأميلهم إلى السنة، فلا حنفية ولا مالكية، ولا شافعية ولا أباضية، ولا زيدية ولا رافضية، وإنما كتاب الله وسنة رسوله، ومع ذلك لم نجد تشجيعاً أو مساعدة من علمائنا ولو بكلمة.

ولما كانت النية صالحة وكان القصد خالصاً لله نفع الله بهذا الكتاب، وأصبح يقرؤه الشافعي والمالكي، والحنبلي والأباضي والزيدي؛ لأن المؤمن لا يستطيع أن يرد كلام الله أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم. وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية، فانتشر عند الفرنسيين، ثم ترجم في لبنان إلى اللغة الإنجليزية، وسيصل إلى أمريكا وبريطانيا، والهند والصين إن شاء الله [وهو كتاب شامل جامع للعقيدة المنجية من النار، والآداب الرفيعة، والأخلاق الفاضلة السامية، والعبادات والأحكام الشرعية، كل ذلك رجاء أن تجتمع عليه أمة الإسلام فتنتهي بذلك الفرقة المذهبية والطائفية].
التعريف برسالة (الدولة الإسلامية)

قال: [وعلى إثره وضعت دستوراً إسلامياً آملاً أن يضاف في الطباعة إلى كتاب (منهاج المسلم)، فيتم به نظام الدولة الإسلامية ديناً ودنياً شرعاً وقانوناً] وعندما استقلت الأقاليم من الاستعمار البريطاني أو الفرنسي أو غيرهما كانوا لا يعرفون الإسلام، ولذلك لم يستطيعوا أن يكونوا حكومة إسلامية، فكتبنا الدستور الإسلامي في ورقات، فلو طبقه أهل إقليم لسادوا، وكانوا أفضل الناس، وهذا لا يكلفهم شيئاً إلا أن يؤمنوا بالله، ويتخلوا عن أوساخ الدنيا، والتبعية الذيلية للشرق والغرب، وبذلك سيكونون حكومة ربانية إسلامية. وحكام المسلمين لا يحكمون شرع الله، بل أصبحوا يكرهون الإسلام والمسلمين، ولو قرءوا رسالة (الدولة الإسلامية) هذه قراءة بجد في اجتماع خاص بهم لعادوا إلى الإسلام، إذ ليس فيها صعوبة ولا مستحيل ولا تكليف، بل إقبال على الله فقط].
التعريف بكتاب (نداءات الرحمن لأهل الإيمان) وسبب تأليفه

قال: [ومن فضل الله تعالى أن وفقني أيضاً لكتابة هذه الرسالة (نداءات الرحمن لأهل الإيمان) رجاء أن يضعها كل مؤمن قريباً من وسادة نومه فيقرأ كل ليلة قبل نومه نداء من نداءات الرحمن فيها ويعمل به حتى يصبح عالماً ربانياً ذا دين وبصيرة فيه] فلو وضع أصحاب الفنادق هذا الكتاب عند كل سرير كما يفعل النصارى في فنادقهم، فإنهم يضعون صورة من الإنجيل عند كل سرير. فهذه الأمة قد هبطت، ولا سبيل إلى رفعها إلا بالعودة إلى الكتاب والسنة، وذلك في المساجد، ولو كان أحد أصحاب الفنادق ملازماً لهذا الدرس سنة كاملة، يتلقى الكتاب والحكمة، فلا يحتاج إلى أن نذكره، ولكن طلب هذا الكتاب، ووضعته عند كل سرير، ولكنه لم يحضر منهم أحد، ولم يتعلموا أو يفهموا، ولذلك فهم لا يعرفون. بل إن الحلقة مهجورة من طلبة العلم. ولو كنا مقبلين على دار السلام بحق لما وجدت مكاناً فارغاً في هذا المسجد؛ لسماع هذه الدروس، ولكنه لا يحضر هذه الدروس إلا الأغراب والفقراء والبهاليل، ولذلك فلن نرتفع ولن نتأخى، ولن نتحاب ولن يوالي بعضنا بعضاً، ولن تظهر بيبوتنا وتصفو من ظلمات التلفاز والباطل، والصياح والعهر إلا بسماع هذه الدروس. وبعض الناس لما يسمع هذا الكلام يضحك ويسخر ويستهزئ بنا، ويصفنا بصفات لا وجود لها في عالم الغيب والشهادة، ولكنها تملئها عليهم الشياطين. التعريف بكتاب (المسجد وبيت المسلم) وسبب تأليفه

قال: [وقد وفقني ربي سبحانه وتعالى فكتبت في هذا الأمر كتاباً سميت به (كتاب المسجد وبيت المسلم)] لو أراد الله بنا خيراً لدرس طلبة العلم هذا الكتاب ونقلوه إلى مساجد الأحياء، واجتمعوا عليه، ولكن ما زال حكم الله نافذاً، فما زلنا أهل الفرقة والخلاف، والغفلة والنسيان والإعراض. ونحن نشكوا هذا لربنا.

فلو درسنا في كل يوم آية وحديثاً فعلى مدار السنة سنحفظ ونفهم ثلاثمائة وستون آية وكذا ثلاثمائة وستون حديثاً، فلا يصبح فينا جاهل وجاهلة، ولا ظالم وظالمة، ولا فاسد وفاسدة، فسنة الله لا تتبدل، فمن تعلم الكتاب والحكمة كيف لا يفسد [ودرسته سنة كاملة بالمسجد النبوي مبيناً كيفية تدريسه؛ رجاء أن تفيق أمة الإسلام من نومها الطويل وغفلتها الطويلة العريضة] وكان الزوار والحجاج والمعمرون يشهدون هذا، وكان المفروض أن الكل يدرسون هذا الكتاب، فهو مشروح ومبين وسهل، وليس فيه شرك أو باطل أو دعوى إلى ظلم وفتنة، وليس فيه إلا قال الله وقال رسوله.

وقد يحفظ العبد الآية في ربع ساعة، أو يحفظ حديثاً مكوناً من عشر كلمات أو أقل على الفور، فإذا حفظ أهل القرية آيات الله وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يبقى فيهم جاهل أو جاهلة، وإذا انتفى الجهل حصل العلم، فكانت الاستقامة على منهج الله، ولن يضر أهل القرية جوع ولا فقر، ولا مرض ولا خوف ولا حزن؛ لأنهم أولياء الله، يتلذذون بالفقر إن افتقروا، ويتلذذون بالمرض والألم، ويجدون في ذلك انشراح صدورهم وطيب نفوسهم، وقد قال الله تعالى: **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** [يونس: 62].

وقد رأينا الرجل منهم يدفن أطفاله واحداً بعد الآخر وهو يبتسم، والناس يبكون؛ لأن العبد إذا وصل إلى الله لم يقطعه خوف ولا فقر ولا بلاء، بل إنه يتلذذ بما يمتحنه الله به. سبب فرقة المسلمين وضعفهم وانحرافهم وعلاج ذلك

قال: [وهنا أذكر منبهاً لافتاً النظر إلى أن ما يشكوه المسلمون من فرقة وضعف وانحراف] وانصراف [بل وضياح وخسران مرده إلى الجهل بالله تعالى، وبمحابه ومساخطه] ومكارهه [وما عنده لأوليائه] من نعيم مقيم [وما لديه لأعدائه] من العذاب الأليم [وأن الطريق إلى الخروج من هذه المظاهر المؤلمة المحزنة] والخلاص منها [التي تعيشها أمة الإسلام منذ قرون عدة هو العلم] بالله، وبمحابه وبمكارهه، وبما عنده لأوليائه، وبما لديه لأعدائه [واليقين فيه، وأن كيفية الحصول على العلم المطلوب هو أن يتعهد أهل كل حي من أحياء المدن] الإسلامية [وأهل كل قرية من القرى] الإيمانية [بأن يجتمعوا كل ليلة من المغرب إلى العشاء في مسجدهم الجامع لهم يدرسون كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وذلك طوال العام لا يتخلف رجل منهم ولا امرأة ولا ولد إلا معذور عذراً حقيقياً] كمرض أو خوف، فلا سبيل ولا طريق للخلاص مما فيه العالم الإسلامي إلا هذا، أحبوا ذلك أم كرهوا.

ولن تنتهي الحزبية والفرقة والمذهبية والتفاوت والآلام والبغض والحسد والكبر إلا بهذا الطريق، ومن أراد أن يشير إلى واقعنا أشار إليه.

فإذا اجتمع أهل القرية كلهم في بيت ربهم من المغرب إلى العشاء يتعلمون الكتاب والحكمة ويزكون أنفسهم يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام لم يبق فيهم فرقة ولا خلاف، ولا صراع ولا حسد، ولا بغض ولا كبر ولا تعالٍ، ولا يبقى بينهم من يموت جوعاً أو يمشي عارياً أو لا يجد له مأوى. فهذه سنة الله، وسنن الله لا تتبدل.

وليس هناك قانون يفرض على أمة الإسلام أن تكمل وتسعد إلا قانون الإسلام، أحببنا أم كرهنا. وقد عرفنا أن أمة العرب كانت أمة جهل وضلال ووثنية وقبلية وصراع ودماء، وما إن اجتمع هؤلاء العرب بين يدي رسول الله يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم خمساً وعشرين سنة إلا وسادوا العالم، وانتشر نور الإسلام في أنحاء المعمورة.

ومن طلب برهاناً ودليلاً فعليه أن يذهب إلى قرية فيجمع أهلها على الكتاب والسنة، وسيرى النتائج الطيبة بعد عام. وأما المذاهب والمبادئ والحزبيات والطرق والأنظمة فمستحيل أن يتحقق خيراً.

قال: [إنهم لا يمضي عليهم طويل زمن إلا وهم علماء ربانيون أولياء الله تعالى صالحون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، مع العلم أن هذا الطلب للعلم والهدى والاستقامة والرضا والحب والولاء والمودة لا يكلفهم من الجهد شيئاً ولا من المال قليلاً ولا كثيراً] فالمسلمون حينما يذهبون إلى بيوت الله للصلاة وينزلون في بيت الرب يستغفرونه ويتعلمون الهدى لا يكلفهم ذلك جهداً كبيراً شاقاً لا يطاق [وأمر آخر ألفت النظر إليه وهو أن العالم البشري كله إذا دقت الساعة السادسة مساء أوقف دولا العمل وذهب إلى الراحة والترويح على النفس، أليس المؤمنون أولى بهذه الراحة؟ راحة السعادة الكاملة، التي هي الجلوس في بيوت الله لاستمطار رحمته، وتلقي الهدى والعلم من كتابه وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم؟] فلا طريق لأن تجتمع كلمة المسلمين وتتحد حقيقتهم فيما بينهم أطهاراً أتقياء أحبة أولياء إلا باجتماعهم في بيت ربهم يتعلمون الكتاب والحكمة على نهج رسول الله وأصحابه، فقد كان أكثر الصحابة لا يعرفون الباء من الألف، ولا يعرفون كتابة ولا قراءة، ومع ذلك لم تر الدنيا أفضل منهم في العدل والرحمة، والإخاء والولاء، والطهر والصفاء والكرم، فضلاً عن الشجاعة والموت في سبيل الله، فقد تعلموا بين يدي الرسول الكتاب والحكمة والتزكية كما أمره الله.